فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المنار

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر الا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

﴿مصر – سلخ المحرم ١٣٣٠ هـ ق – ٢٩ الشتاء الأول ١٢٩١ هـ ش ٢ يناير ١٩١٢ م﴾



فاتحة المجلد الخامس عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمدك اللهم وانت ولي الحمد ، والهادي الى سبيل الرشد ، ولك الأمر من قبل ومن بعد ، لكل شيء عندك قدر ، ولكل قدر أجل ، و (لكل اجل كتاب . يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أمّ الكتاب) ونصلي ونسلم على محمد نبيك المصطفى ، ورسولك المجتبى ، الذي ارسلته كافة للناس بشيراً ونذيراً ، وداعياً الى الله باذنه وسراجاً منيراً ، وآتيته

الحكمة وفصل الخطاب، وأنزلت في محكم الكتاب (فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب)

(وبعد)، فقد دخل المنار في هذا العام في السنة الخامسة عشرة من عمره وهي سن بلوغ الحلم الغالب في الانسان، وبدء الرشد في عرف شريعة الاسلام، فنسأل الله سبحانه وتعالى أن يلهمنا فيه رشدنا، ويبلغنا قصدنا، وينفعنا بما نطلبه في هذه الفواتح من نصح الناصحين، ونقد الناقدين، ومن آيات الفوز والرشاد، أن وفقنا عز شأنه للشروع على رأس هذه السنة في تنفيذ نظام مدرسة (دار الدعوة والارشاد) التي نرجو أن تكون خير ما انشىء في البلاد، لاصلاح ما استشرى من الفساد،

قطع المنار هذا الطور الاول من حياته وحده، فدرج درجان الطفل غادر مهده، الى أن بلغ رشده، فلا أخذ بيده أمير، ولا أعانه وزير، ولا أمده غني كبير، اللهم الا ان مصطفى رياض باشا (تغمده الله برحمته) وكان نسيج وحده في كبراء هذه البلاد، في اعانة الصحف ومساعدة أرباب الاقلام، وكذا سائر مايعتقد نفعه من الاعمال، ارسل الي مرة قيمة الاشتراك مضاعفة اضعافا، فقلت لرسوله انني لاأقبل من أحد مالا لامقابل له مني، فعاد اليه بها فاشترك بعد ذلك بعشر نسخ من المنار ثم جعلها خمس عشرة نسخة، وجعلها نجله محمود باشا من الباقيات الصالحات له، واني أعلم كما يعلم كثير من الناس، أن المنار لو صدر على عهد وزارة رياض، للقي من مساعدته بنفوذه، أضعاف مالقي من مقاومة غيره، فانه كان مغرما به، كثير الذكر له والثناء عليه في مجالسه، وكان مثل هذا أمرا مفعولا في عهد وزارته،

واذا كان رياض باشا قد حسن قوله في المنار وعمله، فاني لأذكر بالخير من حسن قوله ونيته، ذلك ابرهيم باشا فؤاد الذي كان ناظر الحقانية رحمه الله تعالى، كان يرى ان المنار أنفع الصحف للمسلمين، ويود لو يعم انتشاره بين طلاب العلوم وجميع الطبقات، وقد سمعت منه منذ السنة الاولى مايدل على رأيه هذا، واخبرني بمثل ذلك عنه احمد فتحي زغلول باشا، وقال انه ذاكره في وضع مشروع لتوزيع المنار على طلاب العلم والفقراء من القراء بثمن قليل جدا لايثقل على أحد منهم او جعل ثمنه قليلا لكل قارئ بجمع مال بالاكتتاب يرصد لذلك. فكر رحمه الله تعالى في ذلك وقدر، وذاكر وشاور، ثم لم يعمل شيئا، فجزاه الله على نيته خيرا

اشرت في فواتح السنين الماضية الى ماكان يلقى المنار من المقاومة والمعارضه، والمناصبة والمناهضة، وذكرت في بعضها شيئاً من تاريخه الاصلاحي والسياسي، وأحببت ان أذكر في فاتحة هذه السنة ما فيه العبرة من تاريخه المالي، إذ يظن بعض الناس أنه أصاب كفلا من المساعدة والامداد، المعتاد مثله في هذه البلاد، فلم أجد فيه الا ما ذكرته لرياض باشا من قول وعمل، ولابراهيم باشا فؤاد من قول ونية، ورياض باشا هو الذي اخذ بأيدي أصحاب الصحف الكبرى بمصر في أيام وزارته، سواء كانوا من نصارى السوريين، أو القبط أو المسلمين، فهو صاحب الفضل الأول على الاهرام والمقتطف وجريدتي الوطن فالمؤيد، ساعد هذه الصحف مساعدة الوزير النافذة إرادته، المسموعة كلمته، المطاع أمره واشارته، الطويل باعه المبسوطة يده، فمساعدته للمنار لا تقرن بمساعدته لتلك الصحف، وانما أقول هذا مزيداً في تكبيره في نفسه، وتمييزه

بين أبناء جنسه ، لا لتصغير معروفه والتقصير في شكره

[لعله لولا مثل تلك الموازرة لما نبتت تلك الصحف في أرضنا نباتاً حسناً ولما استغلظ نباتها واستوى على سوقه، ولما أينعت ثمرتها وآتت أكلها ، ذلك بأن الجهل وضعف الاخلاق وفساد نظام الاجتماع جعل بلادنا كالأرض السبخة ، لا تنمو فيها شجرة العلم الا بعناية خاصة من الخاصة ، وها نحن أولاء قد تعودنا قراءة الصحف اليومية عشرات من السنين ، وصرنا نعدها من حاجات الحضارة والمدنية ، ولكن هيأتنا الاجتماعية لا تزال قاصرة او مقصرة في القيام بما يجب من حقها ، لما ذكرنا من ضعف النفوس ومرض الاخلاق فيها ، حتى إن كثيرين من رجال الطبقة العالية فينا كالمدرسين والمؤلفين والقضاة يمطلون ويسوفون فيما يجب عليهم من اشتراك الجريدة او المجلة ، ومنهم من يهضم هذا الحق ويستحل أكله ، ومن الوقائع القريبة في ذلك أن بعض المعروفين بشرف النسب والثروة والعلم والتأليف قال لوكيل المجلة بعد ان ارجأه طويلا انني لا ادفع قيمة الاشتراك لانني من العلماء !! فاذا كان أكل اموال الناس بالباطل ، مما يجهر به الشريف الغني العالم ، ويعده من ثمرات العلم ومزايا العلماء ، فمن ننتظر الوفاء ؟ دع التعاون على المصالح العامة والاصلاح ، لا أقول تقطعت من هذه الأمة جميع اسباب الوفاء والتعاون ، وانبتت سائر حبال التكافل والتضامن ، وانما أقول ان ذلك قد قل فيها وضعف ، على نحو ما وصف ، وكان من أثره ضياع ملكها ، وهوان امرها ، وهذا ما نعنى بعلاجه ، ونسعى لتلافيه ، ووالله لو كان هذا المنار يراد للكسب ، لما بلغ سن الرشد ،

الخير والكمال للمرء ان يعمل باستقلاله ، وان لا يكون لأحد

عليه فضل ولا منة ، بأن لا يأخذ منه مالا بغير مقابل ولا جزاء لمنفعته الخاصة ، وان كان يستعين به على المصلحة العامة ، وأما قبول المال لانفاقه في صالح الاعمال ، فهو لا ينافي الفضيلة والكمال ، كأن يشترك مريد الاعانة المالية للصحف الدورية ، او الكتب العلمية ، بنسخ من الكتاب ، توزع على من شاء هو أو شاء المؤلف من القراء ، كما قبلنا اشتراك المرحوم رياض باشا بخمس عشرة نسخة من المنار ، واشتراك ذلك المحسن المستتر في العام الماضي بست نسخ منه ، واشتراك (مولوي محمد انشاء الله) صاحب جريدة (وطن) في مدينة (لاهور) بمئة نسخة من كل جزء يصدر من تفسير المنار ، توزع على خطباء المساجد في بعض الاقطار ، وكان اقترح علينا هذا الفاضل ان يجعل لنا راتبا شهريا مدة الاشتغال باتمام التفسير ، بشرط اتمامه في زمن قريب ، فلم نقبل هذا منه ، لانه جزاء على عمل نعمله لله عز وجل ، لا ترويج له كالاشتراك ، ولنا بذلك اسوة بنبينا صلى الله عليه وسلم ، وصاحبه الصديق الاكبر ، فقد ورد أن ابا بكر رضي الله عنه قد انفق جميع ماله في سبيل الله ورسوله ، وورد ان النبي (ص) لم يقبل منه الراحلة يوم الهجرة الا بثمنها ، وورد أن أبا بكر لم يسأل النبي (ص) لنفسه شيئاً قط ، وانما قبل النبي (ص) ماله لانفاقه في نشر دعوة الاسلام لا لنفسه . وقد كان صلى الله عليه وسلم يحتاج الى النفقة على أهله احيانا فيقترض من اليهود ، وكان يجزي على الهدية ، ولا يقبل الصدقة ألبتة ، لان الله كرمه بتحريمها عليه وعلى أهل بيته ليكونوا قدوة للناس بعزة النفس ورفعتها .

تلك هي الفضيلة وذلك هو الكمال ، ولمثل هذا هدانا الاسلام ، ولكن العمل بما دون هذه الدرجة العليا من الكمال الاسلامي صار عسرا

جدا لقلة المواتي والمشارك فيه ، والمعين عليه ، وأما ارتقاء تلك الدرجة ، بل العروج الى تلك الذروة ، فأوشك ان يكون من خوارق العادات ، التي قد ينالها بعض أهل العزلة والانفراد ، دون أصحاب الاعمال العامة التي تصلح بها أحوال الناس ،

علمنا من كتاب الله تعالى ومن الاختبار المصدق له ، أن الناس ازواج ثلاثة في كل شأن ، كما كانوا في كتاب الله عز وجل « فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ، ذلك هو الفضل الكبير » وانما تسعد الامم وتشقى بحسب النسبة العددية في كثرة هذه الازواج وقلتها . فالامة التي يكثر فيها الظالمون لانفسهم (١) بترك مايجب عليهم ، ويقل المقتصدون ، الذين هم للحقوق يؤدون ، فلا يلوون ولا يمطلون ، ويندر أو يفقد السابقون بالخيرات ، الذين لايقفون عند حدود اداء الواجبات ، بل يزيدون عليها ماشاء الله من النوافل والتبرعات ، وينهضون بالمصالح العامة ، ويقومون بالمنافع المشتركة ، فتلك هي الامة التي يتهدم بناء مجدها ، ويزول عزها وملكها ، وتصير مستعبدة لغيرها ، وتخسر الدنيا والآخرة ، ذلك هو الخسران المبين

وأما الامة التي يقل فيها الظالمون ، ويكثر فيها المقتصدون ، ويكون زعماؤها والقائمون بمصالحها ، من السابقين بالخيرات ، المتعاونين على أنفع الأعمال ، فتلك هي الامة التي ترث الارض ، وتستمتع بنعمة السيادة

(١) ان الذي يمنع الحق الذي عليه للناس يكون أشد ظلما لنفسه ممن يمنع حق الله ، لأن الله لايغفر له حقوق عباده ، ولانه يكون قدوة سيئة ومغريا لغيره بظلمه

والملك ، وتتسابق مع من يشاركها في صفاتها الى غايات المجد المؤثل . ويكون السبق للامثل فالامثل

نحن ولا كفران لله من المتخلفين المقصرين ، وقد سبقتنا الامم كلها بعد أن كنا نحن المقتصدين والسابقين ، والظالمون لانفسهم وامتهم منا فريقان : فريق يجعلون علته ماجهلوا أو تركوا من هدي الدين ، وهو ما عمل به سلفهم فكانوا هم الائمة الوارثين ، ويحاولون ان يقطعوا هذه الامة أمما ، ويسلكوا بها الى المدنية طرائق قددا ، وهم ماعرفوا حقيقة المدنية الفاضلة وكنهها ، ولا مايصلح للمسلمين ويتفق مع طبائعهم منها ، ولكنهم في طلب قشورها مقلدون ، هذا تركي يقول يجب ان تكون السيادة والسلطة للترك ، وهذا عربي يقول اذا لم تكن المساواة فالعرب أولى بالملك ، وهذا مصري يقول مصريون قبل كل شيء ، وهذا فارسي يقول اننا فارسيون قبل كل شيء ، والامم الطامعة من ورائهم تقول أنكم مسودون قبل كل شيء ، ومستعبدون بعد كل شيء ، لانكم لستم بشيء ، فأولئك هم المتفرنجون ، الذين يفسدون في الارض ولا يصلحون ، (واذا قيل لهم لاتفسدوا في الارض قالوا انما نحن مصلحون ، الا انهم هم المفسدون ولكن لايشعرون)

ومن دونهم في الجناية على الامة ، واطالة اجل الغمة ، فريق آخرون ، لايسيرون بالناس ولايدعونهم يسيرون ، وهؤلاء هم الذين يدعون أهل الجمود ، الذين رزئوا بالخمول اوالقنوط ، ويعتذرون بقرب الساعة وفساد الزمان ، وخروج الاصلاح من محيط الامكان ، وفسوق أرباب الملك والسلطان ، وانك لتجدهم على مالبسوا من ثياب الدين ، أذلة على المفسدين والظالمين ، أعزة على الصالحين المصلحين ، فهم يجذبون الامة من ورائها

لتصبر على المكث في جحر الضب ، كلما جذبها أولئك من أمامها لتخرج الى باحة الفسق ، يضيعون على الامة دنياها ، ويعجزون ان يحفظوا عليها دينها ، ذلك بأنهم في دينهم من المقلدين ، فلا يستطيعون إقامة حجته على المستقلين ، ولا دفع الشبهات التي ترد عليه من المعارضين ، وقد وعد الله بنصر من ينصره وما هم بمنصورين ، وكتب الغلب لحزبه وما هم بغالبين ، ونراهم قد غلب عليهم الذل « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين »

هذه حالنا التي تنذر امتنا سوء مغبتها في كل عام ، فيتمارون بالنذر ويتبارون في الآثام ، ويزدادون في التفرق والانقسام ، الى ان شعروا بزوال ملكهم في هذه الايام ، صخت سمعهم صيحة سقوط الدولتين اللتين لهم في الشرق والغرب ، وتلتها صيحة الدولة العلية وهي في مكان القلب ، فعسى ان يكون الوقر قد زال من اسماعهم ، والغشاوة قد انقشعت عن إبصارهم ، والرين قد انكشف عن قلوبهم ، وأن يدركوا بعد هذا كله أن المصلحين فيهم هم الامة الوسط ، التي تجمع بين مطالب الروح والجسد ، وتقيم امر الدنيا والدين ، كما هدى اليه الكتاب المبين ، والمنار هو لسان حال هذا الحزب ، الذي يزداد أهله نموا في الارض ، وقد وفقهم الله في عام الرشد لتأسيس دار الدعوة والارشاد ، وستفتح ابوابها لجميع المسلمين من جميع العناصر والبلاد ، ويتلو لسان الحال على رؤس الاشهاد ، (ياقوم اتبعون اهدكم سبيل الرشاد * فستذكرون ما أقول لكم وافوض امري الى الله ان الله بصير بالعباد)

منشئ المنار ومحرره
محمد رشيد رضا الحسيني
ناظر دار الدعوة والارشاد بمصر

ذكرى الهجرة النبوية الشريفة

﴿ وجعلها تاريخا عاما للبشر ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

الله أكبر ، هذا هلال العام الجديد عام ١٣٣٠ للهجرة النبوية الشريفة . هذا هو الهلال الذي يذكرنا في كل سنة بذلك النور الذي كان خفيا في مكة المكرمة ، فأشرق بالهجرة في المدينة المنورة ، ثم امتد منها الى جميع أرجاء العالم ، فدخل به العالم الانساني في عصر جديد ، فكان تاريخا للانسانية جديدا

الله أكبر ، هذا هو الهلال الذي يذكرنا في فاتحة العام ، بذلك الاصلاح العام ، الذي جاء به الاسلام ، فاستفاد منه جميع الانام ، ثم حالت الاحوال ، فصار حظ المسلمين من سعادته دون حظ غيرهم ، حتى آل أمرهم في العام الذي ودعناه الى مايعرفه كل أحد ، من وقوع خطر وتوقع خطر ، فعسى ان يكون حظ هلالنا السياسي الاجتماعي في هذا العام الجديد خيرا منه فيما قبله ، ولا يكون كذلك الا بالرجوع الى تلك الهداية العليا : هداية التوحيد والاعتصام ، بعد الشقاق والخصام ، « ولا تنازعوا

فتفشلوا وتذهب ريحكم » وبالسير على سنن الله في خلقه « قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا » وبتغيير ما بأنفسنا من الاخلاق والافكار ، التي خالفنا فيها سلفنا الاخيار « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم »

دخل العالم بالهجرة النبوية في عصر جديد لم يسبق له نظير في التاريخ فكان جديرا بأن يكون تاريخا للبشر كافة ، لا للمسلمين خاصة ،

قضى الاسلام قضاءه المبرم على الوثنية التي أذلت البشر واستعبدتهم للملوك المستبدين ، والرؤساء الروحانيين ، ولمظاهر الطبيعة وما يمثلها في الهيا كل من الاصنام والاوثان ، وقرر حرية الاعتقاد والوجدان ، والاجتهاد الاستقلالي في العقائد والاعمال ، والشورى في السياسة والاحكام ، وأبطل امتيازات الانساب والاجناس ، التي كان يستعلي بها الناس على الناس ، بغير علم نافع ، ولا عمل رافع ، وجعل قاعدة الانسانية العامة قوله عز وجل « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم »

هذا درس عام في حقوق الانسانية العامه ، علمه الاسلام لجميع البشر بالقول والفعل ، فاستفادوا منه بقدر استعدادهم في كل عصر من الاعصار ، فاذا كانت العرب قد سبقت غيرها الى الاستفادة منه لانه ألقي بلغتها وظهر فيها ، فأزالت ظلم الرومان وغيرهم من المتغلبين القاهرين للانسانية ، وأحيت العلوم والمعارف ، وأنشأت جنات المدنية في الشرق والغرب ، - فرب لاحق بذّ السابق ، كما رأينا الشعوب الافرنجية قد أخذت المدنية عن أجدادنا أهل الاندلس وغيرهم وبرزت علينا فيها ،

فكل هذا مما يجب أن يذكرنا به تاريخ الهجرة فنعلم ان البشر لو انصفوا لجعلوه التاريخ العام لهم

كان البشر قبل الاسلام متقاطعين ليس بينهم صلة عامة ، وكانت المدنية تظهر في قطر من أقطارهم ثم تختفي وتزول قبل أن تتصل بسائر الاقطار ، بل كانت الاديان ذات السلطان الاعلى على البشر تشرع وتنسخ فلا يمر زمن قليل الا ويذهب أصلها وينقطع سندها ، وما اتصلت حلقات سلسلة العلم الالهي والبشري ، وسلسلة المدنية والاعمال البشرية ، الا بهذا الانقلاب الاسلامي الذي جدد تاريخ البشر ، فصار جميع ما يؤلف في بغداد وسمرقند وخراسان وغيرها من مدن الشرق ، ينسخ ويقرأ في عصر مؤلفيه بقرطبة وغرناطة وسائر مدن الاندلس في أقصى الغرب ، (واحكم على العكس بحكم الطرد) فبهذا كانت الهجرة أجدر حوادث الكون بأن تكون مبدأ تاريخ عام للبشر - كذلك أشرعت منذ ذلك العصر ، طرق التجارة بين الخافقين في البر والبحر ، وصار يتحقق بالتدريج ما هدى القرآن البشر اليه من حكمة التعارف بين الشعوب والقبائل ، الذي يمهد السبيل الى الاخوة الانسانية العامة . ولولا ذلك الروح الالهي الذي بثه الاسلام في الناس ، لما تيسرت لهم تلك المواصلة في ذلك العهد الذي لم تكن تعرف فيه الكهرباء ، ولا البخار ، وانما كانت همة المسلمين نائبة عن قوى الطبيعة التي عرف منها تلاميذهم من بعدهم ، ما كانوا أعدوا عدته ومهدوا طريقه لهم ، فكما سرت جميع شعوب المدنية في ذلك وغيره على طريقهم ، كان ينبغي ان يشاركوهم في تاريخهم ،

أحيا المسلمين ما كان أماته الزمان من علوم اليونان ، فاذا هي علوم

أكثرها نظري وأقلها عملي ، وكان من هداية الاسلام لهم ان يقرنوا العلم بالعمل، فكانوا هم الذين وضعوا قواعد التجربة والعمل للعلوم الطبيعية، فجعلوا الكيمياء الخرافية كيمياء عملية ، وعلى هذه القاعدة بنى تلاميذهم الافرنج علومهم التي قامت بها المدنية الحديثة ، فبهذا كان الاسلام فاتحة عصر جديد ايضاً ، وكان تاريخ الهجرة الشريفة جديراً بأن يكون تاريخاً عاماً للبشر كلهم

ان فيما شرعه الاسلام من الهجرة تربية عالية للبشر ، الذين قرن الله تكريمهم في كتابه بتعظيم شأن السفر ، فقال « ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر » فالهجرة عبارة عن فرار الانسان بحريته في فكره ووجدانه وعمله من الارض التي يُضطهد فيها ويُظلم ، الى الارض التي يكون فيها حراً عزيزاً

قال تعالى « ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الارض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها » ولما اشتد ايذاء المشركين للمؤمنين في مكة أمر النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين بالهجرة الى الحبشة ، وعلل ذلك بان ملكها النجاشي لا يظلم عنده أحد ، فثبت بالكتاب والسنة ان الهجرة قد شرعت لتكريم البشر، وتعظيم شأن الحرية ، واباء الظلم والذل والضعف ، وقد كان المسلمون أعز الناس وأكرمهم نفوساً ، وأشدهم اباء للذل والظلم ، عندما كانوا عاملين باسرار هذا الاصلاح الذي جاء به دينهم عاملين به ، ثم سرى هذا الاباء والعز منهم الى غيرهم، بعد ما ضعف فيهم ، فكان خيره عاما منتشرا في البشر ، فما أجدر الهجرة الشريفة أن تكون تاريخاً عاماً لهم

أشرق نور النبي صلى الله عليه وسلم على مدينة يثرب عند دخول الشمس في برج الميزان أول الاعتدال الخريفي، (٢٣ سبتمبر) فكان ذلك اشارة الى مادخل فيه العالم من عصر العدل والاعتدال، فكان ينبغي للمسلمين أن يجعلوا ذلك مبدأ للتاريخ الشمسي للهجرة الشريفة عند حاجتهم اليه لاجل المعاملات المالية ، كما جعلوا التاريخ القمري للمعاملات الدينية ، فاذا كنا قد دخلنا اليوم في عام ١٣٣٠ الهجري القمري فقد دخلنا منذ ثلاثة أشهر في عام ١٢٩٠ الهجري الشمسي ، فهل لمصر أن تكون السابقة الى استعمال هذا التاريخ الشمسي، كما كانت هي السابقة للعالم الاسلامي كله الى الاحتفال بذكرى التاريخ القمري ، بعد ان كاد ينسى فيها باستعمال التاريخ الافرنجي الذي أخذناه عن الافرنج في هذا العصر وما كنا لترجيحه على تاريخنا بمحتاجين.

لولا ان انحلت روابطنا ، وسحلت مرائرنا ، لما استبدلنا بتاريخنا تاريخ غيرنا ، ولقد كان يوم تقرير الحكومة المصرية جعل التاريخ الافرنجي رسميا يوم فرح وسرور في أوربة ، لان ماتقلد به أمة أمة في أمر من الامور الملية العامة يكون دليلا على ضعف المقلدين « بكسر اللام » وعلو شأن المقلدين « بفتح اللام » ومقدمة لاستيلاء المتبوع على التابع والسيطرة عليه

يقول المقلدون منا انه لابد لنا من التاريخ الشمسي وان التاريخ الافرنجي قد اشتهر فهو أولى من احياء تاريخ الهجرة الشمسي الذي لايفهمه أحد . وكذلك ينصح بعض الناس للدولة العثمانية أن تختار هذا التاريخ في معاملاتها المالية والرسمية . وهذه حجة الضعيف في استقلاله الشخصي والملي . ويرد هذا بأن الاستعمال يجيء بالشهرة ويجعل المجهول

معروفا ، فقد كان بدء جعل الميلاد أساسا للتاريخ في سنة ٤٦٤ هجرية ولم يكن مشهورا ولا معروفا ، ثم ظهر لهم الخطأ فيه فحرروه وصححوه ولا يزال مبنيا على خطأ استقر رأي الاكثرين فيه على قاعدة « الخطأ المشهور خير من الصواب المهجور » فما هو الموجب لترك ماعندنا من الصواب وتقليد غيرنا في الخطأ ؟ وتاريخنا أحق بالتعميم وأجدر ، وتقدم المرجوح في الزمن لا يجعله راجحا ، فالقدم أمر نسبي كما قال الشاعر :

ان ذاك القديم كان حديثا   وسيبقى هذا الحديث قديما

لا يكفي في تعظيم الهجرة واحياء ذكرى تاريخها أن نحتفل في هذا اليوم بالقاء الخطب ، وانشاد القصائد ، وانشاء المقالات في الجرائد ، وانما يجب علينا تعظيمها بالعبرة والعمل ، والمقابلة بين ماضينا وحاضرنا ، لا لاجل التلذذ بذكر الماضي الجميل ، والغرور بما مضى وانقضى من ذلك التاريخ المجيد ، ولا لاجل الشكوى من الضعف العتيد ، واليأس من المستقبل القريب أو البعيد ، بل لاجل أن نتذكر وتدبر ، فنعلم أنه لا يصلح آخرنا ، الا بما صلح به أولنا ، كما قال أحد أئمة العلم من سلفنا ، وان في تاريخ الهجرة من ضروب العبرة ، وآيات الحكمة ، لذكرى لمن كان له قلب أو القى السمع وهو شهيد

نودع عاما ونستقبل عاما فلا نطوي صحف عامنا الغابر على عمل يذكر ، ولا ينشر في صحف العام الحاضر مشروع للامة يشكر ، الا ما يرى في بعض البلاد من الحركة الضعيفة ، ودروج كدروج الاطفال وراء الشعوب القوية ، التي تسير امامنا بقوة البخار والكهرباء ، فتسبق الاراقم على الارض والطيور في الهواء ، وانا لنرى حولنا في كل عام فتنا كقطع الليل المظلم ،

كلما غشيتنا قطعة منها وجمنا وتألمنا ، وصحنا ونحنا ، فاذا هي انجلت عدنا كما كنا . لا نحسب لما بعدها حسابا ، ولا نعمل لها عملا ، أرضينا أن نكون ممن قال الله تعالى فيهم (أولا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولاهم يذكرون)

كلا انا الى ربنا تائبون ، ولما هدانا اليه من الجمع بين العلم والعمل متوجهون ، بهذا تبشرنا الحوادث ، والى هذا تدعونا بل تدعُّنا الكوارث ، ورب مصيبة أفادت عبرة ، خير من نعمة أحدثت غرورا وفترة ، واننا نهنئ اخواننا المسلمين على رأس هذا العام ، بما تجدد لهم من شعور الاخوة العام ، ونبشرهم بأن جماعة الدعوة والارشاد قررت تنفيذ نظام مدرستها الكلية (دار الدعوة والارشاد) من غرة هذا الشهر فاتحة العام الهجري المبارك ان شاء الله تعالى ، وسينشر هذا النظام في الجرائد فيرون فيه أنه هو الضالة التي ينشدها المصلحون ، والرغيبة التي ينتظرها المحسنون « لمثل هذا فليعمل العاملون »

ناظر دار الدعوة والارشاد
محمد رشيد رضا

علاوة للمقالة

كتبت هذه المقالة في سلخ ذي الحجة سنة ١٣٢٩ في ادارة المؤيد اذ كلفت ثمة ان اكتب مقالة افتتاحية لعدد المؤيد الذي يطبع في ذلك اليوم ويصدر في صبيحة المحرم افتتاح سنة ١٣٣٠ اوليلتها — كتبتها على عجل ومرتبو حروف المؤيد يأخذون مني كل ورقة قبل ان يجف حبرها ،

ويستعجلونني بما بعدها ، فلم يسمح ضيق الوقت واستعجال العمل بشرح مسألة احياء التاريخ الهجري الشمسي والتوسع فيها ، لهذا رأيت ان أجعل لها هذه العلاوة الآن ، وأطبعها على حدتها وفي المنار ،"

من اختبر احوال المسلمين في هذا العصر يرى في اخلاقهم وأحوالهم تناقضاً عجيباً اذ يراهم من اشد خلق الله غيرة على دينهم وحرصاً على جامعتهم الاسلامية ، ومن اشد خلق الله تهاونا واهمالاً في أمردينهم ، وعدم المبالاة والاكثرات بما يحفظ جامعتهم ويقوي رابطتهم ، واذا بحث في اختلاف الوجوه بين هذه الامور المتناقضة يرى شواهد كثيرة تدل على أن ماذكرنا من حرص السواد الاعظم وغيرتهم محصورة في حب استبقاء الموجود ، واما تهاونهم واهمالهم وعدم مبالاتهم فلا تنحصر في تركهم السعي لاسترداد ما فقدوا من علم وعمل ، ونور وهدى ، ومجد تليد ، وسيادة قديمة ، بل تتناول مع هذا ضعف الهمة في طلب المجد الطريف ، وعدم العناية في البناء والتجديد ،

لو كان هذا التفصيل الذي يدل عليه الاختبار ، ويثبته التمحيص والاعتبار ، عامًا شاملا لجميع المعروفين من أهل الرأي والعمل من المسلمين (على قلتهم) لكان دليلا على ان المسلمين يموتون موتاً طبيعياً ، وان اعداءهم لا يحتاجون الى ادنى سعي في الاجهاز عليهم ، ومبادرة ما يخشونه من يقظتهم وانتباههم ، لأن اخص صفات الاحياء الذين يزدادون حياة وقوة هو أن يطلبوا ما يمد حياتهم وينميها ، وأخص صفات الموجودات المشرفة على الموت والفناء أن تنحل وتنقص يوما بعد يوماً فتتألم لما ينقص منها ، ولا تطمع في زيادة تمد حياتها ولا تطلبها

نرى بعض الشعوب تحيا بعد موت فتجدد ما كان اندرس من مقوماتها ومشخصاتها ، كاليونان والارمن على تفرقهم ، والقبط على قلتهم ، ونرى المسلمين على كثرتهم ، واتصال أقطارهم ، قد صاروا طعمة لكل آكل ، ونهبة لكل طامع ، واكثرهم راضون بسوء ماهم فيه ، ومنهم من يطلب تغييره بالانسلاخ من ماضيه ، والاندغام في شعب غريب لا يرتضيه ، وهؤلاء هم الذين يسمون أنفسهم المجددين ، وطلاب المجد والحضارة ، ومكوني الوطنية ، وخالقي الشعور بالحياة المدنية ، والحق انهم شر من الراضين بما وصلنا اليه من الضعف والخمول ، لأن هؤلاء الخاملين قد رضوا بهذه الحالة التي لا نجد لها تفسيرا الا انها مما يسمونه « الموت صبرا» وأما المقلدون الذين رضوا بانحلال رابطتهم الملية ، وعفاء مقوماتهم ومشخصاتهم الموروثة ، وانتحال جنسية لغوية او وطنية جديدة ، لا اضطلاع لهم بها ، وليسوا الا مقلدين في انتحالها ، فانما رضوا ان يبخعوا أنفسهم وينحروا أمتهم ، ويجعلوها غذاء لأعدائهم

هنا لك حزب ثالث وسط بين ذينك الحزبين ، وهم حزب الله المفلحون إن شاء الله ، الذين يطلبون المجد الطريف ، ليكون متحداً بالمجد التليد ، الذين يريدون الحياة بمقوماتهم ومشخصاتهم الخاصة بهم ، لا بانتحال ما هو من ذلك لغيرهم ، الذين يريدون صقل جوهرهم لتظهر خواصه ومزاياه في أكمل ما يمكن ان يكون عليه ، لا تحويله ولا تمويهه بما ليس منه ،

إن ما يُرى من ظواهر الحياة على حزب الجمود انما هو الذماء الباقي

لهم من الحياة القديمة ، وان ما يرى من اعراض الحياة على حزب التقليد انما هو صناعي مستعار من الامم الغربية ، والذماء لا يلبث أن يزول ، والمستعار مهما طال زمنه مردود ، وأما حزب الوسط فهم شهداء على الفريقين ، ولكنهم لا يزالون غرباء في ديارهم ، والرجاء كما قلنا متعلق بهم أو محصور فيهم ، وهم المخاطبون بإقناع أهل الاخلاص باحياء ما اندرس من السنن ، وسن ما يعد من النافع الحسن ، عملا بقول النبي (ص) « من سن في الاسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير ان ينقص من اجورهم شيء » وقد سن عمر بن الخطاب (رض) — ووافقه المسلمون كافة — سنة التاريخ بالهجرة في الحساب القمري ، ثم اشتدت الحاجة الى إحياء التأريخ بها في الحساب الشمسي ، فما لنا لا نستعمل كلا التاريخين ، وقد هدانا الله تعالى في كتابه ونظام خليقته الى الحسابين « الشمس والقمر بحسبان »

انا نرى اهل الملل كافة والنصارى منهم خاصة يحافظون على تواريخهم الملية ولا يكادون يستعملون معها غيرها ، حتى انا نراهم ينقلون الشيء عن غيرهم كالمسلمين ويكون فيه تاريخ بعض الوقائع والحوادث فيحولونه في أثناء النقل الى تاريخهم حتى لا يفكر قراء ما يكتبونه او يقولونه — ولو نقلا — في غير ما هو لهم .

بل نري الملايين من الروم الارثوذكس لا يتركون ما اعتادوا من الغلط في تاريخ الميلاد الذي يعبرون عنه بالحساب الشرقي ، ونرى القبط يقدمون تاريخهم الخاص بهم الذي يسمونه تاريخ الشهداء على تاريخ الميلاد العام بين أهل ملتهم ، ولو تركوا تاريخ الشهداء الى تاريخ المسيح الذي يقولون انه رب الشهداء وإلههم لم يكونوا قد تركوا شيئا من

شؤونهم الملية الى ما ليس منها . فما بالنا نحن المسلمين نرغب عن تاريخنا الذي هو أجدر جميع التواريخ بالتعميم الى تواريخ الاغيار من الروم والافرنج والقبط وغيرهم ؟ ان ديننا يهدينا الى أن نكون أئمة متبوعين ، فلماذا ذللنا حتى رضينا ان نكون مقلدين تابعين ، ونحن نرى الذين جعلناهم أئمة لنا يسخرون منا ويدعوننا متعصبين

الا ان من الذل والخسف الذي سنته الحكومة المصرية ما نراه في كثير من أوراقها الرسمية واعداد البيوت والمركبات وغير ذلك من تشريف الكلم والارقام الافرنجية على مثلها العربي ، فاما ان تجعل ما يكتب بالافرنجي هو الاعلى واما ان تجعله هو الايمن ، ومن طمس التفرنج نور بصيرته ، او طبع الذل على قلبه ، فعدّ هذا مما لا يبالى به ، ولا يؤبه له ، يقال له اذاً كيف اهتم به سادتك الافرنج ونفذوه في بلادك ؟ وأنّى ينفع القول ، ومن هان عليه الذل في الامر الصغير ، لا يأبى حمله في الامر الكبير ، وقد قلت في المقصورة

من ساسه الظلم بسوط بأسه   هان عليه الذل من حيث اتى

اذا اردنا ان نحيا فعلينا ان نهتم بكل ما نحفظ به مقوماتنا ومشخصاتنا الملية الموروثة ، وان نقتبس كل ما نراه نافعاً من حضارة هذا العصر ، بهذه النية وهذا القصد ، وان نهتم بالصغير والكبير من ذلك على السواء ، وان نجتهد لنكون رءوساً لا اذنابا ، وأئمة لا أتباعا ، وما دمنا لا نستغني عن التاريخ الشمسي في معاملتنا المالية ونحوها ، فلا مندوحة لنا عن جعله هجريا كالتاريخ القمري في المعاملات الدينية

اذا اردنا ان نسنّ هذه السنة الحسنة فالطريق قد أشرع ، والحساب

قد وضع ، فقد صنف أحمد مختار باشا الغازي كتابا فيه سماه (اصلاح التقويم) وطبع بالعربية والتركية سنة ١٣٠٧ تكلم فيه عن تواريخ الامم والشعوب المشهورة وبين وجه الحاجة الى العمل بالتاريخ الهجري الشمسي ووضع له جدولا مطولا بين فيه السنين الشمسية الهجرية مع المقارنة بينها وبين السنين القمرية والسنين الشمسية الميلادية من ابتداء السنة الشمسية الهجرية الاولى الى سنة ١٥٩١ التي توافق آخر سنة ١٦٣٩ القمرية وسنة ٢٢١٢ الميلادية وقد استحسن ان تسمى الشهور بما هو نص في الدلالة على المسمى في تحديد الفصول ، فالسنة الهجرية الشمسية تبتدئ من أول الخريف فتسمى شهورها هكذا : الخريف الأول ، الخريف الثاني ، الخريف الثالث ، الشتاء الأول الشتاء الثاني الشتاء الثالث ، الخ . وسمى الربيع بهارا وهو لفظ تركي — وذكر وجهاً ثانيا اذ ذكر بقية الشهور به وهو : أول الربيع ، اوسط الربيع ، آخر الربيع ، اول الصيف ، آخر الصيف ، أوسط الصيف . ويمكن ان يقال الربيع الادنى ، الربيع الاوسط ، الربيع الاقصى وهكذا ، ولعل هذا هو الاولى ، واي التعبيرات اختير فكل من سمع اسم الشهر يفهم معناه من لفظه

واخبرني احمد مختار باشا الغازي في القسطنطينية انه كتب تقريرا يطالب فيه من مجلس الأمة العثمانية العمل بهذا التاريخ وجعله رسميا للدولة . ولكن ما دامت الغلبة في المجلس للمتفرنجين المعروفين ، فلا ترجى اجابة هذا الطلب ، الا ان تطالب الأمة به من كل ولاية . واذا سبق مسلمو مصر الى استعمال هذا التاريخ والدعوة اليه فالمرجو ان يعم انتشاره في اقرب وقت ، والله الموفق

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة اسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، وانا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متاخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا . ولمن مضى على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

﴿ نقل كلام المخالفين أو المبطلين ﴾

(س ١) من صاحب الامضاء في دمشق

حضرة مولانا أوحد الاعلام نفع الله بعلمه الأنام

اطلعت على كتاب لاحد علماء فاس ينتقد فيه ما جاء في مقدمة شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (صحيفة ٤ من طبعة الحلبي الجديدة) من نقله مذهب البغاة والخوارج ، ومقالة أبي القاسم البلخي في عبد الله بن الزبير (في الصفحة نفسها) يقول الفاسي : سبحانك هذا بهتان عظيم ، فقبح الله قائله فكيف يليق نقل هذه العبارة ونشرها بين أهل الاسلام والزمان كما ترى ، وأهله الى ورا (ثم قال الفاسي) ولما ذكر العلامة الابي في شرح صحيح مسلم ما ذكره أهل السير من الامور التي نقمت على سيدنا عثمان رضي الله عنه في خلافته . قال العلامة السنوسي في اختصاره ما نصه : قلت وقد نقل الأبي هنا كلاما في عثمان رضي الله عنه لا يحل له أن يفوه به ولا أن يكتبه وأخاف أن لا يفي بسيئته حسنة ما تعب في تأليفه كله فنعوذ بالله من سوء الادب في حق الطاهرين المطهرين ، واسأل الله لي وله العفو والصفح والمغفرة .
والواجب على من نسخ تأليفه هذا أن لا يكتب فيه هذا المحل ومن اطلع عليه فلا يحل له أن يفوه به ولا أن يعتقد صدقه بلا شك وبالله التوفيق اه كلام السنوسي

فهل من ملام على امام ينقل مذاهب الفرق وأقوالها ومعتقداتها وما تدين الله به مما تراه حقاً وصوابا وطاعة مشياً مع اجتهادها وما أداه اليه نظرها

وهل يلام من ينشرها ويعد مسيء الادب مع انه أوردها ايقافاً على المذاهب والآراء ، واراءة لوجوه الخلاف ، وارشاداً لمواضع الشبه التي منها أتي من أتي

وهل للسنوسي مستند في حظر التفوه به وكتابته وعده سيئة وجريمة تحبط عمل المؤلف في تأليفه كله

وهل يسلم له دعواه وجوب حذف مثل ذلك من التآليف حتى يفتح باب التلاعب في مؤلفات الاعلام بالحذف والزيادة والنقص ؟ وكان السنوسي لم ير كتب المقالات والمؤلفات في الملل والنحل لمثل الامام أبي منصور البغدادي وللامام ابن حزم والشهرستاني وأمثال ما جاء في آخر المواقف للعضد . فما سبب هذا الجمود ونبذ مشرب سلفنا المحققين

وهل هذا يؤيد ما يرمي به القطر المغربي من التعصب الذي سبب له ما سبب مما حاق به ويحيق

وقد اطلعت على جواب كتبه بعض الاساتذة عندنا الا أني رغبت أن ازداد من العلم فيما يهم الوقوف عليه من ذلك لذا أرجو شرح هذا والتفضل بجوابه لازلتم مظهراً للافادة ، وكوكبا فى أفق الفضل

حامد بن أديب
الشهير بالتقي

(ج) تختلف آراء الناس باختلاف معارفهم ومشاربهم، وحال الذين يعيشون معهم، حتى ان الرجلين ليحكمان في مسألة واحدة بحكمين مختلفين ، أو يريان فيها رأيين متضادين ، وكل منهما صحيح القصد ، متوخ للمصلحة والنفع ، وربما يرد كل منهما على الآخر ويقع التعادي بينهما أو بين أنصارهما فيصدق على كل من الفريقين انه يجاهد في غير عدو . ومن هذا الباب وضع بعض علماء السلف الصالحين لعلم الكلام وردهم على المبتدعة ، وانكار آخرين عليهم وعد علمهم بدعة ضارة ، حتى قال بعضهم لبعض : ويحك ألست تحكي بدعتهم ثم ترد عليها ؟ أي ان ذلك كاف في ذم علم الكلام وتحريم التأليف فيه لئلا يرى البدعة من لم يكن يدري بها

إنني أرى ما قاله العالم المغربي المشار اليه في السؤال وما نقله عن السنوسي يدخل في هذا الباب ، على أن السنوسي من المصنفين في علم الكلام الذين نقلوا عقائد الكفار والمبتدعة وردوا عليها

لو كان ذلك المغربي عائشاً في مصر أو الشام أو الاستانة او تونس يرى كتب الملاحدة والنصارى في مدح دينهم والطعن في غيره ، ويرى جرائدهم منشورة متداولة أيضا لما تهيج عصبه وتبيغ دمه لجملة اوجمل قرأها في شرح نهج البلاغة لبعض فرق المسلمين . وسيرى في بلاده وقد أوقعها الجهل والتعصب للمألوف في قبضة فرنسة ماهو بالاضافة اليه

كل ما رآه في شرح نهج البلاغة مخالفا لرأيه ومذهبه، سيرى الكتب الكثيرة في الطعن في نفس القرآن العظيم، والنبي الكريم، عليه الصلاة والتسليم، والكتب الداعية الى الالحاد، المؤلفة لهدم كل اعتقاد ، وسيرى ان شبهات هذه الكتب ومشاغبات دعاة النصرانية من جهة ودعاة الالحاد والتفرنج من أخرى قد راجت في اذهان بعض قومه ، وان كشفها بالتسليم لقول امثاله من العلماء المعاصرين، أوالتقليد لما في بعض كتب الميتين ، غاية لاتدرك ، وأمنية لا تنال

ان اطلاع العوام والطلاب المبتدئين على العقائد الباطلة ومقالات المبتدعة ، لاينكر ضرره ، ولا تؤمن فتنته ، كاطلاعهم على سيرة أهل الفسق والفجور ،وطول استماعهم لما يزينها للنفوس ، كالاشعار والاغاني المشتملة على المجون ، فاذا كنا لانستطيع منع افتتان أولادنا وعوامنا بالباطل الابازالته وازالة أهله من الارض ، ولا منعهم من الفسق الا باعدام كل مبذولة العرض ، فما نحن بحافظيهم من الكفر ولا من الفسق

ان الله تعالى ـ وهو العزيز الحكيم ـ قد حكى في كتابه المجيد كفر الكافرين والحادهم في آياته ، وطعنهم في كتابه ورسوله ، ولم يمحهم بقدرته من الارض ليحمي المؤمنين من أباطيلهم ، ويحول بينهم وبين شرورهم ، وهكذا فعل حماة الدين، وحراس عقيدة الموحدة ، نقلوا عقائد المخالفين ومقالاتهم وردوا عليها بالدلائل

انما يشدد النكير على من يكتب مايخالف عقيدته أومذهبه أحد رجلين رجل شديد التعصب لما هو عليه، يرى أنه يجب على جميع الناس موافقته فيه، وان يتبعوا من اتبعهم، ويقلدوا من قلدهم ، ورجل حريص على عقيدته ومذهبه ، وهو على غير بصيرة منه، ولاثقة به ، فهو يخاف ان تطير به كل ريح ، وان تذهب به كل شبهة ، ولا يليق هذا الضيق في الذرع ، والحرج في الصدر ، بالمسلم البصير في دينه ، المعتصم بيقينه ، وهو يعتقد ان الحق يعلو ولا يعلى ، وانه متى جاء الحق زهق الباطل ، وان الله يقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ، وان بقاء الباطل في نومة الحق عنه ، وانما اللائق بصاحب هذا الحق واليقين ان يقذف بحقه على باطل غيره ليدمغه ، لا ان يشكو منه ويلعن من قاله أو كتبه ، ويوجب تحريفه والتصرف فيه

من الصواب أن نمنع أولادنا وتلاميذنا من قراءة كل ما نعتقد انه ضار أو باطل الى أن نكمل تربيتهم وتعليمهم ونثق بمعرفتهم للحق ، واستقلال عقولهم في الحكم ، واذاً نبيح لهم أن يقرأوا ما أحبوا فلا خوف من الباطل الضعيف اللجلج ، على الحق القوي الأبلج ، لان الحق هو صاحب السلطان والفلج ، ومن الصواب أن ننصح

للعوام بأن يحاموا كتب الكافرين والمبتدعين حفظاً لاذهانهم من الاضطراب ، وتأبيا بنفوسهم عن مهابّ الاهواء ، وأن نرشد محبي المطالعة منهم الى الكتب النافعة لهم ، التي لا تفسد عليهم نعمة الطمأنينة ، وهي النعمة التي لا تساميها نعمة

لنا أن نعنى بهذا وذاك ، وأن نجعل لما نكتبه أو نطبعه حواشي ننبه بها على مواضع الخطأ والصواب ، وليس لنا أن نطلق القول في تحريم قراءة كل ما يخالف اعتقادنا وحرمة كتابته وطبعه ، ولا ان ننقل كلام مؤلف فننقص منه أونزيد فيه ، فان هذا من الكذب والخيانة ، وان قوماً يأتونه أو يستحلونه لا يثق أحد بنقلهم ، ومن زعم ان هذا جائز في الشرع فقد أهان الشرع ، وصد عنه جميع العقلاء من الخلق ، وجعله ديناً خاصاً ببعض البلداء ، ووقفاً على من تلقنه من الجهلاء ، وان كان لا يقصد شيئاً من هذه المفاسد . ويالله العجب من شدة جراة المتحمسين على التحريم ، والافتيات على الدين بقصد حماية الدين

لو جري المتكلمون والمؤرخون ونقلة اللغة ورواة الاخبار والآثار على فتوى السنوسي والمغربي لبطلت ثقتنا وثقة جميع الناس بجميع العلوم النقلية لجواز ان يكون كل ناقل قد حذف من منقوله شيئا مما يخالف اعتقاده أو يري نشره ضارا ببعض أهل مذهبه ونحلته ، او حرفه واستبدل به غيره ، وحينئذ لا يبقى عند المسلمين شيء يمكن أن يحتج به أحد على آخر الا القرآن الكريم وماعساه يوجد من حديث متواتر يجمع على تواتره . فظهر مما تقدم ان السنوسي مخطئ في تحريمه التفوه بما قاله أهل السير في عثمان وكتابته ، وفي إيجابه على من نقل كتابا فيه شيء من ذلك أن يحذفه منه ، فانا نقرأ في كتاب الله مثل قوله تعالى « وقالوا اتخذ الرحمن ولدا ، لقد جئتم شيئاً إدًّا » وقوله جل ذكره « وقالوا أساطير الاولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا » وقوله تبارك اسمه « وقالوا إن هذا الا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون ، فقد جاؤا ظلماً وزورا » وقوله صدق وعده « وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر . ومالهم بذلك من علم ان هم الا يظنون » والشواهد على هذا كثيرة . وليست حكاية الطعن في عثمان وهو غير معصوم بأعظم من حكاية هذه الاقوال . والمسألة واضحة ، وهذا ما رأينا في كتابته من العبرة والفائدة

***

﴿ اسئلة من الهند ﴾

(س ٢ ـ ٥) من صاحب الامضاء في بومباي

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الى حضرة مرشد الامة ورشيدها الفيلسوف الحكيم صاحب المنار المنير دام اقباله

ثم سلام الله عليك ورحمته ورضوانه . وبعد فقد اطلعت على الجزء الرابع من المجلد الثاني عشر لمناركم المنير ورأيت في باب الفتاوى السؤال الذي هولأحد أبناء البلاد العربية في صدد (الرقص والتغني والانشاد في مجلس الذكر) والجواب عليه من علماء الازهر الشريف مع تذييلكم عليه بما فيه من التشديد والنكير على الاطلاق وتكفير فاعله ومن حضره(١) . فعجبت جداً لهذا الجواب الذي لا يشوبه أدنى ريب لان أمثال هذا في نواحينا كثير ، والعلماء أكثر ، وكلهم من شافعي وحنفي ومالكي وحنبلي يجوز ذلك ويعده من الشعائر الدينية . والحقيقة ياسيدي أن الانسان ليحار جداً وتكاد تشكل عليه أمور دينه من حيث ان الازهريين ومن أشرت اليهم من علمائنا كل منهم مقلد لمذهب من هذه المذاهب ومع ذلك نرى الفرق كبيراً بين مايقوله هؤلاء وأولئك من جواز وتحريم فليت شعري ما هذا الخلف وما هذا الاشكال ؟ وليت شعري كم لمالك من مذهب وكم للشافعي وأخويه من مذاهب ؟ أرشدونا الى الطريق القويم أرشدكم الله الى خير الدارين ؟ ثم يقول الاساتذة الازهريون (وأما نشيد الاشعار بتلك الالحان المحدثة والنغمات المطربة فهو حرام لا يفعله الا أهل الفسق والضلال ـ الى قولهم ـ قال الامام الاذرعي اني أرجح تحريم النغمات وسماعها لقوله عليه الصلاة والسلام (ان الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل) اني أسلم بتحريم النغمات اذا كان يراد منها الاشعار المحدثة والنغمات المطربة ، ولكن ماقول سيدي الاستاذ في خطبة الجمعة وتلاوة القرآن الكريم حيث ان الاثنين لا يتلوان الا بالالحان كما لا يخفاكم ، فهل هذا الفسق والنفاق والكفر تتناول هذين أم لا ؟ واذا كان ذلك فما هو ذنب من حضره أعني السامع وما هو الا متبع ومقلد ، كما ان

(١) ليس في تلك الفتوى تكفير كما قال ، وتذييلنا هناك فيه تخفيف ماوعبارته توهم ان التشديد والتكفير في تذييلنا تبعا او استقلالا

الخطيب في نواحينا وسائر الاقطار الاسلامية الا القليل لا يدعى خطيبا الا اذا كان ذا صوت جميل وكذلك تالي القرآن الحكيم فما هو قولكم في ذلك ؟ وما هو معنى قوله تعالى (ورتل القرآن ترتيلا) أجيبونا عن ذلك وسامحني ياسيدي اذا أخذت جانباً من وقتكم النفيس أدامكم الله سراج هدى يهتدي به من ضل عن محجة الصواب واقبلوا في الختام فائق احترام المخلص

ناصر مبارك الخيري

﴿ أجوبة المنار عن هذه الاسئلة ﴾

المذاهب واختلاف فقهائها

اعلم يا أخي أن المجتهد لا يكون له في المسألة الا رأي واحد ومن نقل عنه قولان أو أكثر في مسألة واحدة فاما أن يكون قد قال أحدهما في وقت ثم رجع عنه فقال القول الآخر في وقت آخر واما أن يكون النقل عنه غير صحيح ، والمسائل التي يتردد فيها ليس له فيها رأي

والمذهب له في عرف الناس اطلاقان ، عامي وخاصي (فالاول) هو نقل الاحكام التي قررها أو أفتى بها المجتهد فمن عرفها وعمل بها من غير وقوف على دليل المجتهد عليها واقتناعه به يسمى مقلداً له ، وهذا هو معنى المذهب الذي يدعيه الآن جميع المنتسبين الى المذاهب لانهم يظنون أن ما يقوله فقهاء مذاهبهم وما هو منقول في كتبهم كله مروي عن أئمتهم ، وان هؤلاء الفقهاء لاحظ لهم منه الا نقله وتفسيره ، وعلى هذا بنيتم تعجبكم من تناقض فقهاء كل مذهب في المسألة الواحدة . والصواب انه يقل في هؤلاء الفقهاء من اطلع على كتاب للامام الذي يدعي انه درس فقهه أو قرأ شيئاً مما نقله عنه تلاميذه ككتاب الام للشافعي والمدونة لمالك وكتب أبي يوسف ومحمد صاحبي أبي حنيفة رحمهم الله ورضي عنهم ، وانما قرأوا بعض كتب المتأخرين التي سنذكرها وصف أصحابها ، وما فهموها حق فهمها ، وكلهم يتجرأ على الفتيا فتختلف فتاواهم ، وتتناقض آراؤهم ، وفي كل قطر أفراد منهم ، يثق بهم عوام بلادهم ، كما هي عادة جميع العوام من جميع الملل مع رؤسائهم ، يقلدونهم كيفما كانوا ومهما كانت درجة علمهم أوجهلهم ، فان قاعدة التقليد والاتباع هي أن يثق الادنى بمن هو أرقى منه ولو في القراءة والكتابة مطلقا فالامي يرى متعلم القراءة أو الكتابة أرقى منه وان كان عامياً مثله . وكل هؤلاء المفتين عاميهم ومتفقههم وفقيههم (ان وجد) ينسبون كل ما يفتون به الى أئمة المذاهب ويتعززون بأسمائهم ويتخذون هذه الاسماء أتراسا

ومجاناً يدافعون بها كل من يتصدى لارشاد العامة ونهيها عن البدع والخرافات ، بل يتخذونها سلاحاً يحاربون به السنة وأنصارها

الاطلاق الثاني هو بمعنى مايسمونه الآن بالمسلك والمبدأ وهو طريقة المجتهد في استنباطه للاحكام وأصوله التي يفرع عنها كما بين ذلك في علم الاصول ، وهذا هو المعنى الذي كان يقصده أصحاب أولئك الائمة من الانتماء اليهم في عصرهم . ولم يكن أصحابهم مقلدين لهم يأخذون كلامهم قضايا مسلمة بغير دليل بل تعلموا منهم الاستدلال، ونقلوا عنهم علمهم ليكون مثالا يحتذى في استنباط الاحكام ، كما صرح بذلك المزني صاحب الشافعي في أول مختصره إذ قال « اختصرت هذا الكتاب من علم محمد بن ادريس الشافعي ومن معنى قوله لأقربه على من أراده مع اعلاميه نهيه عن تقليده وتقليد غيره ، لينظر فيه لدينه ويحتاط لنفسه »

ثم جرى على ذلك من بعدهم من العلماء ووسعوا دائرة الاجتهاد والاستنباط على ذلك النحو والمذهب ، ثم خلف من بعد هؤلاء خلف رضوا أن يكونوا عيالا على من قبلهم واستنبطوا الاحكام من عباراتهم، وفشت بدعة التقليد والاخذ بقول من يوثق بشهرته من غير دليل ، وما زال الناس يتدلون الى أن وصلوا الى قرار الهوة التي تعجب السائل من اضطرابهم واختلافهم فيها . وسننشر ان شاء الله تعالى في جزء تال جملة مفيدة في هذا البحث عن كتاب الارشاد للعماد السكري رحمه الله تعالى

وجملة القول ان سبب اختلاف من يسمونهم الفقهاء من أهل المذهب الواحد، هو انهم ليسوا ملتزمين للنقل عن امام أو عالم معين كما هو مقتضى التقليد الذي يدعونه ولاجارين على أصول واحدة في الاجتهاد الذي يأتونه وينكرونه ، فلا عجب اذاً في اختلافهم واضطرابهم، ولا عبرة في دعواهم الانتساب الى أولئك الأئمة رضي الله عنهم

وههنا مسئلة ينبغي التفطن لها وهي دعوى المقلدين ان فائدة التقليد منع تشعب الخلاف في عامة الامة، وخاصة اذا حصر في عدد قليل كالاربعة . وهذه الدعوى ممنوعة لافي مجموع المذاهب فقط بل في مقلدة كل مذهب مذهب أيضاً كما بين السائل ، وكما هو مشاهد لكل ناظر، وسبب ذلك انه لم يتفق للمنتمين الى مذهب من المذاهب المشهورة ، المنتشرة في أقطار كثيرة ، أن يتفقوا على دراسة كتاب أو كتب معينة ويعملوا بها على سواء ، سواء كانت كتب إمام ذلك المذهب أو كتب بعض المؤلفين المنتمين اليه ، وانما يتبعون في كل قطر من تصدروا فيهم للتعليم والفتوى فيحرمون ما حرموا عليهم ، ويحلون ما أحلوا لهم ، ويجرون على ما أقروهم عليه من البدع

ويتركون ما تركوا من السنن ، وهؤلاء المتصدرون يتفاوتون في علمهم واجتهادهم — وكل منهم يجتهد في الوقائع التي تحدث في عصره ، وان انكر الاجتهاد بلسانه وقلمه، وانما ينكره على غيره اذا خالف هواه فيه — ولذلك تتفاوت أعمال المتبعين لهم

وثم مسألة أخرى يغفل عنها الناس وهي ان علم الفتوى عند كثير من المتفقهة في أكثر البلاد الاسلامية لاصلة له بالعمل، فترى أحدهم يحضر الدعوات والاحتفالات، التي تؤتى فيها البدع والمنكرات ، ويهنئ أهلها ويدعو لهم ، ولا ينكر عليهم شيئاً من عملهم ، ولكنه قد يقرر في الدرس أو يكتب في الفتوى أو المصنفات ان هذه الاشياء من البدع والمنكرات ، وربما يصفها بأنها مما عمت به البلوى ، ومنها مايحلونه بالتأويل ، ومنها ما لا يجدون له تأويلا ، فاذا فطن السائل لما ذكرنا يذهب تعجبه ويزول استغرابه مما ذكره . وسيرى في الفتوى السادسة بعد هذه ان بعضهم أحل أكل أموال المعاهدين والمستأمنين ولو بالخيانة والسرقة، وهذا من أغرب شواهد المسألتين

ويدلنا ما ذكر على أن الهداية التي يجب الرجوع اليها اذا اختلفت الأدلاء، وعمي الامر على الناس ، هي كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وسيرة السلف الصالح في العمل بهما (فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير وأحسن تأويلا)

انشاد الشعر بالنغمات

اذا حكمنا كتاب الله وسنة رسوله (ص) في هذه المسألة لا نجد فيهما دليلاً على تحريم انشاد الشعر بالنغمات والحديث الذي ذكروه لا يصح فقد رواه أبو داود والبيهقي عن ابن مسعود وفي اسناده شيخ لم يسم وفي بعض طرقه ليث بن أبي سليم قال النووي انه متفق على ضعفه . وقد فصلنا القول في هذه المسألة تفصيلا في الجزء الاول وما بعده من مجلد المنار التاسع وفيه ان الغناء قد يحرم حرمة عارضة ويكره الاستكثار منه ولكن الاصل فيه الاباحة . ويستحب في الزفاف والعيد وعند قدوم المسافر كما بيناه هنالك فلا هو فسق ولا كفر ولا نفاق

الخطبة بالالحان والسنة فيها

روى مسلم وابن ماجه عن جابر رضي الله عنه انه قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم » الحديث فهذه هي السنة في كيفية اداء الخطبة وهذا

ما يرجى به التأثير والاتعاظ بها التي شرعت لاجله، وكل اداء يخالفه فهو مكروه وأشده كراهة تكلف الالحان والنغمات فيها كما يفعله بعض الترك وغيرهم، واذا قيل بحرمة هذه الالحان والنغمات الموسيقية في الخطبة لم يكن بعيداً لانه على مخالفته للسنة الصحيحة تشبه بالكفار في خطبهم الدينية وعبادتهم ولو من بعض الوجوه فان لم يكن تشبها لاشتراط القصد في معنى التشبه كان تركا لما امرنا به من مخالفتهم في أمثال هذه الامور ، ولما امر النبي (ص) بصيام عاشوراء وقيل له ان اليهود تصومه امر بمخالفتهم بصيام يوم قبله او بعده ، ولأنه مفوت لحكمة الدين في الخطبة وهو الزجر المؤثر في القلوب ، والوعظ الذي يزع النفوس ، وهذه النغمات من اللهو الذي ترتاح اليه النفوس وتستلذه ، وترويح النفوس بالمباح غير محظور ولكن الخطبة لم تشرع له ، والمساجد لم تبن لاجله . وقد صارت الخطبة في اكثر البلاد الاسلامية رسوما تقليدية مؤلفة من أسجاع متكلفة كسجع الكهان ، وتؤدي بنغمات موقعة كنغمات القسوس والرهبان ، وقد قارب السنة فيها بعض الخطباء المصريين والسوريين ، ولم أر خطيبا ذكرني خطبة النبي صلى الله عليه وسلم الا مرة واحدة . زارني سيد عراقي مثل لي تحريض العرب على القتال بخطبة تضطرب لها القلوب ، وتثير كوامن الحمية والنجدة من قرارات النفوس ،

تلاوة القرآن بالالحان

قال صلى الله عليه وسلم « ليس منا من لم يتغن بالقرآن » رواه البخاري عن ابي هريرة واحمد وابو داود وابن حبان والحاكم عن سعد ، وابو داود عن ابي لبابة بن عبد المنذر والحاكم عن ابن عباس وعائشة . وروى الحاكم من حديث البراء بن عازب وصححه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « زينوا القرآن بأصواتكم فان الصوت الحسن يزيد القرآن حسنا »

وقد ذهب بعض العلماء الى ان التغني بالقرآن معناه الاستغناء به عن غيره وهذا غير صحيح بدليل حديث ابي هريرة المتفق عليه في الصحيحين ومسند احمد وسنن ابي داود والنسائي « ماأذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن » فأي لعلاقة للاستغناء بحسن الصوت . ودليل قول أبي موسى الاشعري للنبي (ص) لما أخبره انه استمع ليلة لقراءته « لو كنت أعلم انك تسمعه لحبرته لك تحبيرا »

على ان علماء السلف قد اختلفوا في هذه المسألة فأنكر قراءة الالحان بعضهم وعرفها آخرون . وقد أورد حجج الفريقين ابن القيم في (زاد المعاد) وجمع بينها

بأن المنكر هو تكلف الالحان الموسيقية ، والتطريبات غير الطبيعية ، والمعروف هو مااقتضته الطبيعة من التطريب والتحزين والتشويق الى مايشوق اليه ، والتنفير مما ينفر منه ، وهـذا هو الصواب الذي يتفق مع حكمة الشرع ومقصد الدين أعني الاهتداء بالقرآن وتدبره والاتعاظ به . ومن شاء التفصيل في ذلك فليراجع كتاب زاد المعاد ، وربما ننقله في فرصة أخرى ، اذا اقتضته الذكرى

ترتيل القرآن

الترتيل من الرتل (بالتحريك) وهو انتظام الشيء واتساقه وحسن تنضيده يقال ثغر رتل ومرتل اذا كانت الاسنان حسنة النظام والتنضيد . فترتيل القرآن عبارة عن تجويد قراءته وارساله من الفم بالسهولة والتمكث وحسن البيان ، « لا تحرك به لسانك لتعجل به » « وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث » والغرض من الترتيل الذي ينافي العجلة ويقتضي المكث والتأني هو ان يفهمه السامع كالقارئ ويتمكن كل منهما من تدبره وفهمه ، ويصل تأثيره الى أعماق قلبه ، وحسن الصوت أقدر على اتقان الترتيل ، وفصيح اللسان أملك لحسن البيان والتجويد ، وأجدر بقوة الافهام والتأثير ، وانما كرهت النغمات المتكلفة ، والالحان المتعملة ، لانها تشغل القارئ والسامع بالصوت والصناعة فيه ، عن تدبر الكلام والاتعاظ به ، فالفرق بين التغني المحمود والتغني المذموم ، والتلحين المعروف والتلحين المنكر ، هو ان المحمود المعروف مايشغل نفسك بالفهم والتدبر ، والاتعاظ والتأثر ، والمذموم المنكر مايشغلها بالصوت ، واتقان الصناعة في اللفظ ، والله أعلم وأحكم

***

﴿ اموال الشركات الاجنبية في بلادنا وحقوق المعاهدين ﴾

(س ٦) من محمد جمال افندي سبط القوادري بدمشق الشام

سؤال موجه الى العالم العامل والمحقق الكامل منار الفضل والعرفان الشيخ رشيد افندي رضى حرسه الله وحفظه آمين

ماقولكم سادتنا في مس حقوق الشركات الاجنبية وارباب الامتيازات المعطاة لهم من الخليفة الاعظم هل هم معاهدون مستأمنون مصونو الحقوق ام حربيون ؟ وهل يجوز الشرع لاحد هضم حقوقهم بدعوى أنهم دخلوا بلادنا واخذوا الامتيازات من حكومتنا قهرا وان كان بالصورة الظاهرة بأمان ورضا افيدونا الجواب ولكم الشكر والثواب

(ج) ان احترام الأجانب المعاهدين او المستأمنين واحترام أموالهم وحرمة

التعدي عليهم او عليها من المسائل المجمع عليها بين المسلمين المعلومة من الدين بالضرورة فليست مما يسئل عنه او يستفتى فيه لولا تأويل المضلين . وقد كتب الينا هذا السائل الفاضل كتابا خاصا يعتذر فيه عن سؤاله هذا ويبين سببه وهو ان شيخا من شيوخ الدجل معروفا بمخادعة العامة واستمالتهم اليه بذم النصارى والتنفير منهم وتلفيق كتب الاوراد والصلوات والكرامات قد أفتى من يظنون أنه من أهل العلم والتقوى بأن أموال الاجانب الذين في بلادنا مباحة للمسلمين فيجوز لمن قدر على أكل مال شركة الترام اوسكة الحديد او غيرهما من الشركات الاجنبية أو الافراد ان يأكل ما استطاع أكله سواء كان مستخدما فيها اوغير مستخدم . ويتأول الحكم الشرعي المجمع عليه بأن هؤلاء الاجانب معاهدون او مستأمنون في الظاهر ولكنهم حربيون في الواقع لأنهم اخذوا الامتيازات بهذه الشركات من حكومتنا بالجبر والاكراه ، لا بالرضى والاختيار . وهذا هو باطل التأويل ، ومحض الكذب وقول الزور ، فالامتيازات اخذت باختيار الدولة والسلطان الذي كان يقدسه مفتي الاباحة ويضلل مطالبيه بالاصلاح او يكفرهم ، والمعاهدات بين دولتنا ودول اصحاب هذه الشركات لاشك فيها ، والا كانوا محاربين ، ولا حرب بيننا وبين احد منهم (الا الايطاليين الآن) والمصلحة في هذه المعاهدات لنا ظاهرة ، واذا نقض بعضهم شيئا من شروط العهد فليس لاحد من افراد الرعية ان يعده محاربا ويستحل ماله ودمه ، وانما ذلك حق السلطان وأولي الامر ، ولولا ذلك لم يستقم لنظام ولم تثبت مصلحة ، ولو كان شرعنا العادل يبيح مثل هذا لما وثقت دولة من دول الارض بعهودنا وأماناتنا ، ولكانت معذورة في الاتحاد على استئصالنا ، سبحان الله ! جعل الشارع ذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم ، ولعن من أخفر ذمتهم ، كما ورد في حديث علي كرم الله وجهه في الصحيحين والمسند وكتب السنن الثلاثة وغيرها ومن حديث غيره أيضا . ومعنى « يسعى بها أدناهم » ان العبد والاجير من المسلمين اذا أمن بعض الحربيين وجب على كل مسلم أن يحترم امانه ويحرم عليه ان يتعدى على من أمنه أو يؤذيه في نفسه او ماله . وقال الحافظ ابن المنذر اجمع أهل العلم على جواز أمان المرأة الا شيئا ذكره عبد الملك بن الماجشون صاحب مالك قال ان أمر الامان الى الامام (الخليفة) ورد قوله بالحديث ، واشترط ابو حنيفة في العبد ان يكون مقاتلا ليصح تأمينه . واما تأمين آحاد الصناع والزراع فلا خلاف فيه ، ولكن دجال سورية ومفتي الاباحة فيها لايعتد بتأمين السلطان نفسه ولا بعهده وعهد دولته بل يبيح السرقة والخيانة في الاسلام ، وهما لايباحان في حال من الاحوال ،

الدخول في الماسونية

(س ٧) من السيد احمد بن يوسف الزواوي في (مسقط)

غب اهداء مراسم السلام، والتجلة والاحترام، لحضرة الماجد الهمام، والاستاذ الامام، السيد رشيدرضا صاحب مجلة المنار المنير، نهرع الى بابه، ونلتمس من سماحة جنابه، كشف مايحوك في صدورنا عن هذه الجمعية، المدعوة بالماسونية، فقد تضاربت فيها الاقوال، واستحكمت حلقات الجدال وفشى الخلف في شأنها بين العلماء الاعلام، فمن مادح وذام، ومبيح الانتظام، ومفت بانه حرام، الا اننا نرى القائلين بالحظر يكيلون جزافا، ويقتضبون اقتضابا، على حين استنادالمبيحين الى أصل الحل، ولما كان الناس لايقتنعون الابجوابكم المؤيدبالحجة المتكيء على البراهين، يممناكم ولنا وطيدالامل واكبر الرجاء بأن تثلجوا غلتنابالجواب الضافي الذيول، الكاشف عن موضوع تلك الجمعية وبروغ رامها نقاب الخفاء، حتى نقدم رافعين الرؤس على الانتظام في سلكها، أونزنضهار فض السقب غرسه ونحمل النفوس على فركها، ولاشك ان يكون كلامكم فصل الخطاب وحاسم النزاع.

(ج) قد بينا من قبل أن هذه الجمعية سياسية أنشئت في أوربة لازالة استبداد الملوك وسلطة البابوات وفصل السياسة من الدين بأن يكون التشريع من حقوق الامة غير مقيدة فيه بدين، وقدفعلت في أوربة فعلها وأدت وظيفتها. والذين ينشرونها في الشرق لهم اهواء مختلفة، ومنافع متعددة، والرياسة العامة التي يرجعون اليها أو ربية، وإذ قد عرفتم حقيقتها وغرضها، فقدعرفتم حكم الدخول فيها، وما سبب اختلاف الاقوال في حكم الانتظام في سلكها، الا اختلاف العلم بحقيقتها، ولايتسنى لاهل بلادكم ان يعرفوا هذه الحقيقة لان الذين يدعونهم اليها لايبينونها لهم، وانما يرغبونهم فيها ترغيبا اجماليا ويعدونهم بكشف الاستار عن الاسرار، بعد الترقي في الدرجات، ولم يقرءوا ما كتب فيها دعاتها وناشروها من المدائح، وما يلطخها به خصماؤها — ولا سيما رجال الدين — من الفضائح، ورب مدح يمدحها به قوم يراه آخرون ذما، وقد نشرها الافرنج واعوانهم المتفرنجون في مصر والمدن العثمانية منذ عشرات من السنين فلم يكن لها من ثمرة الا اعداد النفوس لفصل السياسة والحكومة من الدين، والاستغناء عن الشرع بالقوانين، والمؤاخاة بين المسلمين وغيرهم، ومواتاتهم لهم، ولعله تبين لكم بهذا الشرح، كنه ما يمنونكم به من النفع، كما عرفتم ما يحكم به الشرع، وعسى ان يزيل ما بينكم من الخلاف، الذي هو أول ثمراتها في تلك البلاد

المسألة الشرقية

(سلسلة مقالات لنا نشرنا ستا منها في المجلد الرابع عشر)

٧

الجهاد في الاسلام

يقع الخلاف والنزاع والعداء بين البشر بسوء الفهم أكثر مما يقع بسوء القصد، وأعم أسباب سوء الفهم والتفاهم اختلاف المواضعة والاصطلاح: يطلق زيد القول بمعنى فيفهمه عمرو بمعنى آخر فيؤاخذ زيداً عليه، ويرى زيد ان قوله لا يقتضي المؤاخذة وهو مصيب في هذا الرأي، وان عمراً ما آخذه عليه الا لسوء أراده به، ونية رديئة أضمرها له، والا لم يؤاخذه على الصواب، وهو مخطئ في هذا الرأي لأن عمراً انما آخذه لانه فهم من قوله ما لم يرد هو به

واختلاف المواضعة والاصطلاح الذى قلنا انه أعم وأكثر أسباب سوء الفهم له مناشئ متعددة، فان اللفظ الواحد يكون له معنى أو عدة معان في أصل اللغة، ومعنى آخر في اصطلاح الشرع، ومعنى آخر أوأكثر في اصطلاح بعض العلوم والفنون، ومعنى آخر في العرف العام، ومعنى آخر في العرف الخاص ببلد من البلاد أو طائفة من الطوائف كالكتاب أوالفقهاء مثلا. وقد قال علماؤنا «لا مشاحة في الاصطلاح» وهذه الكلمة تجري دائما على ألسنتنا وأقلامنا ولكن لا يكاد يعامل بها أحد منا غيره. فنحن في مشاحات وملاحاة لاتنقضي. وقديكون المرء منامعذوراً بجهله باصطلاح الآخر وقد يكون غير معذور ولكن البيان هو الذي يقطع التعلات والاعذار

من الالفاظ التي من هذا القبيل لفظ «الجهاد» في الاسلام والظاهر لنا ان بعض النصارى يفهمون ان المراد به اتفاق المسلمين كافة على قتال أوقتل كل من ليس بمسلم سواء كان محاربا لهم أم لا. وهذا المعنى ليس مدلولا له في اللغة العربية ولا في عرف القرآن والسنة ولا في اصطلاح الفقهاء، وربما سرى فهمهم هذا الى بعض المسلمين

الذين يجهلون اللغة والشرع ويأخذون المسائل الدينية من المعاشرين لهم وان لم يكونوا من أهل دينهم وكذا من جرائدهم

ومنهم من يفهم من الجهاد القتال باسم الدين أو لاجل الدين ويقسمون الحرب الى دينية ومدنية ويفرقون بينهما بالتسمية واطلاق لفظ الجهاد على الحرب الدينية فقط ويخصونها بالذم والتشنيع والتنفير . كأنهم الحرب التي يسمونها مدنية من طرق الكسب والتجارة المحمودة ، ويرون انه لاحرج على من يحارب قوما يستضعفهم ليزيل استقلالهم ويجعلهم كالعبيد المسخرين لابناء جلدته

نشر أحمد لطفي بك السيد مدير (الجريدة) مقالا فيها ذكر فيه ان الحركة الحاضرة بمصر الموجهة لاعانة الدولة العثمانية على حرب ايطالية قد ظهرت بشكل الجهاد الديني أو الدعوة الى الجهاد الديني وان هذا خطأ ضار بمصر . فساء قوله هذا جميع من ذكره أمامي من المسلمين ، وسر جميع من ذكره من النصارى . وما رأيت الكتاب والباحثين في السياسة من هؤلاء حمدوا لمدير هذه الجريدة غير هذا المقال . وقد اجتمعت في بعض السمار بطائفة منهم وخضنا في هذه المسألة وكان مما ذكرته أن الجهاد ليس بالمعنى الذي يفهمونه ولا أدري أي معنى قصد به مدير الجريدة ولكنني أجزم بأن اتهام المصريين بالتأليب على النصارى كافة والدعوة الى قتالهم باطل، ويمكنني أن أحلف على أنني لا عرف أحدا من المسلمين على هذا الرأي ولا سمعت الدعوة اليه ولا استحسانه بل ولا ذكره من أحد منهم . ثم ذكرت معنى الجهاد في اللغة والقرآن ، وورود ذكره في كتب النصارى ، فاقترح عليّ بعضهم أن أكتبه وأنشره في المؤيد فقبلت الاقتراح ولم أتم ما بدأت بشرحه في السامر

الجهاد والمجاهدة مصدر جاهد وهو بناء مشاركة من مادة الجهد أي التعب والمشقة «ومن هذه المادة الاجتهاد أيضا» وصيغة المشاركة تشعر بأن الجهاد عبارة عن احتمال الجهد والمشقة في مقاومة خصم أو عدو ، فلا يدخل في معناه حرب من لا يحارب وقتل من لا يقاتل إذ لا مشاركة في ذلك .

قال الراغب في مفرداته التي شرح بها غريب القرآن أدق الشرح ما نصه :

«الجهاد والمجاهدة استفراغ الوسع في مدافعة العدو (تأمل قوله مدافعة) والجهاد ثلاثة أضرب : مجاهدة العدو الظاهر ومجاهدة الشيطان ومجاهدة النفس، وتدخل ثلاثتها في قوله تعالى « ٢٢ : ٧٨ وجاهدوا في الله حق جهاده ـ ٩ : ٤٠ وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ـ ٨ : ٧٢ ان الذين آمنوا وهاجروا

وجاهدوا في سبيل الله» وقال صلى الله عليه وسلم «جاهدوا اهواءكم كما تجاهدون أعداءكم» المجاهدة تكون باليد واللسان قال ص «جاهدوا الكفار بأيديكم وألسنتكم» اه كلام الراغب ولا أذكر من أخرج هذين الحديثين ولكن روى الامام أحمد وأبو داود والنسائي وابن حبان والحاكم عن أنس أن النبي (ص) قال «وجاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم» وقد ذكر لفظ الجهاد في القرآن بمعنى المعالجة والمكابدة في مواضع لا تحتمل معنى الحرب كقوله تعالى (وان جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا) يعني الوالدين . وأكثر أحكام الحرب ذكرت في القرآن بلفظ القتال لأن لفظ الجهاد ليس نصا في معنى الحرب والقتال ، ولم تذكر مادة الحرب فيه الا قليلا ولم تسند الى المسلمين . وكل ما ورد في أحكام القتال في القرآن كان المراد به مدافعة الاعداء الذين يحاربون المسلمين لاجل دينهم منها ما هو صريح في ذلك كقوله تعالى في سورة الحج وهو أول ما نزل في القتال (٢٢ : ٣٩ أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير ٤٠ الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله) وقوله في سورة التوبة وهي آخر ما نزل في أحكام القتال (٩ : ١٤ ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهموا باخراج الرسول وهم بدءوكم أول مرة) قوله أيمانهم بفتح الهمزة ومعناه عهودهم، وذلك كما فعلت ايطالية الآن فهي من الدول المعاهدة وقد نكثت العهد وبدأتنا بالقتال. ونزل فيما بين هاتين الآيتين آية البقرة (٢: ١٨٩ وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين)

وما ليس بصريح مثل هذه الآية يمكن أن يحمل عليه بقرينة الحال فان النبي صلى الله عليه وسلم كان مع من حوله في حرب هم المعتدون فيها وكان يعاهد كل من يقبل معاهدته على ترك الحرب مهما ثقل احتمال الشروط ، وما عاهده أحد من المشركين أو اليهود إلا من علم منهم بأنهم أضعف من المسلمين ثم هم الذين كانوا ينكثون عند ما يشعرون بقدرة ، ويصادفون غرة ، كما فعلت اليهود غير مرة ، وكما فعلت قريش بعد صلح الحديبية

ويحمل على ذلك أيضا ما ورد من النهي عن اتخاذ الكفار أولياء والالقاء اليهم بالمودة سواء ورد ذلك في المشركين وأهل الكتاب أو عاما كما صرح بذلك في سورة الممتحنة فقد قال تعالى في أولها ٦٠ : ١ (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون

الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم) أي يخرجونكم من وطنكم مكة ويطاردونكم منها بسبب انكم آمنتم بالله ربكم ، فهذه علة أولى للنهي عن ولايتهم أي نصرتهم وعن مودتهم ، والعلة الثانية بينها في الآية الثانية فقال (٢ ان يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا اليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون »

ثم قال بعد آيات (٨ لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين ٩ انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون) فلم يكتف بنفي النهي عن موالاة ومودة غير المقاتلين لنا لاجل ديننا بل أكد لنا حصر النهي في أولئك المقاتلين المعتدين ، وحصر الوعيد فيمن يتولاهم، فان كلمة « انما » للحصر وجملة « فأولئك هم الظالمون» تفيد الحصر أيضاً

هذه جملة أحكام القتال في القرآن المتعلقة بمن يقاتلون وهي في منتهى العدل والحكمة، وبينا أن لفظ الجهاد فيه ليس مرادفاً للحرب والقتال ولكن الفقهاء اصطلحوا على تسمية القتال جهاداً وهذا اللفظ ألطف وأخف من لفظ القتال ولفظ الحرب لان معناه يتحقق ببذل الجهد في مقاومة لا يقتل فيها أحد أحداً ، والقتال ليس كذلك إذ لا يتحقق معناه إلا بسفك الدم

كل هذا واضح وضوح الشمس في رابعة النهار وقد زال من دونها كل سحاب، فمن أين صار لفظ الجهاد الاسلامي هو المخيف الدال على الظلم والبغي والوحشية وذبح الابرياء من أهل السلم والولاء ؟ اليس هذا من تعصب غير المسلمين على المسلمين بتشويه محاسن دينهم وتحريف آياته عن مواضعها ، وقلب معانيها وتغيير أوضاعها ، أو من الجهل بها على الاقل

هذا وان لغير المسلمين مع المسلمين أربع حالات ينقسمون بها إلى أربعة أقسام (١) أهل الذمة وهؤلاء يساويهم الاسلام بأهله في الحقوق ويوجب حمايتهم والدفاع عنهم إذا اعتدي عليهم وسد ضروراتهم فاذا وجد فيهم من لا يقدر على قوته كفوه أمره وكذا غير القوت من الضروريات (٢) أهل عهد وميثاق كجميع الدول الآن بعضها مع بعض ماعدا إيطالية مع دولتنا فهؤلاء تجب مسالمتهم والوفاء لهم بعهدهم كما هو ، حتى إنه إذا حاربهم بعض المسلمين غير الداخلين في جماعتنا العامة التي عاهدتهم واستنصرونا لا ننصرهم كما في الصورة التي بينها الله تعالى في أواخر سورة الانفال

بقوله (٨ : ٧٢ والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا، وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير) .

(٣) أهل أمان وهم الذين يكونون أو يدخلون في بلادنا من المحاربين لنا بالامان على أنهم لا يعتدون على أحد ولا يعتدي عليهم أحد ويسمون المستأمنين ويجب الوفاء لهم بالامان

(٤) أهل حرب أو محاربون وأحكامهم طويلة وكل ماثبت منها في الكتاب والسنة فهو مبني على قواعد العدل والرحمة . ومنه أن لا يقاتل إلا من يباشر القتال فيمتنع قتال الشيوخ والولدان والنساء ورجال الدين المنقطعين للعبادة

ومما ورد في ذلك الآية التي أساء في تفسيرها لورد كروم وكأنه تبع في ذلك بعض القسوس أو السياسيين الذين يحرفون الكلم عن مواضعه عمداً ، تعصباً منهم وبغياً ، وهي قوله تعالى (٤٧ : ٤ فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب أوزارها . ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض) فهذه الآية من آيات الرفق والرحمة في الحرب والمسلمون متفقون على أن المراد بقوله تعالى « لقيتم الذين كفروا » لقيتموهم في المحاربة وحاصل معنى الآية انكم تقتلون من تقدرون على قتله الى أن تظهروا عليهم بالاثخان فيهم فعند ذلك اتركوا القتل ، واكتفوا بالاسر ، وأنتم مخيرون بعد ذلك بين ان تمنوا على الاسرى باطلاقهم فضلا واحسانا ، وبين أن تأخذوا منهم فداءاً . هكذا يكون شأنكم حتى تضع الحرب أوزارها أي أثقالها وآثامها . قال « ولو يشاء الله لانتصر منكم » فأمركم بعد الظهور عليهم وإثخانهم بقتلهم واستئصالهم ولكنه لم يأمركم بذلك بل أمركم بجعل القتل على قدر الضرورة وهو أن تأمنوا شرهم بالظهور عليهم « ليبلو بعضكم ببعض » أي ليختبر بعضكم ويجربه بمعاملة الآخر بما يخالف هواه ويوافق المصلحة، ويتفق مع العدل والرحمة ، بجعل الحرب ضرورة تقدر بقدرها . هذا هو معنى الآية التي يشوهون بها جهاد الاسلام، وهي شرف يفتخر به بين منصفي الانام

إذا محاسني اللاتي أدل بها * كانت ذنوبي فقل لي كيف أعتذر

طال المقال فزاد علي ما قدرت له ويمكنني أن أؤلف في هذه المسألة كتاباً حافلا

يفتخر به كل مسلم ، ويخذل به كل متعصب سيء النية والقصد ، وحسبك من القلادة مازين النحر ،

فاذا كان هذا هو الجهاد والقتال في الاسلام وكان كل ماخالفه من حروب ملوك المسلمين خروجا عن هدي الدين في حروب كلها مدنية لم تقصد بها حماية دعوة الاسلام اذ تركوا الدعوة بعد عصر السلف فلماذا تقوم القيامة على المسلمين كلهم اذا ذكر واحد منهم لفظ الجهاد أو حرفاً مما اشتق منه ، ويعد هذا خطراً على النصارى أصحاب الدول الحربية القوية التي تحميهم وتنتصر لهم أينما كانوا ولو بالباطل ؟ ولماذا يحرض غير المسلمين بعضهم بعضاً على سلب ملك المسلمين والتنكيل بهم ، وينفذون ذلك بالفعل، ولا يعدونه إثماً ولا حرجا ، وانما ينحصر الاثم والحرج في الشكوى منه، حتى صار المسلمون أنفسهم يحجر بعضهم على بعض أمثال هذه الالفاظ، التي لا ضرر فيها ولا ضرار ، ولا تدل على جواز ذرة من الظلم والعدوان ؟

لو كان في كتابنا الالهي من القسوة في أحكام الحرب مثل مافي التوراة التي في أيدي أهل الكتاب لما كتمناه ولما تبرأنا منه كقوله في سفر تثنية الاشتراع (٢٠ : ١٦ وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلهك نصيباً فلا تستبق منهم نسمة ما) بل يوجد في أناجيلهم من النصوص القاسية مالا يوجد في القرآن مثله كرواية لوقا عن المسيح عليه السلام في الفصل التاسع عشر ونصها (٢ أما أعدائي الذين لم يريدوا أن أملك عليهم فأتوا بهم الى هنا واذبحوهم قدامي » ولفظ الجهاد الممقوت عند القوم ومقلدتهم لانهم يعدونه اسلامياً يوجد أيضاً في كتبهم كقول مقدسهم بولس (٢ تيم ٢ : ٥ لاينال أحد الاكاليل الا ويجاهد جهاداً شرعياً) وقوله (١ تيم ٦ : ١٢ جاهد جهاد الايمان الحسن وأمسك بالحياة الابدية التي اليها دعيت) يقولون ان المراد بهذا جهاد النفس والشيطان ، ونحن قد قال علماؤنا مثل هذا في جهاد القرآن كما تقدم، وكان سلفنا يسمون جهاد النفس الجهاد الاكبر، وجهاد العدو الجهاد الاصغر ، وروي هذا عن الصحابة رضي الله عنهم

اني أختم مقالي هذا بذكر شيء مما يقال فينا، وما يحرض به علينا ، وأعيذ المسلمين منذ وجدوا الى اليوم والى آخر الزمان من مثل ذلك

جاء في العدد ٨٤٣ من جريدة (وقت) الروسية التي صدرت في ١٨ سبتمبر (ايلول) بالحساب الشرقي ما ترجمته :

جاء في برقية من بودابست ان فمبري المستشرق المشهور كتب مقالة في جريدة

(بودابست هيرلاب) قال فيها ان حماية الاسلام بعد الآن خطأ لا يفيد فائدة ما، وهو سيفنى البتة ولا يستحق غير الافناء ، المدنية توجب أن تنقرض من ممالك الاسلام عدوة المدنية . المسلمون قوم لا طبيعة لهم ولا يعرفون كلمة الطبيعة، هم يعبدون ولكن لا يعملون ، ولا شيء فيهم من الحياة غير شعورهم الديني ، وليس لهم مسلك (مبدأ) ولا مقصد . ولا ينبغي أن تهتم جد الاهتمام بدستور تركية فان حالها الآن شر مما كانت عليه ، واحتمال حياة ثلاثمائة مليون مسلم خيال باطل لاشائبة للحقيقة فيه اه

وقد تعجبت جريدة وقت من قول فمبري هذا لانه مشهور بمحبة الترك والمسلمين وقالت انه يجب التأمل فيه ، ونحن نقول اذا كان هذا قول من يحبنا منهم فهل يقول أحد من المتهمين منا بالتعصب وبعض الاغيار مثله أو قريبا منه

يقولون يجب اعدام هؤلاء الملايين من المسلمين باسم المدنية وفي روسية ملايين من النصارى هم أبعد عن المدنية من مسلميها ومسلمي العثمانيين فلماذا يجب لهم البقاء ؟ اذا كان مثال المدنية مافعلته ايطالية فالصلاة والسلام على التوحش والهمجية ،

بل قال بعض أساطين السياسة مثل كلام هذا المستشرق أو أشد، منهم الاستاذ مكسيليان هاردن صاحب جريدة (ز نكفت) النمسوية قال في خطبة له أرسل ملخصها مكاتب التيمس في فينا الى جريدته فنشرت فيها « انه لا توجد دولة تقدر أن تساعد الحركة الحاضرة التي تسوق الاسلام الى الوراء ، ثم قال ان الاسلام دين خطر وبقاؤه خطر واني على رأيي ان كل ولاية أخذت من الاسلام فهي غنيمة للدول الاوروبية »

هكذا يقولون جهرا في خطبهم وجرائدهم ولا نزال نغش أنفسنا بقول الذين يسخرون منا من الافرنج والمتفرنجين بزعمهم ان هذه الحرب لا علاقة لها بالدين ولا يقصد بها المسلمون لاجل دينهم

يقولون المنكر ويفعلونه ويمدحون أنفسهم عليه ، ونقول الحق فنلعن عليه ونهدد ، ولا ندري ماذا بقي عندهم من التهديد فنخافه ، أولئك عبيد القوة القاهرة ولو أننا أقوياء لما سموا حقنا باطلا ، بل كانوا يسمون ماربما تدفعنا اليه القوة من الباطل عين الحق ولباب الفضيلة ، والاسلام نفسه هو المظلوم المهضوم بيننا وبينهم، نحن تركنا هدايته وجنينا عليه ، وهم جعلونا حجة عليه ، حتى أقنعوا أبناءنا الذين تولوا تربيتهم المادية الشهوانية وتعليمهم الفاسد في مدارسنا ومدارسهم بأن يلصقوا ذنوبهم بالاسلام ويصدون عنه على علم أو جهل

اذا عوقب جناة النصارى أو تعقبت عصاباتهم الثورية في مكدونية قامت أوروبة لهم وقعدت ،وأرغت وأزبدت ، واذا أظهرنا التألم من تدمير مدافعهم لبلادنا،وحصدها لاخواننا،نلعن على تعصبنا، فالى متى يبغي الاقوياء ، ويخدع الاغنياء ، ربنا افصل بيننا بالحق وأنت خير الفاصلين

في ٢ ذي القعدة سنة ١٣٢٩

٩

﴿ ما يجب من اعانة الدولة العلية بانجاد طرابلس الغرب ﴾

سيرت دولة ايطاليـة أساطيلها كلها وجيشاً عرمرما من جنودها المنظمة الى طرابلس الغرب،لمحاربتها في البر والبحر،والاستيلاء عليها بالبغي والقهر،وإلباسها لباس الخوف والجوع ،وأهانت الدولة العلية صاحبة ذلك القطر بمساومتها في بيعها وحملها بالتهديد والوعيد على الاذعان لاحتلال الجيش الايطالي فيها

طمعت دولة ايطالية المغرورة في تلك البلاد لاهمال دولها أمرها، وتقصيرها في إقامة المعاقل والحصون في برها ، ووضع الحامية القوية فيها ، وفي بث الالغام وأنابيب التدمير في بحرها ، فانقضت عليها بأساطيلها وجنودها ، وصبت عليها جحيم قهرها ، وقطعت عنها موارد الرزق ، في عام وباء ومجاعة وقحط ، فأصبح أهـل تلك البلاد يحاربون دولة عاتية، باغية قاسية، لاترحم امرأة ضعيفة ولا شيخاً كبيرا ، ولا طفلا صغيرا ، ويصارعون جوعا ديقوعا دهقوعا ، ويصابرون وباء مريعا ، فهم أحق خلق الله بعطف الـكرماء ، ورحمة الرحماء ،واعانة الواجدين ، واغاثة القادرين

نعم ان الدولة العثمانية هي صاحبة هـذه البلاد المرزوءة بقسوة الطامعين ،وهي التي يجب عليها اغاثتها وإمدادها قبل كل أحد ، ولـكن حيل بينها وبين انجادها ان ارادته، فلا أسطول قوي تنجدها به بحراً ، ولا أوربة تمكنها من انجادها برا ، واذ كانت الدولة عاجزة عن القيام بهذا الواجب انتقل الوجوب الى من قدر عليه ، وأقدر الناس عليه أهل مصر فصار متحتما عليهم بحق الجوامع الست التي تتعاطف بها الجمعيات البشرية لا بجامعة واحدة منها ، وانانبين هذه الجوامع الست ونبدأ بالاعم منها فنقول

(١ الجامعة الاولى الانسانية)

خلق الناس ليعيشوا بالتعاون فهو معيار ارتقائهم ، وميزان مدنيتهم ، فـكلما عم كانت المدنية أعم ، والارتقاء أشمل ، و « خير الناس أنفعهم للناس » كما ورد ،

وللتعاون أسباب أعمها التعارف ، وقد قال تعالى « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا » وان سهولة طرق المواصلة وتعدد وسائلها زاد في تعارف الناس وتعاونهم ، فـلا تقع الآن نـكبة كبيرة في قطر من الاقطار إلا ويسارع أهل الاقطار الأخرى الى اعانة أهله وتخفيف مصيبتهم ، ومن الشواهد القريبة العهد على ذلك عطف المصريين على الايطاليين الذين نـكبوا بالزلازل والبراكين في صقلية ومسيني (١) فقد نظمت في ذلك القصائد العربية المؤثرة ، وجمعت الاعانات المالية ، وأرسلت الى الحكومة الايطالية

لو حكمنا العقل المجرد من الهوى في أحق الناس أن تبذل لهم المعونة ، وتمد اليهم سواعد المساعدة ،:آلذين نـكبوا بالجوائح الطبيعية ، أم الذين نـكبوا بظلم اخوانهم البشر لهم ، وقهرهم اياهم ، واعتدائهم على حريتهم واستقلالهم ؟ لحكم حكما عادلا بأن هؤلاء المظلومين أحق بالمعونة ، وأجدر بالمساعدة ، ولرأينا من أسباب هذا الحكم (حيثياته) ان مساعـدة المظلوم واعانته على ظالمه أكبر خدمة للانسانية وأعظم نفعاً للبشر ، لان فائدتها مزدوجة ، ونفعها يتعدى من المظلوم الى الظالم بكفه عن ظلمه ومؤاخذته عليه ، وبذلك يقل الظلم والعدوان بين الناس حتى يكونوا اخوة في الانسانية ، وفي هذا المعنى قال صلى الله عليه وسلم « انصر أخاك ظالمـا أو مظلوما ان يك ظالمـاً فاردده عن ظلمه ، وان يك مظلوما فانصره » رواه بهذا اللفظ الدارمي وابن عساكر عن جابر ، وفي رواية أحمـد والبخاري والترمذي عن أنس أنه قال « انصر أخاك ظالماً أو مظلوما » فسئل قبل اتمام الحديث كيف أنصره ظالمـاً ؟ قال « تحجزه عن الظلم فان ذلك نصره »

فبحق هذه الجامعة يجب على كل انسان يؤثر حب الانسانية على العصبية المفرقة والهوى والطمع المفسدين للاخلاق أن يساعد أهل طرابلس ودولتهم ، على كف ظلم إيطالية وبغيها عنهم، أو على تخفيف مصيبتهم على الاقل، ولولا المطامع، والمبادلة والمعاوضة في المنافع ، لمـا أقرت أوربة هذه الدولة على بغيها وظلمها ، مع اعتراف المنصفين من جميع شعوبها ببغيها وطغيانها ، وانه ليوجد في كل شعب أوروبي كثيرون من أهـل

(١) هكذا ضبطها العرب أيام استعمارهم لها ومن ذلك قول شاعرهم فيها * من ذا يمسيني على مسيني * ويقولون الآن مسينا تبعا للافرنج

الانصاف وحب الانسانية ولولا ان حكوماتها وجرائدهم تخادعهم لما كانوا يسكتون عن الانتصار لامثال هؤلاء المظلومين ، على أنه وجد في انكلترا كثيرون قد عرضوا أنفسهم على السفارة العثمانية للتطوع في جيشها الذي يحارب ايطالية ، ومع هذا نرى فينا من ينكر مثل ذلك منا نحن المشاركين لاهل طرابلس في الجوامع الست كلها

(الجامعة الثانية الشرقية)

الناس كلهم اخوة في الانسانية والاخوة قد يختلفون على المنافع ، ويغلب طمع القوي منهم على ما تطالبه به الفطرة وعاطفة الاخوة من التسامح والايثار ، بل من العدل والانصاف ، فيتفرقون ويختصمون ، ويستعين بعضهم على بعض ؛ ويقع الخصام والعدوان بين الجماعات كما يقع بين الافراد ، وهذا هو السبب في تكوين عصبية الجامعات المختلفة فقد كانت وما زالت الشعوب والقبائل والامم والدول تتخالف وتتحالف ، وتتنازع وتتصارع ، والاصل في هذه العصبيات الاشتراك في الصفات والمقومات التي تقتضي التآلف ومقاومة المخالف فيها كالنسب والوطن واللغة والحكومة والدين والعادات والآداب ، وكلما كان مابه الاشتراك أكثر ، كان التآلف والتعاطف أعم وأشمل ، فالمشتركون في النسب قد يخاصمون الغريب عن نسبهم من أبناء لغتهم ووطنهم ودينهم ، وكذلك أهل الوطن واللغة مع الغريب عنهما المشارك في غيرهما مثلا ، وعلى هذا المنهج تصغر العصبيات وتكبر

كثر مابه الاشتراك بين أهل أوربة فهم مشتركون في الدين والعادات العامة ، والاحوال الاهلية والاجتماعية ، وطرق الكسب ، وفنون الحرب ، ونظام الحكومة ، وأكثر خواصهم يعرفون من لغاتهم الكبرى ما يخاطبون بها مع الآخرين ويقرؤن جرائدهم وكتبهم ، وينقل بعضهم عن بعض في كل يوم كل أمر ذي بال ، وينشرونه للجمهور في جرائدهم ، فيشعر كل شعب منهم بما يشعر به الشعب الآخر من مؤلم أو ملائم ، فهم بهذه الامور كلها عصبية واحدة على من يخالفهم فيها ، وقد اتحدوا بها على المخالفين فصار العالم كله (أو ما يعبر عنه بالعالم القديم اذا استثنينا أميركة) عصبيتين يعبر عن إحداهما بالغرب ويراد به أوربة الطامعة ، وعن الاخرى بالشرق ويراد به آسية وأفريقية المطموع فيهما . وكان الاولى أن يقال الجنوب والشمال مكان الشرق والغرب ولكن لامشاحة في الاصطلاح كما يقال

يرى كثير من الكتاب والمؤرخين أن المراد بالشرق الاسلام وبالغرب النصرانية

ولكن المختبرين من علماء نصارى الشرق الذين عرفوا كنه سياسة أوربة ورأوا سيرتها في مستعمراتها يعلمون ان أوربة تحتقر جميع الشرقيين ولا تعد النصارى منهم أهلا لمساواة الاوربيين في شيء ، وان أية دولة من دولها تستولي على بلاد شرقية تحتقر جميع أهلها ، وتستعلي عليهم بعظمتها الجنسية ، لانها ترى أن الاوربي يجب أن يكون سائداً لانه أوربي ، وان الشرقي يجب أن يكون مسوداً لانه شرقي

لا يزال الشرق ضعيف التماسك جاهلا أنه مضطهد من الغرب كله وانه يجب عليه التناصر لدفع سيل الغرب الأتيّ وعدوانه الخشي ، وقد رأينا الخبيرين بكنه هاتين الجامعتين من شبان النصارى الاحرار في مصر وسورية يميلون كالمسلمين الى انتصار اليابان الوثنية ، على روسية النصرانية ، يوم وقعت الحرب بينهما ، فاذا مال هؤلاء الاذكياء الى ظفر طرابلس الغرب الشرقية المظلومة ، وانتصارها على إيطالية الغربية الظالمة ، فذلك أولى ، بل لا يكفي أن يميلوا ويعطفوا ، دون أن يساعدوا وينصروا ، فالاقربون أولى بالمعروف

(الجامعة العثمانية)

أهل الولايات العثمانية البحتة والممتازة والمستقلة في ادارتها مختلفون في الاجناس والاديان ، واللغات والعادات ، وليس في استطاعة أهل ولاية منها أن يكونوا دولة قوية تحمي نفسها من أوربة اذا صالت عليها بجيشها وأساطيلها ، ومصر في ذلك كغيرها . فان كانت أغنى وأعلم ، فهي أضعف في الحرب وأعجز ، فمن مصلحة الجميع تأييد الجامعة العثمانية ، واصلاح حال الدولة العلية ، وهذا الاصلاح يتوقف على شكل الحكومة الذى يعبرون عنه باللامركزية ، وهو ما ستصير الدولة اليه ، ولا بقاء لها بدونه ، اذا هي سلمت من كيد أوربة لها ، وحالت سياسة التنازع دون التعجيل عليها (سلمها الله تعالى وكفاها كيد الكائدين)وحينئذ تكون الولايات العثمانية كالولايات الجرمانية أو الولايات المتحدة كل منها داخل في ادارتها الداخلية ومشتركة مع سائر الولايات في السياسة العامة وقوة الجيش والاسطول الخ

فعلى العثمانيين في جميع الولايات من جميع العناصر والملل أن يستمسكوا بعروة العثمانية ويبذلوا النفس والنفيس في حفظ كيانها ، وتأييد سلطانها ، والفرصة الآن سانحة فينبغي اغتنامها ، وما ذاك الا بمساعدة أهل طرابلس العثمانيين على حفظ أنفسهم وبلادهم وبقائهم عثمانيين مثلنا ، متصلين في ظل هذه الجامعة بنا ، وأخص غير المسلمين

من العثمانيين بتأييد هذه الجامعة ، واغتنام هذه الفرصة السانحة ، فانهم بذلك يوثقون عرى الاتحاد بينهم وبين اخوانهم في الوطن والعثمانية توثيقا لاتجهل فائدته

أين العقلاء الاذكياء من نصارى السوريين والقبط ومن اليهود ؟ أين الذين يقولون منهم اننا نود أن نجعل الرابطة الوطنية أو السياسية أقوى في أمور الدنيا من الرابطة الدينية ، ألا يعلمون أن ايجاد هذه الرابطة أو توثيقها وتقويتها من نتائج الاعمال ، لا من نتائج الاقوال ، ان كتاب المقطم والاهرام في مصر وبعض كتاب اليهود في جريدتهم (جون ترك) قد أظهروا ميلهم الى الدولة وظلمهم على ايطالية ، فشكرنا لهم ذلك ، ولكن لماذا نطق بعض أرباب الاقلام ، وسكت أرباب الاموال ، فلم يسمع لهم صوت بكلمة التبرع لاعانة الحرب يذكر ، ولا لمساعدة جمعية الهلال الاحمر ،

قال بعض غلاة التعصب الديني من السوريين ان النصارى لا يدفعون اعانة في حرب سماها بعض كتاب المصريين جهادا دينيا مع دولة مسيحية ، ولست أرى هذا عذرا صحيحا لمن لم يصل الى درجة الشيخ يوسف الخازن صاحب جريدة الاخبار في بغض المسلمين والتعصب عليهم ، واغراء الافرنج بهم ، فان دفاع أهل طرابلس الغرب عن أنفسهم يسمى في اللغة العربية وفي اصطلاح الشرع جهاداً يوجبه الدين. فاذا كنتم لا تساعدون أهل طرابلس في مصابهم الا اذا غيرنا وضع اللغة وعرف الشرع فما أنتم بمساعدين ، لان هذا التغيير ليس في استطاعة أحد من العالمين ، على ان اعانة جمعية الهلال الاحمر ليست اعانة لمسلمي طرابلس على مدافعة نصارى ايطالية بل هى انقاذ كل من يمكن انقاذه من الجرحى والمصابين بنكبات هذه الحرب ولو كان ايطاليا باغياً، ولكنها باسم العثمانية وتحت هلال علمها ، فما بالكم تقبضون أيديكم عنها ،

ان نصارى السوريين المقيمين بمصر وأمريكا هم أرقى السوريين علما وأدبا ، وأكثرهم فضة وذهبا ، وأوسعهم مروءة وكرما ، وأشدهم نجدة وشمما ، واني لأنتظر منهم البرهان الناصع على تأييد الجامعة العثمانية ، وتوثيق الرابطة الوطنية ، بل سمعت هنا حسيس همساتهم ، وخفي مناجاتهم ، يأتمرون بينهم ، ويتحفزون للمكرمة اللائقة بهم ، وكأني بها وقد ظهرت في مصر ، وان ظهورها في أمريكا لادل على الفضل والنبل

﴿ جامعة اللغة العربية ﴾

الانسان حيوان ناطق فالنطق أظهر مقوماته التي بها امتاز على سائر أنواع الحيوان، وارتقى فى مدارج العلم والعرفان، وان صحبتك من لا تعرف لغته لا تبعد عن صحبة الحيوان

الاعجم ، فأنس الانسانية والاستفادة من مزاياها بالتعاون لايتم بالكلام فلهذا كانت اللغة أقوى الروابط بين البشر في المصالح والمنافع والترقي الصوري والمعنوي

رابطة اللغة تشبه نعمة الهواء والماء والصحة في كونها لا يشعر المرء بقيمتها ومنفعتها في حال التمتع بها، ولا أقول لك تصور فضلها ، بتخيل فقدها، بل أقول لك تخيل أنك هبطت بلدا لا تعرف لغة أهله، وأحاطت بك الحيرة من كل جانب في كل معاملة تعاملهم بها ، ثم ظفرت فيه بمن يعرف لغتك ، ماذا يكون قدر سرورك واغتباطك به وحنينك اليه ، واستفادتك منه ، ولاسيما اذا كان من أهلها غير دعي فيها ؟

ان أهل طرابلس الغرب، لهم على أهل البلاد التي تحيط بهم من الشرق والغرب، حق جامعة اللغة التى يبذل الاوربيون الملايين لنشرها في جميع بقاع الارض ، وما هي هذه اللغة التي يشاركنا فيها أهل طرابلس ؟ ومن هم أهلها ؟ وما أشهر صفاتهم ؟ تلك اللغة هى العربية الشريفة، وأهلها هم العرب الكرام الذين اشتهروا في العالم كله بالسخاء والكرم، حتى صار السخاء العربي والكرم العربي مما يضرب به المثل ، وقد كان من سخاء بعض أجوادنا أن أعطى سيفه لخصمه في الحرب اذ طلبه منه، واختار تعريض نفسه للقتل، على الامساك والبخل، ومنا من قيل فيه بحق :

فلو لم يكن في كفه غير نفسه ... لجاد بها فليتق الله سائله

فهل يليق بأمة هذا شأنها في الجود والسخاء، أن يرى أغنياؤها المدافع تحصد اخوانهم ، وتهدم بنيانهم ، والجوع يغتال اطفالهم ونسوانهم ، ولا يواسونهم ببعض ما أنعم الله عليهم من الرزق الواسع ، والمال الكثير ؟

(الجامعة الخامسة جامعة الجوار)

للجوار حقوق كحقوق القرابة قضت بها الفطرة البشرية ، وأيدتها الشريعة الالهية ، فمن شأن الجار أن يشعر بكل ما يشعر به جاره ويشاركه فيما يسر منه وما يسوء ، فاذا فرح أطربه صوت غنائه، واذا حزن احزنه نشيج بكائه ، وان وقع الحريق في داره ، أصابه شواظ من ناره، وقد أوصى الله بالجار في كتابه ، وفي حديث الصحيحين والسنن « مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت انه سيورثه »

ألا وان جوار الشعوب والبلاد ، كجوار البيوت والافراد ، وانا نرى الدول الطامعة قد تواطأت على اعطاء الجار ا[illegible]ي حق سلب جاره الضعيف

انكلترة والروسية ، هما السالبتين لاستقلال الدولة الايرانية ، وفرنسة واسبانية هما السالبتين لاستقلال الحكومة المراكشية

ألا وان لطرابلس الغرب حق الجوار على مصر وتونس ، ومصر أقدر على اعانتها من تونس ، لانها أوسع ثروة وحرية ، ومن مصلحتها السياسية أن لا تستقر قدم ايطالية الغادرة في أرض جارتها وأختها طرابلس لان الايطاليين جيران سوء ، واصحاب بغي وغدر ، فاذا قدر لمصر ان تخرج من سيطرة الانكليز لاتأمن على نفسها والايطاليون في طرابلس من اعتدائهم عليها بمحض البغي والعدوان ، ودعوى انها أحق بها لمصلحة الجوار

(الجامعة السادسة الجامعة الدينية)

الدين هو صاحب السلطان الاعلى على الارواح ، والحاكم المتصرف في العزائم والارادات ، ورابطته أقوى الروابط وجامعته أعم الجامعات ، فالمسلم الهندي الذي لاتجمعه بالمسلم العثماني جامعة نسب ، ولا لغة ولا وطن ، ولا منفعة مادية أو سياسية ، يغار عليه ويألم لألمه ويحزن لمصابه ، مالا يغار ويألم المشارك له فيما عدا الدين من الجامعات ، فلا عتب إذاً على المسلم اذا فضل أخاه البعيد في الاسلام على أخيه القريب في الوطن أو اللغة أو الجنسية السياسية ، وهو يراه أشد حباً له وحدبا وعطفاً وحناناً عليه من هذا الاخ القريب ، ولكن تفضيل ذلك لا يقتضي التقصير في حق هذا

روى أحمد ومسلم في صحيحه عن النعمان بن بشير ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد اذا اشتكى له عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » وفي حديث الصحيحين عن أبي موسى الاشعري « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً » وهذان الحديثان وأمثالهما تفسير لقوله تعالى (انما المؤمنون اخوة) وقوله تعالى (رحماء بينهم)

غلب على المسلمين الجهل بدينهم وترك جماهيرهم هدايته، ومزق نسيج اتحادهم ما كان من اختلافهم في المذاهب : هذا شيعي يعادي سنيا ، وهذا أشعري يعيب حنبلياً ، وهذا جهمي يكفر وهابياً ، * واحكم على العكس بحكم الطرد * ثم مزقته أهواء السياسة ونزعات التفرنج ، بما أحدثت بينهم في هذه الازمان ، من التفرق في الاجناس والاوطان ، ومع هذا كله نرى بصيصاً من ذلك النور الالهي لايزال يلوح

بين أفئدتهم مشرقاً من أفق الكتاب العزيز والسنة النبوية ، عند ما تصب عليهم المصائب ، وتنتابهم النوائب ، فبنوره يبصرون ، وبحرارته يتعاطفون ، فبينا ترى التركي يحتقر العربي ويحاربه ، والآخر تارة يعاتبه وأخرى يوائبه ، اذا بهما بعدهنيهة متحدان يفدي أحدهما شرف الآخر وحقه بدمه وماله . بالامس كانت الدماء تتفجر من سيوف الترك والعرب في اليمن ، واليوم نسمع عرب اليمن ونجد ينادي زيديهم وشافعيهم ووهابيهم الاستانة : انا مستعدون لبذل انفسنا في سبيل حفظ سيادتك على اخواننا عرب طرابلس الغرب

ان جميع الامم والملل لتعجب من قوة هذه الرابطة الاسلامية على ماوصل اليه المسلمون من التقاطع والجهل ، وان أعداء الاسلام دائبون في اتخاذ الوسائل لنكث فتلها ، ونقض غزلها ، ولهم من ملاحدة المسلمين أعوان على ذلك ربوهم على كراهة هذه الرابطة الشريفة ، وأقنعوهم بوجوب استبدال الرابطة الجنسية أو الوطنية بها ، فهم يعملون لاعدائهم ولا يشعرون

بهذه الرابطة المقدسة نرى المسلمين يبسطون أيديهم لمساعدة اخوانهم في طرابلس على الدفاع عن أنفسهم ، لا يمتنع منهم عن المساعدة الا العاجز عنها لفقره أو جهله بطريقها ، أو منع حكومته له منها ، وبهذه الرابطة نعلم الجاهل ، وننبه الغافل ، بل لا ينبهنا الا المصائب ، ولا يعلمنا الا النوائب ، فهي التي ستعيد الى الجامعة الدينية قوتها ، حتى تصدر عنها آثارها اللائقة بها ، وماهي الا العدل والفضل ، والمدنية المطهرة من أدران البغي والغدر ، واستباحة الفجور والفسق

**

كل جامعة من تلك الجامعات الست كافية لبسط اليد في إعانة أولئك المنكوبين المظلومين، فكيف اذا اجتمعت كلها وتحققت في مثل مسلمي مصر ؟ أفلا يكون الذي يبخل منهم جانياً على تلك الجامعات كلها : الانسانية والشرقية والعثمانية والجوارية واللغوية والاسلامية ؟ بلى . فيا أيها المسلمون — وأخص مسلمي مصر بالذكر — أنتم أهل النجدة ، وأجدر الناس بتفريج هذه الشدة ، اعلموا ان الله عليكم فيما أوجبه من زكاة أموالكم سهما للمجاهدين في سبيل الله وهي سبيل الحق والعدل . وأفضل الجهاد الدفاع عن النفس والوطن ، ومقاومة البغي والعدوان ، وهو ماوجب على اخوانكم وجيرانكم من أهل طرابلس . فأعينوهم يعنكم الله ويغفر لكم ذنوبكم

أيها المسلمون ان دينكم يوجب عليكم اغاثة المضطر ولو كان كافراً غير محارب

لكم ، بل يوجب عليكم اغاثة الحيوانات المضطرة الى القوت وكل مايقيها الهلاك ، وقال نبيكم صلى الله عليه وسلم « في كل ذات كبد حرى أجر » (رواه احمد وابن ماجة بسند صحيح) فما بالكم اذا كان المضطر من اخوانكم وجيرانكم كأهالي طرابلس الغرب ، الذين قطعت ايطالية عنهم جميع موارد الرزق ، « لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسرا * فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا وأنفقوا خيرا لانفسكم ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون »

١٠

﴿ خاتمة المقالات ، شجون ومحاورات ﴾

لكل شيء مادح وقادح ، ولكل كلام مقرظ ومنتقد ، ولقد رأيت أن أختم هذا المقال بشكر الراضين عن مقالات المسألة الشرقية ، والاعتذار عما اقترحوا ، وتفصيل القول في نقد الناقدين والعفو عما اجترحوا

رأيت أكثر من عرفت راضين عن هذه المقالات ناقلين أحاديث الرضاء بل الاطراء عن غيرهم ، معتقدين انها مثلت الحقيقة ، وبينت الطريقة ، واقترح بعضهم ترجمتها ونشرها ببعض اللغات الاوربية ، وبعضهم طبعها على حدتها باللغة العربية ، شافهنا بذلك كثيرون ، وكاتبنا به قليلون ، فنشكر لهم ذلك ونعتذر عن طبعها على حدتها ، ولكننا ننشرها في مجلتنا (المنار) وعن ترجمتها ولكننا نأذن بالترجمة وطبعها بغير العربية لمن شاء ذلك

أما الساخطون فهم أعداء الدولة والملة ، وأنصار ايطالية الباغية ، وأما المنتقدون فمنهم المخلص في انتقاده ، المستقل في رأيه مع احترام رأي غيره ، ومنهم غير ذلك ، وقد كانت تظهر أمارات وعبارات السخط من بعض الجرائد الافرنجية وجريدة (الاخبار) العربية ، وكتب البنارثيس جمعية قبطية (بأبي حنظل ومصر والاسكندرية) كتابا قال فيه : « خط يراعك كلمة شلت يد كاتبها الذي يصف قوما أعزاء كرماء وصفوا بالصلاح والتقوى والانسانية (لا التوحش كما تقول) وحب الخير (يعني الايطاليين) بأنهم متوحشون وانك تعلم أيها الفيلسوف الكبير انه لايقدر على الحكم على قوم الا من كان منهم (؟) وان تكن اساءة الدخيل الذي أوجدناه من العدم (؟) وفتحنا

له صدورنا ورفعنا له اسما ومنارا لاتحتمل(١)!! ثم قال الكاتب انه يعفو عن ذنبي هذا الذي أسأت به الى المصريين (بزعمه) وأنا دخيل فيهم . هذا ملخص ما كتبه والعقلاء المنصفون يعرفون أينا أحق بالعفو عن اساءته الى الآخر ، وقد ظهر بعد أن أشرنا الى وحشية الايطاليين بزمن غير بعيد ان الجرائد في جميع الممالك الاوربية والامريكية وافقتنا على قولنا وأيدته بروايات مراسليها في طرابلس الغرب ، وبتصويرها لعدوانهم الوحشي على النساء والاطفال والشيوخ وتقتيلهم والتمثيل بهم . وانني قد عفوت عن ذلك الساخط الساخر الساب الشاتم ، بعد أن ظهر اني على الحق وهو على الباطل

وبعد هذا وذاك أذكر جميع ما بلغني من الانتقاد في محاورة مع منتقد وهو من عدة مصادر وأجيب عنه : قال لي صديق لا أرتاب في اخلاصه انك قد اشتهرت في الاعتدال فيما تكتب وأراك قد بالغت في هذه المقالات – أو قال تطرفت – حتى شايعت العلم والمؤيد في ذكر الجهاد والحرب الدينية وأنحيت باللائمة على أوربة كلها ، وهذه السياسة ضارة بنا

فقلت له ان صورة البغي المنكرة التى فاجأتنا بها ايطالية قد كانت صاخة أصمت المسامع ، وقارعة صدعت القلوب ، وان ما تضمنته من مخالفة حقوق الدول وابطال العهود الضامنة لسلامة دولتنا ، وما أجابت به الدول الكبرى حكومتنا حين راجعتها في ذلك من أنها على الحياد ، لاتعارض ايطالية في نسخ القانون الدولي وابطال المعاهدات ، كل من هذا الجواب وذلك العدوان الصريح قد دلنا وأشعرنا بأنا مهددون بزوال دولتنا ، وذهاب ما بقي من ملكنا ، وبأن القوم قد اتفقوا على حل المسألة الشرقية حلا سريعا حالا اذا لم يروا فينا من الحياة ولوازمها ما يقتضي التلبث في ذلك والرجوع عنه ، فقل لي بحقك ماذا يخاف الذى أنذر بزواله من الوجود اذا هو دافع عن نفسه بكل ما يستطيع ؟ أليس كل ما دون الزوال أسهل منه ؟ ألم يصدق علينا في هذه الحال ، قول شاعرنا الذي سار مسير الامثال « أنا الغريق فما خوفي من البلل » ؟ بلى انني بتأثير هذه القارعة التي ظهر أن أوربة متفقة عليها أردت أن أبين لاوربة نفسها ولجميع العثمانيين والمسلمين أنا نعتقد أن أوربة كلها تكون خصما لنا اذا ساعدت

(١) المنار : لم يشترك القبط في المنار ولم يساعد أحد منهم صاحبه في شيء ولم يسمع من أحد منهم كلمة خير فيه الا شتم جرائدهم له وهو لم يذكر أحدا منهم بسوء ، فكيف لايخجل قائلهم من مثل ماقال وهو مالايقوله صادق من المسلمين ؟

ايطالية علينا ، ومكنتها من كل ماتريده من البغي والعدوان على بلادنا

كتبت هذا معتقدا أن تذكير المسلمين في جميع بقاع الارض بما أوجبه الاسلام في مثل هذه الحال ، وظهوره أثر هذا التذكير فيهم — هو أرجى مانرجو من أسباب حذر أوربة من مساعدة ايطالية على كل ماتريد من بغيها ، واستمالة الدول الذي يهمها ارضاء المسلمين وحسن اعتقادهم فيها ، وأولاهن بذلك انكلترة ثم فرنسة وروسية المتفقتين معها في السياسة والمصلحة ، وكل واحدة من هذه الدول الثلاث مستولية على عشرات الملايين من المسلمين . وقد صرحت بمقصدي هذا في المقالات الاولى ولم أقطع الامل من مساعدة كل الدول

قال صديقي المنتقد ان المسلمين الرازحين تحت سيطرة هذه الدول كلهم ضعفاء بالجهل والتفرق فالدول اذا أرادت انفاذ هذا الامر (حل المسألة الشرقية) لاتبالي رضاهم ولا سخطهم، إذ لايستطيعون أن يعملوا شيئا ، قلت اني لا أرى هذا الرأي بل أنها تبالي وتهتم أشد الاهتمام برضاهم، وتحسب ألف حساب لسخطهم ، اذا كان سببه اعتقادهم أنها تريد ازالة دولة الخلافة وابطال حكم الاسلام من الارض

ان رأيك هذا يشبه رأي لطفي بك السيد مدير الجريدة إذ قال إن اظهار مسلمي مصر لعواطف الميل الى الدولة العلية واعانة أهل طرابلس على حرب عدوهم ينافي مصلحة مصر ، فهو من ترجيح سياسة العواطف على سياسة المنافع ، التي تتبعها كل العقلاء من أمم المدنية ودولها ، وأنا أرى ان العواطف والمنافع متفقة في هذه الحال فاذا جرى جميع المسلمين على ماطالب لطفي بك به المصريين ، وعلمت دول أوربة أن تقسيم بلاد الدولة العثمانية بينهن لايهيج لمسلم عاطفة، بل يرى كل شعب منهم أن رضاه بزوال هذه الدولة عين المنفعة له والمصلحة ، فانها لاتلبث بقسمة هذه البلاد الاريثما تتفق على توزيع الحصص ، وليت شعري ماهي المنفعة التي تنالها مصر من هذا التقسيم ، وما وجه الرجاء في بقاء غرفة واحدة من غرف دار قلعت من أساسها ، وخرت سقوفها على أهلها، وأتاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم، وعن أيمانهم وشمائلهم،

قال المنتقد : أما ينبغي ان نخاف أن تشدد أوربة وطأتها على المسلمين ، اذا هم أظهروا العطف على الدولة بباعث الدين ؟ قلت انني لا أرى هذا الخوف في محله ولو فعلت أوربة ذلك لكان أنفع للمسلمين، فانه لاشيء يربي الامم ويجمع كلمها مثل الضغط عليها في وقت تهييج شعورها ، ومصادرتها فيما يتعلق باعتقادها ، على أن كل بلاء يمكن أن يحل بالمسلمين في مثل هذه الحال يجب أن يحتمل في سبيل الدفاع

عن كيان الدولة كما فهمت من جوابي السابق . — الخوف من الذل مجلبة للذل ، وانما السلامة في الشجاعة لافي الجبن، ولكن

يرى الجبناء ان الجبن حزم * وتلك خديعة الطبع اللئيم

وأقول الآن ان ماجرينا عليه ، ووجهنا النفوس اليه ، من كون عدوان ايطالية يعد طرقا لباب المسألة الشرقية، قد ذكر بعد ذلك في كثير من الصحف الشرقية والغربية . وان ما ارتأيناه من تحريك شعور المسلمين لاتقاء الخطر به قد وافقنا فيه العارفون بالسياسة من المسلمين المقيمين الآن في عواصم أوربة ومسلمي الهند وتونس وغيرهم، وأشهر هؤلاء القاضي أمير علي الشهير. وكان من مسلمي الهند ورأس الرجاء الصالح ان عقدوا الاجتماعات الكثيرة لاظهار استيائهم وتألمهم لحكومتهم ومطالبتها بالسعي الى منع هذه الحرب الجائرة ومساعدة الدولة العلية

وكان من تأثير ذلك ان انكلترة لم تضغط على مسلمي مصر ، وفرنسة لم تضغط على مسلمي تونس والجزائر ، ولم تمنعهم هذه ولا تلك من جمع الاعانات لاخوانهم مسلمي طرابلس حتى ان جرائد ايطالية قد رفعت عقيرتها بالشكوى من هاتين الدولتين وطالبتهما بالتشدد في منع انجاد طرابلس وبنغازي من تونس ومصر (١

بل كان من تأثير ذلك ماهو أعظم مما ذكرنا وهو ظهور مبادىء الاتفاق بين دولتنا وانكلترة بارسال سلطاننا أكبر أنجاله ضياء الدين أفندي لتحية ملك وملكة الانكليز في سفينتهما التي تحملهما الى الهند عند وصولهما الى ثغر بورسعيد ذاهبين الى الهند بقصد الاحتفال في عاصمتها القديمة دهلي بنصب الملك امبراطورا على الهند . وكان لقاء وفد نجل سلطاننا لملك الانكليز مع أميرنا خديو مصر بالغا منتهى الوداد اللائق بالزائر والمزور ، وجواب الملك عن كتاب السلطان ، وخطبته في مقابلة خطبة نجله ، واهداؤه الوسام الخاص بأسرة الملك الى هذا النجل السعيد بعد الزيارة — كل ذلك قد بشرنا بقرب تحقق ما أشرنا به من استمالة دول الاتفاق الثلاثي الينا وفي مقدمتهم انكلترة (٢ وهذا ماصرحنا به في أوائل هذه المقالات منذ شهرين كاملين

وجملة القول انا رأينا العدوان من ايطالية إحدي دعائم التحالف الثلاثي ، ورأينا

(١) بعد كتابة هذه المقالة شددت الحكومة المصرية بايعاز الانكليز في المحافظة على حدود مصر من الشرق والغرب، لئلا يتسرب شيء الى بنغازي مما يسمونه مهربات الحرب، حتى ضايقت التجار والمسافرين، ثم انها عادت الى اللين ، (٢) لما يتحقق ذلك ولن يتحقق مادامت جمعية الاتحاد تتصرف بالدولة

دول التواد الثلاثي قد سكتن لها ، ولم يجبن نداءنا وطلبنا المحافظة على القوانين والمعاهدات الدولية ، نصحنا من شدة الالم ان أوربة كلها متفقة علينا ، واستصرخنا الشعور الاسلامي وذكرناه بالخطر على مابقي للاسلام من السلطة ، لنستعين بذلك على استمالة انكلترة ووديدتيها الى مساعدتنا ، ودفع الخطر الاكبر عنا ، ولما قيل لنا ان الدول حصرت الحرب في طرابلس الغرب ورأينا مبادىء الرجاء في انكلترة وغيرها تومض أمامنا ، سكتنا عن الشكوى من أوربة كلها ، ولم نشرح ما كنا عزمنا على شرحه

قال المنتقد انك قد صبغت المسألة الشرقية بصبغة الدين فجعلتها كالحروب الصليبية كما تقول جريدة العلم المتطرفة المغالية وهي مسألة سياسية كان ينبغي أن نستصرخ فيها العثمانيين خاصة ، فاتفاق المعتدلين بتلك مع المتطرفين على صبغ هذه الحرب بصبغة الدين قد أخاف نصارى بلادنا ان يتضمن ذلك التحريض عليهم والايقاع بهم ، فيجب الاقلاع عن تسمية هذه الحرب بالجهاد وجعلها دينية فانها ليست الا سياسية

قلت انني قلما أقرأ جريدة العلم وقلما أراها فانا لا أدري ماهو حكمها في هذه المسئلة وأرى أننا اذا جعلنا حربنا لايطالية دينية فذلك خير لايطالية ولجميع البشر لا لنصارى بلادنا فقط ، وليت ايطالية نفسها تتبع أحكام الاسلام في الجهاد فان القاعدة الاساسية عندنا في ذلك هي قوله تعالى « وَقاتلوا في سَبيلِ اللهِ الذين يقاتلونكم وَلا تعتدُوا إنَّ اللهَ لا يحبُّ المعتدين » فلا يجوز لنا أن نقاتل غير المعتدي علينا . والمعتدي هو المحارب لا جميع أهل جنسه فلا يجوز لنا أن نقاتل من الايطاليين أنفسهم من لايقاتلون كالرهبان والنساء والشيوخ والولدان . وايطالية لاتبقي على أحد من هؤلاء ولا تذر إلا من تعجز عن الوصول اليه ، وأما الحرب الدينية والجهاد الذي معناه أن يقاتل انسان كل من يخالفه في الدين وان كان ذمياً أو معاهداً أو مستأمناً فهذا معنى بثته أوربة في الشرق بحروبها الصليبية ولم يقل أحد من المسلمين به ، ولو تجردنا من أحكام الدين لاستبحنا في هذه الحرب كل ما نقدر عليه من ايذاء خصمنا والاسلام لايبيح لنا كل ذلك

قال المنتقد ان النصارى لا يفهمون الجهاد الديني في الاسلام بمعناه الشرعي الذي تعنيه بل يفهمون عنه ما هو مشهور عندهم وكثير من عوام المسلمين يفهمون منه مثل فهمهم فيجب أن لا يذكر الدين والاسلام في الكلام عن هذه الحرب لاجل ذلك

قلت انني قد بينت حكم الاسلام وانه لا يجيز لنا أن نقاتل في هذه الحرب غير العسكر الايطالي وسأزيد ذلك بيانا في مقالة خاصة (وكان هذا قبل كتابة مقالة « الجهاد في الاسلام » في الشهر الماضي) ومهما قال المسلم منا فهو لا يمكن أن يرضي بعض المتعصبين منهم ، الذين يحسبون كل صيحة عليهم ، أو يدّعون ذلك لتحريض أوربة علينا كصاحب جريدة (الاخبار) ، ولو شئت لنقلت من كلام نصارى الشرق والغرب ما صرحوا به من كون المسألة الشرقية مسألة دينية كقول أمين شميل (شقيق صديقنا الدكتور شميل) في كتابه الوافي ان هذه المسألة ولدت بولادة نبي الاسلام ، وترعرعت من ابتداء ترعرع ملك خلفائه الى الآن . وعندي نقول كثيرة عن الاوربيين في ذلك لا أحب الآن أن أنشرها ، ونسأل الله أن يكفينا شرها

لا يسع أحداً أن ينكر ان المراد من هذه المسألة أن لا يبقى للمسلمين ملك على وجه الارض ، فاذا فرضنا ان هذا لا يضر الاسلام في عباداته ، فهل يقول عاقل مسلم أو غير مسلم انه لا يبطل سلطته وأحكامه القضائية والسياسية ؟ كلا ان هذا هو الذي نعنيه بكون المسألة الشرقية عداوة للاسلام وأهله ، فحسب أوربة ما سلبت من ملكه ، ونقصت من أرضه ، ولتترك لنا هذه البقية القليلة ، فان أبت الا الاعتداء عليها ، وجب أن نبين لها اننا عارفون مستيقظون ، وان لا تلومنا هي على ما نفعل للمحافظة على هذا الذماء ، فهل يصح أن نلوم نحن أنفسنا ، ونتخاذل في المحافظة على رمقنا ؟

ولا يمنعنا السعي لذلك أن نستصرخ سائر الشعوب الشرقية ونتعاون معها سرا أو جهراً على هذا الدفاع الشريف ، فكلما اعتدي على قطر اسلامي نحرك شعور المسلمين باسم الاسلام ، ونحرك شعور غيرهم من الشرقيين باسم الشرق ، ونحب أن تكفينا أوربة مؤنة ذلك بمنع بعضها بعضا عن الاجهاز على الدولة العثمانية والدولة الايرانية ، واطلاق حرية الدين والعلم والاجتماع في البلاد الاسلامية التي أدخلتها في حمايتها كمراكش وتونس وزنجبار وفي البلاد التي ضمتها الى مستعمراتها كالجزائر وجاوه

اننا الآن بين الخوف من أوربة والرجاء فيها ، والرجاء في انكلترة أقوى كما بينت ذلك في المقالات السابقة ، ومن أسباب قوة الرجاء فيها ما ظهر من التوادبين المسلمين والوثنيين في الهند منذ ظهر عدوان ايطالية بعد اشتداد العداوة بينهم في السنين الاخيرة لمخالفة المسلمين الهندوس فيما يقاومون به الحكومة الانكليزية وانني أورد في هذا المقام جملة من كتاب خاص كتبه الي سائح من حيدراباد الدكن بعد ما ساح في كثير من تلك الممالك . قال :

« أفيدكم ان الهند كلها بقضها وقضيضها، مسلميها على اختلاف نحلهم ، وكفارها على تشعب مللهم ، لا أستثني غير الاوربيين وميتي الشعور من همج الهمج واشباههم، قد تغيظوا وتحمسوا أشد الغيظ والتحمس لما صار من ايطالية في الترك ، وقد عقدت المؤتمرات العديدة وأرسلت الاحتجاجات ولا حديث للقوم الا في هذه المسألة، وهم لا يفهمون منها الا أنها عداء من أوربة لآسية، وظلم من القوي للضعيف ، ودرس في التعصب يجب على الشرقي حفظه في سويداء قلبه ، لاخلاف في ذلك بين مسلم وبين برهمي أو مجوسي أو وثني ، حتى لقد أنسى القوم ما بينهم من الاحن والحزازات

« وتتجلى هذه المظاهر بأتم وضوح في البلاد التي تحكمها الانكليز مباشرة ، وهي أقل ظهوراً فيما تحكمه مهراجات الهندوس، وهي أقل في الممالك المحكومة بأمراء (نواب) مسلمين ، ولعل السبب في هذا هو خوف هؤلاء من غول التعصب الذي يقذفهم به الاجانب عند كل صغيرة وكبيرة »

« ولو كان المنار صحيفة أخبارية لاطلت النفس وشرحت له الاخبار. ثم ان ماصار وظهر في جميع أقطار الهند من هذه الحركة المباركة لما أفزع رجال الانكليز وحسبوا له ألف حساب ، واذا لم ترضهم الانكليز بأفعالها — لان دور الارضاء بالاقوال قد ذهب — لتندمن حيث لاينفع الندم ، وستكون بعملها إذ ذاك جامعة لكفار الهند ومسلميها ، وفي ذلك من الضرر عليها ما تعرفه هي أكثر من غيرها ولا يرضاه لها محبوها ومحبو الانسانية ، سيما مع قرب موعد الدربار (الاحتفال بالباس الملك تاج امبراطورية الهند، وفي العبارة مايدل على ميل الكاتب الى انكلترة)

نعم ان رجال ساستها يزعمون أن اتفاق المسلمين مع الهندوس مضر بالمسلمين لانهم الآن نحو مائة مليون نفس فقط (أي بحسب احصاء هذا العام الذي لما يعلن رسميا) مع ان الهندوس أكثر من ضعفيهم ، ولكن هل درى ساداتنا الساسة ان المسلمين قد حكموا الهندوس في وقت لم يكونوا فيه الا نحو خمسة في المائة ؟ ثم زاد الآن عدد المسلمين مع مغلوبيتهم كما تضاعف عددهم بالصين كذلك ، فلهذا لايعلق المسلمون كبير أهمية على نحو هذا ، وانهم لكما كانوا شجاعة وشدة ، وأكثر مما كانوا علما وحبا للاسلام واستماتة في نصره « وما راءٍ كمن سمع »

« ان أهل الهند لم يروا من آثار الترك سوى الطرابيش المجلوبة من النمسا ولو كان للترك في الهند مدارس عالية كما لأكثر الدول في سائر القارات لكان نفوذ الدولة هناك مما ترجف له أعصاب أعدائها، واني أنصح للدولة بأن لا تبقي جهدا

في فتح مدارس دينية عامية في جميع الاقطار التي خضعت لنير الاجنبي وبها مسلمون وان ضعفت ماليتها وكلفها هذا الاقتراح ما كلفها ، فلا بد دون الشهد من ابر النحل » اهـ

هذا ما كتبه الينا السائح الذكي الذي نعلم من سياسته الميل الى اتفاق مسلمي الهند مع حكومتهم دون الاتفاق مع أهل وطنهم عليها ، ولكنه مسلم قبل كل شيء ولو كره المتفرنجون المفتونون بالجنسية ، أما اقتراحه على الدولة فما هو بالذي يسمع ولا الدولة بقادرة عليه لا لقلة المال ، بل لعدم الرجال ، وأقرب منه أن تنشئ الدولة هذه المدارس العالية في الحرمين الشريفين أو تسمح للقادرين على انشائها من المسلمين بذلك من أموالهم ، ويكون لها الغنم ، وعليهم الجهد والغرم

(النتيجة العامة) ان مقالاتنا في المسألة الشرقية لم نقصد بها الا ماذكرنا من دفع الخطر عن دولتنا وأمتنا ، وقد دعونا فيها غير المسلمين من أهل مملكتنا لمشاركتنا في هذا الدفاع عن الدولة من حيث الجامعة العثمانية ، كما دعونا فيها المسلمين الى مشاركتنا من حيث الجامعة الاسلامية ، والشرقيين الى مساعدتنا من حيث الجامعة الشرقية ، وان غير المسلمين من العثمانيين لم يكونوا أشد غيرة وحدباً علينا من وثني الهند ، ومع هذا كله لاندعو الا الى تقوية الرابطة بهم ، وحفظ الحقوق الوطنية بيننا وبينهم ، ونحن مع من يساعدنا من الاوربيين ، ولا ينكر علينا أحد اننا نشكر للمحسن احسانه ، ونعرف لصاحب الجميل جميله ولا نكفره ، بدليل تودّدنا الى انكلترة مع جفوتها لنا زمنا طويلا ، ونحمل ذنب هذه الجفوة على سلطاننا السابق بتودده الى خصيمتها ألمانية . فهذه هي سياستنا فمن أنكر علينا منها شيئاً فليدله لنجيب عنه بالانصاف وقواعد العقل، والسلام على من اتبع الهدى، ورجح العقل على الهوى

٢٠ ذي الحجة سنة ١٣٢٩

(المنار) بعد أن نشرنا هذه المقالة في المؤيد تذكرنا أن جريدة ممرونة بالتعصب على المسلمين حتى لايطالية في عدوانها وبغيها قد أنكرت علينا كلمتين من تلك المقالات، ولما كنا نتحرى الادب والحق في كلامنا وان لايوجد فيه ما ينكره الخصم وان نظر اليه بعين السخط كتبنا الاستدراك الآتي

استدراك في الانتقاد على مقالات المسألة الشرقية

اني أتحامى بطبعي وسجيتي كل ما تأباه مصلحة الارتباط بيننا وبين أهل الملل التي تشاركنا في وطننا ، وكل مالا يرضاه الذوق والادب في التعبير عن الحقائق التي أعتقدها ، وان من القوم من ينظر في كلام كل كاتب مسلم بعين السخط من وراء نظارة مكبرة ، ولم يصل اليّ من الانتقاد على هذه المقالات الطويلة الا انكار بعض هؤلاء الذين يجعلون الحبة قبة عبارتين اثنتين أذكرهما وأجيب عنهما

إحداهما نقلي لقول الفقهاء الذي أتوقع أن يلغه شيوخ السنوسية للناس حيث الحرب تشتعل نيرانها ، وهو ان الكفار اذا دخلوا دار الاسلام فاتحين وجب على كل مسلم فيها مدافعتهم . قال الساخط انني عبرت عن الايطاليين بالكفار وهم أهل كتاب وعد هذا اهانة لجميع المشاركين لهم في دينهم

وانني أجيب عن هذا بانني نشرت في الاعداد الاولى من السنة الاولى للمنار نبذا متسلسلة في بيان اصطلاحات كتاب العصر بينت في الاولى منها وهي في العدد الاول ان لفظ الكفر قد أطلق في الشرع على مايقابل الايمان والاسلام ولم يرد بهذا الاطلاق الاهانة ولا السب والشتم لان اللفظ لايدل في اللغة على شيء قبيح ولا معيب فان معناه العامّ هو الستر والتغطية ولذلك سمي الليل كافراً والبحر كافراً ، واطلق في القرآن الكريم لفظ الكفار على الزراع لانهم يكفرون الحب بالتراب أي يسترونه ، وذلك قوله تعالى « كمثل غيث أعجب الكفار نباته » ثم بينت بعد ذلك ان هذا اللفظ صار في عرف أهل هذا العصر مرادفاً للالحاد والتعطيل وصار يعد من ألفاظ السب والاهانة ، وافتيت بحرمة اطلاقه في التخاطب على من حرم الاسلام إيذاءهم كالذميين والمعاهدين ، ونقلت مثل هذا الافتاء عن بعض الفقهاء . ولكن هذا لايمنعنا من ذكر الاصطلاحات الشرعية في كتبها وعند البحث فيها كما هي ، ومن هذا الباب العبارة الفقهية التي انتقدها الساخط هنا ، على أن الحربيين كالايطاليين لايجب علينا مجاملتهم في الخطاب والتعبير عنهم ولا نجتنب إيذاءهم كما يجب مثل هذا في خطاب الذميين والمعاهدين

يشبه هذا الانتقاد ان كان عن جهل بالاصطلاح ما رأيته في بعض جرائد السوريين في أمريكة من انكار ذكر الجرائد التركية لفظ الملة والامور الملية ظناً من المنتقد

أنهم يعنون بالملة الدين وانما يعنون به الامة ، وما رأيته في بعضها من استنكار عزل شيخ الاسلام لبعض النواب ظنا من الكاتب ان المراد بهم المبعوثون

والعبارة الثانية هي ذكر البغايا مع الخمارين والمقامرين والتجار والقسوس ووكلاء الدول في سياق ما أصابنا من ضرر هذه الاصناف في أموالنا وآدابنا وسياستنا وديننا . وانني ترويت في كتابة تلك العبارة خشية أن يكون فيها سوء أدب ، وبعد التروي رأيت مثل هذا في أبلغ الكلام وأنزهه ، رأيت ذكر اسم الجلالة الكريم ، في الآيات التي فيها ذكر الشيطان اللعين ، وذكر الطيبين والطيبات ، مع الخبيثين والخبيثات ، معطوفا بعضهم على بعض ، وقال الشاعر

ثلاثة تشقى بها الدار العرس والمأتم والزار

فذكر أولئك الاصناف من قبيل الاشياء المذكورة في البيت ، أي ان كل صنف منها آذانا نوعاً من الايذاء وان كان لكل منها مقاما في نفسه ليس للآخر ، كما ان العرس ضد المأتم ، وانما ذكرا معاً لان في كل منهما ضرراً ماليًا لما اعتيد فيهما من الاسراف ، وفي الزار أيضاً ضرر مالي وهو مع ذلك معيب مذموم عند أهل الدين والعقل . فهل يقول أحد ان الشاعر جعل هذه الثلاثة في مرتبة واحدة من كل وجه ؟؟

كلا ان الذي انتقد تلك العبارة وعابها هو معروف بسوء القصد وتتبع العثرات واستقراء الزلات في أقوال المسلمين المشهورين وأفعالهم ، وهو معهم من الذين قال فيهم الشاعر

ان يسمعوا الخير أخفوه وان سمعوا شراً أذاعوا وان لم يسمعوا كذبوا

فهو لما لم يجد في مقالات المسألة الشرقية كلمة يستدل بها على مايرمي به كل كاتب مسلم يغار على ملته من التعصب وتحقير النصارى والاغراء بهم زعم انني أهنتهم باهانة إيطالية لانني قلت ان السنوسية سيقولون للناس ان دفاع الكفار وصدهم عن المسلمين اذا دخلوا بلادهم مقاتلين فرض عين ، ولانني ذكرت وكلاء الدول والقسوس في سياق ذكرت فيه أصحاب الحانات والقمار ! ! ولو لم يخدع بكلامه بعض القوم ويشر اليه بعض دعاة النصرانية في مقالة له رماني فيها بالخروج عن الادب معهم في بعض العبارات ، لما كتبت هذه الكلمات في بيان ان تلك العبارة ليس فيها شيء من سوء الادب لأن مثلها معهود في افصح الكلام العربي وأنزهه . وهب ان فيها شيئا من ذلك فانا بريء من القصد اليه وتعمده لانني اكرم نفسي وأربأ بها ان تأتي ذلك

نقد تاريخ التمدن الاسلامي

﴿ بقلم الشيخ شبلي النعماني ﴾

(تمهيد للمنار)

تاريخ التمدن الاسلامي لجرجي أفندي زيدان صاحب الهلال مشهور، وقد سبق لنا تقريظه في المنار ونقد بعض مباحثه ، وذكرنا اننا كنا نود لو نجد سعة من الوقت لمطالعته كله ونقده نقداً تفصيلياً . ولما عرضه مؤلفه على نظارة المعارف المصرية وطلب منها ان تقرره للتدريس في مدارسها عهدت النظارة الى بعض أساتذتها بمطالعته وابداء رأيهم فيه، فلما طالعوه بينوا للنظارة ان فيه غلطا كثيرا وأنه غير جدير بأن يعتمد عليه في التدريس ولا المطالعة ، فلأجل هذا لم تقرره النظارة . وكنت انتقدت الاساتذة الذين طالعوا الكتاب وانتقدوه انهم لم يكتبوا ماراوه فيه من الغلط ويبينوه للناس وللمصنف أيضاً لعله يرجع الى الصواب اذا ظهر له ، فانه يدعو الكتاب دائما الى نقد كتبه

نعم ان بعض من قرأه قد انتقده بمقالات نشرت في جريدة المؤيد واجاب المصنف عن بعض ما انتقد عليه واعترف ببعض ، وقد ذكرت هذا في المنار ،

ويرى بعض الناقدين لهذا التاريخ قولا وكتابة أن مؤلفه يتعمد التحامل على العرب وعلى الاسلام نفسه ، وكنت اذا سمعت ذلك منهم أعارضهم وأرجح انه غير متعمد، وان السبب في اكثر ما أخطأ به هو عدم فهم بعض المسائل كتفسيره لمسألة القول بخلق الفاظ القرآن بان القرآن غير منزل من عند الله وتخطأه فيما ذكره عن ثروة المسلمين في عصر النبي (ص) وذلك مما انتقدناه عليه في المنار — وإما جعل بعض الوقائع الجزئية قواعد كلية عامة ، وهذا معهود في جميع مؤلفاته ، ولكن ظهر لنا مما كتبه بعد ذلك ومن بعض حديثه معنا ومع غيرنا من أصحابه انه يكاد يكون من الشعوبية الذين يتحاملون على العرب ويفضلون العجم عليهم وكان هذا سبب ترجمة هذا الكتاب بالتركية

وقد انبرى في هذه الأيام الشيخ شبلي النعماني العلامة المصلح الشهير مؤسس جمعية ندوة العلماء في الهند ومحرر مجلتها الى الرد على هذا التاريخ ، وكتب الينا انه يريد ان يرسل الينا ما يكتبه ويطبعه من هذا الرد بالتدريج لننشره في المنار، كما طبع

منه شيئا في (لكنؤ) أرسله الى ان يتم ، ولما كان الانتقاد من مثل هذا العالم المؤرخ هو ضالتنا وضالة صديقنا وصديقه المؤلف، بادرنا الى نشره معتذرين عما في أوله من شدة الحكم ، ووددنا لو لم يصرح به وان اثبته ، ولولا انه طبعه لحذفناه منه . قال :

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسوله محمد وآله وصحبه أجمعين ،

ان الدهر دار العجائب . ومن احدى عجائبه ان رجلا من رجال العصر(١) يؤلف في تاريخ تمدن الاسلام كتابا يرتكب فيه تحريف الكلم وتمويه الباطل ، وقلب الحكاية ، والخيانة في النقل ، وتعمد الكذب، مايفوق الحد، ويتجاوز النهاية ، وينتشر هذا الكتاب في مصر وهي غرة البلاد، وقبة الاسلام، ومغرس العلوم، ثم يزداد انتشاراً في العرب والعجم ، ومع هذا كله لا يتفطن أحد لدسائسه (٢) ان هذا لشيء عجاب

لم يكن المرء ليجترىء على مثل هذه الفظيعة في مبتدأ الامر ولكن تدرج الى ذلك شيئاً فشيئاً، فانه أصدر الجزء الثاني من الكتاب وذكر فيه مثالب العرب دسيسة يتطلع بها على احساس الامة وعواطفها، ولما لم يتنبه لذلك أحد ، ولم ينبض لاحد عرق، ووجد الجو صافياً ، أرخى العنان، وتمادى في الغي، وأسرف في النكاية ، في العرب عموما وخلفاء بني أمية خصوصاً

وكان يمنعني عن النهوض الى كشف دسائسه اشتغالي بامر ندوة العلماء . ولكن لما عم البلاء ، واتسع الخرق، وتفاقم الشر، لم أطق الصبر، فاختلست من أوقاتي أياماً وتصديت للكشف عن عوار هذا التأليف والابانة عما فيه من أنواع الافك والزور وأصناف التحريف والتدليس

(معذرة الى المؤلف)

اني أيها الفاضل المؤلف غير جاحد لمنتك فانك قد نوهت باسمي في تأليفك هذا وجعلتني موضع الثقة منك، واستشهدت باقوالي ونصوصي، ووصفتني بكوني من أشهر علماء الهند، مع اني أقلهم بضاعة ، وأقصرهم باعاً، وأخملهم ذكراً ، ولكن مع كل ذلك هل كنت أرضى أن تمدحني وتهجو العرب، فتجعلهم غرضاً لسهامك، ودرية لرمحك،

(١) هو جرجي زيدان صاحب مجلة الهلال اه من خط المؤلف في هامش الاصل
(٢) المنار : تدعلم من التمهيد ان كثيرين قد فطنوا لما في الكتاب من الخطأ وبعضهم انتقدوه

ترميهم بكل معيبة وشين، وتعزو اليهم كل دنية وشر، حتى تقطعهم اربا اربا، وتمزقهم كل ممزق، وهل كنت أرضى بأن تجعل بني أمية لكونهم عربا بحتاً من أشر خلق الله وأسوئهم، يفتكون بالناس، ويسومونهم سوء العذاب، ويهلكون الحرث والنسل، ويقتلون الذرية وينهبون الاموال، وينتهكون الحرمات، ويهدمون الكعبة ويستخفون بالقرآن

وهل كنت أرضى بأن تنسب حريق الخزانة الاسكندرية الى عمر بن الخطاب، الذي قامت(١) بعدله الارض والسماء، وهل كنت أرضى بأن تمدح بني العباس فتعد من مفاخرهم أنهم نزّلوا العرب منزلة الكلب، حتى ضرب بذلك المثل، وان المنصور بنى القبة الخضراء ارغاماً للكعبة، وقطع الميرة عن الحرمين استهانة بهما، وان المأمون كان ينكر نزول القرآن، وان المعتصم بالله أنشأ كعبة في (سامرا) وجعل جولها مطافا واتخذ منى وعرفات

وهب اني عدمت الغيرة على الملة والدين، وافتخرت كصنيع بعض الاجانب بأني فلسفي بحت عادم لكل عاطفة ووجدان، فلا أرضى ولا أغضب ولا أسر ولا أغتاظ ولا أفرح ولا أتألم، وهب أني حملت نفسي على احتمال الضيم، وقبول المكروه، والصمم عن البذاء، ومجازاة السيئة بالحسنة، ومكافأة الخبيث بالطيب، فهل كنت أرضى بأن تشوه وجه التاريخ، وتدمغ الحق، وتروج الكذب، وتفسد الرواية، وتقلب الحقيقة، وتلفق التهم، وتعود الناس بالخرافة، بئس ما زعمت أيها الفاضل، فان في الناس بقايا وان الحق لا يعدم أنصارا

ان الغاية التي توخاها المؤلف ليست الا تحقير الامة العربية وابداء مساويها ولكن لما كان يخاف ثورة الفتنة غير مجرى القول، ولبس الباطل بالحق. بيان ذلك انه جعل لعصر الاسلام ثلاثة أدوار : دور الخلفاء الراشدين، ودور بني أمية، ودور بني العباس، فمدح الدور الاول وكذلك الثالث (ظاهراً لا باطناً كما سيجيء) ولما غر الناس بمدحه الخلفاء الراشدين، وهم سادتنا وقدوتنا في الدين، وبمدحه لبني العباس وهم أبناء عم النبي صلى الله عليه وسلم، وبهم فخارنا في بث التمدن وأبهة الملك، ورأى ان بني أمية ليست لهم وجهة دينية فلا ناصر لهم، ولا مدافع عنهم، تفرغ لهم، وحمل عليهم حملة شعواء، فما ترك سيئة الا وعزاها اليهم، وما خلى حسنة الا وابتزها منهم، ثم لو كان هذا لاجل انهم من آل مروان أو لكونهم من سلالة أمية لكنا في غنى عن

(١) لعل الاصل شهدت بدل قامت

الذب عنهم، والحماية لهم، ولكن كل ذنبهم انهم العرب على صرافتهم ما شابتهم العجمة مطلقاً كما قال :

« وتمتاز (أي دولة بني أمية) عن الدولة العباسية بأنها عربية بحتة » (الجزء الثاني من تمدن الاسلام)

« وجملة القول ان الدولة الاموية دولة عربية أساسها طلب السلطة والتغلب » (الجزء الرابع صفحة ١٠٣)

(عصبية العرب على العجم)

أطال المؤلف وأطنب في اثبات هذه الدعوى فذكر طرفا منه في الجزء الثاني مدسوساً (انظر صفحة ١٨) ثم جعل له عنواناً خاصاً في الجزء الرابع (٥٨) وهذه نصوصه :

« فان العرب كانوا يعاملونهم معاملة العبيد، واذا صلوا خلفهم في المسجد حسبوا ذلك تواضعاً لله »

« وكانوا يحرمون الموالي من الكنى ولا يدعونهم الا بالاسماء والالقاب ولا يمشون في الصف معهم »

« وكانوا يقولون لا يقطع الصلاة الا ثلاثة حمار أو كلب أو مولى »

« فكان العربي يعد نفسه سيدا على غير العربي ويرى انه خلق للسيادة وذاك للخدمة »

« فتوهم العرب فى أنفسهم الفضل على سائر الامم حتى في أبدانهم وامزجتهم فكانوا يعتقدون أنه لا تحمل في سن الستين الا قرشية، وان الفالج لا يصيب أبدانهم »

« ومنعوا غير العرب من المناصب الدينية المهمة كالقضاء فقالوا لا يصلح للقضاء الا عربي وحرموا منصب الخلافة على ابن الامة ولو كان أبوه قرشياً

« ولا يزوجون الاعجمي عربية ولو كان أميراً وكانت هي من أحقر القبائل »

« وكان الامويون في أيام معاوية يعدون الموالي أتباعاً وأرقاء وتكاثروا فأدرك معاوية الخطار من تكاثرهم على دولة العرب فهم أن يأمر بقتلهم كلهم أو بعضهم »

* *

اعلم ان للمؤلف فى انفاق باطله اطواراً شتى

فمنها تعمد الكذب كما سترى، ومنها تعميمه لواقعة جزئية، ومنها الخيانة في النقل وتحريف الكلم عن مواضعه »

ومنها الاستشهاد بمصادر غير موثوقة مثل كتب المحاضرات والفكاهات . وهاك امثلة من كل نوع منها قال : « اذا صلوا خلفهم في المسجد حسبوا ذلك تواضعاً لله وكانوا يحرمون الموالى من الكنى الخ . وكانوا يقولون لايقطع الصلاة الاثلاثة الخ »

غير خاف على من له المام بتاريخ الفرس والعرب ان الفرس كانت قبل الاسلام تحتقر العرب وتزدريهم ولما ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابه الى كسرى العجم اشمأز وقال عبدي يكتب الي!! وكتب يزدجرد الى سعد ابن ابي وقاص فاتح القادسية ان العرب مع شرب البان الابل واكل الضب بلغ بهم الحال الى ان تمنوا دولة العجم فأف لك ايها الدهر الدائر . وكانت ملوك الحيرة تحت امرة ملوك العجم .

ثم لما شرف الله العرب بالاسلام انتصفت العرب من العجم واستنكفوا من سيادتهم عليهم ، وجاءت الشريعة الاسلامية ماحية لكل فخر ونخوة فقال رسول الله في خطبته الاخيرة في حجة الوداع ، ان لافضل للعربي على العجمي ولا للعجمي على العربي كلكم ابناء آدم »

وحينئذ ارتفع التمايز وتساوى الناس ولكن مع ذلك بقيت في بعض الناس من كلا الطرفين حزازات كامنة في صدورهم كانت سبباً لحدوث حزبين متقابلين يسمى احدهما الشعوبية وهى التي تحتقر العرب وترميه بكل معية حتى ان ابا عبيدة صنف كتباً عديدة يطعن فيها على انساب كل قبيلة من قبائل العرب ، والثاني المتعصبون للعرب . وقد عقد العلامة ابن عبد ربه في كتابه العقد الفريد باباً في حجج كلا الطرفين واقوالهما . ومعظم ما نقله المؤلف في اثبات عصبية العرب هي اقوال ذكرها صاحب العقد في هذا الباب ، كما لوح به المؤلف في هامش الكتاب ،

واذا تصفحت الكتب يظهر لك ان الاقوال التي نسبها الى العرب عموماً انما هى اقوال شرذمة خاصة موسومة باصحاب العصبية ، وصاحب العقد حينما ذكر هذه الاقوال صدرها بقوله « قال اصحاب العصبية من العرب » وانت تعلم ان هذه العصبة ليست كافة العرب ولا اكثرها ، بل ولا عشر معشارها ، فانك سترى ان هؤلاء اناس شرذمة مغمورون في الناس . ثم ان المؤلف ما اقتنع بذلك بل ربما نسب قول رجل معين معلوم الاسم الى العرب عامة

فقال ناقلا عن كتاب العقد « وكانوا يكرهون ان يصلوا خلف الموالي واذا صلوا خلفهم قالوا انا نفعل ذلك تواضعاً لله » فان صاحب العقد نسب هذا القول الى نافع بن جبير فاخذه المؤلف وجعله قولا عاماً للعرب ، وهذه الصنيعة اعني تعميم

الواقعة الجزئيـة هى اكبر الحيل التي يرتكبها المؤلف لترويج باطله بل هي قطب رحى تأليفه .

قال المؤلف « فادرك معاوية الخطر من تكاثرهم على دولة العرب فهمّ ان يأمر بقتلهم كلهم او بعضهم » (الجزء الرابع صفحة ٥٩) ان نص معاوية الذي نقله المؤلف بعد هذه العبارة هو هذا « كأني انظر الى وثبة منهم على العرب والسلطان فرايت ان اقتل شطراً وادع شطراً » فانت ترى ان الرواية على تقدير صحتها ليس فيها الا ان معاوية راى ان يقتل شطراً منهم . ولكن المؤلف زاد على العبارة وقال ان معاوية هم ان يأمر بقتلهم كلهم .

قال المؤلف فكانوا يعتقدون ان الفالج لايصيب ابدانهم ، (الجزء الرابع صفحة ٦٠) استشهد في هذه الدعوى بطبقات الاطباء كما لوح في هامش الكتاب . وايم الله لو كنت تقف على عبارة الطبقات لوقعت في اشد حيرة من اجتراء المؤلف على قلب الحكاية ، وتغيير الرواية ، ذكر صاحب الطبقات تحت ترجمة عيسى الطبيب (الراجح انه نصراني) ان المهدي ضربه فالج فحضر المتطببون ومنهم عيسى صاحب الترجمة فقال « المهدي بن المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس يضربه فالج ! لا والله لا يضرب احداً من هؤلاء ولا نسلهم فالج ابداً الا ان يبذروا بذورهم في الروميات والصقلبيات وما اشبههن)

قد نقل صاحب الطبقات بعد الحكاية المذكورة عن يوسف الطبيب ان ابراهيم ابن المهدي لما اعتل بعلة شبيهة بالفالج دعا يوسف وقال له ما العلة عندك في عروض هذه العلة لي ؟ (قال يوسف) فعلمت انه كان حفظ عن أمه قول عيسى أبي قريش في المهدي وولده انه لا يعرض لعقبه الفالج الا أن يبذروا بذورهم في الروميات وانه قد أمل أن يكون الذي به فالجا لا عارض الموت . فقلت لا أعرف لانكارك هذه العلة معنى اذ كانت أمك التي قامت عنك دنباوندية و (دنباوند) أشد برداً من كل أرض الروم ، فكأنه تفرج الى قولي وصدقني وأظهر السرور

فأنت ترى ان الظن ببراءتهم من الفالج انما كان مبناه حرّ ارض العرب وليس له أدنى مساس بشرف النسل . ولو كان كما يتبادر الى الذهن من عد اسماء آباء المهدي فهو يختص بعائلة النبي عليه السلام لايفهم منه العموم مطلقاً ، ولذلك لما ذكر لابراهيم (وهو ابن الخليفة المهدي) ان أمه من (دنباوند) وهو أشد برداً من كل أرض الروم ، ذهب عنه استغرابه عروض الفالج له

فانظر كيف كان مجرى الحكاية فغيرها المؤلف وارتكب لذلك خيانات تترى ثم ان هذا قول عيسى الطبيب ولا يدرى انه عربي أم لا وغالب الظن انه نصراني، وهب انه عربي فهو رجل من حاشية الدولة يريد التزلف الى الخليفة والتملق له فهل يكون قوله قول العرب كافة

**

قال المؤلف : ومنعوا غير العرب من المناصب الدينية المهمة كالقضاء فقالوا لا يصلح للقضاء الا عربي ، (الجزء الرابع صفحة ٦٠) واسند هذه الرواية الى ابن خلكان حقيقة هذا القول ان الحجاج لما اسر سعيد بن جبير التابعي المشهور وكان من الموالي قال له ممتناً عليه اما جعلتك اماماً للصلاة في الكوفة ولم يكن في الكوفة الا العرب ، قال ابن جبير نعم ، ثم قال له الحجاج أليس إني لما أردت ان أُوليك قضاء الكوفة ضجّ العرب وقالوا لا يصلح للقضاء الا عربي ؟ وقد ذكر الرواية ابن خلكان بطولها ولا يخفى عليك ان كوفة لم يكن اذ ذاك فيها الا العرب وظاهر ان القضاء لا يصلح له الا من كان عارفا بعوائد الامة مطلعاً على خصائصهم وكيفية تعاملهم فيما بينهم ، وسعيد بن جبير لم يكن من العرب ولو كان استنكاف أهل كوفة من قضائه لاجل كونه من الموالي لاستنكفوا من امامته للصلاة فان الامامة أعظم شرفا وارفع محلا من القضاء . وهذا ابو حنيفة كان من الموالي وأرادوا أن يولوه القضاء في عصر بني أمية فامتنع ولم يرض بذلك وقد ذكر الواقعة ابن خلكان مفصلا ،

قال المؤلف « وحرموا منصب الخلافة على ابن الامة ولو كان قرشياً » نعم ولكن لم يكن هذا للاستهانة به قال الاصمعي كانت بنو أمية لا تبايع لبني أمهات الاولاد فكان الناس يرون ان ذلك للاستهانة بهم ولم يكن لذلك ولكن لما كانوا يرون ان زوال ملكهم على يد ام ولد (١) . أما ما استدل به المؤلف من قول هشام بن عبد الملك لزيد بن علي انك ابن أمة ولذلك لا تصلح للخلافة، فقد رده عليه زيد وقال ان اسماعيل كان ولد الجارية وكان سيد البشر محمد من سلالته . ومن المعلوم ان زيداً وهو ابن الامام زين العابدين أرفع شأناً وأعظم محلا وأطيب أرومة وأصدق قولا من هشام . ثم لو كان هذا الامر حقاً ما كانوا يولون الخلافة يزيد بن الوليد الاموي ومروان الحمار وهما ابنا أمة ،

ولما فرغنا من ابداء شعار من خيانات المؤلف ليكون كالعنوان على دأبه في تأليفاته

(١) انظر الجزء الثاني من العقد الفريد طبع مصر صفحة ٣٣٠

حان لنا ان نحقق أصل المسألة أي ان العجم والموالي هل كانوا أذلاء ساقطين مرذولين يعاملون معاملة العبيد في عصر بني أمية كما يدعيه المؤلف او كانوا بمحل من الشرف والعزة يعترف لهم العرب بالفضل والسؤدد ، ويوفى لهم أوفى قسط وأكمل حق

اعلم ان البلاد التي كانت عواصم الاقاليم وقواعدها في عصر بني أمية هي مكة والمدينة والبصرة والكوفة واليمن ومصر والشام والجزيرة وخراسان وكان لكل هذه الاصقاع امام يقودهم ويسود عليهم وهذه اسماؤهم

مكة المشرفة	عطاء ابن ابي رباح هو استاذ الامام ابي حنيفة
اليمن	طاوس
الشام	مكحول
مصر	يزيد بن ابي حبيب
الجزيرة	ميمون بن مهران
خراسان	ضحاك بن مزاحم
البصرة	الامام الحسن البصري
الكوفة	ابراهيم النخعي

وكل هؤلاء غير ابراهيم النخعي كانوا من الموالي وبعضهم ابناء الإماء ومع كونهم اعجاماً وكونهم اولاد الاماء كانوا سادة الناس وقادتهم تذعن لهم العرب وتحترمهم خلفاء بني امية وولاة الامر ،

فأما (عطاء بن ابي رباح) فمع كونه ابن سندية كان شيخ الحرم واليه المرجع في الفتوى وعليه المعول في المسائل ، قال ابن خلكان في ترجمته قال ابراهيم بن عمرو ابن كيسان اذكرهم في زمان بني أمية يأمرون في الحج صائحاً يصيح (لا يفتي الناس الا عطاء بن ابي رباح) وهل يمكن ان ينادى بمثل ذلك من غير رضى الخلفاء (١)

واما (طاوس) فلما قضى نحبه بمكة ازدحم الناس في جنازته حتى تعذرت الصلاة عليه

(١) المنار : الامر أكبر من ذلك ، كان عطاء يشدد في وعظ عبد الملك والوليد فيقبلان منه وانظر في صفحة ٤٢٢ و ٤٢٣ من مجلد المنار التاسع وعظه لعبد الملك وهو جالس معه على كرسيه وترفعه عن الاخذ منه وقول عبد الملك عند خروجه « هذا وأبيك الشرف » ومخاطبته للوليد باسمه وتشديده في وعظه حتى أغمي عليه

وكان ابراهيم بن هشام اذ ذاك واليا على مكة فاستعان بالشرطة ومشى في جنازته عبد الله ابن الامام حسن عليه السلام واضعاً نعشه على عاتقه وصلى عليه الخليفة هشام بن عبد الملك الاموي . ذكر كل هذا العلامة ابن خلكان في ترجمة طاؤس فهل يكون منزلة اعظم من ذلك ،

واما (مكحول الشامي) فأحد الأئمة المتبوعين وقال الزهري العلماء اربعة فلان فلان وفلان ومكحول

واما (يزيد بن ابي حبيب) فهو الذي ارسله عمر بن عبد العزيز ليفقه الناس في مصر ويفتيهم في المسائل وهو المعلم الاول لهم كما صرح بذلك السيوطي في حسن المحاضرة

واما (ميمون بن مهران) فمع فضيلته وسيادته كان اميراً على الخراج في الجزيرة كما صرح به ابن قتيبة في المعارف

اما (حسن البصري) فحدث عن البحر ولا حرج ، يذعن له الملوك والسادة والقواد وعليه المعول واليه المنتهى (١)

ذكر السخاوي في شرح الفية الحديث للعراقي (طبع لكهنو صفحة ٤٩٨ و ٤٩٩ ان هشاما قال للزهري : من يسود اهـل مكة ؟ قال عطاء ، قال بم سادهم ؟ قال بالديانة والرواية ، قال هشام نعم من كان ذا ديانة حقت الرياسة له . ثم سأل عن يمن قال طاؤس وكذلك سأل عن مصر والجزيرة وخراسان والبصرة والكوفة فأخذ الزهري يعد اسماء سادات هذه البلاد وكلما سمى رجلا كان هشام يسأل هل هو عربي ام مولى ؟ وكان يقول الزهري مولى ، الى ان اتى على النخعي وقال انه عربي . فقال هشام « الآن فرّجت عني والله ليسودن الموالي العرب ويخطب لهم على المنابر والعرب تحتهم »

ان التابعين لهم اعلى محل في تاريخ الاسلام — ورأسهم سعيد بن جبير وهو وهو اسود وقد ولاه حجاج بن يوسف امامة الصلاة في الكوفة كما ذكره ابن خلكان في ترجمته والكوفة اذ ذاك جمجمة العرب وقبة الاسلام وهل يصح بعد ذلك دعوى المؤلف ان العرب كانت تستنكف من الصلاة خلف الموالي

وهذا سليمان الاعمش استاذ الثوري كان عبداً عجمياً وكان بمنزلة من العز

(١) راجع في ٤٢٣ وما بعدها من مجلد المنار التاسع اغلاظ الحسن على الحجاج ، وفي صفحة ٤٩٨ منه نصيحته لوالي بني أمية على العراق

والشرف انه لما كتب اليه الخليفة هشام بن عبد الملك ان يكتب له مناقب عثمان ومساوي علي اخذ كتاب هشام وألقمه عنزاً كان عنده وقال للرسول قل لهشام هذا جواب كتابك (ابن خلكان ترجمة الاعمش)

وهذا حماد الراوية الذي دون المعلقات وله المكانة الكبرى في الادب والشعر كان عبداً اسود وكانت ملوك بني امية تقدمه وتؤثره وتستزيره كما ذكره ابن خلكان

وهذا سالم بن عبدالله بن عمر كان ابن امة ولما دخل الخليفة هشام بن عبدالملك المدينة ارسل اليه يدعوه فاعتذر فدخل عليه هشام ووصله بعشرة آلاف ثم لما حج ورجع كان سالم اذ ذاك مريضاً فذهب لعيادته ولما توفي صلى عليه وقال لا ادري باي الامرين أنا أسر : بحجتي ام بصلاتي على سالم ؟ ولو اخذنا في تعداد امثال هذه الوقائع لطال الكلام ومل الناظرون

ويظهر مما مر عليه ان الموالى كانوا في ايام بني أمية باعلى محل من الشرف والمكانة وكانت العرب تذعن لهم وتقدمهم وتقتدي بهم وترفع شأنهم ، فهل يصح قول المؤلف بعد ذلك ان الموالي وابناء الاماء كانوا في عصر بني امية مرذولين ساقطين يزدرى بهم ولا يقام لهم وزن وكان العرب وبنو أمية يعاملونهم معاملة العبيد ؟

(لها بقيه)

القرابين والضحايا في الاديان

« للدكتور محمد توفيق صدقي »

(الطبيب بسجن طره)

كثر لغط المجلات التبشيرية النصرانية في هذه المسألة مفسرين لها بحسب أهوائهم وأغراضهم زاعمين أن وجود الذبائح والقرابين والضحايا في الاديان عموما وثنية كانت أو إلهية هو رمز لذبيحتهم العظمى وهو صلب المسيح بحسب اعتقادهم عجيب أمر هؤلاء القوم !! فانهم منذ نشأتهم في العالم لما لم يجدوا لهم برهانا عقليا أو نقليا على إثبات دعاويهم وعقائدهم عمدوا الى طريقة هي من الغرابة بمكان عظيم . وذلك أنهم نظروا في كتب من سبقهم من بني اسرائيل وغيرهم فعرفوا

بعض ما فيها من النصوص او الشرائع والقصص وغير ذلك ثم اخترعوا للمسيح صلى الله عليه وسلم (١) ماشاءوا من الحوادث التي قد يكون لبعضها أصل تاريخي صحيح مراعين في ذلك أن يكون هناك شيء من التشابه بين مايدعون وبين ما يوجد من النصوص في كتب المتقدمين ليتخذوا ذلك دليلا على صحة دعواهم أن السابق إشارة أو رمز إلى اللاحق مما يلفقون . ولم نجد لهم دليلا على عقيدة من عقائدهم سوى هذه الطريقة التي ملأوا الدنيا بها صياحا وعويلا مدعين أن كل ماسبقهم من الكتب هو تمهيد أو رمز الى دينهم وأن كل شيء خلق لاجلهم مع أن جميع الامم التي سبقتهم لم يكن يخطر على بال أحدمنها أن ماعندهم من الشرائع رمز لدين آخر

لا يظن القارئ أني أنكر بذلك النبوات والبشائر التي وردت في كتب الانبياء السابقين إخبارا عن الانبياء اللاحقين اذا كانت صريحة في ذلك، ولكن الذي أنكره على النصارى هو أنهم جعلوا كل شيء في أديان من سبقهم حتى من الوثنيين رموزا للمسيح عليه السلام مع أن بعض هذه الرموز المزعومة ربما لا يكون لها أدنى علاقة به ولا بتاريخه عليه السلام وإنما هو التحكم يجعلهم يتوهمون أنها تنطبق عليه ولولا ذلك ماخطر على بال أحد هذا الانطباق البعيد العجيب ، فتراهم مثلا يجعلون خروج بني اسرائيل من ارض مصر إشارة الى حضور المسيح فيها ورجوعه منها الى بلده (راجع متى ٢ : ١٥ وهوشع ١١ : ١) وفي الاناجيل من مثل ذلك كثير. ولله در السيد جمال الدين الافغاني حيث قال مامعناه (ان مؤلفي العهد الجديد قد فصلوا قميصا من العهد العتيق وألبسوه لمسيحهم)

هذه مسألة الضحايا والقرابين في الاديان لها فيها معان وأغراض أخرى ولكن يتحكم النصارى فيها ويدعون أنها رمز الى (صلب المسيح) . ولنبين هنا

(١) حاشية : الاظهر أن لفظ المسيح كما قال صاحب المنار علم على عيسى بن مريم ولذلك قال تعالى (اسمه المسيح عيسى بن مريم) ومعنى المسيح الملك الممسوح لانهم كانوا يمسحون ملوكهم بالزيت عند توليتهم واللفظ اذا اطلق علما على شخص لايجب أن يتحقق مدلوله في هذا الشخص فاذا سميت رجلا (صادقا أو سلطانا) فلا يجب أن يكون صادقا ولا سلطانا فلا عجب اذا سمي عيسى بهذا الاسم وان لم يمسح ملكا وهو أفضل من ملوك الارض وسلاطينها وأكثرهم تابعا

كيف أنه لايوجد أدنى انطباق أو أي علاقة بين هذه المسألة وبين مسألة الصلب فنقول : -

(١) إن الضحايا والقرابين موجودة في جميع الاديان حتى الوثنية منها من قديم الازمان فاذا سلمنا أن مايوجد منها في الاديان الالهية هو اشارة الى المسيح عليه السلام فكيف تفسر وجودها في الاديان الوثنية وهي لاتعرف المسيح ولا دينه؟! سيقولون ان الاديان الوثنية لها أصل صحيح وكانت فيها قديما هذه المسألة رمزا الى المسيح ولما طال الزمان نسي الناس ذلك . ونقول كيف تتفق الامم في جميع الازمنة وفي جميع بقاع الارض على نسيان ذلك وهو كما يزعم النصارى أساس الدين كله ؟

وكيف لا يوجد أدنى أثر في كتبهم أو معتقداتهم على أن الاصل في الذبائح هو الرمز للمسيح وهو أمر لم يخطر على بالهم ؟ وهب أن جميع الامم الوثنية نسيت ذلك فكيف نسيه بنو اسرائيل وأنبياؤهم وهم أقرب الناس الى المسيحيين ؟ وكيف لايوجد في كتب العهد العتيق المسلمة عند النصارى تصريح بهذه المسألة العظمى التي كان يجب أن تذكر صريحا في كل كتاب من كتب الانبياء السابقين ؟ وأن يخبروا أممهم بأن القرابين جميعا والذبائح ليست مقصودة بالذات بل هي اشارة الى ذبيحة كبرى ستأتي بعد ؟!

(٢) اذا سلمنا أن الذبائح كانت اشارة الى هذه الذبيحة الكبرى (صلب المسيح) فماذا يقولون في القرابين الاخرى التي لم تكن من جنس الذبائح وهي كثيرة في الشريعة الموسوية كالمحرقات التي تقدم من اثمار الارض ومن الدقيق والزيت واللبان والفريك وغيرها مما كان يحرق بالنار قربانا للرب ورائحة سروره كتعبير التوراة

(٣) اذا سلم أن الذبائح اشارة الى الصلب فالى أي شيء يشير إحراق نفس الذبائح كلها أو بعضها بالنار؟ فهل أحرق المسيح بها !!

(٤) كيف يكون الذبح اشارة للمسيح عليه السلام مع انه مات صلبا على قولهم لا ذبحا أي انه لم يهرق دمه حتى يموت بنزف الدم بل ظاهر عبارتهم أنهم اكتفوا

بتعليقه على خشبة الصليب بثقب يديه ورجليه فقط ولم يكسروا عظما من عظامه (يوحنا ١٩ : ٣٦) فلذا لم يرد في الاناجيل أنهم ثقبوا عظم صدره بمسمار دق في قلبه كما قد يتوهم بعضهم والا لمات في الحال ولما بقي حيا من الساعة الثالثة الى التاسعة كنص انجيل مرقس ولو كان ثقب يديه ورجليه أحدث نزيفا عظيما لما بقي ست ساعات وهو حي ولما كان هناك وجه لتعجب بيلاطس من موته بسرعة (مرقس ١٥ : ٤٤) فالظاهر على هذا ان الدم الذي سال منه كان قليلا وأنه لم يمت بسبب نزف دمه بل مات بسبب ألم الصلب والجوع والتعب واعاقة التنفس بتعليقه فكان الواجب لكي يتم التشابه بين الرمز والمرموز اليه ان تصلب الحيوانات عند بني اسرائيل وغيرهم حتى تموت مثله أو أن يذبح هو بيد تلاميذه قربانا لله لا أن يموت صلبا بيد أعدائه بدون أن يسفك شيء يذكر من دمه . نعم ورد في انجيل يوحنا (١٩ : ٣٤) أن بعض العساكر طعنه بعد ان مات واسلم الروح بحربة في جنبه فخرج منه دم وماء ولكن هذا شيء والذبح شيء آخر كما لا يخفى ولم يخرج منه دم يذكر قبل مماته كما بينا ولم يكن خروج ما خرج منه من الدم سببا في وفاته . اما خروج الدم والماء منه بعد مماته فهو من الوجهة الطبية عجيب غريب وليس تفسيره بالسهل الجلي (١)

ولنبدأ الآن ببيان الغرض الحقيقي من الضحايا والقرابين في الاديان فنقول :ـ

كان الوثنيون يقدمون هذه القرابين لآلهتهم لاعتقادهم أنهم ينتفعون بها كما كان يعتقد بعض الامم ان الاموات يأكلون ويشربون فيضعون في قبورهم شيئا من ذلك كثيرا . على ان بعض هذه المعبودات الوثنية كان ينتفع فعلا بأكل بعض القرابين كالعجول والثيران وغيرها فانها كانت تأكل مما يقدم لها من الحبوب والنبات ونحوها . وكانت الكهنة وسدنة الهياكل وخدمة الاصنام تنتفع أيضا بهذه القرابين فيرغبون الناس فيها للاكثار منها وكذلك أيضا كان بعضها يستعمل في الهياكل والمعابد لفرشها وإضاءتها وزينتها كما تنفع الآن نذور العامة

(١) المنار : الا يمكن أن يخرج من الميت اذا طعن شيء من رطوبات الجوف اذا نفذت الطعنة اليه ؟ وهذه الرطوبات قد تكون مختلفة اللون والمادة

لاضرحة الاولياء والقديسين فتضاء بها وتفرش ويأخذ منها الخدم ما يلزم لمنازلهم ولكن الاديان الصحيحة لم تأمر بالقرابين لان الاله ينتفع بها ـ حاش لله (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم) وإنما أمرت بها هذه الاديان لفوائد اخرى نأتي هنا على بعضها :ـ

(١) الفقراء عيال الله فمن نفعهم رضي الله عن عمله وكأنه نفعه تعالى لو لم يكن غنيا عن العالم، وكما ان الله تعالى أمر الاغنياء يبذل شيء من مالهم للفقراء سواء كان نقودا او ملبوسا (١) أو حبوبا أو ثمارا أو أي مطعوم آخر أو مشروب كذلك أمر باطعامهم أنواع اللحوم فانها أشهى إلى نفوسهم وأبعدها عنهم. وإنما أوجب الاسلام في كفارة بعض جنايات الحج ذبح الذبيحة قبل اعطائها للفقراء ولم يبح اعطاءها لهم بدون ذبح ليتيسر توزيعها على عدة فقراء بدل اختصاص فقير واحد بها ولينقطع بذلك كل امل للذابح في عودتها اليه واستردادها من الفقير بمال او بدل أو غير ذلك ولينقطع أيضا أمله في الانتفاع بها وهي عند الفقير بركوب او نسل أو لبن أو وبر أو صوف أو غير ذلك فيكون التصدق بها تاما وخالصا لوجه الله تعالى وليضطر الفقير أن يأكل منها هو وولده وأهله فانها إذا أعطيت له حية فانه يبخل بها على نفسه ويحرم اهله وولده من أكلها حبا في ابقائها أو بيعها أو كنز ثمنها فيبقى هو وأهل بيته محرومين من أكل اللحم طول حياتهم وهو من أشهى المأكولات والذها وأكثرها تغذية وأبعدها عن الفقراء وللتوسيع عليه وعلى اهله امرنا بذبحها ولتكثر تربية المواشي والانعام والانتفاع بها وهي أنفع الاشياء للناس خصوصا في الازمنة القديمة ولتتسع أيضا دائرة التجارة فيها فيربح منها التجار الاغنياء منهم والفقراء قال تعالى « لكم فيها منافع الى أجل مسمى ثم محلها الى البيت العتيق »

فان قيل — ولماذا لا يعطى ثمن الذبيحة للفقراء في الحج بدل الذبح ؟ ـ

قلت ذلك لقلة النقود بين العرب وعدم انتشار استعمالها بينهم في ذلك الزمن لذلك كان اكثر تقدير أنواع الزكاة في الاسلام بالاعيان كالغلال وغيرها

(١) اشارة الى قوله تعالى (أو كسوتهم)

لا بالنقود وأيضا فان الفقير إذا أعطى نقودا بدل اللحم كنزها أو أنفقها في شيء آخر واما اللحم فانه يضطر أن يأكله هو واهله ولا يحرمهم منه كما تقدم . ومن أحكام الذبح أيضا أن يذكر الذابح اسم الله تعالى على الذبيحة شاكرا له على نعمه وذاكرا أنه لولا أمره تعالى له بالذبح ما جاز له إزهاق روح هذا الحيوان للتمتع به وبذلك ترتفع قيمة الحياة والارواح في نظر الناس فلا يستهترون بها . قال الله تعالى في الحج « ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في ايام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير » ولذلك حرم أكل الحيوان إذا لم يذكر اسم الله عليه أو ذكر اسم غيره تعظيما لأرواح الحيوانات . وقد جعل الله لكل امة مذبحا يذكرون اسم الله فيه على ما يذبحون (ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على مارزقهم من بهيمة الانعام)

(٢) إن الذبائح والقرابين قد تكون عقوبات أو غرامات لمن يرتكب شيئا من الآثام أو من المنهيات كما قال الله تعالى بعد ذكر عقوبة من قتل الصيد وهو محرم (ليذوق وبال أمره) وهذا الامر يظهر جليا خصوصا في ذبائح بني اسرائيل وقرابينهم التي كانوا يقدمونها كفارة لكثير من الذنوب ويحرقونها بالنار فكأنه كان في الشريعة الموسوية ان من يرتكب بعض الذنوب يعاقب عليها في الدنيا بفقد جزء من ماله كالغرامات الموجودة في سائر القوانين المدنية

(٣) إن الذبائح والضحايا يراد بها أيضا تعويد الناس على الاستعداد لبذل المال والنفس والولد في سبيل الله فهي تذكرنا بأكبر حادثة من حوادث الاسلام لله تعالى والانقياد اليه في كل شيء ولو أدى ذلك الى ضياع النفس أو الولد وهذه الحادثة هي إرادة إبراهيم عليه السلام أن يذبح ولده طوعا لامر الله وامتثالا له وذلك أكبر علامات صدق الايمان . قال تعالى (ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا) ومن اعطى شيئا في سبيل الله فكأنما أعطاه لله تعالى نفسه كما قلنا سابقا (من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة) فالمؤمن الحقيقي أو المسلم لله هو الذي لايبخل بماله ولا بنفسه ولا بولده في سبيل الله

لنفع الناس وهم عياله تعالى

فان قيل لماذا فدى الله تعالى ابن ابراهيم بالكبش ولم يكتف بنهيه له عن ذبحه ؟ قلت ليزيل كل شك في نفس ابراهيم ونفس غيره بأنه انما امتنع عن الذبح لضعف عزيمته فتأول كلام الله أو لم يفهمه على حقيقته فأظهر الله تعالى بهذا الفداء أن ابراهيم لم يمتنع عن الذبح لتأويل ضعيف أو اشتباه بل لنهي الله تعالى له عنه نهيا لاشك فيه ولا يقبل التأويل بظهور هذا الكبش الذي بعثه الله تعالى له ليذبحه بدل ابنه . وفي هذا الفداء أيضا اشارة الى ان الله تعالى يتقبل من عباده المخلصين أعمالهم وان لم تتم ويكافئهم عليها بالجزاء العظيم كأنها أعمال تامة متى خلصت نيتهم وصحت عزيمتهم مهما كان العمل صغيرا أو حقيرا تفضلا منه وكرما . وهناك أيضا فائدة أخرى وهي أن يمثل الناس بعد ابراهيم هذه الحادثة على مر الايام بالضحايا وليذكروها بالعظة والاعتبار تنبيها لهم على وجوب تقديم أنفسهم لله كأبيهم ابراهيم، الذين سماهم لله مسلمين

(٤) إن الناس بسبب مايرتكبون من الذنوب يستحقون الهلاك العاجل والمحو من الوجود (ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ماترك على ظهرها من دابة) فهم يقدمون هذه الذبائح اشارة الى انهم يستحقون أن يقتلوا أنفسهم لكثرة ذنوبهم ومعاصيهم ولولا لطف الله تعالى ورحمته بهم لما تقبل منهم سوى قتل أنفسهم فالذبائح تشير الى الشكر لله والندم على الذنوب والاعتراف باستحقاق عذاب الله ولذلك قال (ولكن يناله التقوى منكم) كما سبق

(٥) ان ابراهيم بعد أن بنى الكعبة بيتا لله دعا الله ان يسوق الناس الى ذريته من اسماعيل الذي أسكنه هناك ، وأن يرزقهم من الثمرات ، وأن يجعل بلدهم آمنا، فأجاب الله تعالى دعاءه و (أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف) وجاب اليهم من كل الثمرات والخيرات وا كثر بينهم من كل شيء حتى أنواع اللحم كله يأكلونه غريضا أو قديدا . ووجد لذلك مذبح المسلمين ومعبدهم وربما كان اختيار ابراهيم بذبح ولده في مكة لافي الشام فكرم نسل اسماعيل كما كرم نسل

اسحاق كوعد التوراة (تكوين ١٧ : ٢٠) وقد جاء في انجيل برنابا ان الذبيح هو اسماعيل (١)

فهذه بعض حكم الذبائح والقرابين في الاسلام وغيره من الاديان وأما قول النصارى أنها رمز الى المسيح فقد أريناك ما فيه ونقول أيضا اذا سلم أن معنى الضحايا والقرابين في الاديان القديمة هو ما يزعمه النصارى الآن - وهذا المعنى لم يكن يخطر على بال تلك الامم القديمة كما هو ظاهر من كتبهم - فما فائدة الذبائح والقرابين إذا بالنسبة لهم وهم لم يفقهوا منها ما يفقهه النصارى الآن؟ ألا تكون لهم لغوًا وعبثا كانوا يفعلونه أزمانا طويلة وخصوصا لانهم لم يخبروا صريحا بالمراد منها ولم يعرف بينهم هذا المعنى الذي يدعيه النصارى اليوم. ولماذا أبطلت الذبائح في الديانة النصرانية ولم تبق فيها تذكارا للصلب والخلاص مع أنها لو بقيت في النصرانية لكانت أفيد واظهر من وجودها في الاديان القديمة من غير أن يفهم المراد منها؟ ولماذا استبدلت الذبائح بالعشاء الرباني في المسيحية؟ وأي مناسبة بين الخبز والخمر، و بين الجسد والدم؟ ولماذا فعل المسيح العشاء الرباني قبل الصلب مع أنه كان الا ليق أن يُفعل بعده ليكون هناك معنى لكونه تذكارًا له؟ وإلا فهل يعمل التذكار للشيء قبل وقوعه مع أن المناسب والمعتاد أن يكون بعده؟

فكأن الذبائح والقرابين كان يجب عملها قبل المسيح حينما كان الناس لا يفهمون أنها رمز أو إشارة الى صلبه ولم يكن غفران الذنوب حينئذ لاجلها في الحقيقة ثم تركت بعد الصلب حينما كان يسهل على الناس فهم أنها للتذكار ففي الوقت الذي لا يكون لها فائدة ما يجب أن تعمل وفي الوقت الذي يكون لها فائدة نترك ونهجر فما حكمة ذلك يا ترى؟

(١) حاشية : في هذه التوراة ان الذبيح كان ابن ابراهيم الوحيد فالظاهر أن تسميته بعد ذلك باسحاق تحريف من اليهود ليفتخروا بأنهم من نسله ولكراهتهم أن يشاركهم غيرهم من الامم في مزية من المزايا أو أن يختص بها وخصوصا بنى اسماعيل والا فان اسحاق لم يكن ابن ابراهيم الوحيد بل كان مسبوقا باسماعيل والاختبار بذبح الابن الوحيد أشق على النفس من ذبح الابن الذي يوجد غيره فلهذا ولغيره نرجح أن اسماعيل هو الذبيح لا اسحاق

على أننا لا نفهم كيف يكون المسيح كفارة لذنب آدم الذي عم بنيه كما يدعون وذلك لانه اذا كان ما ينالنا في هذه الحياة الدنيا من المتاعب والمشاق هو جزاء لنا على ذنب آدم فهذا الجزاء لم يرتفع عنا بعد الصلب. وان كان الجزاء سيحصل لنا في الآخرة على ذنب آدم ففي الآخرة كل نفس (لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت) (ولا تزر وازرة وزر أخرى) والا فأين العدل الالهي الذي يكثرون الكلام فيه؟ فهل من العدل عندهم أن يعاقب الابناء في الآخرة على ما ارتكبه أبوهم؟ وهل من العدل أن يترك المسيئون (وهم آدم و بنوه) و يعاقب المسيح - وهو برئ - على ذنوبهم و بدون رغبته وارادته كما هو ظاهر من عبارات الاناجيل في وصف حالته قبل الصلب وحزنه و اكتئابه وكثرة تضجره وصلواته كقوله لربه (ان امكن فلتعبر عني هذه الكاس) وقوله وهو مصلوب (إلهي إلهي لماذا تركتني) فان كان المسيح باعتبار ناسوته - كما يعبرون - غير راض عن الصلب كما يظهر من هذه العبارات فهل من العدل أن يحمل ذنب غيره و يصلب بسببه رغم ارادته؟ الحق أقول انكم أردتم أن تفروا من تناقض موهوم بين عدل الله ورحمته فوقعتم فيما هو شر منه وهو نسبة الظلم الى الله تعالى في مؤاخذة بني آدم بذنب أبيهم وفي مجازاة المسيح بغير رضاه بدلا عنهم. وأين تضحية الذات في سبيل نفع الناس التي تزعمون أن المسيح علمكم اياها وتطنطنون بها؟ واذا كان المسيح باعتبار ناسوته من نسل آدم لانه مولود من مريم العذراء ومتكون في رحمها من دمها فهو كباقي أولاد آدم واقع في ذنب أبيه فهو أيضا محتاج للكفارة مثلهم واذا يكون غير طاهر ولا معصوم من الذنوب كما تزعمون لانه (ابن الانسان) وناسوته مخلوق من العذراء بمقتضى التولد الجسداني وان كان لم يتلوث بذنب آدم فلم تلوث غيره وكلنا من نسل آدم وكيف اذا يعاقب بغير رضاه من أجلنا وهو برئ من كل ذنب؟ فما بالكم يا قوم تدعون أنكم تعرفون معنى العدل الالهي وحدكم وأنتم في الحقيقة لم تدركوا شيئا من معناه؟!

العدل هو عدم نقص شيء من اجر المحسنين وعدم الزيادة في عقاب المسيء مما يستحق فهو توفية الناس حقهم بلا نقص في الاجر ولا زيادة في العقاب وعدم

المحاباة ومعاملة جميع الناس بالمساواة (١) فلا ينافي ذلك أن يزيد الله تعالى أجر المحسنين تفضلا منه تعالى وكرما ، ولا أن يعفو ويغفر للمسيء رأفة منه ورحمة . ولكن من الجمع بين العدل والعفو أن لا يضيع حقا من حقوق الآخرين الابرضاهم ، وأن لا يخص به فردا دون غيره من عبيده ، بل اذا عفا عن أحد منهم بسبب ما ووجد هذا السبب بعينه عند غيره عامله بالمثل لضرورة المساواة بين العباد في المعاملة والجزاء الاخروي . ومنه أيضا أن لا يساوي بين المحسن والمسيء في الثواب بل لكل درجات فعفوه تعالى عن المسيء يقابل اعطاء المحسن زيادة عما يستحق من الاجر ولكن لكل منهما مقام معلوم في الآخرة فلا ظلم في العفو عن المسيء كما أنه لا ظلم في زيادة أجر المحسنين . فهذا هو معنى العدل والغفران الذين ظنوهما ضدين لا يجتمعان الا بطريقتهم العجيبة الملفقة ودعواهم أن لا غفران الا بصلب البريء (المسيح) وسفك دمه ، فوقعوا بذلك في شر مما فروا منه على أن دم المسيح في الحقيقة لم يسفك كما بينا سابقا

ولا ندري كيف اشترطوا وجوب سفك الدم ، للغفران وغضب الارض به إرضاء لالههم الذي يحب الدم كثيرا كما يزعمون ، وفاتهم أن ما سفك من دم المسيح كان قليلا جدا لا يكفي للموت ولم يكن هو السبب فيه ولذلك لم يذكر في الاناجيل أن دمه فاض على الارض أو خضبها كدم الذبائح التي يزعمون أنها رمز له

وإن كان مجرد الموت يكفي للغفران لجميع الناس يموتون مع شيء من الالم قليلا او كثيرا بحسب الاحوال فلم لا يكفر موت كل شخص عن ذنبه ؟ ومن أين لهم اشتراط هذا الشرط (أي وجوب سفك الدم) للغفران ؟؟ وما هذا التحكم في معنى العدل الالهي وهو ما لم ينطبق على العقل ولا على اللغة . فان كانوا أخذوا هذا الشرط من وجوب الذبائح في الشرائع الالهية السابقة للمسيح فقد بينا لك حكمة الذبح فيها . وكان الواجب عليهم أن يشترطوا أيضا إحراق

(١) العدالة لغة المماثلة والمساواة ومنه قولك هذا الشيء يعدل هذا اي يساويه وانظر النص كذا يستفاد من كتب اللغة وقواميسها ونصوصها

الكفارة بالنار لان القرابين كانت تحرق بها كما هو معلوم من التوراة . اما العدل الالهي الذي ضلوا في بيان معناه فقد بيناه لك هنا بما ينطبق على قواعد اللغة والعقل ويتفق مع ما جاء في الكتاب العزيز.

فكما أن الله تعالى يوصف بكونه عادلا أو حكما عدلا فهو كريم غفور رحيم منتقم جبار شديد العقاب خافض رافع معز مذل قابض باسط أول آخر ولم يقل أحد من العقلاء إن القائل بهذه الصفات قائل بالمناقضات أو الاضداد . وهاك بعض ما جاء في القرآن الشريف في هذا الموضوع وهو الذي يتفق مع العقل الصحيح والحكمة . قال تعالى (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الامثلها وهم لا يظلمون * ولا تكسب كل نفس إلا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى * ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين * وأن ليس للانسان الا ما سعى ، وأن سعيه سوف يرى ، ثم يجزاه الجزاء الاوفى * فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره * قل ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم * واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة (١) ولا هم ينصرون * أم حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون * وخلق الله السموات والارض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون)

الدكتور
محمد توفيق صدقي

---

(١) اما الشفاعة الثابتة في القرآن فهي ضرب من ضروب التكريم لبعض عباد الله الصالحين المقربين بأعمالهم فيأذن لهم فيتكلمون ويدعونه في وقت ترتعد فيه الفرائص وتجف القلوب (ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون) (لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا) فالشفاعة هي تكريم للشافع ولا تنفع في الحقيقة أحدا من المشفوع لهم (فما تنفعهم شفاعة الشافعين) اه من الاصل وهذه الآية نزلت في الكفار

انا لله وانا اليه راجعون

﴿ المصيبة الجلى بشقيقنا الشهيد الحسين آل رضا ﴾

يعزّ عليّ ياحسين ان أسمع لك نعيّا ، وأن أراك مبكيا مرثيا ، يعزّ علي ياحسين أن أكون أنا الذي يعزى عنك ، وأنت أنت الذي كنت اودّ أن تعزى عني ، يعزّ عليّ ياحسين ان لا يمرّ عشر المحرم من هذا العام ، الا وأنت الشهيد الذي يجدد لنا ذكرى جدنا الحسين عليه السلام ، يعز علي ياحسين ان ترثى في المنار ، وقد كنت أرجو أن ترث المنار ، يعز عليّ ياحسين ان تقتضر في ريعان شبابك ، وعنفوان قوتك ، وأول العهد بتحقيق رجائي ورجاء الامة فيك ، فلئن بكيتك فأنت أحق الناس ببكائي ، وأجدرهم ببثي وحزني ، للصفات والمزايا التي اجتمعت فيك ، وما كانت ولن تكون لسواك ، فأنت أخي الشقيق ، وتلميذي النجيب ، وولدي البار ، ليس في أخوتي ولا سائر أهلي من هو أقرب الي منك ، ولم أعن بتربية أحد ولا تعليمه كما عنيت بك ، على ما آتاك الله تعالى من سلامة الفطرة ، وعلو الهمة وذكاء الفطرة ، وشرف النحيزة ، وعزة النفس ، والميل الى معالي الامور ، والعزوف عن سفسافها الا إن مصيبتي فيك أيها الشقيق العزيز لأكبر من مصيبة أمك الرؤم ، ولكنها ليست بأكبر من مصيبة أمتك العقور ، المبتلاة في ولدها بالعقم أو العقوق ، تثكل البارّ منهم قبل أن تجني ثمرة خيره وبره ، ويعمر العاق فتتجرع الحميم والغسلين من عقوقه وشره ، فان بكيتك معهما ، فان مصيبتي بين مصيبتيهما ، وان العين لتدمع ، وإن القلب ليحزن ، وانا على فراقك ياحسين لمحزونون ،

ولو شئت ان أبكي دما لبكيته عليك ولكن ساحة الصبر أوسع

فان كان رزؤك كبيرا فالله اكبر ، وان كان الرجاء فيك عظيما فالرجاء في الله أعظم ، فلله ما اعطى ولله ما أخذ ، انا لله وانا اليه راجعون ، فهنالك الملتقى ان شاء الله تعالى ، فانت في قوة إيمانك ، وسلامة قلبك ، وعظم إخلاصك ، وطهارة شبابك ، وقيامك بالواجبات ، وتنزهك عن الفواحش والمنكرات ، بل ترفعك عن مواقع

الدنايا والهفوات ، وبما رزقك من الشهادة ، وما حباك به من حسن الخاتمة ، جدير بأن تكون في مقعد الصدق ، من حظيرة القدس ، وهذا أعلى ما يعزينا عنك

ان الله جلت حكمته ، ونفذت مشيئته ، قد امتحن قلوبنا بخطبك ، وابتلى إيماننا برزئك ، فأرجو أن أكون من الصابرين على قضائه ، المستحقين لصلواته ورحمته ، الشاكرين له ما أنعم به من صدق الايمان ، وقوة الارادة ، واتباع هدي الكتاب والسنة ، فقد جاءتني الصدمة الاولى وانا بين صحبي ، فملكت بفضله تعالى نفسي ، وحبست مجاري الدمع من عينيّ . وربطت على قلبي وكاد يتصدع بين جنبيّ ، وعقدت جلسة لجنة مدرسة الدعوة والارشاد ، ولم أشعر بمصابي احدا من الاخوان ، وإنما اذكر هذا تحدثا بالنعمة ، ورجاء ان اكون أهلا للاسوة الحسنة ، فاجعل اللهم هذا جهادا في سبيلك ، وسببا لمرضاتك ، وآتنا به ما وعدتنا على رسلك ، وعوضنا خيرا مما أخذت منا فانك على كل شيء قدير

كان هذا المصاب أثرا من شر آثار الفوضى واختلال الاحكام ، وفساد الحكام ، في البلاد السورية ، وغيرها من البلاد العثمانيه ، فقد اشتدت هذه الفوضى في وطننا (لواء طرابلس الشام) في السنة الماضية حتى ترك كثير من الاحداث والشبان الاعمال ، وتدججوا بالاسلحة النارية في عامة اوقاتهم ، وكثر حديثهم في الرجولية باستعمالها ، والفتك بها ، وزالت من نفوسهم هيبة الحكومة ، واعتقدوا ان القصاص قد نسخ منها ، ولم يبق بين الواحد منهم وبين قتل العمد الا غضبة تعرض له ، او استياء من أحد يلم بنفسه ، واتفق ان الفقيد صادف واحدا من هؤلاء النحوت الانذال يؤذي بنتا في الطريق فنهره فاستلّ النذل مديته وهجم بها على فقيدنا وقال له انني أنتظرهنا لاقتلك انت ، فقبض عليه الفقيد وما زال يعالجه حتى اخذ منه المدية ، واراد ان ينصرف ، فاخرج الشقي مسدسه وأطلقه عليه ست مرات وكان في كل مرة يروغ فتخطئه الرصاصة حتى أصابته السادسة فحملها وذهب الى الدار . وعلم بذلك الاصدقاء في طرابلس فبادروا مع طبيب عسكري وطبيب غير عسكري الى الكشف عليه فلم يهتد الاطباء الى الرصاصة وظنوا من غير عمليه جراحية انها غير قاتلة ، وقد كتب الفقيد اليّ والى شقيقنا السيد صالح بطاقة هذا نصها :

سيدي الشقيقين

« إني احمد الله اليكما ان نجاني من مصاب كبير ، وخطر خطير ، وذلك ان الشقي عبد الوهاب الباشا اطلق علي عيارات نارية اصابني واحد منها في إليتي وقد ضمد الجرح الآن، على انه لم يمض عليه اسبوع ولا بد من بقائي في البيت اياما .

وصل كتابك الاخير وسأجيبك عنه ان شاء الله تعالى ، الجميع بخير

٣ المحرم سنة ١٣٣٠ حسين وصفي رضا

فكتبت اليه والى غيره انني لا أطمئن ولا يرتاح قلبي الا اذا استخرجت الرصاصة أوعرف مكانها وانه غير مقتل، ولكن لم يرجع الا النعي"، فقد تبين أن الرصاصة اخترقت الجنب ووصلت الى الاحشاء ، وفعلت فعلها في الامعاء ، وذلك مساء عاشر المحرم ، وخرجت روحه الطاهرة في صبيحة حادي عشره ، بعد ان نطق بالشهادة وحمد الله انه لم يسفك دما، ولا قارف محرما، وكانت هذه البطاقة آخر العهد بكتابة فقيدنا رحمه الله تعالى

كان المصاب بالحسين عظيما على كل من عرفه من أهل العلم والفضل والادب أو عرف شيئا من مزاياه العالية ، وما عارفوه على حداثة سنه بالقليلين . وسنذكر نموذجا من تعازيهم في جزء آخر، ونكتفي هنا بكلمة من كتاب تعزية لاحد أهل العلم والادب في طرابلس الشام في سوء الحال والفوضى هناك وهو الشيخ محمد نجيب الخفار قال :

« أرفع لمقامكم السامي هذه العريضة وان قلبي يضطرب من شدة هول تلك الحادثة التي اودت بجميع من عرف ومن لم يعرف صفات فقيدكم بل فقيد جميع الناس المرحوم أخيكم السيد حسين رضا من رصاصة اتته من يد أثيمة كلا بل من دولة أثيمة لا تعرف للانسانية حقاً ولا للرعية ذمة بجبرانها على القيام بحفظ أموالهم . وأعراضهم وأرواحهم وخصوصاً أهل العلم والفضل والشرف منهم الذين يذهبون كل يوم ضحية تهاملها وتكاسلها عن تعقيب أولئك الكفرة الفجرة الذين يعيثون في الارض فساداً لا يهابون الناس ولا الحكومة بدليل انها أرسلت منذ عشرة أيام أحد ضباطها رديف بك وهو من خيرة رجالها لتعقيب بعض الاشقياء الذين عجزت عن إلقاء القبض عليهم نظرا لعدم اهتمامهم بقوة الحكومة وسطوتها فرجع المسكين محمولا على الاكف مدرجا بدمائه الطاهرة بعد ان كان كالاسد لا يهاب من وظيفته أحداً فواروه جدثه ولم تزل الاشقياء للآن زمراً زمراً داخل البلدة وخارجها يقومون بأعمال لا قبل للانسانية على تحملها وأصبحت الاهالي في اضطراب شديد من هول هذه الاعمال القبيحة ومن جملتها مصيبتنا بالغصن الرطيب والركن العلمي والذكي المفرط المرحوم السيد حسين رضا » الخ

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب

المنار ١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا أولو الالباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

مصر – سلخ صفر ١٣٣٠ هـ ق – ٢٨ الشتاء الثاني ١٢٩١ هـ ش ١٨ فبراير ١٩١٢ م

باب تفسير القرآن الحكيم

مقتبس فيه الدروس التي كان يلقيها في الازهر الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه

(١٠٣ : ١٠٦) وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ ، إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ، وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً

روى ابن جرير ان عكرمة قال نزلت هذه الآية في غزوة أحد كما نزل فيها « ٣ : ١٤٠ إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله » حين باتوا مثقلين بالجراح . أقول وقبل آية آل عمران هذه « ٣١٩ ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الأعلون ان كنتم مؤمنين » (راجع ص ١٤٤ وما بعدها من جزء التفسير الرابع) فالظاهر أن عكرمة ذكر مسألة أحد رواية عن ابن عباس واستنبط من موافقة معنى الآية التي نحن بصدد تفسيرها لآية آل عمران انها نزلت مثلها في غزوة أحد .

ثم جاء الجلال فنقل رأي عكرمة بالمعنى من غير عزو فأخطأ في تصويره إذ قال انها نزلت « لما بعث النبي (ص) طائفة في طلب أبي سفيان وأصحابه لما رجعوا من أحد فشكوا الجراحات » وقد رد قوله الاستاذ الامام في الدرس فقال المعروف في القصة ان الصحابة (رض) كانوا بعد غزوة أحد يرغبون اقتفاء أثر ابي سفيان على إثقالهم بالجراح . ولا حاجة في فهم الآية الى ماذكر بل هو مناف للاسلوب البليغ اذ القصة ذكرت في سورة آل عمران تامة وهذه جاءت في سياق أحكام أخرى

(ثم قال) كان الكلام فيما سبق في شأن الحرب وما يقع فيها وبيان كيفية الصلاة في اثنائها ومايراعى فيها اذا كان العدو متأهبا للحرب من اليقظة واخذ الحذر وحمل السلاح في أثنائها . وبين للمؤمنين في هذا السياق شدة عداوة الكفار لهم وتربصهم غفلتهم واهمالهم ليوقعوا بهم . بعد هذا نهى عن الضعف في لقائهم ، واقام الحجة على كون المشركين أجدر بالخوف منهم ، لان ما في القتال والاستعداد له من الألم والمشقة يستوي فيه المؤمن والكافر ، ويمتاز المؤمن بان عنده من الرجاء بالله ما ليس عند الكافر ، فهو يرجو منه النصر الذي وعد به ، و يعتقد انه قادر على انجاز وعده ، ويرجو ثواب الآخرة على جهاده لانه في سبيل الله ، وقوة الرجاء تخفف كل ألم وربما تذهل الانسان عنه وتنسيه إياه . اه

أقول فالآية تفسر هكذا ﴿ ولا تهنوا في ابتغاء القوم ﴾ اي عليكم بالعزيمة وعلو الهمة مع اخذ الحذر والاستعداد حتى لا يلم بكم الوهن (وهو الضعف مطلقا او في الخلق او الخلق كما قال الراغب) في ابتغاء القوم الذين ناصبوكم العداوة اي طلبهم ، فهو امر بالهجوم بعد الفراغ من الصلاة ، بعد الأمر بأخذ الحذر وحمل السلاح عند أدائها ، وذلك أن الذي يلتزم الدفاع في الحرب تضعف نفسه وتهن عزيمته ، والذي يوطن نفسه على المهاجمة تعلو همته وتشتد عزيمته ، فالنهي عن الوهن نهي عن سببه ، وأمر بالاعمال التي تضاده فتحول دون عروضه ، ﴿ ان تكونوا تألمون فأنهم يألمون كما تألمون ﴾ لانهم بشر مثلكم ، يعرض لهم من الوجع والألم مثل ما يعرض لكم ، لان هذا من شأن الاجسام الحية المشترك بينكم وبينهم ، ﴿ وترجون من الله مالا يرجون ﴾ لانكم تعلمون من الله ما لا يعلمون ، وتخصونه بالعبادة والاستعانة وهم

به مشركون ، وقد وعدكم الله احدى الحسنيين — النصر أو الجنة بالشهادة — اذا كنتم للحق تنصرون ، وعن الحقيقة تدافعون ، فهذا التوحيد في الايمان ، والوعد من الرحمن ، هما مدعاة الأمل والرجاء ، ومنفاة اليأس والقنوط ، والرجاء يبعث القوة ، ويضاعف العزيمة ، فيدأب صاحبه على عمله بالصبر والثبات . واليأس يميت الهمة ، ويضعف العزيمة ، فيغلب على صاحبه الجزع والفتور ، فاذا استويتم معهم في آلام الابدان ، فقد فضلتموهم بقوة الوجدان ، وجرأة الجنان ، والثقة بحسن العاقبة ، فأنتم اذا أجدر بالمهاجمة ، فلا تهنوا بالتزام خطة المدافعة ، ﴿ وكان الله عليما حكيما ﴾ وقد ثبت في علمه المحيط ، واقتضت حكمته البالغة ، ومضت سنته الثابتة ، بان يكون النصر للمؤمنين على الكافرين ، ما داموا بهديه عاملين ، وعلى سننه سائرين ، لان أقل شأن المؤمنين حينئذ ان يكونوا مساوين للكفار في عدد القتال واسبابه الظاهرة ، ويفضلونهم بالقوى والأسباب الباطنة ، واذا أقاموا الاسلام كما أمر الله تعالى ان يقام فانهم يكونون اشد للقتال استعدادا ، وأحسن نظاما وسلاحا

فهذه الآية برهان علمي عقلي على صدق وعد الله المؤمنين بالنصر ، وقد بينا هذه المسألة من قبل في التفسير وغير التفسير من مباحث المنار ، ونقلنا في الكلام على حرب الانكليز لاهل الترنسفال اعتراف الأوربيين بكون الايمان من اسباب النصر في الحرب . فما بال المسلمين في اكثر البلاد لا يحاسبون أنفسهم بعرضها على القرآن ، والنظر فيما بينه من مزايا الإيمان ، ؟؟

(١٠٤ : ١٠٧) انَّا اَنزَلنا إِلَيكَ الكِتَـٰبَ بِالحَقِّ لِتَحكُمَ بَينَ النَّاسِ
بِمَا اَرٰىكَ اللهُ ، وَلَا تَكُن لِلخَائِنِينَ خَصِيماً (١٠٥ : ١٠٨) وَاستَغفِرِ اللهَ إِنَّ
اللهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً (١٠٦ : ١٠٩) ولا تُجَادِل عَنِ الَّذِينَ يَختَانُونَ اَنفُسَهُم ،
إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّاناً اَثِيماً (١٠٧ : ١١٠) يَستَخفُونَ مِنَ النَّاسِ
وَلَا يَستَخفُونَ مِنَ اللهِ وَهُوَ مَعَهُم إِذ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرضَى مِنَ القَولِ ، وَكَانَ
اللهُ بِمَا يَعمَلُونَ مُحِيطاً (١٠٨ : ١١١) هَـٰاَنتُم هٰؤُلَاءِ جَادَلتُم عَنهُم فِي الحَيَوٰةِ

الدُّنيا، فَمَنْ يُجَادِلُ اللهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيمَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً
(١٠٩ : ١١٢) وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللهَ يَجِدِ
اللهَ غَفُورًا رَحِيماً (١١٠ : ١١٣) وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْماً فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى
نَفْسِهِ وَكَانَ اللهُ عَلِيماً حَكِيماً (١١١ : ١١٤) وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ
إِثْماً ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئاً فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً (١١٢ : ١١٥) وَلَوْلاَ
فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ، وَمَا يُضِلُّونَ
إِلاَّ أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ، وَأَنْزَلَ اللهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ
وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ، وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيماً

روى الترمذي والحاكم وغيرهما عن قتادة بن النعمان قال كان أهل بيت منا يقال لهم بنو أبيرق بشر و بشير ومبشر وكان بشير رجلا منافقا يقول الشعر يهجو به أصحاب رسول الله ثم ينحله بعض العرب يقول قال فلان كذا وكانوا أهل بيت حاجة وفاقة في الجاهلية والاسلام وكان الناس انما طعامهم بالمدينة التمر والشعير فابتاع عمي رفاعة بن زيد حملا من الدرمك فجعله في مشربة له فيها سلاح ودرع وسيف فعدي عليه من تحت فنقبت المشربة وأخذ الطعام والسلاح، فلما أصبح أتاني عمي رفاعة فقال يا ابن أخي انه قد عدي علينا في ليلتنا هذه فنقبت مشربتنا وذهب بطعامنا وسلاحنا، فتحسسنا في الدار وسألنا فقيل لنا قد رأينا بني أبيرق استوقدوا في هذه الليلة ولا نرى فيما نرى الا على بعض طعامكم. فقال بنو ابيرق ونحن نسأل في الدار والله ما نرى صاحبكم الا لبيد بن سهل، رجل منا له صلاح واسلام. فلما سمع لبيد اخترط سيفه وقال أنا أسرق؟ والله ليخالطنكم هذا السيف أو لتبينن هذه السرقة، قالوا اليك عنا أيها الرجل فما أنت بصاحبها فسألنا في الدار حتى لم نشك أنهم أصحابها فقال لي عمي يا ابن أخي لو أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له، فأتيته فقلت أهل بيت منا أهل جفاء عمدوا الى عمي فنقبوا مشربة

له وأخذوا سلاحه وطعامه فليردوا علينا سلاحنا وأما الطعام فلا حاجة لنا فيه. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «سأنظر في ذلك» فلما سمع بنو أبيرق أتوا رجلا منهم يقال له اسير بن عروة فكلموه في ذلك فاجتمع في ذلك اناس من أهل الدار فقالوا يا رسول الله ان قتادة بن النعمان وعمه عمدا إلى أهل بيت منا أهل اسلام وصلاح يرمونهم بالسرقة من غير بينة ولا ثبت. قال قتادة فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال «عمدت الى أهل بيت ذكر منهم اسلام وصلاح ترميهم بالسرقة على غير ثبت و بينة»؟ فرجعت فأخبرت عمي فقال الله المستعان. فلم نلبث أن نزل القرآن «انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما» بنى أبيرق، «واستغفر الله» أي مما قلت لقتادة الى قوله «عظيما» فلما نزل القرآن أتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسلاح فرده الى رفاعة ولحق بشير بالمشركين فنزل على سلافة بنت سعد فأنزل الله «ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى» الى قوله «ضلالا بعيدا» قال الحاكم صحيح على شرط مسلم

وأخرج ابن سعد في الطبقات بسنده عن محمود بن لبيد قال عدا بشير بن الحارث على علية رفاعة بن زيد عم قتادة بن النعمان فنقبها من ظهرها وأخذ طعاما له ودرعين بأداتهما فأتى قتادة النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك فدعا بشيرا فسأله فأنكر ورمى بذلك لبيد بن سهل رجلا من أهل الدار ذا حسب ونسب فنزل القرآن بتكذيب بشير وبراءة لبيد «انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس» الآيات اه من لباب النقول. وروى ابن جرير عن قتادة «ان هؤلاء الآيات أنزلت في شأن طعمة بن ابيرق وفيما همّ به نبي الله (ص) من عذره وبين الله شأن طعمة بن أبيرق ووعظ نبيه وحذره أن يكون للخائنين خصيما. وكان طعمة بن ابيرق رجلا من الانصار ثم أحد بني ظفر سرق درعا لعمه كان وديعة عنده ثم قذفها على يهودي كان يغشاهم يقال له زيد بن السمير فجاء اليهودي الى نبي الله صلى الله عليه وسلم يهتف فلما رأى ذلك قومه بنو ظفر جاءوا الى نبي الله صلى الله عليه وسلم ليعذروا صاحبهم وكان نبي الله عليه السلام قد همّ بعذره حتى انزل الله في شأنه ما أنزل فقال «ولا تجادل» الخ وكان طعمة قذف بها بريئا. فلما بين الله

شأن طعمة نافق ولحق المشركين بمكة فأنزل الله فيه « ومن يشاقق الرسول » الآية

وروى عن ابن عباس ان هذه الآيات نزلت في نفر من الانصار كانوا مع النبي (ص) في بعض غزواته فسرقت لأحدهم درع فأظن بها رجلا من الانصار فأتى صاحب الدرع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان طعمة ابن ابيرق سرق درعي فأتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأى السارق ذلك عمد اليها فألقاها في بيت رجل بريء وقال لنفر من عشيرته إني قد غيبت الدرع وألقيتها في بيت فلان وستوجد عندهم فانطلقوا الى نبي الله صلى الله عليه وسلم ليلا فقالوا يانبي الله ن صاحبنا بريء وان سارق الدرع فلان وقد احطنا بذلك علما فاعذر صاحبنا على رؤس الناس وجادل عنه فانه ان لم يعصمه الله بك يهلك . فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فبرأه وعذره على رؤس الناس فانزل الله « انا انزلنا اليك الكتاب بالحق ـ الى قوله ـ وكيلا »

وروى عن ابن زيد ان رجلا سرق درعا من حديد وطرحها على يهودي فقال اليهودي والله ما سرقتها ياأبا القاسم ولكن طرحت عليّ . وكان للرجل الذي سرق جيران يبرءونه ويطرحونه على اليهودي ويقولون يارسول الله هذا اليهودي الخبيث يكفر بالله وبما جئت به، قال حتى مال النبي (ص) ببعض القول فعاتبه الله عز وجل في ذلك فقال (وذكر الآيات) ثم قال في الرجل ويقال هو طعمة بن أبيرق

وروى عن السدي انها نزلت في طعمة بن ابيرق استودعه رجل من اليهود درعا فخانه فيها وأخفاها في دار ابي مليك الانصاري ، واهان طعمة واناس من قومه اليهودي لما جاء يطلب درعه ، وجادلت الانصار عن طعمة وطلبوا من النبي ان يجادل عنه الخ وقد اختار أكثر المفسرين ان الخائن هو طعمة وان اليهودي هو الذي كان صاحب الحق

هذا ماورد في سبب النزول . وأما وجه الاتصال والتناسب بين هذه الآيات وما قبلها فقد قال فيه الامام الرازي ما نصه :

« في كيفية النظم وجوه (الاول) انه تعالى لما شرح أحوال المنافقين على سبيل

الاستقصاء ثم اتصل بذلك أمر المحاربة واتصل بذكر المحاربة مايتعلق بها من الاحكام الشرعية مثل قتل المسلم خطأ على ظن انه كافر ، ومثل بيان صلاة السفر وصلاة الخوف ـ رجع الكلام بعد ذلك الى أحوال المنافقين وذكر انهم كانوا يحاولون ان يحملوا الرسول عليه الصلاة والسلام على ان يحكم بالباطل ويذر الحكم بالحق ، فأطلع الله رسوله عليه وأمره بأن لايلتفت اليهم ولايقبل قولهم في هذا الباب (والوجه الثاني في بيان النظم) أنه تعالى لما بين الاحكام الكثيرة في هذه السورة بين ان كل ماعرف بانزال الله تعالى وانه ليس للرسول ان يحيد عن شيء منها طلبا لرضا قومه (الوجه الثالث) انه تعالى لما أمر بالمجاهدة مع الكفار بين ان الامر وان كان كذلك لكنه لاتجوز الخيانة معهم ، ولا إلحاق مالم يفعلوا بهم ، وأن كفر الكافر لايبيح المسامحة بالنظر له ، بل الواجب في الدين ان يحكم له وعليه بما أنزل الله على رسوله ، وأن لا يلحق الكافر حيف لاجل ان يرضى المنافق بذلك » اهـ

وقال الاستاذ الامام : بعد ان حذر الله المنافقين من اعداء الحق الذين يحاولون طمسه باهلاك أهله ، أراد ان يحذرهم من مما يخشى على الحق من جهة الغفلة عنه ، وترك العناية بالنظر في حقيقته وترك حفظه ، فان اهمال العناية بالحق أشد الخطرين عليه لانه يكون سببا لفقد العدل أو تداعي أركانه وذلك يفضي الى هلاك الامة . وكذلك اهمال غير العدل من الاصول العامة التي جاء بها الدين ، فالعدو لا يمكنه اهلاك أمة كبيرة واعدامها ، ولكن ترك الاصول المقومة للامة كالعدل وغيره يهلك كل أمة تهمله ولذلك قال (وذكر الآية الاولى)

(أقول) أما اتصال الآيات بما قبلها مباشرة فالاقرب فيه ماقاله الاستاذ الامام ويمكن بيانه بأنه تعالى لما أمر المؤمنين بأن يأخذوا حذرهم من الاعداء ويستعدوا لمجاهدتهم حفظا للحق ان يؤتى من الخارج ، أمرهم بأن يقوموا بما يحفظه في نفسه فلا يؤتى من الداخل ، وان يقيموه على وجهه كما أمر الله تعالى ولا يحابوا فيه أحدا . وأما اتصالها بمجموع ماقبلها فقد علمنا مما مر ان أول السورة في أحكام النساء والبيوت الى قوله تعالى « واعبدوا ولاتشركوا به شيئا » ومن هذه الآية الى هنا تنوعت الآيات بالانتقال من الاحكام العامة الى مجادلة اليهود وبيان

حالهم مع النبي (ص) والمؤمنين ، وتخلل ذلك الامر بطاعة الله ورسوله والنعي على المنافقين الذين يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت كاليهود، وتأكيد الامر بطاعة الرسول ، وبيان انه تعالى لم يبعث رسولا الا ليطاع ، والترغيب في هذه الطاعة . ثم انتقل من ذلك الى أحكام القتال و بيان حال المؤمنين والكافرين والمنافقين فيه ، وقدعاد في هذا السياق ايضا الى تأكيد طاعة الرسول وحال المنافقين فيها — فناسب ان ينتقل الكلام من هذا السياق الى بيان مايجب على الرسول نفسه ان يحكم به بعد ماحتم الله التحاكم اليه وأمر بطاعته فيما يحكم ويأمر به ، فكان هذا الانتقال في بيان واقعة اشترك فيها الخصام بين من سبق القول فيهم من أهل الكتاب والمنافقين الذين سبق شرح أحوالهم في الآيات السابقة فقال عز وجل

﴿ انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ﴾ أي انا أوحينا اليك هذا القرآن بتحقيق الحق وبيانه لاجل ان تحكم بين الناس بما أعلمك الله به من الاحكام فاحكم به ﴿ ولا تكن للخائنين خصيما ﴾ تخاصم عنهم وتناضل دونهم ، وهم طعمة وقومه الذين سرقوا الدرع وأرادوا ان يلصقوا جرمهم باليهودي البريء ، فهو كقوله تعالى في السورة الآتية « وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولاتتبع أهواءهم » فالحق هو المطلوب في الحكم سواء كان المحكوم عليه يهوديا أومجوسيا أو مسلما حنيفيا . قال شيخ المفسرين ابن جرير « بما أراك الله » يعني بما أنزل الله اليك في كتابه « ولا تكن للخائنين خصيما » يقول ولا تكن لمن خان مسلما أو معاهدا في نفسه أو ماله خصيما تخاصم عنه وتدافع عنه من طالبه بحقه الذي خانه فيه » اه وتسمية اعلامه تعالى لنبيه بالاحكام اراءة يشعر بأن علمه (ص) بها يقيني كالعلم بما يراه بعينه في الجلاء والوضوح

وقال الاستاذ الامام هذه الجملة مستأنفة فعطفها على ماقبلها ليس من قبيل عطف المفرد على المفرد المشارك له في الحكم بل من قبيل عطف الجملة الابتدائية على جملة قبلها لارتباطهما بالمعنى العام ، والمعنى ولا تتهاون بتحري الحق اغترارا بلحن الخائنين وقوة صلابتهم في الخصومة لئلا تكون خصيما لهم وتقع في ورطة الدفاع عنهم ، وهذا الخطاب ليس خاصا بالنبي (ص) بل هو عام لكل من يحكم بين

الناس بما أنزل الله كما أمر الله . أقول ويؤيد قول الاستاذ الامام حديث أم سلمة المتفق عليه في الصحيحين والسنن «انما أنا بشر وإنكم تختصمون اليّ ولعل بعضكم ان يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي بنحو مما أسمع ، فمن قضيت له من حق اخيه شيئا فلا يأخذه فانما أقطع له قطعة من النار »

ومن مباحث الأصول في هذه الآية مسألة حكمه صلى الله عليه وسلم بالوحي فقط أو بالوحي تارة وبالاجتهاد أخرى . وقد تقدم ان قوله تعالى « أراك الله » معناه أعلمك علما يقينيا كالرؤية في القوة والظهور وما ذلك الا الوحي الذي يفهم (ص) منه مراد الله فهما قطعيا . وروي أن عمر (رض) كان يقول: لايقولن احدكم قضيت بما أراني الله تعالى فان الله تعالى لم يجعل ذلك الا لنبيه (ص) واما احدنا فرأيه يكون ظنا لا علما . ذكره الرازي ثم قال

« اذا عرفت هذا فنقول قال المحققون : هذه الآية تدل على ان النبي (ص) ما كان يحكم الا بالوحي والنص » ثم فرع عن ذلك أن الاجتهاد ما كان جائزا له وانما يجب عليه الحكم بالنص ، وذكر ان الامر باتباعه يقتضي تحريم القياس وعدم جوازه لولا ان اجيب عن ذلك بان القياس ثبت بالنص ايضا

وقال الإمام سليمان بن عبدالقوي الطوفي الحنبلي في كتاب (الاشارات الالهية ، الى المباحث الأصوليه) : « لتحكم بين الناس بما أراك الله » يحتمل ان المراد بما نصه لك في الكتاب ويحتمل ان المراد بما اراكه بواسطة نظرك واجتهادك في احكام الكتاب وأدلته وفيه على هذا دليل على انه عليه السلام كان يجتهد فيما لا نص عنده فيه من الحوادث وهي مسألة خلاف في أصول الفقه

« حجة من اجاز هذه الآية وأن الاجتهاد في الاحكام منصب كمال ، فلا ينبغي ان يفوته عليه السلام ، وقد دل على وقوعه منه قوله عليه السلام « لو قلت نعم لوجب — ولو سمعت شعره قبل قتله لم أقتله » في قضيتين مشهورتين

« حجة المانع (وماينطق عن الهوى، إن هو الا وحي يوحى) ولانه قادر على يقين الوحي والاجتهاد لايفيد اليقين لجوازه في حقه والحالة هذه كالتيمم مع القدرة على الماء

« ثم على القول الأول وهو ان الاجتهاد جائز له هل يقع منه الخطأ فيه ام لا ؟ فيه قولان للأصوليين احدهما لا لعصمته . والثاني نعم بشرط ان لا يقرّ عليه استدلالا بنحو (عفا الله عنك لم أذنت لهم - ما كان لنبي ان يكون له أسرى حتى يثخن في الارض) ونحو ذلك

« ويتعلق بهذا مسألة التفويض وهو انه هل يجوز ان يفوض الله عز وجل الى نبي حكم الامة بأن يقول احكم بينهم باجتهادك وما حكمت به فهو حق ، أو وأنت لا تحكم الا بالحق ؟ فيه قولان أقربهما الجواز وهو قول موسى بن عمران من الاصوليين لانه مضمون له إصابة الحق . وكل مضمون له ذلك جاز له الحكم . أو يقال هذا التفويض لا محذور فيه وكل ما كان كذلك كان جائزا اه كلام الطوفي

أقول الآية في الحكم بكتاب الله لا في الاجتهاد ولكنها لا تدل على منع الاجتهاد ، ولا عليه ايضا « وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى » لان هذا في القرآن خاصة والا كان كل كلامه عليه الصلاة والسلام وحيا وقد ورد أن الوحي كان ينقطع أياما متعددة وانه كان يسئل عن الشيء فينتظر الوحي كما كان يسئل أحيانا فيجيب من غير انتظار للوحي

{ واستغفر الله } قال ابن جرير « وسله ان يصفح لك عن عقوبة ذنبك في مخاصمتك عن الخائن » وأورد الرازي في الاستغفار ثلاث وجوه (١) لعله مال الى نصرة طعمة لانه في الظاهر من المسلمين (٢) لعله هم ان يحكم على اليهودي عملا بشهادة قوم طعمة التي لم يكذبها شيء حتى نزل الوحي فعلم انه لو حكم لوقع قضاؤه خطأ لبنائه على كذب القوم وزورهم وكل من هذين الامرين مما يستغفر منه النبي (ص) والذنب فيه من قبيل قولهم : حسنات الابرار سيئات المقربين (٣) يحتمل ان المراد واستغفر الله لاولئك الذين يذبون عن طعمة ويريدون أن يظهروا براءته . اه ملخصا

وقال الاستاذ الامام : واستغفر الله مما يعرض لك من شؤون البشر من نحو ميل الى من تراه ألحن بحجته ، أو الركون الى مسلم لاجل اسلامه تحسينا للظن به ، فان ذلك قد يوقع الاشتباه ، وتكون صورة صاحبه صورة من أتى الذنب الذي يوجب له الاستغفار ، وان لم يكن متعمدا للزيغ عن العدل ، والتحيز الى الخصم ،

فهذا من زيادة الحرص على الحق ، كأن مجرد الالتفات الى قول المخادع كاف في وجوب الاحتراس منه ، وناهيك بما في ذلك من التشديد فيه

أقول ظاهر الروايات ان النبي (ص) مال الى تصديق المسلمين وادانة اليهودي لما كان يغلب على المسلمين في ذلك العهد من الصدق والامانة ، وعلى اليهود من الكذب والخيانة ، ولذلك قال العلماء في القديم والحديث ان اولئك المسلمين ، لم يكونوا الا منافقين ، لان مثل عمل طعمة وتأييد من أيده فيه لا يصدر عمدا الا من منافق ، وتبع ذلك انه (ص) ودّ لو يكون الفلج بالحق في الخصومة للمسلمين الذين يرجح صدقهم فاراد أن يساعدهم على ذلك ولكنه لم يفعل انتظارا لوحي الله تعالى ، فعلمه الله تعالى بهذه الآيات وعلمنا أن الاعتقاد الشخصي ، والميل الفطري والديني ، لا ينبغي ان يظهر لهما أثر ما في مجلس القضاء ، ولا ان يساعد القاضي من يظن انه هو صاحب الحق ، بل عليه ان يساوي بين الخاصمين في كل شيء ، وإذا كان هذا هو الواجب وكان ذلك الميل الى تأييد من غلب على الظن صدقه يفضي الى مساعدته في الخصومة فيكون الحاكم خصيما له لو فعل ، وإذا كان طلب الانتصار لهم من الخائنين في الواقع ونفس الامر في هذه القضية — فقد وجب الاستغفار من هذا الاجتهاد وحسن الظن — فهذا احسن ما يوجه به ماذهب اليه الرازي على تقدير صحة الرواية في سبب نزول الآيات . وما قاله الاستاذ الامام ابلغ في تنزيه النبي (ص) مما لا يليق به ، أما العصمة فلا ينقضها شيء مما ورد ولا الامر بالاستغفار ، لان الانبياء معصومون من الحكم او العمل بغير ما اوحاه الله تعالى اليهم او ما يرون باجتهادهم انه الصواب ، والنبي (ص) لم يحكم في هذه القضية قبل نزول الآيات بشيء ، ولم يعمل بغير ما يعتقد انه تأييد للحق ، ولكنه أحسن الظن في أمر بين له علام الغيوب حقيقة الواقع فيه وما ينبغي له في معاملة ذويه ، { وكان الله غفورا رحيما } اي كان شأنه ذلك وتقدم شرح مثل هذه الجملة مرارا

{ ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم } اي يخونونها بل يتعملون ويتكلفون ما يخالف الفطرة من الخيانة التي تعود على انفسهم بالضرر . قال الاستاذ الامام ان هؤلاء الخائنين يوجدون في كل زمان ومكان . وهذا النهي لم يكن

ولا يحسبوا ان من أمكنه ان ينال الفلج بالحكم له من قضاة الدنيا بغير حق، يمكنه
موجها الى النبي (ص) خاصة، وإنما هو تشريع وجه الى المكلفين كافة، وفي جعله بصيغة الخطاب له ـ وهو اعدل الناس وأكملهم ـ مبالغة في التحذير من هذه الخلة المعهودة من الحكام، ﴿ ان الله لا يحب من كان خوانا أثيما ﴾ اي من اعتاد الخيانة والف الأثم فلم يعد ينفر منه، ولايخاف العقاب الالهي عليه، فيراقبه فيه، وانما يحب الله اهل الامانة والاستقامة

﴿ يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله ﴾ أي ان شأن هؤلاء الخوانين الراسخين في الاثم أنهم يستترون من الناس عند ارتكاب خيانتهم واجتراحهم الإثم لانهم يخافون ضررهم، ولا يستترون من الله تعالى بتركه لانهم لا إيمان لهم، اذ الايمان يمنع من الاصرار والتكرار، ولا تقع الخيانة من صاحبه الا عن غفلة او جهالة عارضة لا تدوم ولا تتكرر حتى تحيط بصاحبها خطيئته، على انه لا يمكن الاستخفاء منه تعالى، فمن يعلم انه تعالى يراه وراء الاستار في حنادس الظلمات وهو المؤمن الصادق فلا بد ان يترك الذنب والخيانة حياء منه تعالى او خوفا من عقابه

﴿ وهو معهم اذ يبيتون ما لا يرضى من القول ﴾ اي وهو تعالى شاهدهم في الوقت الذي يدبرون فيه من الليل، ما لا يرضى من القول، لاجل تبرئة انفسهم، ورمي غيرهم بخيانتهم وجريمتهم، ﴿ وكان الله بما يعملون محيطا ﴾ لا يفوته شيء منه، فلا سبيل الى نجاتهم من عقابه

﴿ ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا ﴾ هذه الآية تدل على ان الذين ارادوا مساعدة بني أبيرق على اليهودي جماعة وان النهي عن الجدال عنهم موجه الى هؤلاء وحدهم وان بدئ بخطاب النبي (ص) وحده . اي ها أنتم ياهؤلاء جادلتم عنهم وحاولتم تبرئتهم في الحياة الدنيا ﴿ فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة ام من يكون عليهم وكيلا ﴾ يوم يكون الخصم والحاكم هو الله المحيط علمه بأعمالهم واحوالهم واحوال الخلق كافة؟ اي لايمكن أن يجادل هنالك أحد عنهم، ولا أن يكون وكيلا بالخصومة لهم، فعلى المؤمنين ان يراقبوا الله تعالى في مثل ذلك

ولا يحسبوا ان من أمكنه أن ينال الفلج بالحكم له من قضاة الدنيا بغير حق، يمكنه

كذلك ان يظفر في الآخرة، «يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله» الذي يحاسب على الذرة «وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين» وفي هذا دليل على ان حكم الحاكم في الدنيا لايجيز للمحكوم له أن يأخذ به اذا علم انه حكم له بغير حقه

**

﴿ ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما ﴾ هذا بيان للمخرج من الذنب بعد وقوعه. والسوء ما يسوء اي ما يترتب عليه الغم والكدر وفسروه بالذنب مطلقا لان عاقبته تسوء ولو عند الجزاء . وهذه الآيات تشير الى كل نوع من انواع الذنوب التي ارتكبت في القصة التي نزل السياق بسببها .

الاستاذ الامام . هذه الآيات تحذير من اعداء الحق والعدل الذين يحاولون هدم ركنهما وهذا الركن هو المقصود من الشرائع، وانما يمتثل هذا التحذير بالاجتهاد وتحري العدل وعدم الاغترار بظواهر الخصماء . والسوء ما يسوء به الانسان غيره، والظلم ما كان ضرره خاصا بالعامل كترك الفريضة (اي هذا هو المراد بهما هنا) والاستغفار طلب المغفرة من الله تعالى ويتضمن ذلك لازمه وهو الشعور بقبح الذنب والتوبة منه. ولسيدنا علي كرم الله وجهه خطبة في تفسير الاستغفار بالتوبة التي تذيب الشحم وتفني العظم . ومعنى وجدانه الله غفورا رحيما ان الله اكرم من أن يرد توبة عبده اذا أطلع على قلبه وعرف منه الصدق والاخلاص

اقول وقد كنت كتبت في مذكراتي عن الدرس عند ما تقدم «انه لا بد من نكتة لهذا التعبير وهي» . . . وتركت بياضا لأكتب فيه ما ظهر لي من النكتة ثم نسيته الى الآن . ولعل المراد بوجدان الله غفورا رحيما هو أن التائب المستغفر يجد أثر المغفرة في نفسه بكراهة الذنب وذهاب داعيته، ويجد أثر الرحمة بالرغبة في الأعمال الصالحة التي تطهر النفس وتزيل ذلك الدرن منها . فيكون السوء او الظلم الذي تاب منه العبد مصداقا لقول ابن عطاء الله الاسكندري «رب معصية اورثت ذلا وانكسارا، خير من طاعة اورثت عزا واستكبارا» والمراد الذل والانكسار لله عز وجل الذي يورث صاحبه العزة والرفعة مع غيره. وفي الآية ترغيب لطعمة وانصاره في التوبة

﴿ ومن يكسب إثما فانما يكسبه على نفسه ﴾ اي ومن يعمل الإثم عن قصد

ويرى أنه قد كسبه وانتفع به فانما كسبه هذا وبال على نفسه وضرر لانفع لها كما يتوهم لجهله بعواقب الآثام السيئة في الدنيا والآخرة ، ومن العواقب غير المأمونة في الدنيا فضيحة الآثم ومهانته بظهور الأمر للناس وللحاكم العادل كما وقع لاصحاب القصة الذين نزلت بسببهم الآيات وسترى تحديد معنى الاثم في تفسير الآية التي بعد هذه ﴿ وكان الله عليما حكيما ﴾ قال الاستاذ الامام اي انه تعالى قد حدد للناس بعلمه حدود الشرائع التي يضرهم تجاوزها ، وبحكمته جعل لها عقابا يضر المتجاوز لها ، فهو إذا يضر نفسه ولا يضر الله شيئا .

﴿ ومن يكسب خطيئة أو إثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا وإثما مبينا ﴾

أقول يطلق العلماء الخطيئة والاثم والذنب والسيئة على المعصية . ولكل لفظ منها معنى في أصل اللغة يناسبه اطلاق القرآن . ولا يمكن ان يكون الاثم هنا بمعنى الخطيئة . ويقول الراغب ان الاثم في الاصل إسم للافعال المبطئة عن الثواب . أي مثل السكر والميسر لأنهما يشغلان صاحبهما عن كل عمل صالح ولذلك قال تعالى « فيهما إثم كبير » وأما الخطيئة فظاهر انها من الخطأ ضد الصواب ، وصيغة فعيلة تدل على معنى أيضا ، فالخطيئة الفعلة العريقة في الخطأ لظهوره فيها ظهورا لا يعذر صاحبه بجهله . والخطأ قسمان أحدهما ان تخطئ مايراد منك ، وهو مايطالبك به الشرع ويفرضه عليك الدين ، أو ماجرى عليه العرف والعهد ، ويدخل في القسم الثاني ويخطئه الفاعل من مطالب الشرع اي يتجاوزه ولو عمدا ، ومن هنا جعلوا الخطيئة بمعنى المعصية مطلقا ، وفسرها ابن جرير هنا بالخطأ والاثم بالعمد . وقال الاستاذ الامام الخطيئة مايصدر من الذنب عن الفاعل خطأ أي من غير ملاحظة أنه ذنب مخالف للشريعة ، والاثم مايصدر عنه مع ملاحظة انه ذنب . ويعني بالملاحظة تذكر ذلك وتصوره عند الفعل ، وقال ان عدم الملاحظة والشعور بالذنب عند فعله قد يكون سببه تمكن داعيته من النفس ووصولها الى درجة الملكات الراسخة والاخلاق الثابتة التي تصدر عنها الاعمال بغير تكلف ولا تدبر ، وهذا المعنى هو المراد هنا . أقول ويصح ان يكون هذا البيان توجيها لقول من فسر الخطيئة هنا بالمعصية الكبيرة . والبهتان الكذب الذي يبهت المكذوب عليه أي يحيره ويدهشه

والمعنى ان من يكسب خطيئة أو إثما ثم يبرئ نفسه منه أي مما ذكر ويرم به بريئا أي ينسبه اليه ويزعم انه هو الذي كسبه ، فقد احتمل أي كلف نفسه ان تحمل وزر البهتان بافترائه على البريء واتهامه إياه ووزر الاثم البين الذي كسبه وتنصل منه . وقد فشا هذا بين المسلمين في هذا الزمان ومع هذا ينسب المارقون ضعفهم الى دينهم، وانما سببه ترك هدايته ، فالحادثة التي نزلت هذه الآيات في إثر وقوعها كانت فذة في بابها وما زال المفسرون يجزمون بأن المسلمين الذين سرق أو خان بعضهم، ونصره آخرون وبهتوا اليهودي برميه بجرمه وهو بريء، لم يكونوا مسلمين الا في الظاهر ، وانهم منافقون في الباطن، لان مثل هذا الاثم المبين ، والبهتان العظيم ، لا يكون من المؤمنين الصادقين ، ولكن مثلها صار اليوم مألوفا ، بل وجد في حملة العمائم من يفتي بجواز خيانة غير المسلمين، وأكل أموال المعاهدين والمستأمنين بالباطل، كما علمنا من واقعة حال استفتينا فيها ونشرت الفتوى في المنار ، ونعوذ بالله من هذا الخذلان

بعد ان بين الله تعالى هذه الاحكام والحكم والمواعظ المنطبقة على تلك الواقعة، ووجه الى كل من له شأن فيها ماينسبه في سياق هذه القواعد العامة ، خاطب النبي (ص) وهو الحاكم بين الخصمين فيها بقوله : ﴿ ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك ﴾ أي لولا فضل الله عليك بالنبوة والتأييد بالعصمة ، ورحمته لك ببيان حقيقة الواقعة ، لهمت طائفة من الذين يختانون أنفسهم بالمعصية أو بمساعدة الخائن ان يضلوك عن الحكم العادل المنطبق على حقيقة القضية في نفسها ، أي يضلوك بقول الزور وتزكية المجرم وبهت اليهودي البريء ، لعلمهم ان الحكم انما يكون بالظواهر ، أو بمحاولة الميل الى إدانة اليهودي توهما منهم أن الاسلام يبيح ترجيح المسلم على غيره ونصره ظالما أو مظلوما كما يعهدون في غيره من الملل . ولكنهم قبل أن يطمعوا في ذلك ويهموا به جاءك الوحي ببيان الحق ، وإقامة أركان العدل ، والمساواة فيه بين جميع الخلق ، وقيل ان الآية نزلت في وفد ثقيف إذ قدموا على النبي (ص) وقالوا جئنا لنبايعك على أن لا تكسر أصنامنا ولا تعشرنا ، فردهم ﴿ وما يضلون الا أنفسهم ﴾ بانحرافهم عن الصراط المستقيم الذي هداهم اليه الاسلام واتباع الهوى والتعاون عليه ﴿ وما يضرونك من شيء ﴾ وقد عصمك

الله من الناس ومن اتباع الهوى في الحكم بينهم . وهذه الآية ناطقة بأنه صلى الله عليه وسلم لم يجادل عنهم ولا أطمعهم في التحيز لهم قبل نزول الوحي ولا بعده بالاولى هذا ما ظهر لي الآن . وقد رجعت بعد كتابته الى مذكراتي التي كتبتها في درس الاستاذ الامام فاذا فيها ما نصه :

كان الكلام في المختانين أنفسهم ومحاولتهم زحزحة الرسول (ص) عن الحق، وقد أراد تعالى بعد بيان تلك الأوامر والنواهي وتوجيهها الى نبيه (ص) أن يبين فضله ونعمته عليه . قال الاستاذ ولا يصح تفسير الآية بما ورد من قصة طعمة لانه على ما روي قد هم هو واصحابه باضلال النبي عن الحق الذي انزله الله عليه ، وهو تعالى يقول أنه بفضله ورحمته عليه قد صرف نفوس الاشرار عن الطمع في إضلاله والهم بذلك . وذلك ان الاشرار إذا توجهت ارادتهم وهممهم الى التلبيس على شخص ومخادعته ومحاولة صرفه عن الحق فلا بد له ان يشغل طائفة من وقته لمقاومتهم وكشف حيلهم وتمييز تلبيسهم وذلك يشغل المرء عن تقرير الحقائق وصرف وقت المقاومة الى عمل آخر صالح نافع ، ولذلك تفضل الله على نبيه (ص) ورحمه بصرف كيد الاشرار عنه حتى بالهم بغشه وزحزحته عن صراط الله الذي أقامه عليه اه

﴿ وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك مالم تكن تعلم ﴾ الكتاب القرآن والحكمة فقه مقاصد الكتاب وأسراره ووجه موافقتها للفطرة وانطباقها على سنن الاجتماع البشري واتحادها مع مصالح الناس في كل زمان ومكان ﴿ وعلمك ما لم تكن تعلم ﴾ هو في معنى قوله تعالى « ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان » ولا دليل فيه على ان المراد به تعليمه الغيب مطلقا بل هو الكتاب والشريعة، وخصوصا ما تضمنته هذه الآيات من العلم بحقيقة الواقعة التي تخاصم فيها بعض المسلمين مع اليهودي

﴿ وكان فضل الله عليك ﴾ عظيما إذ اختصك بهذه النعم الكثيرة وأرسلك للناس كافة، وجعلك خاتم النبيين، فيجب ان تكون اعظم الناس شكرا له، ويجب على أمتك مثل ذلك ليكونوا بهذا الفضل خير أمة أخرجت للناس، وقدوة لهم في جميع الخيرات

السيد حسين رضا

ولد شقيقنا فقيد الاصلاح والفضيلة السيد حسين لبضع ليال خلت من شهر ربيع الاول سنة ١٢٩٩ (الموافق شهر ينايرسنة ١٨٨٢) وقد اغتبط والده بولادته مالم يغتبط بولادة غيره من ولده ، وكان يقول انه ولد ليلة المولد النبوي وانا أرى انه ولد قبلها بليلة فان ليلة المولد هي ليلة تسع على التحقيق . وكان يحبه حباً شديداً حتى كان يظهر حبه له في حضرته خلافا لعادته مع أولاده ، ويلهج المرة بعد المرة بقوله « هذا الحسين بن علي » فكأن هذا كان منه اشارة الى الفجيعة به في المحرم

تعلم مبادي القراءة والكتابة في القلمون ولاحت عليه من نشأته الاولى مخايل الذكاء والنجابة والعقل ، واعتصم منذ طفوليته بحبوة الحياء والادب، وانني لا أتذكر ان أحدا أهانه بقول أو فعل ، وكنت أنا الذي حملت الوالد رحمه الله تعالى على وضعه في مدرسة الحكومة الابتدائية في طرابلس (وكنت يومئذ اطلب العلوم الدينية والعربية في تلك المدينة) وكان يضن به على المدن خوفا على اخلاقه، ويحب ان يطلب العلم في غير المدارس الرسمية ، وكنت اتعاهده بكل مايحتاج اليه ، فتلقى فيها شيئا من مبادي التركية والفرنسية والحساب والصرف والنحو بالتركية !! وعلم الحال (العقائد والعبادات) ولكن حالة المدرسة الادبية لم تكن تلائم فطرته فتركها باختياره ولم يتم مدتها .

ثم أقرأته النحو والصرف والتوحيد والاخلاق وشيئاً من الفقه ورغبته في الادب . فقرأت له مع آخرين كتاب الاظهار وطائفة من كتاب ابن عقيل في النحو (وحفظ الالفية كلها أو بعضها) ، وكتاب المقصود في الصرف ، وكتاب تهذيب الاخلاق لابن مسكويه الرازي ، وحضر عليّ بعض دروس الاحياء والعقائد وفقه الشافعية

ثم هاجرت الى مصر وأنا ضنين به أن يبقى في وطنه، وقد اشتد الضغط فيه على العلم وأهله وكتبه ، فكنت أطلبه من الوالد (رحمهما الله تعالى) فيرجئ ويسوف في ارساله ، حتى سمح به في أوائل سنة ١٣٢١ فوضعته في الازهر فكان يحضر درس التفسير والبلاغة على الاستاذ الامام ودرس فقه الحنفية على الشيخ احمد أبي خطوه ودروساً أخرى كان ينتقل فيها من حلقة ينتقدها ، الى حلقة يرجو أن يجد طلبته

فيها ، ويقرأ المنار ويحاول اتباع اسلوبه في الكتابة، ولم يلبث أن ترك الازهر بعد وفاة الشيخين محمد عبده وأبي خطوه ، وما أراه أتم حضور كتاب على أحد فيه لانه لم يستطع الصبر على أسلوبهم — فهذا مجمل القول في دراسته . وكل من عرفه من أهل العلم كان يرى ان معارفه أكبر من سنه . هكذا قال الاستاذ الشيخ عبد الكريم سلمان والدكتور شميل والدكتور يعقوب صروف وغيرهم

كان رحمه الله تعالى كاتباً أديبا وشاعراً وسطا وخطيبا مفوها ، وكان يعرض علي في بدء الامر بعض ما يكتبه وما ينظمه فلا أجد فيه الا القليل من الخطأ الذي يقع في مثله أشهر الكتاب والاساتذة ، وما عتم أن استقل بنفسه ، وصار ينشر المقالات الادبية والسياسية والاجتماعية في الجرائد والمجلات الكبرى ، فتارة يمضيه باسمه الصريح ، وتارة بلقب مستعار، وقد كنت أنكر عليه أولا استعجاله بالاستقلال التام وأنا أعلم ان سببه الذي ساعد استعداده الفطري عليه هو الاقتداء بشقيقه وأستاذه الاول ، وأرى أنه فاته بهذا الاستقلال قبل أوانه ما كنت أحبه له من التوسع في العلوم الشرعية استعداداً لتحرير المنار ، وأن يكون ذلك برغبته واختياره ، فلم استطع أن أحدث له هذه الرغبة، وحثثته على اتقان اللغة الفرنسية فاشتغل بها زمناً ولكنه لم يتقنها كما يجب ولم يطالعها البتة ، لانه كان يجري على سجيته ولا يطيق التكلف . وما كنت يائساً من عودته الى اتقان ما كنت أحب أن يتقنه وأنا أعلم ان رغبته اذا تحركت فانها تكون كالكهرباء مضاء وسرعة ، وجملة القول في علمه انه علم الاديب ، من كل فن حظ ونصيب ، وكان دقيق النقد ، حاضر الحجة ، قوي الذاكرة ، شديداً على الخصم مع النزاهة والادب . وله آثار وحكم وخواطر حسنة مدونة في مذكراته ، سننشر بعضها في المنار احياء لذكره ، وشرحا لمكنونات صدره وخبايا فكره

أما أخلاقه وسجاياه فهي التي كانت أكبر مواضع الرجاء فيه ، وأظهرها وأعلاها استقلال الفكر وقوة الارادة والاباء وعلو الهمة وعزة النفس والصدق والامانة والعفة والنجدة والمروءة والشجاعة والاقدام والروية والوفاء والاخلاص ، وكنت أخشى أن يغلب ميله الى الشجاعة والرجولية ميله الى العلم والادب . أرأيت إذا اشرب صاحب هذه الاخلاق حب المصلحة العامة ، ووجه وجهه الى خدمة الامة ، مع حسن البيان بالقلم واللسان ، ألا يرجى أن يكون من المصلحين المجددين ؟ بلى وان فقيدنا الشاب قد كان مرجواً لهذا وأهلاً له ، لو قدر الله له عمراً طويلا

انني وان كنت أشهد لاخي وتلميذي فشهادتي حق ، وما تعودت بفضل الله الا قول الصدق ، ولا فائدة لي ولا له في اطرائه واعطائه ما ليس له بحق ، ويشهد له بذلك جميع من عرفه من أهل العلم والفضل الذين يقدرون الفضيلة حق قدرها أو جملتهم وجموعهم ، كما تشهد له به آثاره التي هي مرآة نفسه ، لانه لم يكن يكتب الا ما يمليه عليه اعتقاده وشعوره ، وانني أنقل ههنا بعض ما كتبه الى فضلاء المعزين

وإنما اختار من التعازي الكثيرة التي كتبت الي ما فيه تصريح او إشارة الى رأي الكاتب لها في فضل الفقيد وأخلاقه والرجاء في خدمته لأمته . والتعازي ضروب بعضها وعظ عام ، وبعضها ثناء على المعزى ، واكثرها إكبار للمصيبة بالكلام المجمل والوصف الشعري

(١)

كان أجدر الناس بأن يحفظ كلامه وينشر في هذا المقام صديقنا الاكبر الاستاذ العالم الصوفي الشيخ محمد كامل الرافعي أفضل الفضلاء في طرابلس الشام ، ولكن ما كتبه في هذا المصاب شجون فيها ذكر ما وقع ووصف حاله هو فيها وما يعتقده في صديقه كاتب هذه السطور ، فلا يتعلق شيء كثير منها بغرضنا ، ويصح ان يكون منه بعض عباراته في اكباره المصاب على ما هو عليه من وقار المشيب ، وما اعتاده من مصارعة الخطوب ، كقوله حفظه الله تعالى

« لم يفجأني الا خبر نعيه الذي اصم السمع ، وصدع القلب ، وكان له من التأثير على وجودي كله ما تمنيت معه أني لم أخلق ، واسرعت الى القلمون آسفا جازعا ، فرأيت القيامة قائمة ، وشهدت من هول المصاب ما يذيب القلوب ويفطر المرائر ، ويذهب بالنفوس حسرات ، واجتهدت بحسب ضعفي اذ ذاك لتخفيف الهول على غير جدوى . وبالحقيقة ان مصابنا بالحسين عظيم ، والخطب فيه جسيم ، وإنما يقوى عليه بقوة من الله . »

ومن كتاب له الى ابن اخته جميل افندي الرافعي :

« ما فجعت بعد اخي احمد عارف رحمه الله(١) بمثل انفجاعنا لوفاة السيد حسين رضا ، ولا أمضني خطب كخطبه ، ولا أسفت لأحد كما اسفت لفقده ، ولو شئت لعددت مواهبه بلسان الندب ولكن قلبي من الحزن لا يطيق . ولقد صعب علي تعزية

(١) هو أكبر أخوته وأنبههم وقد مات له غيره

(السيد) (١) به حتى لا أكاد اتعقل ما كتبت . ولو اني حملت جبال رضوى لـكان أهون علي بمن حملت من الكتابة اليه ، علي انه لا بد منه ، والامر لله ، وانا لله وانا اليه راجعون »

(٢)

ما كتبه الي لسان الصدق والحكمة السيد عبد الحميد افندي الزهراوي من الاستانة :

كتابي اليوم كتاب أسى وحزن، ولولا أن الجزع قبيح بعباد الله المؤمنين لـكان قلبي اليوم جديراً أن يتسع للجزع وحده ويضيق عما سواه ولا أجد غضاضة عليّ في ذلك لولا الايمان، لان فقيدنا ليس من هذه الاعراض الفانية المتبدلة، كلا بل هو جوهر من أكرم الجواهر التي حظينا من الزمان باكتساب صحبتها ، والتعزي في هذه الحياة برؤية صفاتها، هو من أعظم الهدايا الالهية التي آنستنا في المعامع الموحشة ، معامع قيل وقال ، وكثرة الجدال ، هو من أفضل الاعيان التي تصبح زينة التاريخ برونق محامدها ، هو « السيد حسين رضا » ويالهف قلبي حين يرى هذا الاسم محشوراً في صفوف الغابرين، بعد أن عرفناه جمال محافل المعاصرين

اذا كان فقد الفضلاء ليس ببدع في عالم الـكون والتحول فالجزع لفقدهم ليس ببدع أيضاً ، واذا كان ذوي الغصون النضرة أمراً معهوداً فذرف الدموع لاجلهم أمر معهود كذلك ، لـكننا نجل سنة الله تعالى في أنفسنا ، ونتكلف تقديم الانس بروحه على الانس بأشباحنا ، فنتزحزح بذلك عن الجزع القلبي مستغفريه سبحانه عن الدموع التي لانملك سدا لتيارها، ولاحول ولا قوة الا به ، هو ولي الفطرة ومازج الضعف بالقوة

اذا أسي الآل الرضوي على الحسين فلا غرو، كيف والآسون عليه من سواهم يعدون العد، ويتعاصون على الحد، فمحافل الآداب ، ومعاهد العلوم، وبيوت الحسب، ومآهل الشبيبة ، ومناهل الفضائل ، كل ذلك بعض من أسي على هذا الغصن النضير الذي أنحيته دوحتهم، وأوحشت منه اليوم رياضهم، وإن يلتمس الآل الرضوي عزاء فليس لغيرهم مثل مايجدونه من العزاء بوجود مولاي الاخ الذي هو اليوم عزاء عالم الاصلاح كله

كتبت هذا وما أملي بأن أكون معزيا في الحسين أكثر من أن أكون معزى فيه، وذلك أن أخي الرشيد أغنى بقوة معرفته بالله سبحانه وأنسه بروح هديه وتجلياته

(١) اذا أطلقوا لفظ السيد يعنون به صاحب هذه المجلة

عن تعزية اخوانه ، أما أنا فلا أستغني ولا أجدني سالياً ذاك الشاب الذي لا أفضل لي في عشق لطفه، فان كل من عرفوه محكوم عليهم بالتقيد والتعلق بمناقبه ، فالله سبحانه مسئول ان يثيبنا في هذا المصاب، ويكفي الآل الرضوي سائر الاوصاب، وانا لله وانا اليه راجعون

اخوكم

عبد الحميد الزهراوي

وكتب في جريدته الحضارة التي تصدر في الآستانة

(السيد حسين وصفي رضا)

شاب نشأ في مهد المجد، ورضع أفاويق المعالي ، وتضلع من الآداب والحكم، وبلغ في المروءة والشهامة الغاية ، أتانا نعيه فوقع لدينا وقعاً مؤلماً ، وكان أسفنا عليه عظيما ، فقد كان فوق كل ماتقدم من صفاته صديقاً من أعز اصدقائنا ، وأخا من أكرم إخواننا ، فنعزي فيه الفضائل والمعالي وأخانا العلامة المصلح شقيقه السيد محمد رشيد رضا صاحب «المنار» أجزل الله أجره، وأطال عمره، انا لله وانا اليه راجعون، منه سبحانه نستنزل الرضوان على جدث الفقيد العزيز، والصبر والسلوان على أفئدة أهله وعارفيه

(٣)

ما كتبه أكتب علماء طرابلس الشام وأعلم كتابها الشيخ اسماعيل افندي الحافظ المدرس في دار الفنون العثماني ومكتب النواب بالاستانة

سيدي الاخ الرشيد عزى الله نفسه بما يرجوه من صلاح الاسلام وانزال السكينة على قلبه . أكتب هذه الـكلمات بيد ترتجف أسفاً ، وانفاس تتقطع لهفاً ، وبين قلبي قلب يكاد يقطر دما ، وينفطر تأثراً وألما ، وعلى عارضي دمع ينهل مدرارا ، ويتسابق انحدارا ، ثم لايلبث أن ينقلب ناراً ، تذكى في أوارا ، دمع كأني احس بسويداء قلبي تسيل في وليه ، وسواد عيني يمتزج بأتيه ، حتى لو استعملته مدادا ، لرقم على هذا الطرس سوادا ، وذلك شأني منذ قرأت في جرائد طرابلس نعي ذلك الشاب الغض والحسب المحض ، والادب الموفى على الروض جمالا ، والخلق المزري بنفحات الزهر اريجا ، والذكاء الذي يكشف اعقاب الخطوب ، ويكاد يشق حجب الغيوب ، ويستجلي خواطر القلوب ، فياله من خطب رزئت به الفضيلة بجمالها ، والمكارم بكمالها ، والمروءة ببهجتها ، والنجدة بمهجتها ، ويا حسرة الاقلام والمحابر ، والـكتب والدفاتر ، ويا ما أطول أسفي على ذلك الفقيد ، وما أشد أشفاقي على قلب (السيد) كيف يحتمل

المصاب به والصبر على نضرة شبابه ، وهو أكثر أشقائه جرياً معه في سبيل الاصلاح ، وأقدرهم على مساعدته وتأييده ، ولكن علمي بمبلغ صبر السيد واحتماله ، وثقتي بتمكنه في موقف الجهاد النفسي، واستهانته بصروف الايام وزهده في متاع هذه الدنيا الفانية ، قد يهون بعض آلامي ، وينهنه من غلواء جزعي واشفاقي ، وهو ماهيأ لي سبيلا الى التقدم اليه بهذه التعزية الحزينة ،

وأما أنت أيها الاخ الصالح (١) فاني أعلم رقة شعورك ، وشدة تعلقك بالفقيد، وضعفك عن احتمال المصيبة به ، ولذلك كففت عن تقديم تعزية خاصة بك ، جزعا من ذكر هذه الفاجعة، واشفاقا وكآبة وحزنا ، عزى الله قلبكما بفضله والهمكما الصبر الجميل ، وجزاكما الاجر الجزيل ، على اني لست اغنى منكما عن التعزية بهذا المصاب . وهبنا الله جميعاً جميل العزاء والسلوان، وعوض الفقيد على شبابه بالروح والريحان ، وأعلى غرف الجنان ، وهو على فراقه المستعان

الداعي
اسماعيل الحافظ

(٤)

وكتب الاستاذ الاكبر، بقية السلف الصالح ، الشيخ عبد الرزاق البيطار الدمشقي

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله القائل «وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون، اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون» والصلاة والسلام على فقيد الأوائل والأواخر، وعلى آله وصحبه الى اليوم الآخر

اما بعد فيا ايها الأخ العزيز الذي نحن شركاؤه في حزنه وبكائه، ونظراؤه في كدره واسفه وبلائه، ان المصائب تتفاوت في المقدار، والحوادث تختلف باختلاف الاقدار، وعلى قدر المشقة يكون الثواب، ويضاعف الأجر بحسب المصاب، وانت وان كنت اعلم منا بثواب الصبر ، وما اعد الله للصابرين من الثواب والأجر، ولكن لا بأس بالمذاكرة والتذكير، والقيام بأوامر السنة بلا فرق بين جليل وحقير، فيامولاي الجليل، هل — للخلق من خلاص ومنجاه ، مما حكم به الحاكم المطلق وقضاه ، واني وايم الله حينما علمت بهذا الخطب دارت بي الارض دهشة وحيرة ، واظلمت الدنيا في عيني اسفا وحسرة، وكتبت معزياً والقلم هائم، والدمع هام والكرب داهم، فيالها من

(١) يريد خطاب شقيقنا السيد صالح

مصيبة ما اعظمها، وداهية ما افظعها واجسمها، وعلى كل حال ليس لنا سوى التسليم لولي الأمر، ولزوم الصبر، على ما هو أمرّ من الصبر ، وقد قال من له الأمر والشان، «كل من عليها فان» فالله يبقي لنا وجودكم جميعاً وينيلكم كل مراد ومرام ، ويختم لنا ولكم بجميل الانعام وحسن الختام حرر في ١٩ محرم سنة ١٣٣٠

عبد الرزاق
البيطار

(٥)

وكتب العالم الكبير، رب التصنيف والتحرير، الشيخ جمال الدين القاسمي الدمشقي:

حضرة مولانا اوحد الاعلام أطال الله في بقائه وبارك لنا في حياته، وافانا اليوم نبأ اذرف الدموع، واطار الهجوع، وخطب اورث الشجن، واطال الحزن ، وانزل بنا اعظم مصاب، وارانا ما لم يكن بحساب

ادهشني والله ما فجعني ، حتى حرت كيف أعزي وانا حقيق بأن أعزى ، ام كيف أتلو ما للصابر وانا الجدير بما يتلى ، ولقد ابى القدر المحتم الا ان يمثل في المحرم فاجعة الحسين، وان يجعل لنا — وان لم نتشيع — من الشجو ضغثين، فانا لله وانا اليه راجعون ، نسأله تعالى ان يفرغ علينا الصبر ، ويوفي لنا بعظيم مصابنا الاجر ، ويهب للسيد الاكبر من العمر أطوله، ومن العيش اكمله، والسلام

في ١٥ محرم سنة ١٣٣٠

الاسيف
جمال الدين
القاسمي

(٦)

وكتب صاحب الفضيلة ، والمزايا الجليلة ، الشيخ مصطفى افندي نجا مفتي بيروت:

سلام الله على حضرة الاستاذ الجليل أعظم الله أجره وأحسن عزاءه بمنه تعالى وكرمه . وبعد فان نبأ الفاجعة الاليمة والمصاب العظيم بصديقنا الاخ الكريم، قد جرح الفؤاد وأورثنا الاسف الشديد، وساء كل من عرف فضل هذا الفقيد الاديب ، والكاتب النجيب ، عامل الله من اعتدى عليه بما يستحقه . وعلى كل فالموت على العباد أمر محتم ، والتسليم لله تعالى أولى وأسلم ، والاستاذ حفظه الله جدير بأن يتدرع لهذا الخطب الكبير بصبر أكبر منه ، فانا لله تسليما لامره تعالى ، ولا حول ولا قوة الا بالله. اللهم انض على هذا الشهيد سجال رحمتك، واسكنه بفضلك في عالي جنتك، وسهل لاسرته الكريمة سبيل الصبر ، وتحصيل الاجر ، انك سميع الدعاء

الفقير مفتي بيروت

(الختم)

(٧)

وكتب صفوة أدباء بيروت أصحاب التوقيعات كتابا مشتركا قالوا فيه :

الاستاذ العلامة مولانا السيد محمد رشيد رضا أطال الله بقاءه

السلام على الاستاذ ورحمه الله وبركاته . وبعد فانا نكتب واليد مرتجفة والقلب يخفق والعين تدمع للرزء الجليل الذي أصيب به الادب والفضل والخلق الكريم والغيرة الصادقة . فكان هذا المصاب عاماً لكل من عرف الفقيد رحمه الله ولم تخصص بذلك أسرته الكريمة . فنتقدم بتعزية الامة عموما ولفضيلتكم خصوصا . الهمنا الله جميعاً الصبر واعظم لنا ولكم الاجر

محمد على القصاص عبد الرحمن سلام مصطفى الغلاييني

(٨)

وكتب صاحبا الامضاء من سروات بيروت وكبار وجهائها

الى السيد الحكيم أدام الله بقاءه

مصابنا بالحسين عظيم ، ووقعه في قلوبنا أليم ، وما لهذا الخطب العميم ، الا جميل الصبر مما يعد من فضائل السيد الحكيم ، الصادع بأمر ربه ، الراضي بحكمه وقضائه ، فمنكم واليكم سنة التعزية ، عظم الله أجركم ويرحم الفقيد العزيز وعوضنا ببقاء السيد خيرا والسلام ١٦ محرم سنة ١٣٣٠ الداعي الداعي

يوسف سنو حسن بيهم

(٩)

وكتب الكاتب الخطيب الشهير الشيخ احمد طباره صاحب جريدة الاتحاد العثماني في بيروت

﴿ إنا لله وإنا اليه راجعون ﴾

مولانا العلامة الاستاذ الرشيد

تناولت القلم لا كتب للاستاذ تعزية بالشهيد الحسين ، فتراءى لي هول المصاب وتمثل أمامي فضل الفقيد ، وأدبه الغض ، وخلقه الكريم ، فلم أدر ماذا أقول سوى أني أدعو الى الله تعالى بأن يفرغ على قلب الاستاذ الصبر الجميل ، والاجر الجزيل وأن يتغمد فقيدنا بوابل رحمته ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم والسلام

١٩ محرم الحرام سنة ١٣٣٠ احمد حسن طباره

(١٠)

وكتب الاديب الفاضل، سليل بيت العلم والفضائل، في بيروت (وهو الآن بمصر)

حضرة السيد الفاضل النبيل حفظه الله

اعرض ان المصاب باخ الطرفين شقيق حضرتكم لقد اصاب وايم الله كبدي الفضل والنبل واضاع الوطن بفقده شهما غيورا وعاملا بل املا كبيرا نشأ في حجري العلم والحكمة وشب متشبعا بالافكار السامية والمبادئ الراقية الخ الخ

المخلص

محمد مصباح الحوت

(١١)

وجاءنا من جمعية الاخاء الاسلامي ببيروت هذا الكتاب ، فنشرناه بعد حذف رسوم الخطاب ، فان لم يكن على شرطنا في موضوعه فللجمعية معنى يتصل به من وجه آخر ، وليكن ختام ماننشره من تعازي بيروت التي هي في مجموعها اعرف البلاد السورية بقيمة رجالها :

نبدي ان نبأ الفاجعة الأليمة بوفاة الشقيق قد ملأ القلوب اسفا وحزنا ، واسال من العيون مزنا ، قفى رحمه الله رحمة الابرار ، واسكنه دار الكرامة مع الاخيار ، مضى في سبيل لا بد لكل حي من المسير فيه والمصير اليه بحكم مقدر الاعمار لأجلها ، والآجال لميعادها ، فلا ينفع الفائت الحزن ، ولا يرفع الهم غير الاعتصام بالصبر، وكل ذلك لايخفى على فضيلتكم، ومعالي ارشادكم احسن الله لكم العزاء ولقاكم من الصبرا كمله، ومنحكم من الاجراجزله، ولا اراكم بعده ما تكرهون ، وإنا لله وانا اليه راجعون عن عموم اعضاء

٢٠ محرم الحرام سنة ١٣٣٠ جمعية الاخاء الاسلامي في بيروت

رئيسها : محمود فرشوخ

(سنذكر في الجزء الآتي نموذجا من تعازي سائر البلاد والاقطار)

﴿ الدولة العلية واليمن ﴾

نشر كاتب انكليزي شهد حصار صنعاء في العام الماضي وعاد في هذه الايام إلى انكلترة مقالة في التيمس وصف فيها ذلك الحصار وحالة البلاد في هذا الاوان. ترجمت جريدة المقطم خلاصتها، فرأينا أن ننشرها لتكون تتمة لما نشرناه من قبل في مسألة اليمن قال الكاتب

« عقدت الحكومة العثمانية صلحا غير مجيد مع الامام يحيى بعد مارشت زعماء الثورة بالأموال الطائلة ووعدتهم بالاصلاح فنال الامام بذلك اكثر مما كان يطمع فيه، وثبت في مركزه حاكما على قبائل الزيدية. ولم تتغير الحال في ما سوى ذلك عما كانت عليه قبل بدء القتال. فالأتراك يملكون صنعاء وقد استرجعوا معظم المراكز التي كانوا يحتلونها في الماضي، والامام يملك شهارة وسائر المعاقل التي كانت له. وقد اطلق الامام اخيرا سراح خمس مئة اسير من الجنود ولكنه لم يعد المدافع التي غنمها في هذه الثورة او في ثوراته السابقة. واضطرت الحكومة ان ترسل خمسين الف عسكري بقيادة عزت باشا وهو من اكبر قوادها للحصول على النتائج التي مر ذكرها

ولا يستطيع الواقف على حقيقة احوال اليمن ان يقابل الانباء التي وردت من الاستانة عن استعداد الامام لتقديم مئة الف مقاتل ليحاربوا الايطاليين في طرابلس الغرب الا بالابتسام. ذلك لان سلطة الامام اسمية اكثر مما هي فعلية ولان الحكومة العثمانية تعجز عن نقل هؤلاء المتطوعين الى ساحة الحرب. فالامام اذا في حل من ذلك ولا تثريب عليه اذا لم يبر بوعده

قد اتيح لي ان اكون في صنعاء لما كان الامام محاصرا لها وظل الحصار من شهر يناير الى اواخر شهر ابريل من العام الماضي. وكان عدد الحاصرين يتراوح بين عشرة آلاف وخمسين الف مقاتل. ولو هجم الثوار على المدينة بغتة لتيسر لهم فتحها عنوة لان حاميتها – وكانت مؤلفة من خمسة آلاف من المشاة وبعض الفرسان ونحو ٣٠ مدفعا – لم يكن في استطاعتها الدفاع عن السور الذي يبلغ محيطه اثني عشر كيلو مترا. ويقال ان الامام كان عازما على اتيان ذلك وأعد السلالم

اللازمة لتسلق الاسوار ولكن المقربين اليه ثنوه عن عزمه

وقد انفق الفريقان مقدارا عظيما من الذخائر سدى، ولم يحتدم وطيس القتال الا لما دنا عزت باشا بجيشه من صنعاء فكانت الحامية تخرج من المدينة حينئذ وتهاجم الثوار فتنشب بينهما معارك شديدة يخسر فيها الفريقان خسارة جسيمة

وكان الثوار مسلحين ببنادق موزر من عيار ٧٤ وغني عن البيان ان هذه البنادق شديدة الفتك، ولقد كانت الذخائر متوفرة عندهم والا لما استطاعوا ان يطلقوا على الاسوار نارا حامية اكثر من ثلاثة اشهر، ومما يستغرب في هذا الامر ان البنادق والذخائر في شبه جزيرة العرب أرخص منها في اوروبا، ولم يستعمل الثوار المدافع العديدة التي غنموها من الاتراك كثيرا لانه ليس بينهم من يحسن الرماية بها (؟) ولان معظم الذين تصيبهم قنابلها داخل المدينة هم من اخوانهم واتباعهم

وحدث انهُ لما عصفت ريح الثورة خرج بعض الجنود المحليين من العرب من المدينة وانضموا الى الثوار فشدد ولاة الامور على من تخلف من هؤلاء الجنود في المدينة واعتقلوهم هم وسائر الذين اشتبهوا فيهم من الاهالي الى أن انتهى الحصار، ولم يشددوا الا في هذا الامر وتجاوزوا عن سيئة الذين سعوا في نسف الثكنات، ويأوّل تسامحهم هذا بخوفهم من قيام العرب عليهم اذا سقطت صنعاء وانتقامهم منهم وحرصهم على حياة الجنود الكثيرين الذين اسرهم العرب

وزحف عزت باشا بجيشه من الحديدة على داخلية البلاد من غير ان يلاقي المقاومة التي كان يتوقعها، نعم انه قاتل كثيرا في طريقه ولكن الثوار لم يدافعوا عن معقل من معاقلهم العديدة بين الحديدة وصنعاء مدافعة تستحق الذكر، وقد دلت النتائج على أن تقاعدهم عن مقاومة الجيش كانت حكمة من الامام وليس جبنا منهُ ومن رجاله، ولما بلغ الجيش صنعاء رأى انهُ لا يستطيع ان يخطو الى ما وراءها، ولم تكن خسارتهُ في الحرب عظيمة ولكن الاوبئة فتكت به فتكا ذريعا، وزد على ذلك انهُ لقي في طريقه مشاق وصعابا وانفق الا كثيرا في الانتقال من مكان الى مكان، وشاع بعد رفع الحصار ان الجيش كان ناويا التقدم الى شهارة ولكن عرب السواحل استأنفوا القتال الذي انتهى بواقعة جيزان المشومة

فحال ذلك دون اخراج هذا العزم واضطر ولاة الامور أن يسرعوا بمفاوضة مشايخ عرب الجبال ليشتروا خضوعهم وولاءهم بالمال

ويستدل من هذه النتائج السلبية ان الحكومة العثمانية لا تستطيع اخضاع اليمن اخضاعا تاما وأن الاسباب التي تمنع الادريسي من الاتحاد مع الامام- وهي اختلافات دينية - تمنعهُ ايضا من الاتفاق مع الحكومة ، هذا وان منع تكرر الثورات في تلك البلاد ضرب من المحال الا اذا نزع السلاح من الاهالي ولكن الحكومة بدلا من أن تفعل ذلك مكنت العرب من غنم عدد عظيم من البنادق و بعض المدافع من جيشها وهم يرفضون الآن ما تعرضهُ عليهم من الاقتراحات لرد هذه الاسلحة اورد بعضها رفضا باتا

وعلاوة على ما تقدم فان التغلب على البلاد الجبلية في اليمن محفوف باخطار ومصاعب جمة اذا كانت الحال ملائمة لذلك لان البلاد وعرة المسالك تتخللها الجبال والهضاب من جميع الانحاء فتجعل المواصلات امرا صعبا جدا ان لم نقل محالا وفيها كثير من المعاقل الطبيعية ويسكنها قوم اشداء عرفوا بالبسالة والاقدام لانهم شبوا على الحرب وشن الغارات ولانهم مستكملو العدة والسلاح ، نعم ان التمرس والتدرب على القتال يعوزانهم ولكنهم متحدو الكلمة تراهم قلبا واحدا ويدا واحدة في الذود عن كل ما يوجب اذلالهم وإخضاعهم اه

(المنار) يعتقد الكاتب أن الدولة لا تستطيع اخضاع اليمانيين بالقوة ثم هو ينصح لها بأن تأخذ منهم أسلحتهم فكأنه ينصح لها بأن تستمر على انفاق الملايين مما تقترضه من أوربة بالربا الفاحش وعلى بذل دماء الالوف من المسلمين كل عام لاجل أن يهلك الفريقان ويكونا غنيمة باردة للطامعين فيهم جميعا . ولو كان مخلصا في نصحه لاستنبط من علمه واختباره انه يجب على الدولة وهي لا يمكنها اذلالهم واخضاعهم أن ترضى بأن يتولوا أمور أنفسهم بمساعدتها تحت سلطتها وأن تؤلف منهم قوة يحمون بها بلادهم من الاجانب اذا اعتدوا عليها ويكونون عونا للدولة عند الحاجة اليهم . فحسبها انها حاربتهم أربعة قرون وخسرت في ذلك الملايين من الرجال وبذر المال ، ولم تستفد في مقابلته شيئا قط

دعوة سيدى احمد الشريف السنوسي

(الى جهاد الايطاليين في طرابلس الغرب وبرقه)

المنشور الذي نشره في القبائل

(بسم الله الرحمن الرحيم)

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

انه من عبد ربه سبحانه احمد بن السيد محمد الشريف بن السيد علي السنوسي الخطابي الحسني الادريسي الى كل واقف عليه من عموم المسلمين خصوصاً البلاد التي استولى عليها أعداء الدين

الحمد لله العزيز الجبار ، والصلاة والسلام على من أطال عز الدين بالبتار ، وعلى آله الانصار ، القائمين بواجب (قاتلوا الذين يلونكم من الكفار) الصادقين ما عاهدوا الله عليه ، الذائقين من حلاوة الشهادة ما أحبوا مفارقة النعيم المقيم للرجوع اليه ،

أما بعد اهدائي أطيب السلام ، والدعاء لثبات الاقدام بثبات الاقدام ، اعلموا «ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة» ، فاستبشروا ببيعكم وجاهدوا متخذين نصره سيفا وولايته جنة ، واسمعوا ما نبهكم به على الوفاء بتسليم المبيع من الوعد بالربح الجسيم، في قوله «هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم * تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون * يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم * وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين» واحذروا ما توعد به المماطل من العذاب والتدمير، في قوله «ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الارض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة الا قليل * إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شيء قدير»

واعلموا ان الاجل محتوم ، فما خائض المعركة ميت الا به ، ولا القصور المشيدة مانعة ملائكة الموت عن ساكنها ، فما أصاب لم يكن ليخطىء وما أخطأ لم يكن ليصيب ، على أن الموت في الجهاد هو منتهى أرب اللبيب ، إذ هو الحياة الحقيقية ، وكمال المنزلة بالرزق في مقام الحضرة الربانية ، فلهذا آثره من ينفرد في الدنيا بعز الخلافة على ما هو فيه ، فكيف بمن به يكون خلاصه من أسر الاعداء وسبيهم نساءه وأولاده وما يحميه

واعلموا ان الجنة تحت ظلال السيوف ، وان الشهيد لايجد الموت الا كالفرس لما هو به مشغوف ، يجد ريح الجنة ، وتتراءى له الحور اذا أثخن . وقد قال (أنس ابن النضر) في وقعة أحد « واها لريح الجنة . اني لأجد ريحها دون أحد » ثم انغمس في المشركين حتى قتل

ولا تصدنكم عن جهادكم كثرة عدد ولا عدد ، فان قوة الايمان يتلاشى في جنبها كل عدد ، فجموعهم المعسكرة مكسرة ، وعزماتهم المؤنثة مصغرة ، وان كانت ذواتهم مذكرة مكبرة ، وقد وعد الله ناصره بالنصر والتثبيت ، والعدو بالتعس والتشتيت ، ولا ترتدوا على أدباركم ، لضعف من بعض أمرائكم ، فان المرء لو جاهد لله وحده ، لصدق وعده ، وأعز جنده ، بل جاهدوا ولو فرة ، وأثبتوا ولو مرة ، فقد كان في الغزوات ، يتداول الرايات الجماعات ، كلما حي أمير أخذها الآخر لينال المرام ، وفي الحديث الحث على الجهاد مع كل امام ، فلا تنكسرن قلوبكم لقلة عدد ، ولا تجبنوا لضعف مدد ، بل ليقاتل أحدكم ولو وحده ، منتظرا بالنصر وعده ، فقد قال تعالى « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله » والاحاديث فى الترهيب من ترك الجهاد والترغيب فيه لا يحاط بها كثرة ، فمن الاول « اذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلا لاينزع عنكم حتى ترجعوا الى دينكم » أي الواجب عليكم من جهاد الاعداء والاغلاظ عليهم واقامة الاسلام ونصرة الدين وآله واعلاء كلمة الله واذلال الكفر وأهله . ومنه « ان ترك الجهاد خروج عن الدين » اذ لايرجع الى الشيء الا من خرج عنه . هذا في الجهاد الكفائي فكيف بالجهاد الذي تعين بمفاجأة العدو (١) . واذا كان القاعد عنه

(١) يراجع المنارى ص ٩٢٨ من المجلد الرابع عشر يرى في أولها اننا توقعنا هذا البيان من السنوسية في المقالة السابعة من مقالات المسألة الشرقية التي كتبناها في اواخر شوال . ثم ليراجع المقالة العاشرة والبحث في هذه المسألة فيها

خارجا عن الدين فكيف بمن يبايع الكفار بحطام على قتال المسلمين وكتابة نفسه في جندهم . وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من غزا غزوة في سبيل الله فقد أدى الى الله جميع طاعته (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر انا أعتدنا للظالمين نارا) » قال : قيل يارسول الله بعد هذا الحديث الذي سمعناه منك من يدع الجهاد : « قال من لعنه الله وغضب عليه وأعد له عذابا عظيما . قوم يكونون في آخر الزمان لايرون الجهاد وقد اتخذ ربي عنده عهداً لا يخلفه : ايما عبد لقيه وهو يرى ذلك ان يعذبه عذابا لا يعذبه أحداً من العالمين » وفي مسلم « من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه مات على شعبة من النفاق » ومن الثاني قوله صلى الله عليه وسلم لمن سأله أي الناس أفضل « مؤمن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله » وفيه انهم قالوا يارسول الله مايضحك الرب من عبده ؟ قال « غمسه يده في العدو حاسرا » وفيه ان درجات المجاهدين الى مائة درجة في الجنة ما بين الدرجتين كما بين السماء والارض »

فالله الله عباد الله ، خلصوا أنفسكم واعراضكم من أيدي الكفار ، واغسلوا ياذوي الهمم ملابس مروءتكم من العار ، وجاهدوا بالانفس والاموال ، فدرهم الجهاد بسبعة آلاف ، وكونوا كرجل واحد في التعاون والائتلاف ، وابشروا بنصر من الله وفتح قريب ، فما أمر بالجهاد الا ليهدي السبيل ولا حرك الالسن بالدعاء الا ليجيب ، ولا تقر نفس منكم قرارها ، حتى تضع الحرب أوزارها ، وليكن هم كل منكم وهواه ، قتالهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله . فالمثابرة المثابرة فما هي الا قليل . وان قيل انهم « قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل » فهم عما قليل مدحورون ، وهذا إبان اعطاء جميعهم الجزية عن يدوهم صاغرون

فلا يوجبن لكم - ما المسلمون فيه الآن - جبنا ولا تقصيرا « فالله ولي الذين آمنوا وكفى بالله وليا وكفى بالله نصير » واصبروا فان الفرج قريب ، واني ان شاء الله قادم اليكم عن قريب ، وعليكم منا اتم السلام

اللغة العربية

﴿ بحث تاريخي فلسفي ﴾

(في موطن العربية المضرية ونسبتها الى أخواتها من اللغات السامية) (*)

ايها السادة والسيدات . اللغة العربية فرع من ارومة تعرف بالارومة السامية ومن فروع هذه الارومة اللغات الآتية وهي : البابلية القديمة وتعرف بالاشورية أيضا ، والارامية (وهي السريانية) والعبرانية الفينيقية ، والحميرية ، والحبشية أو الاثيوبية . الا أن العربية من بين هذه الفروع هي أمدها أغصانا واملاها جذما وأورقها ظلا وأنضرها أوراقا وأطيبها ثمرا يانعا شهيا

وعلماء اللغات الغربيون يقولون ان ارومة هذه الدوحة السامية انشعب منها فرعان اثنان فرع شمالي وفيه اللغة البابلية القديمة ، والارامية ، والعبرانية الفينيقية ، وفرع جنوبي وفيه العربية المضرية والسبئية والسقطرية والمهرية والاثيوبية (أو الحبشية)

وصحح العلامة أرثر نولدكي على ما في دائرة المعارف البريطانية الاخيرة سنة ١٩١١ هذا التقسيم فجعل اللغة البابلية القديمة فرعا مستقلا بنفسه وجعل الفرع الثاني ينشعب الى جذمين شمالي وجنوبي وجعل في الشمالي الارامية ، والعبرانية الفينيقية ، وجعل في الجنوبي العربية المضرية ، والسبئية ، والسقطرية ، والحبشية أو الاثيوبية

هذا ما يراه العلماء الغربيون في تقسيم اللغات السامية وتفرعاتها عن الام التي نشأت منها . ولهم في موطن هذه الام السامية الاصلي آراء ثلاثة الاول ان موطنها افريقيا ، والثاني انه العراق وما يجاور الخليج الفارسي من أعلاه الى اليمين والشمال ، والثالث انه شبه جزيرة العرب . أما الرأي الثاني فرأي العلامة الاستاذ جويدي صاحب المحاضرات المشهورة في الجامعة المصرية في العام الفائت . وأما الرأي الاول فالظاهر من كلام العلامة نولدكي انه من القائلين به أو الذاهبين اليه . وأما

(*) خطاب لصديقنا الاستاذ جبر افندي ضومط معلم اللغة العربية في المدرسة الكلية الامريكانية ببيروت ألقاه في تلك المدرسة ثم أتحفنا به

الثالث فيقول فيه هذا العلامة انه مما ذهب اليه فريق من العلماء الباحثين ولكنه لا يسمي أحدا من الذين يقولون به . ومع انه يقول في هذا الرأي ان عليه مسحة من القبول وفي الظواهر ما يعضده ، يعود فيعطف على مقاله هذا ما يشتم منه تضعيفه والجرح فيه . راجع مقالة هذا العلامة النفيسة المدرجة في المجلد الرابع والعشرين من دائرة المعارف البريطانية الطبعة الاخيرة سنة ١٩١١ وجه ٦٢٠ الى ٦٣٠

﴿ عود الى تفريع اللغات السامية ﴾

قلنا ان علماء الغربيين يفرعون الدوحة السامية العظمى الى فرعين كبيرين شمالي وجنوبي ويشعبون من الفرع الشمالي البابلية القديمة والارامية والعبرانية الفينيقية ، ومن الجنوبي العربية العدنانية المضرية والسبئية والمهرية والسقطرية (نسبة الى مهرة وجزيرة سقطرة) والايثوبية ويندرج تحت الايثوبية الحبشية والامهرية. وقد ذكرنا أيضا تصحيح العلامة نولدكي لهذا التفريع أي انه جعل البابلية القديمة فرعا مستقلا بذاته وجعل ما سواها من بقية اللغات السامية في الفرع الثاني وشعب من هذا الفرع شعبتين أو جذمين شمالي وجنوبي على ما مر بنا

ولم أر سندا لما ذكره هذا العلامة الا ما بين اللغات من التقارب والمشابهات في الالفاظ المفردة والاشتقاقات الصرفية وما يلحق ذلك من التراكيب وأدوات المعاني ولاسيما أدوات وطرق التعريف والتنكير وقد أغفل الوجه التاريخي تمام الاغفال . والذي يظهر لي أن اغفال الوجهة التاريخية نقص في البحث وأنه لو تُنبه اليها وأضيفت مآخذها الى مآخذ الابحاث اللغوية الصرفية لكان فيما يستنتج من مجموع وجهتي البحث ما يضعف آراء القوم في التقسيم والتفريع ويضعف أيضا تصحيح العلامة نولدكي

وعندي أنه لو أضفنا الى ما نعرفه من التشابه والتقارب بين الالفاظ والمشتقات وضروب التراكيب النحوية والاضافية وطرق التعريف والتنكير ما نعرفه من النقول التاريخية والتقاليد العمومية المتعارفة لأدى بنا ذلك الى التقسيم الآتي وهو أن الدوحة السامية العظمى تنقسم الى فرعين كبيرين هما الفرع القحطاني

والفرع العادي ، وان الفرع الاول أي القحطاني انشعب منه الارامية والحميرية والحبشية ، وان الثاني أي العادي انشعب منه البابلية القديمة والعبرانية الفينيقية والعربية العدنانية المضرية . وأما السبئية التي يشير اليها العلامة نولدكي فان كان يراد بها لغة بلاد سبأ أي البلاد التي عاصمتها مأرب ذات السد المشهور فالتاريخ يعارض قول هذا العلامة وينافيه لانه يشير اشارة لانقوى على معارضتها (إلى) أن لغة هذه البلاد كانت منذ الجيل الاول للمسيح لحد هذه الساعة لغة عربية مضرية وسنقيم الدليل على ذلك . وعليه فالارجح ان هذه اللغة السبئية التي يقولها هذا العلامة انما هي الحميرية القحطانية يخالطها شيء من العربية المضرية بما يتخيل معه انها شعبة من الجذم العربي العادي . وأما لغة مهرة وسقطرة فخليطى من الحميرية والحبشية ولا يبعد أن يكون بين ألفاظها بقية كبيرة من اللغة السبئية العادية العدنانية التي زعمها العلامة نولدكي قسيمة للعربية وما هي قسيمة لها وانما هي لهجة أو لغة من لغاتها على الارجح

﴿ مهد اللغة السامية او وطنها الاصلي ﴾

قبل اقامة الدليل التاريخي على ماذكرناه في شأن لغة سبأ أي انها لغة او لهجة من لهجات العربية وبعبارة أخرى ان أهل بلاد سبأ كانوا يتكلمون العربية المضرية من (زمن) سيل العرم الى الآن . وقبل أن اذكر الدليل في اثبات ان فرعي الام السامية هما القحطانية والعادية ومنهما تفرعت بقية اللغات السامية الاخرى لابد لي من الرجوع الى الكلام عن موطن اللغة السامية الاصلي ومهدها الذي ربيت فيه فاقول :

وجدنا اللغات السامية في البلدان الآتية (١) في شمالي افريقيا على شواطيء المتوسط من الشام شرقا حتى تصل الى بوغاز جبل طارق والاتلانتيكي غربا ويشتمل ذلك علي برقة وطرابلس الغرب وتونس والجزائر وبلاد مراكش (٢) في مصر وما يليها جنوبا من بلاد الايثيوبيين أوممالك الحبشة (٣) في جزيرة العرب وما والاها من فلسطين وسوريا حتى تصل آسيا الصغرى (٤) في بادية الشام والعراق من راس الخليج الفارسي جنوبا حتى تصل الموصل وديار بكر شمالا ، وليس في التاريخ ولا في

الآثار ولا في التقاليد المتناقلة مايشير أدنى اشارة الى انها كانت في غير هذه البلدان

هذه هي البلدان التي عاشت فيها الامم التي تكلمت اللغات السامية لم يعرف عنها قط انها كانت في غيرها من البلاد اللهم الا حيث كانت المستعمرات الفينيقية لكنها لم تثبت هناك بل انقرضت حالا عند انقراض المستعمرين وتغلب من حواليهم من الامم عليهم ، ولا شك ان مهد السامية لم يتجاوز البلدان التي ذكرناها ولا بد ان يكون في احداها ، وعلى هذا اجمع أرباب البحث من علماء اللغات والتاريخ قديما وحديثا على ما أعلم وهو ظاهر قول العلامة نولدكي ايضا

قلنا فيما مر ان هنالك آراء ثلاثة في موطن السامية ، الاول انه افريقيا والثاني انه جزيرة العرب والثالث انه العراق او اقليم بابل وما يليه من بلاد الاشوريين. فلننظر في كل من هذه الآراء واحدا واحداً ولا شك ان الرأي الذي تتوفر فيه الادلة التاريخية والعقلية هو أولى من صاحبيه بالقبول ، دعونا ننظر أولا الى بلدان شمالي افريقيا ونسأل تقاليد أهلها عن أهلها من اين جاؤا . ان البربر واعني بهم سكان شمالي أفريقيا من الذين كانوا يتكلمون باللغة السامية ولا يزالون يتكلمون بها الى الآن يرفضون بتاتا ان يكون أصلهم من زنوج افريقيا ويصلون انسابهم بأنساب العرب وأهل اليمن والشام ، والقول المعتبر في ذلك انما هو قول العلامة ابن خلدون صاحب التاريخ المشهور فراجع مانقله في انساب البربر - المجلد السادس طبعة بولاق من صفحة ٨٩ الى ٩٨

ان الواقف على ماذكره هذا العلامة في انساب القوم لايشك انهم جاؤا الى تلك البلاد الواسعة من الشام والبلاد العربية ، ولا أقول ان البربر استعمروا بلادهم ابتداء لم يكن فيها قبلهم أحد من الامم ولكني أقول ان هؤلاء الذين جاؤا البلاد ولغتهم من الدوحة السامية جاؤا من الشام وجزيرة العرب فتغلبوا مع الايام على أهل البلاد وصارت اليهم الدولة والسلطة واختلطوا مع من غلبوهم بالزواج فصاروا من ثم جميعهم « الغالبون والمغلوبون » ينتسبون الى الامم التي كان منها الغالبون، لا أستطيع ان انقل كل ماذكره العلامة ابن خلدون في انساب البربر ولكني انقل ماجاء له في الجزء الثاني من تاريخه (وجه ٥١ طبعة بولاق) قال : قال ابن

حزم هو افريقش بن قيس بن صيفي اخو الحارث الرائش وهو الذي ذهب بقبائل العرب الى افريقيا و به سميت وساق اليها البربر من ارض كنعان مر بها عند ما غلبها يوشع وقتلهم فاحتمل الفل منهم فساقهم الى افريقيا فانزلهم بها — ولما رجع من غزو المغرب ترك هنالك من قبائل حمير صنهاجة وكتامة فهم الى الآن بها وليسوا من نسب البربر ، قاله الطبري والجرجاني والمسعودي وابن الكلبي والسهيلي وجميع النسابين . انتهى النقل ، و يظهر من هذا الذي نقلناه ومن كثير أمثاله ان التبابعة أجلوا غير مرة العرب وأهل كنعان الى بلاد المغرب وأقاموا مهاجرا فيها لقبائلهم من سبأ وحمير.

ولا احتاج ان أذكر جاليات الصيدونيين والصوريين الى تلك البلاد فان الجالية منهم التي استعمرت قرطاجنة ومن ثم صار لها الغلب على كل شمالي افريقيا سنينا طويلة هي اشهر من ان تذكر ، وكادت دولتهم هناك ان يكون لها الغلب على اشهر الممالك المعروفة حينئذ لو لم تسبقها رومية العظمى الى ذلك ، و بناء على هذا جميعه أعيد ماقلته من ان التقاليد والتواريخ كلها تشير الى جهة واحدة وهي ان الامم السامية هم دخلاء على شمالي افريقيا وقد جاؤا الى هناك من الشام وجزيرة العرب ، فليس شمالي افريقيا اذن موطنا للسامية ولا يعقل ان يكون هناك أيضا

فرغنا الآن من الكلام عن شمالي افريقيا ، بقي علينا مصر والحبشة . أما مصر فلم أسمع عمن ذهب الى انها موطن السامية الاصلي وهذا مما يغنيني على الاطالة واقامة الدليل على أمر يُنازع فيه ، ومع ذلك أقول ان الاثري والمؤرخ الشهير العلامة رولسن يرجح أن التمدن المصري القديم ليس أصليا فيها انما جاءها عن العراق وبلاد العرب ، ومن المشهور في الآثار والتواريخ العربية ان دولة الرعاة في مصر وكانت سامية جاءتها من البلاد العربية ، بقي علينا بلاد الحبش — وعامة المحققين وعلماء اللغة لا يشكون في ان الحبشة هؤلاء أعني الذين يتكلمون بهذه اللغة السامية هاجروا اليها من البلاد العربية ، ومثل ذلك أقول في الامهريين إن لم يكن قد قيل فيهم ذلك من قبل ، والفرق بينهم و بين الحبشة ان الحبشة نزحوا جماعة كبيرة وأما أولئك فكانوا قلائل في العدد و باختلاطهم مع الزنوج غلبت عليهم وعلى لغتهم ملامح هؤلاء وألفاظ لغتهم وكثير من عباراتها وتراكيبها ولكن لم تقو لغتهم الزنجية

على ازالة الاصل السامي فبقي من آثاره مايدل عليه بعد التنقيب وامعان الروية ، وأرى أن العقل لا يستطيع الحكم بأن هؤلاء السامين بقوا ما بقوا في افريقيا وكانوا ما كانوا ثم خرجوا عن بكرة أبيهم من موطنهم الاصلي في بلاد الزنوج ولم يتركوا أثرا هناك يدل عليهم أصلا ، إن هذا الرأي لا يقبل إلا مع البرهان الراجح إن لم نقل البرهان القاطع للشك والنافي للاحتمال

بقي علينا بلاد العراق من الخليج الفارسي الى الموصل وديار بكر — والباحثون على اتفاق بينهم ان الاشوريين جاؤا من بابل وان لغة الاشوريين ولغة قدماء البابليين واحدة ، والآثار البابلية تقول ان اصحاب آثارها من الذين تكلموا بهذا اللسان السامي لم يكونوا أصليين في البلاد وانما كان قبلهم قوم على جانب عظيم من التمدن وكان لهم لغة لكن من غير الارومة السامية وعلى جانب من الارتقاء فلما تغلب عليهم هؤلاء الساميون اخذوا عنهم الكثير من آدابهم وترجموا لغتهم ومكتوباتهم الى لغتهم السامية ، والمأخوذ من هذا عقلا والواجب اعتماده أيضا ان الساميين أو السامية جاءت الى العراق و بابل من مكان آخر وكان أهلها غزاة فاتحين ولا أقرب الى العقل من ان يكونوا نزحوا الى هناك من الجزيرة العربية فان المشاهد والمعروف في كل العصور التاريخية الى الآن ان هؤلاء أعني أهل الجزيرة العربية كانوا يهاجرون من سائر أنحائها الى الشام والعراق و يستوطنون هناك تجارا أو زراعين يحرثون الارض و يربون المواشي واذا وجدوا انهزة للتغلب والتسلط على مجاوريهم انتهزوها

﴿ رجوع الى تقسيم اللغات السامية ﴾

(الارومة السامية تنشعب الى فرعين : القحطاني والعادي)

ظهر لنا مما مرّ ان البلاد العربية هي موطن السامية والساميين اي المتكلمين بالسامية « سواء كانوا ساميين او حاميين في النسب » فلننظر الى ما في شبه جزيرة العرب من اللغات فان كان هناك لغة او آثار لغة واحدة لا غير فتلك اللغة هي الارومة السامية الكبرى وان كان هناك لغتان فاللغتان هما الفرعان اللذان انشعبا من الارومة الكبرى

ان التقاليد العربية والتواريخ المكتوبة الباقية عندنا الى اليوم تذكر أن قد كان في شبه جزيرة العرب لغتان هما القحطانية والعادية . وان القحطانية كانت بين السريانية والعبرانية وهي اميل الى السريانية كما نرجح . وبيانه — قال المسعودي — وكان الهيثم بن عدي الطائي يقول اسماعيل تكلم بلغة جُرهُم لان اسماعيل كان سرياني اللسان على لغة ابيه خليل الرحمن حين اسكنهُ هو وامهُ هاجر بمكة على ما ذكرنا فصاهر جرهم ونشأ على لغتها ونطق بكلامها ونزار تأبى ان يكون اسماعيل نشأ على لغة جُرهُم ويقولون إن الله عزّ وجل اعطاهُ هذه اللغة — الى ان يقول — ووجدنا لغة ولد قحطان بخلاف لغة ولد نزار بن معد — ويقول — وقد وجدنا (قحطان) سرياني اللسان وولدهُ (يعرب) بخلاف لسانه . (راجع المسعودي جلد اول وجه ١٩٢ طبع المطبعة الازهرية المصرية سنة ١٣٠٣). وقال العلامة ابن خلدون: واما جرهم فكانت ديارهم باليمن وكانوا يتكلمون بالعبرانية — وقيل انما نزلت جرهم الحجاز ثم بنو قطور بن كركر بن عملاق لقحط اصاب اليمن فلم يزالوا بمكة الى ان كان شأن اسماعيل عليه السلام ونبوته فآمنوا به وقاموا بامره وورثوا ولاية البيت عنهُ حتى غلبتهم عليه خزاعة وكنانة فخرجت جرهم من مكة ورجعوا الى ديارهم باليمن الى ان هلكوا (ابن خلدون جلد ثان وجه ٣٠ طبعة بولاق)

وقال العلامة ابن هشام انهم وجدوا في ركن الكعبة كتابا بالسريانية قرأهُ لهم رجل يهودي (راجع سيرة ابن هشام جزء (١) وجه ٦٦ طبعة بولاق)

يظهر من النقول التي اوردناها أن الامامين ابن خلدون والمسعودي متفقان على ان جرهم قحطانية وكانت ديارهم اليمن اولا (وهذا نص ابن خلدون) الا ان الامام المسعودي يقول ان لغة جرهم السريانية ، واما ابن خلدون فيقول إنها العبرانية ، وارى ان التوفيق بينهما اذا قلنا ان القحطانية اقرب الى السريانية سهل لانهُ يمكننا حمل العبرانية في كلام ابن خلدون على اللغة التى كان يتكلم بها اليهود في ايامه وهي السريانية او العبرانية البابلية . واذا كانت القحطانية هي السريانية القديمة او لغة قريبة منها فيترجح عندنا بل ينبغي ان تكون الحميرية التي خلفت

القحطانية وبقيت في الجزيرة العربية في اليمن الى الجيل الثالث بعد الهجرة — على ما نصهُ العلامة الهمداني (١) — قريبة من السريانية ايضا وارجح ان قد بقي اثر كبير من هذه الحميرية في مخلاف حضور وحوالي مدينة ظفار الى اليوم وفي الشحر وسواحل حضرموت ايضا

قلنا ان لغات شبه جزيرة العرب لغتان القحطانية الاولى وقد خلفتها الحميرية التي بقيت في اليمن الى الجيل الرابع بعد الهجرة على ما نص العلامة الهمداني كما اشرنا قبيل الآن ، والعادية وهي العربية الاولى، واهلها من عاد وثمود وطسم وجديس والعماليق هم العرب العاربة وقد انقرضوا على ما يقولون وخلفهم العدنانيون او النزاريون في اغلب مواطنهم التي كانوا فيها وتكلموا بلغتهم . ولغتهم اي العدنانيين هي هذه اللغة العربية المضرية لغة القرآن والحديث والمعلقات وغيرها من الشعر العربي المشهور . ونسبتها الى العربية الاولى لغة عاد وثمود كنسبة الحميرية الى القحطانية الاولى على ما ارجح

دعوني انقل ما ذكره الطبري في هؤلاء العرب العادية وفي لغتهم ومواطنهم وسأختصر في النقل ما استطعت . قال رحمه الله — فعمليق ابو العماليق كلهم امم تفرقت في البلاد وكان اهل المشرق واهل عمان واهل الحجاز واهل الشام واهل مصر منهم . ومنهم كانت الجبابرة بالشام الذين يقال لهم الكنعانيون ومنهم كانت الفراعنة بمصر ، وكان اهل البحرين واهل عمان منهم امة يسمون جاسم . وكان ساكنو المدينة منهم — واهل نجد منهم — واهل تيماء منهم . وكان ملك الحجاز منهم بتيماء واسمهُ الارقم وكانوا ساكني نجد مع ذلك — فكانت طسم وعماليق واميم وجاسم قوما عربا لسانهم الذي جبلوا عليه لسان عربي — وولد إرم بن سام بن نوح عوص بن إرم وغاثر بن عوص وعاد بن عوص وعبيل بن عوص ، وولد غاثر بن ارم ثمود بن غاثر وجديس بن غاثر وكانوا قوما عربا يتكلمون بهذا اللسان المضري ، فكانت العرب تقول لهذه الامم العرب العاربة لانه لسانهم الذي جبلوا عليه ، ويقولون لبني اسماعيل بن ابراهيم العرب المتعربة لانهم انما

١) همداني وصف جزيرة العرب طبع ليدن وجه ١٣٤ — ١٣٦

تكلموا بلسان هذه الامم حين سكنوا بين اظهرهم . فعاد وثمود والعماليق واميم وجاسم وجديس وطسم هم العرب . فكانت عاد بهذا الرمل الى حضرموت واليمن كله، وكانت ثمود بالحجر بين الحجاز والشام الى وادي القرى وما حوله، ولحقت جديس بطسم فكانوا معهم باليمامة وما حولها الى البحرين واسم اليمامة اذ ذاك جو، وسكنت جاسم عمان فكانوا بها . (انظر الطبري مجلد ١ وجه ٢١٣ و ٢١٤ و ٢١٥ طبع ليدن)

يظهر مما نقلناه عن هذا المؤرخ الثقة الصلة التامة في اللغة بين هذه القبائل البائدة واشهرها عاد وبين القبائل العدنانية الباقية الى اليوم واشهرها كان بعد قريش قيس وتميم . ويظهر منه ايضا الصلة بين اهل نجد والحجاز و بين الكنعانيين في الشام فانهم جميعا من العمالقة . ومن الصلة بينهم في النسب نستنتج الصلة في اللغة وعليه فتكون العربية والعبرانية من فرع واحد لانها اي العبرانية الفينيقية والكنعانية من فرع واحد ان لم يكونا لغة واحدة . ويظهر منه ايضا البلدان التي احتلتها هذه القبائل فان عادا نزلت الاحقاف الى حضرموت واليمن كله، وثمود الحجر بين الحجاز والشام الى وادي القرى، وطسم وجديس اليمامة وما حولها الى البحرين، وجاسم عمان والعمالقة نجدا والحجاز وتيماء، فما كان صالحا للفلح والزرع فلحوه وزرعوه وما كان في طريق التجارة اقاموا فيه محطات لها من خليج فارس شرقا الى ايلة وبحر الشام، غربا ومن حضرموت واليمن جنوبا الى برية الشام وفلسطين شمالا، فكانت من ثم مواطنهم لذلك الحين من احسن النقط التجارية . ولذلك كثر غناهم وعظمت دولتهم واصبحوا مضرب مثل عند من خلفهم في الغنى والقوة والعظمة وتناقلوا عنهم لعظم آثارهم اخبارا هي اشبه باخبار القصاص الموضوعة للتسلية والاغراب منها بالإخبار الممكن ان تقع، فانهم نسبوا معظمها الى الجن وتسخير القوات غير المنظورة كما نسبوا مثل ذلك الى بعلبك وتدمر و بعض آثار بابل واشور (لها بقية)

نقد تاريخ التمدن الاسلامي

(بقلم الشيخ شبلي النعماني)

٢

﴿ مثالب بني أمية ﴾

المقصد الذي جعله المؤلف نصب عينه ومرمى غايته هو ان الامة العربية اذا بقيت على صرافتها فهي جامعة لجميع اشتات الشر، أي الجور والقسوة والهمجية وسفك الدماء والفتك بالناس . ولكن لما كان لا يقدر على اظهار هذا المقصد تصريحا احتال في ذلك فغمض المذهب وجعل الكلام طيب الظاهر وذلك بأن قسم عصر الاسلام الى ثلاثة أدوار ـ فمدح سياسة الخلفاء الراشدين وقال بعد مدحها .

« على أن سياسة الراشدين على الاجمال ليست مما يلائم طبيعة العمران أو تقتضيه سياسة الملك وانما هي خلافة دينية توقفت الى رجال يندر اجتماعهم في عصر . فاهل العلم بالعمران لا يرون هذه السياسة تصلح لتدبير الممالك في غير ذلك العصر العجيب وان انقلاب تلك الخلافة الدينية الى الملك السياسي لم يكن منه بد (الجزء الرابع صفحة ٢٩ و ٣٠)

فاثبت بذلك ان سياسة الخلفاء الراشدين ليست فيها اسوة للناس وانها من مستثنيات الطبيعة، أما دور العباسيين فمدحه ولكن لا لاجل انه دولة عربية بل لكونها فارسية مادة وقواماً مؤتلفا ونظاماً وصرح بذلك فقال :

« دعونا هذا العصر فارسيا مع انه داخل في عصر الدولة العباسية لان تلك على كونها عربية من حيث خلفاءها ولغتها وديانتها فهي فارسية من حيث سياستها وإدارتها لان الفرس نصروها وايدوها ثم هم نظموا حكومتها وأداروا شؤونها ومنهم وزراؤها وامراؤها وكتابها وحجابها » (الجزء الرابع صفحة ١٠٦)

ثم اشار في غير موضع الى أن الدولة العربية الساذجة انما هي دولة بني أمية فقال :

« وجملة القول ان الدولة الاموية دولة عربية » (الجزء الرابع صفحة ١٠٣)

« وظل العرب في ايام بنى أمية على بداوتهم وجفاوتهم وكان خلفاؤها يرسلون اولادهم الى البادية لاتقان اللغة واكتساب اساليب البدو وآدابهم (الجزء الرابع صفحة ٦١)

ولما اثبت ان خلافة الراشدين لم تكن تلائم النظام الطبعي وان دولة بني العباس دولة فارسية وان الباقية على صرافتها هى الدولة الاموية اخذ يعدد مثالب بني أمية تحت عنوانات مستقلة منها الاستخفاف بالدين وأهله ، ومنها الاستهانة بالقرآن والحرمين، ومنها الفتك والبطش ، ومنها قتل الاطفال ، ومنها خزانة الرؤس . وأتى في مطاوي هذه العنوانات من الافك والاختلاق والتحريف والتبديل بما تجاوز الحد وخرج عن طور القياس . والآن اذكر نبذاً منها واكشف عن جلية حالها ،

﴿ الاستهانة بالقرآن والحرمين ﴾

قال المؤلف تحت هذا العنوان :

«اما عبد الملك فكان يرى الشدة ويجاهر بطلب التغلب بالقوة والعنف ولو خالف الدين . لانه صرح باستهانة الدين منذ ولي الخلافة ... ذكروا انه لما جاؤه بخبر الخلافة كان قاعداً والمصحف في حجره فاطبقه وقال: هذا آخر العهد بك - او - هذا فراق بيني وبينك . فلاغرو بعد ذلك اذا اباح لعامله الحجاج ان يضرب الكعبة بالمنجنيق وان يقتل ابن الزبير ويحتز رأسه بيده داخل مسجد الكعبة . وظلوا يقتلون الناس فيها ثلاثاً وهدموا الكعبة وهي بيت الله عندهم واوقدوا النيران بين احجارها واستارها» (الجزء الرابع صفحة ٧٨ و ٧٩)

الحكاية على الاجمال ان ابن الزبير ادعى الخلافة فملك الحرمين والعراق وكاد يغلب على الشام وكان امره كل يوم في ازدياد وبازائه بنو أمية في الشام فلما تولى عبد الملك الخلافة ارسل الحجاج الى ابن الزبير فحاصره ولاذ ابن الزبير بمكة فنصب الحجاج المنجنيق على الزيادة التي كان زادها ابن الزبير (كما يجيء تفصيله)

يعرف كل من له ادنى المام بالتاريخ ان الحجاج ما اراد الاقتال ابن الزبير ولكونه لائذاً بالكعبة اضطر الى نصب المنجنيق على الكعبة ولكن مع ذلك تحرز عن عن رمي الكعبة فحول وجهها الى زيادة ابن الزبير . فانظر كيف غير المؤلف مجرى الحكاية فصدر الباب بالاستهانة بالقرآن والحرمين . ثم ذكر ان عبد الملك قال للقرآن:

هذا فراق بيني وبينك . وانه اباح للحجاج ضرب الكعبة بالمنجنيق وهدم الكعبة وإيقاد النيران بين استارها فالناظر في عبارته يتوهم بل يستيقن ان عبد الملك تفرغ من بدء الامر للاستهانة بالدين والقرآن والحرمين وجعل الاستهانة نصب عينه ومرمى غايته ، وقتل ابن الزبير كان امالانه دافع عن مكة او لكونه ايضاً من جنس الاستهانة بالحرم .

اما تفصيل الواقعة وتعيين بادىء الظلم فهو ان ابن الزبير لما استولى على الحرمين اخرج بني أمية من المدينة فخرج مروان وابنه عبد الملك وهو عليل بجدر فاستولى على الشام وصدرت من ابن الزبير افعال نقموا عليه لاجلها فمنها انه تحامل على بنى هاشم واظهر لهم العداوة والبغضاء (١) حتى انه ترك الصلاة على النبي في الخطبة ولما سألوه عن هذا قال ان للنبي اهل سوء يرفعون رءوسهم اذا سمعوا به (٢) ومنها انه هدم الكعبة ومع ان هدمها لم يكن الا لرمتها واصلاحها ولكن لم يكن هذ مألوفا للناس ولذلك تحرز النبي عليه السلام عن ادخال الحطيم في الكعبة فاتخذ الحجاج هذه الامور وسيلة لاغراء الناس على ابن الزبير . ولعل ابن الزبير كان مضطراً الى هذه الاعمال ولكن من شريطة العدل ان نوفي كل واحد قسطه من الحق فاذا اعتذرنا لابن الزبير فعبد الملك احق منه اعتذرا فان ابن الزبير هو البادىء والبادىء اظلم . ويظهر من هذا ان عبد الملك ما اراد الحط من شأن الكعبة ومس شرفها ولكن اضطر الى قتال ابن الزبير فوقع ما وقع عرضا غير مقصود بالذات ولذلك لما نصب الحجاج المناجيق على الكعبة حولها عن الكعبة وجعل الغرض الزيادة التي كان زادها ابن الزبير ، صرح بذلك العلامة البشاري في احسن التقاسيم . ثم ان من مسائل الفقه ان البغاة اذا تحصنوا بالكعبة لا يمنع هذا عن قتالهم ولذلك امر النبي في وقعة الفتح بقتل احدهم وهو متعلق باستار الكعبة وابن الزبير كان عند اهل الشام من البغاة والمارقين عن الدين

ولو كان اراد الحجاج الاستهانة بالحرم فما كان مراده من رمته واصلاحه بعد قتل ابن الزبير ومعلوم ان تعمير الحجاج هو اليوم كعبة الاسلام وقبلة المسلمين كافة اما قول عبد الملك للقرآن هذا فراق بيني وبينك ، فحقيقته ان عبد الملك كان قبل الخلافة ناسكا منقطعاً الى العبادة لا يشتغل بشيء من الدنيا ، قال نافع ما رايت في المدينة اشد نسكا وعبادة من عبد الملك ، ولما سألوا ابن عمر الى من نرجع في

(١) اليعقوبي طبع اوربا صفحة ٣١١ من الجزء الثاني (٢) الجزء الثاني من اليعقوبي صفحة ٣١١

الفتوى بعدك ؟ قال « ولد لمروان » وكان يقول ابن الزناد الفقهاء في المدينة سبع احدهم عبد الملك . وقال الامام الشعبي ماجالست احداً الا وجدت عليه الفضل الا عبد الملك بن مروان. ذكر كل هذه الاقوال العلامة السيوطي في تاريخه للخلفاء . فلما جاءته الخلافة وهو يقرأ القرآن تصور خطارة الامر وان مثل هذا العبء لا يمكن تحمله الا المنقطع اليه فقال تحسراً هذا آخر العهد بك . اي الآن لا يمكن الانقطاع الى العبادة وقراءة القرآن كما كان دأبي أولا ، وليس هذا على سبيل الاستهانة بالدين مطلقاً فانا نرى اشتغال عبد الملك بالفرائض والسنن فيما بعد فهو يصوم ويصلي ويحج قال اليعقوبي في تاريخه: واقام الحج للناس في ولايته سنة ٧٢ الحجاج بن يوسف وسنة ٧٣ وسنة ٧٤ الحجاج ايضاً وسنة ٧٥ عبد الملك بن مروان وسنة ٧٦ ابان بن عثمان ابن عفان ، وسنة ٧٧ ابان ايضاً وسنة ٧٨ وسنة ٧٩ وسنة ٨٠ ابان ايضاً وسنة ٨١ سليمان بن عبد الملك (ويسرد باقي السنوات فتركناها) وعبد الملك هو الذي كسا الكعبة الديباج فهل هذا صنيع من يريد الاستهانة بالحرم ؟

قال المؤلف

« ويحتز رأسه بيده داخل مسجد الكعبة » (الجزء الرابع صفحة ٧٩)

استند المؤلف في هذه الرواية بالعقد الفريد لابن عبد ربه والاستناد بمثل هذه الكتب في مثل هذه الوقائع هو من احدى حيل المؤلف المعتادة بها فانت تعلم ان حادثة قتل ابن الزبير مذكورة في الطبري وابن الاثير وغيرها من المصادر التاريخية المتداولة الموثوق بها وعليها المعول واليها المرجع لكن لما لم تكن كيفية الحادثة في هذه الكتب وفق هوى المؤلف اعرض عن هذه كلها وتشبث بكتاب هو في عداد المحاضرات وانما يرجع الى أمثاله اذا لم يكن في الباب مستند غيره ومتى لم يخالف الاصول . والمذكور في الطبري وغيره ان عبد الله بن الزبير أصيب في الحجون! وقتل هناك قتله رجل من المراد ، وما احتز رأسه داخل الكعبة

قال المؤلف « وهدموا الكعبة »

قدمنا ان الكعبة لم تكن غرضا للحجاج وانما كان نصب المناجيق على الزيادة التي زادها ابن الزبير ولما كانت متصلة بالكعبة نالت الاحجار من الكعبة ولكن كان أول ما فعله الحجاج بعدما استتب القتال أمره بكنس المسجد الحرام من الحجارة والدم كما نص عليه ابن الاثير فهل كنس المسجد الحرام من الحجارة والدم وهدم الكعبة شيء واحد ؟

أما ما نقل المؤلف عن كفر الوليد وانه أمر بالمصحف فعلقوه وأخذ القوس والنبل وجعل يرميه حتى مزقه وأنشد

أتوعد كل جبار عنيد   فها أنا ذاك جبار عنيد
اذا لاقيت ربك يوم حشر   فقل لله مزقني الوليد

ونقل هذه الرواية عن الاغاني فهي من خرافات الاغاني ، ومعلوم ان صاحب الاغاني شيعي ديانة، شانآن بني أمية والحط منهم . وأما الابيات فأثر التوليد ظاهر عليها ومن له أدنى مسكة بالادب يشهد ان نسجها غير نسج الاوائل ، فاما جهابذة المحدثين المرجوع اليهم في نقد الروايات والذين قولهم فصل في هذا الباب فيجحدون امثال هذه الروايات المختلقة . قال العلامة الذهبي وهو رأس الحديث ومرجع الرواية « لم يصح عن الوليد كفر ولا زندقة بل اشتهر بالخمر والتلوط فخرجوا عليه لذلك » (تاريخ الخلفاء للسيوطي ترجمة الوليد)

ثم ان هناك أمراً آخر وهو ان الناقم على الوليد وقاتله هو خليفة اموي ، فكيف ينسب استهانة الدين الى خلفاء بني أمية عامتهم . ثم ان هذا الذي عزا اليه صاحب الاغاني الاستهانة بالقرآن قد ذكر له صاحب العقد ما ينبيء عن تعظيمه للقرآن وتفخيمه شأنه وحث الناس على حفظه وتعهده قال صاحب العقد (١) انه شكا رجل من بني مخزوم ديناً لزمه فقال (الوليد) اقضيه عنك ان كنت لذلك مستحقاً قال يا امير المؤمنين كيف لا اكون مستحقاً في منزلتي وقرابتي ؟ قال قرأت القرآن ؟ قال لا ، قال فادن مني فدنا منه فنزع العمامة عن رأسه بقضيب في يده فقرعه قرعة وقال لرجل من جلسائه ضم اليك هذا العلج ولا تفارقه حتى يقرأ القرآن . فقام اليه آخر فقال يا امير المؤمنين اقض ديني، فقال له أتقرأ القرآن ؟ قال نعم فاستقرأه عشراً من الانفال وعشرا من براءة فقرأ ، فقال نعم نقضي دينك وانت اهل لذلك . فانت ترى ان الوليد يعد من لا يقرأ القرآن علجا والمؤلف يعد الوليد علجا

فاما ما ذكره المؤلف من اقوال الحجاج وخالد القسري وانهما كانا يفضلان الخلافة على النبوة فمع ان اكثر هذا الاقوال مأخوذ من العقد الفريد وهو من كتب المحاضرات لسنا نحتاج الى الذب عن الحجاج وخالد فانهما من اشرار الامة حقاً ولكن كم لنا من امثال هؤلاء الملاحدة في الدولة العباسية كالعجاردة وابن الراوندي الذي عمل كتابا رد فيه على القرآن وسماه بالدامغ فاذا كان العباسيون غير

(١) الجزء الثاني صفحة ٢٥٨

مسئولين عن اوزار هؤلاء عند المؤلف فكذلك بنو أمية . وان كان عبد الملك والوليد يرتضيان بسوء اعمال الحجاج فمعلوم ان غيرهما من بني أمية كانوا ناقمين عليه كافة حتى ان هشاما قال « هل الحجاج استقر في جهنم او يهوي الى الآن » ولما وصل الى هشام ان خالداً القسري استخف بامرأة مؤمنة عزله من الامارة وسجنه كما ذكره ابن خلكان

والحاصل ان المؤلف لو خص رجلا أو رجلين من بني امية بالمطاعن لاعترفنا به ولكن من سوء مكيدة المؤلف انه يجعل الفرد جماعة والفذ توءما والنادر عاما والشاذ مطرداً

﴿ جور بني أمية ﴾

سمعنا بمظالم بختنصر ، وأحطنا علما بشنائع جنكيزخان ، واطلعنا على ماجنته أيدي التتر ، نوالله - لو صدق المؤلف - هم ما كانوا أشد قسوة ولا أفظع أعمالا ولا أسفك دماء ولا أجمع لانواع الفتك من بني أمية

قال المؤلف « حتى في أيام معاوية فانه أرسل بسر بن أرطاة وأرسل معه جيشاً ويقال انه (أي معاوية) أوصاهم أن يسيروا في الارض ويقتلوا كل من وجدوه من شيعة علي ولا يكفوا أيديهم عن النساء والصبيان (الجزء الرابع صفحة ٨٢)

قبل أن أكشف عن جلية الامر لابد من تقديم مقدمة، وهي ان المؤلف مدح بني العباس وجعل أعمالهم مناطاً للعدل ودلالة على الرفق فقال

(ولا غرابة فيما تقدم من عمران البلاد في ظل الدولة العباسية فان العدالة توطد دعائم الامن واذا أمن الناس على أرواحهم وحقوقهم تفرغوا للعمل فتعمر البلاد ويرفه أهلها ويكثر خراجها (الجزء الثاني صفحة ٨١)

وعلى هذا اذا وجدنا بني أمية معادلين لبني العباس في جميع أعمالهم سواء بسواء كان اختصاصهم بالذم دون بني العباس جوراً فاحشا وميلا عظيما . ثم ان هناك أمرا آخر وهو ان المورخين بأسرهم كانوا في عصر بني العباس ومن المعلوم انه لم يكن يستطيع أحد أن يذكر محاسن بني أمية في دولة العباسيين فاذا صدر من أحد شيء من ذلك فلتة كان يقاسي قائلها أنواعا من الهتك والايذاء ووخامة العاقبة ، وكم لنا من أمثال هذه في أسفار التاريخ . ومع اننا نفخر بأن مؤلفي الاسلام كانوا أصدق الناس رواية وأجرأهم على اظهار الحق ما كان يمنعهم عن بيان الحقيقة سلطة ملك ولا مهابة

جائر ، ولكن مع ذلك فرق بين تعمد الكذب والسكوت عن الحق ، ولذلك نعتقد انهم ماقالوا شيئاً افتراء على بني أمية ولكن ان قلنا انهم كثيرا ما سكتوا عن محاسنهم فذلك شيء لا يدفع وليس فيه غض منهم

أما بنو العباس فكانوا في عصرهم ولاة البلاد ، وملاك رقاب الناس ، رضاهم الحياة ، وسخطهم الموت ، فالوقيعة فيهم والاخذ عليهم ما كان يمكن الا بعد مخاطرة النفس والاقتحام في الهلاك ونصب النفس للموت

رجعنا الى قول المؤلف ان معاوية امر بقتل النساء والصبيان . اعلم ان هذه الواقعة اي ارسال (بسر بن ارطاة) الى شيعة علي من اشهر الوقائع المذكورة في سائر كتب التواريخ وليس في احد منها قتل النساء والصبيان بل فيها ما يخالف هذه الرواية. قال المؤرخ اليعقوبي «ووجه معاوية بسر بن ارطاة وقيل ابن أبي أرطأة العامري من بني عامر بن لؤي في ثلاثة آلاف رجل فقال له سر حتى تمر بالمدينة فاطرد أهلها وأخف من مررت بها وانهب مال من أصبت له مالا ممن لم يكن دخل في طاعتنا وأوهم أهل المدينة انك تريد أنفسهم وانه لا براءة لهم عندك ... حتى تدخل مكة ولا تعرض فيهما لاحد وارهب الناس فيما بين مكة والمدينة ثم امض حتى تأتي صنعاء فان لنا بها شيعة وقد جاءني كتابهم . فخرج بسر فجعل لا يمر بحي من أحياء العرب الا فعل ما أمره معاوية (اليعقوبي طبع أوربا صفحة ٢٣١ من الجزء الثاني)

فترى في هذه العبارة انه لم يكن هناك الا تخويف وتهديد وايهام. ولما رأى المؤلف ان المصادر التاريخية الموثوق بها لا يوجد فيها ما يوافق هواه جنح الى الاغاني ونقل أمر معاوية بقتل النساء والصبيان ثم اعتذر عن معاوية بأن المظنون خلاف ذلك حلمه ودهائه، والظن ان معاوية أطلق يد بسر ولم يعين له حدودا وكان بسر سفاكا للدماء فلم يستثن طفلا ولا شيخا

قد قلنا ان الاغاني من كتب المحاضرات فاذا كان الامر هيناً والحديث فكاهة أو تسليا من كد العمل الى استراحة فلا بأس به وبأمثاله أما اذا كان الامر ذا بال وكانت الواقعة معترك الاختلاف ومتعفر الاهواء رافعا لشأن أو هادما لاساس فأمثال هذه الكتب لا يؤذن لها ولا يلتفت اليها مطلقا

ثم ان الرجل (أي صاحب الاغاني) شيعي اذا جاءه شيء مما يشين معاوية ويدنسه وجد في نفسه ارتياحا الى قبوله ولو كان من أوهن الاحاديث وأ كذبها

نعم ان بسر بن ارطاة قتل طفلين ولكن القتل لم يتجاوز الاثنين (١) فأين هذا من قول المؤلف

« وكان بسر سفاكا للدماء فلم يستثن طفلا ولا شيخا »

قال المؤلف « فاذا كان هذا حال العمال في أيام معاوية مع حلمه وطول اناته فكيف في أيام عبد الملك مع شدته وفتكه فهل يستغرب ما يقال عن فتك الحجاج وكثرة من قتلهم صبرا ولو كانوا ١٢٠٠٠٠ (الجزء الرابع صفحة ٨٣)

نعم قتل الحجاج مئة ألف أو مائتين ولكن أين هذا من صنيعة أبي مسلم الخراساني القائم بدعوة بني العباس المؤسس لدولتهم فانه قتل صبراً بدون حرب ما يبلغ ستمائة ألف وقد اعترف به المؤلف في هذا التأليف نفسه (الجزء الثاني صفحة ١١٢) والمؤلف ينتحل لذلك عذراً ويحسبه من طبيعة السياسة . فالحجاج أحق بالعذر وأجدر بالعفو ، فان الحجاج عربي قح طبعه الجفاء والقسوة . أما أبو مسلم فعجمي تربى في حجر التمدن ، وغذي بلبان الظرف ودماثة الاخلاق (!!)

أما قوله إن عبد الملك كان أشد وطأة منه (أي من الحجاج) فلم يأت عليه بشاهد غير غدره بعمر بن سعيد ، وأين هذا من غدر المنصور العباسي بأبي مسلم الذي هو رب الدولة العباسية ، ولولاه لما قامت للعباسيين قائمة ، ولا كان لهم ذكر ، وكذلك غدر المنصور بابن هبيرة

وغاية ما يقضى منه العجب ان المؤلف بعدما ذكر فتك بني أمية بقوله : « وقد نفعتهم هذه السياسة (أي سياسة الفتك) في تأييد سلطانهم (قال) صارت سنة من ملك بعدهم من بني العباس وغيرهم » وأنت تعلم ان المؤلف يبرىء ساحة العباسية من الجور والظلم فضلا عن الفتك ، فهل هذا تناقض في القول أو أراد بهم نفعاً فضرهم من حيث لا يعلم ؟ لا والله لا هذا ولا ذاك ، بل هي من مكايد المؤلف التي لا يهتدي اليها الا فطن خبير لطوية الرجل وكامن ضغنه

---

(١) المنار : في هذا النفي بل فيما أورده الناقد في هذه المسألة نظر فقد نقل الحافظ في الاصابة عن ابن يونس ان معاوية وجه بسر الى اليمن والحجاز سنة أربعين « وأمره أن ينظر من كان في طاعة علي فيوقع بهم ففعل » فهذا كلام المحدثين لا الشيعة وأهل المحاضرة وقد اشار في الاصابة الى انه لا ينبغي التشاغل باخبار بسر الشهيرة في الفتن اي لما قيل من ان له صحبة. وهل يعقل ان يكون ايقاعه بالمطيعين لعلي قاصرا على قتله طفلي ابن عباس رضي الله عنهما ؟؟

الجامعة الاسلامية (*)

أرسل الينا أحد علماء اللغة العربية المقالة الآتية باللغة الفرنسوية في مسألة هي في الوقت الحاضر أكبر المسائل التي تهم أوربا بمقدار ما تهم المسلمين ، وهي مسألة الجامعة الاسلامية التي نجهل منها اكثر مما نعلم ، قال الكاتب :

ولدت الجامعة الاسلامية تحت شمس مصر الحارة وظلت زمانا طويلا محصورة في دائرة عدد صغير من أنصارها ، وكانت هذه الجامعة في نشأتها الاولى دينية محضة أشبه بكنيسة كاثوليكية ترمي الى ضم جميع الفرق الاسلامية أو بالحري الى تجديد ذكرى الوحدة القديمة التي فقدت منذ زمن بعيد ، الا انها لم يمض عليها زمن حتى وسعت دائرتها وأصبحت تعقد الرجاء بتكوين دولة اسلامية شديدة البأس كالدولة التي كانت في زمن الفراعنة لتظهر للعالم في بعض أجزائها انها المعيدة بصفة شبه قومية (؟) للتمدن الشرقي الذي توارى خلف مدنية أوربا المسيحية

ولما كانت الجامعة الاسلامية لم تزل حديثة النشأة لذلك كانت أعمالها صادرة عن حمية عمياء حمية الحداثة وعدم الاختبار التي تئن مصر والجزائر من تحتها الى أن دخلت في دور السكينة مشتغلة بنشر مبادئها ومنتظرة بلوغ قوتها .

والسيد جمال الدين الافغاني الحسيني هو أول من اشتغل بنشر فكرة الجامعة الاسلامية ان لم يكن المحرض على انشائها وقد ظل زمنا طويلا معروفا بأنه المثال الحي لتلك الجامعة .

ولد السيد جمال الدين في ولاية كابل في أسعد آباد من أعمال بلاد الافغان واشترك في ثورات عديدة أريقت فيها الدماء ، ثم فارق وطنه سائحا في العالم خصوصا في العالم الاسلامي فاخترق الهند الانكليزية الى فارس فبلاد العرب

---

*) مترجمة عن جريدة (الطان) الفرنسية من العدد الذي صدر في ١٧ دسمبر وهي لكاتب من نصارى لبنان

فالسلطنة العثمانية ثم القطر المصري ومنه جاء الى أوربا فراقب كفيلسوف كل الحوادث العظمى التي شهدها القرن الماضي وراقب أدوار الرقي العقلي في أوربا بنظر من يود الوقوف على الحقائق، وانخرط في سلك الماسونية في مصر ثم ذهب الى الاستانة فتوفي فيها عام ١٨٩٧ وكان السلطان عبد الحميد قد جذبه اليها وغمره باحسانه وهداياه ، وفي جملة الذين حظي بصداقتهم ووداهم اثناء سياحاته المسيو رينان حتى اختصه هذا بالمدح والتقريظ في أحد مؤلفاته .

وكان جمال الدين مهيب الطلعة ، ويقال انه مع مقدرته الفائقة في فن الخطابة كان واسع الاطلاع في الشؤون العامة حتى أنه خلف تلاميذ كما فعل أفلاطون ولم يخلف مؤلفات ، وكانت سيرته تاريخا في العالم الاسلامي الذي كان جمال الدين يسعى الى تأليفه فكانت الجامعة الاسلامية أملا له يحلم به في كل أيام حياته ، وكان ينتقل في العالم الاسلامي من بلدة الى أخرى رسولا للوحدة والتضامن يعظ الناس ويدعوهم للعودة الى التقاليد القديمة ولكن من غير تعصب فكانت غايته أن يكون الاسلام عاما طيبا ووسيلة للتسامح وحب المدنية والارتقاء ،

وكان في القطر المصري جمعية تدعى (جمعية العروة الوثقى) طلبت من الافغاني أن يرفع مدة اقامته في باريس صوت الدعوة الى الجامعة الاسلامية فأصدر هناك جريدة (العروة الوثقى) وناط تحريرها بالشيخ محمد عبده الذي ذاع صيته في ذلك الوقت فظهر منها ثمانية عشر عددا فقط اذ أن الحكومة الانكليزية التي كان يهمها أكثر من غيرها أمر الجامعة الاسلامية الجديدة استعملت الضغط لايقاف حركة تلك الجامعة

ثم ظهرت فكرة عقد مؤتمر اسلامي عام فاتجه نظر الافغاني نحو مكة واستحسن العالم الاسلامي ذلك الا أن السلطان عبد الحميد قد راعه اتجاه الجامعة الاسلامية نحو بلاد العرب التي أقلقته ثوراتها الماضية فأخفقت فكرة عقد المؤتمر في مكة

**

أما الكواكبي فقد كان مع ذلاقة لسانه في الخطابة صاحب نظر دقيق

نير، وقد أخذ فكرة الافغاني في عقد المؤتمر الاسلامي فشرحها شرحا مطولا في كتابه الذي صدر باسم (سجل جمعية أم القرى) وضمن هذا الكتاب أعمال المؤتمر الذي لم يمكن عقده ، ووصف بأسلوبه الحسن حالة العالم الاسلامي وشخص أمراضه بكل انتباه مع ذكر الدواء اللازم لها

الكواكبي هو العالم النظري الذي نفر للجامعة الاسلامية وهو المفكر الذي لم يؤثر فيه الوعيد والتهديد ، واذا كان الافغاني قد أظهر الميل الى عبد الحميد بمجيئه الى الاستانة حتى مات فيها فان الكواكبي ظل دائما العدو الالد لعبد الحميد حتى ألف كتابه (طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد) تشنيعا على حكومته ،

**

اما عبد الحميد فانه بما اتصف به من الحكمة والدقة أدرك القصد من فكرة الجامعة الاسلامية فبعد أن كان أول خصم لها أراد أن يرعاها برعايته ليستأثر بفائدتها ولذلك جذب الافغاني وكثيرا من الاطباء وأئمة الاسلام الى الاستانة وأغراهم بالالتحاق به وأجزل الهبات والهدايا والعطايا والالقاب والوسامات وظهر هو نفسه بمظهر ديني وجعل نفسه نصير الاسلام في العالم ورتب المرتبات للمعاهد الدينية وللعلماء ومشايخ الطرق وللجوامع والمساجد وشيد أماكن خاصة بضيافة الحجاج وتسهيل واجباتهم الدينية كما أنشأ السكة الحديدية الحجازية التي لم يكن ينظر العالم الاسلامي اليها الا أنها عمل صادر عن شفقة على المسلمين وحنان عليهم ، فتبرع لها المسلمون بمبالغ طائلة اعانة على إتمام هذا المشروع

ولم يقتصر الامر على جذب المسلمين والحصول على انعطافهم بل كان من اللازم أيضا تنويرهم وضم بعضهم الى بعض والقبض عليهم فأرسل خليفة الاستانة الى أنحاء العالم الاسلامي أولئك العلماء الذين التفوا حوله وجعلهم رسلا للجامعة الاسلامية التي كانت محيط أحلامه

وفوق ذلك فانه أراد أن يراقب الدول الاجنبية التي كانت تضم بين رعاياها أو في مستعمراتها فريقا من المسلمين فبث في كل جهة حتى في الجزر

الصغيرة رسله المصريين الذين لم يكن يشعر أحد بوجودهم وتمكن أيضا من الحصول على مخبرين مصريين في الدوائر العليا لتلك البلاد وكان ينقدهم المبالغ الطائلة أجرة على عمالهم

ولما خلع السلطان عبد الحميد أصبح كل الذين يعيشون من هذا الطريق لا مورد لهم ، والحكومة الدستورية الجديدة لم تشأ أن تعترف بهم ، وقطع أعضاء جمعية الاتحاد والترقي الصلة بينهم وبين الجامعة الاسلامية منذ قاطعوا شخص عبد الحميد وتظاهروا أيضا بمقاومة هذه الجامعة ونسخ اللغة العربية وهي لغة الدين المقدسة بل هى لغة المسلمين العامة التي بزوالها يزول الاسلام وببقائها يبقى ويحيا

ظل هؤلاء دائبين وراء أمانيهم الجليلة فابتكروا مشروع الاقدام على صبغ السلطنة العثمانية بالصبغة التركية ، وهذا المشروع لم يخطر في بال السلاطين الفاتحين ولا عالوا النفس بتحقيقه مع ما كان لديهم من القوة التي ان لم تكن أعظم من قوة أحداث سلانيك الغارقين في الاوهام فهى على الاقل تساويها ، وبهذا صارت الجامعة الاسلامية بلا سند وعادت حقا مشاعا فبدأ كتاب الصحف وحدهم يشتغلون بها وقوة هؤلاء لا يستخف بها

**

انتشرت الصحف الاسلامية في العالم بكيفية غير محسوسة وأكثر هذه الصحف عربية فتجد منها باسيا وأفريقيا وأميركا وأوروبا بل في الاوقيانوسية ولو بنسبة غير متساوية ، ولما كانت هذه الصحف حديثة النشأة لذلك ترى لها عيوبا كما أن لها مزايا وفوائد ، فاذا كان ينقصها الاخبار السريعة من جهة فهي من جهة ثانية ذات سلطة على قرائها وهى التي تكون الرأي العام بدل أن تردد صداه

تكثر الصحف العربية بنوع خاص في القطر المصري ، وكانت في سوريا قد نهضت بنشاط في مدة قصيرة حتى جاءها الحكم الحميدي ووقف في وجهها فجعلها نسيا منسيا الى أن أعلن الدستور سنة ١٩٠٨ وكان الكتاب السوريون

ينزلون ضيوفا في مصر وهي الاخت الشقيقة لسوريا فانتشرت الصحافة في وادي النيل وفازت فوزا باهرا

صورة مصطفى باشا كامل تتقدم بما لها من المكانة صحف الجامعة الاسلامية في القطر المصري ، وهذه الجامعة الاسلامية هي الجامعة المدنية التخيلية القريبة الوصول لكل من بذل ذاته وأبدى سخاء وعلو همة الا ان هذه الجامعة مصرية أكثر منها عمومية وقومية أكثر منها دينية

أما المثل الحي المقدام للجامعة الاسلامية الدينية فهو بلا نزاع الكواكبي والافغاني والشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية ، وكان مرمى آمال الشيخ محمد عبده ان يكون الاسلام عاما حيا يرجع الى حاله الاولى ويتجرد مما زيد فيه بمرور الزمان

ومما قاله رحمه الله في كتابه (الاسلام والنصرانية) ص ١١٧ إن ما يؤخذ على المسلمين في الوقت الحاضر ليس هو من الاسلام في شيء ولكنه شيء آخر أدخله أهل البدع على الاسلام ودليلنا على ذلك القرآن الذي انصرفوا عن تدبره واتباع سننه

ان الجامعة الاسلامية الدينية التي خلفها الشيخ محمد عبده تلاميذه عند وفاته يتوسل للعمل لها بثلاث وسائل المؤتمرات والصحافة والتعليم بالمبادىء الصحيحة ، وقد كانت آمال الجامعة الاسلامية ترمي الى عقد مؤتمر يجمع جميع الطوائف الاسلامية وقد سبق لنا الكلام على السبب الذي من أجله لم يفلح مؤتمر أم القرى ، الا أن العزيمة لم تفتر في هذا الشأن حتى قام قبل بضع سنوات اسماعيل غصبرنسكي مدير جريدة ترجمان التي تطبع في بغجه سراي في القريم فاقترح عقد المؤتمر في القطر المصري وقابل المصريون هذا الاقتراح بحمية ونشروا على العالم الاسلامي منشورات حماسية الا أن هذا المؤتمر أخفق أيضا

وقد قرأت في أحد أعدد مجلة الدار التي تصدر في مصر وقد تفضل بارسالها الي المسيو ماسينيون اقتراحا لاحد الكاتبين يقترح به عقد المؤتمر الا انه لم يكن سبب اخفاق المشروع فساد في ادارته بل كانت هنالك صعوبات مادية يحف به من كل جانب

وأما الوسيلة الثانية وهي الصحافة فانها جمعت فكرة الجامعة الاسلامية لتتقدم تقدما سريعا لان كل الجرائد الاسلامية في العالم ترمى الى هذا الغرض وهي منتشرة في كل مكان . واذا فتح الانسان واحدة من هذه الجرائد او المجلات يأخذه العجب من الخطوات التي اجتازتها الصحف العربية وان كانت أربا لاتكاد تحسب لوجودها حسابا

وتهتم الصحافة العربية باستعراض أحوال العالم الاسلامي بأسره ونشرحها وتعلق عليها وتشير باصلاح المعوج منها وتشجعها وتحنو عليها حنو الوالدة على رضيعها وتفيض هذه الصحف بالبحث في تاريخ الاسلام وعلومه وتقاليده في قالب يسهل فهمه على جميع القراء لانه يكتب باساوب بسيط حديث . وان مجلة كمجلة المقتبس تعد كدثرة معارف حقيقية يهم المسلمين الاطلاع عليها وهي تقرأ في كل جهة من البلاد العربية كما تقرأ في الاوقيانوسية والهند وأميركا

وقد وقف أحد مسلمي الهند في لاهور مائة نسخة من كتاب تفسير القرآن الحكيم الذي يكتبه الشيخ رشيد رضا لتوزع هذه النسخ على المساجد وتتلى فيها ولدينا أمثلة كثيرة من هذا القبيل تدل على وجود روح التضامن التي تبثها هذه الصحف بين المسلمين المنتشرين في أنحاء العالم

وأما الوسيلة الثالثة فهي التعليم الذي اشتد الميل اليه والشوق الى نشره فانتشرت المدارس في كل مكان . وكان الانسان يقرأ منذ حين على كل جدار في كل مدينة من مدن سوريا هذه الجملة : « تعلم يافتى فالجهل عار »

والجامعة الاسلامية لاتكتفي بتأسيس المدارس البسيطة بل هبت لتأسيس مدارس الجامعة الكبرى . فهذا الجامع الازهر قد تأهب لتجديد عهد شبابه واستعد للقيام بالوسائل الحديثة . وهنالك مشروع تأسيس جامعة في الهند وأخرى في سوريا وقد تكلموا في هذه منذ مدة ولكن لم يتم شيء من ذلك بعد

ويرجع فضل حركة النهضة الاسلامية في الهند لاحمد خان الذي ولد في سنة ١٨٧١ وتوفي سنة ١١٩٧ وهو المؤسس لجمعية الترجمة التي صارت بعد ذلك باسم جمعية عليكرة العلمية وهو الذي اهتم بانشاء جامعة اسلامية ورغب الناس

فيها بواسطة جريدته وجسم هذه النهضة الدينية بعمله وكتاباته وخطاباته ، وقد أنشئت في كلكتا مؤتمرات للتربية الاسلامية حتى انتشرت هذه الحركة . وقد تحصل الراجامحمود اباد أخيرا على رضاء حكومة الهند بتأسيس مدرسة جامعة اسلامية كبري في عليكرة وهو المشروع الذي كان يشتغل به منذ زمن

وأما مسلمو الاوقيانوسية فقد أسسوا الآن مدرسة اسلامية لتعليم اللغة العربية في صومطرة ، وفي جاوا تنشر الجرائد العربية

أما المشروع الذي يفوق المشروعات الاخرى ويدل على الجامعة الاسلامية قبل غيره فهو مشروع (الدعوة والارشاد) الذي قام به الشيخ رشيد رضا تلميذ الشيخ محمد عبده الذي سبق لنا الكلام عليه وكان قصده من هذا المشروع في باديء الامر ان يكون في الاستانة الا أن حزب الاتحاد والترقي كان يظهر له القبول والترحاب الى أن انقلب عليه فعاد السيد رشيد رضا لارض مصر الكريمة فألف فيها جماعة الدعوة والارشاد ووضع بمساعدتها أساس مدرسة كلية اسلامية كبرى مجانية وتبدأ المدرسة بسنة تمهيدية ، ثم يكون لها صنفان مدة كل واحد منها ثلاث سنوات أحدهما صنف المرشدين الذي سيحيي بلاغة منبر الخطابة الاسلامية الراقد منذ أجيال والصنف الثاني لتعليم الدعاة الى الاسلام وهؤلاء ينتخبون من علية متخرجي صنف المرشدين فيتممون في السنوات الثلاث المعارف اللازمة لتأدية مثل هذه المهمة العظيمة

من هذا نعلم أن الجامعة الاسلامية تشعر أنها قادرة ليس على الدفاع عن نفسها فقط بل على الشروع بفتوحات جديدة .

قال محمد أحمد في مقدمته لكتاب الاسلام والنصرانية تأليف الشيخ محمد عبده أن هذه الديانة السمحة ستمحو كل دين آخر وتزيل كل طريقة وتبقى وحدها على الارض .

والواقع أن الدين الاسلامي ينتشر في أواسط أفريقيا ومن الممكن أن ينتشر أكثر . ويتضح من احصائية الحج الاخيرة أن قد ظهرت في الوجود حركة دينية شديدة . فان عدد الحجاج صار ١٧٥٠٠ بعد ان كان ٧٥٠٠ وعدد الحجاج الذين مروا بالقطر المصري ١٦٠٠٠

ان الجامعة الاسلامية تسير بصراحة وأنا أعرف جامعة أخرى لاصلة لها بالدين . وهذه الجامعة أهلية محضة والغرض منها احياء تلك المدنية الاسلامية الشرقية القديمة واظهار جمالها وريحها العاطر القديم . وذلك أمل تشترك فيه ضفاف الفرات الغنية الخصبة ودمشق القوية القديمة وترقب من ورائه أن تتجدد عجائب مدائن الاندلس

وليس هذا الامل اسلاميا فقط بل ان الحمية التي يبديها الكتاب المسيحيون حديثو السن لا تقل عن حمية اخوانهم المسلمين قوة وشغفا . الا أن هذا الميل لا يمكن اشتراكه بالجامعة الاسلامية الدينية بدون تكلف في الالفاظ وتوسيع للدائرة الى حد لايسعه مجال مقالة واحدة . ومع ذلك فاني أردت أن أشير الى هذا الميل الذي يهم البحث فيه كل من يهتم بشؤون هذا الشرق القديم الذي لم تزل شهرته قليلة

ك . ت . خير الله

(المنار) كتب هذا الكاتب اللبناني البليغ مقالته في الطان لتزداد فرنسا وسائر دول أوربة مقاومة لكل مايرتقي به المسلمون ولذلك كبر الصغير ، واستعان بالايهام والتهويل ، فجعل عبد الحميد مؤيدا لما يسمونه الجامعة الاسلامية وباثا لدعاتها ، وهو أشد خصومها وأكبر أعدائها ، وانما كان يصطنع بعض أصحاب الصحف في البلاد الاسلامية ليمدحوه ويدافعوا عنه بلقب الخلافة كما اصطنع أمثالهم في أوربة للدفاع عنه ومدحه ، وهو لم يخجل على جذب السيد جمال الدين الى الاستانة الا ليحبسه فيها ويبطل عمله ، ومن كلام السيد فيه « انه سل في رئة الدولة »

كذلك جعل المقتبس من الصحف الجامعة الاسلامية وأوهم أن قراءه في الاقطار الامريكية والاوقيانوسية من أركان الجامعة الاسلامية وانهم كثيرون يعدون بالالوف والصواب ان جلهم ان لم نقل كلهم من النصارى وهم قليلون . وقد صرح في الجزء الاول من المقتبس بانه علمي مجرد من النزعات الدينية وقد صدق فاذا كان مع هذا يعد من صحف الجامعة الاسلامية فالمقتطف والهلال منها كذلك !!

وفي المقالة مبالغات اخرى خرج بها الكاتب عن محيط الحقيقة فمثلها لاوربة من وراء زجاجة الالة المكبرة (المكرسكوب) ولكنه اراد ان يجعل منها مسألة الحجج فأخطأ في الارقام وجعل الكثير قليلا والكبير صغيرا .

جعل السيد جمال الدين هو الواضع الاول لاساس هذه الجامعة وقال انها اسست في مصر وانها كانت دينية محضة . والصواب ان السيد رحمه الله تعالى لم يدع في مصر الى جامعة دينية محضة بل اسس في مصر جامعة شرقية وحزبا وطنيا دخل فيه السوريون وغيرهم من سكان مصر الشرقيين

ومن أغلاطه ما ذكره عن جمعية الاتحاد والترقي من مقاومة الجامعة الاسلامية ، وهذا الغلط مبني على الخطأ في دعوى ان السلطان عبدالحميد كان نصير الجامعة الاسلامية يبث الدعاة لها في اقطار العالم . والصواب ان الاتحاديين هم الذين حاولوا دون جميع اصحاب السلطة قبلهم ان يستفيدوا من تعلق قلوب المسلمين بالدولة فبثوا الدعاة لذلك في جميع أقطار العالم الاسلامي في الوقت الذي يبذلون فيه جهدهم باضعاف الدين ورجاله في المملكة نفسها ، فزعماؤهم المشهورون يقاومون نفوذ الدين ونشره من حيث هو دين ويحاولون الانتفاع به من حيث علاقته بالسياسة

ومن اغلاطه ذكر اسم مصطفى كامل في بحث الجامعة الاسلامية ووطنية مصطفى كامل والجامعة الاسلامية ضدان لا يجتمعان وانما كان يقدس عبد الحميد لاجل الانتفاع بذهبه ، واوسمته ورتبه ، وكذلك خليفته محمد فريد نصير زعماء الاتحاديين ومقاوم مشروع الدعوة والارشاد باغرائهم

وهنالك اغلاط اخرى لاحاجة الى تتبعها ومنها ما لا يترتب عليه شيء كقوله ان الكواكبي كان خطيبا مصقعا وهو لم يكن خطيبا ، وقوله انه كان في القطر المصري جمعية تدعى العروة الوثقى طلبت من الافغاني كذا وكذا والصواب ان الافغاني هو الذي ألف جمعية العروة الوثقى

وجملة القول ان الكاتب يعد كل عمل يعمله المسلمون سعيا الى الجامعة

الاسلامية فاذا قرأوا او كتبوا، او اكلوا او شربوا، يقول ان كل ذلك استعداد للجامعة الاسلامية . والمسلمون نائمون يغطون، لم يستيقظ منهم الا نفر قليلون، قد رأوا ملكهم ورزقهم يغتال، وكل ما هو لهم مهدد بالزوال، فهم يقولون لهم في بعض البقاع استيقظوا، وانظروا كيف تعيشون مع من معكم، ومن جاءكم من فوقكم، ولا أعرف أحدا يسعى الى اتحاد حكوماتهم، على ان اوربة لم تدع لهم حكومات، وانما بقي لهم هذه الدولة المنكوبة التي يخربها اصحاب النفوذ فيها من الداخل، واوربة من الخارج، كما قال المرحوم فؤاد باشا الشهير، ونسأل الله وقايتها من هذه الارزاء، فقد وصل الامر الى حد الدعاء،

الصلح بين الدولة والامام

رسالة طويلة أرسلها الى جريدة الحقيقة البيروتية من اليمن ضابط عثماني شهد حرب والصلح هنالك بنفسه، لما فيها من الفوائد الجديرة بالتأريخ قال:

كان يوم السبت الواقع في ٨ ت ١ سنة ٣٢٧ يوما عظيما في اليمن حيث تجلت السعادة على تلك الربوع وانمحى الشقاء والبؤس اللذين كانا يرفرفان عليها واراني فخورا في زف هذه البشرى لاخواني في الدين والوطنية

ان قرية «دعان» الواقعة على مسافة خمس ساعات من الشمال الشرقي من قضاء «عمران» سيكون لها شأن في التاريخ حيث عقد فيها الاتفاق وتم توقيع شروط الصلح بين الامام يحيى بن حميد الدين وقائد الحملة عزت باشا فانحسم بذلك الخلاف وهدأت الخواطر وارتاحت النفوس ولعمري ان الاتفاق خير وسيلة لحقن الدماء لان التطاحن لا يجدي نفعا بل يكون سببا لتأصل البغض وضعف القوة

وقد قام الامام بحضور القائد واركان حربه ونواب اليمن والوف من سكانها داعيا للدولة بدوام العز حتى اعتقد الناظر ان رابطة الاتحاد والاخاء ستكون ابدية الى ما شاء الله لما ظهر على الوجوه من علائم الاخلاص وسيماء الاتحاد

وفي اليوم الرابع من الشهر المذكور كان العلم العثماني يخفق على قلعة «عمران» بين دخان كثيف حيث كانت احد عشر مدفعا تطلق استقبالا للقائد وهيئة اركان حربه الذي جاء من صنعاء لاقتطاف ثمرة اتعابه ومساعيه التي صرفها منذ ستة اشهر في هذه الاصقاع فلم تكد تنتهي اصوات المدافع حتى ظهر ذلك البطل والتعب باد على وجهه والشيب عام رأسه فشعرت عندئذ بفضله لان الصلح كان على يديه وذلك لحكمته ودرايته وكم من قواد أوفدتهم الحكومة الى ذلك القطر رجاء اصلاحه فآبوا من حيث اتوا ولم يستطيعوا ان يفيدوا شيئا . واليك اسماء الذين جاءوا معه:

الميرالاي احمد عوني بك رئيس اركان حرب الحملة . والميرلوا عبد السلام باشا رئيس اطباء الحملة . والقائمقام رجب بك . البكباشية عاصم وعزت . والقول آغاسية قدري وعصمت بك، واليوزباشية عاشور وسيفي وصالح وصفوت وناظم بك، وياور القائد الملازم سرور بك، والكاتبان إلهامي وسليمان بك، ومبعوث الحديدة محمود نديم بك مع مبعوث صنعا، وقومندان الجندرمة برتو بك، ومدير مكتب الرشدية والعسكرية بصنعاء، والبكباشي بهاء الدين بك وأحد علماء الروضة والميرالاي احمد بك، والسيد احمد قاسم من اشراف اليمن وأحد الساعين في هذا الصلح . وقد ضرب موعد الاجتماع في قرية دعان الواقعة على بعد خمس ساعات من الشمال الشرقي من عمران (بينها) وبين قرية «حمر» التي هي مركز لاجتماع رجال الامام يحيى كما ذكرنا

وقد قدم الامام يحيى الى دعان قبل ان يغادر عزت باشا صنعاء لكي يعد المعدات لاستقباله . وفوق ذلك فانه ارسل لاستقباله حفيد الامام الاسبق السيد محمد بن المتوكل الملقب بسيف الاسلام مع كثير من المشايخ ورؤساء القبائل وهو الذي حاصر قلعة عمران قبل ستة اشهر وضيق عليها الحصار بدفاعه مدة اربعة اشهر وهاهوذا قد قصد اليوم هذه القرية حيث تستقبله الجنود التي كان يحاربها وتحييه التحية العظيمة

كانت مخايل النجابة وعلائم الذكاء تتلألأ على ذلك الوجه الذي يخالط

سمرة لونه شيء من الاصفرار فكان يخيل للناظر اليه في اول وهلة انه في حضرة هونغ هنغ زعيم الثورة الصينية من حيث بهاء طلعته وربعة قامته وقلة شعر لحيته وسدول شاربيه ولباسه الحرير الاصفر

وكان بين وفود الامام الموفدين لاستقبال القائد أيضا ناصر مبخوت من مشاهير قواد الامام وقد كان مستخدما برتبة يوز باشي بالجندرمة (اي الشرطة) ثم فر منها ولحق بالامام وهناك ظهر منه ما ظهر من قوة وشجاعة

وفي صباح يوم الاربعاء توجه عزت باشا من (عمران) الى (دعان) مع من ذكرنا اسماءهم وعشرين من الخيالة النظامية وخمسة وعشرين من خيالة الجندرمة ولو كان ذلك قبل هذا اليوم لما تسنى لعزت باشا ان يبتعد عن عمران مسافة ساعتين إلا بقوة ألاي (٤ توابير) كامل العدد والعدة لانها آخر الاراضي الداخلة تحت ادارة الدولة أما اليوم فقد اصبح تحرسه قلوب اليمانيين وترعاه نفوسهم . فلما اقتربنا من دعان مسافة ساعة ونصف وجدنا المستقبلين على وجوههم آثار الشجاعة والنبل وفي مقدمتهم سيف الاسلام السيد احمد قاسم والمقدم المشهور مقداد والشيخ عبدالله ابو منصر وعلي مراجي ويحيى شبام وراجح باشا شيخ قبيلة « سراح » وكانت الحكومة وجهت عليه رتبة ميرميران لاستمالته الا انه بقي من رجال الامام حتى الآن ، والسيد عبدالله بن إبراهيم وهذا كان قد ارسله الامام للاستانة في السنة الماضية للمفاوضة مع الدولة بشروط الصلح

كان هؤلاء الابطال يقودون العربان و يحاربون الحكومة من مناخة الى صنعاء .

ويلقب الامام ثلاثة من رجاله بسيف الاسلام وهم السيد محمد بن المتوكل والثاني السيد قاسم والثالث ابو نيبله الا ان هذا الاخير لم يكن حاضرا الاحتفال بل بلغني انه موجود مع رجاله بجهة (سعدا)

اما السيد قاسم فهو عم مبعوث صنعاء الميرلاي احمد بك وقد خرج من صنعاء منذ خمسة وثلاثين سنة وهو من ذلك التاريخ بجانب الامام وقد رويت عنه رواية قالها يوما : انني لما خرجت من صنعاء كنت لا املك سوى بندقية ابراهيمية أما اليوم فاننا نملك على مئة الف بندقية من احدث طرز وما يقرب من مئة مدفع

أما علي المقداد فهو من عائلة قديمة يرجع تاريخها الى الفي سنة وقد حارب الدولة منذ عشرين عاما الا ان لذلك أسبابا عظيمة حملته على محاربتها والوقوف بوجهها وهي انه قدم أحد القواد العثمانيين في الزمن السالف وأراد أن ينتقم من العربان فدعا الامير اليه فلما حضر لديه أمر اتباعه بربط هذا الجليل بعجل المدفع ثم أمر باطلاقه فقطعت يداه من عظم القوة وكادت روحه تخرج من صدره ثم فكه وتركه مغمى عليه ، فلما افاق عاهد الله والرسول على ان لا يقرب هو ولا أولاده من الدولة وأن يقف حياته لمحاربتها مادام فيه عرق ينبض

هذا نموذج من الاساءة التي يستعملها رجال الدولة الذين يقصدون اليمن للاصلاح فلذا كان اليمانيون يقفون في وجه الدولة مهما أرسلت اليهم من المصلحين ذلك لانهم رأوا الاساءة من السابقين وذهبت ثقتهم من اللاحقين

يبلغ الامير من العمر ٨٥ سنة وكان رجاله ينقلونه على الواح الخشب اثناء المحاربة لعجزه وعدم استطاعته ركوب الخيل وكان يصدر أوامره الحربية وهو على هذه الحالة ويدبر شؤون المحاربين ويقودهم بكل رصانة

أما عبدالله ابو منصر فقد كان سببا في انكسار حملة فيضي باشا سنة ١٣٢١ شرقي (كذا والمراد السنة المالية) وكيفية ذلك انه لما هجم التابور المنسوب الى ألاي (ريزا) على « شهاره » ودخلها استولى الرعب على قلوب العربان فاوشكوا ان يفروا من وجه الجنود لولا ان قام عبد الله ابو منصور وعقل ركبتيه كي لا يستطيع الفرار اذا هاجمه العدو ـ وهي وسيلة استعملها لتشجيع العربان وامثولة وضعها ليعلمهم الثبات ابان القتال ـ وقتل بعض الفارين من العربان عبرة لغيرهم فكانت النتيجة ان ثبت العربان حتى افنوا التابور عن آخره وضعفت بذلك قوة الحملة

نرجع الى مسألة الصلح : كنا نتقدم الى « دعان » وكان يتقدمنا الوف من العربان يلعبون بخناجرهم ويطلقون بنادقهم في الفضاء احتفاء بنا وهي نفسها التي كانوا يطلقونها علينا في الوقائع . وكانوا يسيرون الى جانبنا وهم ينشدون الاناشيد الحربية التي لا تحلو الا بالامم المتصفة بالشجاعة والوفاء

هناك أثر في هذا المنظر وقلت في نفسي ما احلى هذه المؤاخاة وما اسلم هذه القلوب التي تزينها النية الصافية

لا شك ان ما رأيناه من مظاهر الاخلاص وعلائم الاتفاق هو نتيجة سعي قادة الافكار من الفريقين في اصلاح ذات البين وانا على يقين انه لولا وجود عزت باشا في اليمن لما تم الصلح ولا رجعت السكينة الى تلك الربوع فكم من قواد اموا هذه البلاد فاهلكوا الحرث والنسل ولم يتركوا نوعا من انوع الظلم الا فعلوه فكان ذلك سببا في إبادة الوف من الجنود الذين ذهبوا ضحية جور هؤلاء القواد من ابناء الاناضول والروم ايلي .

تلك هي سياسة القواد السابقين التي لم يلتفت اليها عزت باشا بل نظر الى المصلحة العامة قبل كل شيء ولولا ذلك لما تسنى له الحصول على وفاق ووئام بين طائفتين من المسلمين تقتتلان ، فهيأ للجيش العثماني عضدا قويا يبلغ عدده ثلاثة ملايين لان الامام يحكم على هذا العدد ويمكنه ان يكون محاربا مع الجيش العثماني جنبا لجنب اذا مست الحاجة ولا يستبعد القارىء هذا فالمثال حسي ظاهر وهو انه لما بلغ الامام اعلان إيطالية الحرب على الدولة ارسل نبأ برقيا الى مقام الخلافة العظمى يقول بانه مستعد لتقديم مئة الف مقاتل كاملي العدد والعدد .

بينما كنت غارقا في بحور هذه التأملات اذ تذكرت صحيفة الماضي حيث كنت شاهد عدل على المقابلة التي وقعت منذ سنتين مع السيد الادريسي في صبيا وجرى لنا استقبال حافل وارسل لنا الادريسي رؤساء العشائر والمشايخ وبقينا عنده ثمانية عشر يوما لم يدر في خلالها على ألسنتنا غير حديث وجوب اتحاد المسلمين يدا واحدة دفعا للطوارىء الخارجية المحدقة بنا وكان السيد يقول لنا : إنه لا سلامة ولا راحة ولا سعادة للمسلمين في مشارق الارض ومغاربها الا باطاعة كبر دولة اسلامية والالتفاف حولها وهي دولة الخلافة العظمى . الا ان هذا الائتلاف كان وقتيا لان بيننا وبينه الآن دماء تجري كالانهر وسيوف تلعب بالرقاب فشتان ما بين ائتلاف الامس واليوم . (١

١) البعد بين الائتلافين أن الاول كان غير مبني على الاخلاص من مندوب الدولة فيه وهي التي لاترضى الى الآن بالصلح مع الادريسي بل ترى سحقه كما سيأتي بيانه عن ضابط عثماني حر

كان الاتفاق مع الادريسي على اثر تهديده فكنا الساعين اليه قبله خوفا من إراقة الدماء فعد ذلك ضعفا من الحكومة اما اليوم فان الاتفاق بخلاف ذلك فقد أدرك الامام ان لا فائدة من هذه المحاربات ولا نتيجة من التطاحن وان ذلك يضعف القوى فتصالحنا مصالحة ولاء واخلاص وتعاهدنا ان نكون يدا واحدة في السراء والضراء

(دعان) بلد مبني على قمة جبل يتألف من مئة منزل بين دور وابراج جمل واحد منها للامام يحيى والثاني لعزت باشا قائد الحملة وبعد ان استرحنا من عناء السفر ساعتين قصدنا البرج الذي نزل فيه الامام

هناك وجدنا بعض العربان وقوفا على الابواب حاملين سلاحا حديثا ثم انتقلنا الى رواق ضيق مظلم حتى بلغنا حجرة الامام حيث كان جالسا على مقعد بسيط يلاصق الارض متكئا على وسادة وامامه ادوات الكتابة واوراق منها ورقة مكتوبة ممضاة بختم الامام ولم تكن الغرفة مزينة الا اننا رأينا على جدران الغرفة سبحة وساعة ومصحفا في محفظة قماش خضراء وسيفا ونظارة .

واما الامام فسنه يناهز الاربعين وعلى وجهه اثر الجدري حنطي اللون أسود العينين حادهما قليل شعر الحاجبين والشاربين واللحية وكنا نرى حينما يتبسم اسنانه الناصعة البياض . وخلاصة القول فان سيما الذكاء والنبل كانت تتلألأ على ذلك الجبين الوضاح والوجه المنير الذي يجذب القلوب .

وسأذكر لكم من قبل الاستطراد اربعة عشر شرطا من شروط الامامة سبعة منها فطرية والباقي كسبي .

الفطري ان يكون علويا فاطميا سليم الحواس صحيح البنية حرا ان لا يكون ابن امة عالما عادلا

والكسبي ان يكون مستقلا في رأيه سخي الكف جسورا لا يهرب من القتل وان لا يتقاعد عن الحرب اذا كان هناك مسوغ شرعي وان يكون وحيدا في الامامة وذكرا قادرا على استمالة الاكثرية اي مصيبا في رأيه (١

١) المنار : هكذا اوردها وقد خلط فيها بين الكسبي وغيره

وقد رأيت أثناء اقامتي في تلك الربوع ان احسن حكومة ديموقراطية هي ادارة الامام

وجدت الشيخ ناصر مبخوت واقفا على باب حجرة الامام حاملا السلاح كأنه يؤدي وظيفة الخفر وكان هذا الشيخ قد قدم للامام خدمات جليلة حين وفاة والده وهو الذي سعى مع العلماء في اتمام البيعة له

ان للامام يحيى سلطة عظيمة على اليمن حتى انه يمكن للرجل ان يتجول الاراضي اليمانية دون ان يمسه سوء اذا كان لديه رخصة من الامام والعرب يحترمونه احتراما زائدا وذلك لشدة تعلقهم به

كان الوافد على الامام حينما يقرب من منزله بدعان يطلق عياره الناري في الفضاء دلالة على الاحترام والتعظيم

ان هذا الاحترام العظيم وتلك السلطة المطلقة هما معلقان على كلمة تخرج من فم شيخ الاسلام الزيدية وذلك اذا ظهر من الامام عمل استبدادي او امر يخالف الشريعة الاسلامية فعندئذ ينزل عن تلك العظمة واحيانا تقود هذه الفتوى الامام الى محل القصاص . وخلاصة القول ان فتوى شيخ الاسلام الزيدية كسيف بتار معلق فوق رؤوس الائمة .

قبل ان ابين لكم شروط الصلح التي عقدت في هذه المرة أرى أن أذكر للقراء شروط الصلح السابقة التي طلبها الامام قبل الدستور لتقابل بين هذه وتلك

لا يخفى ان الحكومة في الدور السابق كثيرا ماسعت في الائتلاف والصلح وكانت الوفود تلو الوفود ولكنه يا للاسف لم يتسن لهؤلاء حقن الدماء ودفع الخسائر التي كانت تتكبدها الحكومة من ازهاق الارواح وضياع الاموال وآخر وفد أرسلته الحكومة في سنة ١٣٢٤ هجرية للاصلاح ذات البين بين الطائفتين طلب منه الامام الشروط الآتية مفتتحة بهذه المقدمة:

شروط الصلح التي كان اقترحها الامام

« وافقت مستندا بعون الله على شروط الصلح ما بيني و بين مأموري سلطان

الاسلام الذي ادعو الله ان يؤيد ملكه لإطفاء نار الحرب الموقدة ، وان تستبدل الفوضى والعداوة بالصداقة لتسلم البلاد من القلاقل وتحقن الدماء وتزول المحن من هذه البقعة ويستتب الامن ويربط المؤمنون برابطة الاخاء التي لا انفصام لها ويرفع الظلم من بينهم

١ ان تطبق الاحكام على الشريعة الغراء

٢ ان يرجع عزل وتعيين القضاة وحكام الشرع الى الامام

٣ ان تكون معاقبة الخائنين والمرتشين منوطة بالامام

٤ تخصيص رواتب كافية للحكام والمأمورين كي لا تدفعهم القلة الى الارتشاء

٥ احالة الاوقاف الى عهدتنا لاحياء المعارف في هذه البلاد

٦ اقامة الحدود الشرعية على مرتكبي الجرائم من المسلمين والاسرائيليين كما أمر الله بها واجراها رسوله التي ابطلها المأمورون كأن لم تكن شيئا مذكورا

٧ يؤخذ العشر من المزروعات التي تسقى بماء السماء واما التي تسقى بمياه الآبار فيؤخذ منها نصف عشر بعد ان يقدر ذلك ارباب الخبرة واذا حصل اختلاف يرجع الى الاصول التي وضعها عبد الله بن رواحة في الخرص . ويؤخذ عن البقر والغنم والابل النصاب الشرعي وأما الاراضي التي تغل مرتين أو ثلاثا فيؤخذ عنها نصف العشر أو ربعه ورفع ماسوى ذلك من التكاليف

٨ ان جباية الاموال المار ذكرها تكون بواسطة مشايخ البلاد تحت نظارة مأموري الدولة واذا تجاسر احد على اخذ زيادة عن التكاليف المار ذكرها فعزله او تحديد الجزاء له راجع الينا ولا يكون لنا علاقة بقبض الاموال الاميرية

٩ تعفى عشائر حاشد وحولان وحدا وارحب من التكاليف

١٠ يسلم كل منا الخائنين الذين يلتجئون اليه

١١ اعلان العفو العمومي في البلاد كي لا يسئل احد عن ماضيه

١٢ ان لا يولى احد من اهل الكتاب على المسلمين

١٣ ان تشمل احكام هذه المواد المار ذكرها صنعاء وتعز وملحقاتها

١٤ ان لا تتداخل الحكومة في شؤون (آنس) ولا تعارضني في تعيين المأمور بن من قبلي لهذا القضاء لفقرهم وقلة حاصلاتهم ولما يخشى من وقوع محظور في مخالطة مأموري الحكومة لهم

١٥ ان تكون المحافظة على هذه البلاد من تعديات الدول الاجنبية راجع للدولة

ان تنفيذ هذه الشروط في البلاد اليمانية يكون سببا لسلامة الافراد البشرية وترقي البلاد واحيائها فيظهر الامن بابهى مظاهره ويحصل منه خير كثير

لا يخفى ان البعض يستفيدون من كثرة سوق العساكر الى البلاد اليمانية اذ لا يخلو ذلك من الفائدة المادية لهم ولعلهم لا يرضون بهذه الشروط لان باتباعها يستتب الامن وينقطع ورود العساكر الى هذا القطر فيخسرون بذلك ما كانوا يؤملون

لذلك اطلب صدور فرمان سلطاني يتضمن قبول الشروط المار ذكرها كي يطمئن اليمانيون وترتاح قلوبهم ولا يعترضني المأمورون في اجراء الاحكام التي تخولنيها الشروط واحالة ادارة بلاد « الشرقية » من اليمن التي تشابه بلاد « آنس » الى عهدتي

١٣ صفر سنة ١٣٢٤

هذه هي شروط الصلح التي كان طلبها الامام من موفدي الدولة الا انه لم يتم الاتفاق عليها في زمن الحكومة الماضية لان الذين نيط بهم امر الصلح لم يكونوا اهلا له

كانت المسألة اليمانية بعد اعلان الدستور شغل الدولة الشاغل وقد كادت تقرر ان تترك الجبال الآهلة بقبائل الزيدية للامام يديرها كيف شاء لولا ان ظهرت في اليمن تلك الحركة الاخيرة وحصل ما حصل

**

انقل للقراء اليوم الشروط التي حصل الاتفاق عليه وهي اخف وطأة من الاولى (* :

(١ عقد الاتفاق ما بين الامام المتوكل على الله يحيى بن حميد الدين وقائد

---

*) نشرت طنين هذا الاتفاق بالتركية وترجمه مندوب المقطم فرأينا ان نشير الى الفروق القليلة بين النسختين ونشير الى المواد بأعدادها في الهامش دون الاصل

(١) في المادة الاولى عند ذكر بريم كلمة (ميوم) بين قوسين كما رأيت . وفيها زيادة « وما حولها » بعد سرد اسماء البلاد وآخرها في الذكر تعز ورداع

الحملة اليمانية عزت باشا على اصلاح امور بلاد صنعاء ، عمران ، حجه ، كوكبان ، حجور ، آنس ، ذمار ، بريم ، رداع ، حراز ، وتعز ، التي يقطنها الزيديون الذين هم اليوم تحت ادارة الدولة

٢ ينتخب الامام حكام مذهب الزيدية ويبلغ الولاية ذلك وهذه تخبر الاستانة لتصدق المشيخة على ذلك الانتخاب

٣ تتشكل محكمة استئنافية للنظر في الشكاوى التي يعرضها الامام

٤ يكون مركز هذه المحكمة صنعاء وينتخب الامام رئيسها واعضاءها وتصدق على تعيينهم الحكومة

٥ يرسل الحكم بالقصاص الى الاستانة للتصديق عليه من المشيخة وصدور الارادة السنية به وذلك بعد ان يسعى الحاكم في التراضي ولا يفلح . ولا ينفذ الحكم الا بعد التصديق وصدور الارادة بشرط ان لا يتجاوز اربعة اشهر

٦ اذا اساء احد المأمورين (الحكام والعمال) الاستعمال في الوظيفة يحق للامام ان يبين ذلك للولاية

٧ يحق للحكومة ان تعين حكاما للشرع من غير اليمانيين في البلاد التي يسكنها الذين يتمذهبون بالمذهب الشافعي والحنفي

٨ تتشكل محاكم مختلطة من حكام الشافعية والزيدية للنظر في دعاوى اصحاب المذاهب (المختلفة)

٩ تعين الحكومة محافظين تحت اسم مباشرين للمحاكم السيارة التي تتجول في القرى لفصل الدعاوى الشرعية وذلك دفعا للمشقات التي يتكبدها أرباب المصالح في الذهاب والاياب الى مراكز الحكومة

١٠ تكون مسائل الاوقاف والوصايا منوطة بالامام

١١ صدور عفو عام عن الجرائم السياسية والتكاليف (الضرائب) الاميرية التي سلفت

---

(٥) في نسخة طنين ان الفريقين يسعيان في الصلح والتراضي (٧) في نسخة طنين « الحكومة تعين الحكام للشافعية والحنفية فيما عدا الجبال »

١٢ عدم جباية التكاليف الاميرية لمدة عشرة سنوات من أهالي ارحب وحولان لفقرهم وخراب بلادهم على شرط ان يحافظوا على صداقتهم وارتباطهم التام بالحكومة

١٣ تؤخذ التكاليف الاميرية بحسب الشرع

١٤ اذا حصلت الشكوى من جباة الاموال الاميرية لحكام الشرع او للحكومة فعلى هذه ان تشترك مع الحكام في التحقيق وتنفذ الحكم الذي يحكم به عليهم

١٥ يحق للزيدية تقديم الهدايا للامام بشرط ان تكون بواسطة مشايخ الدولة او الحكام

١٦ على الامام ان يسلم عشر حاصلاته للحكومة

١٧ عدم جباية الاموال الاميرية من (جبل شيرق) لمدة عشر صنوات

١٨ يخلي الامام سبيل الرهائن الموجودين عنده من اهالي صنعاء وما جاورها وحراز وعمران

١٩ يمكن لماموري الحكومة واتباع الامام ان يتجولوا في انحاء اليمن بشرط ان لا يخلوا بالسكينة (بالامن)

٢٠ يجب على الفريقين ان لا يتعديا الحدود المعينة لهما بعد صدور الفرمان السلطاني بالتصديق على هذه الشروط اه

***

استفدنا من هذا الاتفاق فوائد جمة اهمها ترك الامام لقب امير المؤمنين للخليفة والاكتفاء بالامامة ثانيا ثبوت القطر اليماني تحت ادارة الدولة واقرار الامام بحاكمية الدولة على البلاد اليمانية كما طلب احمد مختار باشا في تقريره . اليوم بعد ان كانت الدولة تعتبر الامام يحيى عدوا مبينا اصبح الصديق الحميم واعترفت له بالامامة رسميا لتنظيم ادارة الزيديين

(١٣) «لا تكلف الحكومة أهل اليمن غير التكاليف الشرعية» (١٥) «للزيدية ان يقدموا الهدايا للامام اما توا واما بواسطة مشايخ الدولة أو الحكام» ففيها زيادة جواز تقديمها بغير واسطة (١٦) «يؤدي الامام عشر اراضيه» وليس فيها ذكر الحكومة (١٧) في نسخة طنين ان جبل شيرق حوالي آنس وان أهله فى غاية الفقر (٢٠) «بعد التصديق على هذه الوثيقة الائتلافية (ائتلافنامه) بالفرمان السلطاني لا يتعدى أحد الفريقين على البلاد التي هي تحت ادارة الفريق الآخر»

اعلن الامام يحيى عدم صلاة الجمعة صباح هذا اليوم لاننا كنا مسافرين فذهبنا لتناول الطعام حيث كنا مدعوين عند الامام فعند وصولنا الى المنزل وجدنا العربان مصطفين بايديهم البنادق من طرز موزر لاداء السلام .

دخلنا المنزل فوجدنا شرشفا (اي سماطا) ممدودا على الارض حوله الارغفة فجلسنا حوله وكان اذ ذاك الامام لابسا لباسا من الحرير ابيض حاملا خنجرا ذا حمائل من ذهب حتى ان الناظر الى الامام كان يرى في شخصه ولباسه حالة السلم .

كان شيخ اسلام الزيدية جالسا على يمينه وعلى شماله (سيد عمرو) وهو أول من سعى في الائتلاف والوفاق مع السيد قاسم بين الامام يحيى وعزت باشا الذي كان حينئذ بجانب سيد عمرو فكأن هذا يفتخر وهو جالس بالتوفيق بين قائد الحملة وقائد اليمن

كان سيف الاسلام جالسا عن شمال السيد قاسم وعلى يمين شيخ الاسلام رئيس اطباء الحملة اليمانية عبد السلام باشا الذي كانت له اليد البيضاء في تطمين قلوب العساكر حين اصابتهم الكوليرا بين صنعاء ومناخة فجمع أطباءه وأوصاهم ان لا يفشو خبر وجود الوباء بين الجند لئلا ترتعد فرائصهم وتنحل قواهم .

كان على يسار عبد السلام باشا الميرالاي احمد عوني بك رئيس اركان حرب الحملة الذي مكث في اليمن عامين في حملة سنة ١٣١٤ مع المرحوم عبد الله باشا وهو الذي اخمد فتنة الالبان في السنة الماضية ولم يكد يتم مهمته حتى ندب للذهاب الى اليمن حيث كانت المسألة اليمانية في دورها الاخير فلبى الطلب فخورا

هناك أقام خطوط الهجوم والدفاع بين صنعاء ومناخة حتى تمكن من الاستيلاء على الاولى وشهد له بالمقدرة الحربية كثيرون

كنت أرى على وجهه مخايل التعقل فكأني به يقول للناظر اليه والمستطلع فكره ان الذي يود فتح اليمن والاستيلاء عليها يجب عليه أن يجذب قلوب أهلها و يعاملهم بالرقة لا ان يخرب بلادهم ويدعها قاعا صفصفا . وكان لا يحول نظره عن الامام لانه لم يتمكن مدة وجوده باليمن عامين من رؤية ذلك الوجه الوضاح

دار البحث أثناء جلوسنا حول مائدة الطعام في علم الحكمة والكيمياء وخاض

كل في هذين الموضوعين وكنا نقارن بين اجتهاد الاقدمين والمتأخرين من هذا العصر

ولما أزف وقت الظهر من يوم الجمعة قام الاعراب لتأدية فريضة الجمعة فأمر عندئذ الامام الخطيب ان يخطب في القوم الخطبة الآتية :

احمد الله سبحانه وتعالى الذي وفق بين المسلمين الذين تجمعهم كلمة التوحيد، وفرض عليهم ان يكونوا يدا واحدة في السراء والضراء، وأمرهم ان يقاوموا كل من يتعدى عليهم بقوله (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل مااعتدى عليكم * وجاهدوا في الله حق جهاده * واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا) بعد ان كنتم اعداء تضرمون الوقيعة بعضكم ببعض . عباد الله ! ابتعدوا عن الاختلاف فانه مدعاة للشر والشر مجلبه الخراب (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا * ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) (١) الخ ماقال :

كثيرا مادار الحديث بين القواد ورؤساء القبائل عن المحاربات التي كانت تجري في القطر اليماني وتوصلنا بالحديث الى اسرار المحاربة وكم كانت قوة العربان في المحاربات الاخيرة في كل موقعة

كان عدد جيش العرب في واقعة بيت شعبان ٨٠٠ فقتل منهم خمسون وجرح كثيرون واضطر الجيش الى الانسحاب ليلا

اما في محاربة مفحق فقد كانت قوة العرب مؤلفة من ثلاثة آلاف محارب وفي بيت ساوم وغملان كانت عشرة آلاف وقد قال لي أحد المقدمين اننا نعترف ببسالة الارناؤوط لانهم كانوا يهجمون ولا يبالون بالرصاص الذي كان ينصب عليهم كالمطر

وقد قال لي رئيس ثن من العربان اننا لانلتذ بمحاربتكم ولا نقدم عليها إلا مكرهين لاننا ندين بدين واحد فلذا كنا في أكثر المواقع مدافعين ولا نهاجم لا مضطرين ونحن نود ان نكون معا في محاربة دولة ترغب في التعدي على حقوقنا

(١) المنار: نقل الكاتب ماعدا الآية الاولى من الآيات (وكذا سائر الخطبة) بالمعنى لانه لم يكن يحفظها فزاد ونقص وقدم وأخر فنقلناها كما هي لانه الواجب

هنالك ترون منا ما يشيب له الطفل الرضيع وتتأكدون ان العرب يحترون الموت في سبيل الدفاع

ان هذا الاتفاق جعل ما كان بيننا نسيا منسيا غير اننا آسفون محزونون لما اصاب اخواننا بطرابلس الغرب من تعدي تلك الدولة الطاغية

كان العرب جميعهم يتألمون من الحرب القائمة بين الدولة وايطاليا وكثيرا ماوفد علينا رؤساء العشائر يسألوننا هل من سبيل للوصول الى طرابلس الغرب لمساعدة اخواننا ؟

بينا الجميع في هذا الحديث اذ قام سيف الاسلام بين الجميع وصرخ بصوت جهوري ملأ الفضاء وقال : ان أعظم قوة للاسلام هي الاتفاق ووحدة الكلمة ثم رفع يديه ودعا للطرابلسيين بالنصر وسأل الله ان يثبت اقدامهم على محاربة الدولة الطاغية . وأمن له الجميع

ثم التفت عزت باشا وخاطب الجميع بقوله : اننا نفضل الموت على ان نرى الاسلام مستذلا – فأجابه سيف الاسلام ان ذلهم يتوقف على انشقاقهم وجهلهم واني لاأجد معرة أعظم من هذه فيجب ان تتجدد للاسلام قوته ويرجع مجده وعظمته

وفي يوم السبت أخذنا نستعد للرجوع فخرج الامام يحيى بموكب عظيم ودعا لنا بالتوفيق وقد أرسل معنا ابن المتوكل وناصر مبخوت لمرافقتنا الى عمران فلما اقتربنا منها اطلقت المدافع من القلعة احد عشر طلقا كأنها تشير الى ان السلم في اليمن قد انتشر والامن استتب بفضل حكمة القائد عزت باشا

ان هذا الاتفاق كان سببا لحقن الدماء وعدم تيتم الاطفال وثكل الامهات ابناءها ولا شك انه سيزين تاريخ العثمانية

كانت الدولة تنظر الى اليمانيين بنظرة العداء وقد روت ارضهم من دماء ابناء الروملي والاناضول (وغيرهم) فقتل فيها ما ينيف على الخمسمائة الف (١) وانفقت

(١) يريد الكاتب قتلى الحروب الاخيرة من عهد حملة احمد مختار باشا الى حملة عزت باشا ، والا فالقتلى هنالك يعدون بالملايين اذا ارتقينا في عدهم الى أول تصدى الدولة لليمن في زمن السلطان سليمان وكان اكثر الجيش الذي يرسل الى هنالك من العرب المصريين وغيرهم (راجع ص ٢٢٥ من المجلد الثالث عشر)

الملايين من الدراهم في هذا السبيل الا ان ذلك يرجع لسوء الادارة في تلك القطعة

لما حصل الانقلاب في المملكة العثمانية اخذ رجالها يبحثون عن علاج يداوون به هذا الداء العضال المتأصل في جسم الدولة الى ان قدر لعزت باشا ان يكون الشفاء على يديه وقد وفق لعقد الائتلاف مع الامام يحيي الذي هو رئيس مليون ونصف من الزيدية الذين لا يبالون بالحروب يأتمرون بامره ويخضعون لاشارته وللامام ثروة عظيمة يبلغ ريعها ٢٠٠٠٠٠ ليرة سنويا وله نفوذ عظيم في اليمن

يجدر بنا ان نعترف بان سياسة القوة التي سارت عليها الدولة في اليمن لا تفيد شيئا وانه لمن الظلم الفادح ان تغتصب اموال اليمانيين وتخرب ديارهم لا لذنب جنوه بل لهوى في نفوس القواد الذين كانوا يؤمون البلاد اليمانية فيهلكون الحرث والنسل

اي صلاح ادخلناه في اليمن منذ استيلائنا عليها . واي صلاحية تخولنا الحاكمية عليها ما دامت الادارة سيئة وارباب الحل والعقد في الحكومة السالفة لا يرقون لحال اليمانيين ولا يرحمون

كانت ارادتنا لليمن حتى اليوم بالمدفع وتمنعنا يا للاسف عن تنفيذ خطة الاصلاح التي وضعت له فنحن لا ننكر على الحكومة الحالية ما أجرته في المدة الاخيرة لان الاصلاح لا يتأتى الا بالقوة (١)

على أن فرنسا لما دخلت الجزائر ادارت أمورها بستين الف جندي لكننا نحن العثمانيين لا يجمل بنا ان نفعل فعلها في اليمن من حيث الظلم بل من حيث الاصلاح اخطأ الذين كانوا يقولون بوجوب الزحف على « شهاره » فماذا ينفعنا ؟

فقد سبق لنا الدخول الى « غفله » غير انا رجعنا بخفي حنين بعد ان اريقت دماء كثيرة من الطائفتين الاسلاميتين . فليس الاصلاح في الاستيلاء على البلاد

(١) ان الكاتب على انصافه لم يبدا من عذر الحكومة الحاضرة على سوقها الحملة التي هو أحد رجالها لحرب اليمن ليبرىء نفسه بتبرئتها والحق ان اتيانها كاتمها سبقها او اكبر ، وقد اخطأ في تقليده بعض ساسة الدولة بجعل الترك من العرب كالفرنسيس من أهل الجزائر ، وأخطأ ايضا في جعله هذا الصلح أثر قوة الحملة وهي لم يتم لها الظفر ، وكان الامام قد رغب في الصلح قبلها وكاد يتم في وزارة حلمي باشا لولا ان اوقفه الاتحاديون لتنفيذ سياسة المدفع السابقة

وانما الاصلاح كل الاصلاح ان نجذب قلوب اليمانيين فيميلون بطبيعتهم الى الدولة ويعترفون بحاكميتها ويتفيأون ظلالها

لو استعمل القواد السابقون ما استعمله عزت باشا من الحكمة والدراية لكانت اليمن جنات تجري من تحتها الانهار

ان عزت لما اعلن انه سيأمر بين الناس بالعدل ما كان من اليمانيين الا ان وفدوا عليه في صنعاء زرافات زرافات واثقين من كلامه ثم كانوا لا يلبثون بعد دخولهم ومحادثتهم له ان يخرجوا من عنده ملآنة أعينهم بالدموع (لانهم ايقنوا اخلاصه في الخدمة) وحاملي الهدايا الثمينة ، الى ان حصل الاتفاق بينهم ورفع الخلاف ، و بدل ليمن ثوبه البالي بثوب جديد

نعم ان هذا الاتفاق الذي حصل بين الزعيمين سيدر بالخير والبركة على الاقطار اليمانية فتنجلي سماؤها التي كانت متلبدة بدخان البنادق والمدافع الكثيف وتحرث ارضها ويشتغل فيها اهلها ويذوقون طعم الامن والسكينة فيهدأ بالهم ، وتسعد حالهم ، وستكون الحوادث الماضية درسا لرجال الدولة فلا يضعون الشدة حيث يجب ان يكون اللين اه مانشر في الحقيقة بتصحيح قليل للعبارة ،

***

﴿ حديث في صلح اليمن لضابط عثماني كبير ﴾

نشرت جريدة المفيد البيروتية حديثا لأحد صاحبيها ومحرريها مع أمير الألاي احسان بك الذي كان رئيس اركان الحرب لفيلق اليمن عند إلمامه ببيروت عائدا من اليمن قال الكاتب :

ضمني وامير الألاي احسان بك مجلس ولما علمت ان قدومه من اليمن وانه من كبار الضباط استطردته في الكلام الى البحث في شؤون الاتفاق مع الامام .

قلت وهل لاحسان بك معرفة بعزيز بك ؟ قال نعم هو من اعز اصدقائي وهو الرجل الذي جمع الى همة الشباب حكمة الشيوخ ، قلت وما عندك من نبأه ؟ قال انه بطل هذا الاتفاق

(قلت) وكيف كان ذلك ؟ قال « ان عزيز بك شاب غيور انف فخور يعز عليه ان يستمر القتل بين الجنود العثمانية و بين عرب البادية (كذا) وقد أتى هذا القطر والتحق بحملة اليمن وفي النية ان يوفق بين عزت باشا والامام يحيى حقنا للدماء وقد نجح مسعاه لدى قائد الحملة فان عزت باشا لم يكن ممن يحبون سفك الدماء دون طائل ولا ممن يقودون الجيوش بقصد التخريب والتدمير

« هذه العاطفة التي وجدها عزيز بك في قلب عزت باشا سهلت عليه سبيل الاتفاق مع الامام

« قلت ان عزيز بك هو بطل هذا الاتفاق وأؤكد لكم ان هذا البطل هو من اصدق الرجال الذين خدموا الدولة والامة معاً فان خوفه على دولته من الانقراض لاشتغالها عن الامور الخارجية بتجريد الحملات على ابنائها، و(حبه) بقاء العرب ذخرا للدولة تستصرخهم عند الحاجة ، حملاه على عقد الاتفاق ، وقد تمكن بطلاقة لسانه من اقناع الامام بان القتال اذا استمر بينه و بين الدولة فان الاجانب الذين يتربصون بنا الدوائر سوف يستولون على هذه البلاد

على هذه الفكرة بني اساس الاتفاق بين عزت باشا والامام يحيى ومن ذلك يظهر لكم ان عزيز بك هو بطل هذا الاتفاق

– ما وجه الخلاف الذي من أجله كانت تسفك دماء الابرياء ؟

« ان الامام منذ أعوام كثيرة يدعي الامامة وانكم اذا قرأتم نص ختمه تعلمون وجه الخلاف وسبب خروجه على الدولة . كان للامام قبل الاتفاق ختم كبير نقش عليه : (نصره الله) ومن تحتها بصورة هلال (السيد يحيى بن محمد حميد الدين) ويلي ذلك كلمة (امير المؤمنين المتوكل على الله رب العالمين) هذا هو ختم الامام قبل الاتفاق . وأما بعده فأصبح كذلك « امام الزيود السيد يحيى بن محمد حميد الدين » ومن ذلك تعلمون بسبب الحروب اليمنية ، فعزت باشا وعزيز بك لم يحقنا دماء أبناء الامة اليوم فقط بل انهما حقنا دماء أبناء كثيرة لم يخلقوا بعد ، والله يعلم كم كانت هذه الحروب تستغرق من الاجيال لولا هذا الاتفاق

– كم يبلغ عدد الجند في اليمن اليوم وما هي خسارتهم في الحرب الاخيرة ؟

« يناهزون ستين تابورا وتقدر خسارتهم بستة آلاف ومعظمهم مات بسبب الامراض التي كثيرا ماتنتشر بين الجنود لحرارة الاقليم »

– هل يتقاضى الامام راتبا من الدولة ؟

« نعم يتقاضى الف ومائة ليرة عثمانية مشاهرة ولمشايخ العربان رواتب مقننة أيضا »

– ماذا كانت فوائد الاتفاق بعد ان عقد ؟

« وزع الامام منشورا على جميع القبائل الموالية له يحذرهم من الخروج على الدولة والتعدي على الجنود النظامية والانصراف عن مناوأة الدولة الى الاهتمام بزراعة الارض فكان من ذلك ان الجندي النظامي اصبح يروح و يغدو بسلاحه الكامل في انحاء اليمن دون ان يعارضه معارض

« أما الرسوم الاميرية فتجبى بواسطة رجال الامام الذين يصحبون رجال الجندرمة ولم نسمع بعد عقد الاتفاق بشيء مما كان يقع بين الجباة وبين العربان الامر الذي كان يفضي الى امتشاق الحسام وسفك الدماء بين الفريقين

« أكثر بلاد الدولة أمنا اليوم هو القطر اليماني غير ان اليمن هي اليوم في حالة البداوة وان في خصب أرضها وطيب تربتها مايساعد الدولة على نقلها من حال الى حال

« تمد الدولة اليوم خطا حديديا من الحديدة الى جيلة وما مدته الى الآن يقدر بثلاثة كيلو مترات، الا انها ساعية بتسوية الارض وبسط الطريق لكن مد السكة الحديدية لايجدي الاهالي نفعا اذا لم تكن البلاد غنية واذا أتيح لهذه البلاد ان تغنى فارضها ستكون كنز هذه الثروة

« ان الخط الحديدي يسهل نقل الجنود الا ان الدولة اذا جرت على سياسة عزت باشا عقدت مع مشايخ القبائل عقود الاتفاق في بطن الجزيرة وساعدت على زراعة الارض أصبح هذا الخط اقتصاديا اكثر منه عسكريا فان اليمانيين متى قعدوا عن قتال الدولة وتعاهدوا معها انصرفوا الى الزراعة والصناعة ، وان ذكاء هؤلاء القوم يساعد كثيرا على انتشار المدنية في تلك الربوع وان من مصلحة الدولة ان يساس هؤلاء سياسة الحلم لاسياسة العنف والشدة

« في بعض الانحاء من اليمن تنبت الارض اربع مرات في السنة و بعضها تنبت

مرتين فاذا عنيت الدولة بزراعة البلاد اليمنية كان لها مورد جديد يزيد في ماليتها وانه ليؤسفني ان اصرح لكم بان الحكومة أرسلت كثيرا من الادوات الزراعية ولكنها لم ترسل معلمين زراعيين حتى الآن وهذا الاهمال كان السبب في تعطيل هذه الادوات

« ان حكومة الاستانة لم تغفل هذا الامر فقط بل انه مضى على عقد الاتفاق شهور ولم يصادق عليه الا اول من امس وكثيرا ما كان عدم وفائنا سببا في خروج مشايخ اليمن علينا فان الوفاء بالعهد عند العرب من الامور التي يتوقف عليها بقاء ثقة المحكوم بحاكمه »

— هل تعهد الامام لقاء الامتيازات التي منحته اياها الدولة بالمساعدة عند الحاجة ؟

« نعم وعد بتقديم مائة الف مقاتل بالعدة الكاملة وهذه قوة لا يستهان بها

— ما هي سياسة عزت باشا مع الادريسي وهل يمكن عقد اتفاق معه ؟

« من رأيي ان تعقد الدولة اتفاقا مع الادريسي ولكن الامتيازات التي تكون للادريسي هي لا شك غير امتيازات الامام فان الادريسي حديث في المهدوية غير ان في عزم عزت باشا ان يجرد عليه قوة من الجيش اليمني وستبدأ عما قريب الحركات العسكرية في عسير ، ومن رأي عزت باشا ان الادريسي قد ادعى المهدوية حديثا ، واما الامام يحيى فنسبه ثابت والامامة وراثية في عائلته فاذا عقد القائد معه اتفاقا يخشى من ظهور مئات امثال الادريسي ، فقضاء على كل دعوى من هذا القبيل يرى القائد من الضرورة خضد شوكة الادريسي ، ولكن رأيي الخاص هو ان عزت باشا اذا جرد على الادريسي عسكرا لا بد وان يرجع الى فكرة الاتفاق ، فاذا كان لعقد الاتفاق سبيل فمن واجب الحكومة ان لا تدع هذا السبيل »

— وهل في تلك الانحاء غير الامام يحيى والادريسي من مشايخ العرب يعتد بهم ؟

« يوجد شرقي اليمن بعض السلاطين وسياسة عزت باشا اليوم استمالة هؤلاء السلاطين دفعا لما يتهدد البلاد من الاخطار فاذا تغاضت الحكومة عن ارضاء هؤلاء ، فان دولة اجنبية تستميل اليها هؤلاء ، خفية بما تمنحهم اياه من الاموال

وما تقدمه لهم من الاسلحة . واذكر لكم من هذا القبيل ان سلطانين من سلاطين شرقي اليمن لما سمعا باتفاق عزت باشا مع الامام وعلما باستقامة هذا القائد ورويته قدما اليه وعرضا عليه الاطاعة للدولة ، وقد اعترفا لعزت باشا بدسائس بعض الدول واطلعاه على رسائل سرية كان عمال تلك الدولة يبعثون بها اليهما

« ان عزت باشا يتبع الآن سياسة حسنا ، وقد احسن وفادة هذين السلطانين واعترف بسلطتهما شرقي اليمن واعطى كلا منهما علما عثمانيا وانعم عليهما بالخلع ومنحهما الاموال وعندي ان من الواجب على الحكومة ان تسير على هذه السياسة مع العرب ومع بقية العناصر العثمانية

« وقد ينبغي للحكومة حفظا لهذا الملك من الانقراض ان تسير في الداخلية على سياسة الحلم واللين وان تدخر هذه القوات للعدو الخارجي الذي يتهدد البلاد . اه

*

(المنار) ان ما رآه هذا الضابط العاقل من وجوب اتفاق الدولة مع الادريسي هو الصواب المحتم ، وان قتاله خطأ أو خطر ، وانه هو يتمنى الاتفاق والخضوع للدولة كما نعتقد ، وكنا قبل ان تقاتله الدولة وتقاتل الامام اقترحنا عليها الاتفاق معهما كليهما ، وكلمنا رؤف باشا في ذلك وجزمنا له بأن الامام والادريسي يرغبان فيه ويخلصان للدولة ما وفت بعهودهما ، كما بينا ذلك في المنار . وقد تبين صدق رأينا في الاتفاق مع الاول وسيتبين في الثاني . ثم يتبين صدق رأينا في الاتفاق مع سائر امراء جزيرة العرب وزعمائها أيضا . وكان بعض الزعماء في حضرموت وغيرها كتبوا الينا من بضع سنين يخبروننا بدبيب الدسائس الاجنبية في بلادهم ، ورغبتهم في ان ترسل الدولة اليهم أعلامها وعمالها ليديروا أمرهم ، فعرضنا ذلك على احمد مختار باشا الغازي فقال انه الآن غير ممكن لوعورة الطرق وقلة اوفقد الرجال الاكفاء الذين يرضون أن يقيموا في تلك البلاد ، وتعذر اقناع السلطان بذلك . والآن قد سنحت الفرصة فعلى الدولة أن تغتنمها ، وتجعل جزيرة العرب هي الركن الاقوى لمظاهرتها وتأييدها ، على نحو ما أشرنا اليه في الجزء الاخير من السنة الماضية

كان ساسة الدولة يظنون ان اصلاح جزيرة العرب وتقويتها خطر على سلطة

الترك يخشى أن يفضي الى ايجاد دولة عربية مستقلة يدعي حاكمها الخلافة ، وهذا هو السبب لجعلهم بلاد الحجاز خرابا ، ومتابعة الحرب في اليمن وغيرها كما أشار الى ذلك احسان بك ، ولكنه لا يرجى منه ان يذكره بغير الصيغة التي ذكره بها . ولم يوجد في الدولة رجل امكنه ان يجعل الجزيرة ولايات تركية او عثمانية ، ولا ان يجعلها ولايات ممتازة مرتبطة بالدولة بعسكريتها وخارجيتها ، مع بقائها مستقلة في ادارتها

أما الآن وقد ظهر للعيان ان العرب أشد العناصر العثمانية حرصا على الارتباط بالدولة والاخلاص لها ، باستقتالهم في حرب ايطالية بطرابلس الغرب ، وشرائهم بقاء التبعية العثمانيــة بكل مايملكون من مال ودم ـ وظهر أيضا ان الدولة تعجز عن حفظ جزيرة العرب ـ وهي مهد الاسلام ـ من تعدي الدول البحرية كما عجزت عن الدفاع عن طرابلس الغرب ونيط الدفاع عنها بأهلها ـ وظهر أيضا ان الدولة العلية نفسها على خطر ، بعد ما اجمعت اوربة على عدم التزام معاملتها بقوانين حقوق الدول ، ـ اما وقد ظهر كل هذا فقد صار من الواجب المحتم على الدولة أن تعقد الاتفاق مع جميع امراء الجزيرة فتقر كل امير منهم على ماهو عليه ، وتساعـده على التعليم والتمرين العسكري وسائر ضروب الاصلاح ، ويكون اهم أصول الاتفاق بينها وبينهم هو الاتحاد العام في الجيش عند الحاجة وكيفية الانجاد والدفاع عن المملكة

❊❊

﴿ حال اليمن على عهد السلطان محمود الثاني ﴾

كان ابتداء تحرش الدولة العثمانية باليمن في سنة ٩٣٤ في عهد السلطان سليمان القانوني أي زهاء أربع مئة سنة وقد بينا ذلك في المجلد الثالث عشر نقلا عن كتاب (البرق اليماني في الفتح العثماني) ومن ذلك ان الحرب كانت سجالا بين الدولة واليمانيين ، وبقيت كذلك الى الآن

ولما ولي السلطان محمود الثاني كانت الدولة محفوفة بالنوائب والاحداث ففي زمنه كانت فتنة الانكشارية ، والحرب الروسية ، وعصيان والي يانية ووالي بغداد ، وثورة اليونان ، وحرب ايران ، وحرب محمد علي باشا ودخوله الشام ، ثم حرب الوهابية في نجد والحجاز ، ولكن اليمن كانت راضية في ذلك العهد بالصلح بينها وبين الدولة العلية

على مال تؤديه . وقد وقف بعض اصدقائنا في بعض دور الكتب في الآستانة على صورة بعض المكتوبات الرسمية في ذلك وهذا نصها :

(١)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

من خليل باشا الى الجناب العالي الفاضل الاديب والكامل الاريب العالم العلامة والمنصح الفهامة حضرة أخينا الشيخ محمد بن احمد الحرازي سلمه الله تعالى آمين . وبعد السلام على الدوام وصلت كتاب حضرة اخينا الامام حفظه الله تعالى وذكر قدومكم الى بندر الحديدة وصحبتكم المبلغ المائة الالف الريال الفرانسة المعجلة فصادر الى طرفكم معتمدنا الحاج يوسف أغا لقبض المبلغ المذكور وتسليم البنادر الى طرفكم ويقيم عندكم لقبض المائة الالف الريال الفرانسة المؤجلة كل شهر خمسة وعشرين الف ريال فرانسة من أول شهر شوال عام سنة ١٢٣٤ وآخرها شهر محرم الحرام عام سنة ١٢٣٥ فليعلم ذلك . حرر في شهر رمضان عام الف ومائتين وأربعة وثلاثين سنة ١٢٣٤

صوره الختم

رب سهل

امور خليل

(٢)

الحمد لله تعالى

بلغني من يد القاضي محمد الحرازي وسيد الفيروز وأمير اللحية فتح الله موكلين من طرف الامام المهدي مائة الف ريال معجلة التي يوكلني بقبضها افندينا خليل باشا حفظه الله تعالى بتاريخ شهر شوال سنة ١٢٣٤ وقبضتها بالتمام والكمال من المذكورين الموكلين والسلام ختام

صورة الختم

يوسف عبده

١٢٢٨

(تقريظ المطبوعات)

﴿ هداية الباري ، الى ترتيب احاديث البخاري ﴾

رتب السيد عبد الرحيم عنبر الطهطاوي أحاديث (التجريد الصحيح لاحاديث الجامع

الصحيح) المعروف بمختصر الزبيدي لصحيح البخاري على حروف المعجم وسماه بالاسم الذي تراه في العنوان وطبعه مشكولا بالشكل الكامل ، وجعل في جانب كل صفحة جدولين يذكر في أحدهما اسم الراوي من الصحابة وفي الثاني اسم الكتاب وفي الهامش الباب الذي ورد فيه الحديث من كتب صحيح البخاري. ووضع في هامشه شرحا وجيزا للاحاديث مفصولا بينه وبين المتن بخط عرضي دالا عليه بالارقام . فكان مؤلفا من جزئين صفحاتهما ٥٢٨ – فهذه النسخة أمثل نسخ هذا الكتاب للمراجعة والمطالعة فنثني على همة السيد عبد الرحيم عنبر ونشكر له عمله هذا ونحث القراء على الاقبال عليه

***

توجيه النظر الى أصول الأثر

سفر كبير ألفه الشيخ طاهر الجزائري الدمشقي نزيل مصر ، وطبع على نفقة الجمالي والخانجي الشهيرين. وظاهر التسمية ان الكتاب في علم أصول الحديث ومصطلحه، وقد قال المصنف في التعريف به انه فصول « ينتفع بها المطالع في كتب الحديث وكتب السير والاخبار ، وأكثرها منقول من كتب أصول الفقه وأصول الحديث » وكتب على طرة الكتاب ان الداعي الى تأليفه ماوقع عليه العزم من تحرير الكلام في السيرة النبوية المنتقاة مما كتبه ابن هشام

مهما قال المؤلف في تعريفه ، وسبب تأليفه ، فلا يخرج عما يسبق الى الذهن من قراءة اسمه ، فهو في علم الحديث . ولكن فيه استطرادات نافعة ، ومسائل محررة ، وأوابد مقيدة ، لا تكاد توجد مجموعة مع ما يناسبها في كتاب. وناهيك بسعة اطلاع الشيخ طاهر وحسن استحضاره واختياره . فمن ذلك الكلام في جمع القرآن وتدوين الحديث ، وابتداء التأليف ، وبحث التواتر ، والحديث المتواتر ، وقد أطال فيه كما أطال في بحث الحديث الصحيح ، وكتابي الصحيحين ، وبحث الجرح والتعديل وعلل الحديث . ومن الاستطرادات المفيدة الاستطراد في كتابة الحديث وضبطه والتصحيف فيه الى الكلام في الخط العربي وتدرجه في الترقي وعلائم الفصل فيه والحركات العربية والوقف وما ينبغي من وضع العلامات له ولا مالة والاشمام وغيرهما من كيفيات الاداء . وقد أطال في ذلك للحاجة اليه والبحث عنه في هذا العصر وجملة القول ان هذا الكتاب لا يستغنى عنه بغيره وهو من الكتب الشرعية النافعة. ويطلب من مكتبة المنار بشارع عبد العزيز وثمن النسخه منه ١٥ قرشا

المنار ١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا أولو الالباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

(مصر ٣٠ ربيع الاول ١٣٣٠ هق – ١٠ الشتاء الثالث ١٢٩١ هش ١٩ مارس ١٩١٢ م)

باب تفسير القرآن الحكيم

مقتبس فيه الدروس التي كان يلقيها في الازهر الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه

(١١٣ : ١١٦) لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ
بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ
مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (١١٤ : ١١٧) وَمَنْ يُشَاقِقِ
الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ
مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا

أقول تقدم في بيان سبب نزول الآيات التي قبل هذه ان (طعمة) الخائن لم يكد

يفتضح أمره حتى فرّ الى المشركين وأظهر الشرك والطعن في النبي (ص) كأنه كان قد أسلم ليتخذ من النبي (ص) والمؤمنين أعوانا ونصراء يعينونه على اتباع الهوى والخيانة بالعصبية على المخالفين ، وما علم ان الاسلام قد جاء ليبطل الخيانة والضلال ويمحق الأباطيل ويؤيد الحق والفضيلة ، أفلا يسمع هذا المبطلون من أهل أوربة الذين لا يزالون يقلدون قسوس قرونهم المظلمة مثيري الحروب الصليبية في زعمهم ان المسلمين كانوا في العصر الاول جمعية لصوص وقطاع طريق ! ! ألا يدلوننا على حكومة من أرقى حكوماتهم أوصلها دينها ومدنيتها وعلومها وحضارتها الى الرضا بمساواة أبنائها وأوليائها بأعدى أعدائها ، ويشددون في ذلك مثلما شددت الآيات التي تقدم تفسيرها في قضية (طعمة) مع اليهودي ؟ ؟ كيف ونحن نراهم في بلادنا لا يرضون بالمساواة بيننا وبينهم ، وان الرجل من أشرار جناتهم وتحوت صعاليكهم قد يقتل الواحد من خيار الناس في مصر فيحاكمه قنصل دولته كما يريد ، ويحكم عليه بأن يغيب عن الارض التي لوثها بدم الجناية زمنا طويلا أو قصيرا ثم يعود ان شاء ؟

فعلى هذا الذي تقدم يكون قوله تعالى ﴿لا خير في كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس﴾ وما بعده نزل في سياق تلك القصة وان ضمير « نجواهم » يعود على أولئك المختانين لانفسهم الذين يبيتون في ليلهم من الاقوال مالا يرضي ربهم ، وهذا هو المختار . والنجوى مصدر أو اسم مصدر ومعناه المسارة بالحديث ، قيل أصله من النجوة وهي المكان المرتفع عما حوله بحيث ينفرد من فيه عمن دونه ، وقيل من النجاة كأنه نجا بسره ممن يحذر اطلاعهم عليه ، ويوصف به فيقال قوم نجوى ورجلان نجوى ومنه قوله تعالى في سورة الفرقان « وإذ هم نجوى » ومن استعماله بالمعنى المصدري في القرآن قوله تعالى « ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم » وقوله « وأسرّوا النجوى » وأجاز المفسرون هنا أن تكون النجوى بمعنى المتناجين أي المتسارّين ويكون المعنى : لا خير في كثير من المتناجين الذين يسرون الحديث من جماعة (طعمة) الذين أرادوا مساعدته

على اتهام اليهودي وبهته ، ومن سائر الناس الا من أمر منهم بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ، وهذه الثلاثة هي مجامع الخيرات التي يحتاج فيها الى النجوى ، فيكون الاستثناء متصلا على ظاهر قواعد النحو . وأما على القول بأن النجوى هنا بمعنى التناجي فالظاهر ان الاستثناء منقطع أي لا خير في كثير من تناجي هؤلاء الناس ولكن من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس فذلك هو الخير الذي يكون في نجواه الخير — والا فانهم يقدرون للاعراب مضافا محذوفا والتقدير لا خير في كثير من نجواهم الا نجوى من أمر بصدقة أو معروف الخ وقد تقدم تحرير مثل هذه المسألة في تفسير « ولكن البر من آمن بالله » من سورة البقرة ورأي الاستاذ الامام فيه (فليراجع في الجزء الثاني من التفسير)

وقال الاستاذ هنا ان الكلام في الذين يختانون انفسهم ويستخفون من الناس ولا يستخفون من الله ، ومعناه ان الغالب عليهم الشر فهو الذي يجري في نجواهم لأنه اكبر همهم — وذكر مسألة الاستثناء ثم قال — ان النكتة في ذكر الكثير هنا هو ان من النجوى ما يكون في الشؤون الخاصة كالزراعة والتجارة مثلا فلا توصف بالشر ، ولا هي مرادة من الخير ، وانما المراد بالنجوى الكثيرة المنفي الخير عنها النجوى في شؤون الناس ولذلك استثنى الامور الثلاثة التي هي مجامع الخير للناس اه

أقول إذا كان الكلام هنا في أولئك الخائنين فنفي الخير عن الكثير من نجواهم ظاهر ، ولكننا نرى الكتاب الحكيم يجعل النجوى مظنة الإثم والشر مطلقا ولذلك خاطب المؤمنين بقوله في سورة المجادلة (يا ايها الذين آمنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصية الرسول ، وتناجوا بالبر والتقوى واتقوا الله الذي اليه تحشرون ، انما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا وليس بضارّهم شيئا الا باذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون) وهذا بعد ان بين ان بعض الناس نهوا عن النجوى ثم هم يعودون اليها ، وهم اليهود والمنافقون . والحكمة في كون النجوى مظنة الشر في الاكثر هي أن العادة الغالبة وسنة الفطرة المتبعة هي استحباب إظهار الخير والتحدث به في الملاء ، وان الشر والاثم هو الذي

يُخفى ، ويذكر في السر والنجوى ، وفي الحديث الشريف « الإثم ماحاك في النفس وكرهت أن يطلع عليه الناس » وقلما يكتم الناس شيئا من الخير المطلق المتفق على كونه خيراء وإنما الغالب في كتمان بعض الخير واسراره وجعل الحديث فيه نجوى أن يكون ذلك الخير خيرا للمتناجين وشرا لغيرهم أو مؤذيا له ولو من بعض الوجوه . كاسرار الحرب والسياسة التي يتوخى بها أهلها نفع انفسهم وضرر غيرهم فيكتمون اخبارها ويجعلونها نجوى بينهم لئلا تصل الى خصمهم وعدوهم الذي يضره ما ينفعهم ، وينفعه مايحبط عملهم ويبطل كيدهم . ويشبه ذلك مايكون بين التجار وغيرهم من طلاب الكسب من التناجي فيما يخافون ان يطلع عليه غيرهم فيسبقهم اليه او يشاركهم فيه ، فان ما يريدون ان يفوته من الكسب خير لهم وشر له

وهنالك أمور من الخير تتوقف خيريتها او كمال الخير فيها وخلوه من الشوائب على كتمانه وجعل التعاون عليه سرا والحديث فيه نجوى ، وهو ما ذكره الله تعالى من هذه الامور الثلاثة . فما استثناها الله تعالى من النجوى التي لا خير في اكثرها الا لانها يحتاج فيها الى النجوى وإني لم افطن لهذا الا عند كتابة تفسير الآية وليس عندي فيه نقل ، وقد عجبت للاستاذ الامام كيف ذهل عنه فلم يبينه ما لم اعجب لغيره ، فانه ابو عذرة هذه الدقائق في علم الانسان والقرآن على انني كنت أود لو كان بين يدي جميع كتب التفسير المعتبرة لاراجع تفسير الآية فيها (١)

أما الصدقة فهي من الخيرات التي لا مرية فيها وان اظهارها قد يؤذي المتصدق عليه ويضع من كرامته ، وقد يكون الجهر بالامر بها والحث عليها اشد ايذاء واهانة له من إيتائه إياها جهرا ولو كان ذلك مع الاخلاص وابتغاء مرضاة الله تعالى ولهذا قال عز وجل « إن تبدوا الصدقات فنعمّا هي، وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم » فقد مدحها الله تعالى مطلقا ، وجعل إخفاء ما يؤتاه الفقير منها خيرا من إظهاره لان بعض الفقراء يتأذى بالاظهار ويراه إهانة له ، ولو كان

(١) انني اكتب هذا في الباخرة التي تحملني الى الهند في ليلة الجمعة ٢٦ ربيع الاول

جميع الفقراء أو اكثرهم يتأذون بالاظهار لحرمه الله تعالى واوجب الاخفاء إيجابا . فلما ذم الله تعالى النجوى وبين انه لا خير في كثير منها وكان مما قد يترتب على ذلك أن لا يتناجى المتعاونون على الخير فيما بينهم في أمر بعضهم بضعا بالصدقة الخفية على المستحقين لها من أهل الحياء والكرامة الذين يحسبهم الجاهل بأمرهم أغنياء من التعفف ، استثنى الحكيم الخبير هذا النوع من النجوى حتى لا يتحاماه المتورعون خوفا ان يدخل فيما لا خير فيه

وأما المعروف فقد يخفى وجه استثنائه وهو في اللغة ضد المنكر أي ماتعرفه وتقره النفوس وتتلقاه بالقبول ، لموافقته المصالح وانطباقه على الطباع والعقول ، قال بعض أهل الفراسة من العرب : اني لأعرف في عيني الرجل اذا عرف ، وأعرف في عينيه اذا انكر ، واعرف فيهما اذا لم يعرف ولم ينكر، الخ ولما كان الشرع مهذبا للنفوس ومرشدا العقول ، ومقوما لما مال وانآد من أحكام الفطرة البشرية بسوء اجتهاد الناس ، صار اعرف المعروف ماأرشد اليه أو أقره واستحسنه ،وانكر المنكر مانهى عنه وذمه وكرهه ، فالذي يؤمر بالمعروف على مسمع من الناس يستاء في الغالب من الآمر ، ولاسيما اذا كان من اقرانه حقيقة او ادعاء ، لانه يرى في امره اياه استعلاء عليه بالعلم والفضل ، واتهاما له بالتقصير أو الجهل ، واشرافا عليه بالتعليم والتهذيب ، من أجل هذا كانت النجوى به أبعد عن الايذاء، واقرب الى القبول والامضاء ، وكان من هداية للطيف الخبير ان يدخله في هذا الاستثناء، ليكف عنه محبو الاستعلاء ، ولا يأثم به من يعرفون فائدة الاخفاء ،

وأما الاصلاح بين الناس فهو أيضا من الخير الذي قد يترتب على اظهاره والتحدث به في الملا شر كبير، وضرر مستطير ، فينقلب الاصلاح المطلوب افسادا، وهذا مما لا يكاد يخفى على أحد عاش بين الناس واختبر أحوالهم فيما يكون بينهم من الخصام والشقاق والتنازع والصلح والتراضي بسعي محبي الاصلاح . فان منهم من اذا علم ان مايطالب به من الصلح كان بأمر زيد من الناس ، لا يستجيب ولا يقبل ، ومنهم من يصده عن الرضا بذلك ذكره بين الناس وعلمهم بأنه كان بسعي وتواطؤ ، ومنهم من يشترط ان يكون خصمه هو الذي طلب مصالحته ،ومنهم

من يشترط ان يظن الناس ذلك ، والجهر بالحديث في ذلك قد يبطل ذلك . فالاصلاح بين الناس يحتاج فيه الى الكتمان وان يكون الامر به والسعي اليه بين من يتعاونون عليه بالنجوى فيما بينهم ،

لو أطلق القول في الكتاب بأن كثيرا من النجوى لاخير فيه ولم يستثن من ذلك شيء لذهب اجتهاد كثير من المتورعين الى ان هذه الامور من ذلك الكثير فيتركون النجوى بها خوفا من الوقوع فيما لاخير فيه ، وحينئذ اما ان يرجحوا الجهر بالامر بها فيفوت الغرض المقصود منها ، ولو في البعض دون البعض ، وإما ان يرجحوا ترك الامر بها ألبتة ، لئلا يترتب على النفع المقصود من الصدقة الضرر ، وتأخذ من يؤمر بالمعروف العزة بالإثم ، ويتحول إصلاح ذات البين الى افساد . فهذا ماظهر لي الآن في المسألة

﴿ ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما ﴾ بغى الشيء طلبه بالفعل وابتغاه ابلغ من بغاه في الدلالة على الطلب لانه يدل على الاجتهاد فيه والاعتمال له ، وانما تنال مرضاة الله تعالى بالشيء اذا فعل على الوجه الذي يحصل به الخير ويتم به النفع الذي شرع لأجله ، ويكون الفاعل له مظهرا لرحمته تعالى وحكمته ، مع تذكر هذا عند العمل والشعور به ، وبهذا القيد يكون المؤمن أرقى من الفيلسوف في عمله ، وابعد عن الغرور والدعوى فيه ، وأرسخ قدما في الاخلاص ، وتحري نفع الناس ، والثبات على ذلك وعدم مزاحمة الاهواء الشخصية له وترجيحها عليه ، ذلك بأن الفلاسفة - وأخص منهم فلاسفة هذا الزمان - يقولون ان الخير والفضيلة والكمال في الانسانية هو أن يفعل الانسان الخير لانه خير نافع للهيأة الاجتماعية التي هو منها . والايمان يهدينا الى هذا والى ماهو أعلى منه وأشرف ، وهو أن نشعر أنفسنا عند عمله أننا مظاهر لرحمة الله تعالى ورأفته بعباده ، ومجالي لحكمته في إصلاح خلقه ، وان لنا بذلك قربا معنويا من ربنا ، واننا نلنا به مرضاته عنا ، وصرنا به أهلا للجزاء الاوفى . في حياة اشرف من هذه الحياة وأرقى ، وان هذا الجزاء هو المعبر عنه بالاجر العظيم ، وناهيك بما يشهد الله تعالى بعظمته في كتابه

الحكيم ، وليس هو من قبيل جزاء الملوك والكبراء لمن يحسن خدمتهم ، وينال مرضاتهم ، بل هو أثر فطري طبيعي لارتقاء النفس بتلك الاعمال الصالحة ، التي لايقصد بها رياء ولا سمعة ، الى مايزيد الله صاحبها بفضله وكرمه

إن المؤمن الفقيه في دينه ، الذي هو على بصيرة منه ، يعمل الخير على هذا الوجه ، حتى ترتقي روحه ارتقاء تصل به الى ذلك الفضل ، وأما صاحب تلك النظرية الفلسفية فقلما يعمل بها ، وان عمل بها أحيانا فقلما يكون مخلصا في عمله ، واذا تعارض هواه وشهوته مع خير غيره ومنفعته ، فانه يؤثر نفسه ولو بالباطل ، على غيره من أصحاب الحق ، فاذا كان مما وصف الله تعالى به المؤمنين انهم يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، فهؤلاء الفلاسفة ومقلدتهم يؤثرون أنفسهم على غيرهم ولو عن ظهر غنى ، ثم انهم يميلون في تأويل الخير والنفع مع الهوى ، وقد جرى لي حديث مع بعض كبراء المصريين في تحديد معنى الفضيلة فكان يتكلم بلسان الفلسفة ، وأتكلم بلسان الاسلام الجامع بين الدين والحكمة ، فلما حددها بما ينفع الهيئة الاجتماعية ، قلت اذا كان هذا هو المعنى فما هو الباعث للنفوس على العمل به ؟ قال هو اعتقاد كل فرد أن نفع الهيئة الاجتماعية نفع له فاذا صلحت عاش فيها سعيدا ، واذا فسدت لحقه شيء من فسادها فكان به شقيا ، قلت معنى الفضيلة اذاً أن يطلب الانسان نفع نفسه مع ملاحظة نفع الهيئة الاجتماعية التي يعيش فيها ، فتختلف الاعمال التي تندرج في مفهومها الكلي باختلاف آراء أفراد الناس فيما ينفع الهيئة الاجتماعية وفيما هو أرجح من المنافع عند تعارضها . مثال ذلك اذا قدرت أن تسرق مال رجل أو تخونه فيه اذا استودعك اياه ففعلت ذلك لاعتقادك أنك تقدر على مالا يقدر صاحب المال عليه من نفع الهيئة الاجتماعية أو تنفقه فيما هو أنفع لها تكون بهذه السرقة وهذه الخيانة معتصما بعروة الفضيلة . قال نعم . قلت واذا قدر رجل على أن يخون آخر في عرضه ويزني بامرأته معتقدا انه لا ضرر في ذلك على الهيئة الاجتماعية لانه في الخفاء فلا يثير نزاعا ولا خصاما فلا ينافي الفضيلة ، أو أنه ربما ينفع الهيئة الاجتماعية بإيلادها ولدا يرث من ذكائه ما يكون به خيرا ممن تلدهم تلك المرأة من زوجها الشرعي ، أو بما هو أوضح من

هذا عنده كأن تكون تلك المرأة لا تلد من ذلك الرجل — فهل يكون هذا العمل من مقومات الفضيلة المحدودة بما ذكرتم ؟ قال نعم كل من هذا وذاك يعد من الفضيلة في الواقع ونفس الامر اذا كان اعتقاد الفاعل بنفعه للهيئة الاجتماعية صحيحا، وان كان القانون لا يجيز الحكم له بحسب اعتقاده اذا ظهر الامر ورفع إلى القاضي ! !

أقول وقس على السرقة والخيانة والفاحشة جميع الرذائل حتى القتل فانها يمكن أن تعد من الفضائل على ذلك التعريف إذا ظن فاعلها انه ينفع الهيئة الاجتماعية كأن يقتل من يرى هو في سياسته أو اعتقاده أو عمله ضررا وان كان المقتول يرى ذلك نافعا ، فهذا المذهب الجديد في الفلسفة العملية هو شر مذهب أخرج للناس ، فان الرذائل فيه قد تسمى عقائل الفضائل ، والمفاسد تعد فيه من أنفع المصالح ، والحاكم في ذلك هو الهوى . ولولا افتتان ضعفاء النفوس ببعض من يقولون به لما استحق أن يحكى . وكان للفلاسفة الاولين مذاهب في الفضيلة معقولة ، وآراء صحيحة ، وقد أنطقهم الله تعالى بكثير من الحكم ، ولكن ثمرات عقولهم لم تكن دانية القطوف ، يجنيها القوي والضعيف ، ولم يكن لها ما لهداية الوحي من السلطان على القلوب والارواح ، والتأثير السريع في إصلاح شؤون الاجتماع ، فمن ثم كان الدين انفع من الفلسفة للناس وليس عندي شيء عن الاستاذ الامام في تفسير هذه الآية الا ما اسندته اليه في أول الكلام عليها ، وقوله في تفسير ابتغاء مرضاة الله إنها إنما تطلب بالاخلاص ، وعدم ارادة السمعة والرياء كما يفعل المتفاخرون من الاغنياء : تصدقنا أعطينا منحنا عملنا وعملنا — فهؤلاء انما يبتغون الربح بما يبذلون أو يعملون لا مرضاة الله تعالى ، ولذلك يشق عليهم أن يكون خفيا ، وان يخلصوا في الحديث عنه نجيا ، لان الاستفادة منه بجذب القلوب اليهم ، وتسخير الناس لخدمتهم ، ورفعهم لمكانتهم ، انما تكون باظهاره لهم ، ليتعلق الرجاء فيهم . اه ببسط وإيضاح (١)

﴿ ومن يشاق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ﴾ الخ

(١) اوجز الاستاذ الامام في تفسير هذه الآيات وما بعدها وبعض ما قبلها لانها كانت دروس آخر السنة ، بل آخر دروس التفسير كما سيأتي

قال الاستاذ الامام لما بين الله تعالى في الآية التي قبل هذه وعده بالجزاء الحسن للذين يتناجون بالخير ، ويبتغون بنفع الناس مرضاة الله عز وجل ، اراد أن يبين في هذه الآية وعيده لاولئك الذين يتناجون بالشر ، ويبيتون ما يكيدون به للناس ، فهو يقول إن أولئك القوم مشاقون للرسول اذا كانوا يفعلون ما يفعلون بعد أن ظهرت لهم الهداية على لسانه صلى الله عليه وسلم ، وقامت عليهم الحجة بحقيقة ما جاء به ، وأما من لم تتبين لهم الهداية فلا يستحقون هذا الوعيد ، وهم متفاوتون فمن نظر منهم في الدليل فلم يظهر له الحق وبقي متوجها الى طلبه بتكرار النظر والاستدلال مع الاخلاص فهو معذور غير مؤاخذ كالذي لم تبلغه الدعوة ، وعليه جمهور الاشاعرة . والمشاقة بعد تبين الهدى انما تكون عنادا وعصبية أو اتباعا لشهوة تفوت بهذه الهداية اه

أقول المشاقة المعاداة مشتقة من شق العصا، أو هي مفاعلة من الشق كأن كل واحد من المتعادين يكون في شق غير الذي فيه الآخر كما قالوا . والكلام جاء بصيغة العموم وهو يصدق على (طعمة) كما ذكر في قصته وعلى قليل من الناس منهم بعض علماء اليهود في عصر النبي (ص) وإنما قلنا انه يصدق على قليل من الناس لان أكثر الناس فطروا على ترجيح الهدى على الضلال والحق على الباطل والخير على الشر اذا تبين لهم ذلك وعرفوه وناهيك بمن دخل فيه وعمل به ورأى الفرق بينه وبين ما كان عليه هو وقومه (كطعمة) ولا يشترط في هذا الترجيح الفطري والعمل به أن يكون قد تبين بالبرهان اليقيني المنطقي الذي لا يقبل النقض بل يكفي أن يظهر للمرء أن هذا هو الهدى أو أنه أهدى من مقابله إذا كان هناك مقابل . وسبب هذا ومنشؤه أن الانسان فطر على حب نفسه وحب الخير والسعادة لها والسعي الى ذلك واتقاء ما ينافيه ويحول دونه لذلك كانت شريعة الاسلام التي هي دين الفطرة مبنية على قاعدة درء المفاسد وجلب المصالح فكل ما حرم فيها على الناس فهو ضار بهم وكل ما فرض عليهم أو استحب لهم

فيها فهو نافع لهم ، ولهذا كان غير معقول أن يتركها أحد بعد أن يعرفها وتتبين له وكان إن وقع لا بد له من سبب ، وهو ما اشار اليه القرآن الحكيم في قوله تعالى (ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ؟) أي لا أحد يرغب عنها الا من احتقر نفسه وازراها بالسفه والجهالة . ونحن نبين اصناف الناس في اتباع الهدى وتركه وسبب ذلك فنقول

(الصنف الاول) من تبين له الهدى بالبرهان الصحيح ، ووصل فيه الى حق اليقين ، وهذا لا يمكن ان يرجع عنه اعتقادا ، ويندر جدا أن يرجع عنه عملا ، وللاستاذ الامام كلمة كبيرة في هذا المقام لا يقولها الا مثله من الاعلام ، وهي « الرجوع عن الحق بعد اليقين فيه كاليقين في الحق كلاهما قليل في الناس » وهو يعني الرجوع بالعمل اذ الانسان يملك من عمله مالا يملك من اعتقاده فمن كان موقنا بأن المخلوق لا يكون إلها ولا شريكا لله يؤثر في ارادته ويحمله على فعل مالم يكن ليفعله لولاه – لا يستطيع بعد اليقين الحقيقي في ذلك ان يعتقد ان المسيح او غيره ممن عبد ومما عبد من دون الله أو مع الله آلهة او شركاء لله ، ولكنه يستطيع ويدخل في إمكانه ان يدعوها من دون الله او مع الله ، وان يعبدها بغير الدعاء ايضا كالتمسح بها والتعظيم الذي يعده اهلها من شعائر العبادات ، لا من عموم العبادات ، وهو وان كان يستطيع ما اشرنا اليه من عباداتها لا يفعله ، أي لا يرجع عن الحق بالعمل ، الا ان يكون لما أشرنا اليه من السبب ، وسنبينه بعد ،

(الصنف الثاني) من تبين لهم الهدى بالدلائل المعتادة التي يرجح بها بعض الاشياء على بعض بحسب أفهامهم وعقولهم ، لا بالبرهان المنطقي المؤلف من اليقينيات البديهية أو المنتهية اليها ، وهؤلاء لا يرجعون عن الهدى الى الضلال وهم يعلمون أنه الهدى بهذا النوع من العلم الذي اشرنا اليه اذ يكفي أنهم معتقدون به أنهم على الحق والخير والصلاح ، فلا يشاقون من جاءهم بذلك ولا يتبعون غير سبيل أهله الا لسبب يقل وقوعه كما سيأتي .

(الصنف الثالث) من اتبع الهدى تقليداً لمن يثق به من الناس كآبائه وخاصة أهله ورؤساء قومه وهذا لا يدخل فيمن تبين لهم الحق والهدى لانه لم يتبين لهم شيء

ولذلك يتركون الهدى الى كل مايقرهم عليه رؤساؤهم من البدع والضلالات كما هو مشاهد في جميع الملل والاديان

(الصنف الرابع) من لم يتبع الهدى لانه نشأ على تقليد أهل الضلال ، فلما دعي الى الهدى لم ينظر في دعوة النبي الذي دعي الى دينه ، ولا تأمل في دليله ، لانه صدق الرؤساء الذين قلدهم بأنه ليس أهلا للاستدلال وأن الله حرم عليه وعلى أمثاله النظر في الادلة والبينات ، وفرض عليهم أن يقلدوا أهل الاجتهاد ، ومن ينقل اليهم مذاهبهم من العلماء ، فمن قلد عالما ، لقي الله سالما ، ومن نظر واستدل ، زل وضل ، وهذا ما كان عليه جمهور أهل الكتاب في زمن بعثة نبينا (ص) وكذلك غيرهم من اصحاب الاديان المدونة كالمجوس ، وامثال هؤلاء اذا ترك رؤساؤهم دينهم أو مذهبهم يتبعونهم في الغالب ، ولا سيما اذا دخلوا في مذهب أودين جديد ليس بينهم وبين أهله عداوات دينية ولا سياسية تنفرهم منهم تنفيرا طبيعيا ، ولذلك دعا النبي (ص) ملوكهم ورؤساءهم الى الاسلام وكتب لكل رئيس ان عليه اثم قومه أو مرءوسيه اذا هو تولى عن الايمان ، ولم يجب دعوة الاسلام ،

(الصنف الخامس) كالذي قبله في التقليد لاهل الضلال تعظيما لجمهور قومه ومن نشأ على احترامهم من آبائه وأجداده ، واستبعادا لكونهم كانوا متفقين على اتباع الضلال ، وان يكون هذا الداعي قد عرف الهدى من دونهم ، أو أوحي اليه ولم يوح اليهم ، وهذا ما كانت عليه عامة العرب عند ظهور الاسلام ، والآيات المبينة لحالهم هذه كثيرة ليس هذا محل سردها ، وانما الفرق بينهم وبين مقلدة أهل الكتاب والاديان المدونة ذات الكتب والهياكل والرؤساء الروحيين ، ان تقليد هؤلاء العرب أضعف ، وجذبهم الى النظر والاستدلال أسهل ، وكذلك كان ، وهو من أسباب ظهور الاسلام فيهم دون سائر الناس

(الصنف السادس) علماء الاديان الجدليون المغرورون بما عندهم من العلم الناقص بها ، الذين دعوا الى الهدى فلم يتولوا عنه اتباعا لرؤساء فوقهم ، ولم ينظروا فيه بالاستقلال والاخلاص ، بل اعرضوا احتقارا له لانه غير ما جروا عليه ووثقوا به ،

وجعلوه مناط عظمتهم ، وحسبوه منتهى سعادتهم ، وهم في الحقيقة مقلدون كعامتهم ، ولكن عندهم من الصوارف عن قبول الهدى ما ليس عند العامة من معرفة عظمة أسلافهم الذين ينتمون اليهم وما ينسب اليهم من العلم والصلاح والفضائل والكرامات ، ومن الأدلة الجدلية على حقية ما هم عليه ،

(الصنف السابع) الذين بلغتهم دعوة الهدى على غير وجهها الصحيح المحرك للنظر فلم ينظروا فيها ولم يبالوا بها لانهم رأوها بديهية البطلان ، ومن هؤلاء أكثر كفار هذا الزمان الذين لايبلغهم عن الاسلام الا أنه دين من جملة الأديان الكثيرة المخترعة فيه وفي أهله من العيوب والأباطيل ما هو كذا وكذا — كما اخترع وافترى رؤساء النصرانية وغيرهم على الاسلام ولاسيما ما كتبوه قبل تأليب الشعوب الاوربية على الحرب الشهيرة بالصليبية . فهؤلاء لا يبحثون عن حقيقة الاسلام كما أن المسلمين لا يبحثون عن دين المورمون مثلا

(الصنف الثامن) من بلغتهم دعوة الهدى على وجهها أو غير وجهها فنظروا فيها بالاخلاص ولم تظهر لهم حقيقتها ولا تبينت لهم هدايتها ، فتركوها وتركوا إعادة النظر فيها

(الصنف التاسع) هم أهل الاستقلال الذين نظروا في الدعوة كمن سبقهم ولا يتركون النظر والاستدلال اذا لم يظهر لهم الحق من أول وهلة بل يعودون اليه ويدأبون طول عمرهم عليه وهم الذين نقل الاستاذ الامام عن محققي الاشاعرة القول بنجاتهم لعذرهم

(الصنف العاشر) من لم تبلغهم دعوة الحق والهدى البتة ، وهم الذين يعبر عنهم بعضهم بأهل الفترة ، ومذهب الاشاعرة انهم معذورون وناجون

هذه هي أصناف الناس في الهدى والضلال ، بحسب ما خطر للفكر القاصر الآن ، ولا يصدق على صنف منها انه تبين له الهدى الا الاول والثاني ، فمن يشاقق الرسول من أفرادهما في حياته ، أو يعادي سنته من بعده ، ﴿ ويتبع غير سبيل المؤمنين ﴾ الذين هم أهل الهدى ، وانما سبيلهم كتاب الله وسنة رسوله صلى

الله عليه وسلم فهو الذي يقول الله تعالى فيه ﴿ نوله ماتولى ونصله جهنم وساءت مصيرا ﴾ وهو الذي يصدق عليه قوله تعالى في سورة أخرى (أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله ؟ أفلا تذكرون !) وهم أجدر الناس بدخول جهنم وصليها والاحتراق بها وسائر أنواع عذابها لانهم استحبوا العمى على الهدى ، وعاندوا الحق واتبعوا الهوى ،

وأما سائر الاصناف فيولي الله كلا منهم ما تولى أيضا كما هي سنته في الانسان الذي خلقه مريدا مختارا حاكما على نفسه وعلى الطبيعة المحيطة به بحيث يتصرف فيهما التصرف الذي يراه خيرا له ولذلك غير في أطوار كثيرة أحوال معيشته وأساليب تربيته وسخر قوى الطبيعة العاتية لمنافعه (وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه) فهو مربي نفسه ومربي الطبيعة التي ألّهها بعض أصنافه جهلا منهم بأنفسهم وهو لا متصرف فوقه في هذه الارض الا رب السموات ورب الارض ورب العرش العظيم . أقول هذا نسفا لأساس جبرية الفلسفة الأوربية الحاضرة بعد نسف أساس جبرية الفلسفة الغابرة ، هؤلاء الذين يظنون أن ما يسمونه الافعال المنعكسة تعمل في الانسان عملها ، وانه لا عمل له بها ، والصواب انه حاكم عليها كحكمها عليه فان ترك لها الحكم استبدت وان أراد أن يتصرف فيه وفيها فعل ،

قلت ان من سنته تعالى في الانسان أن يولي كلا من تلك الاصناف ما تولى ولكنه لا يصلي كلا منهم جهنم التي ساء مصيرها ، لان إصلاء جهنم هو تابع لما يتولاه الانسان من الضلالة في اعتقاده ، وناهيك به إذا تولاها بعد أن ظهرت الهداية له ، وذلك ان الجزاء أثر طبيعي لما تكون عليه النفس في الدنيا من الطهارة والزكاء والكمال بحسب تزكية صاحبها لها أو من ضد ذلك بحسب تدسيته لها ، ويدل على هذا وذاك قوله تعالى « نوله ما تولى »

واني لا أتذكر أنني اطلعت على تفسير واضح لهذه الجملة الحكيمة العالية « نوله ما تولى » وانما يفسرون اللفظ بمدلوله اللغوي كأن يقولوا نوجهه الى حيث

توجه ، أو نجعله واليا لما اختار أن يتولاه ، أو يزيدون على ذلك استدلال كل فرقة بالآية على مذهبها أو تحويلها اليه أعني مذاهبهم في الكسب والقدر والجبر ، وتعلق الارادة الالهية أو عدم تعلقها بالشر ، والذي أريد بيانه وتوجيه الأذهان الى فهمه هو ان هذه الجملة مبينة لسنة الله تعالى في عمل الانسان ، ومقدار ما أعطيه من الارادة والاستقلال ، والعمل بالاختيار ، فالوجهة التي يتولاها في حياته ، والغاية التي يقصدها من عمله ، يوليه الله اياها ويوجهه اليها أي يكون بحسب سنته تعالى واليا لها ، وسائرا على طريقها ، فلا يجد من القدرة الإلهية مايجبره على ترك ما اختار لنفسه ، ولو شاء تعالى لهدى الناس أجمعين بخلقهم على حالة واحدة في الطاعة كالملائكة ولكنه شاء أن يخلقهم على ما نراهم عليه من تفاوت الاستعداد والادراك وعمل كل فرد بحسب مايرى انه خير له وأنفع في عاجله أو آجله أو فيهما جميعا الخ مالا محل لشرحه هنا من طبائع البشر

وذهب بعضهم الى أن المراد من تولية الله لمثل هذا ما تولى هو ما يلزمها من عدم العناية والالطاف ، بناء على أن لله تعالى عناية خاصة ببعض عباده وراء ما تقتضيه سننه في الاسباب والمسببات ، وجعل الجزاء في الدنيا والآخرة أثرا طبيعيا للاعمال ، وما في ذلك من النظام والعدل العام ، والظاهر أن المراد بالجملة ما ذكرنا من حقيقة معناها وحاصله أن من كان هذا شأنه فهو الجاني على نفسه لأن من سنة الله أن يكون حيث وضع نفسه واختار لها ، وأن مصيره الى النار وبئس القرار ، نعم إن الله تعالى يختص برحمته من يشاء ويهب للذين أحسنوا الحسنى ويزيدهم من فضله ، ولكن ليس هذا المقام مقام بيان سبب الحرمان من مثل هذا الاختصاص اذ ليس من يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى مظنة له ، فيصرح بنفيه عنه ، وليت شعري أيقول الذين فسروا التولية بهذ النفي والحرمان من العناية والالطاف : إن هذا الصنف وحده هو المحروم من ذلك أم الحرمان شامل لغيره من اصناف الضالين ؟ وهل يستلزم حرمانه من ذلك اليأس من هدايته ثانية أم لا ؟ لا يمكنهم أن يقولوا في هذا الباب ما تقوم به الحجة ويسلم من الايرادات التي لا تدفع . والصواب أنه لا مانع يمنع من عودة هذا الصنف

من الضالين الى الهدى لأن علمه بحقيقة ما كان عليه ، وبطلان ما صار اليه ، لا يبرح يلومه ويوبخه على ما فعله ، ولا يبعد أن يجيء يوم يكون فيه الفلج له ،

أما السبب الذي يحمل من تبين له الهدى على تركه فهو لا بدأن يكون حالا من الاحوال النفسانية القوية كالحسد والبغي ، وحب الرياسة والكبر ، والشهوة الغالبة على العقل ، والعصبية للجنس . والقول الجامع فيه اتباع هوى النفس ، وقد ثبت أن بعض أحبار اليهود قد تبين لهم صدق دعوة النبي (ص) فتولوا عنها حسدا له وللعرب أن يكون منهم خاتم النبيين ، وايثارا لرياستهم في قومهم ، على أن يكونوا مرءوسين في غيرهم ، وارتداد جبلة بن الايهم عن الاسلام ، لما رأى أنه يساوي بينه وبين من لطمه من السوقة ، وارتد أناس في أزمنة مختلفة عن دينهم لافتتانهم ببعض النساء من الكفار . وعلة ذلك كله أي علة تأثير هذه الاسباب في نفوس بعض الناس هي ضعف النفس ومرض الارادة بجريان صاحبها من أول نشأته على هواه وعدم تربيتها على تحمل ما لا تحب في العاجل لاجل الخير الآجل ، وهذا هو مرادنا من ارجاع جميع الاسباب الى اتباع الهوى وهو ما أشرنا اليه من قبل . وهو يرجع الى ماقلنا من ان الانسان مفطور عليه من ترجيح مايرى انه خير له وأنفع ، وصاحب الهوى المتبع لايتمثل له النفع الآجل ، كما يستحوذ عليه النفع العاجل ، لضعف نفسه ومهانتها وعجزها عن الوقوف في مهب الهوى من غير ان تميل معه . وقد حكي أن الحجاج مد سماطا عاما للناس فجعلوا يأكلون وهو ينظر اليهم ، فرأى فيهم اعرابيا يأكل بشره شديد فلما جاءت الحلوى ترك الطعام ووثب يريدها ، فأمر الحجاج سيافه أن ينادي : من أكل من هذه الحلوى قطعت عنقه بأمر الامير ـ والحجاج يقول ويفعل ـ فصار الاعرابي ينظر الى السياف نظرة والى الحلوى نظرة ـ كأنه يرجح بين حلاوتها ومرارة الموت ولم يلبث أن ظهر له وجه الترجيح ، فالتفت الى الحجاج وقال له « أوصيك باولادي خيرا » وهجم على الحلوى وأنشأ يأكل والحجاج يضحك ، وهو انما أراد اختباره

ومن مباحث الاصول في هذه الآية استدلال بعضهم بها على حجية الاجماع لان مخالفه متبع غير سبيل المؤمنين وعبر بعضهم في بيان حجيته بأنه هو سبيل

المؤمنين وقد علمت أن الاجماع الذي يعنونه هو اتفاق مجتهدي هذه الامة بعد وفاة نبيها في أي عصر على أي أمر. والآية انما نزلت في سبيل المؤمنين في عصره لا بعد عصره. وأتذكر انني بينت عدم اتجاه الاستدلال بالآية على حجية الاجماع في المنار. وكذلك رده الاستاذ الامام، والامام الشوكاني في ارشاد الفحول. والآية التي تدل على الاجماع الصحيح هي قوله تعالى في هذه السورة (٥٨ ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم) وقد تقدم تفسيرها وبحث الاجماع فيها، وزدته بيانا في المسألة الخامسة من المسائل التي جعلتها متممة لتفسيرها

﴿الوفاق بين الاسلام والنصرانية﴾

أرسل الينا صاحب الامضاء هذه الرسالة من بضعة أشهر فحالت كثرة المواد عن نشرها قبل الآن

دعاني حب الانسانية والسلام أن أبذل ما في وسعي للتصافي بين بني الانسان والتآخي بين بني آدم وتطهير قلوبهم من البغضاء والشحناء ونزع التعصب الذميم من بينهم ليعيشوا اخوانا في صفاء ونعيم. ولما كان الاسلام والنصرانية أكثر شيوعاً وأعظم عنصرا في الارض ابدأ في التآلف بينهما وأرجو القراء أن لا يستكثروا كبيرا على انسان ولا يستبعدوا مقدورا على أحد فان الله يهب الفضل لمن يشاء ويؤتي الحكمة من يشاء ويهدي من يشاء ولا حول لنا ولا قوة الا بالله

ولما قامت النصرانية بالكتاب المقدس وقام الاسلام بالقرآن الشريف استهدي كلا بكتابه واستميله بحكمه وألفته الى محكم آياته فان الناس عن كتاب الله لاهون، وعن العمل بدينهم تائهون، وانه لا تعصب بين الدينين، ولا كراهية بين الفريقين الا ما ابتدعته سلطة الفرد من التنافر والدين نفسه منه بريء. قرأت التوراة والانجيل والقرآن فلم أجد فيها كرها ولا بغضا بل اتحادا وارتباطا (وما أشقى الانسان الا الانسان) فكلنا خلق الله نعبد الله ولا تخالف الامن سوء التفاهم بيننا فهلموا نعقد الاجتماعات وتفاهم كتاب الله أولى من المراقص والملاهي. وكل فرد منا يمكنه أن يقرأه حتى اذا تدبره لابد وأن ينزع من نفسه كل تعصب منكر وان قلبي ليرتعش طرباً وسروراً وفؤادي ينتعش حناناً واشفاقا لما سأقوله محقق لكل عالم حليم حكيم وهو:

ان الكتاب المقدس يأمر المسيحي أن يكون نصرانياً مسلما والقرآن الشريف يأمر المحمدي أن يكون مسلما نصرانيا نعم نعم بينهما حب وسلام، وائتلاف ووئام،

قال تعالى في سورة البقرة (قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم: أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله) لماذا لا نسمع داعي الله الى هذا الحق هذا الاتحاد هذه الرابطة المتينة؟ أليس لنا قلوب نعقل بها أم على الصدور أقفالها؟ كلا فمنا العالمون ومنا المحامون ومنا الحكماء والمهندسون وكلنا أحرار. واذا لم نرجع الى الحق في عصر النور والحرية ونفك نفوسنا من قيود التقليد فمتى يا ترى؟ أنتبع آباءنا ولو كانوا خاطئين؟ واذا لم نعدل لنفوسنا في ضمائرنا فالى متى يا ترى؟. واأسفاه والله واأسفاه. فاننا اذا نظرنا في شيء واتضح لنا الحق ظاهرا مبينا وكان خلاف ما يتبعه آباؤنا نجد في نفوسنا حرجا وصلابة وجمودا لما ألفينا عليه آباءنا مهما كان باطلا. ألا ترى أن من يعبد العجل يعبده بقلبه لانه وجد أباه له عابدا؟ والمسلم والنصراني يعلمان انه آثم كافر ويريد كلاهما أن يهديه الى الحق ويود المسيحي أن يكون المسلم نصرانيا كما يرغب المحمدي أن يكون النصراني مسلما ويرى كلاهما انه على الحق وغيره على الباطل. لماذا لماذا لماذا! لاشك اننا لآبائنا مقلدون ولو كانوا في ضلال مبين. عجباً عجبا! أين العلوم العصرية؟ أين النور الساطع؟ أين الذكاء أين الحرية؟ ألم تقشع غيوم الجهالة أفلا تنمحي ظلمة التقليد الاعمى؟ كدنا اليوم نلمس السموات بالاختراعات فلماذا لا نفكر في الاتحاد والسلام؟ لم لا نسير على طريق البحث لنهتدي الى الحق؟

أيها القراء اني سرت مستقيما فوصلت الى باب الحقيقة بالبحث والبرهان فمن وجدني زائغاً فليقومني بقلم حاد وله مني مزيد الشكر وله الاجر من الله

ورد في الكتاب المقدس في انجيل متى اصحاح ٥ — (٣٨) سمعتم انه قيل عين بعين وسن بسن (٣٩) وأما أنا فأقول لكم لا تقاوموا الشر، بل من لطمك على خدك الايمن فحول له الآخر أيضا... (٤٣) سمعتم انه قيل تحب قريبك وتبغض عدوك ٤٤ وأما أنا فأقول لكم أحبوا أعداءكم باركوا لاعنيكم احسنوا الى مبغضيكم وصلوا لاجل الذين يسيئون اليكم ويطردونكم)

انظر أيها النصراني الى هذه الوداعة والى هذا الاستسلام المتناهي هل تجد في ذلك تعصبا أو كراهية لاخيك المسلم؟ كلا. وان الله يعلم ان الناس لا يصلحون بهذا الاستسلام المتناهي وظهرت عليهم آثار علته بالمخاصمة والشحناء فأمرهم بالحكمة البالغة فقال في القرآن الشريف في سورة الشورى «والذين استجابوا لربهم وأقاموا

الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون * والذين اذا أصابهم البغي هم ينتصرون * وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله انه لا يحب الظالمين * ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل * انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الارض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم * ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور » أمر بالشورى وأمر بالقصاص اذا كان لمصلحة واستحسن الصبر والغفران، أليست هذه الآيات القصيرة كافية وحدها الان تكون توراة وانجيلا وقرآنا ؟ لو عمل الناس بها لعاشوا في هناء وسرور . فيا أيها النصراني أحب عدوك وبالاولى المسلم ابن عمك ويا أيها المسلم عليك بالصبر والغفران

ورد في الكتاب المقدس في انجيل يوحنا اصحاح ١٧ (٣ وهذه هي الحياة الابدية أن يعرفوك أنت الاله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته) فما هو السبب الذي يدعوك أيها النصراني أن تخاصم المسلم وهو يؤمن بأن الله واحد وان السيد المسيح عليه الصلاة والسلام رسوله كما ورد في القرآن الشريف « انما إلهكم إله واحد » أيها المسلم اقتد بما قاله تعالى « ألم. غلبت الروم في أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين لله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم » فافرح بما يكون لاخيك النصراني من النصر المبين على الكافرين وكن معه على اتحاد ووفاق . أغير ذلك دلائل على وجوب التصافي والتضامن بين الفريقين ونزع البغضاء من الطرفين ؟ نعم يوجد أكثر من ذلك اقرأ رسالة يوحنا الاولى اصحاح ٢ (١يا أولادي ! أ كتب اليكم هذا لكي لا تخطئوا وان أخطأ أحد فلنا شفيع عند الآب يسوع المسيح البار ٢ وهو كفارة لخطايانا . ليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم أيضا) فهو يقول ان المسيح يشفع ليس للنصراني فقط بل للمسلم بل لكل العالم أيضا . فعلام أيها المسيحي تبغض أخاك المسلم الذي آمن بالتوراة والانجيل وآمن بالمسيح وانه كلمة الرب . هل لانه آمن بمحمد عليه الصلاة والسلام وانه ليؤمن به بحق كما بشر به ابراهيم وموسى وداود وأشعيا وعيسى نفسه في الكتاب المقدس عليهم صلوات الله أجمعين

اقرأ الكتاب المقدس بتدبر واعتدال واذا وسوس اليك الجمود فاقطعه بسيف الحق وحرر نفسك من رق التقليد واذا أردت الاختصار فاني أورد لك بعض البشارات الصريحة . منها ماورد في التكوين ص ١٧ (٢٠ وأما اسماعيل فقد سمعت لك فيه ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيرا جداً اثنى عشر رئيسا يلد واجعله أمة

كبيرة) فمحمد عليه الصلاة والسلام هو ابن قيدار بن اسماعيل بن ابراهيم

وورد في التثنيه اصحاح ١٨ (١٨ اقيم لهم نبيا من وسط اخوتهم مثلك واجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ماأوصيه به ٢٠ وأما النبي الذي يطغى فيتكلم باسمي كلاما لم أوصه ان يتكلم به أو الذي يتكلم باسم آلهة أخرى فيموت ذلك النبي ٢١ وان قلت في قلبك كيف نعرف الكلام الذي يتكلم به الرب ٢٢ فما تكلم به النبي باسم الرب ولم يحدث ولم يصر فهو الكلام الذي لم يتكلم به الرب بل بطغيان تكلم به النبي فلا تخف منه) فمحمد هو النبي الذي مثل موسى أتى بكتاب من كل الوجوه ولم يقم مثله من بعده غيره . أنظر الى التخصيص في قوله « بين اخوته » اي بني اسماعيل جد محمد وقد دللنا على كيفية التمييز بين النبي الكاذب والصادق ونعلم ان محمداً صدق في كل ماأخبر به من الغيب وقوم الله طريقته وساعده ونشر دينه ولم يكذب قط ولو كان كاذباً لاهلكه الله . وكما ورد في التثنية ورد في القرآن الشريف في هذا المعنى « ولو تقوّل علينا بعض الأقاويل لاخذنا منه باليمين * ثم لقطعنا منه الوتين »

واقرأ قول داود مزمور ٤٥ (فآض قلبي بكلام صالح متكلم انا بانشائي للملك ، لساني قلم كاتب ماهر انت ابرع جمالا من بني البشر ، انسكبت النعمة على شفتيك ، لذلك باركك الله الى الابد ، تقلد سيفك على فخذك أيها الجبار جلالك وبهاؤك) وذلك لاينطبق على عيسى لانه لم يتقلد سيفا بل على محمد تماما .

واقرأ اشعياء اصحاح ٤٢ (١ هو ذا عبدي الذي اعضده مختاري الذي سرت به نفسي وضعت روحي عليه فيخرج الحق للامم ٢ لا يصيح ولا يرفع ولا يسمع في الشارع صوته ٣ قصبة مرضوضة لايقصف وفتيلة خامدة لايطفىء الى الامان يخرج الحق ٤ لايكل ولا ينكسر حتى يضع الحق في الارض وتنتظر الجزائر شريعته ٥ هكذا يقول الله الرب خالق السموات وناشرها باسط الارض ونتائجها معطي الشعب عليها نسمة والساكنين فيها روحا ٦ انا الرب قد دعوتك بالبر فامسك بيدك وأحفظك واجعلك عهداً للشعب ونورا للامم ٧ لتفتح عيون العمي فتخرج من الحبس المأسورين من بيت السجن الساجين في الظلمة ٨ انا الرب هذا اسمي ومجدي لا أعطيه لآخر ولا تسبيحي للمنحوتات ٩ هوذا الاوليات قدانت والحديثات انا مخبر بها قبل ان تنبت أعلمكم بها ١٠ غنوا للرب اغنية جديدة تسبيحة من اقصى الارض ايها المنحدرون في البحر وملؤه الجزائر وسكانها ١١ لترفع البرية ومدنها صوتها الديار التي سكنها قيدار لتترنم سكان سالع من رؤوس الجبال ليهتفوا ١٢ ليعطوا الرب مجدا ويخبروا

بتسبيحه في الجزائر ... ٢٢ لكنه شعب منهوب ومسلوب ...) تظن ياحبيبي النصراني ان كل هذا الاصحاح خاص بعيسى عليه السلام بما ورد في انجيل متى اصحاح ١٢ (هوذا فتاي) يقول فتاي ونرجع الى الاصل نجد هوذا عبدي وعندك ان عيسى ليس عبداً لله وأما محمد فهو عبدالله لم يكل ولم ينكسر ومات على فراشه محفوفا بآله واصحابه وأما عيسى عليه السلام فتعتقد أنه صلب ، تذكر ماورد في انجيل مرقص اصحاح ١٥ (٢٥ وكانت الساعة الثالثة فصلبوه) اما محمد فقد حفظه الله وكان يوحد الله وكسر الاصنام وهو ابن قيدار بن اسماعيل وان سالع من بلاد العرب ، وتأمل في كيفية الحج فان الناس من كل فج يفدون من الجزائر والبحر وملئه ومن اقصى الارض يحدرون الى جبال عرفات ويغنون بتسبيحة جديدة قائلين الله اكبر لبيك اللهم لبيك ألوفا ألوفا وترفع البرية صوتها في البلاد التي سكنها قيدار جد محمد وتترنم سكان سالع. فهيئة الحج منطبقة تمام الانطباق على هذا الاصحاح في آيات ٨ و ٩ و ١١ وآية ٢٢ تدل على العرب وهم شعب محمد فانهم كانوا قبله شعبا منهوبا ومسلوبا

واذا لم تكتف ياسيدي بالعهد القديم (التوراة والزبور) فهاهو العهد الجديد (الانجيل) أصرح بيانا وأوضح عبارة وأعظم دلالة على محمد صلى الله عليه وسلم. اني ألفتك أولا الى أول انجيل يوحنا من آية ١٩ الى آية ٢٥ (فسألوه وقالوا فمالك تعمد ان كنت لست المسيح ولا ايليا ولا النبي) ثم تذكر ما في ص ٦ آية ١٤ (هذا هو بالحقيقة النبي الآتي الى العالم) ثم تدبر ما في ص ٨ آية ٤٠ (فكثيرون من الجمع لما سمعوا هذا الكلام قالوا هذا بالحقيقة هو النبي (٤١) آخرون قالوا هذا هو المسيح) فهذه الآيات تقول لنا بوضوح وبدون أدنى شك ولا تأويل ان الناس كانوا ينتظرون ايليا والمسيح والنبي وحيث انه من ذلك الحين لم يظهر الا ايليا والمسيح لغاية ٦٠٠ ميلادية وكان من الضروري أن يأتي النبي المنتظر فلا شك أن يكون هو محمداً عليه الصلاة والسلام وقد أثبت ذلك الانجيل نفسه . قال لوقا ص ١٧ (٢٠ ولما سأله الفريسيون متى يأتي ملكوت الله؟ أجابهم وقال: لا يأتي ملكوت الله بمراقبة . . . (٢٦) وكما كان في أيام نوح كذلك يكون في أيام ابن الانسان (٢٧) كانوا يأكلون ويشربون ويزوجون ويتزوجون الى اليوم الذي فيه دخل نوح الفلك وجاء الطوفان وأهلك الجميع) فملكوت الله هو الشريعة أي طريقة النجاة بدليل انجيل متى ص ٢١ (٤٣ لذلك أقول لكم ان ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لامة تعمل أثماره) فكأنه قال ان الشريعة المطهرة تنزع منكم وتعطى لامة غيركم تعمل بها . أما الامة التي أعطيت ملكوت

الله أي الشريعة المطهرة وتعمل بها الآن فاترك للأذكياء ذوي العدل (الحكم) بأنها أمة محمد أم لا . وأما ماورد عن المسيح عليه السلام في الآية السابقة وهي قوله — وكما كان في أيام نوح الى وقت دخوله الفلك كذلك يكون أيضاً في أيام ابن الانسان (المسيح) فانه يشير الى أيام شريعته بأنها ٦٠٠ سنة لان نوحا دخل الفلك بعد ٦٠٠ سنة كما ورد في التكوين ص ٦ (٦ ولما كان نوح ابن ست مئة سنة صار طوفان الماء على الارض) . فمتى أثبتنا ان ظهور شريعة محمد صلى الله عليه وسلم كان بعد شريعة المسيح عليه السلام بمقدار ٦٠٠ سنة كان قول المسيح عيسى بن مريم حقا وذلك لا يحتاج الى أدنى شك فبتطبيق التاريخ الميلادي على التاريخ الهجري يتضح أن ابتداء الوحي ونزول الشريعة على محمد كان سنة ٦١٠ ميلادية وان ابتداء شريعة المسيح كان بعد ٣٠ سنة من ميلاده كما في انجيل لوقا ص ٣ (٢٣ ولما ابتدأ يسوع كان له نحو ثلاثين سنة) فتكون المدة بين الشريعتين هي ٥٨٠ سنة افرنكية تساوي ٦٠٠ سنة قمرية وذلك من أعجب العجب لان سني نوح كانت قمرية . فيا إلهي رحماك ! اللهم رحماك بعبيدك بني الانسان كافة ، واهدهم صراطك المستقيم الحق ، واجعلنا اللهم مصدقين لما قاله عيسى عليه السلام بأن ظهور شريعة محمد يكون بعد ستمائة سنة نعم ستمائة سنة انك ياربي هديت بني الانسان ، بعبدك ورسولك محمد عليه الصلاة والسلام كما قلت « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » فكيف أشكرك ياآلهي وكيف أشكرك ياأيها المسيح عيسى على قولك الحق : ستمائة سنة

واذا لم يكفنا هذا الدليل الكتابي فامامنا الدليل العقلي والتاريخ أيضاً وهو انا جميعا بني الانسان على وجه الأرض في زماننا سنة ١٩١١ (مسيحية) كثير منا تصفح التوراة والانجيل والقرآن وسمعنا بالتواتر عن موسى وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم أجمعين ولكننا ولكننا مارأينا واحداً منهم بل سمعنا وقرأنا فقط انهم أتوا بالكتب والمعجزات وكان كل منهم يقول : اعبدوا الله وأطيعوه ، فهم في نظر الحق سواء ولا يصح بأي وجه ان نصدق بواحد أو اثنين ونكذب الآخر ، وحيث انا صدقنا موسى وعيسى بمجرد كتابيهما وما سمعناه عن معجزاتهما فيلزمنا حتما ان نصدق محمداً لانه جاء بكتاب وأظهر معجزات فهو معهما بالحجة سواء

هل هذا يكفيك أيها النصراني لان تمد يدك الى أخيك المسلم وتصافحه على الاتحاد والحب والارتباط بينكما فاذا لم يكفك ذلك فاقرأ الانجيل المقدس اصحاح ١٤ من انجيل يوحنا (٣٠ لا أتكلم معكم كثيرا لان رئيس هذا العالم يأتي وليس له فيّ

شيء) اليس رئيس هذا العالم هو محمد رسول الله؟ افلا يثبت ذلك ماورد في ص١٦ (٧ لكني أقول لكم الحق انه خير لكم ان أنطلق. لانه ان لم أنطلق لا يأتيكم المعزي، ولكن ان ذهبت ارسله إليكم ٨ ومتى جاء ذاك يبكت العالم على خطية وعلى بر وعلى دينونة ٩ واما على خطية فلأنهم لايؤمنون بي ١٠ واما على بر فلأني ذاهب الى أبي ولا ترونني ايضاً ١١ واما على دينونة فلأن رئيس هذا العالم قد دين ١٢ ان لي أموراً كثيرة أيضاً لأقول لكم ولكن لاتستطيعون ان تحتملوا الآن ١٣ واما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم الى جميع الحق لانه لايتكلم من نفسه بل كل مايسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية ذاك يمجدني لانه يأخذ مما لي ويخبركم ١٥ كل ما للآب هو لي لذلك قلت انه يأخذ مما لي ويخبركم)

ان الرئيس الذي أتى الى العالم بعد المسيح عليه الصلاة والسلام هو لاشك محمد رسول الله وانه هو هو المعزي هو روح الحق نعم هو محمد عليه الصلاة والسلام لان لفظ المعزي معربة عن اللفظ اليوناني الاصلي (بيركلوطوس) الذي معناه محمدا أواحمد واذا كان اللفظ هو (باركليطوس) على زعم بعضهم فمعناه يكون المعزى او المعين أو الوكيل وعلى كلا اللفظين فالمعنى ينطبق تماما على محمد رسول الله وان روح الحق هذا الاسم العظيم الذي يليق بهذا الرئيس جدير أن يطلق على محمد سيد بني آدم، ثم تأمل انه حقيقة الرئيس فان المسيح عليه السلام فضله على الجميع لعلمه ان الله آتاه الكمال الاعظم ولذلك قال - لكني اقول لكم الحق انه خير لكم ان انطلق لانه ان لم انطلق لايأتيكم المعزي - فيكون بانطلاقه خير عظيم ليأتي محمد المعزي الرئيس الاكبر وا كذلك بقوله ان لديه أموراً كثيرة لايستطيعون ان يحتملوها الآن واما متى جاء محمد روح الحق ورحمة العالمين فهو يرشدهم الى جميع الحق باحكام القرآن الشريف وانه لاينطق من عنده بل بكل مايسمع كما ورد في القرآن الشريف « وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى » ويخبركم بالغيب وذلك كثير وانه بكت العالم الذين لم يؤمنوا بالمسيح ولام من عاب أمه مريم وشهد له بالبر وبكل كمال وعززه ووقره ومجده تمجيدا فنفى عنه القتل والصلب كما قال - يأخذ مما هو لي ويخبركم وكل ذلك في القرآن الشريف في قوله تعالى « وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما * وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وماقتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ، وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه مالهم به من علم الا اتباع الظن ، وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حكيما * وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به

قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا) وان هذا المختصر لبرهان كاف ودليل واضح وبيان صحيح على ان محمدا رسول الله وجزى الله يوحنا خيرا لانه لم يلبس بمحمد شيئا وقد ازال عنا الشكوك والاوهام بأفصح كلام

فياأيها المسلم اعلم وتحقق ان أقرب الناس حبا اليك هو النصراني كما أراك الله ذلك بقوله تعالى « لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا ، ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وانهم لايستكبرون * واذا سمعوا ماانزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين » فأقرب الناس مودة وحبا للمسلمين هم النصارى لان منهم قسيسين ورهبانا يعلمون من التوراة والانجيل جميع البشارات التي تدل على محمد رسول الله فاذا سمعوا القرآن تفيض أعينهم دمعا ويخشون اظهار ايمانهم به ويقولون في نفوسهم ربنا آمنا . نعم تفيض اعينهم لانهم علموا انه نبي مثل موسى نعم تفيض اعينهم لانهم تأكدوا انه ابرع جمالا من بني البشر وانسكبت النعمة على شفتيه نعم تفيض اعينهم من الدمع لانهم تحققوا ان محمداً هو عبدالله ابن قيدار ابن اسماعيل بن ابراهيم نعم تفيض اعينهم دمعا لانهم كانوا يطلبون من الله مجيء شريعته في صلواتهم في كل حين قائلين (ليأت ملكوتك) نعم أعينهم تفيض من الدمع لعلمهم انه رئيس هذا العالم وانه المعزي روح الحق وهم يريدون الحق

فياأيها المسلم والنصراني تصالحا وتعانقا وانزعا من نفوسكما جهالة التعصب الاعمى لان الدين يأمر بالوفاق والاخاء فتصالحا ولا تفرقا يحبكم الله عبدالحميد شكري

﴿ الاجتهاد والتقليد ﴾

(هذه هي النبذة التي وعدنا بها في جزء سابق التي نقلناها من شرح الاحياء)

« ان رعاع الفقهاء وضعفة الطلبة يخيل اليهم أن النظر في مسائل الشرع قد انسدت طرقه ، وعميت مسائله (١) وان الغاية القصوى عندهم ان يسئل واحد منهم عن مسألة فيقول : فيها وجهان أو قولان ، وقال الشافعي في القديم كذا وفي الجديد كذا ، وقال أبو حنيفة كذا ومالك كذا ، ويرى انه علم قد ابرزه . وتراهم أبدا يقدحون في المجتهدين ، ويجادلون الطالبين ، ويحثون على تحصيل الام للشافعي ،

(١) لعلها مسالكه

ولباب المحاملي ، أو غير ذلك من الكتب المبسوطة . حتى اذا وقعت واقعة كشف الكتاب فان رأى المسألة مسطورة حكم بها وان رأى مسألة أخرى فزعم انها تشابهها حكم بحكم تلك المسألة فهم حشوية الفروع كما ان المشبهة حشوية الاصول والعجب أنهم لا يقنعون بقصورهم حتى يضيفون القصور الى من سبق من الائمة ويقول بعضهم : ما بقي بعد الشافعي مجتهد ويقول (آخر) ما بقي بعد ابن شريح مجتهد . فانظروا الى قدح هؤلاء في الائمة المبرزين ، وانهم كانوا يقدمون على مالا يعلمون ، فان الائمة مازالوا في جميع الاقطار يراجعون في الفتاوى ، ويفتون باجتهادهم مع اختلاف أصنافهم ، كالمعروفين بنشر مذهب الشافعي كأبي اسحق صاحب المهذب وأشياخه من أئمة العراق كلهم مبرزون مفتون ، وكذلك أئمة خراسان كامام الحرمين وأشياخه وتلاميذه كأبي حامد الغزالي والكيا والخوافي وكذلك أتباعهم كمحمد بن يحيي ومن كان في درجته من أصحاب الغزالي وكلهم قد طبق فتاويهم وجه الارض مع صريح من فقه الشافعي . ومن تأمل فتاويهم رأى ما ذكرناه وكذلك الائمة المشهورون في مذهب مالك وأبي حنيفة لم يزالوا يفتون ويجتهدون في جميع الاقطار والمناكرة في ذلك مكابرة (ثم قال)

« واعلم انه لا يجوز الكلام في أحكام الله تعالى بمحض الشهوة والرأي بل لا بد من طريق نصبها الشارع وللشارع طريقان نصبهما : طريق في حق المجتهد ، وطريق في حق العامي المقلد ، وطريق المجتهد النظر في الادلة الشرعية المنصوصة من قبل الشارع والتوصل بها الى أحكام الله تعالى كما كان دأب الصحابة والتابعين ، وطريق العوام هو تقليد أرباب الاجتهاد كما كان في زمن الصحابة والتابعين ، وهذان متفقان على نصبهما

ثم أطال العبارة وذكر مسائل مهمة لابد من معرفتها

(الاولى) اذا نقلت لكم أقوال الشافعي في الواقعة الواحدة ، تعملون بكل قول أم بالبعض دون البعض ؟ فان قالوا نعمل بكل قول سقطت مقالتهم فان الفعل الواحد كيف يكون حلالا حراما في وقت واحد من وجه واحد بالنسبة الى شخص واحد فهذا مما لا يمكن أن يقال به فان قالوا نعمل بالمتأخر دون المتقدم فنقول ما بالكم تنقلون المتقدم ، وتقولون في أكثر محاوراتكم يصح على قول وبيع الغائب صحيح على قول الشافعي ، وتعتمدون عليه وهذا لا يجوز أن يفعل على هذا الوجه بل ينبغي اذا نقلتموه لمن سألكم أن تقولوا : هو قول مرجوع عنه لا يجوز الاعتماد عليه وانما

ذكرناه لفقهه لا لحكمه . فيكونون ملتبسين بهذا الاطلاق مع اني رأيت بعضهم اذا أنكر عليه أمر فعله اعتذر بأنه قول الشافعي

(الثانية) العمل بالأرجح فالارجح من الاقوال ، فنقول الترجيح طرف من أطراف الاجتهاد فلاحظ لك فيه لانك اعترفت انك من جملة العوام المقلدين ، وترجيح أحد القولين على الآخر ان كنت تنقله عن الشافعي أو من عندك ولا يمكنك نقل الترجيح الى الشافعي فلزم الثاني فانت اذاً تعمل باجتهادك لا باجتهاد الشافعي ، ولعل الامام ترجح عنده القول الآخر بترجيح آخر لم تطلع عليه انت ، ولعله لا يدري ما ذكرته مرجحا ، فقد تعذر عليهم تقليد الشافعي في مثل هذه المسائل ووجب عليهم الكف عن الحكم فيها ، فانهم ليسوا مجتهدين وقد تعذر عليهم التقليد وكذلك الكلام في المسائل ذوات الوجوه المنقولة عن الاصحاب وعند ذلك يجب عليهم الكف عن الكلام في معظم مسائل المذهب .

ثم ان قولهم ترجيح احد القولين على الآخر على الاطلاق خطأ فان الترجيح لا يتصور في المذاهب بوجه من الوجوه فان كون هذا حراما أو مباحا فما في التحريم نقصان ولا في الاباحة زيادة ولا يتصور الزيادة والنقصان في الاحكام بوجه من الوجوه وانما يكون الترجيح بزيادة في احد الامرين لم يوجد في الثاني وهذا انما يتصور في الأدلة بان يختص احدهما بزيادة تؤكد الظن الحاصل فيه ولم توجد الآخرة فان أرادوا هذا المعنى فقد اصابوا في المراد وأخطأوا في الاطلاق . واذا آل الامر الى الترجيح في الأدلة فلا بد للمرجح من معرفة الدليل وشروطه وأوصافه ، وبعد هذا يتحقق عنده مقابل الأدلة ، والا كيف يتصور ممن لا يعرف الأدلة وشروطها ان يكون بحكم مقابلها ثم يخوض بعد ذلك في ترجيح بعضها على بعض . وانتم قد حكمتم على انفسكم بالعجز عن استخراج الأدلة واذا فقد معرفة الأدلة التي هي شرط معرفة الترجيح لزم ضرورة انتفاء الشرط وهي معرفة الترجيح

ثم ان المسألة اذا كان فيها قولان مختلفان يحرم على العامي العمل بها اذا لم يعرف المتقدم من المتأخر وتصير في حقه كأن لم يكن المنقول فيها عنه قول أصلا ،

وتعين عليه ان يراجع المنقول عنه ان امكن او تقليد غيره ممن يجوز الاعتماد عليه ، والمسائل التي قد نقل فيها قولان عن ابي حنيفة والشافعي كثيرة وربما يكون معظم المذهب وكان يجب عليكم الكف عن الكلام فيها ولو فعلتم ذلك لذهبت شهامتكم ، واختلت مناصبكم ، ونسبتم الى قلة العلم

فان قيل كيف يجوز لكم الفتوى فيما لم ينقل عن مقلدكم فيه حكم وانتم لستم باهل الاجتهاد باعترافكم قالوا نقيسها على مسألة مسطورة وربما تحدث فيحدث ويقول اصول الشافعي تقتضي كذا في هذه المسألة . فيقال لهم أتردون الحكم الى اجتهادكم او الى اجتهاد الشافعي ؟ الاول لا تعترفون به ، واما الثاني فيقال عليه : قد افتريتم على الشافعي فانه لم يتكلم في هذه المسألة فكيف يحل لكم ان تنسبوا اليه ما لم يقل ؟ فان قالوا: نعني بكونها منسوبة اليه انها مقاسة على ما نص عليه . فاعلم ان في هذا الاطلاق تدليسا فانه يفهم منه حكم الشافعي وقد علمتم ان سائلكم انما سأل عما ذكره الإمام الشافعي فيحق لكم ان لا تطلقوا النسبة اليه، وايضا قولكم هذا ان كان عن اجتهاد فلا يمكنكم او عن تقليد فلا يمكن ايضا لانه انطوى بساط الاجتهاد بالشافعي او بابن سريج كما زعمتم فما بعدهما لا يجوز الاعتماد على اجتهاده

(ثم قال) اعلم ان الاجتهاد جنس تندرج تحته أنواع متعددة فان الاجتهاد في المسائل القياسية غير الاجتهاد في المسائل التي مستندها الفاظ الشارع ، وغير الاجتهاد في المسائل التي مستندها أفعال النبي صلى الله عليه وسلم وكل نوع من هذه الأنواع يمكن العلم به مع عدم العلم بغيره فيمكن أن يكون الواحد ماهرا في القياس وشروطه ومراتبه وموارده ولا يكون عالما بتفاصيل الاخبار ولا مطلعا على صحيحها وفاسدها والعكس ، هذا بالنظر الى جملة الانواع وكل نوع مشتمل على صور ايضا فان القياس يستعمل في مسائل متعددة في البيوع والنكاح والقصاص فيمكن ان يكون الواحد منا مطلعا على مسائل النكاح عالما باقيستها معتنيا فيها ، ولا يكون مطلعا على مسائل البيع فليس الاجتهاد خطة واحدة لا تقدر أنواعه ، ولا تكثر مسائله ، فعند هذا يمكن ان يكون الواحد مجتهدا في بعض المسائل مجيبا

عن البعض ولا يكون عالما بالبعض فليس من شرط المجتهد ان يكون مجيبا عن كل ما يسأل عنه ولذلك توقف كثير من الائمة في الجواب عن بعض المسائل فلا يجوز لاحد أن يفتي في مسألة من المسائل الا اذا كان محيطا بأدلتها والا فيمسك عن الفتيا فيها ولا يبقى بعد هذه الحالة الا تحصيل الادلة الجزئية في آحاد المسائل من نصوص اواقيسة فاذا اطلع على دليل مسألة كان من أهل الفتيا في تلك المسألة ولا يضر كونه غير مطلع على دليل المسألة الاخرى

(ثم قال) واعلم ان الاجتهاد عبارة عن بذل الجهد في طلب حكم من الاحكام الشرعية مما هو عارف سلوك طرقها وله شروط وهي قسمان قسم في المنظور فيه وقسم في الناظر ، أما المنظور فيه فيشترط فيه أن لا يكون في محل القطع فان محال القطع لا مجال للاجتهاد فيها كأصل وجوب الصلاة والزكاة والحج وغير ذلك مما يحكم فيه بأدلة قطعية لا يسوغ خلافها ، وأما الناظر فيشترط فيه أمران احدهما ان يكون عارفا بقوانين الادلة وشروطها وكيفية استخراجها ، والثاني أن يكون متمكنا من استخراج الدليل خاصا في المسألة التي يجتهد فيها ، ثم اطال الكلام في ذلك . اه

اللغة العربية (*)

﴿ من هم الاصليون في الجزيرة العربية ﴾

(القحطانيون [1] أم العاديون [2])

هذه المسألة على ما يخيل لي من المسائل الصعبة التي لم يتصد لها أحد بعد فيما أعلم ليزيح عنها الخفاء أو ليقطع فيها الالتباس وكأني بالشائع المتعارف ان العاديين والعمالقة

(*) تابع لما نشر في الجزء السابق وهو خطاب للاستاذ جبر افندي ضومط

(١) أعني بالقحطانيين هذا الفرع الذي كان يتكلم بالقحطانية السريانية والحميرية التي خلفتها

(٢) وأعني بالعاديين الذين كانوا يتكلمون بالعربية تسمية بأشهر قبائلهم عاد

وغيرهن من القبائل العادية هم الاصليون وان القحطانيين تغلبوا عليهم وحلوا محلهم فانقرض هؤلاء وبقي أولئك . والذي أراه ان القحطانيين هم قرارة سكان العربية والاصليون في اليمن وجباله وما يليها من المواطن كحضرموت ونجد وأرض البحرين وجنوبي الحجاز مما يتصل باليمن . وان العاديين جاءوا اليها متأخرين ومع الايام وبالاستيلاء على طريق التجارة تقووا شيئاً فشيئا الى أن دانت لهم العربية كلها واخضعوا القحطانية لسلطتهم واستمروا على ذلك زمانا الى أن أصابت احدى دولهم جائحة سماوية في الراجح فذلوا وقامت القحطانية تطلب الملك والاستيلاء ورفع سلطة العاديين عنها فتم لها ذلك . وما زال النزاع بين الفريقين يتجدد من زمن الى زمن الى أن قام الفرع الحميري الظفاري فتغلب على البلاد واشتدت وطأته على أهل مأرب فارتحلوا في البلاد فنهم من قصد نجران ومنهم من أمَّ عمان ومنهم من استمرت به رحلته حتى بلغ العراق وهم لخم وغسان . وأذلوا من بقي في البلاد من العاديين وأشياعهم من العدنانيين في الحجاز ونجد واليمامة وأرض البحرين ذلا شديداً فاشتدت بسبب ذلك البغضاء بين القحطانيين والعدنانيين حتى ضرب بها المثل واستمر ذلك فيهم الى أن ظهر الاسلام فأخمد ظهوره شيئا من تلك الثائرة بما كان له من التأثير في نفوسهم وبما شغلهم به من المغازي والفتوحات وامتداد السلطة والغلب . على ان تلك العداوة لم تلبث ان عادت الى شدتها في أيام المروانيين من بني أمية وانتقلت مع القوم حيث انتقلوا . وبلغ من حدتها في الجيل الرابع للهجرة المبلغ الذي وصفه أبو الطيب المتنبي في احدى كافورياته حيث يقول في شبيب الخارجي وكان خرج فيمن تبعه من قيس على كافور وحاصر دمشق وكاد يفتحها عنوة

برغم شبيب فارق السيف كفه وكانا على العلات يصطحبان
كأن رقاب الناس قالت لسيفه رفيقك قيسي وأنت يماني

والذى يظهر لي أيضا ان العدنانيين الذين بقيت فيهم اللغة العربية كانوا من العاديين (الا من انضم اليهم بأخرة من ولد اسماعيل بن ابراهيم الخليل) ولذلك أذلتهم القحطانية وناصبتهم العداء من حين ظهرت على العاديين أسلافهم في أوائل المسيحية ولم تأل جهداً عن اذلالهم والتحكم فيهم الى أن عادت لهم الدولة بواسطة قريش وبفضل الاسلام

فان لم يكونوا أي العدنانيين من العاديين والعمالقة في النسب فلا أقل من انهم كانوا حلفاءهم ينقلون لهم تجارتهم وبقوا على ذلك أحقابا متطاولة جعلت لسانهم

وعصبيتهم مع لسان العاديين وعصبيتهم أمرا واحدا . أقول هذا وأنا أرجح ما قلته أولا أي ان العدنانيين (معظمهم ان لم يكن كلهم) عاديون (١) داراً ولسانا . واقامة الدليل على ذلك خارج عن موضوعي ولعلي أعود اليه في فرصة أخرى

﴿ بيان أن القحطانية أصلية في شبه جزيرة العرب ﴾

(وأن قرارة دارهم اليمن)

قلت ان المسألة صعبة الحل لما في الاخبار المنقولة الينا من التشويش والتضارب وكان يمكنني أن أضرب عنها صفحا الا أني لا أرى هيئة من أهل العلم والادب أرقى من الهيئة التي أمامي الآن تستطيع أن تتبعني في هذه المزالق التاريخية ولذلك لا أرى بدأ من الاشارة الى البراهين التي حملتني على ترجيح ما قلت أي ان القحطانيين هم أصليون في جزيرة العرب وقرارتهم منها اليمن وهم سابقون فيها على العاديين . وبيانه

(أولا) انه لا خلاف أصلا بين العدنانيين والقحطانيين لا في تاريخ ولا في تقليد أن القحطانية هي العريقة بسكنى اليمن وانها هي التي بقيت في البلاد بعد انقراض الدولة العادية . وقد أجمع المؤرخون عن آخرهم على تسمية العاديين بالعرب البائدة بعد ما نقلوا عنهم ما نقلوه من الغنى والقوة وضخامة الملك . ولو كانوا عريقين في البلاد كالقحطانيين ولهم مثل ما لهم من العدد والتأصل في السكنى لكان يستحيل انقراضهم حتى لا يبقى من يشار اليه منهم فالاقرب الى المعقول إذن ان المعنى بانقراضهم انقراض دولتهم . ولما انقرضت دولتهم وزالت السلطة من أيديهم ظهر بعدهم بالضرورة سكان البلاد الذين كانوا خضعوا لدولتهم وظهورهم معناه خروجهم من ربقة العاديين واسترداد استقلالهم أولا ثم منازعة العاديين الغلبة والملك في ديارهم التي نزلوها الى ان تم لهم ذلك وذهبوا بالملك والسيادة من أيديهم جملةً . وهذا معنى انقراضهم

(ثانياً) كانت عاد في هذا الرمل من الاحقاف بين عمان واليمن الى حضرموت فكيف يعقل انهم انقرضوا ولغتهم باقية في هذه البلاد لحد هذه الساعة . ثم كيف

(١) من أكبر الفروع العدنانية قيس عيلان . وقيل في عيلان هذا انه عبد لقيس وقيل فرس له ولكنني ارجح ان عيلان تحريف عيلام . وعيلام بلاد شرقي راس خليج فارس وهي خوزستان او قسم من خوزستان . وخوزستان تركيب فارسي يعني به بلاد خوز . وخوز وكوش احدهما محرف عن الآخر . وكوش وقيس كذلك في الارجح . وعليه فقيس عيلان تعني به كوش عيلام اي اضيفوا الى المكان الذي جاؤا منه وهو ليس ببعيد

ينقرض أهل اللغة وتبقى اللغة نفسها ؟ ان هذا لغريب واغرب منه ان يكون العادبون الذين انقرضوا هم أهل البلاد الاصليون والذين قرضوهم من القحطانيين دخلوا عليهم البلاد فاتحين ولهم لغة خاصة بهم ثم بعد ان استمر ملكهم ولغتهم مئات سنين عدنا فرأينا في آخرها آن لغة البلاد حينئذ كانت لغة العادبين الذين انقرضوا لا القحطانيين الذين بقوا ٠

(ثالثاً) يكاد يكون كالمجمع عليه ان اليمن دار القحطانية واليك مانقل في ذلك.
قال الامام العلامة الطبري : وولد لعابر ابنان احدهما فالغ ومعناه بالعربية قاسم وانما سمي بذلك لان الارض قسمت والالسن تبلبلت في أيامه وسمي الآخر قحطان فولد لقحطان يعرب ويقطان ابنا قحطان بن عابر بن شالخ فنزلا أرض اليمن وكان قحطان أول من ملك اليمن (جزء أول طبع ليبسك وجه ٢١٧) وقال ايضا وجه ٢٢٢ ولحقت بنو قحطان ابن عابر باليمن فسميت اليمن حيث تيامنوا اليها

وقال ابن خلدون: فاما عاد فكانت مواطنهم الاولى باحقاف الرمل بين اليمن وعمان الى حضرموت . ويقال انهم انتقلوا الى جزيرة العرب بادية مخيمين ثم كان لكل فرقة منهم ملوك وآطام وقصور حسبما نذكره الى ان غلب عليهم بنو يعرب بن قحطان . (قال) وكان ابوهم عاد فيما يقال أول من ملك من العرب وطال عمره وكثر ولده ـ وعاش الف سنة ومئتي سنة ـ وذكر المسعودي ان الذي ملك من بعد عاد وشداد منهم هو الذي سار في الممالك واستولى على كثير من بلاد الشام والهند والعراق (الجزء الثاني طبعة بولاق وجه ١٩) . وقال ايضاً وجه ٢٠ ثم ملك لقمان ورهطه من قوم عاد واتصل لهم الملك فيما يقال الف سنة او يزيد . ولم يزل ملكهم متصلا الى ان غلبهم عليه يعرب بن قحطان واعتصموا بجبال حضرموت الى ان انقرضوا

وقال ايضاً (قال ابن سعيد) فيما نقله عن كتب التواريخ التي اطلع عليها في خزانة الكتب بدار الخلافة من بغداد قال كانت مواطن العمالقة تهامة من ارض الحجاز فنزلوها أيام خروجهم من العراق امام النماردة من بني حام وجه ٢٧ وقال أيضاً واما (جرهم) فقال ابن سعيد انهم امتان امة على عهد عاد وامة من ولد جرهم ابن قحطان ولما ملك يعرب بن قحطان اليمن ملك اخوه جرهم الحجاز — وجه ٣١

وظاهر من هذه النقول وغيرها ان القحطانيين اصليون في الجزيرة وقرارتهم منها اليمن واما العاديون واخوانهم العمالقة فجاءوا على اثر مضايقة الملوك النماردة لهم. فنزل العاديون احقاف الرمل بين اليمن وعمان الى حضرموت والشحر ونزل بقية

اخوانهم من العمالقة وطسم وجديس وجاسم ارض البحرين وعمان ونجد والحجاز الى تيماء . ولم يلبثوا مدة بعد دخولهم حتى صار لهم الغلب على كل الجزيرة وشادوا لهم دولة من اعظم واقوى الدول التي قامت في تلك البلاد ومن ثم غزوا (١) الشام ومصر والهند والعراق وما زال الملك فيهم الى ان ضعفوا في اواخر دولتهم الثانية فغلبهم على الملك يعرب بن قحطان وازال سلطتهم عن اليمن

﴿ نتيجة ما ذكرناه ﴾

ان المتدبر ما مر بنا « ان مهد السامية هو جزيرة العرب وأن القحطانيين هم الاصليون في البلاد وقرارتهم اليمن وان العاديين قدموا عليهم من ارض بابل » يحكم على ما ارجح ان القحطانية الاولى انشعبت الى فرعين فرع بقي في شبه جزيرة العرب وفرع ذهب شمالا الى العراق واستعمر بابل وهناك تأثل هذا الفرع وما زال اهله حتى زاحمهم النماردة ابناء كوش (٢) فخرج من هناك اشور وبنى نينوى ورحوبوت عير وكالح وراسن بين نينوى وكالح على ما جاء في التاريخ المقدس الاصحاح العاشر من سفر التكوين . وخرج ايضاً عاد وعماليق وقبائلهما فعادوا الى العربية بعد زمن طويل ونزلوا بين اظهر القحطانيين وكان قد تحيز لسانهم واستقل كما تحيزت قبائلهم واستقلت عن غيرها ايضاً

والارجح ان الذين رحلوا الى نينوى وكالح كانوا من الحضر اهل المدن والقرى بدليل انهم بنوا المدن حالا واما الذين رحلوا الى الجنوب فكان اكثرهم اهل ظعن وخيام . وعبارة العلامة ابن خلدون واضحة في ذلك فانه ذكر أنهم لما زاحمهم بنو حام انتقلوا الى جزيرة العرب وسكنوها بادية مخيمين . ويقوي ذلك ما هو متواتر مشهور من سكنى العاديين رمال الاحقاف بين عمان واليمن الى حضرموت والشحر . وسكنى بديل وراحل وغفار من العمالقة بنجد وبنو الارقم منهم بالحجاز الى تيماء . وكل هذه البلاد من منازل اهل البادية والغالب على اكثر اهلها الترحل والانتقال كانوا ولا يزالون لحد هذه الساعة

(١) لايبعد ان يكون غزوهم الهند غزو تجارة ومهاجرة اكثر منه غزو قهر وتغلب
(٢) كانت البلاد تسمى باسم الشخص او الشخص يسمى باسم البلاد وعليه فكوش هذا اما تسمى باسم البلاد كوش أو البلاد تسمت به فيكون اصل النماردة من كوش أو خوز وتعرف اليوم بالاهواز أو خوزستان وهي بلاد عيلام القديمة أيضاً

وارى اني وصلت على غير قصد مني الى التقليد المشهور الذي يجعل السريانية اقدم من العربية لانا رأينا الدليل التاريخي في جانب ان القحطانية متقدمة على العادية وسابقتها في الزمان . والقحطانية كما بينا من نص المؤرخين هي السريانية كما ان العادية هي العربية

﴿ تجريح ما قاله العلامة نولدكي ﴾

لنرجع الآن الى ما قاله العلامة نولدكي في شأن لغة سبأ . قال هذا العلامة ما يؤخذ منه أن اللغة السبئية هي قسيمة اللغة العربيـة وأخت لها انشعبتا من الفرع الجنوبي ونسبتها الى العربية كنسبة الحبشية اليها أي الى العربية . وأنا أقول ان كان يقصد بالسبئية الحميرية فبه لكن تكون السبئية والحبشية شعبتين من القحطانية أو السريانية لان القحطانية والسريانية كما بينا بالنص التاريخي هما لغة واحدة أو هما شعبتان من جذم واحد هو القحطانية القديمة . وان كان يريد أن السبئية هي لغة أخرى غير الحميرية الظفارية أي لغة الدولة التي قامت قبل التاريخ المسيحي بقليل وتعرف عند القوم الآن بدولة سبأ وريدان وانها كانت أيضا لغة بلاد سبأ التي عاصمتها مأرب وفيها السد المشهور فالاستاذ نولدكي واهم والتاريخ يعارض رأيه لان لغة أهل هذه البلاد أعني أرض سبأ (١) كانت منذ أوائل التاريخ المسيحي ولا تزال الى الآن اللغة العربية العادية العدنانية والتاريخ مؤيد ذلك واليك البيان .

جاء في كتاب وصف جزيرة العرب للعلامة الهمداني طبع ليدن وجه ١٣٤ الى ١٣٦ قطعة خصها هذا العلامة بوصف لغات أهل الجزيرة العربية في أيامه « فليطالع هذه القطعة في موضعها من أراد » والذي يظهر منها ان الحميرية كانت لا تزال لغة حية في كثير من جبال اليمن واليك ما يقول في لغة بعض تلك البلاد « حقل قتاب فالى ذمار » الحميرية القحة المتعقدة (وظفار مدينة هذا القسم). حراز والا خروج وشم وماضح والأحبوب والجحادب وشرف أقيان والطرف وواضع والمعلل — خليطي من متوسط بين الفصاحة واللكنة وبينها ما هو أدخل في الحميرية المتعقدة لاسيما الحضورية من هذه القبائل — نجدي بلد همدان البون منه المشرق والخشب — عربي يخلط حميرية — من ذمار الى صنعاء متوسط — صنعاء في أهلها بقايا من

(١) أرض سبأ على ما يظهر من الهمداني هي بلاد عاد لانها البلاد التي يشرع عليها بيحان ومأرب والجوف ونجران والهجيرة همداني وجه ٢٧ وصف جزيرة العرب

العربية المحضة ونبذ من كلام حمير — شبام أقيان والمصانع وتخلى حميرية محضة والنفيس في هذه القطعة لهذا العلامة انه فرق بين الحميرية والعربيـة . وسمى البلدان التي كان يتكلم فيها بالعربية أو بالحميرية الى أيامه . وأنفس منه انه بين الفرق بين لغات المتكلمين بالعربية فقال في بعضهم أنهم فصحاء وفي آخرين انهم أفصح وفي آخرين ان لغتهم متوسطة أو خليطي كما بين الفرق في لغات المتكلمين بالحميرية فقال عن بعضهم أنهم غتم وعن آخرين ان لغتهم حميرية محضة وعن آخرين انها حميرية متعقدة وعن آخرين انها داخلة في الحميرية المتعقدة أو فيها عسرة من اللسان الحميري

ثم اليك ما قاله في لغات أهـل حضرموت وسبأ قال ما نصه بالحرف الواحد : حضرموت ليسوا بفصحاء وأفصحهم كندة وهمدان وبعض الصدف . سرو مذحج (١) ومأرب وبيحان وحريب (وهي من بلاد سبأ) فصحاء ورديء اللغة منهم قليل . سكن الجوف (٢) فصحاء الا من خلطهم من جيرة لهم تهاميين . ثم الفصاحـة من العرض في وادعة فجنب فيام فزبيد فبني الحارث فما اتصل ببلد شاكر من نجران الى يام فارض سنحان فارض نهد . اه همداني وجه ١٣٤ و ١٣٥ و ١٣٦

يظهر من شهادة هذا العلامة ان أهل مأرب والجوف ونجران وهي البلاد التي كانت فيها الدولتان السبئية والمعينية كانوا في أيامه أفصح من الكنديين قبيلة امرؤ القيس وقبيلة المتنبي أشهر شاعرين قبل الاسلام وبعده . وكذلك كانوا في صدر الاسلام . فان مذحج وبني مرة وطيء والاشعريين أبناء عريب بن زيد ابن كهلان بن سبا والهمدانيين أبناء مالك بن زيد بن كهلان بن سبا كلهم كانوا من فصحاء أهل العربية العدنانية المضرية في صدر الاسلام وقبله ومع انهم كانوا يدعون انهم هم والحميريين أبناء عم « لان كهلان بن سبأ وحمير بن سبأ » لم يكن في لسانهم شيء من الحميرية بل كانوا في فصاحتهم العربية كفصاحـة قبيلة امرؤ القيس المشهور ان لم يكونوا أفصح منهم . واذا نظرنا اليهم أي الكهلانيين من وُلد سبأ وممن كان منهم يسكن مأرب والجوف في الجيل الاول للمسيح أو في بدأ الجيل الثاني رأيناهم أيضا عربا يتكلمون بهذا اللسان العربي . وبيانه ان الأزد من ولد كهلان وكانوا في مأرب

(١) وفي الصحاح مذحج مثال مسجد أبو قبيلة من العرب وهو مذحج بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ (٢) فن أراد حضرموت من نجران والجوف جوف همدان ومأرب فمخرجه العبر . همداني وجه ٨٤

فلما اشتدت عليهم وطأة الحميريين ملوك ظفار على الارجح ارتحلوا من ديارهم جماعات كثيرة فمنهم من وصل العراق ومنهم من وصل الشام ومنهم من وقف بنجران ومنهم بمكة ومنهم بيثرب ومنهم وهم الطائيون (وكانوا يسكنون الجوف) رحلوا أولا الى فيدو سميرا ثم احتلوا الجبلين اجا وسلمى وكل هؤلاء كانوا عرباً ومن الفصحاء الذين ترتضى فصاحتهم في العربية لم يسمع ولم يعرف اصلا عن ملوك الحيرة من المناذرة ولا عن ملوك الشام من الغساسنة ولا عن الاوس والخزرج من أهل المدينة ولا عن الطائيين في جبليهم (وهؤلاء هم الذين ارتحلوا من ارض سبا قبل سيل العرم او بعده بقليل) انهم تكلموا غير هذا اللسان العربي المضري . ولو كانت لغتهم الحميرية « اوالسبئية » لاستحال ان تنقرض فلا يبقى لها أثر في مدى اربعة قرون كما لم تنقرض الحميرية من ظفار ولا من بلاد صنعاء في مدى اربعة قرون مع انهم كانوا في مملكة المضريين ودولتهم الغالبة القاهرة بعزها وعز الاسلام وقد اسلم القوم عن آخرهم منذ بدء الاسلام

﴿ ماذا نصدق اذاً ﴾

« التاريخ والعقل ام الآثار التي وجدها القوم مؤخراً »

« في مأرب والجوف ونجران »

الجواب . أولى بنا ان نصدق التاريخ والعقل من غير ان نجرح في صدق الآثار وذلك بأن نقول ان دلالة الآثار مغلوط في تأويلها ويمكننا ان نؤولها بما يوافق التاريخ والعقل — وبيانه ان الآثار التي اكتشفها القوم (العلامة ادورد غلازر ويوسف هاليفي ويوليوس اوتين وتومس ارنو وآخرون) على مانقله العلامة زيدان في كتابه النفيس (العرب قبل الاسلام) هي آثار واقعية لانشك بها . ولا يُشك ايضا أنها من آثار الدولة الحميرية الظفارية التي استولت على بلاد سبا في الجيل الاول قبل المسيح . نسلم بكل ذلك . ولكننا نقول ان هذه الدولة كان حكمها في بلاد سبا حكم دولة الاتراك الاخيرة في اليمن فانا لانعدم آثارا ونقوشا كثيرة في صنعاء وغيرها من مدن اليمن مكتوبة باللغة التركية وكما لا يصدق الاستدلال بمثل هذه الآثار على أن لغة اليمن هي اللغة التركية كذلك لا يصدق الاستدلال بهذا

القدر الذي وجده القوم من النقوش على ان لغة بلاد سبا أعني بلاد مأرب والجوف كانت لغة حميرية . وهذا التلميح يري منه العارف المتدبر مايغنيني عن اطالة الشرح والاسهاب فان مقالتي والغرض منها لايحتملان من اطالة الشرح فوق ما أطلته . ولكني ارجح ان المستقبل سيكشف لنا آثارا غير التي اكتشفت لحد الآن وتكون دلالتها وفقا لما نظنه وفوق كل ذي علم عليم

﴿ في سبب غنى اللغة العربية واتساع دائرة الفاظها وعباراتها ﴾

(واقتدارها على التعبيرات الفلسفية والاجتماعية وما الى ذلك)

« مما فاقت به سائر اخواتها ولا تقل فيه عن اعظم واشهر لغات العالم سواها »

ان العلامة نولدكي يُعجب باتساع قاموس هذه اللغة الشريفة ويذهب الى ان ذلك مقتبس عن الارامية بما كان لاهلها من مخالطتهم الاراميين بالتجارة والجوار . والذي حمل العلامة الموما اليه على هذا التعليل هو على الراجح ما كان يظنه ان اللغة العربية هي لغة القبائل العدنانية في الحجاز ونجد فاستبعد من ثم ان يكون لمثل هؤلاء القوم الذين غلبت عليهم البداوة مثل هذه اللغة الواسعة . اما وقد تبين لنا ان هذه اللغة كانت لغة الدولة العادية دولة غلبت على البلاد العربية كلها وامتدت سلطتها الى الشام ومصر وافريقيا ودامت سيدة التجارة على ما نظن مايزيد على الف وخمسمئة سنة اولا تحت اسم الدولة العادية وعلى نحو من ثمانمئة سنة تحت اسم الدولة السبئية (١) فلا داع لمثل تعليل العلامة نولدكي . وما زال العاديون ومن خلفهم باسم السبئيين أرباب تجارة وزراعة حتى بعد ان غلب عليهم الظفاريون

(١) اذا كان يعتمد على اشارات اللغة البعيدة فارجح ان اسم سبا جعل لقبا لهذه الامة التاجرة لان معنى « سبا » تاجر او تجارة وان الحبشة ومن جاورهم من البلدان لقبوهم بهذا اللقب وفقا لما عرفوه عنهم . فان هذا الاصل اي « سبا » يفيد في اللغة الحبشية معنى التجارة على ما سمعت ولا يزال مألوفا بهذا الاستعمال اما في لغتنا العربية فقد خرج عن هذا المألوف وبقي فيه ما يدل على سابق استعماله في قولهم سبأ الخمر وسباها . وفي السباء بمعنى بياع الخمر وفي السبأة بمعنى السفر البعيد الذي كانت تقتضيه تجارة العاديين . وفي السباء والسبا بمعنى العود يحمله السيل من بلد الى بلد . وشاع هذا الاستعمال حتى اطلق على بلادهم الاصلية فعرفت به أخيرا عند الحبشة والقحطانيين من اهل اليمن

بمئات من السنين وسدهم شاهد يؤيد ماذ كرنا . ان الامة التي بنت مثل سد مأرب وقصر غمدان وغير هذين من السدود والقصور والمصانع ووصلت من الغنى الى الدرجة التي ضربت بها الامثال لايستبعد ان تكون لغتها في الغنى والاتساع كاللغة العربية .

والمرجح عندي انه لم يقم في سوريا ومصر والعراق دولة اعظم غنى وتجارة من الدولة العادية في عمان وحضرموت واليمن . ولم يقتصر العاديون على التجارة — والتجارة لوحدها من اكبر الاسباب لارتقاء لغة الامة واتساع دائرة الفاظها وتراكيبها — بل كان لهم في الزراعة شأن لم يبلغ البابليون ماهو اعظم منه على خصب بلادهم وان فيها النهرين العظيمين الفرات والدجلة فانهم بنوا سد مأرب وثمانين سدا غيره في يحصب العلو

وبالربوة الخضراء من ارض يحصب ثمانون سدا تقلس الماء سائلا (١)

وسد مأرب هو احدى اعاجيب الدنيا وكان لهم عن يمينه وشماله الجنتان اللتان مازال صدى ذكرهما يتردد في أودية التاريخ مئات سنين بعد خرابهما . ولعلي لا أكون مبالغا اذا قلت ان نسبة سد اصوان على ضخامته في عصرنا الحاضر الى سد مأرب هي كنسبة الصبي الصغير الى الرجل الكبير وأما قصورهم وهياكلهم التي بنوها فمنها قصر غمدان . وقد بقي هذا القصر والهيكل قائما الى خلافة عثمان ابن عفان وكان من الفخامة والضخامة على مايضارع أعظم القصور البابلية . واليكم ماجاء في وصفه نقلا عن ياقوت الحموي

قال مانصه — فقال « ليشرح » ابنوا القصر في هذا المكان فبني هناك على أربعة أوجه وجه ابيض ووجه احمر ووجه أصفر ووجه اخضر . و بنى في داخله قصرا على سبعة سقوف بين كل سقفين منها اربعون ذراعا . وكان ظله اذا طلعت الشمس يرى على عينان (٢) وبينهما ثلاثة أميال . وجعل في اعلاه مجلسا بناه بالرخام وجعل سقفه رخامة واحدة وصير على كل ركن من اركانه تمثال اسد من شبه كاعظم مايكون من الاسود . فكانت الريح اذا هبت الى ناحية تمثال من تلك التماثيل

(١) همداني وجه ١٠١ (٢) ارجح غيمان على ماقي وصف جزيرة العرب

دخلت من مؤخره وخرجت من فيه فيسمع لها زئير كزئير السباع . وكان يأمر بالمصابيح فتسرج في ذلك البيت ليلا فكان سائر القصر يلمع من ظاهره كما يلمع البرق فاذا اشرف عليه الانسان من بعض الطرق ظنه برقا او مطرا ولا يعلم ان ذلك ضوء المصابيح . اه

وقد نقل ياقوت هذا الوصف عن هشام بن محمد بن السائب الكلبي ولا يبعد ان يكون هشام هذا قد أخذ ما نقل عنه من الوصف عمن شاهدوا القصر قبل ان ان هدم بأمر الخليفة عثمان . ويوافق هذا الوصف المنثور ماجاء منظوما عن ذي جدن الهمداني قال

دعيني لا أبالك لن تطيقي	لحاك الله قد انزفت ريقي
وهذا المال ينفد كل يوم	لنزل الضيف أوصلة الحقوق
وغمدان الذي حدثت عنه	بناه مشيدا في راس نيق
بمرمرة واعلاه رخام	تحامٌ لايغيب بالشقوق
مصابيح السليط يلحن فيه	اذا يمسي كتوماض البروق
فأضحى بعد جدته رمادا	وغير حسنه لهب الحريق

والظاهر مما قاله هذا الشاعر في بيته الاخير أن آثار هذا القصر كانت ظاهرة في ايامه وكان يظهر عليها اثر النار لانهم استخدموها في هدمه على مايرجح

وقد ذكر الهمداني عدة محافد وقصور في كتابه وصف جزيرة العرب واليك ماقال — ونذكر الآن المشهور منها ذكرا مرسلا فاولها واقدمها غمدان ثم تلفم . وناعط . وصرواح . وسلحين بمأرب . وظفار وهكر . وضهر . وشبام . وغيمان . و بينون وريام وبراقش . ومعين . وروثان . وارياب . وهندوهنيدة . وعمران والنجير بحضرموت اه وجه ٢٠٣

والارجح عندي ان معظم هذه الآثار كان في ايام الدولة العادية والسبئية الاولى دون الحميرية فان هذه كانت دولة ظلم و بغي اكثر مما كانت دولة تجارة وزراعة او دولة عدل وأمن . فان في زمانها خرب السد المشهور وأقفرت الجنتان في ارض سبا وفي ايامها كانت ملوك حمير تسطو على الاعراض وتحرق المخالفين

في الدين وتذل الكهلانيين والعدنانيين وتسومهم كل نوع من الخسف فاضطروا الى مهاجرة اوطانهم مرة والى الاستنجاد بالحبشة مرة اخرى وما زال سوء الحال والتدبير وشدة الظلم مرافقا هذه الدولة حتى انقرضت ولم تطل ايامها كثيرا . ولعل الاحباش كانوا خيرا منها للبلاد . فاتني ان اذكر أن هذه الدولة اعني العادية اولا والسبئية ثانيا اعتنت بالتعدين كما اعتنت بالتجارة والزراعة والصناعة ولا تزال آثار عشرات من معادن الذهب والفضة والنحاس والحديد والرصاص والحجارة الكريمة في اليمن ونجد والحجاز وعلى جانب افريقيا المقابل شاهدة على ما كان لهذه الدولة والامة من الاقتدار والهمة والنشاط . وارجح ان المستقبل سيرينا من آثارهم التي لا تزال تحت الردم والرمال ما يزيد عن آثار اخوانهم الكنعانيين والفينيقيين

قلت واعيد القول ان امة كهذه الامة وشعبا كهذا الشعب الذي من بقاياه العرب العدنانية في نجد والحجاز والكهلانية في ارض سبا وحضرموت وعمان حري بان يكون له لغة كاللغة العربية سيدة اللغات السامية . ولعلها سيدة اللغات القديمة كلها فقد ماتت تلك وبقيت هذه وستبقى بعدُ اجيالا لا يعلمها الا الله مهما عورضت واضطهدت او صودرت واتهمت

أرى أني استوفيت كل ما في وسعكم من الاصغاء فلا يليق بي من ثم ان احملكم فوق ما حملتم فدعوني اختم بذكر خلاصة ما اراني وصلت اليه بالمسلك التاريخي الذي سلكته في شأن الارومة السامية ونسبة اللغات المعروفة منها بعضها الى بعض فاقول (١) ان اللغة السامية كان مهدها في البلاد العربية والارجح ان قرارتها كانت بلاد اليمن وما اليها من السروات (٢) انشعب منها فرع الى بلاد بابل وبقي فرع في قرارته الاولى وهم القحطانية الاولى . ثم الفرع الذي اتجه شمالا الى العراق انشعب منه شعبتان شعبة تسكن المدن واخرى تسكن البدو . (٣) ما زال هذان الفرعان متجاورين الى ايام دولة النماردة (* فضيقت هذه الدولة

(*) النماردة ملوك كوشيون من كوش او خوز وهي بلاد خوزستان الآن وكانت لغتهم الارامية كما يظهر فان نمروذ او نمروذو مصغر نمري اللغة الارامية وارجح انهم جاءوا من بلاد =

عليهما واضطرت كثيرين منهم الى الجلاء عن البلاد فجلا اهل بابل العظيمة وغيرها من مدن العراق الى ارض الجزيرة وعمروا راسن وكالح وتينوى وغيرها من المدن الاشورية وجلا كثيرون آخرون معظمهم من اهل البدو الى جزيرة العرب موطن اسلافهم الاقدمين ونزلوا الحجاز ونجد وارض سبا وعمان . وكانت لغتهم قد استقلت وتمايزت عن القحطانية التي فارقها اجدادهم الاولون في اليمن ثم ما لبثوا ان استولوا على ملك القحطانيين وضيقوا عليهم في يمنهم كما كان النماردة قد ضيقوا عليهم في جوار بابل فهاجر جماعة كبيرة منهم الى الحبشة وكان هاجر قبلها او اثناءها جماعة اخرى الى الامهرة والشطوط المقابلة من أفريقيا فكان منهم هناك الامهرية والحبشية . ثم هاجرت جوال اخرى من العمالقة والعاديين الى الشام وشطوط المتوسط اما راسا من العراق هربا من النماردة او من البلاد العربية بقصد التجارة والاستعمار . والارجح أن كان الامران معا . ومن هولاء المهاجرين كان العبرانيون وامم الشام من الكنعانيين والفينيقيين . وعليه تكون العبرانية الفنيقية والعربية شعبتين من الفرع العادي والحميرية والحبشية من الفرع القحطاني

هذا ما تدل عليه التقاليد وما وصلنا اليه من شذرات التواريخ واظن ان الابحاث الفيلولوجية لا تنافيه ان لم تطابقه . ومعرفتي القليلة بالعبرانية والسريانية تسوغ لي بعض التسويغ ان اقول ان العبرانية اقرب الى العربية مما هي الى السريانية . ولو لم يكن بينهما من المقاربة الا ان في كلتيهما اداة التعريف « ها » في العبرانية و « آ » في العربية فوُقف عند العرب مع الحروف القمرية على اللام بدلا من المدّ وادغم اي حرف المد بالحروف الشمسية — لكفى ذلك شبها في ان يجعل اللغتين صنوين من فرع واحد . وكذلك اقول ان الارامية ويدل فيها على التعريف بالوقوف على الالف (اي حرف المد) ينبغي ان تكون صنوا لتلك التي يدل فيها على التعريف بالوقوف على حرف الغنة اي « النون او الميم » فان

= العرب من اليمن عن طريق البحرين عبروا الخليج الفارسي من هناك ثم لما قويت شوكتهم غزوا بابل وطردوا من كان سبقهم الى هناك فذهب بعضهم شمالا الى بلاد اشور وذهب آخرون جنوبا الى الحجاز ونجد والاحقاف وهي بلاد سبا كما مرت بنا الاشارة الى ذلك

هذين الحرفين اعني حرف المد وحرف الغنة يبدل احدهما بالآخر . وفي العربية ما يدل عليه ويسمى تنوين الغنة ومعناه الوقوف على حرف الغنة بدلا من الوقوف على حرف العلة . واظن ان الحميرية (وهي التي سموها السبئية) هي التي رأوها وفيها هذا الضرب من الدلالة على التعريف اعني الوقوف على حرف الغنة (اي النون) فالاولى من ثم ان تقرن بالسريانية وتجعل صنوا لها

لكن هنالك من المشابهة بين العربية والعبرانية في الاضافة ما يؤيد المشابهة الحاصلة من حرف التعريف ويدعمها فان طريقة الاضافة في هاتين اللغتين اعني العربية والعبرانية واحدة . وكذلك هي في السريانية والحميرية (او التي سموها السبئية) قريبة الشبه جدا ان لم تكن واحدة .

ومما يزيد المشابهة بين العربية والعبرانية طريق استعمال الفعل فان الماضي والمضارع يوضع احدهما موضع الآخر كثيرا في كلتيهما كما يظهر ذلك لمن تأمل وهو عارف باللغتين . ويقل اعتمادهما على الصفة واقامتها مقام الفعل كما هو الشائع او الكثير في السريانية . ومن التهجم ان اقول ان السريانية في هذا تشابه الحميرية نظرا لقلة ما وقفت عليه من هذه اللغة ولكني اوجه انظار الباحثين الى هذا الامر

وهناك مشابهات اخرى بين العربية والعبرانية في الضمائر وحروف المضارعة مما لو جمعت كلها معا لرجح بها جانب الكفة من الوجهة الفيلولوجية كما رجح من الوجهة التاريخية اي ان العربية والعبرانية صنوان من جذم واحد

ان كنت وصلت في طريقة بحثي هذا الى الحقيقة او ما يقاربها او الى مايدل على الوجهة التي هي فيها فحسبي ذلك . والا فيكفيني أني نبهت الى اهمية مقارنة البحث التاريخي بالبحث الفيلولوجي ولعل الحقيقة اقرب ان تكون في الجانب الذي يتفقان فيه أو على الاقل في الجانب الذي لايعارض فيه احدهما الآخر او ينافيه . واسمحوا لي ان اختم بتقديم مزيد تشكراتي لرئيسنا الفاضل الدكتور هورد بلس الذي دعاني الى درس هذا الموضوع اولا ولكم على ما اوليتموني من المجاملة وحسن الاصغاء ثانيا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . اه

العالم الاسلامي (١)

(مقالة مهمة عنه في العدد الاخير من مجلة القرن التاسع عشر الشهيرة)

« بقلم السر هنري جونستون »

يذكر قراء الافكار الكرام ان السر جونستون هذا قد كتب مقالات شتى عن السياسة الشرقية خصوصا ، وعن الاسلام والمسلمين عموما ، فكانت كتاباته تقيم الدوائر السياسية في أوربة وتقعدها ، ليس لانه ضليع بالمواضيع الهامة فقط ، بل لانه ذو مكانة سامية أيضا في عالم الادب والاجتماع والسياسة فضلا عن سعة معارفه الجيوغرافية لانه قضى نحوا من عشرين سنة في البلدان الاسلامية يبحث وينقب ويراقب

والسر جونستون هذا هو أول من جهر بأسرار مقابلة ريفال بين المرحوم الملك ادوارد والقيصر نقولا الروسي واتفاقهما على أملاك تركيا في أوربة حلا لمشاكل مكدونية والاستانة . وهو من كتب في العام الماضي يتمدح من أعمال فرنسة وانكلترة التمدينية في المستعمرات الاسلامية بقارة افريقية ويقول بوجوب تسليم المانيا لفرنسة في اعلان حماية هذه على مراكش حتى يصبح العالم الاسلامي كله في افريقية تحت رايات الدول الافرنجية القادرة على ترقيته وتمدينه (٢) بعكس الحكومات الاسلامية التي لا تتمكن من ذلك لمجرد كونها اسلامية — على قوله — وأخيرا رأيناه يجهر بعبارة صريحة قائلا : ان العالم كله سوف يعترف بعد مئة سنة بحقيقة واضحة وهي ان ظهور النبي محمد كان أعظم ضربة على التمدن في كل الممالك التي استولى عليها المسلمون (٣)

(١) منقولة عن جريدة الافكار العربية التي تصدر في البرازيل (٢) قد كاد يمر قرن كامل على الجزائر ولم نر فرنسة مدنت أهلها ولا رقتهم (٣) هذه المكابرة دليل على تعصب المصنف فما استولى المسلمون في القرون الاولى على بلاد الا وصارت خيرا مما كانت عليه علما ومدنية وهل اقتبس هو وقومه المدنية الا من مسلمي الاندلس والشرق ؟

وليس المقام مقام أخذ ورد في هذه المقالة ولا هو مقام انتقاد وتخطئة فان المستشرقين النزيهين من علماء الفرنجة ذواتهم يسفهون هذه الاراء ويقولون ان الاديان كلها كانت في كثير من الازمنة آلات بيد السياسة الخداعة تهدم بها كل العمران والرقي بمعاول التعصب الذميم فتترك وراءها الجهل العميم. والجهل أبو المصائب كلها وأولها التأخر والانحطاط

بَيدَ ان نشر مقالات كهذه بين معاشر الشرقيين تخطها اقلام الباحثين من علماء الافرنج وكبار ساستهم له فوائد جلي لا تخفى على أحد. وطالما رأينا كثيرا من رصيفاتنا الجرائد العربية المعتبرة تنقل عن الافكار تعريب هذه المقالات الهامة علما منها بفائدة نشرها بين عموم المشارقة سواء كانوا مسلمين أو مسيحيين وأمامنا اليوم العدد الاخير من مجلة القرن التاسع عشر وفيها مقال عنوانه «أوربة والعالم الاسلامي» بقلم السر جونستون ذاته هذا تعريبه باختصار وتصرف :—
(ليت الجريدة لم تتصرف)

ان الحرب الايطالية العثمانية الحاضرة قد جدَّدت المباحث عن الشرق والغرب، وعلى الخصوص عن علاقة الدول العظمى بملايين عديدة من البيض والصفر والسود يدينون بدين الاسلام. وهؤلاء المسلمون متحدون بعض الاتحاد — وليس اتحادا كاملا كما يزعم فريق من الكتاب بجهل حقائق الامور لانه لم يبرح بلاده قط، أي ان هذا الفريق لا يكتب عن تحقيق واختبار — واتحاد المسلمين الجزئي هذا موجه ضد أوربة النصرانية وخصوصا ضد الدول المستعمرة منها

واذا نظرنا الى عمل ايطالية الاخير في غزوها طرابلس الغرب نظرة عمومية نرى انها مخطئة خطأ فاحشا لانها شهرت الحرب على تركيا فجأة ومن دون سابق مفاوضات تجيز لها هذا العمل، فضلا عن ان جنودها بعد احتلالهم طرابلس اجروا من الفظائع البربرية على النساء والاولاد ما ذعر له العالم المسيحي قبل العالم المحمدي، ولا عذر للايطاليين سوى قولهم ان امتلاكهم ولاية طرابلس الغرب ضروري لكيانهم كأمة مستقلة. وهذا العذر غير مقبول منطقيا، ولا جائز شرعا، أو في عرف الدول. بيد ان الصحافة الطليانية وساسة الايطاليين الذين حادثتهم

في هذا الموضوع كانوا يقولون لي ان النمسا والمانيا كانتا عاقدتين اتفاقا سريا مع تركيا على امتلاك طرابلس الغرب برضاها وانها اذا امتلكتا هذه الولاية القريبة منا تصبح حياتنا القومية مهددة بالاخطار المميتة ويصير استقلالنا تحت رحمة المانيا والنمسا. وسواء صح هذا القول أو لم يصح فان ايطالية تظل مخطئة لدى الشرائع والحقوق الدولية لانها فاجأت تركيا بهذه الحرب من دون أن تمهلها ريثما تكذب هذه الاشاعة أو تثبتها (١)

على ان الطليان ما برحوا يؤكدون مزاعمهم قائلين «ان الالمان كانوا أشد الناس حنقا علينا وأكثرهم تهجما، وليس ذلك حبا بسواد عيون الاتراك، بل لاننا منعناهم من تحقيق آمالهم ألا وهي بسط نفوذهم السياسي والتجاري من طرابلس الغرب شمالا حتى الكونغو والقمران جنوبا»

وايطالية غير قادرة على تمدين الغير بعد، فلذلك لم يتجاسر أحد من ساستها الذين باحثتهم على القول أمامي بأنهم غزوا طرابلس بقصد تمدينها وترقيتها. فان كثيرا من السياح الالمان وسائحين من الانكليز قد كتبوا مرارا ان ايطالية لم تأت عملا تمدينيا هاما لا في مصوع ولا في مقاطعة ارتيرة بالحبشة، ليس ذلك فقط، بل ان السائح في بلاد الصومال يرى البون شاسعا بين الصومال الطلياني والصومال الفرنسوي مثلا. فالبلاد الاولى باقية على ما كانت عليه قبل الاحتلال الايطالي من حيث الفقر والجهل والتأخر. أما الصومال الفرنسوي ففيه الخطوط الحديدية والمزارع الجميلة وكل آثار الارتقاء والتمدن في العلم. ومثل فرنسة في اسعادها مستعمراتها مثل الانكليز في السودان والمانيا في زنجبار

ولكن تسرع ايطالية الاخير في طرابلس الغرب لا يحوج أوربة أن تناوئها وتقاومها في أعمالها الاحتلالية هذه، بل بالعكس، يجب على أوربة أن تناصرها وتؤيدها بكل قوتها لان ايطالية اذا عادت خاسرة من هذه الحرب فالعار

(١) قد نشرت السفارة العثمانية في لندن تكذيبا رسميا لهذه الاشاعة التي راجت لاول مرة في الصحف الانكليزية. ومجرد عدم وجود ألمان ونمسويين في طرابلس الغرب وعدم ذكر ألمانيا اسم طرابلس الغرب أمام الباب العالي في كل السنين الماضية كاف لتفنيد مزعم الايطاليين هذه الفاسدة
الافكار

لا يلحق بها وحدها بل يعم كل الدول الاوروبية النصرانية . فالمسلمون اذا نجحوا يصيرون يضمرون طرد الانكليز من مصر والسودان وطرد الفرنسيين من تونس والجزائر ومراكش وطرد الروس من أواسط آسيا الاسلامية . وعليه فمن الواجب على ايطالية خصوصا وعلى أوربة كلها عموما أن تبقى ساعية جهدها في الحرب الحاضرة كي ترسخ قدم الافرنج في شمالي افريقية من دون نظر الى كميات الخسائر الباهظة من المال والرجال في سبيل تحقيق هذه الامنية (١)

يعسر على الباحث الغربي أن يقترب من موضوع المسألة الاسلامية من دون حذر زائد . فان المسلمين يعدون اليوم ٢٣٠ مليونا بينهم أقوام من البيض تجمعنا واياهم جامعة الاصل الابيض الواحد (الاصل الآري) و ٦٠ مليونا منهم هم مثل الافرنج تماما من حيث جمال الهيأة وقوة البنية والاستعداد الكامل للارتقاء العقلي . وبعض المسلمين هو من أصل أوربي بحت لان كثيرا من الغوط والايطاليين والاروام والسلاف والارناؤوط والقوقاسيين اعتنقوا الدين الاسلامي سابقا بحكم أحوال قاهرة وهم الآن في مقدمة اتباع محمد رقيا وتهذيبا لا يقلون عن اخوانهم نصارى الافرنج قوة ونشاطا وجمالا وحسن استعداد لقبول التمدن الصحيح . وفي الهند وحدها ٦٤ مليونا من المسلمين هم أرقى الشعوب الهندية على الاطلاق . ومجرد وجود هذا العدد الكبير من المسلمين في الرعية البريطانية يجعل الحكومة الانكليزية أن تكون أكثر حكومات الارض اهتماما بالحرب الحاضرة

فان انكلترة اذا رفضت السعي لاجل مصلحة تركية مركز الخلافة الاسلامية العظمى تكون قد أحدثت سببا لاغضاب رعاياها مسلمي الهند الذين تعتمد انكلترة عليهم وحدهم عند الخطوب في تلك البلاد واذا هي سعت لمصلحة تركية فتتضرر ايطالية وبضرر الايطاليان يزيد المسلمون حركة وهياجا ضد الافرنج النصارى ويعلق في اذهان زعمائهم سهولة النجاح في محاولتهم التخلص من حكم النصارى

(١) ليعتبر المتعبرون بتعصب هؤلاء القوم وخذلهم للحق ونصرهم للباطل فان الكاتب على اعترافه ببغي ايطالية وكونها ليس لها عذر ما في الاعتداء على طرابلس يحث أوربة كلها على نصرها وتأييد باطلها لانها نصرانية تريد الاستيلاء على المسلمين ، ولئلا يطمع المسلمون الآخرون بتحرير أنفسهم من رق النصارى !!

الافرنج في تركستان ومصر وتونس والجزائر . وعندي ان انكلترة وغيرها من دول الاستعمار العظمى تفعل حسنا اذا سمحت بضمير صالح في سبيل تعليم المسلمين العلوم الطبيعية التي تحارب العلوم الدينية علما منا بأن آفة الاسلام العظمى هي العلوم الدينية المبنية على القرآن وحده وهذه سدوتها الجمود ولحمتها التقيد بقيود الخرافات والاوهام (١)

وحالما يتحرر المسلمون من ربقة الاستعباد للعلوم الدينية عندهم يصيرون قادرين على ادراك الحقائق السياسية بأكثر جلاء ووضوح أي انهم يصيرون يميزون بين المصالح السياسية والاغراض الدينية كما صارت أوربة تفهم ذلك بعد أن تحررت من ربقة الاستعباد للتعاليم الدينية التقليدية التي كانت ضاغطة على حرية القول والعمل والفكر . ولما يصل المسلمون الى هذه الدرجة من الارتقاء العلمي فتصير مساعدتنا لهم نافعة للفريقين أي انهم لا يعودون يمزجون الدين بالسياسة وبكل شيء بل يصبحون عالمين أسرار المنافع الاقتصادية والسياسية فيصادقون من ينفعهم نصرانيا كان أم مسلما ويعادون من يضرهم بقطع النظر عن دينه ومعتقده

(كلامه عن الاديان الثلاثة)

والقرآن ليس سوى مجموعة اقوال مقتبسة عن التوراة والانجيل وبعض تعاليم المجوس (٢) . ولما كان محمد يكره يهود بلاد العرب كرها شديدا صارت آياته في القرآن أشد وطأة عليهم مما هي على النصارى . وتعاليم القرآن فيها بعض المنافع مثل

(١) لا يوجد كتاب ديني في الارض كالقرآن يطهر العقول من الخرافات والاوهام ويكسر قيود التقاليد ويزلزل أركان الجمود وهذا هو السبب الحقيقي في حث هذا الكاتب قومه على مقاومة كل تعليم بني على القرآن لئلا يرتقي المسلمون به فيخرجوا من العبودية التي يريدها لهم كما علم من سابق قوله . ولو كان القرآن كما قال لكان هو وأمثاله أشد الناس حثا للمسلمين على اتباعه ليدوم ذلهم وقبولهم للعبودية . ولكن المسلمين كفوه مؤنة التنفير عن العمل بالقرآن من عدة قرون فهم يحرمونه على أنفسهم لانهم يسمونه من الاجتهاد الممنوع عند جماهيرهم

(٢) هذه فرية افتراها الكاتب فليأتنا من تلك الكتب بمثل ما في القرآن من التوحيد الخالص المفصل بالبراهين العقلية والطبيعية ، ومن هدم بناء التقليد وفك العقول من رق الرؤساء ليأتنا منها بجعل أمر الامة شورى بينها وشرعا بين جماعة أهل الحل والعقد من أفرادها الخ

النظافة وعدم وأد البنات والامتناع عن المسكر والزكاة والصدق في المعاملات ولكن ازدراءه بالنساء واباحة تعدد الزوجات وغير ذلك من الامور المتعلقة بالمرأة تجعل تلك التعاليم الاسلامية حجر عثرة في سبيل الارتقاء العقلي والاجتماعي كيف لا والقرآن يحتقر المرأة والمرأة هي أم الرجل (١)

نعم ان الدين اليهودي لم يحسن التصرف تجاه النساء وهن نصف الجنس البشري ولكن التوراة صارت اليوم مرنة بيد الحاخاميين يفسرونها كما يشاؤون مما يطابق روح العصر ولا يخالف التمدن . وكذا الكنيسة الكاثوليكية في القرون الوسطى على الخصوص فانها كانت تضطهد العلم وتعيق مسير العرفان ولكنها لم تمكث على هذا الاضطهاد زمنا طويلا بل رأيناها بعد ذلك تبني المراصد الفلكية وتنشط نشر العلوم الطبيعية والطبية واللغوية والجيوغرافية و بالاختصار فان التعاليم المسيحية في أي مذهب من المذاهب لا تبقى جامدة بل نراها تتكيف وتتبدل حتى تطابق مجرى الاحوال بمرونة وليونة تامة

ليس ذلك فقط بل اننا نرى الكنيسة البابوية كانت وما زالت تؤيد الفنون الجميلة كالنقش والتصوير والموسيقي والكنائس البروتستانية تؤيد الاعمال الخيرية الآئلة الى منفعة بني الانسان وتخفيف ويلات المصابين وسد عوز المحتاجين وذلك في انشائها الجمعيات الخيرية لبناء المستشفيات والمدارس والملاجئ ، والكنيسة الارثوذكسية نراها على أشدها في روسيا والرُّوس رغما عن شيوع السكر بينهم شيوعا عاما معيبا وعن تفشي الرشوة والمحسوبية وسائر ضروب الفساد في محاكمهم فهم أرقى بكثير من جيرانهم الاتراك علميا واجتماعيا وأفضل آدابا واخلاقا هذا مع علمنا بان روسيا حديثة العهد نوعا في العمران

واذا انعمنا النظر جيدا نرى البون شاسعا بين الممالك المسيحية والممالك الاسلامية من حيث العلوم والصنائع والفنون والاقتصاد والتدابير الصحية والعلاقة الزوجية بين الجنسين — اي اننا نرى البلدان المسيحية والبلدان التي هي تحت

(١) هذه فرية أخرى وحسبنا في ردها قوله تعالى « ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف »

حكم النصارى أرقى بكثير من البلدان الاسلامية (١) ليس ذلك فقط بل اننا إذا نظرنا الى المجر مثلا نرى ان المجريين والاتراك هم من اصل واحد قدموا الى اوربة من اواسط آسيا في بدء القرون الوسطى وكانت لغتهم واحدة وبعد ان حلَّ المجر في النمسا واعتنقوا الدين المسيحي صاروا على تمادي الاجيال أرقى من اخوانهم الاتراك الذين حلوا في مكدونيا وعلى ضفاف البوسفور وبقوا معتنقين مذهبهم المحمدي وترى الفرق كبيرا اليوم بين المجر والاتراك من حيث الارتقاء والتمدن فالاولون نبغوا في الموسيقى والشعر والنقش والبناء والآداب والاقتصاد بينما الاتراك لا يزالون على حالة واضحة من التأخر في كل هذه الفنون

ورب معترض يقول ان الاسلام أبقى على كثير من العلوم والصنائع التي كانت النصرانية تحاربها على زمن الرّوم والاقباط والسوريين والرّومان فالاسلام أبقى آداب الرّوم والرّومان وعلومهم وأنعش العلوم الطبية والفلكية والرياضية وزاد في فنون البناء والهندسة وزخرفة القصور والجوامع وكان صلة متينة بين علوم الشرق والغرب بل كان الحلقة الوحيدة التي وصلت علوم اليونان والرّومان بالافرنج في القرون الوسطى ولولا هذه الحلقة لضاعت العلوم الطبية والفلكية وغيرها كثير ، نعم انني اعترف بصحة هذا الاعتراض ولكني أجيب عليه قائلا ان علماء المسلمين الذين عنوا بالعلوم والمعارف ونشطوا الحركة الفكرية والعقلية من القرن الثامن الى القرن الثالث عشر للميلاد لم يكونوا عربا ولا اتراكا بل كانوا يهودا او فرسا او قبطا او ارواما جبروا على اعتناق الدين المحمدي (٢) وبعضهم بقي على دينه لان

(١) لم تكن الحبشة النصرانية أرقى من مصر الاسلامية قبل الاحتلال ، ولم تكن انكلترة وفرنسة لتبلغ حذاء الاندلس أيام كانت الاندلس اسلامية ، فالحضارة لها سنن اجتماعية بينها القرآن وما عمل بها المسلمون كانوا أرقى البشر ثم تركوها فهبطوا بعد ان أخذتها عنهم أوربة دون دينهم الذي هداهم اليها

(٢) كذب مبني على مثله فان العرب كانوا أئمة هذه العلوم وعنها أخذها أخوتهم الذين تبعوهم في دينهم من الامم الاخرى والتاريخ شاهد عدل وعلماؤه المجردون من التعصب الديني والسياسي عدول أيضا كالدكتور غوستاف لوبون مؤلف (حضارة العرب) فليرجع اليه من شاء ثم ان العرب لم يجبروا أحدا على الاسلام كما فعلت أوربة في الاندلس وغيرها ولا خادعوا كما يخادع غيرهم الآن في كل مكان

اميره أنعم عليه في إمكانية ذلك البقاء منة وكرما ، (وهنا يسهب السر هنري جونستون في وصف البلدان الاسلامية وما هي عليه من التأخر كمصر وتونس وطرابلس الغرب والجزائر ومراكش واواسط افريقيا وتركيا وبلاد العرب زاعما ان علة هذا التأخر الوحيدة هي الدين الاسلامي ، الى ان يأتي الى مسألة طرابلس الغرب فيقول ان سبب انحطاطها هو حكم المسلمين عليها ايضا لانها من الزمن الذي دخلت به في حوزتهم من القرن الثامن للميلاد حتى الساعة لم ترَ إلا عوامل التخريب والتدمير فتركيا لذلك غير محقة بمحافظتها على هذه الولاية من النظرة الادبية كما ان ايطاليا غير محقة في اعتدائها عليها) ثم يستأنف الكلام فيقول :

ويظهر من كل ذلك ان الاديان كلها قاومت التقدم الانساني زمنا من الازمان ولكن الدين الاسلامي اشتهر بكونه غير قابل التكيف لما يطابق احوال الزمان والمكان كالدين النصراني والدين اليهودي (١) ولو فقه المسلمون ذلك وصار علماؤهم يبحثون عن طريق لحل تعاليمهم الدينية من قيود الجمود هذه لما تأخروا عن اللحاق باخوانهم المسيحيين في السير نحو الارتقاء والنجاح ، اي ان عليهم البحث في إيجاد طريقة لجعل دينهم مرنا لينا يقبل التكييف والتأويل والتفسير لما يطابق روح الزمان والمكان

أما من حيث قضية طرابلس الغرب فأكرر القول ان ايطاليا مخطئة في اعتدائها عليها من دون مسوغ شرعي او ادبي قط ، ولكن غيرها من دول الاستعمار فعل ذات الشيء عينه انما بهيئة مختلفة ، فإطلاقنا القنابل على الاسكندرية سنة ١٨٨٢ واحتلالنا وادي النيل وغزو فرنسا مراكش الآن وزحف روسيا على شمالي العجم وامتلاك المانيا جزءا من شرقي افريقيا — كل ذلك يؤيد حجة ايطاليا في قولها للدول انها فعلت ما فعلته تلك الدول ذاتها ، وعندي لو كانت طرابلس الغرب سهلت دخول الاجانب اليها واستثمار اموالهم فيها لما اقدمت ايطاليا على غزوتها ،

(١) الدين الاسلامي هو الدين الوحيد الذي يتفق بأصوله مع العلم والمصلحة العامة في كل زمان ومكان من غير حاجة الى ترك شيء منه ولا تحريفه ، وابعد الاديان عن ذلك المسيحية التي هي تنيض الحضارة والمدنية المبنية على توفير الثروة واباحة الطيبات والزينة وهي تأمر بالتجرد من الغنى ومن كل زينة ونعمة والحضارة الاوربية الحاضرة لاتتفق مع تعاليم الانجيل قط

فان البرتوغال واسبانيا اقفلتا باب مستعمراتهما الامركانية في وجه الاجانب وكانت النتيجة ان العلمين الاسباني والبرتوغالي اختفيا عن القارة الامريكية ، واملاك البرتوغال الباقية لها في افريقيا مهددة بالضياع إلا إذا كانت البرتوغال ترعوي فتفتح باب الاتجار والاستثمار أمام المتمولين واصحاب الشركات الاجانب

ورغماً عن كل ذلك فان الامم الضعيفة والدول الصغيرة لم تتمكن من المحافظة على كيانها او على املاكها إلا لانه يوجد في هذه الدنيا شيء يدعى « الضمير الادبي العام » وان شئت فسمه « محكمة الضمير الدولية العامة » . وهذه المحكمة الادبية هي وحدها التي منعت فرنسا والمانيا من تقسيم سويسرا وبلجيكا بينهما ، وهي التي منعت النمسا من ابتلاع الصرب وانكلترا من زيادة املاكها في غينيا على حساب فنزويلا ، وليس من يريد موت هذه المحكمة الادبية او ضعفها وخصوصا نحن المسيحيين الذين نعتقد ان للاديان علاقة مهمة في ارتقاء البشر وتمدنهم

نعم ان بالدين المسيحي كثيراً من الخرافات والزوائد المضرة وبالدين المحمدي كثيراً من الحسنات والفضائل ولكن البلدان التي تدين بالنصرانية لم تضطهد المسلمين وخصوصاً في القرنين الآخرين كما انها لم تجبرهم على رفض طقوسهم وعاداتهم مطلقاً، فالمسلمون لهم تمام الحرية في السفر الى اية جهة ارادوها في اربعة اقطار المسكونة ولهم تمام الحرية في الدخول الى معابد النصارى واليهود في كل مدن الارض ولكن النصراني لا يقدر حتى هذه الساعة على الدخول الى مكة والمدينة كما انه لا يقدر على الدخول الى جوامعهم إلا ويكون معرضاً في اغلب الاحيان الى الاهانة ، وماذا نقول عن نوع المعاملة التي يلاقيها النصارى الموجودون تحت حكم دولة مسلمة حتى في هذه الايام، فان حالة اقباط مصر الآن كحالة مسيحية سوريا وارمينيا ومكدونيا — ليست مما تشرح الصدر وتفرح القلب

نعم انني لا اعتقد بامكانية صيرورة المحمدي مسيحياً وخصوصاً في هذه الايام كما انني لا اتوقع من اليهودي في القرن العشرين ان يعود فيعترف بالمسيح حالة كون المسيح يهودياً من النظرة البشرية بل هو اعظم يهودي على الاطلاق ولكنني اعتقد ان عقلاء المسلمين وعلماءهم يقدرون على اقتفاء خطوات علماء النصارى واليهود في القرون الاخيرة واعني حذف الزوائد المضرة من دينهم والاستغناء عن كثير من تقاليدهم وعاداتهم وخرافاتهم العديدة حتى يجعلوا دينهم أهلا لكل حالة وصالحا للاتباع في كل زمان ومكان — أي حتى يفكوا عنه قيود الجمود كما فككناها نحن عن ديننا من قبلهم فيصير من السهل عليهم السير في سبيل الارتقاء والتقدم . اه

أخبار العالم الاسلامي

روسية ومسلمو تركستان

نشرت جريدة (نوفي فريميه) الروسية الشهيرة مقالات بامضاء (يا . ذ . ف) عنوانها (سياسة عدم الالتفات) أو سياسة الاغضاء خطأ فيها التعجيل بتغيير الادارة في تركستان بأخذها من الادارة العسكرية وتسليمها الى الادارة الملكية وبين انه لايجوز النظر الى تركستان من حيث انها سوق تحضر قطناً للروسية فقط، بل يجب ان ينظر اليها من حيث هي بمنزلة القلب للعالم الاسلامي في الشرق الاقصى ولها أهمية سياسية كبيرة بالنسبة الى الروسية ، وهو يوجس خيفة من تركها على حالها قال:

يستيقظ الشرق ، وليست مسئلة اتحاد المسلمين جميعاً على أساس المدنية الحديثة الاسلامية - وهي بغي (في الاصل تجاوز) ظهر من جهة الاتراك محبي الجامعة الاسلامية - من المسائل التي تمر من غير التفات من الروسية التي يسكن فيها قدر ثمانية عشر مليون مسلم. كانت نتيجة عدم الالتفات الى أحوال التتر المعنوية في أطراف فولغا أنهم سقطوا تدريجاً في نفوذ الاتراك المستنيرين. مسلمو تركستان هم متأخرون في المدنية عن التتر في أطراف نهر فولغا والقريم، ومع ذلك أخذوا ينهضون من نومهم الطويل الذي مر عليه قرون كثيرة ونرى مع الاسف أن الآخذين في أيقاظهم ما كانوا منا بل من الاغيار وعلى وجه غير مطلوب البتة . ولا شك ان لذلك أسباباً : ان مسلمي تركستان كانوا أولاً يخافون الروس جدا ويعدونهم أصحاب القوة والسطوة ، وقد ضعف هذا الاعتقاد فيهم بمرور الايام ، وبعد أن غلبنا في حرب اليابان وظهر عدم الانتظام بين المأمورين نقص نفوذ شوكة الروس من انفسهم، وارتقت حالهم من جهة الاقتصاد وغنوا فكان ذلك أيضاً سبباً في ضعف شوكة الروس شيئاً فشيئاً . هم لم يتربوا في روسية فقط بل ساحوا ايضا في الممالك الاجنبية واخذوا بعد رجوعهم ينتقدون ادارة تركستان التي فيها شيء كثير من الخلل حقيقة . ظهر لهم وجه الحاجة الى المعارف العصرية وعدم امكان تحصيلها في المكاتب والمدارس القديمة، وبهذه الكيفية تولد فيهم الميل الى المعارف المنيرة للافكار . وان ذلك الانقلاب المعنوي التدريجي في مسلمي

تركستان لم يظهر لعمال الحكومة فيها من أول وقته ولكن جمعية الاتحاد والترقي من الاتراك والتتر من أهل وطننا قد راقبوا ذلك من زمان ودققوا النظر فيه .

حقاً ان تركية الجديدة تدقق النظر من زمان بعيد في آسيا الوسطى . وإن آمال الترك فيها كبيرة جداً حتى انهم فتحوا قبل عدة سنين جمعية مخصوصة في الاستانة لنشر المعارف في تركستان ومقصدهم الاصلي من ذلك نشر فكرة الاتحاديين المسلمين جميعا . والتتر من أطراف قزان وأورنبورغ أخذوا يشتغلون بنشاط وينشرون أدبيات اتحاد الاسلام بين مسلمي تركستان بصفة معلمين في المكاتب الجديدة هناك وكذا أصحاب المطابع وتجار الكتب . وعمالنا في تركستان لم يروا تلك الحركات الا في الوقت الذي تعذر فيه عدم الرؤية ، وبعد ما عرف ذلك الأجانب والحال أن ذلك الانقلاب الآخذ في الظهور بين ستة ملايين من مسلمي تركستان مهم جدا لا يصح عدم الاحاطة به

ان الضغط والتضييق على الافكار الجديدة قد جعل القشر الثخين المحيط بالعالم الاسلامي ينشق من بعض جهاته ويرى من وراء شقوقه انقلاب عظيم جدا بين مسلمي تركستان . وكان المحرك الاول لاولئك المسلمين والسبب فى ذلك الانقلاب انما هو نحن معشر الروس : أدهشنا خيال وأفكار أولئك الاهالي بمعجزات المدنية الحاضرة مثل السكة الحديدة والتلغراف والكهرباء ولكن لم نقدر على التقرب من حياتهم المعنوية ولم نخطر في بالهم بعد التقرب منهم كيف ينبغي أن تكون المدنية وجهاتها المعنوية ، وكان يجب ذلك علينا عند ما كانوا يفركون عيونهم من ذلك النوم الذي لبثوا فيه عدة قرون ، فبقيت أحوالهم المعنوية في ناحية من نظرنا

فاتح تركستان (نون قا او فان) الذي هو أكثر الولاة نشاطا وعملا كان في ضلال مؤسف اذ فكر في مكاتب ومدارس المسلمين التي لا تناسب اقتضاء الزمان في شيء فجزم بأنها ستفنى وتزول من تلقاء نفسها ، وهذا القدر من فكره وحكمه معقول صحيح ولكنه ما فكر في ان محلاتها لا تبقى خالية أبدا . فها هي ذي قد أخذت تجدد ببناء المدارس الجديدة على انقاض القديمة بقصد معين معلوم وبرنامج يمهد السبيل لاتحاد المسلمين عامة تحت نفوذ تركية الفتاة

الحكام الروسيون يعلنون للناس أن الاحوال هناك حسنة للغاية والامن في نصابه، ولكن الحقيقة أن الخلاف الآن فيها والجدال مدهش جدا بين الروحانيين (علماء الدين) وأصحاب الافكار الجديدة : الروحانيون يحافظون على المكاتب والمدارس

القديمة الاصول ويحرصون على بقائها وأما الاغنياء والتجار فهم أشياع المكاتب الجديدة. ومن المؤسفات أن عمال الحكومة هناك لا يتداخلون في تلك المجادلات والاختلافات السياسية المهمة بين المسلمين بل يكتفون بالتفرج عليها من بعيد . ما علم الحكام الروسيون هناك بوجود مكاتب جديدة قصدها نشر فكرة اتحاد الاسلام الا منذ سنتين فقط . على أنهم ما علموا ذلك بأنفسهم مباشرة ، بل بالمصادفة وقت تفتيش (عراف بالين) والحال ان تلك المكاتب وجدت منذ عشرات من السنين

مسألة تربية مسلمي تركستان بروح القومية الروسية دون روح الترك « الجامعة الاسلامية» مسألة مهمة جدا لا يجوز تركها على حالها من غير التفات ولا عناية. ولكن يؤسفنا أن كثيرا من الفرص السياسية المهمة فاتت من غير التفات من الحاكمين اه المقالة الاولى من مقالات نوفي فريميا الروسية مترجمة عن جريدة وقت ومنها يعلم مقدار يقظة روسية وقطعها طريق العلم على المسلمين قبل ان يسلكوه ويعرفوا العالم وما فيه وما فتح لها باب الحذر والخوف الا مايظهره أغرار الاتحاديين من الميل الى جذب مسلمي تركستان اليهم لتقوية العنصر التركي وبهذا يضرون أنفسهم ودولتهم وأولئك المساكين ، وعملهم هذا مخالف للجامعة الاسلامية ولكن روسية تتهمهم بها وان اعلنوا في جريدتهم طنين براءتهم منها

***

﴿ حركة الجامعة الاسلامية وسياسية آلمانية ﴾

تقول جريدة نوفيه فريميه الروسية في مقالتها الاولى (عدد ١٢٨٤٠) المعنونة بهذا العنوان :

منذ زمان غير بعيد قبل عاهل آلمانيا رسميا مقابلة رئيس المبشرين الكاثوليك في مستعمراتها في افريقية وحاوره طويلا في حركة الجامعة الاسلامية . وما قاله الرئيس للامبراطور في ذلك ، وما في اللائحة التي قدمها اليه غير معلوم لأحد (١) أما مانشرته شركة (فولف) من الخبر الرسمي فهو أن الامبراطور ويلهلم ماوجد من الضروري أن يعد الجامعة الاسلامية شيئاً يخاف منه على مستعمرات ألمانية ولا رأى حاجة الى المقاومة الجدية لحركة الجامعة الاسلامية الحربية

(١) المنار نقلت البرقيات العمومية أن الامبراطور صرح بوجوب الضغط على الاسلام ودعاته ثم صححت بصفة رسمية ذلك البلاغ وقالت انه وقع فيه غلط

هذه المذاكرة في حركة الجامعة الاسلامية بين الامبراطور ويلهلم ورئيس المبشرين لم تهتم بها جرائد روسية اهتماما يذكر ولكن جرائد آلمانيا كتبت فيها كثيرا وأوفتها حقها .

فجرائد حزب الكاثوليك اللاتي لهن ولع دائما باثارة شيء من الحركة الصليبية اهتممن جداً بقبول الامبراطور لرئيس المبشرين — ذلك الرجل الذي قدم من افريقية خصيصاً لاثارة الافكار العمومية الالمانية ضد الجامعة الاسلامية . أما جرائد حزب المحافظين البروتستان فلا يرين اندفاع آلمانية في مقاومة الجامعة الاسلامية لافكار فرقة « الكاثوليك الحربي » من الرأي السديد . فمن مجموع ذلك يفهم أن سياسة آلمانية فيها شيء من التردد في اختيار أي خطة من الخطط التي يجب السير عليها بازاء الاسلام . حقاً ان المسألة فيها نزاع الى الآن مثاره هذا السؤال : هل يمكن للجامعة الاسلامية أن تلعب دوراً مهما في سياسة العالم . أم هي خيال محض طلع من رءوس شراذم قليلة من متعصبي المسلمين البعيدين عن حقيقة الاحوال ؟ فهذه المسألة لم يقطع فيها بعد

منذ زمان غير بعيد نشرت في جريدة (الطان) الفرنسية مقالة ذات أساس متين (٢) لواحد من علماء العرب في مسلك الجامعة الاسلامية وبروجرامها المفصل. تلك المقالة تجيب جوابا قريباً من الصحة عن كون هذه الجامعة ذا روح أو شبحاً من غير روح . ويفهم من تلك المقالة أن الدول اللاتي لهن السلطة على المسلمين ومن جملتهن دولة الروسية لاينبغي لهن ترك الاهتمام بحركة الجامعة الاسلامية . وقال صاحب المقالة أيضاً أن مؤسسها الاول رجل افغاني ولد سنة ١٨٣٩ في بلدة كابل وباشر الحروب الدموية كلها في الافغان (يريد السيد جمال الدين)

ذلك الرجل ساح في بلاد الهند وايران وجزيرة العرب وبلاد تركية ومصر ونشر فيها فكرة اتحاد الاسلام . كما انه انتحل مذهب الماسونية في جهة أخرى. وذلك يدل على أنه مانظر الى الاسلام من جهة الاعتقاد فقط بل اتخذه آلة وتكأة للمقاصد السياسية . ولرنان الشهير من محرري فرنسة ثناء مهم جدا على الافغاني . وفي آخر عهده جاء الاستانة ولقي فيها احتراما عظيما ثم توفي فيها . وظهر كثير من العلماء المروجين لفكر الافغاني فأسسوا في الاستانة مسلكا مخصوصا لنشر فكرة الاتحاد الاسلامي وظهرت آثارهم بين المسلمين لافي تركية وحدها بل أخذت ترى في جميع بقاع العالم التي يوجد فيها المسلمون وسهل أمرهم هذا كثيراً كون لغة العرب

(٢) قد نشرنا ترجمة هذه المقالة في جزء سابق مع التعليق عليها

اسانا عموميا بين المسلمين أجمعين . فبناء على ذلك لا يستغرب وقوع الدعوة الى مؤتمر اسلامي عام من اسماعيل غصبرنسكي محرر (جريدة اسلامية تصدر في بلدة باغجه سراي)

تنشر مجلات الاتحاد الاسلامي مثل (المقتبس) في نواحي العالم كلها ويقرأها المسلمون في جزيرة العرب وبلاد الهند حتى جزر البحر المحيط الكبير وفي أمريكا .

وبواسطة أمثال تلك المجلات يعيش مسلمو لاهور الهندية مثلا ومسلمو تركية وهم متعارفون عن كثب وتشتد رابطة الاخوة بينهم

ليست حركة الجامعة الاسلامية في طور العدوان الآن بل هي خفية ومقتنعة بنشر فكرة الاخوة بين المسلمين جميعاً وليس عليها عيب في الظاهر . ولكن مع ذلك لا يمكن للدول اللاتي لهن منافع تمس بالسوء من ناحيتهم غير المقاومة لهم في صورة قطعية .

نعم يظهر بين المسلمين حيناً بعد آخر بعض الآثار الحادة في نشر فكرة الاتحاد الاسلامي مثل « أم القرى » ولكن الجامعة الاسلامية ترى الآن وجوب الامتناع عن كشف الستار عن خريطتها وتجتهد قبل كل شيء في تحصيل التعاون والاخوة بين المسلمين في أطراف شتى . على أن أرباب هذه الجامعة ليسوا جاهلين بالسياسة . ومن برنامج سياستهم المدبرة أن ما تسميه أوربة « خطر الجنس الاصفر » ينبغي أن يبقى بمثابة أعوبة صبيانية . وهم يستفيدون من جميع الفرص لاخراج بروغرامهم من القوة الى الفعل واثارة أفكار أبناء جنسهم بعد ايجاد اتحاد الافكار بينهم . وتلك الفرص توجد دائما وتزيد عما يحسبه الموظفون والسياسيون الاوربيون أضعافاً مضاعفة

مثال ذلك في حرب تركية وايطالية الآن ان الايطاليين قتلوا بالرصاص كثيرا من عربان طرابلس الذين استولوا عليهم وهم عراة لوجود الاسلحة الممنوعة عندهم والعربي عند الاوربيين يعد في الدرجة الثانية بالنسبة الى جزاء الاعدام ، وليس له كبير أهمية ، ولكنه يعد أمراً كبيراً وتحقيراً دينيا عند المسلمين ، لذلك أثر على الطليان هذا تأثيرا سيئاً جداً في العالم الاسلامي فحصل بينهم هياج وغليان في الافكار واستفظعوا عمل ايطالية فوق العادة

كان الامبراطور ويلهلم الى الآن عونا كبيراً لحركة الجامعة الاسلامية وكان الالمان يظنون ان هذه الحركة تصل الى درجة توجب الخوف عليهم في الوقت القريب وانها على ذلك تحدث صعوبات جمة للانكليز في الهند ومصر ، وتكون عوناً لهم لقرارهم في الاناضول . ذلك كان ظنهم ، فسياحة الامبراطور ويلهلم في الشرق وذهابه

الى مراكش والقاء خطبته في طنجة كل ذلك كان مبنياً على ما ذكر من الاعتقاد في أمر الجامعة الاسلامية . لكن تبين الآن وجود هوة عميقة لا يسهل اقتحامها مع الصداقة للمسلمين والمحافظة على منافعهم الحقيقية ، ولذلك ضحت ألمانيا بمنافع الملايين من المسلمين في مراكش توصلا الى امتلاك قطعة من الارض في الكونغو . فكسرة مطروحة لها في أفريقية كانت كافية لهدم تلك الصداقة

ويوجد أيضا كثير من المسلمين في مستعمرات ألمانية نفسها في افريقية ، فكل حركة يراد بها الضرر على انكلترة من مساعدة الجامعة الاسلامية وازالة العقوبات من سبيلها تكون من غير شك حركة ضد موظفيها ومبشريها في أفريقية . والذي قاله الامبراطور ويلهلم للرئيس المار ذكره هو عبارة عن تدبير وقتي فقط

(وبعد ذلك كله) هل تريد ألمانية أن تسلك في مسلك واحد مع أوربا جماء ؟ أم هي تقصد أن تهيج تعصبات المسلمين الدينية وتخلق منشأ كل صعوبات هائلة وتلقيها على رأس أووبة ؟ عن قريب تضطر ألمانية الى الاجابة على واحد من هذين الشقين

اه مترجما عن جريدة (وقت) الروسية

الدين كله من القرآن (*)

نكتب هذه الكلمة المختصرة بيانا للنصارى الذين يطعنون على القرآن ويرمونه بالتحريف لعدم وجود ذكر لرجم الزاني المحصن فيه فنقول :-

قد استنبط رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض أحكام شرعية قليلة تخفى مآخذها لأول وهلة على الناظر في الكتاب العزيز وهذه المسائل مع كونها قليلة جداً معروفة ومتواترة بين المسلمين وأهم هذه المسائل هي :

(١) تحريم نكاح المرأة على عمتها أو خالتها
(٢) رجم الزاني المحصن
(٣) تحريم استعمال أواني الذهب والفضة
(٤) تحريم لبس الحرير على الرجال
(٥) النهي عن أكل الحمر الاهلية (وكان ذلك في واقعة خيبر)

(*) للدكتور محمد توفيق افندي صدقي

(٦) منع بيع الامة اذا افترشها سيدها وولدت له

أما الامر بقتل المرتد فهو كما قلنا وقال السيد صاحب المنار كان خاصاً لظروف خاصة تقتضيها الحالة في ذلك الوقت لمنع تشكيك ضعاف المسلمين في دينهم بتلاعب بعض الناس بالدين ودخولهم وخروجهم منه كما قالوا (آمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون) ولمنع إفساد أمرهم وإفشاء أسرارهم وتشتت كلمتهم وإضعافهم باظهارها أمام أعدائهم شاكين منقسمين متفرقين ولمنع عبث المعتدين بهم الذين كانوا يظهرون الاسلام اذا تمكن المسلمون منهم ثم يرتدون ويؤذونهم اذا أفلتوا من أيديهم أو قووا عليهم . أما في غير هذه الاحوال فلا يجوز للمسلمين قتل أحد لمجرد الارتداد قال تعالى (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) وقال (وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) وأوجب تأمين المشرك الذي كان أبيح لهم دمه اذا جاءهم تاركا الاذى راغبا النظر في الدين وطالبا البحث فيه لكي لايدخله مكرها كما قال تعالى في سورة التوبة (وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون) أي يجب تركه حتى يسمع القرآن ثم نرده الى أهله آمنا مطمئناً ليتروى فيه ويتدبر فان شاء آمن بعد ذلك وان شاء لم يؤمن بشرط أن يعد ونعرف منه انه لا يعود لايذاء المسلمين فان ذلك كان كل مقصودهم . وأما الايمان والكفر فهما متروكان لحرية الشخص (ولو شاء ربك لآمن من في الارض جميعاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) فهل بعد ذلك يقال ان الاسلام يكره الناس على الدخول في الدين ؟؟ !!

أما تحريم نكاح المرأة على عمتها وخالتها فذلك لان العمة أو الخالة تعتبر كالأم وتسمى أما كما أن العم والخال يسمى كل منهما أبا قال تعالى في يوسف (ورفع أبويه على العرش) مع أن أمه كانت ماتت من قبل . وورد أيضا في سفر التكوين تسمية خالته أما له (راجع اصحاح ٣٥ : ١٩ مع ٣٧ : ١٠) وقال تعالى عن لسان بني يعقوب (نعبد إلهك وإله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحاق إلها واحدا) فسموا (اسماعيل عمه أبا له

أما رجم الزاني المحصن فهو لان الزنا مع الاحصان إفساد في الارض وموجب لخلط الانساب (١) واضاعة حقوق العباد في المواريث ومؤد لوجود الشحناء والبغضاء

(١) حاشية : عند كثير من أمم الافرنج على ما نعرف لا يسمى جماع غير المتزوجات (بالزنا) ويخصون هذا الاسم بوطء المتزوجات فقط لانه هو الذي يجر الى خلط الانساب ونسبة الابناء =

والاقتتال بين الاشخاص والبيوتات وذلك يضعف الامة ويفرق كلمتها . والقتل في القرآن لا يباح إلا قصاصا للقتل وللافساد في الارض قال تعالى (من أجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الارض فكأنما قتل الناس جميعا) وهذا هو حكم لنا أيضا لقوله تعالى (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا أن يقتلوا) الآية ولا شك أن الزنا محاربة لله ولرسوله بالعصيان وسعي في الارض بالفساد . وقوله (يقتّلوا) يشعر بأن القتل لا يكون دفعة واحدة بل تدريجيا كما في الرجم والرجم معروف في الشرائع الالهية القديمة كالموسوية كما لا يخفى فلا عيب فيه . فبهاتين الآيتين خصص رسول الله صلى الله عليه وسلم الحكم العام الوارد في قوله تعالى (الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) الآية أي إن ذلك خاص بغير المحصن ونقل المسلمون عنه هذا التخصيص نقلا متواترا . أما عدم التصريح في القرآن برجم المحصن فهو للاشارة إلى أن الزنا مع الاحصان ومع ما في الاسلام من التسهيل في مسائل النكاح من حقه أن لا يكون معروفا بين المسلمين ولا فاشيا فيهم ومن الواجب أنه إذا وقع فلا يكون الا نادرا جدا وعجيبا غريبا بينهم فكأنه لا يحتاج لتشريع خاص به لشدة ندرته . وكأن لفظ الزاني اذا اطلق لاينصرف عندهم الا الى غير المحصن وفي القوانين الوضعية كثيرا ما يدمجون الاشياء النادرة الوقوع في حكم واحد مع غيرها بحيث لا يتيسر إلا للمتضلع فيها استنباط حكمها من النص العام فكذلك مسألة رجم الزاني المحصن في الاسلام التي لم يذكرها القرآن للتنزه عن إشاعة الفاحشة بين المؤمنين

= لغير أبيهم . وفي الانكليزية اسم الزنا (Adultery) يفيد معنى الخلط فلذا كان في الشريعة الاسلامية عقاب الزاني غير المحصن من الذكور والاناث أخف من عقاب المحصن لان الاول لا يؤدي الى الفساد الذي يؤدي اليه الثاني ويلتمس لفاعله بعض العذر وكذلك في الشرائع المدنية لا يعاقبون الزوج اذا قتل زوجته والزاني بها ولا عقاب عندهم للزاني بغير المتزوجات اذا كان برضاهن وكن رشيدات ويعاقبون قاتله ولو كان أباها أو أخاها فان حق العصمة بيد الزوج فقط

وعليه فالرجم حق مما كتبه الله علينا في شريعته وإن لم يصرح به في القرآن لما وضحنا . هذا وفي اللغة العربية كثيرا ما يراد بلفظ (كتاب) المكتوب أي المفروض كما في قوله تعالى (كتاب الله عليكم) في سورة النساء وقوله (إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا) أي فرضا له اوقات معينة وقوله (كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم) الآية . فمن ذلك نشأ خطأ كثير من المحدثين والرواة إذا سمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أحد أصحابه يقول مثلا (إن الرجم من كتاب الله تعالى) أي مما فرضه الله على المسلمين . فظنوا حديث (الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما) (١) أنه آية من القرآن وشتان ما بين الفاظ القرآن وتراكيبه العالية وما بين هذا الحديث . وكذلك أخطأوا وخلطوا في كثير من الاحاديث الواردة في هذه المسألة كقول عمر ما مثاله (ان الرجم فريضة من كتاب الله تعالى ولولا أن يقول الناس زاد عمر في كتاب الله لكتبتها فيه) أي هذه الفريضة . فلو كان هذا الحكم معروفا بين المسلمين أنه من القرآن لكتبه عمر فيه ولما خشي أحدا ولما قال الناس إن عمر زاده . فقوله هذا يدل على أنه ليس من القرآن وانما يريد عمر به المبالغة في أنه فرض كفروض القرآن ولولا أنه ليس منه لكتبه فيه يعني أنه حكم كاحكام القرآن لا يجوز الشك فيه لعدم ذكره في القرآن (كتاب الله) . فلفظ كتاب الله في هذه العبارة الممثل بها هنا له معنيان (الاول) بمعنى المفروض الواجب (والثاني) بمعنى القرآن وفي اللغة من مثل هذا كثير كقوله تعالى (يكاد سنا برقه يخطف بالابصار، يقلب الله الليل والنهار إن في ذلك لآية لاولي الابصار) فالابصار الاولى بمعنى العيون والثانية بمعنى البصائر والعقول . وقال علي رضي الله عنه فيمن جلدها ورجمها (جلدتها بكتاب الله ورجمتها بسنة رسوله) أي لان الجلد صريح في القرآن والرجم صريح في السنة وهذا يدل على أن الرجم ما كان معروفا بين المسلمين أن فيه آية صريحة في القرآن وإنما هو يستنبط منه استنباطا . وجميع الاحاديث التي تدل على أنه كان من

(١) حاشية هذه العبارة رويت في كثير من كتب الحديث على أنها حديث لا على أنها قرآن كما في الجامع الصغير

(كتاب الله) اما أن يكون منشؤها ما ذكرت تخلط فيها الرواة وخبطوا لعدم فهمهم المراد منها واما ان تكون من الاكاذيب التي ادخلها المنافقون على الغافلين من المحدثين افتراء على الله وعلى رسوله وعلى أصحابه (وكثير ما هي) والا فان القرآن باجماع المسلمين نقل متواترا عن رسول الله لفظا ومعنى مكتوبا في السطور ومحفوظا في الصدور عند جماهير الامة في كل زمان ومكان وكل ما ليس متواترا فهو ليس بقرآن كما لا يشك في ذلك أحد من المسلمين وانما هو من الاكاذيب والمفتريات لغش المسلمين في دينهم أو تشكيكهم فيه أو لتأييد رأي أو مذهب لبعض أهل الاهواء والاغراض أو لبعض الفرق الضالة وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كتابة أي شيء آخر عنه سوى القرآن لمنع مثل هذا الخلط وأن يختلط كلامه بكلام الله تعالى

وأما تحريم استعمال اواني الذهب والفضة فهو لان ذلك إسراف وكنزهما مؤد الى الحرج على الامة والعسرة المالية . وكل من الاسراف والكنز مذموم في القرآن الشريف . قال تعالى (ولا تسرفوا إن الله لا يحب المسرفين) وقال (إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين) وقال (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم)

وأما تحريم استعمال الحرير على الرجال فهو لانه ينافي الرجولية والشهامة ويؤدي الى الاعجاب بالذات والفخفخة والخيلاء فضلا عما فيه من الاسراف وكل ذلك مذموم في القرآن قال تعالى (ولا تمش في الارض مرحا إن الله لا يحب كل مختال فخور ، واقصد في مشيك) الآية فقوله تعالى (قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده) الآية هو مخصص بهذه الآيات أي إن الزينة مباحة إن لم تؤد الى الاسراف أو الكنز أو الاعجاب والخيلاء والغرور والا كانت محرمة كما في الآيات السابقة

وأما النهي عن أكل الحمر الاهلية فهو إما انه كان للحاجة اليها في ذلك الوقت أو لمرض فيها يخشى منه على المسلمين إذا أكثروا من الاقتراب منها وتناولها بالايدي (كالسقاوة والسراجة Glanders) أو لان اكلها مكروه لانها لم تخلق لذلك كما في قوله تعالى (والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون)

الى قواه (والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون) والخلاصة أن حرمتها لا يمكن أن تكون كحرمة لحم الخنزير بالاجماع فهي (إذا سلم أن النهي عنها كان عاما) اما أن تكون مكروهة واما أن تكون من الصغائر ولذلك لم يذكرها الله تعالى في آيات تحريم المأكولات كقوله (إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير) الآية وغيرها وهذه الآية واردة في السور المكية والمدنية فلا يأتي فيها قولهم (إنها نسخت)

وأما منع بيع الامة إذا ولدت لسيدها فذلك لان بيعها تقطيع للارحام وذلك مذموم بقوله تعالى (فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الارض وتقطعوا أرحامكم، أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم). فليتأمل في هذه الآية المكثرون من الطلاق !!

والخلاصة أن الاسلام كله من القرآن وقد تخفى مآخذ بعض شرائعه اللهم إلا بعض المسائل العملية القليلة التي توضيحها بالعمل خير من توضيحها بالقول وكانت تتكرر بين المسلمين كثيرا ككيفية الصلاة والحج فلم يأت تفصيلها في القرآن الشريف. فأين تذهبون أيها النصارى. وبماذا تطعنون في الدين الحنيف ؟؟. اه

تقريظ المطبوعات

﴿ معيار العلم ﴾

كتاب معيار العلم في المنطق لحجة الاسلام ابي حامد الغزالي سارت بذكره الركبان، وكان المشار اليه دون كتب هذا العلم بالبنان، ثم طوت صحفه أيدي الحدثان، حتى لم تعد تكتحل برؤيته عينان، الى ان ظفر به وطبعه في هذا العام الشيخ محيي الدين صبري الكردي وشريكاه وهو متن مبسوط تبلغ صفحاته ١٧٥ صفحة كصفحات المنار، وناهيك بعبارة الغزالي في بسطها وسهولتها وانسجامها وجلاء

أمثلتها، وما فيها من ايقاظ العقل، وتحريك الفكر، والحث على العمل بالعلم، وترتيب هذا الكتاب مخالف لترتيب الكتب المتداولة في المنطق فهو يقدم التصديقات على التصورات، فيبدأ بمقدمات القياس فالقياس، ثم يتكلم على الحد والنظر، ويختم الكتاب بأقسام الوجود وهي المقولات العشر

لا تكاد تجد أحداً قرأ المنطق في هذه البلاد يستعمل أقيسته وحدوده أو يراعي اصطلاحاته في الاستدلال والمناظرة، أو يشير اليها في مسامرة أو محاضرة، بل لك أن تجزم بأنها قلما تخطر في بال أحد منهم في المواطن التي يحتاج اليها فيها. وسبب ذلك قراءة تلك المتون الوجيزة التي يشتغلون عند قراءتها بحل عباراتها وفهم اصطلاحاتها لاجل أداء الامتحان بها، فاذا وصلوا الى هذه الغاية واقتحموا عقبة الامتحان، تم القصد، وقضي الامر، وليس في تلك الكتب جاذب يجذب الفكر الى الاشتغال بهذا العلم ومراجعته وترقية العقل به كما ترى في مثل هذا الكتاب للغزالي

مثال ذلك اختصارهم المخل في مادة القياس تراهم يكتبون فيها أسطرا قليلة ويذكرون لكل منها مثالا واحدا، وأما الغزالي فقد كتب في (المجربات) زهاء صفحتين كصفحات المنار وفي (المشهورات) صفحتين ونصفا بين فيها خمسة اسباب لاثبات الذهن لها ووضح ذلك بالامثلة المتعددة، ومن مزايا اسلوبه أنه يورد المسائل مورد الاستعمال والوقوع تارة بالخطاب وتارة بالحكاية عن الغائب أو المتكلم، وهذا الاسلوب أوقع في النفس وأقوى في تقرير المعاني فيها من الاسلوب المعهود في الشمسية والبصائر وغيرهما وهو تجريد المطالب مجردة من لباس الاستعمال

وقد صدر هذا الكتاب بترجمة مطولة للمؤلف وهو يطلب من مكتبة المنار بشارع عبد العزيز بمصر

***

﴿ جواهر القرآن ﴾

مصنف للغزالي مشهور طبع من قبل واعاد طبعه في هذا العام الشيخ محيي الدين صبري الكردي كما طبع من قبل صنوه المسمى كتاب الاربعين وهما في الحقيقة كتاب واحد ينبغي جمعهما في غلاف واحد وقد سبق لنا تقريظ كتاب الاربعين

﴿ تاريخ آداب اللغة العربية ﴾

تاريخ آداب اللغة العربية فن توجهت اليه نفوس المعلمين والمتأدبين حديثا بعد ان رأوا الافرنج يعنون به و يصنفون فيه ، وقد كنا قرظنا في اول المجلد الرابع (١٣١٨) كتابا بهذا الاسم الذي جعلناه عنوانا هنا من تأليف محمد بك دياب . وقد ظهر في هذا العام جزء من كتاب آخر بهذا الاسم للكاتب المؤرخ المشهور جرجي افندي زيدان صاحب مجلة الهلال قال انه « يحتوي على آداب اللغة العربية في عصر الجاهلية وعصر الراشدين والعصر الاموي ـ اي من اقدم أزمنة التاريخ الى سنة ١٣٢ هـ » وسيعززه بجزء آخر أو أجزاء في تاريخها فيما بعد ذلك الى زماننا هذا

بدأ المؤلف هذا الجزء بمقدمة في تاريخ التأليف في هذا الموضوع بين فيها ان الافرنج لم يكونوا يعرفون هذا العلم وانما التفتوا اليه وعنوا به أخيرا وان العرب قد سبقوا إلى التأليف فيه « مثل سبقهم في غيره من المواضيع » وعد من كتبه (كتاب الفهرست) لابن النديم ، وكتاب (مفتاح السعادة ومصباح السيادة) المعروف بموضوعات العلوم ، و (كشف الظنون) و (ابجد العلوم) ولكن هذه الكتب ليست على النهج الحديث الذي سبق الى التأليف فيه المستشرقون من الافرنج بلغاتهم ، ورجى المؤلف ان يكون هو أول من كتب على هذه الطريقة بالعربية وأول من سماه بهذا الاسم

ثم بين فيها الغرض من الكتاب وهو « (١) بيان منزلة العرب بين سائر الامم الراقية من حيث الرقي الاجتماعي والعقلي (٢) تاريخ ما تقلبت عليه عقولهم ... (٣) تاريخ كل علم من علومهم على اختلاف ادواره ... (٤) تراجم رجال العلم والادب .. (٥) وصف الكتب العربية باعتبار مواضيعها وكيف تسلسل بعضها من بعض .. » ثم بين تقسيم الموضوع وما يشتمل عليه هذا الجزء وهو الاول منها ـ وهو ما بيناه في أول الكلام

ونحن نرى ان هذه الاغراض لا يضطلع بها رجل واحد يريد التحقيق

والتحرير فان تاريخ كل علم من هذه العلوم ـ وهو أحد الاغراض ـ لا يحرره الا من عرف هذه العلوم كلها ، فلا بد من الاستعانة فيه الا لمن يقنع بمثل ما كتبه ابن خلدون في مقدمته أو يزيد عليه قليلا مما كتبه ابن النديم أو غيره وإن لم يفهم الكاتب ذلك حق الفهم لعدم تلقيه لهذه العلوم عن أهلها

وجملة القول ان هذا الكتاب مفيد لقراء العربية في ترتيبه واسلوبه ومسائله فنشكر لمؤلفه عنايته ولعلنا نوفق الى توفيته حقه من التقريظ بعد إتمامه

***

﴿ الحراب ، في صدر البهاء والباب ﴾

كتاب جديد ألفه وطبعه في هذا العام محمد افندي فاضل بعد مجيء عباس افندي زعيم البابية البهائية الى القطر المصري ذكر في مقدمته مجيئه وما كتبته الجرائد فيه ثم قسمه الى مناطق في تاريخ البابية ودياناتهم وكتبهم وهدم أصولهم ورد أباطيلهم وقولهم بالوهية ميرزا حسين الملقب بالبهاء . وذكر فى المقدمة انه عرف من دعاة هذه الديانة بمصر أناسا يحذر المسلمين اربعة منهم هم أيديهم وأرجلهم وألسنتهم وهم (١) المرزا حسن الخراساني التاجر بالقاهرة وهو عميدهم في أمورهم المدنية

(٢) المرزا ابو الفضل محمد بن محمد رضى الجرفادقاني الايراني وهو داعيتهم ومؤلفهم

(٣) فرج الله زكي الكردي صاحب مطبعة كردستان « وهو داعية كبير »

(٤) حسين افندي روحي ابن الملا علي التبريزي وهو صاحب مجلة تدعو الى هذا الدين ... كان يصدرها في القاهرة باسم (لسان الامم) ـ الى ان قال ـ وهو الآن صاحب مدرسة في القاهرة بخط الحسينية تسمى (المدرسة العباسية) نسبة الى عباس افندي زعيمهم . ومن الغريب ان يلقي المسلمون اولادهم في هذه المدرسة وهي ـ اذا صح انها للبابية كما هو الظاهر ـ فانها أشد افسادا لعقائدهم من مدارس دعاة النصرانية لان جعل المسلم نصرانيا عسر جدا وأما افساد عقيدته بتأويل القرآن وتحريف كلمه عن مواضعه كما تفعل الباطنية والبهائية منهم فهو اسهل من كل افساد ولكن أي غفلات المسلمين ليس بالعجيب ؟ ؟

قبل كتابة هذا أخبرني بعض نبهاء النجديين عن فرج افندي الكردي أنه حذف من بعض فتاوى ابن تيمية التي طبعها حديثا على نفقة بعض أهل الخير والدين فتواه البديعة في بيان كون سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين ، وما كنت اظن ان التعصب للبابية يحمله على التصرف في كتب المتقدمين التي يطبعها ، لان هذا يبطل الثقة بجميع مطبوعاته

***

﴿ بشرى العالم ، بترك المحاربات واتفاق الامم ﴾

رسالة لفرج زكي افندي الكردي ادعى انها « تتضمن البشارات الالهية ، والبراهين العقلية ، بقرب حصول السلام ، بين الأنام » وهي عبارة عن ايهام وابهام، واستمساك بعرى الاوهام ، وجمجمة وغمغمة منها ما لم يفهم ، ومنها ما يفهم ولا يعقل، نشرها يبشر بها المسلمين بالسلام العام ، وصواعق المدافع تمزق منهم الاجسام ، وتدك المعاقل والآطام ، وقد استولى الافرنج على مملكة الغرب الاقصى من ممالكهم ، وزحفت جيوشهم الى بلاد فارس وطرابلس الغرب لاجل القضاء على الدولتين الباقيتين لهم ، كما صرحت بذلك صحفهم ،

وقد بث كاتب هذه الرسالة روح دعوة البابية البهائية في رسالته والظاهر انه ما كتبها الا لاجل هذا ، واظهر بشارته عنهم فيها هو ما نقله عن القس (وليم مور) انه « أخبر بان الرب ينزل في سنة ١٨٤٣ ميلادي (كذا) وتبعه (كذا) ألوف من الناس » (قال فرج) « وهذا الكتاب مطبوع في اميركا فعلى رأي هذا القائل يكون قد مضى من ظهوره لهذا العام (اي سنة ١٩٠٥) اثنان وستون سنة » اه يعني بهذا ظهور الباب والبهاء فان الباب اظهر دعوته الباطلة بالقرب من تلك السنة التي ذكر ذلك القس ان الرب ينزل فيها ولعلهم يطبقونها عليها . وتلك السنة توافق سنة ١٢٥٩ للهجرة وهي السنة التي قالوا ان الباب اراد ان يحج فيها ويظهر دعوته بمكة . ولكن الله صرفه فلم يتح له ذلك

فيا تعسا للدين هذه دلائله ، والقس وليم ميلر وامثاله انبياؤه ، ويا شقاء من يضيع شيئا من وقته بقراءة أمثال هذه السخافات الا من يحذر الاغرار منها ، والى الله المشتكى

باب الأخبار والآراء

﴿ سفر صاحب المنار الى الهند ﴾

(اجابة لدعوة جمعية ندوة العلماء اياه لحضور احتفالها السنوي)

جمعية ندوة العلماء في لكنوء اشهر من نار على علم وقد سبق لنا التنويه بها في المنار والكلام عن احتفالها بتأسيس مدرستها (دار العلوم) فهي جمعية اصلاحية من أنفع ما توجهت اليه همم المسلمين في هذا العصر لاحياء العلوم الدينية ووسائلها بأخذها من لغتها (العربية) مباشرة والعناية بتعليم هذه اللغة بل جعلها لغة المدرسة الرسمية . وبنشر هداية الاسلام والتأليف بين أهله ، كل ذلك معروف مشهور ، وامراء المسلمين وعقلاؤهم في الهند يؤيدون الندوة ويمدونها بالمال ، وحكومة الهند نفسها راضية عنها وتعطيها من خزينتها إعانة سنوية

كتب الي صديقي العلامة الشهير الشيخ شبلي النعماني أحد الاساطين التي قام عليها بناء هذه الجمعية ومحرر مجلتها (ندوة العلماء) بأن اركانها وأعضاءها العاملين قرروا دعوة هذا العاجز الى حضور احتفال الندوة الذي يكون في أول إبريل من هذا العام ، والتصدر في محفلها الشريف الذي يحضره العلماء الاعلام ، والامراء الكرام ، وقال أعزه الله انهم يرجون باجابتي لدعوتهم ، مزيد الاقبال من عظماء البلاد على ندوتهم ، وهذا من المبالغة بحسن ظنهم بهذا العاجز او المجاملة له ،

تعارض في إجابة هذه الدعوة الشريفة المانع والمقتضي بل ثم موانع كثيرة أهمها قرب العهد بتأسيس مدرسة (دار الدعوة والارشاد) وشدة الحاجة الى ان

يكون ناظرها ومديرها هو الذي يتولى أمرها بيده ، ولكن حق هؤلاء الاخوان العظام أركان ندوة العلماء مما لا يمكن التقصير فيه ، ولسائر اخواننا مسلمي تلك الاقطار حقوق علينا . يجب أداؤها وان لم يطالبوا بها ، كما اننا نرجو ان نستفيد في مثل هذه الرحلة من علومهم ومعارفهم ، ومن مشاهدة اهتمامهم بالعلم والاصلاح ما نحن في أشد الحاجة اليه ، فان مسلمي الهند ومسلمي مصرهم الذين يتمتعون بالحرية التي يمكنهم ان يخدموا بها دينهم وأنفسهم دون سائر المسلمين

شاورت في هذه الدعوة اخواني أعضاء مجلس ادارة جماعة الدعوة والارشاد فأجمعوا على استحسان الاجابة وأن أكون فيها ممثلا لهم لان مقصدنا ومقصد الندوة واحد وهو إصلاح التعليم الاسلامي وترقية شأن الاسلام والمسلمين . وكذلك شاورت غيرهم من الاخوان فكانت كلمة الجميع واحدة فأجبت الدعوة وعزمت ، وعلى الله توكلت ،

وكان سفرنا من القاهرة الى بور سعيد قبل ظهر يوم الثلاثاء ٢٣ ربيع الأنور وركبنا الباخرة (مولتان) من بواخر الشركة الشرقية الانكليزية وفيها كتبنا هذه السطور ، ونسأل الله التوفيق وبلوغ المقصود ،

***

﴿ مدرسة دار الدعوة والارشاد ﴾

اخترنا ان يكون فتح دار الدعوة والارشاد في ليلة تذكار المولد النبوي الشريف تفاؤلا وتيمنا بأن تكون هذه المدرسة محيية لدعوته صلى الله عليه وسلم في العالمين ، وناشرة لهداية سنته بين احق الناس بها من المسلمين ، وقد وفق الله عز وجل وأقبل طلاب القسم الداخلي في تلك الليلة المباركة على المدرسة فباتوا فيها وكانت ليلة الجمعة الشريفة . ثم بدئ بإلقاء الدروس فيها للقسمين الداخلي والخارجي يوم السبت ١٣ لربيع الأنور ولله الحمد ، ويتذكر القراء اننا نشرنا النظام الاساسي لجماعة الدعوة والارشاد في ليلة المولد النبوي من العام الماضي أيضا

وقد كان من قضاء الله وقدره ان اسافر إلى الهند في هذا الشهر بعد افتتاح المدرسة وانتظام الدروس فيها ، فاخترت ان ينوب عني في أعمالها الادارية الموقتة

الشيخ احمد العبد (بن الشيخ سليمان العبد شيخ الشافعية في الجامع الازهر) وهو مدرس العربية والفقه فيه وان يكون ذلك تحت مراقبة لجنة المدرسة ، وان يكون الذي يمضي عني والمسؤول عن عمل الناظر هو من يعينه مجلس ادارة الجماعة نائبا عني في رياسة اللجنة مدة سفري . وقد عرضت هذا الاختيار على مجلس الادارة فأقره .

﴿ مدرسة علمية في الكويت ﴾

العرب أعرق الامم في العلم والمدنية والفضائل تدل على ذلك لغتهم الراقية الواسعة . ويشهد لهم به التاريخ ، فشريعة حمورابي أقدم الشرائع المعروفة كانت عربية والشريعة الاسلامية خاتمة الشرائع ومكملتها عربية ، والمدنيتان الاشورية والمصرية اصلهما عربي وكل ما بعدهما مقتبس منهما ومبني على اساسهما كالمدنية اليونانية والرومانية

وللعرب في التاريخ القديم نومات طويلة ، تتلوها هبات ووثبات قوية ، وكانت نومتهم قبل الاسلام اطول نوماتهم زمنا ، وهبتهم بعدها اشرفها واعلاها أثرا ، وقد عادوا الى النوم بعدها وتاريخهم يصيح بهم من ورائهم ، وتلاميذهم في الحضارة يهيبون من أمامهم : النوم في هذا الزمان سبات ، فمن نام مات ، ومن مات فات ، ونحمد الله ان نراهم يستيقظون ، وان انشأوا يفكرون ويعملون ، ولكنهم في عملهم متحيرون ،

ومن أكبر المشروعات العلمية التي هي مناط الرجاء وموضع الامل ما توجهت اليه همة الشيخ مبارك آل الصباح صاحب الكويت من إنشاء مدرسة علمية دينية في بلده تكون مثابة للتربية القويمة والتعليم النافع الذي يحيي البلاد ويرقي أهلها في أنفسهم وفي أعمال معايشهم ، ويستوري زناد الذكاء العربي الكامن في فطرتهم ، وان هذا الشيخ الجليل في عقله وغيرته وسعة تجاربه ومكانه من الندرة في الامة العربية لجدير بأن يأتي هذا العمل من بابه ، وينوطه بار بابه ،

اختار ان يكون لهذه المدرسة لجنة تتولى جمع المال لها ، وتتعاون على إنشائها

وإدارتها، ليكون ذلك من تربية الامة على الاعمال الاجتماعية التي يرجى دوامها، ويجعل كثيرا من الفضلاء يغارعليها، ولو شاء لأنشأها من ماله الخاص وما ذلك على كرمه وسخائه ونجدته بكبير، وما اختاره هو الأولى والانفع إن شاء الله تعالى

تألفت اللجنة برياسة نجله الكريم الشيخ ناصر مبارك الصباح وجمعت من التبرعات لأول وهلة ما يبشر بحسن العاقبة ونجاح العمل. وكان أول من لبى الدعوة، وسبق الى تأييد هذه المبرة، صديقنا المحسن العظيم، الشيخ قاسم بن محمد آل ابراهيم، فقد تبرع لها بألفي جنيه وتبرع غيره من آل بيته الكريم بمبالغ عظيمة يليه منهم الشيخ عبد الرحمن ابراهيم

وقد كتب إلي هذا الصديق الابر الاوفى من بومباي أن لجنة المدرسة كلفته أن يطلب مني وضع برنامج للتعليم في هذه المدرسة وان أختار لها المعلمين الاكفاء فكان هذا الطلب نعمة له ولأعضاء اللجنة أن يمنوها علي إذ رأوني أهلاً لمشاركتهم في هذه الخدمة الجليلة. وقد كتبت اليه ثم الى اللجنة أسأل عن وقت فتح المدرسة وعدد من يرجى أن يكون فيها من الطلاب ودرجة معرفتهم، وغير ذلك من المسائل التي يتوقف عليها تنفيذ ما شرفوني بطلبه مني. وقد كتبت هذه النبذة قبل أن يجيئني الجواب منهم ببيان ما سألت عنه، وكنت أخرت الكتابة انتظارا لجوابهم ليكون الكلام أوسع فائدة

واتفق في أثناء ذلك ان جاءتني دعوة جمعية ندوة العلماء الهندية الى حضور احتفالها السنوي في هذا العام، واقتضت الحال أن أجيب الدعوة وأن أزمع السفر قبل مجيء الجواب من الكويت في بيان ما سألت عنه، وستكون المذاكرة الاولى في ذلك بعد وصولنا الى بومباي ان شاء الله تعالى

﴿ الحرب في طرابلس الغرب وبنغازي ﴾

بلغت أخبار انتصار المسلمين على الايطاليين في طرابلس الغرب وبنغازي الى درجة التواتر لكثرتها وتعدد رواتها بالبرقيات والرسائل ومشافهة من حضروا من ميادين القتال وهم كثيرون

وقد قال لنا غير واحد ممن شهدوا الوقائع بأنفسهم أنهم لو لم يشاهدوا بأعينهم لما صدقوا ان الامر وصل الى هذا الحد الذي يكاد يكون من خوارق العادات. وقد علمنا منهم أن الموسم في هذه السنة لم ير أهل البلاد مثله من أعوام كثيرة وان الغنائم عظيمة، وان الايطاليين قد أسرفوا في اطلاق قذائف مدافعهم من البر والبحر من غير حاجة في الغالب حتى أن العرب صاروا يقولون: هلموا بنا نضحك عليهم: فينصبون لهم قبل الفجر أشباحا فاذا رأوها في أول النهار بنظاراتهم أمطروا عليها نارا من مدافعهم قبل أن يتبينوها، وان الشجاعة التي ظهرت من العرب قد أدهشت العالم كله، فنسأل الله تعالى حسن العاقبة



﴿ في مستقبل ايران ﴾ (*)

كتب مينشيقوف في جريدة (نوفيه فريمه) بمناسبة ارسال الجنود الروسية الى ايران هكذا

يجب أن نتبصر ونتأمل جيدا في فرقنا الجزائية المرسلة الى ايران حتى لاتكون النتيجة جزاء علينا، ربما يستقبل الفدائيون عساكرنا في شمال ايران بعد الاتحاد مع أهل الخيام وعامة الايرانيين ويثورون جميعا علينا في جهات شتى وهذا الشكل من الحرب أصعب من الحروب النظامية الكبيرة لاسيما في بلاد مثل ايران التي ليس فيها شيء من السكك الحديدية وأبناؤها لايزالون بين التوحش والتمدن وهم مسلحون ببنادق الروس. وايران الشمالية ليست قوقاسا ولكنها تشابه القوقاس مشابهة تامة من جهة طبائع أبنائها وانتسابها الى مدنية الاسلام وأحوالها الاخرى. حروب فرقنا الجزائية في القوقاس امتدت ٥٠ عاما وأنفق عليها من الاموال أكثر مما أنفق على حرب بروسية في زمن القيصرة يليزاوته ولكن كانت نتيجة تلك الحروب أن ملكنا تلك البلاد الواسعة والاراضي الجيدة. لو كان الانكليز في محلنا أو النمساويون لكانوا استفادوا فوائد حتى بنسبة الالف الى المئة مما أنفقوا من

(*) معربة عن جريدة (وقت) نمرة ٨٩٥ في ٢٣ دسمبر الشرقي سنة ٩١١ الموافق ١٦ محرم سنة ١٣٣٠

الاموال لأجل استيلائهم عليها . اما ايران فأي فائدة يمكننا أن نستفيد منها ؟ ومن المعلوم أننا لانحارب حكومة ايران؟ فإذاً كيف نسترد الاموال التي ننفقها هناك ؟ توجد عساكر الروس في ايران منذ ثلاث سنين فاذا لم يكن وجودها فيها من غير شغل سببا في استتباب الامن بل سببا في تقوية الحكومة الاحتلالية فلا تكون نتيجة سكوت عساكرنا الجدد الآن غير الذي عرفنا من قبل وان كانوا الان قد إزدادوا عددا . وأما اذا أظهرت جنودنا شيئا من الحركة الفعالة فهذا يعد من الحرب

أسأل مرة ثانية من أين نسترد أموالنا التي ننفقها في ايران وجرت العادة أن يستولي المحاربون على أراضي العدو ضمانا للنفقات التي ينفقونها على الحرب ؟ فالواجب علينا اذاً اما ان ننفق النفقات الكبيرة لاجل الايرانيين تبرعا ونخمد لهم الثورات في بلادهم واما أن نحارب حقيقة ونستولي على مقاطعتي اذربيجان وخراسان ولكن إنفاق الذهب وإراقة الدماء لنفع الاجانب عادة قد قدمت فلا نعلم هل ترضى بذلك وكالة الامة (مجلس الدوما) أم لاترضى؟ . يظهر أن المقصد من إرسال فرق الجزاء هو استتباب الأمن تماما في شمال ايران وذلك لايتم الا باقامة عساكر الروس فيها مدة طويلة كما هي الحال في مصر وولايتي بوسنة وهرسك . ولا يخفى أن إشغال إيران بالجنود على هذه الكيفية يكون مقدمة لتقسيمها تماما . وأرى أن عمل ماهو المقصود بالذات حالا من غير تأخير أولى وأحسن من التطويل في الأمر من غير فائدة . لم يتداخل أحد في ضم اليابان لكورية ولا في ضم النمسة لولايتي البوسنة والهرسك . وكذلك عملت فرانسة ماأرادت في مملكة فاس ـ وان تداخلت بعض الدول ـ . وبقيت تركية وحدها (من غير نصير) في تسلط ايطاليا من غير حق على طرابلس الغرب وهكذا ...

فينبغي لروسيا اذا كانت تتوقع منافع دولة كبيرة في ايران أن لا تحجم عن أي شيء ولا عن انفاق النقود الكثيرة. لو صادف روسيا في ايران أدنى شيء من عدم التوفيق وسوء الحظ ولو وقتيا يتولد منه ثلاث فتن وهي من جهة تركية والقوقاس وتركستان فيجب علينا إنهاء العمل في ايران بسرعة زائدة و بصورة توافق مصالحنا . حفظنا الله اذا كانت تشبه حركة جنودنا في ايران الآن بحركتها في حرب

(تكه التركمان) وامتد بها الزمان حينئذ يجب أن نحسب أن قيام الثورات في القوقاس وفي تركستان واقع لامحالة . رؤساء الحركة ضد الروس في القوقاس هم الارمن وفي تركستان اليهود . أهالي تركستان أخذوا ينسون الآن تمام النسيان ما رأوا من يرمولف وأسقوبلف ويفدوكيموف وشير نايف وما دهاهم من ضربات هؤلاء الابطال . ومن الاسف أنه لايرى في الدور الاخير في تاريخ الروس مثل أولئك البواسل . وفي السنين الاخيرة أخذت البغضاء والعداوة بالتيقظ في تركستان لكل شيء أتى من جهة الروس . ووقائع انديجان وبخارى تدلان على وجود النار تحت الرماد . ومما يندهش له الانسان عدم القبض على سليم خان في القوقاس الى الآن . فاذا أصاب عساكر الروس شيء من الهزيمة في ايران فمن المؤكد بدء دور جديد لسليم خان يشبه دور الشيخ شامل في السنين الماضية . فيلزم مع إرسال العساكر الى ايران في آن واحد تقوية جنودنا في حدود تركية وفي القوقاس وتركستان . واذا لم نفعل ذلك يمكن ظهور أحوال مؤسفة جداً

وقال منشيقوف في آخر مقالته هذه : الانكليز والروس لايستعبدون الاقوام الذين يستولون على بلادهم بل يخلصونهم تخليصا وأنا أمين ومطمئن جدا أن أهالي بولونيا والهند ومصر وكوريا وفاس يستقلون من جديد بعد قرون عديدة وتكون كل واحدة من هذه الامم دولة متمدنة بعد الفوضوية الاولى ويصرن ذوات اقتدار على حفظ استقلالهن . لعل ذلك يكون أيضا أحسن وأمثل طريق لايران

﴿ أخبار شتى ﴾

(عن احوال العالم الاسلامي)

أخبار بخارى

يستعدون لاصلاح الطرق ورصف شوارع بخارى، وعدد الشوارع التي يراد رصفها بالحجارة ثلاثة وستون شارعا على ما يسمع . ولكنه بناء على احتمال أن بعض العلماء يوهمون الاهالي عدم جواز ذلك في الشريعة استنسبوا الآن اصلاح بضعة شوارع فقط . وكذلك ينقلون كراهة بعض العلماء ومعارضتهم لمشروع

تدابير وتنوير البلد بالكهربائية . ومن العجب ان أرمنيا استأجر قصرا كبيرا لمدة عشرسنين يريد فتح سينماتوغراف فيه ولم يسمع من أحد كلمة في جوازذلك أوعدمه

بخارى

ستة من ضباط أركان الحرب يتنقلون في بلاد بخارى حيث يفتشون الاحوال ويأخذون الحساب . كثير من هؤلاء المأمورين اشتهروا بموالاتهم وتحقيقاتهم في بخارى ومعهم كثير من الفرسان اه عن وقت نمرة ٨٣٦ أغسطس سنة ٩١٢

السكك الحديدية الجديدة في بخارى (*

فرقة من أغنياء تركستان رئيسهم اسكونسكي « روسي » أخذوا الرخصة من حكومة بخارى لوصل كثير من بلاد بخارى بالسكك الحديدية القصيرة الى محطات السكك الحديدية في آسيا الوسطى . وكذلك صدق السفير الروسي هذه الرخصة

ايركوتسكي

قرر رأي مجلس بلدية ايركوتسكي على اعطاء ١٦٨٠ روبل لمدرسة المسلمين هناك كل سنة . وصدق الوالي ذلك القرار بشرط افتتاح قسم اللغة الروسية للبنين والبنات في المدرسة . والمسلمون الآن هناك يطلبون أن يكون المعلم والمعلمة من المسلمين لتعليم اللغة الروسية في تلك المدرسة

حول دار المعلمين

هي مدرسة روسية خاصة بالتر تهيء منهم المعلمين لتعليم اللغة الروسية . كان في بلدة قزان في يومي الثاني والثالث من شهر أغسطس امتحان الدخول في دار المعلمين والذين يريدون الدخول فيها في هذه السنة يزيدون على سبعين . ولا يقبل منهم الا خمسة وعشرون تلميذا . وبينهم كثير من طلبة المدارس الاسلامية حتى من الذين أتموا الصنوف العالية فيها واستلموا شهادة التدريس من المشيخة الاسلامية في بلدة أوفا . وكانت تلك المدرسة تحار في أول افتتاحها من جهة عدم وجود الطلبة الراغبين بالانتساب اليها

*) عن وقت أيضاً

مسلمو الصين في منشورية

بناء على دعوة اسماعيل أفندي امام بلدة خاربين في منشوريا ذهبنا الى بلدة « فودزه دن » وتفرجنا على مساجد مسلمي الصين ومكاتبهم . الفرق قليل بين مساجدهم ومساجدنا . وهذا الفرق هو مثل عدم وجود المنارة وصورة الهلال في مساجدهم ووجودهما في مساجدنا، ومزين داخل مساجدهم بأنواع البسط وخصوصا بمصابيح الكهرباء (كذا)

يرى الداخل قرب الباب من الطرف الايمن صورة ثعبان كبير من الحجر مصبوغ بعدة ألوان وهو شعار دولة الصين وقد بلغنا أنهم مجبورون على وضعه في كل مسجد من مساجدهم . وهم لا يصلون في مساجدهم غير الجمع والاعياد . ولا يوجد في الجمع أكثر من ثمانين شخصا

ورأينا في فناء المسجد بيتا للمسافرين يوجد فيه في كل وقت مقدار عشرة من الغرباء والمسافرين . ويبلغ عددهم في أيام الجمع والاعياد أربعين أو أكثر والخدمة في هذا البيت واطعام الضيوف (المسافرين) فيه مجانا في يد واحد من أغنيائهم، وسائر الحاجات منوطة بأهالي المحلة . ويوجد بقرب دار المسافرين حمام ذو ثمان حجرات لاغتسال من يريد . وفيه الماء الفاتر والمناشف والخدمة وهو مفتوح في كل وقت، ودخلنا مكتبهم فاذا هو أحط وأدنى من حمامهم . ولكن بنوا في هذه السنة مكتبا بهمة واحد من أغنيائهم ولا بأس به . وعمروا القديم وجعلوه لسكنى الامام . والطلبة في مكتبهم قليلون جدا وكان عددهم في الشتاء عشرة فقط وهم أولاد أئمة القرى . أما التجار والزراع فهم لا يفكرون في تعليم أولادهم ولا يشعرون بالحاجة اليه فلا يوجد في المكتب تلميذ واحد من هذه البلدة وفيها ٣٠٠ بيت فيقاس على حال تلك البلدة أحوال مسلمي بلاد الصين الأخرى

مسلمو هذه البلاد لا يطلبون العلم إلا بقدر مايوجد امام بعد موت كل امام وهم مع جهالتهم هذه متعصبون لدينهم غاية التعصب فهم لا يختلطون بالترقط

لانهم أي « التتر » يأكلون لحم الفرس و يشربون الدخان ومنهم من لا يقصون الشارب حتى انهم يعدونهم من الكافرين . يوجد في محلة التتر عشرة من بيوت مسلمي الصين رجال بيتين منهم قد يصلون الجمع والاعياد في مسجد التتر أما الباقون فهم يذهبون الى مساجدهم في (فودزه دن) وان بعدت عليهم الشقة

تفتيش كتبخانه شيلابي

في ١١ يوليو وقت الظهر تماما أجرت شرطة شيلابي تفتيشا في دار كتب (كتبخانة المسلمين ودام التفتيش ساعة ونصف ساعة وأخذوا الكتب التي تذكر أسماؤها بعد للنظر والمطالعة وهي: تفسير الفاتحة، الاسلام والنصرانية، ترجمة تاريخ أفغان، فرياد، سياحت الكبرى، وجدان محاكمه‌سي خيوه ، صلاح الدين أيوبي، دور عالم، أوكى بالالر (يعني الأيتام) ، يابون محاربه‌سى ، روسيه مسلمانلرينك احتياجلرى، روسيه ايله تركيه محاربه سى ، زندان ، ملت قايغوسى ، مرآت مجله سى ، دارونكيكه رديه يعني (الرد على داروني) ، حقيقت يازغى تويباش، الشمس الربيعية، اشعار مير عزيز الاوقاصى، صبح صادق ، مجلات المنار، العصر الجديد ٥٧ كتابا أيضا جلدت بتلك الكتبخانة المار ذكرها . وكان التفتيش بسعاية واحد من شبان التتر المستفيد باستعارة بعض الكتب من هذه الكتبخانة

الاعانات الطبية

خصصت الحكومة لصحة المهاجرين في ولايتي أورغال وتورغاي ١٨١٠٠٠ روبل وقد لا يصيب جميع مسلمي الولايات الشرقية هذا المقدار من الاعانات الطبية

استفادة الناس من الكتبخانة

استفاد بمطالعة الكتب في الكتبخانة الاسلامية « نجات » ببلدة طروبسكي من أول السنة الى شهر يوليو (أو أغسطس) أحد عشر ألف شخص وأكثر الاستفادة كان في شهري فبراير ومارس ثم يناير وفي يونيو كان ٧٣٤ شخصا فقط

وفاة عالم مأسوف عليه

توفي في أول أغسطس امام قرية بيوك قارامالي في لواء نتوش التابع لولاية « قزان » محمد عالم بن خالد وكان عمره خمسا وثمانين سنة رحمه الله . ومدة امامته في تلك القرية ٥٥ سنة . كان رحمه الله على ما يروون يشتغل زمن شبابه في الصيف على شاطئ نهر فولغا بسبب فقر أبيه أو يعلم أولاد القوزاق ويكسب من ذلك شيئا من النقود ثم يدخل المدرسة ويجتهد في تحصيل العلم . وبعد امامته كان مثالا حسنا لقومه باجتهاده وجوده وأعماله المفيدة الاخرى . بنى باجتهاده مدرسة لتعليم أولاد المسلمين وعلم كبار القرية علم تربية النحل وتربية الحدائق والاشجار المثمرة مثل التفاح حتى صارت القرية مثل مصيف محاطة بالحدائق والاشجار المثمرة . وكان لا يطمع بشيء من الناس وفضلا عن ذلك كان ينفق كثيرا من أمواله في الخيرات مثل تعمير المسجد والمدرسة ومجاري المياه

منذ زمان غير بعيد بنى أهالي هذه القرية التي كانت أولا مشهورة بالفقر المدقع مسجدا كبيرا ومدرسة جيدة من غير طلب اعانة من الخارج . ويعلمون أولادهم فيها على الاصول الجديدة . وكذلك فتحت فيها مدرسة ابتدائية لتعليم اللغة الروسية ويوجد الآن فيها كثير من متخرجي المدارس الثانوية الروسية ، كل ذلك باجتهاد وارشاد ذلك العالم الفاضل الذي توفي يوم الاثنين أول هذا الشهر

وخلف أربع بنات وستة بنين ، واحد منهم الآن في مدرسة الصنائع في بلدة قزان والثاني في مكتب التجارة والآخرون أئمة مثل أبيهم ، وكان رحمه الله حليما سخيا ولم يدع مدة عمره احدا جاء بيته من طالبي المعروف من غير أن يسعفه حتى انهم ينقلون عنه انه دفع عدة مرات ثوبه الاخير للمحتاجين ، وكان يشتغل الى حد مرض موته في حديقته وهو محتذ حذاء الفلاحين وكان جيد السمع ويطالع الكتب والجرائد من غير عوينات (نظارات) ولم يترك صلاة ولا صياما منذ بلوغه جعله الله في رحمته الواسعة وألهم أهل بيته الصبر الجميل

واحد من الحاضرين لجنازته

السيد حسين وصفي رضا

﴿ أقوال أهل الفضل فيه ﴾

......

وعدنا في الجزء الماضي بكتابة نموذج من تعازي سائر البلاد والاقطار وانجازا للوعد ننشر ما يلي

(١٢)

وكتب الينا علم العلم والفضل في العراق العربي العلامة السيد محمود شكري افندي الآلوسي

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الى حضرة الامام الهمام ، وقدوة العلماء الاعلام ، سيدي السيد محمد رشيد رضا ، الهمه الله الصبر والرضا على ماقدر وقضى ، أما بعد فقد طرق سمعي ، ما أجرى دمعي ، من الخبر الذي نشرته صحف بلاد الشام ، وكدرت به قلوب الاسلام ، من نعي الصنو الكريم ، والاخ البر الرحيم ، سمي جده الامام الحسين ، ووارثه في الفوز بالشهادتين ، ووالله لقد تجددت عليّ مصيبة ابن العم فابتليت بمصيبتين

وفي كل يوم للمنايا رزية ... تكاد لها الاكباد ان تتفطرا
تهيج احزانا وتبعث زفرة ... وترسل في فقد الاحبة منذرا
تكدر اخوان الصفا في انبعاثها ... وأي صفاء لامرئ ماتكدرا

فأسفا على شبابه ، ولهفا على فضائله وآدابه ، ولعن الله قاتله وضاعف عليه مزيد عذابه ، ولعمري انها لمصيبة تتفتت لها القلوب ، وتتصدع منها الصخور وتذوب ، الهمك الله الصبر الجميل ، وضاعف لك الاجر الجزيل ، وصرف عنك فوادح

الضراء ، ووقاك محذور الارزاء ، ووفقك فيما أصابك لعزائم العزاء ، واحق كلمة يقولها المحزون ، انا لله وانا اليه راجعون ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،

بغداد في ٢٠ صفر سنة ١٣٣٠ العبد

السيد محمود شكري

(١٣)

وكتب الفاضل المخلص والعامل في سبيل الاصلاح السيد عوض سعيدان

الحمد لله

مولاي الاستاذ الرشيد أدام الله وجوده

سلام الله عليكم أهل البيت

قرأت بالجرائد نعي اخينا السيد حسين وصفي شقيقكم الفاضل فأظلمت الدنيا في عين محبكم هذا . وقد حصل لنعيه رنة أسف بين أدباء هذه البلاد وستقام صلاة الغائب عليه بها (يوم الجمعة) بالجامع الكبير وقد عرف السيد هذا بعلو الهمة والغيرة الوطنية التي تجلت فيه عند بزوغ شمس الدستور بالبلاد العثمانية وان مثل الفقيد اذا ظهر بذاك المظهر فهو اليق الناس به اذ هو من صميم السادات الاشراف ، الذين لهم على الناس الاشراف ، فهم صنائع ربهم ، والناس بعد صنائع لهم . فأحسن الله عزاكم وعظم أجركم واخلفه علينا وعليكم بخلف صالح . وقد وصلتني كتب أعظم تعزية من بعض الاخوان وأحدهم يقول : ان المسلمين بهذه الاطراف يكابدون من أنواع الهموم ماالله عالم به وزادهم نعي ثقة الاسلام بفاس وذبول غصن الادب بالشام . (يعني الفقيد) فانا لله وانا اليه راجعون . رحمه الله وغفر له آمين

محب الفقيد

سنغافوره ١٩ صفر سنة ١٣٣٠ عوض سعيدان

(١٤)

وكتب العالم العامل السيد عبد الله بن محمد بن صالح الزواوي مدرس التفسير في الحرم المكي الشريف

الحمد لله وحده

حضرة محترم المقام الفاضل الأمجد الاستاذ العلامة السيد محمد رشيد رضا افندي حفظه الله

بعد اهداء جزيل السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ومغفرته ومرضاته . موجبه بعد السؤال عن عزيز الخاطر العاطر اعلامكم بتكدر خاطرنا مما رأيناه في جريدة الحضارة بوفاة من قدس الله روحه الى الجنة اخيكم المرحوم المغفور له السيد حسين وصفي رحمه الله رحمة الابرار ، واسكنه جنات تجري من تحتها الانهار ، ولقد ساءني جدا هذا النبأ الفاجع عظم الله اجركم واحسن عزاكم وطرح البركة في عمركم وعملكم وفي عمر اخوانكم وتكونون خير خلف لخير سلف

ثم انني واجهت محب الطرفين الشيخ محمد حسين افندي نصيف وزاد كدري ما اخبرني به من انه رأى في جريدة طرابلس انه كان وفاة الفقيد المرحوم العزيز بيد اثيمة كافأها الله سبحانه بعدله بما تستحقه ، وأنال الفقيد المرحوم بها السعادة وفاز بها ، فلقد كان في حياته مجاهدا اعز جهاد وعضدا لفضيلتكم في جهادكم الذي ارجو من الله سبحانه وتعالى لكم به زيادة الاجر وحصول النتاج الظاهر الذي ترونه وتقر به عينكم مع طول عمركم وحصول البركة في اعمالكم وتنالوا بذلك سعادة الدارين ويحصل لكل محبيكم كل ما املوه من النتايج الحسنة ثم اني ارجو ابلاغ جزيل سلامي مع سنة العزاء اخوانكم الكرام وكل من تحبون وارجو لا تزروا علي في عدم المكاتبة فانكم لا تزالون في خاطري على الدوام وقائم بوظيفة الدعاء لكم تجاه بيت الله الحرام ولما ذكر حرر والسلام عبدالله محمد صالح

من مكة المشرفة ١٥ ص سنة ١٣٣٠ الزواوي

(١٥)

وكتب العالم المحقق والدراكة المدقق السيد هبة الدين الشهرستاني الحسيني صاحب مجلة « العلم » بالنجف ، ننشر من كتابه ما يأتي قال :

بتاريخ ٢٤ شهر صفر ١٣٣٠ هـ

(الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة) الخ قرآن عظيم

حضرة العلامة الكامل استاذ الافاضل دام ظله وكثر مثله

بعد اهداء اسنى سلام وازكى تحية ، الى تلك الحضرة القدسية ، اداها رب البرية ، وبث الاشواق الخالصة القلبية ، ولا يذهب عن فطنتكم ما اصابنا لما اصابكم فاحزن القلب وأجرى الدمع ومن مصيبة ما اعظمها ورزية ما اكبرها وامضها وقد اثارت في صدورنا الاحزان بها الشرار ، وأسدلت الهموم على قلوبنا منها الاستار ، منذ أبلغتنا الصحف نعي سعادة الاخ الفاضل قطب رحى الفضايل وانه مضى شهيدا بعد ما عاش سعيدا ولا غرو فانه من اهل بيت اصبح القتل لهم عادة ، وكرامتهم من الله الفوز بالشهادة ، وقد اخذ الحزن منا مأخذه ، واسفنا عليه اسفا فايق الوصف لولا سلوتنا بمثل سيادتك ، ملاذاً للامة ، ومعاذا من كل غمة ، ومعقدا آمال الباقين ، وجمالا للاسلام وثمالا للمسلمين ، وقد بلغني هذا النبأ الموحش ، وانا اذ ذاك في كاظمية بغداد مهاجرا اليها مع علماء النجف فذكرت لهم ذلك النبأ المفجع ليشتركوا معي في الحزن فعمنا الاسف جميعا والتفجع على فقيد العلم والدين والادب الخ

(١٦)

وكتب العالم المستشرق الفرنسي موسيو لويز ماسنيون وهو من اصدقاء الفقيد الخلص ننشر كتابه كما ورد وهو

الى حضرة الشيخ الافضل ، شقيق صديقنا المرحوم وصاحب القلم الصدوق السيد رشيد رضا الافخم سلمه الله تعالى

اما بعد السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته فقد وجعنا كثيرا خبر وفاة

شقيقكم المرحوم السيد حسين وصفي رضا لان له في قلوب اصحابه مقاما خاصا من الخواص وكان في رجائي ان ألتقي معه لو شاء الله عن قريب لتتجدد بالمخاطبات صداقتنا ، كان فتى كامل الفتوة من اشرف الناس همة ومنصبا ، ولما كنا بلطف الرب عز وجل نجتمع معه في مصر كنا نفهم انه فوقنا رتبة عند الله تعالى لشجاعته واجتهاده وصفاء نيته رحمه الله تعالى رحمة واسعة

زكي النفس ازكى الحياة مثله مثل الذين « كانت مطاياهم من مكمد الكظم » مضوا ولا عين ولا اثر وراءهم الا الألم يبقى في قلوبنا تحت توكل عقولنا للخالق مثل خمود نار الغبوق تحت الرماد في الليلة بين الاثافي. مثل الموت مثل الغروب وما انسى ما قال ابو بكر الشبلي البغدادي في المعنى

« انما تصفر الشمس عند الغروب لانها عزلت عن مكان التمام فاصفرت لخوف المقام وهكذا المؤمن اذا قارب خروجه من الدنيا اصفر لونه فانه يخاف المقام ، واذا طلعت الشمس طلعت مضيئة منيرة كذلك المؤمن اذا خرج من قبره خرج ووجهه مشرق مضي · »

هذا ولكم منا السلام وكل احترام لكم ولآلكم ولمن يعز عليكم ودمتم سالمين مجتهدين مع « مناركم » المنير

الفقير اليه سبحانه
عبده
لويز ماسنيون

في باريز يوم السبت ١٠ شباط سنة ١٩١٢   ٢١ صفر سنة ١٣٣٠

(للتعازي بقية)

(تنبيه) وقع غلط في ترتيب سطور صفحة (٩٢) من الجزء الثاني فان حق السطر الاول فيها وأوله (ولا يحسبوا) ان يكون في آخرها وقد رجعنا السطر المذكور وطبعنا مثله وألصقناه في آخر الصفحة المذكورة في بعض الاجزاء فليتنبه له في البعض الآخر

المنار

١٣١٥

مجلة شهرية تبحث في فلسفة الدين وشؤون الاجتماع والعمران

« تصدر في كل شهر عربي مرة »

لمنشئها

السيد محمد رشيد رضا

عنوانها (مصر — ادارة مجلة المنار) والتلغرافي « المنار بمصر »

المجلد الرابع عشر

سنة ١٣٢٩

قيمة الاشتراك عن سنة ستون قرشا صحيحا في مصر والسودان وفي المملكة العثمانية ثلاثة ريالات ونصف وفي الخارج ٢٠ فرنكا و١٧ شلنا في الهند و٨ روابل في روسيا والدفع سلفا

الطبعة الاولى

(طبع بمطبعة المنار بشارع مصر القديمة)

﴿ فهرس عام لجميع المواد التي وردت في المجلد الرابع عشر ﴾

هذا الفهرس يشمل أكثر المسائل المهمة في هذا المجلد. والاصفار التي عن يسار الارقام فيه تشير الى ان المسألة مكررة في ذلك السياق. ويليه فهرس للاحاديث المخرجة والمفسرة وفهرس للمطبوعات التي ذكرت في هذا المجلد وآخر لاسماء الكتاب الذين لهم كتابات فيه وقد راعينا الترتيب الهجائي في الكلمة الثانية اذا كانت الكلمة التي قبلها تماثلها

صفحة

صفحة

ب

صفحة

(ت — ث)

صفحة

د — ذ

ر — ز

س

ش

ص ــ ض

ط ــ ظ

ع ــ غ

ف

ق

ك ـ ل

م

صفحة

صفحة

﴿ فهرس لمعظم الاحاديث التي وردت في هذا المجلد ﴾

(مخرجة أو مفسرة أو مستشهدا بها)

﴿ فهرس الكتب والرسائل والقصص «الروايات» ﴾

(المقرظة في هذا المجلد)

فهرس المجلات والجرائد

فهرس اسماء الكتاب الذين لهم كتابات في هذا المجلد

المنار

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا أولو الالباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كنار الطريق

﴿ مصر سلخ ربيع الآخر ١٣٣٠ هـ ق – ٢٧ الربيع الاول ١٢٩١ هـ ش ١٧ ابريل ١٩١٢ م ﴾

باب تفسير القرآن الحكيم

مقتبس فيه الدروس التي كان يلقيها في الازهر الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه

(١١٦ : ١١٧) إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ، وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا (١١٧ : ١١٨) إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا (١١٨) لَعَنَهُ اللهُ ، وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا (١١٩ : ١١٩) وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ ، وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللهِ . وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللهِ

فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا (١٢٠ : ١٢٠) يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا (١٢١ : ١٢١) أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا (١٢٢ : ١٢٢) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا

بين الله لنا في الآية التي قبل هذه الآية أن جهنم هي مصير من يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين ، وكلا هذين الامرين كان يكون في زمن الرسول ظاهراً جليا بمثل ما فعل طعمة من ترك صحبة النبي والمؤمنين ، وموالاة أعدائهم من المشركين ، كما يظهر ذلك في عصره وغير عصره في كل من بلغته دعوته وتبين له الهدى فيها فتركها وعادى أهلها ووالى أعداءهم ، فان مشاقة ما جاء به الرسول (ص) مشاقة له . ولكن وراء ذلك انواعا من الكفر والضلال لا يصدق على كل واحد منها انه مشاقة للرسول واتباع لغير سبيل المؤمنين ، كما بينا ذلك في تفسير تلك الآية وقلنا : ان كل صنف من اصناف الضالين يوليه الله ما تولى ويوجهه الى حيث توجه بكسبه واجتهاده لأن الله تعالى وكل امر النوع الانساني الى نفسه ، إلا ان يختص من شاء من الناس برحمة من لدنه . وبقي علينا ان نعرف ما يجوز ان يغفره الله تعالى للناس من أنواع ضلالهم وخطاياهم وما لا يغفره لهم البتة فان هذا مما يحتاج اليه في هذا المقام فبينه تعالى بقوله ﴿ إن الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ وقد تقدم هذا النص بعينه في سياق آخر من هذه السورة ولم يمنع ذلك من إعادته هنا لان القرآن ليس قانونا ولا كتابا فنيا فيذكر المسألة مرة واحدة يرجع اليها حافظها عند ارادة العمل بها وانما هو كتاب هداية ومثاني يتلى لأجل الاعتبار والاستبصار تارة في الصلاة وتارة في غير الصلاة ، وانما ترجى الهداية والعبرة بإيراد المعاني التي يراد ايداعها

في النفوس في كل سياق يوجه النفوس اليها أو يعدها ويهيؤها لقبولها ، وإنما يتم ذلك بتكرار المقاصد الاساسية من تلك المعاني ، ولا يمكن ان تتمكن دعوة عامة في النفوس الا بالتكرار ، ولذلك نرى أهل المذاهب الدينية والسياسية الذين عرفوا سنن الاجتماع وطبائع البشر واخلاقهم يكررون مقاصدهم في خطبهم ومقالاتهم التي ينشرونها في صحفهم وكتبهم ، بل قال بعض علماء الاجتماع : إن نشر التجار للإعلانات التي يمدحون بها سلعهم و بضائعهم ويدلون الناس على الاماكن التي تباع فيها هو عمل بهذه القاعدة فان الذهن اذا تكرر عليه مدح الشيء ولو من المتهم في مدحه لا بد ان يؤثر فيه ،

وقال الاستاذ الإمام تقدم صدر هذه الآية في هذه السورة وتتمتها هناك « ومن يشرك بالله فقد افترى إثما مبينا » وقد تقدمها هنالك إثبات ضلال أهل الكتاب وتحريفهم ودعوتهم الى الايمان بما أنزله الله على نبيه مصدقا لما معهم ، فقد بين لهم ان اتباع الرسول فيما جاء به والتسليم له درجات ـ فمنها ما تغلب النفوس على مخالفته نزوات الشهوة وثورات الغضب ثم يعود صاحبه ويتوب ، فهذا مما قد تناله المغفرة ، واما التوحيد الذي هو اساس الدين فلا يغتفر الميل عنه الى ضرب من ضروب الشرك . والآيات التي قبل هذه الآية تفيد ان السياق هنا كالسياق هناك فأعادها لذلك المقصد وهو بيان ان مشاقة الرسول ومخالفته انما تكون بالخروج عن التوحيد والوقوع في الشرك لان التوحيد روح الدين وقوامه ، فالمناسبة هنا تقتضي ان يعاد هذا المعنى ، وهي اعادة تنادي البلاغة بطلبها ولا تعد من التكرار الذي قالوا انه ينافي البلاغة ، فان هذا إنما يتحقق اذا كان المخاطبون قد فهموا منك معنى تمام الفهم كما تريد ثم ذكرته لهم بعبارة لا تزيدهم فائدة ولا تأثيرا جديدا ولا تمكينا للمعنى . وأما ما يفيد شيئا من هذا الذي ذكرناه فهو الذي تقتضيه البلاغة اه

أقول إن هذا يقال على تقدير كون القرآن يوجه الى كل فرد من افراد المكلفين وانهم جميعهم يسمعونه أو يتلونه كله ويتذكرون عند كل سياق ما يناسبه في غيره ، وإذا أنت تذكرت ان الله تعالى يعلم ان الامر لا يكون كذلك وانه ربما

يسمع ذلك السياق الذي جاءت هذه الآية فيه من لم يكن سمع ذلك السياق الذي جاءت فيه الاخرى سواء كان ذلك في الصلاة او غير الصلاة ، فانك تجزم بأنه لا محل لجعل هذه الآية من التكرار الذي يفرون منه ، لانه في هذه الحال يكون من قبيل ذكر الشاعر لمعنى من المعاني في قصيدتين يمدح في كل واحدة منهما رجلا غير الذي يمدحه في الأخرى . وعلى هذا لايتجه قول جمهور المفسرين الذين اطلعنا على كتبهم ان هذا التكرار للتأكيد — والتأكيد تكأتهم في تعليل كل تكرار — وإنما نقول هذا على تقدير كون التكرار المحض منتقدا ومخلا بالبلاغة وقد علمت انه ليس كذلك بل هو ركن البلاغة الركين الذي لا يبلغ المتكلم مراده من النفس بدونه

وأما معنى « ان الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء » فهو ظاهر ونقدم في تفسير الآية السابقة ولا يصدنا ذلك أن نقول فيه شيئا هنا نرجو أن يكون مفيدا : أكد الله للناس أنه لايغفر لاحد شركه به ألبتة وانه قد يغفر لمن يشاء من المذنبين مادون الشرك من الذنوب فلا يعذبهم عليه ، وقد بينا في التفسير وفي بعض مباحث المنار أن عقاب الله تعالى للمذنبين هو أثر طبيعي لذنوبهم ، وما تحدثه من الصفات القبيحة في أنفسهم ، فكما ان السكر يحدث في البدن أمراضا يتعذب صاحبها بها في الدنيا يحدث هو وغيره من الشرور والخطايا امراضا في القلوب والارواح يتعذب بها صاحبها في الآخرة . وكما ان قوة البدن وصحة المزاج تغلب بعض جراثيم الامراض فلا يظهر لها تأثير مؤلم يعذب صاحبه كذلك قوة الروح بالتوحيد وصحة مزاجها بالايمان والفضائل تغلب بعض المعاصي التي قد يلم بها المؤمن بجهالة أو نسيان ثم يتوب منها من قريب . ولكن قوة البدن لاتدفع مايعرض للقلب فيقطع نياطه أو للدماغ فيتلفه ، كذلك الشرك يشبه في إفساده للارواح مايصيب القلب أو الدماغ من سهم نافذ أو رصاصة قاتلة ، فلا مطمع في النجاة من العقاب عليه

ذلك بأن الشرك في نفسه هو منتهى فساد الارواح وسفاهة الانفس وضلال العقول فكل حق أو خير يقارنه لايقوى على اضعاف شروره ومفاسده . والعروج الى جوار الله تعالى بروح صاحبه ، فان روحه تكون في الآخرة على ما كانت في

الدنيا متعلقة بشركاء يحولون بينها وبين الخلوص اليه عز وجل والله لايقبل الا ما كان خالصا له ، والمذنب قد يكون في إيمانه وسريرته خالصا لله عبداً له وحده فالعبد المملوك قد يعصي وقد يأبق فلا العصيان ولا الإباق يخرجانه عن كونه عبدًا لسيد واحد ، ولسيده ان يعاقبه وان يعفو عنه ، ولا يغفر له أن يجعل نفسه عبدًا لغيره لاقنا ولا مبعضا « ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا ؟ الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون » بل هم يجهلون أن شركاءهم الذين استكبروا امتيازهم عليهم بعلم أو عمل غير معتاد كبعض الانبياء والاولياء والملوك ، كل هؤلاء عبيد أمثالهم لاينبغي أن يكون لهم شركة ما في مقام العبادة لا بدعاء ولا نداء ، وكذلك ما استكبروا خلقه أو نفعه أو ضره كالكواكب والنار وبعض الانهار والحيوانات . « ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم » « أولئك الذين يدعون » أي يدعونهم ويتوسلون بهم هم « يبتغون الى ربهم الوسيلة » التي تقربهم اليه زلفى وهي التوحيد والاخلاص والعمل الصالح « أيهم أقرب » أي أقربهم واعلاهم منزلة كالملائكة والمسيح يبتغي هذه الوسيلة اليه عز وجل « ويرجون رحمته ويخافون عذابه » وان اعرفهم به أشدهم خوفا منه ورجاء في فضله ورحمته . ولكن أكثر الناس لايعلمون ذلك كما قال عز وجل فتجد الملايين منهم يدعون المسيح ويوجهون كل عبادتهم اليه وحده تارة ، ويذكرون اسم الله مع اسمه تارة أخرى ، وتجد ملايين من دونهم يدعون وينادون مَن دون المسيح من الاولياء ، ويصمدون الى قبورهم أو الى الصور والتماثيل التي اتخذها قدماء المفتونين بهم تذكارا لهم ، واني أكتب هذا في ضواحي مدينة (دهلي من أعظم مدن الهند) وأنا أرى أصنافا من هؤلاء المشركين يجولون أمامي في مصالحهم « ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم » وانما هؤلاء المعبودات أو الاولياء ، وسائط بيننا وبينه وشفعاء « ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله » ولكن الله تعالى لايقبل العبادة الا خالصة لوجهه من كل شائبة « انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين ، ألا لله الدين الخالص ، والذين اتخذوا من دونه أولياء : ما نعبدهم

الا ليقربونا الى الله زلفى ، ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون ، ان الله لا يهدي من هو كاذب كفار »

ومن الناس من يسمون انفسهم موحدين ، وهم يفعلون مثلما يفعل جميع المشركين، ولكنهم يفسدون في اللغة كما يفسدون في الدين ، فلا يسمون أعمالهم هذه عبادة، وقد يسمونها توسلا وشفاعة ، ولا يسمون من يدعونهم من دون الله او مع الله شركاء ، ولكن لا يأبون ان يسموهم أولياء وشفعاء ، وانما الحساب والجزاء على الحقائق لا على الاسماء ، ولو لم يكن منهم الادعاء غير الله ونداؤه لقضاء الحاجات ، وتفريج الكربات ، لكفى ذلك عبادة له هو وشركا بالله عز وجل ، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « الدعاء هو العبادة » رواه ابو داود والترمزي وقال : حسن صحيح وفي رواية ضعيفة « الدعاء مخ العبادة » والاولى تفيد حصر العبادة الحقيقية في الدعاء ، وهو حصر على سبيل المبالغة كأن ما عدا الدعاء لا يعد عبادة بالنسبة اليه .

وقد قالوا ان هذا الحديث من قبيل حديث « الحج عرفة » اي هو الركن الاهم الذي لا يعتد بغيره عند تركه ، ومن تأمل تعبير الكتاب العزيز عن العبادة بالدعاء في اكثر الآيات الواردة في ذلك وهي كثيرة جدا يعلم كما يعلم من اختبر أحوال البشر في عباداتهم ان الدعاء هو العبادة الحقيقية الفطرية التي يثيرها الاعتقاد الراسخ من أعماق النفس ولا سيما عند الشدة ، وأن ما عدا الدعاء من العبادات في جميع الاديان فكله أوجله تعليمي تكليفي يفعل بالتكلف وبالقدوة وقد يكون في الغالب خاليا من الشعور الذي به يكون القول او العمل عبادة وهو الشعور بالسلطة الغيبية التي هي وراء الاسباب العادية . حتى إن الادعية التعليمية في جميع الاديان قد تكون خالية من معنى العبادة وروحها الذي ذكرناه سواء دعي بها الله وحده او دعي بها غيره معه ، ولا سيما الادعية الراتبة في الصلوات الموقوتة او في غير الصلوات ، فان الحافظ لها يحرك بها لسانه في الوقت المعين وقلبه مشغول بشيء آخر ، انما العبادة جد العبادة في الدعاء الذي يفيض على اللسان من سويداء القلب وقرارة النفس ، عند وقوع الخطب ، وشدة الكرب ، والشعور بشدة الحاجة الى الشيء ، واستعصاء

الوسائل اليه ، وتقطع الاسباب دونه ، ذلك الدعاء الذي تسمعه من أصحاب الحاجات ، وذوي الكربات ، عند حدوث الملمات ، وفي هياكل العبادات ، ولدى قبور الاموات ، ذلك الدعاء الخالص الذي يغشاه جلال الإخلاص ، ويمثل كل حرف من حروفه معنى الخشوع التام ، وناهيك بما يفجره هذا الخشوع ، من ينابيع الدموع ، ذلك الدعاء الذي يستغله سدنة الهياكل ، ويستثمره خدمة المقابر، ويضن به ويدافع عنه رؤساء الاديان ، لأنه أشد اركان رياستهم على العوام، ومنهم من يضن به ، لانه لا يرى للجمهور الجاهلين غنى عنه ، ولا يرى في حيز الامكان استبدال التوحيد به ، على ان الموحدين اعلى إخلاصا ، واشد حبا لله وخشوعا ، « ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا اشد حبا لله » (١)

﴿ ومن يشرك بالله ﴾ اي ومن يشرك بالله أحدا أو شيئا فيدعوه معه ، ويذكر اسمه مع اسمه ، او يدعوه من دونه ، ملاحظا في دعائه انه يقربه اليه زلفى ، او غير ملاحظ ذلك ولا متذكر له ، وان كان بحيث لو ذكر به لذكره ، وهذا النوع من الشرك في العبادة الذي يتجلى في الدعاء هو أقواها لأن الاعتقاد فيه يكون وجدانيا حاكما على النفس مستعبدا لها ، ودونه الشرك المبني على الفكر والنظر الذي يحاجك صاحبه بالشبهات المشهورة المنتزعة من تشبيه الخالق بالمخلوقين، وقياسه على الملوك الظالمين ، كقولهم : ان الإنسان المذنب الخاطئ والضعيف المقصر ، لا يليق به ان يخاطب الإله العظيم كفاحا ، ولا ان يدعوه مباشرة، بل عليه ان يتخذ له وليا يكون واسطة بينه وبينه ، كما يتخذ آحاد الرعية الوسائط الى الملوك والامراء من المقربين اليهم ، وقد يكون صاحب هذه العقيدة النظرية مقلدا فيها بالرأي والقول – الذي يسميه حجة ودليلا – سليم الوجدان من تأثيرها لعدم التقليد فيها بتكرار العمل فهو لا يلابسه الا قليلا ، وكذلك من يشرك في ربوبية الله تعالى باتخاذ بعض المخلوقين شارعين يحلون له ما يرون تحليله ، ويحرمون عليه ما يرون تحريمه ، فيتبعهم في ذلك – من يشرك بالله اي نوع

(١) راجع تفسير هذه الآية وما بعدها في الجزء الثاني من التفسير

من انواع الشرك ﴿ فقد ضل ﴾ عن القصد وتنكب سبيل الرشد ، ﴿ ضلالا بعيدا ﴾ عن صراط الهداية ، موغلا في مهامه الغواية ، لانه ضلال يفسد العقل ويدسي النفس ، فيخضع صاحبه و يستخذي لعبد مثله ، ويخشع و يضرع أمام مخلوق يحاكيه أو يزيد عليه في عجزه ، فيطيع من لا يطاع ، و يرجو ولا موضع للرجاء ، ويخاف ولا موطن للخوف ، ويكون عبدا للاوهام ، عرضة للخرافات ، لا استقلال لعقله في ادراكه ، ولا لإرادته في عمله ، بل يكون عقله ورأيه وإرادته في تصرف بعض المخلوقات التي لا تملك له ولا لأنفسها نفعا ولا ضرا ، ولا هداية ولا غواية « قل اني لا املك لكم ضرا » ولا نفعا ، ولا غواية « ولا رشدا ، قل اني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدا ، الا بلاغا من الله ورسالاته » فهذا أعلى وأعظم ما أعطاه الله تعالى للمصطفين الاخيار من عباده ، وميزهم به على سائر عباده ، وهو تبليغ رسالته ، والدعوة الى دينه ، من غير ان يكونوا مسيطرين ولا جبارين ، ولا آلهة أو اربابا معبودين ، « قل إنما انا بشر مثلكم يوحى اليّ انما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا »

فعلم من هذا ومما بيناه من قبل في مثل هذا البحث ان سبب عدم مغفرة الله للشرك مع جواز غفران غيره يؤخذ من قاعدتين (إحداهما) إن الجزاء في الآخرة هو بسلامة الارواح وسعادتها اوهلاكها وشقاوتها ، هو تابع لما تكون عليه في الدنيا من سلامة الفطرة وصحة العقيدة ، ودرجة الفضيلة التي يلازمها فعل الخيرات ، وعمل الصالحات ، أو فساد الفطرة ، وخطأ العقيدة ، والتدنس بالرذيلة ، (الثانية) ان لما يكون الناس عليه من الامرين درجات ودركات ، اسفلها وأخسها الشرك ، وأعلاها كمال التوحيد ، ولكل منهما صفات وأعمال تناسبها ، فلو جاز ان يغفر الشرك فتكون روح صاحبه مع أرواح النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، تجول مع الملائكة المقربين في عليين ، لكان ذلك نقضا أو تبديلا لسنة الله تعالى في خلق الناس التي ترتب عليها أن يكون منهم شقي وسعيد ، فريق في الجنة وفريق في السعير ، بعضهم فوق بعض بطبعه وصفاته الروحية كما يكون الاخف من الغازات والمائعات فوق الاثقل بطبعه ، سنة الله التي لا تبديل لها ولا تغيير

ثم بين تعالى بعض أحوال المشركين فقال ﴿ إن يدعون من دونه إلا إناثا ﴾ اي إنهم لا يدعون من دون الله لقضاء حاجهم وتفريج كروبهم ، إلا اناثا كاللات والعزى ومناة ، وكان لكل قبيلة صنم يسمونه انثى بني فلان ، او المراد اسماء معبودات وآلهة ليس لها من حقيقة معنى الالوهية شيء كما قال في سورة أخرى « ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان » اي اسماء مؤنثة في الغالب ، او المراد معبودات ضعيفة او عاجزة كالاناث لا تدافع عدوا ولا تدرك ثأرا . كما وصفها في موضع آخر بأنها لا تملك لهم ضرا ولا نفعا ، وكانت العرب تصف الضعيف بالأنوثة لما ذكرنا من ضعف المرأة بل ضعف جميع إناث الحيوان عن الذكور حتى قالوا للحديد اللين أنيث ، ورجح الراغب وغيره ان وجه تسمية معبوداتهم إناثا هو كونها جمادات منفعلة لا فعل لها كالحيوان الذي هو فاعل منفعل كما وصفت في غير هذا الموضع بكونها لا تسمع ولا تبصر وليس لها ايد تبطش بها ولا أرجل تمشي بها . كأنه يذكرهم بهذا النوع من الادلة على بطلان ألوهيتها بما ارتكبوه من العار والخزي بعبادة ما كان هذا وصفه . وقد استبعد الاستاذ الامام تفسير الاناث بالاصنام المذكورة كما استبعد تفسيره بالملائكة لانهم سموهم بنات الله ، وقال إن كثيرا من المفسرين قالوا ان المراد بالاناث هنا الموتى لان العرب تطلق عليهم لفظ الاناث لضعفهم او يقال لعجزهم — ومع ذلك كانوا يعظمون بعض الموتى ويدعونها كما يفعل ذلك كثير من اهل الكتاب ومسلمي هذه القرون . وهذا هو الذي اختاره الاستاذ : وقال ان المراد بالدعاء ذلك التوجه المخصوص بطلب المعونة لهيبة غيبية لا يعقل الانسان معناها

﴿ وان يدعون الا شيطانا مريدا ﴾ اي ومايدعون بدعوتها الا شيطانا مريدا ، قالوا الشيطان يطلق على العارم(١) الخبيث من الجن والانس . والمريد والمارد المتعري

(١) العارم الفاسد والمؤذي والشرس

من الخيرات من قولهم شجر أمرد اذا تعرى من الورق ومنه رملة مرداء لم تنبت شيئاً . اوهو من مرد على الشيء اذا مرن عليه حتى صار يأتيه بغير تكلف ومنه قوله تعالى « ومن أهل المدينة مردوا على النفاق » اي شيطانا مرد على الاغواء والإضلال .

او تمرد واستكبر عن الطاعة ثم وصفه وصفا آخر فقال ﴿ لعنه الله ﴾ واللعن عبارة عن الطرد والابعاد مع السخط والاهانة والخزي ، اي أبعده الله عن مواقع فضله وتوفيقه وموجبات رحمته . اي انهم ما يدعون الا ذلك الشيطان المريد الملعون الذي هو داعية الباطل والشر في نفس الانسان بما يوسوس في صدره ويعده

ويمنيه كما بينه قوله تعالى ﴿ وقال لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا ﴾ الخ النصيب الحصة والسهم من الشيء وهو ليس نصا في قلة ولا كثرة وقد يتبادر منه القلة ، والمفروض المعين واصله من الفرض والحز في الخشبة كما بيناه في اوائل السورة ومنه الفرض في العطاء . يحتمل ان يكون هذا النصيب طائفة الذين يضلهم ويغويهم ويزين لهم الشرك والمعاصي ، وان يكون حظه من نفس كل فرد من افراد الناس وهو الاستعداد الفطري للباطل والشر المقابل للاستعداد الفطري للحق والخير وهو المختار . قال الاستاذ الامام : النصيب المفروض هو ما للشيطان في نفس كل أحد من الاستعداد للشر الذي هو احد النجدين في قوله تعالى « وهديناه النجدين » فهذا هو عون الشيطان على الانسان ، وهو عام في الناس حتى المعصومين ، ولكن اخبرنا الله تعالى انه ليس له سلطان على عباده المخلصين ، فاذا هو زين لهم شيئا لا يغلبهم على عمله ، فما من إنسان الا ويشعر من نفسه بوسوسة الشيطان فان لم يكن بالشرك فبالمعصية والاصرار عليها او الرياء في العبادة اه اقول وقد ورد في القرآن والحديث الصحيح ما يؤيد هذا وسنذكره ان شاء الله تعالى في موضع آخر من التفسير

وهذا القول وأمثاله في القرآن المجيد في مخاطبة ابليس مع البارئ جل وعلا هو من الاقوال التكوينية اي التي يعبر بها عن تكوين العالم وما خلقه الله عليه كقوله تعالى « ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا او كرها

قالتا أتينا طائعين » فقوله تعالى هذا للسماء والأرض قول تكويني لا تكليفي فهو من قبيل قوله للشيء « كن فيكون » وقولهما « أتينا طائعين » تكويني ايضا فهو عبارة عن كونهما وجدتا كما اراد الله تعالى ان توجدا عليه كما يجيب العبد العاقل نداء مولاه . والمعنى ان الشيطان خلق هكذا فدعاؤه دعاء متمرد على الحق بعيد عن الخير مغرى باغواء البشر وإضلالهم كما عبر عن طبعه وسجيته بصيغة القسم

﴿ ولأضلنهم ولأمنينهم ﴾ اي لأتخذن منهم نصيبا ولأضلنهم عن الحق ولأشغلنهم بالأمانيّ الباطلة ، اي هذا شأنه ومقتضى طبعه ، والاماني جمع أمنية قال الراغب وهي الصورة الحاصلة في النفس من تمني الشيء . يقال تمنى الشيء اذا احب ان يكون له وان لم يتخذ له اسبابه كما يتمنى المقامر الثروة بالمقامرة وهي ليست سببا طبيعيا للغنى بل ليست من الكسب المعتاد . والمعنى الاصلي لهذه المادة التقدير ، يقال منى لك الماني اي قدر لك المقدر ، والمصدر المنى بالفتح . قال الراغب ومنه المنا الذي يوزن به فيما قيل . واقول الأجدر بهذا ان يكون هو الاصل على المذهب المعروف في كون الاشياء الجامدة والمدركة بالحواس هي أصل للاشياء المعنوية : والتمني تقدير شيء في النفس وتصويره فيها ، وقد يكون عن تخمين وظن ، وقد يكون عن روية وبناء على أصل ، ولما كان اكثره عن تخمين صار الكذب له أملك ، فأكثره تصور ما لا حقيقة له كما قال الراغب .

وقال الاستاذ الامام إن اضلاله لمن يضلهم هو عبارة عن صرفهم عن العقائد الصحيحة بمعنى انه يشغلهم عن الدلائل الموصلة الى الحق والهدى . وأما التمنية فهي في الاعمال بأن يزين لهم الاستعجال باللذات الحاضرة والتسويف بالتوبة وبالعمل الصالح . بل هذا اسم جامع لانواع وحي الشيطان كلها وتغريره للناس بعفو الله ورحمته ومغفرته

﴿ ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام ﴾ البتك يقارب البت في معناه العام الذي هو القطع والفصل فالبت يقال في قطع الحبل والوصل من الحسيات ، وفي الطلاق يقال طلقها بتة أي طلاقا بائنا . والبتك يقال في قطع الاعضاء والشعر ونتف الريش ،

وبتكت الشعر تناولت بتكة منه وهي بالـكسر القطعة المنجذبة جمعها بتك قال الشاعر ‹ طارت وفي يده من ريشها بتك › والمراد به ما كانوا يفعلونه من قطع آذان بعض الانعام لاصنامهم كالبحائر التي كانوا يقطعون أو يشقون آذانها شقا واسعا ويتركون الحمل عليها . وكان هذا من اسخف أعمالهم الوثنية وسفه عقولهم قال الاستاذ الامام ولهذا خصه بالذكر وان كان داخلا فيما قبله

﴿ ولآمرنهم فليغيرن خلق الله ﴾ تغيير خلق الله وسوء التصرف فيه عام يشمل التغيير الحسي كالخصاء وقد رووا تفسيره بالخصاء عن ابن عباس وأنس بن مالك وغيرهما ، فليعتبر به من يطعنون في الاسلام نفسه باتخاذ ملوك المسلمين وأمرائهم للخصيان و يظنون ان خصيهم جائز في هذا الدين ، و يشمل سائر انواع التشويه والتمثيل بالناس الذي حرمه الشرع ، واذا كان قد حرم تبتيك آذان الانعام فكيف لا يحرم سمل أعين الناس وصلم آذانهم وجدع أنوفهم وما أشبه ذلك مما كان يفعله بعض الملوك والامراء الظالمين بغير حق ولا حجة - ويشمل التغيير المعنوي وقد روي عن ابن عباس وغيره ان المراد هنا بخلق الله دينه لانه دين الفطرة وهي الخلقة ، قال تعالى « فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم » وروي ايضا تفسير تغيير خلق الله بوشم الابدان وشر الاسنان وكل منهما يقصد به الزينة وفي الحديث « لعن الله الواشمة والمستوشمة » ولعل سبب التشديد فيه افراطهم فيه حتى يصل الى درجة التشويه بجعل معظم البدن ولا سيما الظاهر منه كالوجه واليدين ازرق بهذا النقش القبيح وكان الناس ولا يزالون يجعلون منه صورا للمعبودات وغيرها كما يرسم النصارى به الصليب على ايديهم وصدورهم . وأما وشر الاسنان بتحديدها واخذ قليل من طولها اذا كانت فلا يظهر فيه معنى التغيير المشوه بل هو الى تقليم الاظافر وتقصير الشعر أقرب ، ولولا ان الشعر والاظافر تطول دائما ولا تطول الاسنان لما كان ثم فرق . وجملة القول ان التغيير الصوري الذي يجدر بالذم و يعد من اغراء الشيطان هو ما كان فيه تشويه والا لما كان من السنة الختان والخضاب وتقليم الاظافر

الاستاذ الامام : جرى قليل من المفسرين على ان المراد بتغيير خلق الله تغيير

دينه وذهب بعضهم الى انه التغيير الحسي و بعضهم الى انه التغيير المعنوي و بعضهم الى ما يشملهما ، وقال كثير منهم ان المراد تغيير الفطرة الانسانية بتحويل النفس عما فطرت عليه من الميل الى النظر والاستدلال وطلب الحق وتربيتها على الاباطيل والرذائل والمنكرات ، فالله سبحانه قد احسن كل شيء خلقه وهؤلاء يفسدون ما خلق ويطمسون عقول الناس اه

أقول ان هذا القول هو بمعنى القول بأن المراد تغيير الدين لان من قالوا انه تغيير الدين استدلوا بآية « فأقم وجهك للدين » كما ذكرنا ذلك آنفا والدين الفطري الذي هو من خلق الله وآثار قدرته ليس هو مجموع الاحكام التي جاء بها الرسل عليهم السلام فان هذه الاحكام من كلام الله الذي أوحاه اليهم ليبلغوه ويبينوه للناس ، لا مما خلقه في انفس الناس وفطرهم عليه وقد بينا الدين الفطري في غير هذا الموضع ومعنى كون الاسلام دين الفطرة ، وحديث « كل مولود يولد على الفطرة » وقد أشار الاستاذ الامام الى ذلك بما نقلناه عنه آنفا من كون الانسان فطر على طلب الحق والاستدلال والاخذ بما يظهر له بالدليل انه الحق أو الخير ان لم يكن ظاهرا بالبداهة ، ومن أصول الدين وأسسه الفطرية العبودية للسلطة الغيبية التي تنتهي اليها الاسباب وتقف دون اكتناه حقيقتها العقول أي لمصدر هذه السلطة والتصرف في الـكائنات كلها وهو الله عز وجل ، وكان أكبر وأشد مفسدات الفطرة حصر تلك السلطة العليا في بعض المخلوقات التي يستكبرها الانسان ويعيا في فهم حقيقتها بادي الرأي وان كان في فهمها وعلمها ممكنا في نفسه لو جاء طالبه من طريقه وهذا هو أصل الشرك وقد بيناه آنفا في تفسير « ان الله لا يغفر ان يشرك به » وفي مواضع أخرى . ويتلو هذا الفساد والافساد التقليد الذي يمده ويؤيده ويحول بين العقول التي كل الله بها فطرة البشر و بين عملها الذي خلقت لأجله وهو النظر والاستدلال لاجل التوصل الى معرفة الحق والخير وترجيح الحق والخير متى تبينا له على ما يقابلهما

﴿ ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا ﴾ أي من يتخذ الشيطان وليا له وتلك حاله في التمرد والبعد من أسباب رحمة الله وفضله واغوائه

للناس وتزيينه لهم الشرور وسوء التصرف في فطرة الله وتشويه خلقه ، بأن يواليه ويتبع وسوسته فقد خسر خسرانا بينا ظاهرا في معاشه ومعاده اذ يكون اسير الاوهام والخرافات يتخبط في عمله على غير هدى فيفوته الانتفاع التام بما وهبه الله من العقل وسائر القوى والمواهب

﴿ يعدهم ويمنيهم ﴾ قال تعالى في سورة البقرة « الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا » اي يعد الناس الفقر اذا هم أنفقوا شيئا من اموالهم في سبيل الله . وههنا حذف مفعول الوعد فهو يشمل الوعد بالفقر ويشمل غيره من وعوده التي يوسوس بها فانه اذا كان يعد من يريد التصدق الفقر ويوسوس اليه قائلا إن ما لك ينفد او يقل فتكون فقيرا ذليلا ، فانه يسلك في الوسوسة الى من يغريه بالقمار مسلكا آخر فيعده الغنى والثروة ، وكذلك يعد من يغريه بالتعصب لمذهبه وايذاء مخالفه فيه من أهل دينه الجاه والشهرة و بعد الصيت ، ويؤيد وعوده الباطلة بالأماني الباطلة يلقيها اليه ولهذا أعاد ذكر الامنية في مقام بيان خسران من يتخذ الشيطان وليا بعد ان ذكر عن لسان الشيطان قوله « ولأمنينهم » ويدخل في وعد الشيطان وتمنيته ما يكون من اوليائه من الانس وهم قرناء السوء الذين يزينون للناس الضلال والمعاصي و يعدونهم بالمال والجاه ، ويمدونهم في الطغيان ،

قال الاستاذ الامام لولا وعود الشيطان لما عني اولياؤه بنشر مذاهبهم الفاسدة وآرائهم وأضاليلهم ، التي يبتغون بها الرفعة والجاه والمال ، وهؤلاء موجودون في كل زمان و يعرفون بمقاصدهم ، وقد دل على هذا ما قبله ولكنه ذكره ليصل به قوله ﴿ وما يعدهم الشيطان الا غرورا ﴾ اي الا باطلا يغترون به ولا يملكون منه ما يحبون . واقول فسر بعضهم الغرور بأنه اظهار النفع فيما هو ضار اي في الحال او المآل كشرب الخمر والقمار والزنا وغير ذلك

﴿ أولئك مأواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا ﴾ اي اولئك الذين يعبث بهم الشيطان بوسوسته او باغواء دعاة الباطل والشر من اوليائه مأواهم جهنم لا يجدون

معدلا عنها يفرون اليه لأنهم منجذبون اليها بطبعهم يتهافتون فيها بأنفسهم ، كما يتهافت الفراش في النار

﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا ﴾ هؤلاء عباد الله الذين ليس للشيطان ولا لأوليائه عليهم من سبيل ذكرهم في مقابلة أولئك الذين يتولون الشيطان ويتبعون اغواءه على سنة القرآن في قرن الوعد بالوعيد ، ﴿ وعد الله حقا ومن اصدق من الله قيلا ﴾ أي لا قيل اصدق من قيله ولا وعد احق من وعده لانه هو القادر على ان يعطي كل ماوعد به ، واما الشيطان فهو عاجز عن الوفاء على أنه لايطاع لقدرته وانما يدلي اولياءه بغرور ، فوعده باطل وقوله كذب وزور والقيل بوزن الفعل قلبت واوه ياء لكسر ما قبلها

وقد جعل الله تعالى وعده الكريم بالجنات والخلود في النعيم لمن يؤمن به لا يشرك به شيئا . و يعمل الصالحات التي تغذي الايمان وترفع النفس ، وتقدم مثل هذا مرارا

(تنبيهات) وقع غلط في اعداد آيات بعض الاجزاء السابقة ولذلك لم تلتئم مع اعداد الآية المنشورة في هذا الجزء بعد أن أصلحت فيه على ان الأمر سهل ذلك ان عدد كل آية لا يبعد كثيرا عن الصواب بل ربما كان الخطأ بعدد واحد .

وضعت في السطر الرابع من الصحيفة الاولى من الجزء السابع كلمة (اصلاح) على غير رسم المصحف غلطا وصوابها ان ترسم على ذلك الرسم هكذا (اصلح) فليتنبه لذلك

لم ينشر في هذا الجزء شيء من الفتاوى لان السيد الاستاذ منشيء المنار نسي عند سفره الى الهند ان يأخذ معه الاسئلة الواردة الى الادارة ليكتب اجوبتها اثناء السفر

صالح رضا

اخبار العالم الاسلامي

﴿ المقالة الثانية من المقالات الروسية عن تركستان ﴾

تلك ترجمة المقالة الاولى من مقالات سياسة عدم الالتفات التي تنشر في جريدة نوفي فريمية لحث الحكومة الروسية على مقاومة تعليم مسلمي تركستان ، وأما المقالة الثانية فملخصها ان مدارس التتر لم يقبل عليها مسلموا تركستان في أول الامر وبعد ثباتها عشر سنين نالت محبة قسم كبير منهم ، وتألفت في مدينة طاشقند لجنة غير رسمية من المسلمين لادارة تلك المدارس ، وأخذت تبث سلطتها ، وعمال الحكومة الروسية لم يلتفتوا الى ذلك وهو بمثابة نظارة معارف غير رسمية تمهد طرق التعليم وتستحضر له الكتب والمعلمين وقصدها نشر مذاهب (الجامعة الاسلامية) في تركستان فهي لذلك توجه نظر الشبان الى العالم الاسلامي ولاسيما تركية ، وكتب الدراسة تعين على ذلك ، ففي كتب المطالعة مسائل في المملكة التركية وبلادها المشهورة ، ومثلها في دروس التاريخ والجغرافية . والمعلمون على هذا الرأي وهم من تتر قزان وأورنبوغ ينفخون روح الاسلام الذي أخذ ينهض من جديد ، ويلبسون الطرابيش التركية الحمراء ليكونوا ذوي مهابة في أعين تلاميذهم ، وهم من أصحاب المدنية ، وقد بلغت هذه المدارس بجدهم في طاشقند وحدها عشرين مدرسة قبل انتباه الحكومة ، وكذلك كان في خوقند زهاء هذا القدر من المدارس قبل تنبه الحكومة

بعد تنبه عمال الحكومة تحيروا ولم يقوموا بالواجب وهو منع معلمي التتر من تعليم مسلمي تركستان ، وبضعفهم تمكنت تلك اللجنة غير الرسمية للمعارف أن ترسل بعض تلاميذها النجباء الى الآستانة ليستعدوا لخدمة بلادهم اذا رجعوا اليها ، فسيوجد مدارس في تركستان للترك فوق مدارس التتر قبل أن يستقر رأي عمال الحكومة هناك على أمر ويخرجوا من مضيق حيرتهم

انهم مترددون فيما يعاملون به تلك المدارس يقولون : أنعدها دينية كأنها ذات رخصة ؟ أم خصوصية فننفذ فيها نظام المكاتب الخصوصية ؟ أم نقفلها البتة ؟ أم الاسهل

أن نستمر على التغافل عنها ؟ . ومن العجائب ان (غبور غيفكي) معاون نظارة المعارف لم يدخل تلك المدارس عند تجواله في تركستان لئلا يكون دخوله اعترافا بها واقرارا لها فاذا كان رجال الحكومة متحيرين لا يدرون أي التربية يختارون لنابتة تركستان وهي مسألة من أهم المسائل فلا عجب اذا انتشرت فكرة الجامعة الاسلامية في هذه النابتة . نحن متحيرون حقيقة وأما غيرنا الذين لا يحبون أن يندغموا في الشعب الرومي اندغاماً يفنى فيه الضعيف في القوي فتضيع قوميتهم فهم يعرفون ماذا يعملون

المستنيرون من التتر قد أظهروا في الميدان برنامجا للتعليم يدافع عنه حزب المسلمين في الدوما (مجلس النواب الروسي) وقد أخذوا يهتمون بمسلمي تركستان . فيظهر أنهم يريدون جذب مسلمي روسية كافة اليهم ثم ينشرون فكرة الجامعة الاسلامية والجامعة التركية بينهم ، لذلك يريدون توحيد المسلمين كافة باللغة التركية العامة ، ويعرف مقدار اهتمامهم بما ذكر من عناية جناب مقصودف رئيس حزب المسلمين في الدوما (؟) (١) بالسفر الى تركستان والطواف في بلادها لرؤية فرقه الذين تتألف منهم قوته الحربية في المستقبل ، نعم ان مقصودف لم يرجع منها بفوائد كثيرة وربما قل طمعه في الرياسة السياسية القريبة على مسلمي تركستان ولكن لاشك في نيله بعض مطالبه من ذلك السفر ، مثال ذلك انه لم يمض زمن طويل على سياحة رئيس حزب المسلمين في الدوما (؟) حتى جاء من أهالي طاشقند كتاب احتجاج على نظام نظارة المعارف الحديث لمدارس المسلمين وأرسله ليقدمه الى الدوما ، وهو كتاب بيان حقوق مسلمي تركستان ، ولاشك في أن ذلك من تأثير سياحته ، ومقتبس مما قاله حزب المسلمين في الدوما ولم يسبق لمسلمي تركستان مثل هذه الحركة

سياحة مقصودف هذه ليست في نفسها أمرا مهما ولكن اطلاق حرية السياحة للذين يلقون فكرة الجامعة الاسلامية ويغرون المسلمين بها لا يمكن أن يكون مما يرغب فيه رجال الحكومة ومع هذا نقول آسفين أنه قد كثر الجوالون في تركستان أخيرا لاجل بث الافكار السياسية في المسلمين . والسائحون في آسية الوسطى ليسوا من التتر فقط بل يجول فيها كثير من أعضاء جمعية الاتحاد والترقي ومراقبة هؤلاء لا ترجى من عمال الحكومة ، المشغولين بوظائفهم ، فاولئك يتعرفون أولا الى سراة القوم ثم يمشون الهوينا الى مقصدهم على خط مستقيم . يرونهم ان تركية مملكة عظيمة

(١) لعل صاحب الجريدة يشير بعلامة الاستفهام الى أن مقصودف ليس رئيس حزب المسلمين

قوية ويخبرونهم بأنها ستستولي على البلاد الاسلامية من البحر الاسود الى بلاد الصين وتأخذها من الروس فتصير تركستان تحت حكم تركية وكلهم اخوان في الدين وبهذه الوسيلة يجمعون الاعانات للاسطول . ولا ريب في أن فكرة الجامعة الاسلامية قد انتشرت بين كثير من المستنيرين في تركستان

العلوم والمعارف في تركستان ضئيلة جداً ومع ذلك ترى القراء يشتركون في الجرائد التركية وخصوصاً التي تتكلم في الاتحاد الاسلامي مثل «صراط مستقيم» و «تعارف مسلمين»

أهالي تركستان مولعون جداً بنشر الاخبار بينهم ولو كانت تافهة لايؤبه لها كحركة عسكر الترك في حدود ايران أو تقوية الاسطول العثماني بعدة مدرعات من طراز ديردنوط ، وان هذه الاخبار التي تنتشر بسرعة زائدة لتؤثر في نظرهم السياسي

فما هي الوسائل التي يتخذها عمال الحكومة لتلافي تلك التحريضات السياسية ؟ لاشك عندنا انه لا يمكن لاولئك العمال الجاهلين غير الاغضاء عن حياة مسلمي تركستان المعنوية لانهم لا يعرفون شيئاً منها الآن كما كانوا لا يعرفون شيئاً عنها من قبل ، وهذه سياسة مؤسفة ظهر عدم نفعها من تطبيقها على مسلمي (القرم) وأطراف (فولغا) — فالواجب اذاً الاسراع بتبديل الادارة هنالك وتفويضها الى الادارة الملكية وجعلها بحيث توافق منافع الحكومة واقتضاء الزمان . وقد كان صدر بذلك فرمان عال منذ عشر سنين اه

(المنار) هذا بعض ما كتب في هذه الجريدة الروسية الشبيهة بالرسمية في عاصمة هذه الدولة ، فليعتبر بها المسلمون كافة والعثمانيون عامة والمبعوثون منهم خاصة ، فروسية التي سكتت لها الامم كلها عن معاملتها للمسلمين لا تريد أن يجتمع تتريهم بتركيهم ولا أن يتعلموا كما يريدون ولا أن يمر ببلادهم سائح مسلم ، وأما الدولة العثمانية فهي على حرية الشعوب والملل فيها ووصولها الى درجة الفوضى وعلى السماح لكل ملة بأن تعلم كما تريد من غير أن تعرف الحكومة لها طريقة تعليمها وتقرها عليها — هي على هذا كله تتهم بهضم حقوق النصارى وتطالب بأن تجعل مدارس جميع الطوائف المسيحية الدينية وغير الدينية في حكم المدارس الرسمية تعتمد شهاداتها ويقبل المتخرجون فيها في وظائف الحكومة وأعمالها

هذا واننا نرجو أن تنبه هذه الوساوس التي يصرح بها القوم أفكار المسلمين الى ما يتهمون به وهو لم يخطر لهم على بال ، وقد ذكرت جريدة (وقت) التترية بعد نشر هذه المقالة مثلا فيه موعظة وعبرة للمستبصرين وهذه ترجمته

﴿ عرّاف ﴾

صادف عرّاف تاجرا في السفينة ذاهباً الى سوق كذا في بلد كذا فقال له : ألا أنبئك بما تفكر فيه الآن ؟ قال التاجر كم تأخذ على ذلك ؟ قال ما تسمح به حالك قال التاجر لك ذلك . فأخذ العراف يده وجمجم وقال : انك تقول في نفسك اذا أعلنت افلاسي بعد الوصول الى السوق وصالحت الغرماء أصحاب الديون على عشرين في المئة فانني أربح ربحا كثيرا . فلما سمع التاجر هذا الكلام ظهر على وجهه أمارات التغير والاهتمام . فقال العرّاف : أما أصبت المرمى ؟ قال التاجر لا ولكنك نبهتني الى فكرة حسنة ما كانت في بالي اه

الغارة على العالم الاسلامي (*)

أو

﴿ فتح العالم الاسلامي ﴾

(١)

(ارساليات التبشير البروتستانية)

مقدمة المسيو شاتليه (١)

قلنا في سنة ١٩١٠ عند ما كنا نخوض على صفحات هذه المجلة فى موضوع السياسة الاسلامية :

(*) عربتها جريدة المؤيد عن مجلة العالم الاسلامي التي تصدرها في فرنسة (الارسالية العلمية المراكشية) ونحن ننقلها عنها مع شيء من التصحيح والتصرف . وقد أنشئت هذه المجلة منذ خمس سنين وكانت مباحثها علمية ولم تكن تتعرض للمسائل السياسية الا قليلا وبعد احتلال مراكش ودخول بلاد فارس تحت النفوذ الروسي الانجليزي واعتداء ايطالية على طرابلس الغرب ظهرت بمظهر جديد تجلت فيه خطتها من التوسل بالعلم الى المقاصد السياسية والدينية

(١) المسيو شاتليه رئيس تحرير هذه المجلة هو أستاذ المسائل الاجتماعية الاسلامية، وممن يكتبون فيها المسيو لويز ماسنيون المستشرق الذي أقام فى بغداد سنين عديدة وقد كان في مصر منذ سنتين وهو من أصدقاء فقيدنا الشقيق السيد حسين وصفي وقد رثاه بتعزية أرسلها الينا ونشرت في الجزء السابق . ويكتب فيها كثير من العلماء الذين لهم اطلاع على اللغة العربية والعلوم والعادات الاسلامية واللغات الاخرى التي يتكلم بها المسلمون صالح مخلص رضا

« ينبغي لفرنسة أن يكون عملها في الشرق مبنيا قبل كل شيء على قواعد التربية العقلية ليتسنى لها توسيع نطاق هذا العمل والتحقق من فائدته . ويجدر بنا لتحقيق ذلك بالفعل أن لا نقتصر على المشروعات الخاصة التي يقوم بها الرهبان المبشرون وغيرهم لان لهذه المشروعات أغراضاً خصوصية وليس للقائمين بها حول ولا قوة في هيأتنا الاجتماعية التي من دأبها الاتكال على الحكومة وعدم الاقبال على مساعدة المشروعات الخاصة التي يقوم بها الافراد فتبقى مجهوداتهم ضئيلة بالنسبة الى الغرض العام الذي نحن نتوخاه . وهو غرض لا يمكن الوصول اليه الا بالتعليم الذي يكون تحت إشراف الجامعات الفرنسية نظراً لما اختص به هذا التعليم من الوسائل العقلية والعلمية المبنية على قوة الارادة

« وأنا أرجو أن يخرج هذا التعليم الى حيز الفعل ليبث في دين الاسلام الاوضاع المستمدة من المدرسة الجامعة الفرنسية »

هذا ما ارتأيناه يومئذ وسيظهر ما يؤيده في الفصول التالية المتعلقة بارساليات التبشير البروتستاني الانجلوسكسونية والجرمانية الدائبة على العمل في العالم الاسلامي حتى أصبحت أهميتها تفوق بكثير ما اعتاد الفرنسيون أن يتصوروه لان النشاط وقوة الجأش التي يظهرها القائمون بأعمال هذه الارساليات تختلف ١٤ تمتاز به أمتنا

وكنا منذ أمد بعيد نود أن نخوض في ذكر تفاصيل أعمال هذه الارساليات التي اشتهرت بخطتها ووفرة الوسائل التي أعدتها وتوسلت بها لمقاومة دين الاسلام

وحسبنا أن نستشهد بارسالية التبشير الكاثوليكية في بيروت لتكون موضوع التفكير والتأمل في فرنسة . إن (كلية القديس يوسف) اليسوعية التي تدبر أعمالها هذه الارسالية لا تأثير لها على النشوء الفكري في المحيط الاسلامي ولكن التعليم الذي تنشره وتبثه كان له الحظ الاوفر من نشر الافكار الفرنسية في سورية والقطر المصري

نعم ان غاية المدرسة اليسوعية وطريقة التعليم فيها تختلفان عن غاية وطريقة المدرسة الكلية الفرنسية في غلطة (الاستانة) الا أن النتائج كانت متقاربة من حيث تعميم المبادئ والافكار التي تنشرها اللغة الفرنسية . ومن هذا يتبين لنا أن ارساليات التبشير الدينية التي لديها أموال جسيمة وتدار أعمالها بتدبر وحكمة تأتي بالنفع الكثير في البلاد الاسلامية من حيث انها تبث فيها الافكار الاوربية

الا أن لارساليات التبشير مطامع أخرى كما يتبين من الجملة الآتية التي استخرجتها من رسالة أرسلها الي من جزيرة البحرين (قرب عمان) في ٢ أغسطس سنة ١٩١١

حضرة القسيس المحترم صموئيل زويمر منشئ مجلة العالم الاسلامي الانجليزية ، وهو يبني فيها صروح آمال شامخة على أعمال المبشرين البروتستانيين قال :

« ان لنتيجة ارساليات التبشير في البلاد الاسلامية مزيتين – مزية تشييد ومزية هدم ، وبعبارة أخرى مزيتي تحليل وتركيب . والامر الذي لا مرية فيه هو أن حظ المبشرين من التغيير الذي أخذ يدخل على عقائد الاسلام ومبادئه الاخلاقية في البلاد العثمانية والقطر المصري وبلاد أخرى هو أكثر بكثير من حظ الحضارة الغربية منه .

ولا ينبغي لنا أن نعتمد على احصائيات (التعميد) في معرفة عدد الذين تنصروا رسميا من المسلمين لاننا هنا واقفون على مجرى الامور ومتحققون من وجود مئات من الناس انتزعوا الدين الاسلامي من قلوبهم واعتنقوا النصرانية من طرف خفي » اهـ

ولا شك في أن ارساليات التبشير من بروتستانية وكاثوليكية تعجز عن أن تقتلع العقيدة الاسلامية من نفوس منتحليها أو تزحزحها ، ولا يتم لها ذلك الا ببث الافكار التي تتسرب من اللغات الاوربية ، فبنشرها اللغات الانكليزية والالمانية والهولندية والفرنسية يحتك الاسلام بصحف أوربة وتتمهد السبيل لتقدم اسلامي مادي وتقضي ارساليات التبشير لباناتها من هدم الفكرة الدينية الاسلامية التي لم تحفظ كيانها وقوتها الا بعزلتها وانفرادها ؟ !

أما ما يقوله حضرة مكاتبنا من وجود مئات من المسلمين اعتنقوا النصرانية سرا وهم ينتظرون فرصة للجهر بها فذلك أمر لا يمكننا البت فيه مع حضرة المكاتب . على انه ليس من الحوادث الغريبة أن يتنصر بعض أفراد ينتمون الى أصل فارسي أو هندي لان اختلاف النحل والاعتقادات في هذه العناصر هو من مزاياها الاجتماعية وكذلك الحال في الوسط السامي المتصل بالاصل العبري ولكن من النادر المستغرب أن تقع حوادث التنصر في بيوت السادات العلوية وبين الباثان (الافغانيون الخلص الموجودون في بلاد الهند) ومشايخ الهند وجيرانهم الافغانيين والاتراك والتركمان والعرب الحقيقيين والبربر .

ولا ينبغي لنا أن نتوقع من أكثرية العالم الاسلامي بأن يتخذ له أوضاعا وخصائص أخرى اذا هو تنازل عن أوضاعه وخصائصه الاجتماعية اذ الضعف التدريجي في الاعتقاد بالفكرة الاسلامية وما يتبع هذا الضعف من الانتقاض والاضمحلال الملازم له سوف يفضي – بعد انتشاره في كل الجهات – الى انحلال الروح الدينية من أساسها لا الى نشأتها بشكل آخر

على أن المناقشة في هذه المسألة لاطائل تحتها لان الآراء تنبعث عن وجهة التفكير فلنقتصر اذن على القول بأن سير العالم الاسلامي يتدرج نحو انحلال أفكاره الدينية وزوالها وذلك أمر طبيعي ممكن التحقق ، أما فرض تدرج المسلمين في اعتناق المسيحية فخارج عن حد الامكان لان المسلم كالمسيحي واليهودي لايجذبه التعليم العصري الى الاعتقادات الدينية

ولكننا نعود فنقول انه مهما اختلفت الآراء في نتائج أعمال المبشرين من حيث الشطر الثاني من خطتهم (الهدم) فان نزع الاعتقادات الاسلامية ملازم دائما للمجهودات التي تبذل في سبيل التربية النصرانية . والتقسيم السياسي الذي طرأ على الاسلام سيمهد السبيل لاعمال المدنية الاوربية ، اذ من المحقق أن الاسلام يضمحل من الوجهة السياسية وسيكون بعد زمن في حكم مدنية محاطة بالاملاك الاوربية .

قد يظهر لاخواننا المسلمين أننا نتصرف في مستقبلهم بحرية وعدم تكلف ، ولكن من منهم ينكر أن العالم الاسلامي أصبح هدفا لغلطات فتيان جمعية الاتحاد والترقي الذين ورثوا عبد الحميد واستعانوا بوسائله السياسية بعد أن خلعوه ، ولم تكن أمامهم وسيلة لانقاذ السلطنة العثمانية والخلافة الاسلامية غير تنظيم حكومة مؤلفة من ولايات اسلامية متحدة ، وكل وسيلة غير هذه كانت لنتيجة لا بد منها وهي تقسيم المملكة؟

اننا لم نكن نرمي الكلام على عواهنه وما كنا نقصد غير تقرير حقيقة راهنة ، عندما نبهنا المسلمين من قراء مجلتنا — قبل احتلال طرابلس الغرب بستة أشهر — الى ماتخبئه الايام للاستانة التي ستقع بين مخالب ألمانية وروسية

ان ارساليات التبشير البروتستانية الانجلو سكسونية تعلق أهمية كبرى على الحال الجديدة التي ظهر بها العالم الاسلامي وقد رأينا أن نذكر معها ارساليات التبشير الالمانية لما عقد بينهما من الاواصر والروابط في مؤتمري سنة ١٩٠٦ وسنة ١٩١١ ولم يبق ارتباطهما مقتصرا كسابق عهده على تناوب كرسي الاسقفية البروتستانية في بيت المقدس

وليس من المستغرب ونحن نبدي اعجابنا بأعمالها أن نلح بمزاحمتها ومسابقتها ، خصوصاً وان السيطرة على أهم الاسواق البشرية صارت متوقفة على هذه المزاحمة والمسابقة ، وكنا نود لو كان في الوقت متسع لبسط القول وايضاح مجرى الامور في هذه المسألة بحذافيرها لانها جديرة باهتمام رجال فرنسة بلا اضاعة وقت ، الا أننا اضطررنا الى الاقتصار على جمع بعض أمور وقفنا عليها وسنبينها هنا بقدر الامكان

ونحن نكتفي بعرض هذه الامور من غير تعليق عليها لاننا اقتطفناها من مؤلفات وفصول شتى ونظمناها على الترتيب المتبع في مثل هذه الظروف ، وان المسألة التي تهمنا سوف تتبدد شكوك ذوي البصيرة والروية لدى اطلاعهم على مانعرضه أمام أنظار قراء مجلة العالم الاسلامي

ونؤمل من ذوي الشأن في ارساليات التبشير البروتستانية أن لاينكروا علينا انتهاج هذه الخطة التي هي خطة مجلتنا ، وهم أعلم الناس بعواطفنا وشعورنا نحو عملهم الذي لايمكننا أن نذكر أهميته الا مقرونة بالحاحنا في ذكر الضرورات التي تقتضيها السياسة الفرنسية الوطنية لاجل تحول مجهوداتنا الى التعليم التابع لطريقة المدارس الجامعة الفرنسية وذلك أشد العوامل تأثيرا على بلادنا لتدخل في حلبة المسابقة لنشر التعليم العقلي

(٢)

﴿ تاريخ التبشير ﴾

اقتصرت مجلة العالم الاسلامي في هذا الفصل على تلخيص كتاب (مشروع التبشير) الذي ألفه المستر (ادوين باس) البروتستاني ثم أعاد طبعه قبل عشر سنوات فزاد عليه زيادات أخرى وسماه (ملخص تاريخ التبشير) ذكر فيه تاريخ ارساليات التبشير البروتستانية على اختلاف نزعاتها منذ نشأتها في القرون الغابرة الى تاريخ الطبعة الثانية لكتابه ، مع بيان ما بين هذه الارساليات من ارتباط وتضامن

ثم قالت : « ان هذا السفر نفيس في بابه يتسنى لقارئه أن يقف على حقيقة أعمال الارساليات البروتستانية في بلاد الاسلام حتى أواخر القرن التاسع عشر ، الا أننا نتكر على مؤلفه عدم اشارته الى الارساليات الكاثوليكية وهذا موضع الضعف في كتابه بل في أعمال ارساليات التبشير جميعاً على اختلافها ، ولو كان المبشرون الكاثوليك والبروتستان الذين يجتمعون في بلاد اسلامية يتنبهون الى أن انقسامهم يحط من قدرهم ويقلل هيبتهم ويوطد أركان الاسلام لكانوا على الاقل يوهمون الناس بأنهم متفقون ظاهرا ، خصوصا وان انقسامهم هذا يمهد للاسلام السبيل لاستمداد مبادي الحضارة من ارساليات المبشرين من غير أن يقتبس أفكارها الدينية ، ولاريب ان نخبة الاذكياء المسلمين في مصر وسورية — عند مايقفون على هذه التفرقة الموجودة بين الارساليات الكاثوليكية والبروتستانية والعلمانية التي تتجاهل كل منهن الاخرى —

لا يترددون في الحكم على مذاهب النصرانية بأنها قد فقدت التوازن بالرغم من الخدم التي تأتي بها الحضارة الاوربية

واستأنفت المجلة بعد هذا الاستطراد كلامها على كتاب المستر بلس فقالت : انه ينقسم الى قسمين الاول في تاريخ التبشير العام وطرائقه ، والثاني في وصف موقف الارساليات البروتستانية وأعمالها في البلاد الاسلامية

ويقول المؤلف ان تاريخ التبشير المسيحي يرجع الى صدر النصرانية ومبدإ تأسيسها، وذكر الذين قاموا بوظيفة التبشير بالصرامة في القرون الوسطى فقال ان (ريمون لول) الاسباني هو أول من تولى التبشير بعد ان فشلت الحروب الصليبية في مهمتها. فتعلم (لول) هذا اللغة العربية بكل مشقة وجال في بلاد الاسلام وناقش علماء المسلمين في بلاد كثيرة

وذكر المؤلف في الفصل الثالث المبشرين الكاثوليك والدور الذي لعبوه في ثورة (البوكسر) الصينية وتداخلهم في شؤون القضاء ، وهنا انتقدت مجلة العالم الاسلامي الكاثوليكية على هذا المؤلف البروتستاني اقتصاره على ذكر تاريخ المبشرين الكاثوليك في ثمان صفحات فقط وقوله ان المسلمين ينظرون الى الطقوس والاحتفالات الكاثوليكية باشمئزاز . ووصفت المجلة هذا القول بأنه لا يشف عن محبة مسيحية.

وفي الفصل الرابع وصف المؤلف تنظيم ارساليات التبشير في القرون الوسطى في الهند وجزائر السند وجاوه واختلاط المبشرين بالمسلمين منذ ذلك الحين ، وأشار الى (بترهيلنج) الذي احتك بتسامي سواحل أفريقية والى اهتمام هولندة بالتبشير في جاوه في أوائل القرن الثامن عشر حتى قسمت جاوه لهذه الغاية الى مناطق لكل منها كنيسة ومدرسة ، وقال ان عدد الذين تنصروا فيها سنة ١٧٢١ بلغ ١٠٠،٠٠٠ وكان عدد النصارى في سيلان سنة ١٧٢٢ — وكانت يومئذ تحت سلطة هولندة — يبلغ ٤٢٤،٠٠٠ وتساءل عما بقي منهم الى الآن ، وقال ان المسلمين كانوا فيها قليلين فصاروا الآن فئة كثيرة

ثم ذكر تحريك البارون (ده ويتز) ضمائر النصارى سنة ١٦٦٤ الى تأسيس مدرسة كلية تكون قاعدة لتعليم التبشير المسيحي تعلم فيها لغات الشرق للطلاب الذين يناط بهم أمر التبشير ، فارتأى أحد أحبار الكنيسة أن تمهد الى الاروام مسئولية تبشير الاتراك ثم فشل البارون في مشروعه

ثم سرد المؤلف تاريخ تنظيم الارساليات البروتستانية من دنمركية وانكليزية والمانية

وهولندية واتصال بعضها ببعض وما كان من مساعدة فردريك الرابع وكرستيان السادس ملكي الدانمرك وحكومة هولندة وتأييدهم لاعمالها في القرن السابع عشر وما بعده في كل أقطار العالم

وانتقل الى البحث في أعمال هذه الارساليات في القرنين الاخيرين فقال : ان المستر (كاري) هو الذي فاق أسلافه في مهنة التبشير فدرس لغة اللاتين واليونان والفرنسيس والهولنديين والعبرانيين كما تعلم كثيراً من العلوم ، ولما نشر كتبه في التحريض على التبشير قوبلت بالاستحسان ففتح له باب الاكتتاب وذهب الى الهند لهذا الغرض وصارت الاموال ترسل اليه ثم طلب أن يرسل اليه ناس يؤازرونه في التبشير فتأسست سنة ١٧٩٥ (جمعية لوندرة التبشيرية) وسرعان ما تأسست جمعيات على شاكلتها في «اسكوتلندة» و «نيويورك» وانتشرت هذه الفكرة في ألمانية والدانمرك وهولندة والسويد ونروج وسويسرة وغيرها وتعذر على الفرنسيين أن يقوموا بشيء من هذا القبيل لانشغالهم بالثورة التي آلت الى الانقلاب المشهور

وتأسست جمعيات فرعية كثيرة مثل (جمعية التبشير في أرض التوراة العثمانية) وبلغ الشغف بهذا العمل أن أسست (ارساليات تبشير طبية) لتلحق بالارساليات العامة فنجحت نجاحاً باهراً لذلك أخذت تنمو وتزداد وتألفت لها أقسام نسائية وأرسل بعضها الى الهند والاناضول

وفي سنة ١٨٥٥ تأسست جمعية (الشبان المسيحيين) من الانكليز والامريكان ووظيفتها ادخال ملكوت المسيح بين الشبان ، وعقد تلاميذ المدارس النصرانية في (نورثفيلد) مؤتمراً اجتمع فيه ٢٥٠ مندوباً عن ٨٠ مدرسة تكلفت بتقديم ١٠٠ شاب للتطوع في نشر الدين المسيحي ، ومن هؤلاء تألفت (جمعية الشبان المتطوعين) للتبشير في البلاد الاجنبية

ويقول المؤلف انها لعبت دوراً هاماً في تبشير المسلمين على الخصوص ! لان شعارها كان نشر «الانجيل بين أبناء الجيل الحاضر» ثم تبع ذلك تأسيس جمعيات التبشير في كل بلاد البروتستان . وفي سنة ١٨٩٥ تأسست (جمعية اتحاد الطلبة المسيحيين في العالم) وهي تهتم بدرس أحوال التلاميذ في كل الاقطار وبث روح (المحبة) بينهم

فالتحق بها ١٠٠،٠٠٠ طالب وأستاذ يمثلون ٤٠ قوما ، فتولد من وجود هذا العدد العظيم ميل الى الانتفاع به ولذلك تأسست سنة ١٩٠٢ (جمعية تبشير الشبان) ومن وظائف هذه الجمعية الاخيرة استمالة النساء والبنات والشبان والطلبة الى استماع صوت المبشرين . ثم تقرر سنة ١٩٠٧ أن تؤسس جمعية أخرى لتبشير الكهول وقد تأسست بالفعل وأخذت تباشر أعمالها وترفع التقارير بهذا الشأن

هذا ملخص القسم الاول من كتاب المستر (بلس) فيما يتعلق بتاريخ ارساليات التبشير وأعمالها في بلاد الاسلام . وأما القسم الثاني فخاص بذكر مراكز تنظيم هذه الارساليات وادارة أعمالها في كل قطر على حدة . والى القارئ ملخص هذا القسم :

﴿ أفريقية ﴾

قال المستر (بلس) : ان الدين الاسلامي هو العقبة القائمة في طريق تقدم التبشير بالنصرانية في أفريقية . والمسلم وحده هو العدو اللدود لنا لان انتشار الانجيل لا يجد معارضاً لا من جهل السكان ولا من وثنيتهم ولا من مناضلة الامم المسيحية وغير المسيحية وليس خصمنا هو العربي الذي يرتاد البلاد للاتجار بالرقيق — لان هذه التجارة صارت صعبة — بل ان هذا الخصم المعارض هو الشيخ أو الدرويش صاحب النفوذ في أفريقية أكثر مما هو كذلك في فارس. فالشيخ أو الدرويش يجوبان شواطئ البحر الاحمر والنيجر ومراكش وواداي ويبثان في الاهالي أن المهدي ينتظر ظهوره وسينشر الاسلام في كل الاقطار . وقد ظهر مهدي منذ سنين فحارب الانكليز ثم توفي فتولى الامر بعده خليفة غلب على أمره

أما الشيخ السنوسي العدو الالد للنفوذ الفرنسي والانكليزي فله تقاليد أخرى . ويقول المستر (بلس) ان طلبة الازهر يعتقدون بالمهدي . وأما المراكشيون فلا يزال يدور في خلدهم امكان الجهاد وهو يرى أن الملحمة الكبرى بين أوربة والاسلام ستنشب في غربي أفريقية أو في شماليها . ولا ينبغي أن نستدل على حقيقة هذه الملحمة المنتظرة بالقتال الذي حدث في السودان

دخل المبشرون الكاثوليك ربوع أفريقية منذ القرن الخامس عشر (أي في أثناء الاكتشافات البرتغالية) وبعد ذلك بكثير أخذت ترد إليها ارساليات التبشير البروتستانية من انكليزية وألمانية وكذلك ارساليات التبشير الفرنسية

ولم تهتم جمعية الكنيسة البروتستانية بالتبشير في أفريقية الغربية الا منذ سنة ١٨٠٤ حيث تعاضدت ارسالياتها وانكفأت على الكونغو ، وهذه الجمعية تقاتل الآن بمؤازرة الاسقف (صموئيل كروثر) الزنجي سلطة الاسلام المتدفق في النيجر وأفريقية الغربية . وفي سنة ١٨١٩ اتفقت هذه الجمعية مع الاقباط وألفت في مصر ارسالية عهدت اليها بنشر الانجيل في أفريقية الشرقية وقررت ارسال مبشرين الى الحبشة ولكنها فشلت على أثر المناظرة بين اليسوعيين والبروتستان . ثم أخذ المبشرون السويديون والانكليز يرتادون غربي أفريقية وتبعهم مبشرو المدرسة الجامعة فهبطوا مدينة (منبسة) ثم عززت ألمانية ارسالياتها عقب اتساع مستعمراتها لكن سرعان ما ظهرت المنازعات بين الكاثوليك والبروتستان وكان أهم ذلك في (أوغندة) بين مبشريها الوطنيين والرهبان البيض الذين ألف ارساليتهم (الكاردينال لافيجري) (١)

وتوافد المبشرون على أفريقية الوسطى عقب بعثة (لفنستون) و (ستانلي) سنة ١٨٧٨ فاقتسموا مناطقها مع اختلاف جنسياتهم بين ألماني واسكتاندي وانكليزي ومورافي وهؤلاء انتشرت ارسالياتهم بدون انقطاع من شرقي افريقية الى أواسطها حتى الخرطوم والحبشة وبلاد الجلا . وجاءت هذه الارساليات بنتائج حسنة

أما بلاد المغرب فلها مبشرون خاصون بها ترسلهم (جمعية تبشير شمال أفريقية) وهم منتشرون في مراكش والجزائر وتونس وسائر بلاد الغرب ومنهم المبشرون والاطباء التابعون لهم. ولقد شاع ان ذوي الامر في فرنسة وايطالية حانقون على رجال التبشير الا أن حاكم الجزائر طمأن بال الاسقف (هارتزل) في الايام الاخيرة وصرح له بأنه ينظر الى أعمال المبشرين بعين الاستحسان

وقبل الانتهاء من الكلام على أفريقية لا نرى بدا من الاشارة الى جزيرة مدغسكر التي يقوم فيها المبشرون البروتستان بخدمة مهنتهم بكل جد ونشاط

﴿ آسية الغربية ﴾

كان للمبشر (هنري مارتين) يد طولى في ارسال المبشرين الى بلاد آسية الغربية فبعد أن أقام في الهندمدة عرج على فارس والبلاد العثمانية وتوفي سنة ١٨١٢ وهو

---

(١) (المؤيد) هو الذي كان طعن على الاسلام في مسألة الرق فألف سعادة احمد شفيق باشا كتابا بالافرنسية رد به عليه وترجمه سعادة احمد زكي باشا الي العربية باسم (الرق في الاسلام)

الذي ترجم التوراة الى الهندية والفارسية والارمنية ومن بعده أخذت ارساليات التبشير تشد الرحال الى الانضول وفلسطين واتخذت لها مراكز في أزمير والقسطنطينية وبيت المقدس وتصدرت للتبشير في صفوف النسطوريين على حدود فارس والسلطنة العثمانية وفي صفوف اليعقوبيين في ما بين النهرين . وفي مقدمة هذه الجمعيات لجنة التبشير الامريكية الا أن جمعيات اليهود الانكليزية سبقتها الى بعض البلاد العثمانية مثل أزمير والاستانة وسلانيك فافتتحت فيها مدارس دينية ومعابد . ومنذ سنة ١٨٤٩ أخذت ترد ارساليات أخرى على هذه البلاد فقسمتها الى مناطق وأصابت لجنة التبشير الامريكية منطقة قبائل النصيرية في سورية فأخذت على عاتقها تنصير هذه القبائل وذهب قسم من هذه الجمعية الى بلغاريا لينفذ خطته هناك

ولما حدثت حوادث سنة ١٨٦٠ في سورية توجهت الانظار الى جبل لبنان وبعد عشر سنوات انتشرت لجنة التبشير الامريكية في البلاد العثمانية عدا سورية . وعلى أثر تأسيس الكنيسة البروتستانية في الآستانة سنة ١٨٤٦ صارت الآستانة مركزاً عاماً آمناً لاعمال المبشرين ؟ !!

أما موقف الحكومات الاسلامية أمام ارساليات التبشير فكان يختلف باختلاف البلاد . فالقبائل المستقلة في بلاد العرب عدوات لدودات للمبشرين ، وبلاد الفرس سائد فيها نفوذ روسية . والسلطة الاسلامية في القطر المصري اسمية فقط . وكانت الحكومة العثمانية تبدي ضروب الاستبداد نحو المبشرين على اختلاف مذاهبهم بسبب الدور السياسي الكبير الذي يمثله نفوذ المبشرين على مسرح المسألة الشرقية . وكانت معاملة الحكومة العثمانية للمبشرين تحسن بواسطة سفراء الولايات المتحدة

وقد اجتهد المبشرون في ترجمة الكتاب المقدس (التوراة والانجيل) الى كل لغات الشرق بأسلوب سهل يتسنى فهمه لكل الطبقات

وأكبر ما يثير قلق المستر (بلس) مؤلف هذا الكتاب هو الدور الذي ستقوم به الدولة العثمانية في الحوادث المقبلة !. . . مادامت أنظار القبائل السنوسية الشديدة البأس متجهة نحو السلطنة العثمانية التي يحكمها أمير المؤمنين وفيها بيضة الاسلام. ومثل السنوسيين الامم الاخرى البعيدة عن الاستانة مثل بخارى وخيوة والهند والبلاد الاسلامية الشاسعة

﴿ الهند ﴾

انتشرت ارساليات التبشير في الهند عقب ارسالية (جمعية لوندرة التبشيرية) التي

قام بها (كاري) ثم تبعتها الارساليات الامريكية والاسكوتلندية والهولندية والنروجية وكلها تؤدي وظيفتها بنشاط وتقوم بأعمالها بكل دقة

وكان كل هؤلاء في بادي الامر قد وقعوا في الحيرة ، لانهم لم يعلموا بمن يبدأون التبشير، وهل يسهل بث النصرانية في البرهمي أو المسلم المتنور أو الهندي العامي ! ثم اهتدوا الى التقاط الاطفال الذين يعضهم ناب الفاقة والفقر وجعلوا يحسنون اليهم ويستجلبونهم نحوهم

ومؤتمر التبشير الذي عقد في (شيكاغو) قرر أن ينظر في وسائل تعميم التبشير في الهند ونشر النصرانية وتفسير تعاليمها بين كل طبقات الاهالي

﴿ جزائر الملايو ﴾

يوجد في شبه جزيرة الملايو وجزائرها المجتمعة عقائد ونزعات سقيمة لان اهل هذه البلاد اعتنقوا الاسلام في القرن الثالث عشر ومزجوا به ما علق بهم من عقائدهم القديمة ثم اقتبسوا شيئا من مذهب الكاثوليك عقب ظهور البرتغاليين ومن مذهب البروتستان بعد استيلاء الهولنديين على هذه البلاد والهولنديون أبدوا قسوة وعدم تسامح في القرون الوسطى في نشر عقيدتهم وفي هذه الايام ذهبت ارساليات كثيرة الى الملايو لتبشيرهم بالنصرانية

﴿ الصين ﴾

في هذه المملكة مسلمون كثيرون بعددهم قليلون بالنسبة الى مجموع سكان البلاد وتاريخ ذهاب ارساليات التبشير الى الصين يرجع الى سنة ١٨١٣ ولما افتتحت الثغور الصينية بعد ذلك انتشر فيها المبشرون والاطباء والمرضون التابعون لهم انتشاراً هائلا واتسع نطاق أعمالهم وجاء بثمرات كثيرة

(يتلى)

نقد تاريخ التمدن الاسلامي

﴿ بقلم الشيخ شبلي النعماني ﴾

٣

﴿ جور العمال ﴾

ذكر المؤلف تحت هذا العنوان أنواعاً من الجور والشدة الصادرة من عمال بني أمية ونحن نذكر بعضاً منها مع كشف الحقيقة

قال يذكر جور العمال « واذا أتى أحدهم بالدراهم ليؤديها في خراجه يقتطع الجابي منها طائفة ويقول : هذا رواجها وصرفها » (الجزء الثاني صفحة ٢٢ واستند في الهامش الى كتاب الخراج لابي يوسف صفحة ٦٢)

أيها الفاضل المؤلف ! أليس لك وازع من نفسك ؟ أليس لك رادع من ديانتك ؟ أتجترئ على مثل هذا الكذب الظاهر ؟ والمين الفاحش جهرة ؟ فان القاضي أبا يوسف ما تكلم في شأن عمال بني أمية ببنت شفة وانما ذكر عن عمال هارون الرشيد واساءتهم العمل في جباية الخراج وكتاب الخراج لابي يوسف بين أيدينا وقد طبع في مصر وتداولته الايدي وتناقلته الالسن . قال المؤلف

« وفي كلام القاضي أبي يوسف في عرض وصيته للرشيد بشأن عمال الخراج ما يبين الطرق التي كان أولئك الصغار يجمعون الاموال بها قال : « بلغني انه قد يكون في حاشية العامل أو الوالي جماعة منهم من له به حرمة ، ومنهم من له اليه وسيلة ليسوا بأبرار ولا صالحين يستعين بهم ويوجههم في أعماله ، يقضي بذلك الذمامات فليس يحفظون ما يوكلون بحفظه ولا ينصفون من يعاملونه انما مذهبهم أخذ شيء من الخراج كان أو من أموال الرعية ثم انهم يأخذون ذلك كله فيما بلغني بالعسف والظلم والتعدي . . . ويقيمون أهل الخراج في الشمس ويضربونهم الضرب الشديد ويعلقون عليهم الجرار ويقيدونهم بما يمنعهم عن الصلاة وهذا عظيم عند الله شنيع في الاسلام (الجزء

الثاني صفحة ٢٣ و٢٤ مستنداً الى كتاب الخراج صفحة ٦١ و ٦٢)

الله أكبر ! هل سمع أحد بأعظم من هذا التدليس والتلبيس ؟ يشتكي القاضي أبو يوسف من عمال هارون الرشيد ويرفع القضية اليه ويبين ما بلغه مما يرتكب عماله في أخذ الاموال من الرعايا ، فيأخذ المؤلف أقواله وينقلها من حيث أنها هي الطرق التي كان عمال بني أمية يجمعون الاموال بها !! هاهو كتاب الخراج بأيدينا قرأناه وقلبناه ظهراً لبطن وكررنا فيه النظر لا كرة أو كرتين بل مرات متوالية متتابعة فما وجدنا فيه كلمة في شأن عمال بني أمية وانما قال ماقال أبو يوسف يعظ الرشيد بما بلغه عن عماله الى أن خاطبه بقوله

« فلو تقربت الى الله عز وجل يا أمير المؤمنين بالجلوس لمظالم رعيتك في الشهر أو الشهرين مجلساً واحدا تسمع فيه من المظلوم وتنكر على الظالم رجوت أن لا تكون ممن احتجب عن حوائج رعيته ولعلك لا تجلس الا مجلساً أو مجلسين حتى يسير ذلك في الامصار والمدن فيخاف الظالم وقوفك على ظلمه فلا يجترئ على الظلم . . مع انه متى علم العمال والولاة انك تجلس للنظر في أمور الناس يوما في السنة ليس يوما في الشهر تناهوا باذن الله عن الظلم وأنصفوا من أنفسهم (كتاب الخراج صفحة ٦٣ و ٦٤)

لا فض فوك يا أبا يوسف ! فقد صدعت بالحق وأمرت بالمعروف واجترأت على النهي عن المنكر وأخذت على ملك جبار كهارون الرشيد صاحب النكبة بالبرامكة ، وما أكبر جرأتك أيها الفاضل ؟! (جرجي زيدان) أنك تتبعت سيرة عمال بني أمية وبالغت في الامعان وكابدت في ذلك محنة التقصي فأعوزك كل هذا وما وجدت في أعمالهم شيئاً من مثل تلك الفظائع فعمدت الى سيرة عمال الرشيد وأوهمت الناظرين أنها سيرة عمال بني أمية !

قال المؤلف « وكان العمال لا يرون حرجا في ابتزاز الاموال من أهل البلاد التي فتحوها عنوة لاعتقادهم أنها فيء لهم كما تقدم (الجزء الرابع صفحة ٧٥)

الذي أشار اليه بقوله « تقدم » هو قوله في الجزء الثاني وهذا نصه :

« وكان من جملة نتائج تعصب بني أمية للعرب واحتقارهم سائر الامم أنهم اعتبروا أهل البلاد التي فتحوها وما يملكون رزقا حلالا لهم — يدل على ذلك قول سعيد بن العاص عامل العراق : ما السواد الا بستان قريش ماشئنا أخذناه منه وما شئنا تركناه ، وقول عمرو بن العاص لصاحب اخنا لما سأله عن مقدار ما عليهم من الجزية فقال عمرو : انما أنتم خزانة لنا ان كثر علينا كثرنا عليكم وان خفف عنا خففنا عنكم (الجزء الثاني صفحة ١٩)

تشبث المؤلف بهذه الاقوال في غير موضع مستدلا على أن العرب وبني أمية كانوا يتصرفون في أموال الناس كيفما شاءوا ظناً منهم ان أموالهم واعراضهم ابيحت لهم مطلقا

حقيقة القول انه لما فتحت البلاد في خلافة الفاروق تقدم بعض الصحابة كعبد الرحمن بن عوف وبلال وغيرهما وقالوا : ان الارض مقسومة بيننا كما قسم رسول الله خيبر وكان الفاروق رأى غير هذا فقام النزاع حتى وفق الى الاستناد بنص القرآن فسكتوا ورضوا والقصة مذكورة بتفاصيلها في كتاب الخراج للقاضي ابي يوسف . ثم ان بعض البلاد فتحت صلحاً فمتى كان الخراج أو الجزية شيئاً مسمى معيناً ما كانوا يرون الزيادة عليه وان اكثرت الارض خيراتها وزادت غلاتها . وفتح بعضها عنوة فكان الخراج أو الجزية عليها بقدر النقص والزيادة وهذا هو قول عمرو « ان كثر علينا كثرنا عليكم وان خفف عنا خففنا عنكم » وقد اشار الى ذلك المقريزي في تاريخه والعلامة السيوطي في حسن المحاضرة . فأما قول سعيد بن العاص الذي استند اليه المؤلف فتحريف للكلام عن موضعه على جاري عادته فان المؤلف نقل هذه الرواية من الأغاني والمذكور فيه ما حاصله « ان أحدا مدح السواد عند سعيد بن العاص وبالغ فيه فقال بعضهم : نعم ويا ليته كان لاميرنا ، فقال بعض من حضر : لا نعط أرضنا للامير فقال الرجل: ولو شاء الامير لاخذه ، فأنكروا قوله فقال سعيد بن العاص « السواد بستان قريش الخ » فقال الرجل لا ! انه منابع رماحنا فأنت ترى ان النزاع بين الجند وأمير البلد هنا هو النزاع الذي كان بين بعض الصحابة وعمر الفاروق وأي متشبث في ذلك للمؤلف ؟ فان سعيد بن العاص قال ما قال رداً على الجند بدعوى ان الارض لا تقسم بين فاتحي البلاد بل هي تحت يد الخليفة أو من ينوب عنه وانما ذكر سعيد قريشاً لان الخلافة على زعمهم لقريش خاصة ،

*

قال المؤلف « فكان الخلفاء يكتبون الى عمالهم بجمع الاموال وحشدها والعمال لا يألون كيف يجمعونها فقد كتب معاوية الى زياد « اصطف لي الصفراء والبيضاء » فكتب زياد الى عماله بذلك وأوصاهم ان يوافوه بالمال ولا يقسموا بين المسلمين ذهباً ولا فضة » (الجزء الرابع صفحة ٧٥ واحال الرواية في الهامش على العقد الفريد صفحة ١٨ من المجلد الاول)

تنقل مأخذ هذه الرواية كما صرح به المؤلف في الهامش لترى خيانات المؤلف واحدة بعد واحدة ، قال صاحب العقد

« ونظير هذا القول ما رواه الاعمش عن الشعبي ان زيادا كتب الى الحكم بن عمرو الغفاري وكان على الطائفة ان امير المؤمنين كتب اليّ ان اصطفي له الصفراء والبيضاء فلا تقسم بين الناس ذهباً ولا فضة فكتب اليه « اني وجدت كتاب الله قبل كتاب امير المؤمنين » الخ ما كتب ثم نادى في الناس فقسم لهم ما اجتمع من الفيء » (العقد الفريد المجلد الاول صفحة ١٧ أو ١٨)

فانظر ! (اولا) انه ليس في هذه الرواية ان معاوية كتب الى زياد بل ان زياداً كتب الى الحكم ان امير المؤمنين كتب اليّ الخ ولعل زيادا كذب في ذلك أو فهم غير ما أراد معاوية بقوله ،

(ثانياً) ان المؤلف حذف كل ما قال الشعبي وما عمل به من تقسيم الفيء لدلالته على ان في عمال بني أمية من لا يمنعه عن الصدع بالحق واداء الواجب أحد ، لا ولاة الامصار ولا من فوقهم اي الخليفة نفسه

(ثالثاً) انه ليس في هذه العبارة ما يستدل به على استئثار معاوية بالمال لنفسه فان مراده ان العمال ليس لهم تقسيم الفيء بل الامر موكول الى الخليفة فعلى العامل ان يجمع الاموال ويرسلها الى الخليفة وللخليفة أن يضعها موضعها ،

قال المؤلف « فكان العمال يبذلون الجهد في جمع الاموال بأية وسيلة كانت ومصادرها الجزية والخراج والزكاة والصدقة والعشور . وأهمها في أول الاسلام الجزية لكثرة أهل الذمة فكان عمال بني أمية يشددون في تحصيلها فأخذ أهل الذمة يدخلون في الاسلام فلم يكن ذلك لينجيهم منها لان العمال عدوا اسلامهم حيلة للفرار من الجزية وليس رغبة في الاسلام فطالبوهم بالجزية بعد اسلامهم . وأول من فعل ذلك الحجاج بن يوسف واقتدى به غيره من عمال بني امية في افريقية وخراسان وما وراء النهر فارتد الناس عن الاسلام وهم يودون البقاء فيه وخصوصاً أهل خراسان وما وراء النهر فانهم ظلوا الى أواخر أيام بني أمية لا يمنعهم عن الاسلام الا ظلم العمال بطلب الجزية منهم بعد اسلامهم » (الجزء الرابع صفحة ١٦)

ذكر المؤلف هذه الواقعة أي أخذ الجزية بعد الاسلام في غير موضع بعبارات متنوعة قوية الاخذ بالنفس شديدة الوطأة على القلب يتراءى للناظر فيها ان الناس أحيطوا من كل جانب جوراً وعدواناً فاذا بقوا على الكفر يعانون من الشدة ما يلجئهم الى الاسلام واذا أسلموا فالجزية باقية على حالها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون ،

﴿ تحقيق مسألة الجزية في الاسلام ﴾

١ — اعلم ان الجزية ليست الا بدلا عسكريا فمن يذب عن بيضة الملك بنفسه فهو غير مأخوذ بها اما من ضن بالنفس أو كان لا يصلح لذلك فعليه ان يؤدي شيئا من المال ليكون عدة للعسكر وعوناً له . وأول من سن الجزية وجعل لها وضائع كسرى انوشروان كما ذكره ابن الاثير وصرح بأنها هي الوضائع التي اقتدى بها عمر بن الخطاب ، وكم تجد في البلاذري والطبري وغيرهما ان أقواماً من النصارى في عصر عمر بن الخطاب لما قاموا بالدفاع عن الملك أو دخلوا في الجند سقطت عنهم الجزية واعفى عمر بن الخطاب نصارى تغلب من الجزية، وأضعف عليها الصدقة . وجملة القول ان الجزية لم تكن في الاصل شيئاً يحد بين الكفر والاسلام ولكن لما كان غالب الحال ان أهل البلاد من النصارى والمجوس واليهود كانوا اصحاب حرث وزرع وعمالا في الديوان وكانوا لا يرضون بمخاطرة النفس واقتحام الحروب لذلك كانوا مطالبين بالجزية والمسلم لا يمكن له الاعتزال عن الحروب فانه مضطر الى الذب عن بلاد الاسلام طائعا اومكرهاً — صارت الجزية كأنها حد فاصل بين الرئيس والمرؤوس ثم بين المسلم وغير المسلم .

٢ — ولما لم ينفصل الامر بتة وبقي للاجتهاد موضع ومتسع كان بعض العمال يضرب الجزية على حديثي العهد بالاسلام

٣ — ولكن مع هذا لم يتفق ذلك في مدة الخلافة الاموية الا مرات معدودات يشهد بذلك الفحص والتقصي وامرار النظر والكد في البحث والتنقيب ومع ذلك فكلما وقع مثل هذا لم يكن له بقاء فاما أن تكون الامة هي التي تقيم النكير على العامل أو يصل الخبر الى الخليفة فيرد عمله ويمنعه عن الوقوع في مثله آتيا ففي سنة ١٠١ لما كتب الحجاج الى البصرة برد من أسلم من أهل القرى الى مساكنهم وضرب الجزية عليهم ضج القراء وخرجوا يبكون مع البكاة من أهل القرى وبايعوا عبد الرحمن بن الاشعث مشمئزين من عمل الحجاج منكرين عليه كما هو مشروح في تاريخ الكامل لابن الاثير وكذلك لما اقتدى الجراح الحكمي بصنيع الحجاج كتب اليه عمر بن عبد العزيز يأمره باسقاط الجزية والواقعة مذكورة في حوادث سنة ١٠٠ في تاريخ الكامل وكذلك لما فعل يزيد بن أبي مسلم في أفريقية سنة ١٠٢ هجرية ألب الناس عليه وقتلوه وكتبوا الى الخليفة يزيد بن عبد الملك فكتب اليهم

اني ما كنت مستحسنا عمل يزيد والقصة مذكورة في الكامل تحت حوادث سنة ١٠٢ وكان آخر ماوقع من مثل ذلك ما فعل الأشرس في خراسان فأورث ثورة واشترك العرب مع الثائرين ونصروهم أما خلفاء بني أمية فلم يثبت عن أحد منهم مثل ذلك وانما كان أراد عبد الملك وضع الجزية على من أسلم من أهل الذمة فكلمه ابن حجيرة فترك . والقصة مذكورة في المقريزي بنوع من التفصيل (انظر صفحة ٢٨ من الجزء الاول) . والآن نقص عليك بعض خيانات المؤلف

(١) ذكر واقعة الحجاج وترك نكير القراء عليه وبيعتهم على يد ابن الاشعث انكاراً على صنيع الحجاج

(٢) ذكر واقعة الجراح (الجزء الثاني صفحة ٢٠) وترك انكار عمر بن عبد العزيز عليه ومنعه عن ضرب الجزية عليهم

(٣) ذكر واقعة يزيد بن أبي مسلم وترك ان الناس قتلوه وان الخليفة يزيد ابن عبد الملك استصوب صنيعهم أي قتلهم يزيد بن أبي مسلم

(٤) ذكر واقعة الأشرس ولم يذكر أن العرب قاموا عليه وكانوا مع الثائرين عليه ولما ثبت ان ضرب الجزية على حديثي العهد بالاسلام لم يأمر به أحد من خلفاء بني أمية وانما كان اجتهاداً من بعض العمال بناء على أن اسقاط الجزية يورث نقصا في الخراج وان الخلفاء كلما عثروا على ذلك منعوا العمال عن ضرب الجزية وردوا عملهم وانه كلما وقع مثل ذلك تألب العلماء والخيار من الناس وأقاموا النكير على ضارب الجزية حتى قتلوا بعض العمال واستحسن الخليفة قتله، فهل للمؤلف أن يحمل أوزار بعض العمال على بني أمية كافة ؟ وهل يصح قوله

« ولم يكن عمال بني أمية يأتون هذه الاعمال من عند أنفسهم دائماً بل كثيرا ما كانوا يفعلونها بأمر خلفائهم كما قد رأيت مما كتبه معاوية الى وردان » (الجزء الثاني صفحة ٢٢)

أما كتاب معاوية الى وردان فقد مر ذكره وليس فيه للمؤلف موضع حجة

قال المؤلف «ورأى هؤلاء (اي أهل الذمة) أن اعتناق الاسلام لا ينجيهم من ذلك فعمد بعضهم الى التلبس بثوب الرهبنة لان الرهبان لا جزية عليهم . فأدرك العمال غرضهم من ذلك فوضعوا الجزية على الرهبان. وأول من فعل ذلك منهم عبد العزيز بن مروان عامل مصر فأمر باحصاء الرهبان وفرض على كل راهب ديناراً » (الجزء الثاني صفحة ٢٠ مستندا الى المقريزي صفحة ٣٩٢ من الجزء الثاني)

أيها الفاضل المؤلف! ماهذا الاجتراء؟ ماهذا الاختلاق؟ ماهذا الكذب الظاهر؟

هاك نص المقريزي «ثم قدم اليعاقبة في سنة احدى وثمانين الاسكندروس فقام اربعا وعشرين سنة ونصفا وقيل خمسا وعشرين سنة ومات سنة ست ومئة وجرت به شدائد صودر فيها مرتين اخذ منه فيهما ستة آلاف دينار وفي ايامه أمر عبد العزيز بن مروان فأمر باحصاء الرهبان فاحصوا وأخذت منهم الجزية على كل راهب دينار وهي أول جزية اخذت من الرهبان» (الجزء الثاني من المقريزي صفحة ٣٩٢ أو ٣٩٤)

فهل نجد في هذه العبارة ادنى اشارة الى ان عبد العزيز أو أحداً غيره شدد في الجزية فاختاروا الرهبنة طلباً للنجاة من الجزية فما تفهم؟ لا وانما فيها ان عبد العزيز بن مروان وضع الجزية على الرهبان وهذا ليس فيه كبير شيء فان الرهبان وان كانوا معافون من الجزية ولكن لما لم يكن الامر منصوصاً لا في الكتاب ولا في السنة كان للاجتهاد فيه مساغ فاجتهد عبد العزيز وأخطأ

﴿ انهاء هذا البحث ﴾

لو سردنا كل ما قال المؤلف عن جور بني أمية وعمالهم واستئثارهم بالاموال واسرافهم في استلابها وبينا ما في كل قول من التحريف والتدليس وتغيير المعنى والخيانة في النقل وصرف العبارة عن وجهها لطال الكلام واحتجنا الى عمل كتاب منفرد بنفسه فلأجل ذلك اقتصرنا على كشف بعض دسائسه مع انه قل من كل وغيض من فيض، (١)

ونقول بعد كل ذلك ان موضوع الكتاب ليس الا بيان تمدن الاسلام فأي متعلق في ذلك لابداء مساوئ بني أمية؟ ولعلك تقول لابد في تاريخ تمدن الاسلام

(١) ومما يناسب ذكره في هذا المقام ان المؤلف لما انجز الجزء الاول من كتابه ارسله الي فكتبت اليه بعد الاعجاب به انه لابد من ذكر مصادر الروايات في كل موضع وذلك لاجل اني كنت اخاف عليه التدليس، فاظهر المؤلف في مقدمة الجزء الثاني انه عمل بذلك، وبذكر الكتاب والجزء والصفحة ولكن من الاسف ان كل هذا ما اجدى نفعا فانه ما يذكر المطبعة ولاجل هذا كابدت في تطبيق مصادر كتابه محنة عظيمة فان النسخ مختلفة ولا يدرى اي نسخة ارادها وبسبب ذلك ما اهتدينا الى أكثر خياناته ومن المحقق المستيقن به انه مانقل عبارة الا وعمل فيها شيئاً من التحريف والتغيير ومن كان في ريب من ذلك فليراجع الاصول ويكابد محنة التطبيق ليؤمن بما قلته مع حيرة واندهاش — ١٢

من بيان منهج السياسة وانها هل كانت مؤسسة على الاستبداد والجور أو العدل والنصفة فجر ذلك الى كشف عوار بني أمية عرضا . ولكن أناشدك بالله اما كان لاحد منهم مأثرة تذكر، ومنقبة تنقل، وسياسة تنفع البلاد، ومعدلة تعم الناس؟؟ نعم ان بني أمية لايوزنون بالخلفاء الراشدين وليس هذا عاراً عليهم ولا فيه حط لمنزلتهم فان ادراك شأو الراشدين واللحوق بهم أمر خارج عن طوق البشر، وليس فيه مطمع لاحد، ولا موضع رجاء لمجتهد، ولكن التوازن والتكايل بين الاموية والعباسية وانما هم ملوك فيهم المحسن والمسيء، والعادل والجائر، والناسك والخليع، والحازم والمغفل، بل الذي اعدلهم سيرة وامثلهم طريقة وأوفاهم ذمما وأرضاهم طورا لايخلو من عثرات لاتقال وهنات لاتذكر — فلو لزم المؤلف جادة الانصاف ووفى لكل أحد قسطه وأعطى كل ذي حق حقه لاستراح واسترحنا ولكنه مال الى واحد فأطرى في مدحه، ونال من الآخر فاسرف في تهجينه وذمه، ثم انه لم يفارق في مدحه وذمه عمود الكتاب أي ذم العرب والحط من شأنهم فانه ذم بني أمية لانهم العرب بحتة ومدح العباسيين لالانهم العرب أو انهم من سلالة هاشم او من اقرباء النبي (ص) بل لان دولتهم دولة أعجمية وقد مر نصه في ذلك سابقا

وحان لنا أن نذكر طرفا من مآثر بني أمية وسيرتهم ومبلغهم من حسن السياسة وتعمير البلاد وتمهيد السبل وتوطيد الامن واقامة المرافق وتعميم المعارف

اعلم ان دولة بني أمية عبارة عن معاوية ويزيد وعبد الملك بن مروان والوليد وسليمان وعمر بن عبد العزيز وهشام فأما ماعداهم فلم تطل مدتهم وليس العبرة بهم إن أحسنوا أو أساءوا

﴿ سيرة معاوية في دولته ﴾

فأما معاوية فنذكر من سيرته ما ذكره المؤرخ المسعودي في مروجه مع نوع من الاختصار قال :

«كان من أخلاق معاوية انه كان يؤذن في اليوم والليلة خمس مرات، كان اذا صلى الفجر جلس للقصاص حتى يفرغ من قصصه فيخرج الى المسجد فيسند ظهره الى المقصورة ويجلس على الكرسي ويقوم الاحداث فيتقدم اليه الضعيف والاعرابي والصبي والمرأة ومن لا أحد له فيقول: ظلمت، فيقول: أعزوه، ويقول: عدي الي، فيقول: ابعثوا معه، ويقول: صنع بي، فيقول: انظروا في أمره، حتى اذا لم يبق أحد دخل فجلس

على السرير ثم يقول ائذنوا للناس على قدر منازلهم فاذا استووا جلوساً قال : ياهؤلاء انما سميتم أشرافاً لانكم شرفتم من دونكم بهذا المجلس ، ارفعوا الينا حوائج من لايصل الينا، فيقوم الرجل فيقول: شهد فلان، فيقول: افرضوا له، ويقول آخر: غاب فلان عن اهله، فيقول : تعاهدوهم واقضوا حوائجهم، ثم يؤتى بالغداء والكاتب يقرأ كتابه فيأمر فيه حتى يأتي على اصحاب الحوائج كلهم وربما قدم اليه من اصحاب الحوائج اربعون او نحوهم على قدر الغداء »

واطال المسعودي في بيان اعمال معاوية يوميا ثم قال بعد حكاية معترضة « فلنرجع الآن الى اخبار معاوية وسياسته وما وسع الناس من اخلاقه وما افاض عليهم من بره وعطائه وشملهم من احسانه مما اجتذب به القلوب واستدعى به النفوس حتى آثروه على الاهل والقرابات » ثم ذكر بعد ذلك عدة وقائع تركناها هربا من الاطناب

سيرة عبد الملك بن مروان في دولته

وأما عبدالملك فقال المدايني « كان يقال معاوية أحلم ، وعبد الملك احزم ، وهو الذي جعل على بيوت الاموال والخزائن رجاء بن حياة ذلك المحدث المشهور وعلى كتابة الخراج والجند سرجون بن منصور الرومي (وهو نصراني) وحول الدواوين من الرومية والفارسية الى العربية وزاد على ما مكان فرض معاوية للموالي خمسة فبلغها عشرين ودخل في بيعته عبدالله بن عمر ومحمد بن الحنفية » ذكر كل ذلك صاحب العقد في ترجمته وقد سبق من نسكه وعبادته ما فيه كفاية فيما مر

ومما ينقم عليه تأميره الحجاج ولكن الدولة تحتاج في إبّانها واول نشأتها الى أمثال ذلك وهذا ابومسلم الخراساني مؤسس الدولة العباسية قتل ستمئة الف رجل صبراً وهذا ابو جعفر المنصور فعل بالهاشميين ما لم يسبق له نظير في الاسلام ومع ذلك فاني اعوذ بالله ان اقوم ذاباً عن الحجاج ومدافعاً عنه .

سيرة الوليد في دولته

وأما الوليد فكان أهل الشام يفتخرون به وحق لهم ذلك قال صاحب العقد الفريد « كان الوليد عند أهل الشام أفضل خلفائهم وأكثرهم فتوحا ، وأعظمهم نفقة في سبيل الله ، بنى مسجد دمشق ومسجد المدينة ووضع المنابر واعطى المجذومين حتى أغناهم عن سؤال الناس واعطى كل مقعد خادما وكل ضرير قائداً، وكان يمر بالبقال

فيتناول قبضة فيقول : بكم هذه ؟ فيقول بفلس فيقول: زد فيها فانك تربح » وهو الذي وسع مسجد النبي وذهب البيت

قال اليعقوبي « ان الوليد بعث الى ملك الروم يعلمه انه قد هدم مسجد رسول الله فليعنه فيه فبعث اليه بمئة الف مثقال ذهبا ومئة فاعل واربعين حملا فسيفساء ، وبعث الوليد الى خالد بن عبدالله القسري وهو على مكة بثلاثين الف دينار فضربت صفائح وجعلت على باب الكعبة ، فكان أول من ذهّب البيت في الاسلام وحج الوليد سنة ٩١ لينظر الى البيت والى المسجد وماأصلح منه والى البيت وتذهيبه »

وقال اليعقوبي « كان أول من عمل البيمارستان للمرضى ودار الضيافة ، وأول من أجري على العميان والمساكين والمجذومين الارزاق »

وقال السيوطي في تاريخه للخلفاء « وكان مع ذلك (أي كونه جباراً ظلوما) يختن الايتام ويرتب لهم المؤدبين »

فتوحات بني أمية

ثم ان الدول تعرف اقدارها بآثارها ويقضى بفضلها بعملها واخلد الآثار التي تتفاضل بها مقادير الملوك وتتطاول بها رتب الدول كثرة الفتوح واستتباب أمور الملك والرعية وتوطد دعائم العدل وانتشار العلم ودولة بني أمية قد أخذت من كل ذلك قسطا وضربت في كل ذلك بسهم

أما كثرة الفتوح فقد بلغت دولتهم منها غاية ليس وراءها مطلع لطامح . انقضت ايام الخلافة الراشدة والاسلام يزخر عبابه في جزيرة العرب وديار الشام ومصر وبلاد الفرس فلما تسنم بنو أمية عرش الخلافة ازداد الاسلام فتوحا ، واتسعت ممالكه وغلب سلطانه ، وامتدت سطوته ، ودخلت البلاد النائية المترامية الاكناف في حوزة حكمه ، فملكوا مالم يملكه أحد من ملوك الاسلام قبلهم ولا بعدهم . فتحوا طرابلس وطنجة وسائر بلاد المغرب والاندلس وبلاد الديلم والاتراك والمغول والسند وقبرص واقريطش (كريد) ورودس وغيرها من جزائر البحر . وغزوا صقلية وصالحوا النوبة وتوغلوا في بلاد الروم حتى بلغوا سور القسطنطينية وضربوا السيف على أبوابها ، وافتتح السند محمد الثقفي أحد أبناء قوادهم وهو ابن سبع عشرة سنة ، وقد وطئت جيوشهم ثغور الصين وثغور بلاد الافرنج وعاصمة بلاد الروم ،وحدود بلاد الهند، وملكوا من السند الى ثغور بلاد الافرنج طولا ومن البحر الاحمر الى بلاد الخزر عرضا،

ودخل في حوزة ملكهم العرب وديار الشام والعراق والجزيرة ومصر والبجة وبرقة وطرابلس وتونس ومراكش والاندلس وارمينية وخراسان وفارس وتوران والديلم وبلاد الران وطبرستان وجرجان وسجستان وخوارزم وما وراء النهر وبلاد الخزر وافغانستان والسند وبعض بلاد الهند . فمن يدانيهم من الملوك في سعة الملك ؟ ومن يباريهم في كثرة الفتوح ؟

﴿ استتباب امور الملك والرعية ﴾

ليس في سعة الملك كبير فضل اذا لم يكن هناك تأنق في أمور المملكة ، ونظر في أمور الرعية ، وقيام بمصالح العباد ، وتشمير في عمارة البلاد ، ولذلك كان الذين فتحوا البلاد ولم ينظروا في أمور أهلها ليسوا عند ذوي الخبرة من أهل التاريخ اسمى منزلة واعلى مكانة من قطاع الطريق الذين يعيثون في الارض مفسدين . أما ملوك بني أمية فقد جمعوا بين سعة الملك والنظر في أمور العباد ، وكثرة الفتوح وعمارة البلاد ، حفروا الانهار ، وعمروا الطرق ، وشادوا المصانع ، وابتنوا المساجد ، وبذلوا الاموال ، وقضوا الحوائج ، وكشفوا المظالم ، وغمروا المجذومين والعميان والمقعدين والصعاليك بالجزيل من الاحسان ، واجروا لهم الارزاق . ثم رتبوا المصالح ودونوا الدواوين وحصنوا الحصون وبنوا المدن والقصور وقد مر من ذلك شيء كثير فيما تقدم من سيرهم واعمالهم واليك هذه العجالة التي هي كالطل من الوابل (يتلى)

بشائر عيسى ومحمد (*)

(في العهدين العتيق والجديد)



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسل الله . أما بعد فلا خلاف بين أحد من المسلمين أن أسفار أنبياء بني اسرائيل قد بشرت بالمسيح ومحمد عليهما الصلاة والسلام فلا ننكر على النصارى كثيرا مما يستشهدون به من العهد القديم على نبوة عيسى وكثير من أحواله وأخباره ، والذي ننكره عليهم إنما هو استشهادهم بالعهد القديم على صلبه وألوهيته. فتتميما لبحثي السابق في (القرابين والضحايا) (١) أردت أن آتي هنا على أعظم حجج النصارى من كتب اليهود على صلب المسيح وألوهيته وأظهر بطلانها واحدة بعد أخرى ، ثم آتي ببعض الدلائل على فساد كتب العهدين وأختم مقالي ببيان أن التوراة والانجيل الحاليين ــ وإن كان قد دخلهما التحريف والتبديل ــ لا يزالان يشتملان على كثير من البشائر الدالة على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم تصديقا لقوله تعالى (الذين يتبعون الرسول النبيّ الأميّ الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والاغلال التي كانت عليهم، فالذين آمنوا به وعزّروه ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه أولئك هم المفلحون)

ولا يخفى على الباحثين أن أساس الديانه المسيحية انما هو العهد القديم

(*) رسالة للدكتور محمد توفيق افندي صدقي الطبيب بسجن طره بمصر

(١) نشرت رسالة المنوه بها في الجزء الاول من هذا المجلد

وما يستشهدون به منه على عقائدهم ولولاه ما كانت لهم حجة واحدة على عقيدة من عقائدهم التي يخالفوننا فيها ، فعلى العهد القديم مبنى اعتقادهم وهو أساس دينهم ، ولذلك كان البحث في هذه المسألة ونقضها بالدلائل نقضا للدين المسيحي الحالي كله من أساسه ، ولولا اعتداؤهم علينا في ديننا ما تعرضنا لهم بشيء من مثل هذا فهم البادئون ، والبادئون هم الظالمون ، فنقول وبالله تعالى وحده نستعين :

﴿ الفصل الأول ﴾

في بيان فساد ما يستشهدون به على الصلب في العهد القديم

(برهانهم الأول) قالوا إن النبي دانيال أخبر في كتابه عن صلب المسيح وأن ذلك كفارة لذنب أمته وأنه خاتم النبيين ولا نبي بعده ، ومع أن اليهود ينكرون مسيحنا إلا أن هذا الكتاب لا يزال عندهم وهم يعتقدون صحته (١) وهاك عبارة النبي دانيال في هذه المسألة . قال في الاصحاح التاسع من كتابه إن جبرائيل قال له (٩ : ٢٤ سبعون اسبوعا قضيت على شعبك وعلى مدينتك المقدسة لتكميل المعصية وتتميم الخطايا ولكفارة الاثم وليؤتى بالبر الابدي ولختم الرؤيا والنبوة ولمسح قدوس القديسين ٢٥ فاعلم وافهم أنه من خروج الامر لتجديد أورشليم وبنائها إلى المسيح الرئيس سبعة أسابيع واثنان وستون أسبوعا يعود ويبنى سوق وخليج في ضيق الازمنة ٢٦ وبعد اثنين وستين أسبوعا يقطع المسيح وليس له وشعب رئيس آت يخرب المدينة والقدس وانتهاؤه بغمارة وإلى النهاية حرب

(١) حاشية كتاب دانيال هذا يقول فيه صاحب كتاب (اظهار الحق) انه لم يكن مسلما عند اليهود القدماء قبل عيسى عليه السلام ولا في زمنه ولم تكن اليهود تعترف بنبوة دانيال أيضا وانما كان تسليمهم بصحة هذا الكتاب ونبوة دانيال بعد عصر عيسى عليه السلام وعليه فجميع ما يأتي في هذه الرسالة هو على فرض أن هذا الكتاب كان معترفا به بين اليهود القدماء وهو وان كان مسلما به عند جميع النصارى الاقدمين الا أن البروتستنت تعترف أنه قد زيد فيه الاصحاح الثالث عشر والرابع عشر وكذلك نشيد الفتيان الثلاثة المقدسين فلذا حذفوا هذه الاشياء من نسخهم ولكن أبقاها الكاثوليك للآن عندهم
فلا يبعد أنه قد زيد فيه أشياء أخر ودخلت في أصله العبري قبل أن تعترف به اليهود ويعولوا عليه فانطلت عليهم هذه الزيادات فيما بعد (راجع الفصل الثالث من هذه الرسالة)

وحزن قضى بها ٢٧ ويثبت عهدا مع كثيرين في اسبوع واحد وفي وسط الاسبوع يبطل الذبيحة والتقدمة وعلى جناح الأرجاس مخرب حتى يتم ويصب المقضي على المخرب) وقبل تفسير هذه العبارة نأتي هنا على نبذة تاريخية في هذه المسألة فنقول

إعلم أن الله تعالى سلط على اليهود بختنصر ملك بابل بسبب عصيانهم وتمردهم فغاربهم عدة مرات وأخذ في أول مرة بعضهم أسرى الى بابل وفيهم دانيال النبي وفي آخر مرة سبى أكثر الشعب واخذ الملك صدقيا وقتل أولاده وأحرق الهيكل المقدس وخرب المدينة وكانت مدة هذا السبي سبعين سنة ، وكان اتيان بختنصر إليهم في المرة الاخيرة سنة ٥٨٨ قبل الميلاد وفي سنة ٥٣٦ ق . م . أذن كورش (وهو مؤسس المملكة الفارسية) برجوع اليهود من بابل وكان ذلك في السنة الاولى من ملكه فلما رجع اليهود إلى أورشليم شرعوا في بناء الهيكل وفي بناء بيوت لهم وتوفي كورش بعد أن حكم ٧ سنوات فقط وقد تم بناء بيت الله (الهيكل) في السنة السادسة من ملك داريوس (راجع سفر عزرا ٦ : ١٥) وبعد ٦٩ سنة من صدور أمر كورش برجوع اليهود الى أورشليم لبناء بيت الله وسكناهم فيها ولد لليهود في بابل رجل صالح تقي يدعى (نحميا) ولما كبر عين ساقي الملك أرتحشستا ولما بلغه أن سور أورشليم متهدم وابوابها لا تزال محروقة بالنار حزن وتكدر (راجع سفر نحميا ١ : ٣) وبكى ودعا الله كثيرا ولما رآه الملك كئيبا حزينا ارسله الملك إلى أورشليم لبناء سورها وعينه حاكما عليها وكان ذلك في سنة ٤٤٥ ق . م وعمره نحو ٢٣ سنة وكمل هذا السور في ٥٢ يوما وصار عزرا الكاتب يعلمهم شريعة موسى ليعملوا بها واحتفلوا بأعيادها وأول عيد كان عيد المظال ومدته سبعة أيام في الشهر السابع (نحميا ٨ : ١٨)

وحكم نحميا في أورشليم ١٢ سنة وبعد ذلك عاد إلى بلاد فارس إلى حين ، وفي مدة غيابه خالف الشعب شريعة الله وتزوجوا بالنساء الوثنيات (نح ص ١٣) ولما رجع إليهم أصلح هذه الامور وبقي فيهم مصلحا إلى أن مات أو قتله بعض أعدائه (راجع ص ٦ من كتابه) والراجح أن عمره كان ٦٢ سنة فان آخر عمل عمله كان في السنة الخامسة عشرة من حكم داريوس نوثاس أي سنة ٤٠٨ ق . م

ثم مات سنة ٤٠٥ ق .م و بعد موته لم يعين ملك فارس على أورشليم أحدا من اليهود لان بلادهم صارت جزءاً من ولاية الشام فكان الحبر الاعظم يمارس الامور السياسية والدينية معا من قبل والي الشام و بعد مدة الفرس صارت أورشليم إلى اليونان واستقلت زمنا في عهد المكابيين وهم كهنة من سبط لاوي ومن عشيرة هارون ثم خضعت للرومان وفي أيام الرومان سنة ٧٠ بعد الميلاد حاربهم (تيطس) بعد أن كان طلب منهم أن يسالموه و يعاهدوه ولا يأخذ منهم خراجا سبع سنين وكان أمر بابقاء الهيكل فاخذ احد الرومانيين نارا وألقاها في الهيكل فاشتعل الخشب وأمر تيطس أن يوقفوا النار ولكن تهافت الرومان على النهب والسلب والتخريب و بعد أن شتتوا اليهود منعوهم عن السكنى في أورشليم وبقي هذا المنع مدة إلى أن رفع يبذل المال فرجع إليها حينئذ كثير من اليهود وحسنوها وشيدوها

وكان قد بلغ الامبراطور أدريانوس أن اليهود يحصنون المدينة ليخرجوا عن طاعته فأرسل عساكره فقتل اكثرهم وخرب المدينة وجعلها مساحة واحدة وفلحها وزرعها ملحا إشارة الى ابادتها وفي هذه الحرب انتهى خراب أورشليم وتلاشت قوة اليهود وانتشروا في الاقطار ولم تقم لهم بعد ذلك قائمة وكانت هذه الحرب سنة ١٣٢ بعد الميلاد و بذلك تمت نبوة المسيح عليه السلام إذ قال (لايترك حجر على حجر) « راجع تاريخ القدس لخليل افندي سركيس »

ثم دخل الفرس أورشليم سنة ٦١٤ ميلادية وخرجوا منها سنة ٦٢٨ أي بعد أن مكثوا فيها ١٤ سنة منعوا فيها اضطهاد النصارى لليهود فبطل إلقاء قاذورات النصارى في الهيكل عنادا لليهود وباعوا النصارى الذين في أورشليم لليهود وأحرقوا الكنائس ونزعوا خشبة الصليب من أورشليم وأرسلوها الى فارس

وفي سنة ٦٣٦ ميلادية أخذ المسلمون القدس وطهروه وبنى عمر رضي الله عنه مكانه المسجد الاقصى وصار اليهود في حمى الاسلام واستراحوا من ظلم المسيحيين وصاروا أحرارا في دينهم يسوسهم الاسلام جميعا بعدله ورحمته ، وصار هذا المسجد معبدا للمسلمين ولمن يدخل في دينهم من أهل الكتاب ونجت أورشليم من الخراب وعاد اليها المجد والعمران والاكرام وكثرت ذبائح المسلمين فيها في عيد الاضحى

تذكارا الحادثة ابراهيم خليل الله وتمت نبوة حجي حيث قال (٢ : ٦ قال رب الجنود هي مرة بعد قليل فأزلزل السموات والارض والبحر واليابسة ٧ وأزلزل كل الامم ويأتي مشتهى (١) كل الامم فأملأ هذا البيت مجدا قال رب الجنود ٨ لي الفضة ولي الذهب يقول رب الجنود ٩ مجد هذا البيت الاخير يكون أعظم من (مجده) الاول قال رب الجنود وفي هذا المكان أعطي السلام يقول رب الجنود . فمن تخريب الرومان لأورشليم وتشتيت اليهود سنة ١٣٢ الى هجرة النبي صلى الله عليه وسلم سنة ٦٢٢ تكون المدة ٤٩٠ سنة ولا يخفى أن الهجرة النبوية هي مبدأ التشريع الاسلامي ومبدأ عظمة النبي وظهور أمره وأيضا من سنة ١٣٢ الى دخول المسلمين أورشليم سنة ٦٣٦ تكون المدة ٥٠٤ سنين فاذا طرحنا منها ١٤ سنة وهي مدة الفرس التي فيها استراح اليهود من ظلم الرومانيين والمسيحيين تكون مدة الظلم والاضطهاد الخالصة هي ٤٩٠ سنة كان فيها اليهود في أتعس الحالات وأسوإها فكأنه بعد ٤٩٠ سنة من تشتت اليهود عظم شأن الاسلام وظهر أمره وأيضا بني الهيكل وعاد المجد لبيت الله وأنقذ اليهود من الظلم والاضطهاد وصاروا يرتعون حول هيكلهم في حمى الاسلام وحريته

هذا وقبل البدء في تفسير نبوة دانيال أقدم مقدمة أخرى وهي ان الاسبوع في اللغة العبرية والعربية معناه سبعة فهناك أسبوع أيام وأسبوع شهور وأسبوع سنين والاسبوع من الطواف هو سبع مرات وهكذا والقرينة هي التي تعين المراد ثم إن أعظم أعياد اليهود ثلاثة، عيد الفطير وهو أسبوع أيام وعيد الاسابيع وهو بعد سبعة أسابيع من الايام وعيد المظال وهو أسبوع أيام أيضا والسنة اليوبيلية كانت بعد سبع مرات سبع سنين . واليوم من أيام قضاء الله وعقابه لليهود بسنة كما في سفر العدد ص ١٤ عد ٣٣ (و بنوكم يكونون رعاة في القفر أربعين سنة ٣٤ كعدد الايام التي تجسستم فيها الارض أربعين يوما للسنة يوم) أما في غير ذلك فاليوم هو اليوم المعتاد . واذا قيل للمسلمين مثلا (بعد خمسين عيدا من أعيادكم

(١) حاشية في الاصل العبري (مشتهى) حمدوت أي الذي تحمده الامم وهو محمد صلى الله عليه وسلم وفي قوله أعطي السلام اشارة الى تحية المسلمين بقولهم السلام عليكم

يحصل لكم كذا وكذا) كان المعنى بعد خمسين سنة لان أي عيد من اعيادنا لا يتكرر في السنة الواحدة وكذلك عند اليهود فاذا قيل لهم (بعد خمسين فصحا) كان المعنى (بعد خمسين سنة) ولما كان أعظم أعيادهم أسبوع أيام جاز أن يقال لهم (بعد خمسين أسبوعا) أي من هذه الاسابيع العيدية يحصل كيت وكيت والمعنى بعد خمسين سنة . وعليه فالاسبوع في مقام القضاء والجزاء غيره في مقام الفرح والسرور والاول بمعنى اسبوع سنين والثاني بمعنى اسبوع أيام من أسابيع الأعياد وهي لا تتكرر في السنة الواحدة فبعد اسبوعين منها أو ثلاثة مثلا يراد به بعد سنتين أو ثلاثة لان كل اسبوع منها يقع في سنة واحدة . اذا علمت ذلك فاسمع الآن معنى نبوة دانيال :

كان دانيال مع الاسرى في بابل وكان حزينا جدا لاجل حالة أمته وكان يعلم أنه لابد لأمته أن تقضي سبعين سنة في الاسر والذل فكان يسأل الله تعالى دائما أن يعيد مجد أورشليم ويعمر خرابها ويبني بيتها و يعتق أمته من الذل والاسر فأخبره الله تعالى بما سيحصل لأورشليم ولأمته و بأنه قضى عليها قضاء آخر اطول من قضاء السبعين سنة فقال ٩ : ٢٤ (سبعون أسبوعا قضيت على شعبك وعلى مدينتك المقدسة) والسبعون اسبوعا في مقام القضاء والجزاء هي ٤٩٠ سنة كما قلنا قضاها الله تعالى على بني اسرائيل وعلى مدينتهم أورشليم وهي تبتدئ من سنة ١٣٢ التي فيها تلاشت كل قوة لهم وتبددوا في الارض ولم تقم لهم قائمة ومحيت مدينتهم محوا تاما وتنتهي بسنة ٦٢٢ التي هاجر فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وبها كمل أمره وعظم شأنه أو سنة ٦٣٦ وهي سنة فتح المسلمين لأورشليم أي بعد إسقاط ١٤ سنه وهي المدة التي استراح فيها اليهود من ظلم النصارى واستراح فيها الهيكل المقدس من إلقاء القاذورات والنجاسات فيه حينما استولى الفرس على بيت المقدس فالمدة من سنة ١٣٢ إلى هجرة المصطفى سبعون اسبوعا من السنين ومن هذه السنة أيضا إلى فتح أورشليم سبعون أسبوعا بعد اسقاط السنين التي استراح فيها اليهود من الظلم والاضطهاد ثم قال (لتكميل المعصية وتتميم الخطايا ولكفارة الأثم) فالكلمة المترجمة هنا بتكميل المعصية أصلها في العبري يفيد معنى التغطية

والستر . والكفارة هي الغفران والستر كذلك والمعنى : أن معاصي اليهود وأعمالهم السيئة تنهي في مدة السبعين أسبوعا وتبطل لشدة ضعفهم وتبددهم وذلك أنهم في زمن المسيح عليه السلام كذبوه وعصوه وحاولوا قتله وصلبه وكان يقول لهم كما في متى ٢٣ : ٣٢ (فاملأوا انتم مكيال آبائكم ٣٣ أيها الحيات أولاد الافاعي كيف تهربون من دينونة جهنم ٣٤ لذلك ها أنا أرسل إليكم أنبياء وحكماء وكتبة فمنهم تقتلون وتصلبون ومنهم تجلدون في مجامعكم وتطردون من مدينة إلى مدينة ٣٥ لكي يأتي عليكم كل دم زكي سفك على الارض من دم هابيل الصديق إلى دم زكريا ابن برخيا الذي قتلتموه بين الهيكل والمذبح — الى قوله — ٣٨ هوذا بيتكم يترك لكم خرابا) فلم يكن ذنبهم اكمل في زمن المسيح عليه السلام . وهذا التعبير العبري قد ورد مثله في سفر التكوين في مقام آخر فقال (١٥ : ١٦ وفي الجيل الرابع يرجعون إلى هنا لأن ذنب الاموريين ليس الى الآن كاملا) وقال في سفر دانيال (٨ : ٢٣ عند تمام المعاصي يقوم ملك جافي الوجه) و بعد زمن المسيح صاروا يملأون مكيال آبائهم بقتل بعض الحواريين واضطهادهم وإخراجهم من مدينة إلى أخرى وإيذائهم المسيحيين و بعد حرب طيطس عادوا إلى أورشليم وحسنوها وشيدوها. ولما ظهر منهم مدعي النبوة كذبا وهو الذي سمى نفسه (المسيح بن الكوكب) انضموا إليه وأيدوه وفتكوا بكثير من النصارى وجاءهم كثير من اخوانهم المشتتين في الآفاق وحاربوا الرومان فغلبوا وقتل مسيحهم هذا . وأخذ كثير منهم أسرى ومنعوا من الاقتراب من مدينة أورشليم إلا يوما واحدا في السنة لينوحوا على خرابها وكان ذلك في سنة ١٣٢ وحينئذ كان قد كمل ذنبهم ولم تقم لهم بعد ذلك قائمة لشدة ضعفهم وتفرقهم وذلهم وتشتتهم في جميع الآفاق تشتتا لم ترجع لهم بعده أدنى قوة في أورشليم على الرومان ، ففي مدة السبعين أسبوعا انتهت معاصيهم بعد أن كملت و بطلت آثامهم وأصبحوا أذلاء مضطهدين مبددين معذبين وذلك هو جزاؤهم على ذنوبهم وتكفير لآثامهم الماضية بصفتهم أمة ومن آمن منهم بمحمد عليه السلام غفر له ما تقدم من ذنبه في الدنيا والآخرة . قال تعالى في القرآن الشريف « إن احسنتم أحسنتم لانفسكم وإن أسأتم فلها فاذا جاء وعد الآخرة

ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا ، عسى ربكم أن يرحمكم وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا)

ثم قال جبريل لدانيال (وليؤتى بالبر الأبدي ولختم الرؤيا والنبوة ولمسح قدوس القديسين) وهو محمد صلى الله عليه وسلم والبر الأبدي هو الدين الاسلامي الذي بدأ يظهر و يعلو وتوحى شرائعه العالية بعد سنة ٦٢٢ التي كانت فيها الهجرة النبوية و بمحمد صلى الله عليه وسلم ختمت الرؤيا والنبوة كما قيل لدانيال فالسبعون أسبوعا بدأت بعد أن كمل اثم اليهود سنة ١٣٢ التي بعدها زالت منهم كل قوة وأصبحوا أذلاء وتمت بهجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم الذي فتح خليفته أورشليم و بنى بيتها المقدس وعمره بعبادة الله ومنع الظلم والأذى عن اليهود وصاروا فيها أحرارا إلى اليوم فكأن الله تعالى قال لدانيال إني سأجيب دعاءك لليهود ولمدينتهم ، لكن ذلك بعد أن اقتص منهم على ذنوبهم وأكفرها عنهم بتعذيبهم سبعين أسبوعا وهو القضاء الآخر الذي قضيته عليهم غير قضاء السبعين سنة التي أسروا فيها في بابل

ثم بدأ الله تعالى يبين له حال أمته وما سيحصل لها بعد نجاتها من أسر بابل الى حين مجيء هذا القضاء الثاني عليهم . وأنه بعد هذا القضاء الثاني يمكنهم أن يسكنوا في أورشليم حول هيكلهم في حمى الاسلام آمنين مطمئنين و يبنى هذا الهيكل لعبادة الله تعالى و يعود إليه مجده كما أنبأ بذلك حجي الذي سبقت نبوته هنا فقال جبريل لدانيال (فاعلم وافهم أنه من خروج الامر لتجديد أورشليم و بنائها) وهذا الامر قد خرج من كورش سنة ٥٣٦ قبل الميلاد برد اليهود الى أورشليم و بناء هيكلها الذي هو أعظم شيء فيها ولذلك قال لتجديد أورشليم و بنائها فكأنه إذا بني الهيكل فقد جددت أورشليم و بنيت وعمرت لانه صرح لهم بالرجوع اليها والسكنى فيها فمن الضروري أن يبنوا لهم فيها بيوتا فتعود المدنية كما كانت. وقوله (فاعلم وافهم أنه من خروج الامر الخ) يشعر بأن هذا الامر كان قد خرج في زمن دانيال وعلم به وهذا صحيح فان دانيال مات بعد صدور هذا الامر بسنتين أي في سنة ٥٣٤ ق.م ولو كان هذا الامر صدر بعد مماته كما تقول النصارى لقال له (فاعلم وافهم انه سيخرج

أمر لتجديد أورشليم و بنائها ومن بعد هذا الامر إلخ إلخ) فمن خروج الامر لتجديد أورشليم و بنائها و بناء هيكلها (إلى المسيح الرئيس سبعة أسابيع واثنان وستون أسبوعا) والمسيح الرئيس هو نحميا الذي ولاه ارتحشتا الملك حاكما على اليهود فبنى سور أورشليم وأصلح أمورهم وأقام شريعة موسى لهم وهو أعظم من ولي عليهم بعد السبي بل هو الوالي الوحيد من بيت داود وأول من جدد مجد أورشليم وأعاد اليها رونقها القديم ولذلك قال الله عنه لارميا ٣٣ : ١٥و١٦ (في تلك الايام وفي ذلك الزمان أنبت لداود غصن البر فيجري عدلا و برا في الارض . في تلك الايام يخلص يهوذا وتسكن أورشليم آمنة وهذا ما تتسمى به الرب برنا) وسمي نحميا بالمسيح الرئيس لانه كان كملك لهم وكانوا يسمون ملوكهم مسحاء وكذلك الكهنة والانبياء والرؤساء لانهم يمسحونهم بالزيت أو الدهن عند ابتداء تعيينهم لخدمة الله أو الشعب (راجع سفر الخروج ٤٠ : ١٩ إلى ١٥) وسمي كورش أيضا (مسيح الرب) كما في أشعيا (٤٥ : ١) وقيل في سفر أخبار الايام الاول ١٦ : ٢٢ (لا تمسحوا مسحائي ولا تؤذوا أنبيائي) وقال في سفر الملوك الاول ٥ : ١ (وأرسل حيرام الى سليمان لانه سمع أنهم مسحوه ملكا) أي ولوه وقال في ١ ملو ١٩ : ١٦ (وامسح إليشع نبيا عوضا عنك) . وسمي عيسى بن مريم بالمسيح لانه أعظم من بعث بعد موسى من أنبياء بني اسرائيل وأفضل من جميع كهنتهم وملوكهم

وقوله (سبعة أسابيع واثنان وستون أسبوعا) معناه ٦٩ سنة لان الاسبوع هنا غيره في مقام القضاء والجزاء فيراد به أسبوع الفرح والسرور أي الاعياد لان أعظم أعيادهم كانت أسبوعية كما سبق وكل أسبوع من أسابيع الاعياد يقع في سنة ولا يتكرر فيها فيكون المراد بالاسبوع السنة كلها فكأن باقي السنة الخالي من الاعياد الاسبوعية لا قيمة له ولا يحسب عليهم . ومن عرف قدر فرح اليهود وسرورهم لخلاصهم من أسر بابل وعودتهم الى مدينتهم وأنهم حفظوا عيد المظال وغيره في أورشليم كما كانوا يحفظونه من قبل (راجع سفر عزرا الاصحاح الثالث والسادس) علم معنى التعبير عن السنة هنا بالاسبوع كأن السنة كانت تمضي

عليهم كما يمضي أسبوع العيد هذا اذا صح أن أصل العبارة كانت كما وصلت الينا ويجوز أن يكون وقع فيها سهو أو خطأ من الكاتب فكتب هنا بدل سنين وسنة أسابيع وأسبوعا قياسا على الجملة السابقة وهي قوله سبعون أسبوعا والاعتذار عن مثل ذلك بخطأ الكاتب معهود عند النصارى في ألوف الغلطات الواقعة في كتبهم المقدسة (راجع كتاب خلاصة الادلة السنية على صدق الديانة المسيحية صفحة ٥٦ ـ ٥٩ و ١٠٢) ولعل في قوله (سبعة أسابيع وإثنان وستون أسبوعا) إشارة الى مدة حكم (كورش) فانه أصدر أمره في السنة الاولى من حكمه ومات بعد سبع سنين ولما كان هذا الملك عادلا محبوبا مبجلا عندهم حتى دعته كتبهم مسيح الرب كما سبق كان جديرا بأن تعرف مدة حكمه وتمتاز عن غيرها تذكارا له واجلالا لمقامه . وانما عبر في هذه النبوة بالاسابيع بدل السنين لان المعتاد في جميع نبوات العهدين أن يوجد فيها مثل هذا الغموض كما قلنا وكون المراد بالاسابيع هنا السنين مسلم به عند النصارى واليهود فهو ليس تأويلا خاصا بنا . ومن صدور هذا الامر الى ولادة نحميا ٦٩ سنة كما سبق بيانه في النبذة التاريخية

ثم قال (يعود ويبنى سوق وخليج في ضيق الازمنة) ومعنى ذلك عندهم بناء نحميا للسور حول أورشليم كما تقدم . وفي الترجمة الانكليزية بدل هذه الجملة (يعود ويبني الشارع والسور في أزمنة مضايقة) وذلك لانهم كانوا محاطين بكثير من الاعداء الحاقدين عليهم المهددين لهم الواشين بهم كما يعلم من سفر نحميا (و بعد اثنين وستين أسبوعا يقطع المسيح وليس له) أي و بعد ٦٢ سنة من ولادة نحميا يموت أو يقتله أعداؤه كما سبق فعمره كان ٦٢ سنة فقط وقوله (وليس له) (١) معناه ليس له ولد أو ليس له وارث فانه لم يعين عليهم أحد بعده واليا وكان نحميا من الاشراف ومن بيت داود ومع ذلك لم يذكر في الكتاب المقدس أنه كان له أولاد

(١) حاشية قال أرميا في مراثيه ٥ : ٧ (آباؤنا أخطأوا وليسوا بموجودين) ومن وضع بعض كلمات هذه العبارة في الترجمة الانكليزية بأحرف ايطالية (Italic) يفهم أن الاصل العبري كان (آباؤنا أخطأوا ليسوا) فالظاهر أن الايجاز في العبرية يكون بحذف بعض كلمات تفهم من المقام كما هو في العربية في نحو قوله تعالى (فأرسلون ، يوسف أيها الصديق) ويوجد لذلك أمثلة أخرى كثيرة في اللغتين وفي القرآن وفي كتبهم المقدسة

فهذه العبارة تشبه قوله في سفر التكوين ٣٨ : ٩ (فعلم أونان أن النسل لا يكون له) و يحتمل أنه سقط من الكاتب خطأ لفظ (ولد) وكان الاصل (وليس له ولد) وأمثلة سقوط كثير من الالفاظ من الكتاب المقدس كثيرة تراجع في كتاب إظهار الحق في فصل اثبات التحريف بالنقصان . ولنا أن نقول فيها أيضا نحو ما يقول النصارى أن نحميا قتله أعداؤه الكثيرون بعد أن فكروا في ذلك كما يفهم من سفره (اصحاح ٦ : ١٠ ـ ١٤) ولم يقتل لاجل نفسه أي في سبيل مصلحته الشخصية ومنفعته الذاتية بل قتل في سبيل المصلحة العامة ونفع الامة فلم يكن أعداؤه ينقمون منه سعيه في سبيل نفع نفسه بل سعيه في نفع أمته وتقويتها والمحافظة عليها و بناء سور أورشليم وتحصينها ضد أعدائها فهو قتل لامته ولم يكن قتله لاجل نفسه أي لتحصيل منفعة خاصة به ، و بعد موت نحميا كان اليهود حصلوا على شيء مما فقدوه من القوة ولكنهم بقوا في بلادهم خاضعين للاجانب الازمنا يسيرا الى أن حاربهم (طيطس) الروماني سنة ٧٠ بعد الميلاد ولذلك قال (وشعب رئيس آت يخرب المدينة والقدس وانتهاؤه بغمارة والى النهاية حرب وخرب قضي بها) وقد خرب القدس (طيطس) وقتل منهم الالوف كما قال (ويثبت عهدا مع كثيرين في أسبوع واحد) وفي الترجمة الانكليزية (لاسبوع واحد) والمراد بالاسبوع هنا أسبوع سنين لانه ذكر في مقام القضاء والجزاء والمعنى كما قال علماء اليهود أن طيطس طلب منهم أن يسالموه ويقطعوا معه عهدا ولا يأخذ منهم خراجا لمدة سبع سنين فخرج إليه كثير من كبراء اليهود فأمنهم وكان ينصحهم بعدم العصيان وأظهر لهم أنه لا يريد تخريب الهيكل ، ولما علم العصاة منهم بخروج كبرائهم ضبطوا طرق القدس لئلا يخرج غيرهم وأمر طيطس بابقاء الهيكل ولكن ألقى عليه أحد الرومانيين نارا فأحرقه وكان طيطس يسعى في إطفاء النار ولكن الرومانيين كانوا ينهبون ويقتلون ويخربون (وفي وسط الاسبوع يبطل الذبيحة والتقدمة) لاحراق الهيكل وإبادته وقد بدأت حرب الرومان لهم سنة ٦٨ وتم خذلانهم واحراق هيكلهم في أواخر سنة ٧٠ أي في نحو ٣ سنين فأبطل الرومان الذبيحة والتقدمة في وسط الاسبوع . وكان (يوسيفوس) المؤرخ اليهودي الشهير مع طيطس وينصح أمته ويقول لهم (أني لست أعجب من خراب هذا البيت وهذه

المدينة لكنني أعجب منكم وأنتم تقرأون كتاب دانيال النبي وتعلمون ما ذكره من إبطال الذبيحة وزوال التقدمة وترون ذلك قد صح وثبت) فلم يسمع عصاة اليهود له وهذا يدل على أن المراد بما ذكر في كتاب دانيال هو ما قلناه هنا وكذلك قوله (وعلى جناح الأرجاس مخرب حتى يتم و يصب المقضي على المخرب) وقرئ في بعض النسخ العبرية وفي الترجمة السبعينية (وفي الهيكل رجسة الخراب) وفي ترجمة الكاثوليك (تقوم رجاسة الخراب وإلى الفنا المقضي ينصب غضب الله على الخراب) وقال المسيح عليه السلام كما في إنجيل متى (٢٤ : ١٥ فمتى نظرتم رجسة الخراب التي قال عنها دانيال النبي قائمة في المكان المقدس إلخ) فكل ذلك يدل على أن المراد بما ذكر في نبوة دانيال هو حرب الرومان لليهود لا صلب المسيح الذي يدعي النصارى أنه أبطل به الذبيحة والتقدمة فانها لم تنته بعد صلبه بل كان اليهود يحافظون عليها حتى خرب الهيكل وأحرق فبطلت حينئذ على أننا لا ندري لماذا يبطل الصلب الذبيحة والتقدمة فان كانت تعمل قبله رمزا إليه فلماذا لا تعمل بعده للتذكير به ؟ فان قيل إنها بعد الصلب لم يبق لها فائدة في غفران الذنوب قلت وكذلك هي قبل الصلب كما يزعمون فان الغفران لم يكن حينئذ لأجلها بل لأجل الصلب المنتظر كما يدعون (راجع مقالة القرابين والضحايا)

و بعد حرب سنة ٧٠ بمدة قليلة عاد اليهود الى أورشليم و بنوا وشيدوا ولا يبعد أنهم أقاموا محرقات في الهيكل و إن كان خربا كما أقامها الذين أتوا من بابل قبل بنائهم للهيكل الذي كان أحرقه بختنصر وخربه كما في سفر عزرا (٣ : ٦) ولكن بعد حرب سنة ١٣٢ محيت مدينتهم وتشتتوا في الأرض ومنعهم الرومان من الاقتراب من أورشليم و بعد سبعين أسبوعا قضيت عليهم وعلى مدينتهم جاء الاسلام فبنى بيت المقدس وأمن اليهود من ظلم المسيحيين وايذائهم لهم وانصب غضب الله على المخرب (دولة الرومان) فأزال ملكها المسلمون من الأرض المقدسة وغيرها

وفي قوله (وانتهاؤه بغمارة وإلى النهاية حرب وخرب قضي بها) إشارة إلى دوام الحرب مدة طويلة فانه بعد ٧٠ سنة أتى الرومان سنة ١٣٢ وأهلكوا اليهود وشتتوهم ومحوا مدينتهم محوا تاما

أما قول النصارى (إن السبعين أسبوعا) تبتدىء من صدور أمر أرتحشتا لنحميا بالرجوع إلى أورشليم لبناء سورها فغلط لعدة وجوه

(١) إن نص عبارة دانيال أن الأمر كان لبناء أورشليم و بناء السور ليس بناء لأورشليم فان أورشليم كانت بنيت قبل نحميا لان هيكلها بني و بنيت بيوت اليهود حوله للسكنى فيها ولم يبن نحميا سوى السور كما هو ظاهر من كتابه والدليل على أن البيوت كانت مبنية قوله في كتابه ٣ : ٢٨ (وما فوق باب الخيل رممه الكهنة كل واحد مقابل بيته) وفي هذا الأصحاح يذكر بيوتا أخرى فالبيوت كانت مبنية قبل مجيء نحميا ولذلك قال ١ : ٣ (وسور أورشليم متهدم وأبوابها محروقة بالنار) فهو أصلح السور فقط وأبوابه وأما قوله للملك ٢ : ٣ (والمدينة بيت مقابر آبائي خراب وأبوابها قد أكلتها النار) فالمراد به سورها وإنما أورده كذلك مبالغة ليرثي الملك له وليشفق عليه فيرده إليها

(٢) قوله (من خروج الامر لتجديد أورشليم) يشعر بأن هذا الامر يعلمه دانيال وهو الواقع كما بينا وعلى قول النصارى يكون حصل بعده وما كان يعلمه وهذا يخالف مفهوم عبارته

(٣) إنهم إختلفوا في تاريخ صدور هذا الامر فقال بعضهم إنه صدر من أرتحشتا لنحميا سنة ٤٤٤ أو سنة ٤٤٥ وقال آخرون سنة ٤٥٤ فعلى القول الاول تكون نهاية السبعين اسبوعا سنة ٤٦ بعد الميلاد أو سنة ٤٥ وفي هذه السنة كان قد مات المسيح لان عمره كان ٣٣ سنة وعلى القول الثاني تكون نهاية السبعين اسبوعا سنة ٣٦ ميلادية وهي بعد موت المسيح بثلاث سنين

(٤) قوله (من خروج الامر إلى المسيح الرئيس سبعة أسابيع واثنان وستون اسبوعا) قال فيه صاحب كتاب الهداية إنه فصل السبعة أسابيع وحدها لانها مدة بناء أورشليم وهو خطأ لان سور أورشليم تم في ٥٢ يوما ولم يبن نحميا غيره (نح ص ٦ : ١٥)

(٥) قول دانيال (يعود و يبنى سوق وخليج في ضيق الازمنة) صريح في أن المراد بالمسيح هنا هو نحميا فقد حصل ذلك في زمنه

(٦) قوله (و بعد ٦٢ اسبوعا يقطع المسيح) لا يفهم أيضا معناه على قولهم لانه لم يقطع بعد مجيئه باثنين وستين اسبوعا وتفسيرهم لها في غاية الركاكة والتعسف كما لا يخفى على من نظر كتبهم

(٧) قوله (وشعب رئيس آت يخرب المدينة والقدس الى قوله ويثبت عهدا مع كثيرين في اسبوع واحد وفي وسط الاسبوع يبطل الذبيحة والتقدمة الخ) صريح فيما ذهبنا اليه وفي حمله على المسيح عيسى عليه السلام تفكيك للعبارة وقلب لجملها بالتقديم والتأخير ومع ذلك فالمسيح لم يبطل الذبيحة والتقدمة كما بينا ولم يثبت عهدا مع كثيرين لأسبوع أوفي أسبوع لان مدة نبوته كانت ثلاث سنين فقط

(٨) من تأمل في هذا الاصحاح كله علم أن دانيال كان يطلب من الله أن يرأف بأورشليم ويرحم أمته فجاءه جواب جبريل على قولنا بأنها ستعمر من تاريخ صدور الامر الى حين تخريب الرومان لها وفي هذه المدة يعين نحميا (وهو المسيح الرئيس) فيحصنها ويبني سورها ، و بعد تمام تخريب الرومان لها تمكث سبعين أسبوعا على تلك الحالة ثم يأتي البر الابدي لامته و يغفر ذنبها و يمسح قدوس القديسين (محمد) وهو الذي تعيد أمته لها العمران والمجد وأما على قول النصارى فيكون جواب جبريل لدانيال أن مدينتك ستمكث سبعين أسبوعا و بعدها تخرب خرابا أبديا فأي الجوابين هو الانسب لطلب دانيال ودعائه وصلواته ؟ وقوله ان السبعين اسبوعا قضيت عليهم يشعر بأنها أسابيع عذاب وخراب كما هو قولنا لا أسابيع راحة وعمران كما هو مقتضى قول النصارى والخلاصة أن تفسير النصارى لعبارة دانيال ركيك ومتكلف فيه وغلط وفيه من التعسف والخلط والخبط مالا يخفى على بصير

(برهانهم الثاني) قالوا ان أشعيا النبي أخبر بحادثة الصلب وبحمل المسيح ذنوب الناس و بتقديم نفسه كفارة عنهم وذلك حسبما ورد في الاصحاح الثالث والخمسين من سفره

ونقول ان هذا الاصحاح متصل بالاصحاح الثاني والخمسين الذي قبله وكلاهما في موضوع واحد لاعلاقة له البتة بالمسيح عليه السلام وموضوعهما أمر بني اسرائيل الى بابل فهما نبوءة عن حصول الاسر وعن نجاة بني اسرائيل منه قال ٥٢ : ١

(استيقظي استيقظي البسي عزك ياصهيون البسي ثياب جمالك يا أورشليم ...... انحلي من ربط عنقك أيتها المسبية ابنة صهيون ٣ فان هكذا قال الرب مجانا بعتم وبلا فضة تفكون ٤ لانه هكذا قال السيد الرب الى مصر نزل شعبي أولا ليتغرب هناك . ثم ظلمه أشور بلا سبب ٥ فالآن ماذا لي هنا يقول الرب حتى أخذ شعبي مجانا الى قوله ٨ . . . عند رجوع الرب الى صهيون ٩ أشيدي ترنمي يا أورشليم لان الرب قد عزى شعبه فدى أورشليم ١١ اعتزلوا اعتزلوا اخرجوا من هناك لا تمسوا شيئا نجسا اخرجوا من وسطها تطهروا ياحاملي آنية الرب ١٢ لانكم لا تخرجون بالعجلة ولا تذهبون هاربين لان الرب سائرا أمامكم وإله اسرائيل يجمع ساقتكم ١٣ هوذا عبدي يعقل ويتعالى و يرتقي ويتسامى جدا) والمراد بالعبد هنا شعب إسرائيل فان الكتاب المقدس يتكلم عنه كثيرا كشخص مفرد فمن ذلك قوله في سفر أشعيا هذا ٤١ : ٨ (وأما أنت يا اسرائيل عبدي يا يعقوب الذي اخترته نسل ابراهيم خليلي .... وقلت لك أنت عبدي اخترتك) وقوله ٤٣ : ١ (يقول الرب خالقك يا يعقوب وجابلك يا اسرائيل . . . ـ ٢ اذا اجتزت في المياه فأنا معك وفي الانهار فلا تغمرك ٣ لاني أنا الرب إلهك قدوس إسرائيل مخلصك جعلت مصر فديتك ـ ١٤ كما اندهش منك كثيرون . كان منظره كذا مفسدا أكثر من الرجل وصورته أكثر من بني آدم) وذلك اشارة للشعب ولتشوهه في بلاد الغربة وهو أسير ذليل ولما أخذوا الى بابل مات كثير منهم ومن رجع من اولادهم كان منظره متغيرا ٥٣ : ٢ (نبت قدامه كفرخ و كعرق من أرض يابسة) وهذا إشارة لآبائهم الذين كانوا في التيه وأبناؤهم الذين حضروا الى الارض المقدسة نبتوا في الارض اليابسة كما قال أرميا النبي ٢ : ٦ (الذي أصعدنا من مصر الذي سار بنا في البرية في أرض قفر وحفر في أرض يبوسة ٧ وأتيت بكم الى أرض بساتين لتأكلوا ثمرها) وهذا لايفهم له معنى في حق المسيح عليه السلام ثم قال ٥٣ : ٢ (لاصورة له ولاجمال) فلما أتوا من التيه الى الشام كانت صورتهم متغيرة كتغيرها بعد أسر بابل من الذل والفقر والمشاق وغير ذلك ٥٣ : ٣ (محتقر ومخذول من الناس) لانهم كانوا أسرى أذلاء ضعفاء وقوله ٦ (والرب وضع عليه اثم جميعا ٧ ظلم أما هو فتذلل)

يفسره قول النبي أرميا الذي شاهد بنفسه حادثة أسرهم الى بابل فقال في مراثيه ٥: ٧ (آباؤنا أخطأوا وليسوا بموجودين ونحن نحمل آثامهم ٨ عبيد حكموا علينا . ليس من يخلص من أيديهم ١٠ جلودنا اسودت كتنور من جرى نيران الجوع) وهذا كقول أشعيا فيما سبق لاصورة له ولاجمال الخ ١١ (أذلوا النساء في صهيون العذارى في مدن يهوذا) وقوله ظلم هو كقوله في الاصحاح الذي قبله ٥٢ : ٤ (ثم ظلمه أشور بلاسبب) وقوله (كشاة تساق الى الذبح) معناه أن ملك بابل ساقهم وهم أسرى كما تساق الشاة الى الذبح وقدمات أكثرهم هناك من الاضطهاد والتعذيب والقتل والجوع والتعب وغيره مما حل بهم ثم قال ٥٣ : ٨ (وفي جيله من كان يظن انه قطع من أرض الاحياء انه ضرب من أجل ذنب شعبي) وقدسبق تفسير ذلك من مراثي أرميا ٩ (وجعل مع الاشرار قبره ومع غني) لانهم كانوا يدفنون مع الوثنيين وهم أغنياء في بابل مدة سبعين سنة وأما المسيح فدفن وحده في قبر جديد في بستان لم يدفن فيه أحد قبله (يو ١٩: ٤١) ولم يكن معه أحد من الاشرار ولا من الاغنياء كما قال أشعياء عن بني اسرائيل مدة أسرهم هذه ١٠ (أما الرب فسر أن يسحقه بالحزن) وصحة الترجمة أراد وفي نسخة الكاثوليك (رضي أن يسحقه بالعاهات إن جعل نفسه ذبيحة إثم) والنص العبري هكذا (أراد الرب أن يضربه بالحزن لانه جعل نفسه آثما) وهذا مثل ما سبق في مراثي أرميا وقال أشعياء أيضا ٥١ : ١٩ (إثنان هما ملاقياك « وذلك خطابا لأورشليم » من يرثي لك ؟ الخراب والانسحاق والجوع والسيف. بمن أعزيك؟ ٢٠ بنوك أعيوا اضطجعوا في رأس كل زقاق) وقد لاقوا كل ذلك من ملك بابل فخرب أورشليم ومات منهم كثيرون بالقتل والجوع وغيرها . ثم قال ١٠ (يرى نسلا تطول أيامه) إشارة لرجوعهم الى وطنهم وتناسلهم فيه . وأما المسيح فلم يكن له نسل حتى تصح هذه العبارة فيه

ثم قال (وعبدي البار بمعرفته يبرر كثيرين . وآثامهم هو يحملها) وقد حصل ذلك فاضطهد البار منهم وعذب وأسر بسبب ذنب الاشرار منهم . قال تعالى (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) أي تعم الصالح والطالح ويؤخذ البريء بذنب المذنب في مثل هذه الاحوال . ويصح ان يكون المراد أن الشرير

منهم إذا أطاع الصالح وتاب واستقام تمحى ذنوبه فكأن الصالح حملها ورفعها عن عاتقه أي أزالها عنه بهدايته له . ثم إن الله تعالى في مثل هذه الاحوال ينجي الاشرار ولا يهملهم إلا لأجل إكراما للابرياء الذين ظلموا معهم وأخذوا بذنبهم فكأنهم حملوا آثامهم عنهم وقد قال في أرميا ٥٠ : ٣٣ (إن بني اسرائيل و بني يهوذا مظلومون وكل الذين سبوهم أمسكوهم) وقال أيضا ار ٣٣ : ٧ (وأرد سبي يهوذا وسبي اسرائيل . . . ـ ٨ وأطهرهم من كل اثمهم وأغفر كل ذنوبهم) وقال أر ٥٠ : ٢٠ (في تلك الايام يطلب اثم اسرائيل فلا يكون وخطية يهوذا فلا توجد لاني أغفر لمن أبقيه) فأسرهم إلى بابل وهم مظلومون طهرهم من الذنوب والآثام تحملت عنهم وغفرت كلها والحامل لها هم المأسورون المسبيون. وقوله ١٢ (وهو حمل خطية كثيرين وشفع في المذنبين) صحة ترجمته (وللعصاة يدعو) أي يدعو الله لهم بالتوبة والهداية . فالكلام كله في شعب إسرائيل ولا علاقة له بالمسيح عليه السلام ومما يؤيد ذلك قوله فيما سبق (ضرب من أجل ذنب شعبي) فان أصله العبري (ضربوا من أجل ذنب شعبي) بالجمع لان الكلام في بني إسرائيل ولكن أبى النصارى إلا أن يترجموها بالافراد ليحملوها على المسيح تحريفا منهم للكلام وكذلك قوله (أحصي مع أئمة) ينطبق على بني اسرائيل أكثر من انطباقه على المسيح فانهم عدوا في بابل مع الكفرة الوثنيين وأما المسيح فقالوا إن ذلك إشارة لصلبه مع اللصين وكذلك قال مرقس في إنجيله ١٥ : ٢٨ مع إن لوقا يقول ٢٣ : ٤٢ إن المسيح قال لاحدهما (إنك اليوم تكون معي في الفردوس) فكيف يكون هذا آثما فحينئذ لم يكن معه آثم سوى واحد فقط ولكن أشعياء يقول (وأحصي مع أئمة) فلذا قلنا إنه أظهر في قولنا منه في قولهم. على أن صلب اللصين عجيب غريب لان شريعة موسى لا توجب القتل على السارق إلا إذا سرق إنسانا ولا توجب عليه الصلب وإنما يعلق على الخشبة بعد موته (راجع خر ٢١ : ١٦ و ٢٣ : ١ وكذا تث ٢١ : ٢٢ و ٢٣) والشريعة الرومانية لا يوجد فيها الصلب للصوص وهم أحياء بل كان الجلد عندهم عقاب

السارق. فكيف صلب هذان اللصان وهما أحياء؟ وبحسب أي شريعة كان ذلك؟؟ وكيف يجمع بين قول انجيل مرقس ١٥: ٣٢ ان اللصين كانا يعيران المسيح وقول لوقا ٢٣: ٣٩ - ٤٣ إن الذي عيره واحد منهما؟ فان قيل إنهما عيراه في اول الامر ثم تاب أحدهما. قلت هذا تلفيق واختراع لم يرد في الاناجيل ما يشير إليه بل يفهم منه خلافه

وجملة القول ان الاصحاح الثاني والخمسين والثالث والخمسين لاعلاقة لهما بالمسيح مطلقا وهما مختصان بشعب اسرائيل. وما في الاصحاح الثالث والخمسين من التعبيرات والافكار المتعلقة بالفداء وحمل الآثام وعقاب البرىء بذنب المذنب حمله اليهود المتنصرون في مبدأ المسيحية كبولس وأضرابه الى ديانتهم الجديدة فأدخلوا فيها هذه العبارات والافكار وطبقوها على المسيح ثم توسعوا فيها شيئا فشيئا حتى وصلت عقائدهم الى ما نعرفه عنهم اليوم ومما ساعد على انتشارها بين الناس وجود أمثالها عند الأمم الوثنية من قديم الأزمان كما أثبته صاحب كتاب (العقائد الوثنية في الديانة النصرانية) فأفكار اليهود في الخلاص من مصر ومن بابل تحورت في المسيحية وولدت عقائد الصلب والخلاص والفداء فيها وبعد أن كانت هذه العقائد في مبدأ المسيحية صغيرة كما في الاناجيل فان مؤلفيها كانوا يفهمون أن المسيح يخلص شعبه من خطاياهم (متى ١: ٢١) شبت ونمت حتى وصلت الى ماوصلت اليه في رسائل بولس (راجع مثلا الاصحاح الخامس من رسالته الى أهل رومية) وصار الخلاص لجميع البشر من ذنب أبيهم آدم ولم يقل ذلك المسيح ولا مؤلفوا الاناجيل ثم توسعوا في هذه الافكار وهذه الخيالات حتى وصلت الى ماوصلت اليه اليوم مما نسمعه منهم ونقرأه في كتبهم التي صدعوا رؤوس العالم بها لاعجابهم بهذه العقائد التي لاتروق إلا لهم ولا تعجب الا عقولهم

(برهانهم الثالث) المزمور الثاني والعشرون وخصوصا قول داود عليه السلام فيه ١٢ (أحاطت بي ثيران كثيرة. أقوياء باشان اكتنفتني الى قوله ١٦ ثقبوا يدي ورجلي" ١٧ أحصي كل عظامي. وهم ينظرون ويتفرسون فيّ ١٨ يقسمون ثيابي بينهم وعلى لباسي يقترعون) وفي النسخة العبرية بدل (ثقبوا يدي ورجلي") قوله (كأسد يدي ورجلي") ولذلك قال البروتستنت ان الكلمة المترجمة هنا (بثقبوا)

يراد بها أيضا كأسد. والسيد داود عليه السلام يشير في هذا المزمور الى حادثة وقعت له وهي مذكورة في سفر صموئيل الاول (إصحاح ٢٩ و ٣٠) وكانت هذه الحادثة مع العمالقة في صقلغ وكان معه من بني اسرائيل جماعة ومنهم من أرضهم في باشان وهم الذين هموا برجمه لما سبيت نساؤهم وأولادهم (اصمو ٣٠: ٤-٦) وقد سبيت امرأتاه أيضا فبكى هو ومن معه بكاء مرا ولكنه تشدد بالرب إلهه ودعاه بهذا المزمور فقوله (أقوياء باشان اكتنفتني) هم الذين كانوا معه من بني جاد ومن بني منسى لأن أرضهم في باشان وهم الذين قالوا برجمه وقد سماهم ثيران (مز ٢٢: ١٢) وقوله بعد ذلك (جماعة من الاشرار اكتنفتني) هم العمالقة الذين سبوا زوجتيه ولا بد أنهم أخذوا ملابسه معهم أيضا ولذلك قال ١٨ (يقسمون ثيابي بينهم وعلى لباسي يقترعون) وقوله (كأسد يدي ورجلي) اشارة لشجاعته وشدته وقد نصره الله على العمالقة واسترد منهم كل ماأخذوه. فأي علاقة لهذا بالمسيح؟ نعم انهم اخترعوا له أشياء تشبه بعض ماذكر في هذه الحادثة ليطبقوها عليه فقالوا ان العساكر اقتسمت ثيابه يوحنا (١٩: ٢٣ و ٢٤) مع ان المسيح ما كان يلبس شيئا فاخرا لتقشفه وزهده ولا يعقل أن الولاة أعطوه وهو محكوم عليه لباسا نفيسا حتى تهتم العساكر بقسمته بينهم ولكن النصارى كما قال السيد جمال الدين (فصلوا ثوبا من العهد العتيق وألبسوه للمسيح) فضلوا وأضلوا هداهم الله (يتلى)

اتفاقيات سرية (*)

﴿ على مراكش والعجم وطرابلس الغرب ﴾

من المعلوم ان في بلاد الانكليز حزبين كبيرين يعود تاريخ انشائهما الى مئات من السنين. وهذان الحزبان هما حزب الاحرار المتولي اليوم زمام الاحكام وحزب المحافظين. ومن المعلوم أيضا ان سياسة اوربة في الوقت الحاضر تحوم حول قوتين هائلتين احداهما ألمانية ومناصروها من النمساويين وغيرهم والثانية انكلترة واصدقاؤها

(*) نقلا عن جريدة الافكار (عدد ٦١٥) التي تصدر في سان باولو (البرازيل)

من فرنسيين وغيرهم . وكل مايجري في العالم السياسي تكون علله ومعلولاته راجعة الى احدى هاتين الدولتين

ولا جرم أن توازن القوات هو مايحدو برجال السياسة المفكرين الى الخوف من نشوب حرب طاحنة بين تينك الدولتين وحليفاتهما على نحو ماجرى بين فرنسة وانكلترة في زمن نابوليون بونابرت وما جرى بين روسية وانكلترة في النصف الاخير من القرن الماضي . فان الحروب العظيمة التي افنت قوى أوربة على زمن بونابرت لم تكن سوى نتيجة معقولة لسبب كبير هو اختلال التوازن الدولي وسعي وجل أوربا العظيم نابوليون الاول(؟) لجعل فرنسة نقطة الدائرة في سياسة العالم يومئذ وقيام الانكليز بوجه ذلك النابغة خوفاً على الهند وسائر مستعمراتهم بل خوفاً على كيانهم أمة مستقلة تشغل المقام الاول بين الأمم . وما الحرب الروسية اليابانية الاخيرة سوى تكرار مافعله الانكليز مع نابليون الاول واعني ضرب مطامع الروس ضربة هائلة من قبل انكلترة وحليفاتها حتى تبقى الكفة الراجحة في جانب الانكليز وخصوصاً في المشاكل الاستعمارية

وبعد هذا التمهيد فانعد الى الحزبين الكبيرين عند الانكليز وهما الاحرار والمحافظون كما قلنا . فالمحافظون سقطوا بسبب حرب الترنسفال واصبحت الاكثرية في جانب الاحرار منذ ذلك الحين ولا يزال هؤلاء اصحاب الحول والطول حتى هذه الساعة . ومن المعلوم ان اختلاف الاحزاب السياسية ضروري لجلاء الحقائق وبقاء معارضة تكون شبه شكيمة تردع الحكام والمتنفذين عن الانقياد الى اهواء النفس واميالها ، والنفس امارة بالسوء . وهاانا اليوم في موقف حرج للغاية فقد اصبحت فيه أوربة مثل بركان امتلأ جوفه بكل معدات الهلاك الهائلة . والعياذ بالله من يوم ينفجر به ذلك البركان فانه سوف لايبقي ولا يذر والمسؤولية كل المسؤولية على المستلمين زمام الاحكام وخصوصاً في لندن وبرلين - أي حيث نرى قوتين هائلتين واقفتين بالمرصاد بعضهما لبعض وكل منهما تعد العدة وتبالغ في اتخاذ الاحتياطات لذلك اليوم العصيب أبعده الله عن العالم وابعد الحروب وويلاتها رحمة ببني الانسان

ولما كانت المسؤولية عظيمة كما قدمنا فلا غرو اذا اكثر الباحثون من التدقيق والتمحيص تارة بالنقد وطوراً بالنصح واخرى بالانذار والتحذير حتى تبتعد مخاطر الحروب عن اوربة فتتقرب القلوب بعضها من بعض ويحدث التفاهم والسلام الذي هو ضالة العقلاء المنشودة ولا سيما في هذه الايام . ولا يخفى بان خطر الحرب كان قريب الوقوع في اواسط العام الماضي بين المانية وفرنسة بسبب مراكش ولولا ان الانكليز ابدوا

نواجذهم باخطار المانية بالانسحاب من مياه اقادير (الغدير) والاتفاق مع فرنسة بمفاوضات حبية لقصفت اصوات المدافع ولمع البارود واستلت السيوف من اغمادها ووقع المحذور الذي يسعى محبو السلم الى اتقائه

ولما انفرجت تلك الازمة الشديدة انبرى احرار الانكليز الى نقد وزارتهم الحاضرة وقام المعارضون يخطئونها ويظهرون للملأ مخاطر سياسة الاحرار الحاضرة فاكثروا من المباحث بهذا الصدد وما برحوا حتى الساعة يكتبون ويخطبون وينشئون قائلين — ولهم الحق فيما يقولون — ان الامر جليل والحادث جسيم ومن جراء غلطة سياسية صغرى ، قد يكون سقوط امم ونهوض أمم أخرى

ولا غرو اذا حامت مباحث المعترضين على مسألة مراكش ومسألتي العجم وطرابلس الغرب لان هذه المعضلات الاستعمارية هي سبب الخلاف وهي المحور الذي تدور حوله مفاوضات الدول العظمى في الوقت الحاضر . فمن مشكلة مراكش نقول ان الامر قد انقضى والحمد لله(؟ !) ولكن الجروح لم يلتئم بعد واذا التأم فعلى دغل وهذا ماحدا بالحزب المعارض في انكلترا الى رفع عقيرته بالاحتجاج على سياسة بلاده الخارجية وفي عرض الكلام عن تلك السياسة فضح اسراراً سياسية هائلة وانذر الامة بسوء العقبى فقال ما ملخصه حسبماورد في العددين الاخيرين لمجلة القرن التاسع عشر الشهيرة : —

«ان الخطة التي اتبعها السر ادوراد غراي ناظر خارجية انكلترة هي خطة عوجاء سوف تجرنا الى حرب طاحنة مع المانيا . وبامكاننا اجتناب هذه الحرب بسهولة تامة . واللوم في ذلك على سفيرنا في باريز الذي أصبح يبغض الالمان وينفذ غايات بعض ذوي الاغراض الشخصية في نفس الوزارة الخارجية عندنا . ومن سوء الطالع ان وزير خارجيتنا أخذ يصغي لهم غير حاسب للعواقب حسابا . ففي شهر يوليو (تموز) سنة ٩١١ اجتزنا ازمة هائلة لاننا كنا على وشك الحرب مع المانية . ولماذا ؟ ارضاء لخاطر سفيرنا في باريز ليس الا

«فما هي المنافع التي تعود علينا اذا اشتبكنا بحرب بسبب مسألة مراكش ؟ لاشيء مطلقاً . فاننا اذا خسرنا فالويل لنا . واذا ربحنا ففرنسة وحدها هي التي تغنم تلك الارباح . ولا ندري هل بقاء هذا التفاهم الودي مع فرنسة نافع لنا ام ضار — ونحن الى ما قبل سبع سنين فقط كنا نجهر على رؤوس الاشهاد ببغض فرنسة واحتقار كل شيء فرنسي . اما الآن فصرنا اصدقاء ! وكذا قد صرنا اصدقاء الروس ايضا ،

فيالعجب كيف سعينا جهدنا لمحق الروس في حربهم مع اليابان ؟ (ولطالما كرر الانكليز هذا الاعتراف الصريح في السنين الاخيرة) وما زلنا نسعى لنضع حواجز في سبيل تقدمهم الاستعماري . وكيف يعقل ان فرنسة وروسية تخلصان لنا الود وهما لم تنسيا بعد مساعينا الهائلة ضدهما ؟ . فلو كانت الحرب قد نشبت في شهر تموز الماضي بين المانية وفرنسة بشأن مشكل أقادير (الغدير) وكانت انكلترا قد انجزت وعدها فنزلت الى ميدان القتال مناصرة لصديقتها فرنسة فمن كان يضمن لنا بقاء اصحابنا مخلصين لنا ؟ او ما هي المنافع التي نجتنيها من حرب كهذه لا ناقة لنا فيها ولا جمل ؟ .

الاتفاقات السرية

« ان السر ادوارد غراي في خطبته الرسمية التي القاها في مجلس البارلمان في ٢٧ اكتوبر (ت ٢) المنصرم جهر بصراحة تامة قائلا انه استدعى اليه سفير المانية وصرح له باستعداد انكلترة لمناصرة فرنسة مناصرة نعالة اذا لزم الامر، وسبب ذلك حسبما علمنا اليوم اتفاق سري أبرم في شهر ٨ إبريل (نيسان) سنة ١٩٠٤ ومن يعلم مضمون ذلك الاتفاق ؟ ولكن دلت الحوادث على ان فرنسة وانكلترة وضعتا امامهما يومئذ البحر المتوسط فقالتا هكذا : –

« مصر للانكليز من دون معارضة . مراكش لفرنسة مع السماح لاسبانية بالثغور الشمالية وقطعة من الداخلية ضرورية لتلك الثغور . طرابلس الغرب لايطالية لقاء سكوتها عن هذا الاتفاق (وربما كان لقاء سلخها من المحالفة الثلاثية) وها ان الاميرال فريمانتل قد نشر مقالة في مجلة البحرية البريطانية مضمونها انه لم يعد ذلك الاتفاق سرا . فان كل رجال الحكومة الانكليزية وقفوا على مضمونه . ولكن الصحافة الانكليزية سكتت سكوتا تاما عن هذا الاتفاق فلم تشر اليه ولا بكلمة . ونحن مديونون لجريدة الطان الفرنسية التي نضحت هذه الاسرار ومثلها جريدة « له جورنال » الفرنسية أيضاً التي اسهبت في الكلام على تلك الاتفاقيات السرية التي نحن بصددها الآن . وكل ذلك نشر في صحافة باريز بالشهرين الفائتين (اي ديسمبر ك ١ وينايرك ٢) والامة البريطانية لاتدري من هذه الاتفاقيات السرية شيئا بفضل سكوت صحافتها التي تطيع كل ايعاز من دار نظارة الخارجية

«ليس ذلك فقط بل ان في جريدة الطان بعددها الصادر بتاريخ ٣٠ نوفمبر (ت ٢) الفائت تصريح هائل محصله ابرام اتفاق حربي بيننا وبين الفرنسيين في سنة ١٩٠٥

اولا ثم في ١٩٠٨ ثانياً واخيراً في سنة ١٩١١ وحسب شروط تلك الاتفاقيات الحربية ان على انكلترة انزال ١٥٠ الف جندي من جيشها البري في بلجيكا حال نشوب حرب بين المانية وفرنسة فضلا عن وجوب تحريك الاساطيل البريطانية حالا . وهذه القوة الهائلة التي استمدتها فرنسة من تلك المعاهدات الحربية السرية هي التي جعلتها تستأسد في مؤتمر الجزيرة سنة ١٩٠٦ حينما أرت المانية ان روسية وايطالية والولايات المتحدة وانكلترة هن في جانبها . وفي العام الفائت أيضاً لما احتدم الخلاف بسبب مسألة اقادير (الغدير) كانت فرنسة تظهر من الحزم والعناد شيئا كثيراً . ولما قيل لها : وكيف نوفق بين مطامعك الآن في مراكش وبين تعهداتك في مؤتمر الجزيرة بحفظ استقلال تلك السلطنة المغربية ؟ كانت تراوغ في الجواب وتقول : هكذا اريد (!) وان يدي يجب ان تكون مطلقة التصرف في مراكش (؟!)

«وبكلمة اوضح نقول ان المؤتمرات الدولية اصبحت من دون اعتبار ولا قيمة . لان الاتفاقيات السرية تفسدها(١) والمعاهدات الحربية تهدد من يرفع صوته باشهار الحرب في اقل من لمح البصر . وهل يليق هذا بشعب راق مثل الشعب الانكليزي الذي يرسل نوابه الى تلك المؤتمرات والذي يضرب المثل بمحافظته على كلامه ووعوده فيقال في اوربة « كلمة انكليزية » و « موعد انكليزي » اي صادق ومضبوط؟ . واماما الآن مسألة العجم ومسألة طرابلس الغرب . فما ذنب العجم يا ترى حتى نتركها تتألم؟ لا ذنب لتلك المملكة الشرقية سوى كونها ضعيفة . هذا هو الحق الصراح . وما ذنب تركيا في مشكلة طرابلس الغرب ؟ ان مؤتمر برلين يقول بحفظ سلامة تركية . ولكن الاتفاق السري المبرم بين انكلترة وفرنسة واسبانية وايطالية على البحر المتوسط يناقض قرار مؤتمر برلين . ومن يجسر على الاحتجاج ؟ لا احد . فان دون الاحتجاج اعلان حروب واحتلال ممالك وولايات وإمارات . والويل للضعيف الذي لا يقدر على الدفاع عن حقوقه بقوته الوحشية (٢)

« قد رأينا الشعوب الاوربية وفي مقدمتها الشعب الفرنسي مذهولة امام هذه الحقائق المتناقضة فالفرنسيون هاجوا وما جوا لما دروا ان اسبانية زحفت الى ماوراء الثغور المراكشية وطلبوا من وزارة كايو الحزم ازاء هذا الزحف والمسيو

(١) ليعتبر الذين يؤلهون اوربة ويقدسون كل تمدنية لها وليعلموا انهم اذا تعطل احساسهم فان في مقدسيهم من لم تعقه الاغراض عن التصريح بالحقائق ه والفضل ماشهدت به الاعداء. راجع مقالات المسألة الشرقية في المنار في المجلد الرابع عشر (٢) راجع مقالات المسألة الشرقية ايضا

صالح مخلص رضا

كايو المعروف « ببرودة الدم » والحزم والذكاء النادر المثال وقف حيران لا يدري ماذا يفعل . فالاتفاقات السرية غلت يديه عن العمل كما انها غلت يدي زميله ناظر الخارجية المسيو دي سلف ولا بد من سقوط وزارة كايو (*) لهذا السبب المهم . واهل اوربا ينظرون الى تركية الآن بعين العطف والشفقة لانها مظلومة ومعتدى عليها (١) ولكن الحكومات المرتبطة مع ايطالية بمعاهدات سرية تخالف اميال شعوبها وتقول للناس : ان المؤتمرات الدولية وحقوق الامم ليست سوى حبر على ورق . وها اننا الآن في زمن نرى به الروس يزيدون في قوات أساطيلهم زيادة فاحشة . والاسبان يفعلون كذلك تحت مراقبة وزارة البحرية الانكليزية ذاتها . وبذات الوقت علمنا ان المانية قررت زيادة عدد جيوشها واعادة تنظيم فيالقها كما انها قررت زيادة مدرعاتها في السنين المقبلة زيادة مضطردة . وعلى نبهاء الانكليز ان يفقهوا حرج الحال فيوقفوا وزارة خارجيتهم عند حدها حتى لا تعود تتمادى بعقد معاهدات حربية وسرية لان الحروب لا تلائمنا مطلقاً ، وكيف تلائمنا ونحن أمة تجارية وصناعية ؟ . اه

(*) قد سقطت وزارة كايو بعد نشر هذه المقالة بقليل — الافكار

(١) يؤيد قول الكاتب ما كنا نسمعه ونقرأه من ان الدول منعن ايطالية عن ضرب الثغور العثمانية الآمنة مع محاولتها ذلك مرارا وما كتبته « جريدة الشرق الانكليزية » وخلاصته «ان سلوك الدول في الحرب الحاضرة مع ايطالية حملها على الاحتجاج عليهن اذ لم يضغطن على تركية ويلجئنها الى ترك الحرب ولم يسمحن لها بتوسيع الحركات البحرية في الثغور العثمانية لتضطر هي نفسها تركية لقبول شروطها

ثم قالت الجريدة المذكورة ما محصله : انه كان على ايطالية ان تتروى اولا بحرج الموقف قبل سوق القوى الحربية الى طرابلس الغرب . وان الاجدر بها ان تشكر الدول على مخالفتهن معاهدة برلين التي تلزمهن بضمان سلامة املاك تركية وان تخص منهن دولة بريطانيا لانها زادت على نقض معاهدة برلين بأن حالت دون مرور النجدات العثمانية في أرض مصر التي هي بلاد عثمانية تحت سيادة السلطان العثماني

ثم قالت : على انه لو تسنى لتركية سوق قواتها بطريق مصر لكان الفوز النهائي بجانبها ولوضعت الحرب اوزارها . اه (أي وكان في هذا أعظم خدمة للانسانية من جهة وللمحاربين من جهة أخرى اذ يقف كل عند حده ويعرف مقامه ويلتفت الى اصلاح شأنه

ونقول ان الحركات الاخيرة التي ابدتها ايطالية من ضرب بيروت وبعض ثغور اليمن تدل على ان الدول سمحن لها بأن تعيث في بلاد الدولة ما شاءت وان تجوس خلال الديار العثمانية ان قدرت وتعين عليها ان تزيد في شكر دول المدنية ! وانصار الانسانية ! وان تسبح بحمدهن وتسجد لعظمتهن ! ولا بد ان تجرأ على ضرب الجزر والثغور في بحر سفيد بعد ذلك صالح مخلص رضا

ثم أتبعت « الافكار » المقال بما يأتي :

﴿ في مجلس الشيوخ الفرنساوي ﴾

ونحن نكتب هذه السطور وردتنا التيمس الصادرة بتاريخ ٨ مارس (اذار) الجاري وفيها ما له علاقة بهذا الصدد الكلام الآتي عن فرنسة : —

« اشتغلت ندوة النواب بالبحث في الاتفاقيات السرية فخطب المسيو پو منتقداً تلك المادة في الدستور التي تمنح رئيس الجمهورية وحده الحق في عقد معاهدات سرية مع دول اجنبية واقترح تأليف مجلس شورى مؤلف من ستة اعضاء من الندوة وثلاثة آخرين من مجلس الشيوخ يستشيرهم رئيس الجمهورية في مثل تلك الظروف وهؤلاء التسعة يمثلون رأي الامة ويمنعون رئيس الجمهورية من الشطط . ولكن وزير الخارجية رفض هذا الاقتراح وقال ان الوزارة لا تقدر ان تتقيد هي أو تقيد رئيس الجمهورية بشرط كهذا لان أحوال السياسة الخارجية تجبر الحكومة على ابقاء ذلك الحق في عقد اتفاقيات سرية بيد الرئيس وحده . وللرئيس ملء الحرية في اشهار مواد الاتفاقيات او حفظها مكتومة طبقاً لاحكام الظروف . وتاجلت المناقشة في هذا الموضوع لوقت آخر اه

التقريظ والانتقاد (*)

﴿ كتاب البنين ﴾

(تأليف بول دومر ، وتعريب عبد الغني العريسي)

تمهيد

توجد في غريزة الانسان والحيوان عاطفة الحنو والرفق بصغار النسل ما وجدت الحاجة اليها ، وكلما اشتد ساعد الوليد اشتداداً يمكنه من الاعتماد على نفسه نقص من تلك العاطفة بقدر ذلك النمو حتى اذا ما بلغ الوليد اشده واستغنى عن معونة والديه باستعداده للقيام بشؤونه انفصل عنهما واتخذ لنفسه منهجا يسلكه في حياته معتمداً على

(*) ما يكتب في هذا الباب بهذا الجزء انما هو بقلم السيد صالح مخلص رضا

نفسه محافظاً على ذريته بمثل ماحوفظ عليه ، وعلى هذه السنة تسلسلت انواع الحيوان وعقبت وكثرت وملأت البر والبحر .

كذلك نرى في طبيعة النبات وتركيب جسمه من المواد المختلفة الطعم والخاصية لقتل الهوام والحشرات التي تسطو على ازهاره وبزوره وتحاول استئصال نوعه — ومن الالياف والاشواك والحراشيف والزغب والخمل ماينمع هجوم الطير والحشرات عن تلك البزور والازهار ويخفف وطأة فواعل الطبيعة عنها — وبهذا حفظت انواع النبات التي نراها وننتفع بها الى اليوم

حب البقاء موجود في غريزة كل كائن ومساور لطبيعة كل موجود واذ لم يمكن بقاء الذات فقد امكن بقاء النوع بحكم الغريزة لايعمل يعمله المخلوق مختارا

هذا هو المشاهد في هذه الكائنات الواقعة تحت حواسنا بحكم طبيعتها ، ولكن المخلوق العجيب (الانسان) ابى الا مساعدة الطبيعة فكون البيوت (العائلات) في العصور الخالية واختص كل بزوج يكون عونا له على انمائها وتسلسلها — هذا هو مبدأ تكون العائلات واتخاذ الوطن لها بالطبع

ثم لما كان لابد لكل عمل من روح مدبرة حافظة كيانه توجهت النفوس للعبادة بالهام حرك بماهو مغروس في الجبلة من الخضوع لقوة هي فوق القوى ووراء عالم الحس ـ ولما كانت تلك القوة لم تظهر له الا بآثارها ولم تكن قد استعدت عقول البشر للبحث فيما وراء الحس أو تعقل ماليس بمدرك بالحواس الظاهرة ـ اتخذت كل عائلة معبوداً لها تلتف حوله ويكون مظهر خضوعها لتلك السلطة غير المدركة وهذا هو مبدأ تكون الاديان

فيظهر من هذا ان الدين والوطن هما كالروح والجسم في كيان المجتمع الذي هو البيوت لاحياة كاملة لاحدهما بدون الآخر وبهذا يجلى معنى « حب الوطن من الايمان »

الحب لذة روحية انفرد بالتمتع بها الانسان عن أنواع تشاركه في الحيوانية (١) وهو قوام كل عمل أدبي أو مادي — فهو روح كل فضيلة وملاكها . ولذلك قال بعضهم وقد سأله تلاميذه عن حقيقة الله تعالى ـ وقد عجز عن ان يحده ـ : الله محبة هو :

حب الانسان للبقاء هو الذي أوجد له أسبابه ، وهيأ له طلابه ، فتعاقب وتناسل ولكنه لما لم يكن قد توغل في الحياة العقلية — كما مر — ما كان له ان يقدر الفضيلة

(١) ان ميل بعض الحيوان لبعض أو للانسان أو للبيئة لايعد مما نريده من معنى الحب ولا يخرج عن الفة بعض العناصر الى البعض الآخر في تكون أشخاص الوجودات

قدرها ولا ان يعرف معنى لمقابلة الاحسان بالاحسان ـ الذي هو ثمرة أدبية مهبطها السماء ومقرها قلب الانسان بعد استعداده لتلقيها ـ

كان الانسان معما هو مغروس فيه من الاستعداد للكمال النفسي اشبه بمادي محض ـ لذلك لم يخاطبه المصلحون من الانبياء والحكماء الا بما استعد لفهمه والعمل به ، ولما كانت المحافظة على البيت (العائلة) هي التي يجلى فيها حب الوطن ، ولا قوام لها الا بنبل الاخلاق ـ واجلى تلك المظاهر انما هو الرابطة الحية الموجودة بين الوالدين وأولادهم ـ وكان الانسان الى انتشار أعم دين قبل دين الاسلام لايعلم شيئا أعظم لديه من حب البقاء على وجه هذا البسيط ـ قالت له التوراة « اكرم أباك وأمك لتطول ايامك على الارض » وهذه الوصية هي أعظم أساس لما يتلوها مما هو أعلى منها واسمى في دين عمومي يأتي بعد ذلك (دين الاسلام) حيث يقول الله تعالى « ووصينا الانسان بوالديه احسانا حملته أمه كرها ووضعته كرها ـ الخ الآيات وقوله ـ « ان اشكر لي ولوالديك الي المصير ، وان جاهداك على ان تشرك بي ماليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا واتبع سبيل من اناب الي » الخ الآية

اوضحت الاديان سابقها ولاحقها طرق التربية بحسب الزمان والمكان، واستعداد الانسان، ـ وكلها كانت توطئة لذلك الدين العمومي الذي هو دين الفطرة وخاتمة الاديان، فجاء الناس بواضح التبيان ، وشرع لهم طريق التربية ووضع لهم اساس الرقي الادبي على اوثق بنيان، ولم يدع من فضيلة الا نهج مهايعها ، واوضح سبلها . وبعث نبيه ليتمم مكارم الاخلاق، فادب الناس بالتربية العملية . وعندما جاء دور تدوين الكتب وتحديد المسائل العملية كتب علماء الاسلام في التربية والاخلاق ما لم يغادروا بعده صغيرة ولا كبيرة الا أحصوها، ونشأ في الامة رجال هم مثال الفضيلة وعنوان الكمال النفسي، ثم خلف من بعدهم خلف تنكبوا طريقتهم، وخالفوا سيرهم فتقطعت بهم الاسباب — اسباب الرقي والسير الى ذروات الكمال الممكن للانسان نواله ـ ولم يبق من تلك الكتب وسيرة مؤلفيها الا الذماء، فتأخر المسلمون وتأخر بتأخرهم الشرق، وهب الغرب من سباته بما ازعجه من حركة الاسلام التي قلبت وجه البسيطة ودكت عروش الجبابرة وفتحت للعقل طرقا يسير فيها الى نوال المنافع الدنيوية والاخروية ـ هب هبوب المذعور واخذ يتلمس الاسباب الى الخروج من تلك الظلمات التي وقفت به حينا من الدهر بين الانسان المطلق والحيوان الاعجم — حتى كاد ان يكون هو الحلقة المفقودة كما يقولون — وعكف على الدراسة وقرن العلم بالعمل فأخذ حظه من التربية المادية وفوق حظه

ونال قسطا من الرقي الادبي . واصبحنا بحاجة الى تتبع حركاته ، وتأثر خطواته ، ونقل صناعة وترجمة مؤلفاته ، ولكن بحذري الاعصاب معطلي الشعور منا لاهون عما نحن في اشد الحاجة اليه — اللهم الا افراداً منا تنبهوا أو نبهوا لتعريب شيء من الكتب النافعة في التربية البيتية (العائلية) والقومية (الاجتماعية) مثل كتاب (التربية الاستقلالية) أو اميل القرن التاسع عشر وكتاب «سر تقدم الانكليز السكسونيين» واصول الشرائع لبنتام ومونتسكيو وروح الاجتماع وروح الاقوام والدولة والجماعة وغيرها، ولكن بقيت الحاجة ماسة الى تعريب شيء من كتب الاخلاق فسد هذه الخلة عبد الغني افندي العريسي (احد صاحبي جريدة «المفيد» بتعريب كتاب البنين)

الكتاب

يوجد في اطواء كتاب «البنين» اربعة ابواب (١ ـ الرجل ، ٢ ـ البيت أو الاسرة (العائلة) ، ٣ ـ ابن الوطن ، ٤ ـ الوطن) وقد تفصلت في ثمانية وعشرين فصلاً ، تسطر في غضونها من الحكم العملية التي تنشأ عن اعمال الروية ما يدل على علو همة المؤلف وكبر نفسه ، وقوة ارادته ، ووفرة تجاربه . ولو كانت الحكمة وحدها كافية لتقويم الاخلاق وتربية الارادة لضمنت لك بانها تخرج الحي من الميت وتوجد ـ حتى بين ظهرانينا ـ رجالا خيراساة لادوائنا التي جعلتنا حرضاً، وكادت تقضي على هذا الذماء الذي بقي لنا من الثروة والاستقلال بانشغال الامم الحية عنا ، واول فصل من فصول الكتاب هو

الارادة والملكة

الارادة : — قصدك الى شيء تعمله بعزيمة ونفاذ ، وقوة الارادة هي الدأب بثبات لاهوادة فيه على تحقيق ما عزمت عليه «ولا يتم ملاك ذلك بالرغبة ، بل بالهمة والارادة والقوة والامرة على النفس» (كما قال المؤلف)

يقال : فلان حسن الارادة، كما يقال : فلان سيء الارادة ، وحسن الارادة ان تتوجه النفس لتقويم ما اعوج من الملكات ، وما ازور من الاخلاق ، فتتنكب بصاحبه سبل الهداية وصراط الصواب ، وسوء الارادة هو سوق الهمة الى ما يحط من قدر صاحبها وينزل به الى مهاوي الضلال ، وحفر الدمار ، «ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات»

ابتدأ المؤلف هذا الفصل بالكلام على الارادة وابتدأ الفصل الذي يليه بالكلام على عمل

الواجب فجعلهما المبدأين الذين تدور على محورهما جميع مبادىء الحياة الطيبة، ولا مشاحة بان من ارتقت به همته الى الاحساس بعمل الواجب وكان ذا ارادة قوية، واخلاق قويمة، وعقل رصين ، ورأي حصيف ، دمثاً هينا لينا فقد انتهى الى باب الحياة الطيبة ، والعيشة الراضية ، إن لم يدخله اليوم فغدا ، واذا كان من المتسلحين بسلاح العلم وقوة اليقين فقد خلص من اوشاب هذه الحياة الى السعادة فكان قرة عين لذويه وامته ، باعثاً روح حياة جديدة في قومه ، وبمثل هذا تنهض الامم وتحيا بعد موتها (للمقال بقية)

***

﴿ البرهان ﴾

جريدة نصف اسبوعية سياسية يصدرها في طرابلس الشام الشيخ عبد القادر المغربي الشهير ـ غرضها تأييد جمعية الاتحاد والترقي في المملكة العثمانية ومناوأة من عاداها وقيمة اشتراكها ريالين مجيديين ونصف في البلاد العثمانية . و١٣ فرنكا في جميع الممالك

***

﴿ البيان ﴾

« مجلة دينية علمية عمرانية تاريخية ادبية لمنشئها الشيخ مصطفى وهيب البارودي من علماء طرابلس الشام ومديرها المسئول جميل افندي عدره »

تبحث في بعض تفسير آي القرآن الكريم ، وفي الاخلاق والآداب والتاريخ ولكنها دينية في كل مواضيعها ومباحثها

وسعة اطلاع منشئها وغيرته الدينية يكفلان نجاحها والانتفاع بها سيما والبلاد الشامية في حاجة لمثل هذه المجلة اذ لايوجد فيها مجلة دينية اسلامية، وهذه نبذة من العدد الاول منها وبودنا لو اقتصر على نعتها بالدينية فقط لكان ادعى لانطباق الاسم على المسمى

(الامر بالمعروف والنهي عن المنكر)

(ولتكن منكم أمة يدعون الى
الخير ويأمرون بالمعروف وينهون
عن المنكر وأولئك هم المفلحون)
قرآن كريم

لابد للانسان من رابطة تربطه ببني نوعه تكون فيها المصلحة العامة وينقاد لها بحكم النفس وهذه لاتتم الا بنظام كلي تعلم النفس انه جاء لاجل سعادتها وهناء عيشتها ممن أوجدها وتصرف فيها بقدرته وهو الاعلم بصالحها فتذعن له وتلقي زمامها اليه،

وحيث حصل لها هذا النظام وتمت منه المصلحة فلا بد أن يصحبه مذكر دائم وواعظ مستمر يهديها الى قصد السبيل وجادة المحجة لان الانسان موضع للسهو ومحل للنسيان ومورد للاهواء والشهوات التي باتباعها يدخل الخلل ويقع الفساد فمن ذلك أوجب تعالى أن لا يخلو زمان من طائفة صلحت افهامهم وصدقت عزائمهم وعرفوا أجناس الخير وأحاطوا به علما وميزوا أنواعه من الشرور المشتبهة به لتكون وظيفتهم دعاء الناس للخير وصرفهم عن ناحية الشر وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر وتلاحظهم في جميع حركاتهم لترد الجاهل منهم وتذكر الغافل فيهم فلا نلبث الا وقد ساد شأن الناس بحصولهم على ثمرات ذلك النظام الذي فيه المصلحة العامة وحصلت الرابطة الحقة ثم يسري القبول الى النظامات الجزئية والمصالح الخاصة وأولى شيء من الخير بالتقديم في الدعوة هو اثبات ذات الله وصفاته وتقديسه عن مشابهة الممكنات وفي هذا الخير كله ولذلك فسره بعضهم بالاسلام ويقويه « قل هذا سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني » (١) ثم الامر بالمعروف لما فيه من الترغيب على فعل ما ينبغي . ثم النهي عن المنكر لما فيه من الترهيب مما لا ينبغي فالآية الشريفة أوجبت هذه الاشياء الثلاثة على المسلمين لتنتظم لهم سعادة الدنيا والآخرة وأمرت بوجود طائفة منهم تفرغ أنفسها لتحصيل الطريق السهل سلوكها في الناس فيمتثلون ما أمروا به ويجتنبون عما نهوا عنه بعد احاطتهم بالعلم النافع والضار في هذا الطريق والعلم بالمتجددات الزمانية لتكون أعمال تلك الطائفة مطابقة للحكمة فتنجح في قصدها وتبلغ بالناس سبيل رشدها . اه

وصفحات المجلة ٣٢ صفحة بقطع المنار وتصدر في طرابلس الشام في الشهر مرة واحدة وقيمة الاشتراك فيها ثمة ريال مجيدي واحد وفي عموم المملكة العثمانية ريال وربع ريال و٧ فرنكات في سائر الممالك

***

﴿ تاريخ حرب فرنسة والمانية ﴾

من الكتب التاريخية مايقرأ لمجرد الفكاهة واللذة ومنها مايقرأ للعظة والاعتبار، والانتفاع بقصص الماضين وانباء السابقين ، وكتاب (تاريخ حرب فرنسة والمانية)

(١) ليست الدعوة الى الله تعالى بالدعوة الى مسمى علم التوحيد أو الكلام وانما الدعوة الى الله هي تلك الطريقة التي سنها القرآن وسار النبي (ص) ومن تبعه عليها وفيها من اثبات عظمة الله تعالى وقدرته الخ مالا يوجد في تلك العلوم

الذي كتبه المؤرخ الشهير جرجي افندي يني صاحب مجلة المباحث المعروف من قراء العربية بعلمه وابحاثه فيه من العبر والحكم مايفيد العظة ويبعث العبرة ، سيما وان هذه الحرب كانت خاتمة تاريخ وفاتحة تاريخ آخر في أوربة

وقد استخلصه من مجلة الجنان يوسف توما افندي البستاني باذن من الكاتب وطبعه على حدة فجاء كتابا حافلا تبلغ صفحاته ٢١٥ صفحة مزينا برسوم قواد ورجال هذه الحرب ،وجعل ثمنه عشرة قروش صحيحة عدا أجرة البريد ويطلب من مكتبة المنار بشارع عبد العزيز ومن طابعه

وكنا نتمنى أن يعرض الكتاب على المؤلف قبل الطبع فقد جاء فيه أغلاط كثيرة منها ما هو بديهي متسامح فيه ومنها مالا يغتفر على انه قلما يخلو كتاب من غلط

***

(البصائر)

مجلة علمية فنية اجتماعية لمنشئها ومحررها جميل بك العظم تصدر في بيروت مرة واحدة في الشهر . ولمنشئها شغف بالعلم وميل الى البحث والتدقيق فالمرجو ان ينفع الامة بمجلته، واليك فهرس الجزء الثاني منها:التربية، تنازع البقاء ، البدع ، السكوت على المنكرات ، التجارة ـ تاريخها ومبدأها ، الخط والخطاطون ، خواطر وسوانح ، مسألتان ، المثمن والمربع ، وصف حكيم للبلاد . ثم التقريظ والانتقاد

ولعلي أوفق لمطالعتها واقتباس شيء منها وهي مطبوعة على ورق نظيف وتبلغ صفحاتها ٤٠ صفحة بقطع المنار وقيمة الاشتراك فيها ريال ونصف ريال مجيدي في بيروت وريالان في الجهات

***

﴿ الدولة والجماعة ﴾

رسالة في علم الاجتماع البشري تأليف احمد شعيب بك الكاتب الاجتماعي العثماني وقد عربها محب الدين افندي الخطيب المحرر بجريدة المؤيد وطبعها فجاءت صفحاتها ٦٧ بقطع تفسير سورة الفاتحة ومشكلات القرآن

والرسالة مصدرة بمقدمة لرفيق بك العظم تبحث في « علم الجماعة في الشرق » وناهيك برفيق بك العظم اذا اطلق لقلمه العنان في المباحث التاريخية والاجتماعية ،

ويليها مقدمة أخرى للمعرب في ترجمة «الاستاذ احمد شعيب والحالة العلمية والاجتماعية في القسطنطينية» ولولم تشتمل هذه الرسالة الا على هاتين المقدمتين لكانت جديرة بالاهتمام، كبيرة الفائدة في هذا العلم ولان تكون موضوع رغبة الراغبين خصوصا مع قلة الكاتبين منا في هذا العلم الذي هو زبدة العلوم وما ذاك الا لقلة المستعدين بعلمهم وتجاربهم واخلاصهم لخوض غماره، ونكتفي الآن بكتابة مجمل مواضيعها وهي

الفرد والجماعة، نظام الامة وأوضاعها، لا طفرة في الارتقاء، نشأة الدول، الفطرة البشرية، تأثير الاقليم في تكوين الدول، سبب وجود الجماعات، سلطة الفرد، تأثير الحرب والصناعة والسلطة الدينية في تعيين شكل الحكومات، الحكومة السياسية وتأثير التضامن في تكوين الامة، حياة الجماعة، توزيع الوظائف، الاجهزة الحيوية في الدولة، سنن الاجتماع في المحافظة والتجديد، جمود الامم، اهتداء الانكابز الى مركز التوازن، الارتقاء، ثم ثورة الالمان على نابليون وايطالية على النمسة. ثم الكلام في طبيعة الثورة وفي الشيوخ والشبان وصعود الاراء الجديدة ودور النهضة وروح الزمان

فنحث التلاميذ والمفكرين على قراءة هذه الرسالة على اختصارها فانها تدل على فكر ناقب وعقل كبير وعلم غزير وجرأة أدبية. ومن لنا بمثل احمد شعيب الاجتماعي الكبير ونحن في حاجة لامثاله من فلاسفة الاجتماع لتكوين دعائم الامة على اساس ثابت. هذا ويحق لكل عثماني أن يأسف على ذلك الشاب الذي توفي في باكورة عمله وبداية النفع بعلمه الغزير وعقله الكبير

ثمن الرسالة ١٥ مليما وتطلب من مكتبة المنار بمصر واجرة البريد مع التسجيل (السوكارتاه) ٧ مليمات في القطر المصري و ١٢ مليما في الخارج

***

﴿ العلم الكافي، لطلاب العروض والقوافي ﴾

كتاب يدل اسمه على مسماه وهو مرتب على طريقة السؤال والجواب مما يسهل الفن على طالبه تأليف السيد حسني عبد القادر قاسم كاتب (رواق الشوام) في الازهر المعمور يبلغ عدد صفحاته ١١٩ صفحة بقطع سورة الفاتحة وثمنه خمسة ملاليم ويطلب من مكتبة المنار بشارع عبد العزيز واجرة البريد كاجرة رسالة الدولة والجماعة

السيد حسين وصفي رضا

﴿ اقوال الفضلاء فيه ﴾

(١٧)

وكتب المخلص الودود والحر الكريم صاحب الامضاء في سورية

سيدي الاستاذ الجليل

لقد انقض عليّ ذلك الخبر المشئوم انقضاض الصاعقة بل أشد، فخرت في أمري وضاقت الدنيا في وجهي، واسود الضياء في عيني، وانقبض صدري، وحزن قلبي على ذلك الصديق الحميم الذي كنت أؤمل فيه وأنتظر منه خيراً جزيلا ونفعاً عظيما لهذه الامة المنكودة التي ضلت السبيل فاعتبرت المحسن مسيئا والمسيء محسنا !!

ضلت هذه الامة السبيل فبدلاً من أن نراها تكافئ رجالها المصلحين العاملين لتقدمها ورقيها — بمثل ما تكافئ به الامم الحية رجالها — فانا نراها تجني عليهم بمثل تلك الجناية الفظيعة !!

رأت الامة رشيدها ومرشدها يواصل ليله بنهاره سعياً وراء ما يرقيها ويسعدها في حالها ومستقبلها — فكافأته بهذه المكافأة العالية ايذاناً بفضله وتنشيطاً له وترغيباً لتلاميذه ومريديه والسائرين على سننه

فأنعم وأكرم بأمتنا الحكيمة التي تعرف كيف تكافئ رجالها ومصلحيها !!

فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم، انا لله وانا اليه راجعون

هذا واني أتقدم الى أستاذي وجميع أشقائه وسائر أفراد بيته الكريم، بواجب العزاء كما عزيت نفسي على تلك الكارثة العظمى التي تذكر فتؤثر في الفؤاد أيما تأثير. وأسأل الله تعالى أن يطيل في عمره، ويجعل هذا المصاب الاليم خاتمة أحزاننا — انه سميع مجيب

سليمان أباظه

(١٨)

وكتب الاديب النبيل أحد فضلاء الشبيبة العربية في سورية الشيخ نسيب افندي الخطيب

سيدي العلامة الاستاذ السيد رشيد رضا أطال الله عمره

لست أملك من بحر الصبر وشالا ، ولا من قطره ثمداً ، فكيف تنزع نفسي الى العزاء ، وتدفع داء الحزن وليس له دواء ، فان نبأ اغتيال الحبيب السيد حسين وصفي حل عرى الجلد وخلفنا عرضا تنتقل فيه طوارق الدهر وبوائق الايام ، فشلت تلك اليد الاثيمة التي قصفت غصن شبابه قبل الاوان ، ولم تخش عاقبة القتل وعقاب الديان ، ولعمري لا أدري من أعزي ، أأعزيكم أم أعزي نفسي ، أم اخوانه وأصدقائه ؟ لا بل أعزي الامة العربية بأسرها ، ولغتها التي بعده سياقي حبلها على غاربها ، وتستعصي أصولها على طالبها ، فقد كان رحمه الله مطمح الابصار ومرمى الاماني ولكن ستحفظ له بطون المهارق ذكراً لا يمحوه كر الغداة ولا مر العشي وسيبقى اسمه لدى الكتاب مقدساً ما استن اليراع في حلبة الطروس ، وأحيا معالم اللغة بعد الدروس ، وأوردنا مشرعة التأسي بعده فانه قد نشط من عقاله الارضي ، وتبوأ منزله العلوي ، فهنيئاً له بما أوتي وعزاء لنا بما نالنا وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور

الداعي

نسيب الخطيب

(١٩)

وكتب العالم الفقيه الاصولي سيدي محمد بن راجح بن ابراهيم في الايالة التونسية

الحمد لله المنفرد بالبقاء ، والصلاة والسلام على خاتم الانبياء ، وآله وأصحابه الاتقياء

(لا إله الا الله ، ما شاء الله ، لا قوة الا بالله ، إنا لله وإنا اليه راجعون)

الى حضرة الاستاذ الكامل ، والمرشد النصوح ، حجة الاسلام ، وعنوان التربية الصالحة ، والقدوة الحسنة ، أمتع الله الاسلام بطول بقائه ، أقدم جميل تعزيتي عن ذلك المصاب الاليم ، والخطب الجسيم ، ألا وهو انضواء غصن الكمال ، وأفول بدر المجد بوفاة الشقيق والمجاهد في اعلاء كلمة الله ونصرة الحق وازهاق الباطل ، الكاتب النحرير والشاعر الاديب والمصلح الناصح الشريف التقي ، السيد حسين وصفي رضا ، تغمده الله برحمته ، وأسكنه فسيح جنته — أنبأني هذا النبأ المحزن

صديقي الاستاذ النيفر فكان أشد على قلبي يعلم الله من كل مصاب ، فاشتمل الحزن علي وانطلق لساني بذم الزمان الخئون الغادر ومعاكسته الاسلام حتى بالفتك بمن يدأب وراء ازاحة ما تكاثف حوله من الظلمات فاني أعلم ما للفقيد العزيز في ذلك من الآثار الصالحة واليد البيضاء ويكفي انه شقيق من ينير المنار على العالم الاسلامي وعضده ومساعده في كل أعماله . فرحم الله روحه الطاهرة ، واحسن جزاءه عن الاسلام والمسلمين — ومما زادني لوعة واسفاما أنبأني به هذا الصديق من أن الفقيد قتل رمياً بالرصاص من يد الاشقياء . شلت أيديهم ولعنوا بما فعلوا ، نعم زاد ذلك في الاسف لظني أن ذلك كان جزاء الفقيد عند هؤلاء الاشرار عن حريته وخدمته الحقيقة ونصرته الشريعة الاسلامية . تلك هي ذنوب الفقيد اليهم فيما أظن ، ولكن هذا كان مهونا للمصاب على جسامته لاعتقادي أن الله أكرم فقيدنا المجاهد في دينه بمزية الشهادة ومرتبة الشهداء . وتلك منزلة تتفانى فيها أرواح الصالحين والمسلمين الصادقين

فهنيئاً لفقيدنا بهاته الكرامة وطوبى له بما قدمت يداه من الاعمال الصالحة ، وما أبقاه من الذكر الحسن العاطر الخالد على ممر الزمان ، فرحمة الله ومغفرته ورضوانه عليك ياحسين ياقتيل الحق ، سلام الله وبركاته عليك ياحسين ياشهيد الاسلام ، لا أعجب من موتك قتيلا لانك تجاهد في سبيل الله وتحارب الالحاد والاستبداد فتلك سنة الله في أجدادك وأسلافك الكرام قتلوا في مشارق الارض ومغاربها لانهم أبناء النبوة والمدافعون عن هيكلها المقدس والذائدون عن حياضها و

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى   حتى يراق على جوانبه الدم

انك ياحسين ستلاقي عترتك الطاهرة وأسلافك الصالحين فقص عليهم أمرك واشك اليهم قاتليك فانك تقر أعينهم وتقيم لهم الدليل على انك فرع دوحتهم فيستقبلونك بين مظاهر الاجلال والسرور

سيدي الاستاذ . ماذا عساني أن أقوله اليكم وأنت مربي المسلمين ومرشدهم وداعيهم الى الهدى في هذا العصر ، فظني بل يقيني أن الاستاذ كما يرشد الناس بقوله يرشدهم بعمله . فيكون طود الصبر ومثال الصابرين الذين يقول الله تعالى تكريما لهم في كتابه الحكيم « الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا اليه راجعون * أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة ، وأولئك هم المهتدون » مشارككم في الاسف

محمد راجح بن ابراهيم

٢٠

وكتب الصحافي الحر والكاتب المحقق شكري افندي الخوري صاحب جريدة (ابو الهول)

حضرة المفضال السيد محمد رشيد رضا الافخم

وصلني عدد من جريدة الاقبال البيرونية في هذه الساعة وياليته لم يصل ، فرأيت فيه ما أبكى عيوني ، وصدع فؤادي ، رأيت فيه خبراً هو أن يداً أثيمة اغتالت زهرة شبابنا أخاكم المرحوم والطيب الاثر حسين ، فوقع على قلبي ، وقع الصاعقة ، وجهشت بالبكاء ، ولعنت بلاداً لاحياة فيها ، الا للسكذبة الاسافل ، يقتلون فيها الاحرار ويصارون اصحاب الرأي الصائب

ألا لعنة الله على الاشرار القتلة

ان المصاب الذي أصابكم بفقد أخيكم اصاب كل من عرف فضلكم وفضل الفقيد وهذا الداعي من الذين شاركوكم بالحزن والاسى ، سائلا المولى جل جلاله ، ان يتغمد فقيدنا برحمته ورضوانه ويلهمكم الصبر الجميل على فقده هذه الجوهرة الثمينة . انا لله وانا اليه راجعون   سان باولو برازيل في ٧ شباط ١٩١٢   الاسيف

شكري الخوري

٢١

وكتب العالم المحقق الشيخ احمد محمد الالفي

تحريرا في ١١ يناير سنة ١٩١٢

حضرة العالم الكبير والفاضل النحرير صديقنا وقدوتنا السيد رشيد رضا الافخم

فوجئنا اليوم بخبر مشئوم رأيناه بالمؤيد ألا وهو وفاة الكريم ابن الكريم سلالة العترة الطاهرة النبوية وأحد رجال القلم والاصلاح ألا وهو شقيقكم المرحوم السيد حسين رضا . مات شهيد الشهامة والمروءة بطرابلس الشام بيد اثيم مجرم لم يرحم شبابه الزكي ولا نظر لاحتياج هذا الوطن الاسيف الى امثال هؤلاء العلماء الاحرار فتعساً لهذا الزمن وبئس ما أعده للصالحين من العدوان — فوا أسفا على السيد حسين لقد كان عاملا مجتهداً وأديبا متضلعاً وتقيا ورعا وشابا ذكيا وشريفاً كريما فرحمه الله رحمة

واسعة وعزاكم مع حضرة السيد صالح رضا وكافة اسرتكم الكريمة وعزانا معكم احسن العزاء ورزقنا وإياكم جميل الصبر وعظيم الاجر واقبل في البدء والختام جزيل السلام وعظيم الاحترام

خادم العلم الشريف

احمد محمد الالفي

المدرس بفاقوس شرقية

(٢٢)

وكتب العالم المؤرخ الشهير جرجي افندي زيدان صاحب (مجلة الهلال)

مصر في ١١ يناير سنة ٩١٢

صديقي الشيخ رشيد

اكتب هذا الكتاب على اثر قراءتي نعي المرحوم شقيقكم في الجرائد ولم أكن عالما بمقدمات هذه الفاجعة فكان لذلك النعي وقع شديد على قلبي ، لانه كان رحمه الله من نخبة الادباء ويرجى ان يكون لك فيه عون في الخدمة العامة التي أوقفت نفسك لها وقد ظهرت تباشير ذلك بما ظهر من أدبه ، وفضله وذكائه ، وعلو همته ، ففقده خسارة على الوطن وصدمة قوية على قلب شقيقه وسائر آله وذويه ، فلا غرو اذا بكيتموه ورثيتموه فانه جدير بذلك واتقدم اليك ان تتأكد مشاركتي لك في الاسف على هذا المصاب ولا حيلة لنا غير التمسك بحبل الصبر وانت اعقل من ان يكتب اليك بأسباب التعزية لانك حكيم عالم بمصير الانسان طالت حياته أو قصرت أجمل الله عزاءك ورحم الفقيد رحمة واسعة

صديقك

جرجي زيدان

(٢٣)

وكتب الفاضل الوجيه صديق الفقيد محمد فؤاد افندي محمود

سيدي الاستاذ المحترم   ألهمه الله الصبر الجميل

لقد وقع خبر موت حسين علي وقع الصاعقة فلا أدري ماذا أقول وماذا أريد ذهل منا العقل ، وطار اللب ، وانفطر القلب ، واحترق الفؤاد ، فاللهم صبرا اني أبكيه ، وأبكي معه آداباً جمة ، وأخلاقا فاضلة ، وروحاً طاهرة ، عرفته حسن

المعاشرة ، لطيف المحاضرة ، فانا لله وانا اليه راجعون . راح ذلك الشهم شهيد المروءة والنجدة ، فسلام على روحه الطاهرة ، ورحمة من الله عميمة

ياسيدي الاستاذ ، الناس كلهم واياك في الحزن سواء ، فلقد كان مناحسين مكان الروح . وبفقدها فقدنا كل شيء ، فاللهم أمطر على جنته شآبيب الرحمة والرضوان وروح روحه في روض الجنان

وأنت يا أستاذ لقد عرفناك في الشدائد صبورا ، فكن كما نعهد فيك والله عنده حسن الثواب

أخوك في الحزن
محمد فؤاد محمود

(٢٤)

وكتب الشاب الاديب أحد أعضاء الشبيبة العثمانية وأركان الناشئة السورية الامير احمد هدى الايوبي اللبناني في الاستانة العلية

لحضرة سيدي العلامة الفاضل المحترم أطال الله شريف وجوده آمين

لمن الدمعَ بعد هذا تصون ... وعلى م الصبر الجميل يكون
كل حزن بحسب كل فقيد ... وبحسب الاحزان يبكي الحزين

تباً لهذه الحياة ، وبئست هـذه الدنيا التي هي للهموم أداة ، تسيء اختيارا ، وتوالي اضطرارا ، وتضحك مرة وتبكي مرارا ، لا يخلو يومها من شوائب الاكدار ، ولا ليلها من بوائق الاخطار ، ما المرء بناج من نكباتها ، ولو اختار العزلة في رؤوس الجبال ، فان فر من هم فر الى هم ، وان اعتصم من غم فالى غم ، والموت فيها ضار جشع ، ليس له ريّ ولا شبع ، سارق دق جسمه ، ورق عظمه ، يصول بلا كف ويسطو بلا رجل ، لا يوقر كبيرا ولا يرحم صغيرا

ليت المحرم لم يخلق ، فكم دهي الاسلام منه بخطب جسيم ، وكرب عظيم ، غال الحسين بن علي ، وثنى بحفيده الحسين بن علي ، فأوقد في القلوب نارا ، وفجر من العيون جداول وأنهارا ، رحم الله السيد الحسين ، جاءني نعيه فعلمت كيف تقوم الساعة ، شيعت الصبر ، وغدوت على مثل الجمر ، غريق الدمع حريق الحسرات ، اذا بكيته فانما أبكي حزماً وعفافا ، وذكاء واقداما ، وأخلاقا حسنة وألطافاً وآدابا اشتهرت

بين الخلق ، وشاباً كان ملء آمال الشرق ، ان تبكه سورية الفتاة فانما تبكي ولداً بارا وان يندبه الشيخ لبنان فانما يندب أحد خيرة أبنائه

أيها الراحل الذي زاده التقـ ... ـوى الى الله والعفاف هجين
أنت في الترب قد دفنت ولكن ... لك طي القلوب شخص دفين
إن تكن نمت نومة الدهر فالنو ... م علينا قد حرمته الجفون

إنا لله ، ولا حول ولا قوة الا بالله ، ألهم الله قلوب عارفيه الصبر الجميل ، وكان للسيد وآل بيته العمر الطويل ، ووهب لهم السلوان ، وامطر على جدث الفقيد غيث الرحمة والرضوان ، آمين

الاسيف
احمد هدى الايوبي

(٢٥)

وكتب الاديب الفاضل خليل افندي نخول من وجهاء أدباء الكورة في لبنان

سادتي الفضلاء أعزهم الله

ليس من بكى ويبكي الحسين للشباب الفض ، والادب الرائع فقط ، بل وللوفاء في الود ، والاخلاص في الحب والنبالة في القصد ، وهو ما عز وجوده وندر ، في شبيبة هذا العصر ، ومن عرف السيد الحسين واتصل معه باسباب المودة حزن عليه وأسف أسف الاخ على أخيه وعليه فمن كان مثلي — وليس من مجاز باخاءي له الا أن لنا أبوين — عرف مقدار أسفي ووجدي عليه ، ومع ذلك فأراني مقصرا ببقاءي الى الآن ، دون تقديم عبارة العزاء فالله أسأل أن يتغمده بالرحمة والرضوان ، وأن يجعل ببقائكم العوض الكريم ، ويجمل عزاءكم ولا يريكم مكروهاً لمن تحبونه اللهم آمين

شريك الأسف
خليل نخول

(٢٦)

وكتب الاديب الفاضل صاحب الامضاء

سيدي الاستاذ الجليل

لقد كان لحادثة المرحوم أخيكم تأثير في نفسي فنظمت هذه الابيات لك فيه رحمه الله تعالى ، وأجمل عزاءكم

تعز وأنت الحليم الرشيد ولو أن خطب الحسين شديد
فقدناه حراً كريم السجايا ففي ذمة الله ذاك الفقيد
لقدكان ذا همة وإباء وعزم وبأس كبأس الاسود
رمته يد الغدر في مأمن فأودت بركن الرجاء الوطيد
عجيب ! رصاص يفل حديداً وكيف يفل الرصاص الحديد
لنا سلوة وله أسوة بسبط النبي الحسين الشهيد

المخلص لكما
امين المدرسة السعيدية

(٢٧)

وكتب الاديب صاحب الامضاء مايأتي :

مولاي السيد الامام المصلح السيد محمد رشيد رضا
أخط على الصحائف آيات الاسف من سويداء القلب مقدماً لكم التعزيه على فقيد الاصلاح شقيقكم السيد حسين

نعم ان الرزء وقع في شخص ولكنه الحسين كان أمة وحده عند من يعرف قدره ، فالمصاب عظيم، والخطب جسيم ، ولكن ماالعمل؟

والموت نقاد على كفه جواهر يختار منها الجياد

فأنت أيها الشهيد ابن الشهيد من سار قبلك اجدادك الكرام على هذا السنن فهنيئاً لك فانك نلت فضل الجهاد والشهادة

وعن أولي العزم لقد تناوبوا وجدهم فاحتملوها نوبا

كنت خير مشير لمن استشارك وخير هاد لمن استهداك، وخير معين لمن طلب معونتك لا ترد قاصداً ، ولا تصد طالبا ، فمن استشير من بعدك يا أعز الفضلاء أو بمن استرشد يا أوحد النبلاء؟

فالله نسأل أن يلهمنا جميعاً على فقده صبراً جميلا ، وان يعوض هذه الامة المرحومة خيرا عن فقد أعظم ركن من أركان نهضتها الساعين في اصلاحها انه سميع مجيب

تلميذ الفقيد
عبد الغني صبره البيروتي

(ربما أتينا في الجزء القادم على تتمة التعازي وأقوال الجرائد)

﴿ رسالة لصاحب الامضاء ﴾

(منقولة عن مذكرة احمد افندي ترجمان للتوفيق بين الاديان)

قد رأينا في جريدة المؤيد بتاريخ ١٢ فبراير سنة ١٩١٢ قالت الغازت (الاسلام والنصرانية والدكتور انجرام) وطلب المستر ليدر من الغازت أن تصحح الرواية باسم توحيد العقيدتين وحاصل كلام الغازيت انه لا يتأتى توحيد العقيدتين المتباينتين وتقول الاصل لم يكن هناك تباين بل التباين طرأ بعد . وبيان ذلك (الاول) ان المسيح أيد نبوات الانبياء كما جاء في انجيل متى ٥ : ١٧ ونبوات الانبياء مقدسة عند الاسرائيلية والمسيحية والكاثوليك والبروتستان قرروا كما في كتبهم انهم ترجموا العهد القديم من الاصل العبراني واعتبروا الترجمة السبعينية اليونانية غير قانونية لاختلاف نسخها وغير ذلك (الثاني) خلق الرب للمسيح من غير أب هكذا يقول المسلمون وبمثل ذلك في نبوة أرميا ٣١ : ٢٢ (خلق الرب شيئاً حديثاً في الارض انثى تحيط برجل) واعترف الكاثوليك والبروتستان كما في شروحهم ان هذه النبوة في ميلاد المسيح وانما نصارى الروم والرومان لم يعرفوا هذه النبوة الا في القرن الثالث أو الرابع بعد المسيح لعدم معرفتهم العبرانية وفي الاول كانوا يأخذون من السبعينية وقال النصارى ان كتاب الاناجيل أخذوا من السبعينية ثم بعد أزمنة طويلة قال النصارى أخذنا العهد القديم من الاصل العبراني لصحته وباب ٣١ : ٢٢ لارميا عبرانية هو باب ٣٨ : ٢٢ سبعينية كما حققه المحققون منهم كما في دائرة المعارف العربية للبستاني في ترجمة النبي أرميا نقلا عن قاموس التوراة للبروتستان وقال أيضاً السبعينية أهملت ترجمة باب ٣١ يعني ترجم بحسب ما اتفق فاليهود ترجموا للنصارى وقالوا بدل (خلق الرب شيئاً جديدا في الارض أنثى تحيط برجل) (خلق الرب خلاصاً لفرس جديد) وقول اليهود في شروحهم المراد بالانثى أورشليم أو الارض لم يذكر في الكتاب انثى ويراد بها أورشليم أو الارض وانما ورد انثى ويراد بها أمنا حواء كما في التكوين ١ : ٢٧ (ذكر وانثى خلقهم) وأم المسيح مثل أمها حواء وقالوا الرجل الشعب (الثالث) نبوة أشعيا باب ٤٩ في المسيح باتفاقهم جميعاً يقول على لسان المسيح ملخصها ان المسيح يأتي رسولا الى بني اسرائيل ولم يسمعوا له كما في عدد ٤ منه أما أنا فقلت عبثاً) ويخفيه الرب في كنانته بقوله في عدد ٢ (في كنانته أخفاني) كناية عن شدة حفظه وقال له سهل

أو يسير ان يجعله ليقيم بني اسرائيل ويرد المحصور منهم ويجعله ايضا نور للامم ليكون خلاصي الى اقصى الارض يعني لخلاص بني اسرائيل كما في عدد ٨ منه ونصه في وقت رضا اجبتك وفي يوم خلاص اعنتك فيجمع بني اسرائيل من كل مكان ويقيم الارض كما في تمام النبوة وبمثله في نبوة ميخاه: ٢ — ٥ ونوراً للامم يعني قائدا وموصيا كما في نبوة اشعيا في المسيح ٥٥ : ٤ والامثال ٦ : ٢٣ لان اوصية مصباح وفي نبوة هوشع ٣ : ٥ ان ذلك في آخر الايام فالمسيحيين ترجموا نبوة اشعيا ٤٩ : ٦ بخلاف الاصل والاصل سهل أو يسير ان تكون لي عبداً لتقيم اسباط يعقوب ورد محصوري اسرائيل واجعلك نوراً لامم لتكون خلاصي الى اقصى الارض) فالمسيحيون قالوا بدل يسير قليل مع ان مثلها في ٢ ملوك ٢٠ : ١٠ يسير والامثال ١٤ : ٦ هين وقالوا بدل واجعلك قالوا قد جعلتك بناء على ما في أعمال الرسل ١٣ : ٤٧ قد اقمتك نوراً للامم لتكون انت خلاصاً وهذا بخلاف الاصل الكلمة مثلها في التكوين من قول الرب لابراهيم ١٧ : ٦ واجعلك اماً) وفي نبوة ارميا ١٥ : ٢٠ واجعلك) كما في قاموس الاسرائيلية وترجمة النصارى لا يتأتى لها معنى وغرضهم جعل الامم بدل بني اسرائيل اعني غرض النصارى كمعنى ترجمتهم ان المسيح ولو جاء في أول الامر لبني اسرائيل والم يسمعوا منه قال له الرب ان هذه الوظيفة قليلة عليه (المسيح) وجعله يصلب للامم لخلاصهم كأنه لم يعرف ما يستحقه من الوظيفة كما في أعمال الرسل من قول بولص ١٣ : ٤٧ ورسالته الثانية الى كورنثوس ٦ : ٢ ونبوة ميخا ٥ : ٢ ـ ٥ تظهر التحريف وتؤيد الاصل ـ نبوة اشعيا باب ٥٣ عدد ٨ ضرب والاصل العبراني ضربة لهم) يعني الشعب ولفظها العبراني لامو فتركوا لهم وقالوا ضرب وفي عدد ١٠ منه ان جعل نفسه ذبيحة اثم) فلفظ ذبيحة زادوها والاصل تحسب نفسه آثما) وقالهم قوله بعدها يرى نسلا) والمراد الشعب لا المسيح وبيانه في مراثي ارميا ٥ : ٧ وفي مزمور ٢٢ : ١٦ ثقبوا يدي والاصل كأسد يدي وقول داود كأسد يدي) بناء على قول يعقوب كما في التكوين ٤٩ : ٩ يهوذا شبل اسد الى قوله كاسد (والمراد بيهوذا داود لانه من يهوذا وسلطنته بالشام) وفات النصارى قول المسيح لليهود كما في انجيل يوحنا ٧ : ٣٤ ستطلبونني ولا تجدونني وانجيل يوحنا ١٢ : ٣٤ (الرابع) في التكوين ١٧ : ١٩ بل سارة والاصل حقاً سارة ٢١ وعهدي اقيم مع اسحق أي لارض كنعان كما في مزمور ١٠٥ : ٩ وفي التكوين في اسماعيل ١٦ : ١٢ انسانا وحشياً والاصل برياً أو مثمراً يده في الكل ويد الكل فيه وذكر قبله لام اسماعيل لأن الرب قد

سمع لمذلتك والكلمة ورد مثلها في هوشع ١٣ : ١٥ يثمر وفي التكوين باب ٢١ في خروج اسماعيل الى الحجاز بحث لان وقت فطام اسحق كان عمر اسماعيل ١٧ سنة كما عند الاسرائيلية فكيف يقال في اسمعيل لامه طرحت الولد قومي احملي الغلام وسنه قدر سن يوسف لما كان يرعى ١٧ سنة كما في التكوين ٣٧ : ٢ وبنعمة تعالى سننشر كتاباً فيه البيان وفي سفر أيوب ٢٢ : ٢١ تعرف به وأسلم أي تعرف بالرب وأسلم له والعبراني وشلام وأيوب كان قبل موسى كما في حاشية الكاثوليك وقبل ابراهيم كما في مرشد الطالبين للبروتستنت فالاصل الاسلام والاصل لم يكن تباين بين ما جاء به المسيح وما جاء به الاسلام والتحريف ممنوع كما في نبوة أرميا ٢٣ : ٣٦ والله تعالى الهادي لاقوم طريق

تكملة في التكوين ٢١ : ١٧ فسمع الله صوت الغلام ونادى ملاك الله هاجر من السماء فيه اشارة لشدة عناية الرب باسماعيل حتى ناداها ملاكه من السماء قبل نزوله اليها في التكوين في اسمعيل ١٦ : ١٢ يده في الكل) المراد به سيدنا محمد ع م لانه من اسمعيل يؤيد ذلك نبوة أشعيا من قول الرب ٤٢ : ٦ فامسك بيدك وفي عدد ١١ منه ديار قيدار) وقيدار بن اسمعيل تكوين ٢٥ : ١٣ و٨١ وشمال مكة ديار قيدار المدينة أشعياء ٤١ : ٢٥ . اليهود ترجموا في السبعينية للنصارى نبوة أشعياء ٤٩ : ٧ هكذا قال الرب الى قوله طوبى له الذي يحتقر الحياة نفس المضطهد من الامم المقبوح من عبيد رؤساء الامم والاصل العبراني هكذا قال الرب الى قوله لمحتقر النفس لمكروه الامة لعبد المتسلطين والمراد يكون المسيح مكروهاً عند أمة اليهود ويأتي في وقت دولتهم بفلسطين فقالوا بدل مكروه الامة (طوبى له نفس المضطهد من الامم) ويجعلون المراد بالنص الشعب لانهم مكروهين عند الامم وبناء على ذلك نسب النصارى للمسيح وذكر في انجيل لوقا ١٨ : ٣١ و٣٢ لانه يسلم الى الامم ويستهزأ به وفي مرقس ١٩ : ١٢ ومتى ٢٠ : ١٩ نحوه فسبب الخلاف اليهود والاصل كما توضح م

(تنبيهان) في كتاب ذخيرة الالباب للكاثوليك السبعينية ترجم اليهود فيها أولا الاسفار الخمسة الاولى وبقيتها ترجموه في أعصار مختلفة

تطلق الوفاة ويراد بها النوم كما في سورة الزمر آية ٤٢

يوسف عوني

بدرب الجماميز بمصر

المنار

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا أولو الالباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

(مصر ٣٠ جمادى الاولى ١٣٣٠ هق - ٢٧ الربيع الثاني ١٢٩١ هش ١٧ مايو ١٩١٢ م)

باب تفسير القرآن الحكيم

مقتبس فيه الدروس التي كان يلقيها في الازهر الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه

(١٢٢ : ١٢٢) لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ . مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ ، وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (١٢٣ : ١٢٣) وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا (١٢٤ : ١٢٤) وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا (١٢٥ : ١٢٥) وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا

روى غير واحد عن مجاهد انه قال قالت العرب : لا نبعث ولا نحاسب .

وقالت اليهود والنصارى : لن يدخل الجنة إلا من كان هودا او نصارى ، وقالوا لن تمسنا النار الا أياماً معدودات فانزل الله « ليس بأمانيكم ولا اماني أهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به »

وعن مسروق قال احتج المسلمون واهل الكتاب فقال المسلمون : نحن اهدى منكم وقال أهل الكتاب : نحن اهدى منكم فأنزل الله هذه الآية

وعن قتادة قال ذكر لنا ان المسلمين وأهل الكتاب افتخروا فقال أهل الكتاب : نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم ونحن أولى بالله منكم ، وقال المسلمون : نحن أولى بالله منكم ونبينا خاتم النبيين وكتابنا يقضي على الكتب التي كانت قبله ، فأنزل الله « ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب — الى قوله — ومن احسن دينا » الآية فأفلج الله حجة المسلمين على من ناوأهم من أهل الأديان

وعن السدي : التقى ناس من المسلمين واليهود والنصارى فقالت اليهود للمسلمين: نحن خير منكم ديننا قبل دينكم وكتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم ونحن على دين ابراهيم ولن يدخل الجنة الا من كان يهوديا ، وقالت النصارى مثل ذلك ، فقال المسلمون : كتابنا بعد كتابكم ونبينا بعد نبيكم وديننا بعد دينكم ، وقد أمرتم ان تتبعونا وتتركوا امركم ، فنحن خير منكم ـ نحن على دين ابراهيم واسماعيل واسحاق ، ولن يدخل الجنة الا من كان على ديننا ، فرد الله عليهم قولهم فقال « ليس بأمانيكم » الخ

وعن الضحاك وابي صالح نحو ذلك بل روي ابن جرير نحوه عن ابن عباس رضي الله عنهما ، وذكروا أن الآيات الثلاث نزلت في ذلك .

الاستاذ الامام : يقال في سبب النزول انه اجتمع نفر من المسلمين واليهود والنصارى وتكلم كل في تفضيل دينه فنزل قوله تعالى ﴿ ليس بأمانيكم ولا اماني أهل الكتاب ﴾ الآية والمعنى بناء على ذلك : ليس شرف الدين وفضله ولا نجاة أهله به ان يقول القائل منهم : ان ديني أفضل وأكمل ، وأحق وأثبت ، وانما عليه

اذا كان موقنا به أن يعمل بما يهديه اليه فان الجزاء انما يكون على العمل لا على التمني والغرور ، فلا أمر نجاتكم أيها المسلمون منوطا بأمانيكم في دينكم ، ولا أمر نجاة أهل الكتاب منوطا بأمانيهم في دينهم ، فان الاديان ما شرعت للتفاخر والتباهي ، ولا تحصل فائدتها بمجرد الانتماء اليها والتمدح بها بلوك الالسنة والتشدق في الكلام ، بل شرعت للعمل (قال) والآية مرتبطة بما قبلها سواء صح ما روي في سبب نزولها ام لم يصح لأن قوله تعالى « يعدهم ويمنيهم » في الآيات التي قبلها يدخل فيه الاماني التي كان يتمناها أهل الكتاب غرورا بدينهم اذ كانوا يرون أنهم شعب الله الخاص ويقولون انهم ابناء الله واحباؤه وانه لن تمسهم النار الا اياما معدودة ، وانه لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى ، وغير ذلك مما يقولون ويدعون ، وانما سرى هذا الغرور الى أهل الاديان من اتكالهم على الشفاعات ، وزعمهم ان فضلهم على غيرهم من البشر بمن بعث فيهم من الانبياء لذاتهم ، فهم بكرامتهم يدخلون الجنة وينجون من العذاب ، لا باعمالهم ، فحذرنا الله ان نكون مثلهم ، وكانت هذه الاماني قد دبت الى المسلمين في عصر النبي صلى الله عليه وسلم بدليل قوله تعالى في سورة الحديد « ألم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق، ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل » الآية فهذا خطاب للذين كانوا ضعفاء الايمان من المسلمين في العصر الاول ولأمثالهم في كل زمان والله عليم بما كانوا عليه حين أنزل هذه الموعظة وبما آل وما يؤول اليه امرهم بعد ذلك ، ولو تدبروا قوله لما كان لأمثال هذه الاماني عليهم من سلطان فقد بين لهم طرق الغرور ومداخل الشيطان فيها . وقد روي حديث عن الحسن « ليس الايمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل » وقال الحسن : ان قوما غرتهم المغفرة فخرجوا من الدنيا وهم مملوءون بالذنوب ولو صدقوا لأحسنوا العمل .

ثم ذكر الاستاذ الامام بعد هذا حال مسلمي هذا العصر في غرورهم واما نيهم ومدح دينهم وتركهم العمل به وبين أصنافهم في ذلك . ومما قاله : ان كثيرا من الناس يقولون تبعا لمن قبلهم في أزمنة مضت : ان الاسلام افضل الاديان ، اي

دين أصلح إصلاحه ؟ اي دين ارشد ارشاده ؟ اي شرع كشرعه في كماله ؟ ولو سئل الواحد منهم : ماذا فعل الاسلام ؟ وبماذا يمتاز على غيره من الاديان ؟ لا يحير جوابا . واذا عرضت عليه شبهة على الاسلام وسئل كشفها حاص حيصة الحمر وقال : اعوذ بالله ، اعوذ بالله . والضال يبقى على ضلاله ، والطاعن في الدين يتمادى في طعنه ، والمغرور يسترسل في غروره ، فالكلام كثير ولا علم ولا عمل يرفع شأن الاسلام والمسلمين . اه ما قاله الاستاذ الامام بايضاح ببعض الجمل واختصار في بيان ضروب الغرور وأصناف المغترين

﴿ من يعمل سوءا يجز به ﴾ هذا بيان من الله لحقيقة الامر في المسألة فانه لما نفى ان يكون الأمر منوطا بالأماني والتشهيات وغرور الناس بدينهم كان من يسمع هذا النفي جديرا بان يتشوف الى استبانة الحق والوقوف على حكم الله فيه ، ويجعله موضوع السؤال ، فبينه عز وجل بصيغة العموم ، والمعنى ان كل من يعمل سوءا يلق جزاءه لان الجزاء بحسب سنة الله تعالى أثر طبيعي للعمل لا يتخلف في أتباع بعض الانبياء ويتنزل بغيرهم كما يتوهم أصحاب الاماني والظنون ، فعلى الصادق في دينه المخلص لربه أن يحاسب نفسه عن العمل بما هداه اليه كتابه ورسوله ويجعله معيار سعادته – لا كون ذلك الكتاب اكمل ، وذلك الرسول أفضل – فان من كان دينه اكمل تكون الحجة عليه في التقصير أقوى ، وقد روي في التفسير المأثور أن هذه الكلية العامة « من يعمل سوءا يجز به » راعت ابا بكر الصديق رضي الله عنه وأخافته فسأل النبي (ص) عنها وقال : من ينجو مع هذا يارسول الله ؟ فقال له النبي (ص) « اما تحزن اما تمرض اما يصيبك البلاء ؟ قال : بلى يارسول الله . قال « هو ذاك » واورد السيوطي في الدر المنثور احاديث في الجزاء الدنيوي على الاعمال وجعلها تفسيرا للآية . وبعض ما ورد في ذلك مطلق عام ويؤخذ من بعضه انه خاص بالمؤمنين او كملتهم كأبي بكر ، وهذا هو الذي مال اليه الاستاذ في الدرس . واذا طبقنا المسألة على سنة الله التي لا تبديل لها ولا تحويل علمنا ان مصائب الدنيا تكون جزاء على ما يقصر فيه الناس من السير على سنن الفطرة وطلب الاشياء من أسبابها ، واتقاء المضرات باجتناب عللها ،

« وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم » ومن ذلك التقصير ما هو معصية شرعية كشرب الخمر الذي هو علة امراض كثيرة ومنها ما ليس كذلك . ولما كان عمل السوء يدسي النفس ويدنس الروح كان سببا طبيعيا للجزاء في الآخرة كما تكون الخمر سببا للجزاء في الدنيا بتأثيرها في الكبد والجهاز الهضمي والجهاز النفسي بل والمجموع العصبي . فهل يكون المرض الناشيء عن شرب الخمر كفارة للجزاء على شربها في الآخرة ويكون ذلك داخلا في معنى كون مصائب الدنيا كفارات للذنوب وان من لم يصب بمرض ولا مصيبة بسبب ذنبه يعاقب عليه في الآخرة ويحرم من مثل هذه الكفارة كما اذا شرب الخمر مرة او مرات لم تؤثر في بدنه تأثيرا شديدا ؟ أم المصائب تكون كفارات للذنوب التي هي مسببة عنها ولغيرها مطلقا ؟ وكيف ينطبق هذا التكفير على سنة الله في الجزاء الأخروي ؟ الحق في المسألة انه لا يشذ شيء عن سنن الله تعالى ، وان المصيبة في الدنيا إنما تكون كفارة في الآخرة اذا أثرت في تزكية النفس تأثيرا صالحا وكانت سببا لقوة الايمان أو ترك السوء والتوبة منه لظهور ضرره في الدين أو الدنيا ، او الرغبة في عمل صالح بما تحدثه من العبرة ، ومن شأن المؤمن المهتدي بكتاب الله تعالى ان يستفيد من المصائب والنوائب فتكون مربية لعقله ونفسه كما بيناه في التفسير وغير التفسير مرارا . ولا يعقل ان تكون كل مصيبة كفارة لذنب او لعدة ذنوب بل ربما كانت المصيبة سببا لمضاعفة الذنوب واستحقاق اشد العذاب ، كالمصائب التي تحمل أهل الجزع ومهانة النفس وضعف الايمان – دع الكفر – على ذنوب لم يكونوا ليقترفوها لولا المصيبة . والكلام في الآية على جزاء الآخرة بالذات كما يدل عليه مقابله في الآية الاخرى

أما قوله تعالى ﴿ ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا ﴾ فمعناه أن من يعمل السوء ويستحق الجزاء عليه بحسب سنن الله تعالى في تأثير عمل السوء تأثيرا تكون عاقبته شرا منه كما قال في سورة أخرى « ثم كان عاقبة الذين اساءوا السوءى » لا يجد له وليا غير الله يتولى أمره ، ويدفع الجزاء عنه ، ولا نصيرا ينصره وينقذه مما يحل به ، لا من الانبياء الذين تفاخر ويتفاخر اصحاب الأماني بالانتساب اليهم ،

ولا من غيرهم من المخلوقات التي اتخذها بعض البشر آلهة وار بابا ، لا على معنى انها هي الخالقة بل على معنى شافعة وواسطة، فكل تلك الأماني في الشفعاء كأطغاث الأحلام ، برق خلب وسحاب جهام ، وانما المدار في النجاة على الايمان والأعمال ، كما صرح به فقال ؟

﴿ ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو انثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا ﴾ اي كل من يعمل ما يستطيع عمله من الصالحات اي الاعمال التي تصلح بها النفوس في اخلاقها وآدابها واحوالها الشخصية والاجتماعية سواء كان ذلك العامل ذكرا أو انثى – خلافا لبعض البشر الذين حقروا شأن الاناث ، فجعلوهن في عداد العجموات لا في عداد الناس – من يعمل ما ذكر من الصالحات وهو متلبس بالايمان مطمئن به فاولئك العاملون المؤمنون بالله واليوم الآخر يدخلون الجنة بزكاء انفسهم وطهارة أرواحهم ، ويكونون مظهر فضل الله تعالى وكرمه ، ومحل احسانه ورضوانه ، ولا يظلمون من أجور اعمالهم شيئا ما اي لا ينقصون شيئا وان كان بقدر النقير – وهو النكتة التي تكون في ظهر النواة وهي ثقبة صغيرة وتسمى نقرة كأنها حصلت بنقر منقار صغير و يضرب بها المثل في القلة – لا ينقصون شيئا بل يزيدهم الله من فضله . ولا يعارض هذه الآية والآيات الكثيرة التي بمعناها حديث « لن يدخل احدكم الجنة عمله » الخ لأن معناه ان الانسان مهما عمل من الصالحات لا يستحق على عمله تلك الجنة العظيمة التي فيها ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر الا بفضل الله الذي جعل الجزاء الكبير على عمل قليل. وهو الذي هدى اليه ، وأقدر عليه ، وقد قدم هنا ذكر العمل على ذكر الايمان لأن السياق في خطاب قوم مؤمنين بالله وملائكته وكتبه ورسله قد قصروا في الاعمال واغتروا بالأماني ظانين أن مجرد الانتساب الى اولئك الرسل والايمان بتلك الكتب هو الذي يجعلهم من اهل جنة الله ، وا كثر الآيات يقدم فيها ذكر الايمان على ذكر العمل لورودها في سياق بيان أصل الدين ، ومحاجة الكافرين ، والايمان في هذا المقام هو الاصل المقدم والعمل

أثره ومدده ، ومن الحديث في معنى الآية « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والاحمق من أتبع نفسه هواها . وتمنى على الله » قال الحاكم على شرط البخاري وتعقب

هذا وان في هاتين الآيتين من العبرة والموعظة ما يدك صروح الأماني ومعاقل الغرور التي يأوي اليها ويتحصن فيها الكسالى والجهال والفساق من المسلمين الذين جعلوا الدين كالجنسية السياسية وظنوا ان الله العزيز الحكيم يحابي من يسمي نفسه مسلما ويفضله على من يسميها يهوديا أو نصرانيا بمجرد اللقب ، وان العبرة بالاسماء والالقاب لا بالعلم والعمل ، ومتى يرجع هؤلاء الى هدي كتابهم الذي يفخرون به ، و يبنون قصور امانيهم على دعوى اتباعه ؟ وقد نبذوه وراء ظهورهم ، وحرموا الاهتداء به على أنفسهم ، لان بعض المعممين سموا الاهتداء به من الاجتهاد الذي أقفل دونهم بابه ، وانقرض في حكمهم أربابه ، ولا تلازم بين الاهتداء بالقرآن ، والقدرة على استنباط ما تحتاج اليه الأمة من الاحكام ، فقد كان عامة أهل الصدر الاول من هؤلاء المهتدين ، ولم يكونوا كلهم أئمة مستنبطين ، وقد يقدر على الاستنباط ، من لم يكن قائما على هذا الصراط ، فيا أهل القرآن ! لستم على شيء حتى تقيموا القرآن ، وتهتدوا بهديه في الإيمان والأعمال ، وتبذلوا في سبيله الانفس والاموال ، والا فقد رأيتم ما حل بكم بعد ترك هدايته من الخزي والنكال ، وضياع الملك وسوء الحال ، فالى متى هذا الغرور والاهمال ، وحتى مَ تتعللون بالاماني وكواذب الآمال ؟

هذا – ومن أراد زيادة البصيرة في غرور المسلمين بدينهم على تقصيرهم في العمل به وفي نشره والدعوة اليه فليراجع كتاب الغرور في آخر الجزء الثالث من كتاب الاحياء للغزالي ولولا انني الان حلف أسفار ، لا يقر لي في بلد قرار ، لاطلت بعض الاطالة في بيان الغرور والمغترين ، والاماني والمتمنين ، اثارة لكوامن العبرة ، واستدرارا لبواخل العبرة ، وليس عندي في هذه الآية شيء عن الاستاذ الامام رحمه الله تعالى

ولما بين تعالى أن أمر النجاة بل السعادة منوط بالعمل والايمان معا أتبع ذلك

ببيان درجة الكمال في ذلك وهو الدين القيم فقال ﴿ ومن احسن مما اسلم وجهه لله وهو محسن ﴾ أي لا أحد أحسن دينا ممن جعل قلبه سلما خالصا لله وحده لا يتوجه الى غيره في دعاء ولا رجاء ، ولا يجعل بينه وبينه حجابا من الوسطاء والحجاب، بل يكون موحدا صرفا لا يرى في الوجود الا الله وآثار صفاته وسننه في ربط الاسباب بالمسببات ، فلا يطلب شيئا الا من خزائن رحمته ، ولا يأتي بيوت هذه الخزائن الا من أبوابها وهي السنن والاسباب ، ولا يدعو معه ولا من دونه أحدا في تيسير هذه الاسباب ، وتسهيل الطرق وتذليل الصعاب ، وهو مع هذا الايمان الخالص، والتوحيد الكامل ، محسن في عمله ، متقن لكل ما يأخذ به ، متخلق باخلاق الله الذي احسن كل شيء خلقه ، وأتقن كل شيء صنعه ﴿ واتبع ملة ابراهيم حنيفا ﴾ أي واتبع في دينه ملة إبراهيم حنيفا أي حال كونه حنيفا مثل ابراهيم ، أو حال كون ابراهيم حنيفا ، أي اتبعه في حنيفيته ، التي كان عليها وهي ميله عن الوثنية وأهلها ، وتبرؤه مما كان عليه ابوه وقومه منها ، « اذ قال ابراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون ، الا الذي فطرني فانه سيهدين ، وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون » أي جعل البراءة من الشرك ونزغاته وتقاليده والاعتصام بالتوحيد الخالص كلمة باقية في عقبه يدعو اليها النبيون والمرسلون منهم

الاستاذ الامام : تقدم في الآيات السابقة وصف الضالين الذين لا يستعملون عقولهم في الدين وآياته وذكر حظ الشيطان منهم وإشغالهم بالاماني الخادعة ، ثم بين ان أمر الآخرة ليس بالاماني وانما هو بالعمل والايمان ، وان العبرة عند الله بالقلوب والاعمال ، والحقيقة واحدة لا تختلف باختلاف الاوقات والاحوال ، ولا تتبدل بتبديل الاجيال والآجال ، ثم زاد هذا بيانا بهذه الآية فبين ان صفوة الاديان التي ينتحلها الناس هي ملة ابراهيم في اخلاص التوحيد وإحسان العمل ، وعبر عن توجه القلب باسلام الوجه لان الوجه أعظم مظهر لما في النفس من الاقبال والاعراض والخشوع والسرور والكآبة وغير ذلك ، وقد يظهر بعض الناس الخضوع أو الاحترام للآخر باشارة اليد ولكن هذا يكون بالتعمل ويعرف بالمواضعة ، وما يظهر في الوجه

هو الفطري الذي يدل على السريرة وهو يتمثل في كل جزء منه كالعينين والجبهة والحاجبين والانف والحركة ، فإسلام الوجه لله هو تركه له بأن يتوجه اليه وحده في طلب حاجاته وإظهار عبوديته ، وهو كمال التوحيد واعلى درجات الايمان ، وأما الاحسان فهو إحسان العمل — خلافا للجلال فيهما اذ عكس — واتباع ملة ابراهيم يراد به فيما يظهر ما أشار اليه في قوله عز وجل « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » فإقامة الدين مرتبة فوق مرتبة التدين المطلق وهي العمل به على وجه الكمال بحيث يقوم بناؤه ويثبت ، وعدم التفرق فيه والتعادي بين أهله ، ﴿ واتخذ الله ابراهيم خليلا ﴾ أي اصطفاه لتوحيده واقامة دينه في زمن وبلاد غلبت عليها الوثنية وقوم أفسد الشرك عقولهم ودنس فطرتهم فكان ابراهيم خالصا مخلصا لله ، وبهذا المعنى سماه الله خليلا ، واذا أراد الله ان يكرم عبدا من عباده اطلق عليه ماشاء ، والا فان المعنى المتبادر من لفظ الخليل في استعمالنا له يتنزه الله عنه فان الخلة بين الخليلين انما تتحقق بشيء من المساواة بينهما وهي من مادة التخلل الذي هو بمعنى الامتزاج والاختلاط اهـ

أقول يطلق الخليل بمعنى الحبيب أو المحب لمن يحبه اذا كانت هذه المحبة خالصة من كل شائبة بحيث لم تدع في قلب صاحبها موضعا لحب آخر ، وهو من الخلة (بالضم) أي المحبة والمودة التي تتخلل النفس وتمازجها كما قال الشاعر

قد تخللت مسلك الروح مني ... وبه سمي الخليل خليلا

والله يحب الاصفياء من عباده ويحبونه وقد كان ابراهيم كامل الحب لله ولذلك عادى أباه وقومه وجميع الناس في حبه تعالى والاخلاص له . وقيل ان الخليل هنا مشتق من الخلة (بفتح الخاء) وهي الحاجة لأن ابراهيم ما كان يشعر بحاجته الى احد غير الله عز وجل حتى قال في الحاجات العادية التي تكون بالتعاون بين الناس « الذي خلقني فهو يهدين ، والذي هو يطعمني ويسقين » والاول أظهر وأكمل ،

والمراد بذكر هذه الخلة الاشارة الى اعلى مراتب الايمان التي كان عليها ابراهيم ليتذكر الذين يدعون اتباعه من اليهود والنصارى والعرب ما كان عليه من الكمال ، وما هم عليه من النقص ، ولذلك ذكر أهل الأثر ان هذه الآية نزلت في سياق الرد على أولئك المتفاخرين بدينهم المتبجح كل منهم بأنه على ملة ابراهيم . والمعنى ان ابراهيم قد اتخذه الله خليلا بأن من عليه بسلامة الفطرة وقوة العقل وصفاء الروح وكمال المعرفة بالوحي والفناء في التوحيد ، فاين انتم من ذلك ؟ ولا تكاد توجد كلمة في اللغة تمثل هذه المعاني غير كلمة الخليل ، واما لوازم هذه الكلمة في استعمال البشر التي هي خاصة بهم فينزه الله عنها بأدلة العقل والنقل . ثم قال عز وجل

﴿ ولله مافي السموات وما في الارض وكان الله بكل شيء محيطا ﴾ قال الاستاذ الامام :ـ ختم هذا السياق بهذه الآية لفوائد (إحداها) التذكير بقدرته تعالى على انجاز وعده ووعيده في الآيات التي قبلها فان له مافي السموات والارض خلقا وملكا وهو أكرم من وعد وأقدر من أوعد (ثانيها) بيان الدليل على انه المستحق وحده لإسلام الوجه له والتوجه اليه في كل حال ، وهذا هو روح الدين وجوهره لانه هو المالك لكل شيء وغيره لايملك بنفسه شيئا ، فكيف يتوجه العاقل الى من لا يملك شيئا ويترك التوجه الى مالك كل شيء أو يشرك به غيره في التوجه ولو لأجل قربه منه ؟ (ثالثها) نفي ما ربما يسبق الى بعض الاذهان من اللوازم العادية في اتخاذ الله ابراهيم خليلا ـ كأن يتوهم أحد ان هنالك شيئا من المناسبة أو المقاربة في حقيقة الذات أو الصفات ، فبين تعالى ان كل مافي السموات والارض ملك له ومن خلقه مهما اختلفت صفات تلك المخلوقات ومراتبها في انفسها و بنسبة بعضها الى بعض . فاذا هي نسبت اليه فهو الخالق المالك المعبود وهي مخلوقات مملوكة عابدة له خاضعة لأمره التكويني ﴿ وكان الله بكل شيء محيطا ﴾ إحاطة قهر وتصرف وتسخير ، واحاطة علم وتدبير ، قال الاستاذ الامام: فسروا الاحاطة بالقدرة والقهر و يصح ان تكون إحاطة وجود لان هذه الموجودات ليس وجودها

من ذاتها ، ولا هي ابتدعت نفسها وانما وجودها مستمد من ذلك الوجود الواجب الأعلى ، فالوجود الإلهي هو المحيط بكل موجود فوجب ان يخلص الخلق له ويتوجه اليه العباد وحده ، ولا يشركوا به أحدا من خلقه ،

(يقول محمد رشيد مؤلف هذا التفسير) هذه الآية كانت آخر ما فسره شيخنا الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده في الجامع الأزهر ، فرضي الله عنه وجزاه عن نفسه وعنا خير الجزاء ، وسنستمر في التفسير على هذه الطريقة التي اقتبسناها منه ان شاء الله تعالى وان كنا محرومين في تفسير سائر القرآن من الفوائد والحكم التي كانت تهبط من الفيض الإلهي على عقله المنير الا في الجزء الثلاثين فانه كتب له تفسيرا مختصرا مفيدا . وكان فراغه من تفسير هذه الآية في منتصف المحرم سنة ١٣٢٣ وقد توفي في شهر جمادى الأولى منها رحمه الله تعالى ونفعنا به . وكتبت تفسير هذه الآيات في مدينة بمبي (أو بومباي) من ثغور الهند في غرة ربيع الآخر سنة ١٣٣٠ والله اسأل ان يوفقني لاتمام هذا التفسير ، انه على ما يشاء قدير

الخطبة الرئيسية

(في ندوة العلماء بلكنهوء « الهند »)

« لصاحب المنار »

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا واليه النشور . والصلاة والسلام على نبيه ورسوله الذي أرسله ليخرج الناس من الظلمات الى النور . سيدنا محمد خاتم النبيين وإمام المصلحين . وعلى آله وصحبه ومن تبعهم في هديهم الى يوم الدين

ثم انني بعد حمد الله وشكره عوداً على بدء ، أشكر لهذه الجمعية المباركة ـ جمعية ندوة العلماء ـ دعوتها إياي من مصر الى الهند لحضور الاحتفال السنوي العام الذي

تقيمه في هذا العام . وأن جعلت دعوتها هذه مبنية على حسن ظنها بي ورجائها الفائدة بحضوري ومشاركتي لاعضائها العلماء الاعلام .

أشكر هذه الجمعية بالقول كما شكرتها بالفعل بأن أجبت دعوتها وليت طلبها في وقت أنا أشغل فيه ما كنت منذ وجدت . فقد كنت مشتغلا بتأسيس دار الدعوة والارشاد والنظر في كل مايحتاج اليه التأسيس الحسي والمعنوي من حاجات البناء والاثاث والماعون وأدوات التعلم والكتب واختيار المعلمين والمستخدمين وغير ذلك .

جاءتني الدعوة وأنا على ذلك ، بل الامر أعظم من ذلك ، فوافقت ما كانت تصبو اليه نفسي ويحن اليه قلبي من زيارة الديار الهندية واختبار حال التربية والتعليم الاسلامي فيها . ولكن تعارض المانع والمقتضي بل كان هنالك موانع عديدة كل واحد منها كان كافياً للترجيح فكيف بها قد اجتمعت ؟ .

مضت سنة الله في سجايا البشر وطباعهم في العمل الذي يندفعون اليه بمقتضى فطرتهم أن يرجحوا المانع على المقتضي اذا كان كل منهما نظريا مناطه الرأي والفكر، أو وجدانياً مناطه الشعور والهوى النفسي، وأما اذا كان أحدهما وجدانياً أو عده الوجدان والآخر ليس كذلك فان الترجيح يكون في الغالب للوجداني ، أو مايمده ويؤيده الشعور الوجداني

لهذا كانت تغالبني نفسي على إجابة الدعوة وترك ادارة مدرسة دار الدعوة والارشاد بعد فتحها وما عليّ من الدروس فيها ، وترك ادارة المنار وأعماله واقتعاد غارب الاغتراب ، والنأي عن التلاميذ والمريدين والاصحاب ، وان لم أكن من الذين يرضون لانفسهم ترجيح مقتضى الشعور والميل على مقتضى المصلحة والرأي ، وان كان من الشعور والهوى ماهو عين الحق والهدى بدليل حديث « لايؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به » فتحت مدرسة دار الدعوة والارشاد وهي منتهى رجائي في خدمة الاسلام، وغاية سعيي في اصلاح التربية والتعليم، وأقر الله عيني برؤيتها والبدء بالقاء الدروس فيها ، ورأيتني مدعواً الى مفارقتها في أول العهد بوصالها والتمكن من التمتع بجمالها ، فتجدد لي شعور ووجدان لم يكن عندي في أيام السعي والنصب، وكنت كالعاشق الذي دعي الى ترك معشوقه بعد طول العناء في طلبه

هكذا كانت تتنازعني الآراء المتعارضة وتتجاذبني أرواح الشعور المتناوحة . حتى عرضت ذلك على اخواني أعضاء ادارة جماعة الدعوة والارشاد ، بعد ان استشرت غيرهم من الاصدقاء ذوي الرشاد ، فأجمعت كلمة الجماعة على أن أجيب الدعوة ، وأن

أكون فيها سفيراً عنهم ووافداً من قبلهم ، أحيي بلسانهم ندوة العلماء، وجميع من ألقاه من مسلمي هذه الديار الفضلاء، وأعرض عليهم رأيي ورأي الجماعة فيما ينبغي لنا وما يجب علينا من خدمة الاسلام وترقية شأن المسلمين ، من طريق التربية والتعليم .

فأنا أيها السادة الاخوان ! — أخاطبكم بالاصالة عن نفسي وبالنيابة عن جماعة من اخوانكم المسلمين في مصر الذين يشاركونكم في مثل شعوركم الشريف ، وسعيكم الحميد. فكان اجماع الاخوان هو المرجح الاخير الذي عليه التعويل وها أناذا بين أيديكم أليكم وأحييكم .

أيها الاخوة الكرام !

اذا كنت قد أضعت شيئا من وقتكم بذكر كلمات من خبر رحلتي اليكم فان لي نية صالحة تتعلق بغرضين : أحدهما أن يكون شفيعاً لي بين يدي مذاكرتكم في أمر التربية والتعليم بالاصغاء الى ماأقول فانه اذا لم يكن قول الخبير المدقق فهو قول المحب المخلص. ومن كان هذا شأنه فهو جدير بأن يتلقى مايصيب فيه بالقبول ومايخطىء فيه بالعفو والسماح ، على انني مشتغل بهذه المسألة منذ خمس عشرة سنة بحثا ومذاكرة ومناظرة وكتابة وخطابة وتعليما . وان المقيم في مصر ليسهل عليه أن يعرف من أحوال المسلمين في تربيتهم وتعليمهم وسائر شؤونهم مالايسهل على المقيم في قطر آخر ، ولهذا قال بعض عقلاء الافرنج : ان مصر هي الدماغ المفكر للعالم الاسلامي

والغرض الثاني من تلك الكلمات أن أبين لكم أنني لست أنا الذي أهتم وحدي بزيارة بلادكم واختبار أحوالكم ، بل يشاركني في ذلك جمهور المفكرين من اخواننا المصريين وكذا غير المصريين من فضلاء المسلمين ، وكل مايحبه المرء ويهتم به يدركه وينا له .

أيها الاخوة الكرام !

ان للاسلام عليكم وعلى سائر مسلمي بلادكم من حق احياء علومه وآدابه وأعماله مثلما له على مسلمي مصر من ذلك ، فانني علمت بالاختبار الطويل انه لا يوجد بلاد اسلامية فيها من حرية التربية والتعليم ويقظة الفكر وسعة الثروة مثل ما في الهند ومصر ، ويجب علينا شكر هذه النعمة باستعمالها والانتفاع بها

ان اخواننا مسلمي التتار في روسية أيقاظ متنبهون وعندهم نهضة في التعليم تذكر فتشكر ، ولكن حكومتهم تضيق عليهم السبل ، وتطارد الاساتذة المعلمين منهم ، وتعاقبهم على جريمة التعليم (؟!) بالنفي تارة وبالسجن تارة أخرى : كان الشيخ العالم الجليل الصالح عالمجان منذ ثلاث سنين عندنا في مصر منفيا من وطنه ، مبعدا عن بلده ،

لانه يعلم المسلمين وينبه أفكارهم في مدرسته الشهيرة في مدينة قزان، وقد نفي أخوه ومساعده في التعليم معه أيضا

وان الاخوين النجيبين عبدالله بوبي وعبيد الله بوبي قد أنشآ مدرسة في قرية «بوبي» واجتهدا في أمرها ما استطاعا فألقت عليهما الحكومة الروسية القبض في شتاء العام الماضي وألقتهما في غياهب السجن بقصد محاكمتهما في محكمة الجنايات بقزان، وقد مضى العام بطوله ولم يطلبا للمحاكمة ولكن رأينا في احدى الجرائد الاسلامية الروسية انه ينتظر ان يحاكما في هذا الربيع والله أعلم ، وقد نشرت جريدة «نوفي فريميه» الروسية التي تصدر في بطرسبرج مقالات حثت فيها الحكومة على منع التتار من السعي لتعليم مسلمي تركستان (* ونبهتها الى خطر سياحتهم فيها لئلا ينبهوا الترك الغافلين(١)

هذه اشارة الى حال أقرب المسلمين الذين تحت سلطة دولة أوربية اليكم ، وان حال مسلمي المغرب لشر من حالهم فان مسلمي التتار مجدون في أمر التربية والتعليم، على مراقبة حكومتهم لهم وضغطها عليهم ، وهم دائما يرسلون الوفود الى مصر وسورية والحجاز ليتعلموا ويتقنوا اللغة العربية ليكونوا معلمين اذا رجعوا الى بلادهم ، ومنهم من يذهبون الى الاستانة لاجل تعلم الفنون العصرية ، والمراقبة على هؤلاء شديدة . أما مسلمو تونس والجزائر فلا يستطيعون أن يعملوا مثل عملهم ، فان مراقبة فرنسة لهم أشد ، واحاطتها بهم أقوى وأعم ، وقد اعترف بعض المنصفين من الفرنسيين بهذا الضغط ، وصرح بعضهم بأنهم يعتقدون انهم سينسخون الاسلام واللغة العربية من الغرب ، ولكن أناسا آخرين يرون ان حسن معاملة المسلمين أنفع لهم ويسعون في اقناع حكومتهم بذلك ولما ينجحوا في سعيهم . ولا أحب أن أزيدكم مما أعلم في ذلك

وأما مسلمو جاوه والملايو فحالهم أسوأ من جميع أحوال المسلمين . وقد أحاطتهم هولندة بسور من الجهل لا يتسلقه أحد . وان شئتم أن تعرفوا شيئاً مفصلا عنهم فانني آتيكم برسالة مطبوعة باللغة الانكليزية في ذلك فانقلوها الى لغتكم وانشروها في جرائدكم واعتبروا بها واشكروا نعمة الله عليكم وجدوا واجتهدوا في تعميم التربية والتعليم بينكم

أيها الاخوة الكرام!

ان الحكومة الانكليزية أوسع الحكومات الاستعمارية حرية ويمكن لمن يكونون في ظل حكمها ان يرقوا أنفسهم اذا سلكوا في ذلك طريق العقل والحكمة

---

*) قد صدر قانون (لائحة) المدارس في تركستان هو منشور في هذا الجزء

(١) راجع الجزء الماضي ص ٢٥٦

ولا يمكن ذلك لكل من كان في ظل غيرها من الحكومات الاستعمارية ، ورب ظل ذي ثلاث شعب ، لا ظليل ولا يغني من اللهب ، ومن العقل والحكمة ان يبتعد المشتغلون بالاصلاح العامي والتهذيبي عن السياسة سرا وجهرا ، فان السياسة ما دخلت في عمل الا أفسدته كما قال الاستاذ الامام

لو كان الذين تضطهدهم بعض الدول وتعاقبهم على التعليم يمزجون عملهم بالسياسة لكنت أول من يعذرها . فانا علمنا من قواعد علم الاجتماع المستنبطة من التاريخ ان الدول لا تغفر أن تعارض أو تنازع في ملكها وسلطانها وقد تغفر ما دون ذلك من الذنوب اذا وقع ممن يخلصون لسلطانها أو تأمنهم عليه . فذلك في دين السياسة كالشرك في الاسلام قال تعالى « ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء »

قد عهد من بعض الدول المرتقية العدل والرحمة في القضاء والادارة ولا توجد دولة في الارض تعتصم بالرحمة أو العدل في السياسة . وأعني من السياسة حفظ الملك والسيادة ، وما يتعلق بالتعدي على السلطة ، ولكن الدولة العاقلة تزن الشدة في ذلك والقسوة بميزان العقل والحكمة ، والسياسة قد يكون لها عقل ولكن لا يكون لها قلب

كانت دول الاسلام في العصر الاول أعدل وأرحم ما عرف التاريخ من الدول حتى في أثناء الفتوحات والحكومة العسكرية التي كانت ولا تزال تظهر القسوة الشديدة وقد اعترف بذلك المنصفون من مؤرخي الافرنج وعلماء التاريخ فيهم ، قال غوستاف لوبون الفيلسوف المؤرخ الفرنسي « ما عرف التاريخ فاتحا أعدل ولا أرحم من العرب » فاذا كانت حكومة الخلفاء الراشدين لا يقاس عليها لانها خلافة نبوة فهاتان الدولتان الاموية والعباسية كانتا أعدل دول الارض في القديم والحديث في القضاء وأوسعهن رحمة وجودا وفضلا على الرعية في الجملة ولكنهما استعملتا الشدة والقسوة في التنكيل بمن نازعهما السلطة حتى انهم كانوا يذبحون آل الرسول عليه الصلاة والسلام ويقتلونهم اينما ثقفوا – من ظنوا أو توهموا انه يسعى منهم الى الملك أو يسعى له فيه ، بل شهد التاريخ وروى لنا أن الأب كان يقتل ابنه والابن يقتل أباه لاجل الملك

أيها الاخوة الفضلاء !

اذا كانت حكومتكم تسمح لكم أن تربوا أولادكم على عقائد دينكم وآدابه وفضائله وعباداته وأن تعلموهم ما ينفعهم في دينهم ودنياهم كما تشاءون لا تشترط على جمعياتكم العلمية والدينية ولا على نظام مدارسكم الا احترام سلطتها ، وعدم معارضتها

في سيادتها ، فقد أعذرت اليكم ، واذا قصرتم ولم تبذلوا كل طاقتكم في تعميم التربية والتعليم فانما إثمكم على أنفسكم ، ولا لوم لكم الا عليها ، فكيف اذا كانت حكومتكم هي التي تحثكم حتى على التعليم الاهلي ، وتنشطكم حتى على التعليم الديني ، وقد فاجأني العجب وأخذ من نفسي كل مأخذ عند ما علمت ان الحكومة الانكليزية ترغب مسلمي الهند في تعلم اللغة العربية وتساعدهم على تعلمها ، وأنها خصصت مبالغ من المال لاجل تعليمها في بعض مدارسها ، ومبالغ لاعانة المدارس الاهلية على تعليمها ، كمدرسة العلوم الاسلامية في عليكره وغيرها ، كما اعطت المسلمين أراضي غالية الاثمان في عدة مدن لبناء مدارسهم الاهلية فيها وهذه ندوة العلماء جمعية دينية محضة ومن مقاصدها نشر الاسلام ، وقد أعطتها الحكومة أرضا غالية الثمن لبناء مدرستها فيها وخصصت لها مبلغ ستة آلاف روبية اعانة سنوية

لا أطيل في تفصيل ما سمعته منكم أي من أهل بلادكم من أخبار هذه المساعدات فانكم أعرف بها مني وانما أشير اليه لاذكركم بأن الحجة عليكم تكون أنهض اذا أنتم قصرتم في التعليم وان الحكومات لا تنهض بالامم اذا لم تنهض الامم بأنفسها ، فعليكم ان تعتمدوا بعد الاستعانة بحول الله وقوته على جدكم واجتهادكم وسعيكم (وأن ليس للانسان الا ما سعى) وقد أعجبني جواب قاله لورد كرومر لبعض وجهاء المصريين اذ قال له ذلك الوجيه : انك ايها اللورد قد أصلحت المالية المصرية وجعلت خدمتك في مصر خالصة للحكومة ولم تعمل للمسلمين شيأ يرقيهم ، فقال له اللورد « ان الذي لا يرقي نفسه لا يرقيه غيره ، فيجب أن تعملوا لانفسكم واذا عملتم وطلبتم مني المساعدة فانني أساعدكم »

حاجتنا الى اصلاح التربية والتعليم

أن حاجتنا معشر المسلمين الى اصلاح التربية والتعليم قد صار من البديهيات التي لا يماري فيها الا الراسخون في الغباوة أو المسرفون في المكابرة ، وقد اعترف به كبار علماء الازهر وهم أشهر علماء الاسلام وعلماء الاستانة ونفوذهم في المملكة العثمانية لا يعلوه نفوذ ، وقد عقدت في هذين السنتين لجان من الفريقين ومن رجال الحكومة للنظر في ذلك ووضعوا للاصلاح قوانين وبرامج جديدة ، واختاروا له كتبا لم تكن تقرأ فقرروها ورغبوا عن كتب كانت تقرأ فتركوها ، ورأوا الحاجة شديدة الى علوم وفنون جديدة فزادوها وكذلك فعلتم أنتم أيضا في ندوة العلماء

ومكانكم من علماء المسلمين مكانكم ، وفضلكم فيه فضلكم ، وكذلك علماء تونس قد بحثوا في هذا الامر منذ سنتين واحدثوا عدة تغيرات في نظام التعليم ، وبقي هنا وهنالك في كل مكان من يرون أن ماجروا عليه واعتادوه هو غاية الكمال ، التي لا تقبل الزيادة بحال من الاحوال ، ولكن أرقى الباحثين والمصلحين للنظام الماضي في تلك الاقطار يرون ان ما وضع لاصلاح التعليم في الازهر والاستانة ليس هو غاية الكمال المطلوب ، وانما هو ضرب من التدريج في الاصلاح

ليس هذا ببدع في أحوال البشر فقد عرف من سنة الله تعالى فيهم أنهم لا يكادون يتفقون على شيء وان الجمهور الاعظم منهم لا يتفقون على تغيير ما في أحوالهم الاجتماعية الا في الزمن الطويل ، وان التغيير الفجائي السريع لا يخلو من خطر أو ضرر ، فليتمسك من شاء بالنظام المألوف فلا يضر طلاب الاصلاح شيئاً اذا كانوا يأخذونه بقوة ، ويدعون اليه على بصيرة ، وكان ذلك ناشئاً عن حياة جديدة نفخ روحها في الامة ، فان العاقبة لهم « فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ماينفع الناس فيمكث في الارض »

ليس موقفنا هذا موقف مناظرة ، ولا مقامنا مقام الادلاء بالحجة ، وانما هو موقف تذكير للناسي ، وحفز لهمة الآسي ، وحسبنا من الذكرى فيه قول الله عز وجل « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » وانما نحن المسلمين نعرف من تاريخنا ومن آثار سلفنا اننا كنا نحن الأئمة الوارثين ، والسادة المتبوعين ، والحكام العادلين ، والعلماء العاملين ، والصلحاء المخلصين ، والاغنياء المنفقين ، والصناع الماهرين ، والزراع المعمرين ، والتجار البارعين ، بل كنا فوق جميع الامم في كل علم وعمل ، حتى كاد العدد القليل منا لا يطئون أرض قوم الا ويجذبونهم بأزمة قلوبهم وعقولهم الى اتباعهم في دينهم ولغتهم وآدابهم ، فهل نحن اليوم كذلك ؟ ألسنا قد تدلينا بل هبطنا من سماء تلك العزة والرفعة والسلطة وصرنا وراء الامم ، بعد أن كنا أئمة جميع الامم ؟ ألا تفكر في ماضينا وحاضرنا ، ونعتبر بسبق كل أحد حتى الوثنيين لنا ؟ أولئك الذين كانوا قبل اشراق نور الاسلام على هذه الديار شراً مما ترون عليه عامتهم حتى الآن ـ عراة الابدان ، يعبدون الجماد والحيوان ، والانهار والنيران ، ويأكلون على ورق الاشجار ، فهل غير الله ما بنا الا بعد أن غيرنا ما بأنفسنا ؟ كلا انها سنته في خلقه « ولن تجد لسنة الله تبديلا »

نعم ان الله لم يغير ما بنا من نعمة ورفاهة وعزة وسيادة الا بعد أن غيرنا ما بأنفسنا من استقلال الرأي، وصحة الحكم، وحقائق العلم، ومكارم الاخلاق، وعقائل الصفات، والاعتصام بحبل الله، والتآخي في الايمان، وعمل الصالحات، والتواصي بالحق والتواصي بالصبر، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر، وترجيح المصالح العامة على الاهواء الخاصة، وغير ذلك مما عده القرآن المجيد من صفات المؤمنين، وقال فيهم «كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله» كذلك لا يغير ما بنا الآن من الضعف والفقر، وسوء الحال والهوان على الناس، والتحاسد والتباغض، والتعادي والتفرق، وغير ذلك مما نشكو منه، ولا نقلع عن أسبابه، حتى نغير ما بأنفسنا، ونعود الى الهداية التي كان عليها سلفنا ورحم الله الامام مالك حيث قال «لا يصلح آخر هذه الامة الا بما صلح به أولها» وانما يكون تغيير ما بالانفس بالتربية والتعليم، فان المراد من التغيير ما يترتب عليه تغيير العمل. وانما الاعمال آثار العلوم والاخلاق فمتى كان العلم بالحق والباطل وبالمصالح والمفاسد والمنافع والمضار صحيحاً، والاخلاق فاضلة - كانت الاعمال كلها صالحة مؤدية الى رفعة الافراد وكمالهم الديني والمدني، فلابد لنا من إصلاح طريقة التربية والتهذيب، وإصلاح طريقة التعليم معا، ولو كان التعليم الذي جرينا عليه من عدة قرون يخرج لنا رجالا ينهضون بالامة الاسلامية ويخرجونها من جحر الضب الذي نحن فيه لظهرت آثارهم ولما بقينا في هذه المهانة بضع قرون وكأننا مصابون بالفالج أو داء السكتة، ولكن ماهي التربية التي نرجو بها صلاح أخلاقنا وارتفاع هممنا، والتعليم الذي ترتقي به عقولنا ونعرف به ما ينبغي لنا؟

أما تربية الصغار التي عليها المدار، فهي ليست عندنا في محل البحث والتبيين، ولا في حيز العمل والتنفيذ، فأكثر المسلمين يتركون أولادهم سدى يجري كل منهم على ما عليه عشيرته وعشراؤه من هوى أو هدي، الا أن بعض المتفرنجين في بعض الامصار الكبيرة منا قد فتنوا بالمربيات الافرنجيات يلقون اليهن بافلاذ أكبادهم فيعلمن الذكور والاناث منهم لغاتهن، وينشئنهم على عادات أقوامهن. وأما تربية الكبار بالوعظ والارشاد فقد وكل عند عامتنا الى مشايخ الطرق وأكثرهم من الدجالين الجاهلين يزيدونهم بدعا وفساداً وغروراً وضلالا.

وأما التعليم الديني فقد أشرنا الى عقمه وسوء أساليبه والاختلاف في الحاجة الى اصلاحه والاشتغال بوضع القوانين والانظمة والبرامج له، فهل هذا هو الاصلاح المطلوب؟

التعليم صناعة من الصناعات ترتقي بارتقاء العمران كما يقول حكيمنا الاجتماعي ابن خلدون، وقد جرى أوائلنا فيه على مقتضى العقل والاختبار بحسب الحاجة التي كانت تظهر لهم وتليق بحالهم، فكان أول ماجروا عليه طريق الرواية والتحديث والاملاء، كان أحدهم يحفظ مايتلقاه أو يكتبه أو يجمع بين الحفظ والكتابة، ثم جروا على طريق آخر من وجه آخر وهو طريق الاستنباط من المحفوظ والمكتوب وبسط الدلائل والمقارنة والترجيح بينها، باستقلال الفكر، واتباع مايظهر انه الراجح، ثم وضعت المصنفات في العلوم والفنون المختلفة فكان ما كتبه الاولون مبسوطا سهل العبارة كثير الشواهد والبينات. ثم صار الناس يدرسون مصنفات من قبلهم فيشرحون ماغمض منها ويستدركون على المصنف فيما قصر فيه، ويبينون غلطه فيما غلط فيه مؤيدين أقوالهم بالدلائل والشواهد، ثم ضعفت الهمم وونت العزائم فصار الناس يختصرون المصنفات فيذكرون أهم قواعدها ومسائلها بعبارة مختصرة خالية من الدلائل والشواهد والامثلة - الا قليلا - وتباروا في الاختصار والايجاز فيه حتى نقل عن بعضهم انه كان يقرأ الشيء الذي كتبه بعد عهد بعيد أو قريب فلا يفهمه، ثم حدثت عندهم طريقة شرح المختصرات ثم شرح الشرح ووضع الحواشي والتقارير عليها، وجعل هذه الكتب كلها كتب تدريس تقرأ للطلاب يبدأ الاستاذ منها بقراءة المتن فالشرح فالحاشية فالتقرير فيكون جل شغله في إشغالهم في عبارات أولئك الكاتبين لاجل حل رموز ذلك المتن المختصر وبيان المراد منه وما يرد عليه وعلى تلك العبارات وما يجيب به عنها ولو بالتمحل وتحميل الالفاظ مالا تحمل

هذه اشارة وجيزة الى كيفيات افادة العلم في الزمن الماضي بالتدريس والتصنيف ومنه يعلم انها كانت أطواراً مختلفة أقربها الى الصواب أقدمها، ولم ينتقل المسلمون من طور منها الى طور دفعة واحدة لانها لم تكن تحصل من قبل ادارة عامة تضع لها القوانين والانظمة والبرامج والجداول وتوزعها على جميع المعلمين كما تفعل وزارات العلوم والمعارف في الدول المرتقية في هذا العصر، وانما كان الانتقال من طور الى طور يحصل بالتدريج. وقد كان في زمن العباسيين شيء من النظام المعروف المتبع في المدارس الكبرى ولا سيما المدرسة النظامية ببغداد وما كان على طرازها فيها وفي غيرها، ولم يرتق ذلك النظام ويدون ويعم لانه لما وجد كانت جراثيم الضعف والمرض الاجتماعي قد بدأ يظهر تأثيرها في جسم الامة ولذلك قام بعض العلماء الاعلام يبحثون في طريقة التعليم وأساليبه ويضعون القواعد له كما فعل أبو حامد الغزالي في كتاب

العلم من احياء علوم الدين ، وتلميذه أبو بكر العربي المغربي ، ثم ابن خلدون ، ثم الشيخ زكريا الانصاري ، وكان ينبغي ان يقرأ فن التعليم بالتصنيف وتحقق مسائله وتحمل معاهد العلم الكبرى على العمل حتى بما يظهرانه الصواب ، ولو بأمر الحكومة ، الى ان يظهر للعلماء شيء من الخطأ فيه فيرجع عنه كما تنسخ نظارات المعارف في دول الحضارة الآن كثيراً من مواد قوانين التعليم ونظام المدارس اذا ظهر لها انه ضار وان غيره أنفع منه وانما لم يفعلوا لان الامة كانت في طور التدلي والانحطاط ، فكيف تهتدي الى أوثق أسباب النهوض والارتقاء ،

وقد بينت هذه المسألة في المقدمة التي وضعتها لكتاب أسرار البلاغة تصنيف امام فن البلاغة الشيخ عبد القاهر الجرجاني عند طبعه ، وهذا الكتاب في البيان وصنوه كتاب دلائل الاعجاز في المعاني هما خير مثل لما أشرنا اليه من تدلي التصنيف والتعليم فانهما على كونهما أول الكتب التي صارت بها البلاغة فنا مدونا ذا قواعد وقوانين كلية مقسمة الى أبواب وفصول لا يزالان أفضل وأنفع مما صنف بعدهما واستمد منهما ولا سيما الكتب المشهورة المتقنة الصنعة كالمفتاح للسكاكي والمطول والمختصر للتفتازاني — اللذين فتن بدقة صنعتهما جميع علماء المسلمين في بلاد العرب والعجم فجعلوهما من كتب التدريس فكان ذلك سبب موت البلاغة العربية في جميع المدارس الاسلامية ، ولذلك اجتهدنا مع شيخنا الاستاذ الامام في البحث عن نسخ أسرار البلاغة ودلائل الاعجاز في الحجاز والعراق والآستانة وتصحيح ماظفرنا به وطبعه ، وقد قرأهما الاستاذ الامام في الجامع الازهر فاستفاد منهما كثير من الطلاب وانتعشت البلاغة العربية العملية في الازهر بل انبثت فيها نسمة الحياة بعد أن طال عليها زمن الموت وقررتهما نظارة المعارف المصرية في مدرسة دار العلوم وهي المدرسة التي يتخرج فيها مدرسو اللغة العربية ، وقررتهما ادارة معارف السودان أيضا في مدرسة غوردون الكلية ، ولو شئت أن أذكر الامثلة على تدلينا في التدريس والتصنيف في كل علم من العلوم الاسلامية لضاق وقت هذا الاجتماع عنه وفاتكم ماتنتظرون سماعه من كثير من العلماء الاعلام

ان ما أشرت اليه من التدلي في التصنيف والتعليم كان عاما شاملا لجميع البلاد الاسلامية ولا غرو فالمسلمون أمة واحدة وقد كان ارتقاؤها في العلوم والاعمال من آثار هداية دينها . وتدليها فيهما من الانحراف عن صراط دينها ولكن البلاد الاعجمية أصيبت بمرض آخر في تعليم الدين ووسائله وهو ان علماءها صاروا يدرسون تلك العربية التي لا تصلح لتعليم العرب أنفسهم على الوجه المؤدي الى الغاية من اللغة

والدين بالترجمة للطلاب فكان هذا مصابا على مصاب . اذ صار طالب العلم يشتري بالعشرات من سني عمره قواعد عامة للغة لا يعرفها كما تعرف اللغات فيعسر عليه أن يطبقها على جزئياتها وأن يصل بها الى الغاية المقصودة من اللغة وهي أن تكون ملكة له يقدر على التكلم والكتابة بها بغير تكلف ويفهم الكلام البليغ منها بغير تردد ويتأثر به من غير تصنع فان كان مقنعاً اقتنع وان كان وعظاً اتعظ وان كان سارا سر وان كان محزنا حزن

كان علماء العجم في القرون الاسلامية الاولى يشاركون اخوانهم المقيمين في بلادهم كالشام ومصر وأفريقية والاندلس في التأليف والتصنيف والانشاء والشعر ويضربون معهم بكل سهم فكانوا أحسن مظهر لوحدة الاسلام وانما كان ذلك لانهم كانوا يحذقون اللغة العربية بالعمل حتى تصير ملكة راسخة فيهم كرسوخها في أبنائها ولما تضاءلت الهمم وضعفت العزائم وفشت بدعة تعلم العربية والدين ذهبت تلك المزية وضعفت العلوم الدينية واللغوية وتراخت رابطة الوحدة الاسلامية وما عاد ينبغ في بلاد الاعاجم في تحصيل تلك الكتب التي أشرنا اليها على قلة الغناء فيها الا أفراد يعدون على الانامل ، بل يمكنني أن أقول انهم من القلة بحيث لم يصل الينا من نثرهم ونظمهم شيء خال من لوثة العجمة . وقد كان السيد جمال الدين الافغاني الحكيم الكبير والمصلح العظيم هو الذي نفخ روح الاصلاح اللغوي والعلمي في مصر وحمل تلاميذه من طلاب الازهر على الكتابة والخطابة وأرشدهم الى طرقهما . وكان هو كاتبا بليغا ، وخطيبا مفوها ، حتى كان يخطب بالعربية عدة ساعات بلا تلعثم ولكنه مع هذا كله ظل الى آخر عمره يعرف الاعلام التي لا يجوز تعريفها وتظهر العجمة في لهجته وبعض ألفاظه فلم يصقل لسانه بفصاحتها كما كان الزمخشري وأمثاله ممن قال فيهم ابن خلدون انهم ليسوا أعاجم الا في النسب . وسبب ذلك انه تعلم العربية تعلما فنيا في الكتب ثم اهتدى في الكبر بثاقب عقله ونور بصيرته الى الطريقة التي بها تطبع ملكة اللغة في النفس واللسان فهدى تلاميذه من العرب بمصر اليها فكانوا أسلس منه عبارة وأنصع ديباجة وأسلم من تكلف الصنعة (للخطبة بقية)

نقد تاريخ التمدن الاسلامي

﴿ بقلم الشيخ شبلي النعماني ﴾

٤

أما المصانع – فانهشاما حصن المثقب على يد حسان بن ماهون الانطاكي وحفر له خندقا وبنى حصن قطر غاش ، وحصن مورة ، وحصن بوقا من عمل انطاكية . وبنى سعيد بن عبد الملك سور الموصل وهو الذي هدمه الرشيد . وفرش الموصل بالحجارة ابن تليد صاحب شرطة المروانيين . وسار العباس بن الوليد الى مرعش فعمرها وحصنها ونقل الناس اليها وبنى لها مسجدا جامعا ، واسكن مسلمة بن عبد الملك مدينة الباب اربعة وعشرين الفاً من اهل الشام على العطاء وبنى هريا (مخزنا) للطعام وهريا للشعير وخزانة للسلاح وأمر بكبس الصهريج ورم المدينة وشرفها . واحدث الحجاج احد امرائهم في سنة ٨٣ مدينة واسط بين الكوفة والبصرة وبنى مسجدها وقصرها والقبة الخضراء بها ، واحدث سليمان بن عبد الملك في ولايته مدينة الرملة ومصرها وبنى فيها القصور ومسجدا وحفر الآبار والقنى والصهاريج . وبنى احد قوادهم عقبة ابن نافع الفهري بافريقية قيروانها واحدثوا غيرها من المدن والحصون والارباض في الاندلس وحدود بلاد الروم والسند

ثم امنوا الطرق وعمروا السبل فكان موضع قيروان غيضة ذات طرفاء وشجر لا يرام من السباع والحيات والعقارب القتالة فاحدثوا فيه تلك المدينة الزهراء فأصبحت طرق افريقية آمنة مستأنسة بعدما كانت مستوحشة ذات مخاوف ومهالك . وكانت الطريق فيما بين انطاكية والمصيصة مسبعة يعترض للناس فيها الاسد فوجه الوليد اليها اربعة آلاف من الجاموس فنفع الله بها . واذكر ما كتب ابن الاثير في حوادث سنة ٨٨ « ان الوليد كتب الى البلدان جميعها باصلاح الطرق وعمل الآبار » وكان الموضع الذي فيه نهر سعيد بن عبد الملك غيضة ذات سباع فاقطعه اياها الوليد فحفر وعمر ماهناك . ولما بني سبيل الجراف بمكة في سنة ٨٠ في زمن عبد الملك أمر عامله بعمل ضفائر الدور الشارعة

على الوادي وضفائر المسجد وعمل الردم على افواه السكك . وحفر عدي عامل البصرة من قبل عمر بن عبد العزيز بامره نهر عدي .

ومن الاخبار التي تدل على شدة حبهم للرعية وكثرة بذلهم في ازاحة خللها واماطة أذاها – انه شكا أهل البصرة الى عامل يزيد على العراق ملوحة مائهم فكتب بذلك الى يزيد فكتب اليه : إن بلغت نفقة هذا النهر خراج العراق فأنفقه عليه ، فحفر لهم النهر الذي يعرف بنهر ابن عمر وحفر عمالهم الجائرون الغاشمون (كما يقول جرجي افندي زيدان) والمنتسبون اليهم كثيرا من الانهار غير ماذكر كنهر معقل ، ونهر ديس ، ونهر الاساورة ، ونهر عمرو ، ونهر أم حبيب ، ونهر حرب ، ونهر بزيدان ، ونهر سلم ، ونهر نافد ، ونهر خيرتان ، ونهر مرة ، ونهر بشار ، ونهر بزور ، ونهر حبيب ، ونهر ذراع ، ونهر ابي بكرة ، وغيرها من الانهار وهذه الانهار كلها حفروها (١) بالبصرة فما بال غيرها من البلاد ؟

أما مابذلوا من الاموال وافرغوا من الجهد في بناء المسجد النبوي وتذهيب البيت والمسجد الاموي الذي هو معدود من إحدى العجائب في كثرة نفقاته وعظمة بنائه ودقة صنعه وبهجة منظره وحسن نظامه فهو أشهر من نار على علم

وبنو أمية هم أول من اتخذ دار الضرب في الاسلام فكسوا به الاسلام رفعة وأغنوه عن نقود الروم والفرس ونحوه مما أوعده الروم بنقش شتم النبي صلى الله عليه وسلم عليها ، وهم الذين نقلوا الدفاتر والدواوين من الفارسية والرومية والقبطية الى العربية (٢) فزادت العربية انتشاراً ونفوذا ولم يمض برهة من الدهر حتى أصبحت هذه البلاد عربية النزعة واللسان ، وهم أول من بنى مستشفى في الاسلام – بنوه بدمشق سنة ثمان وثمانين ، جعلوا فيه الاطباء وأمروا بحبس المجذومين وأجروا لهم الارزاق ، وهم أول من أنشأ داراً للعميان ، وهم أول من عمل دار الضيافة (٣) بعد عمر بن الخطاب ، وهم أول من رثى للايتام وتحنن عليهم ورتب لهم المؤدبين ليعلموهم (٤)

﴿ نشر المعارف والعلم ﴾

أما العلم – فقد زخر بهم بحره ، وأزهر بدره ، فالقرآن الذي هو عمود الاسلام ، ورأس العلوم ، وينبوع المعارف ، أدرك الامة قبل اختلافها فيه عثمان بن عفان وهو

(١) راجع لكل ذلك البلاذري (٢) راجع لكل ذلك فتوح البلدان للبلاذري
(٣) اليعقوبي ذكر الوليد (٤) السيوطي ذكر الوليد

أموي . ثم بعد ذلك اختلطت العرب بالعجم واحتكت بهم ففسدت لغتها وأسلمت العجم فلم تستطع السلامة من اللحن فكثر التصحيف في القرآن وانتشر بالعراق ففزع الحجاج وهو أحد أمراء بني أمية الى كتابه فوضعوا النقط والاعجام (١) فعصموا به كتاب الله أن يتطرق اليه التصحيف والتحريف تطرقهما الى التوراة والانجيل ، ووالله هذا أعظم مبرة برّ بها الاسلام لا تساويها مبرة وأعظم منة منّ بها على الدين لاتوازيها منة . ثم كتب الحجاج المصاحف وفرقها في الامصار وكان الوليد - الذي رماه صاحبنا بالاستهانة بالقرآن - يحث الناس على حفظ القرآن وكان يجزل الصلات لحفظته ويضرب الذين لم يحفظوه (٢) فكثر حفظته وعظم قدرهم وجات رتبتهم

أما التفسير - ففي أيامهم نبغت أجلة المفسرين من التابعين ، وفي أيامهم دون التفسير في الصحف فأول من وضع في التفسير ابن جبير بأمر عبد الملك (٣) ثم مجاهد

أما الحديث - فكانوا يدرون على أهله الصلات ويبعثون اليهم بالهدايا ويجرون لهم الارزاق لينقطعوا الى حفظ الحديث وروايته ونقله وكانوا يكرمون الفقهاء ويجلون مقامهم ويراعون جانبهم ، فقد كان يصيح صائح من بني مروان في موسم الحج : ألا لا يفتي الناس الا عطاء بن أبي رباح اجلالا لشأنه ولكثرة علمه بالمناسك (٤) وكان عبد الملك أمر الحجاج وهو أميره على الموسم أن يقدم ابن عمر في الحج ويقتص أثره في المناسك ، وكان سالم بن عبد الله والقاسم بن محمد والشعبي وميمون بن مهران والزهري وأيوب ابن أبي تميمة وقبيصة بن ذؤيب ورجاء بن الحياة أعزة عند بني أمية وكان أكثرهم عمالا لهم وهم أساطين الحديث وأئمة الرواية وأعلام النقل . وأنت تعلم ان أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم لولا أنها استودعت بطون الصحف لضاعت بهلاك العلماء واسراع الموت فيهم ، فاسألك بحرمة التاريخ من أمر أهل هذا الشأن بتدوينها في الكتب - أليس هو عمر بن عبد العزيز الاموي ؟ فجاء في الآثار ان عمر بن عبد العزيز كتب الى الآفاق « انظروا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجمعوه » وكتب الى أبي بكر بن حزم رأس المحدثين « أن انظر ما كان من سنة أو حديث فاكتبه لي فاني خفت دروس العلم وذهاب العلماء » وقد كتب ابن حزم كتبا في الحديث فتوفي

(١) ابن خلكان ذكر الحجاج (٢) العقد أخبار الوليد ص ٢٣٩ وابن الاثير سنة ٨٨ (٣) ميزان الاعتدال للذهبي . ذكر عطاء بن دينار (٤) ابن خلكان . ذكر عطاء

عمر ثم وضع الكتب فيه ربيع بن صبيح وكان عمر بن عبد العزيز يكتب الى الامصار يعلمهم السنن والفقه (١)

أما أصول اللغة ونحوها - فقد كان تدوينها بأمر أمراء بني أمية ، ذكر ابن خلكان (المجلد الاول صفحة ٢٤٠) ان أبا الاسود الدؤلي استأذن زياداً بن ابيه - وهو والي العراقين يومئذ - ان يضع للعرب مايقيمون به لسانهم فأبى ثم بدا له صواب رأيه فدعا الدؤلي وقال له ضع للناس الذي نهيتك ان تضع لهم فوضعه وأخذ عنه ما وضعه عنبة بن مهران المهري وعنه ميمون وعنه عبد الله الحضرمي وعنه عيسى بن عمر وعنه الخليل (٢) وهؤلاء كلهم كانوا في عصر بني أمية وهم واضعو النحو ومدونو أصوله

أما الشعر - ففي عصرهم فتقت ألسنة الشعراء وارتفع قدرهم وانتشر ذكرهم ففحول الشعر وأمراء القول وفرسان القريض هم الفرزدق الدارمي وجرير الخطفي والاخطل التغلبي وعمر بن ابي ربيعة القرشي وكثير عزة وجميل بثينة ومجنون ليلى وذو الرمة غيلان ونصيب وهؤلاء كلهم كانوا يقصدونهم بجياد قصائدهم فكانوا يغمرونهم بالجوائز فنطقت ألسنتهم بما اصبح زهرة للأدب وزينة للغة

وكانوا يحثون الناس على اقتناء الادب وتناشد الشعر وتدارس أخبار الشعراء ، وكانوا يستوفدون الشعراء ويستزيدونهم ويجيزونهم بالاموال الجزيلة وكانوا يرسلون أبناءهم الى البادية ليتلقنوا الادب ويتلقفوا اللغة من أفواه الاعراب وأهل البادية ، وقد جمع الوليد بن يزيد بن عبد الملك ديوان العرب وأشعارها وأخبارها وانسابها ولغاتها (٣)

أما علم التاريخ والسير والمغازي - فبعصرهم افتتح عصره ، وبأمرهم ارتفع أمره ، ففحول أصحاب السير والمغازي هم وهب بن منبه عالم اليمن المتوفى سنة ١١٤ ومحمد بن مسلم الزهري صاحب عبد الملك المتوفى سنة ١٢٤ وموسى بن عقبة المتوفى سنة ١٤١ وهؤلاء كلهم كتب في التاريخ والسير والمغازي (٤) ووضع في أيامهم عوانة المتوفى سنة ١٤٧ كتاب التاريخ ، وكتاب سيرة معاوية وبني أمية ، وكان لملوك بني أمية رغبة شديدة في استطلاع الاخبار الماضية وحوادث الامم الخالية . قال المسعودي : انه كان معاوية يجلس لاصحاب الاخبار في كل ليلة بعد العشاء الى ثلث الليل ثم ينام ثلث الليل ويقوم

(١) مقدمة الزرقاني على الموطأ (٢) ابن خلكان مجلد ٢ ص ٣٨٠ (٣) الفهرست صفحة ٩١ (٤) واجع كشف الظنون وتذكرة الحفاظ

في الاسلام ، وقد ضربنا صفحا عما كان لآل أمية بالاندلس في السياسية والعلم من المآثر الحسنة والاعمال الجليلة والسير العادلة . فهل لك أيها الفاضل المؤلف الى الاذعان للحق من سبيل ، والى الرجوع عن ضلال الرأي من طريق ؟

﴿ صنيع المؤلف بالعباسية ﴾

عهدنا الوحوش الضارية مع جفاء طبعها وقسوة قلبها وكونها مطبوعة على الافتراس والفتك والارتواء بالدم واذا دخلت غابتها وأحاطت بها عائلتها تبدل القسوة بالرحمة والغلظة باللطف والغضب بالحنان ، فبينما أحدها عبوس كاشر عن الانياب كالح الوجه مستبشع المنظر كريه الهيئة اذ هو هش بش حنون عطوف يذوب لطفا ورقة ، وكذلك شأن قواد الجند وابطال الحرب فانك ترى أحدهم اذا قاتل الاكفاء وناطح الاقران فهو شهاب ينقض ، ونار تلتهب ، وسعير تفور ، واذا عاشر الاصحاب فهو ألينهم جانبا ، واحلاهم خلقا ، وأوسعهم حلما ، وأرقهم طبعا ، وقد جربنا المؤلف وعجمنا عوده في معاملته مع اعدائه (بني أمية) فلننظر كيف حاله في معاشرته مع اصدقائه (العباسية)

قال المؤلف

« حبب بعضهم الى المنصور أن يستبدل الكعبة بما يقوم مقامها (١) في العراق وتكون حجا للناس فبنى بناء سماه القبة الخضراء تصغيراً للكعبة وقطع الميرة في البحر عن المدينة » (الجزء الثاني صفحة ٣٠)

وقال « وأراد المعتصم أن يستغني عن بلاد العرب جميعا وكان قد بنى سامرا بقرب بغداد وأقام فيها جنده فأنشأ فيها كعبة وجعل حولها طوافا واتخذ منى وعرفات الخ » (الجزء الثاني صفحة ٣٢)

وقال « فلما أفضت الخلافة الى المأمون الخ ـ ثم قال ـ فأخذ يناظر أشياعه وصرح بأقوال لم يكونوا يستطيعون التصريح بها خوفا من غضب الفقهاء وفي جملتها القول بخلق القرآن أي انه غير منزل » (الجزء الثالث صفحة ١٤١)

غير خاف على أحد ان العباسية ان افتخروا وتطاولوا على منازعيهم في الرئاسة فمعظم فخرهم وأبين حججهم انهم بنو عم النبي وسدنة البيت وخدمة الحرم ودعاة الاسلام ونقباء القرآن (وصاحبنا يقول) ان المنصور وهو مؤسس دولتهم وفاتحة خلفائهم بنى القبة الخضراء إرغاماً للكعبة وقطع الميرة عن المدينة تضييقاً على أهلها

(١) كانت صحة العبارة ان يقول : ان يستبدل بالكعبة الخ اه مصحح

فيأتيه غلمان وعندهم كتب فيقرأون عليه ما في الكتب من اخبار الامم وسير الملوك وسياسات الدول ، ولم يصبر على ذلك حتى استحضر عالم عصره عبيد بن شرية من صنعاء اليمن وسأله عن الاخبار المتقدمة وملوك العجم وسبب تبلبل الالسنة وأمر افتراق الناس في البلاد ، وأمره أن يدون ما علمه ، وعاش عبيد الى أيام عبد الملك وتوفي وله من الكتب كتاب الامثال وكتاب أخبار الماضين (١) وأخذ عنه اناس سماهم ابن النديم وكان من رواته زيد الكلابي في أيام يزيد بن معاوية عارف بأيام العرب وأحاديثها (الفهرست صفحة ٩٠) وقد كان هشام مشغوفا بالسير والاخبار فنقل له جبلة بعض كتب سير الفرس من الفارسية الى العربية (٢) وأمر هشام النقلة فنقلوا له كتاب تاريخ ملوك الفرس وقوانين دولتهم وتراجم رجالهم وكان هذا الكتاب مصورا ، ثم نقله سنة ١١٣ رآه المسعودي سنة ٣٠٣ في مدينة اصطخر كما ذكر في التنبيه صفحة (صفحة ١٠٦)

أما علوم الفلسفة ومنها الطب والكيمياء ـ فكان لهم في نقلهما الى العربية آثار صالحة فنقل ابن اثال لمعاوية كتب الطب من اليونانية وهذا أول نقل في الاسلام ، وكان في البصرة في ايام مروان بن الحكم طبيب ماهر يهودي النحلة عارف بالعربية اسمه ماسرجويه فنقل ماسرجويه هذا كناش القس اهرون بن اعين من السريانية الى العربية فلما تولى عمر بن عبد العزيز وجد هذا الكتاب في خزائن الكتب في الشام فأخرجه للناس وبثه في أيديهم (٣) وخالد بن يزيد بن معاوية حكيم آل أمية أول من طلب علوم الفلسفة في الاسلام ، وخبره انه كان يطمع في الخلافة فلما وثب مروان عليها رغب خالد عنها الى طلب العلم فاستقدم جماعة من فلاسفة اليونانيين ممن كان ينزل مدينة مصر ومنهم مريانوس الرومي الذي اخذ عنه صنعة الكيمياء والطب وأمرهم بنقل الكتب من اليونانية والقبطية الى العربية فنقلوها له ولخالد كلام في الكيمياء والطب ـ وكان بصيراً بهذين العلمين متقنا لهما ـ وله رسائل دالة على معرفته وبراعته كما اخبر به ابن خلكان ، وقد ذكر له ترجمة صالحة ابن النديم في فهرسته ونقل سالم كاتب هشام ـ وهو ابو جبلة المار ذكره ـ رسائل ارسطاطاليس الى الاسكندر . فبناء على ما قدمنا من القول بنو أمية هم أول من استقدم الفلاسفة واستدناهم في الاسلام ، هم أول من أمر بنقل العلوم الى العربية في الاسلام ، هم أول من انشأ خزائن للكتب

(١) كتاب الفهرست صفحة ٢٤٤ (٢) راجع الفهرست ايضا (٣) أخبار الحكماء وعيون الانباء

وان المأمون – وهو أفضل خلفائهم ديناً وورعاً – كان ينكر نزول القرآن . وان المعتصم – وهو فخارهم وواسطة عقدهم – بنى كعبة في سامرا وجعل لها طوافاً . ولعلك تقول : ان الحاكم بالعدل والقائم بالقسط ليس له حميم ولا عدو فهو يتحرى الصدق ويدور مع الحق كيفما دار . فالمؤلف اذا أتته سيئة من بني العباس قضى عليهم من غير محاباة لهم ولا ميل اليهم ، وكذلك اذا عرضت له حسنة من بني أمية فهو يوفيهم حقهم من الاستحسان وحسن القول وتنويه الذكر – هيهات هذا كان رجاؤنا فخاب الظن وكذب الامل وذهبت الثقة فان المؤلف لما ذكر بني أمية عقد لمثالبهم أبواباً منها : استخفافهم بالدين وذكر فيه قتال عبد الملك مع ابن الزبير فقلب الرواية كما سبق ذكره ، فلو كان مغزى المؤلف الصدق وبيان الحقيقة لكان يعقد باباً للعباسية أيضاً يذكر فيه استخفافهم بالكعبة وانكارهم لنزول القرآن ، وههنا موضع نظر الى دقة مكيدة المؤلف وحسن احتياله فانه يريد من طرف الغض من الكعبة والحط من القرآن ومن طرف الانتصار للعباسية والذب عنهم لاجل انهم كسروا شوكة العرب واتخذوا العجم بطانتهم وعمود دولتهم فذكر استخفافهم بالكعبة ولكن مغموساً مبدداً تحت عنوان ثروة الدولة الاسلامية ليأخذ بطرفي المطلوب ويفوز ببغيتيه معاً

أما كشف الجلية عن أصل الحال فالامر ان من يدعي الخلافة (وهي منصب ديني) ويرشح لها نفسه لا يجد الى ذلك سبيلا الا بالتظاهر بالدين والتصبغ به ونصب نفسه لاعلاء كلمته ورفع مناره وحمل الناس على تعظيم شعائره والتدلي الى خاصة القائم به ليجلب عطف القلوب وجذب الاميال ورضاء العامة والتحبب الى الناس ولذلك كان الخلفاء (بنو أمية والعباسية كلاهما) يصلون بالناس ويؤمونهم ويحضرون الموسم ويحجون بهم أو يرسلون من خاصتهم من ينوب منابهم ويخطبون على المنابر ولذلك لما أراد أهل الشام المكيدة بعلي رضي الله عنه ورفعوا المصاحف كف أصحاب علي عن القتال ولما قال علي هذه خديعة منهم قالوا: اذا لم تذعن لهذا خلعناك ، فلم يقدر على خلافهم ورضي بما لم يكن وفق رضاه ، ولما فعل يزيد ما فعل ضج الناس وكادوا يسطون عليه لولا أنه مات عاجلا ولما أراد الحجاج قتال ابن الزبير أغراهم بأن ابن الزبير ألحد في الدين وزاد على الكعبة ولذلك نصب المناجيق لالقاء الزيادة التي كان زادها ابن الزبير (رض) ولما جاهر الوليد بن يزيد بالفسق قاموا عليه وقتلوه ولما قال أبو نواس يمدح الامين وصدر القصيدة بهذا البيت

ألا فاسقني خمراً وقل لي هي الخمر ولا تسقني سرًّا فقد أمكن الجهر

اتخذ المأمون هذا وسيلة لاغراء الناس على مخالفة الامين . فهل تصدق بعد كل ذلك بأن المنصور أو المعتصم كان يقدر أو يسوغ له أن يصغر شأن الكعبة ويغض من شرفها؟ وهل كان يقدر المأمون أن يحمل الناس على انكار القرآن والعياذ بالله؟ فأما استشهاد المؤلف في هذه الواقعة بابن الاثير وغيره فكله تحريف وتدليس وسوء تأول ولولا أني سئمت من كشف دسائسه مرة بعد أخرى لاوضحت الامر وبينت حقيقة الحال

قال المؤلف ولما تولى المعتصم سنة ٢١٨هـ واصطنع الاتراك والفراغنة ازداد العرب احتقاراً في عيون أهل الدولة وتقاصرت أيديهم عن أعمالها حتى في مصر .... – الى ان قال – فأصبح لفظ عربي مرادفا لاحقر الاوصاف عندهم ومن أقوالهم : العربي بمنزلة الكلب اطرح له كسرة واضرب رأسه وقولهم : لا يفلح أحد من العرب الا أن يكون معه نبي ينصره الله به (الجزء الثاني صفحة ٣١ و٣٢)

من احسن أعمال آل عباس عند المؤلف انهم صغروا شأن العرب وساموهم الخسف وسلطوا عليهم الاعاجم والاتراك وجعلوا هؤلاء ولاة البلاد بيدهم الامر والنهي والرفع والخفض والعقد والحل والنقض والابرام . ذكر ذلك في غير موضع وكلما ذكره وجد من نفسه ارتياحاً اليه وشفاء لحزازته وهزة لعطفه ونيلا لأربه ومع ان الواقعة مكذوبة أو محرفة على جري عادته فنحن لا ننازعه في ذلك ونطوي الحديث على غرته ولكن نقول اذا مدح أحد مثلا دولة فرنسة وقال انهم ذللوا الفرنسيين وارغموا انوفهم واستلبوهم المناصب وقلدوا الولايات الاجانب وجعلوهم قابضي ازمة الامور يولون ويعزلون ، وينفقون ويمسكون ، فهل هذا يكون مدحاً ترضى به دولة فرنسة أو يكون هذا عاراً يستحي منه ؟ ومسبة يستنكف عنها ، وشناعة تشمئز منها القلوب؟ وانصف من نفسك ما كان حظ العباسيين من تولية الاعاجم . اما آل برمك فلا ننكر فضلهم ومحاسن آثارهم ولكنهم مع كل ذلك استأثروا بالاموال وانفردوا بالاعمال حتى لم يكن حظ الخلفاء من الخلافة الا الاسم فقط فاضطر الرشيد الى النكبة بهم وازالة دولتهم . وأما الاتراك فصاروا يلعبون بالخلافة كل ملعب فكم قتلوا من الخلفاء وسجنوا وعذبوا بانواع العذاب وتركوهم يموتون جوعاً يسألون الناس ولا يعطون . فهل هذه سياسة تمدح ومأثرة تذكر وفضيلة يفتخر بها ؟ .

﴿ الخلفاء الراشدون ﴾

المؤلف حرفته تأليف الكتب متكسبا بها وهو يعرف حق المعرفة انه لو انتقد

على الخلفاء الراشدين ونال منهم تصريحا كسد سوقه ، وخابت صفقته ، فدبر لذلك حيلا لايكاد يتفطن لها اللبيب المتيقظ فضلا عن البليد المتساهل فعمد الى رءوس المثالب ونسبها اليهم بانواع الاحتيال فتارة بتبديدها في ثنيات الكلام وابعادها عن موضع العناية ، وتارة بايرادها عرضا موهما عدم الاعتناء بها ، وتارة بذكرها محتالا لها عذراً . واذا كررت النظر في كلامه وتصفحت مافيه وجمعت ماهو مبدد ونظمت ماهو مفرق تكاد تستيقن ان الخلفاء كانوا من أشد أعداء العلم وانهم ابادوا الكتب والخزانات واضطهدوا أهل الذمة وجعلوهم أذلاء لايؤذن لهم ولا يؤبه بهم

أما كونهم أعداء العلم فبين المؤلف ذلك اجمالا وتفصيلا فقال « كان الاسلام في أول أمره نهضة عربية والمسلمون هم العرب وكان اللفظان مترادفين فاذا قالوا العرب ارادوا المسلمين وبالعكس ولأجل هذه الغاية امر عمر بن الخطاب باخراج غير المسلمين من جزيرة العرب ... – الى ان قال – وتمكن هذا الاعتقاد في الصحابة لما فازوا في فتوحهم وتغلبوا على دولتي الروم والفرس فنشأ في اعتقادهم انه لاينبغي ان يسود غير العرب ولا يتلى غير القرآن الخ »

« أما في الصدر الاول فقد كان الاعتقاد العام أن الاسلام يهدم ما كان قبله فرسخ في الاذهان انه لا ينبغي أن ينظر في كتاب غير القرآن الخ

« فتوطدت العزائم على الاكتفاء به عن كل كتاب سواه ومحو ما كان قبله من كتب العلم في دولتي الروم والفرس كما حاولوا بعدئذ هدم ايوان كسرى واهرام مصر وغيرها من آثار الدول السابقة » الخ (الجزء الثالث صفحة ٣٦)

« وبناء على ذلك هان عليهم إحراق ما عثروا عليه من كتب اليونان والفرس في الاسكندرية وفارس » الخ (الجزء الثالث صفحة ١٣٥)

﴿ حريق خزانة الاسكندرية ﴾

لم يقتنع المؤلف بذلك فعقد باباً لاثبات أن حريق خزانة الاسكندرية كان بأمر عمر بن الخطاب وأطال وأطنب في ذلك واستدل عليه بستة دلائل (١) نحن نذكرها مع الرد عليها اجمالا

قال : أولا – « قد رأيت فيما تقدم رغبة العرب في صدر الاسلام في محو كل كتاب غير القرآن بالاسناد الى الاحاديث النبوية وتصريح مقدمي الصحابة »

(١) الجزء الثالث من تمدن الاسلام ص ٤٠

الذي ذكر قبل ذلك (انظر صفحة ٣٩) وحول عليه ههنا أقوال منها : « ان الاسلام يهدم ما كان قبله » وكلنا يعرف ان المراد به إبطال عوائد الجاهلية ومزعوماتها وليس المراد محو الكتب أو إحراق الخزائن ولكن لما كان المؤلف دخيلا فيناغريب الذوق والمعرفة حمل الكلام على غير محله أو لعله عارف يتجاهل وبصير يتعامى

ومنها قول النبي عليه السلام « لاتصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالذي أنزل الينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد » وأي متعلق في هذا ؟ بل هو يخالف لما يريده المؤلف فان الحديث يأمر بالايمان بما أنزل الى أهل الكتاب ، أما الاغفال عن تصديق أهل الكتاب وتكذيبهم فلأجل كون أهل الكتاب غير موثوق بهم في الرواية ، ومنها ان النبي صلى الله عليه وسلم « رأى في يد عمر ورقة من التوراة فغضب حتى تبين الغضب في وجهه ثم قال ألم آتكم بها بيضاء نقية والله لو كان موسى حياً ما وسعه الا اتباعي » وهذا لا مستند فيه للمؤلف فان النبي صلى الله عليه وسلم خاف على عمر عنايته بالتوراة والتصديق بكل ما فيها مع كونها مغيرة لعبت بها أيدي النقلة ولذلك قال ألم آتكم بها بيضاء نقية وهذا لا يستلزم بل ليس فيه أدنى إشارة الى محوها وإلحاق الضرر بها ونزيدك ايضاحاً للكلام بما فيه ثلج الصدر وفصل الخطاب ، فاعلم ان عمود الاسلام وقطب رحاه هو القرآن وعليه المعول وهو المستمسك في كل باب وكان هو العروة الوثقى في ذلك العصر للصحابة وأهل القرن الاول ، والقرآن له عناية كبرى بالتوراة والانجيل وهو الذي نوه بذكرهما وعظم شأنهما ، فقال

« فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لاتعلمون ،(والمراد بالذكر التوراة) – انا أنزلنا التوراة فيها هدى – ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل اليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم – مصدقا لما بين يدي من التوراة – ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه ، » (أي التوراة والانجيل)

ولاجل ذلك كان عدة من أجلة الصحابة منقطعين الى قراءة التوراة والانجيل والاعتناء بحفظهما ودرسهما ولم يكتفوا بها بل أخذوا يروون ويتفاوضون كل ماوجدوا من أقاصيص أهل الكتاب ومروياتهم وقد اعترف بذلك المؤلف نفسه فقال

« وقد رأيت ان العمدة في التفسير على النقل بالتواتر والاسناد من النبي فالصحابة فالتابعين ، والعرب يومئذ أميون لا كتابة عندهم فكانوا اذا تشوقوا الى معرفة شيء مما تتوق اليه نفوسهم البشرية من أسباب الوجود وبدء الخلقة وأسرارها سألوا عنه

أهل الكتاب قبلهم من اليهود والنصارى – الى أن قال – فكانوا اذا سئلوا عن شيء أجابوا بما عندهم من أقاصيص التلمود والتوراة بغير تحقيق فامتلأت كتب التفسير من هذه المنقولات (الجزء الثالث صفحة ٦٤) (يتلى)

بشائر عيسى ومحمد (*)

(في العهدين العتيق والجديد)

٢

واذا ترجمنا عبارة داود هكذا (ثقبوا يديّ ورجليّ) كما يترجمونها كان المعنى أنهم أتلفوهما وهو كناية عن تعطيل جميع قواه وقهره واذلاله بسبي نسائه ونساء رجاله وبنيهم وأخذهم الغنائم الكثيرة منهم (١صمو ٣٠ : ٣ و١٩) ألا ترى إلى قوله في نفس هذا المزمور ٢٢ : ١٤ (كالماء انسكبت . انفصلت كل عظامي . صار قلبي كالشمع . قد ذاب في وسط أمعائي) إلخ فهل هذه الاشياء وقعت بالفعل ؟ وهل انفصلت عظام داود أو المسيح حقيقة وذاب قلبهما ؟ أم كل هذا كنايات كقوله (ثقبوا يديّ ورجليّ) ؟ وكان داود يدعو الله أن ينصره على أعدائه ويخذلهم وينجيه من تعيير رجاله له ورغبتهم في رجمه . وقد كان ذلك كله فنصره الله عليهم وقتلهم واسترد منهم جميع ما أخذوه كما سبق (١ صمو ٣٠ : ١٧ – ١٩)

وأمثال هذه الكنايات كثيرة في المزامير وغيرها راجع مثلا قوله مز ٣ : ٧ (قم يارب . خلصني يا إلهي . لانك ضربت كل أعدائي على الفك . هشمت أسنان الاشرار) ومزمور ١٨ و٣٥

أما المسيح عليه السلام فلم ينجه الله تعالى على قولهم من يد أعدائه بل أخذوه وعذبوه وصلبوه وقتلوه مع أن مقتضى المزمور الذي نحن بصدده أن الله استجاب

(*) تابع لما نشر في الجزء الرابع ص ٢٨١

دعاء داود ونجاه من أعدائه ومن الكرب الذي كان فيه (انظر عدد ٢٤ منه) فكيف اذا ينطبق هذا على المسيح ؟!

(برهانهم الرابع) ما ورد في الأصحاح الثاني عشر والثالث عشر من سفر زكريا . إعلم أن الاصحاح الثاني عشر هو نبوءة عن يهوذا المكابي وملخص قصته كما في التواريخ المسيحية وكما في سفر المكابيين المقدس عند الكاثوليك وعند الأورثدكس أن ثلاثة من الكهنة الاشرار منهم واحد يسمى (الكميس) جمعوا حولهم نفرا من قومهم اليهود وذهبوا إلى انتيوخس ملك سوريا اليوناني ووشوا إليه بالآخرين من أمتهم وحرضوه عليهم فانقاد الملك لرأيهم وسار إلى أورشليم وسلب ما في الهيكل فهرب من بقي في المدينة وولى على اليهود واحدا من قواده وأمره أن يطلب من اليهود أن يسجدوا لأصنامه وأن يأكلوا لحم الخنزير وأن يتركوا الختان وكان يقتل كل من لم يقبل ذلك وكان أكثرهم طاعة الكهنة الثلاثة المذكورون سابقا وحزبهم فتسلطوا على اخوانهم الذين لم يطيعوا وفي سنة ١٦٦ قبل الميلاد قام كاهن من اليهود الصالحين رئيسا عليهم فقتل أحد عساكر الملك وهو يهودي منافق وقتل القائد أيضا فقويت بذلك قلوب اليهود

ولما توفي خلفه ابنه (يهوذا) فالتف حوله جمع عظيم وحارب جيش الملك فهزمه ، وأراد الملك أن يأتي بنفسه اليه ولكنه مات في الطريق ، ولما فرغ يهوذا من محاربة اليونان دخل أورشليم وأزال الأوثان وطهر البيت وبنى مذبحا جديدا ثم قتل بعد ذلك في بعض وقائعه مع اليونان وكان في جيش عدوه (الكميس) وكثير من منافقي اليهود فبكاه شعب إسرائيل بكاء عظيما وتولى أخوه يوناثان بعده (راجع الفصل ٩ من سفر المكابيين الاول عدد ٢٠) فلذا قال زكريا في كتابه ١٢ : ٢ (هانذا أجعل أورشليم كأس ترنح لجميع الشعوب حولها وأيضا على يهوذا تكون في حصار أورشليم) . (وفي نسخة الكاثوليك ويهوذا أيضا تكون في الحصار على أورشليم) إلى قوله ٣ (يجتمع عليها كل أمم الارض) أي الشعوب التي حولها فلا يدل هذا على التعميم كما يقولون هم في مثل قول لوقا ٢ : ١ (وفي تلك الايام صدر أمر من

أوغسطس قيصر بأن يكتتب كل المسكونة) أي الارض التابعة للرومان فتطوفي قول التكوين ٤١ : ٥٦ (وكان جوع على كل وجه الارض ٥٧ وجاءت كل الارض إلى مصر) وكذا قوله تك ٧ : ١٩ (فتغطت جميع الجبال الشامخة التي تحت كل السماء) إلى قوله ٢٣ (فمحى الله كل قائم كان على وجه الارض) ثم قال زكريا ١٢ : ٤ (في ذلك اليوم أضرب كل فرس بالحيرة وراكبه بالجنون ٦ في ذلك اليوم أجعل أمراء يهوذا كمصباح ٧ ويخلص الرب خيام يهوذا ١٠ وأفيض على بيت داود وعلى سكان أورشليم روح النعمة والتضرعات فينظرون إليَّ الذي طعنوه وينوحون عليه كنائح على وحيد له ١١ في ذلك اليوم يعظم النوح في أورشليم) وصحة الترجمة (ويسلمون الى « أمر » الذي طعنوا) بدون هاء الضمير وذلك أن الذين كانوا مع يهوذا المكابي تركوه خوفا من جيش العدو ولم يبق منهم إلا قليل هربوا أيضا حينما قتل وسلموا أمره إلى الله وإنما نسب الطعن إليهم لانهم تسببوا فيه بفرارهم من حوله . وايضا الان الجيش الذي طعنه كان فيه كثير من اليهود مع (الكميس) الذي كان يرغب أن يكون كاهنا أعظم وأتى بجيش الملك لمحاربة يهوذا معه . وعلى فرض صحة ترجمة البروتستنت وأن المعنى (فينظرون إليَّ أنا الذي طعنوه) فالذي طعنوه هو (يهوذا) وإنما أسند النظر والطعن إلى الله تعالى على حد قول الانجيل (متى ٢٥ : ٣٥ لاني جعت فأطعمتموني. عطشت فسقيتموني) إلى قوله ٤٠ (بما انكم فعلتم ذلك بأحد إخوتي هؤلاء الاصاغر فبي فعلتم) وقوله تعالى في القرآن الشريف (وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى) وقوله (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم) ولما كان يهوذا المكابي هذا مرضيا عند الله ومحبوبا وأعماله إنما هي لله – نسب تعالى طعن أعدائه له لنفسه تعالى كما نسب جوع الفقراء وعطشهم له . وقد أشار دانيال (كما قالوا) في آخر سفره لحوادث يهوذا المكابي هذا (دا ١٢:١٢)

هذا وقول زكريا (وينوحون عليه كنائح على وحيد له ١١ في ذلك اليوم يعظم النوح في أورشليم) الى قوله ١٤ (كل العشائر الباقية عشيرة عشيرة على حدتها) يؤيد تفسيرنا هذا وأنه في حق يهوذا لا في حق المسيح فان الذين طعنوه وهم عسكر الرومان (يو ١٩ : ٣٤) لم ينوحوا عليه في ذلك اليوم ولا عشائر اليهود الذين تسببوا في صلبه . أما

يهوذا فقد ناحوا عليه كثيرا كما تقدم في سفر المكابيين ، ويؤيد قولنا أيضا قوله قبل هذا ١٢ : ٢ (وأيضا على يهوذا تكون في حصار أورشليم) فانه لا ينطبق على المسيح فان أورشليم لم تكن محاصرة بجيوش حينما كان المسيح عليه السلام فيها ولم يكن ثم حرب .

ثم قال زكريا في الاصحاح الثالث عشر ١٣ : ١ (في ذلك اليوم يكون ينبوع مفتوحا لبيت داود ولسكان أورشليم للخطية وللنجاسة) الى قوله (اضرب الراعي فتتشتت الغنم وأرد يدي على الصغار) فالمراد بالراعي هنا (يوناثان) أخو يهوذا المكابي الذي تولى بعده .

ولما قتل يهوذا دخل جيش الملك ومعه اليهود المنافقون ونجسوا المدينة وكان رئيسهم (الكميس) فظلم اليهود الصالحين وأمر بهدم حائط بيت المقدس فلذلك قال (في ذلك اليوم يكون ينبوع مفتوحا لبيت داود ولسكان أورشليم للخطية والنجاسة) ثم أصيب (الكميس) بفالج ومات فرحل الجيش وتولى يوناثان أخو يهوذا ودخل المدينة وطهرها وأزال عبادة الاصنام كما قال زكريا ١٣ : ٢ (إني أقطع أسماء الاصنام من الارض) ثم قتله قائد يسمى (تريفون) بالخديعة وأخذ من أخيه (سمعان) مئة قنطار من الفضة وولدي (يوناثان) أيضا كما في سفر المكابيين ولما قتل تشتت جيشه وحصل لليهود رعب شديد وفزع ثم جمعهم (سمعان) أخوه وشجعهم واستأصل كل اثيم شرير من اليهود المنافقين (مكابيين أول ١٤ : ١٤) وانتهت عبادة الاصنام من بينهم فهذا هو معنى قول زكريا (استيقظ ياسيف على راعيَّ . . . . . إضرب الراعي فتتشتت الغنم وأرد يديَّ على الصغار (ولدي يوناثان) ويكون في كل الارض (أي أرض إسرائيل) أن الثلثين منها يقطعان (وهم الاشرار الذين قتلهم سمعان) ويموتان والثلث يبقى فيها) وبعد سمعان لم تعد اليهود لعبادة الاصنام فلذلك قال في آخر هذا الاصحاح (زك ١٣ : ٩) هو (أي شعب اسرائيل) يدعو باسمي وأنا أجيبه . أقول هو شعبي وهو يقول الرب إلهي) فهذان الاصحاحان لا علاقة لهما بالمسيح عليه السلام البتة ولا ينطبقان عليه . وهل المسيح كان له ولدان فأسرا حتى يقول (وأرد يدي على الصغار) ؟ وهل مات بالسيف مع أنه ماضرب بالحربة إلا بعد موته ؟ (يو ١٩ : ٣٣ و ٣٤) فما بالهم يريدون أن

يجعلوا كل شيء رمزا لدينهم ولو بالقوة وان خالفوا اللغة والتاريخ والعلم والعقل والدين ؟!

(برهانهم الخامس) قال متى في انجيله ٢٧ : ٩ (حينئذ تم ماقيل بأرميا النبي القائل واخذوا الثلاثين من الفضة ثمن المثمن الذي ثمنوه من بني اسرائيل) فادعى متى وادعوا تبعا له أن الانبياء أخبروا أن المسيح سيباع بثلاثين من الفضة وهذه النبوءة لايوجد لها أثر في كتب العهد العتيق اللهم إلا في كتاب زكريا (لا أرميا) فانه يوجد بعض ألفاظ تشبه هذه العبارة (١١ : ١٢ و ١٣) ولكن لاعلاقة لها بالمسيح وانما النصارى كما قلنا مرارا يخترعون من الحوداث للمسيح مايمكنهم أن يطبقوه على عبارات العهد القديم ليوهموا الناس أن الانبياء السابقين أخبروا بجميع أحوال المسيح حتى موته وصلبه وألوهيته المزعومة وفي هذه العبارة كما في غيرها لم يحسنوا التلفيق فأخطأوا وذكروا اسم أرميا وكان الاولى أن يحسنوا السبك ويذكروا زكريا بدله وان كان كل من العبارتين مخالفا لفظا ومعنى

(برهانهم السادس) جاء في سفر الاعمال ٢: ٣١ أن داود أنبأ عن قيامة المسيح (من الموت بعد الصلب) بقوله (انه لم تترك نفسه في الهاوية ولا رأى جسده فسادا) يشير بذلك كاتب هذا السفر الى المزمور السادس عشر الذي قال فيه داود عليه السلام ١٦ : ٩ (لذلك فرح قلبي وابتهجت روحي . جسدي أيضا يسكن مطمئنا ١٠ لانك لن تترك نفسي في الهاوية . لن تدع تقيك يرى فسادا ١١ تعرفني سبيل الحياة ـ الى قوله ـ في يمينك نعم الى الابد) وظاهر أن داود في هذا المزمور يتكلم عن نفسه . ولفظ (الهاوية) هنا أصله العبري (شاَول) وهو اسم علم لدار الموتى سواء كانوا في سعادة أو في شقاء ولذلك قال يعقوب لبنيه حينما أرادوا أخذ بنيامين منه تك ٤٢ : ٣٨ (إن أصابته أذية في الطريق تنزلون شيبتي بحزن الى الهاوية)

وعليه فمعنى هذا المزمور أن جسد داود يسكن بعد الموت مطمئنا لانه يعلم أن الله لن يتركه ميتا الى الابد بل سيرد روحه اليه من عالم الارواح (شاَول) و يبعثه يوم القيامة للحياة الباقية فيخرجه من دار الموتى الى نعيم الجنة

وأما قوله (لن تدع تقيك يرى فسادا . تعرفني سبيل الحياة) فالكلمة

المترجمة هنا (بفساد) تفيد ايضا معنى (القبر) والمراد بها المعنى المجازي أي مكان الموت المعنوي وهو البعد عن الله فكأنه قال (إنك لن تدعني يا الله أرى مكان الموتى وهم الضالون الاشرار بل ستهديني إلى معرفتك التي بها الحياة الأبدية وتعصمني من الاقتراب منهم) فلهذا ولاعتقادي بالبعث والنشور أراني مطمئنا وسيسكن جسدي بعد موتي مستريحا واثقا بوعدك لي بالنعيم الخالد فلذا أحمدك وأشكرك لأنك نجيتني من الموت (الموت الادبي الروحاني) وذلك مثل قوله في مزمور آخر ٥٦ : ١٣ (لانك نجيت نفسي من الموت . نعم ورجلي من الزلق لكي أسير قدام الله في نور الاحياء (أو الحياة) فالبعد عن الله هو الموت وهو الموصل للقبر ومعرفته تعالى هي الحياة الباقية . قال المسيح عليه السلام يو ١٧ : ٣ (وهذه هي الحياة الابدية أن يعرفوك أنت الاله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته) وقال يو ١١ : ٢٦ (كل من كان حيا وآمن بي فلن يموت إلى الابد) وقال أيضا يو ٦ : ٤٧ (من يؤمن بي فله حياة أبدية) فهذه الاقوال كلها هي كقول داود (لن تدع تقيك يرى فسادا (أو قبرا) . تعرفني سبيل الحياة) إذ أن من عرف الله وآمن به واتقاه لا يرى الفساد ولا الشر وينجو من الموت النفساني ويبتعد عن مأوى الاشرار الفجار الذين ماتت نفوسهم فيحيا إلى الابد (كما قال المسيح عليه السلام) حياة طيبة مع الاطهار الابرار بعيدا عن مواطن السوء والشر والفساد (راجع أيضا متى ٦ : ١٣ ويو ١٧ : ١٥) قال الله تعالى في القرآن الشريف (أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها ؟)

أما اذا أصر النصارى على أن المراد بعبارة داود هذه الحقيقة لا المجاز وترجمت هكذا (لن تدع تقيك يرى قبرا) كانت منافية لقوله قبلها مز ١٦ : ٩ (جسدي أيضا يسكن مطمئنا) أي في القبر فان ذلك يعين أن ماجاء بعد من عدم رؤية القبر يراد به قبر موتى النفوس البعيدين عن الله (أي القبر المعنوي) فان المؤمن لا يموت أبدا وليس المراد القبر الحقيقي والا فان داود والمسيح عليهما السلام قد رأيا القبر ودفنا فيه وبقي المسيح فيه ثلاثة أيام ـ كما يقولون ـ ومن راجع المزامير كلها علم أن المجازات فيها

ربما كانت أكثر من الحقيقة واني لاعجب لماذا يريد النصارى حمل كل ماجاء في العهد القديم على المسيح ولو كان بعيدا عنه حتى مج الانسان سماع هذه الاستشهادات منهم !! لكني أتذكر فأقول: انهم لو وجدوا لدينهم دلائل غيرها لما تهافتوا عليها تهافت الظمآن على السراب حتى إذا جاءه لم يجده شيئا

فهذه هي براهينهم على الصلب من العهد القديم وقد انهارت جميعها على أسسها . وما توفيقي الا بالله عليه توكلت

﴿ الفصل الثاني ﴾

« في ابطال ما يستدل به النصارى على ألوهية المسيح من العهد القديم »

نبدأ هذا الفصل بالمقدمة الآتية ثم نتبعها بالكلام على شواهدهم التي يتمسكون بها من العهد القديم

المقدمة — لا يخفى أن اليهود من عهد موسى عليه السلام الى زمن المسيح كانوا دائما يميلون الى الوثنية فمع ظهور آيات الله تعالى لهم العظيمة ومع كثرة أنبيائهم وشدة نهيهم لهم عن الشرك وعبادة غير الله نراهم كثيرا ما ارتدوا وعبدوا الاصنام وقربوا قرابينهم لمولك والعشتورث والكموش (١ مل ١١ : ٣٣) (١) وسجدوا لها وعبدوا في زمن موسى العجل الذهبي وغير ذلك كما تشهد به كتبهم . ولعل منشأ حب الوثنية في قلوبهم وجودهم أزمنة طويلة بين الوثنيين الذين كانوا في كثير من الاوقات سادات لهم في مصر وبابل والذين تغلبوا عليهم في أرض كنعان والمغلوب يميل عادة لتقليد غالبه ويعجب بما عنده من مظاهر الأبهة والعظمة والجمال . فلا يبعد على مثل هؤلاء الناس (اليهود) الذين أشربوا في قلوبهم حب الوثنية من قديم الازمان أن يقولوا في مسيحهم الذي كانوا ينتظرونه و يظنون أنه سيكون ملكا عظيما ينصرهم على جميع الامم ويخلصهم من ظلم أعدائهم ومن سلطانهم عليهم ويجعلهم سادة الارض ويكون دينهم أبديا كما قالوا في الختان (تك ١٧ : ١٣) وفي مواسمهم وقرابينهم (راجع الاصحاح الثالث والعشرين

(١) مولك اسم اله للعمونيين وكان من نحاس جالسا على عرش من نحاس وعشتورث الهة الصيدونيين وكموش اله المؤابيين

من سفر اللاويين) وكما قالوا في ملك سليمان إنه باق الى الابد (١) (٢ صمو ٧ : ١٢ — ١٦ وأخبار الايام الاول ٢٢ : ١٠) فلا يبعد على مثل هؤلاء الناس الذين علمت ميلهم للوثنية وأوهامهم وخيالاتهم في ملكهم وأمتهم ودينهم أن يقولوا في مسيحهم هذا إنه أعظم المخلوقات وأن الله تعالى خلقه قبل كل شيء وبه عمل كل شيء ، وأنه صيره إلها وأن ملكه سيبقى إلى الابد وأنه سيدين الخلائق جميعا يوم القيامة الى غير ذلك من هذه الاحلام اللذيذة والخيالات الجميلة التي كانوا يقولون نحوها حينما يرتدون في معبوداتهم التي عبدوها مرارا من دون الله مع كثرة نهي موسى والانبياء لهم عن الشرك والوثنية (راجع الاصحاح الثالث عشر من سفر التثنية وغيره)

فلما جاء المسيح عليه الصلاة والسلام نمت هذه العقائد في قلوبهم وحاول كثير ممن آمن به عليه السلام عبادته فكان يحارب هذه الافكار بمثل قوله في انجيل متى ٧ : ٢٢ (كثيرون سيقولون لي في ذلك اليوم يارب يارب أليس باسمك تنبأنا وباسمك أخرجنا شياطين و باسمك صنعنا قوات كثيرة ٢٣ فحينئذ أصرح لهم اني لم أعرفكم قط . إذهبوا عني يا فاعلي الاثم) وقوله مر ١٣ : ٣٢ (وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا الملائكة الذين في السماء ولا الابن الا الآب) وقوله يو ١٧ : ٣ (وهذه هي الحياة الابدية أن يعرفوك أنت الاله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح

(١) حاشية يقول النصارى ان ذلك اشارة الى المسيح عليه السلام لانه أتى من نسل سليمان . ونقول ان من راجع نسب المسيح عليه السلام كما في انجيل لوقا ٣ : ٢٣ — ٣٨ اتضح له أن المسيح من نسل ناثان بن داود لا من نسل سليمان فكيف يكون هو المراد بتلك العبارة ؟ وقد قالوا لرفع الخلاف الذي بين متى ولوقا في نسب المسيح أن ما ذكره لوقا هو نسب أمه مريم عليها السلام فهو نسبه الحقيقي أما ماذكره متى فهو نسب يوسف النجار ولا يخفى أن يوسف ليس بأب المسيح وعليه فلا يكون المسيح عليه السلام من نسل سليمان الا بالادعاء من غير برهان وان كان يوسف النجار هذا من نسله كما في انجيل متى (١ : ٦) الا أن يوسف هو زوج مريم فقط وليس هو أبو المسيح عليه السلام ولا ندري لماذا ذكر لوقا الآباء الحقيقيين لبعض جدود مريم تارة والآباء الشرعيين كما يقولون للجدود الآخرين ؟ ولماذا لم يجر على طريقة واحدة حتى فيذكر اما الآباء الحقيقيين كلهم أو الاباء الشرعيين ؟ وهل وجود ابن حقيقي للاب الشرعي يسوغ اهمال لوقا ومتى لذكره مع ذكر لوقا لبعض من لا ولد حقيقيا له لهذا السبب كما يدعون لرفع تناقضهما واختلافهما العظيم ولم يخجلوا من هذا الاضطراب والتضارب !!!

الذي أرسلته) وزجره من ناداه بقوله (أيها المعلم الصالح) فقال كما في متى ١٩ : ١٧ (لماذا تدعوني صالحا ليس أحد صالحا إلا واحد وهو الله) وقوله مر ١٢ : ٢٩ (الرب إلهنا رب واحد) وقوله متى ٢٢ : ٤٠ (بهاتين الوصيتين (أي محبة الله ومحبة القريب) يتعلق الناموس كله والأنبياء) وتسمية نفسه في أكثر الاوقات (بابن الانسان) إشارة إلى أنه إنسان مثلهم وقوله يو ٢٠ : ١٧ (اني أصعد الى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم) أي إن الله أب له كما هو أب لهم وإله له كما هو إله لهم إلى غير ذلك من أقواله الشريفة التي أبقاها الله تعالى في الاناجيل إلى اليوم حجة ناهضة على النصارى، ولكن الناس في زمنه وبعده أبوا إلا أن يعبدوه من دون الله وإن رفض تواضعا منه أن يسمى صالحا وأولوا جميع أقواله هذه وغيرها بالتعسف والتكلف البارد الذي نسمعه اليوم من النصارى في هذه الاقوال الصريحة . وأي كلام لا يمكن تأويله بمثل هذه التأويلات السخيفة ؟ !

فاليهود الذين تنصروا حملوا الى المسيحية وثنيتهم القديمة رغما عن جميع أقوال المسيح عليه السلام نفسه وتعاليمه وأولوها حتى أخرجوها عن معانيها الحقيقية الظاهرة منها ظهور الشمس في رابعة النهار

والذي يدلك على ميل اليهود في ذلك الوقت لهذه الافكار الوثنية قول يوسيفوس مؤرخهم الشهير في حق المسيح ما يأتي إذا صح أن النصارى لم يحرفوا كلامه (كما حرفوا غيره) على ما يقول كثير من فلاسفة العلم في أوربا اليوم . فمع أن يوسيفوس ما كان يعتقد صدق المسيح عليه السلام قال ما يأتي عنه في تاريخه القديم كتاب ١٨ فصل ٣ رأس ٣ (ونحو هذا الوقت نشأ يسوع إنسان حكيم إذا صح أن ندعوه إنسانا لأنه عمل أمورا عجيبة وكان معلم الجماعة قبلوا الحق بسرور وصار له مصدقون كثيرون من اليهود واليونانيين) (١) فانظر وتأمل ! وقد ساعد اليهود على هذه الافكار وجودهم في ذلك الوسط الوثني وسط الرومانيين ووسط الفلسفة اليونانية وغيرها وانتشار مثل هذه العقائد بين جميع الامم الاخرى

فحمل الذين تنصروا منهم في ذلك الزمن إلى دينهم الجديد أفكارهم القديمة في

(١) راجع الفصل الثالث من كتاب دين الله وسينشر في الاعداد الآتية

مسيحهم المنتظر وغلوهم فيه فقالوا إنه أفضل جميع المخلوقات وأنه خلق قبل العالمين (وهو بكر الخلائق) وأن الله خلق الخلق بواسطته وأنه صيره إلها مثله وأنه سيأتي ويدين الخلائق بدلا عن أبيه إلخ إلخ وهذه الافكار هي التي نقرؤها في الاناجيل المتأخرة (كانجيل يوحنا) وفي رسائل بولس أعظم اليهود المتنصرين في مبدإ المسيحية بل مؤسس المسيحية الحالية الحقيقي تأمل في الاصحاح الاول مثلا من رسالته الى العبرانيين وفي قوله فيها ١ : ٤ (صائرا أعظم من الملائكة بمقدار ما ورث اسما أفضل منهم .) وفي رسالته الى أهل كولوسي (١: ١٥ ـ ١٧) فالظاهر من أقوالهم في تلك الايام أنهم كانوا يعتقدون أن المسيح لم يكن مساويا لله تعالى في الدرجة والمقام والجوهر بل مخلوقا منه قبل جميع الخلق (أي بكر كل خليقة كما قال بولس) وأقل درجة منه تعالى وهو الذي وهبه كل شيء حتى جعله بارا و إلها للعالمين كما جعل موسى إلها لفرعون على ما يقول سفر الخروج (٧ : ١) فلم تكن عقائد ألوهيته الأصلية الأزلية ولا عقائد التثليث ناضجة في اذهانهم كما هي اليوم ولذلك لا تجد بيانا مفصلا شافيا لهذه العقائد في العهد الجديد

هذه هي أفكار اليهود القدماء التي أدخلوها في المسيحية وكانت نشأت فيهم قبل وجود عيسى عليه السلام بسنين لاجل مسيحهم الذي ينتظرونه . ثم شبت ونمت حتى بلغت أشُدها في زمن بولس وشابت وهرمت بعده فقال أكثرهم : إن المسيح مساو لله تعالى في الجوهر والمقام، وأنه هو هو، وبقي الآخرون على عقائدهم القديمة في عدم المساواة وقام منهم فرق عديدة ورؤساء لهم كآريوس وغيره مؤيدين كلامهم بمثل قول بولس : أفسس ١ : ١٧ ـ ٢٢ (كي يعطيكم إله ربنا يسوع المسيح أبو المجد روح الحكمة والاعلان في معرفته ـ الى قوله ـ ٢٠ الذي عمله في المسيح إذ أقامه من الاموات وأجلسه عن يمينه في السماويات ـ الى قوله ـ ٢٢ وأخضع كل شيء تحت قدميه واياه جعل رأسا فوق كل شيء للكنيسة) وقول بطرس أع ٢ : ٢٢ (يسوع الناصري رجل قد تبرهن لكم من قبل الله بقوات وعجائب وآيات صنعها الله بيده في وسطكم كما أنتم أيضا تعلمون)

ولكن فاز الفريق الاقوى والا كثر على الفريق الاول لميل النفوس الى الغلو والمبالغة ولانتشار الوثنية في العالم . وبقي الاقلون الذين لا يعتقدون في مساواة المسيح بالله إلى أن جاء الاسلام فراقهم وأعجبهم فدخلوا فيه أفواجا أفواجا واستمر فريق منهم في أوربة الى اليوم ولكنهم بثوا أيضا في نفوس بعض الغلاة من المسلمين شيئا من أفكارهم القديمة فجعلوا محمدا صلى الله عليه وسلم مخلوقا قبل كل شيء ولاجله خلق كل شيء ومن نوره (١) خلق كل شيء كما كانوا يقولون مثل ذلك في المسيح من قبل ولولا أن نصوص الاسلام أصرح وأ كثر من نصوص غيره في التوحيد والتنزيه — ولولا ارتقاء البشر في زمنه عمن سبقهم في العقل والفكر لعبد محمد صلى الله عليه وسلم من دون الله كما عبد غيره من الانبياء والمصلحين وغيرهم ولدخل المسلمون في عين جحر الضب الذي دخله من قبلهم

وعليه فاذا وجد في كتب اليهود ألف نص ونص على ألوهية بعض البشر أو مساواتهم لله تعالى في الازلية لما قبل منهم ولعلمنا أنه مما أدخلوه في عقائدهم ومما أفسدوه في دينهم

ولما وجد اليهود أن النصارى يتمسكون به عليهم لاقناعهم بدينهم وبمسيحهم ترك اليهود هذه الافكار القديمة في المسيح المنتظر شيئا فشيئا حتى محيت من بينهم تقريبا وأنسيت من أفكارهم ولم يبق لها الا آثار قليلة في بعض كتبهم القديمة وهذه الآثار هي التي يريد النصارى إقناع المسلمين بها اليوم

على أنها غير صريحة وليست نصا في الموضوع ويمكن تأويلها بنفس أقوال كتبهم الاخرى بدون تكلف ولا تعسف كما يفعلون هم في أقوال المسيح عليه السلام في التوحيد والتنزيه

وإذا سألت النصارى : لماذا لم تذكر عقيدة التثليث والتجسد والفداء في كتب أنبياء بني اسرائيل صراحة ؟ أجابوك لعدم استعداد البشر لها في تلك الازمنة . ونقول : قد أثبت العلماء الباحثون وجود مثل هذه العقائد تماما عند أ كثر الامم

(١) حاشية : قال ابن تيمية في كتابه (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح) في الجزء الثاني صفحة ١٩٨ ان جميع هذه الاحاديث الواردة في خلق العالم من نور النبي (كلها كذب) ولا يخفى على أحد علم ابن تيمية في الحديث

الوثنية القديمة إن لم نقل كلها (راجع كتاب العقائد الوثنية في الديانة النصرانية) فهل وصل إليها الناس بالعقل أم بالوحي ؟ فان كان الاول فما عدم الاستعداد إذا ؟ وإن كان الثاني فلم أوحيت إلى الناس كافة ولم توح إلى شعب إسرائيل — شعب الله المختار المفضل على العالمين ؟ ! وما معنى هذا الاستعداد ؟ هل كان الناس غير قادرين على فهم هذه العقائد ثم فهموها مع أنها ما فهمت قط ولن تفهم أبدا ! ! فان قالوا : إنها أوقعت قديما كثيرا من الناس في الشرك الحقيقي فلذا لم توح إلى بني إسرائيل : قلت وهل سلمت اليهود من الشرك والوثنية وهم الذين عبدوا كثيرا من آلهة الكفرة والمشركين مع صراحة التوحيد في كتبهم وكثرة نصوصه ؟ وهل سلم النصاري من الشرك والوثنية وفيهم من عبد مريم العذراء والصليب والقديسين والقديسات ؟ وهم جميعا إلى الآن يعبدون المسيح كله مع قول جمهورهم إنه إنسان كامل وإله كامل وهم مع ذلك يعبدون الثالوث المركب من الآب والابن والروح القدس مع تصريحهم بأن الآب هو الاصل وان الروح القدس انبثق منه والابن انبثق من أحدهما او كليهما (على رأي آخرين) . وما الفرق بين عبادة الثلاثة على أنها أقانيم و بين عبادتها على أنها ثلاثة آلهة ؟ وما الفائدة من التوحيد إذا ؟ ؟

الحق أن جميع الامم القديمة قالوا بهذه العقيدة (الثالوث) للجمع بين التوحيد الذي أوحي إليهم من الله و بين الشرك الذي لم يمكنهم أن يتصوروا وجود إله للعالم بدونه لقصر عقولهم واستبعادهم أن يدبر هذا الكون العظيم إله واحد ، ومثل هذا السبب قد أوقع النصارى في نفس هذه العقيدة للجمع بين النصوص التي رأوها متناقضة في العهد الجديد . أما العهد القديم فدلائل التوحيد فيه بينة ظاهرة في جميع أسفاره من أولها إلى آخرها

واليك جميع الاقوال التي يتمسك بها النصارى من كتب اليهود على ألوهية المسيح و بيان معناها وهي التي تركوا لاجلها نصوص المسيح عليه السلام الفصيحة الصريحة ونصوص جميع الانبياء الآخرين فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

الشواهد من العهد القديم

(١) جاء في كتاب أشعيا ما يأتي ٩ : ٦ (لانه يولد لنا ولد ونعطى إبنا وتكون الرياسة على

كتفه ويدعى اسمه عجيبا مشيرا إلها قديرا أبا أبديا رئيس السلام ٧ لنمو رئاسته وللسلام لا نهاية على كرسي داود وعلى مملكته ليثبتها و يعضدها بالحق) إلخ فاذا صح أن هذا الكلام في حق المسيح فهو من أوهام اليهود في مسيحهم الذي ظنوا أنه سيجلس على كرسي داود الى الابد كما قالوا في سليمان على ما تقدم . على أن تسميته (إلها) قد ورد مثلها في حق موسى عليه السلام كما في سفر الخروج ٧ : ١ (فقال الرب لموسى أنظر . أنا جعلتك إلها لفرعون وهارون أخوك يكون نبيك) وورد في المزمور الثاني والثمانين ٦ (أنا قلت انكم آلهة و بنو العلي كلكم) ثم ان اللفظ المترجم بإله هنا في الاصل العبري يحتمل معنى (القوي أو الجبار) وفي النسخة اليونانية الاسكندرانية بمعنى القوي ولا وجود له هنا في النسخة السبعينية . ويقول اليهود الآن : ان المراد بهذه العبارة هو حزقيا ومعنى حزَقيا (قوة الله) وهو من أعظم ملوك اليهود ومعدود بين الملوك الثلاثة الذين كانوا من أحسن ملوك يهوذا وهم يهوشافاط وحزقيا ويوشيا . ويقول المسلمون إن عبارة أشعياء هذه هي بشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم فهو الذي جلس على كرسي داود في الأرض المقدسة للآن وهو أب أبدي للمؤمنين رئيس السلام لغير المعتدين (راجع فصل البشائر) وعلامة ملكه على كتفيه وهي المسماة في كتب الحديث « بخاتم النبوة » واسمه (محمد) لم يكن معتادا بين العرب قبله وهو قوي منصور وجميع هذه الصفات لا تنطبق على المسيح مثل انطباقها على محمد صلى الله عليهما وسلم

وقوله (يولد لنا ولد) معناه على هذا أنه يولد لهم ولد من اخوتهم بني اسماعيل فان أبناء العم هم أخوة ومن وُلد لنا فقد ولد لهم فكأن بني اسماعيل و بني اسحاق أسرة واحدة أو أهل بيت واحد فاذا ولد لاحدهم ابن فهو مولود للجميع وأبو الكل ابراهيم عليه السلام (تك ١٧ : ٤ انظر أيضا عدد ٢٠ : ١٤ وتث ٢ : ٤ وتك ١٦ : ١٢ و٢٥ : ١٨)

سلمنا جدلا أن هذه العبارة في حق المسيح عليه السلام وأن الناس ستدعونه (إلها قديرا) وقد وقع ذلك بالفعل فأي دليل فيها على صحة ألوهيته ؟ غاية الامر أن أشعياء عليه السلام قد أخبر بقدره وعظمته حتى أن الناس سيتخذونه إلها وان

لم يكن إلها حقيقيا ولذلك قال (يولد لنا . ونعطى . ويدعى اسمه كذا ..... وغيرة رب الجنود تصنع هذا) فالمولود والمعطى (بالفتح) والذي صنعه رب الجنود لا يكون إلها وان دعاه الناس بهذا الاسم فان قيل: لماذا لم ينبه أشعياء بأكثر من ذلك على عدم ألوهيته قلت ان المقام مقام تنبؤ واخبار بما سيحدث لا مقام تحذير من الوثنية فلذا اكتفى بما ذكر ولعله أن كتابه وسائر كتب العهد القديم قد حذرتهم من عبادة غير الله وملئت صفحاتها بذلك وخصوصا سفر التثنية (٥ : ٧ - ٩ و١٣ : ١ - ٥ و٤ : ١٥ - ١٩ وغير ذلك كثير راجع أيضا أصحاح ٤٥ و٤٦ من سفر أشعياء)

أما قول أشعياء في العدد السابع من هذا الاصحاح انه سيجلس على كرسي داود الى الابد فالنصارى أولى بتأويله منا فانه لم يجلس على كرسي داود ولا ساعة واحدة في الدنيا وان كان المراد به ملكه الروحاني كما يعبرون (أي تسلطه على النفوس) فنحن لا ننكره بل قال كتابنا الشريف (وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة) فهو وان بقي جالسا على كرسي داود المعنوي الى الابد الا أنه سيكون مع ذلك تابعا لمحمد صلى الله عليه وسلم اذ لا منافاة بين هذا وذاك و يجوز أن نقول في هذه العبارة مثل ما يقولون هم في وعد الله لسليمان بتثبيت ملكه الى الابد (١ أيام ٢٢ : ١٠) وفي بقاء أورشليم عامرة الى الابد (أرميا ٣١ : ٤٠) ان ذلك مشروط باستقامة بني اسرائيل وحفظهم لعهد الله وشريعته كما في سفر أخبار الايام الثاني (٧ : ١٨ - ٢٢) فزوال الملك من اليهود وعدم تملك المسيح عليهم وعدم دوام ملكه الدنيوي فيهم الى الابد وخراب أورشليم انما نشأ من كفرهم وعصيانهم وخروجهم عن طاعة الله فلو أنهم آمنوا به واتبعوه لبقي ملكهم الدنيوي الى يوم القيامة وايمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم بعد ذلك لا يزيل منهم هذا الملك بل يقويه و يعززه بوجود مُلك آخر عظيم لاخوانهم بني اسماعيل (١) ويكون الجميع يدا واحدة على كل عدو لهم قال تعالى (ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل

(١) حاشية : هم الذين قالت عنهم التوراة تث ٣٢ : ٢١ (فأنا (الله) أغيرهم بما ليس شعبا بأمة غبية أغيظهم) وهم أمة غبية لجهلهم وأميتهم وقلة الانبياء فيهم وقال عنهم المسيح لليهود كما في متى ٢١ : ٤٣ (ان ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لامة تعمل أثماره)

وما أنزل اليهم من ربهم (اي القرآن) لأ كلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم) اي لفاضت عليهم الخيرات والبركات ، من الارض والسموات

(٢) قول أشعياء ٣٥ : ٤ (قولوا لخائفي القلوب تشددوا . هوذا إلهكم . الانتقام يأتي . جزاء الله . هوذا يأتي ويخلصكم) وهذه نبوءة بخلاصهم من أسر بابل بدليل قوله في آخر هذا الاصحاح ١٠ (ومفديو الرب يرجعون ويأتون الى صهيون) أي أورشليم واتيان الله كناية عن مجيء عذابه لأعدائهم ورحمته لهم وخلاصهم وقد ورد مثل هذه الكناية كثيرا في الكتب المقدسة (مزمور ٧٨ : ٦٥ – ٧٠) و (أشعيا ١٩ : ١ و٤٢ : ١٣ و٤٥ : ٢١ و٤٠ : ١٠) و(تث ٣٣ : ٢) و ورد في القرآن الشريف قوله تعالى (هل ينظرون الا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الامر والى الله ترجع الامور) . ومما يدل على أن عبارة أشعياء هذه ليست في المسيح أن المسيح لم يأت بالانتقام والجزاء بل هو الذي أخذ وصلب وقتل – على قولهم – على أننا لا ننكر ان المسيح صلى الله عليه وسلم جاء ليخلص اليهود وينقذهم من الآثام والعصيان والكفر والضلال بالتوبة والايمان والهداية . ولو أنهم تركوا أعمالهم السيئة وآمنوا به جميعهم واتبعوه واهتدوا بهديه لخلصوا أيضا من الذل والهوان وتسلط الأمم الأجنبية عليهم ولصارت لهم دولة عظيمة برأسها عيسى (يسوع) عليه السلام . ولعل في اسمه (يسوع) أي المخلص والمعين والمنقذ إشارة إلى ذلك وإن كان اسما شهيرا سمي به كثيرون من اليهود قبله و بعده تفاؤلا به للخلاص مما هم فيه من البلايا والمحن والمصائب

(٣) قول أشعيا ٧ : ١٤ (ولكن يعطيكم السيد نفسه آية . ها العذراء تحبل وتلد ابنا وتدعو اسمه عمانوئيل) أي « الله معنا » والكلمة المترجمة هنا بالعذراء معناها الفتاة سواء كانت بكرا أو غير بكر وكذلك وردت في سفر الامثال ٣٠ : ١٠ و١٩ (ثلاثة عجيبة فوقي وأربعة لا أعرفها ، طريق نسر في السموات ، وطريق حية على صخر ، وطريق سفينة في قلب البحر ، وطريق رجل بفتاة) فصحة الترجمة (ها فتاة تحبل وتلد ابنا وتدعو اسمه عمانوئيل) وهي بشارة لآحاز أن ملك (رصين) ملك آرام (وفقح) ملك اسرائيل سيزولان فلا يحق له أن يخاف منهما

وعلامة ذلك أن فتاة تحبل وتلد ابنا وتصير أرض هذين الملكين خربة قبل أن يميز هذا الابن الخير من الشر فخربت أرض (فقح) بعد احدى وعشرين سنة : واختلفوا فيمن هي هذه الفتاة ؟ فقال بعضهم : إنها امرأة أشعياء وقال آخرون : إنها امرأة آحاز أو امرأة أخرى كانت معلومة لهم ولذلك قال أشعياء بعد هذه العبارة ٧ : ١٦ (لانه قبل أن يعرف الصبي أن يرفض الشر ويختار الخير تخلى الارض التي أنت خاش من ملكيها) راجع الأصحاح السابع من سفر أشعياء ، فأي علاقة لهذه المسألة بالمسيح ومتى سمي المسيح (عمانوئيل) ؟

فالحق يقال إن متى الانجيلي أخطأ في زعمه أن هذه نبوءة عن المسيح كما في إنجيله ١١ : ٢٣)

وعلى فرض أنها في المسيح فالمسلمون لا ينكرون أن أمه كانت عذراء لم يمسسها بشر (١) وأما اسم (عمانوئيل) فهو علم عبري دعي به كثير من اليهود والنصارى فليس من يسمى به يكون إلها كما لا يكون إلها من سمي بالاسماء الاتية : أشعياء (أي خلاص الله) يهوشافاط (الله يقضي) يهوصاداق (الله يبرر) يهوشع (الله يعين) يهوه شالوم (الله سلام) يهوياداع (الله يعلم) يسوع أو عيسى (الله يعين) أليشع (الله خلاص) إلى غير ذلك من أسماء اليهود التي فيها لفظ الجلالة (الله) فهل كان كل هؤلاء آلهة لانهم سموا بهذه الاسماء ؟ إن أمر النصارى والله لعجيب

(١) حاشية : اسم أبي مريم في القرآن الشريف هو عمران وهو تعريب اسمه العبري (عمرام) الذي معناه (شعب عال) فهو يفيد معنى العلو أو السمو . ويسمى في انجيل لوقا (٣ : ٢٣) (هالي) ومعناه أيضا (عال) وهذا الانجيل يوناني الاصل فالظاهر أن صاحبه سمى أبا مريم بمعنى اسمه لا بلفظه الاصلي . ويوجد في كتب العهدين كثير من اسماء الاعلام التي لم تنقل كما هي من لغاتها بل ترجموها ترجمة ففي الترجمة العربية لسنة ١٨٤٤ تجد لفظ (شيلون) (تك ٤٩ : ١٠) مترجما (بالذي له الكل) وفقا للترجمة اليونانية مع انه اسم علم ولذا بقي في التراجم الحالية كما هو وكما ابدلت في العربية ميم (عمرام) نونا فصارت (عمران) كذلك في الانكليزية كثيرا ما يبدلون ميم اللغات الاخرى بالنون . مثال ذلك Collodium و Ectropium اليونانيتان صارتا في الانكليزية Collodion و Ecotrpion وغير ذلك كثير

فهذه ياقوم احدى غلطات القرآن في عقل صاحب كتاب الهداية المنصف المحقق !! هداه الله قبل أن يهدي غيره

(٤) قال متى ٢ : ١٥ (وكان هناك أي في مصر) إلى وفاة هيرودس. لكي يتم ما قيل من الرب بالنبي القائل (من مصر دعوت ابني) والنبي المشار إليه هنا هو (هوشع) الذي قال ١١ : ١ (لما كان إسرائيل غلاما أحببته ومن مصر دعوت ابني) ومعنى هذه العبارة ظاهر لا يخفى على أحد إلا من أعماه الله وهو أن المراد منها بنو اسرائيل وخروجهم من أرض مصر وقد سموا هم وغيرهم ابناء الله كما هو معلوم والظاهر من الاناجيل الاخرى أن المسيح لم يذهب إلى مصر وخصوصا انجيل لوقا الذي ذكر تاريخ المسيح بالتفصيل ولكنه لم يذكر هذه الحادثة بل قال ٢ : ٤١ (وكان أبواه يذهبان كل سنة إلى أورشليم في عيد الفصح) فالغالب أن متى اخترع مسألة ذهابه الى مصر ليلصق بالمسيح عبارة (هوشع) النبي كما هو شأنهم في تاريخ المسيح عليه السلام وقد أخذوا كل ما قيل عن خلاص اليهود من مصر ومن بابل وادعوا أنه رمز أو إشارة لخلاص البشر بصلب المسيح كما قلنا سابقا

وعلى فرض أن المسيح هو المراد بما قاله (هوشع) فأي شيء فيه يدل على ألوهيته مع أن اسرائيل (أي بنيه) قد سمي بالابن البكر في العهد القديم (خر ٤ : ٢٢) وكذلك افرايم (أر ٣١ : ٩) وداود (مز ٨٩ : ٢٧) فاذا لم يكن الابن البكر إلـها فكيف يكون المسيح إلـها لهذه التسمية

فان قيل إن المسيح سمي بالابن الوحيد في انجيل يوحنا (١ : ١٨ و ٣ : ١٦ و ١٨) قلت إن بحثنا الآن فيما ورد في كتب اليهود (العهد القديم) أما العهد الجديد فليسمه النصارى فيه بما شاءوا وشاءت أهواؤهم على ان هذا الابن الوحيد (المسيح) قد سبق منذ زمن بعيد بالابن البكر (وهو عادةً مُفَضَّل) فالمسيح وإن سمي في زمنه بالابن الوحيد لأنه كان اعظم إنسان حينذاك لكن كان لالـههم ابناء غيره سبقوا عيسى في الملك والوجود (كداود). فالحق ان جميع هذه الاسماء مجازية لاحقيقية وهي لا تدل على الوهية احد منهم - هذا ولم يسم المسيح نفسه (بالوحيد) بل ذلك مما سماه به يوحنا - اما المسيح بحسب اناجيلهم فقد سمى نفسه (وغيره ايضا) بابن الله راجع ما قاله عليه السلام في هذا الموضوع في الاناجيل (يوحنا ١٠ : ٣١ — ٣٨ ومتى ٥ : ٩ و٤٤ و٤٥ ولو ٢٠ : ٣٦) (يتلى)

الغارة على العالم الاسلامي (*)

أو

﴿ فتح العالم الاسلامي ﴾

٣

(مؤتمر القاهرة سنة ١٩٠٦)

كان القسيس (زويمر) رئيس (ارساليات التبشير العربية في البحرين) أول من ابتكر فكرة عقد مؤتمر عام يجمع ارساليات التبشير البروتستانية للتفكير في مسألة نشر الانجيل بين المسلمين

وفي سنة ١٩٠٦ أذاع اقتراحه وأبان الكيفية التي يكون بها فوضعت هذه الفكرة على بساط البحث في (ميسور) من ولاية (أكرا) في الهند - لان هذه الولاية ذات أهمية كبرى من حيث المسائل الاسلامية لوجود مدرسة (عليكده) هناك ، ثم عرض الاقتراح على مؤتمر التبشير الذي ينعقد في مدينة (مدراس) الهندية كل عشر سنوات فأجاز عقده ، وان اتخاذ الهند قاعدة لتأسيس النظامات الخاصة بتبشير المسلمين بالنصرانية أمر طبيعي وبديهي - لان مسلمي الهند أخذوا على عاتقهم منذ القرن التاسع عشر تعضيد السياسة الانكليزية للتغلب على الهندوس .

ولما تقرر عقد المؤتمر شرع القسيس (زويمر) وزميل له يعدان المعدات لتأليف لجنة مؤقتة تضع برنامج مذاكرات المؤتمر وتدعو المبشرين المنتشرين في كل البلاد للاشتراك به

وفي يوم ٤ ابريل من سنة ١٩٠٦ افتتح المؤتمر في القاهرة في منزل عرابي باشا

(*) نشرنا في الجزء الماضي طائفة من هذه المقالات وسنبدي رأينا فيها بعد تمام نشر ترجمتها في المنار

في باب اللوق وبلغ عدد مندوبي ارساليات التبشير ٦٢ بين رجال ونساء، وكان عدد مندوبي ارساليات التبشير الامريكية التي في الهند وسورية والبلاد العثمانية وفارس ومصر واحدا وعشرين، ومندوبو إرساليات التبشير الانكليزية خمسة، واشتركت في المؤتمر الارساليات الاسكتلندية والانكليزية المنفردة والالمانية والهولندية والسويدية وارسالية التبشير الدانمركية الموجودة في بلاد العرب.

انتخب القسيس (زويمر) رئيسا للمؤتمر وعين معه نائب وكتبة وحددت أيام الجلسات. وهذا برنامج المسائل التي تفاوضوا فيها:

١ ملخص احصائي عن عدد المسلمين في العالم ٢ الاسلام في افريقية ٣ الاسلام في السلطنة العثمانية ٤ الاسلام في الهند ٥ الاسلام في فارس ٦ الاسلام في الملايو ٧ الاسلام في الصين ٨ النشرات التي ينبغي اذاعتها بين المسلمين المتنورين والمسلمين العوام ٩ التنصر ١٠ الارتداد ١١ وسائل اسعاف المتنصرين المضطهدين ١٢ شؤون نسائية اسلامية ١٣ موضوعات تتعلق بتربية المبشرين والعلاقات بينهم وكيفية التعليم في الاسلام. وهذه الموضوعات جمعت على حدة في كتاب كبير اسمه (وسائل التبشير بالنصرانية بين المسلمين). ثم صنف القسيس زويمر كتابا جمع فيه شيئا من التقارير عن التبشير وسماه (العالم الاسلامي اليوم)

وسائل لتبشير المسلمين بالنصرانية

جمع هذا الكتاب ونشره القسيس (فلمنج) الاميريكي وكتب عليه هذه الكلمة «نشرة خاصة» بمعنى انه طبع لينتقل في أيدي فئة خاصة من رجال التبشير لا ليطلع عليه كل الناس. وقد ضمنه المباحث التي دارت في مؤتمر القاهرة واختتمه بنداءين انهض بأحدهما همم رجال النصرانية ليجمعوا قواهم ويتضافروا بأعمال مشتركة وعمومية ليستولوا على أهم الاماكن الاسلامية، والنداء الثاني خاص بأعمال نسائية

أما الفصل الاول من هذا الكتاب فيبحث في الطريقة التي ينبغي انتهاجها في التبشير وعما اذا كان يفيد ضم ارساليات تبشير المسلمين الى ارساليات تبشير

الوثنيين أو تفضيل بقائهما منفصلتين وفيه البحث أيضا عما اذا كان الإله الذي يعبده المسلمون هو إله النصارى واليهود أم لا (!) وقد صرح الدكتور (لبسوس) في مؤتمر القاهرة بأن إله الجميع واحد الا أن القسيس (زويمر) خالفه في هذا الرأي فقال: ان المسلمين مهما يكونوا موحدين فان تعريفهم لإلههم يختلف عن تعريف المسيحيين لان إله المسلمين ليس إله قداسة ومحبة!؟ (١)

---

(١) كنت قرأت في كتاب «الاسلام» لهنري دي كاستري ان مما يجب ان يقوله مسلم يتنصر عبارة معناها انه يكفر باله محمد فظننتها كلمة أثارها التعصب والتقبيح على دين يخالف دين واضعها وان فكرة الانتقام كانت مستولية عليه حين وضعها ولم أكن أفكر بأن يقول مثل (زويمر) في هذه الايام التي احتك فيها العالم بعضه ببعض وخصوصا من (كرس) نفسه (للكرازة) في الاسلامية ووقف على مايقوله المسلمون بالهم وآله آبائهم الله الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام واذا كان معبود والها انما تعرف صفاته من كتابها الذي تدين به

فهاك النصوص القرآنية على قداسته جل وعلا، فمنها في سورة ٢: ٣٠ «ونسبح بحمدك ونقدس لك» وس ٥٩: ٢٤ «هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام» الخ وس ٦٢: ١ «يسبح لله مافي السموات وما في الارض الملك القدوس العزيز الحكيم» وس ٢٠: ١٢ فاخلع نعليك انك بالوادي المقدس» وس ٧٩: ١٧ «اذ ناداه ربه بالوادي المقدس» وس ٥: ٢٤ «ياقوم ادخلوا الارض المقدسة» ومن المعلوم ان غير المقدس لا يعطي القداسة لان (فاقد الشيء لا يعطيه)

وأما المحبة فهاك بعض النصوص القرآنية عليها أيضا قال تعالى في س ٢: ٢٢٢ «ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين» وفي س ٣: ٣١ «فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم» وس ٣: ٧٦ «بلى من أوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين» وس ٣: ١٣٤ «الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين» وس ٣: ١٥٩ «فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين» وس ٥: ٥٨ «فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه» الخ

هذا وان قداسة الله تعالى ومحبته مخلوقاته ومحبة المؤمنين اياه تعالى معلومة بالضرورة عند جميع المسلمين، ولكننا أتينا بهذه النصوص ليراها مثل (زويمر)

ثم اننا نسأل (زويمر) قائلين: هل تريد بالقداسة ان ينال الانسان الاول (آدم) اخص صفات الاله بمجرد أكله من تلك الشجرة كما جاء في التكوين اص ٣: ٥ قول الحية لآدم وامرأته: بل الله عالم انكما يوم تأكلان منها (الشجرة) تنفتح أعينكما وتكونان كالله» وصدقها الله بذلك كما جاء في تك ٣: ٢٢ «هوذا آدم صار كواحد منا» وهل من القداسة ان يحمله الخوف من ان يكمل آدم صفات الالوهية بأكله من شجرة الحياة كما جاء في تك ٣: ٢٢ «والآن لعله يمد يده فيأخذ من شجرة الحياة ويأكل ويحيا الى الابد» فيطرده من الجنة ويقوي الحرس عليها خوفا من رجوع آدم اليها ثانية وأكله من الشجرة تك ٣: ٢٤ «وأقام شرقي جنة عدن الكروبيم ولهيب سيف متقلب لحراسة شجرة الحياة» =

وفي الفصل الثاني والثالث بحث في الصعوبات التي تحول دون تبشير المسلمين العوام وذكر الوسائل التي يمكن استجلابهم بها وتحبيب المبشرين اليهم . وأهم هذه الوسائل العزف بالموسيقى الذي يميل اليه الشرقيون كثيرا . وعرض مناظر الفانوس السحري عليهم وتأسيس الارساليات الطبية بينهم . وأن يتعلم المبشرون لهجتهم العامية واصطلاحاتها نظريا وعمليا وأن يدرسوا القرآن ليقفوا على ما يحتويه . وأن يخاطبوا العوام المسلمين على قدر عقولهم ومستوى علمهم . ويجب أن تلقى الخطب عليهم بأصوات رخيمة و بفصاحة وأن يخاطب المبشر وهو جالس ليكون تأثيره أشد على السامعين وأن لا تتخلل خطاباته كلمات أجنبية عنهم وأن يبذل عنايته في اختيار الموضوعات وأن يكون واقفا على آيات القرآن والانجيل عارفا بمحل المناقشة وأن يستعين قبل كل شيء بالروح القدس والحكمة الالهية (!) ومن الضروري أن يكون خبيرا بالنفس الشرقية وأن يستعمل التشبيه والتمثيل أكثر مما يستعمل القواعد المنطقية التي لا يعرفها الشرقيون (!)

ثم هل الرحمة بأن يجعل على آدم وامرأته وذريتهما ذلك القصاص الصارم بأن يأكلوا خبزهم من الحسك والشوك وان يلعن الارض بسببه ؟ تك ٣ : ١٧ « وقال الرب الاله لادم لانك سمعت لقول امرأتك وأكلت من الشجرة — الى قوله — ملعونة الارض بسببك . بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك » الى ١٨ و ١٩ وان يكثر أوجاع حواء وبناتها تك ٣ : ١٦ « وقال للمرأة تكثيرا أكثر اتعاب حبلك » الخ وكذلك قصاص الحية » تك ٣ : ١٤ « وقال الرب الاله للحية لانك فعلت هذا ملعونة انت » الخ مع انها لم تقل الاحقا فكان هذا القصاص لم يكن فيه شيء من الرحمة لاسيما وانه كان قصاصا أبديا لان تلك الخطيئة (أكل ادم من الشجرة) لم تكن قابلة للغفران أصلا بدليل ان ذلك القصاص لا يزال واقعا مشاهدا في ذرية آدم والحية معا ولم يؤثر شيء من التجسد ولا نفعت تلك المصالحة في هذا الموضوع شيئا لان الرب الاله لم يجعل قصاصا لذلك الذنب غير لعن الارض وطرد آدم من الفردوس اليها ليعمل فيها بالتعب حيث تنبت له الحسك والشوك الخ وهذه الاشياء لا تزال واقعة حاصلة لم تتغير

اللهم ان الها هذه قداسته وهذه محبته لما لا يعبد اختيارا وانما يخضع له كما كان الناس ولا يزالون يخضعون للملوك القساة المستبدين الظالمين، وأي عاقل يحمد زويمر على اله هذا ؟

ربما يقول زويمر بأن الهه انما هو اله العهد الجديد واننا نحوله حينئذ على كتاب « دين الله في كتب انبيائه » وكتاب « العقائد الوثنية في الديانة النصرانية » ليعلم منهما قداسة ومحبة آلهة كثيرين كالهه هذا واننا نبرأ الى الله مما جرى به القلم في مجاراة ومجالدة هذا القس ليعلم العالم أن روح قسس العصور المظلمة التي أثارت الحروب الصليبية قد دخلت في أجسام هؤلاء الدعاة وانهم مهما علموا من فضل الاسلام فانهم لا يرجعون عن الافتراء عليه فهم ضالون على علم صالح مخلص وفا

وختم المؤلف هذين الفصلين بأن أكثر المسلمين الذين تنصروا انما هم من العامة والأميين .

وفي الفصل الرابع يأتي على ذكر الصعوبات التي تقف في سبيل تبشير المسلمين المتنورين . وهذه الصعوبات هي التي جعلت المؤتمر يترك المذاكرة في بادىء الامر بمسألة التنصير ويخاض في البحث عن الوسائل التي يكون لها تأثير — ولو قليلا — على الناشئة الاسلامية لتدرك الامور الاجتماعية والاخلاقية والادبية .

وهنا قال سكرتير المؤتمر : ان الخطة العدائية التي انتهجها الشبان المسلمون المتعلمون اضطرت المبشرين في القطر المصري الى محاولة اعادة ثقة الشبان المسلمين بهم ، فصار هؤلاء المبشرون يلقون محاضرات في موضوعات اجتماعية وأخلاقية وتاريخية لا يستطردون فيها الى مباحث الدين رغبة في جلب قلوب المسلمين اليهم . وأنشأوا بعد ذلك في القاهرة مجلة أسبوعية اسمها (الشرق والغرب) افتتحوا فيها بابا غير ديني يبحثون فيه بالشؤون الاجتماعية والتاريخية . وأسسوا أيضا مكتبة لبيع الكتب بأثمان قليلة والغرض من ذلك استجلاب الزبائن ومحادثتهم في أثناء البيع . وقد مضى على ذلك ثلاث سنوات تسنى فيها للمبشرين أن يتوصلوا الى النتائج الآتية :

الاولى — أنهم عرفوا أحوال البلاد وأفكار المسلمين وشعورهم وعواطفهم وميولهم .

الثانية — أنهم حصلوا على ثقة بعض المسلمين بهم .

الثالثة — أن المبشرين تحققوا أنهم بتظاهرهم في وداد المسلمين وميلهم الى ما تطمح اليه نفوسهم من الاستقلال السياسي والاجتماعي والنشأة القومية — يمكنهم أن يدخلوا الى قلوبهم .

وبناء على هذا ساعد المبشرون الشبان المسلمين في تأسيس جمعية الغرض منها ايجاد صلة وتقرب بين الطبقة المتعلمة والطبقات المتعددة التي تتألف الامة منها وإنماء روح الاتفاق . هذه هي الطريقة التي استحسنها المبشرون بعد أن علموا أن الامور التي يتذرعون بها وتكون صبغتها دينية لا ريب أن عاقبتها الفشل . ولكن المبشرين الذين هم على شيء من الجرأة يقولون انهم سمعوا بعض المسلمين

يشكون من الزواج في الاسلام وتعدد الزوجات وتربية المرأة وعدم وجود التسامح الديني (!)

وكل ما خاض فيه المؤتمر من هذه المباحث يختص بالجهودات التي يبذلها المبشرون لتبشير الشبيبة الاسلامية التي تعلمت على الطريقة الاوروبية وفي مدارس الحكومة وما يلقونه من الصعوبات والفشل في تبشيرها .

أما الذين تعلموا على الطريقة الشرقية في الازهر وما يماثله فلم يتكلم أعضاء المؤتمر عنهم الا بعض اقتراحات ونظريات ـ من ذلك أن أحد أعضاء المؤتمر أفاض في وصف ما للجامع الازهر القديم من النفوذ واقبال الالوف عليه من الشبان المسلمين في كل اقطار العالم . وتساءل عن سر نفوذ هذا الجامع منذ الف سنة الى الآن . ثم قال ان السنيين من المسلمين رسخ في اذهانهم ان تعليم العربية في الجامع الازهر متقن ومتين اكثر منه في غيره والمتخرجون في الازهر معروفون بسعة الاطلاع في علوم الدين . و باب التعليم مفتوح في الازهر لكل مشايخ الدنيا خصوصاً وان اوقاف الأزهر الكثيرة تساعد على التعليم فيه مجانا لان في استطاعته ان ينفق على ٢٥٠ استاذا . ثم تساءل عما اذا كان الازهر يتهدد كنيسة المسيح بالخطر . وعرض اقتراحا يريد به انشاء مدرسة جامعة نصرانية تقوم الكنيسة بنفقاتها وتكون مشتركة بين كل الكنائس المسيحية في الدنيا على اختلاف مذاهبها لتتمكن من مزاحمة الازهر بسهولة وتتكفل هذه المدوسة الجامعة باتقان تعليم اللغة العربية .

ثم قال ان في الامكان مباشرة هذا العمل في دائرة صغيرة وهي ان تخص أولا بتعليم المسلمين المتنصرين وتربيتهم تربية اسلامية ليتمكن هؤلاء من القيام بخدم جليلة في تنصير المسلمين الآخرين .

وختم كلامه قائلا : « ربما كانت العزة الالهية قد دعتنا الى اختيار مصر مركز عمل لنا لنسرع بانشاء هذا المعهد المسيحي لتنصير الممالك الاسلامية (!)

وفي الباب الخامس ذكر المؤلف ما دار في المؤتمر عن النشرات التي ينبغي للمبشرين اذاعتها لتنصير المسلمين . وقد ظهر للمؤتمر ان التوراة مترجمة الى معظم

اللغات الاسلامية واكثر لهجاتها ، اما ادبيات التبشير ومؤلفاته فمترجمة الى اللغات الاسلامية المهمة فقط .

وقد اقترح احد المندوبين ان تراجع المؤلفات التي قدم عليها العهد لاصلاحها واستخدامها في تبشير المسلمين المتنورين الذين اقتبسوا علومهم في المعاهد العصرية مثل مدرستا كسفورد وبراين، واشار الى وجوب تخفيف اللهجة في المجادلات الدينية.

وقال مندوب آخر: ان الحاجة شديدة الى نشر كتب في الموضوعات الدينية الآتية :

١ أسماء وألقاب المسيح التي في الاناجيل ٢ طبيعية الخطيئة الاصلية ٣ ضرورة الغفران ٤ الجنة وكيفية الحصول عليها ٥ الروح القدس واعماله ٦ عقيدة سر التجسد ٧ الانسان فرد اجتماعي وخالقه ليس كذلك ٨ وان الاله الاجتماعي يشمل الثالوث ٩ الشيطان وكيفية الخلاص منه

ارساليات التبشير الطبية :

خاض المؤتمر بعد ذلك في مسألة ارساليات التبشير الطبية فقام المستر (هاربر) وأبان وجوب الاكثار من الارساليات الطبية لان رجالها يحتكون دائماً بالجمهور ويكون لهم تأثير على المسلمين أكثر مما للمبشرين الآخرين . وهنا ذكر المستر هاربر حكاية طفلة مسلمة عني المبشرون بتمريضها في مستشفى مصر القديمة ثم ألحقت بمدرسة البنات البروتستانية في باب اللوق وكانت نهاية أمرها أن عرفت كيف تعتقد المسيح بالمعنى المعروف عند النصارى .

وذكر أيضا عن رجل مسلم كان يحضر محاضرات المبشرين لاثارة الجلبة والضوضاء . واتفق انه مرض فدخل مستشفى المبشرين وبعد أن لبث فيه مدة شفي وخرج منه فصار يحضر المحاضرات في هذه المرة ولكن بخشوع زائد وبعد ذلك بقليل تعمد وأصبح نصرانيا على مذهب البروتستان .

ثم قام الدكتور هارس (طبيب ارسالية التبشير في طرابلس الشام) فقال : انه قد مر عليه اثنان وثلاثون عاما وهو في مهنته فلم يفشل الا مرتين فقط وذلك عقب منع الحكومة العثمانية أو أحد الشيوخ لاثنين من زبائنه من الحضور اليه .

وأورد احصاء لزبائنه فقال ان ٦٨ في المئة منهم مسلمون ونصف هؤلاء من النساء وفي أول سنة مجيئه الى حيث يبشر بلغ عدد زبائنه ١٧٥ وفي آخر سنة كان عددهم ٢٥٠٠ وختم كلامه قائلا :

« يجب على طبيب ارساليات التبشير ان لا ينسى ولا في لحظة واحدة انه مبشر قبل كل شيء ثم هو طبيب بعد ذلك . »

وقام بعده الدكتور (تمباني) وذكر الصعوبات التي يلقاها الطبيب في التوفيق بين مهنتي التبشير والطب كما حدث معه هو . الا أن ما بذله من المجهودات قد أعانه على النجاح حتى تمكن من تأسيس مستشفى للتبشير من طريق الاكتتابات، وكان أول مكتتب لهذا المستشفى التبشيري رجلا مسلما !

وخطب الاستاذ (سمبسون) بعد ذلك في بيان فضل الارساليات الطبية .

ومما قاله : ان المرضى والذين ينازعهم الموت بوجه خاص لا بد لهم من مراجعة الطبيب وحسن أن يكون هذا الطبيب (المبشر) في جانب المريض عندما يكون في حالة الاحتضار التي لا بد أن يبلغها كل واحد من أفراد البشر

ثم خطبت المس (اناوستون) فتكلمت عن ارسالية التبشير الطبية في مدينة (طنطا) قائلة ان ٣٠ في المئة من الذين يعالجون في مستشفى هذه الارسالية هم من الفلاحين المسلمين وأكثرهم من النساء . أما طريقة التبشير في هذا المستشفى فهي أن يذكر الانجيل للمرضى باسلوب بسيط لا يدعو الى التطرف في المناقشة، اذ المستشفى يجمع بين جدرانه نساء ورجالا .

الاعمال النسائية في التبشير :

كان لهذا الموضوع اهتمام كبير من أعضاء المؤتمر لانه خاص بنصف مسلمي العالم . فقالت المس (ولسون) ان النساء المبشرات يستعن في الهند بالمدارس وبالعيادات الطبية وزيارة قرى الفلاحين لينشرن النصرانية بين طبقات الناس .

وخطبت المس (هلداي) في حث المبشرين على الرفق بالمرأة المسلمة

وتناوبت السيدات المبشرات الخطابة في أخبار نجاحهن في المناطق التي

انتدبن للتبشير فيها . فقالت احداهن ان المسلمات الفارسيات يظهرن ميلا شديدا للعلم بالرغم من جهلهن باتساع نطاقه ، وهن يعتقدن أن الذي يعرف جغرافية البلاد نابغة ولقصة الابن المسرف التي في الانجيل وللمزمار الحادي والخمسين تأثير شديد على النفس المسلمة .

وقالت مبشرة أخرى : ان مدرسة البنات البروتستانية في الخرطوم فيها من ٨٠ الى ٩٠ تلميذة مسلمة . ولاهلهن الحرية في السماح لهن بقراءة العهد الجديد (الانجيل وذيوله) أو في منعهن من ذلك . الا أن المدرسة في هذه السنة لم يرد عليها طلب استثناء واحدة من التلميذات من قراءة الانجيل .

وانتقل المؤتمر بعد ذلك الى موضوع تربية النساء اللائي يتطوعن للتبشير .

المتنصرون والمرتدون :

تساءل القسيس (جون فان ايس) عن الاركان التي يشترط توفرها في الشخص المتنصر . أو النصراني الشرقي الذي يدخل في المذهب البروتستاني .

وبعد أن بحث في ذلك قال ان (المحبة) التي يعرفها نصارى الشرق تشوبها نزعة الاعتقاد بالقضاء والقدر وعقيدة الشرقيين عموما ضرب من الخرافات وان تكن مبادئ الايمان موجودة لديهم جميعا . ثم تساءل عما اذا كان المسلم المتنصر أهلا لنشر النصرانية ؟ وأجاب على ذلك بأن هذا الامر هو محك اخلاصه لان نشر الدعوة أمر تقتضيه روح الاسلام وبهذا كان الاسلام دين دعوة وتبشير ، وكنت اتمنى لو انتفعنا بهذه المزية وأدخلناها في النصرانية .

وتناقش المؤتمر بعد ذلك بشأن المتنصرين المضطهدين ووسائل استخدام المخلصين منهم وادخال الاطفال الذين اعتنقوا المذهب البروتستاني في المدارس العادية والصناعية .

شروط التعميد :

بسط القسيس (جسب) القول في هذا البحث وسأل عن الشروط التي

يجب ان تتوفر في المسلم المتنصر ليكون أهلا للتعميد . ثم قال ان المبشرين الكاثوليك يعمدون الناس ليجعلوهم مسيحيين أما نحن فنعمدهم لانهم مسيحيون

وذكر بعد ذلك أيام التجربة والمعلومات الدينية التي يجب على المتنصر معرفتها وبحث فيما اذا كان يحق له أن يتلقى سر التناول (أي تناول القربان الذي هو جسد المسيح ودمه)

واستطرد المؤتمر الى مسألة تعدد الزوجات عند المسلمين . وتكلم عن موقف المرأة التي تعمد زوجها هل يفرق الاسلام بينها وبينه أم لا، وعما اذا كان يجوز للمتنصر ان يتزوج مرة ثانية . فتقرر أن هذه المسائل عويصة وقد سبق الخوض فيها في مؤتمر (لمبث) سنة ١٨٨٨ وأن الظروف تقضي باعتبار المسلم المتنصر وهو ذو زوجات متعددة بأنه تحت التجربة الا اذا كان تنصره في ساعة الاحتضار . أما هذه المسائل نفسها فقد تركت بدون حل

كيف يتقرب المسلمون ؟

خطب القسيس (هاريك) في هذا الموضوع فعرض على المؤتمر نتيجة ابحاثه التي اجراها في بلاد السلطنة العثمانية فمنها أنه عرف أن لا فائدة لطريقة المناظرة والجدل التي وضعها الدكتور (بفندر) المبشر ولم يكن من نتائجها غير وقوف الحكومة العثمانية في وجه المبشرين والذين ينتمون اليهم . اما ترجمة الانجيل وكتب التبشير الى اللغة التركية بدون مناقشة ومجادلة فكانت أكثر فائدة وأعم نفعا . وقد تبين انه بمجرد اشتراء المسلمين لهذه الكتب ومطالعتهم لها صارت تتبدد أوهامهم (!) القديمة

ثم قال : ان الجدل والمناظرة يبعدان (المحبة) التي لها وقع كبير على قلوب الاغيار وتأثير عظيم في نشر النصرانية . فالمحبة والمجاملة هما آلة المبشر : لان طريق الاعتقاد غايته دائما هي قلب الانسان

وقال بعد ذلك : يرى بعضهم أن الموازنة بين حياة وأخلاق الامم النصرانية وحياة وأخلاق الامم الاسلامية تنتج دائما رجحان النصرانية على الاسلام ، وأنا أيضا أوافق على رأي هؤلاء ولكن من الوجهة المادية . وفي هذه الايام

نجد جمهورا عظيما من متنوري المسلمين يرغب في المناظرة والجدل. والعثمانيون يشيرون بازدراء الى ما حدث في بلاد الروس النصرانية في السنة الماضية خصوصا في أودسا (يريد اضطهاد نصارى روسيا ليهودها) ويقولون لنا: « هذه هي نصرانيتكم وأنتم الذين كنتم قبل زمن قليل تتهموننا بلا شفقة بأننا أرقنا قليلا من الدماء أثناء اشتغالنا بقمع فتنة . » وعلق القسيس على ذلك بوجوب تحلي حياة المبشر بمبدأ المسيحية قبل أن يعنى بالامور النظرية كيما يظهر للمسلم ان النصرانية ليست عقيدة دينية ولا دستورا سياسيا بل هي الحياة كلها ، وانها تحب العدل والطهر وتمقت الظلم والباطل - فنفتح للمسلم مدارسنا وتتلقاه في مستشفياتنا ونعرض عليه محاسن لغتنا ثم نقف أمامه منتظرين النتيجة بصبر وتعلق بأهداب الأمل . اذ المسلم هو الذي امتاز بين الشعوب الشرقية بالاستقامة والشعور بالمحبة ومعرفة الجميل .

بهذه الطريقة فقط يمكن للمبشر أن يدخل الى قلب المسلمين . ولو أن أحدا أظهر لنا شغفا وميلا عظيما الى طرد كل العثمانيين من أوربا ومن وجه الارض كلها يجب أن نجيبه قائلين بل سنتحد ان شاء الله مع العثمانيين وندعوهم بكل اخلاص للاشتراك معنا في اقتباس أنوار النصرانية

موضوعات تبشيرية :

خاض المؤتمر بعد اتمامه الموضوع السابق في موضوعات كثيرة منها كيفية عرض العقيدة النصرانية والمناظرة فيها والوسائل التي يجدر التذرع بها لنشر مبادئها والتحكك بالنفوس الاسلامية والوقوف امام صبغة الاسلام . والصفات التي ينبغي أن يتصف بها مبشر المسلمين بالنصرانية والانجيل

ثم قام القسيس (زوتين) وعرض على المؤتمر هذه النظريات الاولية :

١ - الشعب البسيط يلزمه انجيل بسيط

٢ - الشرق سئم المجادلات الدينية

٣ - الشرق يحتاج الى دين أخلاقي روحي واستنتج من هذه النظريات القواعد الآتية :

١ ـ يجب أن لا تثير نزاعا مع مسلم

٢ ـ يجب أن لا يحرض المسلم على الموافقة والتسليم بمبادىء النصرانية الاعرضا وبعد أن يشعر المبشر بأن الشروط الطبيعية والعقلية والروحية قد توفرت في ذلك المسلم .

٣ ـ اذا حدث سوء تفاهم حول الدين المسيحي فيجب أن يزال في الحال ولو أفضى الامر الى المناقشة

أما (لفروا) أسقف مدينة لاهور فيرى أن المبشر الذي يعد نفسه لمجادلة المسلمين في أمور الدين يجب أن تتفوق فيه الصفات الاخلاقية والاستقامة التامة على المزايا العقلية . وأن يكون مقتنعا بصحة البراهين التي يحتج بها وأن يكون صحيح المجاملة وأن يضع الامل بالفوز على خصمه نصب عينيه و يحاول حمل خصمه على الخضوع للحقيقة .

وهذا الاسقف يستنكر قسوة التعاليم القديمة ويرى أنها كانت ترمي الى التغلب على العدو لا الى اكتساب مودته . ثم قال ويظهر لي أن كثيرا من اخواننا المبشرين يريدون أن يبشروا الناس برشقهم بالحجارة لا بعرض الحقيقة عليهم . نعم ان هذه الطريقة قد تفيد ولكني أشك في موافقتها للتبشير و بما ينتج عنها من الحالات النفسية

وختم كلامه قائلا : يجب على المبشر أن يتذرع بالصبر والسكينة وأن يكون حاكما على عواطفه الى الغاية القصوى . وأن لا يخالج نفسه أقل ريب في أنه هو الذي سيفوز

وهذا كان آخر مناقشات المؤتمر ثم قام القسيس (زويمر) رئيس المؤتمر وقال : « ان انعقاد هذا المؤتمر كان بالتقريب نتيجة لاعمال (شبان التبشير المتطوعين) . أما البحث في أحوال العالم الاسلامي وتبشيره بالنصرانية فقد سبق الخوض فيه في مؤتمر (كلفلند) . وهذه الخريطة التي تراها أمامنا الآن موسومة باسم (خريطة تنصير العالم الاسلامي في هذا العصر) قد بعثت الامل في قلوب ألوف من الطلبة في مؤتمر (ناشفيل) الذي انعقد في شهر فبراير الماضي والتبشير متوقف على

وجود زمرة من المبشرين المتطوعين الذين يقفون حياتهم و يضحونها في هذا السبيل » ثم ختم كلامه راجيا أن يكون لندائه صدى في المدارس الجامعة في أوربة وأميركة

٤

﴿ العالم الاسلامي اليوم ﴾

هذا عنوان كتاب نشره القس (زويمر) رئيس ارسالية التبشير في البحرين بمؤازرة زملائه ـ جمعوا فيه تقارير ومباحث تاريخية واجتماعية كتبها المبشرون عن حال المسلمين القاطنين في مناطقهم التبشيرية . وتتلو هذه التقارير خلاصة عن اعمال المبشرين التي قاموا بها في الاصقاع المختلفة وما نتج عنها من انتشار الدين المسيحي .

وقد أنشأ جامعو هذا الكتاب مقدمة له ألحوا فيها بضرورة تنصير المسلمين الذين أهمل المبشرون أمرهم . وهذه الفكرة قد توسع بها أخيراً امبراطور أهم امبراطورية أوربية في خطاب القاه على بعض المبشرين (يريد امبراطور المانية) فكانت تشف عن الحكم على الاسلام من الوجهة الاخلاقية عامة والدينية خاصة . أما هذه الفكرة فهي أنه لم يسبق وجود عقيدة مبنية على التوحيد أعظم من عقيدة الدين الاسلامي الذي اقتحم قارتي آسية وأفريقية الواسعتين وبث في مئتي مليون من البشر عقائده وشرائعه وتقاليده وأحكم عروة ارتباطهم باللغة العربية فأصبحوا كالانقاض والآثار القديمة المتراكمة على جبل المقطم أوهم كسلسلة جبال تناطح السحاب وتطاول السماء مستنيرة ذرواتها بنور التوحيد ومسترسلة سفوحها في مهاوي تعدد الزوجات وانحطاط المرأة (؟!)

تلك هي الفكرة التي أشار اليها ناشرو الكتاب في المقدمة وأردفوها بقولهم : ان الكنيسة المسيحية ارتكبت خطأ كبيراً بتركها المسلمين وشأنهم اذ ظهر لها ان

أهمية الاسلام في الدرجة الثانوية بالنسبة الى ثمانمئة مليون وثني – رأت أن تشتغل بهم – رأت هذا وهي لم تعرف عظمة الاسلام وحقيقة قوته وسرعة نموه الا منذ ثلاثين سنة فقط

على أن أبواب التبشير صارت مفتوحة الآن في ممالك الاسلام الواقعة تحت سلطة النصرانية مثل الهند والصين الجنوبية الشرقية ومصر وتونس والجزائر . وان في العالم ١٤٠٠٠٠٠٠٠ مسلم يرتقبون الخلاص (؟!)

وفي هذه المقدمة بعض ملاحظات ونصائح للمبشرين منها :

١ – يجب اقناع المسلمين بأن النصارى ليسوا أعداء لهم .

٢ – يجب نشر الكتاب المقدس بلغات المسلمين لانه أهم عمل مسيحي . على انه قد تم جزء من هذه المهمة بعد ان طبع في بيروت ٤٦ مليون صفحة من الكتاب المقدس .

٣ – يجب أن يكون تبشير المسلمين بواسطة رسول من أنفسهم ومن بين صفوفهم لان الشجرة يجب أن يقطعها احد اعضائها (؟)

٤ – ينبغي للمبشرين ان لا يقنطوا اذا رأوا نتيجة تبشيرهم للمسلمين ضعيفة اذ من المحقق أن المسلمين قد نمى في قلوبهم الميل الشديد الى علوم الاوربيين وتحرير النساء وان تنصير أمثال (كامل) في بيروت و (عماد الدين) في الهند و (ميرزا ابراهيم) في تبريز وأعمالا اخرى من هذا القبيل من شأنها ان تولد لنا مجهودات جديدة يجب علينا ان نحمد بسببها نعمة الله علينا .

الاسلام في مصر :

هذا الفصل من كتاب (العالم الاسلامي اليوم) يتضمن ملخص أعمال المبشرين البروتستان في مصر والوسائل التي يتذرعون بها والنتيجة التي توصلوا اليها . وأهم معاهد التبشير في مصر هو الذي اسسته (جمعية اتحاد مبشري اميركة الشمالية) سنة ١٨٥٤ وكان المبشرون قد وضعوا نصب اعينهم تبشير المسلم واليهودي والنصراني . وقد استطاعوا أن يتحككوا بالمسلمين بواسطة مؤلفاتهم

ومدارسهم . فنشروا منذ ٣٥ سنة كتاب (شهادة القرآن) ووزعوا بعض نسخ من كتاب (الكندي) وكتاب (ميزان الحق) المطبوعين في انكلترة .

ووضعوا في الايام الاخيرة كتاب (الهداية) وهو في أربعة أجزاء ألف في الرد على الذين طعنوا في النصرانية .

والمحاضرات العامة التي يقيمها المبشرون مرتين من كل أسبوع للموازنة والمناظرة بين الاسلام والنصرانية يحضرها عدد عظيم من المسلمين ويسمح لهم بأن يتكلموا .

وفي مدارس المبشرين في القطر المصري ٣٠٠٠ طالب مسلم وخمس هؤلاء من البنات المسلمات :

وكانت نتيجة هذه المجهودات منذ بداية التبشير الى أيامنا هذه أن تنصر مئة وخمسون مسلما وأهم ما وقع من ذلك سنة ١٩٠٣ وسنة ١٩٠٤ فقد تنصر في الاولى ١٤ شخصاً وفي الثانية ١٢

وفي سنة ١٨٨٢ تأسس في مصر معهد علمي للتبشير تابع لجمعية (تبشير الكنيسة) وله أربعة فروع الاول قسم طبي والثاني مدرسة للصبيان والثالث مدرسة للبنات والرابع لنشر الانجيل . وينشر مبشرو هذا المعهد مجلة أسبوعية وكراسات ولهم مكتبة خاصة بهم .

والنتيجة الاولى لمساعي هؤلاء هي تنصير قليل من الشبان والفتيات . والثانية تعويد كل طبقات المسلمين أن يقتبسوا بالتدريج الافكار المسيحية

و بعد المعهدين السابق ذكرهما تأتي (جمعية تبشير شمال افريقية) وهذه الجمعية أسست معهداً في مصر سنة ١٨٩٢ وأهم وظائفها تنصير المسلمين . ولهذه الجمعية ثلاثة وكلاء في الاسكندرية واثنان في شبين الكوم . وأعمال هذا المعهد قاصرة على فتح المدارس لتعليم الانجيل بوجه خاص . وأن تزور المبشرات منازل المسلمين وتجتمع بسيداتهم . وأن توزع المؤلفات والكتب التبشيرية على المسلمين . وأن تلقى محاضرات دينية لدرس الانجيل في أيام الاسبوع . وأن تقام الصلاة . وهذا المعهد قد نجح في تنصير خمسة أشخاص

وفي سنة ١٨٩٨ تأسست (الجمعية العامة لتبشير مصر) وغايتها تنصير المسلمين أيضا ولها معاهد في الدلتا والسويس وتدير مدارس للصبيان والبنات وتبث فيهم مبادىء النصرانية ولها خزائن كتب تحوي كتبا عربية ذات علاقة بالاسلام ولها مجلة شهرية منتشرة جداً وخاصة بالمسلمين . وفي كل يوم سبت يطوف المبشرون للتفتيش

وأقل ارساليات التبشير أهمية في القطر المصري الارسالية الهولندية التي توطنت في قليوب . وفي مدارسها المتعددة تلاميذ من كل المذاهب . وهي تنشر الانجيل في القرى بواسطة بائعي الكتب . ومن أعمالها أنها أنشأت ملجأ للايتام . وعنايتها متوزعة بين الاولاد المسلمين والنصارى على السواء .

أما العقبة الوحيدة التي تقف في سبيل ارساليات التبشير فهي أنه ليس لديها قوة تزيل الضرر الذي يلحقها من مقاطعة المسلمين للمتنصرين وعدم اصغائهم لهم ...

الاسلام وارساليات الهند

من الذين ألفوا في هذا الموضوع المستر (م . وهري) فانه تكلم عن حالة التبشير في شمال الهند . وعن انتشار الاسلام ووسائط نشره وأشار الى دراويش جمعية (انجمن اسلام) وذكر التقدم الفكري والاجتماعي الذي حدث في هذه الجهات وأن الاسلام عرقل سير هذه الميول .

ثم لخص هذا المبشر تاريخ التبشير في الهند فقال انه ابتدأ منذ مئة سنة عندما نال (جيزوم كزافيه) اليسوعي اذنا بالتبشير في لاهور ففتح باب الجدال في مسائل التوحيد والتثليث وألوهية المسيح وصحة الكتب المقدسة . فتسبب عن ذلك قيام (أحمد ابن زين العابدين) وتأليفه كتاب (الانوار الالهية في دحض خطإ المسيحية)

الا أن المبشر البروتستاني الذي يتكلم في تاريخ التبشير في الهند لم ترق له الاعمال التي قام بها المبشرون الكاثوليك وقال ان دفاعهم عن عقيدة عبادة العذراء والآثار (ذخائر القديسين « اي بقايا عظامهم ») والصور وعن الاماكن المقدسة كان من شأنه اظهار النصرانية بغير مظهرها الحقيقي

ثم جاء المبشر هنري مارتين فوضع أساساً قوياً للتبشير بالانجيل فترجمه الى الفارسية والاوردية

ثم جاء بعده « بفندر » فترجم كتابه (ميزان الحق) من الفارسية الى الاوردية وزاد عليه ترجمة كتاب (طريق الحياة) و (مفتاح الاسرار) وبهذا أثار « بفندر » مجادلات شديدة مع علماء الاسلام في دهلي ، وأكرا ، ولكنهوء ، وزلزل بذلك ايمان كثير من المسلمين وان يكن الذين تنصروا منهم قليلا عددهم (!) وأعان المبشرين في هذه المجادلات المسلمون المتنصرون مثل السيد مولوي صفدر علي ومولوي عماد الدين وسيد عبدالله حاتم ومنشي محمد حنيف والدكتور بيرقدارخان

وفي شمال الهند الآن مالايقل عن ١٢ جمعية تبشير بين انكليزية وأميركية وأوسترالية وكلها ترمي الى غاية واحدة

واجتهدت هذه الجمعيات بتنصير المسلمين منذ وطئت البلاد ، ويتبين من تقارير هذه الارساليات ان من المسلمين المتنصرين من وصل الى درجة المبشر ، وقد اختصت هذه الجمعيات المسلمين بكتب يطالعونها وهي معروضة لهم في مكتبات التبشير

وقد اشتد انتباه المبشرين الى مكافحة الاسلام في الايام الاخيرة فنمت فيهم فكرة الاختصاص بتبشير المسلمين على إثر كتابات الدكتور (مردونتش) وبادرت جمعيات متعددة الى ارسال مبشرين اخصائيين لهذا الغرض .

أما عدد المسلمين المتنصرين فلا تمكن معرفته من الاعتماد على الاحصائيات ولكننا عثرنا في تقارير سنة ١٩٠٤ على أسماء اسلامية صار أصحابها قسيسين مبشرين ، وعدد المبشرين الذين هم من هذا القبيل ١٩٤ ويرى القارئ أسماء اسلامية في قوائم أعضاء اللجان الدينية في (بشاور) وغيرها ، وقرأ (المولوي عماد الدين) في « برلمان الاديان » في شيكاغو سنة ١٨٩٣ أسماء خمسين من المسلمين المتنصرين الذين امتازوا باخلاصهم للتبشير .

أما ثمرة التبشير في أواسط الهند فهي اضعف بكثير من ثمرة التبشير في شمال

الهند بالرغم من اجتهاد « تبشير الكنيسة » التي في مدراس وحيدر آباد و بالرغم من تفاني ارسالية (تبشير الكنيسة) التي تبشر النساء وكل المتنصرين في أواسط الهند عدد قليل في جهتين أو ثلاث ، وفوق ذلك فانه يكثر في هذه الجهات ارتداد النصارى الى الاسلام لاسباب مالية ومصالح شخصية ، وجمعية (انجمن اسلام) تنجح دائما بما لها من النشاط في حمل عدد كبير من الهندوس والمسيحيين على اعتناق الاسلام

ومؤتمر المبشرين الذي عقد في القاهرة لم يفته البحث في حركة الاصلاح التي دخلت في مسلمي الهند والاشارة الى (السير سيد احمد خان) زعيم تلك النهضة وما تبذله مدرسته الاسلامية في عليكده ومؤتمر التربية الاسلامية

ولقد خطب القسيس (ويتبرتشت) في مؤتمر القاهرة بموضوع (الاسلام الجديد) فذكر أن تعاليم أوربة تقرب المسلمين من النصرانية ثم قال :

(١) يجب علينا أن ننشئ جسرا فوق الهاوية التي تفصل بين العناصر وللتوصل الى ذلك يجب ان ننتفع من وجود الطلبة المسلمون في انكلترة

(٢) ان يدرس الانجيل على حدة أو على جماعات قليلة العدد

(٣) ان تلقى محاضرات ودروس منظمة بمراقبة رجال ممتازين ، وأن تصرف العناية الى المناقشات

(٤) توسيع نطاق المطبوعات بالاوردية مثل مجلة (ترقي) وان يترجم تاريخ التوراة للدكتور بلاك وان يتذرع لترويج ذلك بنشر الجرائد والكتب الانكليزية التي يأنس بها المسلمون

اخبار العالم الاسلامي

﴿ حقيقة اخبار عن تونس لشاهد عيان ﴾

في أواخر شهر اكتوبر من العام الماضي وزعت « البلدية » على جدران الطرق العامة أوراقا تستدعي بها الناس الى الاجتماع بمقبرة الزلاج في اليوم السابع من نوفمبر لتعيين قبور أهليهم لعزم « البلدية » على تسجيل المقبرة واعتبارها من يوم

التسجيل حقا من الحقوق الدولية تتصرف فيها كيف شاءت وقد كان لهذا الاعلان أسوأ تأثير في القلوب لان مقبرة الزلاج وقف من الاوقاف العامة وقفها الشيخ الزلاج (اثابه الله تعالى) على موتى المسلمين منذ اكثر من ثمانمئة عام وقد ضمت من أجساد العلماء والاشراف وأهل الفضل والخير وأصحاب المكانة الحقيقية في القلوب مالا يأتي على احصائه الا الله تعالى وحسبك أن فيها مقام الشيخ أبي الحسن الشاذلي معتقد العامة والخاصة منهم ومقام الشيخ محمد بن عرفة المالكي الشهير وغيرهما من أولي العظمة والاعتبار فيهم، ولن يرضى أحد ان تخرج عظامهم من ديارها لتتخذ بساتين يتنزه بها الاوربيون الذين لا يسمحون بشبر من مقابرهم لمثل ذلك ساء الناس ماعزمت عليه « البلدية » فاتفق أكثرهم على الاجتماع بالمقبرة في ٧ نوفمبر لمنع البلدية من اجراء أعمال التسجيل وكان مااتفقوا عليه .

اجتمعوا بالمقبرة قبل ظهور حاجب الشمس فجاء شيخ المدينة « رئيس البلدية » والمهندسون فراعهم ذلك المنظر المهيب . فسألهم شيخ المدينة عن سبب اجتماعهم فذكروا انه « السبب » الاعلانات المعلقة على الجدران - فرأى على غير طائل - ان يفرقهم بقوله : فسخت الدولة العزم على ذلك فانصرفوا الى بيوتكم ، ثم أمر من حضر من أعوان المحافظة ان يغلقوا باب المقبرة في وجوههم ويردوهم عنها بعد ان دخلها هو والمهندسون ،

فسخر الناس من قوله هذا المضحك وردوا اعوان المحافظة بقوة دفاعا عن موتاهم وغيرة على وقفهم ، و بيناهم كذلك اذا أطلق طلياني مسدسه على رجل مسلم وفرّ هاربا فلحقوا به وأخرجوه من البيت الذي التجأ اليه وذبحوه بأيديهم وخرجوا من طور الدفاع السلمي عن الموتى الى الدفاع الحربي عن الاحياء وثارت الفتنة في البلد وكثر الهرج في الطائفتين الاسلامية والصليبية ولم تقدر الحكومة ان تشرع في اعادة الراحة الا بعد يومين وهذا ماعملته لذلك :

(١) عهدت الى الخطباء ان ينصحوا للناس باحترام الدماء ويذكروهم بما كتب الله عليهم من حق المحالف بالدين - لانهم يعتقدون ان المسألة بنت التعصب الاسلامي التي حركته « طرابلس » لا بنت مدافعة العادين ورد هجمات المحاربين -

(٢) علقت الاعلانات الرسمية بمنع اجتماع اكثر من ثلاثة اشخاص في الطريق العام ، ومنع الجولان فيه بعد الساعة الـ ٩ مساء – وهذا الحجر كان على المسلم خاصة لانه العادي عندهم – ثم اخذت تختطف الناس من الطرق والفنادق وتزج بهم في السجن ، فكم من غريب اخذ من فراشه في الفندق؟ وكم من بريء أخذ من الطريق العام ؟ فانظر ماهو عمل السياسة وأهلها وكيف يجعلون من التهمة الكاذبة ، ألف حجة صادقة ، ثم ماذا كان عمل الحكومة بعد ؟

كان أن أوعزت الى شيخ الاسلام ان يجمع العلماء الرسميين في دار الباي ويعترفوا بقبح هذا الدفاع الواجب وكذلك فعلوا وفعل

دعاهم الى الاجتماع وأكد فيه تأكيدا ولكنهم لم يعلموا الغرض منه الا عند الاجتماع ، دخل بهم على الوزير الاكبر وهو يقول : ان أهل العلم لا يرضون بهذا العمل الذي ينكره الشرع والعقل ، وهم يريدون ان تعلم الحكومة ذلك منهم ، ثم سأل « شيخ الاسلام » الوزير الاكبر ان يرخص لهم السفير في زيارته فأجيب الى ذلك ولكن السفير خاطبه بقوله : يجب ان تسكن أميالكم « يعني المسلمين » القلوب ولا تخرج الى الطريق – هذا بعد ماسمع من شيخ الاسلام – حاسبه الله – مثل ماقاله الوزير ولم يقدر الشيخ ان يبين له ان المسألة لا علاقة لها بمسألة طرابلس وأنها بنت الدفاع عن النفس وليس هي بالدفاع عن الجامعة الاسلامية

أرادت الحكومة من هذا ان تفعل ماتشاء باسم الدين – الذي لا تزال سيادته الحقيقية والصورية على جميع القلوب – ولكن العامة على جهلهم ورسوخ اعتقادهم في أهل العلم كانوا يلعنونهم سرا وجهرا ويعرفون انهم خانوا الله ورسوله والمؤمنين. فعلقت الاعلانات الرسمية في اليوم نفسه تعلم بتفويض سمو الباي الى الادارة الحربية الامر في تفتيش بيوت من تقع عليه التهمة والحكم عليه وفي نزع السلاح من اصحابه الخ وتبع ذلك جرأة الطليان على قتل المسلمين ولم توفق الحكومة الى نزع السلاح منهم الا اخيرا خشية الفتنة في البلاد

كانت الصحف تدافع عن المسلمين بعض الدفاع وتنجي من الحق ما تريد السياسة ان تقتله عمدا ولكن الحكومة اصدرت قرارا بتعطيل جميع الصحف

العربية « الا الزهرة الاخبارية » الى اجل غير مسمى

هذا ما جرى في تونس – أيها الفاضل مما سمعته ورأيته اثناء وجودي بها – وهو مما يدعو الى تأليف كتاب خاص تشرح به اعمال الحكومة الصادرة عن سياستها السوءى واستبدادها الفظيع واستخدامها في سبيل ذلك لشيوخ العلم الذين هم اجدر الناس بالدفاع عن الامة والسعي للتوفيق بينها وبين الحكومة وكف بأسها عنهم ولكننا منينا برؤساء جهال منافقين جبناء هم الواحد منهم ان يملأ كيسه وبطنه ويحفظ على نفسه مذهبها ولا يبالي بما وازر الظالمين على الضعفاء الابرياء الذين لا ذنب لهم الا الدفاع عن أنفسهم ، ولكن اين الذي يخاف الله ويحسب للقائه حسابا من هؤلاء الجامدين ؟ وبعد فقد اتفق ان شرعت في كتابة هذا ثم حالت الشواغل دون اتمامه حتى كان ما كان ما ساقصه عليك وانا لا ازال في تونس :

مقاطعة مراكب الكهربائية وسببها

ذلك ان سائقي المراكب الكهربائية « واكثرهم من الطليان » اسرفو في المدة الاخيرة في الاستهانة بالنفوس عمدا فكثر عدوانهم على الضعفاء – من قائلي لا اله الا الله محمد رسول الله – فعمدت ثلة من اصحاب الآراء الراقية لتنبيه الناس الى مقاطعة هذا المركب العادية حتى ترجع الى الاعتدال وتكف عن البغي والعدوان فاجتمعت كلمة الامة على هذا ولم تمض الا ايام قلائل حتى ساد هذا الرأي على المسلم والمسلمة ، ثم تقدم افراد من القائمين بهذه الحركة الى رئيس الشركة بمطالب الاهالي التي يعلقون على تنجيزها العود الى ما كانوا عليه ، واهمها التسوية في اجور الخدمة بين المسلمين والايطاليين واحترام الارواح واخراج الخدمة الايطاليين « وهذا مما لا يمكن » فقبلهم مدير الشركة شر قبول وصرح لهم ان الشركة لا تجيب المسلمين الا اكثر من وصية السائقين باحترام الضعفاء وتعليق الواح مكتوبة بالعربية في مراكز الوقوف يرسم عليها ما يرسم بالفرنسية على نظائرها (كما هي الحال في مصر) وأما تسوية الاجور فهو موقوف على تسوية الدولة بين الاهلي والاجنبي فمتى سوت الدولة بينهما سوت الشركة ، فرجع هؤلاء الافراد بخفي حنين واستمرت المقاطعة فهال الدولة امرها ورأت انها أمارة حياة يخشى على الحكم المطلق من آثارها

فدعت نحوا من اربعين رجلا من اهل العلم والتجارة وسائر الطبقات المعتبرة وخاطبتهم بلسان وزير القلم في حث الناس على ترك هذه المقاطعة واعلمتهم بتداخلها مع الشركة وتحصلها منها على كذا وكذا — مما علموه من مدير الشركة يوم اجتمع به اولئك الافراد لقصد انهاء المسألة بصفة مرضية — فقام المحاميان الغيوران محمد نعمان وعلي باش حانبه صاحبا جريدتي التونسي العربية والفرنسية يبينان ان الحكومة لم تفد شيئا في الموضوع وان مسألة تسوية الاجور من اهم مطالبهم او اهمها ولا ترضى الامة ان تترك المقاطعة بدونها وطال النزاع بين الحق والباطل ثم افترق الفريقان على غير طائل

اعادت الحكومة دعوتهم في اليوم الذي تلى يومهم ذلك وصرحت لهم ان المسألة صبغت بلون دولي وان المقاطعة في نظر الدولة « اليوم » لدولة لا لشركة وان القائمين بهذه الحركة ان لم ينفثوا في هذه العقدة فسينالهم العقاب ودافع علي باشحانبه ومحمد نعمان بما رأيا من الحق والله ولي جزائهما

انبث دعاة الدلة في البلاد « بعد هذا الاجتماع » يدعون الناس الى الركوب في الترماي فلم يكد يستجيب لهم الا الشيخ جمال الدين وقليل ممن لا يعرفون، على ان الشيخ جمال الدين من الذين لا يرجون من الدولة شيئا بل ولا يخشى على شيء مما في يده منها لو اتبع الجماعة — ثم لم يكد يمضي على الاجتماع الثاني ٤٨ ساعة — وهو الاجل الذي ضربته الحكومة لانهاء المقاطعة — حتى صدر امر الباي «ونفذ» بابعاد ستة اشخاص عن الحاضرة منهم الشيخ عبد العزيز الثعالبي ومحمد الشاذلي درغوث وعلي باش حانبه ومحمد نعمان — الاول والاخيران الى ما وراء حدود فرنسة والثاني الى قصرمونين ، ولقد كان من اعجب ما سمعت ورايت في ذلك اليوم ان شيخ من شيوخ التدريس بجامع الزيتونة كلفته الدولة ان يوصي المدرسين والتلاميذ بالعمل بما تحب الدولة في مسألة المقاطعة من الركوب والدعوة اليه ، فاخذ يحث على ذلك باخلاص واجتهاد ، مع انه معروف من اهل الاصلاح وليس هو من اهل الفساد — ولعل صفته الرسمية هي التي الجأته الى ذلك — ابعدت الدولة هؤلاء الستة المتهمين بتنبيه القلوب طمعا في تمزيق الكلمة فكان القوم في المقاطعة بعد الابعاد اشد منهم قبله ولا تزال مستمرة الى اليوم بعد ان توسلت

الحكومة الى حلها بكل سبب فلم تنجح — كلفت اكثر الخدمة الاداريين ان يركبوا فركبوا بضع مرات فلم يقتد بهم احد — كلفت شيوخ الاضرحة ان يركبوا ويحثوا الناس على الركوب فلم يفيدوها شيئا في الموضوع ، ومن اغرب ما اقصه عليك ان الشيخ جمال الدين — شيخ ضريح الفزاني دفع المال من جيبه لتلاميذ زاويته ليركبوا فخرجوا من عنده واشتروا بما اخذوا منه الخضر وتركوه ودعوته

ابن الحقيقة

***

﴿ نظام التعليم الجديد في تركستان ﴾

قرارات الحكومة الروسية في شؤون مسلمي تركستان العلمية

أرسلت ادارة ولاية يدي صو « في تركستان » الى رئيس شرطة (محافظ) آلماطا أوامر على هذه الصورة :

(١) اجمعوا معلوماتكم في شؤون المكاتب الجديدة الاصول (١) للمسلمين وفي معلميها وكتب التدريس فيها . وليكن تاريخ طبع تلك الكتب مبينا وكذلك محل طبعها

(٢) وماذا يوجد للمسلمين من الجمعيات الخيرية وجمعيات نشر المعارف والتعاون؟ ومن الاعضاء والرؤساء فيها ؟ وما وظيفة تلك الجمعيات وعلى أي طريق تسير؟

(٣) في أي المحلات تباع الكتب الاسلامية؟ مع بيان شخصيات وخطة أولئك المسلمين الذين اخذوا الرخصة لبيع الكتب في الشوارع والمجتمعات

بناء على هذه الاوامر الصادرة في ١٨ فبراير سنة ١٩١٢ أمر رئيس الشرطة (المحافظ) معاونيه والشرطة بسرعة جمع المعلومات الصحيحة المفصلة بهذا الخصوص

وفي ١٩ فبراير أرسل الوالي الحربي في (يدي صو) أوامر وتعليمات الى جميع المتصرفين والمحافظ (آلماطا) المار ذكره وهذه صورتها

في اجتماعات المتصرفين المنعقدة في يناير كنت بينت طرق المعاملة التي يجب سلوكها في شؤون المسلمين ولا سيما في مكاتبهم ، والآن أرسل بهذه الورقة بعض

(١) يوجد عند مسلمي روسية مدارس تعلم على النظامات (الاصول) القديمة ومدارس تعلم على النظامات (الاصول) الجديدة وهذه النظامات هي من وضع مؤسسي تلك المدارس الاهلية

تعليمات جديدة توافق ما نشر حديثا من طرف والي تركستان الى مأموري المعارف في أمر مكاتب المسلمين . وأطلب تنفيذ هذه الاوامر والسير تماما على هذه القواعد الاساسية

المكاتب الجديدة الاصول

(١) كل مكتب ينشأ من جديد من المكاتب الجديدة الاصول لا يقبل فيه الا أولاد قبيلة واحدة من قبائل تركستان ولا يكون المعلم الا منهم « فلا يجوز تعليم أولاد « صارت ، ودونكان » مثلا من مسلمي تركستان بواسطة معلم من التتر « والباشقرد »

(٢) يجب على الاشخاص أو الجماعات الذين يريدون افتتاح مكتب جديد من هذا القبيل تعليم اللغة الروسية في مكتبهم المراد افتتاحه

(٣) وكذلك يجب عليهم ان يقدموا الى الحكومة جدول دروس (بروغرام) مكتبهم بالتفصيل وأسماء الكتب التي تدرس فيه .

(٤) والتي أنشئت قبل الآن من المكاتب الجديدة الاصول تكون تابعة لهذه القوانين .

المكاتب القديمة الاصول

(١) المكاتب القديمة الاصول تعد من الآن تابعة لنظارة مأموري المكاتب (١)

(٢) ولا يؤذن مطلقا بدراسة الكتب الجديدة فيها ولا بادخال بروجرام المكاتب الجديدة الاصول اليها . واذا كانوا يريدون توسيع معلومات أولادهم الخيار في تسليمهم الى مكاتب الحكومة الرسمية أو على الاقل الى المكاتب الخصوصية التي هي تحت نظارة الحكومة

(٣) في المكاتب القديمة يجب أيضا أن يكون المعلمون والتلاميذ من قبيلة واحدة وأما المعلمون المنتمون الى قبائل أخرى غير قبائل الاولاد فيتركون من الآن هذه المكاتب والتعليم فيها لغيرهم

القوانين العمومية . - ١) تصير هذه القوانين معمولا بها في أول يوليو سنة ١٩١٢ ، وأي مكتب من المكاتب الاسلامية لم ينفذ القوانين المذكورة تماما

(١) مأمورو المكاتب هم مفتشو المعارف

الى تلك المدة فانه يقفل ذلك المكتب . ٢) يمنع حتما دوام المكاتب الاسلامية السرية ، ومن ضمنها جميع المكاتب غير المصدق عليها من طرف الحكومة

جريدة (وقت) عدد ٩٤٧ الصادرة أول ابريل سنة ١٩١٢

***

﴿ مدرسة البنات (١) ﴾

« للسيدة (لا ٓيطوا) بمدينة قزان »

كانت « فاتحه » خانم كريمة المرحوم عبدالوالي ياو يشف من كبار الاغنياء وقرينة سليمان آيبطف من أعيان قزان قد أسست مدرسة للبنات في قزان وقامت بشؤونها منذ سنين تنفق عليها من أموالها الخصوصية . وفي هذه السنة كان عدد تلميذات هذه المدرسة كما في السنين السابقة زهاء ١٨٠ تلميذة يتعلمن على عدة معلمات ومديرتها فاتحه خانم نفسها . وهي مدرسة منتظمة متوفرة فيها اسباب التعليم وبرنامج دروسها موافق لأحوال الزمان فهي لذلك جديرة اليوم بأن تعد من أحسن مدارس البنات بمدينة قزان . تلميذات الصفوف العالية فيها يتعلمن الأشغال اليدوية المتنوعة كالخياطة على يد معلمة خصيصة لذلك .

عقائل أعيان وأغنياء قزان يعلمن كل يوم جمعة من كل اسبوع مناوبة معلمات هذه المدرسة وتلميذات الصفوف العالية فيها اللاتي يستعددن لصناعة التعليم - دُروسَ الطبخ درسا عمليا في مطبخ المدرسة . وأما السيدات اللاتي يتناوبن الآن التعليم في الجمع فهن هؤلاء : كريمة المرحوم اسحق يونوسف من سراة قزان وقرينة كازاكوف افندي ورابعة خانم قرينة المرحوم حسام الدين كاستروف من الاغنياء المشهورين في بلدة « خان كرمان » وقرينة آپانايف ، وكريمة « قل احمدف » الشهير - أمينة خانم قرينة كشايف ، وكريمة آغانورف

(١) اطلعنا على ما كتبته أمينة شمس الدينوا من معلمات مسلمي مدينة قزان في جريدة (وقت) عدد (٩٤٨) عن هذه المدرسة ومعلماتها فآثرنا تعريبه عنها

الشهير من أغنياء مدينة يكاترينبورغ صوفية خانم قرينة عليف ، وكريمة المرحوم مصطفى كيلديشف من كبار أغنياء « چيسطاي » قرينة ايمانقولف . وهؤلاء السيدات وان كن قد التزمن هذه الخدمات في المدرسة المذكورة رعاية لالتماس مؤسسة المدرسة فاتحة خانم آيطو ولم يصدهن عن ذلك الجاه والغنى ولكنه يدل على شعورهن الديني وصدق غيرتهن الملية ولذلك كن جديرات بأن يمدحن وينوه بذكرهن على كل حال

وهذه الحال في المدرسة هي أيضا أمر مهم يحق الاعتبار به فان اشتغال هؤلاء السيدات المحترمات ساعات عديدة في مطبخ المدرسة بتعليم التلميذات مع نية حسنة وهي الخدمة للامة من غير اغترار بغناهن لهي صفة حقيقة بالذكر والاعتبار .

وأما التزين بالحلي والاحجار الكريمة والألبسة الفاخرة والحضور فى المجالس فليس فيه شيء يوجب المدح وحسن الذكر . ونرجو أن يكن هؤلاء السيدات نموذجا للسيدات الأخريات وسببا في ازدياد الخدم الصالحة للامة

ولما رأينا هذه المدرسة بأعيننا وعرفنا الأحوال فيها أحسسنا بوجوب الشكر لهن علينا فأردنا أن ننشر شكرنا العلني في جريدة « وقت » لمؤسسة المدرسة ومديرتها فاتحه خانم وللخوانم الأخريات المشار اليهن . ونسأل الله أن يزيد من أمثالهن يوما فيوما .

أمينة شمس الدينوا . قزان

المطبوعات الجديدة (*)

﴿ كتاب البنين ﴾

كتبت في الجزء الماضي مقالا على هذا الكتاب وكنت عازما على تتبعه وبيان فوائده وانتقاده ولكن منعتني كثرة الشغل عن انجاز ما وعدت به وارى ان مطالعته مفيدة جدا للذين يفكرون في شؤون الأمة الاجتماعية وكذلك لآباء وابناء البيوت (العائلات) ولي كلمة في التعريب اقولها وهي

(*) ما يكتب في هذا الباب بهذا الجزء هو من قلم السيد صالح مخلص رضا أيضا

ان هذه الكتب وما يماثلها مما ينقل الى لغتنا العربية عن اللغات الأوربية التي هي نتيجة تربية حكيمة وإعمال روية - والتي انما تظهر في الأمة بطور مخصوص من اطوار حياتها الاجتماعية - هذه الكتب هي ولاشك مما يساعد على رقي مثلنا بعض الشيء ولكننا لانزال بحاجة شديدة الى نقل الكتب الصناعية ووسائلها من كيماوية وطبيعة وما لدينا من الوسائل للوصول الى الثمرة المطلوبة لجعل الامة غنية بنفسها عن غيرها مثل كتاب النقش في الحجر والدروس الاولية في الفلسفة الطبيعية لا يصلح بأن يكون مجموعة تجعل منوالا تنسج عليه الامة ثوب حياتها المادية لتتضم بين برديه وتصبح امة حية عالمة عاملة غنية بمعارفها وصناعتها

نعم ان ما يكتبه ويعربه الدكتور محمد عبد الحميد طبيب مستشفى قليوب من الكتب الطبية وكتاب الكيمياء الحديثة الذي ألفه خان بهادر الشيخ عبد القادر بن محمد المكي وكتاب روح الاجتماع وما يماثل ذلك ربما الفت مجموعة تصلح لان تكون برنامجا للمدارس العربية وتكون بها حجة الذين يطلبون من الحكومة المصرية تعليم جميع العلوم بلغة الامة - ناهضة ، ومن لنا بتأليف جمعية علمية تبحث في هذه المؤلفات وتبين ما يلزم من الزيادة عليها للايفاء بالغرض المطلوب ؟

وما دمنا نقرأ مثل كتاب التربية الاستقلالية أو كتاب البنين وكل ما نستفيده منها هو الاعجاب بآراء المؤلف والثناء على همته ولغة المعرب فما نحن الا نظريون . ولم يرجع بنا القهقرى في علم دار سناه وانتشر بيننا قديما وحديثا الا الاشتغال بالنظريات عن العمليات . هذا كتاب سر تقدم الانكليز نشر باللغة العربية من سنين عديدة فهل غير شيئا من طرق التربية في مدينة أو قرية أو بيت (عائلة) في بلادنا وهو الكتاب الذي حرك العالم وزلزل اركان التربية في فرنسة فأنشأها خلقا جديدا ؟ فهل يكون حظنا من كتاب البنين كحظنا من الكتب السابقة أم ان حوادث الدهر ومزعجات الايام أهابت بنا الى النهوض من هذه الهوة التي نحن بها متدهورون ؟

ثم هل نبقى معتمدين على غيرنا في جميع حاجياتنا أم يلجئنا حب البقاء الى التماس أسبابه بانتهاج منهج الغربيين في الصناعة والزراعة ؟؟

هذا ما أريد أن يتفكر فيه المتفكرون ويكتب فيه الكاتبون ويعرب له الكتب الذين يهمهم أمر بقاء أمتهم وحياتها

هذا وان ثمن كتاب البنين عشرة قروش غير أجرة البريد وهي ١١ مليما في مصر و٢٢ مليما في الخارج ويطلب من مكتبة المنار بشارع عبد العزيز بمصر

***

﴿ رباعيات الخيام ﴾

عمر الخيام اشهر من نار على علم وهو من نوابغ شعراء الفرس وقد ترجم علماء أوربة واميركة شعره وعنوا به عناية كبرى ، فحمل حب ضم التالد الى الطريف وديع افندي البستاني معرب « معنى الحياة » و « السعادة والسلام » على نقل هذه الرباعيات الى العربية ، فبحث ونقب عن هذه التراجم والشروح واختار منها ترجمة « فتزجرلد » الانكليزية وعربها ونظمها سباعيات بعد ان قابلها بترجمات « هوينفلد » ونيقولاس وغارنر ومكارني ، وكتب لها مقدمة ضافية ذكر فيها خلاصة ما وقف عليه مما كتب الغربيون في عمر الخيام واهتمامهم بآثاره ، وهذه المقدمة بديعة نفيسة جدا

وعمر الخيام شاعر مفكر ينظم ما يعرف في مخيلته من نتائج تأملاته فيصيب الحقيقة تارة ويخطئها تارة أخرى فهو يحاكي ابا العتاهية في تزهده وحكمه وابا نواس في خمرياته ومسلم ابن الوليد في غزلياته والمعري في حكمته وما ينسب اليه من المجازفات ، واليك طائفة من هذه الرباعيات أو السباعيات من هذه الانواع

قال في الفاتحة : من النشيد الاول

ربّ رحماك ما كسبت ثوابا   لا ولا كنت مستحقا عقابا
انما قلت ما رأيت صوابا
ووجودي عليّ كان مصابا   وعزائي الجميل كان الحبابا
وكفاني التوحيد ذخرا فاني   لم أعدد في ديني الاربابا

وقال من النشيد الاول أيضا

وربيع الحياة عهد الصباء   وحياتي كهذه الصهباء
مرها الحلو فهي طبي ودائي

وببلخ أو نيسبور سأقضي   فدعوني بعض اللبان أقضي
ودعوني أسقى المدام دعوني   قبلما يدهم المشيب الشبابا

وقال من النشيد الاول أيضا

وأجبني وواقني الاعتزال   وابتعاد عن محض قيل وقال
رب قفر من المظالم خال
ليس فيه عبد ولا سلطان   هو عندي المكان نعم المكان
رب كهف ثثويه نفس أبي   فاق قصرا طالت ذراه السحابا

وقال منه أيضا :

يا فؤادي حذار حتى النسيما   ان هذا المنثور كان نظيما
فوق غصن واليوم غشى الاديما
كم ورود لثامها الاكمام   كخدود لها الحياء لثام
راودتها ريح الشمال وغاثت   بلثام وقبلتها اغتصابا

وقال منه أيضا

هات لي الجام يا نديمي مترع   أسل عما مضى وما يتوقع
حسب قلبي ماسمته وتقطع
واسقني اليوم مذهب الحسرات   لا تكلني لحلم يوم آت
فغدا ربما غدوت طريد الأمـ   ـس أطوي الادهار والاحقابا

وقال منه أيضا :

ولاهل اليقين والايمان   ولاهل الشكوك في الاديان
ولاهل الدنيا وأهل الجنان
سيقول الصوت الرهيب ضلالا   قد ضللتم وكنتم جهالا
لاهنا أنتم كسبتم ثوابا   لا ولن تكسبوا هناك الثوابا

وقال منه ايضا :

واضطراراً قدجئت هذي الديارا   وسأضطر للرحيل اضطراراً
واختياري ان استطعت اختيارا

ان أسرّي عن الفؤاد الهموما   في حياة ملأى أسى وغموما
فأدرها سلافة واسقنيها   نعمة فالوجود كان مصابا

وقال منه أيضا :

زحل كان موطني اذ رحلت   بخيالي وفي السماك حللت
وصعابا من مشكلات حللت
واجتليت الغوامض المبهمات   ولقيت الحقائق السافرات
غير ان الآجال والموت فيها   ذاك سرّ لم انض عنه نقابا

وقال من النشيد الثاني :

قلت للنفس اين ذاك القضاء   اين ذاك الجحيم أين السماء
قالت النفس يافتى لامراء
فيّ فيّ الاسرار والاقدار   فيّ فيّ الجنات فيّ النار
ذا سؤالي وذا جوابك يا نفـ   س وكنت الحيران فيه سؤالا

وقال منه أيضا :

يعلم الله انني سكّير   ونظيري بين العباد كثير
وهو أمر سهل عليه يسير
يعلم الله يعلم الله فعلا   رب رحماك ليس علمك جهلا
فزقاقي مملوءة ودناني   وأنا ادمن الخمور امتثالا

وقال منه ايضا :

ايه سفر الحياة آن اختتامك   ايه خيّام قد تداعت خيامك
وتدانت من حدّها أيامك
وليالي الربيع كن قصارا   وهزار الشباب غنى وطارا
ياهزار الشباب لو كنت ادري   منك هذا لسمتك الأغلالا

هذا وأن لغة الكتاب ونظمه من احسن الكتب المعربة وقد طبع في مصر طبعا متقنا نظيفا على ورق جيد وصفحاته ١٤٢ وهو يباع بمكتبة المنار بشارع عبد العزيز بعشرة قروش صحيحة خلا أجرة البريد

***

﴿ كتاب العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ﴾

لدعاة النصرانية في البلاد الاسلامية طرق في بث دعوتهم والفات الناس الى سوم بضاعتهم ، كانت الى سنة ١٩١١ خطة شغب وعداء اكثر مما هي خطة جدل وإقناع يظهر هذا في جرائدهم وكتبهم ولاسيما في البلاد التي قوي فيها النفوذ الاجنبي وكان موقف المسلمين أمام هذا التهجم والشغب والشذوذ والتطرف والمغالطة يختلف باختلاف البلاد ودرجة نفوذ أولئك الدعاة وتأثيرهم في العامة أو الخاصة

فبينا الشيخ رحمة الله الهندي يجادل القوم في الهند بالتي هي أقوم ويدحض سفسطتهم بالادلة العقلية والنقلية اذا بالمسلمين في البلاد المصرية والشامية يهزأون من تلك المجالدة ويضحكون زاعمين أن المسلم لا يمكن أن يكون نصرانيا، وينقلون كلمة عن حكيم الشرق السيد جمال الدين الافغاني « ان المسلم هو نصراني وزيادة » لان اركان دين النصرانية الايمان بالله والملائكة والوحي والدار الآخرة إلخ ولكن المسلم يؤمن بهذه الاشياء على وجه اكمل. فالمسلم موحد لله والنصراني مثلث له والمسلم منزه للانبياء والنصراني مخطئ لهم والمسلم معتقد بجزاء ينال الانسان في الدار الآخرة من حيث هو انسان والنصراني يقول انه في الآخرة يكون « كملائكة الله الذين في السموات » أي ان الانسان يكون ملكا وتفنى جسمانيته في روحانيته الخ . فالدين الاسلامي مطابق للعقل والفطرة والدين المسيحي على العكس من ذلك ؟ تلك حجتهم على سكوتهم وعن تقصيرهم في الدعوة الى دينهم والذود عنه

ولم يفكر مسلم في هذه البلاد ان من خدمة الاسلام أن يدعو أحد اليه أو أن يدافع عنه غافلين عن قوله تعالى « قل هذه سبيلي ادعوا الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني » الخ

غلط دعاة النصرانية بحسبانهم المسلمين على وثنية فوضى وظنوا ان من السهل عليهم دعوتهم الى وثنية منظمة منمقة يجللها ثوب الخلاص من خطيئة لم يقترفوها ويزينها حلي مصالحة الله لهم عن خصومة لم يأتوها ـ على قاعدة: الآباء تأكل الحصرم ويضرس البنون ـ ويقابل هذا عند المسلمين ويدحضه قوله تعالى « ولا تزر وازرة وزر اخرى » ـ غلطوا فاوغلوا بسيرهم واوضعوا خلال المسلمين يبغونهم الفتنة

وفيهم سماعون لهم وقوم آخرون شغلتهم أموالهم واهلوهم

ولما عقد مؤتمر القاهرة سنة ١٩١١ (لدعاة النصرانية) بحث في طرق امالة المسلمين عن دينهم على اختلاف طبقاتهم وخط للدعاة خططا جديدة - يعلمها من يراجع مقالات « الغارة على العالم الاسلامي » التي تنشر في المنار تباعاً - للوصول الى قلب المسلم

كل ذلك يجري من دعاة النصرانية ومثل النبهاني وعبد العزيز شاويش يسودان الصحائف بشتم المسلمين المصلحين تارة و بشتم النصارى تارة اخرى ولهما في بعض البلاد الاسلامية أمثال وانصار من المعممين الذين كان يخاف على الاسلام منهم الاستاذ الامام، ولكن بعض شبان سورية الغيورين المفكرين اهدي ادارة المنار في هذه الآونة كتاباً سماه « العقائد الوثنية، في الديانة النصرانية » ألفه لرد أباطيل دعاة النصرانية وجعله تقدمة « الى صليبي القرن العشرين المبشرين (؟) »

ألف محمد طاهر افندي التنير كتابه هذا من كتب علماء اوربة وقابل فيه بين نصوص ديانات الوثنيين ونصوص ديانة النصارى المشابه بعضها بعضا وعزى في الهامش كل نقل الى محله وذكر في أول الكتاب اسماء الكتب التي نقل عنها لتكون الادلة ملزمة والحجة ناصعة، ونحن نذكر مجمل مواضيعه (١) عقيدة التثليث عند الوثنيين وعند النصارى (٢) تقديم أحد الآلهة فداء عن الخطيئة عند الوثنيين وعند النصارى (٣) الظلمة التي حدثت عند موت أحد المخلصين عند الوثنيين والظلمة التي حدثت عند موت يسوع عند النصارى (٣) ولادة أحد آلهة الوثنيين من عذراء وولادة يسوع من عذراء كذلك (٤) النجوم التي ظهرت عند ولادة احد آلهة الوثنيين والنجم الذي ظهر عند ولادة يسوع (٥) الجنود السماوية التي ظهرت تسبح الله عند ولادة احد آلهة الوثنيين والجنود السماوية التي ظهرت تسبح الله كذلك عند ولادة يسوع (٦) الاستدلال على الطفل الالهي عند الوثنيين وعند النصارى « ٧ » محل ولادة أحد الآلهة عند الوثنيين ومثله عند النصارى الخ ثم مقابلة بين النصوص عند الفريقين، والكتاب يطلب من مكتبة المنار بمصر وثمنه خمسة قروش وتبلغ صفحاته ١٧٦ ويكاد يكون انفع كتاب في بابه وقد التزم مؤلفه النزاهة في القول والمجادلة بالتي أحسن

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المنار

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كنار الطريق

(مصر سلخ جمادى الآخرة ١٣٣٠هـ ق ٢٧ الربيع الثالث ١٢٩١هـ ش ١٥ يونيو ١٩١٢م)

باب تفسير القرآن الحكيم

على الطريقة التي كان يلقيها في الازهر الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه

(١٢٦ : ١٣٦) وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ، قُلِ اللهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَبِ فِي يَتَمَى النِّسَاءِ الَّتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَنِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَمَى بِالْقِسْطِ، وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا (١٢٧ : ١٢٧) وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ، وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (١٢٨ : ١٢٨) وَلَنْ

تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ، فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ ، وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (١٢٩ : ١٢٩) وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا

تقدم ان الكلام كان من أول السورة الى ما قبل قوله تعالى « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا » في الاحكام المتعلقة بالنساء واليتامى والقرابة ، ومن آية « واعبدوا الله » الى آخر ما تقدم تفسيره في أحكام عامة اكثرها في أصول الدين وأحوال أهل الكتاب والمنافقين والقتال . وقد جاءت هذه الآيات بعد ذلك في احكام النساء فهي من جنس الأحكام التي في أول السورة . ولعل الحكمة في وضعها ههنا تأخر نزولها الى ان شعر الناس بعد العمل بتلك الآيات بالحاجة الى زيادة البيان في تلك الاحكام ، فإنهم كانوا يهضمون حقوق الضعيفين - المرأة واليتيم - كما تقدم فأوجبت عليهم تلك الآيات مراعاتها وحفظها وبينتها لهم ، وجعلت للنساء حقوقا ثابتة مؤكدة في المهر والإرث كالرجال وحرمت ظلمهن ، وتعدد الزوجات منهن ، مع الخوف من عدم العدل بينهن ، وحددت العدد الذي يحل منهن في حال عدم الخوف من الظلم ، فبعد تلك الأحكام عرف النساء حقوقهن ، وان الاسلام منع الرجال الاقوياء أن يظلموهن ، فكان من المتوقع بعد الشروع في العمل بتلك الاحكام ان يعرف الرجال شدة التبعة والمسؤلية التي عليهم في معاملة النساء وان يقع لهم الاشتباه في بعض الوقائع المتعلقة بها ، كأن تحدث بعضهم نفسه بأن يحل له او لا يحل له ان يمنع اليتيمة ما كتب الله لها من الارث وهو يرغب ان ينكحها ، و يشتبه بعضهم فيما يصالح امرأته عليه اذا ارادت أن تفتدي منه ، ويضطرب بعضهم في حقيقة العدل الواجب بين النساء - هل يدخل فيه العدل في الحب او في لوازمه العملية الطبيعية من زيادة الاقبال على المحبوبة والتبسط في الاستمتاع بها أم لا ؟ - كل هذا مما تشتد الحاجة الى معرفته بعد العمل

بتلك الاحكام ، فهو مما كان يكون موضع السؤال والاستفتاء ، فلهذا جاء بهذه الآيات بعد طائفة من الآيات وطائفة من الزمان ، وقد علمنا من سنة القرآن عدم جمع الآيات المتعلقة بموضوع واحد في سياق واحد ، لان المقصد الاول من القرآن هو الهداية بأن تكون تلاوته عظة وذكرى وعبرة ينمي بها الايمان والمعرفة بالله عز وجل ، و بسننه في خلقه ، وحكمته في عباده ، ويقوى بها شعور التعظيم والحب له ، وتزيد الرغبة في الخير ، والحرص على التزام الحق ، ولو طال سرد الآيات في موضوع واحد - ولا سيما موضوع أحكام المعاملات البشرية - لمل القارئ لها في الصلاة وغير الصلاة ، أو غلب على قلبه التفكر في جزئياتها ووقائعها ، فيفوت بذلك المقصد الاول ، والمطلوب الذي عليه المعول ، وحسب طلاب الاحكام المفصلة فيه أن يرجعوا اليها عند الحاجة في الآيات المتفرقة ، والسور المتعددة ، ولا يجعلوها هي الاصل المقصود من التلاوة في الصلاة والتعبد في غير الصلاة ، فإن الاصل الاول هو ما علمت

أما قوله تعالى ﴿ ويستفتونك في النساء ﴾ فمعناه يطلبون منك أيها الرسول الفتيا في شأنهن ، و بيان المشكل والغامض عليهم في أحكامهن ، من حيث الحقوق المالية والزواج لاجلها والنشوز والخصام والصلح والعدل والعشرة والفراق ، ويدل على ذلك كله الجواب في الآيات الاربع ، وهو من ايجاز القرآن البديع ، وغفل عن هذا من قال ان المراد « يستفتونك في ميراثهن » لما روي في سبب نزولها من ان حصن بن عيينة قال للنبي (ص) بلغنا انك تعطي البنت والاخت النصف وانما كنا نورث من يشهد القتال و يحوز الغنيمة فقال (ص) « بذلك أمرت » . فيالله العجب ! كيف يغفل أمثال أولئك الاذكياء بمثل هذه الرواية عما تدل عليه الآيات الواردة في موضوع واحد هو استفتاء وفتوى فيقطعونها اربا ، ويجعلونها جذاذا وافلاذا لاصلة بينها ، ولا جامعة تضمها ؟ ؟

وروي عن ابن عباس من طريق الكلبي عن أبي صالح أن الآية نزلت في بنات أم كحة وميراثهن عن ابيهن ، وعن عائشة أنها نزلت في اليتيمة تكون في حجر الرجل وهو وليها فيرغب في نكاحها اذا كانت ذات جمال ومال بأقل من

مهر مثلها ، واذا كانت مرغوبة عنها لقلة مالها وجمالها تركها ، وفي رواية هي اليتيمة تكون في حجر الرجل وقد شركته في ماله فيرغب عنها ان يتزوجها لدمامتها ، ويكره أن يزوجها غيره حتى لايذهب بمالها ، فيحبسها حتى تموت فيرثها ، فنهاهم الله عن ذلك . وقد تقدم هذا في أول السورة ·

﴿ قل الله يفتيكم فيهن ﴾ بما ينزله من الآيات في أحكامهن بعد هذا الاستفتاء

﴿ وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء اللاتي لاتؤتونهن ما كتب لهن وترغبون أن تنكحوهن والمستضعفين من الولدان ﴾ أي ويفتيكم في شأنهن مايتلى عليكم في الكتاب مما نزل قبل هذا الاستفتاء في أحكام معاملة يتامى النساء اللاتي جرت عادتكم أن لاتعطوهن ما كتب لهن من الارث اذا كان في أيديكم لولايتكم عليهن ، وترغبون في أن تنكحوهن لجمالهن والتمتع بأموالهن ، أو عن ان تنكحوهن لدمامتهن ، فلا تَنكحونهن ولا تُنكحونهن غيركم ، ليبقى مالهم في أيديكم ، وما يتلى عليكم ايضا في شأن المستضعفين من الولدان الذين لاتعطونهم حقهم من الميراث ، والمراد بهذا الذي يتلى عليهم في الضعيفين ـ المرأة واليتيم ـ هو ماتقدم من الآيات في أول السورة من الآية الاولى أو مابعدها في آخر آيات الفرائض ـ يذكرهم الله تعالى بتلك الآيات المفصلة ان يتدبروها ويتأملوا معانيها ويعملوا بها . وذلك ان من طباع البشر ان يغفلوا أو يتغافلوا عن دقائق الاحكام والعظات التي يراد بها إرجاعهم عن اهوائهم ، واذا توهموا ان شيئا منها غير قطعي وأنهم بالاستفتاء عنه ربما يفتون بما فيه التخفيف عنهم ، وموافقة رغبتهم ، لجأوا الى ذلك واستفتوا ، وقد أشرنا في أول تفسير الآية الى ان معنى الافتاء بيان دقائق الامور ومايخفى منها . وقيل ان قوله تعالى « وما يتلى عليكم » معطوف على ضمير « فيهن » المجرور أي ويفتيكم أيضا فيما يتلى عليكم من الآيات التي نزلت في الاحكام التي تستفتون عنها الآن فيبين لكم أنها أحكام محكمة لاهوادة فيها فلا يحل لكم بحال من الاحوال ان تظلموا النساء وأمثالهم من المستضعفين لصغرهم

﴿ وان تقوموا لليتامى بالقسط ﴾ أي ويفتيكم أن تقوموا لليتامى من هؤلاء

النساء والولدان المستضعفين بالقسط أي أن تعنوا عناية خاصة بتحري العدل في معاملتهم والاقساط اليهم على أتم الوجوه وأكملها ، فان هذا هو معنى القيام بالشيء ومثله إقامة الشيء كما بيناه في تفسير اقامة الصلاة . ولما كان هذا هو الواجب الذي لاهوادة فيه وكان من الكمال ان يعامل اليتيم بالفضل لا بمجرد العدل قال تعالى ﴿ وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليما ﴾ أي وما تفعلوه من الخير لليتامى بترجيح منفعتهم ، والزيادة في قسطهم ، فهو مما لايعزب عن علمه تعالى ولا ينسى الاثابة عليه ، كسائر أفعال الخير ، وهذا ترغيب في الاحسان الى اليتامى وتكميل لبيان مراتب معاملتهم وهي ثلاث أولاها هضم شيء من حقوقهم وهي المحرمة السفلى ، والثانية القيام لهم بالقسط والعدل التام بأن لايظلموا من حقهم شيئا وهي الواجبة الوسطى ، والثالثة الزيادة في رزقهم واكرامهم بما ليس لهم من مال ، وما لايجب لهم من عمل ، وهي المندوبة الفضلى

﴿ وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا او إعراضا ﴾ الخوف توقع مايكره بوقوع بعض اسبابه أو ظهور بعض أماراته ، والنشوز الترفع والكبر وما يترتب عليهما من سوء المعاملة ، ـ وتقدم تفسيره من قبل ـ والاعراض الميل والانحراف عن الشيء · أي وان خافت امرأة خافت من بعلها نشوزا وترفعا عليها ، أو اعراضا عنها ، بأن ثبت لها ذلك وتحقق ولم يكن وهما مجردا ، او وسواسا عارضا ، ـ يدل على ذلك جعل فعل الخوف المذكور ، مفسرا لفعل محذوف ، للاحتراس من بناء الحكم على أساس الوسوسة التي تكثر عند النساء ـ وهو من ايجاز القرآن البديع ـ وذلك أن المرأة اذا رأت زوجها مشغولا بأكبر المغانم المالية او السياسية أو حل أعوص المسائل العلمية ، أو بغير ذلك من المشاكل الدنيوية أوالمهمات الدينية ، لاتعد ذلك عذرا له يبيح له الاعراض عن مسامرتها أو منادمتها ، أو الرغبة عن مناغاتها ومداعبتها ، والواجب عليها ان تتبين وتتثبت فيما تراه من امارات النشوز والاعراض ، فاذا ظهر لها ان ذلك لسبب خارجي لا لكراهتها والرغبة عن معاشرتها بالمعروف فعليها ان تعذر الرجل وتصبر على مالاتحب من ذلك ، وان ظهر لها ان ذلك لكراهته اياها ورغبته

عنها ﴿ فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا ﴾ قرأ الكوفيون « يصلحا » بوزن « يكرما » من الاصلاح والباقون « يصالحا » بتشديد الصاد وأصله يتصالحا . اي فلاجناح عليها ولاعليه في الصلح الذي يتفقان عليه بينهما، كأن تسمح له ببعض حقها عليه في النفقة أو المبيت معها أو بحقها كله فيهما أو في احدهما لتبقى في عصمته مكرمة أو تسمح له ببعض المهر ومتعة الطلاق أو بكل ذلك ليطلقها ، فهو كقوله تعالى في سورة البقرة « فلا جناح عليهما فيما افتدت به » وانما يحل للرجل ما تعطيه من حقها اذا كان برضاها لاعتقادها انه خير لها من غير أن يكون ملجئا إياها اليه بما لا يحل له من ظلمها او إهانتها . روي عن بعض مفسري السلف أن هذه الآية نزلت في الرجل تكون عنده المرأة يكرهها لكبر سنها أو دمامتها ويريد التزوج بخير منها ويخاف أن لا يعدل بينها وبين الجديدة فيكاشفها بذلك ويخيرها بين الطلاق وبين البقاء عنده بشرط ان تسقط عنه حقها في القسم اي حصتها من المبيت عندها ، ومثله الرجل الذي عنده امرأتان مثلا يكره إحداهما ويريد فراقها إلا ان تصالحه على اسقاط حقها في المبيت ، أو يعجز عن النفقة عليهما فيريد ان يطلق إحداهما إلا ان تصالحه على اسقاط حقها من النفقة ، فاذا لم ترض المكروهة لكبرها او قبحها الا بحقها في القسم والنفقة وجب على الرجل إيفاؤها حقها وأن لا ينقص منه شيئا ، فان قدر على أن يصالحها بمال يبذله لها بدلا من لياليها ورضيت بذلك جاز لهما ولا جناح عليهما فيه كما لا جناح عليهما في غير هذه الصورة من صور الصلح فان المقصد هو التراضي والمعاشرة بالمعروف أو التسريح باحسان

﴿ والصلح خير ﴾ من التسريح والفراق وان كان باحسان واداء المهر والمتعة وحفظ الكرامة كما هو الواجب على المطلق — لان رابطة الزوجية من اعظم الروابط وأحقها بالحفظ ، وميثاقها من أغلظ المواثيق واجدرها بالوفاء ، وعروض الخلاف والكراهة وما يترتب عليها من النشوز والاعراض وسوء المعاشرة لمن لم يقف عند حدود الله من الامور الطبيعية التي لا يمكن زوالها من بين البشر ، والشريعة العادلة الرحيمة هي التي تراعى فيها السنن الطبيعية والوقائع الفعلية بين الناس ، ولا يتصور في ذلك أكمل مما جاء به الاسلام فانه جعل القاعدة

الاساسية هي المساواة بين الزوجين في كل شيء الا القيام برياسة الاسرة والقيام على مصالحها لانه أقوى بدنا وعقلا وأقدر على الكسب وعليه النفقة فقال « ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة » وهذه الدرجة هي التي بينها بقوله « الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم » وفرض عليهم العدل والاحسان في هذه الرياسة . فيجب على الرجل وراء النفقة على امرأته ان يعاشرها بالمعروف وان يحصنها ويعفها ويحصن نفسه ويعفها بها ، ولا يجوز له ان يجعل لها ضرة شريكة في ذلك الا اذا وثق من نفسه بالعدل بينهما ، وانما أبيح له ذلك بشرطه لانه من ضرورات الاجتماع ولا سيما في أزمنة الحروب التي يقل فيها الرجال ويكثر النساء — كما بينا كل ذلك بالتفصيل في محله — فان أراد ذلك أو فعله أو وقع بينهما النفور بسبب آخر فيجب على كل منهما ان يتحرى العدل والمعروف ، فإن خافا أن لا يقيما حدود الله فعلى الذي يريد منهما ان يخلص من الآخر ان يسترضيه ، وكما جعل الله الطلاق للرجل لانه أحرص على عصمة الزوجية لما تكلفه من النفقة ولانه أبعد عن طاعة الانفعال العارض جعل للمرأة حق الفسخ اذا لم يف بحقوقها من النفقة والاحصان . وقيل ان كلمة « خير » ليست للتفضيل وانما هي لبيان خيرية الصلح في نفسه

﴿ وأحضرت الانفس الشح ﴾ بين لنا سبحانه وتعالى في هذه الحكمة السبب الذي قد يحول بين الزوجين وبين الصلح الذي فيه الخير وحسم مادة الخلاف والشقاق لاجل أن نتقيه ونجاهد أنفسنا في ذلك وهو الشح ومعناه البخل الناشئ عن الحرص ، ومعنى إحضاره الانفس أنها عرضة له فاذا جاء مقتضى البذل ألم بها ونهاها ان تبذل ما ينبغي بذله لاجل الصلح واقامة المصلحة ، فالنساء حريصات على حقوقهن في القسم والنفقة وحسن العشرة شحيحات بها ، والرجال أيضا حريصون على أموالهم أشحة بها ، فينبغي لكل منهما أن يتذكر ان هذا من ضعف النفس الذي يضره ولا ينفعه ، وان يعالجه فلا يبخل بما ينبغي بذله والتسامح فيه لاجل المصلحة ، فان من اقبح البخل أن يبخل أحد الزوجين في سبيل مرضاة

الآخر بعد أن أفضى بعضهما الى بعض وارتباطا بذلك الميثاق المظيم ، بل ينبغي ان يكون التسامح بينهما أوسع من ذلك وهو ما تشير اليه الجملة الآتية :

﴿ وإن تحسنوا وتتقوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا ﴾ اي وان تحسنوا العشرة فيما بينكم فتتراحموا وتتعاطفوا ويعذر بعضكم بعضا وتتقوا النشوز والاعراض ، وما يترتب عليهما من منع الحقوق أو الشقاق ، فان الله كان بما تعملونه من ذلك خبيرًا لا يخفى عليه شيء من دقائقه وخفاياه ولا من قصدكم فيه ، فيجزي الذين احسنوا منكم بالحسنى . والذين اتقوا بالعاقبة الفضلى ، قال بعض المفسرين : المراد بهذه الجملة حث الرجال على الحرص على نسائهم وعدم النشوز والاعراض عنهن ، وان كرهوهن لكبرهن او دمامتهن ، كما قال في آية أخرى « فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا »

﴿ ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم ﴾ هذه الآية فتوى أخرى غير الفتاوى المبينة في الآيتين قبلها والمستفتون عنها هم الذين كان عندهم زوجتان أو اكثر من قبل نزول « فان خفتم أن لا تعدلوا فواحدة » ومثلهم من عدد بعد ذلك ناويا العدل حريصا عليه ثم ظهر له وعورة مسلكه ، واشتباه أعلامه ، والتحديد بين ما يملكه وما لا يملكه اختياره منه ، فالورع من هؤلاء يحاول ان يعدل بين امرأتيه حتى في اقبال النفس ، والبشاشة والانس ، وسائر الاعمال والاقوال ، فيرى أنه يتعذر عليه ذلك لان الباعث على الكثير منه الوجدان النفسي ، والميل القلبي ، وهو مما لا يملكه المرء ولا يحيط به اختياره ، ولا يملك آثاره الطبيعية ، ولوازمه الفطرية ، فخفف الله برحمته على هؤلاء المتقين المتورعين ، وبين لهم أن العدل الكامل بين النساء غير مستطاع ولا يتعلق به التكليف ، كأنه يقول : مهما حرصتم على أن تجعلوا المرأتين كالغرارتين المتساويتين في الوزن ، وهو حقيقة معنى العدل ، فلن تستطيعوا ذلك بحرصكم عليه ، ولو قدرتم عليه لما قدرتم على ارضائهما به ، واذا كان الامر كذلك في الواقع ﴿ فلا تميلوا كل الميل ﴾ الى المحبوبة منهن بالطبع ، المالكة لما تملكه الاخرى من القلب ، فتعرضوا بذلك عن

الاخرى ﴿ فتذروها كالمعلقة ﴾ كأنها غير متزوجة وغير مطلقة ، فان الذي يغفر لكم من الميل وما يترتب عليه من العمل بالطبع ، هو ما لا يدخل في الاختيار ، ولا يكون من تعمد التقصير او الاهمال ، فعليكم ان تقوموا لها بحقوق الزوجية الاختيارية كلها

﴿ وان تصلحوا وتتقوا فان الله كان غفورا رحيما ﴾ اي وان تصلحوا في معاملة النساء وتتقوا ظلمهن وتفضيل بعضهن على بعض في المعاملات الاختيارية كالقسم والنفقة فان الله يغفر لكم ما دون ذلك مما لا ينضبط بالاختيار كالحب ولوازمه الطبيعية من زيادة الاقبال وغير ذلك لان شأنه سبحانه المغفرة والرحمة لمستحقها

يظن بعض المائلين الى منع تعدد الزوجات أنه يمكن ان يستنبط من هذه الآية وآية « فان خفتم ان لا تعدلوا فواحدة » ان التعدد غير جائز لان من خاف عدم العدل لا يجوز له ان يزيد على الواحدة وقد اخبر الله تعالى ان العدل غير مستطاع وخبره حق لا يمكن لاحد بعده ان يعتقد أنه يمكنه العدل بين النساء ، فعدم العدل صار أمرا يقينيا ويكفي في تحريم التعدد ان يخاف عدم العدل بأن يظنه ظنا ، فكيف اذا اعتقده يقينيا ،

كان يكون هذا الدليل صحيحا لو قال تعالى « وان تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم » ولم يزد على ذلك ، ولكنه لما قال « فلا تميلوا كل الميل » الخ علم أن المراد بغير المستطاع من العدل هو العدل الكامل الذي يحرص عليه أهل الدين والورع كما بيناه في تفسير الآية وهو ظاهر من قوله « ولو حرصتم » فان العدل من المعاني الدقيقة التي يشتبه الحد الاوسط منه بما يقارب به من طرفي الافراط والتفريط ولا يسهل الوقوف على حده والإحاطة بجزئياته ـ ولا سيما الجزئيات المتعلقة بوجدانات النفس كالحب والكره وما يترتب عليهما من الاعمال ، ـ فلما أطلق في اشتراط العدل اقتضى ذلك الاطلاق ان يفكر أهل الدين والورع والحرص على إقامة حدود الله وأحكامه في ماهية هذا العدل وجزئياته ويتبينوها كما تقدم آنفا ، فبين لهم سبحانه في هذه الآية ما هو المراد من العدل وانه ليس هو الفرد

الكامل الذي يعمّ اعمال القلوب والجوارح لأن هذا غير مستطاع ولا يكلف الله نفسا الا وسعها

نعم ان في الآية موعظة وعبرة لمن يتأملها من غير اولئك الورعين الحريصين على اقامة حدود الله وأحكامه بقدر الطاقة – لمن يتأملها و يعتبر بها من عباد الشهوات والاهواء الذين لايقصدون من الزوجية الا تمتيع النفس باللذة الحيوانية الموقتة من غير مراعاة أركان الحياة الزوجية التي بينها الله تعالى في قوله « ومن آياته ان جعل لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة » ولا مراعاة أمر النسل وصلاح الذرية ، أولئك السفهاء الذين يكثرون من الزواج ما استطاعوا الى ذلك سبيلا ، يتزوجون الثانية لمحض الملل من الاولى وحب التنقل ، ثم الثالثة والرابعة لاجل ذلك ، لايخطر في بال الواحد منهم أمر العدل ، ولا انه يجب لاحداهن عليه شيء ، وقد ينوي من أول الامر أن يظلم الاولى ويهضم حقها ، ولا يشعر بأنه ارتكب في ذلك اثما ، ولا أغضب الله واستهان بأحكامه ، وبين هؤلاء وأولئك قوم يزعمون انهم على شيء من الدين ومراعاة أحكامه يظنون ان العدل بين المرأتين أمر سهل فيقدمون على التزوج بالثانية والثالثة والرابعة قبل ان يتفكروا في حقيقة العدل الواجب وماهيته ، ألا فليتق الله الذوّاقون ! ألا فليتق الله المترفون ! ألا فليتفكروا في ميثاق الزوجية الغليظ ! وفي حقوقها المؤكدة ! ألا فليتفكروا في عاقبة نسلهم ! ومستقبل ذريتهم ، ألا فليتفكروا في حال أمتهم التي تتألف من هذه البيوت المبنية على دعائم الشهوات والاهواء وفساد الاخلاق والذرية التي تنشأ بين أمهات متعاديات وزوج شهواني ظالم ! ألا فليتفكروا في قوله تعالى « وان تصلحوا وتتقوا فان الله كان غفورا رحيما » ! وليحاسبوا أنفسهم ليعلموا هل هم من المصلحين لامر نسائهم ونظام بيوتهم أم من المفسدين ، وهل هم من المتقين الله في هذا الامر أم من المتساهلين أو الفاسقين ؟

{ وان يتفرقا } أي وان يتفرق الزوجان اللذان يخافان – كلاهما أو أحدهما – أن لايقيما حدود الله كالذي يكره امرأته لدمامتها أو كبرها ويريد أن يتزوج غيرها ولم يتصالح معها على شيء يرضيان به ، وكالذي عنده زوجان لايقدر أن

يعدل بينهما ولا تسمح له المرغوب عنها بشيء من حقوقها بمقابل ولا غير مقابل ، – ان يتفرق هذان على ترجيح الطلاق على دوام الزوجية (كما يدل عليه اسناد الفعل اليهما) وعدم حرص أحد منهما الى استرضاء الآخر وصلحه { يغن الله كلا من سعته } يغن الله كلا منهما عن صاحبه بسعة فضله فقد يسخر للمرأة رجلا خيرا منه يقوم لها بحقوقها ، ويجعل له من امرأة أخرى عنده أو يتزوجها من تحصنه وترضيه فيستقيم أمر بيته وتربية أولاده . وانما يكون كل منهما جديرا باغناء الله اياه عن الآخر بزوج خير منه اذا التزما في التفرق حدود الله بأن يجتهد كل منهما في الاتفاق والصلح حتى اذا ظهر لهما بعد اجالة الرأي فيه والتروي في اسبابه ووسائله أنه غير مستطاع لهما تفرقا باحسان يحفظ كرامتهما ولا يكونان به مضغة في افواه الناس ، وقدوة سيئة لفاسدي الاخلاق ، { وكان الله واسعا حكيما } أي كان ولا يزال واسع الفضل والرحمة يوفق بين الاقدار ، ويؤلف بين المسببات والاسباب ، حكيما فيما شرعه من الاحكام ، جاعلها على وفق مصالح الناس ،

وقد يكون من أسباب الرغبة في كل من الزوجين المتفرقين مايراه الناس من حسن تعاملهما في تفرقهما ، والتزامهما فيه حفظ كرامتهما ، وانما قلت « قد يكون » للاشارة الى أن هذا اذا لم يكن مرغبا لدهماء الناس ونحوهم ، فهو أكبر المرغبات لكرامهم وفضلائهم – وانما الخير فيهم – فان الرجل الفاضل الكريم اذا علم أن امرأة اختلفت مع بعلها لان نفسها الشريفة لم تقبل ان ينشز أو يعرض عنها ، أو يقرن بها من لا يعدل بينها و بينها ، وهي مع ذلك لم تخدش كرامته بقول ولا فعل وانما احبت ان تتفق معه على طريقة عادلة فلم يمكن ، فتفرقا بأدب واحسان حفظ به شرفهما ، وحسن به ذكرهما ، وعلم أنه هو الذي اساء اليها ، لالعيب في اخلاقها ولا لسوء في أعمالها بل لتعلق قلبه بغيرها ، فان هذا الفاضل الكريم يرى فيها أفضل صفات الزوجية التي يتساهل لاجلها فيما عداها ، فان كانت فتاة رغب فيها الفتيان وغيرهم ، وان كانت نصفا رغب فيها كثيرون من أمثالها في السن وشرف الادب ، وأكثر الناس رغبة في مثلها من يتزوجون لاجل المصلحة والقيام بحقوق

الزوجية ، لا لمحض ارضاء الشهوة الحيوانية ، وهم الذين يرجى أن تدوم لهم المعيشة المرضية ، كذلك كرائم النساء وأولياؤهن يرغبون في الرجل اذا علموا انه يمسك المرأة بمعروف أو يسرحها باحسان ، ولا يلجئه الى الطلاق الا الخوف من عدم إقامة حدود الله

(١٣٠ : ١٣٠) وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الارْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا
الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتٰبَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ ، وَإِنْ تَكْفُرُوا
فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الارْضِ ، وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا (١٣١
: ١٣١) وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ، وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا
(١٣٢ : ١٣٢) إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ ، وَكَانَ
اللَّهُ عَلَى ذٰلِكَ قَدِيرًا (١٣٣ : ١٣٣) مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ
ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا

اقتضت حكمة الله في ترتيب كتابه ان يجيء بعد تلك الاحكام العملية في شؤون النساء واليتامى أو بعدها و بعد ماقبلها من الاحكام المتعلقة بأهل الكتاب أيضا ان يعقب عليها بآيات في العلم الإلهي تذكر المخاطبين بتلك الاحكام بعظمته وسعة ملكه واستغنائه عن خلقه ، وقدرته على مايشاء من التصرف فيهم أو اثابتهم على طاعته فيما شرعه لهم لخيرهم ومصلحتهم ، - تذكرهم بذلك ليزدادوا بتدبرها ايمانا يحملهم على العمل بها ، والوقوف عند حدودها ، وهي هذه الآيات

﴿ ولله ما في السموات وما في الارض ﴾ ملكا وخلقا وعبيدا فبأمره وحده قام نظام الاكوان، وله وحده التدبير والتكليف الذي ينتظم به أمر الانسان ﴿ ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله ﴾ في اقامة سننه ، واقامة دينه وشريعته ، فبإقامة السنن تعلو معارفكم الإلهية ، وترتقي مرافقكم

الدنيوية ، وبإقامة الاحكام والآداب الدينية ، تتزكى أنفسكم وتنتظم مصالحكم المدنية والاجتماعية ، ﴿ وان تكفروا ﴾ نعمه عليكم وتتركوا تقواه في ذلك ﴿ فان لله ما في السموات والارض ﴾ لا ينقص كفركم من ملكه شيئا وانما ضرره عليكم ، كما أن منفعة الشكر خاصة بكم ﴿ وكان الله غنيا حميدا ﴾ غنيا عن كل شيء بذاته لذاته ، ولان كل شيء له ومنه ، محمودا بذاته لذاته وكمال صفاته ، محمودا على جميع أفعاله ، لانه أحسن كل شيء خلقه ، فهو لا يحتاج الى شكركم لتكميل نفسه ، ولا الى حمدكم لتحقيق حمده ، « وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم » وفي الحديث القدسي المروي عن النبي صلى الله عليه وسلم عن ربه عز وجل « ياعبادي ! انكم لم تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني ، ياعبادي ! لو أن اولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم مازاد ذلك في ملكي شيئا ، ياعبادي ! لو ان اولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم مانقص ذلك من ملكي شيئا ، ياعبادي ! لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل واحد مسألته ما نقص ذلك مما عندي الا كما ينقص المخيط اذا أدخل البحر ، ياعبادي ! انما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه » رواه مسلم وهو آخر حديث طويل اكتفينا منه بمحل الشاهد في موضوعنا

﴿ ولله ما في السموات والارض وكفى بالله وكيلا ﴾ اعاد تذكيرهم بكونه مالك السموات والارض اي العوالم كلها ليتمثلوا عظمته ، ويستحضروا الدليل على غناه وحده ، فيعلموا انه اذا كان قد توكل باغناء كل من الزوجين اذا اقاما حدوده في تفرقهما فانه قادر على ذلك كما انه قادر على انجاز كل ما وعد واوعد به ، فيجب ان يكتفوا به في التوكل لهم ، ويستعمل الوكيل بمعنى المهيمن والمسيطر والرقيب

﴿ إن يشأ يذهبكم أيها الناس ﴾ اذا علمتم ايها الناس ان لله ما في السموات وما في الارض يتصرف فيه كيف شاء فاعلموا انه إن يشأ أن يذهبكم بعذاب

ينزله بكم أو أمة قوية يسلطها عليكم فتسلب استقلالكم حتى تجعلكم عبيدا اوكالعبيد لها لا تستطيعون ان تقوموا بمصالحكم ومنافعكم التي بها وحدتكم فانه يذهبكم ﴿ ويأت بآخرين ﴾ يحلون محلكم في الوجود او الحكم والتصرف . وقال في سورة أخرى « ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد ، وما ذلك على الله بعزيز » وفي سورة أخرى « وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ، ثم لا يكونوا امثالكم » قيل ان الآية من قبيل هاتين الآيتين في تهديد المشركين الذين كانوا يؤذون النبي (ص) ويقاومون دعوته . والظاهر أنها تنبيه للناس وتوجيه لافكارهم الى التأمل في سننه تعالى بحياة الأمم وموتها وكون هذه السنن إذا تعلقت بها المشيئة لا مرد لها

﴿ وكان الله على ذلك قديرا ﴾ لان بيده ملكوت كل شيء

﴿ من كان يريد ﴾ منكم بسعيه وكدحه وجهاده في حياته ﴿ ثواب الدنيا ﴾ ونعيمها بالمال والجاه ﴿ فعند الله ثواب الدنيا والآخرة ﴾ جميعا وقد وهبكم من القوى والجوارح وهداية الحواس والعقل والوجدان والدين ما يمكنكم به نيل ذلك فعليكم ان تطلبوا الثوابين جميعا ولا تكتفوا بالادنى الفاني عن الاعلى الباقي والجمع بينهما ميسور لكم ، ومما تناله قدرتكم ، فمن سفه النفس ، وأفن الرأي ان ترغبوا عنه . والآية تدل على أن الاسلام يهدي أهله الى سعادة الدارين ، وان يتذكروا ان كلا من ثواب الدنيا وثواب الآخرة من فضل الله ورحمته ، وقد سبق بيان هذا في تفسير « ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار »

﴿ وكان الله سميعا بصيرا ﴾ سميعا لاقوال العباد في مخاطباتهم ومناجاتهم ، بصيرا بجميع أمورهم في جميع حالاتهم ، فيجب عليهم ان يراقبوه في اقوالهم وأفعالهم ، فذلك الذي يعينهم على تزكية نفوسهم ، والوقوف عن حدود العدل والفضيلة التي يستقيم بها أمر دنياهم ، ويستعدون به للحياة الابدية في آخرتهم ،

نقد تاريخ التمدن الاسلامي

﴿ بقلم الشيخ شبلي النعماني ﴾

٥

وذكر المؤلف عقيب ذلك وهب بن منبه وانه قرأ من كتب الله ٧٢ كتابا ثم قال « فكان للعرب ثقة كبرى فيه » وقال بعد ذلك « فكانت كتب التفسير في القرون الاولى محشوة بالاخبار وفيها الغث والسمين مما نقل اليها من الاديان الاخرى »

فانظر كيف يناقض المؤلف نفسه ! فقال:

« فنشأ في اعتقادهم انه لاينبغي ان يسود غير العرب ولا يتلى غير القرآن – فرسخ في الاذهان انه لاينبغي ان ينظر في كتاب غير القرآن – فتوطدت العزائم على الاكتفاء به (أي القرآن) عن كل كتاب سواه ومحو ما كان قبله من كتب العلم »

ويقول الآن : ان كتب التفسير في القرون الاولى محشوة بالاخبار ....، مما نقل اليها من الاديان الاخرى وانه كان للعرب ثقة كبرى في وهب بن منبه وان كتب التفسير امتلأت من منقولات أهل الكتاب » فلو كان أهل القرون الاول يبغضون ماسوى القرآن ويمحون ما كان قبله من العلم كما يدعيه المؤلف فمن روى الاسرائيليات واقاصيص التلمود والتوراة وحشاها في التفسير ؟ ولما كانت المسألة موضع زيادة تفصيل نزيدك توضيحا وتفصيلا

كان لعدة من الصحابة وكبراء التابعين عناية كبرى بالتوراة وغيرها من الكتب السماوية فمنهم ابو هريرة الذي كان ملازما للنبي عليه السلام منقطعا الى الرواية – لم يدانه احد في كثرة الرواية – كان مشغوفا بقراءة التوراة ودرسها، قال العلامة الذهبي في طبقات الحفاظ في ترجمته « عن ابي رافع عن ابي هريرة انه لقي كعبا – وهو حبر اليهود – فجعل يحدثه ويسأله فقال كعب : ما رأيت احدا لم يقرأ التوراة اعلم بما فيها من ابي هريرة »

ومنهم عبدالله بن عمرو بن العاص احد من هاجر قبل الفتح ، قال الذهبي في

طبقات الحفاظ « كان من ايام النبي صوّاما قواما تاليا لكتاب الله طلابة للعلم كتب عن النبي صلى الله عليه وسلم علما كثيراً وكان اصاب جملة من كتب اهل الكتاب وأدمن النظر فيها ورأى فيها عجائب ، »

ومنهم عبدالله بن سلام حليف الانصار اسلم وقت مقدم النبي وفيه ورد قوله تعالى « ومن عنده علم الكتاب » نقل الذهبي بعد ذكر فضائله وكونه عالم أهل الكتاب رواية بالاسناد يرفعه الى عبد الله بن سلام انه جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني قرأت القرآن والتوراة فقال اقرأ هذا ليلة وهذا ليلة ، فهذا ان صح ففي الرخصة في تكرير التوراة وتدبرها ،

ومنهم كعب الاحبار كان من كبار أهل الكتاب ، اسلم في زمن ابي بكر ، قال الذهبي « قدم من اليمن في دولة اميرالمؤمنين عمر فأخذ عنه الصحابة وغيرهم وأخذ هو من الكتاب والسنة عن الصحابة » فهذا كانه تصريح في ان الصحابة أخذوا عنه علم اهل الكتاب ،

ومنهم وهب بن منبه قال الذهبي في ترجمته « وعنده من اهل الكتاب شيء كثير فانه صرف عنايته الى ذلك ، وكان ثقة واسع العلم ينظر بكعب الاحبار في زمانه ، » وعن وهب قال: يقولون عبدالله بن سلام اعلم أهل زمانه وكعب اعلم أهل زمانه »

فهل بعد كل هذا يصح قول المؤلف ، ان الصحابة ومن يليهم كانوا يقولون انه لا ينبغي ان يقرأ كتاب غير القرآن ومحوا ما كان قبلهم من العلم ؟ عياذا بالله ،

قال المؤلف « ثانياً جاء في تاريخ مختصر الدول لابي الفرج - ثم نقل رواية الاحراق برمتها واطال في اثبات ان ابا الفرج ليس بأول من روى هذه الرواية بل ذكرها عبد اللطيف البغدادي عرضا في ذكره عمود السواري وذكرها القفطي في تاريخ الحكماء »

لا تنازع المؤلف في ان أبا الفرج مسبوق في ذكر هذه الرواية بالقفطي والبغدادي ولكن ماذا ينفعه ذلك ؟ فان البغدادي وهو أقدمهما من اهل القرن السادس للهجرة وذكر الرواية من غير اسناد ومن غير احالة على كتاب

تعود المؤلف من صباه قبول مختلقات أهل الكتاب وأوهامهم فسبب ذلك انه يزن التاريخ الاسلامي بميزان غير ميزاننا ولذلك يصغي الى كل صوت ويستمع لكل قائل لا يعرف ان هذا الفن له أصول ومباد وقواعد وما لم تكن الرواية مطابقة لهذه الاصول اليقينية لا يلتفت اليها أصلا منها ان الناقل للرواية لابد ان يكون شهد الواقعة فان لم يشهد فليبين سند الرواية ومصدرها حتى تتصل الرواية الى من شهدها بنفسه

ومنها ان يكون رجال السند معروفين بصدقهم وديانتهم ، ومنها ان لا تكون الرواية تخالف الدراية ومجاري الاحوال ، ولذلك اهتم مؤرخو الاسلام قبل كل شيء بضبط اسماء الرجال والبحث عن سيرهم وأحوالهم وديانتهم ومحلهم من الصدق فدوّنوا كتب اسماء الرجال وكابدوا في ذلك محنة يضيق عنها النطاق البشري فعملوا كتبا غير محصورة منها الكامل لابن عدي والثقاة لابن حبان وتهذيب الكمال للمزي وتهذيب التهذيب لابن حجر وطبقات الصحابة لابن سعد ولابن ما كولا وابن عبد البر ولابن الاثير ولابن حجر وتهذيب الاسماء للنووي وميزان الاعتدال للذهبي ولسان الميزان لابن حجر

ونجد كتب القدماء من مؤرخي الاسلام كلها أو أكثرها كتاريخ البخاري وسيرة ابن اسحاق وتاريخ الطبري وابن قتيبة وغيره مسلسلة الاسناد مبينة الاسماء ليمكن نقد الرواية ومعرفة جيدها من زيفها

فأول شيء يهمنا في هذا البحث ان نرى : هل ذكر القفطي والبغدادي هذه الرواية مسندة وذكرا مصدر الرواية واسماء رواتها أم لا ؟

وأنت تعلم أن البغدادي والقفطي من رجال القرن السادس والسابع فأي عبرة برواية تتعلق بالقرن الاول يذكرانها من غير سند ولا رواية ولا احالة على كتاب ؟

أما كتب القدماء الموثوق بها فليس لهذه الرواية فيها أثر ولاعين ، هذا تاريخ الطبري واليعقوبي والمعارف لابن قتيبة والاخبار الطوال للدينوري وفتوح البلدان للبلاذري والتاريخ الصغير للبخاري وثقاة ابن حبان والطبقات لابن سعد قد تصفحناها وكررنا النظر فيها ومع ان فتح الاسكندرية مذكور فيها بقضها وقضيضها فليس لحريق الخزانة فيها ذكر

وعلاوة على ذلك فان في فتح مصر كتبا مختصة بذلك مثل خطط مصر للكندي وكشف الممالك لابن شاهين وتاريخ مصر لعبد الرحمن الصوفي وتاريخ مصر لابن بركات النحوي وتاريخ مصر لمحمد بن عبد الله وغيرها مما ذكرها صاحب كشف الظنون ، والمقريزي جمع وأوعى كل ذلك ولم يترك رواية ولا خبراً يتعلق بمصر الا وذكره عند تفصيل الفتح ولم يذكر هذه الواقعة عند ذكر فتح الاسكندرية قال المؤلف

« وأما خلو كتب الفتح من ذكر هذه الحادثة فلابد له من سبب والغالب انهم

ذكروها ثم حذفت بعد نضج التمدن الاسلامي واشتغال المسلمين بالعلم ومعرفتهم قدر الكتب فاستبعدوا حدوث ذلك في عصر الخلفاء الراشدين فحذفوه أولعل لذلك سبباً آخر الخ » (الجزء الثالث صفحة ٤٤ و٤٥)

لا يستبعد مثل هذا الكلام من مثل المؤلف ! وكيف يقدر ديانة مؤرخي الاسلام وشدتهم في تحري الصدق ونزاهتهم عن التغيير والتحريف وبراءة ساحتهم عن الحذف والاسقاط ، من صارت غريزته تعمد الكذب والتحريف والخيانة والمحو والاثبات ؟

قال المؤلف « ثالثاً ورد في اماكن كثيرة من تواريخ المسلمين ، خبر احراق مكاتب فارس وغيرها على الاجمال وقد لخصها صاحب كشف الظنون » الخ (الجزء الثالث صفحة ٤٥)

انظر الى هذا الكذب الفاحش والخديعة الظاهرة فان صاحب الكشف ذكر ما ذكر من عند نفسه من غير نقل رواية ولا استناد ولا استشهاد بكتاب ولا ذكر ناقل اومؤرخ - وصاحبنا يقول : انه ورد في اماكن كثيرة من تواريخ المسلمين خبر احراق المكاتب وقد لخصها صاحب كشف الظنون ، فاين الاماكن الكثيرة واين التلخيص ؟ !

اما قول صاحب كشف الظنون فقد ورد عرضا وتطفلا وكذلك قول ابن خلدون . وامثال هذه المواقع لا تحتاج الى كبير اعتناء وزيادة احتياط ولذلك لما ذكر ابن خلدون فتح مصر والاسكندرية وهو المظنة لذكر هذه الواقعة لم يتفوه بهذه الرواية اصلا ثم ان ابن خلدون وصاحب كشف الظنون من رجال القرن الثامن وبعده فلم يذكرا من اين أخذا هذه الرواية لا يعبأ بها ولا يلتفت اليها ،

قال المؤلف « رابعاً ان احراق الكتب كان شائعاً في تلك العصور ..... كما فعل عبد الله بن طاهر بكتب فارسية » الخ (الجزء الثالث صفحة ٤٥)

ياللعجب ! عبد الله ابن طاهر من قواد المأمون ومن رجال الادب وهذا العصر يمتاز بكونه عصر العلم والمعارف وقد كانت للدولة ورجال حاشيتها وغيرهم عناية كبرى بكتب الاوائل وكانوا يستجلبون الكتب من فارس وبلاد الروم وغيرها - ونجد تفاصيل ذلك في فهرست بن النديم وطبقات الاطباء واخبار الحكماء وغيرها ، فكيف يعوّل على هذه الرواية التي ما ذكرها احد من ثقاة المؤرخين وانما استند المؤلف « براون المعلم الانكليزي » وهو نقلها من تذكرة «دولتشاه» وهو كتاب جامع

لكل غث وسمين ، ولو صح نقلها لكانت على سبيل الندرة والشذوذ ، فهل يصح قول المؤلف « ان احراق الكتب كان شائعاً في تلك العصور » ؟

قال المؤلف « خامساً ، ان اصحاب الاديان في تلك العصور كانوا يعدّون هدم المعابد القديمة واحراق كتب اصحابها من قبيل السعي في تأييد الاديان الجديدة » (ثم ذكر في تأييد ذلك عمل امبراطرة الروم واحراق كتب المنزلة) ج ٣ ص٤٦

نعم ولكن الراشدين لا يقاسون بغيرهم ، ثم ان المسألة ليست قياسية فما لم تثبت بالرواية لا ينفع مجرد القياس ،

قال المؤلف « سادساً : في تاريخ الاسلام جماعة من أئمة المسلمين احرقوا كتبهم من تلقاء انفسهم » (ثم ذكر بعض الحوادث في تأييد ذلك) ج ٣ ص ٤٦

عجباً لمثل هذا الاستدلال ! فان المرء يجوز له ان يفعل بملكه ما يشاء واي حجة في ذلك لاحراق كتب اقوام اخر ؟

ان هذه القياسات الواهية لا تغني شيئاً ولكن لو اردنا ان نستشفي في ذلك البحث بالقياس والامارات فعلينا ان ننظر ما كان صنيع الخلفاء الراشدين بآثار اهل الذمة ومعابدهم وكنائسهم وامتعتهم وخزائنهم ، ان الاصل في ذلك عهد النبي صلى الله عليه وسلم الذي كتبه لاهل نجران وقد ذكره القاضي ابو يوسف في كتاب الخراج بحروفه

« ولنجران وحاشيتها جوار الله وذمة محمد النبي رسول الله على اموالهم وانفسهم وارضهم وملتهم وغائبهم وشاهدهم وعشيرتهم وبيعهم وكل ما تحت ايديهم من قليل أو كثير ، (كتاب الخراج طبع مصر صفحة ٤١)

فكان هذا العهد هو العمدة للصحابة عضوا عليه بالنواجذ وتجد في كل عهود الخلفاء الراشدين كعهد نجران ومصر والشام والجزيرة ان هذا الاصل أي ذمة الله ورسوله على أرضهم وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير محفوظ باق على حالته الاصلية وعهد مصر هو هذا

« هذا ما أعطى عمرو بن العاص اهل مصر من الامان على انفسهم ودمهم وأموالهم وصاعهم ومدهم وعددهم »

وذكر في معجم البلدان رواية بزيادة « ان لهم أرضهم واموالهم لا يتعرضون في شيء منها » وانت تعلم ما لعمر الفاروق من العناية والشدة في وفاء العهد باهل الذمة وغيرهم ومع عهده بانهم لا يتعرضون في شيء من أموالهم وكل ما تحت ايديهم

كيف كان يتعرض لخزانة كتبهم التي هي من انفس ذخائرهم واغلاها ؟

اعلم ان مسألة احراق خزانة الاسكندرية موضوع مهم عند اهل أوربة وقد أطال البحث فيه اثباتاً ونفياً وممن ألم بهذا البحث اجمالا وتفصيلا المعلم (وايت) والمعلم (دساسي) الفرنسي في ترجمة كتاب الافادة والاعتبار و(واشنكتن ادونك)و(دربر) الاميركاني صاحب كتاب الجدال بين العلم والدين وكرجين وسيديو الفاضل الشهير الفرنسي في تاريخ الاسلام والمعلم رينان الفيلسوف الفرنسي في خطبته الاسلام والعلم و(اوتركلين)،وللمعلم(كريل) الالماني رسالة مستقلة في هذا البحث قدمها في المؤتمر الشرقي الذي انعقد سنة ١٨٢٨ م أورد فيها كل ما كتب الباحثون في هذا البحث نفياً أو اثباتاً وقد طالعت كل هذه المباحثات والمقالات وعملت رسالة في اللسان الاردي وترجمت الى الانكليزية ثم الى العربية ترجمها أحد اهل الشام وطبع شطر منها في جريدة ثمرات الفنون . ومجلة المقتبس

والحاصل ان محققي اهل أوربة قضوا بان الواقعة غير ثابتة اصلا منهم (جبين) المؤرخ الشهير الانكليزي ودربر الاميركاني وسيديو الفرنسي وكريل الالماني والمعلم رينان الفرنسي . عمدتهم في انكار ذلك امران الاول ان الواقعة ليس لها عين ولا أثر في كتب التاريخ الموثوق بها كالطبري وابن الاثير والبلاذري وغيرها مما مر ذكرها وأول من ذكرها عبد اللطيف البغدادي والقفطي وهما من رجال القرن السادس والسابع ولم يذكرا مصدراً للرواية ولا سندا ـ والثاني ان الخزانة كانت ضاعت قبل الاسلام أثبتوا ذلك بدلائل لا يمكن انكارها

قال المؤلف .

« قلنا فيما تقدم ان الخلفاء الراشدين كانوا يخافون الحضارة على العرب ـ . . . ولذلك منعوهم من تدوين الكتب ـ . . . وكان هذا الاعتقاد فاشياً في الصحابة والتابعين وتمسك به جماعة من كبارهم وكانوا اذا سئلوا تدوين علمهم ابوا واستنكفوا » الخ (الجزء الثالث صفحة ٥٠)

أطال المؤلف ونقل أقوالا عديدة في اثبات ان الخلفاء الراشدين والصحابة كانوا يمنعون الناس عن الكتابة والتأليف ونحن لا ننكر ان هذا كان مذهباً لبعض الصحابة والتابعين ولكن الذين رخصوا في ذلك وأمروا بالكتابة والتدوين اكثرهم عدداً وأرجحهم ميزاناً وأوسعهم نفوذاً وقد عقد المحدث المشهور القاضي ابن عبد البر في كتابه جامع بيان العلم (انظر صفحة ٣٦ طبع مصر) باباً في اثبات

ذلك ونحن ننقل شطراً منه قال « وعن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قيدو العلم بالكتاب وعن عبد الملك بن سفيان عن عمه انه سمع عمر بن الخطاب يقول قيدوا العلم بالكتاب وعن معن قال اخرج الى عبد الرحمن ابن عبد الله بن مسعود كتاباً وحلف لي انه خط أبيه بيده وعن أبي بكر قال سمعت الضحاك يقول اذا سمعت شيئاً فاكتبه ولو في حائط وعن سعيد بن جبير انه كان يكون مع ابن عباس فيسمع منه الحديث فيكتبه في واسطة الرحل فاذا نزل نسخه وعن ابي قلابة قال الكتاب أحب الينا من النسيان وعن أبي مليح قال يعيبون علينا الكتاب وقد قال الله «علمها عند ربي في كتاب» وعن عطاء عن عبد الله بن عمرو قلت يا رسول الله أأقيد العلم؟ قال «قيد العلم» قال عطاء قلت وما تقييد العلم؟ قال الكتاب وعن عبد العزيز بن محمد الدراوردي قال أول من دون العلم وكتبه ابن شهاب ، وعن عبد الرحمن بن ابي الزناد عن أبيه قال كنا نكتب الحلال والحرام وكان بن شهاب يكتب كل ما سمع فلما احتيج اليه علمت أنه أعلم الناس ، وعن سوادة بن حيان قال سمعت معاوية بن قرة يقول من لم يكتب العلم فلا تعدوه عالماً ،وعن محمد بن علي قال سمعت خالد بن خداش البغدادي قال ودعت مالك بن انس فقلت :يا أبا عبدالله اوصني قال : عليك بتقوى الله في السر والعلانية والنصح لكل مسلم وكتابة العلم من عند اهله، وعن الحسن أنه كان لايرى بكتاب العلم بأساً وقد كان املى التفسير فكتب وعن الاعمش قال قال الحسن ان لنا كتباً نتعاهدها وقال الخليل بن احمد : اجعل ما تكتب بيت مال وما في صدرك للنفقة، وعن هشام بن عروة عن ابيه انه احترقت كتبه يوم الحرة وكان يقول: وددت لو ان عندي كتبي باهلي ومالي، وعن سليمان بن موسى قال:يجلس الى العالم ثلاثة رجل يأخذ كل ما سمع فذلك حاطب ليل ـ ورجل لا يكتب ويستمع فذلك يقال له جليس العالم، ورجل ينتقي وهو خيرهم وهذا هو العالم ، وعن اسحاق بن منصور قال قلت لاحمد بن حنبل : من كره كتابة العلم ؟ قال كرهه قوم ورخص فيه آخرون قلت له : لو لم يكتب العلم لذهب قال: نعم لولا كتابة العلم أي شئ كنا نحن؟ قال اسحاق وسألت اسحاق بن راهويه فقال كما قال احمد سواء،وعن حاتم الفاخري ـ وكان ثقة ـ قال سمعت سفيان الثوري يقول :اني أحب ان اكتب الحديث على ثلاثة أوجه: حديث اكتبه أريد ان أتخذه ديناً، وحديث رجل اكتبه فاوقفه لا اطرحه ولا أدين به، وحديث رجل ضعيف أحب أن اعرفه ولا أعبأ به . وقال الاوزاعي : تعلم ما لا يؤخذ به كما تعلم ما يؤخذ به وعن سعد بن ابراهيم

قال: أمرنا عمر بن عبد العزيز بجمع السنن فكتبناها دفتراً دفتراً فبعث الى كل أرض له عليها سلطان دفتراً، وعن أبي زرعة قال سمعت احمد بن حنبل ويحيي بن معين يقولان: كل من لا يكتب العلم لا يؤمن عليه الغلط وعن الزهري قال كنا نكره كتاب العلم حتى اكرهنا عليه هؤلاء الامراء فرأينا ان لا نمنعه أحداً من المسلمين، وذكر المبرد قال قال الخليل بن احمد. ما سمعت شيئاً الا كتبته ولا كتبته الا حفظته ولا حفظته الا نفعني

﴿ الضغط على أهل الذمة ﴾

ادعى المؤلف ان عمر بن الخطاب كتب عهداً لنصارى الشام وذكر نصه منقولا عن سراج الملوك للطرطوشي واعترف بان فيه ضغطاً على النصارى ثم اعتذر لعمر بان نصارى الشام كانوا يميلون الى قيصر الروم وكانوا من بطانته يتجسسون له فلذلك احتيج الى الشدة بهم والتضييق عليهم

كل من له أدنى مسكة في التاريخ يعرف ان الطرطوشي ليس من رجال التاريخ وكتابه كتاب أدب وسياسة لا كتاب تاريخ وهو من رجال القرن السادس وانما المعول في هذا البحث على المصادر القديمة الموثوق بها كتاريخ الطبري والبلاذري واليعقوبي وابن الاثير وغيرها، وهذا ما كان يخفى على المؤلف ولكن لاجل هوى نفسه اعرض عن كل هذه وتشبث برواية واهية تخالف الروايات الصحيحة المذكورة باسنادها ورجالها، قال القاضي ابو يوسف وهو - مع كونه من رجال الفقه - عارف بالمغازي والسير بعد ما نقل عهد نصارى الشام وليس فيه أدنى ضغط عليهم ولا شدة بهم

« فلما رأى أهل الذمة وفاء المسلمين لهم وحسن السيرة فيهم صاروا أشداء على عدو المسلمين وعوناً للمسلمين على أعدائهم فبعث أهل كل مدينة رسلهم ممن جرى الصلح بينهم وبين المسلمين رجالا من قبلهم يتجسسون الاخبار عن الروم وعن ملكهم وما يريدون ان يصنعوا فاتى أهل كل مدينة رسلهم يخبرونهم بان الروم قد جمعوا جمعاً . فكتب أبو عبيدة الى كل وال ممن خلفه في المدن التي صالح أهلها يأمرهم أن يردوا عليهم ماجبي من الجزية والخراج. وكتب اليهم ان يقولوا لهم : انما رددنا عليكم أموالكم لانه قد بلغنا انه جمع لنا من الجموع وانكم قد اشترطتم علينا أن نمنعكم وانا لا نقدر على ذلك وقد رددنا عليكم ما أخذنا منكم . فلما قالوا ذلك لهم وردوا عليهم الاموال التي جبوها منهم قالوا : ردكم الله علينا ونصركم عليهم فلو كانوا هم

لم يردوا علينا شيئاً وأخذوا كل شيء بقي لنا حتى لا يدعوا شيئاً (كتاب الخراج طبع مصر صفحة ٨ و ٨١)

فانظر الى هذا العدل الذي عجز البشر عن اتيان مثله واعتراف أهل الذمة بذلك! والى قول المؤلف ان عمر ضغط عليهم وانما ضغط لانهم كانوا من جواسيس الروم!

﴿ تاريخ العلوم الاسلامية ﴾

اما تاريخ العلوم الاسلامية والتقريظ عليها فقد فقدنا اليوم في ملتنا من يقوم بهذا العبء فكيف برجل دخيل فينا بضاعته مزجاة قليل المعرفة من علومنا الا اسماء تلقاها من ظواهر الكتب وافواه العامة ؟ فاذا تكلم عن شيء منها خبط وخلط؟ وهاك امثلة من ذلك قال « وكان المسلمون غير العرب هناك أكثرهم الفرس وهم أهل تمدن وعلم فعمدوا الى استخدام القياس العقلي في استخراج أحكام الفقه من القرآن والحديث فخالفوا بذلك أهل المدينة لانهم كانوا شديدي التمسك بالتقليد » (الجزء الثالث ص ٧١) ظن الرجل ان استخدام القياس والرأي من متبدعات الفرس مع ان أول من سمي بهذا الاسم هو ربيعة الرأي صرح بذلك السمعاني في الانساب وهو من أول أهل المدينة وممن اخذ عنهم الامام مالك ، وان مالكا والشافعي وابا يوسف والامام احمد رضي الله عنهم كلهم يستعملون القياس مع كونهم من العرب أرومة وموطناً واداة وان الفارق بين اصحاب الرأي والحديث ليس استعمال القياس - وفصل القضية في ذلك تجده في كتاب حجة الله البالغة لشاه ولي الله الدهلوي من متأخري حكماء الاسلام - ثم قال المؤلف « فكان من جملة مساعي المنصور في تصغير أمر المدينة وفقائها وخصوصاً مالك بعد أن أفتى بخلع بيعته انه نصر فقهاء العراق القائلين بالقياس وكان كبيرهم يومئذ أباحنيفة النعمان في الكوفة فاستقدمه المنصور الى بغداد واكرمه وعزز مذهبه » الجزء الثالث ص ٧١

ظلمات بعضها فوق بعض ! ! ماكان أبو حنيفة ارفع مكانة عند المنصور من مالك فان ابا حنيفة كان هواه مع ابراهيم الخارج على المنصور وكان افتى بنصرة ابراهيم ولذلك أراد المنصور المكيدة به فاستدعاه وعرض عليه القضاء ولما لم يرض به سجنه وأمر بضربه حتى مات في السجن ، أما ماقال عن تصغير أمر الامام مالك فخالف الروايات الصحيحة الثابتة. قال القاضي ابن عبد البر في كتاب جامع العلم (صفحة ٦٧) عن محمد بن عمر قال سمعت مالك بن أنس يقول. لما حج أبو

جعفر المنصور دعاني فدخلت عليه فحدثته وسألني فاجبته فقال : اني عزمت ان آمر بكتبك هذه التي وضعتها (يعني الموطأ) فينسخ نسخاً ثم أبعث الى كل مصر من امصار المسلمين منها نسخة وآمرهم أن يعملوا بما فيها لا يتعدوها الى غيرها ويدعوا ما سوى ذلك من هـذا العلم المحدث فاني رأيت أن أصل هـذا العلم رواية أهل المدينة وعلمهم الخ

قال المؤلف « وكان ابو حنيفة لا يحب العرب ولا العربية حتى انه لم يكن يحسن الاعراب ولايبالي به» (الجزء الثالث صفحة ٧١ مستنداً بابن خلكان) نعوذ بالله من هذا الكذب الظاهر والمين الفاحش! استشهد المؤلف في هـذه الواقعة بابن خلكان والحال ان ابن خلكان ذكر في تاريخه في ترجمة أبي حنيفة بعد ذكر محاسنه ان الخطيب البغدادي اطال في مثالب أبي حنيفة ثم أنكر عليه ذلك وقال ما كان يعاب أبو حنيفة الا بقلة العربية فانه قال « ولو رماه بابا قبيس » ثم اعتذر له بنوع من العذر وليس فيه أقل شيء يومئ الى ان أبا حنيفة كان لا يحب العرب والعربية ثم ان أبا حنيفة كان ناقماً على العباسية المحامين للفرس وكان من شيعة زيد ابن الامام زين العابدين وكان تلميذا لحماد وهو تلميذ لابراهيم النخعي وكلهم عرب— ثم أصحابه الملازمون له والناشرون لفقهه والقائمون بدعوته أي أبا يوسف ومحمداً وزفر كلهم عرب ، أما لحن ابي حنيفة .فمعلوم انه عجمي وكم من الاعجام الذين هم رؤوس الادب ووجوه العربيـة كحماد الرواية وغيره كانوا يلحنون وكان هذا طبيعتهم وعزيزتهم ،

فمن كان هذا مبلغه من العلم ومحله من النظر هل يصلح لسلوك هذا الطريق الوعر والخوض في غمار هذا البحث الدقيق الذي يحتاج الى التضلع في العلوم الاسلامية والتوسع فيها مع سعة النظر ووفرة المواد واصابة الراي وشدة الفحص وافراغ الجهد وتكميل الادوات ثم أن الرجل ههنا هو الرجل الذي عهدناه قبل ذلك في سوء طويته وكامن حقده وتحامله على العرب واعتياده التحريف وتمرنه بسوء التأول وتلبيس الكلام وهاك امثلة من هذه ،

قال (تحت عنوان الفقه) «فلما انضى الامر الى بني العباس وأراد المنصور تصغير العرب واعظام أمر الفرس لانهم أنصارهم واهل دولتهم كان من جملة مساعيه في ذلك تحويل انظار المسلمين عن الحرمين فبنى بناء سماه القبة الخضراء حجاً للناس

وقطع الميرة عن الحرمين وفقيه المدينة يومئذ الامام مالك الشهير فاستفتاه أهلها في أمر المنصور فافتى لهم بخلع بيعته (الجزء الثالث صفحة ٧١)

وهذا كله كذب واختلاق والمنصور أبعد محلا وأبرأ ساحة من ان يبني بناء ارغاماً للكعبة — وقد سبق لنا الكلام فيه فاما قطع الميرة عن المدينة فلم يكن الا حجراً — على محمد وتضييقاً عليه لما قام بالخلافة وقـد صرح بذلك المقريزي (الجزء الثاني صفحة ١٤٣) فقال : وذكر البلاذري ان ابا جعفر المنصور لما ورد عليه قيام محمد ابن عبدالله قال: تكتب الساعة الى مصر أن تقطع الميرة عن أهل الحرمين — والامام مالك كان هواه مع محمد يحرض الناس على موازرته وافتى بخلع بيعة المنصور » فانظر كيف قلب المؤلف الحكاية وصرفها عن وجهها ! فخروج محمد وافتاء الامام مالك متقدمان على قطع الميرة عن المدينة وخروج محمد هو السبب في قطع الميرة والمؤلف يقول : ان قطع الميرة انما كان إرغاماً للحرمين وان الامام مالكا أفتى لذلك بخلع بيعته —

قال المؤلف بعد ما ذكر رغبة بني أمية في الشعر وتنشيطهم للناس تحت عنوان (الشعر وبنوامية) « وقد يتبادر الى الاذهان انهم كانوا يفعلون ذلك رغبة في الادب وتنشيطاً لاهله لان الشعر سجية في العرب ودولة الامويين عربية بحتة ولكن الاغلب انهم كانوا يفعلونه للاستعانة بألسنة الشعراء على مقاومة اهل البيت» الخ (الجزء الثالث صفحة ١٠٢) فانظر إلى هذا التحامل المفرط والحيف الشديد ! فانه لما لم يجد سبيلا الى انكار ما لبني أمية من الايادي في ترويج سوق الادب ورفع منار الشعر والاخذ بناصر علماء العربية واعطاء الصلات المتكاثرة للشعراء احتال لدفعه بابداء احتمال انهم كانوا مدفوعين الى ذلك سياسة ،

قال « وقد تقدم في كلامنا عن الفقه ان المنصور أخذ بناصر أصحاب الرأي والقياس واستقدم أبا حنيفة الى بغـداد ونشطه لهذه الغاية وظل الميل الى القياس متواصلا في بني العباس والاعتزال اقرب المذاهب الى اصحاب الرأي » الخ (الجزء الثالث صفحة ١٤٠) انظر الى ما بلغ به حال المؤلف في جهله بالمعارف الاسلامية حتى انه يقرن بين الاعتزال والرأي ويعدهما من جنس واحد ولم يدر المسكين ان لا رابط بينهما فان الاعتزال احد المذاهب الكلامية والرأي والقياس احد أصول

الفقه ومعظم اصحاب الرأي والقياس بل كلهم- الا الشاذ النادر منهم- كابي حنيفة ومحمد وابي يوسف وزفر وابي لولو والطحاوي والخصاف وابي بكر الرازي والدبوسي وغيرهم كانوا ناقمين على الاعتزال وكانوا يعدون المعتزلة من أهل الاهواء والضلالة

قال « فلما افضت الخلافة الى المأمون أخذ بناصر اشياعه وصرح باقوال لم يكونوا يستطيعون التصريح بها خوفاً من غضب الفقهاء وفي جملتها القول بخلق القرآن اي انه غير منزل » (الجزء الثالث صفحة ١٤١)

وهل يكون كذب اعظم من هذا؟! فان خلق القرآن او قدمه لامساس له بالتنزيل أو عدمه فان الاختلاف في: هل الكلام صفة حادثة تقوم بالله تعالى ؟ أو هو صفة قديمة ؟ فالمعتزلة قالوا بحدوثه حذرا من تعدد القدماء وأهل السنة وغيرهم قالوا بقدمه لان الحادث لا يقوم بقديم. فاما أن القرآن كلام الله تعالى منزل الى الرسول فهذا لا يختلف فيه اثنان -

قال « واما الفلسفة بحد ذاتها فقد كان اصحابها متهمين بالكفر وكان الانتساب اليها مرادفا للانتساب الى التعطيل وقد شاع ذلك في بغداد بين العامة حتى في ايام المأمون ولذلك سماه بعضهم أمير الكافرين » (الجزء الثالث صفحة ١٧٧)

استشهد المؤلف في هذا القول باليعقوبي ونحن ننقل عبارته حتى تعرف مقدار خديعة المؤلف، قال اليعقوبي «وشخص هرثمة من العراق الى مرو سنة ٢٠١ وقيل انه انصرف بغير اذن من المأمون فلما دخل على المأمون ... قال من نقرس ولا يمكنني امشي في محفة ... وكلم المأمون بكلام عليه ودخل معه يحيي بن عامر بن اسماعيل الحارثي فقال: السلام عليك يا أمير الكافرين . فأخذته السيوف في مجلس المأمون حتى قتل! فقال هرثمة : قدمت هذه المجوس على اوليائك وانصارك ؟ واتوا محمد بن صالح بن المنصور فقالوا : نحن انصار دولتكم وقد خشينا ان تذهب هذه الدولة بما حدث فيها من تدبير المجوس» (اليعقوبي صفحة ٥٤٦ و ٥٤٧) ان المأمون استوزر حسن بن سهل وكان مجوسياً أسلم فنقم العرب على المأمون وقالوا انك قدمت المجوس وقال له يحيي السلام عليك يا أمير الكافرين فهذا كله من السياسة لا مساس له بالفلسفة والاعتزال وابن هرثمة ويحيي بن عامر الحارثي من اهل الجند ما عرفا الفلسفة ولا سمعا بها ،

قال المؤلف « ولكن الاسلام كان اقرب الى اطلاق حرية الفكر والقول وخصوصاً في اوائله فلم يكن احدهم يستنكف من ابداء ما يخطر له ولو كان مخالفاً لرأي الخليفة ولذلك كثرت الفرق الاسلامية يومئذ وتعددت مذاهب اصحابها في

القراءة والتفسير والفقه وفي كل شيء حتى ذهب بعضهم الى ان سورة يوسف ليست من القرآن لانها قصة من القصص والقائلون بذلك العجاردة (الجزء الثالث صفحة ٦١)

انظر الى هذه الخديعة يمدح الاسلام بكونه أقرب الى حرية الفكر ويدس فيه ان بعض الطوائف الاسلامية كانت تنكر ان سورة يوسف من القرآن وهم العجاردة يوهم بذلك ان العجاردة فرقة من الفرق الاسلامية وان انكار بعض سور القرآن كان مذهباً من مذاهب الاسلام مع ان العجاردة وهم حماد عجرد واثنان آخران معروفين بالالحاد والزندقة والمروق من الاسلام ذكرهم ابن خلكان والشهرستاني وغيرهما ،

بشائر عيسى ومحمد (*)

﴿ في العهدين العتيق والجديد ﴾

٣

(٥) قال ميخا ٥ : ٢ (أما أنت يا بيت لحم افراتة «وأنت» صغيرة أن تكوني بين ألوف يهوذا فمنك يخرج لي الذي يكون متسلطا على إسرائيل ومخارجه منذ القديم منذ أيام الازل) والذي يفهم من هذه العبارة أن الله قضى بخروجه منذ الازل وهذا لا نزاع فيه . أما اذا كانوا يفهمون منها أن خروج المسيح كان منذ الأزل فهو خطأ لانه باعتبار ناسوته ما خرج منذ الازل باعترافهم و باعتبار لاهوته لا معنى لخروجه فان ذاته هي عين ذات الله على حسب اعتقادهم وذات الابن لم تفارق ذات الله تعالى لا أزلا ولا أبدا فانها لا تقبل الانقسام ولا التفرق فكيف إذا يفسرون هذا اللفظ (مخارجه) ؟ ولماذا أتى جمعا لا مفردا ؟ والذي يدلك على صحة تفسيرنا - أن المراد خروجه في علم الله وقضائه أزلا- قول سفر الرؤيا ١٣ : ٨ كما في الترجمة الانكليزية (في سفر حياة الخروف الذي ذبح منذ تأسيس العالم) والمراد به عندهم صلب المسيح الذي وقع في عهد بيلاطس لا منذ تأسيس العالم و إنما

*) تابع لما نشر في الجزء الخامس ص ٣٥٢

قال ذلك لانه واقع في علم الله تعالى منذ الازل كما يزعمون. وقال بولس في رسالته إلى أهل أفسس ١ : ٤ (كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم) مع أنهم ما كانوا موجودين في ذلك الوقت و إنما يريد انه اختارهم في علمه. وقال في رسالته الثانية إلى تيموثاوس ١ : ٩ (بمقتضى القصد والنعمة التي أعطيت لنا في المسيح يسوع قبل الازمنة الازلية) فكيف تعطى لمن ليسوا موجودين ؟ - اللهم إلا في علم الله فكذلك عبارة ميخا يراد بخروجه فيها خروجه في علم الله ولذلك لما نقل متى هذه العبارة في انجيله نقلها هكذا ٢ : ٦ (وانت يا بيت لحم أرض يهوذا لست الصغرى بين رؤساء يهوذا لان منك يخرج مدبر يرعى شعبي اسرائيل) فلو كان قول ميخا يفهم منه ألوهية المسيح لما تركه متى. فالمراد بجميع هذه العبارات المتقدمة أن الله تعالى قضى في علمه بوقوع هذه الاشياء منذ الازل فهي واقعة لا محالة ولا يمكن أن يتخلف شيء مما قضاه تعالى فقوله (مخارجه منذ القديم منذ ايام الازل) المراد به أن خروجه لا بد من وقوعه لانه مقضي أزلا. قال تعالى (ما أصاب من مصيبة في الارض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير) راجع أيضا قول المزمور ٤٤ : ١ (أباؤنا أخبرونا بعمل عملته في أيامهم في أيام القدم) وقول أشعياء ٦٤ : ٤ (ومنذ الازل لم يسمعوا ولم يصغوا)

ثم قال ميخا بعد هذه العبارة السابقة في حق المسيح ٤ (ويقف ويرعى بقدرة الرب بعظمة اسم الرب إلهه) وهذا نص على أن الله إلهه فكيف يكون هو إلها وهذا أيضا دليل على أن مراده من قوله (مخارجه منذ القديم منذ أيام الازل) هو ما قلناه سابقا وأننا لسنا متعسفين ويجوز أيضا أن ذلك مما حرفه اليهود في كتبهم لاجل مسيحهم المنتظر كما سبق في المقدمة فلما جاءهم كفروا به أو مما حرفه النصارى كما سيأتي في الفصل الثالث وان كان له أصل صحيح

(٦) قال في مزمور ٤٥ : ٦ (كرسيك يا الله (١) إلى دهر الدهور) ولفظ (الله)

(١) حاشية : (الله) هنا أصلها في العبرية (ألوهيم) كما قلنا بمعنى اله أو أي قوي من البشر فترجموها في هذا المزمور بلفظ (الله) وقد وردت هذه الكلمة عينها في سفر أشعياء ٩ : ٦ فترجموها بلفظ (اله) كما سبق والفرق بين لفظ (الله) بالتعريف وبين لفظ (اله) بدونه لا يخفى على لبيب

هنا في العبرية (ألوهيم) ويطلق أيضا على القوي من أفاضل البشر وقد بينا لك فيما سبق أن موسى سمي (إلها) وكذلك غيره فلا حاجة للتكرار والذي يدلك على أن المراد بهذا اللفظ ليس الاله الحقيقي قوله بعد ذلك ٧ (مسحك الله إلهك) والاله الحقيقي لا إله له على أن هذا المزمور هو قطعا في حق محمد صلى الله عليه وسلم بدليل ذكر صفات النبي صلى الله عليه وسلم فيه التي لا تنطبق على المسيح كقوله ٣ (تقلد سيفك على فخذك أيها الجبار ٥ نبلك المسنونة في قلب أعداء الملك ٩ بنات ملوك بين حظياتك ١٦ يكون بنوك نقيمهم رؤساء في كل الارض الخ الخ) والمسيح لم يكن له سيف ولا نبل ولا نساء ولا بنون ويجوز أن يكون سقط من الكاتب لفظ (عبد) قبل لفظ (الله) سهوا كما يعترفون هم في كثير من المواضع التي وقع فيها خطأ الكاتب كما ستعرف

(٧) قال داود عليه السلام مز ١١٠ : ١ قال (الرب لربي اجلس عن يميني) ولا يخفى أن لفظ الرب يطلق في اللغات التي نعرفها على السيد فكذلك هنا المعنى (قال الرب لسيدي) كما في حاشية الكتاب المقدس للبروتستنت وكما ترجمها الكاثوليك في نسخهم وهذا أمر معروف فلا حاجة لذكر شيء من شواهده هنا ولذلك قال قاموس الكتاب المقدس للدكتور (بوست) «إنها تستعمل أحيانا بمعنى سيد أو مولى دلالة على الاعتبار والاكرام»

هذا وقول اليهود ان هذا المزمور هو لداود معناه عندهم انه في حقه كما يقولون إن مزمور (٧٢) هو لسليمان ويريدون انه هو المقصود به وأنه في حقه لا أنه هو قائله أما قائل هذا المزمور (١١٠) فهو (على قول كثير منهم) أحد أتباع داود يقصد به داود نفسه وحربه مع أعدائه وانتصاره عليهم. وفي قول آخر لهم إن قائله اليعازر الدمشقي خادم ابرهيم عليه السلام (تك ١٥ : ٢) وأنه يريد به ابراهيم سيده حينما حارب الملوك الخمسة وكسرهم

وعليه فقول النصارى إن اليهود تعترف ان قائل هذا المزمور هو داود كذب عليهم. ويوجد مزامير أخرى كثيرة لا يعرف من الذي قالها ويقال إن موسى هو القائل المزمور التسعين فليست جميع المزامير لداود ولم تؤلف كلها في زمنه كما يتوهم

الجاهلون بل منها ما كتب قبله و بعده بسنين (راجع قاموس پوست م ١ ص ٥١٣-٥١٦) وللمسلمين ان يقلدوا المسيحيين ويقولوا في هذه العبارة انها في حق محمد صلى الله عليه وسلم فانها كأغلب نبوات المهدين ليست نصا في شيء معين بل هي مبهمة ويمكننا حملها عليه بأحسن مما يفعلون

فاذا تذكرنا أن محمدا أحيا دين ابراهيم وسماه أبا المسلمين وأوجب عليهم تعظيمه وأن يصلوا على نبيهم محمد كما صلى الله على ابراهيم الذي يتبعونه في ملته وإسلامه لله – اذا تذكرنا ذلك تجلى لنا مغزى قول داود فيما بعد مز ١١٠ : ٤ (أنت كاهن الى الابد على رتبة ملكي صادق) فان ملكي صادق كان أعظم ابراهيم وسقاه و باركه وأكرمه (تك ١٤ : ١٨ و ١٩) فكان حب محمد وتعظيمه لابراهيم هو كحب ملكي صادق واكرامه له ولذلك تجد المسلمين يذكرون ابراهيم دون غيره من الانبياء في كل صلاة من صلواتهم الكثيرة في كل يوم

ولا يخفى أن الكاهن عند أهل الكتاب هو الذي يرأس الحفلات الدينية الخاصة بالعبادة ولما كانت أهم عبادة للقدماء هي تقديم القرابين والضحايا كان الكهنة يساعدون الناس في تأدية هذه الفروض الدينية فيرشون دم الذبائح على المذبح ويحرقون المحرقات والقرابين وقد يذبحون لهم بعض الذبائح أيضا وان كان الذبيح في الغالب هو الشخص المقرب نفسه

وزيادة على ذلك كان الكهنة ينظرون في بعض مصالح العباد ويفسرون لهم الشريعة ويفتونهم ويقضون بينهم في بعض المسائل ويرشدونهم الى كيفية تأدية عباداتهم

فالكاهن اذاً هو عبارة عن إمام لهم في عباداتهم ورئيس لهم في دينهم ومعلم – ولما كان محمد صلى الله عليه وسلم هو رئيس المسلمين وامامهم الاعظم فكان يعلمهم الدين ويقضي بينهم وينظر في جميع مصالحهم ويرأسهم في عباداتهم ويأتمون به في جميع صلواتهم وفي حجهم ويخطب فيهم في أيام أعيادهم وجمعهم وموقفهم بعرفة ويقلدونه في ضحاياهم وذبائحهم ويقتدون به في كل شيء وهو الذي أحيا فيهم سنن ابراهيم في الحج والذبح وغيرهما وكان كما رواه داود يضحي عن نفسه وعمن لم

يضح من أمته وهم الفقراء فلهذا كله كان صلى الله عليه وسلم هو كاهنهم الاعظم وكل امام لهم غيره انما هو نائب عنه فهو امامهم في كل مكان وزمان وبمثل تعبيرهم هو كاهنهم الاعظم الى الابد فهو رئيس وكاهن ومعظم لابراهيم ومحب له كملكي صادق من كل وجه

ولا شك أن المسيح كان أقل درجة من محمد في كل تلك الوظائف الكهنوتية السابقة ولم يكن له من الشأن في قومه مثل ما لمحمد فلذا كان محمد أولى بالتشبيه بالكاهن (١) من المسيح عليه السلام

واذا لاحظنا أن صلب المسيح المزعوم لم يكن برغبته ولا بارادته كما سبق بيانه (في مقالة القرابين والضحايا) ومنزيد ذلك ايضاحا أعني انه لم يقرب نفسه باختياره . ولم يعمل أي عمل أثناء صلبه من أعمال الكهنة في القرابين كالاحراق ورش المذبح بالدم فهو لم يمتز في هذه المسألة بشيء عن محمد عليهما السلام بل هو فيها لم يكن بكاهن مطلقا بل كان نفس (القربان) ولذا تسميه كتبهم ويسمونه (الخروف المذبوح) (راجع مثلا سفر الرؤيا ٥ : ١٢) وشتان ما بين القربان نفسه و بين الكاهن ففي حادثة الصلب كان اليهود والرومانيون مقربوه أحق باسم الكاهن منه . فان قيل انهم ما كانوا يقصدون تقربه لله قلت وكذلك هو ما كان راغبا في ذلك القربان وكان يود أن يعتق منه بخلاف محمد وأصحابه فانهم كانوا يدخلون القتال وكانوا يتمنون أن يستشهدوا في سبيل الله وفي سبيل هداية الناس وانقاذهم من الضلال (راجع الفصل الثالث) وعليه فالتشبيه بالكاهن وبملكي صادق غير منطبق على المسيح تماما كانطباقه على محمد عليهما السلام

وقول داود في هذا المزمور ١١٠ : ٢ (يرسل الرب قضيب (أو صولجان) عزك من صهيون) وهي أورشليم معناه أنه يخرج الصولجان منها ويبعثه اليه في بلاده وهو كناية عن نقل الملك والوحي والنبوة من اليهود والنصارى الى محمد صلى الله

(١) الكاهن المراد به في هذا الكتاب هو المعروف عند النصارى واليهود لا كاهن العرب الذين يزعم اتصاله بالجن ويخبرهم عن المستقبل مدعيا علم الغيب

عليه وسلم وأمته التي قال فيها المسيح لليهود كما في متى ٢١ : ٤٣ (ان ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لامة تعمل أثماره)

وقول داود بعد ذلك ٥ و٦ « الرب عن يمينك يحطم في يوم زجره ملوكا. يدين بين الامم . ملأ جثثا أرضا واسعة سحق رؤوسها » اشارة واضحة لحروب النبي صلى الله عليه وسلم وانتصاراته الباهرة على أعدائه وهي لا تنطبق على المسيح

فأنت ترى مما تقدم أن محمدا أولى بهذا المزمور من المسيح ولكننا نحن المسلمين ولله الحمد في غنى عن مثل هذه البراهين ولذلك لا نعبأ بها كثيرا كما تفعل النصارى لشدة احتياجهم وفقرهم اليها وانما اطلنا الكلام هنا فيها مجاراة لهم لعلهم يرشدون

(٨) قال أرميا ٢٣ : ٥ (ها أيام تأتي يقول الرب وأقيم لداود غصن بر فيملك ملك وينجح ويجري حقا وعدلا في الأرض ٦ في أيامه يخلص يهوذا ويسكن اسرائيل آمنا وهذا هو اسمه الذي يدعونه به « الرب برنا ٧ لذلك ها أيام تأتي يقول الرب ولا يقولون بعد حيّ هو الرب الذي أصعد بني اسرائيل من أرض مصر ٨ بل حي هو الرب الذي اصعد وأتى بنسل بيت اسرائيل من أرض الشمال ومن جميع الاراضي التي طردتهم إليها فيسكنون في أرضهم »

فالظاهر من هذه العبارة أن المراد بها نحميا كما سبق بيانه وهو الذي كان أعظم من حكم أورشليم بعد السبي بل هو الوالي الوحيد من بيت داود بعد تمام عمارتها الذي كان في عصره بنائه لسورها وفي أيامه رجع إليها جمهور المسبيين من بابل وسكنوا في أرضهم ومعنى اسمه (نحميا) (من يعزيه الله) وكان أيضا يسمى (الرئيس) فكلمتا (الرئيس نحميا) تقرب من كلمتي (الرب - أي السيد - برنا » في المعنى فكأنه قال (السيد الذي به تعزيتنا وصلاحنا) وعدم انطباق هذه العبارة على المسيح عيسي عليه السلام ظاهر فيها من أولها إلى آخرها إذ لم يأت في زمنه بنو اسرائيل من بابل إلى أرضهم وعلى فرض أنه هو المراد بها فليس في هذا الاسم شيء يدل على ألوهيته فاذا كان معناه (هو الرب وهو برنا) أي (هو السيد وهو برنا) فالأمر ظاهر . وإن كان المعنى أنه يسمى بهذه الجملة

(الرب برنا) فمن سمي بالجمل الآتية لم يكن إلها فمن باب أولى من سمي بهذه. فمن بني اسرائيل من سمي (يهو صاداق) أي (الله يبرر) يوئيل (يهوه الله) أليهو (الله هو أي يهوه) يواخ (يهوه أخ) ياهو (هو يهوه) أليشع (الله خلاص) يشوع (الله يعين) يازيز (من يحركه يهوه) (يهوه شمه) وهو اسم أورشليم ومعناه (يهوه هناك) ويهوه هو اسم الله بالعبرية والاسمان الاخيران أدل على الحلول الالهي من اسم عمانوئيل السابق الذي معناه(الله معنا)

وهذه هي طريقة اليهود في كثير من اسمائهم كما تقدم (١) ويشوع بمعنى (الله يعين) هي (عين يسوع) اليونانية (وعيسى) العربية وهو اسم لكثير من اليهود قبل المسيح و بعده كما قلنا فهو ليس خاصا به ولم يكن من سمى به إلها ولا مخلصا بموته من الآثام على أننا لا ننكر أن المسيح عليه السلام كان (منقذا من الضلالة) (منجيا من الغواية) (مخلصنا من الشيطان)(مرشدا للهداية ولعبادة الرحمن)

هذا وقد قال أرميا أيضا في الاصحاح الثالث والثلاثين في حق أورشليم ما يأتي ١٦(في تلك الايام يخلص يهوذا وتسكن أورشليم آمنة وهذا ما تسمى به (الرب برنا) فهنا أيضا سمى أرمياء أورشليم (الرب برنا) فعلى قول النصارى تكون إلهة !! ان أمر النصارى والله لعجيب!!

---

(١) حاشية : يحتمل أن الاصل العبري لعبارة أشعياء المذكورة في صفحة ٤٤ أن المولود يسمى بهذه الجملة (الله قدير) كما سمي بمثلها غيره هنا والتشابه بين هذا الاسم (الله قدير) وبين اسم (حزقيا) ومعناه (قوة الله) لا يخفى على بصير وهذا مما يؤيد تفسير اليهود لهذه العبارة ولعل النصارى حرفت الترجمة أو حصل تحريف في الاصل العبري من الكاتب سهوا أو قصدا (راجع الفصل الثالث من هذا الكتاب) وقول أشعياء في آخر نبوءته هذه ٩ : ٧ (من الآن الى الابد) يشعر بأن هذا الامر قريب الحصول وأنه يقع في زمن أشعياء نفسه وقد كان ذلك فقد ولد (حزقيا) لآحاز ملك يهوذا في مدة أشعياء النبي وبشر أشعياء حزقيا أيضاً باطالة الله تعالى لعمره (١٥) سنة كما في (٢ مل ٢٠ : ٥ و ٦) وانما لم يبق الملك الى الابد في نسله كما أنبأ أشعياء لعصيان اليهود وخروجهم عن طاعة الله تعالى وكفرهم وعبادتهم الاصنام (راجع اصحاح ٢١ و ٢٣ و ٢٤ و ٢٥ من سفر الملوك الثاني) وقد بينا ذلك في صفحة ٤٦ من هذا الكتاب (راجع أيضا سفر أخبار الايام الثاني ٧ : ١٨ — ٢٢)

فأي شيء من هذه الاسماء يدل على الالوهية تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا

(٩) قال دانيال ٧ : ١٣ (كنت أرى في رؤيا الليل واذا مع سحاب السماء مثل ابن انسان أتى وجاء الى القديم الايام فقربوه قدامه ١٤ فأعطي سلطانا ومجدا وملكوتا لتتعبد له كل الشعوب والامم والالسنة . سلطانه سلطان أبدي مالن يزول وملكوته مالاينقرض) فهذه البشارة لايوجد فيها شيء يدل على أنها خاصة بالمسيح عليه السلام أما قوله فيها (ابن الانسان) فيكل الناس أبناء الانسان راجع مثلا الترجمة الانكليزية لسفر أشعيا (٥٢ : ١٤) وكذلك حزقيال سمي فيها (ابن الانسان) في كثير من المواضع من كتابه وسمي في الترجمة العربية (ابن آدم) وكذلك قال أيوب ٢٥ : ٦ (فكم بالحري الانسان الرمة وابن آدم الدود وفي الانكليزية وابن الانسان) وفي المزمور الثامن : ٤ (فمن هو الانسان حتى تذكره وابن آدم « الانسان » حتى تفتقده) . وفي سفر العدد ٢٣ : ١٩ (ليس الله انسانا فيكذب ولا ابن انسان فيندم) وقال أشعيا ١٢:٥١ (أنا أنا هو معزيكم . من أنت حتى تخافي من انسان يموت ومن ابن الانسان الذي يجعل كالعشب) وعلى فرض أن هذا اللقب خاص بالمسيح يسوع أفلا يدل على أن المراد باختصاصه به أن الله تعالى يريد أن ينبه الناس على انه ليس إلها ولا ابن إله (بالمعنى الحقيقي) كما يزعمون ؟ ومن راجع انجيل يوحنا (اصحاح ١٠ : ٣١ - ٣٨) في محاورة المسيح مع اليهود في اطلاق لفظ (ابن الله) عليه وجد ان المسيح يعترف انه أطلق عليه لانه أولى به ممن أطلق عليهم اسم آلهة لانه رسول من الله عظيم مؤيد بالمعجزات الباهرة ومنه يفهم أن اطلاقه عليه هو من باب اطلاق اسم آلهة عليهم لا أنه حقيقة ابن الله تعالى عن ذلك وجل شأنه

ومما يدلك على بطلان قول النصارى بألوهية المسيح ما جاء في سفر أخبار الايام الثاني ٦ : ١٨ وهو قوله (لأنه هل يسكن الله حقا مع الانسان على الارض هوذا السموات وسماء السموات لاتسعك فكم بالاقل هذا البيت الذي بنيت) ثم ان قول دانيال (وجاء الى القديم الايام فقربوه قدامه فأعطي سلطانا ومجدا الخ) يدل على أن الله تعالى هو الذي أعطاه هذه الاشياء فهي ليست له

من ذاته وعليه فهو ليس إلها حقيقيا اما قوله (لتتعبد له كل الشعوب) فالمراد به لتخضع وتطيع وتنقاد قال في سفر القضاة ٣ : ١٣ (فعبد بنو اسرائيل عجلون ملك مواب ثماني عشرة سنة) أي خضعوا له . وفي سفر التكوين ٤٤ : ١٨ (ثم تقدم يهوذا وقال استمع ياسيدي . ليتكلم عبدك كلمة الى قوله ١٩ سيدي سأل عبيده) . وفي سفر القضاة ٨ : ١٤ (وكان جميع الادوميين عبيدا لداود) أي خاضعين له . وفي الترجمة الانكليزية تستعمل كلمة (عبدَ) (Serve) بمعنى (خدمَ) أيضا وجاء في سفر أرميا قوله في بختنصر ٢٧ : ٧ (فتخدمه كل الشعوب) وهي عين الكلمة المترجمة في العربية في بعض المقامات الاخرى (بتتعبد) كقول داود في سليمان ابنه مز ٧٢ : ١١ (كل الامم تتعبد له) او تخدمه والمعنى تنقاد وتخضع له . وفي القرآن الشريف (وتلك نعمة تمنها عليّ أن عبدت بني اسرائيل) أي استعبدتهم . أما قوله (ان سلطانه سلطان أبدي مالن يزول وملكوته مالاينقرض) فالمسلمون يسلمون ذلك ويقولون ان عظمة المسيح عليه السلام وسلطانه على النفوس والقلوب لن يزول أبدا ولذلك قال تعالى في القرآن الشريف (وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة) كما تقدم فاتباع المسيح من النصارى أو اتباعه الحقيقيين من المسلمين هم فوق الذين كفروا به (وهم اليهود) إلى يوم القيامة (*)

(*) استدراك : فاتنا أن نذكر وجها آخر لتفسير عبارة دانيال في صفحة ٢٤ من هذا الكتاب وهي قوله ٩ : ٢٦ (وبعد اثنين وستين اسبوعا يقطع المسيح وليس له) فقوله يقطع أصله العبري ينقطع وقد ورد مثله في سفر أرمياء (راجع أصحاح ٣٣ منه عدد ١٧ و ١٨) والمراد بذلك أنه بعد ٦٢ سنة بموت نحميا وبموته ينقطع جلوس أحد من بيت داود على كرسيه ويزول الملك من نسله فلا يكون منه مسيح على اليهود (انظر أيضا مزمور ٨٩) وقد كان ذلك . فلم يتول عليهم أحد من نسل داود بعد (نحميا) فانقطع مسيحهم

ولم يكن زوال ملكهم لذنب فعله نحميا البار بل لما أتاه قومه ويأتونه من المنكرات والذنوب والآثام (راجع مثلا نح ١٣) فهي التي انقطع بسببها جلوس ابن لداود مسيحا عليهم وبحث كل أثر من آثار ملكهم ولذلك قال دانيال (يقطع المسيح (أو ينقطع)وليس له) أي ان انقطاع مسيحهم وانقراض ملكهم ليس لاجل فعل (نحميا) نفسه بل بسبب أفعالهم السيئة ومعاصيهم ونقضهم لعهد الله كل حين وآخر كما قال أرميا ٣٣ : ٢٠ و ٢١ (ان نقضتم عهدي......فان عهدي أيضا مع داود عبدي ينقض فلا يكون له ابن مالكا على كرسيه) ولولا ذلك لوجد لنحميا أو غيره نسل يملكهم ولبقي فيهم كرسي داود الى الابد

هذا اذا سلم أن هذه البشارة هي في حق المسيح والصواب أنها في حق محمد صلى الله عليه وسلم كما يدل عليه كل هذا الاصحاح السابع من سفر دانيال (راجع كتاب فتح الملك العلام في بشائر دين الاسلام) ومحمد صلى الله عليه وسلم بشر مثلنا فلذلك سماه (ابن انسان) وليست هذه العبارة خاصة بالمسيح كما تقدم ولذلك قال القرآن له (قل إنما انا بشر مثلكم) وبتعبير كتبهم انسان أو ابن انسان مثلهم وفي قوله (في رؤيا الليل ومع سحاب السماء) إشارة صريحة إلى معراجه الروحاني (فانه كان في رؤيا الليل) (١) وقد أوتي فيه سلطانا ومجدا وشرعا وملكوتا تتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة . وسلطانه أبدي لا يزول ولو كره الكافرون صلى الله عليه وسلم

(١٠) قال ملاخي في كتابه عن الله ٤ : ٥ (ها أنذا أرسل إليكم ايليا النبي قبل مجيء يوم الرب اليوم العظيم والمخوف) والمراد بيوم الرب يوم القيامة فانه هو اليوم العظيم المخيف وأما يوم المسيح فلم يكن كذلك ولم يخف منه أحد بل أخذ على قولهم وقتل وصلب . واذا سلم جدلا أن المراد به يوم المسيح فلفظ الرب كما قلنا يطلق على السيد

على أن إيليا لم يأت للآن وأما يوحنا الذي يقولون إنه جاء بروح إيليا (أي على طريقته ومثاله) (لوقا ١ : ١٧) فهو ليس إيليا الحقيقي كما قال هو عن نفسه (يو ١ : ٢١) والظاهر من عبارة ميخا أنه يريد مجيء إيليا الحقيقي قبل يوم القيامة . فلننتظر ! !

هذا كل ما يستشهدون به على ألوهية المسيح من العهد القديم وقد أريناك ما فيه وقبل ترك هذا الموضوع نسأل النصارى :—

لماذا لم يشرح المسيح ولا تلاميذه في الاناجيل عقائدكم شرحا مفصلا وافيا كما تفعلون أنتم في كتبكم الآن ؟ وما هذا التدرج في نشوءها الذي نراه فيها في العهد الجديد كما سبقت الاشارة إليه وإذا كان المسيح عليه السلام باعتبار ناسوته بشرا مثلكم وكان يعبد الله كثيرا ويصوم له طويلا ويدعوه

(١) حاشية : في اعتقادنا أن المعراج كان روحانيا لا جسدانيا

ليلا ونهارا فلماذا تعبدون ناسوته مع لاهوته (١) وما الفرق بينكم وبين من عبد غير الله وعبدَ عِباد الله أو الاصنام أو الالهة الباطلة المنهى عن عبادتها في كتبكم من أولها إلى آخرها ؟ وإذا كانت ذات الآب (أو جوهره كما تعبرون) لم تحل في المسيح ولم تتحد به فكيف حل الابن مع أن ذاته هي عين ذات الله التي لا تقبل التفرق ولا الانقسام ؟ ولماذا قام جسد المسيح من الاموات ؟ ولماذا لم ير نفسه المكابرين من اليهود وغيرهم ؟ وأين هو الآن وماذا يفعل ؟ وهل وجود جسده الآن ضروري للعالم أو غير ضروري فان كان ضروريا فما فائدته ولِمَ لَمْ يكن ضروريا منذ الازل. وإن كان غير ضروري فلماذا أقامه الله من الأموات وما حكمة ذلك وهو لم يره إلا المؤمنون به من قبل كما يدعون (٢) ؟؟ وهل يبقى لاهوت الابن متحدا به إلى الأبد أم

(١) هذا الكلام موجه للبروتستنت والكاثوليك الذين يعتقدون انه انسان كامل واله كامل ومع ذلك يعبدونه كله لا نصفه

(٢) حاشية : جاء في انجيل متي ١٢ : ٣٨ ـ ٤٠ ان اليهود طلبوا من المسيح عليه السلام معجزة (فأجاب وقال لهم جيل شرير وفاسق يطلب آية ولا تعطى له آية الا آية يونان النبي لانه كما كان يونان في بطن الارض ثلاثة أيام وثلاث ليال هكذا يكون ابن الانسان في قلب الارض ثلاثة ايام وثلاث ليال) وجاء ايضاً في هذا الانجيل ١٦ : ١ ـ ٤ ان الفريسيين والصدوقيين جاءوا اليه ليجربوه وطلبوا منه آية فأجاب (جيل شرير فاسق يلتمس آية ولا تعطى له آية الا آية يونان النبي ثم تركهم ومضى) فبقطع النظر عن كون المسيح لم يمكث في بطن الارض كل هذه المدة المذكورة هنا بل مكث يوما وليلتين فقط نجد أن المسيح لم يظهر لهؤلاء الناس الذين طلبوا منه آية مع انه أخبرهم انهم لن يروا منه سوى هذه المعجزة وحيث انهم لم يروها ولم يعطوا غيرها كما قال لهم فيستفاد من هذه العبارة أن المسيح ما أتي بمعجزة ما كما هو ظاهر من قوله هذا فلولا أن القرآن شهد بمعجزاته لجاز للانسان أن يقول ان المسيح باعترافه لم يأت بالمعجزات ولا اظهر واحدة منها لخصومه فجميع ما ينسبه اليه تلاميذه في الاناجيل بعد ذلك من الآيات هو كذب في كذب

على أن ظهور هذه الآيات ليست بحسب كتبهم دليلا على صحة النبوة لانها قد تظهر على أيدي الكذابين والدجالين . جاء في سفر التثنية ١٣ : ١ ـ ٥ أنه اذا ادعى شخص النبوة ودعا لعبادة غير الله وأظهر معجزة أو آية فهو مع ذلك كاذب ويجب قتله . وقال المسيح كما في انجيل متى ٧ : ٢٢ (كثيرون سيقولون لي في ذلك اليوم يارب يارب أليس باسمك تنبأنا وباسمك أخرجنا شياطين وباسمك صنعنا قوات كثيرة ٢٣ فحينئذ أصرح لهم اني لم أعرفكم قط . اذهبوا عني يا فاعلي الاثم) وقال أيضاً كما في متى ٢٤ : ٢٤ (لانه سيقوم مسحاء كذبة وأنبياء كذبة ويعطون آيات عظيمة وعجائب حتى يضلوا لو أمكن المختارين أيضا) =

يفارقه ؟ فان كان باقيا فيه إلى الابد فلماذا ذلك ؟ وإن فارقه فاين يذهب (الانسان الكامل) وهل تعبدونه بعد ذلك أم ماذا ؟ وما الداعي إلى هذا كله ألاجل آدم وبنيه يبقى رب العالمين مقيدا في هذا الجسد إلى أبد الآبدين !! مع أن الارض وماعليها ليست الاذرة من ذرات هذا الكون العظيم الكبير (وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون) (ياإهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل . لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم (١) ذلك بما عصوا

= ومما سبق يتبين لك الامور الاتية :ـ

(١) ان المسيح باعترافه لم يأت الا بآية واحدة لم يرها أحد ممن وعدهم بها فكانه لم يظهر للناس أي معجزة كانت

(٢) لولا القرآن لما صدقنا جميع ما روي عنه من الايات والمعجزات ولقلنا انها أكاذيب واختراعات كما يقولون هم فيما يرويه المسلمون من المعجزات لنبيهم

(٣) ان المعجزات كثيرا ما تظهر على أيدي الانبياء الكذبة والدجالين لاضلال الناس كما هو نص التوراة والانجيل

(٤) لو صح قول النصارى لكان عيسى داعياً لعبادة نفسه وكل من دعى لعبادة غيرالله فهو كنص التوراة كاذب ويجب قتله ولو أتى بالمعجزات والايات فمابالك اذا اعترف أنه لم يأت بها

(٥) ان كثيرين سيقومون بعد المسيح ويتنبأون باسمه ويصنعون عجائب وآيات كثيرة ومعجزات باسمه أيضا ومع ذلك هم كما قال عليه السلام كذبة دجالون ملعونون فكيف بعد ذلك يمكننا الايمان بتلاميذه وبصدق بولس؟

فيا أيها المبشرون أنتم تدعون المسلمين لترك دينهم وكتابهم والكفر بربهم ونبيهم فهل بعد ذلك أعددتم لهم براهين لاقناعهم بصدق مسيحكم فضلا عن صحة ألوهيته ؟ فاذا كذب المسلمون القرآن فبأي شيء تقنعونهم بصدق المسيح وبصدق تلاميذه ؟ وهم يروون عن نبيهم وعن اوليائهم أضعاف ما تروون من المعجزات للمسيح وللتلاميذ « الرسل » !! على أن المسيح اعترف بانه لم يأت بالمعجزات واذا سلم أنه أتى بها فهي ليست دليلا على الصدق كما قال. ومن ادعى الالوهية وجب قتله كنص التوراة ولو أتى المعجزات فبماذا اذن تقنعون المسلمين اذا هم رفضوا دينهم كما ترجون ؟ أبنبوات العهد القديم وقد أظهرنا لكم بطلانها وأنها ليست نصا في المسيح دون غيره وبماذا تثبتون لهم صحة هذه الكتب وصدق انبيائها بعد ما علموا أن المعجزات والنبوات ليست دليلا على صحة النبوة وكثيرا ما تخترع للناس وتنسب اليهم كذبا فاتقوا الله أيها النصارى في عقولكم وفي دينكم فانكم بمحاربتكم الاسلام تحاربون دينكم أيضا فانتم ساعون الى حتفكم بظلفكم وذلك جزاء الظالمين

«١» راجع مثلا انجيل متى ٧ : ٢٢ و ٢٣

وكانوا يعتدون) (يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون)

﴿ تذييل لهذا الفصل ﴾

يحتج النصارى على المسلمين بقوله تعالى « وأيدناه (أي المسيح) بروح القدس » زاعمين أنها تدل على ألوهيته ونقول قد قال القرآن أيضا في حق محمد صلى الله عليه وسلم ما يقرب من ذلك وهو قوله تعالى (قل نزله روح القدس من ربك بالحق) وقوله (نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين) بل قال أيضا في حق المؤمنين جميعا (وأيدهم بروح منه) وهو (إذاصح قول النصارى) أدل على الألوهية من قوله (وأيدناه بروح القدس) فانه لم يقل إن روح القدس هذه هي من الله

أما قول القرآن هذا فقد ورد مثله في العهد الجديد فقال إن الروح نزلت على المسيح كالحمامة واستقرت عليه (يو ١ : ٣٢) وقال إن ملكا نزل من السماء ليقويه (لو ٢٢ : ٤٣) وأن الروح القدس نزل على التلميذ بعده (أع ٢ : ٣ و ٤)

فاذا كان المسيح عليه السلام إلها كاملا وإنسانا كاملا كما يقولون وأقنوم الابن متحدا به وهو الله عندهم فأي حاجة بعد ذلك لنزول روح القدس عليه ولماذا لم يقم الروح بوظيفته فيه بدون حلول كما كان يقوم بها في الاب بعد حلوله في الابن واذا كان أقنوم الابن واقنوم روح القدوس متحدين به ولم يكفيا لتقويته فهل الملك الذي نزل عليه (لو ٢٢ : ٤٣) كان أقوى من هذين الاقنومين الالهين المتحدين به ؟ والا فما معنى قول لوقا ان الملك نزل عليه لتقويته؟ وهل بعد ذلك يكون المسيح الها وهو محتاج لتقوية هذا الملك ؟ وهل لا يدل ذلك على أن كلا الابن وروح القدس ليسا أقنومين الهين ولذلك احتاج ناسوت المسيح مع وجودهما فيه لنزول هذا الملك عليهما مقويا له ؟ أم يقولون ان هذا الملك كان أقوى من الله تعالى ولذلك نجح في تقوية المسيح دون الاقنومين الالهين اللذين احتاجا اليه

لتقويته معهم ؟ انى والله لا أفهم ولا يمكن لعقلي الضعيف أن يدرك هذه الاقوال المتناقضة المتضاربة ! !

وبما تقدم يتبين لك أيها المسلم حكمة قول القرآن الشريف (وأيدناه بروح القدس) لينبه النصارى الى هذه المسألة وهي مذكورة في كتبهم كما بينا .

فكأنه يقول (إنكم تسلمون أنه مؤيد بروح القدس كما في كتبكم فكيف بعد ذلك تقولون إنه إلـه أو إبن الله مع اعترافكم أن الروح القدس نزلت عليه فهل أقنوم الابن الذي فيه من قبل لم يكن كافيا ؟ وإذا كان المسيح إلـها بوجود هذين الاقنومين الالـهيين فيه فكيف بعد ذلك يحتاج لتقوية الملك ؟ فهل الله يحتاج لتقوية عبيده له ؟ وإذا كان ناسوته محتاجا فهل لم يكفه وجود الاقنومين الالـهيين المتحدين به ؟ وإذا كان وجود روح القدس فيه يدل على أنه إلـه فلماذا لم تصر الحواريون أيضا آلهة وهم ممتلؤن منه (أع ٢ : ٤) ؟ وإذا كان حلول الله أو أحد أقانيمه في الناس لايجعلهم آلهة فلماذا صار المسيح إلها لحلوله فيه ولماذا يعبد ناسوته مع لاهوته ولا تعبد أيضا تلاميذه الممتلؤن من روح الله ؟ الحق أن كل محتاج لايكون إلها فلا الابن إله لانه احتاج لروح القدس ولا الروح إله لانه احتاج للملك ليستعين به على تقوية المسيح فالكل ليسوا آلهة) وعليه فقول القرآن الشريف هذا مبطل لقول النصارى من أوله الى آخره ولذلك تكررت هذه العبارة فيه في حق عيسى عليه السلام ولم تذكر بهذا اللفظ في حق غيره من الانبياء عليهم السلام (١)

«١» حاشية : ـ يحار بعض الناس لعدم ذكر القرآن أسماء الانبياء فيه مرتبة بحسب ازمنتهم أو درجاتهم أو منازلهم عند الله كما في سورة النساء المدنية « ٤ : ١٦٣ و ١٦٤ » وكما في سورة الانعام المكية « ٦ : ٨٤ ـ ٨٦ »

والسبب في ذلك والله أعلم أن القرآن جاء للقضاء على خصلة سيئة في البشر وهي أنهم كثيرا ما يتشاجرون ويتغاضبون للخلاف في بعض مسائل تافهة وأشياء صغيرة ما كان يليق بالعقلاء أن تكون سببا للنزاع بينهم لانها ليست من جوهر الامور بل من عرضها

فمن هذه المسائل تفضيل بعض النبيين على بعض والتنازع في ذلك لدرجة أخرجت الدين عن المراد منه فبعد ان كان الدين يراد به التوفيق بين الناس صار اعظم سبب للتفريق بينهم فمن الناس من يظن ان السبق في الزمن أو التأخر فيه أو كثرة المعجزات أو كثرة الاتباع أو سعة =

ولتعلم النصارى أن روح القدس المذكور في القرآن المراد به الملك جبريل كما يفهم من مجموع هذه الآيات (من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك) الآية وقوله (نزل به الروح الامين على قلبك) وقوله (قل نزله روح القدس من ربك بالحق) ومعنى روح القدس الروح الطاهرة وهو جبريل ملك الوحي والالهام الإلـهي (انظر دا ٨ : ١٦ و٩ : ٢١ ولو ١ : ١٩ و ٢٦) وهو عبد من عبيد الله الواحد الاحد تعالى الله عما يشركون

أما قول النصارى ان روح القدس هي الاقنوم الثالث أو هي الله وأنها تشكلت بصورة حمامة (متى ٣ : ١٦) فلا أدري كيف يتفق ذلك مع قولهم ان السموات والارض لاتحصره تعالى ولا تحيط به وأنها كلها في قبضة يده. راجع سفر أخبار الايام الثاني ٦ : ١٨ وقول سفر التثنية ٤ : ١٢ (فكلمكم الرب من

= الملك اونحو ذلك سبب في اكرام بعض النبيين والحط من قدر البعض الآخر منهم والتفريق بينهم فالقرآن الذي علم المؤمنين ان يقولوا « لا نفرق بين احد منهم » لم يرد ان يذكر النبيين بحسب اي ترتيب كان مما قد يتخذه بعض ضعاف العقول سببا في تفضيل بعضهم على بعض ليرشد المسلمين بذلك الى انه لا يليق بهم ان يتنازعوا مع غيرهم او بعضهم مع بعض في مثل هذه المسائل الصغيرة والمباحث العقيمة بل يجب عليهم أن يتركوا ادانة الخلق والحكم عليهم لخالقهم مالك يوم الدين وحده فهو أعلم بقدر عباده وبضمائرهم وسرائرهم وأعمالهم ظاهرة وباطنة وسيجزي كل نفس بما كسبت وهم لايظلمون ألا ترى أن يحيي (يوحنا) الذي يظنه الناس نبيا صغيرا قال فيه عيسى انه لم تلد النساء نبيا أعظم منه (لوقا ٧ : ٢٨)

فتأدبا مع الله ومع انبيائه ورفعا لسبب من اسباب الشقاق والتباغض والتنافر بين الناس وترفعا عن سفاسف الامور نجد القرآن الشريف يذكر الانبياء بدون أي ترتيب بل اذا كرر ذكرهم قدم وأخر في أسمائهم حتى لايتهم احد من ذكرهم أي وجه لتفضيل بعضهم على بعض ولو امكن النطق بأسمائهم جميعا دفعة واحدة لفعل ذلك بدلا من ذكر بعضهم معطوفا على بعض بالواو وان كانت لاتفيد ترتيبا ولا تعقيبا فكان الغرض وضعهم جميعا في مستوى واحد بلا تفرقة بينهم

وقد جرى محمد صلى الله عليه وسلم على هذا الادب العالي الذي جاء به القرآن فنهى الناس عن تفضيل بعض الانبياء على بعض فقال كما رواه القاضي عياض في الشفاء (لاتفضلوا بين الانبياء) وروى عنه أنه قال (لاينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى)

نعم قال الله تعالى (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض) ولكن هذا شيء مما اختص بعلمه نفسه تعالى ولم يعلمنا به أو يرشدنا اليه لكي يزول من بيننا سبب من اسباب الشقاق والنزاع فان الدين جاء للتوفيق لا للتفريق بين عباد الله

وسط النار وأنتم سامعون صوت كلام ولكن لم تروا صورة بل صوتا ....
١٥ فاحتفظوا جدا لانفسكم . فانكم لم تروا صورة ما يوم كلمكم الرب ......
١٦ لئلا تفسدوا وتعملوا لانفسكم تمثالا منحوتا صورة مثال ما شبه ذكر أو أنثى
١٧ شبه بهيمة ما مما على الارض شبه طير ما ذي جناح مما يطير في السماء) الخ الخ

ومع ذلك فقد عبد النصارى صورة الحمامة وصورة الثالوث كله وصور أخرى كثيرة ولا يزالون يعبدونها الى الآن لا طائفة منهم ظهرت منذ زمن غير بعيد مستنيرة بنور الاسلام. فانظر وتعجب لميل هؤلاء الناس الى الوثنية - كما قلنا - من قديم الازمان

﴿ العالم الاسلامي اليوم ﴾ (*)

بلاد الترك العثمانية :

وضع القسيس (أناتوليكوس) تقريرا في هذا الموضوع لخص فيه أعمال وحركة التبشير في بلاد الترك العثمانية ولم يتوسع في تقريره لان هناك أسبابا سياسية وغير سياسية تمنعه من ذلك .

ومما قاله: ان الكتاب المقدس راجت نسخ ترجمته التركية رواجا حسنا وهي تباع بالالوف . وبنى على ذلك أن الاتراك الذين يحترمون القرآن احترام القروي الكاثوليكي في أواسط أوربة للانجيل يعرفون قدر مطالعة الكتاب المقدس الخ

سورية وفلسطين

تقف في طريق تبشير هذه البلاد عقبات خاصة بعضها من الحكومة والبعض الآخر ناشئ عن حالة البلاد ووقتها الحاضر ، فسورية وفلسطين مملوءتان بالمذاهب المختلفة وللدين فيهما ارتباط بالسياسة ، وأهم الوسائل التي يستخدمها المبشرون لتذليل هذه الصعوبات هي :

١ - توزيع نسخ الكتاب المقدس

(*) تابع لما نشر في الجزء الخامس ص٣٦٩ من مقالات الغارة على العالم الاسلامي

٢ - التبشير من طريق الطب - لان ذلك في مأمن من مناوأة الحكومة له، والمسلمون يلجأون بأنفسهم الى مستشفيات المبشرين وصيدلياتهم

٣ - الاعمال التهذيبية ، كالمدارس والكليات التي تقبل أبناء المسلمين - وكان في مدارس (صيدا) فقط في السنوات الاخيرة ٢٥٠ تلميذا من كل الطوائف فوصل عدد المسلمين في السنوات الثلاث الاخيرة الى ٩٨ بعد ان كانوا ٤٥ وهذه الزيادة ناشئة عن اقبال مسلمي مصر على مدارس المبشرين في سورية

٤ - الاعمال النسائية مثل زيارة المبشرات منازل المسلمين والقائهن المحاضرات الخاصة

٥ - توزيع الكتب والمؤلفات التبشيرية ، وختم صاحب التقرير آراءه بقوله :

« اننا لو سئلنا عن نتائج مجهودات مبشري المسلمين بالنصرانية في سورية وفلسطين لانجد جوابا غير القول بأن الله وحده هو المطلع على مستقبل أعمالنا بين المسلمين وعلى نتائجها ، وان الله لم يبارك داود النبي لكثرة عدد قومه

« أجل اننا لو تصفحنا الاحصائيات يتبين لنا أن عدد المسلمين الذين تنصروا وتعمدوا هو عدد غير مسر وغير مرض ، الا أن هذا العدد مهما يكن قليلا بذاته فان أهميته أعظم مما يتصور المتصورون .

« وصفوة القول أننا حصلنا على نتيجة واحدة جوهرية وهي أننا أعددنا آلات العمل ، فترجمنا الانجيل ودربنا الوطنيين على مهنة التبشير ، وأتممنا تهيئة الادوات اللازمة وهي الكنائس والمدارس والمستشفيات والجرائد والكتب ، ولم يبق علينا الا أن نستعمل هذه الادوات

الجزيرة العربية :

قال وليم جيفورد بالكراف : « متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب يمكننا حينئذ أن نرى العربي يتدرج في سبيل الحضارة التي لم يبعده عنها الا محمد وكتابه ! »

قال مؤلف كتاب (العالم الاسلامي اليوم) : وقد أدرك أهمية هذه الفكرة القسيس (يانغ) صاحب التقرير عن التبشير في جزيرة العرب فجعلها نصب عينيه

في كل الاعمال . ولكننا نتساءل عما اذا كان قد حان الوقت للعمل بها وعما تكون نتيجة التبشير حينئذ ؟

وقد سبق للقسيس زويمر (رئيس ارساليات التبشير في البحرين) أن ألف كتابا سماه (مهد الاسلام) - وسيأتي الكلام على هذا الكتاب بعد - أتى فيه على تاريخ ارساليات التبشير في جزيرة العرب وما تطمع به هذه الارساليات وأشار بوجه خاص الى ارسالية التبشير العربية وهي البنت الممتازة لكنيسة الاصلاح الاميركية . ولها فروع أربعة أقدمها عهدا (جمعية تبشير الكنيسة) التي تفرع عنها فرع آخر في فارس سنة ١٨٨٢ وقد استقلت هذه الجمعية بأعمالها باسم (جمعية التبشير العربية العثمانية) ولها في بغداد أربع إرساليات وفي الموصل ارسالية واحدة.

وفي سنة ١٨٨٥ ذهب الى عدن (ايون كيث مالكونر) وهو الابن الثالث للكونت (كنتور) فأسس هناك ارسالية تبشير اسكتلندية سماها باسمه وهي مؤلفة من طبيبين مبشرين . وتبعتها (ارسالية التبشير العربية) التي أسست سنة ١٨٨٩ وهي تابعة لكنيسة الاصلاح الاميركية فانتشرت في البصرة والبحرين ولها في البحرين خمسة مبشرين - اثنان منهم طبيبان واثنان امرأتان ولها في البصرة أربعة مبشرين أحدهم طبيب

وفي (الشيخ عثمان) ارسالية تبشير دينمركية كان سلطان (مكلا) طردها من بلاده (١) وتوجد في الجزيرة ارساليات أخرى تمدها جمعياتها بالمال والاعانات

وانتقل المؤلف بعد هذا البيان الى ذكر النفقات الجسيمة التي تتكبدها ارساليات التبشير في جزيرة العرب ومما قاله ان مرتبات المبشرين والموظفين عندهم وبائعي كتبهم تساوي ثلاثة أضعاف مرتبات أمثالهم في الهند، ومما يخفف أمر هذه النفقات أن المبشرين في بلاد العرب اتخذوا لهم مراكز تمهد لهم سبيل التوغل في داخل الجزيرة . وكل الارساليات هناك على اختلاف نزعاتها وأشكالها ومعاهدها الطبية والتهذيبية والادبية ترمي الى غاية واحدة

والمرضى يشدون الرحال من أصقاع بعيدة الى مستشفيات المبشرين في

(١) المؤيد : الشيخ عثمان اسم مكان في ثغر عدن ، والمكلا ثغر في حضرموت شرقي عدن

(الموصل) و (بغداد) و (البصرة) و (البحرين) و (الشيخ عثمان) و (عدن) وعند ما يرحل الاطباء جائبين في البلاد يبذرون في النفوس بذورا يمكن للمبشرين وبائعي الكتب ان يتعهدوها بعد ذلك وينمو غرسها

والتعليم المدرسي والتربية الاخلاقية اللذان يعنى بهما المبشرون قد أسفرا عن نتائج جمة وأثمرا ثمرات نافعة في الاطفال والمراهقين على السواء

قال القسيس زويمر : انه جمع تلامذة المسلمين مرة ووضع بين أيديهم كرة تمثل الكرة الارضية ثم حول عليها نوراً قويا وبرهن لهم بذلك على كون الامر بصيام شهر رمضان ليس آتيا من عند الله لانه يتعذر أداء هذه الفريضة في بعض البلاد (؟!)

وقال أيضا : ان المحاضرات التي يلقيها القسس المبشرون على الحاضرين من المسلمين أثناء تمثيل حوادث التوراة بالفانوس السحري والخرائط الاحصائية عن ارتقاء ممالك النصرانية وانحطاط ممالك الاسلام - كل ذلك تتمة لوسائل التعليم البروتستاني .

وقال المؤلف عن نتائج أعمال المبشرين في بلاد العرب : ان من المتعذر تعيين نتائج هذه الاعمال الخيرية ، الا أن مما يدعو الى الاغتباط والسرور أننا اقتطفنا ثمرات أعمالنا في كل منطقة من مناطق التبشير . فالاوهام تبددت وحل محلها التسامح والاهتمام الحقيقي بالتعاليم النصرانية . وفي كل سنة تباع ألوف من نسخ الكتاب المقدس وكميات وافرة من الكتب والكراسات والمجلات .

ويهتم المبشرون الآن باقامة مستشفى في الشيخ عثمان لانه بينما كان عدد المرضى الذين عرضوا أنفسهم على أطباء المبشرين يبلغ ٢٠٠٠ صاروا الآن ٤٠،٠٠٠ (١)

مملكة فارس :

أنشأ القسيس (سن كلير بسدال) تقريرا عن التبشير في فارس وهو لا يخالف عن التقارير المتعلقة بتبشير البلاد العثمانية من حيث قلة مادته

(١) المنار : تسمي العرب طبيب العوق الموجود في الشيخ عثمان « المنوي » وكذلك تسمي الداعيات النصرانيات اللاتي في عدن « المنويات »

بذلت ارساليات التبشير جهدها في بلاد فارس ونجحت في تبديد ما يعتقدونه في النصارى من أنهم مشركون بالله و يعبدون آلهة ثلاثة وهذا الاعتقاد وقر في نفوس المسلمين لما يشاهدونه في الكنائس الشرقية والكاثوليكية الا أنهم عادوا الآن فصاروا يفرقون بين الفرقتين النصرانيتين فظهر لهم أن البروتستانية خالية من الوثنية فارتاحوا لها(؟)

قال صاحب التقرير انه لما تعين سنة ١٨٩٢ سكرتيراً لجمعية تبشير الكنيسة كان الاعتقاد السائد هو أنه يستحيل أن يتنصر المسلم ويتعمد الا اذا عرض نفسه للموت . ولكن الاضطهاد قد خف الآن وصارت أبواب فارس مفتوحة للمبشرين بالانجيل أكثر من غيرها . واكتسب المبشرون محبة الناس لهم بسبب الاعمال الطبية التي تصدر عن المبشرين فتجعل الاعداء أيضا يعترفون بأن النصرانية مصدر عمل صالح .(؟)

ومهما يكن عدد المتنصرين لا يزال قليلا فان هنالك جمعيات صغيرة مسيحية اندمج فيها المتنصرون الفارسيون من نساء ورجال ، وهذه الجمعيات الصغيرة منتشرة في كل مكان وصل اليه المبشرون. وفوق ذلك فان عدداً عظيما من المسلمين ينتمي الى النصرانية سرًّا ويقال ان بينهم من لا يتأخر عن اعلان نصرانيته عند ما تنتشر حرية الاديان في فارس .

والوسائل التي يتذرع بها المبشرون هنا هي الارساليات الطبية من نساء ورجال ورحلات المبشرين والاعمال النسائية . ورجال التبشير يتحككون بالمسلمين ويحاولون الحصول على مودتهم و يستخدمون فريقا منهم في مكاتب التبشير ويدخلون معهم في المناقشات الدينية الا انهم لا يجرحون عواطفهم . والهمة مبذولة بنشر الانجيل والتوراة وسائر كتب التبشير باللغة الفارسية و بالاعتناء بتعليم الذين تنصروا ولا يزالون في دور التجربة .

وأنكر القسيس زويمر على صاحب هذا التقرير اغفاله ذكر المدارس وما لها من التأثير إذ انها أحسن ما يعول عليه المبشرون في التحكك بالمسلمين. وقد قال أحد المبشرين : المدارس هي من أحسن الوسائل لترويج أغراض المبشرين وقد كان

عدد التلاميذ في المدرسة التبشيرية في طهران قبل سنتين فقط ٤٠ الى ٥٠ فصاروا الآن ١١٥ وكلهم يتلقون التربية النصرانية بكل اتقان . وكذلك الحال في مدرسة تبريز التي يديرها هذا القسيس فقد كان فيها ٣ تلاميذ من المسلمين ثم صاروا ٥٠ ومثل ذلك مدرسة أورمية فان فيها ٥٠ طالبا وفي مدرسة البنات ٣٥ تلميذة. وفي مدرسة البنات في طهران ٢٥ تلميذة

وأنكر مبشر آخر على صاحب التقرير قوله: ان البهائيين يتقربون من التوراة اكثر من غيرهم . وزاد على ذلك انه لا يوجد من يعتبر البهائيين اسمى اخلاقا من المسلمين بل الحقيقة على عكس ذلك .

سومترا

يمتاز التقرير الذي وضعه أحد قسس الالمان عن مبشري هذه البلاد بدقته في الكلام عليهم وبيان أعمالهم بالارقام ومما قاله : ان جمعية المبشرين الالمانية نصرت مئة شخص منذ تأسست سنة ١٨٧١ الى وقت كتابة هذا التقرير . ولجمعية التبشير الهولاندية فقط أن تبشر على الساحل الشرقي من الجزيرة . والذين نصرتهم لجنة تبشير جاوة ٥٠٠ شخص منذ سنة ١٨٦٠ . وأما (جمعية ريقس الالمانية) فتفوق على تلك باتساع نطاق أعمالها لان لها ٣٦ فرعا أربعة منها لتبشير المسلمين بوجه خاص . وقد تمكنت من تنصير ٦٠٠٠ مسلم ولديها الآن ١١٥٠ مسلما في دور التجربة ولجمعية التبشير بالتوراة ـ وهي انكليزية ـ مندوبون في مناطق أعمال الارساليات الالمانية يبيعون الكتاب المقدس .

وقد تحسنت خطة هولندة مع المبشرين عما كانت عليه في اواسط القرن الماضي فصارت تشد أزر المبشرين وتساعد مدارسهم وارسالياتهم الطبية وتعد ذلك من عوامل نشر المدنية

والمبشرين هنا ثمانون كنيسة وأدخلوا بينهم من الوطنيين خمسة قسس وسبعين مبشرا هذبوهم في مدارس خاصة بهم . وارساليات التبشير تجبي من

المسيحيين في صومترا ضريبة وضعتها على الارز للاستعانة بها على التبشير وتستوفيها نقدا أو من عين المال

ويقول واضع التقرير ان ميل المسلمين الى النصرانية قد ظهر جليا وقوي تياره ويتفق في بعض الاوقات ان يتنصر العروسان المسلمان في وقت واحد .

ويتقرب المبشرون الالمان الى المسلمين بالمدارس والارساليات الطبية . وهذه الارساليات الطبية - كما يقول عنها صاحب التقرير - مثل الشوك في أجسام زعماء المسلمين الذين يساوون أنفسهم قائلين : ان الله أرسل هؤلاء الاطباء ليخدمونا . الا أن للارساليات الطبية بالرغم من ذلك تأثيرا شديدا على المسلمين لانها تظهر الفرق بين اغراض الزعماء الشخصية وبين خدمة الاطباء المبشرين الذين لاغرض لهم في النفس !

جاوه :

لا يختلف موقف المبشرين في هذه الجزيرة عن موقف زملائهم في صومتره من حيث الوسائل التي يتذرعون بها ومن حيث خطة الحكومة في معاملتهم

وفي جاوة ٤٦ مبشرا و ١٥٠ مساعدا لهم وعشرون من مجموع هؤلاء اختصوا بتبشير المسلمين دون غيرهم وفي الاحصائيات ان عدد المسلمين المتنصرين بلغ ١٨٠٠ شخص !

وآخر ما جاء في هذا التقرير ان اعتقاد المسلمين بالله دون ان يعتمدوا فيه على الكتاب المقدس لا يعد خطوة نحو النصرانية ولا ابتعادا عن الهوة التي تفصل الوثنيين عن النصرانية . وان هنالك سلطة قوية يهيئها الشيطان (!) ليهلك بها النفوس ويبعدها عن نور العالم - يسوع المسيح ... (يتبع)

عجالة في رحلة الهند

﴿ لصاحب المنار ﴾

قد استفدت في رحلتي الى الهند والبلاد العربية الشرقية فوائد كثيرة جديرة بأن تنشر في المنار ، وأن تدون في كتاب مستقل ، ولذلك عزمت على تأليف رحلة خاصة في ذلك . ورأيت أن اعجل لقراء المنار بعض ما رأيت وما استفدت

الانكليز : رياضتهم وأخلاقهم

لا يرى المسافر في سفينة إنكليزية عبرة تهديها عيناه الى فكره أعظم من انهماك الانكليز في الرياضة البدنية في عامة اوقاتهم ، فاذا هو زار الهند بعد ذلك ورأى فيها حكامهم وعسكرهم يعيشون في ذلك الحر المحرق بلا ضرر ولا ضجر ولا سأم - يعلم من اسرار تلك الرياضة البدنية ومنافعها ما لم يكن يعلم ، ويرى كيف وصل العقل البشري الى الجمع بين الترف والنعيم والبأس والقوة ، وكان هذا في العصور السابقة أمرا مجهولا ، ولذلك اهلك الترف أمما كثيرة ، وأفنى دولا كانت قبله قوية ، وهل يعتبر بهذا أغنياء امتنا ، بل عامة أهل المدن منا ؟ كلا ! اننا نراهم لا يأخذون عن الافرنج الا اسباب الترف والنعيم ، ووسائل الراحة واللذة ، ينفقون في ذلك أموالهم وصحتهم ، فبلادهم وملكهم ، حتى يكونوا عبيداً أذلاء . ومن العجائب ان الذين يزعمون منا أنهم مصلحون سياسيون ويتصدون لزعامة الأمة وقيادتها في ميدان الحياة الاجتماعية والسياسية ، هم أشد أفرادها إسرافا في الترف، وانهماكا في اللذات، وحرصا على الزينة والنعمة ، وإنما جهادهم وكفاحهم ضرب من ضروب الكلام ، وهو التشنيع على من سادوا بلادهم بالقوى البدنية والنفسية (الاخلاق) والعلمية ، وما يتبعها من القوى المالية والآلية ولا نراهم يقودون الأمة الى ما يقوي أبدانها وارادتها ، ويهذب أخلاقها وصفاتها ، ويوسع دائرة علومها وثروتها ، ومن خسر نفسه فأي ربح يرجوه في سواها ؟

اني سافرت من بور سعيد الى بمبي في احدى بواخر البريد الانكليزية بين اوربة والهند ولم يكن في الدرجة الأولى ركاب من غير الانكليز سواي ، فكان اول عبرة اطلت فيها الفكرة من احوالهم ما ذكرت من عنايتهم بالرياضة البدنية ، ثم ان اخلاقهم وآدابهم ليست بالتي ينساها المعتبر ، او يغفل عنها العاقل المفكر ، وانها لأخلاق عالية ، وآداب سامية ، وهل سادوا الامم ، وبزّوا الدول ، الا بعلو أخلاقهم ، وصحة أبدانهم ؟ والمشهور عنهم انهم اصحاب جفوة ، وأنهم لا يبدءون غريباً بشيء من وسائل العشرة ، ولكنني رأيت كثيرا منهم يبدأني بالتحية ، ويفتح لي باب الكلام معه ، ولكنني لسوء الحظ لم اكن اعرف من اللغة الانكليزية ما يمكنني من محادثتهم ، و يسهل لي سبيل معاشرتهم ،

ومما يتصل بمسألة الاخلاق والآداب ويعد من فروعها عنايتهم بنظافة السفينة فان الملاحين يغسلون كل يوم كل ما يمكن غسله منها كسطحها الذي هو محل الجلوس والرياضة ، ويمسحون ما عدا ذلك ، فلا تشم فيها رائحة ما ، ولا تقع يدك على شيء يصرفك الى الماء ، ولا يمس ثوبك شيئا يدعوك الى استبدال غيره به . ولذلك لا تجد قصرا من قصور الملوك والامراء ، ولا دارا من دور أهل الفنع (١) والثراء ، اشد نظافة من هذه البواخر الانكليزية ، وأما بواخرهم التي تتردد في الخليج الفارسي فهي دون بواخر الشركة الخديوية في النظافة والخدمة والطعام وفي كل شيء . وكانوا يسيئون فيها معاملة العرب الى ان انشئت شركة البواخر العربية فاضطرتهم الى تغيير معاملتهم

ومن وجوه العبرة في مسألة النظافة أن المسلمين قد انقلب فهمهم لها فجعلوا كل ما ورد في الشرع من أحكامها أمورا تعبدية يمكن الجمع بينها وبين الوساخة والقذارة كأن الطهارة الشرعية لا يقصد بها ما يفهم من معناها في اللغة العربية ، ففي عرف جمهورهم ان الوسخ القذر الكريه الرائحة قد يكون وليا كاملا في اتباع الشريعة، وأن النظيف البدن والثياب قد يكون نجسا اذا تعطر على نظافته ببعض الاعطار التي تمزج بالكحول الذي هو اقوى طهورية من الماء اذ يزيل من النجاسات والاقذار ما لا يزيله الماء ولو كان مع الصابون . وسنشرح هذه المسألة في الرحلة ان شاء الله تعالى

ومن آيات العبر التي أصبتها في هذه الرحلة عناية الانكليز بأمر البريد في البحر

(١) الفنع مصدر فنع الرجل اذا كثر ماله ونما والكرم والعطاء والجود الواسع والفضل الكثير

والبر ، والتوفيق بين مواعيد السفن والقطارات التي تحمله ، ولا غرو فالبريد آلة السلطة والتصرف في الملك وفي عقول الناس وقلوبهم ، ومحل شرح ذلك الرحلة

أزياء اهل الهند

إن ازياء اهل الهند هي أول ما يشغل نظر السائح فيها ويثير تعجبه . يرى في بمبي - وهي زينة بلاد الهند في حضارتها وعمرانها وثروتها - ألوفا من النساء الوثنيات مكشوفات البطون والسوق والأفخاذ يجلسن في الشوارع والأسواق ، غاديات رائحات ، بائعات مبتاعات ، ويرى الرجال حتى الاغنياء منهم مشدودي الاوساط بأزر بيضاء مرفوعات الاطراف من بين الرجلين بحيث يرى باطن الفخذ والساق ، ويرى كثيرا من الرجال والولدان عراة الاجسام لا يسترون منها الا السوءتين فقط، وهم يبيعون أو يشتغلون في الاسواق ، ويرى الألوف الكثيرة من العمائم البيضاء الملونة بجميع الالوان . وفي داخل الهند أزياء اخرى للنساء : تراهن في « بنارس » - مدينتهم المقدسة - وفيما يقرب منها من البلاد يضعن على رءوسهن قناعا يسدلنه على الجانب الأيسر من البدن وعلى الصدر ، ويبقى الجانب الأيمن مكشوفا بحيث يرى نصف البدن الأعلى كله . ويرى الرجال والولدان في محطة سكة الحديد عراة يغتسلون من الحنفيات التي بجانبها . ويسمون الخرقة التي يسترون بها السوءتين « سبيلين » وقد اخذوا هذا الاسم عن المسلمين الذين كانوا يكرهونهم على ستر عورتهم بعد الفتح الاسلامي ، والفقهاء يطلقون لفظ السبيلين على القبل والدبر كما هو معروف

واما الحلي فهو عام يشارك الذكور فيه الاناث فيضعون في اذانهم الاقراط وفي اعضادهم الدمالج وفي سوقهم الخلاخيل . والنساء يستكثرن من ذلك حتى انك ترى في ساق الواحدة منهن عدة خلاخيل ثقيلة وفي أصابع ارجلها كلها الخواتيم الكثيرة. واقراطهن كبيرة كأسورتهن ويكثرن منها حتى يقول الناظر : كيف يستطعن حملها ؟ ويستكثرن ايضا من الخزام في أنوفهن وقد يكون كبيرا مثل السوار - يظن الغريب أنهن يتحملن العناء بحمله الا أن يتذكر أن العادة تخف على صاحبها وان ثقلت على ذوق غيره . ويرى النساء والرجال في المزارع مشتركين في العمل عراة وانصاف عراة

اما نساء المسلمين فيقل بروزهن في الاسواق والشوارع ، وترى على رأس الواحدة منهن ثوبا شاملا يشبه الخيمة وعمود هذه الخيمة بدنها ، ولها ثقبان بازاء

العينين لها شبكة من الخيطان ترى منهما الطريق الذي تمشي فيه ولا يراها منهما احد

واكثر المسلمين يلبسون السراويل – لعله لا يتركه منهم الا بعض الفقراء ، ومنهم المعممون ولابسو الطرابيش العثمانية ولا يلتزمون ان يكون لها زر ، ومنهم من يلبس الكمة (الطاقية) حتى ان كبار العلماء يحضرون الدعوات والاجتماعات وليس على رأس الواحد منهم الا كمة بيضاء ، ورأيت الرجل يلبس تارة عمامة كبيرة وتارة كمة وتارة قلنسوة ، ولا ينكر عليه أحد بلسانه، ولا بقلبه ومن الناس من يلبسون عمائم منسوجة بالذهب او الفضة ، فحريتهم في الازياء واسعة جدا

وترى احسن أهل الهند زينة وأجمل أزياء نساء المجوس، والمجوس كثيرون في بمبي قليلون في داخل الهند ، وهم ارقى أهل الهند حضارة ومدنية وعلما وثروة ، والسبب في ذلك أن الانكليز عنوا بتربيتهم وتعليمهم ما لم يعنوا بغيرهم لحاجتهم الى الاستعانة بهم على بعض الاعمال الوطنيـة ، وعدم خوفهم من عاقبة ارتقائهم لانهم قليلو العدد . وهم على ارتقائهم في العلم والمدنية رجالا ونساء يحافظون على شعائرهم ومشخصاتهم الملية فهم يتركون امواتهم للطيور تأكلها ولها بناء عظيم في اعلى واجمل مكان في بمبي لا يأذنون لاحد أن يصعد اليه . ويسمون أنفسهم ويسميهم الناس « الفرس » وأما الايرانيون المسلمون فلا يسمون في الهند فرسا ولا يطلق على أحد منهم لفظ الفارسي . والفرس الخلص ينكرون كونهم من سلائل أجدادهم ويقولون : إن هؤلاء قجارية وترك. والصواب ان مسلمي ايران مختلطو الانساب فبعضهم من ذرية الفرس الأولين وبعضهم من العرب والترك والمغول واجناس أخرى ، وكذلك مسلمو الهند ومصر والحرمين والاناطول والروملي مزيج من السكان الاصليين ومن الفاتحين والمجاورين والمهاجرين ، وبعض البلاد كانت تكثر اليها الهجرة لما فيها من العلم أو الخصب والراحة كالبلاد الايرانية في عهد حضارتها الاسلامية ،واللغة لا تدل على أصل الجيل والقبيل فان اكثر الناطقين بالتركية من مسلمي الروملي هم من الروم والبلغار والارنؤد لا من الترك الفاتحين كما تدل على ذلك سحنهم ومعارف وجوههم ، فالترك العثمانيون والفرس الايرانيون المسلمون والعرب المكيون والمدنيون ليسوا تركا وفرساً وعرباً الا باللسان دون النسب،وأما أهل قرى الحجاز وباديته فهم كسائر عرب الجزيرة في نجد واليمن صريحو الانساب الدخيل فيهم معروف لا يزوجونه منهم اذ لا يزالون يحافظون على انسابهم وأنساب خيلهم

العادات في الاكل والطعام

لا يزال اكثر وثنيي الهند يأكلون على ورق الشجر كما كانوا قبل الفتح الاسلامي الذي غير كثيراً من عاداتهم ولا سيما عادة العري ، ولا يؤاكلون أحداً من غيرهم فلا يضيفون أحداً ولا يقبلون ضيافة أحد لاعتقادهم أن جميع الناس نجس.

أما المسلمون فهم أهل الضيافة والكرم والحفاوة الصحيحة وعاداتهم في الاكل كعادات عرب الجزيرة يمدون السماط على الأرض ويضعون عليه الطعام ويأكلون بأيديهم واكثر طعامهم الأرز مع اللحم يأخذون منه بالخمس ويدفعون بالراحة ، ولا تكاد تستعمل الموائد المرتفعة والملاعق والسكاكين في داخل الهند الا في بيوت الأمراء وبعض المتعلمين على الطريقة الأوروبية من رجال الحكومة وأضرابهم ، وانما يكون ذلك في الغالب لاجل ضيف غريب يعلمون ان ذلك من عادته ، وقد يسألونه ويخبرونه ، وفي بمبي يأكلون على الموائد المرتفعة ولكن بأيديهم في الغالب، وفي الدعوات الكبيرة التي أقيمت لأجلي في بمبي رأيتهم يضعون لكل أربعة أو خمسة مائدة صغيرة عليها صينية من النحاس يجلس الناس حولها على الكراسي ويأكلون بأيديهم كل طعام الا المهلبية (ومثلها الكريمة) فيضعون لاجلها ملاعق صغيرة يأكلونها بها وهذه عادتهم في داخل الهند ايضاً ، وانه ليوجد في دار الغني منهم عشرات من الصواني النحاسية والموائد الصغيرة فقد أدبت لي عدة مآدب كان يحضرها مئات من الناس .وما حضرت مائدة على الطرز الاوروبي من كل وجه الا مائدة الامير الكبير راجا محمود آباد في لكنهو حتى ان الآكلين الذين كانوا معنا عنده قد التزموا الاكل بالشوكة والسكين ، وكنا في ضيافة النواب الكريم فتح علي خان بلاهور نأكل على الارض بأيدينا ولكنه اذا جاء ضيوف من الافرنج أو المتفرنجين يعد لهم مائدة أوروبية الطرز ، وصديقي الشيخ قاسم ابراهيم في بمبي يأكل على الطريقة الاوروبية أيضاً ، وانما الكلام في عادات مسلمي الهند في دعواتهم. وكانت مائدتنا في ضيافة الشيخ الجليل النواب وقار الملك في عليكره على الطراز الاوربي كل يوم الا أن الكثيرين كانوا يأكلون معنا بايديهم

وقلما يوجد في داخل الهند أفران ولعل ما يوجد منها خاص بالافرنج حيث يكثرون . وأهل الهند يخبزون في بيوتهم واكثر خبزهم الرقاق يخبزونه على الحديدة التي يسمونها في سورية «الصاج» ، ويليه الخبز التنوري

ويكثرون في الطعام من الافاويه والفلفل الاسود والاحمر فيكون شديد الحرافة يتألم من بعضه من لم يتعوده ، ويكثرون اكل اللحم ويقللون من الخضر وهذا لا يوافق طبيعة بلادهم الحارة

ومن عاداتهم في الدعوات والمآدب ان يضعوا في عنق الضيف بعد الطعام قلادة من انواع الزهر الذي يوجد في البلد ، ويعطوه بيده باقة منها مؤلفة تأليفا حسنا وهي التي يسميها المصريون الصحبة ، فان لم يوجد زهر يجعلون في عنقه قلادة من الزهر الصناعي أو مايشبه الزهر، ولا يستثنى من هذه العادة عالم ولا حاكم ولا شيخ كبير السن، وقد بلغني ان الانكليز جاروهم في هذه العادة ولا أدري أذلك قليل فيهم أم كثير

ومن عاداتهم أيضا ان يعرضوا على الضيوف الطيب على صينية فيها أنواع منه فيصيب كل مايختار ولكن هذه العادة غير عامة في الهند ، ورأيت أهل الكويت لايتفرقون من دعوة ولا زيارة عادية الا بعد أن يعرض عليهم أهل الدار ماء الورد ثم مجامر العود الهندي فيتعطرون ويتبخرون وينصرفون

واما تحفة اهل الهند للزائرين التي هي كالقهوة في مصر وسورية والعراق فهي ورق البان (بالباء المفخمة) وهو شجر معروف عندهم وقد ذكره ابن بطوطة في رحلته - يمضغون هذا الورق في مجالسهم وفي الاسواق والشوارع وبعد الطعام، ويضيفون اليه موادا اخرى منها شيء يسمونه «الفوفل» ، ويحدث من مضغه لون احمر او برتقالي فترى شفاههم واشداقهم كانها مخضبة بالحناء او تحسب انه يخرج منها الدم ، ومنهم من يتقي ظهور هذا اللون في فمه ، ومن الطرف التي سمعتها من علمائهم في ذلك - وهي من قبيل المثل في مدح الهند - : من دخل هندستان، وأكل الأنب والبان ، نسي الاهل والاوطان . والانب هو الثمر الذي يسمونه في مصر « المنجو أو المنجا » بالجيم المصرية وهو اسمه بالانكليزية . وهو أجود فاكهة الهند ويكثر فيها جدا ومنه الجيد والرديء والوسط وينضج في بعض البلاد قبل بعض ، ففي شهر ابريل رأيت ثمرته في البلاد التي مررت بها صغيرة خضراء في حجم حب المشمش وكان يرد الكبير الناضج منه الى بمبي من بلاد أخرى ، وهو في الهند أجود منه في مصر فان اردأ ما رأيته منه في بمبي كأجود ما يوجد منه في مصر

الحالة الاقتصادية

أعجبني من أهل الهند قلة استعمال الماعون الاوربي وعدم تقليدهم للاوربيين فيما يتوقف استعماله على جرف ثروة البلاد الى أوربة وكذلك قلة استعمالهم للازياء

الاوربية فان الكثير من النسيج الذي يلبسونه أو أكثره من صنع الهند . وحسبهم الضرائب الفاحشة التي تأخذها الحكومة الانكليزية منهم ولو كانوا في التفريج كالمصريين لكان يندر أن يوجد فيهم غني أو متوسط في الثروة

ينام الفقراء على الأرض وأهل النعمة واليسر على سرر من الخشب ويقل من هذه السرر ما كان سريراً تاماً تنصب عليه الكلة (الناموسية) والكثير الشائع بقوائم ليس لها عمد مرتفعة ووسط مشدود بامراس متشابكة قد تغني عن الفراش

والصناعات الوطنية والمعامل المشيدة على الطريقة الاوربية كثيرة في الهند وهي للافراد وللشركات الوطنية فالهند من هذه الجهة أرقى من مصر والآستانة فما دونها من البلاد الشرقية ولعله لا يفضلها الا بلاد اليابان

التعليم الدنيوي والديني

للحكومة مدارس كثيرة في جميع البلاد والتعليم فيها دنيوي محض - الغرض منه نشر اللغة الانكليزية واعداد عمال صغار للحكومة، وتحويل الافكار والقلوب عما هي عليه من المقومات والمشخصات الاجتماعية والملية ، واشرابها عظمة الدولة الحاكمة وترغيبها في العادات التي تروج تجارة أمتها في البلاد ، فالتعليم في هذه المدارس لا يرتقي بالامة الى أعلى من المقاصد التي وضع لاجلها ؛ ولولا ذلك لأمكن للحكومة الانكليزية أن ترقي أهل الهند في هذه المدة التي استولت عليهم فيها الى الدرجة العليا، فقد علمت وربت منهم عدة أجيال. ولكن هذا ليس من المعقول وانما المعقول هو الذي عملته فهو عين الحكمة التي قامت به مصلحتها ، وثبتت به سلطتها . ولدعاة النصرانية مدارس يقفون فيها عند حدود مدارس الحكومة في التعليم الدنيوي ويزيدون فيها تعليم الديانة النصرانية

وللاهالي مدارس كثيرة أرقاها واكثرها مدارس المجوس في بمبي والوثنيين في بنغالة ثم في غيرها ، ويذهب كثير من الوثنيين الى مدارس أوربة ومدارس اليابان العالية فيتممون دروسهم ويتعلمون من العلوم النظرية والعملية ما لا يوجد في شيء من مدارس الهند . ولطائفة السنك من الوثنيين عناية بتعليم دينهم ونشره بالدعوة اليه وتعليمه ، وهذه نزعة جديدة لم تعرف عن أحد من وثني الهند من قبل ، وهم على وجود الاصنام عندهم موحدون ، وقد أسمعنا كاهن منهم طائفة من كتابهم المقدس فاذا هو من أعلى الكلام في توحيد الله تعالى وتقديسه وتوجيه

وما حثثت عليه من ترقية التعليم العربي والديني سينفذ عن قريب عند ما تحول المدرسة الى كلية جامعة، فلعل من اخبرني ذلك الخبر يحكي رأي الذين يسيئون الظن بالحكومة الانكليزية ويعتقدون انها لا تمكن المسلمين من الارتقاء الحقيقي وسيكشف المستقبل القريب الحقيقة في هذا ، وموعدنا باطالة القول عن هذه المدرسة الرحلة

وللمسلمين مدارس دنيوية اخرى اعظمها مدرسة « أنجمن حماية الاسلام » في لاهور ثم مدرسة « أنجمن اسلام » في بمبي ، وفي دهلي مدرسة كبيرة تسمى « المدرسة العربية » كانت أنشئت لاجل التعليم باللغة العربية وإحيائها ، ووهب لها أحد كبراء المسلمين في حيدر آباد مبلغا كبيراً من المال يصرف بواسطة الحكومة الانكليزية وفيها مئات من الطلبة لا يعرف أحد منهم من العربية شيئا ، بل معلم العربية فيها لا يعرف العربية !! والعبرة في هذا أن الاصلاح لا يحصل بمجرد بذل المال لأجله ، ولا بوضع النظام الحسن له ، وانما يقوم به الرجال الذين اشربت قلوبهم حبه ، ووقفوا حياتهم على السعي له والقيام به ، فمن أراد أن ينفع عاله ويكون مصلحا فليبحث عن المصلحين المخلصين القادرين على العمل بما يزجيهم اليه إخلاصهم وليساعدهم عليه ، فكم وقف سلفنا من الارض والعقار على العلوم والأعمال النافعة فذهبت أوقافهم وضاعت لفقد العاملين المخلصين

هذا وان الحكومة الانكليزية موجهة بعض عنايتها في هذه الايام الى توسيع نطاق تعليم اللغة العربية في الهند ومساعدة المسلمين على ذلك ، كما ان كثيرا من الانكليز يعنون بتعلمها وقد سرني هذا جدا ونوهت به واثنيت على الحكومة لاجله في مجالسي وخطبي في المحافل والمدارس . ورأيت بعض المسلمين مرتابين في سببه فبعضهم يظن انها تريد به ان تشغل كثيرا منهم عن اتقان الدروس الانكليزية التي تؤهلهم لخدمة الحكومة ليقل عدد طلاب الوظائف منهم ، وهذا رأي ضعيف . والاقرب عندي ان سببه سياسي وهو طمع هذه الحكومة بالاستيلاء على البلاد العربية في الخليج الفارسي وغيره فهي تعد مسلمي الهند للوظائف في هذه البلاد لانها تريد به صرفهم عن الوظائف كما يظن بعضهم ، وانا لم أفش هذا الرأي في الهند لانني كنت أتحامى السياسة فيها بقدر الامكان . وان كل مسلم عاقل يسره ان ينتشر تعليم العربية في في الهند مهما كان سبب عناية الانكليز به لأن تعليم العربية يقوي الدين الاسلامي نفسه ولا ضرر فيه البتة ، ولا دخل له في تقوية مطامع الانكليز في العراق واليمن ولا يمكن ان يكون سببا ولا جزء سبب في نيل مطامعهم هذه ، وانما مدار هذا الامر

القلوب اليه وحده ، ولئن سألتهم عن هذه الاصنام ليقولن انها وسائط كقبور الاولياء عندكم ، وأما دين البراهمة فهومبني على وحدة الوجود وقد جرى بيني وبينهم في بنارس حديث في ذلك علمت منه أنهم يعتقدون ان الاولياء الواصلين من المسلمين كشمس الدين التبريزي وابن العربي انما غاية عرفانهم هي الوصول الى حقيقة دين البراهمة وسأشرح هذا في الرحلة ان شاء الله تعالى

وأما المسلمون فتأخروا في البدء بالتعليم العصري عن جميع شعوب الهند لأنهم كانوا أشد جفوة للانكليز من غيرهم وكان الانكليز يرتابون فيهم ما لا يرتابون في غيرهم ، ويخشون جانبهم ويحذرون قيامهم عليهم لانهم كانوا أصحاب السيادة والقوة قبل استيلاء انكلترة على البلاد . ولم يزالوا كذلك حتى قام السيد احمد خان وأسس مدرسة عليكره بمواطأة الحكومة الانكليزية وتعضيدها لأنها رأت الوثنيين قد ارتقوا ارتقاء مبيناً تخشى عاقبته وانه لا بد من تهيئة المسلمين ليكونوا مع الحكومة عليهم اذا هم خرجوا عليها ، وقد لقي السيد احمد خان في أول العهد بالعمل مقاومة من المسلمين وتضليلا وتكفيراً من رجال الدين ، ولكنه كان يأوي الى ركن شديد ، فنجحت مدرسته وعضدها أغنياء المسلمين وامراؤهم من جميع الفرق والنحل ، وطلابها الآن الف ومئتان أو يزيدن

جعلت الحكومة التعليم في هذه المدرسة محدوداً بالحدود التي ارادتها وجعلتها تابعة لنظارة معارف إله آباد فهي التي تتصرف في برنامجها كما تشاء ، وكان ناظرها ولا يزال انكليزياً ، وأما مجلس الامناء الكبير الذي ينظر في شؤون ادارتها والمدبر الذي يسمونه « السكرتير » فكلهم من وجهاء المسلمين واكبر الفائدة من وجودهم جعل المدرسة موضع الثقة والمساعدة من المسلمين . وأما التعليم فيها فمتوسط لا يصل الى درجة العالي في الواقع ولا في عرف الحكومة فمن أراد الشهادة بالتعليم العالي من المتخرجين فيها فيجب عليه أن يرحل الى انكلترة ويتم تعليمه فيها لينال هذه الشهادة .
وقد توجهت الهمة أخيراً الى جعلها مدرسة كلية جامعة ووافقت الحكومة على ذلك فجمعوا لها الاعانات من الاغنياء حتى تم المبلغ المطلوب لذلك وهو ٣٥ لكاً من الروبيات الهندية تساوي ٢٣٣٣٣٣ من الجنيهات الانكليزية . وبلغني ان الحكومة قيدت أو تريد ان تقيد المدرسة في هذا الطور بقيود ثقيلة تجعل مجلس امنائها أقل حرية واستقلالا مما كان عليه من قبل ، ولكنني فهمت من فحوى حديث النواب وقار الملك خلاف هذا فان مما قاله لي ان نصائحك التي أودعتها خطبتك

على سياسة الدولة العثمانية صاحبة السيادة على هذه البلاد وادارتها فاذا هي احسنت الادارة والسياسة وعنيت بأمر القوة المحلية في جزيرة العرب وقت البلاد من الاستيلاء الاجنبي والا فالخطر الواقع واقع ماله من دافع

اما رأيي في القوة التي يجب ان تعدها الدولة لوقاية جزيرة العرب فهي تعميم تسليح العشائر والقبائل فيها وإرسال ضباط اليهم يعلمونهم النظام العسكري والاعمال الحربية ولا سيما حرب العصائب ، وان تقر جميع الامراء والزعماء في الجزيرة على ما كانوا عليه من الرياسة في قومهم ، وتستعين بهم على ما تريد من تعميم القوة في بلادهم . وقد بينت هذا الرأي في المنار من قبل وذكرت به بعض رجال الدولة ، ويؤيده ما جرى في طرابلس الغرب ولا خوف على الدولة ولا على سيادة العنصر التركي فيها من ذلك وقد ازددت بسياحتي هذه في البلاد العربية ايماناً ويقيناً بما كنت أعتقده من قبل من اخلاص العرب للدولة العثمانية واستعدادهم لبذل أرواحهم في سبيلها . وان اظهار ثقتها بهم لمما يقوي هذا الاخلاص في أنفسهم، ويسرع باظهار ثمراته فيهم

ان الدولة الانكليزية قد اشتدت في منع ادخال السلاح لليمن ولعمان والعراق من عدة سنين وهي تسعى الآن بجمع السلاح من العراق وسواحل الخليج وعمان حتى انها تشتريه بالثمن فهل عرف رجال الدولة هذا وفكروا في أسبابه وحكمته ، وفي عاقبته ومغبته ؟

وكتب في البصرة في جمادى الثانية سنة ١٣٣٠ « للكلام بقية »

السيد حسين وصفي رضا

(أقوال الفضلاء فيه)

ننشر في هذا الباب شيئاً من تعازي اهل الفضل في الاقطار البعيدة وغير البعيدة ونتبعه بشيء مما كتبته الجرائد السورية والمصرية ثم نتبع ذلك بنشر حفلة التأبين التي أقيمت من فضلاء وأدباء بيروت في غرف القراءة بمناسبة مرور اربعين يوما على وفاته

(٢٨)

ومما كتبه احد افاضل علماء تونس

الى اخينا العلامة الشيخ محمد رشيد رضا افرغ الله عليه صبراً

اما بعد فان لله وانا اليه راجعون. الآن علمت نبأ موت صاحبي الفاضل وصديقي

الكريم سيدي حسين وصفي تغمده الله برحمته وأحسن عزائي وعزاكم والله ان لي لسهماً في هذا المصاب فلقد فقدت الخليل الوفي والرجل الكامل وجل البصيرة النافذة والمعارف الواسعة والمرامي العالية ويا ليتني كنت مكانه

(٢٩)

وكتب أحد فضلاء ادباء القيروان (تونس)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

مولاي الاستاذ الاكبر صاحب المنار الانور !

سلام الله عليكم ورحمته. أما بعد فقد نعى الينا المنار رجلا وأي رجل وجل العفة ، رجل النزاهة ، رجل الفصاحة ، رجل البلاغة ، كاتب الشبان وشاب الكتاب شقيقكم الحسين الشهيد . لقد أدمى نعيه العيون وجرح القلوب وعقل الالسن وأوقف الاقلام فلم تقدر أن نصف هذا المصاب الخطير الذي أصاب الامة العربية بفقيدكم العظيم فانا لله وانا اليه راجعون

أحسب أن فقيدكم من أكتب الكتاب في هذا العصر ولا أنسى ما خطت يمينه في المنار من ذلك مقال أخذ بمجامع القلوب ذكرنا به علماء بغداد وأدباء قرطبة وفحول البلغاء ذلك الذي يرحب فيه بنهضة الزيتونيين يوم اعتصبوا وانقطعوا عن الدروس

أما تقاريظه العلمية للكتب والمخطوطات فلم أر مثلها لغيره واني لاعده من المبرزين في هذا الفن فن الانتقاد الادبي الذي كاد يطمس نوره لولا نهوضكم السريع بالعربية في هذا العصر . فرحمه الله رحمة واسعة ورزقنا جميل الصبر وأجزل ثوابه بقدر مصابنا فيه وأطال بقاءكم وبارك فيكم وفي ذويكم ربيع الثاني سنة ١٣٣٠

(٣٠)

وكتب الينا حضرة الفاضل صاحب الامضاء من فضلاء تونس

(ماهذا الا قضاء من بيده الملكوت)

تونس في ٧ جمادى الاولى سنة ١٣٣٠

حضرة الكاتب الاكتب . والفيلسوف المفكر . السميذع المحقق . الاستاذ سيدي رشيد رضا صاحب « المنار الاغر » أدام الله معاليه . واكبت شانيه - بعد

استهلال الخطاب بما يجب تقديمه للجناب من واجب التحية والاحترام اللائق بالمقام أشعركم – والانامل ترتعش – بانه ما كاد يطرق سمعي نعي فقيد الادب والفضل والمعالي المأسوف عليه شقيقكم سيدي « حسين وصفي رضا » حتى اعترتني الكآبة. وارتجت بي الارض . وارتعشت مني الفرائص . وفاجأني خفقان رائع ، وما ذلك الا لما أعرف ما كان عليه الفقيد من النبل المتناهي. والسمو الفكري . والمدارك العالية! ولكن صدق عليه الصلاة والسلام حيث قال : « انما يعجل الله بخياركم »

أيها السيد الفاضل! – يحق لي أن أنتحب الانتحاب كله . وأرسل مئات الزفرات تأسفاً . وما ذاك الا لخيبة أمل كنت أؤمله وهو الحظوة بمشاهدة الفقيد والاجتماع به إن تنازل لذلك . . حيث كان عزم العبد معقودا على زيارة الديار المصرية . وما الغاية من ذلك سوى الشرف بمشاهدة ومعرفة جملة رجال من كتابكم وشعرائكم ومصلحيكم الذين من آن لآخر أتصفح تحريراتهم . واطالع قصائدهم . والنفس تأسف لعدم حظوها برؤيتهم . ومن بين هؤلاء نقشت بحافظتي اسم شقيقكم المأسوف عليه الذي طالما قرأت له التحارير الاصلاحية والمقالات التي ما تنم الا عن سمو مداركه . وكمال صفاته وآدابه . ولكن آه! خاب أملي ويالهفي عليه الف مرة!

سيدي الاستاذ – ان مثل الجناب لا يعوزه مثلي كي يحثه على التدرع بدروع الجلد والصبر . ويذكره بان الحادث المؤلم الذي أزعجنا انما هو قضاء ممن يقضي بين خلقه كيف يريد – وقصاراي أن ابتهل الى الرحيم وأسأله ان يمطر على جدث الفقيد العزيز وابل رحمته . ويسكنه جنته التي أعدت للمتقين . ويلهم أهله وذويه وأحباءه وأصدقاءه جميل الصبر وجزيل السلوان . انه هو الذي يقول للشيء كن فيكون . وانا لله وانا اليه راجعون .

ح . ج

(٣١)

وكتب العلامة جانخوت الحتقي أحد علماء قفقاسية

(انا لله وانا اليه راجعون)

جناب شيخنا حكيم الاسلام السيد محمد رشيد رضا ! سلام الله تعالى ورحمته وبركاته عليكم

وبعد: فلما وافاني المنار بخبر شقيقكم الفقيد حسين رضا عظم علينا الخطب به وأحزن قلوبنا وأدمع عيوننا فالمصيبة في ذلك الاخ ليست واحدة بل مصائب تجمعت عندنا

مصيبة الامة بفقده وهو حديث السن ومصيبة الاخوة التي عقدتها يد المكاتبة بيننا وأيدتها مقالاته الاجتماعية التي نشرت في بعض أجزاء المنار ومصيبتكم مولانا فيه وأنتم أحب الناس الينا نسأل الله أن يطول عمر سيدنا الاكبر ويجعل ذلك المرحوم لكم فرطاً صالحاً وذخراً عند الله عظيما ويبوئكم مع شهيدكم في حظيرة القدس

أيها الاخ الصديق المخلص السيد صالح رضا ! يعز علينا ما أصابكم في فقيدنا ونسأل الله أن يرزقكم جميل الصبر ويجزيكم جزيل الاجر انا لله وانا اليه راجعون

محبكم المخلص

٢٨ جمادى الاولى سنة ١٣٣٠ جانخوت الحتقي

(٣٢)

وكتب الاديب الفاضل صاحب الامضاء ونشرها بجريدة الاهرام الصادرة في ٢١ المحرم سنة ١٣٣٠

(السيد حسين وصفي رضا)

« شهيد المروءة وفقيد الادب »

حملت ليالي هذا الدهر بكوارث تقصم الظهور وتدك راسيات الجبال ثم وضعت في هذه الايام فاجعة صمت لهولها الآذان وهلعت القلوب فبكى الادب ركنا ركينا والفضل طوداً عظيما ولبست البلاغة حداداً مابعده حداد فلا غرو اذا تحطمت المنابر وتداعت الاعواد . اطفأت هذه الكارثة مصباحا أضاء في سماء الادب ردحا من الزمن . واذبلت زهرة شباب توردت في رياض الفضل فحامت حولها القلوب ثم مالبثت ان توارت بحجاب الاحداث في عالم الابدية حيث السكون التام والسعادة الاخروية

مات حسين شهيد الاباء والنجدة فبكاه الاباء والنجدة وانزوى في العالم الاعلى مطلا من أعلى عليين على شرور هذه البشرية الظالمة والانسانية القاسية . فخفت بانزوائه صوت طالما ناضل عن الحق نضال الابطال . فاليوم يبكي حسينا كل من عرف الفضل وذاق حلاوة الادب ورثي لمصابنا كل من عاشر حسينا وأدرك هول المصاب فكل من رأى حسينا رأى الشهامة المجسمة والذكاء النادر ، ورأى عزة النفس والاستقلال التام وشهد الوفاء والاخلاص باجلى مظاهرها

فاذا بكوا حسينا فانما يبكون هذه الصفات، انما يبكون عقل المشيب في رياحين الشباب .

نشأ هذا الراحل الكريم في دار أساسها العلم وعمادها التقوى، وترعرع في دور

العلوم ومنتديات الآداب فقد عرفته في المدرسة الرشدية في طرابلس الشام فعرفت منه أخا الوفاء وتمثال الذكاء والصديق الصدوق ثم فرقت بيننا عوادي الايام وتصرفات الاقدار فلم أره ولم يرني الا في مصر مهبط الحرية الشرقية

ولما أعلن الدستور في ربوع المملكة العثمانية كان هذا الصديق ينتقل من مصر الى سورية فيحمل جرائم المودة التي تشد أواصر الاخاء فقد عرفته منابر سورية الخطيب المصقع وجرائد مصر الكاتب الالمعي . وبالجملة فقد عرفه القطران رسول سعادة وسلام .

برح مصر للمرة الاخيرة فلم أوفق واحسرتاه لوداعه فكتب اليّ من بيروت رسالة أذكر منها هذه الكلمات « أخي ! اذا كانت متاعب هذه الحياة المملوءة بالآلام قد حالت دون مشاهدتي لك فاني سأطلعك على أمور وفقت لوضع أساساتها في بيروت خدمة لهذا الوطن الذي أعشقه بكل جوارحي ـ هذه الامور تنسيك مرارة فراقنا اذا طال ... »

مر شهيد النجدة بأثيم يضرب ولداً (١) من أولاد القرية ضرباً مبرحا وقد شهر سكينا يريد ان يطعن بها ذلك المسكين فدفعت الشهامة حسينا لانقاذه وقد توفق برشاقة لانتشال السكين من يد ذلك الجاني ولكن الجاني الاثيم مالبث ان ابتعد فاطلق على المنجد الشريف رصاصة أصابت منه مقتلا وقد ظل حسين رابط الجأش بضعة أيام حتى كتب الله له الشهادة وقضى على الوطن البائس بفقد ركن من أهم أركانه. فيالشقاء الاوطان بفقد الرجال . ولاسيما رجل كحسين في وطن كسورية هكذا النفوس الكبيرة في حياتها اسوة لكل من أراد أن يلتحق بالعظماء وفي موتها دروس الشهامة والوفاء ، ففي ذمة الله ذلك الشباب الغض والغصن الرطيب وفي أمان الله تلك الاخلاق والخصال الحميدة بل الفضائل المجسمة والنشاط العجيب . ويارحمتاه لقلوب تعرفك فتبكيك فان مصابنا فيك عظيم وخطبنا وخطب الاوطان جسيم

واني أسأل الله ان يلهم أهله وذويه الصبر ولا سيما أخوته العلماء الاعلام وان يعوضهم بفقده عزاء حسنا وصبراً جميلا والله ولي الصابرين وهو حسبنا ونعم الوكيل

جميل الرافعي

---

(١) الصواب (امرأة لا ولدا) وقد تبع الكاتب بعض روايات الجرائد في كون المضروب ولداً

(اقوال الجرائد)

« في مقتل حسين وصفي رضا »

كتبت جريدة المفيد الغراء التي هي جريدة النابتة العربية في سورية ما يأتي

(وفاة اديب)

قرأنا في جريدة طرابلس خبر وفاة صديقنا الاديب الفاضل المرحوم السيد حسين وصفي رضا على اثر اطلاق احد الاشقياء الرصاص عليه فهالنا هذا النبأ المزعج كما هال كل من عرف ادب السيد وفضله وعلمه واخلاقه

عرفناه منذ امد بعيد فعرفنا فيه الادب الجم الرائع والخلق الكريم الذائع . فقد كان رحمه الله كاتبا عربيا مجيداً وشاعرا ضليعا ، لطيف المعاشرة ، انيس المحاضرة ، واسع الاطلاع في تاريخ الآداب العربية وفنونها وفوق هذا كله فقد كان خطيبا ارتجاليا حسن الخطابة . وقد كان لا يعرف الرياء والمداهنة والمحاباة بل كان يقول الحق ولو ساء ذلك اعز الناس لديه .

شلت يد ذلك الجاني الاثيم الذي اذبل غصنا كان مورقا وحرم الامة من شاب قد خدمها خدمة جلى وانه ليتوقع منه ان يخدمها في المستقبل — لو افسح له في الأجل — اعظم خدمة لما فيه من الاستعداد لمعالي الامور

وقد بلغ فقيدنا الثامنة والعشرين من سني حياته — رحمه الله رحمة واسعة وانا لنتقدم الى عائلته الكريمة برفع آيات التعزية خصوصا اخاه الاستاذ السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار ونسأل لهم الصبر والسلوان

وكتبت جريدة الاتحاد العثماني الغراء

(مقتل فظيع)

اطلق أثيم عياراً ناريا على الشاب الفاضل المرحوم حسين وصفي افندي رضا فاصابه في مقتل ولم يلبث ان قضى نحبه فساء هذا المقتل الفظيع كل الذين عرفوا

ادب الفقيد وفضله فنعزي آله وذويه ولا سيما شقيقه الاستاذ السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار ونشدد على الحكومة المحلية وعلى حضرة والي الولاية في وضع حد لهذه الفوضى التي استفحل امرها في طرابلس الشام

وكتبت جريدة الرأي العام الغراء

(وفاة اديب)

من أنباء طرابلس الشام ان بعض الاشرار اغتالوا المرحوم الاديب حسين وصفي افندي رضا فاسفنا لهذا النعي الذي وقع لدينا موقعاً كبيراً لما كان عليه المرحوم من وافر الادب والآداب رحمه الله رحمة واسعة وعزى شقيقه الاكبر الشيخ رشيد رضا صاحب المنار الاغر

وكتبت جريدة الحقيقة الغراء

﴿ نعي اديب ﴾

وافتنا جريدة طرابلس بخبر وفاة الكاتب الاديب السيد حسين وصفي رضا وذلك على اثر رصاصة اطلقها عليه احد الاشقياء فوقع هذا النبأ وقوع الصاعقة على كل من عرف ادب الفقيد وفضله .

ذهب الفقيد ضحية في ريعان شبابه وذهبت معه تلك الآمال الكبيرة والخدمات المنتظرة فشلت يد ذلك الاثيم

فنحن نعزي عائلته الكريمة سيما اخاه الاستاذ السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار ونرجو ان تكون خاتمة احزانه

وبمناسبة قتل المرحوم والحوادث التي تجري في طرابلس الشام نطلب من حازم بك ان يضع حدا لاختلال الامن فالسكوت على هذه الاحوال ضرب من الاستكانة الى الظلم والرضوخ الى الجور .

وكتب المؤيد الاغر بتاريخ ٢١ المحرم وكان اخبر بعدم صحة الخبر

استبشرنا في الامس بالخبر الذي اتصل بنا عن حياة الشاب الفاضل السيد

حسين رضا شقيق صديقنا السيد رشيد رضا ثم لم نلبث أن علمنا بكل أسف أنه انتقل الى رحمة الله شهيد شهامته ومروءته

وقد وقع هذا النبأ في نفوس آله وأصدقائه وعارفي أدبه أشد وقع لانه من خيرة الشبيبة الاسلامية غزير الادب جيد الشعر كريم الاخلاق فنعزي حضرة شقيقه وسائر آله وأصدقائه ونرجو الله أن يلهمهم الصبر الجميل و ينيل الفقيد رحمة ونعيما

وكتبت جريدة البرهان عدد ٤ المحرم سنة ١٣٣٠

كان بلغنا منذ أيام ان يدا أثيمة اطلقت مسدسا على الشاب الفاضل الالمعي حسين افندي وصفي رضا ابن المرحوم الشيخ علي رضا في قرية القلمون وقد آلم هذا الخبر اصدقاءه ومحبيه في الثغر ثم مالبثوا ان قيل لهم ان الاصابة خفيفة وان الرصاصة اصابت اصل الفخذ ولاضرر على حياة المصاب ولكن اليوم فوجئنا بخبر وفاته متأثرا بالرصاصة التي وصلت احشائه فكانت سببا في اخترامه وانا نعزي شقيقه الاكبر السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار وسائر اشقائه وأصدقائه العديدين في مصر وسورية ألهمهم الله صبرًا على هذا المصاب الاليم والخطب الجسيم

وكتبت جريدة العمران

﴿ الفوضى في طرابلس الشام ﴾

ان انباء طرابلس الشام مزعجة بحيث لايأتينا بريد من سورية الا ويحمل لنا منها المفجعات وكان آخر ذلك مقتل حضرة الحسيب النسيب سليل البيت الطاهر وأحد الادباء الذين نفتخر بهم الدساكر المرحوم المبرور السيد حسين وصفي رضا شقيق الاستاذ الشيخ رشيد رضا صاحب مجلة المنار الزاهرة فشق علينا خطبه لان فقدانه خسارة على الادب والفضل وزاد في حزننا انه قتل بيد اثيم معتد في موقف يريد به نصرة مظلوم من ظالم ولاحول ولاقوة الا بالله ونحن نتقدم الى حضرة الاستاذ الشيخ رشيد وعموم اخوان الفقيد وانسبائهم بواجب التعزية ونسأل لهذا الراحل رحمة ورضوانا ولقاتله جزاء وفاقا ولحكومة طرابلس الشام حزما في حفظ الامن العام واقداما

حفلة الاربعين

(لتأبين المرحوم السيد حسين وصفي رضا)

في مساء الثلاثاء ليلة ١٧ صفرسنة ١٣٣٠ - ٦ فبرايرسنة ١٩١٢ اجتمع فضلاء ادباء بيروت وأقاموا حفلة تأبين لفقيدنا السيد حسين وصفي رضا الحسيني في غرف القراءة الاميركانية واذاعوا تذكرة دعوة لحضور فريق اهل الادب والفضل لمشاركتهم بذلك وكان القائمون بهذه الحفلة هم المذيلة اسماؤهم صورة تذكرة الدعوة وهذا نصها

﴿ ذكرى فقيد ﴾

«الساعة الثامنة من مساء الثلاثاء في ٦ شباط يحتفل فريق من اخوان فقيد الادب المرحوم السيد حسين وصفي رضا باقامة حفلة تأبين ذكرى لفضله واعترافا بشهامته . وذلك في غرف القراءة على « السور » فترجو حضوركم »

﴿ المتكلمون ﴾

الشيخ محيي الدين الخياط مترجم جريدة الولاية ، الشيخ مصطفى الغلاييني استاذ اللغة العربية في المدرسة السلطانية والكلية العثمانية ، جرجي افندي عطيه صاحب جريدة المراقب ، امين بك طليع مديرمال قضاء الشوف ، الياس افندي حنيكاتي كاتب « مطرانخانة الروم » ، نجيب افندي بليق مدير مدرسة المقاصد الخيرية ، باتر افندي باولي صاحب جريدة الوطن ، جرجي افندي باز صاحب مجلة الحسناء ، محمد علي افندي النابلسي من التجار وكيل المنار في بيروت ،

وفي الوقت المعين اجتمع كثير من أهل الفضل وشاركوا الفضلاء المحتفلين باحتفالهم وترأس الاحتفال الاستاذ بولس الخولي مدير مجلة الكلية ، فتلا رسالة الشيخ محيي الدين الخياط الشيخ عبد الرحمن سلام لعدم حضوره(١) واتبعها بتأبين له وقام الاستاذ الشيخ مصطفى الغلاييني وقال

(١) لم يرسل الينا تأبين الشيخ الخياط لندرجه هنا وكذلك تأبين الشيخ عبد الرحمن سلام

﴿ تأبين الشيخ مصطفى الغلاييني ﴾

اخلاق الفقيد

« الكمال يعشق » قضية لا يختلف فيها اثنان ، ولا يحيد عن الاقرار بمضمونها انسان . لهذا ترى الناس مياليين طبعاً لمن يرون فيه الكمال . غير ان الكمال امر معنوي ، ليس قيد الحواس . وقد اعتاد الناس ان يختلفوا في تفسير المحسوسات ، وتباينوا في فهم الامور الظاهرة . لهذا لا ترى عجباً اذا اختلفوا في تفسير المعاني ، وتباينوا في فهم المعقولات . والكمال من ادق الاشياء المعنوية ، وابعدها من متناوَل الافهام . فان كان الناس قد انقسموا فِرَقاً وطوائف واحزابا وجماعات في تفسير ما هو اجلى من الكمال ، فاحر بهم ان لايتحدوا فكراً في تأويله وتفسيره

الاختلاف سنة من سنن البشر ، وجمع الناس على الاعتقاد بامر ورفض ما يناقضه ليس مما يمكن ، ولا في وسع احد تحقيقه . - وان تمناه كثير ممن سعوا ويسعون لنفع المجتمع - ذلك لان الاختلاف في الرأي لم يبرح فطر البشر منذ بدء الخليقة الى يومنا هذا . ومهما ترقى الناس ، وبلغوا من سمو الفكر ، ومضاء العزيمة ، وقوة الارادة ، فلن يصلوا الى ما يضم المختلفات ويؤلف بين المتناقضات . - هذا في المحسوسات بله المعنويات - ، ذهب الناس في تفسير الكمال - كما ذهبوا في تأويل كل امر معنوي - مذاهب شتى حسبما يتراءى لهم ، او حسبما تعودوا . لا اذكر الآن مذاهب كل قوم في تفسير معنى الكمال ، فان هذا يحتاج الى موقف غير هذا الموقف ووقت لا يتسع له امثال هذا الوقت . وانما اذكر ما اذهب اليه ، ويذهب اليه كثير غيري ممن هم يشاكلونني طبعاً ورأيا ومحجة صواب . وفي عداد هؤلاء فقيد الكمال السيد حسين وصفي رضا الذي اقمنا هذه الحفلة ذكرى لكماله

الكمال شجرة عظيمة يتفرع منها فروع كثيرة وكل فرع من هذه الفروع يعطي جنياً وأكلاً شهياً ، هي وان اختلفت الوانا ، وتباينت اشكالا ، فطعمها واحد ، ولذتها واحدة

ان جماعتي الذين عنيتهم يريدون بالكمال « الخلق الحسن » فهو ملاك الفضيلة

ورابطة الإخاء ، ونبراس الحق ، وسلطان المجد ، فمن اعتصم بحبله المتين ، وتمسك بركنه الركين ، فهو من عباد الله الصالحين

ألا وان الشاب الصالح ، والهمام الاروع ، الذي اقمنا هذه الحفلة الكمالية لاجله ، هو من خطب الاخلاق الفاضلة ، فالقت اليه بمقاليدها ، وسلمته زمامها ، فهام فيها هيام الولهان ، بغيداء الحسان حتى ملكت لبه . وصادت فؤاده . حتى صار كله اخلاقاً حساناً . فلاتقع ناظرة قلبك اذا نظرت اليه الا على عادة حسنة ، وخلق كريم

اذا تكلمت عن الفقيد الحبيب ، فانما اتكلم بعد الاختبار ، واصف بعد طول المعاشرة . حتى عرفت منه ما لم يعرف اخوته واخوانه . فهو تربي في السن زميلي في طلب العلم .

عرفته منذ عشرة اعوام في مصر ، ايام كنت اطلب العلم في اكبر معهد علمي عربي ، وهو الازهر ، واول ما عرفته في ادارة مجلة المنار التي يحررها اخوه الاكبر الاستاذ السيد محمد رشيد رضا . كنت اول معرفتي اياه ارى فيه انقباضاً يظنه الرائي لاول مرة صلفاً وكبراً ، وانما هو عقل ورزانة ، وبعد عن مخالطة من لا يتفق فكره مع فكره ، ولا يشاكل ذوقه ذوقه ? عرفت فيه مذ عرفته رجل الجد والعمل ، والادب والدرس ، والبعد عن سفاسف الامور ، والنأي عن مفسدات الاخلاق ، ومجالس من لم يعرف فيهم الملكات الفاضلة ، والاخلاق الكريمة

عرفت فيه رجلا حرًّا مفرطا ، لايخاف في سبيل الحق لومة لائم ، ولا يهاب في الذود عما يعتقده صحيحا عذل عاذل . وربما تحاشى مجلسه بعض من لا يرون للحق قيمة ، حذرا من ان يجبهم بتوضيح باطلهم ، وتبيان فاسدهم . ومع هذا كله فكان اذا هفا هفوة ورُد الى الصواب ، ارتد اليه شاكرا أنعم من هداه

كان من أخلاقه الطيبة الصبر على المكروه . وتحمل المشاق في سبيل ما يريد ، حتى يناله . ولو أدى به ذلك الى جهد النفس وصرف المال . اما من جهة تدينه فقد كان رجلا متدينا حقا ، مسلما كما يريد القرآن لا كما يريد القارئون

وكان رجلا سلما لمن سالمه ، حربا على من خاصمه في غير الحق . محبا لترقي الامة والوطن ، من غير نظر الى اختلاف المذاهب والاديان

وكان لايعرف التمويه والتضليل ، بل يتكلم بما يعتقد دون ان يخشى احدا لانه لم يكن في قاموس اخلاقه مايسمى رياء أو نفاقا

واعظم برهان على هذا انه كان طريد الحكومة الماضية وقد حكم عليه بالسجن سنوات لا اعلم عددها . ففر الى مصر حيث يقيم اخوه الاكبر . هاربا بحريته ووجدانه . ومع هذا فقد كان يأتي الى هذه الديار دون مبالاة ويجتمع بأصدقائه في المحالّ العامة ويتذاكر معهم في الشؤون السياسية وحالة البلاد وما هي عليه من التأخر وما تنوء به من اعباء الظلم واضطهاد المصلحين ، حتى خشي ان يجالسه فئة غير قليلة من خواص اصدقائه ، خشية ان يكونوا قيد الرقابة أو هوان الحكومة الظالمة وقد ذكرني حريته هذه بقصة لطيفة لا بأس بايرادها :

يوم أعلن الدستور كنت قد واعدته ان القاه في بعض الامكنة ، فوافيته قبل الاجل المعين وقد برقت اسارير وجهي . فقال : ما وراءك قلت : « ما كنا نتحدث به بالامس » وكنا نرجو حصوله في سورية بادئ ذي بدء ، ثم علمنا انه سيبدأ في غيرها ـ وكنا قرأنا قبل بضعة عشر يوما في الجرائد المصرية التي كنا نقرأها خفية ، أن فئة من الجيش ستثور للحصول على الدستور فقال ـ : ذلك ما كنا نبغي . ثم قمنا من مجلسنا ذاك والصحب ما بين مصدق ومكذب وشاك ، الا الفقيد ، فذهبنا الى المكتبة العمومية لنبتاع منها نسخا من القانون الاساسي . فبهت صاحبها وظن اننا جواسيس ، فانكر ان يكون لديه فاقسمنا له كل يمين ان الدستور اعلن ، وان الحرية صارت ملكا للامة ، فاعتقد الرجل صدقنا ، ودخل دكانه وبحث عن النسخ ، وقد دام في البحث ماينيف عن خمسين دقيقة حتى اهتدى اليها ، لان القانون الاساسي كان ـ كما تعلمون ـ من الاوراق الضارة في عرفهم وقد اشترك الفقيد مع البيروتيين في كثير من الاحتفالات التي اقيمت اجلالا للدستور ، وخطب فيها خطبا كثيرة قد قدرها قدرها كل من سمعها .

واذكر انه كان يخطب في احدى المجامع ، فذكر ما كانت عليه الحكومة من التضييق على أهل الذكاء ومن عرفوا بحرية الفكر . وكان والدي المرحوم يستمع الى خطابه ، فقاطعه الكلام وقال له : لقد صدقت فيما تقول واني قد نهيت ولدي

كثيرا ان يكلمك أو يجتمع بك الا حيث يأمن ، خوفا من ان يصيبه ما أصابك وان لم يخل من بعض ذلك ، وربما كان أصابه كله لولا ان منّ الله على الامة بالدستور

ان الفقيد أيها السادة كان مع كل ماوصفت هماما قد ضربت عليه المروءة رواقها ، والشهامة قبابها ، كان اذا رأى مستنصرا اتاه ، أو مظلوما بذل جهده لرفع الظلم عنه . وكفاه فخرا وشرفا انه مات شهيد المروءة والشهامة . دفاعا عن ذات عفاف رآها عرضة لسهام جلف جاف . يسمعها من قوارص الكلام ، وبذاءة القول. مالم يتحمل الفقيد السكوت عن مثله ، فردعه عن تعديه وظلمه ، فثارت في رأس ذلك المتشرد الجلف نخوة الجاهلية ، فانتضى خنجره واهوى به الى السيد يريد القضاء على شهامته وأدبه . غير ان شجاعة الفقيد المشهورة دفعته الى انتزاع الخنجر من يد ذلك الجبان الخاسر ، فاصلح بينهما بعض من كان مارا ، فذهب السيد آمنا على مثل هذه الاخلاق السافلة ، فلم يخط بضع خطوات حتى فاجأه ذلك الملعون باطلاق الرصاص فلم يقصده ، بل اخترق احشاءه ، وبقي في منزله بضعة أيام ، دون ان ينفعه طبيب :

وإذا المنية انشبت أظفارها ... ألفيت كل تميمة لا تنفع

وقد احتمل مضض هذه الايام بصبر وسكون دون ان يؤثر عنه كلمة تأوه . وقبل أن يفارق هذه الدنيا الفانية بثوان ، قال لشقيقته ، – وكانت تمرضه – بجأش رابط : « اني سأموت بعد قليل فاياك ان تصرخي واحذري ان يزعجني بصراخه احد » ولم يكد يتم هذه الكلمات حتى قال : « لا إله الا الله » وقد فارق الحياة.

وقد كان لوفاته رنة حزن عمت كل من عرف اخلاقه وأدبه وقرأ ما كان يدبجه يراعه الحر البليغ من المقالات والقصائد في الموضوعات الكثيرة المختلفة رحمه الله رحمة واسعة واغدق عليه سحائب الرضوان

(تأبين جرجي افندي نقولا باز صاحب مجلة الحسناء)

ونهض الفاضل جرجي افندي باز فقال :

سهم واحد أيها الاخوان ! سهم من كنانة الدهر يرمي القضاء به الناس

على السواء بلا استثناء فيفعل في المصاب فعلا واحدا ولكن تأثير فعله يختلف في الآل والاصحاب . ولكم ممن يموت ولا يشعر الناس بفقده حتى الاهل قلما يتأثرون ، ولكم فقيد يألم لموته كثيرون ويودون ألا يتعزون . ولا عبرة بعمر الميت فان الشخصية هي المؤثرة وبحسب الاحتياج اليها يكون الحزن. وما حزن الاغنياء عنها بالمال أو بالعلم او بالفضل أو بالادب الا احتياج الى ولائها وشعورها الى املاء فراغ العاطفة ، الى حفظ الحاسات من التأثر

وهذا فقيدنا لم يعمر بعد ولا توغل في الشباب ، لم يشتغل كثيرا ولا اشتهر في كل صقع وناد ، ومع ذلك عد فقده خسارة لاتعوض بأي كان لان شخصيته ذات استعداد يحتاج اليه الشرق ، لان نفسه كانت حية حرة كانت تكره الجمود والخمول، تبغض الجهل والغباوة ، تمقت الظلم والاستبداد ، تستنكف من الذل والهوان تأبى الدنايا والتافهات ، تستفظع التعصب والاستئثار ، كانت تحب العلم ، تؤيد الحق ، تناصر الضعيف ، تجهر بالرأي ، تخلص بالقول ، تجرأ بالعمل ، تستقل بالفكر ، تسترشد بالبحث ، تتأكد بالاختبار . كانت تعتقد ان المرأة انسان كالرجل لها حقوق ولها نفس وكفاها بهذه السجايا تعريفا لها

هذا حسبي ياقوم ! فهلا يليق به هذا الاكرام – والشرق محتاج الى أمثاله؟ فهلا يعد فقده خسارة ؟ هذا وصفي ! فهل احاط به وصفي؟ مالي ولقلمه السيال وانشائه البليغ ومقالاته الرنانة وآثار كده وجده حسبي منه نفسه والنفس هي الانسان، حسبي ذكاؤه ولطفه، مروءته وشهامته ، حسبي ماوصفت من خفايا نفسه وما كان يرجى من خيرها لمواطنيه ، حسبي سبب قتله . ومن أولى مني بالحزن عليه لهذا السبب ؟ وانا احسبه واضعا حجر الزاوية لتأييد حق المرأة في الشرق والضحية الاولى التي يقدمها الشرقيون فداء هذا الحق

ان المبادئ لاتثبت الا على جثث الشهداء. والمرسلون قوتهم بشهدائهم فحيث لاشهداء لا مبادئ . واذا عد قاسم امين رسول تعزيز المرأة في الشرق فان وصفي رضا شهيده ، ذاك المهندس وهذا المؤسس ، الاول قائل ، والثاني فاعل ، ولذلك أحسبه حجر الزاوية لتأييد حق المرأة والضحية الاولى التي يقدمها الشرقيون فداء هذا الحق

في هيكل الحرية، في حجر الطبيعة، حيث لا حائط ولا سقف ولا مذبح هنالك ضُحّي حسين. على قارعة الطريق النهب جوف كبش المحرقة، وفي سبيل حق المرأة استشهد - رأى وحشاً بهيئة رجل يهين ملاكاً بهيئة امرأة، ذئباً يكاد يفترس نعجة، قويا يستبد بضعيف وعاتيا يظلم ذات حق فابت مروءته غض النظر فتداخل في الامر فاستغاثت به الفتاة فلباها واستأسد في الدفاع عنها وصانها من براثن ذلك الوحش ولكن ببذل دمه . جعل صدره اولا ترسا لها واذ عجزت يد الذئب عن ازاحة هذا الصدر همت بتمزيقه بخنجر ولكنّ ساعد الشهيد كانت اقوى فانتزعت الخنجر منها وسار الفقيد محافظا على النعجة رافع الجبهة كالاسد، وهل اعظم ممن يدافع عن المرأة في الشرق حيث لا تزال ضعيفة غبية ؟ - سار ولكنه وأسفاه لم يجتز بضع خطوات حتى فاجأه الرصاص في احشاه وامتزجت اناته باستغاثة الصبية ولكن اين من يدفع البلاء ؟ لا علم ولا حكومة ولا اطباء حتى ولا بشر وانما اوهام وترهات واشخاص على الكراسي وقوانين مكتوبة وشهادات مسهبة واسماء بلا مسميات واجسام تأكل وتشرب وتنام - الا شلت يد القاتل . ليت امه لم تلده . ليت الشمس لم تشرق عليه ليته يشعر بفظاعة جرمه و بان القتيل خير من ألوف مثله فيندبه اكثر مما يندب نفسه ويقول وهو صاعد الى المشنقة الويل المستبد بالمرأة وحري بامثال الفقيد المستهدفين للقتل بتأييد القول بالعمل - حري بهم و باصحابهم نصب تمثال له في قلب كل منهم احياءا لذكره في القلوب وقد كان حبيب القلوب احب الحرية الشخصية ومات فداءها احب الاستقلال الفكري وقضى ضحيته، احب الجرأة بالحق والبسالة بالانصاف وراح شهيد ذلك

فياهدف المرأة ! فقيد الواجب ! يامن ثوى بالدفاع عن امرأة ! يا نصير الضعيف ومقاوم الاستبداد ! يامجاهداً خير الجهاد لخير الامة ! لئن غيبك اللحد عنا فذكرك حي معنا وانا لأدبك وفضلك لناشرون

﴿ أبيات جرجي افندي عطية ﴾

وارتجل جرجي افندي عطية هذه الايات

ايها الساجعُ هيجت بكايا   فلقد أذكرتني الحلو السجايا

بلبلاً في روض علم شادياً   أسكنته بغتةً لسنُ المنايا
كان يشدو مطربا ألبابنا   فغدا في لحظة احدى الرمايا
غاله سهمُ أثيمٍ غادرٍ   وهو لم يأثم ولم يدر الخطايا
لم يكن قطّ له ذنبٌ سوى   انه راقي الحجى سامي المزايا
ألمعي رافع بند النهى   أريحي نفسه تأبى الدّنايا
ورقيُّ المرء في اخلاقه   قد غدا في شرقنا احدى البلايا
حظُّ اهل العلم في الشرق الشقا   من ربى لبنان حتى حملايا
يطلبون الخير للشعب وما   من جزاً يلقونه الا الرزايا
ياصريع الحق نم في غبطة   ولكم للحق في الشرق ضحايا
ان تكن بالقتل جوزيت هنا   فستلقى الاجر من باري البرايا
فهو يوليك نعيماً دائماً   لا تحاكيه من الناس العطايا
ايها الغيثُ اسق قبرًا قدحوى   من شهيد الفضل هاتيك البقايا
انبتِ الزهرَ عليه ولهُ   ابدًا من صحبه أزكى التحايا

﴿ قصيدة الياس افندي حنيكاتي ﴾

وتلى الشاعر الرقيق الياس افندي حنيكاتي هذه القصيدة

لم يحل بعد فجيعة الآدابِ   بحسين وصفي غير مر الصاب
شهم لمصرعه القلوب تفطرت   حزنا و باتت في اشد مصاب
ومحاجر الادباء من نار الاسى   جفت فلا تقوى على التسكاب
امست به القلمون مسقط راسه   في حالة تغني عن الاسهاب
تشكو الى الاوطان وغداً غاله   تشكو عدوّ الدين والآداب
تشكو وشكواه تزيد شجونها   لجسيم رزء لم يكن بحساب
جنّاتها الخضراء كالآس اغتدت   حمراء من دمه كما العناب
لم يقترف وزراً يدنس نفسه   حتى يحل عليه شر عقاب

لكن غيرته على الاعراض قد … اودت به في عنفوان شباب
فقضى شهيد شهامة وكفى بها … مجداً لدى الاعجام والاعراب
يالهفة الاخوان بعد اخي الوفا … والفضل بل يالهفة الكتاب
حر اسير الحق غير مداهن … فيه ولا وجل ولا هياب
يأبى محاباة الوجوه وضده … في الناس كل مماذق ومحابي
واشد ما تأباه فيهم نفسه … لغو الكلام وفارغ الالقاب
آثاره الغراء في بيروت لا … تنسى ولن تنسى مدى الاحقاب
عرفت ذووالالباب فيها فضله … والفضل يعرفه ذوو الالباب
فلذاك إن احيوا له ذكرى فما … بالامر من عجب ولا استغراب
فالمرء يحيا ذكره بطرائف م … الآداب لا بمطارف الاثواب
فعليك يا ابن رضا سلام عاطر … منا وغيث رضى من الوهاب

﴿ تأبين نجيب افندي بليق ﴾

وقال الفاضل نجيب افندي بليق

اخواني !

ماذا عساني ان اقول وقد تقدمني هؤلاء الافاضل . فمع اعترافي بأني لن اوفي الفقيد حقه من الرثاء والتأبين ولن ازيد على ما قاله اخواني فيه من السجايا العالية والصفات الحميدة ارى انه لا بد لي من القول ولو كلمة عما اتصف به الفقيد لاني له صديق ومن ادرى بالصديق من الصديق ؟

نشأ الفقيد في القلمون احدى قرى لبنان المجاورة لطرابلس (والتابعة لها من جهة التقسيم الاداري في الولايات العثمانية) ودرج في حجر شيده المجد والفضل ، واثثه العلم والنبل ، فتلقى العلوم الابتدائية في القرية وتممها في طرابلس ، وكان استعداده الفطري وذكاؤه الغريزي يساعدانه في التفوق على اقرانه ويرفعانه الى اعلى مراتب التلمذة اينما كان ، ولا غرو فهو من شجرة عربية الاصل قرشية الفرع هاشمية العود وهو في حياته وحتفه كجده الحسين ميتة ونبوغا

فتى تم فيه ما يسر صديقه … على ان فيه ما يسوء الاعاديا

ولما افلت الى مصر اخوه العلامة السيد رشيد من الظلم ورجاله والسوء وآله ، عمد الى محاربة المستبدين الغاشمين وقتالهم بالبراع فاوجس رجال هذا العهد خيفة من الوكر الذي طار منه النسر فضغطوا على الوكر ومن فيه وشرعوا يتفننون في تعذيبهم وتهديدهم لاسكات ذلك الصوت الذي يرن صداه في جاوه والهند وفارس والجزائر ومراكش والشام والقطر المصري . فطورا يسجنون الولد وآونة ينذرون الوالد فلم يثنوا باعمالهم هذه عزيمة نازل مصر ولم يقدروا على اخماد تلك الجذوة المشتعلة في افئدة اهل ذلك البيت . فلما بلغ الفقيد اشده واشتد ساعده في العلم نشط اليهما على حداثة سنه ولحق بأخيه وحذا حذوه في نقد الحكومة الماضية ورجالها السفاكين واقام هناك ست سنين كان في خلالها يدرس في الازهر على اشهر اساتيذه منهم الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رب هذه الثورة الفكرية والنهضة العلمية ، وقد طمحت نفسه الى الكتابة فكان يكتب في المنار والجريدة المصرية وغيرهما تحت امضاء « المشرقي » وامضاءآت مختلفة حتى بلغ درجة في الكتابة اذا لم اقل تفوق كتابة الذين مارسوها عشرين سنة فهي لا تقل عنهم في شيء ، وكان لا يفوته علم من علوم العربية الاثني عشر الا احاط به كاحد اساتيذه ولا عجب فهو شقيق الاستاذ السيد رشيد رضا وتلميذ الشيخ محمد عبده .

ولما من الله على الامة العثمانية بنعمة الشورى ، جاء بيروت مهللاً لها فرحا وحبورا ، وخطب في الحديقة مرارا كان يرتجل خطابه دون ان يستعد له ومع ذلك كانت خطبه لا يشتم منها رائحة الارتجال لانه رحمه الله ضليع في العربية حاضر الذهن وكان يكتب المقالة بين لفيف من اصحابه ولا تشغله احاديثهم ولا تلهيه مسامراتهم عما يكتب وكان يجيبهم ويباحثهم ولا يفقد فكرة هيأها او نتيجة اعدها، ولقد توفرت فيه كل صفات الرجولة التي يحسد صاحبها ويغبط حائزها : إباء لا يمازجه كبر ، ووفاء لا يشوبه رياء ، ولين لا ضعة فيه ، وفخر مجرد من جفاء ، وادب خالص من غرور ، وعلم عار عن فضول . كان رحمه الله قليل الكلام كثير التفكير ، قوي الحجة ثابت الروع . لا يرضخ لكبير ، ولا يستهين بصغير ،

يلتهب غيرة في اصلاح امته، ويذوب حسرة على انحطاط قومه، لايفرق بين طائفة وطائفة الا بالعلم والفضل – شأن عظماء الرجال، عظماء النفوس الذين يعتبرون ابناء آدم اخوانا مهما تباينت لغاتهم واختلفت مذاهبهم فهو لعمري حري لمبدأه هذا بالاعتبار والاجلال

يحق لي ان ابكي حسينا ما دمت حيا لاني اخوه في ثلاث : في العربية، في الوطنية، في المبدأ الذي كان يعيش من أجله واذا مات فوته من اجله وهو تكافوء اروماتِ العرب وتضافر عيدانهم وجعلهم كتلة واحدة في وجه العدو وصد هجماته عنهم، ولايتم ذلك الا بالعلم – وردعهُ قاتله (شلت يداه) عن تعذيب فتاة من دواعي العلم –

الا ليت امي لم تلدني وليتني ... سبقتك اذ كنا الى غاية نجري

وقصارى القول في فقيدنا العزيز انه لو عمر عمر من عظم من الرجال اولي النهضات العلمية والسياسية منها لكان له بينهم شأن يحفظه التاريخ ويردده له جيل بعد جيل، لكن واأسفاه عاجلته منيته فقصفت به غصنا نضيرا

يا موت لو أقلت عثرته ... يا موت لو تركته لغد
يا موت لو لم تكن تعاجله ... لكان لا شك كوكب البلد

جرت العادة عند الامم المتمدنة أن تحيي ذكرى نوابغها بعد وفاتهم ولقد تتفاوت درجات النبوغ. فمنهم من يشتهر بالشجاعة الادبية ويصرح بمعتقده ولو كان في ذلك ذهابُ سالفته، ومنهم من يفني أيامه في التأليف والتنقيب ومن هؤلاء الكاتب والشاعر، ومنهم من ينهك قواه ويسهر الليالي الطوال ويسجن نفسه اهلة وأعواما ليأتي قومه والناس بشيء جديد وهذا المخترع والمكتشف، ومنهم من يخدم دولته في قيادة أو ادارة فيجيد القيام بها ويخلص في الخدمة. ولقد يجدر بالامم التي شأن افرادها على ما ذكرت أن تقيم لهم ليالي متعددات تذكر فيها آثارهم وأفكارهم فتحيي بعملها هذا شعورا يهب بابنائها الى الرقي ويربأ بهم نحو العمران. وقد تفنن الغربيون في احياء ذكر عظمائهم وتجديد همم علمائهم ومخترعيهم وقوادهم فتراهم يسمون الشوارع والبواخر والسفن الحربية باسماء أولئك

العظماء وينصبون للملاء تماثل كل منهم في الازقة والشوارع حتى انه لا يكاد يخلو شارع من تمثال عظيم، وبهذه الواسطة وبمثل هذا التشجيع يعكف رجال الغرب على العمل دون كد ولا ملل. والقوم كلهم ما بين مستحسن ومشجع حتى يصل واحدهم الى غايته وينتهي الى أمله. أما الامم الشرقية فانها واخوانها الغربية على طرفي نقيض وقد أبدع حافظ ابراهيم في هذا المعنى اذ قال : ينبغ النابغة فينبعث أشقاها للطعن عليه ولايزال يكيد له حتى يبلغ منه، ويكتب فيها الكاتب فينبري له سفيهها فلا يفتأ ينحى عليه حتى ينشب فيه نابه، ويفسد عليه كتابه، ويشعر فيها الشاعر فيحمل عليه جاهلها فلا ينفك عنه حتى يغلبه على أمره، ويقهره على شعره : فكيف بعد هذا تزكوا لنا حصاة وتصل لنا قناة

اما بعد اعلان الشورى في بلادنا فقد تغيرت أخلاقنا وتحسنت علائقنا وأصبحنا نعترف للفاضل بفضله – اللهم الا نفر قليل من طبقة الدنيا – وانصع دليل لتأييد هذه القضية هو احتفالنا بتأبين المرحوم السيد حسين واحياء ذكرى له تنويها بنجابته ونبله، واعترافا بادبه وفضله، واني أيها الاخ السيد احمد! (١) لا اعزيك وحدك بفقد المرحوم بل أعزي النابتة العربية جماعها لانها فقدت به أخا كريما وشهما عظيما

فاصبح في لحد من الارض ميتا ... وكانت به حيا تضيق الصحاصح
سأبكيك ما فاضت دموعي فان تغض ... فحسبك مني ما تجن الجوانح
فما أنا من رزء وان جل جازع ... ولا بسرور بعد موتك فارح
لئن حسنت فيك المراثي وذكرها ... فقد حسنت من قبل فيك المدائح

﴿ تأبين أمين بك طليع ﴾

وقال امين بك طليع

اذا مت فانعيني بما انا اهله ... وشقي عليَّ الجيب يا ابنة معبد

بيت قاله طرفة بن العبد صاحب المعلقة المشهورة منذ جيل ونصف جيل اتخذه مقدمة لكلامي

(١) يعني شقيقنا السيد احمد حمدي رضا وكان حاضر الحفلة

الاسيف مكاف لبكلمة عامة وهي اضمن ما يمكن ان يكاف به عاجز مثلي مع من سمعتم وتسمعون من فضلاء الشعراء ومشاهير الكتاب . خصص كل منهم نفسه بما عرفه في الفقيد رحمه الله واختبره فيه من الاخلاق والمعارف والمبادي والسياسة وترك لي تقديم صورة اجمالية لاجاريهم في الموضوع أو بالحري كي لا احرم من قليل منه في جانب ما أصابني من كثير الاسى والحزن

فقيدنا العزيز المحتفل بتأبينه هذه الليلة السيد حسين وصفي رضا سليل العترة الحسينية الطاهرة وفرع الشجرة الزكية الزاهرة شاب كان في ريعان الصبا ومقتبل العمر ، نبت في بيت الحسب ، ودرج من مهد الفضيلة والادب ، فنشأ فاضلا أديبا ، ولوذعيا أريبا ، وشب عاقلا مفكرا ، ووطنيا مخلصا ، وشهما ابيا ، منذ سنوات في بيروت وهو على أهبة السفر الى القطر المصري لاحقا باخيه المصلح الشهير العلامة السيد رشيد رسخت بيننا قواعد المودة وتوثقت عرى المصافاة فعرفت منه حرا متطرفا ايام كانت الحرية جريمة لا تغتفر ، وجريئا مقداما لا تأخذه في الحق لومة لائم ايام كانت الجرأة جزاؤها البوسفور ، ينحي باللائمة على دولة الظلم ورئيسها وعملها في نفس بلاد الظلم . ثم رأيته في مصر بلاد الحرية بلاد النور فرأيته حرا رزينا يدرك ان حرية الشخص تنتهي حيث تبتدي حرية شخص آخر ، وحادثته هنا وهناك قبل الدستور وبعد الدستور فاذا هو هو : صحيح المذهب فصيح اللهجة اذا روى ابدع ، واذا جادل اقنع ، واذا استرعي استمع ، حاد الذهن نازه النفس شديد التمسك بنواهي الدين الحنيف مع تسامح نادر المثال مع مخالفيه ، وتساهل فيما يعرفه من ملكات اصدقائه ومحبيه

لا أنسى ولن أنس أياما معدودات قضيناها هذ الصيف في جبل لبنان حيث الهواء عليل ، والنسيم بليل ، والماء سلسبيل ، وهو بيننا – والهف قلبي عليه ! – الدين لا يستثقل رشده ، والاخلاقي لا يمج نصحه ، والنديم لا يمل مجلسه .. لقد كادت تخنقني الزفرات اوزعني اللهم صبرا . . . الصحف والمجلات تشهد أنه رحمه الله افاد الادب باجتهاده ، وخدم الوطن بعلمه وجهاده ، ودافع في سبيل الشهامة بسعيه ثم – وأسفاه ! – بدمه . . . – شلت يد القاتل – لو سرت مع العواطف لبكيته بكاء الخنساء على صخر ،

وارثيته بكل قصيدة عصماء بكل مبتكر من الشعر ، ولا أغزر من عبرات يذرفها الصديق المقيم على الصديق الراحل ، ولا اجزل من عبارات يرثى بها الاخ المرحوم الزائل . ولكن عفوا ! فلا اروع هذه الشعائر الرقيقة والقلوب الكريمة (مع ما تعانيه) بمنظوم يستدر عقد الدموع ، ومنثور يذكي نارا بين الضلوع ، ولا احاول تجسيم الرزء وتعظيم الخطب فان الرزء في نفسه لجسيم والخطب لجليل

اماترى البدر ان تأملت والشمـ ... ـس هما يكسفان دون النجوم

وهو الدهر ليس ينفك ينحو ... بالمصاب العظيم نحو العظيم

ولا أسهب في بيان الخسارة وكلكم تعرفون ان هذا الوطن العزيز لفي أمس الاحتياج الى أديب مع كثرة الادباء ، وفي أشد الافتقار الى حر مع قلة الاحرار يخدمه ويعلي من شأنه وكلكم تشعرون ان هذه الفئة – فئة الادباء والمتنورين – سلسلة مرتبطة الحلقات تعوزها حلقة تزاد وهي بالطبع تتأثر لحلقة تفقد . قلت اذا «مت» الخ . . .

شاعر الجاهلية – وعصره عصر يكرم النابغين ويعظم المتفوقين – عرف ان الشرق والشرقيين لا يحفلون بغير وجيه حي ومثر متحرك يعظمونهما ويمجدونهما ولا يبالون بغير حاكم حكم يقدسونه ويحرقون بين يديه الطيب ويجرون على أقدامه المباخر وكأنه أدرك بتلك الألمعية – معما كان في زمنه من اجلال العلماء والشعراء – أن العالم والشاعر والاديب قد يحتاجون بعد مفارقة هذه الحياة الدنيا الى من يذكر لهم أثرا ويذرف عليهم دمعته ويستمطر رحمته مثال امه أو زوجته أو نسيبته (لا يحضرني من هي) بان تنعيه بما هو عليه من اريحية نادرة وبلاغة معجزة وشاعرية فطرية وطلب اليها أن تشق عليه الجيب .

فمسكين هو النابغة في الشرق ومسكين هو الاديب يضحي نفسه ليفيد ، ويحرق دماغه لينير ، يقضي العمر في جهاد مر ، وعناء مستمر ، فلا مادة يصيب ولا نفس ينال واذا هو مات فلا ينعى ولا يشق عليه جيب ولا يكون غير سكون دائم على جسم هامد تدل بقاياه على ما عاناه من التعب وما تكبده في دنياه من النصب

بيد ان أدباء بيروت ولبنان انتبهوا منذ عشرات من السنين الى حظ

الاديب من دنياه مادة فعمدوا الى اقامة مثل هذه الحفلات تقال بها كلمة وتذرف دمعة وهي أقل مايكافأ به أديب ميت ، وأفضل ما يشجع به أديب حي فحيا الله هذا الشعور .

ان الانسان ثلاثة على حد ما قيل: واحد يمر في هذه الحياة ولا يبقي بعده أثرا كما يمر العصفور في الهواء أو السفينة في الماء، و واحد يمر كما يمر الطيب في القارورة يبقي بعده ريحا طيبا لا يذهب بعد ذهابه، وواحد يكون دعامة بنيان عظيم فاذا ذهب سقط ذلك البنيان

اخونا حسين وصفي رضا مثل كل اديب مرّ في هذه الحياة كما يمر الطيب في القارورة وترك بعده طيباً لا يذهب بذهابه . فانا انعيه بما هو اهله من ادب غض، ومحتد كريم، وخلق دمث، وقول حر، وانشر من اخلاقه ومباديه اريجا يبقى الى ما شاء الله ، واستمطر على تلك الروح الشريفة شآبيب الرحمة والرضوان واسأل لذويه وخلانه ومحبيه الصبر والسلوان، وللذوات الحاضرين الوقاية من الاحزان.

سلام على روح الحسين ورمسه ... على قمر يارمس انت حجابه
فلا تثقلنه فهو عضب مهند ... ابى غمده الدنيا فانت قرابه
وانت به قارورة الطيب ضمنها ... شمائله ، اخلاقه ، وشبابه
لبسنا عليه الخط ثوب حداده ... وللشرق من حظ الاديب خضابه
فياروحه انى حللت فبلغي ... مصابك في شرق كبير مصابه
ولا تحرمينا من خيال يزورنا ... فنحن ذووه فاعلمي وصحابه

و بعد تمام الاحتفال ارفض القوم يستمطرون شآبيب الرحمة على تلك الروح الطاهرة ويندبون حظ قومهم و يشكرون للمحتفلين عنايتهم بالفضل واهله اه وهذا ما انتهى الينا من وصف هذه الحفلة اثبتناه ولا تزال تأتينا تعاز ومراث من الجهات البعيدة والقريبة واننا نشكر للجميع تعازيهم ومشاركتنا الحزن من نشرنا له تعزيته ومن لم ننشرها اه لكونها ليست على شرطنا لخلوها من ذكر شيء من مناقب الفقيد ــ سائلين الله ان يشكر عنا سعي الجميع والسلام

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولو الالباب

المنار ١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا اولو الالباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كنار الطريق

(مصر سلخ رجب ١٣٣٠ هـ ق ٢٣ الصيف الاول ١٢٩١ هـ ش ١٤ يوليو ١٩١٢ م)

باب تفسير القرآن الحكيم

على الطريقة التي كان يلقيها في الازهر الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه

(١٣٤ : ١٣٤) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ ، إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا ، فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا، وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (١٣٥ : ١٣٥) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ . وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا

قد علم مما سبق مكان هذه الآيات وما بعدها الى آخر السورة مما قبلها وهي احكام عامة في الايمان والعمل وأحوال المنافقين وأهل الكتاب في ذلك . فأما قوله تعالى ﴿ يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط ﴾ الخ فهو يتصل بما قبله من الآيات القريبة خاصة بما فيه من الأمر العام بالقسط بعد الأمر بالقسط في اليتامى والنساء ، فهنالك خص اليتامى والنساء في سياق الاستفتاء فيهن ، ولأن حقهن آكد ، وظلمهن معهود ، وهنا عمم الأمر بالقسط لأن العدل حفاظ النظام، وقوام امر الاجتماع ، وبما فيه من الشهادة لله بالحق ولو على النفس أو الوالدين والاقربين وعدم محاباة أحد في ذلك لغناه ، أو مراعاته لفقره ، لأن العدل والحق مقدمان على الحقوق الشخصية وحقوق القرابة وغيرها . وكانت محاباة الاقربين معهودة في الجاهلية ، لأن أمرهم قائم بالعصبية ، فالواحد منهم كان ينصر قومه وأهل عصبيته لأنه يعتز بهم ، كما يظلم النساء واليتامى لضعفهن ، وعدم الاعتزاز بهن ، لحظر الله محاباة المرء نفسه أو أهله هنا وإعطاءهم ماليس لهم من الحق، يقابل حظر ظلم النساء واليتامى هناك وهضم مالهن من الحق . روى ابن المنذر من طريق ابن جريج عن مولى لابن عباس قال لما قدم النبي (ص) المدينة كانت البقرة أول سورة نزلت ثم اردفتها سورة النساء قال فكان الرجل تكون عنده الشهادة قبل ابنه او ابن عمه او ذوي رحمه فيلوي بها لسانه او يكتمها مما يرى من عسرته حتى يوسر فيقضي فنزلت « كونوا قوامين بالقسط شهداء لله » فتأمل كيف بقي تأثير المحاباة فيهم بعد الاسلام حتى نزلت الآية

القوامون بالقسط هم الذين يقيمون العدل بالإتيان به على أتم الوجوه وأكملها وأدومها فان « قوامين » جمع قوّام وهو المبالغ في القيام بالشيء ، والقيام بالشيء هو الاتيان به مستويا تاما لا نقص فيه ولا عوج ، ولذلك أمر تعالى باقامة الصلاة واقامة الشهادة وإقامة الوزن بالقسط ، لتأكيد العناية بهذه الاشياء ، ومن بنى جدارا مائلا أو ناقصا لا يقال إنه اقام البناء أو أقام الجدار ، قال تعالى « فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقضّ فأقامه » وانما احتاج الجدار الى الاقامة لأنه كان مائلا متداعيا للسقوط . وهذه العبارة أبلغ ما يمكن ان يقال في تأكيد أمر العدل

والعناية به، فالامر بالعدل والقسط مطلقا يكون بعبارات مختلفة بعضها آكد من بعض: تقول اعدلوا أو اقسطوا، وتقول كونوا عادلين أو مقسطين، وهذه أبلغ لأنها أمر بتحصيل الصفة لا بمجرد الاتيان بالقسط الذي يصدق بمرة، وتقول: أقيموا القسط، وأبلغ منه: كونوا قائمين بالقسط ، وأبلغ من هذا وذاك : كونوا قوامين بالقسط ، اي لتكن المبالغة والعناية باقامة القسط على وجهه صفة من صفاتكم ، بان تتحروه بالدقة التامة حتى يكون ملكة راسخة في نفوسكم ، والقسط يكون في العمل كالقيام بما يجب من العدل بين الزوجات والأولاد ، ويكون في الحكم بين الناس ممن يوليه السلطان او يحكمه الناس فيما بينهم . وكان ينبغي أن يكون المسلمون بمثل هذه الهداية أعدل الأمم وأقومهم بالقسط ، وكذلك كانوا عند ما كانوا مهتدين بالقرآن ، وصدق على سلفهم قوله تعالى « وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون » ثم خلف من بعد أولئك السلف خلف نبذوا هداية القرآن وراء ظهورهم ، حتى صارت جميع الأمم تضرب المثل بظلم حكامهم وسوء حالهم ، وتفخر عليهم بالعدل، بل صار الذين ليس لهم من الاسلام الا اسمه يلتمسون من تلك الأمم القسط ، وما يهدي اليه من العلم

وقوله تعالى ﴿ شهداء لله ﴾ خبر بعد خبر اي كونوا شهداء لله والشهداء جمع شهيد بوزن « فعيل » والاصل في صيغة « فعيل » ان تدل على الصفات الراسخة كعليم وحكيم فهو على هذا أمر بالعناية بأمر الشهادة والرسوخ فيها ، وقد تقدم تفسير الشهادة في تفسير أواخر سورة البقرة فتراجع في الجزء الثاني من التفسير ، ومعنى كون الشهادة لله ان يتحرى فيها الحق الذي يرضاه ويأمر به من غير مراعاة ولا محاباة لأحد ﴿ ولو على أنفسكم او الوالدين والاقربين ﴾ اي كونوا شهداء بالحق لوجه الله وامتثال امره واتباع شرعه ، الذي تنال به مرضاته ومثوبته ، ولو كانت الشهادة على انفسكم ، بأن يثبت بها الحق عليكم – ومن أقر على نفسه بحق فقد شهد عليها لأن الشهادة اظهار الحق – او على والديكم واقرب الناس اليكم كأولادكم وأخوتكم ، فانه ليس من برّ الوالدين ولا من صلة رحم الاقربين أن

يعانوا على ما ليس لهم بحق ، بالاعراض عن الشهادة عليهم ، اوليّها والتحريف فيها لاجلهم ، وانما البر والصلة في الحق والمعروف ، ـ والحق احق ان يتبع ـ والذين يتعاونون على الظلم وهضم حقوق الناس يتعاون الناس على ظلمهم وهضم حقوقهم ، فتكون المحاباة في الشهادة من اسباب فشوّ الظلم والعدوان ، وذلك من المفاسد التي لا يأمن شرها احد من الناس ، فالمحاباة في الشهادة مفسدة ضررها عام وإن كانت لمصلحة يريد المحابي بها نفع أهله أو الشفقة على فقير او العصبية لغني ولذلك

قال عز وجل ﴿ ان يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما ﴾ اي ان يكن المشهود عليه من الاقربين او غيرهم غنيا او فقيرا فالله أولى بهما ، وشرعه أحق ان يتبع فيهما ، فلا تحابوا الغني طمعا في بره ، ولا خوفا من شره ، ولا الفقير عطفا عليه ورحمة به ، فمرضاة الفقير ليست خيراً لكم ولا له من مرضاة الله تعالى ، ولا انتم ارحم بالفقير وأعلم بمصلحته من ربه عز وجل ، ولولا انه تعالى يعلم ان العدل وإقامة الشهادة بالحق ، هي خير للشاهد والمشهود عليه ، سواء أ كان غنيا أو فقيرا لما شرع الله ذلك وأوجبه ، روى ابن جرير عن السدي في الآية قال نزلت في النبي (ص) اختصم اليه رجلان غني وفقير فكان حلفه مع الفقير يرى ان الفقير لا يظلم الغني فابى الله الا ان يقوم بالقسط في الغني والفقير اه اي كان ميله القلبي موجها الى الفقير لظنه أنه لا يتصدى لظلم الغني ، وهو وان ظن ذلك لا يحكم الا بالحق الذي تظهره البينة والحجة سواء أنزلت الآية في ذلك ام لا ، وروى عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن قتادة في هذه الآية انه قال — ونعم ما قال — : هذا في الشهادة فأقم الشهادة يا ابن آدم ولو على نفسك أو الوالدين أو الاقربين أو على ذي قرابتك واشراف قومك ، فانما الشهادة لله وليست للناس ، وان الله رضي بالعدل لنفسه والاقساط . والعدل ميزان الله في الارض ، به يردّ الله من الشديد على الضعيف ، ومن الصادق على الكاذب ، ومن المبطل على المحق ، و بالعدل يصدق الصادق ويكذب الكاذب ويردّ المعتدي ويوبخه تعالى ربنا وتبارك ، و بالعدل يصلح الناس ، يا ابن آدم! ان يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما ، يقول الله أنا أولى بغنيكم

وفقيركم . ولا يمنعك غنى غنيّ ولا فقر فقير أن تشهد عليه بما تعلم فان ذلك من الحق . اه

قال تعالى ﴿ فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا ﴾ اي فلا تتبعوا الهوى وميل النفس الى أحد ممن كلفتم العدل فيهم ، او الشهادة لهم او عليهم ، كراهة أن تعدلوا ، بل آثروا العدل على الهوى ، فبذلك يستقيم الامر في الورى ، اولا تتبعوا الهوى لئلا تعدلوا عن الحق الى الباطل فالهوى مزلة الاقدام ﴿ وان تلووا أو تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيراً ﴾ كتبت « تلووا » في المصحف الإمام بواو واحدة لتحتمل القراءتين المتواترتين وهي قراءة الكوفيين « تلوا » بضم اللام وإسكان الواو من الولاية وقراءة الباقين بسكون اللام وضم الواو من الليّ والمعنى على الاول : وان تلوا أمر الشهادة وتؤدوها ، أو تعرضوا عن تأديتها وتكتموها ، فان الله كان خبيرا بعملكم لا يخفى عليه قصدكم ونيتكم فيه ، وعلى الثاني وان تلووا ألسنتكم بالشهادة وتحرفوها ، أو تعرضوا عنها فلا تؤدوها ، فان الله كان بعملكم هذا خبيرا فيجازيكم عليه . وقد ذكرهم هنا بكونه خبيرا ولم يقل عليما لان الخبرة هي العلم بدقائق الامور وخفاياها ، فهي التي تناسب هذا المقام الذي تختلف فيه النيات ، ويكثر فيه الغش والاحتيال ، حتى أن الانسان ليغش نفسه ويلتمس لها العذر في كتمان الشهادة او التحريف فيها ، فهل يتدبر المسلمون الآية كما أمرهم الله بتدبر القرآن فيقيموا العدل والشهادة بالحق ، أم يعملون برأي أهل الحيل الذين يزعمون ان الله كلفهم اتباعهم دون اتباع كتابه والاهتداء به ؟ ؟

﴿ يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل ﴾ روى الثعلبي عن ابن عباس أن هذه الآية نزلت في عبد الله بن سلام وأسد واسيد ابني كعب وثعلبة بن قيس وسلام ابن اخت عبد الله بن سلام وسلمة ابن اخيه ويامين بن يامين اذ أتوا رسول الله (ص) فقالوا : يارسول الله إنا نؤمن بك وبكتابك وموسى والتوراة وعزير ونكفر بما سواه (أي سوى ما ذكر) من الكتب والرسل ، فقال « بل آمنوا بالله ورسوله

محمد وكتابه القرآن وبكل كتاب كان قبله » فقالوا لانفعل ، فنزلت قال فآمنوا كلهم (وهم من اليهود) وروي عن الضحاك ايضا أنها نزلت في أهل الكتاب ، وجمهور المفسرين على ان الخطاب فيها للمؤمنين كافة أمرهم الله ان يجمعوا بين الايمان به وبرسوله الاعظم خاتم النبيين والقرآن الذي نزله عليه وبين الايمان بجنس الكتب التي نزلها على رسله من قبل بعثة خاتم النبيين بأن يعلموا ان الله قد بعث قبله رسلا ، وانزل عليهم كتبا ، وانه لم يترك عباده في الزمن الماضي سدى ، محرومين من البينات والهدى ، ولا يقتضي ذلك ان يعرفوا أعيان تلك الكتب ولا ان تكون موجودة ، ولا أن يكون الموجود منها صحيحا غير محرف ، وإذا كان المتبادر من الآية هو الامر بالجمع بين الايمان بالنبي الخاتم والكتاب الآخر ، وبين ماقبله — كما قلنا — فلا حاجة الى جعل « آمنوا » بمعنى اثبتوا وداوموا على الايمان بذلك كما قالوا ، فليس المقام مقام الامر بالمواظبة والمداومة ، سواء أصح ما ورد في سبب النزول أم لا

ولما أمر بالايمان بكل ماذكر توعد على الكفر بأي شيء منه فقال ﴿ ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا ﴾ فالايمان بالله هو الركن الاول والايمان بجنس الملائكة الذين يحملون الوحي الى الرسل هو الركن الثاني ، والايمان بجنس الكتب التي نزل بها الملائكة على الرسل هو الركن الثالث ، والايمان بجنس الرسل الذين بلغتهم الملائكة تلك الكتب فبلغوها الناس — هو الركن الرابع ، والايمان باليوم الآخر — الذي يجزى فيه المكلفون على عملهم بتلك الكتب مع الايمان بما ذكر كل بحسب كتابه الا ان ينسخ بما بعده هو الركن الخامس ، ومن فرق بين كتب الله ورسله فآمن ببعض وكفر ببعض كاليهود والنصارى لا يعتد بايمانه لانه متبع للهوى فيه أو للتقليد الذي هو عين الجهل ، وقد وصف الله خاتم رسله وأمته التي هي خير الامم بقوله « آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، لانفرق بين أحد من رسله » ولولا التقليد الذي هو جهل وعمي ، أو التعصب واتباع الهوى ، لما كان

يعقل ان يفهم أحد معنى النبوة والرسالة ويؤمن بموسى أو عيسى عن علم وبصيرة بذلك ثم يكفر بمحمد صلى الله عليه وعليهما وسلم ، فان سر الرسالة هو الهداية ولم يكن موسى ولا عيسى أهدى من محمد عليهم صلوات الله وسلامه اجمعين ، فمن يكفر بالله أو بملائكته أو ببعض كتبه أو رسله أو اليوم الآخر فقد ضل عن صراط الحق الصحيح الذي ينجي صاحبه في الآخرة من العذاب الاليم ، ويمتعه بالنعيم المقيم ، لانه اذا كفر ببعض تلك الاركان بجحود أصله وانكاره ألبتة كانت حياته في هذه الدنيا حيوانية محضة ، لايزكي نفسه ولا يعد روحه للحياة الباقية الابدية ، وان كفر ببعض الكتب والرسل كان كفره بها دليلا على انه لم يؤمن بشيء منها إيمانا صحيحا مبنيا على فهم معناها والبصيرة بحكمتها كما بينا ذلك آنفا ، وكل ذلك من الضلال البعيد من طريق الهداية ومحجة السلامة ، وانما بعده عنها جهل صاحبه لوجودها ، ومن جهل وجود الشيء لايطلبه بالبحث عن بيناته وطلب أعلامه وآياته ، واما من ضل عن الشيء وهو يؤمن بوجوده ، فانه يبحث عنه ويستدل عليه حتى يصل اليه ، فيكون ضلاله قريبا . ووصف الضلال بالبعيد من أبلغ الوصف وأعلاه . وقد وحد لفظ الكتاب في أول الآية ليناسب لفظ الرسل المفرد ، وجمعه في آخرها ليناسب جمع الرسل .

(١٣٦ : ١٣٦) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا (١٣٧:١٣٧) بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٣٨:١٣٨) الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ، أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا (١٣٩:١٣٩) وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ، إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ ، إِنَّ اللهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا

(١٤٠:١٤٠) الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ، فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ، وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ. فَاللهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَنْ يَجْعَلَ اللهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا

بين الله لنا في هذه الآيات حال أناس من أصحاب الضلال البعيد ـ الذي ذكر في الآية التي قبلهن ـ آمنوا في الظاهر نفاقا أو تقليدا وكان الكفر قد استحوذ على قلوبهم فلم يدع فيها استعدادًا لفهم الايمان؟ فلذلك لم يعصمهم من الرجوع الى الكفر مرة بعد أخرى، لأنهم لم يعرفوا حقيقته ولا ذاقوا حلاوته، ثم وعيد المنافقين كافة وبيان موالاتهم للكافرين وما بينهم من التناسب الذي يقتضي اشتراكهم في الوعيد وتحذير المؤمنين منهم فقال ﴿ان الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا﴾ ذلك بأنه قد تبين من ذبذبتهم بين الايمان والكفر انه قد طبع على قلوبهم حتى فقدوا الاستعداد لفهم حقيقة الايمان وحقيته ومزاياه، فهم بحسب سنة الله في خلقه لا يرجى لهم أن يهتدوا الى سبيل من سبله، ولا أن يغفر لهم ما دنس أرواحهم من ذنوبه، وانما قلنا إن الآية مبينة لسنة الله تعالى في أمثالهم لان أرحم الراحمين واسع المغفرة لم يكن ليحرم أحدا من عباده المغفرة والهداية بمحض الخلق والمشيئة، وانما مشيئته مقرونة بحكمته وقد قضت حكمته الازلية بان يكون كسب البشر لعلومهم واعمالهم مؤثرا في نفوسهم، فمن طال عليه أمد التقليد، حجب عقله عن نور الدليل، حتى لا يجد اليه من سبيل، ومن طال عليه عهد الفسوق والعصيان، حجب عن أسباب الغفران، وهي التي بينها تعالى في قوله « واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى» وقوله حكاية لدعاء الملائكة واستغفارهم للمؤمنين « ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم » وغير ذلك من الآيات. وقد بينا مرارا أن المغفرة عبارة عن محو أثر الذنب من النفس بتأثير التوبة

والعمل الصالح الذي يضاد أثره أثر ذلك الذنب وهو الذي يدل عليه قوله تعالى « إن الحسنات يذهبن السيئات » والقرآن يفسر بعضه بعضا. ولا تدل الآية على أن هؤلاء اذا آمنوا ايمانا صحيحا لا يقبل منهم بل يقبل قطعا، وقد روي عن قتادة ان المراد بالآية أهل الكتاب ـ آمن اليهود بالتوراة ثم كفروا وآمن النصارى بالانجيل ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا بمحمد (ص) وعن ابن زيد ومجاهد انها نزلت في المنافقين، والاول لا يظهر الا على قول بعضهم ان كفر اليهود الاول كان باتخاذهم العجل وعبادته والثاني كفرهم بالمسيح والثالث الذي ازدادوا به كفرا هو كفرهم بمحمد (ص) على ان كثيرا من اليهود قد آمنوا. وأما القول الثاني فهو يظهر فيمن جهروا بالكفر من المنافقين كما يظهر فيمن يدخلون في الاسلام تقليدا لبعض من يثقون بهم ثم يرجعون الى الكفر لمثل ذلك لانهم لم يفهموا حقيقة الايمان والاسلام وهكذا فعلوا مرة بعد أخرى ثم رأوا أن الكفر ألصق بنفوسهم لطول أنسهم به وانهماكهم فيه، ﴿بشر المنافقين بان لهم عذابا أليما﴾ الغالب في استعمال البشارة أن تكون في الاخبار بما يسر فهي اذاً مأخوذة من انبساط بشرة الوجه كما أن السرور مأخوذ من انبساط اساريره، وعلى هذا يقولون إن استعمالها فيما يسوء ـ كما هنا ـ يكون من باب التهكم، وقيل إن البشارة تستعمل فيما يسر وفيما يسوء استعمالا حقيقيا لان أصلها الاخبار بما يظهر اثره في بشرة الوجه في الانبساط والتمدد، أو الانقباض والتغضن، والاليم الشديد الالم.

ثم وصف هؤلاء المبشرين بقوله ﴿الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين﴾ أي الذين يتخذون الكافرين المعادين للمؤمنين أولياء وانصارا متجاوزين ولاية المؤمنين وتاركيها الى ولايتهم ومما لأتهم عليهم لاعتقادهم ان الدولة ستكون لهم فيجعلون لهم يداً عندهم ﴿أيبتغون عندهم العزة﴾ استفهام تقريع وتوبيخ. ان كانوا يبتغون عندهم العزة وهي المنعة والغلبة ورفعة القدر ﴿فان العزة لله جميعا﴾ فهو يؤتيها من يشاء فكان عليهم ان يطلبوها منه بصدق الايمان والسير

على سنته تعالى واتباع هداية وحيه الذي يرشدهم الى طرقها ، ويبين أسبابها ، وقد آتاها الله نبيه والمؤمنين باهتدائهم بكتابه ، وسيرهم على سننه ، ولما اعرض المسلمون عن هذه الهداية التي اعتز بها سلفهم ذلوا وساءت حالهم وصار فيهم منافقون يوالون الكفار دونهم يبتغون عندهم العزة والشرف وما هم لها بمدركين ، فعسى الله ان يوفق المسلمين الى الرجوع الى تلك الهداية فيعودوا الى حظيرة « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين »

﴿ وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره ﴾ قالوا الخطاب عام لجميع من كان يظهر الايمان من صادق ومنافق . والذي نزله عليهم في الكتاب هو قوله تعالى في سورة الانعام التي نزلت قبل هذه السورة ـ لأنها مكية وهذه السورة مدنية ـ « وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره » نزلت هذه في مشركي مكة اذ كانوا يخوضون في الكفر وذم الاسلام والاستهزاء بالقرآن ، وكان بعض المسلمين يجلسون معهم في هذه الحال ولا يستطيعون الانكار عليهم لضعفهم وقوة المشركين ، فأمروا بالاعراض عنهم ، وعدم الجلوس اليهم في هذه الحال . ثم ان يهود المدينة كانوا يفعلون فعل مشركي مكة وكان المنافقون يجلسون معهم ويستمعون لهم فنهى الله المؤمنين على الاطلاق عن ذلك . ومجموع الآيتين يدل على أن بعض ما كان يخاطب به النبي (ص) يراد به أمته ومعنى « سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها » سمعتم الكلام الذي موضوعه جعل الآيات في موضع السخرية والاستهزاء الذي يراد به التحقير والتنفير ، بمجرد السفه وقول الزور ،

ويدخل في هذه الآية كل محدث في الدين وكل مبتدع كما روي عن ابن عباس قال في « فتح البيان في مقاصد القرآن » : وفي هذه الآية باعتبار عموم لفظها دون خصوص السبب دليل على اجتناب كل موقف يخوض فيه أهله بما يفيد التنقص والاستهزاء للأدلة الشرعية كما يقع كثيرا من اسراء التقليد الذين استبدلوا آراء الرجال بالكتاب والسنة ، ولم يبق في أيديهم سوى : قال امام مذهبنا كذا

وقال فلان من اتباعه بكذا . واذا سمعوا من يستدل على تلك المسألة بآية قرآنية أو بحديث نبوي سخروا منه ولم يرفعوا الى ما قاله رأسا ، ولا بالوا به بالة ، وظنوا أنه قد جاء بأمر فظيع ، وخطب شنيع ، وخالف مذهب إمامه الذي نزلوه منزلة معلم الشرائع ـ بالغوا في ذلك حتى جعلوا رأيه القائل، واجتهاده الذي هو عن منهج الحق مائل ، مقدما على الله وعلى كتابه وعلى رسوله ، فإنا لله وانا اليه راجعون ، ما صنعت هذه المذاهب بأهلها والأئمة الذين انتسب هؤلاء المقلدة اليهم برآء من فعلهم ، فانهم قد صرحوا في مؤلفاتهم بالنهي عن تقليدهم ، كما أوضح الشوكاني ذلك في « القول المفيد » « وأدب الطلب » اه ويا ليت هؤلاء الذين جعلوا كلام شيوخهم أصلا للدين والكتاب والسنة فرعين أو مهملين يتبعون الأئمة الذين يدعون الانتساب اليهم وهم لا يعرفون هديهم ولا يتبعونهم ، وانما يتبع كل أهل عصر شيوخهم على جهلهم

﴿ انكم اذا مثلهم ﴾ هذا تعليل للنهي اي انكم إن قعدتم معهم تكونون مثلهم وشركاء لهم في كفرهم ، لانكم أقررتموهم عليه ورضيتموه لهم ، ولا يجتمع الايمان بالشيء واقرار الكفر والاستهزاء به . ويؤخذ من الآية ان اقرار الكفر بالاختيار كفر ، ويؤخذ منه ان اقرار المنكر والسكوت عليه منكر ، وهذا منصوص عليه أيضا . وإن إنكار الشيء يمنع فشوه بين من ينكرونه حتما ، فليعتبر بهذا اهل هذا الزمان ، وليتأملوا كيف يمكن الجمع بين الكفر والايمان ، او بين الطاعة والعصيان ، فان كثيراً من الملحدين في البلاد المتفرنجة يخوضون في آيات الله ويستهزؤون بالدين ، ويقرهم على ذلك ويسكت لهم من لم يصل الى درجة كفرهم ، لضعف الايمان والعياذ بالله تعالى

﴿ إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا ﴾ هذا وعيد للفريقين المستهزئين من الكفار ولمقريهم من المنافقين بأنهم سيجتمعون في العقاب كما اجتمعوا على الاثم وكذا غيرهم من الفريقين

﴿ الذين يتربصون بكم ﴾ اي الذين ينتظرون بكم أيها المؤمنون ما يحدث

من كسر أو نصر ، أو خير أو شر ، وهذا وصف للمنافقين كقوله في الآية السابقة « الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين » ﴿ فان كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم ﴾ هذا تفصيل للتربص أي فان نصركم الله وفتح عليكم ادعوا انهم كانوا معكم وانهم منكم ، يستحقون مشاركتكم في نعمتكم ، ﴿ وان كان للكافرين نصيب قالوا ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين ﴾ اي وان كان للكافرين نصيب من الظفر - لان الحرب سجال - متوا إليهم ومنوا عليهم ، بأنهم كانوا عونا لهم على المؤمنين بتخذيلهم ، والتواني في الحرب معهم - والاستحواذ يفسرونه بالاستيلاء وهو في الاصل من الحوذ وهو السوق سمي حوذاً لأن الحوذي (السائق) يضرب حاذبي البعير أو غيره من الدواب ، والحاذبان هما جانبا الفخذين من الوراء ، والحاذ الظهر ويطلق على جانبيه حاذين ، وهذا الضرب من السوق يستولي به الحوذي على ما يسوقه فصاروا يطلقون الاستحواذ على الاستيلاء على الشيء والتمكن من تسخيره أو التصرف فيه - فهم يقولون للكفار اننا قد استولينا عليكم ، وتمكنا من الايقاع بكم ، ولم نفعل بل منعنا كم اي جمعنا كم وحفظنا كم من المؤمنين . والنكتة في التعبير عن ظفر المؤمنين بالفتح وأنه من الله ، وعن ظفر الكافرين بالنصيب - هي إفادة أن العاقبة في القتال للمؤمنين ، فهم الذين يكون لهم الفتح والاستيلاء على الامم الكافرة ولكن الحرب سجال قد يقع في أثنائها نصيب من الظفر للكافرين لا ينتهي الى ان يكون فتحا يستولون به على المؤمنين ، وذلك ان الله تعالى وعد المؤمنين بالنصر في مثل قوله « وكان حقا علينا نصر المؤمنين » المقيد بقوله عز وجل « يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ، والذين كفروا فتعسا لهم وأضل أعمالهم » وإنما نصر الله أن يقصد بالحرب حماية الحق وتأييده واعلاء كلمته ابتغاء مرضاة الله ومثوبته ، وآيته مراعاة سنن الله في أخذ أهبته ، وإعداد عدته ، التي ارشد اليها كتابه العزيز في مثل قوله « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل » وقوله « اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون » وقد بينا غير مرة كون الايمان

نفسه من اسباب النصر ، وأنه يقتضي الاستعداد وأخذ الحذر ، وانما غلب المسلمون في هذه القرون الاخيرة وفتح الكفار بلادهم التي فتحوها من قبل بقوة الايمان ، وما يقتضيه من الاعمال ، لانهم ما عادوا يقاتلون لاعلاء كلمة الله وتأييد الحق ونشر الاسلام ، ولا عادوا يعدون ما استطاعوا من قوة كما أمرهم القرآن ، فهم يستطيعون ان ينشئوا البوارج المدرعة ، والمدافع المدمرة ، ويتعلموا ما يلزم لها وللحرب من العلوم الرياضية والطبيعية والميكانيكية ، وهي فرض عليهم ، بمقتضى قواعد دينهم ، لان ما لا يتم الواجب الا به فهو واجب ، وقد تركوا كل ذلك بل صار أدعياء العلم فيهم ، يحرمون ذلك عليهم ،

﴿ فالله يحكم بينكم يوم القيامة ﴾ اي يحكم بين المؤمنين الصادقين والمنافقين الذين يظهرون الايمان ويبطنون الكفر فهنالك لا تروج دعواهم التي يدعونها عند النصر والفتح انهم منكم ﴿ وان يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا ﴾ اي ان الكافرين لا يكون لهم من حيث هم كافرون سبيلا ما على المؤمنين من حيث هم مؤمنون يقومون بحقوق الايمان ويتبعون هديه ، وكلمة « سبيل » هنا نكرة في سياق النفي تفيد العموم وقد أخطأ من خصها بالحجة ، وسبب هذا التخصيص عدم فهم ما قررناه آنفا من كون النصر مضمونا بوعد الله وسنته للمؤمنين بشرطه الذي اشرنا اليه . وقال بعضهم ان هذا خاص بالآخرة . والصواب انه عام فلا سبيل للكافرين على المؤمنين مطلقا وما غلب الكافرون المسلمين في الحروب والسياسة واسبابها العلمية والعملية من حيث هم كافرون بل من حيث انهم صاروا أعلم بسنن الله في خلقه واحكم عملا بها والمسلمون تركوا ذلك كما علمت ، فليعتبر بذلك المعتبرون !

بشائر عيسى ومحمد (*)

﴿ في العهدين العتيق والجديد ﴾

٤

﴿ الفصل الثالث ﴾

« في التوراة والانجيل »

التوارة كلمة عبرية معناها الشريعة وتطلق في الأصل على كل ماأوحاه الله تعالى الى موسى عليه السلام ليبلغه للناس من مواعظ وقصص وشرائع وغير ذلك وسميت كل هذه الاشياء بالتوراة لان أعظم شيء فيها هو (الشريعة)

ويرى الناظر في كتب العهد القديم أن موسى عليه السلام اعتنى بشريعته اعتناءاً كليا وجزئيا حتى أنه أعاد تبليغ هذه الشريعة لبني اسرائيل بعد أن بلغها لهم المرة الاولى وكتبها لهم بنفسه وسلمها لهم مكتوبة هي والوصايا العشر التي كانت مكتوبة بقلم القدرة الالهية على لوحين من الحجر وأمرهم بحفظها وشدد عليهم في ذلك تشديداً عظيما والشريعة الموسوية هذه مع الوصايا العشر توجد ملخصة في كتاب على حدتها يسمى الآن (سفر التثنية) لان موسى أعادها فيه كما قلنا بعد أن كان بلغها لهم من قبل. وهذا السفر يسمى في العهد القديم سفر التوراة وسفر الشريعة (تث ٣٠ : ١٠ و٣١ : ٩ و١١ و١٢ و٢٤ ونحميا ص ٧ : ٨ ودا ٩ : ١٣ و٢ أي ٢٥ : ٤) ولا يوجد عند أهل الكتاب دليل على أن موسى كتب الاسفار الاخرى المنسوبة اليه غير سفر التثنية

وهذا السفر حافظت عليه الامة اليهودية محافظة شديدة (إلا في أوقات إرتدادها وكثيرة هي) لانه كان مرجع جميع الانبياء من عهد موسى عليه السلام

(*) تابع لما نشر في الجزء الخامس ص ٤٢٧ بقلم الدكتور محمد توفيق صدقي

الى عيسى عليه السلام ومن راجع هذا السفر ظهر له أنه لم يدخله شيء يذكر مما دخل غيره من الفساد الكبير نعم قد زيد عليه الاصحاح الاخير منه المتعلق بموت موسى عليه السلام وغلط في عده الارنب الجبلي من الحيوانات المجترة (١٤ : ٧) وربما زيد عليه بعض كلمات قليلة في أوله وما عدا ذلك يمكننا أن نقول إن جل ما جاء فيه هو من التوراة الحقيقية (أو هو ملخص الشريعة الموسوية) التي أوحاها الله تعالى الى موسى وهذا السفر هو الذي كان معروفا بين بني اسرائيل (باسم التوراة) و (سفر الشريعة) كما يظهر من باقي كتب العهد العتيق ويعرف أيضا في العهد الجديد بالناموس (١) (متى ٢٢ : ٤٠)

أما باقي الكتب المنسوبة الى موسى عليه السلام فلم تسم (بالتوراة) ولا (بسفر الشريعة) بين اليهود الاقدمين كما هو ظاهر من كتب العهد القديم والغالب أنها ما كانت كثيرة التداول بينهم قبل أسر بابل ولا كانت معروفة لجميع الناس اللهم الا الشرائع التي تتضمنها هذه الكتب فالظاهر ان فسادها قليل جدا كالكلام على اجترار الارنب الجبلي مع أنه لا يجتر (تث ١٤ : ٧ ولا ١١ : ٦) ومثل شريعة برص الثياب (لا ١٣ : ٤٧ ـ ٥١) وبرص البيوت (لا ١٤ : ٣٣ الى ٥٥) فانها كلها شريعة لا فائدة منها ولا يفهم أحد لها معنى للآن

ولا ننكر أن موسى عليه السلام بلغهم كثيرا من القصص التي في تلك الكتب ولكنه لم يكتبها لهم فهي بمنزلة الاحاديث عندنا ويجوز أن يكون بعض الناس كتب

(١) حاشية : (الناموس) كلمة يونانية معناها أيضاً (الشريعة) وكانت في الاصل عند اليهود الاقدمين تطلق خاصة على سفر الشريعة أو التوراة (وهو المسمى الآن بالتثنية) ولكن توسع فيها اليهود المعاصرون للمسيح والذين بعده وصاروا يطلقونها أيضا على أي كتاب من كتب العهد القديم ولو كان خاليا من الشريعة كالمزامير (راجع انجيل يوحنا ١٢ : ٣٤) ومن ذلك نشأ عند أهل الكتاب من العرب اطلاق لفظ (التوراة) على كتب العهد القديم كلها سواء كانت لموسى أو لغيره وعليه فيجوز في بعض المواضع من القرآن أن يذكر لفظ « التوراة » بهذا الاصطلاح ويريد بها كتاباً آخر من كتب أنبياء بني اسرائيل فاذا قال القرآن الشريف ان كذا وكذا موجود في التوراة ولم نجده في (سفر التثنية) كان ذلك مما فقد من كتب موسى كما سيأتي أو كان موجودا في كتاب آخر من كتب أنبياء بني اسرائيل الموجودة الآن أو المفقودة فتنبه لذلك تسلم من الخلط والخبط

شيئا منها في زمنه عليه السلام كما كتب بعض الاحاديث في زمن النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن ينهى عن كتابتها . وكثير مما في هذه الكتب من التوريخ قد حضره بنو اسرائيل بأنفسهم وعلموه فهو لا يحتاج لتبليغ موسى بل تناقله اليهود بينهم بالروايات الشفوية أو بكتابة بعضه كما قلنا فدخله كثير من التحريف والتبديل والنقص والزيادة

وقبل سبي بابل لم تجمع هذه الكتب على هيئتها الحاضرة كما جزم بذلك علماؤهم (راجع قاموس الكتاب المقدس لبوست مجلد ١ ص ٥٥٩) ولا يعرف باليقين من كتب الاسفار الاخرى غير سفر التثنية والظاهر أنها كتبت في أوقات مختلفة وتم وجودها بين اليهود قبل سنة ٧٢٠ ق . م . أي قبل وجود السامريين وكانت جمعت من الروايات الشفوية ومن بعض المحفوظات القديمة المكتوبة فهي ككتب السير والتواريخ عند المسلمين وليست متواترة عند اليهود بخلاف سفر الشريعة (التوراة) الذي كانت الانبياء تقيم أحكامه من عهد موسى إلى عيسى عليهما السلام (انظر متى ٥ : ١٧ و ١٨)

وقد استدل كثير من العلماء بوجود بعض عبارات من حوادث متأخرة ومن وجود بعض أسماء لم تكن معروفة في زمن موسى بل حدثت بعده ـ أنه عليه السلام لم يكتب كل هذه الأسفار المنسوبة إليه (راجع كتاب اظهار الحق تجد من ذلك كثيرا وكتابنا الدين في نظر العقل الصحيح فقد ذكرنا فيه بعض هذه الشواهد) . قال الدكتور بوست في قاموسه صفحة ٤٣٢ مجلد أول (أنه من المؤكد أن موسى عليه السلام لم يكن يعرف دان (تك ١٤ : ١٤) ولا حبرون (٣٧ : ١٤) (بهذين الاسمين) إذ هما من الاسماء التي استجدت بعده ووجودهما في هذه الاسفار مما يدل على أن واحداً غيره كتبها بعد وفاته أو غـيَّرهما فيها

ونحن نستدل أيضاً من ذكر لفظ (الله) فيها بالجمع (تك ١ : ١)* وذكر

(*) حاشية : اعلم أن النصارى تتخذ مثل هذه العبارة (وهي ذكر الله بلفظ الجمع في العبرية) اشارة الى التثليث مع أنهم يقرون في بعض المواضع الاخرى أن كتابهم المقدس قد يستعمل الجمع بدل المفرد لاجل التعظيم والتفخيم كما هو معروف في كثير من اللغات الاخرى . مثال ذلك أن المرأة التي كانت تستحضر الارواح قالت لشاول لما رأت روح صموئيل (رأيت آلهة =

مصارعة الله ليعقوب (تك ٣٢ : ٢٤ — ٢٩) وقصة زنا لوط (* بابنتيه وشربه

= يصعدون من الارض تريد روح صموئيل فلذا اجابها شاول ما هي صورته لانه يعلم أنها تريد بالجمع هنا المفرد لتعظيم صموئيل كما كان معهودا عندهم فلذا سمته (بالآلهة) راجع سفر صموئيل الاول (٢٨ : ١٣ و ١٤) ومثل ذلك قول القرآن في سورة يونس (على خوف من فرعون وملائهم) بدل ملائه

فكذلك عبارة سفر التكوين هذه (١ : ١) وغيرها ان لم يكن المراد بالجمع فيها التعظيم لكانت اشراكا بالله تعالى وهو ما تنزه الديانة الموسوية عنه لمخالفته سائر نصوصها الصريحة في التوحيد والتنزيه

*) حاشية ـ يكثر في كتب اليهود والنصارى أمثال هذه الحكايات التي تخجل السيدات والعذارى ولا يليق أن تنشر بين الناس . فلا أدري ما الحكمة من الاكثار من ذكر مثل القصص الآتية : ـ

(١) سكر نوح وانكشاف عورته (تك ٩ : ٢٠ ـ ٢٧)

(٢) سكر لوط وزناه بابنتيه

(٣) خداع أمنون بن داود لأخته العذراء وافتضاضه لها (٢ صمو ١٣) والذي دبر له هذه الخدعة يوناداب ابن عمه وسماه الكتاب المقدس (رجلا حكيما جدا) لانه دبر له هذه الحيلة الدنيئة (٢ صمو ١٣ : ٣) ولما قتل أمنون هذا حزن عليه داود وبكاه بكاء مراً طول حياته مع أنه فسق بابنته (٢ صمو ١٣ : ٣٦ و ٣٧)

(٤) زنا داود بامرأة أوريا وتعريضه زوجها للقتل في الحرب بكتاب أرسله مع أوريا نفسه مع أنه كان جاراً له (٢ صمو ١١)

(٥) احضارهم الى داود في آخر أيامه فتاة جميلة جداً عذراء (وهو تعبير كثير الورود في الكتاب المقدس) لتحتضنه ولتضطجع معه ليدفأ (املو ١ : ١ ـ ٤)

(٦) دخول أبشالوم على سراري أبيه أمام جميع اسرائيل (٢ صمو ١٦ : ٢٢)

(٧) زنا يهوذا بن يعقوب بامرأة ابنه فأتت بفارص أحد أجداد المسيح (تكون ٣٨ ومتى ١ : ٣)

فهذا قليل من كثير مما ورد في هذه الكتب المقدسة من الحكايات التي نشرها لا ترتضيه الآداب وتنفر منه الفضيلة وتشمئز منه أصحاب النفوس العالية ولو ورد أمثالها في جريدة من الجرائد السيارة لنبذها الناس نبذ النواة

فما الفائدة من الاطناب والاكثار من حوادث السكر والزنا وفسق الانسان ببناته وأخته وامرأة جاره ونساء أبيه وامرأة ابنه في كتب مقدسة جاءت لنشر =

الخمر وسردها بطريقة لا تشعر بشناعتها و بشاعتها (تك ١٩ : ٣٠ — ٣٨) وندم

= الآداب والفضائل بين الناس مع أن أمثال هذه الحكايات يسهل على الاشرار ارتكاب مثلها – بعد أن كانوا يظنون أن جرائمهم شاذة لم يسبقهم اليها أحد وأنهم باتيانها صاروا عارا على المجتمع الانساني – فكيف بهم اذا وجدوا في كتبهم المقدسة أن أنبياءهم وهم قدوة الناس وأولاد أنبيائهم أتوا بما هو أشنع مما اقترفوا ؟ وقد غفر الله تعالى لأكثرهم ما فعلوا ! !

ومع ورود هذه القصص في الكتب المقدسة ترى النصارى يطعنون في الآداب الاسلامية ويفضلون المسيحية عليها ويعيبون القرآن ويشنعون عليه لذكره بعض أشياء قليلة – بكل أدب ونزاهة وكمال – تتعلق بنساء النبي في سورة أو سورتين مع أن هذه الاشياء فضلا عن كونها تمثل الفضيلة تعلم الناس شيئاً من أخلاق النساء وطباعهن وكيف تكون معاملاتهن وتأديبهن باللطف واللين والصبر عليهن أو انذارهن انذاراً بسيطاً وترشد النساء عامة الى أنهن مسؤلات وحدهن عن أعمالهن أمام الله تعالى ولا ينجيهن من الحساب نسبتهن لأزواجهن مهما كانوا عظاما وكباراً

ومن العجيب أنك ترى النصارى يعيبون القرآن لايراد بعض هذه الاشياء القليلة جدا المتعلقة بنساء النبي والتي يراد بها تعليم الامة وإرشادها ولا يعيبون رسائل بولس لورود أشياء فيها شخصية خصوصية لا فائدة منها لأي فرد من أفراد البشر مع زعمهم أن هذه الرسائل ليست خصوصية بل هي مكتوبة بالوحي والالهام لمنفعة جميع الامم . فما فائدة العالم من ذكر الاشياء الآتية فيها ؟ ولم لم تذكر في رسائل أخرى خصوصية ؟ جاء في رسالته الثانية إلى تيموثاوس ما يأتي ٤ : ١٣ (الرداء الذي تركته في ترواس عند كاربس احضره متى جئت والكتب أيضاً ولاسيما الرقوق) ١٩ (سلم على فرسكا وأكيلا وبيت أنيسفورس ٢٠ أراستس بقي في كورنتوس وأما تروفيمس فتركته في ميليتس مريضاً ٢١ بادر أن تجيء قبل الشتاء) الخ الخ وفي رسالته إلى فليمون : ٢٢ (ومع هذا أعدد لي أيضاً منزلا) فهذه بعض أمثلة جاءت في كتبهم التي يقولون أنها لا تتكلم الا في المسائل الهامة العامة والتي (كما يقول صاحب كتاب الهداية) يتعبدون بها في صلواتهم ويرتلونها في كنائسهم . . أما عناية القرآن بالمرأة وهي الجنس الضعيف المظلوم وكثرة نزول آيات في أمورها وأحوالها وكيفية معاملتها وحفظ حقوقها الخ فهو عند النصارى منتقد ولا يليق ذكره =

الله تعالى على خلقه الانسان وحزنه لذلك (تك ٦ : ٦) وقصة الحية وأكلها التراب

= واجع مثلا سورة التحريم وهي السورة التي يكثر انتقاد النصارى عليها تجد أنها عامة لا خاصة وتعلم الامة الادب والكمال واللطف واللين في معاملة النساء والصبر على أعمالهن وتخويفهن بالحسنى وزجرهن على إفشاء سر أزواجهن ثم بث النصح لهن وأمرهن بالتوبة والتقوى وضرب الامثال الصالحة لهن الى غير ذلك مما تجده مبسوطاً في تفسير (نظام القرآن) المطبوع بالهند ومنه يتبين نفع هذه السورة لسائر البشر

ثم قارن هذه السورة وسائر القرآن الشريف بكتبهم المقدسة وما ذكر فيها من الحكايات في السكر والفسق والقتل واهلاك الحرث والنسل يتبين لك الفرق بين آداب القرآن وآدابهم وأن مبشريهم ودعاتهم متعصبون عليه متحاملون أو جاهلون وانهم كما قال سيدنا المسيح عليه الصلاة والسلام ينظرون القذى الذي في عين اخوانهم ولا يفطنون للخشبة التي في أعينهم

يقولون إن اله المسلمين ليس اله قداسة وطهارة لأنه رضي لمحمد تعدد الزوجات ولا ندري لماذا رضي لهم إلههم الطاهر القدوس ولأنبيائهم كل تلك الجرائم والجنايات ولم يخسف بهم الارض كما فعل بقوم لوط ؟ وكيف يتعبدون بمزامير داود وهم الذين قصوا علينا من أعماله ما قصوا وكيف محيت ذنوبه وغفرت له ولا يغفر لمحمد مافعله مما أباحته كتبهم وأتت أنبياؤهم بأضعاف أضعافه وقد بينا حكمة أعمال النبي هذه في كتابنا (الاسلام)

فان قالوا ان المسيح لم يفعل مثله قلت يوجد بين الانبياء مثل يوحنا (يحيى) وغيره كثيرون لم يبلغوا ما بلغه موسى وداود وسليمان ومحمد من الملك وسعة السلطان وطول العمر فلم يفعلوا ما فعلوا ؟ ولا ندري أن لو طال بهم الزمان وبلغوا ما بلغه هؤلاء من السلطان ماذا كانوا يفعلون فالمقارنة يجب أن تكون بين مثلين متحدين في الاحوال والظروف لا بين مختلفين فيها والا كنا جائرين ظالمين

ولنذكر هنا شيئاً من حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يدعى النصارى ظلما وزوراً أنه كان شهوانياً

(١) أما أكله فقد كان يطوى الليالي وهو جائع ويشد الحجر على بطنه من ألم الجوع واذا أكل لا يشبع ولا يأكل الا أصنافاً تافهة ولم يجمع بين أدمين في إناء واحد ولا أكل طعاماً ذا لونين وكان يصوم شهر رمضان من كل سنة وأياما من كل شهر =

(تك ٣ : ١٤) والكلام على برص الثياب والبيوت (لا ١٤ : ٥٥) وغير ذلك

= (٢) وأما لبسه فقد كان يرقع ثوبه ويخصف نعله بيده ولا يلبس حريراً ولا ثوبا فاخراً وقد حرم على رجال أمته لبس الحرير

(٣) وأما مسكنه فقد كان في حجرات حقيرة

(٤) وأما نومه فقد كان ينام على الارض أو على أحقر الفراش ويبيت أكثر الليل قائماً يصلي كما أمره القرآن واذا نام قليلا منه اضطر الى اليقظة قبل طلوع الشمس لأداء فريضة الفجر ولا يخفى ما كان يتكبده من المشاق للتطهر قبل الصلاة كالاغتسال في ليالي الشتاء وكثرة الوضوء

(٥) وأما نهاره فيقضيه في الصلوات الخمس في أوقاتها مع النوافل وفي قضاء حاجاته وحاجات الناس والنظر في مصالحهم وتعليمهم الدين والقرآن ومحاربة الاعداء وغير ذلك

( ) وأما النساء فقد قضى شبابه مع عجوز واحدة ولم يتزوج غيرها إلى ما بعد الخمسين ولم يكن بين نسائه بكر غير عائشة وكانت في سن لا تشتهى فيه ثم حرم عليه النساء بعد ذلك مطلقاً غير التسع وما كان يجوز له ان يبدلهن بغيرهن (لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن)

(٧) وأما المال فكان طول حياته فقيراً يقترض المال من اليهود وما اكتنز شيئا لنفسه قط

فهل هذه حياة الشهوانيين ؟ وهل لمثل ذلك يتكبد دعوى النبوة وهو لم يحصل على شيء من ملاذ الحياة يقرب مما كان يحصل عليه مثله بلا تعب ولا نصب وهو هادئ البال مستريح الفؤاد؟ لا تنس انغماس العرب في اللذات والشهوات اذ ذاك

وما الذي منعه عن الانغماس مثلهم فيها في بعد أن دانت الرقاب له وخضعت له العباد وأتته الدنيا بخيراتها وهو لا يزداد إلا بعداً عنها فهل هذه حياة الشهوانيين؟

فما الذي منعه عن السكنى في القصور وعن التزين بالذهب والحرير وكنز القناطير المقنطرة من الاموال وملء بيته بألذ المأكولات وأطيبها وأشهاها وبالخدم والحشم والعبيد وبالعذارى الجميلات الصغيرات وقد كان له أن يحتذي بمن سبقه من الانبياء كداود وسليمان . ما الذي حمله على اضاعة جميع أوقاته في الكد والتعب والنصب ليلا ونهاراً في الحروب وفي العبادات وفي ارشاد الناس وتربيتهم؟ وما الذي منعه عن أن =

نستدل بهذا أن موسى ما كتب هذه الكتب بل كتبها أناس مجهولون في أزمنة مختلفة وما ذكرناه من سفر التكوين يدل على أن الذي كتبه رجل لم يقدر الله تعالى حق قدره ولا انبياءه وربما كان مشركا به أي من اليهود المرتدين الذين عبدوا الاصنام ولا مانع من أن اليهود حوروه بعد ذلك وتوسعوا فيه

فهذه الكتب الاربعة المنسوبة لموسى عليه السلام تشتمل على تاريخ اليهود منذ الخليقة الى زمن موسى وبعض رواياتها صحيح والبعض الاخر كذب أو خطأ فلذا لا نعول عليها

وكما نسبوا اليه هذه الكتب نسبوا إليه غيرها ومثل (كتاب المشاهدات وكتاب التكوين الصغير وكتاب المعراج وكتاب الاسرار وكتاب الاقرار) وكتاب التكوين الصغير هذا كان باللسان العبرى إلى المائة الرابعة بعد المسيح واستشهد به بعض النصارى الأولين وترجمته كانت موجودة إلى القرن السادس عشر ثم رفضوه ففقد . ويجوز ان هذه الكتب المذكورة هنا كانت تشتمل على بعض روايات صحيحة عن موسى عليه السلام . ومما فقد أيضا من الكتب المنسوبة لموسى عليه السلام كتاب يسمى (حروب الرب) ذكر اسمه في سفر العدد ٢١ : ١٤ ولا وجود له الآن . وكذلك ضاع كلامه عن البعث والنشور فلا يوجد في هذه الاسفار ذكر لهذه العقيدة الكبرى التي تضارع الايمان بالله ولا يعقل أن موسى لم يخبرهم بها صراحة

والخلاصة أن شريعة موسى عليه السلام (التوراة بالمعنى الاصلي) أو ملخصها موجودة مع شيء قليل جداً من الغلط كما بينا وتكاد تكون متواترة بين اليهود في

= يملأ بطنه ويقضي ليله في معانقة الغيد الحسان والكواعب الابكار بدل قيام الليل في عبادة الرحمن ؟ هل هذا شأن الشهوانيين ؟ اللهم لا ! وما الذي ناله المسيح عليه السلام من الحياة حتى يقارن بمحمد الذي كان كأعظم الملوك وأكبر القياصرة والسلاطين . فمن امتنع عن اللذات مع القدرة ليس كمن لم يجد منها شيئا فاتقوا الله أيها السبابون في خير نبي اخرج للناس

سفر التثنية لولا كثرة إرتدادهم وأما باقي الـكتب فهي تشتمل على روايات منها الصحيح ومنها الـكاذب ومنها الغلط

فتوراة موسى بالمعنى الاعم (أي كل ما أوحي إليه و بلغه الى الناس) لم تصل إلينا بل بعضها فقد و بعضها زيد فيه و بعضها محرف فهي كالاحاديث عند المسلمين

و بعد سنة ٧٢١ ق . م أي بعد انقراض مملكة اسرائيل وجد السامريون وكانت الوثنية فاشية في آبائهم وفيهم وما كانوا يهتمون بالتوراة ولـكنهم بعد ذلك اتخذوا لهم نسخة من هذه الـكتب تشتمل على الاسفار الخمسة المنسوبة لموسى وعلى سفري يشوع والقضاة وتختلف نسختهم عن نسخة اليهود العبرية في كثير من المواضع كأعمار القدماء وكجبلي جرزيم وعيبال ويوجد في السامرية وصية زيادة عن الوصايا العشر (١)

---

(١) في سفر التثنية أن الوصايا العشر كانت مكتوبة على لوحين كسرهما موسى حينما رأى قومه يعبدون العجل (تث ٩ : ١٧) والقرآن الشريف يذكر هذه الالواح بالجمع فالمراد بالجمع هنا ما زاد عن الواحد وهو معروف في اللغة العربية . وقوله تعالى (وكتبنا له في الالواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لـكل شيء) معناها كل شيء من أصول الدين وأسسه التي يبنى عليها والوصايا العشر هي كذلك ففيها تفصيل جميع أصول الدين الموسوي وقد قال المسيح في وصيتين اثنتين فقط (متى ٢٢ : ٤٠) (بهاتين الوصيتين يتعلق الناموس كله والانبياء). وورد في القرآن في قصة ملكة سبأ قوله تعالى (وأوتيت من كل شيء) أي من لوازم الملك في ذلك الزمن فهو مثل قوله (وتفصيلا لـكل شيء) ويجوز ايضا أن هذه الالواح المذكورة في القرآن الشريف كانت عديدة وكان منها لوحان فيهما الوصايا العشر المشهورة وكتبها الله تعالى بنفسه عليهما وكان لهما المقام الاول عندهم . وأما الالواح الاخرى فكانت تشتمل على الشريعة (التوراة) والذي كتبها هو موسى بعد ان سمعها من الله تعالى بامره (خر ٢٤ : ٤ و ٣٤ : ٢٧ و ٢٨) فكانت منزلة هذه الالواح اقل من منزلة اللوحين الاولين المشتملين على اصول الدين وأساس الشريعة فلذا اقتصرت كتب اليهود على ذكر هذين اللوحين العظيمين اللذين كتبهما الله تعالى لان كسرهما أمر كبير ولم تذكر الالواح التي كتبها موسى عند الـكلام على قصة العجل لان قيمتها اقل من قيمة لوحي العهد الربانيين ولا يخفى أن عدم ذكرها في هذه القصة لا يدل على عدم وجودها

وفي آخر حياة موسى عليه السلام نسخ من هذه الالواح الحجرية كتابا سلمه للاويين ليضعوه بجانب تابوت عهد الرب المشتمل على لوحي الشهادة (تث ٣١ : ٢٤ ــ ٢٦) وانما فعل موسى ذلك ليـكون حجم التوراة أصغر وحملها أيسر من حمل تلك الالواح الحجرية الثقيلة

وقول القرآن (وكتبنا له في الالواح) لا يستلزم أن الله تعالى هو الذي كتبها كلها بنفسه بل منها ما كتبه هو ومنها ما أملاه على موسى وأمره بكتابتها وكل عمل للعبد تصح نسبته للمولى تعالى

وفي سنة ٢٨٥ ق . م اجتمعت لجنة من اليهود بأمر بطليموس فيلادلفوس وترجموا ماعندهم من الـكتب العبرية الى اللغة اليونانية وكان عددهم ٧٢ نفرا وسميت هذه الترجمة بالترجمة السبعينية أو اليونانية وكانت تشتمل على كثير من الـكتب الابوكريفية (أي غير القانونية) وهذه الترجمة كانت مستعملة بين النصارى من عهد وجودهم الى القرن الخامس عشر وهي الآن مستعملة في الـكنيسة الشرقية. وبينها و بين العبرية اختلافات كثيرة في كثير من العبارات والفقرات والالفاظ ومع ذلك لم يقتبس مؤلفو العهد الجديد إلا منها وكانت أيضا محترمة عند اليهود

أما هذه الـكتب الابوكريفية (أي المكذوبة الموضوعة) بحسب اعتقاد البروتستنت فهي أربعة عشر (١) اسدراس الاول (٢) اسدراس الثاني (٣) طوبيت (٤) يهوديت (٥) بقية أصحاحات سفر استير غير الموجودة في العبراني والـكلداني (٦) حكمة سليمان (٧) حكمة يشوع بن سيراخ (٨) باروخ (٩) نشيد الثلاثة الفتية المقدسين والاصحاح الثالث عشر والرابع عشر من سفر دانيال (١٠) تاريخ سوسنة (١١) تاريخ انقلاب بيل والتنين (١٢) صلاة منسى ملك يهوذا (١٣) مكابيين ١ و (١٤) مكابيين ٢ . وهذه الـكتب موجودة في الترجمة السبعينية كما قلنا وفي الترجمة اللاتينية وفي التوراة الـكاثوليكية الرومانية وكانت مسلمة عند جميع فرق النصارى قبل وجود البروتستنت ماعدا كتابي اسدراس وصلاة منسى ولا تزال كذلك الى اليوم عند الاورثوذكس والـكاثوليك

وأما أبوكريفا العهد الجديد فتحتوي على كثير من الاناجيل والرسائل وعددها ٧٤ كتابا ولا يعتقد فيها النصارى الآن وكانت قديما منسوبة الى المسيح عليه السلام وإلى تلاميذه والى بولس فانظر كيف كان هؤلاء الناس يدسون الـكتب الـكثيرة بين كتب الله!

أما كلمة (الانجيل) فهي يونانية ومعناها البشارة وسمي الوحي الى عيسى بذلك لانه جاء مبشرا بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم كما قال تعالى عن لسانه (ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد) فعيسى عليه السلام بشر الناس بقرب مجيء خاتم النبيين لهم بأكمل شريعة وأرقى دين لأرقى أطوار البشر وأنسب شريعة لطبيعة الانسان في كل زمان ومكان والتي ترفع ماوضع على الامم السابقة

من الاصر والاغلال وأجمع دين لمصالح الدنيا والآخرة ولحاجات الروح والجسد فقال عليه السلام (يو ١٦ : ١٢ - ١٤ ان لي أمورا كثيرة أيضا لاقول لكم ولكن لاتستطيعون أن تحتملوا الآن ١٣ وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم الى جميع الحق لانه لايتكلم من نفسه بل كل مايسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية ١٤ ذاك يمجدني لانه يأخذ مما لي ويخبركم)

وكان عيسى عليه السلام وتلاميذه يبشرون دائما بمملكة محمد (ص) تلك المملكة المجيدة الجليلة التي زانها الحق وعبادة الله تعالى وحده فلذا سماها المسيح (ملكوت السموات) و (ملكوت الله) لانها مملكته تعالى في الارض وقانونها هو كتابه ورؤساؤها هم خلفاؤه (راجع انجيل متى ٣ : ٢ و ٤ : ١٧ و ٢٣ و ٦ : ١٠ و ١٣ : ٣١ و ٣٢ و ٢٠ : ١ - ١٦ و ٢١ : ٣٣ - ٤٤ ولوقا ١٠ : ٩ و ١١) وهم الصديقون الذين يرثون الارض ويسكنونها إلى الابد (مزمور ٣٧ : ٢٩) ويدخلون باب الرب (مز ١١٨ : ٢٠) ومملكتهم هي المملكة التي لا تنقرض أبدا كما قال دانيال (٢ : ٤٤) وتفنى مملكتي الفرس والرومان (راجع فصل البشائر)

فلذلك سمي الوحي إلى عيسى عليه السلام بالبشارة لان أعجب شيء فيه وأعظمه انما هو البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم وقرب مجيئه وهو الذي كانت تنتظره الامم من قديم الزمان وهو مشتهى كل الامم (حجي ٢ : ٧) الذي به ملئ بيت أورشليم مجدا وعمرانا وعادت إليه عبادة الله بدون شرك ولا تشبيه وبمجيئه يعلم قرب مجيء يوم الدين يوم القصاص العادل بين عباد الله أجمعين وانصاف المظلومين ورحمة المتقين الصابرين وخلاص المؤمنين

هذا والانجيل لم يكتب في زمن عيسى عليه السلام . وبعد زمنه بقليل وجدت أناجيل عديدة (لوقا ١ : ١ - ٣) تشمل كثيرا من أقواله وأفعاله مع زيادة ونقصان وتحريف وتبديل وكذب فاختارت النصارى منها أربعة لا يعرف باليقين من كتبها ومتى كتبت وهي منسوبة لمتى ومرقس ولوقا ويوحنا واثنان من هؤلاء من الحواريين كما يقولون واثنان ليسا منهم وهم مرقس ولوقا وهذه الاناجيل مختلفة اختلافا عظيما ومشتملة على كثير من الخطأ والغلط والوهم وقد ذكرنا أمثلة

ذلك في كتابنا (الدين في نظر العقل الصحيح) واستقصى هذه المسألة كتاب اظهار الحق فليراجعه من شاء

وهذه الاناجيل الحالية كتب أصلها باللغة اليونانية ما عدا انجيل متى فانه كان بالعبرية كما اتفقت على ذلك شهادة جميع الآباء من النصارى الاقدمين ولكنه فقد وبقيت ترجمته اليونانية ولا يعرف من ترجمها ولا متى ترجمت . وقولهم : إن متى كتبه أيضا باليونانية ، لا يوجد عليه دليل عندهم وإنما هو ظن لا يوثق به ولم يقل بذلك أحد من قدمائهم

واعلم أنه لا يوجد عند أهل الكتاب نسخة عبرية من كتبهم قبل القرن العاشر وأهم ما عندهم من النسخ اليونانية القديمة ثلاث : -

(١) النسخة السينائية ويظنون أنها كتبت في القرن الرابع

(٢) والنسخة الفاتيكانيه ويقال إنها كتبت في القرن الرابع أيضا

(٣) والنسخة الاسكندرية ويظنون أنها كتبت في الخامس

ولا دليل لهم قاطعا على شيء من هذه الظنون واختلف علماؤهم في ذلك إختلافا كبيرا

أما السينائية فوجدت في دير في طورسيناء وتشتمل على كتب العهد الجديد وجزء من العهد القديم وهي توجد الآن في بطرسبورج

وأما الفاتيكانية فوجدت في مكتبة البابا بالفاتيكان برومة وفيها العهد القديم والجديد ولا تزال برومة

وأما الثالثة فوجدت في الاسكندرية وتشتمل على العهدين مع كتب أخرى غير قانونية وتوجد الآن في لندن

ولما قابلوا الكتب التي في أيديهم على هذه النسخ القديمة وجدوا بينها ألوف من الاختلافات بالزيادة والنقص والتبديل وهم يقولون إنها اختلافات طفيفة وليست جوهرية ولكنا نورد هنا شيئا من هذه الاختلافات التي نقول إنها هامة : -

(١) ما في مرقس ١٦ : ٩ - ٢٠ وهذه العبارات تتضمن ظهور المسيح بعد قيامته

لتلاميذه ودعوة العالم كله للنصرانية وغير ذلك . وهي غير موجودة في النسخة السينائية ولا في الفاتيكانية وعليها علامات الريب في نسخ اخرى قديمة وأنكرها في القرن الرابع كل من أوسابيوس وايرونيموس

(٢) ما في يوحنا ٧: ٥٣ ــ ٨ : ١١ وهو قصة عدم رجم المسيح للزانية وهي غير موجودة في أكثر النسخ القديمة ولا في السينائية والاسكندرية والفاتيكانية

(٣) ما في رسالة يوحنا الأولى ٥ : ٧ وهي العبارة الصريحة الوحيدة في عقيدة التثليث (* وهي غير موجودة في النسخ القديمة ولا بمعتبرة عند أكثر المحققين منهم

(*) حاشية : مما يزيدك وقوفا على أن عقائد النصارى لم تكن ناضجة في أذهان كتاب العهد الجديد وأنها كانت في طور النشوء والتكون ما جاء في انجيل يوحنا وهو عند المسيحيين أصرح الاناجيل وأرقاها بالنسبة لعقائدهم هذه . قال عن المسيح ١٤ : ١٠ (الكلام الذي أكلمكم به لست أتكلم به من نفسي لكن الآب الحال في هو يعمل الاعمال) وقال ١٤: ٢٤ (والكلام الذي تسمعونه ليس لي بل للآب الذي ارسلني) وكلاهما يدل على أن أقنوم الابن المتحد بالمسيح والحال فيه ليس الها حقيقيا لان العامل في المسيح والمتكلم فيه هو الآب والا فلماذا ترك ذكر الابن ولم ينسب اليه أي عمل أو قول اذا كان أقنوم الابن الها كما يزعمون ؟ ولماذا قال « الابن لا يقدر أن يعمل من نفسه شيئا (يو ٥ : ١٩) ولماذا صلى الابن للاب حينما أراد احياء العازر من الموت (يو ١١ : ٤١ — ٤٢) ??

فالظاهر من العهد الجديد كله أن الابن لم يكن الها حقيقيا مساويا لله تعالى وانما صنعه الله قبل جميع الخلائق فهو بكرها كما قال بولس (كولوسي ١ : ١٥) وأخضع له كل شيء (أفسس ١ : ٢٢) وبه عمل العالمين (عب ١ : ٢) فالله تعالى هو العامل فيه كل شيء (أع ٢ : ٢٢) وهو الذي صيره الها بعد أن وجد في البدء كما قال يوحنا ١ : ١ (وكان « أي صار » الكلمة الله) سيخضع الابن لله تعالى (كور ١٥ : ٢٨) فهو ليس في مرتبة الاله الاب كما يفهم من جميع هذه النصوص ولذلك يسميه دائما بولس وغيره (الرب يسوع) كما ذكروا اسمه مع الله الآب (أنظر مثلا اتسالونيكي ١ : ١ ويعقوب ١ : ١ و ٢ بطرس ١ : ٢ وغير ذلك كثير) والرب هو السيد فلذا ميزوه عن الآب بهذا اللقب فهو على زعمهم رب العالم والهه ولكن الله سيده والهه وخالقه والمعطي له كل سلطة وسيخضع الابن له كما قال بولس (١ كو ١٥ : ٢٨) ألا ترى الى قوله ١ كور ١١ : ٣ (ان رأس كل رجل هو المسيح وأما رأس المرأة فهو الرجل . ورأس المسيح هو الله) وقوله ١ كور ٨ : ٦ (لكن لنا اله واحد الآب الذي منه جميع الاشياء ونحن له . ورب واحد يسوع المسيح الذي به جميع الاشياء ونحن به) وهما صريحان في أن المسيح أقل درجة من الله وأن الله رئيسه وأن الاله واحد وهو (الاب) وأن المسيح هو سيد فقط وقد عمل الله الواحد به جميع الاشياء . ومن الغريب أن النصارى لما وجدوا بولس وغيره لا يسميه الها في رسائله الا مجازا كما سمي موسى في التوراة (خر ٧ : ١) ولا يساويه بالله الآب عمدوا الى التحريف فزادوا اسم (الله) في حق المسيح ليساووه بالاب وقد عرف ذلك =

أنها زائدة ولذا يضعونها في نسخهم بين قوسين إشارة لذلك . فهذا شيء من الاختلافات التي يقولون عنها إنها طفيفة

قال صاحب كتاب (الادلة السنية على صدق أصول الديانة المسيحية) إن من هذه الاختلافات : ــ

(١) ما نتج من فقد جملة صحيحة من النسخة

(٢) ما نتج من مخالفة ترتيب الكلمات

(٣) ما نتج من وضع الكتاب خطأً كلمة عوضا عن أخرى ، اذ لا تختلفان إلا في حرف أو اثنين

= بمقابلة النسخ الحالية على النسخ القديمة وأقر بذلك علماؤهم كما في الرسالة الاولى الى تيموثاوس ٣ : ١٦ فلم يكن فيها لفظ (الله) وأصل العبارة (الذي ظهر في الجسد) وكذلك أبدلوا لفظ (الرب) بلفظ (الله) في سفر الاعمال ٢٠ : ٢٨ « كما قال كرسباخ أحد المحققين منهم » ولا يبعد على مثلهم التحريف في غير هذين الموضعين كما بين في المتن ولكن المبشرين يكابرون ويزعمون أن كتابهم لم يمس بسوء

وقد اعترف المسيح نفسه كما في انجيل يوحنا أن الفاعل للاعمال التي يعملها والاقوال التي يقولها هو الله الاب كما سبق ولو كان أقنوم (الابن) الموجود فيه الها لقال ناسوت المسيح ان العامل فيّ لكل شيء هو (الله الابن) لكنه لم يقل ذلك قط . ولم يرد لفظ أقنوم في كتابهم مطلقا وترى النصارى الان لا تقول بحلول أقنوم الاب في المسيح مع أن المسيح يقول (الاب الحال في) (يو ١٤ : ١٠) فلا ندري أيها نصدق ولماذا أختلفوا ؟

واذا كان الاب حالا في المسيح كما قال وكذلك الابن والروح القدس (يو ١ : ٣٢) فالمسيح حامل للثالوث كله الذي لا تسعه السموات والارض (٢ أي ٢ : ٦) فلماذا اذاً يسمونه (الابن) مع أن فيه الثلاثة لا الابن وحده ؟ ولماذا نرى المسيح يطلب من الاب وحده كل شيء ؟

ولماذا لا يجعلون الاقانيم أربعة أخذا من قول لوقا ١ : ٣٥ (الروح القدس يحل عليك وقوة العلي تظللك) فيكون الاقنوم الرابع اسمه (قوة العلي) ؟

ولماذا لم تكن مريم الهة مع أن روح القدس حل عليها وعلى غيرها أيضا كما سبق (أع ٢ : ٤) ؟

واذا كان الله حالا في الكل وعلى الكل وبالكل كما قال بولس في رسالته ألى أهل أفسس (٤ : ٦) وأنهم هيكل الله الحي (١ كور ٣ : ١٦) فلماذا اختص المسيح بالالوهية والعبادة مع أن الله ليس موجودا فيه وحده بل في غيره أيضا ؟ فهذه يا قوم هي العقائد السامية في اللاهوت التي تدعونا النصارى اليها وهي كما ترى متضاربة متناقضة غير صريحة في كتبهم وناقصة ولم تكمل في اذهانهم الا بعد المسيح وتلاميذه وبعد انتهاء زمن تأليف الاناجيل وبعد أن اختلفوا واقتتلوا فيها دهورا طويلة سالت فيها دماؤهم أنهارا ولا يزالون الى الان مختلفين فانظر وتعجب !!

(٤) ما نتج من إدخال عبارات أو جمل كاملة من (بشارة) أو اثنتين إلى الثالثة لجعل الأناجيل متشابهة

(٥) ما نتج من قصد النساخ أن يجعلوا الاقتباسات من العهد القديم في الجديد مضبوطة

(٦) ما نتج من استبدال بعض جمل بأخرى كانت في الحاشية

(٧) ما نتج من استبدال بعض الألفاظ القديمة بغيرها من الحديثة

(٨) ما نتج من تبديل أو حذف كلمات تحدث تغييرا طفيفا في المعنى

(٩) ما نتج من إهمال بعض النساخ في وضع أو ترك أداة التعريف

إنتهى باختصار (راجع ص ٥٦ و٥٧ و٥٨ و٥٩ من الكتاب المذكور . وقال في ص ١٠١ و١٠٢ عن قول متى (٢٣ : ٣٥) أن زكريا بن برخيا (إن المذكور في كتاب أخبار الايام الثاني ٢٤ : ٢٠ و٢١ أن زكريا بن يهوداع هو الذي قتل وأما ابن برخيا فلا يعرف أنه قتل فالارجح أن ذكر اسم الأب هنا من خطأ الكاتب) اه باختصار

فأي برهان يقوم على تلاعب النصارى بكتبهم أصرح مما ذكر وهل بعد ذلك نثق بأي شيء فيها مع أنها مملوءة بخطأ الكتاب باعترافهم ؟ أضف إلى ذلك أن هذه الكتب ما كانت محفوظة في الصدور وقل منهم من كان يعرف كل مافيها وما كانت نسخها كثيرة لجهلهم في الازمنة القديمة وما كانت نسخها بأيدي العامة من الناس فلذا كان مجال التحريف والتبديل واسعا ولذلك ترى أن غلط النساخ وتحريفهم انتشر فيما بعد في جميع نسخهم ولولا وجود تلك النسخ القديمة لما عرفوا ذلك فما يدرينا أن النسخ التي كانت قبل التي وجدوها وقع فيها مثل هذه التحريفات أيضا ؟ ومن يضمن صحة نسبة هذه الكتب إلى أربابها مع أنه كان لهم كتب مثلها كثيرة وقالوا إنها غير قانونية ورفضوها ؟ ومن يثبت لنا صدق كَتَبَتِها وعصمتهم من الخطأ والغلط كيف وانا نرى فيها كثيرا من الغلط كما تقدمت الاشارة الى بعضه ويظهر من بعض عبارات كتبهم كمقدمة انجيل لوقا ١ : ١ - ٤ انها لم تكتب بالالهام بل بالاجتهاد

والخلاصة أن هذه الاناجيل لا يثق المسلمون بشيء منها الآن وهم لا يعتدون الا بما قاله المسيح نفسه وثبت لهم أنه وصل اليهم بدون تحريف ولا تبديل وهيهات أن يثبت ذلك

وكما حرفت النصارى الاناجيل وغيرها كذلك دست على يوسيفوس المؤرخ اليهودي الشهير في (التاريخ القديم) كتاب ١٨ فصل ٣ راس ٣ عبارة مقتضاها (أنه يجوز أن عيسى لم يكن انسانا وأنه صلب وقام من الموت في اليوم الثالث) وقد جزم المحققون منهم بأن هذه العبارة مدسوسة عليه وأنه لم يكتبها بل ان يوسيفوس سكت عن سيرة المسيح بأكلها ولم يشر اليه إشارة تذكر (راجع أيضا ماقالته دائرة المعارف الانكليزية في هذا الموضوع) وللعلماء الذين أنكروا صحة عبارة يوسيفوس هذه أدلة كثيرة يطول بنا شرحها في مثل هذا الكتاب وأهمها أنها لم تكن معروفة لأوريجانوس المتوفى سنة ٢٥٤ بعد الميلاد وهو الذي كان صارفا همه كله الى جمع كل ما جاء في تاريخ يوسيفوس عن المسيح عليه السلام ومع ذلك لم يذكر هذه العبارة فاذا كانت موجودة في أيامه في التاريخ المذكور فلم تركها وهي من الاهمية بمكان عظيم ؟

فترى النصارى كما حرفوا كتب قدمائهم - كما اعترف بذلك لاردنر في تفسيره وآدم كلارك ويوسي بيس في تاريخه وغيرهم كثيرون - كذلك حرفوا كتب اليهود فزادوا في تاريخ يوسيفوس ماراوه يؤيد دعاويهم ومن ذلك يظهر لنا أن اليهود كانوا في غاية الجهل والضعف والتفرق والذل والبعد عن البحث والقدرة على المعارضة لدرجة جعلت النصارى تلعب بكتبهم كما شاؤا فلا يبعد أنهم حرفوا أيضا أشياء في كتبهم المقدسة من غير أن يعرفوها أو يجرأوا على المعارضة

واذا كان هذا حالهم باعتراف علمائهم فهل بعد ذلك نثق بأي شيء نقلوه في دينهم وهم يحرفون فيه ما أرادوا أن يحرفوه ولو كان موجودا عند اليهود أيضا ؟!

وقد بين هورن في الباب الثامن من المجلد الثاني من تفسيره أسباب اختلافات نسخهم بمثل ما نقلناه هنا عن (كتاب الادلة السنية على صدق الديانة المسيحية) ومما زاده أنهم كانوا أحيانا يحرفون قصدا لاجل تأييد مسألة أو دفع اعتراض

وقال (انهم كانوا تركوا قصدا العدد ٤٣ من الاصحاح ٢٢ من انجيل لوقا وهو قوله (وظهر له ملاك من السماء يقويه) لان بعضهم خشي أن تكون تقوية الملك للمسيح منافية لألوهيته) انتهى باختصار (١)

فان قيل اذا كانت كتب اليهود الاخرى المنسوبة لموسى غير سفر الثنية ليست صحيحة فلماذا لم يوبخ المسيح عليه السلام اليهود عليها ؟ قلت (يتلى)

---

(١) حاشية — يظهر من هذه العبارة التي كانوا حاولوا حذفها من الانجيل ان المسيح كان منساقا الى الصلب رغم ارادته وأنه كان يدعو الله بالحاح شديد ليصرف عنه كأس المنون حتى صار يتصبب عرقا فظهر له الملك ليقويه ويشجعه (لوقا ٢٢: ٤٢ ـ ٤٥) فأين اذا شجاعته ورغبته في تقديم نفسه كفارة عن بني الانسان ؟ وهل يكون بعد ذلك قبوله للموت برغبته وارادته وهو كان يتمنى النجاة منه لولا ارادة الله التي أكرهته عليه اكراها ؟

وهل بهذا الخور والضعف يتعلم النصارى كيف يضحون حياتهم في سبيل نفع الناس ؟ وأين عمل المسيح هذا من عمل محمد وأصحابه الذين كانوا يستبشرون بالموت ويلاقونه بصدر رحيب غير هيابين ولا وجلين وكل ذلك كان منهم في سبيل الله وبقصد هداية الناس وأصلاح أحوالهم واخراجهم من الظلمات الى النور ؟ فمن منهما (محمد أم المسيح) كان أقدر على تعليم الناس تضحية نفوسهم في سبيل الله ؟ أنظر أصحاب عيسى كيف فروا من حوله وحزنوا وأنكروه حتى كبيرهم بطرس (لوقا ٢٢ : ٤٥ و ٥٧ ـ ٦١) نعم ان المسيح زجر بطرس ووبخه حينما أراد تثبيط همته (متى ١٦ : ٢١ ـ ٢٣) ولكن ذلك كان قبل دنو ساعة الصلب فلما اقتربت خاف وضجر وصار يستغيث بالله لينجيه منه لشدة فزعه ورعبه (مر ٢٢: ١٤ ومتى ٢٦ : ٣٦ ـ ٤٥) ولذا جاء الملك وقواه.

أما محمد وأصحابه فكانوا يرجون من الله الموت والشهادة في سبيله وهم في ميدان القتال كما هو معروف متواتر عنهم فاين هذا من ذاك ؟؟

كيف ترقى رقيك الانبياء يا سماء ما طاولتها سماء

أنظر الى الخنساء احدى نساء ذلك العصر كيف شجعت بنيها الاربعة وحرضتهم على الجهاد في سبيل الله حتى قتلوا جميعا يوم القادسية فقالت (الحمد لله الذي شرفني بقتلهم وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته) ولا اريد أن استشهد هنا باقوال الرجال من أصحاب رسول الله فانها شهيرة عديدة وكلها مثال الصبر والشجاعة وقوة الايمان والثقة بوعد الله وتضحية النفس في سبيله فلذا دوخوا العالم في سنين قليلة وهو الامر العجيب الذي لم يعهد له مثيل في تاريخ البشر أجمعين وكل ذلك كان بسبب تأثير روح رسول الله فيهم وفي أخلاقهم

الغارة على العالم الاسلامي (*)

أو

﴿ فتح العالم الاسلامي ﴾

٦

(مؤتمر ادنبرج سنة ١٩١٠)

عقد المؤتمر في شهر سبتمبر سنة ١٩١٠ وكان للمسائل الاسلامية حظ كبير من مداولات أعضائه ، بل ان لجنتين من أهم لجانه تفرغتا للبحث في أمر الاسلام والمسلمين

وقد نشرت أعمال هذا المؤتمر ومناقشاته في تسعة مجلات لم تتمكن من الحصول عليها . الا اننا عثرنا على مجلات ثلاث تكلمت عن هذا المؤتمر واحدة المانية وهي (مجلة الشرق المسيحي) التي تصدرها (جمعية التبشير الشرقية الالمانية) والثانية انكليزية وهي (مجلة العالم الاسلامي) المعروفة . والثالثة سويسرية وهي (مجلة ارساليات التبشير البروتستانية) التي تصدرها (جمعية التبشير في مدينة بال في سويسرا) .

وأعمال مؤتمر ادنبرج لم تكن حبرا على ورق بدليل أن (المؤتمر الاستعماري الالماني) الذي عقد عقب مؤتمر ادنبرج التبشيري اهتم بأمر ارساليات التبشير الجرمانية حتى خيل للناس ان هذا المؤتمر الاستعماري السياسي تحول الى مؤتمر تبشيري ديني .

أقوال المجلة الالمانية

مجلة الشرق المسيحي هي التي تنشرها جمعية التبشير الشرقية الالمانية منذ سنة ١٩١٠ . ولهذه الجمعية ارساليات تبشير وملاجئ للايتام في السلطنة العثمانية وفارس وبلغارية وروسية .

(*) تابع لما نشر في الجزء السادس ص ٤٤٢

قالت هذه المجلة في مقالة عنوانها «الشرق المسيحي وارساليات تبشير المسلمين»:

« ان أعمالنا قد ازدادت أهمية بين مسلمي البلغار بنعمة الله الساطعة ، وذلك بنشاط واقدام القسيس (افيتارنيان) الذي كان اسمه من قبل أمين زاده محمد شكري وازدياد أهمية التبشير كانت بوجه خاص عقب تأسيس المدرسة الدينية الاسلامية . وما يأتيه هذا القسيس من الاعمال ـ بمساعدة الشيخ أحمد كاشف والمدرس نسيمي أفندي بقصد مقاومة الاسلام يبرهن لنا على أنه قد أزف الوقت الذي يتزعزع فيه الاسلام من أركانه (!) وينتشر الانجيل بين الشعوب الاسلامية (!) وان هذا الارتقاء التاريخي وما نعمله في أرمينية وسورية وروسية قد جعلنا نزيد في اسم مجلتنا (الشرق المسيحي) وندعوها بعد الآن (الشرق المسيحي وارسالية التبشير الاسلامية) وسيعهد بتحرير القسم الاسلامي فيها الى القسيس (افيتارنيان) .

ونشرت هذه المجلة مقالة أخرى بقلم المستر (لبسيوس) الالماني عنوانها (دخول التبشير العام في طور جديد) ذكر فيها أهمية مؤتمر أدنبرج وأنه أبان عن ارتقاء في أعمال المبشرين .

ومن هذه المقالة نعلم أن مؤتمر ادنبرج كان فيه ١٢٠٠ مندوب بينهم ٥٠٢ من الانكليز و ٥٠٥ من الاميركان ومن مندوبي التبشير الاميركين (المستر روزفلت) رئيس جمهورية الولايات المتحدة السابق الا أنه أرسل رسالة اعتذار عن عدم تمكنه من الحضور . الا أن (المستر براين) استطاع أن يحضر — وهو خطيب أميركة المشهور وقد رشح نفسه لرئاسة جمهورية الولايات المتحدة مرارا . وعلى هذا فالمندوبون الذين يتكلمون الانكليزية كانوا أكثر من ألف والذين يتكلمون الالمانية كانوا ٩٨ والآخرون يتكلمون بلغات مختلفة . ولذلك تقرر أن تكون الانكليزية لغة المؤتمر .

وتقول هذه المجلة ان ارساليات التبشير الانكليزية والارلندية تنفق في السنة ٠٠٠ر١٠٠ر٢ جنيه في سبيل التبشير وجمعيات التبشير الاميريكية والكندية تنفق ٠٠٠ر٠٠٠ر٢ جنيه وجمعيات التبشير الاوسترالية والافريقية والاسيوية والهندية

تنفق ٠٠٠ر٣٠٠ جنيه وماتنفقه جمعيات التبشير البروتستانية في باقي القارة الاوربية يبلغ ٠٠٠ر٧٠٠ جنيه

واقتبس صاحب هذه المقالة من قيود مؤتمر أدنبرج عدد جيش المبشرين البروتستانت فقال انه يبلغ ٣٨٨ر٩٨ مبشرا تعضدهم لجان يبلغ عدد أعضائها ٠٠٠ر٥٠٠ر٥ شخص ويبلغ عدد النساء والرجال الوطنيين وغير الوطنيين من موزعي التوراة الذين يشتركون في التبشير والوعظ ٩١٣ر٩٢

وعدد المعاهد الكنيسية ٦٧١ر١٦ وعدد ارساليات التبشير العامة ٤٧٨ر٣ والتي في الدرجة الثانية ٠٠٩ر٣٢ وعدد الاساتذة والتلاميذ الذين تحت إشراف المبشرين ٦٠٢ر١٩٠ر١ وتوجد تحت سلطتهم ٨١ مدرسة جامعة وكلية وفيها ٩٩١ر٧ طالبا ولديهم ٤٨٩ مدرسة دينية لتعليم لاهوت النصرانية وتخريج المعلمين والمبشرين وفيها ٥٤٣ر١٢ طالبا . وهي تهيمن أيضا على ٥٩٤ر١ مدرسة ثانوية فيها ٤٢٠ر١٥٥ طالبا . و ٩٠١ر٢٨ مدرسة ابتدائية يبلغ عدد تلاميذها ٢١٢ر١٦٥ر١ وما عدا ذلك فالمبشرون يديرون ١١٣ مدرسة من النوع الذي يسمى (بستان الاطفال) وفيها ٧٠٣ر٤ أطفال .

وأسست هذه الارساليات ٥٥٠ مستشفى و ١٠٢٤ صيدلية لها ٠٠٠ر٠٠٠ر٤ من المترددين عليها ولديها ١١١ مجلسا طبيا و ٩٢ جمعية للممرضات و ٢٦٥ ملجأ للايتام و ٨٨ ملجأ للبرص و ٢١ ملجأ للبرص أيضا وهي خاصة بالاطفال

وتدير ٢٥ مدرسة للعميان و ٢١ معهدا للاسعاف و ١٠٣ مستوصفات لمدمني الافيون و ١٥ ملجأ للارامل

هذا كله كان سنة ١٩٠٢ ومن يقارن بينه و بين ماوصل اليه هذا الاحصاء سنة ١٩١١ ير أن هناك ارتقاء باهراً لان عدد ارساليات التبشير العامة بلغ ٨٣٨ر٣ والارساليات التي في الدرجة الثانية ٧١٩ر٣٤ وعدد الاساتذة والتلاميذ ٠٤٤ر٤١٢ر١ أما الجامعات والكليات فصار عددها ٨٨ وفيها ٦٢٨ر٨ طالبا ولدى المبشرين ٥٢٢ مدرسة دينية لتخريج المبشرين والمعلمين فيها ٧٦١ر١٢ طالبا وعدد

المدارس العليا ٧١٤ر١ فيها ٤٤٧ر١٦٦ طالباً وعندهم ١٨٦ر٣٠ مدرسة ابتدائية عدد تلاميذها ٣٥٧ر٢٩٠ر١

أما المستشفيات فصار عددها ٥٧٦ والصيدليات ٠٧٧ر١ والمجالس الطبية لا تزال ١١١ وفيها ٨٣٠ طالبا و ٩٨ معهداً للممرضات فيها ٦٦٣ طالبة

ويشرف على ارساليات التبشير ٢٥٠ جمعية عمومية عاملة و ٤٣٣ جمعية لاعانتها و ٢٢ جمعية مختلفة

وترد على صناديق ارساليات التبشير أموال كثيرة منها ٠٠٠ر٥٠٠ر٦٠ فرنك في السنة تدخل في صناديق جمعيات التبشير البريطانية والارلندية و ٠٠٠ر٠٠٠ر٦٧ فرنك في صناديق الجمعيات الاميركية والكندية و ٠٠٠ر٠٠٠ر٧ في صناديق الجمعيات الاوسترالية والافريقية. ولغة هذه الجمعيات كلها الانكليزية. وأما ارساليات التبشير الاخرى فيرد على صناديقها ٠٠٠ر١٠٠ر٢٠ فرنك.

اقوال المجلة الانكليزية

أقوال المجلة الثانية فهي (مجلة العالم الاسلامي) الانكليزية التي تصدر منذ شهر فبراير سنة ١٩١١. ويتولى ادارتها القسيس زويمر رئيس ارسالية البحرين. وقد استهل عددها الاول بما يأتي:

« تبين لنا من مراجعة (مجلة العالم الاسلامي) الفرنسية ومجلة (الاسلام) الالمانية ومن (دائرة المعارف الاسلامية الجديدة) المحررة بثلاث لغات ان زيادة العناية والاهتمام بأمر الاسلام تستدعي اصدار مجلة انكليزية خاصة بالابحاث الاسلامية ودرس أفكار المسلمين وعلاقاتهم بالكنيسة والخطة التي ينبغي انتهاجها مع المسلمين واذا كانت الكنائس المسيحية تحاول التحكك بالاسلام فيجب عليها قبل كل شيء أن تعرف مركز الاسلام.

« دخلنا بعد مؤتمر القاهرة في دور جديد ظهرت فيه أهمية تنصير المسلمين وشعر زعماء التبشير بأن الكنيسة لا بد لها من سبر غور المسألة الاسلامية وأن تحسن العناية بتربية المبشرين وتتوقع خيرا من أعمالهم. ومهمة تنصير المسلمين تقتضي

بايجاد ميدان مشترك للعمل تتضافر فيه الافكار والابحاث والمجهودات

« ومجلتنا تستحسن الاهتمام الشديد الذي أبداه مؤتمر ادنبرج. وستجتهد هي في متابعة البحث والمداولة في المسائل التي بحث المؤتمر فيها وتواصل الجهد لجمع كلمة الذين يحبون المسلمين (!) ويشتغلون لخيرهم (!)

« وهذه المجلة لا تمثل فرقة أو مذهبا واحدا من فرق الكنيسة وأحزابها بل هي ستكون واسعة الصدر سعة تامة. » اه

وقد نشرت هذه المجلة مقالة بقلم المستر شارلس وطسون تحت عنوان (العالم الاسلامي) قال فيها: « ان من الخطأ الحكم على مؤتمر ادنبرج بأنه لم يهتم بالمسائل الاسلامية. لان الغاية من عقد ذلك المؤتمر هي البحث في مسائل العالم الخارج عن النصرانية والاهتمام بايجاد وحدة وتضامن بين المبشرين في أعمالهم، وان نظرة واحدة توجه الى قرارات المؤتمر تظهر لصاحبها الحظ الكبير الذي كان للمسائل الاسلامية في أعمال المؤتمر.

فقد كان المؤتمر مؤلفا من ثمان لجان اختصت الاولى والرابعة منها بالتوسع في بحث المسألة الاسلامية. أما مهمة اللجنة الاولى فهي أن تبحث في المسائل الاسلامية من الوجهة الخارجية وفي ايجاد ميدان عام مشترك لاعمال المبشرين واختيار خطة « الهجوم » و « الغارة » وتقرير هذه اللجنة يتضمن احصاء متعلقا بالمسلمين وعددهم ومبلغ ارتقاءهم في كل قطر

« ومما جاء في هذا الاحصاء ان في جزائر (مالزيه) والهند الهولنديه ٠٠٠ر٠٠٠ر٣٦ مسلم ويزداد عددهم يوما بعد يوم على نسبة ما ينقص من عدد الوثنيين. وتبين للجنة أن المبشرين في الهند وقفوا جزءا من خمسة أجزاء من أعمالهم على تبشير المسلمين فيها. »

« ولهذه اللجنة فروع بحث بعضها في حال الاسلام في الشرق الادنى وآسية الوسطى. وقد جاء في تقارير هذه الفروع « أن المبشرين تعذر عليهم الخوض في المسألة الاسلامية، ولكن أعضاء اللجنة يؤملون زوال الصعوبات التي تقف في طريق ارساليات التبشير »

وجاء في تقرير اللجنة عن حالة الاسلام في أفريقية: «ان الموقف فيها صار حرجا لسرعة تقدم الاسلام وارتقائه الواسع في الشمال ومعاقله التي في السواحل الى الجنوب والغرب الافريقي. والمبشرون كانوا أخطأوا في تقديراتهم السابقة. لانه تبين لهم فيما بعد أن بعض البلاد التي كانوا يحسبونها خالية من الاديان المعروفة هي اما اسلامية بحتة واما أنها على أهبة الدخول في الاسلام.»

وتقول اللجنة ان العداء الذي كان يظهره المسلمون للمبشرين قد خفت وطأته بالنسبة لما كان عليه.

ثم تناولت اللجنة البحث في الامور الاجتماعية الاسلامية التي تمهد السبيل لتنصير المسلمين، فحضت جمعيات التبشير على توسيع نطاق التعليم الذي يشرف المبشرون عليه. وحصرت قراراتها بجملتين اثنتين:

الاولى — ان ترقي الاسلام الذي يتهدد أفريقية الوسطى يجعل الكنيسة تفكر في مسألة دقيقة وهي: هل ينبغي أن تكون القارة السوداء اسلامية أو نصرانية؟

الثانية — ان المسألة الاسلامية في الشرق على الخصوص صار لها مكان هام في أعمال المبشرين عقيب الانقلابات التي حدثت في بلاد الدولة العثمانية وفارس، مع انها لم تكن تهم الكنيسة قبل هذه الانقلابات الا قليلا، ولذلك أصبح من مقتضيات الظروف أن تقوم ارساليات التبشير بعمل ينطبق على المسائل الاسلامية

هذا شيء من أعمال اللجنة الاولى. أما اللجنة الثانية فهي خاصة بتمهيد ميدان العمل لرجال (الاكليروس) في ارساليات التبشير وقد أشارت الى الاسلام عرضاً لأن كل المجهودات التي يبذلها المبشرون لتأسيس كنائس يقوم بأكثر أعمالها أو ببعضها المسلمون المتنصرون فشلت تماما الا في جزء من بلاد الهند الغربية

واللجنة الثالثة خاضت في الاعمال المدرسية التي يقوم بها المبشرون واكتفت بهذه الكلمة عن المسلمين فقالت:

«اتفقت آراء سفراء الدول الكبرى في عاصمة السلطنة العثمانية على ان معاهد التعليم الثانوية التي أسسها الاوربيون كان لها تأثير في حل المسألة الشرقية يرجح على تأثير العمل المشترك الذي قامت به دول اوربة كلها»

وقد كان للاسلام الحظ الوافر من مذاكرات اللجنة الرابعة لانها كانت مكلفة بالبحث في علاقات الانجيل بالديانات الخارجة عن النصرانية والوسائل التي تظهر النصرانية على تلك الديانات المزاحمة لها.

وتناولت هذه اللجنة البحث في الاسلام بصراحة ومجاملة فذكرت ما ترى انه موضع ضعف فيه وما للنصرانية عليه من المزايا (؟!) مستندة على أقوال المبشرين والمتنصرين.

وتداولت اللجنة الخامسة في كيفية تعليم المبشرين وتربيتهم وألحت بضرورة تعليم المبشرين في البلاد الاسلامية دين الاسلام ولغة تلك البلاد

وأما اللجنة السادسة فبينت كيف تنظم ارساليات التبشير. وذكرت شيئاً عن الاسلام وعلاقاته بارساليات التبشير المدرسية التي للاميركيين

والموضوع الذي بحثت فيه اللجنة السابعة هو علاقات المبشرين بحكومات البلاد التي يبشرون فيها وموقف المتنصرين الوطنيين امام حكوماتهم. خصوصا في البلاد العثمانية وفارس.

وانتقدت انتقاداً شديداً الخطة غير المسيحية التي تنتهجها بعض الدول الاوربية مثل انكلترا في النيجر والسودان وقالت انها خطة من شأنها ترويج الاسلام والتزام طرفه. أما اللجنة الثامنة من المؤتمر فقد خاضت في كيفية الاشتراك وتوحيد أعمال التبشير ولم تخض في المسألة الاسلامية الا قليلا حيث قالت في تقريرها «الامر الذي لا مرية فيه ان المهمة الصعبة التي يقوم بها المبشرون في البلاد الاسلامية لم تظهر في غاية الصعوبة الا لانه يعسر على جمعية تبشير واحدة ان تقوم بها. الا ان وحدة العمل ستكون أحسن وأسرع حل لهذه المعضلة في اكمال مهمة التبشير»

وقد تناقش المؤتمر في المواضيع التي خاضت فيها اللجنة وكان للمعضلة الاسلامية حظ وافر اذ قام الدكتور القسيس (كارل كوم) الذي كان راجعا من أفريقية وأوضح بكل بيان الخطر الذي يهدد أفريقية وأنذر به الدكتور (جورج روسون) فتكلم المبشر (كوغبرغ) عن أحوال تركستان الشرقية. ثم

أشار القسيس (لبسوس) الى عدم وجود مؤلفات مسيحية تختص بالمسلمين. وانبرى القسيس (صموئيل زويمر) فأوضح بكل براعة وبيان المعضلة الاسلامية العمومية

اقوال المجلة السويسرية :

نشرت مجلة (ارساليات التبشير البروتستانية) التي تصدر في بلدة (بال) من سويسرة سلسلة مقالات عن تقارير اللجنتين السابعة والثامنة من لجان مؤتمر ادنبرج ، وتكاد تكون هذه المقالات المتسلسلة تكملة لما نشرته (مجلة العالم الاسلامي) الانكليزية

أما مقالات المجلة السويسرية فمكتوبة بقلم الاستاذ (شلاتار) صاحب التقرير المقدم الى مؤتمر ادنبرج بضرورة اعداد الوسائل لتوحيد أعمال التبشير .

قال هذا الاستاذ: ان مسألة توحيد أعمال التبشير من أهم ماينبغي للارساليات على وجه العموم العناية به ، ما دامت النصرانية لم تنتشر الا بين ثلث بني الانسان وبالتالي ما دام أمام النصرانية عمل جسيم يجب ان تتمه . اذ من المحقق أن الامم المتجانسة التي لاتدين بالنصرانية قد أخذت تتدرج الى الاعمال التاريخية وسيقوم بينها وبين المنتمين الى الانجيل نزاع ومعارك شديدة . لذلك ينبغي للمبشرين أن يتضافروا ويتعاونوا لتكون ثمرات مجهوداتهم وهم متحدون أربعة أمثالها وهم متفرقون

وهنا استشهد بحوادث اشترك المبشرون في الفيليبين وكورية بالعمل فأدت الى النجاح . مثال ذلك انهم تفاهموا في دهلي فتسنى لهم تحديد مناطق أعمالهم ، وفي الصين نجح المبشرون المنتمون الى جمعيات متعددة في تأسيس مجلس لتوزيع الاعمال فكان موضع ثقة الجميع ، واتحدت اثنتان من الارساليات المنصرفة الى طبع الكتب الدينية ونشرها فطبعتا كتابا جمعت فيه النقط والمسائل التي تتفقان فيها . وانفردتا في نشر ما تختلفان عليه . وكذلك الحال في الجرائد والمجلات والمطبوعات التي تنشر بمشاركة الارساليات المختلفة .

ثم بني على ذلك ما لهذا التضامن والاشتراك من المحاسن والتأثير في جمع

الكلمة وقال ان لجنة مؤتمر ادنبرج أقرت ضرورة تعاون الارساليات المختلفة ، ليتسنى لها تأسيس كنيسة واحدة وسط كل أمة غير مسيحية كما فعل المبشرون في بعض جهات اليابان والصين والهند الوسطى . وقد ختمت لجنة مؤتمر ادنبرج قرارها في هذا الشأن بالجملة الآتية : « ان الميل الى تثبيت كنيسة المسيح المنشقة يزداد يوما بعد يوم . » ومما يجدر بالذكر ان لجنة مختلطة تألفت للنظر في هذا الامر .

وأشار الاستاذ (شلاتار) الى أهمية اللجنة السابعة التي كان اللودر بلفور ـ وزير اسكتلندة السابق وهو الآن عضو في المجلس الاعلى ـ رئيس شرف لها .

نظرت هذه اللجنة في المستندات التي وردت عليها من المبشرين عن علاقاتهم بحكومات البلاد الموجودين فيها وعما اذا كان يوجد في سبيل التبشير ونموه موانع وعقبات . وعلى هذا فاللجنة السابعة بحثت عن حالة التبشير في كل البلاد

امتدحت اللجنة خطة حكومة اليابان مع المبشرين بمقدار مااستهجنت العداء الذي يظهره الموظفون الصينيون لكل شيء تشتم منه رائحة الاجنبي . أما في الهند فالمبشرون متمتعون بالراحة لان الحكومة تساعدهم وتعضدهم بالاعانات وتشرف على المكان الذي تصرف فيه هذه الاعانات . الا انها مع ذلك واقفة على الحياد في الامور الدينية . وتساءلت اللجنة عما اذا كان من الممكن أن تخرج حكومة الهند عن حيادها الديني ؟ وحكومة هولندة تشد أزر المبشرين أكثر من الحكومة الانكليزية وقد رتبت لهم مرتبات مالية لتصرف على المستشفيات والملاجيء والمدارس وسبب هذا الاتفاق بين الحكومة الهولندية والمبشرين وجود (فون بونزيلر) قنصل المبشرين والوسيط بينهم وبين الحكومة . أما في آسية الغربية فأعمال المبشرين قاصرة على الطب لان نشر الانجيل لم يزل محظورا هناك والمتنصرون عرضة للهلاك في فارس وهدف للاخطار الشديدة في البلاد العثمانية

والمعضلة الاسلامية في افريقية أعقد منها في آسية . وكل مايستطيعه المبشرون هناك هو منافسة المسلمين في التقرب من قلوب الوثنيين والاستيلاء عليهم ليس الا والبلاد التي يدخلها الانكليز يكون باب التبشير فيها مفتوحا الا أن أهمية ذلك تقل اذا علم أن سياسة الانكليز التي يشكو منها المبشرون مبنية على المجاملة القصوى

الى حد يضر بالمسيحيين حتى أن الموظف يضطر للخضوع الى العادات والتقاليد الاسلامية واعتبار يوم الجمعة يوم راحة والاشتغال في يوم الاحد كما هي الحال في مصر والسودان(١) . ولا حاجة الى التصريح بأن هذه الخطة تعرقل أعمال المبشرين وتدعو الى سخطهم وتجعل الاقباط عرضة للظلم(١) كل ذلك احتفاظا بمصلحة المسلمين. والمسيحيون في مصر كانوا الى سنة ١٩٠٧ محرومين من تعلم أمر دينهم في مدارس الحكومة على نفقة كنيستهم بينما الحكومة تعلم القرآن على نفقتها(٢) فاذا كان الانكليز يودون أن يروا تعاليم الاخلاق النصرانية ظاهرة على غيرها فينبغي لهم أن يساووا بين مسلمي مصر ونصاراها في الحقوق (٣)

أما في مدغسكر فقد كان المبشرون يلاقون صعوبة وشدة في المعاملة .

والقسم الثاني من أعمال هذه اللجنة يتعلق بموقف المبشرين أمام الحكومات من الوجهة الحقوقية. فتقرر أن يبقى المبشرون على تابعيتهم الاولى مالم يتجنسوا بجنسية البلاد . والمتنصرون يظلون في تابعيتهم الاولى لان علاقتهم بالمبشرين دينية محضة. ويمكن للمبشرين أن يطلبوا من الحكومات مساعدات وامتيازات ولكن لا يجوز لهم التداخل فيما يتعلق بالمتنصرين .

ولما انتهت اللجنة من أعمالها قال(اللورد بلفور) رئيس الشرف: «ان المبشرين هم ساعد لكل الحكومات في أمور هامة ولولاهم لتعذر عليها أن تقاوم كثيرا من العقبات وعلى هذا فنحن في حاجة الى لجنة دائمة يناط بها التوسط والعمل لما فيه مصلحة المبشرين»

فأجيب اللودر الى اقتراحه وتألفت لجنة مختلطة ولجنة لمواصلة العمل

﴿ نتائج مؤتمر ادنبرج ﴾

ألفت على أثر انحلال مؤتمر ادنبرج لجنة لمواصلة الاعمال التي بدأ بها . وعمل لها فروع كثيرة بعضها للاحصائيات وبعضها للنشر والمطبوعات وبعضها للتربية

(١) المنار : راجع رسالة « المسلمون والقبط » (٢) المؤيد : راجع خطبة سعادة السيد علي يوسف في المؤتمر المصري لتعرف قيمة هذه الاقوال. (٣) راجع ايضا رسالة « المسلمون والقبط »

والتعليم وآخر لحسم المشاكل بين المبشرين وواحد لدرس علاقات المبشرين بالحكومات وخصص أحد الفروع لدرس العقبات التي تحول دون نشر التبشير بين المسلمين

وفي مايو سنة ١٩١١ اجتمعت لجنة أعمال المؤتمر وبحثت في طرائق التربية والتعليم التي ينبغي لمبشري المسلمين اتباعها وقررت ان تنتهز الفرص وتنتفع بالظروف السانحة وان تنشر مجلة مختلطة تصدر سنة ١٩١٢ مرة في كل ثلاثة أشهر

وتقول مجلة العالم الاسلامي الانكليزية : ان أول ماينفذ من قرارات مؤتمر ادنبرج انشاء مدرسة تبشير مشتركة بين كل الفرق البروتستانية وتكون خاصة بتعليم مبشري الاقطار الاسلامية . وهذه المدرسة يحتفل بافتتاحها في خريف سنة ١٩١١ وتقبل النساء والرجال وتعلم فيها اللغة العربية والعلوم الاسلامية وتاريخ الاوضاع الاسلامية والامور الاجتماعية التي اقتبسها المبشرون من بلاد الاسلام . وسيكون لهذه المدرسة مكتبة تحتوي أمهات الكتب العربية وغير العربية المتعلقة بالاسلام

٧

﴿ المؤتمر الاستعماري ﴾

نشرت المجلة السويسرية التي نقلنا عنها المقالة الماضية مقالة ذات شأن عن موقف ارساليات التبشير في المؤتمر الاستعماري الالماني . ومما يزيد في أهمية هذه المقالة انها مكتوبة بقلم (م ك . ا كسنفلد) صاحب التقرير عن الفرع المختص بالاسلام في المؤتمر الاستعماري وهو أيضاً سكرتير جمعية التبشير في برلين

قال صاحب المقالة : ان المؤتمر الاستعماري امتاز بميزتين الاولى ان بحث في الشؤون الصناعية والاقتصادية . والثانية اجماعه على وجوب ضم المقاصد السياسية والاقتصادية الى الاعمال الاخلاقية والدينية في سياسة الاستعمار الالماني »

واستشهد بقول (شنكال) رئيس غرفة التجارة في (همبرج) . ان نمو ثروة الاستعمار متوقف على أهمية الرجال الذين يذهبون الى المستعمرات . وأهم وسيلة

للحصول على هذه الامنية ادخال الدين المسيحي في البلاد المستعمرة لان هذا هو الشرط الجوهري للحصول على الامنية المنشودة ، حتى من الوجهة الاقتصادية

وحض السامعين على تقدير عمل المبشرين واحلاله في محله اللائق به

وبحث أعضاء المؤتمر الاستعماري في شؤون تتعلق بالتبشير فكفوا المبشرين مؤونة الكلام عن أعمالهم . ولم يشترك هؤلاء المبشرون في المداولات الا عند ما أخذ المؤتمر يبحث في أعمال فرعه الرابع الخاص بالمسألة الاسلامية . فأفاض المبشرون وتوسعوا في القول حتى خيل للجميع أن المؤتمر الاستعماري تحول الى مؤتمر تبشير !

ثم حدث اختلاف بين المبشرين وأعضاء المؤتمر في نقطة النظر الى الاسلام فقام (اكسنفلد) كاتب هذه المقالة في المجلة السويسرية ولفت الانظار الى الخطر الاستعماري في المستعمرات الالمانية بأفريقية واقترح على المؤتمر الاهتمام من كل الاوجه بعاقبة الحالة الحاضرة ، سواء في ذلك الوجهة التبشيرية والوجهة الفكرية ووجهة السلطة السياسية .

وقام بعدها الاستاذ (باكر) العضو في مجلس المستعمرات في همبورج فتوسع في الكلام على « الحكومة وارساليات التبشير وعلاقاتهما بالسياسة الاسلامية » وأبان عن الفارق الذي يفصل مصالح الاستعمار ومقاصده عن ارساليات التبشير . وقال ان من الخطأ تطبيق الآراء والاقوال المتعلقة بالتبشير على أمور الحكومة .

فرد عليه (اكسنفلد) وقال : ان الاستاذ (باكر) لم يدرك المقصد الذي أراده المبشرون ، والخطر الاسلامي صار أمره معروفا عند الجميع وعند الاستاذ باكر أيضاً (١) . ونحن المبشرين لم نقصد أبدا أن نجعل مصالح الحكومة كمصالح الكنيسة .

ووافق اكسنفلد الاستاذ باكر على نقط متعددة وقال : « ان الحكومة لابد

(١) هذا هو صوت بطرس الراهب والا فاين هو الخطر الاسلامي الذي يخاف منه على المسيحية والنصارى؟ نعم انه يوجد خطر اسلامي كبير وهو وجود المسلمين انفسهم قذى في عيون هؤلاء القسس الذين لا يرضون عن المسلمين الا ان يتبعوا ملتهم ولعل يوم جلاء الحقائق يكون قريبا! على انه قريب ان شاء الله تعالى « انهم يرونه بعيداً ونراه قريبا » صالح مخلص رضا

لها من القيام بتربية الوطنيين المسلمين في المدارس « العلمانية » ما دام هولاء المسلمين ينفرون من المدارس المسيحية ، ونحن نعترف بهذه الحقيقة بالرغم عن اعتقادنا بأن المدارس العلمانية تزيد الاسلام نموا وارتقاء (!) واذا نحن طالبنا الحكومة بتقدير مقاصدنا ومصالحنا فيجب علينا بداهة أن ندرك أهمية هذه المعضلة من حيث واجبات الحكومة ومصالحها أيضاً .

وأشار (اكسنفلد) الى قرار المؤتمر الاستعماري الذي وافق عليه عقب خطاب « الاستصراخ لشن الغارة على الاسلام » الذي القاه اكسنفلد نفسه ، يضم الى ذلك الخطاب المعتدل الذي ألقاه الاستاذ باكر وحسبه اكسنفلد مدحا وثناء على الاسلام .

أما قرار المؤتمر الاستعماري الذي وفق فيه بين خطابي اكسنفلد وباكر فقد جاء فيه :

« ان ارتقاء الاسلام يتهدد نمو مستعمراتنا بخطر عظيم . ولذلك فان المؤتمر الاستعماري ينصح للحكومة بزيادة الاشراف والمراقبة على أدوار هذه الحركة . والمؤتمر الاستعماري - مع اعترافه بضرورة المحافظة على خطة الحياد تماما في الشؤون الدينية - يشير على الذين أمسكوا زمام المستعمرات أن يقاوموا كل عمل من شأنه توسيع نطاق الاسلام وأن لا يضعوا العراقيل في طريق انتشار النصرانية . وأن ينتفعوا من أعمال ارساليات التبشير التي تبث مبادئ المدنية ، خصوصا بخدماتهم التهذيبية والطبية . ومن رأي المؤتمر أن الخطر الاسلامي يدعو الى ضرورة انتباه المسيحية الالمانية لاتخاذ التدابير - من غير تسويف - في كل الارجاء التي لم يصل الاسلام اليها بعد » اه

هذا ما جاء في مقالة المجلة السويسرية .

ونشرت (مجلة العالم الاسلامي) الانكليزية بعض جمل من خطاب الاستاذ باكر الذي ألقاه في المؤتمر الاستعماري الالماني . ومن هذه الجمل قوله :

« ان السياسة التي ينبغي الجري عليها في معاملة المسلمين تحتم علينا وضع خطة جديدة في مجرى سياسة حكومتنا ،

« والمبشرون هم الذين اختصوا وحدهم بالاهتمام بامر الاسلام والبحث في شؤونه بكل مستعمراتنا الالمانية الى هذه الايام الاخيرة .

« وأنا لا أرى أن تظل الحالة على ما هي عليه ، بل رأيي أن تنتقل أزمة السياسة الاسلامية منذ الآن و بعد الآن الى يد الحكومة في كل مستعمراتنا .

« ويجب على حكومتنا في هذه الخطة الجديدة التي أشير اليها أن تستعين بالوجهة الوطنية لا بالوجهة الدينية كيما تتوصل الى مقاصدها . وعندئذ يتسنى لها أن تعلم حق العلم أن الاسلام وان يكن عدو النصرانية الا أنه مستعد للارتقاء والتقدم في سبيل المدنية الحاضرة . »

وقال بعد ذلك :

« يجب على ادارة المستعمرات أن تستعين بالاسلام على تربية الوطنيين كما تفعل فرنسة وانكلترة وهولندة . وينبغي للحكومة أن تقف على الحياد التام في المسائل الدينية .

« وأنا أقترح على حكومتنا أن تضع خطة موطدة الاركان في الامور الآتية :

الاول — في الخطة العامة للنظام الاداري والديني .

الثاني — في علاقة الشرع الاسلامي بالقوانين الاوروبية .

الثالث — في نظام التعليم .

« ومن الضروري أن تدرس الحكومة الدين الاسلامي وأن تعنى به أشد العناية بواسطة أشخاص تخصصهم بتوفية هذا العمل حقه . »

وختم خطابه بقوله :

« يجب علينا ـ بالرغم من العناية برعاية الاسلام ـ أن نهتم بمقاومة انتشاره في مستعمراتنا على قدر الامكان . وليس هنالك غير واسطة واحدة توصلنا الى هذه الغاية وهي انشاء مراكز ثابتة الاركان لدين النصرانية كما تفعل ارساليات التبشير . »

(يتلى)

فرنسة في تونس وانكلترة في مصر

اذا نظر المصري الى ما بين يديه من علم ومدنية وأدب الخ مما يسمونه «التمدن الحديث» فانما يرى مصدر ذلك كله فرنسة والفرنسيين، واذا نظر المسلم الى أقدم صديق لدولة الاسلام سواء كان في دولة العباسيين العربية أو الدولة العثمانية التركية في جميع أوربة فلا يرى أمامه الا فرنسة ، بل ان الفضل في انقلاب هيئة العلم والادارة في أوربة جمعاء انما هو لفرنسة ، فاذا ادعت فرنسة بأنها أم المدنية فان لديها من البينة في الشرق والغرب ما يؤيد دعواها، واذا نظر الشرقي الى أقرب الامم الاوربية له في الاخلاق والعادات فانه لا يرى امام عينه غير الفرنسي (هذه اقوال متداولة بين الناس) يقولون: ان فرنسة كانت ولا تزال ام العلم والمدنية في الشرق والغرب وربة المال في جميع أقطار المعمور ـ والمال حياة العمران ـ فمبدأ نهضة سورية الاخيرة إفرنسي والتفرنج المصري والرقي العلوي افرنسيان وقواد محمد علي واساتيذ مدارسه من الفرنسيين فرنسة هي نفسها التي أعلنت بأنها حكومة لا دين لها ومعناه انها لا تنتصر دينا على دين فهي أم الحرية أم الاخاء أم المساواة ـ كما يقولون ـ وهي التي جعلت عنايتها موجهة للتعليم «اللاديني» في مستعمراتها وقد قال أحد المبشرين الالمانيين (اكسنفلد) « ان المدارس العلمانية تزيد الاسلام نموا وارتقاء »

كل هذا مما يكاد يكون من القضايا المسلمة عند كثير من الكاتبين والمفكرين وكان على مقتضى ذلك ان يكون المسلمون الذين هم تحت حماية فرنسة من أكثر الناس تمتعا بحريتهم الدينية والادبية ولكن الجوائب التي تأتينا من قبل مستعمراتها الاسلامية على العكس من ذلك اذ هي تدلنا أن المسلمين الذين تحكمهم فرنسة من أشقى الناس وأتعسهم

كتب أحد المخلصين من تونس (وقد أقام بها أياما) الى المنار مقالة تحت عنوان « حقيقة أخبار عن تونس لشاهد عيان » بامضاء « ابن الحقيقة » ذكر في مقالته هذه من معاملة فرنسة الجائرة للمسلمين ما لا يكاد يصدق وقد نشرت مقالته

هذه في الجزء الخامس من منار هذه السنة بعد حذف شيء كثير مما كتب على ظن انه من المبالغة، ثم منذ ايام أم القاهرة ذلك الرحالة المجاهد وأخبرنا انه شاهد جميع ما كتبه عن تونس عيانا وفوق ما كتب من المعاملة الجائرة التي تعامل بها فرنسة التونسيين وان ابعاد أولئك الافاضل لم يكن له من سبب الا انهم كانوا يحامون عن حقوق الضعفاء

وذكر ان من الشيوخ الرسميين وغير الرسميين من ينفخ في بوق الفتنة ولو خاف الله لأمكنه أن يساعد وطنه وملته. وأطلعنا على عدد من جريدة الزهرة فيه أن بعض أعضاء المجلس الشورى قال في خطبة القاها بعد تلك الحوادث «ان تونس هي بنت فرنسة المدللة» الى آخره ثم قال: ولو انصف لوضع للدال نقطة ولكنه أبى ان ينطق بالحق (أي لو أنصف لقال المذللة)

فسألته عن حالة تونس الادبية فقال أن هنالك رجالا قد عرفتهم ما أظن انه يوجد في مصر أو الشام أحسن منهم أخلاقا وغيره ملية ولكن التضييق شديد كما قلت لكم -

ثم أخبرنا بان لديه - كتابات خصوصية لم يؤذن له بنشرها وفيها من الغرائب والعجائب ما يدهش العقل وذكر ان كل قادم لتونس من هذه البلاد يكون تحت مراقبة البوليس وانه رسم طريقة للمخابرة مع أناس من الاحرار في تونس لا تصل اليها يد المراقبة وهو يأمل أن تأتيه اخبار من هناك قال وبهذه الواسطة أخذت هذه الجريدة وما لدي من الكتابات المذكورة

وودعنا جاعلا وجهته سورية فالاستانة العلية ووعد بموافاتنا بما يصل اليه في أي مكان كان (١)

---

(١) كان أثناء وجوده في مصر كتب مقالة لجريدة «الجريدة» التي تصدر في مصر فابت ان تنشرها خوفاً من غضب ايطالية او فرنسة منها أو مراعاة لحياد (المجموعة) المصرية تثبتها هنا ليرى القراء مبلغ حرص الجريدة على مراعاة احساس ايطالية أو فرنسة وهي:

«الى سيدي مدير الجريدة

«كتبت الى مجلة المنار الزاهر منذ اشهر مقالا تحت عنوان حقيقة اخبار عن تونس لشاهد عيان اتيت فيه على لباب الحوادث الاخيرة التي شهدتها وسمعتها يوم كنت بتونس قاصدا دار الحرب فقد قدر الله طول الاقامة هنالك (لمصلحة المجاهدين) حتى شهدت تلك الحوادث المتسلسلة ولا أدري ماذا كان من بعدي ولعلي اتصل في الآتي القريب بافادات مفصلة عن حال أولئك =

لم يكن هذا الكاتب أول مخبر عن تونس فيشك في اخباره واذا كان هو المخبر وحده عن تونس فمن الذي يخبر عن أحوال الجزائر ومراكش ؟

كان على فرنسة وهي معلمة المدنية ! أن تكون أوسع صدراً مع محكوميها من انكلترة ولتذكر ما يقوله ساسة الالمان من اغتنام فرصة الانتفاع بتحول قلوب المسلمين عن فرنسة

هذه مصر والسودان يكتب فيهما الانسان ما يشاء لمن يشاء حتى بعد احياء قانون المطبوعات ولم نسمع بان عدة جرائد أقفلت في يوم واحد أو ان اناسا أبعدوا من أجل حرية أفكارهم بل ان المحامين دافعوا دفاعا مرا يوم محاكمة قاتل رئيس النظار السابق والمتهم يقول: انا قتلته لانه كان مضرا بوطني فماذا جرى ؟ نفذ الحكم بالمعترف بالقتل دون أن يلحق غيره من أهل حزبه أووكلائه أدنى ضرر

وجرى بمصر اعتصاب عمال الترام مثل ما جرى بتونس فلم يكن من الحكومة الا اجراء وظيفتها ولم تخلق مسألة سياسية دولية من جراء ذلك. واعانات الحرب تجمع علنا وتنشر في الجرائد بل يأتي الى مصر من المستعمرات الانكليزية اعانات كثيرة للدولة العلية ولم يكن من الانكليز أدنى معارضة

لهذا نرى المسلمين أميل الى الانكليز من جميع الامم وأشد نفورا من فرنسة

ولقد رأيت أحد المراكشيين يوما يبكي فقلت ما يبكيك ؟ قال مستقبل بلادي وليتها

= المضطهدين فقد عرفت من خيار الاحرار هنالك من أرجو منه أن يوافيني بانباء ما يقع، وقد وصلني من بعض أولئك عدد من جريدة الزهرة «منذ يومين» ممدود على بعض فصوله خط بالمداد الاحمر فعلمت ان ذلك لسر فيه فكان اول ما قرأته فاذا فيه ان بعض اعضاء المجلس الشوري قال في خطبة ألقاها بعد تلك الحوادث: ان تونس بنت فرنسة المدللة . فعجبت لهذا العضو الجاني على جسمه بما لا يجنيه الد عدو

الا ليته صمت اذ لم يقل خيرا اليس في كلمته هذه ما يأتي على اعمال القائمين بطلب الحق ويذهب بامل كل ذي امل

واني لأرجو منك نشر هذه الكلمات بعد ان عدلت عن تقديمها الى المنار الاغر لما طال على نشر مقالتي التي قدمتها اليه من الامد على اني اتشرف بنقله اياها اذا كان له غرض في ذلك لانها كالتتمة لمقالته وقد أذنت أن تنشر بامضائي الصريح لاني وقد أصبحت بين أظهركم لا أخشى باغيا، ولا اخاف واشيا، وسأتشرف بزيارتك ودمتم افندم

القاهرة في ١٠ تموز سنة ١٩١٢ محمد نجيب الحسيني

اذ وقعت تحت حكم أجنبي كانت من حظ الانكليز . كذلك سمعت غير واحد من البلاد التي لايزال لها الاستقلال يقول: ان كان ولا بد من ذهاب استقلالنا فلتكن للانكليز ولم ياترى ؟ ؟ لانه يظن أن فرنسة تطمع باحتلال بلاده

ألم تكن فرنسة جديرة بان تميل الشعوب اليها ميلها للانكليز ؟ بل ألم تتعلم فرنسة طريقة الانكليز في الاستعمار؟ لا أقول هذا مادحا الانكليز ولكنني أحكي ما اسمعه واثبت اختباري وأسأل الله تعالى أن يحمي بلادنا باستيقاظ أهلها وحكومتها من الوقوع في أشراك الاستعمار وخصوصا الاستعمار الفرنسي

صالح مخلص رضا

الكهف والرقيم

« في ملخص رحلة المصلح العظيم والمجدد الحكيم »

اهدى الاستاذ السيد عبد الحق حقي الاعظمي البغدادي الازهري نائب استاذ الشعبة العربية في كلية عليكده الاسلامية في الهند ادارة المنار ١٨٠ نسخة من مؤلف له سماه الكهف والرقيم، في مختصر رحلة المصلح العظيم والمجدد الحكيم يتضمن اختصار رحلة صاحب المنار في الاقطار الهندية حيث كان المؤلف ترجماناً ورفيقاً له اوضح اسماء البلاد التي امها السيد والعلماء والامراء الذين قابلهم والمآدب والحفلات التي اقيمت للاحتفال به في بلاد عديدة وشرح جميع ذلك شرحاً واضحاً مبينا وابان ما كان لكلية ندوة العلماء من الفائدة بزيارة السيد صاحب المنار وما كان من الحركة الفكرية في مسلمي الهند وما أبداه السيد من النصائح وماتلاه من الخطب في تلك الحفلات وصدرها بكتاب تقدمة واختتمها بكتاب من السيد ارسله اليه ووصف الوداع واللقاء في كل بلدة امها السيد وقال انه جعل مؤلفه هذا كذكرات للسيد باسماء البلاد والاشخاص والآثار والمدارس الى غير ذلك مما شاهده هناك لتكون مساعدة له في تأليف رحلته الهندية . ويعلم قراء المنار ان السيد وعد بكتابة هذه الرحلة المباركة ان شاء الله تعالى

فنشكر للاستاذ الصديق عنايته هذه ونرجو من الله تعالى ان يكثر من امثاله في المسلمين وان ينفع به آمين

صالح مخلص رضا

السكة الحديدية

في الحجاز (*)

تواترت الاخبار اليوم بمكة المكرمة ان حكومة الحجاز الآن مهتمة جداً بتسيير السكة الحديدية بين المدينة ومكة وبين هذه وجدة وهذه الاخبار طالما كانت تتشوق قلوب المسلمين الى وجودها خارجا لكونها تتردد مرارا من سنة الى أخرى حتى تسلسلت الى ما لا نهاية لها لكنها ساذجة

حقا أقول : ان الانسان بواسطة هذه السكة صار يستغني في سفره عن عدة أشهر ببعض أيام وعن عدة أيام بيوم أو بعض يوم فضلا عما توفر له من ماله الذي كان يصرفه في سفره وما اكتسبه من الراحة عما كان يكابده من المشاق والمصاعب والعوائق فلا تروج صناعة ولا تتقدم تجارة ولا زراعة الا بها لانها هي تنقل المصنوعات الخطيرة والحقيرة من بلد الى بلد ومن مملكة الى أخرى فيحسن حالها ، وتنقل حاصلات الزراعة من الحبوب والثمار وغيرها فيزيد نفعها وتزيد بزيادته رغبة الناس فيها واعتنائهم بها

وقصارى القول ان هذه السكة قد سهلت من السفر كل خطر شديد وجعلت البلد البعيد أقرب من حبل الوريد ، وسهلت المواصلات ، وقربت المسافات ، فعمت التجارة ، وعظمت الامارة ، وتلألأ العمران في سائر البلدان ، وتيسر للعلماء واصحاب الصنائع السفر الى البلاد البعيدة ، والاطلاع على أمور كثيرة ، وبذلك تتسع العلوم ، وتكثر الفنون ، وغير ذلك من منافعها التي لاتحصى ولا تكاد تستقصى ، لاسيما السكة الحجازية فان فوائدها أكثر ، ومنافعها أكبر ، وبيان ذلك

(*) رسالة وردت من مكة المكرمة لصاحب الامضاء

ان طريق الحجيج الى بيت الله الحرام والمدينة المنورة أيضا كلها مشقات واخطار التي لم يوجد في بلد من البلاد الاسلامية مثلها لان نظام القافلة لاضمانة له أصلاً كما هو مشاهد بالعيان في طريق المدينة ، ويكثر وقت تحميل القافلة وتنزيلها وسيرها السارقون والمنتهبون والمختلسون ، وربما هجم قطاع الطريق على الحجاج في هذه الطريق . وفي ٢٨ ذي القعدة سنة ١٣٢٦ كانت القافلة خرجت من مكة المكرمة بقصد زيارة الروضة النبوية الطاهرة وكان اكثر افرادها من الحجاج الجاويين المساكين وبعد أن بلغت محطة « بئر درويش » التي تبعد عن المدينة المنورة يوم واحد أشيع بينها بواسطة الجمالة عن توقع اعتداء العربان عليها وتسبب عن هذه الارجوفة عودة القافلة من حيث اتت

لذلك كان الحجاج اذا قصدوا الى اداء هذه الفريضة أو الى زيارة الروضة النبوية كانوا أول ما يستعدون على سلاحهم واذا ساروا فقلوبهم تستغيث الى الله عز وجل أن يردهم سالمين غانمين وان لا يصادفهم أثناء السير أدنى ضرر وخلاف حتى كأنهم سائرون الى موقف القتال وهذا كما لا يخفى على عاقل ينافي دعاء نبي الله ابراهيم المذكور في كتاب الله العزيز : « واذ قال ابراهيم ربي اجعل هذا بلدا آمنا » الآية

ومع هذا فجل ما سمعنا من سوادهم الاعظم قولهم : ان تسيير السكة الحديدية في هذه الاقطار ذريعة لدخول المشركين اليها فلم يرغبوه خوفا لذلك

ثم الحقيقة ان هـذه المقالة انما هي بسبب الغفلة والذهول عن الاحتمالات العقلية الصحيحة وسبب الذهول هو النظر الى البلاد الاسلامية التي تحت ولاية دول أوروبة لكثرة الافرنج فيها والا فيحتمل ان يتزيا الافرنجي بزي المسلمين ويتكلم باللغة العربية الفصيحة ويدعي دين الاسلام ويدخل الى هذه البلاد لتحقيق ماقصده من الاطلاع الى شؤون الاجتماع والعمران فمن الذي يعلم هذا ؟؟؟

ومما يؤيد هذا الاحتمال ما كتبه الاديب النجيب محمد بك لبيب في الرحلة الحجازية مانصه : اما افراد الفرنجة الذين قصدوا مكة او المدينة في ازمنة مختلفة وكتبوا عنهما ما كتبوا على حسب نزعاتهم سياسية اودينية او عمرانية او جغرافية

انما كانوا يتزيون بزي المسلمين بعد ان يعرفوا اللغة العربية ويدعون انهم على الدين الاسلامي نخص بالذكر من هؤلاء بوركادت السويسري وبورتون الانكليزي . وهود جرونج الهولاندي (١) وكورتلمون الفرنساوي اه

وبناء على ماتقدم لم يبق شك ان تسيير السكة الحديدية ليس سببا لذلك كما قد يتوهم والاّ فدخول هؤلاء الى هذه البلاد بماذا؟ فليأتونا دليلاً عليه فهل بواسطة الطيارات والمناطيد الهوائية (Ballon) لا ! لا ! فان الحجاج لا يدخلون اليها ولا يخرجون منها الا في ركب القافلة التي لا امانة لها اصلاً وعلى كل فنحن نتأكد من اهتمام دولتنا العلية لذلك وجعلنا عموماً بلا استثناء نثني على همم معالي الدولة العثمانية بكل جوارحنا باتخاذ الوسائل لحفظ شؤون وراحة حجاج بيت الله الحرام مما يدلنا على ما لدولته من خلوص الاعتقاد والشفقة والحرص التام على رعاية الحجاج والالتفات طبق نوايا الخليفة الاعظم ايده الله والسلام

يوم الاحد ٢٩ جماد الاخر ١٣٣٠ كاتبه

أبو ذاكر الأيداني

يقول صالح رضا : لاشك بأن وجود السكك الحديدية التي تقرب الابعاد لمن أهم وسائل العمران وقد ظهر للحجاز بين فائدة وصول السكة الحديدية الى المدينة المنورة والسكة الحجازية هي أهم سكك حديد الدولة للاسباب التي ذكرها الكاتب ولانها هي السكة الملية الوحيدة في بلاد الدولة العثمانية

وان لارتقاء البلاد اسبابا أخرى أهمها نشر العلم الحقيقي الذي اصبح اداة كل رقي وملاك كل عمل نافع واذا تحضرت البلاد بغير أهلها فان ذلك هو الخراب الحقيقي لها لان الوافد اجنبيا كان أو وطنيا انما هو مستعمر مستثمر لذلك كان من الواجب لمساعدة الحجاز وأهله نشر العلوم والمعارف في اقطاره والا كان وجود السكة لفائدة غيرهم اولا ثم لهم ثانيا ان كانوا يعملون

---

(١) ومن الهولنديين الذين قصدوا مكة « الدكتور سنوك فخرونية » وسمى نفسه « عبد الغفار » وديانته ماأدري أهو مسلم حقيقي أو مسلم مجازي (الله أعلم) ـ والارجح ما قاله صاحب المنار

طريقة السنوسية (*)

وزواياها بين الاسكندرية ودرنة

(١)

ان الطريقة السنوسية هي من أقوى طرق الاسلام(١) انتشارا وأكثرها حصى وأشدها تماسكا . وزواياها مبثوثة في أقطار المغرب والسودان ووادي النيل والحجاز. فليس في وسعنا استقصاء ماهناك من الزوايا ولا معرفة عدد المريدين والاتباع وانما يقيس المرء مالم يره على مارآه فلنذكر الزوايا السنوسية في القطعة الواقعة بين الاسكندرية ودرنة فقط وهي الطريق المطروق للقوافل بين مصر والغرب ومسافتها على الجمل بضع عشر مرحلة .

فعلى مسيرة يوم للفارس من ثغر الاسكندرية الى الغرب زاوية سيدي موسى العجاري في موقع يسمى بهيج ، وعلى مسافة ساعتين منها زاوية سيدي يادم الابيرش ، وعلى مسافة نصف يوم بالتقريب من زاوية سيدي يادم توجد زاوية سيدي عبد العاطي أبي محيفظة ، وعلى مسافة يومين من هذه توجد زاوية سيدي عبد المنعم أبي شنينة وهي بمحل يقال له جميمة في نواحي الضبعة ، وعلى مسافة يوم من زاوية عبد المنعم توجد زاوية سيدي عبد الرحيم الفاخري بمحل يقال له قربوه، ثم هناك زاوية سيدي موسى بن موسى على مسيرة ثلاث ساعات من زاوية سيدي الفاخري في محل يقال له فوكة مارة به سكة الحديد الخديوية، ثم على مسيرة ثلاث ساعات من فوكة الى جهة البحر زاوية سيدي عبد الرحيم التهامي وعلى مسيرة ساعتين من هذه على البحر أيضاً زاوية سيدي هارون بن بدر القناشي وهو من أكابر السنوسية وبعدها على مسافة ساعتين الى الغرب من جهة البحر زاوية سيدي علي بن مورد ومنها على مسافة يوم زاوية سيدي أبي القاسم الطيب وموقعها يبعد نحو ساعتين عن مرسى مطروح الى الغرب، ثم زاوية سيدي عبد القادر بن عمر على مسافة يوم منها

(*) لصاحب الامضاء نقلا عن المؤيد عدد ٦٦٢٨ وعدد ٦٦٤٦

(١) الاسلام طريقة واحدة وكان الاولى ان يقول « طرق الصوفية في الاسلام »

ثم زاوية سيدي عمر الاوجلي على مسيرة ثلاث ساعات مما قبلها ، ثم على مسافة نحو ثلاث ساعات أيضا من زاوية الاوجلي زاوية سيدي محمد الشريف، ومنها على مسافة يوم زاوية سيدي الشريف بن ميلود وعلى مسافة نحو يوم أيضا من زاوية ابن ميلود توجد زاوية سيدي عمران بن ابراهيم وبعدها بمسافة يوم يقع المحل المسمى بالسلوم. فمن السلوم الى الغرب بثلاث ساعات توجد زاوية سيدي محمد الشارف ومنها على مثل هذه المسافة الى ناحية الغرب توجد زاوية سيدي علي بن عبدالله وهي في موقع دفنه وفي موقع دفنه أيضا زاوية سيدي حسين الغرياني وهي تبعد نحو ثلاث ساعات عن التي قبلها وتأتي بعدها زاوية سيدي صالح الشريف مكانها على يومين من التي قبلها غربي طبرق وبعدها زاوية سيدي مرتضى فركاش على يومين من زاوية سيدي صالح الشريف ومنها الى البحر بساعتين زاوية سيدي محمد بن فارس وبعدها زاوية سيدي عبد الله فركاش على ساعتين الى الغرب وفي نفس درنه توجد زاوية الشيخ المسمى بالسنوسي الغرياني ومن درنه على يوم الى الجنوب يوجد زاويتان احداهما زاوية العزيات شيخها سيدي السنوسي الجبالي والثانية زاوية المخيلة شيخها سيدي محمد الحسين

ومتى اتصل بنا علم بقية الزوايا التي من درنه الى الغرب نحو بني غازي وطرابلس أو الى الداخل من البلاد نوافي بذكرها ان شاء الله ونردفه بما تحققه من أخبارها. والذي تحققناه الى الآن ان أغلب العرب المنتشرين من ثغر اسكندرية الى السلوم هم من قبيلة أولاد علي المنتشرة انتشار الجراد وكلهم سنوسية لا تسمع من كبيرهم ولا من صغيرهم الا «ذكر سيدنا المهدي رضي الله عنه» وكل زاوية من الزوايا التي عددناها هنا لها نحو الفين الى ثلاثة آلاف من الاتباع لا يدخلون مع غيرهم ولو كان الجميع أبناء طريق واحد فالجميع سنوسية ولكن اتباع كل زاوية مقصورون عليها وهم يترددون اليها ويحضرون مجالس العلم بما أمكن ويختمون القرآن العظيم كل شهر مرة في الزاوية ويعظهم خلفاء السنوسي ويرشدونهم في أمور دينهم ودنياهم .

ومن أحسن فوائد هذه الزوايا انها بمثابة فنادق على هذا الطريق الممتد فلا يوجد سواها ملجأ للبائسين والمنقطعين ولا معارج للمسافرين، ومشايخها لا يتقاضون أحداً شيئاً بل يتلقون كل من يفد عليهم بالترحاب ويكرمون الضيف على قدر استطاعتهم ولا وقف للزوايا غالباً من جهة بل كل شيخ من أشياخها هو قائم بمصروفها (نفقتها) مما يستغل من الاراضي التي حولها وأرض الله واسعة لا يلزمها الا حراث، وقد يقدم أتباع الزاوية لها بعضاً من غلاتهم كالحنطة والشعير كما انه اذا فضل شيء عن الزاوية

يقدمه شيخها الى الشيخ السنوسي الاكبر في الجغبوب أو في كفره لان زاوية الاستاذ الكبير هناك عبارة عن مدرسة كبرى هي منتاب الطلبة من جميع الاقطار والضيوف والقصاد ينسلون اليها من كل حدب وليس ثمة شغل بغير العلم واقامة السنة ولا هناك بيع ولا تجارة ولا شيء يلهي عن ذكر الله فلذلك ترفد الزوايا البعيدة بفضلات غلاتها المركز الكبير للسادات رضي الله عنهم

وأما درجة تعظيم هؤلاء الجماعات لفروع هذا البيت ـ ذرية سيدي محمد السنوسي (وهم أبناء سيدي المهدي وسيدي الشريف رضي الله عنهم) ومبلغ اعتلاقهم حبالهم واستمساكهم بأسبابهم واطاعتهم لاوامرهم فما ليس له نظير في زماننا هذا . ولذلك كانت أوربة تلهج بقوة السنوسية والدول العظام يحسبن لها الحساب الكبير وفرنسة تتقدم من واداي وانكلترة ـ فيما يقال ـ تطمح أن تضم الجغبوب الى مصر ، وايطالية تتمنى خداع الشيخ السنوسي لتتمكن من البلاد وكل ذلك خوفا من أن يلتف حول السنوسي مسلمو افريقية ويكون مركزه من الصحراء ومن بأس القبائل مساعدا له على تأييد الكلمة وبث الدعوة ـ فالدول المستعمرات المصابة بكابوس الجامعة الاسلامية تحب ان تستريح من طريقة السنوسي الماثل دائما في خواطرها وربما كان ذلك سبباً لسماح هذه الدول لايطالية بأخذ طرابلس الغرب حتى يتقلص عن رأس السنوسي ظل راية الهلال فيصيبه ما أصاب غيره من الحجر والقيد ويذهب الخطر الاسلامي عن المستعمرات المأخوذة من أهلها ، وما دامت طرابلس للدولة فالسنوسي حر في زاويته من الارض وكلمته مسموعة ودعوته سارية في البسائط والدولة العثمانية في افريقية حرية بأن تجمع كلمة الاسلام فيها حولها ويحدث الله بعد ذلك أمراً .

ولهذا لم يذهب الاهتمام بالشيخ السنوسي عن دهاء السلطان عبد الحميد فأرسل اليه بمكانه يومئذ من الجغبوب المرحوم صادق بك المؤيد العظمي رسولا اجتباه لعلمه بانه لمثل تلك العزيمة عقلا ونشاطا وحمية فشاهد في تلك الرقعة من حال السنوسي ما يسر كل مسلم من قدم صلاح وحلقة درس وتأثل طاعة ونفوذ أمره ، وكتب عن ذلك رحلة نشرها رحمه الله . وبالجملة فان ما يروى وما يرى من أحوال السنوسي والسنوسية يخطر بالبال ما سمعه كاتب(١) منذ ٢٢ سنة من الاستاذين الكبيرين الشيخ علي الليثي والشيخ محمد عبده رحمهما الله وهما يتناجيان في أحد أسمارهما وهو « انه لم يبق للاسلام أمل في استئناف الحياة والنهوض أصح مما يؤمل من جانب هذه العصابة »

(١) لعل الكاتب يعني نفسه

فمن رأى الآن حرب طرابلس قائمة بالسنوسية وعلم كيف ان بعض قبائل من العرب يدربها عدة ضباط من العثمانيين حصروا مدة ستة أشهر الى حد اليوم جيشا منظما بالغا عدده ١٥٠ ألف جندي كامل العدة حديث آلة الحرب ـ تذكر كلام ذينك الشيخين العظيمين الذي قالاه منذ ٢٢ سنة وعلم ان شهرتهما في العقل والعلم واصالة الرأي لم تكن عبثا . وقد حققت الايام شيئا من كلامهما وستحقق ان شاء الله أشياء

(٢)

تقدم ذكر الزوايا السنوسية المنتشرة من حدود ثغر الاسكندرية الى ثغر درنة واحصاء خمس وعشرين زاوية منها في هذه المسافة . وقد فات ذكر زاوية حوش ابن عيسى في الاسكندرية وشيخها محمد بن مالك زاوية الفيط في العامرية لاصحابها العزائم فتكون جملة الزوايا بهما الى حد درنة سبعا وعشرين ومن هناك صارت زاوية ماره شيخها سيدي عبد الله أبو سيف ، وعن ماره بمسافة ساعة ونصف ساعة الى جهة البحر زاوية بشاره شيخها سيدي عبد القادر فركاش، وعلى مسافة ساعتين من هذه الى الشرق زاوية عوينة نقا شيخها سيدي الحبيب بن جلول وعن ماره بمسافة ساعة الى ساعتين أيضاً نحو البحر زاوية التراكي شيخها سيدي يوسف العجال ثم الى الغرب من زاوية عوينة نقا زاوية ثرت شيخها سيدي محمد الغزالي والى الغرب من ثرت زاوية فيدية شيخها سيدي صالح بن اسماعيل، والى الغرب من فيدية زاوية شحات شيخها سيدي محمد الدردفي وفي غربيها على مسافة ثلاث ساعات منها الزاوية البيضاء الشهيرة التي أسسها سيدي محمد السنوسي مؤسس الطريقة رضي الله عنه وذلك بجانب مرقد سيدنا رافع الانصاري رضي الله عنه وشيخ هذه الزاوية الآن سيدي العلمي ، وعلى ساحل البحر غربي الزاوية البيضاء زاوية الحمامة شيخها علمي آخر ثم زاوية الحنية شيخها سيدي أحمد الزناتي مركزها غربي زاوية الحمامة وقبلي زاوية الحنية على مسافة ساعتين ونصف ساعة منها زاوية كفنطا وشيخها سيدي حميدة بن عمور وقبليها زاوية العرقوب شيخها سيدي جاد الله الجيالي وغربي زاوية العرقوب على نحو ساعتين زاوية القصرين شيخها سيدي محمد العربي ، وغربي زاوية القصرين بمسافة خمس ساعات زاوية القصور شيخها سيدي عمر المختار ـ وهو من أكبر المجاهدين بهذه الحرب ومن أعظم أركان السيف الابيض أنور بك ـ والى الشمال من زاوية القصور زاوية المرج شيخها سيدي عمران السكوري من أبطال الجهاد الملازمين للمعسكر العثماني وبحري زاوية القصرين الى الشمال زاوية ميراد مسعود شيخها سيدي

محمد بن حوا والى الغرب من ميراد مسعود زاوية الحامدية شيخها سيدي عبد الله الكليلي والى الغرب منها زاوية توكره وشيخها سيدي عبد الله الجيلاني وغربي توكره زاوية برسس شيخها ابن سيدي عبدالله الجيلاني، وغربي زاوية برسس زاوية دريانه شيخها سيدي الشريف الغماري ، وغربي دريانه زاوية أسقفة شيخها سيدي الامين الغماري ، ثم غربي أسقفة زاوية أم شخنب شيخها سيدي محمد علي بن عبد المولى تبعد عن أسقفة نصف يوم - ومن أم شخنب الى مدينة بني غازي مسافة يوم كامل - والى الجنوب من بني غازي على مسافة ٦ أو ٧ ساعات زاوية طيلمون شيخها سيدي محمد علي المحجوب والى الجنوب من أم شخنب زاوية ماسوس شيخها السنوسي الاشهب والى الغرب من بني غازي على مسافة ٤ أيام زاوية القطفية شيخها الزروالي ابن عبد اللطيف وغربيها زاوية النوفلية في عقر سيدي بجيري عن القطفية بمسيرة ستة أيام شيخها سيدي أحمد بن ادريس وغربي النوفلية يوم ونصف يوم زاوية الزعفران شيخها ابن شفيع وهي بجوار قصر سرت ثم في مصراطة زاوية أم وطين شيخها السنوسي بن عبد العال-استشهد في هذه الحرب-وفي زليطن زاوية بمحل اسمه زوو شيخها سيدي محمد بن عثمان بن بركة وفي نفس طرابلس زاوية للسنوسي شيخها سيدي عبد الوهاب الزناني وفي جبل طرابلس زاوية سيدي عبد الله السني وفي غرامس زاوية سنوسية وكيلها سيدي أحمد الحبيب وفي غات زاوية شيخها الحاج أحمد الفاني وفى فزان زاوية مركزها بمرزوق شيخها سيدي عبد اللطيف بن عبيد وفي بلدة مزدة زاوية وفي بلدة هون زاوية وفي زويلة زاوية وفي بلدة واو زاوية شيخها سيدي محمد علي الاشهب وفي بلدة زلة زاوية شيخها سيدي الشارف الفرياني والى الغرب منها زاوية سوكنه شيخها سيدي الشريف حامد وفي أوجلة زاوية شيخها سيدي عبدالله النضيل وفي جالو زاوية العرق شيخها سيدي عبدالله التواتي وفي جالو ايضا زاوية اللبة وكيلها الشيخ غيث فريطيس والى الجهة البحرية منها زاوية شخرة شيخها سيدي محمد صالح وزاوية الجغبوب الكبرى مركز السادة السنوسية الشهير هي على مسافة يوم واحد من زاوية شخرة الى ناحية الشرق وفيها نحو ٣٠٠ شخص من مدرسين وطلبة وعلى مسافة ٣٠ يوما على الجمل الى الداخل الكفرة مقر السادة الان فيها الزاوية المسماة بالتاج من أكبر زواياهم تؤاخي زاوية الجغبوب وهي كرسيهم الحاضر وفيها مئات من العلماء والمريدين والطلبة وفي الكفرة أيضاً زاوية يقال لها الجوف الوكيل عن السادة فيها سيدي عبد الهادي الفضيل وعلى مسافة ٥ ساعات منها زاوية الهواري شيخها

سيدي الفضيل السوسي وفي غربيها زاوية ربيانه تبعد مسيرة ثلاثة أيام عن الكفرة وكيلها سيدي حسين بزامه وفي غربيها أيضاً زاوية تزربو تبعد عن الكفرة مسيرة ستة أيام شيخها الفاضل العلامة الحبر الفهامة السيد المدني من تلاميذ سيدي محمد السنوسي الكبير مؤسس الطريقة وهو تلمساني الاصل. ومن الكفرة الى الجنوب صحراء سحيقة منقطعة الاوصال مترامية الاطراف وعلى مسيرة ١٧ يوما فيها الى ناحية القبلة زاوية «وجنقة» شيخها سيدي عبد ربه البرعصي وهي أول بلاد السودان وبقرب هذه الزاوية زاوية وجنقة الصغرى وهي تحت نظارة الشيخ عبد الرازق الفاخري والى القبلة منها زاوية بدادي تحت نظارة الشيخ عبد ربه السابق الذكر وعن وجنقة الكبرى بمسافة ٣ أيام الى الغرب زاوية قرو وفيها نحو ٤٠٠ مريد من التيبور وغيرهم وشيخها الفاضل الاديب الفقيه المحدث المفسر سيدي محمد بن عبدالله السني والى الغرب منها بمسافة ستة أيام ثغر كلك آخر الحدود العثمانية الآن فيه زاوية يقيم بها الشيخ الفاضل المجاهد المثاغر المرابط سيدي عبدالله الفضيل الزووي وفيها نحو ٧٠٠ رجل من أتباع السنوسي والى الجنوب الشرقي منها زاوية «ون» على مسافة يوم ونصف يوم من ثغر كلك وشيخها سيدي المهدي السني وفيها نحو ٥٠٠ رجل من أشداء السنوسية ومن كلك الى مرزوق- قاعدة فزان - مسيرة ٢٠ يوما وما في هذه المسافة من عمار وقفار مأهول كله بأتباع السنوسي ولهم فيها المراعي والمحاوث والاشجار والنخيل وهناك مركز أيضاً فيه حكومة عثمانية اسمه «تيسبتي» ثم ان في بلاد توات من الغرب الاقصى زوايا عديدة سنوسية وفي تطاون شرقي طنجة زوايا واتباع وفي سائر بلاد الغرب أيضا سنوسية يتكتمون جدا مع وفرة عددهم خوف الحكومة الاجنبية التي هي شديدة الوطأة على مريدي هذه الطريقة . هذا وفي ضمن الحدود المصرية بلد سيوة على مسيرة ٣ أيام الى الشرق من الجغبوب ثلاث زوايا للسنوسي .الاولى الزاوية القدعة وكيلها سيدي يوسف بن عبدالله بن أحمد ، والثانية زاوية بني معرف شيخها سيدي محمد بن عبدالله الزوبي، والثالثة زاوية اغرمي وكيلها أحمد جيبري،وفي سيوة املاك وأوقاف، للسادة والى الشرق من سيوة على مسيرة ٦ ساعات زاوية حطية الزيتون مختصة بالسادة أنفسهم وكيلها سيدي علي ابو دربالة وشرقي زاوية الزيتون هذه على مسيرة يومين زاوية القارة وكيلها ولد سيدي مبارك ومنها على مسافة ٦ أيام الى الشرق أيضاً زاوية الفرافره شيخها سيدي السنوسي بن خالد وشرقي

الفرافرة في الواحات زاوية سيدي محمد الموهوب ، وفي الواحات الداخلة زاوية سيدي صالح البراني ثم زاوية سيدي المبروك وهي في أرض ذات جنات وعيون وبعدها زاوية سيدي عبد الملك الموهوب ومن هناك قربت أرض الفيوم ، وفي الفيوم زاوية سيدي عبد العال السنوسي . هذا وبالحجاز زاوية عظيمة في جدة لها أملاك وعقارات وزاوية أبي قبيس في نفس مكة المشرفة ويوجد في الطائف زاوية وفي طريق المشارية الصفراء والجديدة زاوية وفي بدر الشهداء زاوية وفي ينبوع البحر زاوية وفي ينبوع الوجه زاوية، يوجد للسنوسي زاوية عظيمة في كانو من بلاد السودان واتباع كثيرون في أم درمان وبالاجمال فكل زاوية من هذه الزوايا لها أتباع ومريدون من ٣ آلاف فما فوق عدا المريدين المحسوبين بعشرات الالوف مثل أهالي درنة عموما وأهالي المرج وأهالي بني غازي وأهالي جالو وأوجله ومثل أهل مصراطه قاطبة وتاورغا وورفلة بأجمعهم ومثل سكان زليطن والخمس ومسلاتة والفزازين وجبل غريان فكل هؤلاء هم تحت الدعوة وهم أكثر أهالي هذا البر ولم يكن هذا الاحصاء ليحصر عدد زوايا هذه الطريقة ومراكزها بل هذا هو لقطة مستوفز مأخوذة عن بعض ثقات الشيوخ من آل البيت السنوسي نفسه ومن كبار الطريقة وستمتد هذه الشجرة المباركة وتتشعب ان شاء الله في جميع ممالك الاسلام الباقية تحت ظل أمرائه لاسيما بعد هذه الحرب التي ظهر فيها فضل السنوسي وأتباعه وكان لهم اليد الطولى في حفظ شرف الاسلام لا بل في حفظ موازنة السلام (زيد الخير)

أهمية الاسلام

ما زال الاوربيون منذ ولوا وجوههم شطر العالم الاسلامي واستبدلوا الخطة السلمية بالخطة العدائية في استعمار البلاد الاسلامية يبحثون وينقبون عن الوسائل الموصلة الى مطلوبهم من أقرب الطرق بحيث يأخذون البلاد بدون حرب على طريقة الاستعمار أو الحماية ، وان أكثر دول أوربة رقياً أقلها اهتماماً باسم السلطة والالقاب الضخمة فالانكليز والفرنسيون مثلا يرضون بان تكون البلاد التي تكون تحت سلطتهما استعمارياً أن تكون ذات ملك أو باي أو راجا أو سلطان وما اشبه ولكن مثل روسية لا يرضيها الا ازالة الشكل والصورة ، ثم ان الامم الحية كل آمال أفرادها موجهة لمصلحة أممهم

كل يسير من طريق والغاية الاستئثار بمصالح ومنافع الشرق واستعباد أهله واستخدامهم، فخدمة غردون لاسماعيل باشا الخديوي الاسبق وخدمة كثير من ضباط الجيش البريطاني والالماني في الجيش العثماني وغيرها من الخدمات الادارية والحربية كلها لمصلحة أولئك الخدمة الصادقين لانفسهم ولأممهم، وكذلك النصائح الحربية والادارية التي توجه الى امراء الشرق وحكامه وقواده مثل نصيحة سفير ألمانية لحقي باشا بنقل الجيش من طرابلس الغرب الى اليمن ونصيحة قنصل الانكليز في البصرة لواليها سليمان نظيف باشا بتأديب الشيخ خزعل صاحب المحمرة وانتهاء ذلك التأديب باعلان الحماية البريطانية على ذلك الشيخ وبلاده ـ كل هذا وما سبقه ولحقه من النصائح الفرنسية التي كانت تلقى لباي تونس والنصائح التي كان الاوربيون يرشدون بها العرابيين وكذلك ما كان يتلقاه مصطفى كامل باشا من النصائح الاوربية لتأييد المقاصد الوطنية المقدسة التي هو واعقابه من أنصارها ـ كل هذه الارشادات من آلات الفتح الاستعماري الجديد

ثم ان العلماء الاجتماعيين لم يفتهم قسطهم من هذه الخدم لامهم فكتاب الاسلام لمسيو هنري دي كاستري ومدنية العرب لغوستاف لوبون وما يكتبه وينشره العلماء الاوربيون في مدح الاسلام وتقريظه وبيان منزلته وتأثيره في نفوس المسلمين والكلام في مسمى الجامعة الاسلامية وغير ذلك مما يكون معظمه ان لم نقل جميعه معاول لهدم الجامعة الاسلامية وتنبيه دولهم الى ما بقي في الشرق من القوة الادبية بعد أمنهم جانب حكوماته لضعفها وانقلاب شكلها الى ما يضعف تماسكها ويضمن انحطاطها تدريجيا بسرعة دخول الاوربيين في جميع شئون الشرق وانطلاق دعاة النصرانية يجوسون خلال الديار، ومن ذلك ما نشره جواكيم دي بولف في مجلة (دي هايف) الالمانية تحت عنوان «اهمية الاسلام» ولخصته عنها جريدة المؤيد الصادرة في ٣ ربيع الاول سنة ١٣٣٠ وهو :

« يتبادر الى الاذهان من جهات عديدة انه سيأتي على الاسلام بعد قليل زمان لا يحسب فيه أحد للاسلام حساباً وانه جدير بالدول الاوربية ان لا تعيره من الآن فصاعداً جانب الاهتمام اذ لم يبق له فعلا دولة سياسة دينية في الشرق وعلى وجه خاص في أفريقية .

« وتأييد مثل هذه الافكار يشف عن تشاؤم وتفاؤل عظيمين يختلفان باختلاف وجهة النظر الا ان هذا لا ينطبق على حقيقة الواقع لان المسلمين في العالم اكثر عدداً من المسيحيين وحركة التبشير عندهم أيسر من أعمال المبشرين المسيحيين في البلاد الشرقية

« ولما كانت قواعد وأصول الدين الاسلامي تنطبق على الشكل الذي يبرز فيه من الممكن في كل وقت أن يتولد من الاسلام عامل سياسي ذو أهمية قصوى وهذا

لايحتاج الاالى وجود رجل يعرف كيف يستميل هذه الجماهير ويبث فيها الحمية والحماس

« والموضوع الذي أخوض فيه الآن لايتناول الاسلام من حيث أهميته السياسية والدينية بل يقتصر على وجه خاص من هذه الاهمية – وقد ترك في زوايا النسيان – الاان لهذا الوجه شأناً عظيما خصوصاً في أعين أوربة وهو عامل جدير بالانتباه وهو يشمل الواجبات الصحية التي فرضها الاسلام . وقد امتاز القرآن (الشريف) بالخوض فيها عن سائر الكتب السماوية

« لو تأملنا حكمة الواجبات الصحية في القرآن (الشريف) وما لها من الاهمية الكبرى بجعل الجنة نصيباً للذي يعمل بها لا تضح لنا انه لولا الاسلام لاصبح الشرق الذي هو بؤرة الاوبئة أكثر خطراً على أوربة بكثير مما هو الآن (؟!) وتبين لنا أن مناوأة الاسلام ومناضلته هي بمثابة قطع فرع الشجرة الذي يتخذه الانسان متكأ وسنداً

«وأي حكمة أمتن وأظهر من فرض واجبات الوضوء وما يترتب عليها من غسل الجسم من أعلى الى أسفل وتنظيف الفم والوجـه ؟ والشرط الاكبر للقيام بهـذه الواجبات هو استعمال الماء الجاري (*

ولقد جرى النبي محمد على شاكلة موسى (عليهما الصلاة والسلام) فأدرك خطر مرض « تريخين » في الخنزير ، والحمى التفوئية والهيضة الوبائية في الحيوات الحارية (ذوات الاصداف) ولذلك نرى كيفية ذبح الحيوانات هامة جداً خصوصاً في الشرق نظراً للحرارة التي تفسد الدم ووجود أمراض فتاكة منشأ جراثيمها الامراض الحيوانية

« ثم أن ماهية الحركات والتمرينات الجسمية في الصلوات كماهية التمرينات الرياضية التي يهتم الناس بها في عصرنا هذا والسجود ومد الذراعين والاعضاء سبب من أسباب قلة السمن في الشرق

وتعدد الزوجات خير واق من قلة النسل ومن الامراض التناسلية وعلى العموم لا يوجد في الشرق بنات مسنات معرضات للتشنج العصبي (الهستريا)

«وان تحريم شرب المسكرات الذي أتبع به المراكشيون شرب الدخان حسنة من حسنات الاسلام يجدر بنا – نحن الشعوب الاوربية التي تدعي المدنية – أن نحسد المسلمين عليها

« وان الازدراء بالحياة المبني على زيادة اليقين بالله والاهتمام بالصحة لا بقصد

*) الاولى ان يقول « الطهور » وهو الماء المطلق الذي لاخبث فيه ولانجس ولاشيء يمنع اطلاق اسم الماء عليه

المحافظة على الفرد هما الوسيلتان لبقاء مجموع قوى البنية صحيحا سالما

« واذا كان الشرق بقي متفوقاً في بعض الامور ومقصراً عنا في أمور كثيرة فذلك ناشئ عن أسباب خصوصية أهمها اختلاط الاجناس التي هي ضعيفة العلاقـة بالاسلام وتأثير العناصر الاجنبية على الجامعة العربية بطريق التزوج من نساء الاقطار الاخرى بدون انتخاب ولا تنقيح . اذ قضت سنة الطبيعة التي لا مبدل لها أن يكون نقاء الجنس شرطاً في كماله

«وعلى كل فلقد ظهر نفع وقدر التعاليم الاسلامية خصوصا من حيث اختلاط الاجناس وبما انه لا يمكن ابادة شعوب الشرق بدون ابادة غيرهم فاذا أردنا أن نتساءل: ما يمكن ان يكون مصير هذه الشعوب من جراء تأثير الاسلام عليها؟ فأجدر من ذلك أن نتساءل أيضاً ماذا كان مصيرها لولا الاسلام :

«ولا يقتصر الامر على هذه الشعوب بل الاحرى بنا أن نتساءل ونعلم ماذا كان مصيرنا لولا المدنية الاسلامية؟ان واجب الاعتراف بالجميل يحتم علينا أن لا ننسى كون علومنا ومعارفنا مقتبسة من العلوم والمعارف العربية وانه لم يتسنى لنا معرفة فلسفة أرسطو الا من النسخ اللاتينية التي ترجمها العرب الى لغتهم قبل أن نعثر على الاصل اليوناني بمدة طويلة

«واذا تبادر الى ذهن أحدنا في خلال القرون الوسطى إرتشاف لبان العلوم كان يولي وجهه شطر الاندلس ولايزال الى وقتنا الحاضر يمكن اقتباس أمور شتى من العلوم السياسية الاسلامية وليس من الضروري مقاومة الذين يحاولون مناوأة الاسلام لانه يتعذر مناضلة الاسلام من حيث هو دين والبرهان على ذلك فشل المبشرين الذين ارتادوا البلاد الاسلامية ولم يصلوا الى نتيجة حسنة . ثم أن هنالك أسباباً شديدة تجعل مناضلة الاسلام سيئة العاقبة بغض النظر عن فوائده من الوجهة الصحية

« ولا يجب علينا ازدراء حركة الجامعة الاسلامية والانكليز والفرنسيون واقفون على حقيقتها ويعرفون كيف ينتفعون منها وهاتان الامتان والايطاليون مهما قلبوا للمسلمين ظهر المجن وظهروا لهم بمظهر عدائي بينما هؤلاء يعتبرون المانية متنفذة لهم »

ثم اختتم الكاتب مقالته باسدائه النصح الى المانية بالمحافظة على هذا النفوذ ولو لمصلحتها التجارية في الشرق وفي المستعمرات الالمانيـة الافريقية التي يسود فيها العنصر العربي اهو المقصود من مقالته هذه خدمة الامة الالمانية وتنبيهها لما يسمى بالجامعة الاسلامية فتأخذ قسطها من تراث العليل وتحتفظ بما لديها من الغنائم الباردة (المستعمرات)

صالح مخلص رضا

﴿ ابن تيمية ولوتر ﴾

جاء ما يأتي في مجلة (شورا) التتارية من عدة اشهر تحت هذا العنوان

ان في شروعنا بكتابة مقالة قارنا فيها بين اسم عالم نصراني واسم عالم مسلم لسببا. واذا عرف السبب ، لا يبقى محل للعجب . كان ظهر في مملكة المانية راهب اسمه لوتر ولد بعد مائة وخمس وخمسين سنة تقريبا من وفاة ابن تيمية وشرع في اصلاح النصرانية وارجاعها الى بساطتها الاولى وحفظها من البدع والخرافات . وذلك الرجل هو رئيس المذهب المشهور اليوم بمذهب لوتر او البروتستانت .

أتم لوتر باجتهاده وغيرته المشروع الذي قصده ورأى بعينه ثمرة تعبه وكون خدمته مرعية الجانب بين الناس . وان قسما عظيما من النصارى ينتسبون الى مذهب لوتر اليوم وهم البروتستانت

كان علماء اليهود الذين أسلموا يكثرون من رواية الاسرائيليات وعشاق الخرافات والمبالغات من العجم لم يتركوا بعد اسلامهم المبالغات والخرافات التي تربوا عليها ، فلهذا او ذاك كثرت البدع في الاسلام وانتشر بين الناس كثير من العادات باسم الدين .

وقد ظهر في عالم الاسلام كثير من المجاهدين والمصلحين جاهدوا في سبيل ازالة البدع ، واحياء سنن رسول الله (ص) جهادا كبيرا واجتهدوا في ارجاع الاسلام الى صفوته الاولى في زمن السلف ، وازالة التفرقة من بين المسلمين وجمعهم على اعتقاد واحد وعلى صراط مستقيم . وكان ابن تيمية من كبار هؤلاء المجاهدين .

لا توجد مناسبة بين ابن تيمية ولوتر في المذهب والدين ، ولا في القوم والقبيلة ، ولا في المكان والزمان . ولكن توجد مشابهة بينهما في المقصد والمسلك فقد كان ابن تيمية يجتهد في حفظ الاسلام من البدع والخرافات . كما ان لوتر كان يشتغل باصلاح النصرانية . ولكن لا مشابهة بينهما في احتمال المشقات في حال من الاحوال . حقا أن لوتر صادف في سبيل اصلاح النصرانية . بعض الصعوبات . ولكن ماناله حرى أن يحسب حظا وسعادة بالنسبة الى ما احتمله ابن تيمية من المشقات . علا لوتر على أعدائه وغلب عليهم في العاقبة ، أما ابن تيمية فقد توفي تحت قهر أعدائه .

اذا صح القياس والنسبة بين هذين الرجلين في العلم والكمال او لم يصح فهو

لا شك يصح في العلوم المتعلقة بالديانة النصرانية وحدها ، وأما في العلوم الاخرى فالفرق بينهما « بناء على شهادة أربابه » كالفرق بين السماء والارض ، بل لا يعد لوتر نظيرا لابن تيمية في العلوم المتعلقة بالديانة النصرانية نفسها ، ويدل على ذلك استدلال العلماء من النصارى على كون انجيل برنابا موضوعا ومصنوعا من طرف الاعداء بعدم ذكر ابن تيمية لذلك الانجيل (١)

لو كان لوتر أكثر علماء النصارى وثوقا في العلوم المتعلقة بالنصرانية بالنسبة لابن تيمية لاستشهد العلماء في هذه المادة بقول لوتر بدل ابن تيمية ، فاذا كان ابن تيمية لم يذكر انجيل برنابا فكذلك لم يذكره لوتر . ولو كان انجيل برنابا معروفا عند لوتر لكان اقامه عدة وآلة قوية امام اعدائه من الكاثوليك .

كان ابن تيمية ينهى الناس عن الاستمداد من الموتى وزيارة قبور الاولياء بقصد اتخاذهم وسطاء عند الله يدعون وتطلب منهم الحاجات وعن ذبح النذور عند القبور وكذلك اجتهد في حماية الاسلام من تجاوز الفلاسفة وكتب في ذلك كتبا عديدة وتباحث مع الشيعة والروافض (ورد على الجميع في كتب حافلة) وكان يدعو الناس الى سنة رسول الله (ص) ولكن اهل زمانه ما عرفوا قيمة تلك الخدمة الجليلة منه في الاسلام بل بهتوه بالباطل وافتروا عليه الكذب ، فبتلك البلايا والمحن خرج ابن تيمية من الدنيا . كان لوتر يجيب أعداءه بعبارات شديدة حتى استعمل في بعض الاوقات ألفاظا مغايرة للادب وأما ابن تيمية فكان يتغافل عن اذى اعدائه ويحمله ويظهر لهم الترفع عن السفاسف وكان لا يخاصم أحداً في خاصة نفسه . فلأي سبب لم يتيسر لابن تيمية اجتناء ثمرة جهاده والحال ان لوتر وفق لذلك وما هو السبب الظاهر في ذلك ؟

الافكار مختلفة في جواب تلك المسألة كل أحد يفكر في ذلك على قدر ما يصل اليه فكره ويعرض له من السبب ونحن بصرف النظر عن التفاصيل نجمل تلك الافكار المختلفة واحدا بعد واحداً تحت الارقام هكذا :

١) كان بناء سعي لوتر في أمره على أساس متين فانه عرض مشروعه أولا على

(المنار) : انما استدلوا بعدم ذكر ابن تيمية له في رده على النصارى على انه ليس من وضع المسلمين وكذا بعدم ذكر ابن حزم له وهذان العالمان كانا أوسع علماء الاسلام اطلاعا فلو كان هذا الانجيل من وضع المسلمين لوجد عندهم ولاستدل به هذان على التوحيد وعدم صلب عيسى ونبوة محمد عليهما السلام

الملوك والامراء حتى وفق لاستمالتهم اليه وبعد ذلك تمايلت الافكار اليه من نفسها .

وأما ابن تيمية فهو لم يتقرب من الملوك والامراء ولم يبال بعداوتهم ولا بصداقتهم ولا داراهم ولم يهتم بالتفاتهم قط واعداؤه افترصوا منه تلك الحالة وسعوا به لدى السلاطين والامراء حتى قام عليه العلماء والامراء بالاتفاق واحدثوا له اشكالا من المصائب .

٢) المطبوعات والمطابع، كان لوتر ينشر أفكاره بالمطابع ويطلع الناس عليها قبل مضي الشهر وينتقدونها اذا كان هناك محل للانتقاد او يصوبونها . أما ابن تيمية فلما لم توجد صنعة الطباعة في زمنه لم يطلع على افكاره الا أفراد قلائل وكثير من افكاره حرف قصدا من طرف اعدائه وبذلك كانت الحقيقة تبقى في طي الخفاء

٣) الاحوال المتعلقة بذات لوتر أو ابن تيمية ليست سببا في ذلك بل السبب الحقيقي الطبائع والاحوال الروحية التي وجدت مع الخلق (روح العصر) لان لوتر ظهر بين الاوربيين المستعدين الذين يفهمون الكلام ويعرفون قيمة العالم والعلم والحال ان ابن تيمية ظهر بين أهل الشرق الذين يشتغلون بالشخصيات ويغضبون بأقل شيء ويتبعون العامة في الافكار لذلك عرفت قيمة لوتر ولم تعرف قيمة ابن تيمية

ليس لنا نية في المعادلة والترجيح بين تلك الافكار (وفي الاصل محاكمتها) فنحن ماقيدنا في الجملة الا الذي سمعناه من الافكار سواء كانت خطأ أو صوابا والميدان واسع للذين يريدون البحث والانتقاد ولا يعوز أحداً قلة الكلام .

ومع ذلك تجب الاشارة الى ان كل عمل بين الاوربيين يكون في أيدي أربابه وفي الشرقيين على عكس ذلك ، فلاهم ينالون فضيلة اختيار ماهم مستعدون له من الاعمال ولا هم يتوطنون الاعمال باربابها المستعدين لها الا على سبيل الندور ، فالعملة يزاحمون العلماء الكبار ويشاركونهم في الاعمال الخاصة بهم ، والجزارون يتكلمون في وظائف المهندسين. اه

فوائد صحية

﴿ غذاؤنا في الصيف ﴾ (*)

من المعلوم ان الغذاء هو الذي يقوم الجسم ويعوض ما يندثر من بنائه وان لمجموع الجسم لعملا شاقا في طرد وافراز الفضلات والمواد الداثرة كذلك هو يعمل عملا عنيفاً في تحليل مواد الغذاء وتوزيعها على أجزاء الجسم لتجديد بنائه ، وتتنوع الاغذية بتنوع فصول السنة - يعلم العوام شيئاً كثيراً من هذا فضلا عن الخواص وقد قضت مشيئة الله ان يكون لكل فصل وأقليم من مواد الغذاء ما يناسب حالة الجو فترى الأب (الخضر) والفواكه تكثر في الفصل الحار والاقليم الحار حيث تشتد الحاجة اليها، وكان على الانسان أن يجعل الطبيعة المعلم الاول له ولكنه لما لم يفعل عني العلماء والاطباء بارشاده الى ما به قوام جسمه . قال الدكتور « كافن كوتر » الاميركاني ما معناه «يجب في الفصل الحار والاقليم الحار تقليل الاطعمة النيتروجية والاكثار من الاطعمة النباتية والفواكه الناضجة » وقد رأينا في المقطم مقالة في هذا الموضوع للدكتور امين دمر تحت عنوان (غذاؤنا في الصيف) فأحببنا نشرها لقراء المنار وسننشر مقالته اللاحقة التي وعد بها ان عثرنا عليها قال:

« ان كيفية الغذاء ونوع الاطعمة التي نتناولها تختلف باختلاف فصول السنة وتقلبات الجو . ومن المعلوم ان غذاءنا يكون وافراً ومغذياً في الشتاء وفي أيام البرد القارس ومعتدلاً خالياً من المواد المنبهة في الصيف وايام الحر . وهذه الاعتبارات التي يعلمها العام والخاص قد عللها علماء الطب مؤيدين ما شاهدوه بالاختبار . ولقد لخص الدكتور دي فليري - في رسالة قدمها الى مجمع الطب في باريس في شهر نوفمبر الماضي - ماسماه « الحوادث الناشئة عن تأثير الحر » وهي الاعراض التي شاهدها في الاطفال والراشدين على السواء ولا سيما في المرضى على اختلاف سنهم

(* نقلا عن المقطم

« اعتاد البعض ان ينسبوا هذه الحوادث المكدرة الى الافراط في المشروبات المبردة التي تشتد الحاجة الى استعمالها كلما زادت درجة الحرارة . لاينكر أحد تأثير هذا العامل المهم في حصول هذه الاعراض وانما هناك عوامل لاتقل اهمية عن الاول وزعم المسيو دي فليري انها تؤثر ولا محالة في الاغذية الحيوانية كاللحوم سواء كانت مذبوحة حديثاً أو محفوظة في العلب (معقمة) وذلك انه يعجل اختمارها ويولد فيها المواد السامة علاوة على مايصيب الغدد البطنية كالكبد والكلى والمعدة والمعى من الاضطرابات الشديدة التي تضعف الافرازات الضرورية لهضم الطعام وامتصاصه فينشأ عن ذلك تعب شديد يؤهل الجسم للنزلات المعدية المعوية كالدوسنطارية والكوليرين - وما أكثر انتشارهما في هذه الايام - فتضعف حركة الهضم وتقل شهية الطعام كما يشاهد عادة في الراشدين اصحاء كانوا أو مرضى ولا سيما في الاطفال - الذين تزيد وفياتهم جداً - على ماسنبينه في مقالة أخرى

« فاذا كان تأثير الحر في بعض المواد الغذائية والغدد البطنية أمراً ثابتاً لايجوز الارتياب في صحته وجب علينا ان نتبع في غذائنا طريقة تكون مثال الاعتدال والانتظام فنتجنب على قدر الامكان في زمن الصيف اللحوم والاسماك والمواد الشحمية التي تعيق وظيفة الهضم وكذلك البيض والحليب اللذين يعسر هضمها في كثير من الاحيان ونستعمل البقول والفاكهة واللبن الخاثر الذي من مميزاته تقوية وظائف الهضم

« أما المشروبات المثلجة فيجب الاعتدال في تعاطيها من حيث كميتها ونوعها ودرجة برودتها . فاذا شعرنا بالحاجة الى الشرب يجب ان يكون شربنا قليلا ودرجة برودة السائل الذي نشربه معتدلة والكمية التي نشربها كل دفعة قليلة بحيث لاتتعب المعدة . ومن المرطبات التي يمكن تعاطيها في هذه الايام ماء عرق السوس وشراب التمر الهندي ، اما شراب الليمون (واعني الليموناضة) فلانرى فائدة بالاكثار من استعمالها بالكيفية التي نشاهدها الآن لانها تزيد حموضة المعدة فتؤخر حركة الهضم . علاوة على انها لاتروي ظمآناً بل تزيده عطشاً وكثيراً ماتكون سبباً في مايسمونه تمدد المعدة

اما المشروبات الروحية والمسكرات فممنوع تعاطيها على الاطلاق ليس في البلاد الباردة فقط بل في بلاد حارة كبلاد مصر ايضاً

﴿ أسرار الثورة ﴾

أو

(خواطر ساعة)

١ – الثورة حالة غير اعتيادية لاتناسب اطرافها ولو الفتها الاطراف لم تكن اذ ذاك ثورة

٢ – للثورة حقيقة لطيفة تسري في الجماد كالبركان وفي الهشيم كاللهب وفي النبات كالشعل وفي الحيوان كالحمى والغضب وفي الانسان كالعشق والجنون وفي الحكومات كالحروب والانقلابات

٣ – منشأ الثورة اجتماع مؤثرات قوية في الشيء أكثر مما في طاقة شخصه أو نوعه حتى تهيجه فتظهر بعد الكمون وتصير حاملها فعالا في نوعه مؤثراً في غيره

٤ – تقوم الثورة باركان أربعة بمبدإ قوي ومثير فعال وبذات حاملة وبمجاورات قابلة فنار الشعلة مبدؤها والشاعل هو المثير الفاعل والجمرة الحاملة والاخشاب مجاوراتها القابلة

٥ – لابد في كل ثورة من خسارة بعض الخيرات والفوائد

٦ – الثورة تتبع مبدأها في الحسن والقبح فان كان مبدؤها صالحا فهي مستحسنة غلبت او فشلت وان كان المبدأ فاسداً فالأجدر بها ان لاتوجد

٧ – زن قوة المبدإ مع قوة الاطراف التي تقاومه قبل حدوثها تعرف الغالب من المغلوب

٨ – قد تصادف الثورة مجاورات مستعدة للتحول فتتحول بصبغة المبدإ تحولا خفائيا وتعود الثورة انقلابا

٩ – يعقب كل انقلاب خمود وصفاء

١٠ – الثورة الادبية مدرسة علمية تثقف افكار المتبصرين وتظهر اخلاقاً كامنة

النجف بالعراق — هبة الدين الشهرستاني

اخبار العالم الاسلامي

رقي الافغان

« بالصناعة الحربية وغيرها »

نقلت بعض الجرائد العربية شيئاً من احوال رقي الامة الافغانية عن جريدة (سراج الاخبار) الافغانية التي تصدر في كابل عاصمة الافغان في الصناعة الحربية وغيرها في تلك البلاد ولخصته عنها جريدة الحقيقة. فأحببنا نقل ذلك التلخيص لقراء المنار قالت جريدة سراج الاخبار

«ان كل أمة منقسمة الى طبقات عديدة كل طبقة لها وظيفة تؤديها نحو أمتها وكلما ارتقت القوة العسكرية فيها وانتشرت المدنية سعدت الامة ونالت حاجياتها ووصلت الى درجة من الرقي لا يتوصل التصور اليها

«وما الصناعة الا بحر خضم كثرت فيه الدرر كلما ارتقت القوة المفكرة استخرجت منه تلك الدرر النفيسة التي لامثيل لها أو كصحراء واسعة لا نهاية لها يسير فيها الانسان سيراً حثيثاً وكلما مشى خطوة عثر على جوهرة يتيمة

«ولا ريب ان العقول ما دامت مطلقة السراح لتجول في ميدان المخترعات فسيأتي زمن نرى فيه رؤوسنا مملوءة بالمدهشات والغرائب

« والامة لا ترقى إلا على قدر رقي صنائعها من جميع الوجوه فثروتها وتجارتها على قدر رقيها في الصناعة

«التفت أميرنا المعظم الى الصناعة فقدرها قدرها وأنزلها في المحل الذي هي أهله ومنذ جلس على عرش الامارة اعتنى بها اعتناء تاماً حتى بلغت شوطاً بعيداً وأصبحت كابل تفتخر كما تفتخر أوربة وأميركة بصنائعها

(قالت الحقيقة) وقد افتخرت (سراج الاخبار) بان تطلع قراءها على ما أخرجته المصانع الافغانية بهمة أميرها المحبوب واليك البيان

الاسلحة الحربية

«أما الاسلحة الحربية التي تعملها المصانع الافغانية فهي تنقسم الى عدة أقسام أسلحة ثقيلة مثل المدافع، وأسلحة خفيفة مثل البنادق، وأسلحة جارحة مثل السيوف والحراب والسنك

« ولم يكن القصد من انشاء تلك المصانع الا استحضار الآلات الحربية وقد أسسها المرحوم الامير السابق وجعلها تحت نظارته ، ولما توفي وخلفه ولده وجه عنايته اليها فهي في رقي دائم

الاسلحة النارية

(١) المدافع الصحراوية (٢) المدافع الجبلية (٣) مدافع الاستحكامات والقلاع (٤) مدافع زودنفيرغرابين (٥) بنادق مرتين للجنود المشاة (٦) بنادق نمرة ٣٠٣ للفرسان (السواري) والمشاة (٧) بنادق لراكبي البغال (٨) بنادق بثلاث عشرة رصاصة (٩) بنادق بست رصاصات (١٠) بنادق للصيد

الاسلحة الجارحة

(١) حراب حديدية للجنود (٢) سيوف للفرسان {السواري} (٣) حراب {سنك} لوضعها على البنادق (٤) خناجر وحراب صغيرة وسكاكين للجنود عموماً

الذخائر الحربية

الرصاص المسمى { نيوز } و { كارديد } وهو من أحسن الانواع التي اخترعت الى اليوم

البارود الاسود وغيره وهما يعملان بمهارة عظيمة. كما أن المصنع مستعد لاخراج العدد اللازم من القنابل اللازمة للمدافع في أي وقت من الاوقات

ويصنع منه الشرابنل والقسم المسمى جودني

الصنائع المختلفة

تصنع المصانع جميع الملابس اللازمة للجنود والضباط وما يلزمهم من الاوسمة {النياشين} وغيرها وجميع لوازم الجيش البري من خيام وأعلام .الخ كما انها تصنع جميع الآلات الموسيقية اللازمة للجيش

« وهناك صناعات أخري مثل تبييض الارز . عمل السكر القمعي وسك النقود. استخراج الياقوت . الزمرد والمرجان من معادن الافغان. النقش على المدافع والبنادق. دبغ الجلود وغيرذلك »

***

بعد اثبات ما مر اطلعنا على مقالة للحاج ميرزا عبد المحمد مدير جريدة (چهره نما) الفارسية التي تصدر في مصر نشرها في المقطم تحت عنوان (أفغانستان وسمو اميرها) ملخصة عن جريدة

سراج الاخبار، وقدقدم لهذه المقالة مقدمة عمرانية ذكرفيها مختصر جغرافية الافغان فذكر حدودها الاربعة وهي شرقا مملكة ايران وغربا بلاد الهند وجنوبا بلوخستان وشمالا تركستان الروسية وامارة بخارى، وذكر ان مساحتها ٢١٥٠٠٠ من الاميال المربعة وان عدد سكانها عشرة ملايين وانها تنقسم الى سبع ايالات وهي كابل وفيها عاصمة الامارة، والايالة الثانية كافرستان في الشمال الغربي لكابل ، والثالثة هزاوه وفيها تقطن طائفة هزاوه ، ورابعها قندهار ومن ضواحيها كارات غليجاني وفرآه ، وخامسها هرات وهي على ساحل هري رود وتوابعها سبزار واديه ، وكرخ ، وسادسها سيسان التي تتصل بسيسان ايران ومن بلادها المعروفة لاس جنجانسون، وسابعها تركستان الواقعة على الحد الشمالي من جهة تركستان روسية ، وذكر عناية الافغان بالصناعة والعلم الخ مما يشبه ماص عن الحقيقة وزاد بان انواع البنادق منها نوعان من اختراع الافغان انفسهم وان من الاسلحة ماهو مرصع بالجواهر وان آلات الصناعة تدار عندهم بالبخار وانهم بصناعاتهم اصبحوا اغنياء عن جميع الممالك بحيث ان كل مايلزم لهم يصنع في مصانعهم وانواع المصنوعات الافغانية تبلغ سبعة وعشرين نوعاً ومنها استخراج الكحول (السبيرتو) ودبغ الجلود اه

﴿ شيء من عوائد مسلمي الصين الدينية ﴾ [1]

{ لمكاتب جريدة وقت في منشورية عناية الله أحمدي }

أئمة مسلمي الصين

تعيين الامام للجامع عند مسلمي الصين يكون برضا الاهالي كما هو الشأن عند مسلمي روسية ولكن لعدم وجود المحاكم الشرعية عندهم والقضاة والمفتين الذين يولون ويعينون الائمة المنتخبين من طرف أهالي القرى والبلاد يقتصرون في تعيين الامام عندهم على رضا الاهالي فقط ولا يضطرون الى كثير من التعب .

مسلمو الصين لا ينتخبون إمامهم مدة عمره { قيدحيات } كما هي الحال عند مسلمي روسية بل ينتخبونه لمدة ثلاث سنوات فقط ، فاذا لم يقصر الامام في تلك المدة في أداء وظيفته ورضي الناس عنه يعدون له ثلاث سنين أخرى . واذ هم لم يريدوا تركه إماماً لهم فانهم يعطونه كتاباً من الاهالي يطلبون فيه أن يترك البلدة لمدة شهر أو اكثر للسياحة .

ولما كانت هذه العادة عامة في جميع مسلمي الصين وكان الامام يعرف أصل

١) معرب عن جريدة وقت العدد ٩٥٤

المسألة فانه لا يستغرب أمرهم بل يسافر عن البلدة كما يرغبون ويترك الاهالي وشأنهم، ويخبر بعنوانه في البلدة التي سافر اليها وبمدة اقامته فيها .

بعد سفر الامام بثلاثة أيام يجتمع الناس في الجامع ويتشاورون فيما بينهم في امر الامام . وفي كل بلدة من بلادهم يوجد كتاب يحفظ عند واحد من أعيانهم فينسخون عنه نسخة ويرسلونها الى الامام بعد أن يوقع عليها أعيان المحلة وكبارها . وفي هذا الكتاب بعد حمد الله تعالى والثناء عليه والصلاة على رسوله بيان ما أتى به الامام من الخير والاعمال الطيبة. ويبينون بالكتابة أسباب اضطرارهم لتعيين امام آخر لهم يقوم مقامه ويرسلون اليه أيضاً مع كتابهم هذا شيئاً من الهدية .

معيشة أئمة الصين مضمونة لهم ، فمسلمو الصين سبقوا مسلمي روسية كثيراً من هذه الجهة ، توجد جمعية محلية للقيام بشؤون الجامع والمدرسة في كل بلدة أو قرية فيها مسجد جامع . فالجمعية تبني الدكاكين والدور ذوات الريع للجامع والمدرسة وتسلم أجورها كلها الى الامام وهو ينفق منها كيفما يريد . ومعلمو الاولاد والمجاورون وكثير من المسافرين يعيشون أيضاً من دخل المسجد والمدرسة. ويوجد في الائمة من يستأثر بتلك الاموال ، والجمعية لاتحاسب الامام الا مرة واحدة مدة ثلاث سنين ، لذلك ترى الائمة ينفقون الاموال على مصالحهم الخاصة من غير اهتمام بشيء ولا يكتبون ما أنفقوا ويمشون على رأي المثل « المستقبل يهتم به الشيطان » وذلك يكون في كثير من الاوقات سبباً في حرمانهم من مناصبهم .

ان مسلمي الصين يحترمون أئمتهم احتراما لامزيد عليه. والائمة يحتفظون بمنزلتهم ومكانتهم فلا يكلمون الناس فقيرهم وغنيهم الا وقت الضرورة و يعدون الكلام مع العامة نقصا وحطة

وهم مع جهلهم متعصبون جدا حتى لو تصدق واحد من أهل المحلة على امام الجامع الآخر أو صلى العيد أو الجمعة في ذلك الجامع يخوفونه بالتكفير ويطردونه من المحلة الا اذا تاب على يد امام محلته ووعد أن لا يعود لمثل ذلك .

وعادتهم في تشييع الجنازة وقراءة القرآن على الميت والتصدق في مجالس العلماء كعادة مسلمي روسية ولكن الائمة لا يأخذون الصدقة بأيديهم بل يأمرون بوضعها على منضدة معدة لذلك في بيوتهم . وكذلك في الاعياد لا يأخذون الصدقة بأيديهم بل يضعون صندوقا يلقي فيه كل واحد ماتسمح به نفسه من الصدقة وهي للامام والمؤذن ومعلمي الاولاد

وعلى كل حال فان معيشة أئمة الصين أحسن بكثير من معيشة أئمة مسلمي روسية، ولو أصلحوا جمعياتهم المار ذكرها لكانت فائدتها أكبر للمكاتب والمدارس.

مسلمو الصين ايضا (١)

انعقدت جمعية عمومية لمسلمي بلدة فودزدن قرب مدينة خاربين وأخذوا صورة الحساب من امامهم ليعرفوا مقدار دخل الجامع وما أنفق منه مدة ثلاث سنين ومقدار مابقي لهم من الاموال ، وامتدت جمعيتهم ثلاثة أيام بين نزاع وخصام حضرها معظم مسلمي فودزدن من المعلمين والاغنياء والفقراء . وكان لهم ثلاثة أشخاص منتخبين لكتابة مقدار الدخل والنفقة ولكن هؤلاء الثلاثة اكتفوا بجمع المال وتسليمه الى الامام وهو أيضا استرسل في انفاقه على مصالحه الخاصة على مايظهر من غير اهتمام بشيء

تجارة المواشي

تجارة المواشي في الصين كلها تقريبا في يد المسلمين ، وسكنة نواحي خاربين من مسلمي الصين اتفقوا فيما بينهم على دفع مقدار ٢ مليما عن كل بقرة و١٥ مليما عن كل شاة من أموال التجارة لفائدة الجوامع ، فعلى هذا يبلغ دخل تلك الجوامع من المواشي في مدة ثلاث سنين عشرين الف روبل تقريباً ومجموع دخلهم زهاء ثمانية وعشرين الف روبل ولا تزيد نفقتهم في تلك المدة على ثمانية عشر الف روبل . ويظهر أن امامهم هذا لم يتأخر كثيرا في جمع الاموال عن إمامهم السابق الذي غادر فودزدن ومعه أموال كثيرة

« اسلام يهوديين (٢) »

(في بغداد)

(أو عناية العرب والعلماء بالدين الاسلامي)

قد عرف الاسرائيليون بالعصبية الدينية وعدم الخضوع لغير شريعتهم حتى قيل : إن الايمان لا يدخل قلب يهودي ولا خوذي . . وربما كان ذلك مسبباً عن اضطهاد جهال المسلمين اياهم وسوء الصحبة معهم وايذائهم واهانتهم انحاء الاذى والمهانة ... وبعد ما أضاء البلاد الاسلامية بدر المساواة وشمس الحرية وقضى القانون على المسلم أن يتساهل مع اليهودي وسائر الذميين تبدلت الفضاضة بالحنان واستحال التباغض رأفة وعطفاً فلا غرابة والحالة هذه لو رأينا اليهودي وغيره يستشير المسلم ويسترشده في

(١) عن جريدة وقت عدد ٩٧٨ لمكاتبها في كاربين (٢) لصاحب الامضاء

أمر دينه ودنياه ، ويصغي الى قوله بسمعه وقلبه ، ويقبل منه الرأي المعزز بالدليل .

زرت في آخر صفر من هذه السنة حضرات شيوخ العرب الكرام من آل فتله في سجن بغداد بمناسبة ماهم عليه من طيب الاخلاق والخدمات العظمى للحكومة الدستورية وترويج المعارف فذكروا لي أن هنالك شابا يهوديا اسمه (خضوري) من أهالي (الموصل) يظهر حب الاسلام كثيراً ، فدعوته فاذا هو شاب يقرب عمره من العشرين وفي سيماه ملامح الصدق والنجابة وحسن الاخلاق فسألته عن نسبه وأحواله وسبب ميله الى الاسلام فقال فيما قال : ان نظافة المسلمين وحسن شعائرهم الدينية قد أورثا في قلبي حبهم وكنت أقول لأكابر قومي انني أرى المسلمين أضعاف عددنا بما لا يقاس وبصيرتهم أقوى مما هو فينا فكيف يجوز أن يكون القسم الاعظم من عقلاء الناس على الخطاء ونكون مع قلتنا وجهالتنا على الصواب والرشد ؟ فاجابوني : ان أكثرية المسلمين من اليهود مختصة بولاية الموصل وأما في ولاية بغداد وسائر البلاد فالاكثرية والترقي لنا معاشر اليهود

قال فلما خرجت من الموصل الى بلاد العراق لم أر مكاناً الا وأخاله بحراً يتموج بالمسلمين واشتد اعتقادي بكذب قومي

ثم جرى بعض المكالمات فسألني عن حقيقة الاسلام فقلت له ان الاسلام هو أن تسلم قلبك لله تعالى وتنوي فيه السلامة مع الناس بان لا تظلمهم ولا تظلم نفسك وتعطي كل ذي حقه وقد جاء في كتابنا المقدس (القرآن) (ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن) وقال نبي الاسلام محمد صلى الله عليه وسلم (المسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه) فاظهر (خضوري) رغبته الشديدة الى اعتناق الاسلام فقلت له : ليس الاسلام أمراً أصعب المنال بل هو أسهل تحصيلا لك من كل شيء فان الاسلام يريد منك عقيدة واحدة زائدة على عقائدك في حال يهوديتك قال وما هي ؟ قلت : اعتقادك بان محمداً نبي مطاع الكلمة مثل موسى النبي قال : اعتقدت ذلك . قلت : يجب أن تعتقدها بقلبك مخلصاً وتجريها على لسانك . قال اعتقدتها وحق النبي موسى لكن كيف أذكرها ؟ فقلت له قل (اشهد ان لا إله الا الله واشهد ان موسى كليم الله واشهد ان محمداً رسول منه واجب اطاعته) فذكرها عن قلب حر وباركنا له باسلامه . ثم علمته بعض تعاليم الاسلام في خصوص تنظيف جسمه من الحدث والخبث أو تنظيف قلبه كالوضوء والصلاة فاستعد لها بنشاط كامل . ثم

وبخه بعض المسلمين وهدده بان اخوالك من يهود بغداد يتربصون لايذائك الفرص، فقال بكمال الجد: انني أحب الاسلام والآن قد عشقته ولا أبالي بكل أذى في سبيله ولو قتلوني شر قتلة فانني لا أرغب عنه وحق الله فلا أرجع عنه

فأكرمه بعد ذلك شيوخ العرب العظام وتعهد سمو الشيخ مبدر الفرعون الافخم ان يقوم بتربيته وقضاء حوائجه وحراسته : وتعهد اخوه سمو الشيخ مزهر الافخم بأن يزوجه اذا رجع الى حيه ثم ارسلوه الى الحمام فتطهر مما كان عليه وبقي في خدمة الشيوخ

وهذا ثالث اجنبي دخل في مذهبنا (و الحمدلله)

وبلغني أن يهودياً آخر أسلم بعده على يد هؤلاء الشيوخ الكرام وأكرموا مثواه ولا غرو فان هؤلاء الذوات الرؤساء أصحاب الايادي البيضاء في خدمة الدين والدولة وترويج المعارف

ولا سيما حضرة الشيخ مبدر وفقه الله لمرضاته وصير مستقبل حاله خيراً من ماضيه واخرجهم من كل هم هم فيه

هبة الدين الشهرستاني
النجف بالعراق
صاحب مجلة العلم

الدعوة الى النصرانية في الروسية

ان بعض الروحانيين من الروس أرادوا تنصير ولد من القوزاق عمره ١٢ سنة يوم عيد الفصح في سوق شيلي بولاية اورالسكي . فسمع القوزاق المجتمعون في السوق هذا الخبر وأرادوا انقاذ الولد منهم وتثبيته في الاسلام وبحثوا عما يوصلهم الى ما أرادوا من الاسباب واستعانوا أيضا بالتتر من سكان السوق . وعند ذهاب الروس بالولد الى الكنيسة لاجراء الرسم فيها . خرجت من بين المسلمين المترصدين لأمرهم امرأة وهي أسماء بيكه خانم قرينة ميرزا شيرين وأخذت الولد من أيديهم واقتادته الى بيتها وربته يومين، وفي تلك المدة وصل الخبر الى أبي الولد وأقاربه فجاءوا من محل اقامتهم « قره آغاج » التي تبعد عن سوق شيلي ٨٠ كيلومترا وأخذوه إليهم . ولكن بعد أن أخذت أسماء بيكه خانم الولد أرسل القسيس الى بلدة لينافسكي يخبر بوجود الفتنة بين المسلمين وطلب اعانة عسكرية . فجاءت كوكبة من الفرسان ولكنهم رجعوا من حيث أتوا لعدم وجود الفتنة وبناء على نصح بعض المأمورين. ومع ذلك فقد كتبت أسماء عدة أشخاص

وعدوا من المجرمين وأبلغ ذلك الى والي اورالسكي. أما الذين كتبت أسماؤهم من التتار فهم ١ أفلاطون، ٢ صنعة الله، ٣ صدر الدين، ٤ ميرزا شيرين، ٥ أسماء بيكه خانم، ٦ ظريف بن عارف، ٧ ح . عرفان، ٨ كمال، ٩ تاش تيمر من القوزاق

وفي ١٤ ابريل سنة ١٩١٢ جاء المتصرف الى سوق شيلي ومعه جماعة من الشرطة وساق المذكورين بعد استجوابهم الى اورالسكي تحت الحفظ وأذن لاسماء بيكه خانم أن تلحق بأصحابها الى أورالسكي على خيولها حرة من غير مراقبة الشرطة وزوجها ميرزا شيرين كان غائبا في مسكوف ولم يحضر وكذلك ح . عرفان كان في بلدة ايلاك .

(عن جريدة وقت)

التقاريظ

فتاوى ابن تيمية

طبع في هذين العامين خمسة مجلدات أطلق عليها فتاوى شيخ الاسلام احمد تقي الدين بن تيمية لان أكثر مافيها فتاوى له، وفيها ايضا كتب ورسائل أخرى له في الكلام وفي مسائل معينة من الفقه، حتى ان الجزء الخامس من هذه المجلدات كله في علم الكلام يحتوي على شرح العقيدة الاصفهانية وعلى السبعينية والتسعينية وهي من كتبه المشهورة

أما كتب شيخ الاسلام في الكلام فتمتاز على كتب جميع المتكلمين ببيان الفصل وبين مذاهب الفلاسفة والمتكلمين على اختلاف فرقهم وتحرير دلائلهم أو شبههم عليها وبين مذهب السلف الصالح المأخوذ من نصوص الكتاب والسنة وفهم علماء الصحابة والتابعين وتابعي التابعين لها ـ ومنهم فقهاء المذاهب الاربعة ـ ووالله انه لا يغني عنها ولا عن شيء منها الوقوف على اشهر كتب الاشاعرة وامثالهم كشروح وحواشي الدوانية والتفتازانية والمواقف والمقاصد فان اكثر هذه الكتب فلسفة يونانية ولا يمكن الوصول الى معرفة عقيدة سلف الامة الصالح منها

واما فتاواه الفقهية فهي تمتاز على جميع مانعرف من فتاوى العلماء بذكر أقوال أشهر أئمة الفقه في المسألة وأدلتهم عليها، واذا رجح أحد الاقوال فانما يرجحه بالدلائل

الشرعية المبنية على القواعد الاصولية ، فمن كان من أهل الدليل يزداد بها بصيرة في دينه ، ومن كان من أهل التقليد يعرف منها أقوال الفقهاء الذين يقلدهم الناس

وفي هذه المجلدات المعبر عنها بالفتاوى قواعد في العقود والشروط والمعاملات قد اظهر فيها الشيخ من حكمة الشريعة الاسلامية ويسرها وسماحتها وموافقتها لعقول البشر ومصالحهم مالا نعهد مثله من غيره وهي جديرة بأن يطلع عليها كل مشتغل بالفقه مهما كان مذهبه فيه

وفيها أيضاً كتاب المسائل التي اختارها ابن تيمية والتي انفرد بها وهي مرتبة على أبواب الفقه

فنحث جميع المشتغلين بالعلم الديني بل ننصح لهم بأن يطلعوا على هذه الفتاوى - أو الكتب الفقهية والكلامية - وعلى جميع مايمكنهم الاطلاع عليه من كتب شيخي السنة ونصيريها : ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية فانه مامن أحد يطلع عليها الا ويرى نفسه قد ارتقى في علوم الدين ارتقاء لايجد له وسيلة أخرى في كتب غيرهما من العلماء.
وقد قال لي أحد علماء المالكية الاعلام الواسعي الاطلاع المعروفين في الشرق والغرب انني عند مااطلعت على هذه الكتب ندمت واسفت انني لم أكن اطلعت عليها في اوائل زمن اشتغالي بالعلم ... وهذه الفتاوى تطلب من طابعها الشيخ فرج الكردي ومن مكتبة المنار في شارع عبد العزيز بمصر

***

﴿ ياحسرتي عليك يازعيتر ﴾

لما أنشأ شكري افندي الخوري جريدته (ابو الهول) في (سان باولو) عاصمة البرازيل جعل ينشر فيها نبذاً متتابعة من قصة له سماها (ياحسرتي عليك يازعيتر) يكتبها باللغة العربية العامة الرائجة في لبنان وغيره من البلاد السورية - موضوعها تاريخ المهاجرة من لبنان وغيره الى الممالك الامريكية لطلب الرزق وكيف كان بدءها والترقي فيها . وهو موضوع جليل مفيد ، وكتابته باللغة العامية تجعل فائدته أعم إذ يفهمه العوام والخواص ، ثم رأيناه ترك نشر هذه القصة في الجريدة وتوسع في المسائل السياسية ومناقشات الجرائد فيها فاستبدل الذي هو ادنى بالذي هو خير ، ولعله راعى في ذلك ميل جمهور القراء الذين لايرون للجرائد قيمة الا بالسياسة وفتنها ، ولا يعرفون قيمة الكتابة في تاريخ جيلهم وبيان عاداته وأحواله وهي أنفع ما يكتب للجمهور واكثره فائدة ولا سيما مايكتب منه بقلم الانتقاد والعبرة كقلم شكري افندي

ثم جاءنا الجزء الاول من قصة (ياحسرتي عليك يازعيتر) فعلمنا أن صاحبنا عزم على طبع هذه القصة المفيدة أجزاء متفرقة فسرنا أنه شارع في اتمامها ونشرها ، وقد وضعت هذا الجزء على مكتبي لأتذكره اذا سنحت لي فرصة فراغ فأقرأه فيها فلم تسنح هذه الفرصة الا في سفري الى الهند فكان لي تسلية وتمنيت لو كان سفرا كبيرا ، فهو قد جمع بين اللذة والفائدة فقد أضحكني وأبكاني غير مرة ، وأفادني فوائد متعددة ، واذا كنت أنا قد استفدت منه فوائد تاريخية واجتماعية فان فوائده للعوام أعم فانه يعلمهم كيف يحافظون في السفر والحضر على صحتهم وعلى أموالهم ، وعلى آدابهم واخلاقهم ، ويبصر مريدي المهاجرة بما يقدمون عليه ، وما يحتاجون اليه فيه ، فأشكر للكاتب عمله شكرا أرجو ان يكون منشطا له على الاسراع بانجاز هذه القصة وطبعها ، وحبذا لو عاد الى نشرها تباعا في جريدته غير ملتفت الى من يجهلون فوائدها من المتنطعين ،

يظن بعض الناس ان مثل هذه الكتب والرسائل التي يكتبها شكري افندي باللغة العامية تضعف اللغة العربية الفصيحة وهذا الظن خطأ بل هي سلم لترقية العامة فيها فانها ليست عامية محضة بل هي ممزوجة بالفصيح السهل ، وهي لا تضر الخاصة اذا قرأوها

باب الأخبار والآراء

﴿ الانكليز في جنوب ايران والخليج الفارسي والبلاد العربية ﴾

يجد الانكليز في استعمار حصتهم من بلاد إيران التي نالوها بالقسمة مع روسية (وهي القسم الجنوبي المتصل بالبحر) وانما يجدون بالعمل الاقتصادي والسياسي لا بالحروب والغارات والفتن كما تفعل روسية ، وأين روسية بل أين فرنسة التي هي اعلم منها واغنى من دهاء الانكليز وبراعتهم في الاستعمار ، اخذ الانكليز من إيران امتياز استخراج زيت البترول من الاهواز ، ومدوا من منابع الغاز الى عبادان في

شاطئ الخليج الفارسي سكة حديد ، واخذوا يشيدون المباني الصناعية والمستودعات والقصور في عبادان (وكانت تسمى جزيرة بريم) وسموها (عبادان لندن) ويقال انهم جعلوا للشيخ خزعل خان ألف جنيه في السنة في مقابلة الارض التي اخذوها من عبادان على الشاطئ . وهي بالقرب من بلدة المحمرة حتى ان الباخرة الانكليزية التي ركبتها الى البصرة كانت تحمل ادوات كثيرة الى عبادان فلم تقف عليها بل وقفت امام المحمرة وفرغت هناك شحنها في الفلك الحوامل التي تنقله الى شاطئ عبادان ، فما أجهل حكومة إيران؟!

ثم انهم يرسلون رجالهم السياسيين والحربيين الى الثغور الايرانية وكل بلد يعدون نفوذهم فيه ، وكل هؤلاء الرجال يعرفون او يتعلمون اللغة الفارسية واللغة العربية ، وقد كان معنا في احدى البواخر التي ركبناها بين الهند والخليج ضابط انكليزي بزي عادي (اي غير عسكري) يقرأ طول نهاره ويترجم بالعربية والفارسية ويتعرض للكلام مع بعض المسافرين من العرب على خلاف عادة الانكليز ، ـ والحاجة تغير العادات . ـ وقد علمت انه منذ سنتين او أكثر لا يوجد في ثغر ابي شير حاكم من قبل الحكومة الايرانية وانما الاحكام كلها في يد قنصل الانكليز ، وهذا الثغر هو أهم ثغور ايران ، فياحسرتا على حكومة ايران

ان القوى التي يفتح الانكليز بها الممالك الشرقية هي علمهم وجهل أهل هذه الممالك وجهل حكوماتها وظلمهما ، ثم المال الذي يستخدمون به فريقا من أهلها في مصالحهم ، وينشئون به من الاعمال والمصالح ما يثبت به اقدامهم ، ويرون الناس ان الخير والعمران والامان إنما تكون بوجودهم ، ثم مراعاة سنن الكون ونظام الاجتماع في العمل فلا يدخلون في شيء الا بعد تمام الاستعداد للنجاح فيه ، ووراء ذلك كله قوة الاسطول والعسكر ، ولا يستعملون هذه القوة الا عند الضرورة ، ويأخذون فيها بالشدة والحزم في الارهاب فيوجهون منها الى الشيء اضعاف مايستحقه حتى لا يطمع الخصم في المقاومة فيحتاجون الى الحرب والضرب الذي يؤرث الاحقاد ويؤسس الحفائظ التي لا تؤمن عاقبتها

ليست هذه الدولة الطامعة مكتفية ببث نفوذها وتثبيت قدمها فى بلاد ايران بل هي تمهد السبل لامتلاك ما يقابلها من بلاد العرب كمسقط وسائر بلاد عمان وما يليها من السواحل العربية الى الكويت حتى البصرة ، فقد مكنت نفوذها في مسقط وقيدت سلطانها بمعاهدة تجر عليه تبعات كثيرة وتفتح لها منافذ السيطرة

عندما تشاء ، وبلغني وانا في البصرة ان الانكليز اتفقوا معه في هذه الأيام على منع ادخال السلاح الى مسقط على ان يعوضوا عليه ما يربحه من المكس (الجمرك) الذي يأخذه على ما يدخل منها كل عام ، ولم يكتفوا بهذا بل اتفقوا معه ايضاً على جمع السلاح الذي في أيدي الاهالي وإعطائهم ثمنه ، وبعد ذلك يجعلونه عنده ليكون هو المسئول عن كل حركة ثاربة في بلده ، وماذا يستفيده هو او تستفيده البلاد من وضع السلاح في قصر السلطان وهو على شاطئ البحر بجوار قنصل الانكليز والبوارج الانكليزية امامها في كل حين ؟ وما ادري لماذا يختار هذا السلطان المقام في هذه البلدة التي هي في هاوية شديدة من الحر بين جبال جرداء محدقة بها تحت نفوذ قنصل الانكليز ولا يجعل مقامه في الجبل الأخضر الذي هو جنة عمان

وأما ما فعله الانكليز من الشدة في دُبَي في العام الماضي فقد كان من شذوذهم ـ ولعلهم ندموا أن فعلوه كما ندموا في مسألة دنشواي كما يظن ـ فان أهل دبي قد نفروا منهم بعد ذلك اشد النفور ولم يرض شيخهم بعد ذلك ان يكون للانكليز في دبي موطئ قدم لا للبريد ولا لما هو فوق البريد وانذرهم بانهم اذا ارادوا ان يحدثوا فيها حدثا بالقوة فان جميع الاهالي يتركونها لهم ويرحلون عنها !

وبلغني انهم طلبوا ان يحصوا الغواصين في البحرين ويجعلون لهم دفاتر يحصون فيها ما يجمعونه من اللؤلؤ كل عام ، فلم يقبل شيخ البحرين ولا الاهالي هذا الاقتراح بل احدث عند الجميع وسوسة فاعتقدوا ان الانكليز يمهدون السبيل بذلك الى مشاركة أهل الخليج في رزقهم هذا وانهم ربما يعاملونهم بعد ذلك كما يعاملون الغواصين في جهة سيلان اذ تأخذ الحكومة الانكليزية منهم ٦٥ او ٧٥ في المئة مما يجنونه فلا يكون لهم منه الا مقدار القوت الذي يعيشون به لأجل أن يتمتع بالثمرة غيرهم . هذا ما يتحدثون به والخوف على مستقبل هذه البلاد عظيم والجهل عام فلا يدري الناس ما يعملون ، ولله الامر من قبل ومن بعد

﴿ طلب المسلمين المقيمين بألمانية مساعدة الدولة ﴾

« بسم الله الرحمن الرحيم »

الحمد لله على نعمة الاسلام والصلاة والسلام على خير الانام . أما بعد فنحييكم بتحية أهل الاسلام ، ونسأل الله لنا ولكم الهداية وحسن الختام ونرفع اليكم بهذا ما يأتي . تعلمون أن الدولة العثمانية صاحبة الخلافة العظمى وحامية الحرمين الشريفين قد بغت وتعدت عليها حكومة ايطالية الظالمة وناوأتها العدوان والحرب في ولاية طرابلس افريقية المتاخمة لمصر . وحيث أن الامة الاسلامية أمة واحدة بدليل قوله تعالى « ان هذه أمتكم أمة واحدة » وحيث أن المسلمين أخوة يجب عليهم معاونة بعضهم بعضا بدليل قوله تعالى « إنما المؤمنين أخوة » وقوله عليه الصلاة والسلام « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا »

وحيث أن الله جل وعلا قد أمرنا في كتابه أن نرد كيد المعتدين علينا بدليل قوله تعالى « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل مااعتدى عليكم » فيجب حتما على كل مسلم ومسلمة يؤمن بالله واليوم الآخر وملائكته وكتبه ورسله أن يدفع هذا العداء الذي نزل باخواننا في الدين يبذل نفسه وماله بدليل قوله تعالى « وجاهدوا بأموالكم وانفسكم في سبيل الله » وأي سبيل لله أقوم وأفضل من المجاهدة لدفع حكومة ايطالية الباغية على اخواننا المسلمين

لهذا ندعوكم أولا أن أعينوا دولة خلافتكم في حربها هذا يبذل المال والنفس كل على قدر طاقته واستطاعته لان في ذلك إعانة لاخوانكم المجاهدين بطرابلس وأن تقطعوا كل معاملة تجارية ومعاشية مع الطليان المقيمين النازلين والمقيمين ببلادكم أي تقاطعون مقاطعة تامة

هذه دعوتنا اليكم كتبناها بدم قلوبنا نرجو منكم اذاعتها ونشرها بين اخواننا المسلمين بطرفكم كما انا نرجو توزيع النسخ المرسولة مع هذه على بعض الاخوان لقراءتها بالمساجد أو نشرها بالطرق التي تستحسنونها . ونحيطكم علما أن هذه الدعوة قد بعثت أيضا الى أطراف العالم الاسلامي . وانا نتضرع الى المولى عز وعلا ان يلهمكم الصواب وأن يثيبكم على أداء هذا الفرض الديني ثوابا عظيما

اخوانكم في الدين

المسلمون المقيمون بألمانية

محرم . اسماعيل حقي . علي وفيق . نوري

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المنار

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا أولو الألباب

﴿ قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق ﴾

﴿ مصر ٣٠ شعبان ١٣٣٠ هـ ق ٢٢ الصيف الثاني ١٢٩١ هـ ش ١٣ اغسطس ١٩١٢ م ﴾

الخطبة الرئيسية (*)

(في ندوة العلماء بلكنهوء « الهند »)

« لصاحب المنار »

أيها الاساتذة الكرام !

انكم تعلمون ان جميع القواعد الكلية للعلوم منتزعة من الجزئيات فالعلم بالجزئيات مقدم بالطبع فيجب أن يكون مقدما بالوضع ، فاذا ذكرت الاجناس والفصول المقومة والمقسمة لأنواع من الحيوان والنبات والفيت على من لم ير شيئا من أفراد تلك الانواع أو رأى قليلا منها ثم دخل في بستان يوجد فيه أفراد من تلك الأنواع كلها أتحسب انه يستطيع أن يعرف كلا منها بهداية تلك التعريفات والقواعد الكلية ؟؟

(*) تابع لما نشر منها في الجزء الخامس ص ٣٣١ وكان سبب تأخر هذه البقية ان تأخر حضور بقية أصول الخطبة من الهند

لا ! لا ! أما من يعرف أفراد تلك الانواع فانه لا يحتاج الا لتنبيه قليل لمعرفة ما بينها من الفصل والاختلاف واذا ذكرت تلك الكليات يتناولها فهمه بسهولة وسرعة

ومفردات اللغة وأساليبها كمفردات أنواع الكائنات يشترك بعضها في الفاعلية أو المفعولية وفي الحقيقة أو المجاز وفي غير ذلك من أنواع الاتفاق فالقاعدة الموضوعة لضبط الفاعل والمفعول والحقيقة والمجاز لا يفهمها بسهولة وسرعة من لا يعرف الكثير من مفرداتها بالاستعمال . ثم اذا هو فهمها لا يسهل عليه أن يطبق مفرداتها عليها . وأما من عرفها بالاستعمال فانه يفهمها بغاية السهولة ولا سيما اذا عرض عليه عند ذكرها كثير من الامثلة والشواهد عليها

التعليم على هذه الطريقة هو التعليم الموافق للفطرة — فطرة الله التي خلق الناس عليها وبمخالفته مخالفة للفطرة ، فالناس يتعلمون اللغات بتلقي مفرداتها بالعمل وكذلك تعرف الموجودات والكائنات بمعرفة أفرادها، والذين وضعوا قواعد العلوم هم جماعة من أصحاب العقول الكبيرة عرفوا تلك الاشياء حق المعرفة ثم بالتأمل فيها انتزعوا منها تلك القواعد، فاذا كلفنا التلاميذ الصغار أن يعرفوا تلك القواعد الكلية قبل أن نعرض عليهم تلك الجزئيات نكون كأننا نكلفهم أن يكونوا رجالا علماء حكماء قبل أن يشبوا وان يتعلموا وبذلك نكون قد أرهقناهم من أمرهم عسراً

ان علماءنا المتقدمين لم يكونوا محتاجين الى تسهيل طريقة تعليم اللغة العربية كحاجتنا اليها الآن لانها كانت ملكة لهم ومع هذا كانت كتبهم ككتاب سيبويه أقرب الى التعليم الفطري من كتبنا لكثرة ما كان فيها من الشواهد والأمثلة الموضحة للقواعد الكلية

ومالي أضرب الامثلة لتعليم فنون اللغة والمنطق ولا أذكر ما هو أهم من ذلك وأعلى وهو تعلم القرآن ودراسة تفسيره وهو المقصد الاعلى والغاية الفضلى ؟ لعلي اذا أنشأت أبين كيف يجب علينا أن نتعلم تفسير القرآن تعلما يعيننا على الاهتداء به أكون قد استهدفت لنقد كثير من الناس الذين يظنون أن القرآن الحكيم لا يحتاج الى فهمه الا المجتهدون الذين يتصدون لاستنباط الاحكام الفقهية العملية في أحكام ظواهر العبادات والمعاملات القضائية التي يحتاج اليها الحكام في المحاكم والمفتون . أولئك الذين يظنون غير الحق وترتعد فرائصهم من ذكر القرآن ويرون انهم يبعدهم عن فهمه وصد الناس عنه يخدمون دينهم ويحافظون عليه

ايها السادة الكرام !

ان الله تعالى انزل القرآن هدى للناس اجمعين وان الاهتداء ليس خاصا بالمجتهدين الذين يستنبطون الاحكام العملية الفقهية وان آيات الاحكام فيه هي أقل عدداً من سائر الآيات التي تهدي العقول والارواح ، وترقى بها الى اعلى معارج الفلاح ، وكان سلفنا في القرون الاولى يهتدون به ويحيون بحياته ولم يكونوا كلهم ولا اكثرهم مجتهدين بهذا المعنى المعروف في الاصول .

لولا هداية القرآن وسلطانه على ارواح اولئك الاخيار لما كانوا خير امة اخرجت للناس ولما انتشر الاسلام بفضل الاقتداء بهم فقد زكى القرآن انفسهم ورقى عقولهم حتى كانوا لايدخلون بلادا الا ويجذبون أهلها الى الاسلام بمحض القدوة ، ذلك بأنهم ما كانوا يعرفون لغة اولئك الاقوام ولا كانوا يفتحون لهم المدارس ويعلمون أحداثهم دينهم ولغة دينهم ، فكيف انتشر الاسلام من اقصى الهند الى اقصى افريقية وأوربة في تلك المدة القصيرة ؟

يقول الجاهلون : ان الاسلام قد انتشر بقوة السيف؟ ياسبحان الله ! ان هذا الدين بدئ برجل واحد وهو النبي صلى الله عليه وسلم وكان قومه يجالدونه بسيوفهم طول حياته ولم يظفر بهم الظفر التام الا قبيل وفاته اعني عام فتح مكة . ثم ان اولئك الشراذم من اصحابه الكرام انتشروا في شرقي ارض الحجاز وغربها فهل كان في استطاعتهم ان يكرهوا أهل المشرق والمغرب على الاسلام وهم يقبلون منهم الجزية التي كانت أقل ما يأخذه حاكم من محكوم ثم هم يعاملونهم بالعدل والمساواة في الحقوق القضائية ويتركون لهم حرية دينهم ويسمحون لهم ان يحاكموا الى رؤساء ملتهم في كل خصام يقع بينهم ؟؟ كلا انهم لم يكرهوا أحدا على الاسلام بحد السيف وانما جذبوا قلوبهم وعقولهم اليهم لانهم رأوهم اعدل الناس وارحم الناس وافضلهم اخلاقا وآدابا فاقتدوا بهم واحبوا ان يكونوا مثلهم بل منهم فكانوا يدخلون في الاسلام افواجا ويقبلون على تعلم اللغة العربية لاجل ان يهتدوا بنور ذلك الكتاب العربي المبين ، الذي جعل اولئك الفقراء المستضعفين هم الائمة الوارثين ، ولهذا انتشرت اللغة العربية بانتشار الدين بسرعة غريبة قبل ان يكون لها مدارس منشأة ولا كتب مدونة

يمكن لمن يفهم اللغة العربية حق الفهم أن يهتدي بالقرآن ويعتبر بمواعظه وآدابه وان لم يقرأ شيئا من كتب الفقه فان تأثير القرآن في قلوب من يفهمونه عجيب حتى ان بعض أدباء النصارى عندنا بمصر يعجبون منه ويعترفون به وقد سمعت غير واحد

منهم يقول عند حضور بعض احتفالات المدارس وسماع القرآن المجيد فيها: ان لهذه القراءة تأثيرا عميقا في النفس . هذا وهم لا يؤمنون به فما بالكم بالمؤمنين المخلصين . اولئك الذين هم مرآة قوله تعالى « الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين قلوبهم وجلودهم الى ذكر الله » وقوله « انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وانفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون » فهل يمكن لمن لا يفهم العربية فهما صحيحاً أن يكون من هؤلاء المؤمنين الصادقين ؟ وقال عز وجل « لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعاً من خشية الله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون » فاعتبروا بقوله تعالى « وتلك الامثال » فانه تعالى هدانا بهذا المثل الى ان نربأ بأنفسنا ان تكون قلوبنا أقسى من الحجارة وهكذا شأن من يخشع بالقرآن ولا يتأثر بمواعظه

اذا سمع من يفهم العربية فهماً صحيحاً مثل قوله تعالى في الآيات الكريمة التي افتتح بها هذا الاحتفال « يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وانه اليه تحشرون » فانه يمكنه أن يفهم منه أن النبي صلى الله عليه وسلم ما دعانا بهذا الكتاب الحكيم الا الى ما نحيا به حياة معنوية طيبة نكون بها أمة عزيزة كريمة ، وان ينتقل ذهنه من ذلك الى تدبر القرآن ليهتدي به الى السنن الاجتماعية والنفسية التي بين الله تعالى فيها أسباب هذه الحياة وهي كثيرة في القرآن ، وليست مما يلحقه النسخ الذي تشترط معرفته في الاجتهاد ،

بيان هذه الحياة في كتاب الله تعالى أعلى مرتبة من بيان بعض أحكام المعاملات ، كأحكام الحيض والبيع والسلم والشركات ، قال تعالى « ينزل الروح من أمره على من يشاء من عباده » وما سمى الله الوحي روحا الا لانه ينفخ في المهتدين روح الحياة المعنوية التي يكونون فيها ائمة الخير في الدنيا وأصحاب السعادة في الآخرة . تلك الحياة التي ظهر أثرها في سلفنا فسادوا العالم كله كما اشرنا الى ذلك من قبل ، ونحن ننشدها ونبحث عن اسبابها الآن

انني كنت أود لو ابني خطابي وتذكيري هذا على الآيات التي افتتح بها الاحتفال والافاضة في الكلام على هذه الحياة ، ولكن اقترح علي مولانا الشيخ شبلي أمس أن أقول شيئا في التعليم فلم يكن لي بد من الامتثال ، واني قد افتتحت خطابي بقوله تعالى « الحمد لله الذي احيانا بعد ما أماتنا واليه النشور » للاشارة الى هذه الحياة وحظنا

منها الآن . تعلمون ان هذه الآية تتلى عند الاستيقاظ من النوم ، وقد اشرت بافتتاح الخطاب بها الى ان حظنا من هذه الحياة الآن هو أننا أنشأنا نستيقظ من ذلك النوم الطويل ـ والنوم ضرب من الموت « الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها » ـ فلست اعني بهذا اننا عدنا أمة حية كما كنا ، والله تعالى يحمد على كل حال

موت الامم يشبه النوم ، وحياتها تشبه اليقظة ، ولا أقول أن امتنا قد استيقظت كلها من ذلك النوم الطويل ، والسبات المستغرق ، الذي مرت عليها القرون وهي فيه لا تشعر بما تعمله الامم الحية المستيقظة من حولها ، ولا بما فعلته حوادث الايام في جسمها ، وانما استيقظ الآن بشدة قوارع تلك الحوادث طائفة من أفرادها ، وهم دعاة الاصلاح الذين ارتفع صوتهم في بلادها ،

أيها الاخوة الكرام !

إننا مرضى ودواؤنا في الكتاب الذي أنزله الله الينا ، قال الله عز وجل « وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين » وكيف يرجى الشفاء ، لمن جهل الدواء ، وانما يعرف هذا الدواء بمعرفة اللغة العربية ، ثم بتلاوته وتدبره ، بقصد الاستشفاء والاهتداء به ، فاذا كان بين مسلمي العرب وبينه حجاب وهو ترك التدبر بهذا القصد ، فان بين مسلمي العجم وبينه حجابين وهما جهل لغته ، وعدم تدبره ، وان ازالة كل من الحجابين ، من اسهل الاعمال على الفريقين ، وقد جربنا تذكير عوام العرب بمواعظ القرآن فنفعت الذكرى ، وكذلك تنفع غيرهم اذا رفع الحجاب ، وتوفرت الاسباب ، وأتيت البيوت من الابواب ، « وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين * فذكر ان نفعت الذكرى ، سيذكر من يخشى »

انني أعتقد ايها الاخوة بالدليل ، ان تعلم اللغة العربية فرض على جميع المسلمين ، فان ما فرضه الله تعالى عليهم من تدبره والتذكر والاعتبار به ، والاهتداء بهديه ، كل ذلك يتوقف على معرفة لغته ، وقد روي هذا القول عن بعض علماء السلف ومنهم الشافعي ، وهو ما جرى عليه العمل في الصدر الاول وهو ابلغ من القول ، ولولا هذا الاعتقاد لما انتشرت اللغة العربية بانتشار الاسلام في الشام والعراق وفارس من بلاد المشرق ، ومصر وافريقية الشمالية كلها والاندلس من جهة المغرب ، وهي البلاد التي فتحها الصحابة والتابعون رضي الله عنهم ، ثم امتدت الى غيرها من بلاد الاسلام كهذه البلاد وغيرها من قبل ان تنشأ المدارس لها ، ولولا فتنة العصبية الجنسية التي اثارها بعض زنادقة العجم في الاسلام لاجل هدمه وازالة سلطته لكانت

الامة الاسلامية كلها اليوم تنطق بلسان واحد ، وتدعى الى فلاحها فتستجيب بلسان واحد ،

من الآيات الكثيرة الدالة على وجوب تدبر القرآن والاهتداء به قوله تعالى « افلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا» وقوله « أفلا يتدبرون القرآن ام على قلوب أقفالها ، إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سوّل لهم وأملى لهم * أفلم يدبروا القول أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الاولين ، أم لم يعرفوا رسولهم فهم لهم منكرون » وقوله تعالى « ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدّكر » اي سهلناه ، لاجل ان يتذكر ويتعظ به من يتذكر فهل من متذكر ؟ وهو استفهام بمعنى الامر . وقوله تعالى « ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين » وقوله « هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون » وقوله تعالى «وذكر به ان تبسل نفس بما كسبت » وقوله « فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه أولئك الذين هداهم الله واولئك هم أولو الالباب » ومنها الآيات التي تبين تأثيره في قلوب المؤمنين وقد ذكرنا منها قوله تعالى « الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم» الآية وقوله عز وجل « لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً » الآية . ومنها الآيات الكثيرة الهادية الى كونه تعالى أنزله ليعقلوه وجعله تبيانا لكل شيء . وكل ذلك لا يكون الا بفهم اللغة العربية فهماصحيحاً يؤثر في النفس . وهذه الضروب من هداية القرآنلا تقتبس الا منهوليست من المسائل الاجتهادية التي تنال بالتقليد ،

وخلاصة القول اننا لا شفاء لنا ولا حياة الا بكتاب ربنا ، وان الاهتداء به لا يكون الا باحياء لغته ، فان الترجمة ليست من كلام الله المنزل وليس لها تأثيره في النفوس ، وإحياء اللغة وسهولة تعلمها إنما يكون بما اشرنا اليه من إصلاح التعليم ، فعليكم أن تساعدوا الذين يتصدون للاصلاح كهذه الندوة المباركة . وقد ضاق الوقت عن بيان اصلاح تدريس سائر العلوم الاسلامية . ثم بيان ما نحتاج اليه من العلوم الدنيوية ، وحان موعد حل الجلسة ، وقد بينا كل ذلك في الفصل الملحق بنظام مدرسة دار الدعوة والارشاد ، فليراجعه من أراد ، وأنني اختم الجلسة الآن

*
* *

التربية

(ووجه الحاجة اليها وتقاسيمها)

« والكلام على تربية الامم والاسلام ، والتربية الدينية والاسلام ، وتربية الارادة »

(خطبة ارتجالية ألقيت في مدرسة العلوم الكلية بعليكره)

أيها النواب الجليل ! أيها الاساتذة والوجوه الاجلاء ! والطلاب النجباء !

شرفتموني بدعوتكم إياي الى الخطابة فيكم ، فلم أر بدًّا من اجابة دعوتكم والشكر لكم، وقد اخترت أن يكون كلامي في التربية التي هي من علمكم وعملكم، وان كنت في ذلك كمن ينقل التمر الى البصرة ـ كما يقال في المثل ـ ولو شئت لتكلمت في موضوع ليس لكم فيه علم تفصيلي كحالة المسلمين في بلادنا ، ولكن بحث التربية أهم ، والحاجة اليه أشد ، فرأيت أن أعرض على مسامعكم شيئاً من رأيي فيه لانني أشتغل به علما وعملا كما تشتغلون ، فان وافق رأيكم حمدت الله تعالى على اتفاقنا في هذا الشأن العظيم على بعد الدار ، واختلاف اللسان ، وان خالفه رجوت أن تنبهوني وتبينوا لي ما ترون أنه الصواب فأستفيد من علم اخواني وتجاربهم ما أنا في أشد الحاجة اليه ، والحقيقة بنت البحث كما يقولون

تنقسم مباحث التربية الى عدة أقسام باعتبارات مختلفة ، فمن ذلك انقسامها بحسب الموضوع الى تربية الجسد وتربية النفس وتربية العقل ، ومنه انقسامها بحسب الموضع الى تربية المنزل وتربية المدرسة ، وانقسامها بحسب المربي الى تربية الأم والاب للولد وتربية الاساتذة للتلاميذ ، وتربية المرء لنفسه ، وانقسامها بحسب المربَّى الى تربية الافراد وتربية الامم . وهنالك أقسام أخرى أصلية أو فرعية كبحث التربية الدينية ونسبة المسلمين فيها الى غيرهم من أهل الملل ، وبحث تربية استقلال الفكر والارادة وهو من فروع تربية العقل وتربية النفس

أما وجه الحاجة الى التربية فلا أراني في حاجة الى الافاضة فيه لأجل الاقناع به فان هذا قد صار عند أمثالكم من قبيل البديهيات التي لا نزاع فيها ، وانما أذكركم

بعض آيات القرآن الحكيم في ذلك للتذكير بهدايته العليا وموافقته لما يدل عليه العقل والتجارب ، وتقتضيه طبيعة الاجتماع البشري

قال الله تعالى « والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون » يعني ان الله تعالى خلق كل فرد من أفراد الانسان جاهلا لا يعلم شيئا مما يحتاج اليه لاقامة بناء حياته الشخصية والنوعية فكان في مبدأ خلقه وأول نشأته دون سائر أنواع الحيوان التي يخلقها الله تعالى عالمة بما تحتاج اليه بالفطرة متوجهة اليه بالطبع ، ولذا قال تعالى في آية أخرى « وخلق الانسان ضعيفاً » فالانسان من هذه الجهة أضعف من الحيوانات حتى ما كانت بنيتها منها أضعف من بنيته ، ولكن الله تعالى اعطاه من المواهب والقوى ما ان استعمله فيما خلق لأجله كان أقوى المخلوقات في هذه الأرض يسخر الحيوانات القوية لمنفعته ويستخدم قوى الطبيعة في أعماله ، وبهذا كان في مجموعه خليفة لله في أرضه ، يظهر أسرار خلقه وسننه الحكيمة فيها ، وقال تعالى في خلقه بهذه المزايا « لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم » وهو لا يرتقي في معارج الكمال بمزاياه الا بشكر الله تعالى على نعمة الحواس والمشاعر الظاهرة ، والعقول والوجدانات الباطنة ، وعبر عنها بالافئدة في الآية حسب استعمال العرب ، وانما الشكر عليها هو استعمالها فيما خلقت لأجله من تحصيل العلم بالمنافع والمضار والمصالح والمفاسد لأجل العمل بما تقتضيه الفطرة من اجتناب المضرة والمفسدة ، واختيار المنفعة والمصلحة ، على بصيرة وعلم

العبرة في الآية ان الشكر من أعمال الانسان الاختيارية ، لا من المواهب الفطرية ، وقد أرشدنا القرآن ، ودلنا العلم والاختبار ، على أن الانسان يستفيد من حواسه وعقله بقدر تعاون أفراده على ذلك بالبحث والعمل واستفادة المتأخرين مما وصل اليه علم من قبلهم واختبارهم . حتى لا يضطر كل منهم الى استئناف الاختبار لكل ما يحتاج اليه من الضروريات ، فلا يفرغ حينئذ احد منهم الى الترقي في معارج الكماليات ، وجملة القول في هذه المسألة ان الله تعالى وهب الانسان المشاعر والمدارك الظاهرة كالسمع والبصر والباطنة كالعقل والوجدان ، وجعلها آلات له يرتقي بها الى ما هو مستعد له من الكمال ، ووكله في ذلك الى نفسه ، وناط سعادته او شقاوته بعلمه وعمله ، فكان محتاجا بمقتضى فطرته الى ان يقوم بعض افراده بتربية الآخرين وتعليمهم حتى لا يطول عليهم امد الجهل ، والخطأ في العمل ، وانما يكمل ذلك بجعل التربية والتعليم فنين ينفرد بهما من يتقنونهما

كما انعم الله تعالى على افراد الناس بالحواس والعقول ، أنعم على جملتهم بعلم آخر أعلى من العلوم التي يستفيدها كل فرد بكسبه وبحثه ، وهو الوحي الذي ايد به رجالا منهم بافاضته عليهم من لدنه بغير كسب ولا بحث ، فكان كالعقل للنوع – كما قال الاستاذ الامام – ولولاه لما ارتقى البشر الا في الزمن الطويل ، بالسير الناقص البطيء ، « كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين »

هذه أشارة الى ما تقتضيه فطرة البشر من الحاجة الى التربية والتعليم ، نقرنها باشارة اخرى الى مكانة التربية والتعليم من دين الفطرة الذي ختم الله به الاديان ، وهو دين الاسلام ، وأكتفي في بيان هذا بقوله تعالى في سورة الجمعة « هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين » وقوله تعالى في سورة البقرة « كما ارسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون » فقد بين الله تعالى أنه ارسل رسوله ليكون مربيا معلما ، فان التزكية هي التربية الفضلى التي تكون بها نفس الانسان زكية كريمة متحلية بالفضائل ، مطهرة من الرذائل ، والكتاب مصدر بمعنى الكتابة اي يعلمهم ان يكونوا كاتبين لما يعلمونه ليحفظ وينتشر ، وان يكونوا حكماء عارفين بالعلوم النافعة التي ترتقي بها افرادهم وجماعتهم ، وليس وراء هذا التعليم وتلك التربية غاية ، الا ما يترتب على الكمال فيها من سعادة الدنيا والآخرة

تربية الامم ورسالة خاتم النبيين

أنتقل من هذه المسألة الى كلمة أقولها في تربية الامم وهي من أقسام التربية التي بينتها في بدء الكلام فأقول : المراد بتربية الامم إحداث انقلاب عام فيها ونقلها من طور الى طور اعلى منه وأرقى في الحياة المادية والمعنوية ، وهذا العمل هو اشق الاعمال البشرية وأرقاها ، وهو يتوقف على علم صحيح واسع يقل في الناس من يتقنه ، وعلى بصيرة نافذة يندر في البشر من يؤتاها ، وعلى اعوان كثيرين من اهل هذه البصيرة والعلم يعملون بالتعاون والاخلاص ، وما كل عليم بصير يتقن العمل بعلمه ويفلح فيه ، وان كان عمله دون اصلاح احوال الامم ، وتغيير احوالها الاجتماعية ،

وانما تتغير أطوار الامم عادة بالتدرج البطيء ، في الزمن الطويل .

ان علوم الاجتماع البشري والاخلاق وطبائع الامم والسياسة والتربية وغيرها من العلوم التي يحتاج الى معرفتها رجال الاصلاح الذين يربون الامم قد صارت مدونة تدرس في معاهد العلم وهي مقتبسة من كتب الاديان ومن التواريخ والتجارب ، والمتقنون لها في الشعوب المرتقية كثيرون في أنفسهم وان كانوا أقل من المتقنين لغيرها ، ولكن لا يوجد فيهم من يقدر على احداث انقلاب سريع او تغيير في احوال امة من الامم البدوية دع الامم الحضرية ، وانما يحاولون مثل هذا التغيير بانشاء المدارس الكثيرة وتعميم التربية والتعليم ، وتعاقب القائمين بذلك عدة اجيال ،

اذا تصفحنا تاريخ البشر رأينا ان أبدع مثال واغرب صورة من مثل تربية الامم وصورها هو ما كان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم : أمي نشأ لم يقرأ كتابا ، ولم يمسك بيده قلما ، بل لم يكن يوجد في بلده الذي نشأ فيه كتاب يقرأ (بالمعنى الذي يفهم الآن من كلمته « كتاب » وهو مجموعة صحف كتب فيها كثير من المسائل) وقال بعض المؤرخين: انه لم يكن يوجد في مكة قبل بعثته أحد يعرف الخط الا ستة رجال ما تعلموه في مدرسة ، ولا قرءوا به علما ، وانما ألجأتهم الضرورة الى ذلك بالاتجار ، ومخالطة بعض الشعوب في الاسفار ، نبي هذا شأنه وشأن قومه في الأمية ، والبعد عن اسباب العلم والحضارة ، نهض بتربيتهم وهو في سن الكهولة ، فتم التغيير والتبديل ، قبل انقراض الجيل ، بهداية هذا القرآن الحكيم ، وتربية هذا النبي الامي العظيم ، ثم حمل هذه الهداية الذين تربوا بها في الكبر ، الى أهل الحضارة والبداوة من شعوب البشر ، فما دخلوا قطرا من الاقطار محاربين أو مسالمين، الا وجذبوا أهله الى دينهم ولغتهم من غير مدارس تنشأ ، ولا كتب تقرأ ، ولا مجالس للجدال تعقد ، ولا أموال ولا منافع تبذل ، ولا سيف للاكراه على الدين يستل ، وانما كانت سيرتهم الطاهرة ، وآدابهم العالية ، هي التي تجذب الامم اليهم ، وتقسر سرائرها على الاقتداء بهم ، وتقود عقولها الى الدخول في زمرتهم ، وقد شهد لهم ولمن تبعهم من بعدهم علماء الافرنج المنصفون ومؤرخوهم المحققون ، قال الحكيم الفرنسي غوستاف لوبون صاحب كتاب حضارة العرب: ما عرف التاريخ فاتحا أرحم ولا أعدل من العرب . - وقد بينت كيفية نشأة الاسلام وانتشاره في خطبتي الختامية لاحتفال ندوة العلماء -

أريد بذكر هذا المثال الخارق للعادة من تربية الامم أن اذكر لكم آية على نبوة

نبينا صلى الله عليه وسلم تفوق جميع ما أوتي النبيون من الآيات التي لاجلها آمن بهم الناس ، فانها آية علمية عملية ، تدل على التأييد الالهي دلالة عقلية حسية ، واما نحو قلب العصا حية وإبراء الاعمى والأبرص فليست دلالة على النبوة من هذا القبيل ، وقد آمن بسببها من آمن من الناس لأنهم اعتادوا ان يخضعوا لمن يظهر على يديه أمر يعلو قدرتهم ، لاعتقادهم ان ذلك لا يكون الا من القدرة الالهية ، والسلطة الغيبية ، وكانوا بذلك يقبلون هداية الانبياء عليهم السلام فيحصل المقصود من بعثتهم.

وقد ضرب ابو حامد الغزالي في كتابه القسطاس المستقيم مثلا للفرق بين الآية العلمية التي هي العمدة والأصل في الدلالة على نبوة نبينا (ص) والآيات الكونية التي كان يحتج بها الأنبياء السابقون عليهم السلام فقال: اذا ادعى رجل انه طبيب ودعا المرضى الى قبول معالجته واستعمال أدويته واستدل على صدقه في دعواه بقلب العصا حية لا يكون دليله كدليل من يدعي مثل دعواه ويدعو الى مثل دعوته مستدلا على صدقه بكتاب ألفه في علم الطب ثم بمعالجته طائفة من المرضى بما في ذلك الكتاب من بيان طرق العلاج والأدوية وشفائهم بذلك في أقرب وقت وأسرعه

نشأ نبينا صلى الله عليه وسلم أميا بين قوم أميين ولم يعن في صباه وعهد شبابه بما كان يعنى به فصحاء قومه واذكياؤهم من الشعر والخطابة ، والمبارات في المفاخرة والمنافرة ، ثم قام في سن الكهولة يدعو قومه وسائر الامم الى إصلاح ما فسد من عقائدهم وأخلاقهم وأحكامهم وسياستهم واحوالهم الشخصية والاجتماعية ، وقال أن الله أوحى اليه من العلم ما يكفل ذلك ووعده أن يؤيده فيه فهو يربي قومه العرب ويزكيهم بالقرآن ويعلمهم الكتاب والحكمة وهم ينشرون دعوته ويبثون حكمته في الامم ، فيفتح الله لهم المشرق والمغرب ، وينقل الله بهم الامم والشعوب من حال الى حال أعلى وارقى - من الوثنية والعبودية والذلة والظلم وفساد الاخلاق والآداب والجهل الى التوحيد والعدل والحرية والآداب والفضائل والعلم وثمراته ، - وقد كان ذلك - فهل يعقل ان هذا مما يقدر عليه أمي مثله بعلمه الكسبي واستعداده الشخصي؟

كيف ونحن نرى الدولة القوية بالعلم والنظام والسلاح تستولي على قطر من الأقطار أو شعب من الشعوب بالقوة القاهرة ثم تقبض بكلتا يديها على جميع اسباب حياته الحسية والمعنوية ، ومصالحه الجسدية والروحية ، وتحاول ان تربيه تربية جديدة ، مهتدية في ذلك بالسنن التي هدتها اليها علوم الاجتماع والسياسة ، فتمنعه من قراءة ما ينافي غرضها من الكتب والصحف، وتنشيء له المدارس في كل بلد من قبلها

وتبث في كل منها دعاة دينها ، فيعلمون الصغار في هذه المدارس لغتها ودينها وتاريخها وكل ما يشغل النفس والعقل بها ، ويحول المتعلمين عن دينهم ومقومات امتهم ومشخصاتها الى انحال ما تحاول الدولة الفاتحة ان تحدثه لهم من المقوّمات والمشخصات ، ثم نراها لا تكتفي بتكوين الصغار تكوينا جديدا ، بل تحدث في نفوس الكبار كل ما يستطاع من الاحداث التي تزعزع كل ما كانوا عليه من مقومات أمتهم ومشخصاتها كتغيير العادات والأزياء ، ونشر الجرائد التي تشغل الأذهان والافكار بعظمة تلك الدولة وامتها وآدابها وسياستها ، — يتولى كل هذه الاعمال رجال استعدوا لها ، وحذقوا علومها في المدارس العالية ، ثم تمرّ الأجيال ولا تستطيع دولة من هذه الدول الفاتحة بالعلم والقوة ان تحوّل أمة عن دينها ولغتها كالتحويل الذي احدثه الاسلام في جيل واحد بتحويل عدة أمم عن دينها ولغاتها وعاداتها بدون استعانة على ذلك بالمدارس والجرائد ، ولا بغير ذلك من الاسباب الصناعية التي هدت اليها العلوم الاجتماعية ، أليس هذا برهان علمي قطعي على ان نبينا (ص) كان مؤيدا من الله تعالى فيه وانه من خوارق العادات ؟ بلى إنه أعظم الخوارق وأقواها ، وأظهر المعجزات واسماها ، وحسبنا منه الاشارة اليه ، والتذكير به

تربية البيوت والامهات

أنتقل من هذا الى كلمة وجيزة في تربية البيوت — : تعلمون أيها الفضلاء أن تربية البيوت هي الاساس الذي يبنى عليه ما بعده ، وان الامهات هن اللواتي يقمن بها ، وماذا نفعل في أمر هذه التربية ونساؤنا قد استحوذ عليهن الجهل بكل ما تتوقف عليه التربية من العلوم والآداب الدينية والدنيوية بعد أن كن يضربن مع الرجال في القرون الاسلامية الاولى والوسطى بكل سهم ، وينلن حظهن من كل علم ؟ — لأن الاسلام فرض العلم على الرجال والنساء جميعا ، ولم يجعل بين الفريقين فرقا في التكاليف الا ماهو خاص بكل منهما بمقتضى الفطرة او طبيعة الاجتماع (وكأحكام الحمل والولادة الخاصة بالنساء وفنون القتال الخاصة بالرجال) .

لا يمكننا أن نقيم التربية القويمة على اساسها الا اذا ربينا النساء وعلمناهن مايتوقف عليه قيامهن بتربية أولادهن ، وقد اضطرب المسلمون في هذه المسألة فبعضهم يدعو الى تقليد الافرنج في تعليم نسائهم وتربيتهن وهم يظنون اننا اذا ربينا نساءنا على نمط تربية نسائهم ، وعلمناهن لغاتهم ، نكون في دنيانا مثلهم في دنياهم ، وهذا جهل بعلم

الاجتماع وطبائع الامم عظيم ، وخطؤه في علم التربية والاخلاق كبير ، والصواب أننا نهدم بهذا التقليد مقوماتنا ومشخصاتنا الملية والقومية ، ولا نستطيع ان نبني به مثل مقوماتهم الاجتماعية ، فعلينا أن نربي بناتنا على آداب ديننا وفضائله واحكامه ، وان نعلمهن لغة ديننا ولغة وطننا ، وتاريخ أمتنا وديننا ، وعلم التربية وتدبير المنزل والحساب وقانون الصحة ، وشيئا إجماليا من شؤون العالم واحوال العمران يعرفن به حاجات العصر الذي يعشن فيه . ويدخل في هذا علم خرت الارض وتقويم البلدان (الجغرافية) والتاريخ العام

هذا هو الذي لابد منه لكل امرأة ، وقد يحتاج الى تعليم بعضهن العلوم العالية التي لابد منها كالطب والجراحة ولا سيما القسم النسائي منه المتعلق بالحمل والولادة ، وكفنّ التعليم فان اللائق بآداب الاسلام ان تكون المرأة هي التي تعلم البنات وتطبب النساء وكما نحتاج الى الطبيبات والمعلمات منا نحتاج الى المربيات في البيوت فان أمراءنا وكبراءنا ومقلدتهم من سائر طبقات الاغنياء لجؤا الى المربيات الاوربيات يلقون اليهن بأفلاذ اكبادهم من الذكور والاناث فيربينهم على آداب وأخلاق غير آداب ملتهم وأخلاقها ، ويعلمنهم لغات غير لغات أمتهم ودينهم ، ولا خير لهم في هذا ولا لأمتهم ، لانهم يتشكلون بشكل لايتفق مع شكلها ، فتنفصل منهم وينفصلون منها ، فان للنفوس في أفكارها وعقائدها وأخلاقها ورغباتها أشكالا كالاشكال الهندسية فاذا كنا لانستطيع ان نقيم بناء رصينا محكما منتظما من حجارة بعضها مثلث وبعضها مربع وبعضها كروي فكذلك لانستطيع أن نكون أمة عزيزة راقية من أفراد تختلف اشكال نفوسهم العقلية والنفسية وما يترتب عليه من اختلاف أعمالهم وعاداتهم ، نعم ان هؤلاء الذين تربيهم النساء الافرنجيات قد يكونون أرقى في الآداب الاجتماعية العصرية والنظافة من أمثالهم الغفل المهملين ، الذين يوكلون الى مايقتبسونه من العشائر والمعاشرين ، ونصل السيف على العصا لايعدّ فضلا كبيرا ، واننا نطلب تربية نكون بها أمة حية عزيزة متحدة كغيرنا من أمم الحضارة ، ولن ندرك هذا بمثل هذا التفرنج التقليدي في كبرائنا ، بل هذا أقوى مايحول بيننا وبين مانريد

تربية المدارس

يجب ان تكون عنايتنا بتربية المدارس اشد من عناية غيرنا لاننا قد تعذرت علينا التربية الاساسية الاولى بجهل نسائنا نربي تلاميذ سرى الفساد الى أخلاقهم ، والخرافات

الى عقولهم ، ولكننا لم نقم بهذا الواجب ولم تعن مدارسنا بالتربية النفسية ولا بالتربية العقلية التي هي وظيفتها الاولى ،

لا أعني بالتربية العقلية تعليم العلوم التي يرتقي بها العقل فان التعليم – وان كان يدخل في مفهوم التربية العام الذي يشمل تربية الجسم والنفس والعقل – قد خص بهذا الاسم دون سائر انواع التربية وصارت المقابلة بين التربية والتعليم من المقابلة بين العام والخاص. وانما اعني بالتربية العقلية ان يتوخى في اسلوب التعليم استقلال عقول الطلاب في الفهم والحكم في المسائل ، وتحرير الحقائق وأن لا يعوّدوا أخذ المسائل العلمية بالتسليم والتقليد ، فبهذا تربى العقول وتنمو الافكار وتخرج العلماء المستقلون الراسخون ،

إنما سبب تقصيرنا في التربية المدرسية فقد الاساتذة الاكفاء القادرين عليها أو ندرتهم ، فانه يقل في المتعلمين منا من تربى تربية صالحة يرجى نفعها ، وانما يقوم بناء التربية على اساس القدوة والتأسي بالمربي والاستفاضة من ينبوع فضائله وصفاته « وفاقد الشيء لايعطيه » وقصارى مايمكن أن يطالب به العقلاء من نظار المدارس واساتذتها هو أن يتكلفوا مايجب عليهم من ذلك تكلفا عسى ان يصير مايتكلفونه خلقا لهم أو لتلاميذهم ، وان يرشدوا الطلاب الى العناية بتربية انفسهم

تربية المرء لنفسه

ايها الطلاب النجباء !

إنني اخصكم بالخطاب والتذكير في هذا القسم من اقسام التربية . سمعتم قولي في تقصير مدارسنا في التربية ورأيي في سببه ، وأزيدكم على ذلك أن المدارس التي هي أرقى من مدارسنا في الامم التي هي أرقى في الحضارة والعلوم من أمتنا ، لا تستقل بتخريج الرجال العظام ولا بتكميلهم في التربية والتعليم فان كثيرا من المتخرجين في مدارس أوربة الجامعة يكونون لصوصا وفوضويين وفجرة يفسدون في الارض ويسفكون الدماء . المدارس تفتح للطلاب ابواب العلم ، وتدلهم على طرق العمل لانفسهم ولقومهم أو جنسهم ، ولكنها لاتبوئهم تلك البيوت ، ولا تقودهم في تلك الطرق حتى توصلهم الى غاياتها ، وانما ذلك عليهم لاعلى المدارس ، وان بعض المديرين لشؤون المدارس او المسيطرين عليها قد يريدون من تربية الناشئة وتعليمهم مالا تريده تلك الناشئة لانفسها لو عقلته وعرفت عاقبته . فينبغي للاذكياء من طلاب العلوم ان يكونوا على بصيرة في تعلمهم وتربيتهم ، وأن يعلم كل واحد منهم أنه لاينال الكمال

الممكن الا بجده الشخصي وعنايته بتربية نفسه وتكميلها

ربوا عقولكم على الاستقلال في الفهم ، والاستدلال على المطالب ، لتكونوا علماء بأنفسكم ، لا نقلة تحكون علم غيركم ، ليكن العلم صفة من صفاتكم لا صوراً خارجية تعرض على مرآة أذهانكم

ربوا أنفسكم على الفضيلة والتقوى وعلو الهمة وقوة الارادة ومضاء العزيمة ، لتكونوا كملة في أنفسكم ، وقدوة صالحة لامتكم ، إنني أعلم انا اكثر طلبة العلم منكم ومن غيركم يطلبون العلم لاجل المعاش لا لاجل تكميل النفس بالفضيلة ، ولا لاجل النهوض بالامة ، وأعلم مع ذلك أن الناس معادن كمعادن الذهب والفضة (كما ورد في الحديث الشريف) وأن من كان معدنه شريفاً وجوهره كريما لا يرضى لنفسه اذا عرف مزايا جوهرها أن تكون في مرتبة المعادن الخسيسة

لا أقول إن من يطلب العلم الدنيوي لاجل الكسب يكون خسيسا مذموما فان الكسب مطلوب بل ضروري ولا بد في اتقان اسبابه من العلم ، فمن يطلب العلم ليكون حاكما أو طبيبا أو مهندسا أو صيدليا أو تاجرا أو قائما بغير ذلك من أعمال العمران حقيق بأن يكون محمودا في علمه وعمله ، ولكنه لا يفضل من هذه الجهة العوام والأميين الذين يعملون ما لا يتوقف على تعليم المدارس من أعمال العمران كالفعلة وصغار الصناع والزراع من حداد ونجار وخباز ووقاد في سفينة أو قطار أو حمام ، كل من يؤدي للأمة عملا من الاعمال التي تحتاج اليه يكون جديرا بالشكر والثناء على قدر اتقانه له وبذل جهده فيه ، وباللوم والذم على قدر تقصيره فيه ، ووقوفه دون الغاية التي يستطيعها من إتقانه ، ولكن المتعلمين في المدارس العالية يجب ان تكون خدمتهم لأمتهم أرقى من خدمة الفعلة والصناع من العوام ، يجب ان يكون نفعهم متعدياً ، يجب أن يكونوا قدوة لغيرهم في الفضائل والآداب ، والقيام بالمصالح العامة ، والمنافع المشتركة ، يجب أن يكونوا بذلك مربين لها ، وعمالا لرفع شأنها ، ولا يكونون كذلك الا اذا عنوا بتربية أنفسهم على الفضيلة والتقوى ، فاننا نرى كثيراً من الذين تعلموا في أرقى مدارسنا ومدارس أوربة العالية كانوا بفساد تربيتهم وبالاً على الامة إما بسوء أخلاقهم واتجارهم بمصالحها ، وإما بفسقهم واستهانتهم بشريعتها وشعائرها ، فيجب أن تراعوا في تربيتكم لأنفسكم ، نسبتكم الى أمتكم ونسبتها اليكم ، وان تتقوا التقليد الذي يبعدكم عن مقوماتها ومشخصاتها ، وتوخوا أن تكونوا معها كبيوت النحل المسدسة الشكل لكي يتصل بعض طبقاتها ببعض ، وان تمايزت الطبقات أو

الافراد في أنفسها بالعلم والحكمة كما تمتاز بعض بيوت النحل بوجود العسل فيها على ما لا عسل فيه

لا يتفاضل البشر في شيء كما يتفاضلون في نفع الناس والقيام بمنافعهم العامة ومصالحهم المشتركة ، وان أمتنا لتشكو من قلة العاملين للمصلحة العامة مالا تشكو من قلة العالمين بها ، فلو كان فينا كثيرون يعملون بما يعلمونه من مصالح الامـة ومؤثرون ذلك على أهوائهم لما كنا في هـذه الحال السوءى التي نشكو منها . قال بعض علماء أوربة وكبرائها للاستاذ الامام : اننا نرى فيكم من نذاكرهم فيجاروننا في كل علم ونراهم يفهمون المصالح والامور كما نفهمها سواء، فما هي علة تأخركم عنا ؟ الجواب الذي اتفق عليه العالمان المسلم والافرنجي أن علة ذلك هي كثرة العاملين للمصلحة العامـة في الافرنج وندرتهم فينا

ينبغي لـكل من كان كريم الجوهر عالي الهمة أن ينوي ويقصد المنفعة العامة في كل عمل يعمله، فان أقل فائدة ذلك أنه يرقي نفسه ويزيده كمالا وان لم يتم له ما ينوي ، لا يوجد عمل من الأعمال يتعذر فيه قصد المنفعة العامة ، وانني أضرب لـكم مثلا واقعاً على هذا من أغرب ما يؤثر عن الامم الحية . حدثني الاستاذ الامام أنه في بعض أسفاره أراد اختبار بعض أفراد الطبقة الدنيا من الافرنج وكان راكباً في سفينة انكليزية فسأل وقادا فيها عن عمله الشاق وأجرته عليـه ، ثم سأله . هل ترجو ارتقاء في حياتك هذه ؟ قال نعم . انني أفكر في عمل عظيم ، وأسعى الى ارتقاء كبير ، قال الاستاذ . ما ذاك ؟ قال الوقاد انك تعلم أن معادن الفحم الحجري محدودة، وانهم يقدرون لها النفاد في قرون معدودة ، فانا أفكر في طريقة للاقتصاد في انفاق الفحم تكون به امتنا الانكليزية أغنى الامم به ، واستفيد انا من هذا الاختراع ثروة كبيرة ومجدا عظيما . فتأملوا رعاكم الله كيف توجهت همة ذلك الرجـل الذي هو أدنى الناس حرفة وعملا الى أن ينفع أمته العظيمة الغنية وينمي ثروتها ويجعل الامم والدول في حاجـة اليها ، وان ينفع نفسه من طريق نفع قومه ، وهو لم يتجاوز بذلك حدود عمله ، ولم يدفعه الغرور الى الاشتغال بما لا يعد من أهله ، أفيعجز كل فرد من أفراد المتعلمين أن يكون له مثل هذه النية الحسنة ، والهمة العالية ؟

أيها الطلبة النجباء ! إن شعوب البشر متقاربة في الاسـتعداد للـكمال الانساني، واننا معاشر الشرقيين عامة ، والمسلمين خاصة ، ما سبقنا الامم التي نراها الآن أعلى منا الى العلوم والحضارة لأن استعدادنا الفطري دون استعدادها ، فعليكم ان تفكروا

دائما في استعدادكم ، وان تستعملوه في طلب الكمال لانفسكم وأمتكم ، وانتم قادرون على ذلك

ولم أر في عيوب الناس عيبا ‏ ‏ كنقص القادرين على التمام

واعلموا ان قيمة الذي يتعلم لاجل أن ينال قوتا مضمونا من الحكومة أو من غير الحـكومة لا تـكون الا بقدر جثته التي يسعى لتغذيتها ، وانها لقيمة قليلة لا يفضل بها الثور ولا الحمار الذي يأكل أضعاف ما يأكل الانسان ، ولا يتألم كما يتألم الانسان، ومن تعلو به همته فيطلب أن يكون وجوده اوسع من محيط جسمه فانه ينال ما يطلب، فاذا هو قام بنفع بلده كان وجوده بقدر بلده بحيث يكون ذكره مالئا له ، واذا هو قام بخدمة أمته كلها ، بعمل نافع يعمله لها ، فان وجوده المعنوي يكون واسعا بقدر سعة أمته كلها ، لا يجهل ذلك قطر من أقطارها ، واذا هو استطاع ان ينفع جميع البشر فليفعل ، فان وجوده يكون بقدر العالم الذي انتفع به ، وامثال هؤلاء الرجال هم الذين يوزن الواحـد منهم بأمة ، قال تعالى « ان إبراهيم كان أمة » وقال في عبادٍ له أعدهم لنفع الامم « ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين » وعلمنا ان ندعوه بقوله « واجعلنا للمتقين إماما » فعليكم أن تربوا أنفسكم على علو الهمة ، وخدمة الامة ، لتـكونوا من الأئمة ،

ان الانسان لا يكون قدوة في الخير نافعا للناس الا اذا كان فاضلا كريم الاخلاق، وان مساوي الأخلاق تشين العالم ، اكثر مما يشين الجهل رب الاخلاق الـكرائم، ولا يفسد الامم شيء كفساد أخلاق علمائها وحكامها وزعمائها ، فاذا قصرتم في تربية ملـكة الفضيلة في أنفسكم ، فانـكم تضرون أكثر مما تنفعون بعلمكم ، اما الطريق الذي ينبغي أن يسير عليـه المرء في تربية نفسه فهو أن يلتزم الاعمال التي تطبع ملكتها في النفس ويتكلفها ويواظب عليها ، ولا يتساهل في كبير ولا صغير منها ، وان يجعل له مراقبا من إخوانه يذكره اذا نسي ، ويلومه اذا تساهل، وأذكر لـكم على سبيل المثال ما جربته بنفسي : قلت لرفيق لي في طلب العلم اذا قدرت ان تحفظ عليّ كذبة واحـدة فلك حكمك في الجزاء عليها ، قلت له هـذا وما انا بآمن على نفسي من فلتات اللسان ، ونزغات الشيطان ، وانما اردت ان يكون ذلك حاملا لي على شدة الاحتراس من الـكذب الذي هو شر الرذائل وأشدها ضررا ، وأحمد الله أنه لم يستطع ان يحفظ في السنين الطوال التي عاشرني فيها كذبة ما ، وما أبرىء نفسي

ولا أزكيها بهذا ، وانما اريد ان اذكركم ايها الاخوة النجباء بما جربته واستفدت منه لعلكم تعتبرون

الفضيلة والتربية الدينية

لا فضيلة الا بالدين فمن لم يترب تربية دينية لا يكون على شيء يعتدّ به من مكارم الاخلاق ، وقد ينشأ بعض الناس على الفضائل والآداب الدينية ثم يعرض له الشك في دينه او الجحود في الكبر، ولكنه اذا استطاع التفلت من جميع عقائده، لا يستطيع التفليت من جميع فضائله ، وقد يغتر هو بنفسه او يغرّ غيره بما بقي له من آثار صبغة الدين فيقولون ان الكفر قد اتفق مع الفضيلة ، ويغفلون عما يحدثه له هذا الكفر من انواع الرذيلة ، وقد يسمون بعض الرذائل بأسماء الفضائل او يعدونها منها ،

يوجد أفراد من الملاحدة في البلاد الغربية يزعمون أنه يمكن أن يستغنى في تربية النفس عن الدين ، بأن يقام بناء الفضيلة على اساس العلم والعقل ، بأن يقنع المربي من يربيه بأن الرذائل ضارة بفاعلها ، أو بالهيئة الاجتماعية التي يعيش فيها ، وان الفضائل دعائم المصالح والمنافع ، كأن يقال له : إن الكذب قبيح متى عرف به امرؤ بطلت الثقة به ، ومن لا يوثق به تفوته منافع كثيرة ، ويكون محتقرا في أنفس الناس ، ويقال له نحو هذا في مدح الأمانة والترغيب فيها ، ويرون ان هذا النحو من التربية أفضل وانفع من التربية الدينية التي اساسها عندهم التخويف من عقاب الآخرة ، وقد سمعنا بعض مقلدتهم من المتفرنجين يلوكون أمثال هذه الكلمات ويتشدقون بها ويرون انهم ينطقون بالحكمة ، ويرفعون قواعد الفلسفة

كان سبب حدوث هذه الأفكار في أوربة ما سبق من ضغط رجال النصرانية في القرون الخالية على رجال العلم ، واحرار الفكر، اذ كانوا يقتلونهم تقتيلا ، ويحرقونهم بالنار أحياء ، فكان من مقتضى سنة ردّ الفعل ان يغلو أحرار الفكر من المارقين من النصرانية في ذم الدين والتنفير عنه ، وقد وجدوا في كتب ذلك الدين وتقاليده وسيرة بعض رؤسائه مجالا واسعا للطعن والتنفير ، ومع هذا كله لا يزال السواد الأعظم من الشعوب الافرنجية كلها يربون أولادهم من النشأة الأولى على آداب الدين وفضائله ولا سيما الانكليز والجرمانيين منهم ، ويخصون الاناث بمزيد العناية في التربية الدينية لأنهن هن اللواتي يربين الأولاد في الطور الأول من حياتهم ،

ويؤثر عن الفيلسوف سبنسر – اكبر علماء الاجتماع والتربية في هذا العصر – انه قال ما معناه : ان بعض الناس يريدون تحويل تربية الفضيلة عن اساس الدين الى أساس العلم ، واذا وقع هذا بالفعل يقع به الناس في فوضى أدبية لا يعلم أحد عاقبتها (١)

مالنا ولكلام الناس وافعالهم ، اننا نعلم بالنظر والاختبار أن إقناع جميع طبقات الناس بنفع الفضائل وضرر الرذائل وحملهم على العمل المطرد في ذلك مما لاسبيل اليه ، ولا مطمع فيه ، فالولدان لايعقلونه ، وبلداء العوام وجماهير الشعوب الهمجية لايقتنعون به ، واكثر الاذكياء يجعلون أنفسهم معيار المنافع والمضار ،فيؤثرون ماينفعهم وان أضر بغيرهم ، ويطبقون ذلك على قانون فضيلة المنافع بالتأويل ، فاذا قدر الواحد منهم على أكل مال غيره بالباطل أوخيانته في عرضه وأمن اطلاع الناس عليه خان في المال والعرض ، واوّل ذلك في نفسه بأنه هو احق بالمال واجدر به ، لانه يضعه في مصارفه التي هي انفع للناس وله ، ويزعم ان صاحب المال لايقدر على أن يأتي بمثل نفعه وعمله ، ولا يأبى ان يقول ان الخيانة في العرض لاضرر فيها ، لانه يفسر الفضائل والرذائل بحسب الشهوة والهوى ، وقد صرح أمامي من يعدّ في الطبقة العليا من حرية الفكر بأن أكل مال الناس بالباطل { أي بدون مقابل ولا تراض } يعد من الفضيلة ، اذا كان سارقه أو ناهبه أو الخائن فيه ينفقه فيما يراه أنفع للهيئة الاجتماعية مما ينفقه فيه صاحب المال ، ولا يخفى على عاقل ان الناس يختلفون اختلافا كبيرا في النافع والانفع وضدهما فما يراه بعضهم نافعاً يستحق الشكر ، قد يراه بعضهم ضارا يستحق فاعله القتل ، فاذا لم يكن لهم دين يحكم كتابه بين الناس فيما اختلفوا فيه ، وجروا على استباحة كل منهم مايرى أنه ينتفع به مالاينفع غيره ، ألا يكونون في فوضى وخيانة تفسد عليهم أمرهم ، حتى يأذن الله بهلاكهم ؟

يقول غوستاف لوبون في كتابه { روح الاجتماع } ان بعض القضاة عندهم في { فرنسة } احصى عدد المجرمين الذين حكمت عليهم محكمة الجنايات فكان ثلاثة ارباعهم من المتخرجين في المدارس العالية والربع من عوام الناس ، ونحن نعلم ان

(١) كنت أريد ان أذكر في هذا البحث كلمة للفيلسوف ابن رشد – اشهر حكماء عصره – ثم نسيتها وهي ان الفيلسوف المحقق لايجيز ان يجعل الدين محل الشك والاثبات ويوضع موضع البحث لان ذلك يتضمن جعل مبدأ الفضيلة واساسها موضع الشك وذلك هدم للفضيلة اه بالمعنى ومثاله ان يشكك المريض في أصل الطب ويحمل على ان لا يقبل المعالجة والدواء الا بعد البحث في علم الطب نفسه واقامة الحجة على نفعه

الذين لايجرمون من هؤلاء المتعلمين الماديين لايصدهم عن الاجرام والجناية الفضيلة وانما يصد بعضهم خوف الفضيحة او عقاب الحكومة اذا ظهرت الجناية ، وبعضهم اشتغاله بعمل يصرف عنها ، وعن الشعور بالحاجة اليها ، وبعضهم تأثير التربية الدينية الاولى ، ولا يكاد يتعفف عن الرذيلة أحد تدفعه شهوته اليها وتقربه أسبابها منها ، الا المتدين الذي يراقب الله تعالى ويخشاه ، أو الفيلسوف العالي النفس اذا ثبت عنده انها رذيلة ، والا فاننا نرى سيرة كثير من الفلاسفة ملوثة بالرذائل الكثيرة ، وهذا من معنى قولنا ان الفضيلة القائمة على قواعد الدين تكون عامة ينتفع بها جميع طبقات البشر في بداوتهم وحضارتهم بقدر حظهم منها ، وأما الفضيلة العقلية النفعية المحضة فلا تكون الا خاصة ببعض أفرادهم الممتازين ، على مايعرض فيها من سوء التأويل

أضرب لكم مثلا رجلافقيرا بائسا من بلدنا (القلمون) يكنى «أبا حطب» كان يحمل الخضر والفاكهة على ظهره ويصعد من بساتين القلمون او طرابلس الشام الى جبل لبنان ينتقل بها من قرية الى قرية ليبيعها ويأكل من ربحها ، شب وشاب على ذلك — هذا الرجل البائس وجد مرة في شارع من شوارع ميناء طرابلس خالامن الناس كيسا كبيرا مملوءا بالنقود الذهبية (الليرات) فتناوله ووضعه في سلة الخضر التي يحملها على ظهره وبقي يسير الهوينا على عادته الى أن رأى في الطريق رجلا روميا ملهوفا يعدُو ويصيح «خرب بيتي» فعرف الرجل المسكين بالقرينة انه صاحب الكيس فناداه — وهو لايلتفت اليه — فقال «ياخواجه تعال ياخواجه» فأقبل عليه الرومي فسأله ماذا ضاع لك ؟ قال كيس من الذهب فيه كذا من الليرات ، فأخرج له الكيس وقال : أهذا كيسك ؟ قال: نعم نعم قال خذه ، فأخذه الرومي ولم يعطه شيئا ، فسأله بعض الناس لماذا أعطيت هذا الرومي الخبيث الكيس وهو لم يعلم أنه كان معك ولو أخذته لأغناك عن بيع الخضر طول عمرك ، فقال اذا كان هو لم يعلم أنني أخذت الكيس فان الله علم بذلك وهو مطلع عليّ

هذا مافعله البائس الفقير «ابو حطب» بوازع الدين وهو مطمئن القلب منشرح الصدر ، أفرأيتم لو كان قدتلقى من بعض الفلاسفة الماديين إنه لاإله ولا دين ولا حياة للناس بعد هذه الحياة وان الامانة واجبة عقلا لأن الهيئة الاجتماعية لاتصلح بدونها، أكان يعطي الكيس لذلك الرومي وأكثر هؤلاء الارواح عندنا اشرار شرسون لايحبهم الناس ولا يرجون منهم خيرا ؟ لا والله ، بل لو وجده بعض القضاة الماديين الذين عهد اليهم إقامة ميزان العدل وإحقاق الحق لا كلوه فرحين مستبشرين

اكتفي بهذا البيان الوجيز في اثبات كون تربية النفس على الفضيلة لاتتم الابالدين ، وكون كل دين من الاديان أعون عليها من تلك الفلسفة الناقصة ، التي لايمكن ان تكون عامة ، وان كانت الخرافات والتقاليد الوثنية في اكثر الاديان تنافي كثيرا من الفضائل ، وتكون مثارا لكثير من الرذائل

الفضيلة في الاسلام وقاعدة درء المفاسد وجلب المصالح

أيها الاساتذة والطلاب الكرام! ان عذر من قال من علماء الافرنج بالرغبة عن التربية الدينية الى التربية العلمية هو أنهم وجدوا في الدين الذي نشأوا فيه وسائر الاديان التي عرفوها خرافات كثيرة تضل العقل وتحول بين البشر وبين كمال الانتفاع بمواهبهم وما سخره الله لهم من الكون ، وتقسر وجدانهم على قبول ما يضرهم ولا ينفعهم ، ولو عرف هؤلاء العلماء حقيقة الدين الاسلامي من كتاب الله تعالى وسنة رسوله التي جرى عليها لما قالوا ذلك القول ولما ذهبوا الى ذلك المذهب على الاطلاق

لو عرفوا الاسلام من كتابه وسنته — لامن سيرة أهله في هذه الازمنة — لوجدوا في أصوله كل مايرونه نافعا من تربية النشء على اجتناب الرذائل والمفاسد لضررها ، والتزام الفضائل ومراعاة المصالح لنفعها ، فان بناء الاحكام والاعمال على قاعدة درء المفاسد والمضار وجلب المنافع ومراعاة المصالح ، من القواعد الاسلامية المتفق عليها، ومن أصول ديننا ان الله غني عن العالمين رحيم بهم فما حرم عليهم شيئا الا لانه ضارّ بهم ، ولا أوجب عليهم شيئا الا لانه نافع لهم ، « يريد بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » وقال تعالى فيمن آمن من أهل الكتاب « الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم » وان المعروف هو ماعرفته العقول القويمة ، والطباع السليمة ، والمنكر ما أنكرته ، والطيب مايطيب للناس لنفعه ولذته والخبيث ضده ، وقد ضبط بعض علمائنا اشتات المنافع بخمس كليات وهي ١ حفظ الدين ٢ وحفظ النفس (أي حفظ ذوات الناس ان يعتدى عليهم بالقتل او الايذاء) و٣ حفظ العقل و٤ حفظ العرض و٥ حفظ المال

ان القرآن الحكيم قد قرن فريضة العبادات المحضة ببيان منافعها فقال « وأقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » أي ان الذي يقيم الصلاة على وجهها المطلوب تعلو نفسه وتزكو بمناجاة الله وذكره وتلاوة حكم القرآن وعبره ، وتصير

مراقبته تعالى ملكة له ، حتى تنفر نفسه من الفواحش والمنكرات ، وقال « كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » فبين ان الصيام يقصد به تربية ملكة التقوى وهي ان يملك الانسان نفسه وهواه فيسهل عليه اتقاء مايضره ويشينه في دينه ودنياه ، وذلك أن من تعود ترك الشهوات التي لا يستغني عنها لحفظ شخصه وحفظ نوعه وهي الاغذية والوقاع يكون أقدر على منع نفسه عن غيرها من الشهوات والأهواء الضارة غير الضرورية ، ومما جاء فيه عن الحج قوله « ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في ايام معلومات » الخ وأما الآيات في فوائد الزكاة وبذل المال في سبيل الله — وهي سبيل الحق والخير — فكثيرة . فاذا كان هذا الكتاب الحكيم يعلل امهات العبادات ببيان منافعها وفوائدها فهل يأبى أن تعلل الاحكام الدنيوية والآداب الاجتماعية بالمنافع والفوائد ؟ كلا انه ارشدنا اليها بمثل قوله « ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم » ومثل قوله « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض »

أيها الاخوة الكرام !

لا يمكنني في هذا الوقت القصير ان أطيل الشواهد على موافقة اصول الاسلام وفروعه للعقل والفطرة البشرية ومصالح الناس ومنافعهم وانما اقول انني مستعد لاقامة الحجة على كل من يدعي خلاف ذلك فمن عرضت له شبهة فيه فليوردها علي في حال القرب ، وليكتبها الي في حال البعد ، وانا زعيم ان شاء الله تعالى بكشفها واقناعه فيها ، اذا كان طالبا للحقيقة بالاخلاص ، وقد جربت هذا مع كثير من الشرقيين والغربيين

كان لي صاحب في مصر من احرار الانكليز اسمه متشل انس كان وكيلا لنظارة المالية ، وقد جرى بيننا مذاكرات كثيرة في المسائل الدينية وغيرها وكان كثيرا ما يعترض على بعض المسائل الدينية في الاسلام أو في كل دين وكنت اذا بينت له حقيقة الاسلام فيها يتعجب ويقول لي تارة « هذه فلسفة لا دين » وتارة « هذا رأيك وفلسفتك ما هو الاسلام » وقال لي مرة « اذا كان هذا هو الاسلام فانا مسلم » ومرة أخرى « اما ان اكون انا مسلما واما ان تكون أنت كافرا » ومرة ثالثة « ما اسمع مثل هذا الكلام المعقول عن الاسلام الا منك اومن الشيخ محمد عبده افلا يوجد مسلمون غيركما » ومرة رابعة « أرأيت اذا سألت عن هذا بعض علماء الازهر أيقول هذا الذي قلته ؟ اذا قال هذا علماء الازهر فانا اكون مسلما »

انني بهذه التجارب وبما أعلم من حقيقة الاسلام وموافقته لفطرة البشر ومصالحهم

ومن حاجتهم الى الدين بمقتضى فطرتهم ، وبما في القرآن من الوعود الصادقة — بهذا كله اعتقد ان الاسلام سينتشر في جميع الامم الغربية والشرقية ، وما حجب امم الحضارة عن محاسن الاسلام الا سوء حال المسلمين والجهل بحقيقته وتنفير دعاة الدين ورجال السياسة عنه وعن أهله

اننا نحن المسلمين قد صرنا حجة على ديننا بما فشا فينا من البدع والخرافات ولو كنا مستمسكين بعروته ، محافظين على سنته ، لعم الخافقين ، فان انتشاره السريع في العصر الأول لم يكن الا بحسن حال أهله وفضائلهم وأعمالهم كما اشرنا الى ذلك في الكلام على نشأة الاسلام وفصلناه بعض التفصيل في خطبتنا الختامية لاحتفال جمعية ندوة العلماء ، وقد وصلنا الى دركة من الانحطاط صار فيها الوثنيون في هذه البلاد ارقى من المسلمين علما وعملا واتحادا ، هؤلاء الذين لا يزال الملايين منهم يسيرون في الاسواق والشوارع مكشوفي العورات ، عراة الاجسام ، حفاة الأقدام ، موسومي الجباه بأصباغ الاصنام ، بل صار هؤلاء الذين يعبدون الأحجار والأنهار والاشجار والقرود يطمعون في إدخال المسلمين في دينهم ، وقد صاروا يتصدون الى دعوتهم ، وقد بلغني هنا انه دخل في دينهم طائفة ممن يعدون من المسلمين ، وان لم يكونوا منهم الا في الاحكام الرسمية ، والاحصاآت الجغرافية ، ولا يوجد شعب اسلامي محتاج في حياته السياسية والاجتماعية الى الدين كاحتياج مسلمي الهند ، فانهم اذا أحيوا الاسلام فيما بينهم تعود كثرة الوثنيين الى قلة وقلة المسلمين الى كثرة « وانما العزة للكاثر » كما قال الشاعر العربي

هذا وانه لا حياة للاسلام ، الا باحياء هداية القرآن ، ولا تحيا هداية القرآن الا باحياء اللغة العربية ، ومن حسن حظكم أن حكومتكم راغبة في إحياء لغة دينكم ، فاذا قصرتم فيها فلا عذر لكم ، عليكم ان تحيوها في هذه المدرسة التي هي اكبر المدارس الاسلامية في الهند ، عليكم ان تتعلموها كما تتعلمون اللغة الانكليزية بالتكلم والقراءة والكتابة ، اذا كنتم محتاجين الى اللغة الانكليزية لأجل دنياكم ، فانتم محتاجون الى اللغة العربية لأجل دينكم ودنياكم ، فالحياة الصورية المادية ، لا تقوم وتثبت وتنمي الا بالحياة الأدبية المعنوية ، والا فان الوثنيين قد سبقوكم في جميع العلوم والأعمال الدنيوية ، وهم اكثر منكم عددا ، وأوفر مددا ، فلم يبق أمامكم الا قوة دينكم ، تبلغون بها ما تريدون في دنياكم وآخرتكم ، لانها قوة الحق والخير وهي اكبر قوة في الكون

العزيمة وتربية الارادة

اشرت في سابق كلامي الى ما يجب من تربية الارادة ، واحكام ملكة العزيمة ، وهذا النوع من التربية هو العزيز النادر الذي يقل فينا من يفكر فيه ، وفي الحاجة الشديدة اليه ، وقد رأيتني مضطرا الى التنويه بعد تذكير الطلبة النجباء بالواجبات التي تطالبهم بها أمتهم وملتهم ، فان ضعيف الارادة يستكبر هذه الواجبات ، حتى يعدها من المحال ، الذي لا يدرك ولا ينال ، وأما قوي الارادة فانه يراها من أقرب الامور منالا ، واسهلها طريقا ، وهو لا يأبى ركوب الصعاب ، واقتحام العقاب ؟ ، في المهامه الطامسة الاعلام ، البعيدة الارجاء ، اذا ظن انه يدرك بها الامل وينال الرجاء

ايها الطلبة النجباء !

لا يتفاضل الناس في شيء تظهر به مزاياهم كتفاضلهم في قوة الارادة ، وما آتى الله الانسان قوة يعلو بها شأنه ، ويظهر بها استعداده ، كقوة الارادة ، بقوة الارادة تصرف الانسان في الطبيعة ، وسخر لمنافعه انواع الخليقة ، وعمل بعض افراده من الاعمال ، مالا تعمله الامم في الاجيال ، وقد عبر بعض كبار الصوفية عن سر الله الاعظم في ارادة الانسان بكلمة كبيرة جدا قد يستنكر ظاهرها ويعد اساءة ادب مع الباري عز وجل ولكن هذا ان عد من لوازم الكلمة فهو ليس مرادا لمن قالها . تلك الكلمة الكبيرة هي قوله « ان لله عباد (١) اذا أرادوا أراد » يعني ان أصحاب الارادة اذا جزموا ارادتهم بأن كذا لابد ان يكون فان ذلك يكون سببا كافيا لان يكون وتتعلق ارادة الله تعالى به بحسب سنته في خلقه ، فكأن ارادتهم شعبة من الارادة الالهية ، اولئك اصحاب العزائم الذين تشهد لهم أعمالهم العظيمة ولا شهادة أبلغ من شهادة الاعمال

أيها الشبان النجباء : اعلموا أن من فقد ارادته فقد نفسه ، وكان آلة في يد غيره او تابعا لهوى نفسه ، ولا يمكن ان يكون رجلا عظيما ، ربوا إرادتكم بحملها على ترك الهوى الباطل ، وتعويدها حمل المكاره في سبيل الحق والخير ، لتكونوا مالكين لأنفسكم لا مملوكين لها ، ومن كان عاجزا عن التصرف في نفسه ، فهو جدير بان يكون أعجز عن غيره ، ضعيف الارادة لا يكون الا نذلا جبانا ، والجبان لا يكون

(١) روينا الكلمة بالسكون لاجل السجع وهو موافق للغة ربيعة والا فالقياس ان يقول « عبادا » ويصح ان يقول حينئذ « ارادا » في السجعة الثانية

الا خائنا او منافقا ، فعليكم بالشجاعة والعزيمة والنجدة وعلو الهمة ، فبغير هذه الصفات لا تظهر مزايا الانسانية فيكم

لا تهولنكم الواجبات التي تطلبها الامة منكم فان الارادة الصادقة لا يقف امامها شيء ، الارادة الصادقة أعظم قوة خلقها الله في هذه الارض ، فلا تغفلوا عن تربيتها في انفسكم والاستفادة منها في بلادكم ، وقل من صدقت ارادته في طلب شيء ولم ينله ، اللهم اذا طلبه من أسبابه ، ودخل عليه من بابه ، ان مدرستكم هذه شاهد من أصدق الشواهد على صحة ما أقول ، فانتم تعلمون ان مؤسسها السيد احمد خان رحمه الله تعالى قد صادف في سبيلها المصاعب ، واحتمل المتاعب ، ولولا قوة ارادته وثباته لقضي عليها في طفوليتها ، فهو بما كان عنده من العزيمة والثبات قد غالب المصاعب وصارعها ، حتى غلبها وصرعها ، ووصلت المدرسة الى الدرجة التي ترونها من السعة والعظمة ويرجى لها المزيد ، فهل كان يخطر مثل هذا في بال أحد من الجبناء أصحاب الارادة المريضة في طور تأسيس هذه المدرسة ؟ ولو قصد السيد أحمد خان ماهو أعلى من ذلك وأعم فائدة لناله بقوة الارادة ، وقد علمتم أن المدرسة أنشئت لغرض لا بد للمسلمين في الهند منه فكانت الطريق الموصل اليه ، وان هذا الغرض ليس هو كل المطلوب لامة مثل أمتكم هي في بلادكم على خطر اجتماعي واقتصادي بسبق الوثنيين لكم في العلم والثروة والاتحاد على كثرتهم وقلتكم ،

انني كررت النذر ورددت الذكرى عسى أن تسموا بأصحاب الاستعداد هممهم الى تربية أنفسهم ، واعدادها لخدمة أمتهم وملتهم ، وعدم الرضا لها بالضعة والخمول ، والقناعة بترفيه هذا الجسد الحيواني باللباس والقوت ، كونوا قدوة صالحة لامتكم بالفضيلة والتقوى والمحافظة على شعائر الدين وفرائضه ، كونوا مستقلين في عقولكم وأفكاركم ، مستقلين في ارادتكم ، بحيث لا تخافون في سبيل الحق والمصلحة لومة لائم ، واياكم والتقاليد والبدع الغريبة التي تبعد أهل ملتكم عنكم وتبعدكم عنها ، كونوا جامعين لا مفرقين ، كونوا مرغبين للامة في العلوم العصرية التي تنمي الثروة ، وترقي جميع مرافق البشر ومنافعهم ، ولا تكونوا بسيرتكم الشخصية منفرين لهم منها ، ان المسلمين في بلادكم انقسموا في كل بلاد دخل فيها التعليم الأوربي الى ثلاثة أقسام ، قسم فتن بالجديد بمقت كل القديم ، وقسم جمد على القديم فهو ينفر من كل جديد ،

وقسم معتدل بينهما ، يأمر بالمحافظة على القديم النافع وترك الضار منه بالتدريج ، واضافة ما لا بد منه من الجديد بشرط حفظ مقومات الامة ومشخصاتها والحذر من فنائها في غيرها ، فكونوا من المعتدلين الجامعين فأنتم في قومكم أعرف من غيركم بالحاجة الى هذا الجمع ، وخطر الخلاف والتفرق ، وأمامكم الامة الانكليزية في سيرتها وأخلاقها عبرة لكم لاتضاهيها عبرة ، انها لا تترك شيئاً من عاداتها ولا تقاليدها ولو الى أحسن منه الا اذا اضطرت اليه فانها تأتيه بالتدريج والا أصرت عليه كما تصر على مقايسها ومكايلها ولا تتركها الى المقاييس والمكاييل التي هي خير منها ، والعاقل من اعتبر بغيره والله الموفق واياه أسأل أن يتم النفع بكم لامتكم انه سميع مجيب

بشائر عيسى ومحمد (*)

﴿ في العهدين العتيق والجديد ﴾

٥

(١) ما يدرينا أنه وبخهم ولم يصل إلينا ذلك مع العلم بأن نفس كتاب الاناجيل اعترفوا بأنهم لم يكتبوا كل ما قاله المسيح أو ما فعله فقال يوحنا انه لم يكتب كل ما فعله المسيح وأن أعماله كثيرة جدا لا يسعها العالم فلا بد أن كثيرا من أقواله التي قالها حين فعل هذه الاعمال لم تكتب أيضا (يو ٢١:٢٥)

على أن المسيح صدق ما فيها من الشرائع والنبوات فقط كما في انجيل متى ٥:١٧ و ١٨ ولم يتعرض للتاريخ الذي فيها بشيء كهذا الذي في انجيل متى فان كثيرا من هذا التاريخ غير صحيح و بعضه خرافي لا يمكن أن يقره المسيح كقصة شمشون ودليلة (قض ١٦:٤ ـ٢٢) ووقوف الشمس ليشوع (يش ١٠ : ١٣) وغير ذلك كثير

(٢) لماذا لم يوبخ المسيح اليهود على الكتب الابوكريفية (الكاذبة) التي كانت في الترجمة السبعينية وقتئذ وكانت مسلمة عند اليهود والنصارى كما هي مسلمة عند الكاثوليك والأورثوذكس إلى اليوم ؟ فان قيل إنهم ربما لم يكونوا

(*) تابع لما نشر في الجزء السابع ص ٤٩٤ بقلم الدكتور محمد توفيق صدقي

يعتقدون أنها ملهمة من الله في ذلك الوقت . قلت وربما إنهم أيضا لم يعتقدوا صحة نسبة هذه الكتب الى موسى عليه السلام واذا كانو يسمونها (كتب موسى) فذلك لان أهم ما فيها هو تاريخه وتاريخ أمته عليه السلام كما يسمى تاريخ المسيح وتعاليمه إنجيله (غل ١ : ٧) مع أنه لم يكتبه بنفسه فيجوز أنهم ما كانوا يعتقدون أنها إلهامية ويجوز أنهم ما كانوا يضمونها إلى سفر التثنية في مجلد واحد وقد يكون هذا الضم وهذا الاعتقاد في إلهامها وصحتها إنما نشأ بعد المسيح عليه السلام في أواخر القرن الاول فبدأوا حينئذ يعتقدون أن موسى هو كاتبها لا غيره ثم تبعهم النصارى في ذلك وجاروهم ليستميلوهم لدينهم ولأنهم كانوا منهم

(٣) لماذا لم يبين المسيح للمرأة السامرية التي سألته عن اختلاف اليهود والسامريين في جبلي عيبال وجرزيم ـ لم يبين لها بيانا صريحا المحق من المبطل ولم لم يذم المحرف منهما ويشهر به (يو ٤ : ٢١) ؟ ؟ (١)

(١) حاشية : مما قاله عيسى عليه السلام لهذه المرأة السامرية كما في انجيل يوحنا ٤ : ٢١ « يا امرأة صدقيني انه تأتي ساعة لا في هذا الجبل ولا في أورشليم تسجدون للاب » وهذه العبارة تتضمن الاشارة الى الديانة الاسلامية التى تجيز السجود لله في كل مكان والقبلة فيها الى مكة لا الى أورشليم ولا الى غيرها . واليهود والسامريون الذين أسلموا صاروا يعبدون الله متجهين الى الكعبة . وهذه القصة السامرية تدلنا على السبب الحقيقي الذي جعل عيسى لا يبالي بالتصريح ببيان المكان الذي ينبغي أن يسجد فيه لانه علم أن الشريعة الموسوية في هذه المسألة زائلة والشريعة الباقية التي ستأتي يسجد بحسبها الناس في كل مكان والي غير أورشليم ولغير جبل السامريين . وهذا السبب بعينه هو الذي حمل عيسى على عدم بيان الكتب الابوكريفية وغيرها التي يتخبط في شأنها النصارى الى الآن لانه علم أن جميع هذه الكتب ستتبدل بكتاب (الفارقليط) الذي قال فيه يو ١٦:١٢ و١٣ « ان لي امورا كثيرة أيضا لاقول لكم ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الان . وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم الى جميع الحق لانه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية » ولا يصح حمل هذه العبارة على « روح القدس » كما تدعي النصارى لانه هو عين الله تعالى كما يزعمون ولا معنى حينئذ لقول المسيح « لانه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به » ولم بأنهم روح القدس بشيء لم يكن في زمن عيسى أو كان حمله شاقا عليهم فمحمد صلى الله عليه وسلم هو الذي كان يتكلم بما يسمع من وحي الله اليه « وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى » وهو الذي بين للناس الحق من الباطل في أمر هذه الكتب وقال قرآنه « فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون » وقال « يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب و يعفو عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين » وشرع للناس شرائع كثيرة فكأن عيسى عليه السلام لما علم =

(٤) إن المسيح عليه السلام وبخهم على ابطال شريعة موسى بتقاليدهم وأنهم

= أن هذه الكتب سيحل محلها القرآن الذي قرب بمجيئه وجاء هو مبشرا به وأنها ليست باقية الى الابد بل سيستعاض عنها قريبا بالقرآن الذي سيبين أمرها لهم كثيرا بتبيين صحيحها من فاسدها بل أفرغ جهده كله في تبيين حقيقة الدين وروحه وجوهره وفي أن الله لا يبالي بالصور والظواهر بل بالقلوب والنفوس وبالغ في ايضاح هذه المسائل حتى يرد اليهود عن غلوهم في اعتبار ظواهر الدين وقشوره (أو طقوسه ورسومه كما يعبرون) ليعد النفوس لقبول الشريعة الاسلامية المتوسطة بين الافراط والتفريط والتي جمعت بين مطالب الروح والجسد وبين الظواهر والبواطن كما قال تعالى (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس) وقد ترك عيسى عليه السلام بيان ما حل بهذه الكتب من الفساد لعلمه أنها كادت تنتهي وظيفتها وأنها زائلة قريباً وأن العبرة بجوهر الدين لا بقشوره كما ترك الافصاح عن الموضع الذي ينبغي أن يسجد فيه واختلف فيه اليهود والسامريون لكونه يعلم ان الشريعة الآتية الباقية ستعين موضعا آخر غير موضع اليهود والسامريين وان أمثال هذه الاختلافات الجزئية ستزول بطبيعة الحال ويكفي ان يأخذ اتباعه بلب الدين وجوهره ولا يضيعوا اوقاتهم في الخلاف في جزئياته وقشوره حتى تنطبع نفوسهم على الأخذ بالروح والحقيقة لا بالظواهر التي كانوا قد اهملوا كل شيء في سبيل العمل بها ومتى استعدت النفوس لقبول الحق وابقاء الروح والجسد مطالبهما من غير افراط ولا تفريط جاء محمد عليه السلام بالشريعة الوسطى وارشد الخلق لجميع الحق كما بشرهم عيسى عليه السلام من قبل فتختم به حينئذ النبوة (دا ٩ : ٢٤) ويحفظ الله دينه الى الابد (دا ٢ : ٤٤)

ولو كان عيسى عليه السلام يعلم ان كتب اليهود ستبقى الى الابد لما ترك الناس حيارى في شأنها ولوجب عليه تبيين صحيحها من فاسدها حتى لا يبقى أتباعه في أمرها الى الآن ضالين فيرفض بعضهم ما يأخذ به الآخرون ويعتقدون اليوم بكتاب منها أو بأصحاح فيظهر لهم غدا أنهم كانو مخطئين فهم يتلمسون الحقيقة ولا يجدونها الا بالاخذ بالاسلام وحينئذ يستريحون من عنائهم في هذه الكتب المجهول أصلها هداهم الله الى سواء السبيل

هذا ولما كان مجيء الساعة التي يسجد فيها الناس لغير قبلة أورشليم وقبلة جبل السامريين محققا وأمرا مقضيا من الله ولا بد من وقوعه قال المسيح يو ٤ : ٢٣ (ولكن تأتي ساعة وهي الآن حين الساجدون الحقيقيون يسجدون للاب) فكأن الساعة موجودة بالفعل وقت الكلام لتحقق اتيانها ولذلك قال (وهي الان) وهذا يشبه قوله تعالى (أتى أمر الله فلا تستعجلوه) وورد أيضا في كتاب حزقيال مثل هذا فقال ٣٩ : ١ - ٨ (وانت يا ابن آدم تنبأ على جوج وقل هكذا قال السيد الرب - الى قوله - ها هو قد أتى وصار يقول السيد الرب هذا هو اليوم الذي تكلمت عنه) مع ان هذا اليوم لم يكن وقتئذ أتى ولا صار فيه شيء مما أنبأ به وانما قال ذلك لتحقق حصوله فكذلك قول المسيح عليه السلام السابق وقد قال مثل ذلك أيضا في يوم القيامة كما في انجيل يوحنا هذا ٥ : ٢٥ و ٢٨ فورد فيه ما يأتي (الحق الحق أقول لكم انه تأتي ساعة وهي الان حين يسمع الاموات صوت ابن الله والسامعون يحيون) الى قوله فانه تأتي ساعة فيها يسمع جميع الذين في القبور صوته فقوله وهي الان لتحقق اتيانها ولقربه بالنسبة لما مضى من الازمان وكذلك قوله متى ٢٦ : ٦٤ (وأيضا أقول لكم من الآن تبصرون ابن الانسان جالسا على يمين القوة وآتيا على سحاب السماء) مع أنه الى زمننا هذا لم يأت المسيح على سحاب السماء

يعلمون تعاليم ليست من الله بل من الناس وأنهم يفعلون أمورا كثيرة مثل هذه (مرقس ٧ : ٦-١٣) فما المانع من أنه يريد بقوله (أمورا كثيرة مثل هذه) وقوله (تعاليم هي وصايا الناس) أنهم يكتبون أشياء وينسبونها إلى موسى عليه السلام مدعين أنها من الله وهي ليست منه بل هي من اختراعاتهم وقد سبق أننا قلنا أن ماعدا سفر التثنية من أسفار موسى الاخرى لم يكتبه هو بل تعتبر من التقاليد (الاحاديث) المروية بالرواية الشفوية ثم كتبت بعد فلعل ذلك هو المراد بقول المسيح (مر ٧ : ١٣) (وأمورا كثيرة مثل هذه تفعلون) على أن المسيح عليه السلام لم ينبههم الى ماوقع في نفس سفر الشريعة (التثنية) من الخطأ العلمي الصريح كالقول باجترار الارنب الجبلي (تث ١٤:٧) لما ذكرناه هنا في الحاشية من ان هذه الشرائع كانت مؤقتة وانها زائلة بالاسلام (١) وأن محمد سيبين لهم كل شيء كما قال عيسى عليه السلام (يو ١٦ : ١٢ و ١٣) لعدم استعدادهم في زمن المسيح لقبول ذلك

هذا وقد اعترف بطرس في رسالته الثانية بأن الناس كانوا يحرفون الرسائل والكتب فقال ٣ : ١٦ (كما في الرسائل كلها أيضا متكلما فيها عن هذه الامور. التي فيها أشياء عسرة الفهم يحرفها غير العلماء وغير الثابتين كباقي الكتب ايضا لهلاك أنفسهم) والتحريف هنا يشمل المعنوي واللفظي أيضا وتخصيصه بالمعنوي لا دليل عليه فاذا كانوا يحرفون الأشياء العسرة الفهم في كتبهم في زمن الرسل أنفسهم كما يدل عليه هذا القول فما بالك بغير زمنهم بعد ان ماتوا وذهبوا ؟ وقال بولس ايضا غل ١ : ٧ (انه يوجد قوم يزعجونكم ويريدون ان يحولوا «يحرفوا» انجيل المسيح) وهو يدل على ان رغبة الناس في تحريف الانجيل كانت قديمة منذ نشوء المسيحية. ولا ندري اي انجيل من الاناجيل الكثيرة كان محبوبا عند بولس ويسميه (انجيل المسيح) ولعله كان احد الاناجيل التي رفضوها وسموها بالاناجيل الكاذبة

(١) حاشية : جاء الامر بالاسلام لله في أقدم كتبهم فقال في سفر أيوب (ويظن انه كان قبل ابراهيم) ٢٢ : ٢١ (تعرف به وأسلم) وفي العبري وشلام أي كن مسلماً وهذا مصدق لقوله تعالى (ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون)

وجملة القول في هذه المسألة أن المسلم لا يمكنه أن يثق بشيء مما يسمونه الآن التوراة والانجيل اللهم الا جل الشريعة الموسوية كما في سفر التثنيه وبعض أقوال المسيح ومواعظه كالتي في الاصحاح ٥ و ٦ و ٧ من انجيل متى فاننا نرجح أنها صحيحة غير محرفة والقرآن الذي ثبتت صحته بالبراهين القاطعة هو الميزان الذي نوزن به هذه الكتب فما صدقه منها كان حقا وما كذبه كان باطلا (وانزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا (١) عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون)

﴿ تذييل لهذا الفصل الثالث ﴾

وفيه مسألتان

(المسألة الاولى : في كلمات الله . وفي تسمية المسيح بالكلمة)

يزعم بعض النصارى أن كتبهم المقدسة لا يمكن تحريفها ولا تبديلها لقوله تعالى (أفغير الله أبتغي حكما وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلا والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين * وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم)

(١) حاشية: المهيمن هو الرقيب والشاهد. فالقرآن المنزل من عند الله الرقيب على كل شيء يشهد على هذه الكتب بما فيها من الحق والباطل وبما يدخلها من الفساد فيقرر ذلك لنا ويعترف به اعتراف الشاهد الذي رأى وعلم بما يقرره فهو عليها رقيب شهيد . يحق حقها ويبطل باطلها . وكذلك الامة الاسلامية تشهد وستشهد على من سبقها من الأمم الأخرى في الدنيا والآخرة بما أخبرنا الله تعالى من أحوالهم مع أنبيائهم . فالمسلمون وكتابهم رقباء شهداء على غيرهم وعلى كتبهم بما أعلمهم الله تعالى كالشهيد الذي يرى فيقرر ويعترف بما يوقن به . ولذلك قال تعالى (لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) فالشهادة هي الاقرار والاعتراف بما يرى أو يعلم باليقين كانه مشاهد ومن ذلك قول المسلم (أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمداً رسول الله)

أما كون كتب النصارى واليهود محرفة فهذا لا شك فيه كما سبق بيانه وأما كون التوراة والانجيل منزلين من عند الله لهداية الناس فهذا أيضا لا شك فيه وأما زعم أن القرآن لم يقل بتحريفهما اعتمادا على مثل الايتين السابقتين فهو قول باطل لأن القرآن نص على تحريفهما في عدة آيات : منها قوله تعالى (أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون) وقوله (فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون) وقوله (يحرفون الكلم من بعد مواضعه) وقوله (يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به ولا تزال تطلع على خائنة منهم) وقوله (قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب) وغير ذلك كثير وهو دال على وقوع التحريف والتبديل في هذه الكتب والزيادة عليها والنقص منها وقد أثبتنا ذلك كله في هذا الفصل ولا يزال الانسان يطلع - كما قال تعالى - على خائنة منهم إلى اليوم

أما الآية السابقة التي تمسكوا بها في عدم تبديل كلمات الله فهاك معناها :-

قال تعالى (أفغير الله أبتغي حكما وهو الذي أنزل اليكم الكتاب مفصلا والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين) فهم يعلمون ذلك لكثرة ما في كتبهم من البشائر بمحمد صلى الله عليه وسلم ودينه وأمته ووضوح ذلك فيه بحيث لا يمكن انطباقه على أحد سواه وسيأتي بيان ذلك في فصل البشائر ثم قال تعالى (وتمت كلمة ربك) أي تحقق وعده بمجيء محمد عليه السلام وقد ورد هذا اللفظ « تمت » بهذا المعنى أيضا في قوله تعالى في آخر سورة هود « وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين » وقوله بعد ذلك (صدقا وعدلا) أي تحقق هذا الوعد وظهر صدقه وكان ما حدث من مجيء محمد وشريعته مطابقا لما أخبر به من قبل تماما بلا زيادة ولا نقصان فان معنى (العدل) المساواة كما في قوله تعالى (أو عدل ذلك صياما) أي ما يساويه من الصوم فوعد الله بمحمد تحقق بغاية الدقة والضبط وقد حدث كل ما أخبر به عنه في الكتب السابقة ولم يتخلف منه شيء فان وعد

الله لا يمكن أن يتبدل أو يتغير وليس لاحد أدنى قدرة على إخلاف ما أنبأ به تعالى ومصادمة الحوادث وتغييرها حتى لا توافق وعده فان كل ما قضاه تعالى لا بد أن يكون ولو حالت السموات والأرض والجبال دونه ولذلك قال تعالى (لا مبدل لكلماته) أي لا مغير لقضائه ولا مخالف لوعده فليس المراد بالكلمات هنا نفس الألفاظ والعبارات بل كل ما قضاه الله تعالى وحكم به وقدره فلا يمكن لأحد أن يمنعه من تنفيذه وقد ورد مثل هذا المعنى في قوله تعالى (سيقول المخلفون إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها ذرونا نتبعكم ، يريدون أن يبدلوا كلام الله ، قل لن تتبعونا ، كذلكم قال الله من قبل) فالمخلفون لم يريدوا قط أن يبدلوا نفس ألفاظ قول الله وإنما ارادوا ان يعملوا بخلاف ما أمر به وقضاه فسمى ذلك تبديلا لكلام الله أي تبديلا لأمره وقضائه بأن لا يخرجوا للقتال مع رسول الله (ص)

فكلمات الله تطلق على عدة معان فقد ترد بمعنى كتبه وشرائعه وقد ترد بمعنى قضائه وقدره كما بينا هنا وقد ترد أيضا بمعنى مخلوقاته تعالى لأنها خلقت بكلمة (كن) فكانت فهي توجد بمجرد صدور هذا الأمر منه بلا تباطؤ ولا تأخير. قال تعالى لمريم (كذلك الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون) فبكلمته تعالى خلقت السموات والارض كما قال داود في أحد مزاميره (مز ٣٣ : ٦) ومن ذلك تسمية المسيح بكلمة الله فانه خلق بدون أب ليكون آية للعالمين دالة على كمال قدرة الله تعالى على سائر الممكنات ولتنبيه البشر إلى عدم الاغترار بمعلوماتهم وأفكارهم وإظهار أنهم لا يزالون عاجزين عن الاحاطة باسرار نواميس هذا الكون العظيم وسنن الله فيه وأنه تعالى قادر على خرق العادات ونقض ما يتوهمونه ناموسا لا يمكن نقضه لقصر عقولهم ونقص معلوماتهم التي اغتروا بها وظنوا أن الخالق تعالى مقيد بها وخصوصا في ذلك الزمن زمن انتشار الفلسفة اليونانية القائلة مثلا باستحالة الخرق على الاجرام السماوية وغير ذلك من أوهامهم الباطلة التي كانت عقبة في سبيل العقل البشري تحول دون ارتقائه وتوسعه في العلم والعرفان والابداع والاختراع

فلما كان الناس يعدونه من المستحيلات خلق الحيوان بدون أب فأظهر الله

تعالى لهم بمسألة المسيح أن الامر ليس كذلك فاستعدت العقول للبحث والتنقيب حتى هدى الله الباحثين في المخلوقات إلى أمثال لذلك كثيرة فشاهدوا في بعض أنواع الحيوانات الصغيرة كقمل النبات مثلا (Aphides) ما يسمونه بالتولد البكري (Parthenogenesis) وذلك أن الانثى تلد بدون تلقيح الذكر ويتكرر ذلك في عدة أجيال من نوعها وبعد ذلك يحتاج الجيل الاخير للتلقيح ، ومن العلماء المتأخرين من يقول الآن بجواز حصول ذلك في الانسان أيضا وغيره من الحيوانات الراقية قياسا على ما شهدوه من أن ما يحصل في بعض أنواع الحيوانات على سبيل القاعدة قد يحصل مثله على سبيل الشذوذ في غيرها ومن الجنون أن يتخذ مثل هذا الشذوذ في المخلوقات دليلا على ألوهيتها كمن يتخذ المرأة التي لها اكثر من ثديين إلهة ويعبدها لانه لم يَرَ امرأة اخرى مثلها او لم يسمع بذلك وكمن يعبد امرأة احصنت فرجها عن الزنا ولكنها حملت وهي عذراء من زوج لها عنين لم يمسسها بالجماع المعتاد بين صحيحين بل بالاحتكاك الخارجي فقط مع الانزال فظن العابد لها ان ذلك مستحيل مع ان الامر ليس كذلك بل هو واقع مشاهد

فليس المسيح عليه السلام وحده آية دون سائر المخلوقات بل هو فقط من اعجب العجائب وأكبر الآيات (وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون) وكما انه سمي (بكلمة الله) كذلك سائر المخلوقات سميت بكلمات الله قال تعالى (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله ـ إلى قوله ـ ولو أن ما في الارض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم . ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة) الآيات وقال أيضا للدلالة على عظم نعيم الجنة وسعته وبقائه (قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا) فالمراد بكلمات الله في هذه الآيات مخلوقاته تعالى كما يدل على ذلك السياق فيها. وسمي (المخلوق) بالكلمة من باب تسمية الشيء بسببه على سبيل المجاز المرسل كاطلاق اليد على النعمة

في قول القائل عظمت يد فلان عندي) أي نعمته التي سببها اليد فكذلك مخلوقات الله لما كونت بكلمات الله سميت (بالكلمات) فآدم والمسيح وسائر البشر هم كلمات الله وإنما اشتهر المسيح بين المسلمين بالكلمة دون آدم مثلا لايضاح كيفية خلقه لينفي عنه اعتقاد النصارى بألوهيته واعتقاد اليهود بأنه ابن زنا(١) ولانه أحدث من آدم عهدا بالنسبة إلينا ونعلم من اخباره وأحواله ما لا نعلمه عن آدم فهو آية لنا قريبة وله من المعجزات العظيمة ما يجعله أولى بهذا الاسم من سواه فانه فضلا عن كونه خلق بدون أب تكلم في المهد وخلق من الطين طيرا وأحيا الموتى وابرأ الأكمه والأبرص باذن الله فلاجتماع هذه الاشياء كلها فيه كانت تسميته بالكلمة اظهر من تسمية غيره وإن كان الناس كلهم كلمات الله كما تقدم . انظر مثلا خالدًا بن الوليد فانه سمي (سيف الله) لشجاعته العظيمة ولاهلاكه اعداء الله فهل اشتهاره بهذا الاسم يدل على ان غيره غير جدير به ؟ وكما ان الله اباد بخالد كثيرا من اعدائه فسمي (سيفه) كذلك المسيح خلقه الله خلقا عجيبا واجرى على يديه معجزات عظيمة وآيات كبيرة وبه ظهرت قدرة الله تعالى للناس فسماه لذلك كلمته مبالغة واكراما له كأنه هو نفس الكلمة التي فعل الله بها هذه الاشياء على يديه كما أن خالدًا شبه بالسيف الذي يقطع الله به الاشرار وفي الحقيقة ليس لله كلمة ملفوظة عند إرادة الخلق ولا له سيف محسوس وإنما هي مجازات معهودة في اللغات كلها ولمثل ذلك سمي المسيح أيضا روح الله لانه يحيي النفوس والجماد والموتى

ومن هذه المجازات نشأ غلط النصارى لظنهم أن (الكلمة) شيء موجود ممتاز عن الله امتياز الأشخاص بعضها عن بعض وأن هذه الكلمة هي التي أوجدت جميع المخلوقات فزعموا ان المسيح هو الخالق لكل شيء غلوا منهم وافراطا مع ان الكلمة ليست شيئا ممتازا بل لا وجود لها في الحقيقة إلا إذا أريد بها القدرة وهي إحدى صفات الله تعالى وليس من المعقول أن الصفات تكون أشخاصا

(١) راجع كتابنا (الخلاصة البرهانية على صحة الديانة الاسلامية) المطبوع لاول مرة سنة ١٣١٦ هجرية

(أو أقانيم) ممتازة بعضها عن بعض قائمة بذاتها بل هي صفات لا تقوم إلا بالذات العلية والفرق بينها وبين الذات الالهية في الكنه والماهية كالفرق بين الجوهر والعرض والصفة والموصوف . فكيف إذا يكون الآب (وهو الله) مثل الكلمة والروح ؟ ولماذا لم تجعل الصفات الأخرى لله تعالى (وهي اكثر من ثلاثة) أقانيم أيضا كالعلم والارادة والسمع والبصر وغيرها ؟

وإذا كان الابن خالقا لكل شيء فما وظيفة الأب إذاً ؟ وأي شيء خلقته روح القدس إذا كانت هي المرادة بقول داود ٣٣ : ٦ (بكلمة الرب صنعت السموات وبنسمة فيه كل جنودها) كما يزعمون ؟ فما هي الجنود التي صنعتها الروح إذا صح أن كل شيء بالابن كان وبغيره لم يكن شيء مما كان كما قال يوحنا (١ : ٣) ؟

ومن المجاز أيضا إطلاق كلمة (وحي) على (المُوحى) كما في أشعياء (١٣ : ١) وإطلاق كلمة (الخلق) على (المخلوق) والارادة على الشيء المراد كما في قول المسيح لو ٢٢ : ٤٢ (ان شئت أن تجيز عني هذه الكأس . ولكن لتكن لا إرادتي بل إرادتك) أي ليكن الشيء الذي تريده أنت لا ما أريده انا وبمثل تعبيرنا نقل هذا القول مرقس في انجيله (١٤ : ٣٦)

ومن المبالغة المعتادة تسمية الشيء الجميل بالجمال والحسن بالحُسْن ونحو ذلك كثير . ومن الناس من سمي (رحمة الله) و (نعمته) و (حزبئيل) أي بصرُ الله و (عزري) أي عون الله . وقد سمي احد انبياء بني اسرائيل (بحزقيال) ومعناه (قوة الله) وهو ابلغ في الدلالة على القدرة على الخلق من تسمية المسيح (بكلمة الله) فان الكلمة تطلق على معان أخرى منها - كما قلنا - أحكام الله وشريعته ولذلك سميت الوصايا العشر بالكلمات العشر (تث ١٠ : ٤) . فهل يصح أن يقال من أجل ذلك إن (قوة الله) أو قدرته تجسمت حقيقة ونزلت إلى الارض وظهرت للناس كما قال يوحنا في حق المسيح لأنه سمي بكلمة الله (يو ١ : ١٤) ؟ ولماذا اختص حزقيال بهذا الاسم دون سائر الانبياء ؟ وأي فرق بينه وبين تسمية المسيح بالكلمة ؟ الحق ان النصارى أخذت مذهبها

في (الكلمة) من مذهب الرواقيين فيها فان مذهبهما واحد. والرواقيون هم أتباع الفيلسوف (زينون) اليوناني الذي عاش من سنة ٣٤٠ الى ٢٦٠ قبل الميلاد وكان يعلم فلسفته في رواق شهير بأثينا وكان يعتقد أن الكلمة (Logos) هي الشيء العامل في الكون والخالق له والكائن فيه ومن ذلك نشأ مذهب النصارى في القرون الاولى فقالوا إن الكلمة صارت جسدا وحلت بين الناس وكانت موجودة في الازل وهي التي خلقت كل شيء !! وبذلك تقربوا من الرومانيين حتى دخلوا في دينهم أفواجا أفواجا لان الفلسفة اليونانية كانت هي السائدة على عقولهم ومعتقداتهم ولذلك ترى ان المسيحية أدخلت فيها أشياء كثيرة من أفكار اليونانيين والرومانيين حتى أن تعظيم يوم (الاحد) بدل (السبت) مأخوذ عنهم كما ستعلم

ويجوز ان المسيح ما كان يسمى بالكلمة في عصره وإنما سمي بذلك فيما بعد في انجيل يوحنا اخذا عن الفلسفة اليونانية ولما جاء القرآن اخذ هذا الاسم عن النصارى وأراهم كيف يمكن تحويل المراد منه عندهم الى معنى صحيح غير مايفهمونه يناسب عقيدة القرآن في المسيح عليه السلام من أنه عبدالله ورسوله المخلوق بكلمة الله وقدرته فيكون ذلك من ضمن اسباب تسميته على انفراد بالكلمة في القرآن

هذا واعلم ان امتياز المسيح أو غيره ببعض الاشياء أو اختصاصه بها لا يدل على أنه أنضل من جميع الأنبياء كما أن امتياز ابراهيم بكونه خليل الله وموسى بكونه كليم الله وبكثرة الآيات والمعجزات وعظمها ووضوحها لا يدل على أنه أفضل من المسيح مثلا بل ان اشتهار الخليل بهذا الاسم لا يدل على أن ليس هناك لله خليلا مثل ابراهيم. أرأيت اذا فاق أحد التلاميذ في علم مَّا من العلوم جميع أقرانه فهل يستلزم ذلك أنه اعلمهم في كل شيء وأولهم وأرقاهم ؟ كلا !!

﴿ المسألة الثانية ﴾

« في نقض النصارى ناموس الله »

من العجيب أن النصارى تركوا قول المسيح بعدم نقضه الناموس (متى ٥:١٧) واتبعوا أهواءهم وأقوال بولس وأضرابه حتى أبطلوا لأجلها جميع شرائع التوراة

ولم يعملوا بواحدة منها كما أمروا في أسفار موسى فتراهم مثلا تركوا تعظيم اليوم السابع الذي باركه الله وقدسه (تك ٢: ٣) وأمرهم بحفظه (تث ٥: ١٤ وخر ٣١ : ١٥ و٣٥: ٢ و٣) وجعله فرضا أبديا عليهم (خر ٣١ : ١٥ ـ ١٧) وأوجب عليهم أن لا يعملوا أي عمل فيه وأن لا يشعلوا نارا في مساكنهم وأن يقتلوا كل من خالف هذه الاوامر (خر ٣٥ : ٢ و٣) فاستبدلوا اليوم الاول (الاحد) باليوم السابع ومع ذلك لم يحفظوه أيضا كما كان يحفظ السبت موسى وعيسى والانبياء

ففي أي موضع من الاناجيل أبدل المسيح (او تلاميذه) يوم السبت بالاحد وأجاز لهم العمل فيه ومخالفة أوامر التوراة؟ ولماذا لم يقم عليه السلام من الموت في اليوم السابع (السبت) حتى يتفق سبت النصارى مع سبت اليهود الذي قدسه الرب قديما ؟ أو لماذا لم يقدس الله يوم الاحد منذ البدء ويجعله هو يوم الراحة للأمم ليكون ذلك إشارة إلى قيامة المسيح المزعومة في ذلك اليوم الذي لم يعرف تعظيمه في الكتب الالهية القديمة بل كان يعظمه بعض الوثنيين الذين خصصوه لعبادة الشمس ـ أعظم آلهتهم ـ ولذلك سموه ويسمى عند بعض الامم للآن (يوم الشمس) (Sunday) فالنصارى تركوا أوامر الله التي في التوراة واتبعوا الوثنيين وعظموا يومهم !!

وكذلك تركوا الختان وهو فرض عليهم في الشريعة الموسوية (لاويين ١٢:٣) وجعله الله علامة عهد أبدي بينه وبينهم واوجب قتل كل من نكث هذا العهد ولم يختتن في لحم غرلته (تك ١٧: ٩ ـ ١٤) وقد ختن عيسى عليه السلام نفسه (لو ٢:٢١) ولكن بولس ـ وهو لم ير المسيح في حياته ـ قال لهم (غلا ٥ : ٢) (ان اختتنتم لا ينفعكم المسيح شيئا) وقال (كو ٢ : ١٦) « فلا يحكم عليكم أحد في أكل أو شرب أو من جهة عيد أو هلال أو سبت » فهم لذلك تركوا جميع أحكام الناموس ولم يبالوا بها مع أن المسيح لم يأت لينقضها ـ كما قال ـ ولكنهم رجحوا أقوال بولس هذه على أقوال الله ورسله وتمسكوا بتأويلات ضعيفة ركيكة مضحكة ليعتذروا بها عن إبطال تعظيم اليوم السابع والختان في لحم الغرلة وغيرهما من أحكام الله مع أن حكمهما كان عليهم فرضا أبديا كما بينا. فلا أدري كيف اذاً أبطلوه واذا كانوا هم انفسهم لا يعملون بأحكام هذه الكتب فما فائدة ايمانهم بها ولماذا يريدون أن يعمل المسلمون

بهذه الشرائع التي هجروها وأبطلوها ؟! وما الداعي الى المناقشة بيننا وبينهم في هذه الكتب والحال أنهم قد نقضوها ولم يعبأوا بها ؟

ومن أغرب أمورهم أن كل كلام لم يوافق أهواءهم لجأوا الى تأويله وباب التأويل عندهم واسع جدا يدخل فيه كل مكابرة وتحريف للاصل . ولا أدري أي كلام كان يمكن لموسى أو غيره أن يقوله لهم حتى يوقف سير تأويلاتهم هذه الفاضحة المخزية وحتى يعترفوا بأنهم مكابرون معاندون لله ولشرائعه ؟

فانظر مثلا الى تأويلهم في مسألة حفظ اليوم السابع (السبت) ومسألة الختان الجسداني تَرَ العجب العجاب الذي تضحك منه الثكلى فما أعجب عقولهم وما أغرب أفهامهم . والله لولا أننا نراهم بأعيننا ماصدقنا بوجود أمثالهم بين البشر

وقد غر طائفة المبشرين ماوصلت اليه أوربة من العلم والمدنية مع أنها ماوصلت الى ذلك بمثل هذه الافكار القسيسية ولا بعقائدهم الدينية المصادمة للبداهة العقلية، بل وصلت الى ذلك باتباع أحكام العقل والحس والوجود والدرس والبحث وبعد أن نبذت الخزعبلات والجمود وهذا الدين وراءها ظهريا . والا فقل لي بأبيك في أي شيء يتفق الدين الذي يأمر بالابتعاد عن الدنيا وزخرفها مع تلك المدنية الاوربية المادية ؟ وأي شيء تعمله دول اوربة اليوم وفق تعاليم الدين المسيحي؟ الحق إنه لايوجد بينهم وبين المسيحية علاقة تذكر الا بالاسم فقط كما لايخفى على أهل البحث والنظر . ولا تنس أن أكثر أهل العلم في أوربة ماديون ملحدون فكان الواجب على جماعة المبشرين أن يهدوهم الى دينهم ويحثوا أممهم على العمل به قبل أن يأتوا الى المسلمين . وبعد ذلك يعمل هؤلاء المبشرون انفسهم بناموس موسى ثم يدعون المسلمين للاخذ بهذه الكتب المهجورة من جميع أصناف الناس حتى أتباعها

فان قيل : إذا كان بعض الشرائع حكمها أبديا في شريعة موسى فكيف اذا نسخ في شريعتنا الاسلامية ؟

فالجواب : (١) نحن لانسلم بجميع ألفاظ هذه الكتب اذ يجوز عندنا أن بعضها زيد أو تحرف سهوا أو قصدا - كما بينا - ولايخفى أن اليهود كانوا يظنون أنهم وحدهم شعب الله الخاص وأن دينهم وملكهم باق الى الابد فلا عجب اذا

دخل في كتبهم شيء من هذه الافكار المتعلقة بدوام ملكهم ودينهم ومدينتهم (أورشليم) الى الابد كما قيل عنها في كتاب ارمياء (٣١ : ٣٨ - ٤٠) (لاتقلع ولا تهدم الى الابد) . وليلاحظ القارئ أن لفظ الابد بالنسبة للاحكام يندر وجوده في سفر التثنية وهو السفر الذي نرجح سلامته من الفساد الكبير كما سبق

(٢) لعل دوام دينهم كان مشروطا باستقامتهم وحفظهم له ولعهد الله فاذا نقضوا عهدالله نقض الله أيضا عهدهم وأبطل دينهم كما فعل بملكهم الذي علق دوامه على صلاحهم وتقواهم - كما بيناه سابقا - ولذلك قال في ارميا ٣٣ : ٢٠ و٢١ (ان نقضتم عهدي ...... فان عهدي أيضا مع داود عبدي ينقض فلا يكون له ابن مالكا على كرسيه ومع اللاويين الكهنة خادمي) أي يبطل ملكهم وشريعتهم. (راجع ايضا ٢ أي ٧ : ١٩ - ٢٢ و لا ٢٦ وتث ٢٨ وغير ذلك)

أما إذا استقاموا وكان الله حقيقة وعدهم ببقاء بعض أحكام شريعتهم إلى الأبد فمن الجائز أن الله تعالى ما كان لينسخ هذه الاحكام ويبقيها في الشريعة الاسلامية كما هي أو مع بعض تحوير فيها لا يغير جوهرها ويزيد عليها ما شاء وينقص منها ما لم يكن حكمه أبديا .

لكن الله تعالى علم أنهم لن يستقيموا ولا بد أن ينقضوا عهده فقضى في علمه الأزلي أن يبعث رسولا من اخوتهم بني اسماعيل بشريعة غير شريعتهم وأخبرهم بذلك وأوجب عليهم اتباعه حينما يبعث (تث ١٨ : ١٥ - ٢١) وقد ظهر تمردهم وعصيانهم في زمن موسى نفسه حتى سماهم (شعبا صلب الرقبة) لشدة عنادهم (تث ٩ : ٦) وانذرهم بالابادة إذا عبدوا غير الله وعصوا أوامره (تث ٨ : ١٩ و ٢٠) وقد كان ذلك كله فعصوا الله فأبادهم ونسخ دينهم بدين الاسلام وأعطى أرضهم التي كانوا وعدوا بها إلى الابد (تث ٤ : ٤٠) للمسلمين الذين قال فيهم المسيح لليهود (متى ٢١ : ٤٣) (إن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره) ولا يصح أن يراد بذلك أمة الرومان فان الارض المقدسة كانت إذ ذاك خاضعة لهم ولم تكسبهم المسيحية شيئا جديدا في تلك الارض التي بقيت في أيديهم مؤقتا حتى أخذها الاسلام منهم ولا تزال تابعة له الى اليوم

فكأن الرومانيين أخذوها من اليهود ونزعوها منهم لا لأنفسهم بل ليسلموها للمسلمين (العرب) أصحاب الحق فيها بعد اليهود فان الله تعالى وعد إبراهيم بأن تكون هذه الارض له ولنسله ملكا أبديا (تك ١٧ : ٨) فوهبها أولا لاسحاق (تك ١٧ : ٢١ وخر ٦ : ٤ ومز ١٠٥ : ٩ ـ ١١) ولما نزعها من يد نسله ـ لعدم وفائهم بعهد الله ـ أعطاها لبني اسماعيل (العرب) الذين جعلهم الله أمة كبيرة (تك ١٧ : ٢٠) وصارت يدهم على الكل (تك ١٦ : ١٢) وبذلك أبقى أرض الموعد في نسل إبراهيم إلى الأبد كما وعد تعالى

أما الرومانيون فهم ليسوا من نسله وليسوا أهلها بل كانوا كالمحتلين لها موقتا إلى زمن العرب أربابها بوعد الله فامتلأت بهم الان وستبقى كذلك إلى الابد كما وعد الرحمن (أنظر أيضا دا ٢ : ٤٤ و٧ : ١٨ و ٢٧) وهم قديسو العلي كما سماهم دانيال

(٣) لعل المراد بالابد الابد النسبي كقولك لشخص (افعل ما أمرتك به دائما أبدا) فالمراد أنه يفعله ما دام حيا فاذا مات فلا معنى لامتثال هذا الأمر فكذلك قول الله لهم (افعلوا كذا وكذا إلى الأبد) معناه أن يستمروا على فعله ما داموا أمة حية قوية ذات وجود ممتاز فاذا ضعفت أمتهم وتبددت وماتت فلا يمكنهم أن يمتثلوا هذه الأوامر بعد أن يتلاشى وجودهم المستقل

فاتباع الشريعة الموسوية كان واجبا على اليهود إلى أن تلاشى استقلالهم ومحيت مدينتهم وهيكلهم بعد المسيح وتبددوا في الارض واندمجوا في الامم الاخرى ولم يبق لهم وجود ممتاز حتى صاروا كالشخص الذي مات وتفرقت أجزاؤه ولذلك قال المسيح قبل أن يحصل ذلك إنه ما جاء لينقض شريعتهم بل ليكملها وأنه لا يزول حرف واحد منها حتى يكون أو يكمل الكل (متى ٥ : ١٧ و ١٨) أما إذا أكملت هذه الشريعة وتبددت الامة اليهودية وزالت دولتهم ولم يبق من مدينتهم حجر على حجر (مت ٢٤ : ٢) فحينئذ يكون تكليفهم بهذه الشريعة كتكليف الميت بأي عمل بعد موته

فالاسلام لم يأت الا بعد أن أكمل الناموس و بعد أن ماتت الأمة اليهودية موتا تاما. حتى لم تتم شريعة القرآن الا بعد أن محي كل أثر من القوة كان لليهود

في بلاد العرب التي تحصن فيها بعضهم بعد تشتتهم فمجيء محمد (ص) بالاسلام كان اذا دليلا على فناء الأمة اليهودية وانمحاء شريعتها وناموسها ولذلك قال يعقوب لبنيه انباء عما سيحدث في آخر الزمان (تك ٢٩ : ١ و ١٠) (لا يزول قضيب من يهوذا و مشترع من بين رجليه حتى يأتي شيلون (١) وله يكون خضوع شعوب) فاذا جاء (شيلون) وهو الاسلام (أو السلام كما قالوا) زال ملكهم وشرعهم اما المسيح فما جاء ليزيل شريعتهم ولا علماءها

ومما يدلك على ان (الابد) في التشريع هو الابد النسبي قول الناس (فلان حكم عليه بالسجن المؤبد) و يريدون السجن مدة الحياة. على أن الابد المطلق لا يمكن أن يكون مرادا في الشريعة الموسوية بأي حال من الاحوال لأنه من المعلوم لجميع الانبياء أن الوجود في هذه الارض ليس مستمرا إلى الابد بل سينقطع بقيام الساعة فلا يمكن أن يكلفوا البشر بشيء إلى الابد المطلق لان يوم القيامة سيزيل كل ذلك . وعليه فالأبد هو قطعا الابد النسبي (٢) ولا فرق بين حمله على يوم القيامة (الساعة العامة) أو على موت الأمة وفنائها وانمحاء كل مشخصاتها ومميزاتها (في الساعة الخاصة) فان من مات فقد قامت قيامته كما ورد في الأثر

هذا هو جوابنا على هذا الاشكال . أما النصارى فلا يمكن أن يجيبوا عن هذه الاحكام المؤبدة في الشريعة الموسوية بمثل هذا الجواب لانهم (أولا) لا يسلمون بتحريف هذه الكتب ولا بدخول بعض الافكار الشائعة بين اليهود فيها كما دخل في العهد الجديد بعض خرافات ذلك العصر المنتشرة بين الناس مثل مسألة

---

(١) راجع بحث لفظ (شيلون) في فصل البشائر الآتي

(٢) مما يدل على ان المؤبد قد يكون مؤقتا قوله تعالى في القرآن الشريف (وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده) وعليه فجميع الاحكام المؤبدة في الشريعة الموسوية هي مؤقته بمجيء محمد صلى الله عليه وسلم كأن الله قال لهم (افعلوا كذا وكذا أبدا حتى يأتيكم رسولي الذي اخبرتكم به فأطيعوه) أعني أن المراد بالابد الدهر الطويل أو الابد النسبي كما في المتن

دخول الشياطين في الانسان (١) وخروجهم منه الى غيره والى الحيوانات الاخرى وتكلمهم فيه وتسببهم في بعض امراضه الجسدية والعقلية (وثانيا) إنهم لا يقولون بجواز نسخ الشرائع الالهية عموما (وثالثا) ان المسيح لم يأت لينقض الناموس خصوصا بل ليكمله فيجب عليهم اذاً اتباع كافة أحكام الشريعة الموسوية وعدم تبديل حرف واحد من حروفها وأن يتركوا آراء بولس وفلسفته العجيبة التي تركوا لاجلها حكم الله!!

أما المسلمون فانهم يقولون بتحريف هذه الكتب وعدم التعويل على كل لفظ من ألفاظها كما بيناه وبنسخ بعض أحكامها . كما قال تعالى (فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون) وقال في حق محمد (ص) (ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم) وقال (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) (انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه)وقال (قل لا أجد فيما أوحي اليّ محرما على طاعم يطعمه ـ ...... الى قوله ـ وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الا ماحملت ظهورهما (٢) ـ الى قوله ـ ذلك جزيناهم ببغيهم وإنا لصادقون)

(١) حاشية : قول القرآن الشريف (لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس) لا يقتضي وجود ذلك بالفعل في الخارج فان من المشبه به ما لا وجود له الا في الذهن والخيال كقوله تعالى (طلعها كأنه رؤوس الشياطين) وكقول الشاعر : ـ

أيقتلني والمشرفي مضاجعي ومسنونة زرق كأنياب أغوال

فكذلك قول القرآن هذا فان المشبه به فيه هو من متخيلات العرب وسائر الامم ويراد به التشنيع والتقبيح ومثله يوجد في اعظم الكتب العلمية في أية لغة كانت ولا يستفاد منه أن الشيطان له هذا التأثير في الانسان ولذلك قال تعالى (ان عبادي ليس لك عليهم سلطان) ونحوه كثير في القرآن ومن العجيب ان القرآن يذكر معجزات المسيح مرارا وتفصيلا ومع ذلك لم يذكر منها (اخراج الشياطين) وجميع الاناجيل مفعمة بها حتى الابوكريفية وأذهان الامم ممتلئة بها فكيف سلم القرآن من هذه الخرافات الشائعة بين جميع الناس حتى أهل الكتاب لولا أنه وحي الله ؟

(٢) حاشية : يفهم من هذه الاية الشريفة حل بعض أجزاء من الشحم لليهود. ولكن الذي يفهم من سفر اللاويين (٣ : ١٦ و ١٧ و ٧ : ٢٣ ـ ٢٥) هو تحريم كل جزء من أجزاء الشحم فلا بد أن يكون هذا من تحريف الكهنة ليأخذوا كل الشحم من الناس بدعوى ايقاده على المذبح (كما في لا ٣ : ١١) ثم يبقوا منه شيئا لانفسهم . أو يكون هذا الحكم نسخ فيما بعد في زمن موسى أو غيره من أنبياء بني اسرائيل (أنظر نحميا ٨ : ١٠) كما حرموا استرقاق العبراني =

فالمسلمون انما تركوا شريعة الله الموسوية لأوامر صريحة في كتابهم الالهي

= مطلقا بعد موسى بسنين عديدة وكان مباحا لهم في زمنه (تث ١٥ : ١٢ — ١٨) أو أنه حصل خطأ في هذه الشريعة أثناء نقلهم لها في تلك العصور المظلمة الطويلة أو أثناء ارتدادهم عنها لعبادة الاصنام مرات عديدة في سنين كثيرة ولو أراد انبياؤهم اصلاح ذلك حينما يرجعون اليها لعارضهم الكهنة وغيرهم لمصلحتهم الشخصية ولسفكوا دماءهم فانهم كثيرا ما قتلوا الانبياء والمرسلين (أنظر متى ٢٣ : ٣٠ — ٣٧) كلما أرادوا اصلاح احوالهم وأمورهم

ولا يستبعدن القارىء وقوع مثل هذا الخطأ في هذه الكتب مع كثرة الانبياء فيهم فقد وقع فيها غيره سهواً أو قصداً مما بيناه ومما لم نبينه كمسألة اجترار الارنب الجبلي (لا ١١ : ٦) ومسألة برص الثياب وبرص البيوت (لا ١٣ و ١٤) ولعل هذه المسألة الأخيرة هي أيضاً من وضع الكهنة لمصلحة لهم فيها ولم يتمكن الانبياء من ازالتها كما لم يمكنهم منعهم عن عصيان الرحمن وعبادة الاوثان

والذي يدلك على أن بعض الشحم أحل لهم كما قال القرآن وأن النص على تحريم الكل اما أنه محرف أو منسوخ قول سفر التثنية (وهو أصح هذه الاسفار على مذهبنا) في نعم الله على بني اسرائيل بعد خروجهم من أرض مصر ما يأتي تث ٣٢ : ١٠ (وجده « أي اسرائيل والمراد بنيه » في أرض قفر وفي خلاء مستوحش خرب ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠ ـ ١٢ هكذا الرب وحده اقتاده وليس معه إله أجنبي ١٣ أركبه على مرتفعات الأرض فأكل ثمار الصحراء وأرضعه عسلا من حجر وزيتاً من صوان الصخر ١٤ وزبدة بقر ولبن غنم مع شحم خراف وكباش ٠٠٠٠٠٠٠ وتيوس مع دسم لب الحنطة ودم العنب شربته خمراً)فاذا كان كل الشحم محرماً عليهم كما في سفر اللاويين فكيف اذاً يمن الله عليهم في سفر التثنية وهو آخر الاسفار الموسوية وأصحها باطعامهم وهم في البرية شحم الخراف والكباش والتيوس ؟ ألا يدل ذلك على صحة قول القرآن الشريف في هذه المسألة وخطأ كتبهم الاخرى فيها ؟ والا فكيف يمكنهم التوفيق بينها لازالة هذا التناقض ؟

والعبارة الاخيرة من سفر التثنية وكذا غيرها (تث ١٨ : ٤) تدل على حل الخمر لهم وان كان شربها حرم على الكهنة فقط عند دخولهم خيمة الاجتماع (لا ١٠ : ٨ ـ ١١)وكذلك المسيحية فيها ما يدل على حلها للناس (راجع يو ٢ : ١ ـ ١١ ولو ٢٢ : ١٤ ـ ٢٣) ولذلك فانا نفتخر بأن الاسلام هو الدين الوحيد الذي حرم الخمر تحريماً باتاً وكذلك سائر الخبائث وأحل الطيبات جميعاً ولولا النصارى لما انتشر شربها بين بعض المسلمين فانهم هم الذين حملوها الينا مع ما حملوه من موبقات مدنيتهم الاخرى كالانتحار والقمار والربا والرقص والخلاعة والفسق والفجور

أما لفظ السكر (بفتح السين) الوارد في القرآن في سورة النحل (١٦ : ٦٧) فالاصح أنه سكر الفاكهة (بضم السين) المسمى عند الافرنج (Laevulose) أو هو لغة في السكر (بضم السين) مطلقاً فان كلا اللفظين معرب من كلمة (شكر) الفارسية بابدال الشين سينا كما هو المتاد في تعريب بعض اللغات الاخرى الشرقية كوشى العبرية وموسى العربية وغير ذلك كثير وقيل السكر الخل واذا سلم أن السكر (بفتح السين) هنا هو المسكر فقوله تعالى بعده (ورزقاً حسناً) يدل على أن السكر =

وأما النصارى فتركوها لغير أقوال المسيح نفسه القائل إنه لم يأت لينقضها بل ليكملها ،

ومما يزيدك يقينا بأن قول المسلمين بالتحريف في نفس مسألة الابد(١) هذه وفي غيرها ليس أمرا نظريا ظنيا بل هو حقيقة واقعية ـ ماجاء في رسالة بطرس الاولى قال فيها ١ : ٢٣ (مولودين ثانية لا من زرع يفنى بل مما لا يفنى بكلمة الله الحية الباقية « الى الابد ») فقوله « الى الابد » لا يوجد باعترافهم في أقدم النسخ وأصحها التي عثروا عليها . راجع الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٩٠٩ ميلادية في المطبعة الامريكانية في بيروت تجد أن هذه العبارة موضوعة فيها بين قوسين للدلالة على ماقلنا كما ذكروا في مقدمة هذه النسخة . وهذه إحدى التحريفات التي يزعمون أنها لا تتعلق بمسائل هامة فما أكبرهم من مكابرين ! !

وكيف بعد ذلك يمكننا أن نثق بأي شيء من نقلهم أو من كتبهم اذا كان التحريف فيها من العادات الملازمة لقدمائهم ؟ وكيف نأمن عليها من تلاعبهم وإفسادهم لها في غير هذه المواضع التي ظهرت لنا ؟ وهل لا يدل انتشار مثل هذه التحريفات في نسخها على صحة قولنا ان هذه الكتب في الازمنة القديمة كان يسهل على أصحابها تبديلها وتحريفها ؟

ومن العجيب أنك ترى النصارى بعد ذلك يدعون المسلمين لترك دينهم واتباع آرائهم وأهوائهم المخالفة لما جاء به موسى وعيسى وسائر انبياء بني اسرائيل !! فأي محاربة لله ولرسله ولكتبه أكبر من ذلك ؟ وهل بعد ذلك يعقل أنهم به مؤمنون ؟ وقد بينا لك فيما سبق أن عقائدهم لم يأت بها النبيون وأنهم فيها لاحكام العقل هادمون وقد أريناك هنا أنهم لشريعة الله محاربون ولكتبه محرفون ! ! فبأي شيء من دين الله بعد ذلك يتمسكون ؟ واليه يدعون ؟ وبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون ؟

(يتلى)

= ليس وزناً حسناً لان الاصل في العطف أن يفيد المغايرة وهذه الآية المشار اليها هنا نزلت قبل التحريم البات فان الخمر حرمت تدريجياً لحكمة لا تخفى على المفكر ، والتحريم التدريجي شيء والنسخ شيء آخر فلا منافاة بين ذلك وبين مذهبنا في (الناسخ والمنسوخ)

(١) حاشية : جاء في سفر الخروج ٢١ : ٦ (ويثقب سيده أذنه بالمثقب . فيخدمه الى الابد) والمراد أن العبد يخدم سيده الى الممات وهو عين ماقلناه آنفا في معنى الابد وبهذا المعنى أيضا ورد في سفر صموئيل الاول ١ : ٢٢

الغارة على العالم الاسلامي (*)

أو

﴿ فتح العالم الاسلامي ﴾

٨

﴿ مؤتمر لكنهوء سنة ١٩١١ ﴾

مقدمة المجلة الفرنسوية :

عقد مبشرو البلاد الاسلامية من البروتستان المؤتمر الثاني العام بمدينة هم في (لكنهوء الهند) يوم ٢١ يناير سنة ١٩١١ أي بعد خمس سنوات من انعقاد مؤتمر القاهرة

ومعلوم أن المبشرين كانوا قد تفاوضوا في (مؤتمر أدنبرج) بمسألة مقاومة الاسلام ودرسوا وسائل مناضلته من كل الاوجه . ولما عقدوا مؤتمر لكنهوء ارتاحوا لما رأوا من نجاحهم واشتركوا مع رئيسهم القسيس « زويمر » في معرفة موقف الاسلام وقوته وأسبابها . وأظهروا استعداداً لتطبيق أعمالهم على الحالة الحاضرة.

والظاهر من مطبوعات البروتستان ومنشوراتهم انهم يتذرعون بالتؤدة في بذل المجهود لمعرفة موقفهم وميدان عملهم ودرس محاسنهما وهم لا يدعون شيأ من هذا القبيل . ومنشأ هذا التضامن في جماعة المبشرين البروتستان هو المواهب العملية التي امتاز بها الانجلوسكسوني والمزايا النظامية التي اختص بها الجرماني . ثم قالت هذه المجلة : طلبنا من القسيس زويمر أن يوافينا بملخص أعمال المؤتمر أثناء انعقاده فأجابنا الى طلبنا وأرسل لنا مجموعة تضمنت أبحاث المبشرين في ذلك المؤتمر .

(*) تابع لما نشر في الجزء السابع ص ٥١١

برنامج المؤتمر وترتيبه :

انعقدت جلسات المؤتمر في باحة مدرسة « ايزابلاثوربون » البروتستانية الخاصة بالبنات وامتدت الى يوم ٢٩ يناير سنة ١٩١١ وهو ثاني موتمر خاص بالاسلام . والاول هو مؤتمر مصر الذي عرفه القراء .

والذي يدخل الى باحة ذلك المؤتمر يرى جدرانه مستورة بالخرائط والاحصائيات التي يتبين منها مبلغ اتساع نطاق الاسلام وارتقائه وتقدمه في الايام الاخيرة . وعلى المنضدة التي امام الرئيس كرة أرضية مجسمة وعليها هلال وصليب. أما المقصود من هذا الرمز فظاهر ومفهوم .

وفي جانب الباحة غرفتان عرضت فيهما الغرائب المتعلقة بالاسلام مع مطبوعات جمعية التوراة التبشيرية والمظنون ان هذا المعرض سيبقى تحت مراقبة لجنة مواصلة عمال مؤتمر مصر .

واشترك في المؤتمر ١٦٨ مندوبا و ١١٣ مدعوا عن ٥٤ جمعية تبشيرية ونزل كل هؤلاء ضيوفا على مبشري لكنهوء .

وبين المشتركين في المؤتمر القسيس زويمر – الذي تقول عنه المجلة الفرنسوية انه الرجل الذي لا يهرم لانه درس الاسلام سنين طويلة بعد أن عاش سنين أطول بين الشعوب الاسلامية التي يحبها حباجماً : – ولم يكن القسيس زويمر رئيسا للمؤتمر فقط بل كان مديره الروحي أيضا .

ومن هؤلاء المشتركين الدكتور (ويتبرخت) الجرماني الانكليزي المشهور والدكتور (وهري) صاحب التعليق المعروف على القرآن . ومن المتنصرين الذين حضروا المؤتمر (متري افندي) الشاب المصري الذي يدبر جريدة عربية والقندلفت (احسان الله) والمبشر (أحمد شاه) الذي يحسن معرفة الاسلام وهو واضع (قاموس القرآن)

ومنع الصحافيون الانكليز والاميركان من حضور جلسات المؤتمر ولم ترسل لهم مذكراته الا بعد ان عنيت لجنة القرارات بتنقيحها .

وكانت مجلة العالم الاسلامي الانكليزية – التي يصدرها رئيس هذا المؤتمر – قالت قبل ان تذكر ماجرى في لكنهوء : « تمخض الاسلام في السنوات الخمس التي أعقبت موتمر مصر بحوادث خارقة لم يسبق لها نظير ففيها حدث الانقلاب الفارسي والانقلاب العثماني وما نتج عنهما – وفيها انتبهت مصر لحركتها الحاضرة – وعني المسلمون بمد السكة الحجازية – وتأسست في الهند مجالس ادارية وشورية وكان في قوانين انتخاباتها امتيازات للمسلمين – ودخلت الامور الاسلامية في قالب يلائم العصر ازداد به التمسك بمبادئ الاسلام – والمسلمون يحاولون احياء دينهم في الصين – وانتشر الاسلام في افريقية والهند الغربية والجزائر الجنوبية

كل هذه الحوادث تحتم على الكنيسة أن تعمل بحزم وجد وتنظر في أمر التبشير والمبشرين بكل عناية. وعلى ذلك فسيشمل برنامج موتمر لكنهوء الامور الآتية:

أولها – درس الحالة الحاضرة

ثانيها – انهاض الهمم لتوسيع نطاق تعليم المبشرين والتعليم النسائي

ثالثها – اعداد القوات اللازمة ورفع شأنها .

هذا ما نشرته مجلة الرئيس عن مواد تضمنها برنامج المؤتمر . أما البرنامج نفسه فقد عرض على المؤتمرين بعد قراءة الخطب الافتتاحية وانتخاب اللجنة وتلاوة تقارير لجنة مواصلة أعمال مؤتمر مصر وهذه مواده :

الاولى – النظر في حركة الجامعة الاسلامية ومقاصدها وطرقها والتأليف بينها بين مسألة تنصير المسلمين

الثانية – النظر في الانقلابات السياسية في العالم الاسلامي وعلاقاتها بالاسلام ومركز المبشرين المسيحيين فيها .

الثالثة – موقف الحكومات ازاء ارساليات تبشير المسلمين

الرابعة – الاسلام ووسائل منع اتساع نطاقه بين الشعوب الوثنية .

الخامسة – تربية المبشرين على ممارسة تبشير المسلمين والمزايا النفسية اللازمة لذلك . والبحث في الدروس الاعدادية ودروس التبشير . وتأليف الكتب للمبشرين وللقراء المسلمين

السادسة – حركات الاصلاح الديني والاجتماعي .

السابعة – الارتقاء الاجتماعي والنفسي بين النساء المسلمات

الثامنة – الاعمال النسائية

التاسعة – القرارات العملية وتقارير اللجان المالية للمطبوعات والمنشورات

خطبة الرئيس الافتتاحية

افتتح القسيس زويمر مؤتمر لكنهو بخطبة أنيقة تكلم فيها على المسائل الاسلامية التي سيتناقش فيها الاعضاء . فقسم خطبته الى أربعة أقسام

الاول – الاحصاآت الاسلامية

الثاني – حالة المسلمين السياسية وارتقاؤها

الثالث – ماطرأ على الاسلام بعد مؤتمر مصر من الانقلابات السياسية والفكرية

الرابع – الخطة التي اتبعتها كنائس أوربة واميركة بعد مؤتمر مصر

الاحصاآت الاسلامية :

قال الرئيس زويمر : ليست لفظتا « العالم الاسلامي » شيئاً اخترعه المبشرون للاشارة الى معضلة التنصير العام ، بل هي كلمة دقيقة تدل على موقف حقيقي ثم أشار الى مجلة العالم الاسلامي الفرنسية وما نشرته عن الاسلام

ودخل بعد هذا في موضوعه فقال : ان عدد المسلمين يزيد قليلا على ٢٠٠ مليون ، وذلك بحسب متوسط الاحصائيات الكثيرة التي يتراوح تقدير المسلمين فيها بين ١٧٥ مليونا و ٢٢٩ مليونا .

فمسلمو روسية وبخارى وخيوه ٢٠ مليونا ومسلمو الصين بين ٥ ملايين و١٠ ملايين ويزيد عدد مسلمي الهند على ٠٧٧ر٤٦٨ر٦٢ ولاحظ أن المسلمين الذين تحت سلطة انكلترة أكثر من الذين تحت سلطة أي دولة غيرها في هذه العصور أو في العصور المتوسطة ، ومسلمو المستعمرات الانكليزية والهند يبلغ عددهم ٩٥ مليونا أي انهم يزيدون ٥ ملايين على النصارى الذين يحكمهم الانكليز. ومسلمو الهند الانكليزية آخذون في النمو وقد جاء في كتاب (الهندوحياتها وأفكارها) الذي ألفه الدكتور

(جونس) ان عدد المسلمين ازداد في السنوات العشر الاخيرة ٩١ في الالف مع أن زيادة عدد السكان بنسبة ١٩ للالف . وفي جاوه ٦٠٠ ر ٢٧٠ ر ٢٤ مسلم ومسلمو روسية ٢٠ مليونا وفي السلطنة العثمانية ٠٠٠ ر٢٧٨ ر١٤ مسلم وعدد المسلمين في كل واحد من أقطار مصر وفارس ومراكش والجزائر وبلاد العرب والافغان وغيرها يتراوح بين ٤ ملايين و٩ ملايين ولا تخلو بلدة في آسية وأفريقية من سكان مسلمين ، وقد يكون المسلمون أقل من غيرهم في بعض هذه البلاد الا أن هذه الاقلية في نمو مستمر . وفي بلاد التبت المقفلة أبوابها في وجوه الاجانب ٢٠ ألف مسلم . والاسلام منتشر في الكونغو و بلاد الكاب . وهو في نماء سريع في بلاد الحبشة . ويدور على الألسنة منذ انعقد مؤتمر مصر أن كثيرا من القبائل النصرانية التي في شمال الحبشة دخلت في الاسلام وان كانت أسماء أفرادها لا تزال كما كانت من قبل .

والمبشرون المنتشرون على ضفتي النيل وشرقي أفريقية وبلاد النيجر والكونغو يرفعون أصواتهم بالشكوى من انتشار الاسلام بسرعة في هذه الانحاء . وبالرغم من أن انتشاره في الهند الهولندية قد لقي موانع من مجهودات جمعيات التبشير الهولندية والالمانية فهو يتوطد ويثبت هناك لان المسلمين أخذوا يستبدلون التقاليد الحشوية والخرافية ويتمسكون بعقائد ثابتة قوية ، ففي (صومتره) اكتسح الاسلام الارجاء الوثنية وفي جاوه ظهر بمظهر جديد على أثر تأسيس المدرسة الجامعة الاسلامية ، وكثرة طبع القرآن وازدياد عدد الدعاة والمرشدين المسلمين . وما زال الوطنيون يدخلون في شبكة الاسلام الى درجة يتعذر فيها على المبشرين المسيحيين أن يلقوا لأعمالهم رواجا .

وفي أميركة عدد كبير من المسلمين لا يستهان به لانه صار ٥٦ ألفاً وفي مستعمرة (لاغوبان) الانكليزية فقط ٣٢ ألفا منهم وفي أميركة الوسطى ٢٠ ألفا.

والبلاد الاسلامية التي لم يدخلها المبشرون البروتستان هي التركستان الروسية وفيها خمسة ملايين من المسلمين وخيوه وفيها ٨٠٠ ألف وبخاري وفيها ٠٠٠ر٢٥٠ر١

والافغان وفيها ٥ ملايين و برقة (بني غازي) وفيها ٠٠٠ ر ١٠٠ وتونس وفيها مليون ووهران وفيها ٠٠٠ر٣٠٠ر١ وريف مراكش وفيه ٠٠٠ر ٢٦٠ ر ٢ وفي وادي مولويه وصحراء مراكش يتنافس الاسلام والنصرانية في الاستيلاء على الوثنية . ونجد والحجاز وحضرموت لا يوجد فيها مبشر واحد وجزائر مالزيه وفيها أكثر من مليون مسلم خالية من ارساليات التبشير

الانقلابات السياسية والجامعة الاسلامية

انتقل الرئيس زويمر في خطبته الافتتاحية الى قسمها الثاني الخاص بالانقلابات السياسية التي حدثت أخيرا في العالم الاسلامي فشكر الله على حدوث هذه الانقلابات في غرب آسية إذ كانت موجبة للاعجاب والاستغراب و بددت معالم التجسس وأقامت الحرية على انقاض الاستبداد وصار التجول في البلاد العثمانية والعربية والفارسية غير ممنوع وأصبح عبدالحميد سجينا في سلانيك . وارتبطت المدينة بدمشق بواسطة السكة الحديدية وتلألأ نور الكهربائية على الروضة النبوية . كل هذا يعد عصرا جديداً في تاريخ آسية الغربية وأفريقية الشمالية

وصار مسلمو روسية يحاولون تعزيز حقهم في الدوما و يؤلفون الجمعيات للتدرج في مراقي المدنية .

إلا أن النزعة الجديدة في مصر إسلامية محضة يراد بها جعل مصر للمصريين باعتبار أن المصريين مسلمون .ونتيجة ذلك اضطهاد المسيحيين في مصر (!) خصوصا اذا كانت إنكلترة لا تترك خطتها في ترجيح كفة المسلمين.

وان بوادر الانقلابات قد أخذت تظهر في جزائر مالزية أيضا فأسس شبان (جاوه) جمعية الاتحاد العام (بوندي أوتومو) الذي يرمون به الى إحداث ارتقاء اجتماعي واتباع مبادىء التربية والاستقلال الاداري . وقد فسروا القرآن بلغتهم .

وتوجد في (طوكيو - اليابان) جريدة باللغة الصينية اسمها (النهضة الاسلامية) منتشرة في كل بلاد الصين . وجريدة انكليزية ينشرها مسلم مصري وآخر هندي . وفي ذلك دلالة على مبلغ حركة الجامعة الاسلامية .

واحتلال الجيش الفرنسي لمقاطعة (واداي) بأفريقية في العام الماضي أهم حادث سياسي في هذا العصر ، لان واداي كانت أهم مركز في أفريقية للاتجار بالرقيق وانتشار الاسلام ، وعلى ذلك فان هذا المركز أصبح تحت سلطة أوربية تحتفظ به مهما كلفها ذلك . وهذه الحادثة جعلتنا في مأمن من أن تكون واداي بعد الآن مركزا للحركات الحربية ضد الحكومات النصرانية وهي أيضا ستقلل نفوذ مشايخ الزوايا السنوسية بحيث لا يستطيعون الوقوف في طريق التقدم الاستعماري والتجاري في الاسلام .

ولم يبق الآن غير ٨٠ر١٢٨ ر ٣٧ مسلم تحت سلطة حكومات اسلامية . وقد انتقلت السلطة السياسية على أكثرية المسلمين من يد الخلافة الاسلامية الى يد انكلترة وفرنسة وروسية وهولندة . وعدد المسلمين الذين تحت سلطة كل واحدة من هذه الدول يفوق عدد المسلمين الموجودين في كل أرجاء السلطنة العثمانية ، وان عدد المسلمين الذين تحت سلطة الدول النصرانية سيزداد كثيرا عقيب انقلابات قريبة الحصول و بذلك تزداد مسؤلية الملوك النصارى في مهمة تنصير العالم الاسلامي (!)

الانقلابات الاجتماعية والفكرية :

قال الخطيب : ان الاسلام قد بدأ ينتبه لحقيقة موقفه . ويشعر بحاجته الى تلافي الخطر وهو يتمخض الآن بثلاث نهضات إصلاحية : الاولى إصلاح الطرق الصوفية ، الثانية تقريب الافكار من الجامعة الاسلامية ، الثالثة إفراغ العقائد والتقاليد القديمة في قالب معقول .

ومصدر هذا الشعور بالحاجة الى الاصلاح واحد ، وهو التغير الذي حدث في الاسلام عند ما اكتسحت أهله الافكار العصرية والحضارة الافرنجية ، ولا يمنع هذا أن يكون الشعور مؤديا الى عاطفة الاحتجاج والحذر أو الى التوفيق والتحكيم لان كلا العاطفتين تجتمعان عند جعل الاسلام في مستوى الافكار العصرية .

قال (اسماعيل بك غصبرنسكي) في جريدته (ترجمان) : ان العالم في تغير وارتقاء مستمر ولكن المسلمين لا يزالون متقهقرين أشواطا بعيدة ،

وقال (الشيخ علي يوسف منشئ أهم جريدة اسلامية) في خطاب ألقاه على جمهور عظيم : ان المسيحيين قد سبقونا في كل شيء . فالمسلمون ليس لديهم بواخر في البحر ، وهم غير منتبهين لموقفهم ، ومجهوداتهم متشتتة ، وكل مايفعلونه أنهم يمشون وراء مرشديهم ولكن بغير اهتمام ذاتي لادراك الامم التي سبقتهم . ومثل كلام هذين الرجلين ماسمعناه مرارا في الهند وغير الهند .

ثم قال القسيس زويمر : وان نهضة الشعوب الاسلامية وانتباهها لمعرفة مركزها يدعوانها الى التساؤل عن طريقة التوفيق بين المبادئ الدستورية والمبادئ الدينية وتاريخ الدستور الفارسي وحركة الارتجاع في البلاد العثمانية يؤيدان وجود تباين بين الافكار الديموقراطية ونصوص القرآن (! . . .)

ويمكننا أن نرتاب في صحة التصريح الصادر من شيخ الاسلام عن انطباق تأسيس مجلس المبعوثان العثماني عن النصوص القرآنية (!) ومما يؤيد ارتيابنا وقوف المبعوثين المسلمين المعروفين بالتقى في وجه كل اصلاح يعرض على مجلس المبعوثان والصحف المصرية تدافع عن الفظائع التي أمر بها سلطان مراكش والبدو يخربون السكة الحديدية الحجازية بدعوى أن (العربات) المخصصة فيها للصلاة تنافي الشعائر الاسلامية (؟ !)

وفي العالم الاسلامي الآن حركتان متناقضتان يحمل لواء الحركة الاولى رجال الصوفية والمشايخ في اليمن والصومال والبوادي وشعارهم الرجوع الى التعاليم المحمدية ، والحركة الثانية يتولى زعامتها أنصار الاصلاح ومبشرو الاسلام الجديد في مصر والهند وجاوه وفارس وهؤلاء يبنون أساسهم على وضع الطرق المعقولة والصحف الاسلامية في (باكو) تتبع رجال الحزب الثاني الذي يقول ان الجمود والخرافات مما طرأ على الاسلام وهو غريب عنها كما أن فظائع دواوين التفتيش في القرون الوسطى ليست مما يأمر به المذهب الكاثوليكي

ثم أشار الى كتاب (حقيقة الاسلام) الذي ألفه محمد بك بدر المتخرج في جامعة أدنبرج فقال ان هذا الكتاب يدل على أن أشياع الاسلام الجديد (!) يريدون أن يرموا من السفينة مشحونها لينقذوها من الغرق .

وقال القسيس زويمر بعد ذلك : ان تأويل سورة الكهف وسورة النساء وتطبيقهما على مقتضى العقل أمر مستحيل (!) ولو اقتصرنا على مطالعة ما كتب عن الحجاب وتعدد الزوجات في الصحف الاسلامية يتضح لنا أن ما يظهر لنا من وحدة الافكار في الاسلام غير صحيح وهذه الوحدة مهددة بالنزاع والتناقض ولا ريب أن في فارس والسلطنة العثمانية بل والبلاد العربية ألوفا من المسلمين مقتنعون بصحة النصرانية (١) ومخالفتها للاسلام (؟!)

وأشار الى قول الدكتور (و . شيد) من أن الاسلام يتحكك في كل قطر بالمدنية المصرية ومبادئها . وملاحظته لهذه الانقلابات يتوقف عليها بقاؤه » فتساءل عن نتيجة ذلك وعما اذا كان في الامكان مجاراة تيار الحضارة مع الاحتفاظ بمبادئ القرآن وتعاليمه وعما اذا كان التقدم الاجتماعي والعقلي المجرد من كل صبغة دينية كافيا لسد الحاجة الروحية في الملايين من المسلمين . أو ان العالم الاسلامي - رجاله ونساءه - ينهض من كبوته ليتسلق معالم المجد الذي أبقاه على الارض يسوع المسيح ابن الله (!!) (٢)

خطة الكنائس بعد مؤتمر مصر :

وانتقل زويمر بعد هذا الى القسم الرابع من خطابه وهو الكلام على الخطة التي اتبعتها كنائس أوربة وأمريكة بعد مؤتمر مصر . فذكر أن مؤتمر مصر كان فاتحة عصر جديد لتنصير المسلمين لانه كشف الحجاب عن أمور كثيرة كانت مهملة ومنسية وحث الكتاب على وصف أعمال المبشرين في بلاد الاسلام واستنجد بالكنائس واستصرخها . فخاضت الجرائد والمجلات في مسألة الانقلاب العثماني والانقلاب الفارسي والنهضة المصرية وحركة الجامعة الاسلامية ومكانها من الحالة السياسية الحاضرة . وكل هذه الكتابات التي نشرتها الجرائد أبانت عما يجب أن نعمله في العالم الاسلامي وصنفت الكتب الكثيرة التي يراد بها تعريفنا ببلاد الاسلام وحالات المسلمين مثل كتاب (المشرق الادنى والمشرق الاقصى)

(١) ما أجرأه على الكذب الصراح ؟ (٢) لم يكن للمسيح مجد أرضي ولم يترك على الارض الا التعاسة التي كان يقاسي بلاياها وويلاتها الى أن قبض ورفعه الله اليه صالح

الذي طبع منه ٤٥٠٠٠ نسخة ومثل كتاب (اخواتنا المسلمات) وكتاب (العالم الاسلامي) الذي طبع منه ٥٠٠٠٠ نسخة وأكثر هذه الكتب نشر بلغات متعددة. وكتب المبشرون في هذه المدة مقدار عشرين كتابا بحثوا بها في المعضلة الاسلامية من كل أوجهها وكلها مبنية على بحث واستقصاء. ومن هذه الكتب كتاب (دين الاسلام) (والشعائر الدينية الاسلامية) و (الاسلام والنصرانية في الهند والشرق الاقصى) و (صليبيو القرن العشرين) و (مصر والحرب الصليبية) و (الاسلام في الصين)

وختم القسيس زويمر خطابه الافتتاحي بقوله: اذا نظرنا الى البلاد التي يحكمها هذا الدين الكبير المخاصم لنا والى البلاد التي يتهددها بحكمه اياها يظهر لنا أن كل واحدة من هذه البلاد هي رمز لعنصر من المعضلة الكبرى. فمراكش في الاسلام مثال للانحطاط. وفارس مثال للانحلال. وجزيرة العرب مثال للرقود. ومصر مثال لمجهودات الاصلاح. والصين مثال للاهمال. وجاوه مثال للتغير والانقلاب. والهند مركز التحكك بالاسلام. وأفريقية الوسطى مكان للخطر الاسلامي

والاسلام يحتاج قبل كل شيء الى المسيح؟. فهو الذي يرسل أشعة النور الى مراكش ويعيد الوحدة لفارس والحياة لجزيرة العرب والنهضة لمصر ويرد الى الصين ما أهمله الاسلام فيها. وهو الذي يقي لاهالي مالزيه بلادهم ويزيل الخطر العظيم من أفريقية!...

بعد مؤتمر مصر

رأى القائمون بمؤتمر لكنهو أن تقرأ قبل الخوض في موضوعات هذا المؤتمر تقارير اللجان التي تألفت بعد مؤتمر مصر. فقرأ الدكتور (ويتبرخت) الالماني تقريرا عن حالة المؤلفات التي صنفت لتبشير المسلمين. وأبان أن دائرة انتشار هذه المؤلفات قد اتسعت جدا باللغات الثلاث التي هي أهم اللغات الاسلامية ويعني بها العربية والفارسية والاوردية. وان قسما كبيراً من هذه المطبوعات خاص بالبلاد العثمانية ومنها ما تكرر طبعه مثل مؤلفات القسيس (بفندر) ومنها ما هو

مكتوب بأسلوب عصري صار يفيد التبشير منذ أخذ العالم الاسلامي يتحكك بالعلوم العصرية. وأهمية هذه المؤلفات كبيرة في الهند لان الذين يكتبونها هم مسلمو الهند المتنصرون مثل (عماد الدين) الذي حصل من مدارس انكلترة على لقب (دكتور) في اللاهوت.

وبهذه اللغات الثلاث صار يمكن للمبشرين أن يتحككوا بثلثي المسلمين في العالم. أما الثلث الثالث فمؤلف من ١٠ ملايين صيني و ٢٠ مليونا من السلافيين و ٢٥ مليونا من السود. وهؤلاء لا توجد في لغاتهم كتب تبشير

ثم تليت تقارير أخرى في بيان ضرورة نشر مؤلفات في المناظرات الدينية التاريخية التي تكون مكتوبة بأسلوب عصري على ما تقتضيه حالة المسلمين في مصر والهند وسائر أقطار الشرق. ثم أشاروا الى مساعدة صحف أوربة الكبرى للمبشرين لاهتمامها بالامور الاسلامية. ومن أدلة هذا الاهتمام انشاء مجلة العالم الاسلامي الفرنسية (١) ومجلة الاسلام الالمانية ودائرة المعارف الاسلامية التي نشرت بثلاث لغات.

الجامعة الاسلامية:

وبعد أن تليت التقارير الكثيرة في موضوعات مختلفة بدأ المؤتمرون بالمسائل التي عقدوا مؤتمرهم لاجلها. وافتتحوا ذلك بمسألة الجامعة الاسلامية فتقدم عنها ثلاثة تقارير: الاول من القسيس (نلسن) عن «حركة الجامعة الاسلامية في السلطنة العثمانية». والثاني من القسيس (ورنر) السويسري عن «الجامعة الاسلامية في أفريقية» والثالث من القسيس (سيمون) عن «حركة الجامعة الاسلامية في مالزيه».

قال القسيس نلسن عن الجامعة الاسلامية في السلطنة العثمانية: ان حركة هذه الجامعة قد ضعفت جدا بعد خلع السلطان عبد الحميد ولكن لا تزال في

(١) نقلت مجلة العالم الاسلامي مقدمة المنار لهذه المقالات (الغارة على العالم الاسلامي) وعقبتها بمقال تنصل فيه من الصبغة الدينية وأرسل الينا أحد أصدقائنا في باريس تلك القطعة وربما عربناها ونشرناها في المنار بعد تذييلها بما يقتضي

الاهالي روح تضامن ملازمة للاسلام وهي سائدة بين مسلمي سورية الى درجة تدعو للتبصر في علاقتها بزعماء الفكرة الاسلامية

ثم قال ان الالوف من مسلمي الارض يتجهون في كل سنة الى (مكة) ويشربون ماء (زمزم) الا أنه بالرغم من وجود كل أسباب الارتباط الخارجي وبالرغم من وجود الاتحاد الذي يجعل لفكرة الجامعة الاسلامية قوة حقيقية الى حد يستدعي اهتمام المبشرين النصارى والحكومات النصرانية - بالرغم من ذلك وهذا فانه يستحيل أن يكون من المسلمين عنصر حي حقيقي في استطاعته أن يجمع شمل السنيين والشيعة معا ويضم الاتراك والفرس والهنود الى العرب ليكافحوا ويدافعوا يداً واحدة على اتفاق وثقة متبادلة (١

وختم القسيس نلسن تقريره بقوله : « اسمحوا لي أن أقول لكم انه يظهر لي أن اجتماع المسلمين بجامعة اسلامية بكل المعنى الذي يدل عليه هذا اللفظ هو أمر وهمي لا ثمرة له غير توليد أحلام تقلق رجال السياسة الذين يغلب عليهم الخوف ويعتريهم المزاج العصبي »

وقال القسيس (ورنر) عن الجامعة الاسلامية في افريقية : ان مدينة مكة والطرق الصوفية هما من اكبر العوامل على بث شعور الوحدة بين المسلمين والنفرة من كل شيء غير اسلامي ، وهذا ما يسمونه بالجامعة الاسلامية

واذا كان في افريقية عوامل أخرى توجب تقدم الاسلام فيها فهي الاحوال

١) ليعتبر المفرقون الذين يدعون الاتحاد ماذا يقوله المفكرون في شؤونهم بعد أن كان لهم اليد الطولى في ايجاد أسباب هذه التفرقة وليعتبر المحزبون ممن يسمون انفسهم الوطنيين وليعلموا انهم بهذه التفرقة التي يدعون اليها انما يخدمون أوربة السياسية واوربة الدينية في آن واحد وغاية ما ترمي اليه أوربة هو أن يوجد في الامة أحزاب مثل الحزب الوطني المصري وجرائد مخربة مثل جرائده وجريدة « الجريدة » اذ انها من أهم معاول الهدم وعوامل التفرقة

وماذا تقول « المجموعة المصرية » والحزب الوطني المصري الآن وقد صرح الانكليز بعزمهم على جعل الاسكندرية موقعاً دفاعياً بحرياً؟ أيمنعونها ذلك بقوة « المجموعة المصرية » وجيادها أم بشعور الشيخ عبد العزيز جاويش واضرابه الذين حالوا بين كثير من فضلاء شبان الحزب الوطني الاسلامي وبين الانتفاع بمواهبهم واستعدادهم وفرقوا شمل الامة بالغش والخداع والتغرير ؟

صالح مخلص رضا

المساعدة التي يتصف بها الاسلام ومركز بلاده الجغرافي وارتقاء الشعوب الاسلامية في السودان عن الشعوب الزنجية ثم ان للحالة الاقتصادية والتجارة الداخلية تأثيرا كبيراً على النيجر وبانوية ومقاطعة بحيرة تشاد لان التجارة في هذه الاصقاع كلها بيد القبائل الاسلامية . وأما التجار الاوربيون فيهتمون ببلاد السواحل على الاكثر مع أن تجارة الذهب والملح والحديد والجلود والنارجيل (جوز الهند) ونقل هذه المحصولات يستخدم فيه ألوف من الوطنيين الذين يحتك بهم التجار ومن المحقق أن التاجر المسلم يبث في هولاء الوطنيين مع بضاعته التجارية دينه الاسلامي وحضارته الراقية . والحالة في السودان الغربي مثلها في السودان الشرقي

وللاسلام في أفريقية صديق آخر يساعده على انتشاره ، ولعلكم تستغربون اذا قلت لكم ان هذا الصديق هو الاستعمار الاوربي ، فان الذي يفعله الاستعمار بعد أن يسلب من الامراء المسلمين سلطتهم السياسية هو أنه يقرر الامن ويمهد السبيل للمسلمين(١ ، فبعد أن يكونوا منفورين من الوطنيين الوثنيين قبل الاستعمار الاوروبي بسبب الاتجار بالرقيق يصبحون بعد منعه أصدقاء لهم فيتعامل الفريقان ويتفاهمان بكل حرية ومحبة .

ومن هذا يتبين أن الاستعمار يسلب من المستعمرات السلطة الاسلامية السياسية ولكنه يزيد الاسلام نفوذاً فيها .

ثم أسف صاحب التقرير أن المنافع الاسلامية تتم بارادة المستعمرين لانهم يفضلون استخدام المسلمين وتوظيفهم واستشهد على هذا بقول (اكنفلد) مفتش ارساليات التبشير اذ صرح في المؤتمر الاستعماري الالماني بأن الاسلام يتبع خطوات الاوربيين حيثما ذهبوا ، فلا توجد نقطة عسكرية أوربية بدون جنود مسلمين ولا توجد مصلحة استعمارية أوربية بدون مستخدمين مسلمين . ولا تكاد توجد مزرعة خالية من حانوت لمسلم يبيع فيه ويشتري

وتكلم (ورنر) عن المدرسة التي أسستها انكلترة في (سيره ليونه) بغرب

١) كأن الخطيب يود أن لا يكون للاسلام غير الاعداء مثله ويضره أن يكون للمسلمين حرية دينية

افريقية لتعليم أطفال القبائل الاسلامية والوثنية باللغة العربية ، وعدم تعليمهم الديانة النصرانية احتفاظا بمبدإها في الحياد الديني

ثم قال : ولو اتفق أن المسلمين غضبوا للصور الموجودة في كتب دروس الاشياء فلا تتأخر ادارة المستعمرات الانكليزية عن استفتاء علماء الاسلام في الاستانة ومصر والهند استرضاء لآباء التلاميذ وأقاربهم

ثم أشار الى تقدم الاسلام في افريقية فتساءل عما اذا كان هنالك عمل مرتب ويد عاملة على نشره أم أنه ينتشر بطبعه ؟ وأجاب بأن من الصعب حل هذه المسألة، لان القوات الفعلية التي ينتشر بها الاسلام تختلف عن قوات المبشرين بالنصرانية.

ولكن يظهر أن النظام في نشر دين الاسلام أقل مما تتصوره لان المسلمين يجهل بعضهم أخبار البعض الآخر وأحواله واذا اتفق أنهم اشتركوا في أمر ما فانما يكون ذلك بدون قصد . ومن الخطأ أن يقال ان الجامع الازهر يرسل ألوف المبشرين الى افريقية الوثنية للدعوة الى الاسلام لان الازهر ليس معهد تبشير كما هي مدارس اللاهوت في أوربة ، ويقال مثل ذلك عن كل المدارس الاسلامية في شمال افريقية. ويستثنى من ذلك المدارس التي يديرها مشايخ الطرق في الصحاري وفي السودان

وعاد قبل أن يختم تقريره فقال : الا ان هنالك قرائن كثيرة تدل على وجود يد تعمل بقصد لنشر الاسلام . فانه يظهر في ربوع افريقية من وقت الى آخر مبشرون متنقلون يدعون المهدوية ويثيرون الفتن الشديدة ؟ ومن الذي يمكنه أن يبين لنا علاقة أصول الدين بهؤلاء المبشرين المتنقلين ! ولا ريب أن بين ناشري القرآن الكثيرين في افريقية أناساهم أعضاء سريون ينتسبون الى طرق دينية

وتكلم بعده القسيس سيمون عن حركة الجامعة الاسلامية في مالزية فقال : يزعم بعضهم أن الاسلام في الهند تنقصه الحياة وأنه غير مرتب وأنه صبياني. ولكن يجب علينا أن لا ننسى ارتباط الاسلام في الهند بمكة . وهذا الارتباط يدعو سكان جزائر مالزية الى الاعتقاد بأنهم جزء من مجموع كبير. وأن سلطة النصارى عليهم شيء موقت. وسيأتي يوم يجيئهم فيه السلطان العثماني الذي هو أكبر أمير في أوربة ومرتبط بأواصر المودة مع أمبراطور المانية فينقذهم من يد النصارى

عقب حرب دينية . ونحن نرى البوجيين يبيمون الآن كرات سحرية لتستعمل في محاربة هولندة يوم تنشب المعركة المنتظرة

ولكن عبثا يبني هؤلاء آمالهم على الجامعة الاسلامية لان التربية النصرانية قد انبثت في دمائهم بفضل مدارس التبشير وباحتياطات استمدتها حكومة هولندة من أصول الدين النصراني ومن شأنها أن تزعزع آمال المسلمين الباطلة !

وقال بعد هذا في ختام تقريره : ان العامل الذي جمع هذه الشعوب وربطها برابطة الجامعة الاسلامية هو الحقد الذي يضمره سكان البلاد للفاتحين الاوربيين ولكن (المحبة) التي تبثها ارساليات التبشير النصرانية ستضعف هذه الرابطة وتوجد روابط جديدة تحت ظل الفاتح الاجنبي !

عجالة من رحلة الهند

(اصحاب المنار)

٢

التعليم الديني في الهند

سألت عن مدارس الحكومة الانكليزية في الهند فقيل لي ليس فيها تعليم ديني ألبتة فلا يعلم فيها دين الحكومة ولا دين أحد من الاهالى (كما مر في النبذة الاولى ج ٦ ص ٤٥٥) . وبلغني أن المجوس يعلمون دينهم في مدارسهم ولم يتسن لي زيارة شيء منها على ما كان من رغبتي في ذلك لما ذكرت من ارتقاء هذه الطائفة في علومها وآدابها وحضارتها وكنت أرى أفراداً من رجالها ونسائها على شاطئ البحر بعد طلوع الشمس يصلون بما يقرءون من الكتب الدينية فما كانت عبادة الشمس والنار والبحر مانعة لهم من الترقي المدني فكيف يمنع منها دين التوحيد والفطرة ؟

وكذلك الوثنيون يعلمون دينهم في مدارسهم ، وإن أدري أذلك عام فيها وفي جميع فرقهم ام لا . وقد دخلت في آكره مدرسة كبيرة لطائفة السنك فعلمت أنهم يعلمون دينهم فيها . وهذه الطائفة صارت تتصدى للدعوة الى دينها ، ولم يكن هذا معهودا عند الوثنيين من قبل ، وبلغني ان بعض الجهلة المنتسبين الى الاسلام قد

اتخذوا الوثنية اجابة لدعاتها (راجع الجزء السادس ص ٤٥٥) ، ولا عجب في ذلك بعد فشو نزغات الوثنية في المسلمين بدعاء اصحاب القبور واتخاذ قبورهم اوثانا ، واتخاذ توابيت لهم يطوف بها المسلمون الجغرافيون في اسواق مدن الهند وشوارعها كما يطوف الوثنيون بأصنامهم ، حتى صار يصعب على اكثر علماء الاسلام في هذا العصر أن يقنعوا علماء الاديان الأخرى بان دينهم يمتاز على اي دين من تلك الاديان ، وكان المميز الأعلى له في أهله التوحيد الخالص الذي لا يتحقق الا بامتثال قوله تعالى « فلا تدعو مع الله احدا » وامثال هذه الآية من الآيات الكثيرة . فاما التوحيد اللساني الذي يظن اكثر المشتغلين بالعلوم الاسلامية انه خاص بالمسلمين فما هو خاص بالمسلمين ، وفي بحثي مع ذلك البرهمي في مدينة (بنارس) المقدسة عندهم عبرة للمعتبرين ، فانه زعم ان جميع الملل اخذت التوحيد عنهم لانهم أقدم الأمم فيه ، وأن الأولياء الواصلين من المسلمين إنما يرتقون الى أصل دين البراهمة الذي هو وحدة الوجود كشمس الدين التبريزي ومحيي الدين بن عربي (راجع ص ٤٥٦ من الجزء السادس) ، وهو يحفظ كثيرا من كلامهم ويطبقه على دينه ، ولا يرى عبادة بعض المخلوقات التي لها مزية في نفع البشر تنافي التوحيد والوحدة لانها لا تعبد إلا لأنها مظهر الفيض الالهي كما يزعم ، ويؤيد كلامه بنقول عن صوفيتهم وصوفية المسلمين.

وقد اسمعني كاهن السنك عند قبر ملكهم في لاهور طائفة من كتابهم المقدس كلها من اعلى الكلام في توحيد الله وتقديسه (راجع ج ٦ ص ٤٥٥) وعزو كل شيء في الكون اليه ، ولم يتعمد الكاهن اختيار ما قرأه بل فتح الكتاب امامي وقرأ من حيث فتح ، وانك على هذا الكلام المؤثر في التوحيد الخاص ترى تجاه قبة قبر الملك شبه منصة في بناء آخر عليها الصنم ذو الأيدي الثمان الذي يزوره السنك والمسلمون جميعا للاستشفاع به اذا أصابهم مرض الجدري (وما يؤمن اكثرهم بالله الاوهم مشركون).

**

اما المسلمون فكانت سوق العلوم الدينية ووسائلها من العلوم العربية نافقة في كثير من مدنهم ثم كسدت مدة طويلة ما كان يظهر فيها الا قليل من العلماء ثم جددها (ولي الله الدهلوي) صاحب كتاب حجة الله البالغة بنزوعه الى الاستقلال في الفهم ، واجتناب التقليد الاعمى في كل علم ، وكان له خلائف يسيرون على طريقته ثم انحرفوا عنها ، وزجوا أنفسهم في غمرة التقليد اتباعا لجمهور الطلبة وابتغاء مرضاتهم ،

والعلم الصحيح والتقليد المحض ضدان لا يجتمعان ، وانما يجتمع مع التقليد ومحالفه الجدل والمراء ، فزال بذلك العلم الاستقلالي أو كاد ، وضعف ما يسمى بالعلم التقليدي أيضا كما ضعف في سائر الاقطار والبلاد ،

على انني رأيت في مدرسة (ديوبند) التي تلقب بازهر الهند نهضة دينية علمية جديدة أرجو ان يكون لها نفع عظيم . وهذه المدرسة لخلفاء ولي الله الدهلوي . وقد اقترحت على علماء هذه المدرسة الأخيار عدة اقتراحات في إصلاح التعليم وزيادة بعض العلوم العصرية في برنامجها (وهم يطلقون كلمة نصاب في معنى البرنامج او البرغرام في عرف مصر) وان يجعلوا دراسة الفلسفة اليونانية خاصة بطائفة من الطلبة وهم الذين يراد منهم الاخصاء في العلوم العقلية والفلسفة القديمة وتاريخ هذه العلوم ، وان يخصصوا لكل نوع من العلوم طائفة من طلبة القسم العالي لاجل التبوغ فيها بعد الاكتفاء من غيرها بالقدر اليسير ، ويعدوا بعضهم للدعوة الى الاسلام ، وبعضهم لارشاد عامة المسلمين ، على منهج مدرسة دار الدعوة والارشاد وان يعلموا المبتدئين اللغة العربية نفسها بالتكلم بها والترجمة قبل تعليمهم فنونها والفنون الشرعية المتوقفة عليها ، وحينئذ يسهل عليهم اقتحام العقبة الكؤود في طريق التعليم عندهم وعند سائر الأعاجم وهي قراءة الكتب العربية - في جميع العلوم والفنون بالترجمة ، وانني بعد مذاكرة بعض اعلامهم في حال التعليم عندهم خطبت فيهم خطبة طويلة في احتفال عام اجتمع فيه المدرسون والطلبة أودعتها هذه الاقتراحات وغيرها من النصائح التي خطرت على بالي في ذلك الموقف . فرأيتهم قد وافقوني في جميع ما قلته ، بل كانوا قد سبقوا الى الفكر والعمل ببعضه من قبل وأسسوا جمعية دينية للمدرسة سموها جمعية الانصار

ما قرت عيني بشيء في الهند كما قرت برؤية مدرسة ديوبند ، ولا سررت بشيء هناك كسروري بما لاح لها من الغيرة والاخلاص في علماء هذه المدرسة . وكان كثير من اخواني المسلمين في بلاد الهند المختلفة يذكرون لي هذه المدرسة ويصف رجال الدنيا منهم علماءها بالجمود والتعصب ، ويظهرون رغبتهم في إصلاح تعميم نفعها وقد رأيتهم ولله الحمد فوق جميع ما سمعت عنهم من ثناء وانتقاد، وأرجو أن يصدق ظني فيهم بانهم من أبعد جميع من عرفت من علماء الاسلام الدينيين عن الجمود والغرور . وستكون الصلة بين مدرستهم ومدرسة دار الدعوة والارشاد وجماعتها داعية إن شاء الله تعالى . وسأذكر في الرحلة خبر زيارتي لهذه المدرسة بالتفصيل ، ومنه ما دار

من الخطب هنالك ولا سيا خطبة أحد العلماء في تاريخ المدرسة وسير العلم فيها

هذا وان للعلم الديني بقية في معاهد ومدارس أخرى من المدن الآهلة بالمسلمين كدهلي ولكهنوء ولاهور . واني لأرجو الخير والاصلاح لمدرسة (فتح بور) في دهلي بهمة ناظرها سيف الرحمن الافغاني وغيرته واخلاصه وقد سررت بزيارتي واجتماعي بجمهور العلماء والطلبة فيها ورحب بي بعضهم بخطبة عربية ارتجالية فاجبته بخطبة وجيزة أودعتها من النصائح في اصلاح التعليم وأهله ما فتح الله تعالى علي به هنالك . وحثثتهم على العناية بتعلم اللغة العربية بالقول والكتابة وترك قراءة الكتب بالترجمة فاظهروا الارتياح لذلك

أما مدرسة ندوة العلماء التي أسست لأجل اصلاح التعليم الديني ودراسة العلوم الاسلامية والعصرية كلها باللغة العربية والتي زرت الهند بدعوة جمعيتها وكنت رئيس احتفالها (اجتماعها العامّ في هذا العام) فانني لم أقف على طريقة التعليم فيها ولم أختبر أحداً من طلبتها لأن أيام زيارتي لها كانت أيام عطلة الدراسة واشتغال الناظر والمعلمين بالاحتفال الذي لم يسبق له نظير في كثرة اقبال الناس عليه من البلاد الاسلامية الكثيرة . وقد ارتجل أحد طلبتها خطبة وجيزة بالعربية لم يكن فيها أطلق لساناً ولا أوسع مجالا من الطالب الذي خطب بالعربية في مدرسة (فتح بوري) في دهلي. وسيكتب لي رئيس الندوة بياناً مفصلا عن مدرستها ينشر في الرحلة ان شاء الله تعالى

يعنى أهل الهند بالمعقولات من المنطق والفلسفة القديمة والاصول فعنايتهم بها وبالحديث أشد من عناية أهل مصر والشام ، بل أقول انني لا أعرف أن شعباً من شعوب المسلمين يعنى بالحديث كعنايتهم ، فهذا الازهر أشهر المدارس الدينية وأكبرها كاد يكون علم الحديث فيه نسيا منسياً ، ولكن حظ مسلمي الهند من أحاديث الاحكام الفقهية أنهم يتكلفون تطبيقها كلها على مذهبهم في الفروع والا حملوا ما يعييهم تطبيقه على النسخ عملا بقاعدة الكرخي وأمثاله من فقهاء المذاهب وهي : ان كلام أصحابهم (الحنفية) هو الاصل وكل من الكتاب والسنة يعرض عليه فان وافقه قبل وسمي حجة له ، وان خالفه أول أو ادعي نسخه ، الا أن يجدوا مطعنا في سند الحديث فانهم يكتفون بذلك أمره كما قال الكرخي . وقد قلت لبعض كبار العلماء في الهند – وقد أنست منه الصلاح والانصاف – أليس هذا عين التحريف المعنوي الذي نعاه الكتاب العزيز على أهل الكتاب ؟ فقال: اللهم نعم ، قلت : فلم لا تقرءون الحديث وتقررون معناه بحسب المتبادر من لفظه وتجعلونه فوق المذاهب أو بمعزل

عنها ؟ قال ان هذا لا يرضي الطلبة ولا يحضرون دروس الحديث الا اذا قرىء على هذه الطريقة . قلت اذا تؤثرون مرضاتهم على مرضاة الحق ؟ قال هذا هو الواقع !! ولكن بعض علماء ديوبند قال انه يسهل تطبيق جميع الاحاديث على مذهب الحنفية بغير تكليف وضرب لذلك بعض الأمثلة . وهذا أغرب كلام سمعته من المشتغلين بالعلم فان المسائل التي اختلف فيها أبو حنيفة مع مالك والشافعي واحمد وغيرهم من أئمة الفقه (رضي الله عنهم أجمعين) كثيرة جداً وهم كانوا اكثر رواية للحديث وكانوا فيه على نسبة تأخرهم فأحمد اكثر رواية من الشافعي والشافعي أكثر رواية من مالك وهذا أكثر رواية من أبي حنيفة . ثم أنهم كانوا أعرق منه في معرفة لغة الحديث لأنهم أصلاء في العربية وهو دخيل فيها ، فاذا فرضنا انه كان أذكى ذهنا منهم كلهم فلا يعقل أن يصل بالذكاء الى أن يكون هو المصيب وحده في جميع المسائل المختلف فيها ولا يتفق لأحد منهم أن يصيب في مسألة ما على سعة علمهم ومعرفتهم واجتهادهم. ولا يلجأ الى الجواز العقلي وان كان محالا عادياً في مثل هذا الا الجدل المماري . على أنه مشترك الالزام فكما يجوز أن يصيب هذا في كل مسألة لانه ممكن بالامكان الخاص يجوز أن يكون ذلك هو المصيب ، ويجوز أن يخطئوا جميعاً ، وكما يجوز هذا عقلا يجوز شرعاً اذ ليس احد منهم معصوماً ، ولكن المعقول الموافق لسنن الله تعالى هو أن كل واحد يخطىء ويصيب الا المعصوم

لا يتوهمن متوهم انني أريد بشيء من كلامي هذا تفضيل بعض هؤلاء الاعلام في اجتهاده على بعض وانما أعتقد أن كل واحد منهم يصيب ويخطئ وان الصواب ليس واجباً لاحدمنهم ولا وقفا عليه ولا لازما له اذ لا عصمة لأحد منهم . وأما قول بعضهم ان مذهبنا صواب يحتمل الخطأ ومذهب غيرنا خطأ يحتمل الصواب . فانما يصح مثله من المجتهد لأن اجتهاده أوصله الى الظن بان ما ذهب اليه هو الصواب ، ومقتضاه أن يظن ما خالفه خطأ ، وكل منهما يحتمل الصواب بطبيعة مفهومه . وأما المقلد فلا مذهب له وانما ينتمي الى المذهب الذي يجد عليه آباءه وقومه فان تحول عنه فانما يتحول لمنفعة تعرض له في غيره لان المذاهب عبارة عن طريقة يجري عليها المجتهد في استنباط الاحكام، واين المقلد في ذلك؟ ولو كان له مذهب يذهب اليه في الفهم والاستنباط لما انتسب الى شخص أحد من العلماء فقيل مالكي وشافعي. واني أراني أطلت في هذه المسألة ولم أكن اريد الخوض فيها ولا هذه العجالة بموضع لها ولكن جمح القلم فلنرد جماحه ولنعد الى ما كنا فيه

واذا كانت قراءة احاديث الاحكام حجة على من يتعمد تأويلها واخراجها عما يتبادر الى فهمه من معناها وإضلالا لمن يتلقى هذا التأويل بالقبول ، فهذا لايتعدى مااختلفت فيه المذاهب والآراء الفقهية من الاحاديث ، ويستفيد المشتغلون بالحديث من سائر الاحاديث آدابا وحكما وعلوما لايجدونها في كتب الفقه ولا في غيرها من كتب العلم . وقد كان من تأثير الاشتغال بها أن صار في الهند طائفة كبيرة تعمل بها وبما يتبادر من الكتاب العزيز لايقلدون دينهم أحدا وانما يستعينون بكلام العلماء على فهم الكتاب والسنة . وهم يسمون أنفسهم أهل الحديث ، ويطلق عليهم عوام الحنفية لفظ « وهابية » وقد يكون فيهم من لم يطلع على شيء من كلام الشيخ محمد ابن عبد الوهاب الذي ينسبونهم اليه . وسيرة هؤلاء الشخصية احسن من سيرة سائر فرق المسلمين المنتمين الى المذاهب ، فهم يجتنبون الفواحش والمنكرات والبدع كلها، ولا سيما بدع القبور ، فاذا زاروها وقفوا عند حدود السنة المأثورة من الدعاء والاعتبار، ويحافظون على صلواتهم وغيرها من الفرائض ويصدقون في معاملاتهم الدنيوية ويتصحون

وجملة القول ان التعليم الديني كان قد ضعف في الهند كما ضعف في سائر الاقطار، وقد طفق يجدد قوته ، ويعيد مافقد من استقلاله ، ويصلح ما فسد من طرقه واساليبه، ويوشك ان يظهر أثر الاصلاح ونتيجته في (ديوبند) قبل ظهورهما في الازهر

*

الحالة السياسية في الهند

السياسة فتنة اذا تركها الكاتب والمؤرخ لاتتركه، وانني رحلت الى الهند وأنا أنوي ان أقصر عملي فيها على اختبار حال اخواني المسلمين في الدين والعلم الديني والدنيوي لا احفل بغير ذلك ولا أعنى بالبحث عنه ، ولا سيما السياسة ، ولكن الحكومة الانكليزية هنالك جعلتني في موضع الظنة واتهمتني بالسياسية فأذكت عليّ العيون والجواسيس فكانوا أتبع لي من ظلي من حيث افطن لهم ومن حيث لاأفطن . ومنعت جمعية ندوة العلماء عما كانت تريده من اقامة اقواس الزينة وعمدها امام محطة (لكهنوء) وفي شوارعها لاجلي ، وكادت تمنعها من جعلي رئيسا لاحتفالها لولا أن أقنع رئيسها الوالي الانكليزي بأنني رجل علم ودين لا رجل سياسة ، وذكر له ان من رأيي ان الجامعة الاسلامية لا وجود لها ولا ضرر في وجودها على الاستعمار الاوربي ، واستشهد على هذا بجريدة انكليزية نقلت هذا الرأي في خطبة للدكتور مرجليوث الاستاذ في مدرسة اكسفورد الجامعة في انكلترة

وقد عملت بما نويت فلم أتعمد البحث في السياسة لذاتها وكنت احسن التخلص ممن يسألني مسائل سياسية فلا أسيء رده ولا اخوض معه كثيرا ولكن جاء في كثير منها عفوا أو نافلة تابعة لمباحث أخرى كبحثي مع بعض الاذكياء المتعلمين في المدارس العالية في الهند وانكلترة وغيرهم عن رأيهم في مستقبل المسلمين مع الوثنيين في الهند، وقد جاء الكثير مما سمعته مطابقا لما كنت أعلمه أو أعتقده استنباطا من الاخبار التي تصل الينا في الجرائد . ولكنني سمعت من الآراء مالم يكن يخطر لي ببال

يعرف اكثر المشتغلين بالسياسة في الاقطار المختلفة ان وثنيي الهند قد ارتقوا في العلوم العصرية ارتقاء أشعرهم بالحياة القومية ودفعهم الى مطالبة الانكليز بحقوقهم في ادارة بلادهم وأحكامها ، وأنهم صاروا يهددون الحكومة باغتيال رجالها ونسف سككها الحديدية ومبانيها الاميرية بالديناميت ، وقد فعلوا ذلك غير مرة ، وهم يحتجون على الحكومة بأنهم مستعدون لكل عمل في الحكومة كاستعداد الانكليز وغيرهم أو هم احسن استعداداً ، ويطلبون منها أن تمتحنهم مع رجالها في اي القوانين الادارية والقضائية وفي أي العلوم التي يتوقف على اتقانها أي عمل من الاعمال في أي فرع من فروع الحكومة ومصالحها ، فان لم يكونوا أعلم منهم فلا تقبل لهم طلبا . وكذلك يطلبون تجربتهم في تلك الاعمال فان لم يقوموا بها كما يقوم بها العمال من الانكليز ، واحسن فانهم يعذرونها في حرمانها اياهم أو اعطائهم دون حقهم منها

وهم في اقليم بنغاله أرقى منهم في غيره واشد عصبية . وكانت الحكومة قسمت هذا الاقليم الى ولايتين ، وكان من مصلحتها في ذلك ان المسلمين يكثرون في احدى هاتين الولايتين فيكون لها العذر بأن تكثر من عمالهم فيه – وضلعهم معها – فيضعف بذلك نفوذ الوثنيين ، فما زالوا يلحون في جعله ولاية واحدة كما كان ، ويهددون الحكومة اذا لم تفعل حتى انفذ ذلك ملك الانكليز عند إلمامه بالهند للاحتفال بتتويجه ، وقد ساء ذلك المسلمين اشد الاستياء وعدوه جبنا من الحكومة وخوفا من الوثنيين . ويقال ان أمر الملك بجعل (دهلي) قاعدة الممالك الهندية ومركز حاكمها العام بدلا من (كلكته) قد قصد به ارضاء المسلمين وتطييب قلوبهم لانهم كثيرون في دهلي وولايتها ، وكانت عاصمة ملكهم من قبل . وقد التزمت الحكومة للمسلمين حفظ حقوقهم في الوظائف في بنغاله ، وان كانوا الآن ستة في المئة من مجموع أهلها (كالقبط بالنسبة الى مسلمي مصر) وكانوا في أحد قسميها السابقين زهاء الثلث .

يعتقدون انها تعبث بهم فيكونوا كلهم مع الوثنيين إلبا واحدا ، وحينئذ يتغير وجه السياسة في الهند وان كانت قوى الانكليز الادارية والسياسية والمالية والالية تكفل لهم طول زمن الاستيلاء التام على تلك الممالك الواسعة مادامت لاتخاف ان تعارضها فيه قوة خارجية ، بل هي تضم قسما كبيرا من ايران الى الهند وبلوخستان وتطمع فيما هو أعظم من ذلك والى الله المصير .

نهضة آسيوية

كتب المستشرق المجري « فامباري » الاستاذ في جامعة « بودابست » (١) في مجلة القرن التاسع عشر في عدد ابريل (نيسان) من هذه السنة بحثاً مسهباً تحت عنوان « المسلمون والبوذيون » طعن فيه بالنهضة الآسيوية عموماً وبالحركة الاسلامية خصوصاً وهو الذي كتب مقالات ضافية في مجلة القرن التاسع عشر هذه على أثر خلع السلطان عبد الحميد بسط فيها آراءه في ذلك الخليع وفي رجال الدولة العثمانية كافة وتوسع في نقد عادات الاتراك وسلاطينهم وطعن بهم وبوزرائهم أقبح طعن ، ونسب الى السلطان عبد الحميد الجهل والتعصب وفساد الاخلاق وسوء التربية ومما قاله عن سعيد باشا الصدر السابق : إنه كالثعلب آية في الاحتيال والمخادعة .

وقد كانت عربت جريدة الافكار التي تصدر في البرازيل مقاله هذا في حينه وعلقت عليه تعليقاً وصفت فيه ذبذبة هذا الرجل الطائر الصيت وذكرت غشه وخداعه وتناقضه وقالت فيه مجلة المقتطف وقتئذ : ان عمل الاستاذ هذا محط بقدر العلم ومخل بشرف العلماء ،

وقالت الافكار في عدد ٦٢٨ الذي نلخص عنه هذه المقدمة ونتبعها بنقل مقالته الآنفة الذكر عنها — قالت :

« أمامنا الآن مثال آخر على رياء ذلك المستشرق وخداعه الرأي العام ، ونعني

(١) فامباري هذا كان استاذاً خصوصياً للسلطان السابق وقد أقام في قصر النجم « يلديز » زمنا طويلا وكان يطري سياسة السلطان عبد الحميد ويحط من قدر الشعوب العثمانية لما كان ينقده السلطان في مقابل ذلك من الدنانير العديدة ولم يكن الاستاذ ليبالي بتضليل الرأي العام الاوربي فيما كان يخدع به دائرة المعارف الفرنسية وغيرها وفامباري هذا له معرفة بكثير من البلاد الاسلامية

لم يمنع هذا بعض المسلمين من اظهار السخط الشديد للحكومة والتشديد في انتقادها ولومها في الجرائد وكان النواب وقار الملك ممن كتب في ذلك كتابة شديدة على أناته ووقاره وسنه ، فما بالك بالشبان كالكاتب البليغ صاحب جريدة (زميندار) التي أنشئت حديثا في لاهور ، فانه كان شديد المعارضة ، قوي العارضة ، حتى أحرج صدر الحكومة فحملته غرامة حملتها عنه الأمة وأظهرت الميل اليه ، والحدب عليه ، وانبرى للرد عليه صديقنا صاحب جريدة (وطن) وحمي الوطيس بينهما ، ولم تخل الردود بينهما من المطاعن الشخصية ، ورأيت عقلاء المسلمين في المدن التي زرتها قبل زيارة لاهور متألمين من هذا الخلاف بين الجريدتين ، ويتمنون اصلاح ذات بين الكاتبين ، ولا يجدون الى ذلك سبيلا ، وقد وفقني الله تعالى للاصلاح بينهما فان كل واحد منهما قد أكرمني بتحقيق رجائي بعد ان حاول اقناعي بعذره وكون الحق معه ، فأنا اشكر لهما ذلك واسأل الله لهما التوفيق في خدمة امتهما

كان المعروف عندنا بمصر أن حكومة الهند تتألف المسلمين وتساعدهم على الارتقاء لتجعلهم في وجه الوثنيين الذين طفقوا يجاذبونها زمام الحكم في البلاد ، وان المسلمين ضلعهم مع الحكومة يمتزون بها على الوثنيين ولا يريدون الاتفاق مع الوثنيين عليها . وقد ظهر لي من كلام كثير من أهل البصيرة تفصيل في هذه المسألة ، مجمله أن سياسة الحكومة غامضة فيها فبعض رجالها يظهر الميل الى المسلمين والرغبة في ارتقائهم ولكن مع الاحتراس في العمل ، وبعضهم يظهر الميل الى مراعاة قوة الوثنيين ، ولاجل هذا يوجد في المسلمين اناس يرجحون الاتفاق مع الوثنيين وان يكونوا معهم إلبا(١) واحدا على الحكومة ، وأكثرهم يرجحون جانب الحكومة ، ويرجون بالاخلاص لها ان يرتقوا في العلوم والوظائف ، ويرون أن الوثنيين لاينصفونهم ، ولا يجعلون لهم حظا من الحكم يليق بهم اذاهم ظفروا بما يسعون اليه من الاستقلال . وقد سمعت من بعضهم ان الوثنيين يستميلونهم اليهم ، ويقولون لهم اننا امة واحدة يجمعنا وطن واحد ، وهؤلاء الانكليز يحتقروننا جميعا فيجب ان نكون إلبا واحدا عليهم

الحكومة الانكليزية بارعة في اقامة ميزان السياسة بين الشعوب والانتفاع من الخلاف بينهم ، ولكنني أظن أن الموازنة الحاضرة بين مسلمي الهند ووثنييها لايطول أمدها ، فاما ان تجمع هذه الحكومة أمرها في مساعدة المسلمين على الارتقاء الصحيح الذي يساوون به الوثنيين فيكونوا كلهم معها ظاهرا وباطنا ، واما ان تايهم بالتافه حتى

(١) الالب القوم يجتمعون على عداوة واحد

طعنه الحاضر بالنهضة الاسيوية عموماً والحركة الاسلامية خصوصاً وهو الذي كان سابقاً يؤيد المسلمين ويتظاهر بمصادقة عموم الاسيويين قائلا بوجوب مساعدة زعمائهم المفكرين ورجالهم الناهضين . فما باله الآن يكتب قائلا « اقطعوا البرعم قبل أن يزهر ويثمر » اه

الحق أن أمثال هذا المستشرق في السياسين والدينيين كثير في أوربة ولكن قل أن يوجد مثله في رجال العلم بمخادعته وتناقضه

على أن ذنب الشرقيين عموماً والمسلمين خصوصاً الوحيد أمام أوربة السياسية والدينية هو اننا نريد أن نحيي فنحن مؤاخذون بهذا الذنب ولو لم يصل الى حيز الفعل بل قبل أن نعدوسائله ، فالويل لآسية من يوم عصيب اذا لم تنهض نهضة المستميت وتتدارك مافات من التقصير والا فانها واقعة في حبائل أوربة الاستعمارية لا محالة وهذه هي مقالة فامباري وفيها مثال واضح من حب الانسانية وخير البشر !! العبرة لمن يعتبر قال :

﴿ المسلمون والبوذيون ﴾

العجم ، وطرابلس الغرب ، ومراكش

« ثلاثة مراكز اسلامية هوجمت بوقت واحد . فما هو سبب هذا الهجوم ياترى ؟ أعارض فجائي هو أم ضربة سياسية مدبرة ؟ بالحقيقة ان الصليب لم يضرب الهلال ضربة أشد من هذه الضربة الحاضرة ولم يقتحم خطراً شبيهاً بالخطر الحالي

« كان الغرب منذ مئات من السنين يحارب الشرق حروباً طبيعية لامفر منها وصار الشرق مغلوباً من بدء القرن التاسع عشر وما برح مغلوباً حتى الآن والمسلمون يزيدون جهلا وفقراً وذلا مما أطمع بهم الاعداء . ورغما من قيام عدد من المفكرين فيهم فان السواد الاعظم عندهم ما زال حتى الآن غارقاً في بحار الجهل والاوهام ومصاباً بداء الفقر العضال مما حمل الناهضين منهم على اليأس فقطعوا الرجاء من الاصلاح وجلسوا بحياء ممزوج بامتعاض وغضب على مجالس الاوربي يتعلمون منه مبادئ العلوم العصرية وهم على جانب عظيم من الذكاء والمهارة . ولكن الامم كالأفراد لانها مجموعة افراد . والفرد لا يتغير فجأة بل عليه أن يطرح الثوب العتيق ويؤهل ذاته للبس ثوب جديد يليق بالهيأة الحديثة . والمسلمون عموماً يصعب بل يتعذر عليهم التحول الفجائي لان عليهم اولا نبذ اعتقادات وعادات قديمة ومن ثم

تهيئة ذواتهم وتكييف طباعهم لقبول تعاليم جديدة . وأوربة ترى هذه المحاولة من جانب المسلمين منذ مئة سنة وشعوبها تقف متفرجة مسرورة من ذلك النهوض في الامم الشرقية ولكن الحكومات تقف مذعورة منها فتضع العراقيل وتزيد الصعوبات وكانها تقول : ياشرق ! ابق خاملا جامداً فقيراً الى ما شاء الله

« تقف حكومات أوربة مذعورة تجاه نهضة الشرق هذه فتعد المعدات السرية لخنقها وهي تتظاهر بوجوب حفظ الامن في تلك الاماكن الناهضة أو بوجوب تمدينها وحمايتها . والصحيح هو ان اوربة لا يهمها من التمدين ولا من شيء بل همها الوحيد هو مثلث الاركان أي : امتلاك واستعمار بلاد جديدة اولا . وفتح أسواق جديدة لمصنوعاتها ثانياً . ومد نفوذها الادبي وسطوتها السياسية ثالثاً . ولولا تحاسد الدول الاوربية ووقوف بعضها بالمرصاد للبعض الآخر لكانت آسية في قبضة أوربة منذ مئة سنة

« وقد نجح بعض دول أوربة فتحين فرصاً مناسبة وقبض يد من حديد على قليل من تلك الاملاك الآسيوية السائبة فامتلكها أو احتلها أو استعمرها . ولما تقوى البعض الآخر من دول أوربة ورأى ان تلك الغنيمة على وشك الفرار من يده فيما اذا صبر حتى يتحين فرصة قد لا تجيء مطلقاً قام فوثب بغتة على املاك اسلامية من دون حجة ظاهرة أو عذر مقبول قائلا بلسان حاله : انكم ايها المستعمرون السابقون التهمتم كثيراً فاتركوا لغيركم شيئاً من الفريسة المعدة للاقتسام . هذه هي الاسباب الحقيقية لغزوة العجم وطرابلس الغرب ومراكش ولا صحة لما تتبجح به أوربة قائلة : ان العالم الاسلامي بربري همجي وليس فيه شيء من الامن والنظام وعلينا تمدينه وحفظ الامن فيه

« بيد اننا لسوء الحظ لا نقدر على انكار شيء من هذه الحجج واعني وجود خلل في الامن والنظام ووجود الجهل والتأخر في مراكش كما في العجم وطرابلس الغرب . ففي مراكش أراض خصبة ومعادن كثيرة ولكن سكانها لا يعرفون كيف يستثمرونها ولا خلاف في ان دولة متمدنة مثل فرنسة تعرف كيف تنفع وتنتفع من هذه الخيرات الطبيعية الجزيلة في بلاد المغرب . وفي طرابلس الغرب أيضاً كان الجهل والفقر ضاربين اطنابهما ولكن هذا مهما كانت حقيقته واضحة فان الرأي العام لم يبرر عمل ايطالية بغزوتها تلك الولاية العثمانية بل أجمع على تقبيحه فدعا عمل إيطالية قرصنة وخيانة وخرقاً لحرمة المعاهدات الدولية واعتداء على حقوق الامم الضعيفة والمستضعفة

«قد كان بالامكان إسعاد حالة الطرابلسيين تحت حكم تركية الدستورية الجديدة ولكن من الواضح ان حالة تركية الاقتصادية والسياسية لا تؤهلها لترقية تلك الولاية بالسرعة المطلوبة كما هو المأمول من دولة أوربية مثل ايطالية (قالت الافكار من هنا بدأ الاستاذ بالتحيز الاعمى الى جانب أوربة) واذا راجعنا التاريخ نعلم ان حالة أفريقية الشمالية كلها كانت على زمن الرومانيين القدماء أفضل بكثير مما هي اليوم على زمن الحكم الاسلامي فيها . وأينما سرت في شمالي افريقية من مصر شرقاً الى مراكش غرباً ترى الخراب والدمار وسائر نتائج الاهمال والفساد . وعند ذلك لا بد لنا من أن نتساءل قائلين : ألم يحن الوقت للقضاء على تعصب العرب وبربريتهم قضاء مبرماً وسريعاً حتى نستريح من عوامل التخريب هذه ؟

« وماذا نقول عن العجم ايضاً ؟ كان الاعجام فيما مضى آية في الحذق والفطنة فصاروا في القرون الاخيرة على غاية من الانحطاط والفقر بسبب فساد حكومتهم وجهل حكامهم . وحيثما سرت في بلاد فارس ترى الفوضى والقلاقل والثورات . ولا هم للحكام الا مشاركة اللصوص وقطاع الطرق بابتزاز أموال الناس وازهاق أرواح العباد . وانني لا أزال أرتجف حنقاً من ألم الذكرى التي طبعت في مخيلتي بعد ما سحت في بلاد فارس ورأيت فيها من الفظائع ما تقشعر منه الابدان . وها ان ملكوم خان سفير العجم سابقاً في باريز وابراهيم بك الفارسي كتبا ما يؤيد ما أنا بصدده الآن من فساد الحكام وجهل الرعية وهدم كل مباني العدالة والرقي في تلك الديار الخصيبة الواسعة

«أليس من العدل اذن أن تغير أوربة على بلاد متخلفة معتلة كهذه ؟ فمجرد وجود دولة أوربية في بلاد فارس كاف لوجود الامن والنظام فيها ولجعل اهليها يتنشقون هواء الحرية فينهضون من سباتهم العميق ويزيحون من أمام تقدمهم واسعادهم كل عثرة كالتعصب الديني الذي كان وما برح عندهم من اكبر عوائق التمدن والترقي . وحكومات أوربة العالمة هذه الامور صار لها نحواً من مئة سنة تسعى للدخول الى الممالك الاسلامية تدريجاً ونزع استقلالها . وهكذا أصبحت كل البلدان الاسلامية تحت رحمة أوربة ولا أستثني منها الحكومة العثمانية أيضاً لان الامتيازات الاجنبية الموجودة في تركية هي وحدها كافية للدلالة على ان تركية مغلولة الايدي وتحت مطلق تصرف الدول وليس استقلالها إلا إسمياً ظاهرياً

«وأمير الافغان ولئن كان متمتعاً الآن بلقب «صاحب الجلالة» ولكنه هو ذاته

أدرى من الغير بان انكلترة لم تدعه يتلذذ بهذا اللقب الا من باب المجاملات السطحية التي لا معنى حقيقياً لها على الاطلاق

«دري المسلمون هذه الحقائق فشرع المتنورون منهم يرفضون التمدن الاوربي الذي أدخلته اليهم الدول بحد السيف ويقولون انهم يؤثرون الاستبداد والظلم والفساد الوطني على التمدن والنظام والعدل الافرنجي . وها ان أفضل المفكرين منهم وخصوصاً الاتراك جهروا بافضلية حكم وطني ولو كان اقبح من حكم عبد الحميد على الحكم الاوربي مهما كان حسناً نافعاً . وخطة الاتراك هذه معقولة لانهم وهم عنصر قليل في الامة العثمانية قاموا فنادوا بالجامعة الوطنية ولا يسعهم الا الضرب على وتر الدين الحساس اولا حتى يتقووا بانضمام المسلمين العرب والاكراد اليهم . والعرب الذين حكموا العالم قروناً عديدة باسم الدين الاسلامي يعسر عليهم الاقتناع بوجوب نبذ الجامعة الدينية جانباً ما لم تجبرهم أوربة على ذلك الاقتناع بحد السيف وقنابل المدفع

نهضة عامة في كل آسية

«ولما درى عقلاء المسلمين عظم الصعوبات التي امامهم قاموا اخيرا يفتشون على مخرج لهم من ذلك المأزق الضيق الذي وضعتهم اوربة فيه . وظهرت بوادر شروره عليهم في الاونة الاخيرة باكتساح العجم وطرابلس الغرب ومراكش ومضايقة حزب تركية الفتاة لدرجة متناهية فالتجأوا الى الجامعة الشرقية الوطنية وهكذا اضطر المسلمون آخراً الى مصافاة اعدائهم السابقين والى الاتحاد مع ابناء آسية عموماً ناسين الاحقاد القديمة ونابذين الضغائن السالفة التي كانت السبب الاكبر في تضعضع الشرق وضعف الشرقيين . وأول مظهر من هذه المظاهر السياسية كان اتحاد المسلمين مع البوذيين في بلاد الهند

« ان الدين المحمدي يقسم الناس الى قسمين : المجوس وأهل الكتاب . فأهل الكتاب بعرفه هم النصارى واليهود وهؤلاء لهم حق الحماية والرعاية ضمن الشروط . أما المجوس وعبدة الاوثان فليس لهم ذلك الحق مطلقاً ولذلك كان سلاطين المغول المسلمون في الهند يستحلون اموال البوذيين والبراهمة وارواحهم واعراضهم ولم ينتف هذا الامر الا بعد ان احتلت انكلترة الهند وامتلكتها اخيراً بحد السيف . ولذات السبب عينه هجر العجم فريق كبير من سكانها المجوس القدماء فقطنوا الهند حيث عرفوا باسم پارسي وكانوا اقوى نصير للانكليز في تثبيت قدمهم ببلاد المغول

الهندية المسلمة انتقاماً من مسلمي العجم وانني في كل سياحتي ببلاد العجم وسائر آسيا المسلمة لم أسمع من أتباع محمد سوى ذم المجوس وتحليل قتلهم وتعذيبهم . ولذلك فلا غرابة اذا كان فريق البارسي قد أيد انكلترة في الهند وكان لها عوناً في الحروب ومسلمو القوقاس وتركستان وخيوى والصين وبخارى على ذات العقيدة وهؤلاء كانوا يدعون اليابانيين والصينيين ايضاً مجوساً وعبدة أوثان ويضمرون لهم البغض والاحتقار. وبعد هذه المقدمات ألا يندهل القارىء عندما يعلم أن كل أولئك المسلمين يبدون الآن عطفاً على أهل اليابان والصين والهند كافة و يقولون انهم هم وأتباع بوذه وبرهمه وكونفوشيوس اخوان ؟ حقاً ان هذا الاتحاد الجديد والانضمام الغريب يقضي بالعجب العجاب . ولكنه اتحاد حقيقي لا ريب في وجوده . تعرفه حكومات أوربة الآن ويتهامس به وزراؤها وراء جدران مجالسهم حاسبين له الف حساب

أو تدرون ما سبب هذا التفاهم الجديد في أهل آسيا ؟ سببه انتصار اليابان الاخير على روسية

كانت اليابان قد انتصرت سنة ١٨٩٥ على الصين فلم يعرها العالم الاسلامي ولا الآسيوي على روسيا أقل اهتمام. ولكن انتصار اليابان على روسية الاوربية سنة ١٩٠٥ كان له وقع عظيم في نفوسهم استفزّهم الى النعرة الوطنية فبدأوا في الهند والصين كما في العجم وتركية يتداولون ويقولون فلننبذ كل شقاق داخلي وكل خلاف ديني من بيننا ولنقتد باختنا اليابان والاداستنا أوربة باقدامها وافنت استقلالنا ومحقت كياننا . والفضل الاكبر في هذه النهضة الوطنية الاسيوية الجديدة يعود الى المسلمين . فان المسلمين هم الذين بدأوا بايجادها وأفلحوا رغماً عن الصعوبات الجيوغرافية وعن المسافات الشاسعة التي تفصل بينهم وبين املاك آسية المشتتة البعيدة . وانني لا أنسى كيف كانت تتغنى الصحف التركية والعربية والفارسية والهندية المسلمة بمديح طوغو ونودجي وكوركي وغيرهم من قواد اليابان الذين انتصروا على روسية . ولا أنسى أيضاً ان بعثة اسلامية سافرت الى اليابان للتبشير بدين محمد

واليابانيون المشهورون بالحنكة والدهاء حاولوا أن يربحوا من هذه الحركة الاسلامية نحوهم ولكن السلطان عبد الحميد كان أشد حنكة وأكثر دهاء منهم فلم يقع ولا بفخ من الفخاخ السياسية العديدة التي نصبها ساسة اليابان له ولما غرقت البارجة العثمانية (ارطغل) بكل من كان عليها من البحارة العثمانيين على شواطىء اليابان منذ سنوات قليلة أبدت اليابان مشاركة حاسات وروح أخوة نحو تركية جعل قصر يلدز يومئذ

أن يشعر بوجود جامعة أوصلة تربط تركية باليابان. وأوربة تعرف جيداً أن مخابرات كثيرة جرت بين طوكيو والاستانة والارجح انها لا تزال جارية الى الآن بطرق سرية وغير رسمية . وانني عالم بسفر عدد كبير من شيوخ المسلمين الى الصين واليابان ومعهم مبالغ طائلة من المال ليصرفوا بسخاء على اخوانهم المسلمين في أقصى أقطار الشرق ويحملوهم على التآخي مع جيرانهم البوذيين وعلى اتخاذ الاستانة مقر الخليفة أمير المؤمنين كعبة لهم وملجأ اليهم

« ومن جملة سياحهم الشيخ سليمان شكري افندي من علماء الاناضول الذي عاد سنة ١٩٠٧ من سياحته في الهند والصين واليابان فنشر كتاباً في بطرسبورج سماه « سياحتي الكبرى » ضمنه الطعن بالحكومة الانكليزية نظراً لما رآه من صرامتها وعجرفتها التي لا تطاق وقال ان حكومة الصين أفضل وأكثر اعتدالا وتسامحاً من حكم المستعمرين الانكليز ونصح الصينيين بالانضمام الى المسلمين حتى يرفعوا عنهم نير الافرنج الثقيل وقد ظهرت بوادر الاتحاد والتفاهم بين المسلمين وأهل الصين وكانت أسبابه الجوهرية نفورهم المتبادل من شدة وطأة الحكم الاجنبي والسيطرة الاوربية الثقيلة عليهم . وبعد الحرب الروسية اليابانية صار الفريقان يجهران بهذا الاتحاد وقد كانا أولا يتهامسان به سراً فيما بينهما

« ولما نشبت الثورات الاخيرة في الصين وفي شرقي تركستان ومقاطعة يونان كان الصينيون يحسنون معاملة المسلمين لدرجة قصوى . وفي ثورة البوكرس الاخيرة التي أقلقت بال أوربة قاطبة كان للمسلمين الصينيين اليد الكبرى في الهجوم على الافرنج والاسبقية في اظهار بغضهم نحو كل ما هو أفرنجي . وقد تمادت حكومة الصين في مناصرتها للمسلمين حتى انها لم تقتصر على تأييدهم ومساعدتهم فقط بل انها أصدرت لهم جريدة في مدينة إيلي لا تزال تطبع الى اليوم باللغة التركية وخطتها حث المسلمين الصينيين على الاشتراك مع اخوانهم في الوطن سائر الصينيين عموما ضد الافرنج . وقد قرأت تلك الجريدة آخراً وهاك مثالا على ما تنشره .

(ان أوربة قد أصبحت معتدية وكثيرة التطلب منا . وطلبها مقرون بوقاحة وبغطرسة. وقصدها الوحيد هو نزع استقلالنا وقتل حريتنا . فعلينا بالاتحاد والا فنينا. وعلينا باقتباس العلوم الحديثة حتى نقوى ونثري ونستغني عن مصنوعات الافرنج كلها . اه)

وقد اتضح آخراً ان المسلمين هرعوا في الصين الى نصرة زعماء الحرية في امبراطورية ابن السماء فكانوا من أقوى العاملين على الغاء الحكم الامبراطوري وطرد عائلة المانشو المالكة وانشاء حكم جمهوري دستوري يبشر بالحرية والمساواة ولذلك فلا عجب اذا قال زعيم النهضة الصينية الجديدة الدكتور «صن يان صن» في حديث صحافي له في ثغر مرسيلية ما يأتي : —

« ان الصين سوف لاتنسى مافعله نحوها اخواننا المسلمون الصينيون من التأييد والمساعدة في سبيل اعادة الامن والحرية الى بلادنا . حقا ان أوربة تخطىء نحو الاسلام فتحسب ان الجامعة الاسلامية كالخطر الاصفر كابوسا ثقيلا على صدورها.اه

« ولم تتفرد الصين بالائتلاف مع المسلمين بل جاراها بذلك القسم الاكبر من أهل الهند الانكليزية وأعني البوذيين . وهذا التفاهم والتقرب بين هاته العناصر الشرقية يجب أن تعرفه أوربة فتعد له العدة وتحسب له الحساب . أما من حيث خطر الجامعة الاسلامية فهو قليل على ما أرجح ولكن خطر الجامعة الاسيوية أو الجامعة الشرقية فهو كبير ووجود تلك الجامعة أمر راهن لا ريب فيه

« صرفت سنوات عديدة في قصر يلدز واشرفت عن كثب على حركات عبد الحميد واعوانه فعلمت كل مساعيهم التي بذلوها في سبيل انشاء الجامعة الاسلامية ، وقرأت بعض التقارير التي قدمها بشأنها رسل عبد الحميد الى سائر انحاء العالم الاسلامي . فتحققت ان انشاء جامعة تجمع كل مسلمي الارض تحت لواء واحد وغاية واحدة هو ضرب من المحال . وما التخوف الذي تبديه أوربة من هذه الجامعة سوى تخوف وهمي . وكيف يعقل ان جميع المسلمين من سائر الاجناس والاماكن يحدون على شيء واحد وهم متشتتون متباغضون متحاسدون ؟ نعم انه يعقل عندنا انشاء جامعة صقلبية في البلقان تحت حماية روسية كما يعقل اتحاد ايطالية والمانية ولكن لا يعقل قط اتحاد مسلمي مراكش بمسلمي العجم ولايتم اتفاق أتباع محمد في الافغان مع أتباعه في تركية وقس على ذلك استحالة اتحاد مسلمي أفريقية مع مسلمي آسيا وهلم جرا

« ان مسلمي الهند وعددهم ٦٠ مليونا لهم تأثير محسوس عند ما ينصب الميزان فيرجحون الكفة التي يتحازون اليها ، ولكن سوء حكم المغول المسلمين في الهند سابقا مع وفرة عدد الهنود غير المسلمين يكفل لنا محق النفوذ المحمدي هناك وخصوصا اذا أحسنا سياسة المئتي مليونا من الهندوس والبراهمة والبارسي والبوذيين ، وفضلا عن ذلك فان الحكم الانكليزي العادل في الهند جعل مسلميها مسروري الخاطر

مرتاحي البال فصار يصعب عليهم مقاومة الانكليز ومعاداتهم وأما المسلمون الموجودون تحت حكم افرنجي غير الانكليز فهم قلال العدد فقراء ضعاف لا يحسب لهم حساب

« بيد انني أوجه أنظار أوربة الى شذوذ واحد فقط وهو حالة أتباع محمد في القطر المصري ، فان النهضة المصرية الاخيرة وتكاثر عدد المسلمين في أفريقية تكاثراً متواصلا مستمراً مما يجعل المسألة الاسلامية في تلك القارة شديدة الخطر وخصوصا لان القاهرة أصبحت مبعث العلوم والآداب العربية ، وها ان سماعيل غصبرنسكي وهو من أقوى المفكرين المتنورين بينهم لم يقدر على جعل الاستانة العلية مركزاً للمؤتمر الاسلامي العام الذي سعى في انشائه منذ بضع سنين بل جعل القاهرة ذلك المركز المرغوب ، نعم ان تركية قالت يومئذ انها لا تسمح للمؤتمرين بالاجتماع في عاصمتها حذراً من « ظنون سياسية » ولكن اسماعيل وأعوانه صرحوا بحذف كل مادة ترمي الى غرض سياسي من لائحة مؤتمرهم وجعلوا تلك اللائحة مقتصرة على الابحاث التعليمية والدينية فقط

« والخلاصة أن أوربة مدركة سر تفوقها على المسلمين فهي لاتحسب لجامعتهم حساباً. ولو كان اتباع محمد يتفقون حقيقة لو اجتمعوا للبحث والمداولة لكانوا اتفقوا منذ زمن طويل في مكة والمدينة حيث تجمعهم فريضة الحج سنوياً بمئات الالوف ومن سائر الاقطار والاجناس والالسنة والعناصر وحيث يسمعون الائمة يعظونهم قائلين لهم: « انما المؤمنين أخوة » وعندي ان على المسلمين نبذ هذه الفكرة أي فكرة الجامعة المذهبية لانها لايمكن ان تتحقق كما أنها لم تتحقق قط عند الامم المسيحية كما ينبئنا التاريخ وافضل نصيحة أقدمها الى المسلمين هي وجوب اقتباسهم العلوم الحديثة حتى تتنور اذهانهم وتزيد ثروتهم وتحسن صناعتهم فيصيروا قادرين اذ ذاك على مقاومة أوربة عندما تنوي الدول مهاجمتهم واكتساح بلادهم عنوة واقتداراً . ولكن المسلمين لم يفعلوا ذلك الآن بل تراهم حتى اليوم ينشرون التعاليم الدينية لاجل مقاومة التعاليم الزمنية ومحاربة العلوم العصرية . ولا انكر ان الحماس الديني في العالم الاسلامي في الوقت الحاضر قد بلغ أشده . وانك اذا زرت اقصى مدن آسية واشرفت على حالة المسلمين فيها ترى الجرائد التركية والفارسية في بيت كل منهم وترى الاعانات المالية ترسل تباعاً من الآستانة والقاهرة وقازان وبومباي الى اخوانهم الفقراء في اقصى سيبيرية والصين ! ! وامير بخارى الحالي المير حليم الذي درس في أحسن جامعة روسية لم يقو على ادخال العلوم العصرية الى بلاده لان الصحافة الدينية في بلادهم

قاومته واتهمته بالكفر والزندقة وتمثلت « الافكار » بقول الشاعر

فالشر كل الشر ما ... بين العمائم والقلانس

ولما نشبت الحرب العثمانية الايطالية الاخيرة صرت ترى الاعانات المالية ترد متوالية الى الآستانة من التتر والتركمان والافغان والهنود والقوقاسيين والعرب وسائر الجنسيات التي دخل اليها الاسلام . واهتمام الصحافة المسلمة قاطبة بهذه الحرب اشد بكثير من اهتمامها بالحرب الروسية التركية سنة ١٨٧٧ . ولما قابلت مؤخراً بين مجموع التبرعات التي أرسلها اتباع محمد في الحرب الروسية العثمانية مع مجموعها الاخير في الحرب الحاضرة اعترتني دهشة وذهول لانني وجدت الفرق بين المجموعين جسيماً جداً . وهذا يعني وجود نهضة اسلامية كبيرة لا يمكن ايًّا كان انكارها او التقليل من اهميتها

« وهذه النهضة ولئن قلت بعدم الاعتداد بها من الوجهة الدينية لكنني اكرر التحذير من عواقبها من الوجهة الوطنية . اي ان المسلمين في الهند بعد اتحادهم الديني عقدوا اتحاداً آخر وطنياً مع البوذيين وهم يحاولون الآن الائتلاف والتفاهم مع البراهمة . وكلما زادت غطرسة الافرنجي عندهم وكثرت مطالبه منهم كلما زادت نار بغضهم له اشتعالا . وبوادر الاتحاد ضد الحكم الاجنبي عندهم قد ظهرت في حوادث عديدة . فالصين التي كانت تحارب مسلمي مقاطعة يونان عندها صارت اليوم تصدر لهم جريدة تركية على نفقة خزينة الحكومة ، والصين التي كانت تكره ذكر محمد اصبحت اليوم تبني الجوامع وترمم الزوايا من مال الخزينة ارضاء لرعيتها المسلمة ، وهذه صارت تجهر علناً بكره النصارى وخصوصاً الافرنج منهم ، وبالاختصار أقول ان كل الجنسيات والاديان في آسية قد اتفقت آخراً ضد عدو واحد هو أوربة — اي ان الشرق ناهض وعلى الغرب ان يستعد لمقابلته في ساحة العراك ، وامام اوربة اليوم مسألة هامة هي هذه : —

أليس من الحكمة ان ندبر ضربة قوية قاضية تخمد انفاس هذه الحركة الاسيوية الحديثة ونقطع البرعم قبل ان يزهر ويثمر ، أم التحرش المستمر والتملك المتواصل بفترات متقطعة مما يكفل لنا خنق هذا الطفل وهو في مهده

أما رأيي أنا فهو : « اقطفوا البرعم قبل ان يزهر فيثمر » قالت الافكار (هذا مطابق لما تقوله العرب : « اختنقوا الطفل في مهده »)

الشعر العصري

﴿ زفير الفقير (*) ﴾

ارقت وما قلبي ياسماء بكلف ... ولا مدمعي من حرقة البين يذرف
ولا شاقني وادٍ من الجزع مؤنق ... لعمري ولا ظل من القاع مورف
شجتني اعاجيب الحياة فانها ... اوابد للمقدور ليست تعرف
يكل ضياء الفكر عنها كأنها ... على لبسها قطع من الليل مسدف
رأيت لو البأساء في الجو ترتقي ... لشق على بدر الدجى فيه موقف
ولو ترتمي يوماً بمتسع الفضا ... لاضحت خريق الريح في القيد ترسف

***

رأيت سليل الفقر يعمل في الثرى ... مكباً على محرانه يتلهف
يخد (١) اديم الارض خداً كأنه ... له قبل الغبراء ثار مخلف
كأني به نادته للحرب فاغتدى ... يكر عليها بالحديد ويعطف
كأني به اذ فرق الترب والحصى ... يفتش هل في باطن الارض منصف
كأني به اذ خط في الارض قبره ... يهم على جثمانه ثم يصدف (٢)
به آية الجهد الذي ليس ناهضاً ... به بشر غض البنان مهفهف
جبين بمرفض الصبيب (٣) مضمخ ... وشعر بملتص (٤) الغبار مغلف
وجيد خفوق الاخدعين (٥) كأنما ... تبينت من اوداجه (٦) الدم ينطف
رثيت لمكروب سحابة يومه ... اذا قر منه معطف ماج معطف
اذا زلزلته سرعة الخطو اوشكت ... اضالعه في زوره تتقصف
كأن ارتجاج الصدر قد وتينه (٧) ... فلم يبق الا نشفة تتصرف (٨)

(*) للنابغة المعروف الامير نسيب أرسلان (١) يشق (٢) يمتنع (٣) العرق والمضمخ الملطخ (٤) الملتص المتقارب الاجزاء (٥) الاخدعان عرقان في صفحتي العنق والخفوق المضطرب (٦) يقصد الودجين وهما عرقان في العنق ينتفخان عند الغضب وينطف يسيل قليلا قليلا (٧) الوتين عرق لاصق بالقلب اذا انقطع مات صاحبه (٨) النشفة بفتح النون فواقة خفية عند الموت ج نشفات

كأن ازيز الجوف عند وجيبه   حسيس هشيم والندى يتوكف (١)
تشقق عنه الثوب فالريح قد غدت   تصافح منه جلده حين تعصف
واثبت وقع الشمس في ام رأسه   نبالا فراش العظم منها منقف (٢)
تبطن منثور الغبار جفونه   تضرّج منها مقلة تحسف (٣)
كان حماة الشوك في ذيل برده   طراز حواه العبقري المفوف (٤)
يمد الى الجيار كفاً تكدحت (٥)   اناملها والله بالعبد اراف

***

ولما تقض اليوم الا اقله   تراجع نحو البيت في السير يدلف
اذا مد عند المشي رجلا امامه   توهمت عنها أختها تتوقف
يساقط نثر الطين عنه اذا مشى   كما فض ختم الدن سكران معنف (٦)
اذا صادفته « المركبات » وفوقها   من الركب هيفاء القوام واهيف (٧)
رمته العتاق السابحات بتفلها   ومرت كما مر النعام المزفزف (٨)

***

ولما أتى مأواه خفت عياله   اليه كآرام على الشيح تعكف (٩)
يلاقونه صور الرقاب من الاسى   فيرنوا اليهم ساعة ليس يطرف (١٠)
ثماني بنيات كأفراخ وكنة   وفي المهد منهوك التجاليد يهتف (١١)
وخاشعة الالحاظ روع قلبها   زمان يكب النيرات ويكسف
وما عدمت أم البنين وسامة   ولكن مس الضر للحسن متلف (١٢)
قرت زوجها مما تسنى وانه   حثالة زيت والرغيف المقفقف (١٣)

---

(١) الأزيز الصوت والوجيب الخفقان والحسيس الصوت الخفي الضعيف ويتوكف يتقاطر
(٢) فراش الدماغ عظام رقيقة تبلغ القحف ومنقف مشقق (٣) ضرج صبغ بالحمرة وتحسف الجلد تقشر (٤) العبقري ثوب متأنق في صنعته والمفوف المخطط على الطول أبيض وأحمر (٥) تكدحت تخدشت (٦) المعنف الآخذ بشدة (٧) يقصد العجلات أو العجلات وهي ما يسمى بالعربات واحدتها عربة أو عربية (عامي) (٨) التفل بضم التاء البصاق والزبد زفزف الطائر رى بنفسه وبسط جناحيه والرجل جرى شديداً (٩) العيال من تلزم الرجل نفقتهم والارام جمع الريم وهو الظبي الخالص البياض والشيح نبت ترعاه المواشي طيب الرائحة (١٠) صور الرقاب مائلوها والاسى الحزن ويرنو يديم النظر وطرف ببصره أطبق أحد جفنيه على الاخر (١١) الوكنة عش الطائر والمنهوك المهزول والتجاليد الجسم ويهتف يصوت من هتف الحمامة وهو صوتها (١٢) الوسامة الحسن والضر سوء الحال (١٣) أصل القرى ما يقدم للضيف من الطعام وحثالة الزيت ثفله والمقفقف يريد به اليابس

بمغنى خلاه الفرش إلا عفاشة   تمج اضاميم البعوض وتقذف (١)
ومدت له بعد النعاس حشية   بها جبل عال وغور وتقنف (٢)
توسد ثم ارتاع من بعد هجعة   لصوت الحيا ينهل والرعد يقصف
وقد زاد ضعف النور في البيت وحشة   كأن به طيف (٣) الشقاء يطوّف
اذا ضربته الريح لم يدر ربه   به الريح تمكو أو به الجن تعزف (٤)
نبا النوم عن عينيه حين تنبهت   وساوسه والهم في الليل يخشف (٥)
رأى نفسه رهن الخصاصة والاذى   وان الغواشي عنه لا تتكشف (٦)
وان وثاق الذل في الزند محكم   وان خناق الغم في النحر محصف (٧)
اذا استنجد الآمال عند اكتئابه   تبدى له ستر من القار مغدف (٨)
بلاء لعمري لا يطاق وترحة (٩)   يكل جميل الصبر عنها ويضعف

***

وصفت لك الضراء يا صاحب الغنى   وهل تعرف الضراء من حيث توصف
هي الفقر ما أدراك ما الفقر انما   لهاة (١٠) الردى منه أخف وألطف
حياة بلا أنس وعيش بلا رضى   فلا الرغد ميسور ولا العمر ينزف
بكيتك يا خلو اليدين بادمعي   فانت صريع النائبات المذقف (١١)
يروح كثير المال يسحب ذيله   « وانت المعنى يا فقير المكلف »
الست الذي شاد الحصون بعزمه   وناط نجاد السيف للحرب يزحف (١٢)
وأجرى سفين البحر في اللج ينثني   ومشى قطار النار في البيد يهذف (١٣)
وقد ملأ الانبار للخلق ميرة   وحاك لهم موشية تتغضف (١٤)
بلى ان من هان المسير بكده   على الارض مفتول الشوي متقشف (١٥)
أخو فاقة لم يدخل الطيب رأسه   ولا مس كفيه القضيب المعقف

***

---

(١) المغنى يريد به المنزل والعفاشة يريد بها رديء المتاع وتمج تلفظ وتلقى والاضاميم الجماعات واصله للخيل (٢) الحشية الفراش المحشو والغور القعر ويريد المنخفض والتقنف مهواة بين جبلين (٣) الطيف الخيال (٤) تمكو تصفر وتعزف تصوت (٥) يريد اشتداده من خشف البرد اشتد (٦) الخصاصة الخلة والغواشي الدواهي والخلة الحاجة والفقر (٧) الخناق ما يخنق به والمحصف المحكم الفتل (٨) القار الزفت والمغدف المظلم من أغدف الليل سدوله (٩) الترح الحزن
(١٠) لهاة الردى شدة الموت (١١) ذفف على الجريح أجهز عليه (١٢) ناط علق ونجاد السيف حمائله (١٣) يسرع «١٤» تتثنى «١٥» الجلد أو جلدة الرأس والمتقشف المخشوشن

أفي الحق أن يشقى الفقير بعيشه … وذو المال في شر الغواية يسرف ُ
وان يدنف المثري باعقاب بطنة … غداة خفيف الحاذ بالجوع يدنف ُ (١)
أما في كبود العالمين هوادة (٢) … ولا رحمة عند الشدائد تعطف ُ
وهل لم يكن بين الانام قرابة … يمت (٣) بها منهم عديم ومترف ُ
أرى المرء لا يأسو جراحة مملق … ولو هز فوديه النصيح المعنف ُ (٤)
أراه اذ ما نعم الرغد جسمه … غدا قلبه يقسو لديه ويصلف ُ (٥)

***

اليكم بني غبراء تدمى عيونهم … وليس لهم الا المياسير مسعف ُ
يعدون نحو المحسنين آكفهم … وهل يستوي المكفي والمتكفف ُ
سألت غزير المال حين يفوتهم … من الرمل تحثو أم من البحر تغرف ُ
الا انما الحسنى اليوم فريضة … وفي ذلك الآيات لا تتحرف ُ
فان طلبوا الانصاف قيل سماجة … ومن لك بالمظلوم لا يتنصف ُ (٦)
عليكم بكشف الضر عنهم فانما … أخو الضر يمسي ضارياً حين يجحف (٧)
فلا ترهقوهم بالشقاوة والطوى … فيدر منهم بادر لا يكفكف ُ (٨)
فان لم ينالوا بالهوادة حقهم … ينالوه يوماً والصوارم ترعف ُ (٩)
ولا تهملوا حسن الخطاب ولينه … فان الخطاب العذب نعم المثقف ُ (١٠)
لكم عبرة في الغرب من كل فتنة … تهز الجبال الراسيات وتخسف
فلو كان عيش للمفاليس طيب … لما قام منهم قائم متطرف

نسيب أرسلان

«١» يدنف يمرض والبطنة الامتلاء الشديد من الاكل وخفيف الحاذ كناية عن الفقير لا يملك شيئاً والحاذ الظهر «٢» الهوادة اللين والرفق «٣» يمت يتوسل «٤» المملق من أنفق ماله حتى افتقر والفودان ناحيتا الرأس «٥» رغد العيش طيبه وسعته وصلف الرجل تمدح بما ليس عنده وجاوز قدر الظرف «٦» تنصف طلب المعروف «٧» الضاري المجتري ويجحف يجوم «٨» ترهقوهم تكلفوهم «٩» تقطر دماً «١٠» المقوم

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المنار ١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر الا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و « منارا » كنار الطريق

{ مصر سلخ رمضان ١٣٣٠ هـ ق ٢٠ الصيف الثالث ١٢٩١ هـ ش ١١ سبتمبر ١٩١٢ م }

باب تفسير القرآن الحكيم

على الطريقة التي كان يلقيها في الازهر الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه

(١٤١: ١٤١) إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ ، وَإِذَا
قَامُوا إِلَى الصَّلَوٰةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللهَ إِلَّا قَلِيلاً
(١٤٢:١٤٢) مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَا إِلَىٰ هَـٰؤُلَاءِ وَلَا إِلَىٰ هَـٰؤُلَاءِ ، وَمَنْ
يُضْلِلِ اللهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً (١٤٣:١٤٣) يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا
الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ، أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلهِ عَلَيْكُمْ
سُلْطَانًا مُبِينًا (١٤٤ : ١٤٤) إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ
وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا (١٤٥ : ١٤٥) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا

وَاعْتَصَمُوا بِاللهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ، وَسَوْفَ يُؤْتِ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (١٤٦ : ١٤٦) مَا يَفْعَلُ اللهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ ؟ وَكَانَ اللهُ شَاكِرًا عَلِيمًا

اتصال هذه الآيات بما قبلها ظاهر فانها تتمة الكلام في المنافقين الذين كثر في هذه السورة بيان أحوالهم هم وأهل الكتاب وباقيها في بيان أحوال أهل الكتاب اليهود والنصارى جميعاً ومحاجتهم الا الآية الاخيرة

﴿ ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم ﴾ تقدم الكلام في مخادعة المنافقين أول سورة البقرة ولكنني لا أتذكره الآن وأنا أكتب هذا في السفر والجزء الأول من التفسير ليس معي فاراجعه . كانت العرب تسند الخداع الى الضب كما اشتقت كلمة النفاق من جحره الذي سمي النافقاء ، وهو انما يخدع طالبه بجحره ،قيل لانه يجعل له بابين إذا فوجئ من أحدهما هرب من الآخر ، وقيل انه يعد عقربا فيجعلها في بابه لتلدغ من يدخل يده فيه ، ولذلك قيل : العقرب بواب الضب وحاجبه . ومن أمثالهم « أخدع من ضب » ويقولون : طريق خادع وخيدع . أي مضل كأنه يخدع سالكه فيحسبه موصلا الى غايته أو قريبا وهو ليس كذلك . والخداع صيغة مشاركة ، ومعناه الذي يؤخذ مما ذكرنا من استعمالهم هو إيهامك ان الشيء أو الشخص على ما تحب أو تريد وهو على غير ما تحب وما تريد كما يوهم جحر الضب من يريد صيده انه قريب المنال ليس دونه مانع فاذا مد يده اليه لدغته العقرب ، فان لم يكن هنالك عقرب خرج الضب من الباب الآخر ورجع الصائد بخفي حنين ، وكما يوهم الطريق الخيدع سالكه فيضل دون الغاية التي يطلبها .

قال الراغب « الخداع إنزال الغير عما هو بصدده بأمر يبديه على خلاف ما يخفيه قال تعالى « يخادعون الله » أي يخادعون رسوله وأولياءه ونسب ذلك الى الله تعالى من حيث ان معاملة الرسول كمعاملته ولذلك قال « ان الذين يبايعونك

انما يبايعون الله » وجعل ذلك خداعا له تفظيعا لفعلهم وتنبيها على عظم الرسول وعظم أوليائه . وقول أهل اللغة: إن هذا على حذف المضاف وإقامة المضاف اليه مقامه ، فيجب أن يعلم ان المقصود بمثله في الحذف لا يحصل لو أتي بالمضاف المحذوف لما ذكرنا من التنبيه على أمرين أحدهما فظاعة فعلهم فيما تحروه من الخديعة وانهم بمخادعتهم اياه يخادعون الله ، والثاني التنبيه على عظم المقصود بالخداع وأن معاملته كمعاملة الله وأعاد هنا الاستشهاد بآية المبايعة

أقول فسر مخادعة الله عز وجل بمخادعة رسول الله (ص) وأوليائه وهم الصحابة (رض) لان المعاملة كانت بين المنافقين وبينهم ، ولأن المؤمنين بالله لا يقصدون مخادعته ، والمعطلين لا يؤمنون بوجوده والمعدوم لا تتوجه النفس الى معاملته ، فان قيل : ان هؤلاء هم الذين قال الله فيهم أول سورة البقرة « ومن الناس من يقول آمنا بالله واليوم الآخر وما هم بمؤمنين » وقد عزا اليهم المخادعة هنالك في الآية التي بعد هذه الآية ، وذكرت في تفسيرها عن الاستاذ الامام انهم صنف ثالث غير المؤمنين والكافرين الذين ذكروا ثمت في آيات أخرى وان المراد بهم أن إيمانهم بالله على غير الوجه الصحيح فلا يعتد به ومن كان هذا شأنه لا يبعد أن تصدر عنه مخادعة الله تعالى كما يفعل الذين يحتالون على منع الزكاة وأكل الربا بتطبيق حيلهم على أقوال فقهائهم وهم يعلمون ان هذا مخالف لمراد الله تعالى من ايجاب الزكاة ومنع الربا وهو الرحمة بالفقراء والمساكين ومواساتهم واعانة سائر أصناف المستحقين للزكاة على الايمان والبر والخير ، وعدم أكل أموال الناس بالباطل . أقول : ان مثل هذا قد يقع من أهل الايمان التقليدي غير المطابق للحق ولكنهم لا يقصدون به مخادعة الله تعالى قصداً وانما هو جهل وضلال في معنى المخادعة

والوجه المعقول للتعبير عن مخادعة الرسول والمؤمنين بمخادعة الله عز وجل هو أنهم يخادعونهم فيما يقيمون به دين الله ويعملون بما أنزل اليهم منه لا في المعاملات الشخصية الدنيوية كالبيع والشراء والمعاشرة فان المخادعة في مثل هذا قد تكون مباحة أو مكروهة اذا لم يكن فيها غش ولا ضرر والمحرم منها لضرره لا يصل الى

درجة المخادعة في شؤون الايمان وتبليغ دين الله واقامة كتابه فيكون من قبيل المخادعة له، وهذا الوجه يتضمن أيضا تعظيم شأن الرسول والمؤمنين في التعبير عن مخادعتهم بمخادعة الله تبارك وتعالى

وأما قوله تعالى «وهو خادعهم» فقد قيل ان معناه يجازيهم على خداعهم وانه عبر عن ذلك بالمخادعة للمشاكلة كما قال في آية أخرى «ومكروا ومكر الله» وانما جعلوه من المشاكلة لان هذا اللفظ كلفظ المكر قد استعمل في التعبير عن المعاني المذمومة التي تتضمن الكذب غالبا أو تدل على ضعف صاحبها وعجزه وغلب ذلك فيه والافان الخداع قد يكون في الخير، ولأجل حماية الحقيقة وإقامة الحق، وقد أباح الشرع الخداع في الحرب لان الحرب في الاسلام لاتكون الا للدفاع عن الملة والأمة، ولحماية الدعوة، وفي الحديث «الحرب خدعة» فيجوز أن يعبر عن سنة الله تعالى في عاقبة أمرهم عاجلها وآجلها من حيث انها تكون على خلاف ما يحبون وما يريدون بلفظ مشتق من الخديعة كأنهم بخداعهم للرسول والمؤمنين يسيرون في طريق خادع يضلون فيه مطلبهم وينتهون الى الخزي والنكال، من حيث يطلبون السلامة والفلاح، وهذا يلاقي قوله تعالى في سورة البقرة «يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا أنفسهم وما يشعرون» فخداعهم لانفسهم بسوء اختيارهم لها هو عين خديعة الله تعالى لهم اذ كانت سنته فيمن يعمل عملهم ما أشرنا اليه آنفا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة. ولفظ «خادعهم» اسم فاعل من الثلاثي والذي يسبق الى ذهني أنه يدل على الغلبة (وهو ما تضم عين فعله المضارع) أي وهو تعالى يغلبهم في الخديعة بجعل خداعهم عليهم لالهم،

هذا شأن المنافقين في كل ملة وامة، يخادعون ويكذبون، ويكيدون ويغشون، ويتولون أعداء أمتهم، ويتخذون لهم يدا عندهم، يمتون بها اليهم اذا دالت الدولة لهم، وسيأتي في الآية التي بعد هذه بيان ذبذبتهم، ولكن لايخفى على كل من الامتين حالتهم،

ومهما تكن عند امرئ من خليقة ... وان خالها تخفى على الناس تعلم

فهم يهدمون بناء الثقة بهم بأيديهم، وكأين من منافق كانت خيانته لامته ومساعدة

اعدائها عليها سببا لهلاكه بأيدي اولئك الاعداء أنفسهم، وقولهم: لو كان في هذا خير لكان قومه أولى بخيره منا ونحن اعداؤه وأعداؤهم، فان كان قد خانهم فستكون خيانته لنا أشد. والناس يقرءون أخبار هؤلاء الاشرار في كتب التاريخ ولا يعتبرون، ويكثر هؤلاء المنافقون في طور ضعف الامة وقوة أعدائها لانهم طلاب المنافع ولو فيما يضر أمتهم والناس اجمعين. وانما تلتمس المنافع من الاقوياء وان اقترن التماسها بالعار، والذل والصغار

﴿ واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى ﴾ أي متثاقلين لارغبة تبعثهم ولانشاط لانهم لعدم إيمانهم لايرجون فيها ثوابا في الآخرة، ولا يبتغون بها تربية ملكة مراقبة الله تعالى وحبه والانس بذكره ومناجاته لتنتهي نفوسهم بذلك عن الفحشاء والمنكر، وتكون أهلا لرضوان الله الاكبر، كما هو شأن المؤمنين الصادقين. وانما هي عندهم كلفة مستثقلة فاذا كانوا بمعزل عن المؤمنين تركوها. واذا كانوا معهم سايروهم بالقيام بها، ﴿ يراءون الناس ﴾ بها، أي يبتغون بذلك أن يراهم الناس المؤمنون فيعدوهم منهم، فالكسل التثاقل عما ينبغي النشاط فيه، والمراءاة ان يكون المرء الذي يرائيك بحيث تراه كما يراك فهو فعل مشاركة من الرؤية

﴿ ولا يذكرون الله الا قليلا ﴾ قيل معناه انهم لاينطقون الا بالاذكار الجهرية التي يسمعها الناس كالتكبيرات، وقول «سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد» عند القيام من الركوع، والسلام. وقيل ان المراد بالذكر هنا ذكر النفس، وانما يقع هذا من المرتابين، دون الجاحدين، وقيل ان المراد به الصلاة أي لايصلون الا قليلا وذلك اذا أدركتهم الصلاة وهم مع المؤمنين. وكل هذه الاقوال قريبة، ويجوز ان تراد كلها من اللفظ عند بعض العلماء، ولعل القول الثاني اقواها. هذه حال منافقي الصدر الاول ومنافقو هذا العجز الاخير شر منهم، لايقومون الى الصلاة ألبتة، ولا يرون للمؤمنين قيمة في دنياهم فيراءوهم فيها، وإنما يقع الرياء بالصلاة من بعضهم اذا صاروا وزراء وحضروا مع السلاطين والامراء بعض المواسم الدينية

الرسمية ، وقلما يحضرون معهم غير المواسم المبتدعة كليلة المعراج وليلة النصف من شعبان وليلة المولد النبوي

﴿مذبذبين بين ذلك﴾ قال الراغب «الذبذبة حكاية صوت الحركة للشيء المعلق ثم استعير لكل اضطراب وحركة . قال تعالى «مذبذبين بين ذلك» أي مضطربين مائلين تارة الى المؤمنين وتارة الى الكافرين » وقيل بين الكفر والايمان . ويقوي الاول قوله ﴿لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء﴾ أي لايخلصون فى الانتساب الى واحد من الفريقين لانهم يطلبون المنفعة ، ولا يدرون لمن تكون العاقبة ، فهم يميلون الى اليمين تارة والى الشمال أخرى ، فمتى ظهرت الغلبة التامة لاحد الفريقين ادعوا أنهم منه ، كما بينه تعالى في الآية التي قبل هاتين الآيتين.

﴿ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا﴾ أي ومن قضت سنة الله في اخلاق البشر وأعمالهم ان يكون ضالا عن الحق موغلا في الباطل فلن تجد له أيها الرسول أوأيها السامع سبيلا للهداية برأيك واجتهادك ، فان سنن الله تعالى لاتتبدل ولا تتحول . هذا هو معنى اضلال الله تعالى الذي يتفق به نصوص كتابه بعضها مع بعض وتظهر به حكمته في التكليف والجزاء . وليس معناه انه ينشىء فطرة بعض الناس على الكفر والضلال فيكون مجبورا على ذلك لاعمل له ولا اختيار فيه كعمل المعدة في الهضم ، والقلب في دورة الدم ، كما توهم من لاعقل له ولا علم

ومن مباحث اللفظي الآيتين قولهم ان جملة « ولا يذكرون الله » حال من فاعل « يراءون » وكذا « مذبذبين » وقيل ان هذا منصوب على الذم

﴿ياأيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين﴾ فان هذا من فعل المنافقين ، يوالونهم وينصرونهم من دون المؤمنين لأنهم لايكرهون ان يكون لهم النصر والسلطان ، وان يلحقوا بهم ، ويعدوا انفسهم منهم ، ولا يكون هذا من مؤمن . حذر الله تعالى المؤمنين أن يحذو بعض ضعفائهم حذو المنافقين في ولاية الكافرين من دون المؤمنين أي من غير المؤمنين وفي خلاف مصلحتهم ، يبتغون عندهم العزة ، ويرجون منهم المنفعة ، فانه ربما يخطر

في بال صاحب الحاجة منهم ان ذلك لا يضر كما فعل حاطب بن بلتعة اذ كتب الى كفار قريش يخبرهم بما عزم عليه النبي (ص) في شأنهم لأن له عندهم أهلا ومالا . فالاولياء جمع وليّ من الولاية بكسر الواو وهي النصرة . واما الولاية بفتح الواو فهي تولي الأمر ، وقيل يطلق اللفظان على كلا المعنيين . والمراد هنا النصرة بالقول أو الفعل فيما ينافي مصلحة المسلمين . ومثله قوله تعالى في سورة المائدة « ياأيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض » الخ وان عمم بعض المفسرين في هذه ، والله تعالى يقول بعدها «فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة . فعسى الله أن يأتي بالفتح او أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين» وهؤلاء هم المنافقون، فالخوف من اصابة الدائرة ، وذكر الفتح وندمهم اذا جعله الله للمؤمنين ، مما يدل على ان الولاية هنا ولاية النصرة لليهود والنصارى الذين كانوا حربا للنبي (ص) وللمؤمنين ، فهو لا يشمل من ليسوا كذلك كالذميين اذا استخدمتهم الدولة في أعمالها الحربية أو الادارية بل لهؤلاء حكم آخر .

ولما كنت في الآستانة سنة ١٣٢٨ أحببت أن اعرف حال التعليم الديني في دار الفنون التي هي المدرسة الجامعة في عاصمة الدولة فلما دخلت الحجرة التي يقرأ فيها التفسير ألفيت المدرس يفسر آية المائدة هذه وعمدته تفسير البيضاوي (وهو الذي يقرأه أكثر المسلمين في مدارسهم الدينية) وهو يفسر الآية بعدم الاعتماد على اليهود والنصارى وعدم معاشرتهم معاشرة الأحباب (وهذا من أغرب اغلاطه) فلما قرر ذلك المفسر بالتركية قام أحد الطلبة وقال له: اذًا كيف جعلتهم دولتنا في مجلسي المبعوثين والأعيان وفي هيئة الوكلاء ؟ (أي وزراء الدولة) ففاجأ المدرس الحصر وخرج العرق من جبينه . فانه اذا قال ان عمل الدولة هذا مخالف لنص القرآن ، خاف على نفسه من ديوان الحرب العرفي أن يحكم عليه بالإعدام ، ولم يظهر له في الآية غير ما قاله البيضاوي ، وهل للمقلد الا نقل مايراه في الكتاب؟ فقلت له أتأذن لي أن أجيب هذا الطالب ؟ قال نعم . فقمت واقفا وبينت معنى الولاية وكيف كان حال النبي (ص) والمؤمنين مع أهل الكتاب وغيرهم في

صدر الاسلام وتحقيق كون الولاية المنهي عنها في الآية هي ولاية النصرة والمعونة لهم وكانوا محاربين ، وكون استخدام الذميين منهم في الحكومة الاسلامية لا يدخل في مفهومها بل له احكام اخرى والصحابة قد استخدموهم في الدواوين الأميرية والعباسيون جعلوا اسحق الصابي وزيرا ... فاقتنع السائل، وأفرخ روع المدرس، ولما علم بذلك مدير قسم الإلهيات والادبيات في دار الفنون اتخذه وسيلة لإصدار امر من ناظر المعارف بقراءة درس التفسير وكذا درس الحديث بالعربية ، في بعض السنين واراد أن يجعل ذلك وسيلة لجعلي مدرسا للتفسير ان أقمت في الآستانة

﴿ أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا ﴾ أي أتريدون ان تجعلوا لله عليكم يوم القيامة حجة بينة على استحقاقكم لعذابه اذا اتخذتموهم أولياء من دون المؤمنين ، لان هذا من عمل المنافقين ، فالسلطان بمعنى الحجة والبرهان . وقيل انه بمعنى السلطة ومعناه ان يسلطهم عليكم بذنوبكم ، ولكن وصف السلطان بالمبين أظهر في المعنى الاول . ويستعمل المبين بمعنى البين في نفسه ومعنى المبين لغيره . ثم بين تعالى جزاء المنافقين بعد بيان احوالهم التي استحقوا بها هذا الجزاء فقال ـ :

﴿ ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ﴾ الدرك (بسكون الراء وبه قرأ الكوفيون وبفتحها وبه قرأ الباقون) عبارة عن الطبقة أو الدرجة من الجانب الاسفل، لان هذه الطبقات متداركة متتابعة ودل هذا على ان دار العذاب في الآخرة ذات دركات بعضها اسفل من بعض كما ان دار النعيم درجات بعضها أعلى من بعض ، نسأل الله ان يجعلنا مع المقربين من «أولئك لهم الدرجات العلى ، جنات عدن تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ، وذلك جزاء من تزكى »

وانما كان المنافقون في الدرك الاسفل من النار لانهم شر أهلها بما جمعوا بين الكفر والنفاق ومخادعة الله والمؤمنين وغشهم، فأرواحهم أسفل الارواح ، وانفسهم اخس الانفس ، وأكثر الكفار قد أفسد فطرتهم التقليد وغلب عليهم الجهل بحقيقة التوحيد ، فهم مع ايمانهم بالله يشركون به غيره، باتخاذهم شفعاء عنده ، ووسطاء

بينهم وبينه ، قياسا على معاملة ملوكهم المستبدين ، وأمرائهم الظالمين ، وهم لا يرضون لانفسهم النفاق في الدين ، ومخادعة الله والمؤمنين ، والاصرار على الكذب والغش، ومقابلة هذا بوجه وذاك بوجه ، فلما كانوا أسفل الناس أرواحا وعقولا كانوا أجدر الناس بالدرك الاسفل من النار . ﴿ ولن تجد لهم نصيرا ﴾ ينقذهم من عذابها ، أو يرفعهم من الطبقة السفلى الى ما فوقها

﴿ الا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله ﴾ استثنى الله تعالى من ذلك الجزاء الشديد الذي أعده للمنافقين من تابوا من النفاق والكفر بالندم على ما كان منهم مع تركه والعزم على عدم مفارقته وعززوا هذه التوبة بثلاثة أمور (احدها) الاصلاح وهو انما يكون بالاجتهاد في أعمال الايمان التي تغسل ما تلوثت به النفس من اعمال النفاق كالتزام الصدق والنصيحة لله ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم والامانة التامة ، والوفاء ، وإقامة الصلاة بالخشوع والحضور ، ومراقبة الله تعالى وما اشبه ذلك (ثانيا) الاعتصام بالله ، وهو انما يكون بالتمسك بكتابه، تخلقا باخلاقه وتأدبا بآدابه ، واعتبارا بمواعظه ، ورجاء في وعده ، وخوفا من وعيده، وانتهاءً عن منهياته ، وائتمارا بأوامره ، بحسب الاستطاعة ، قال تعالى في سورة آل عمران «واعتصموا بحبل الله » وقال في سورة المائدة « يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نوراً مبينا ٭ فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم اليه صراطا مستقيما » أي اعتصموا بهذا النور الذي انزل اليهم وهو القرآن المجيد ، وهو حبل الله في الآية الاخرى (ثالثها) اخلاص الدين لله عز وجل بأن يتوجه اليه وحده فلا يدعى من دونه أحد ، ولا يدعى معه أحد لا لكشف ضر ولا لجلب نفع، ولا يتخذ من دونه أولياء يجعلون وسطاء عنده، بل يكون كل ما يتعلق بالدين والعبادة ـ واعظمها وأهم اركانها الدعاء ـ خالصا له وحده لا تتوجه فيه النفس الى غيره ولا يسأل اللسان سواه ولا يستعان فيما وراء الاسباب العامة بين البشر بمن عداه (اياك نعبد واياك نستعين) هذا هو أهم ما يقال في

اخلاص الدين لله . قال تعالى في أول سورة الزمر (فاعبدالله مخلصا له الدين ، ألا لله الدين الخالص ، والذين اتخذوا من دونه أولياء مانعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ، ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون . ان الله لايهدي من هو كاذب كفار) فالمنافقون في الدرك الاسفل من الهاوية الا من استثني

﴿ فأولئك مع المؤمنين ﴾ أي فأولئك التائبون ، الذين هم لتلك الاعمال عاملون ، يكونون مع المؤمنين لانهم منهم ، يؤمنون ايمانهم و يعملون عملهم ، ثم يجزون جزاءهم وهو ماعظم الله تعالى شأنه بقوله ﴿ وسوف يؤتي الله المؤمنين اجرا عظيما ﴾ أي سوف يعطيهم في الآخرة أجرا لايعرف أحد كنهه ، (فلا تعلم نفس ماأخفي لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون)

﴿ مايفعل الله بعذابكم انشكرتم وآمنتم ؟ ﴾ استفهام إنكاري بين الله لنا به انه سبحانه لا يعذب أحدا من عباده تشفيا منه ولا انتقاما بالمعنى الذي يفهمه الناس من الانتقام بحسب استعمالهم اياه فيما بينهم ، وانما ذلك كفرهم بنعم الله عليهم بالحواس والعقل والوجدان والجوارح باستعمالها في غير ما خلقت لأجله من الاهتداء بها الى تكميل نفوسهم بالعلوم والفضائل والاعمال النافعة ـ وكفرهم بالله تعالى باتخاذ شركاء له (وان سماهم بعضهم وسطاء وشفعاء) فبكفرهم بالله تعالى و بنعمه عليهم في الآفاق وفي انفسهم تفسد فطرتهم ، وتتدنس ارواحهم ، فتهبط بهم في دركات الهاوية ويكونون هم الجانين على انفسهم . ولو شكروا وآمنوا فطهرت ارواحهم من دنس الشرك والوثنية ، وظهرت آثار عقولهم وسائر قواهم بالاعمال الصالحة المصلحة لمعاشهم ومعادهم ، لعرجت بهم تلك الارواح القدسية الى المقام الكريم ، والرضوان الكبير في دار النعيم ، وقدم الشكر هنا على الايمان لان معرفة النعم والشكر عليها طريق الى معرفة المنعم والايمان به

﴿ وكان الله شاكرا عليما ﴾ يثيب المؤمنين الشاكرين الصالحين المصلحين على حسب علمه بحالهم لا انه يعذبهم بل يعطيهم اكثر ممايستحقون على شكرهم وايمانهم ، قال عز وجل (واذ تأذن ربكم لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم

ان عذابي لشديد) سمى ثباتهم على الشكر شكرا وهم انما يحسنون بشكره الى أنفسهم وهو غني عنهم وعن شكرهم وايمانهم ، ولكن قضت حكمته ومضت سنته بأن يكون للايمان الصحيح والأعمال الصالحة أثر صالح في النفس يترتب عليه الجزاء الحسن والعكس بالعكس . فنسأله تعالى ان يجعلنا من المؤمنين الشاكرين ، وان يشكر لنا ذلك في الدارين ، والحمد لله رب العالمين

تم الجزء الخامس من التفسير وقد نشر في المجلد الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر من المنار وقد فاتنا الوقوف على تصحيح ما نشر بالمجلد الخامس عشر منه حيث كنا أثناء ذلك في السفر وفي هذه الاثناء انتهت دروس الاستاذ الامام عليه الرحمة والرضوان وسنسير في تتمة التفسير ان شاء الله على الطريقة التي أخذناها عنه ونهتدي بهديه و بالله التوفيق

بشائر عيسى ومحمد (*)

﴿ في العهدين العتيق والجديد ﴾

٦

﴿ استدراك على الفصل الاول ﴾

« وعلى نبوة دانيال المذكورة في صدر هذه الرسالة »

جاء في دائرة المعارف الانكليزية مجلد ١٣ ص ٤٢٧ و٤٢٨ في حرب الرومان مع اليهود ما محصله (أن اليهود عصوا الرومان وخرجوا عليهم فأرسل الامبراطور (نيرو) أحسن قواده (فسپاسيان) وهو أبو (طيطس) لمقاتلتهم وإخضاعهم . فبدأ (فسپاسيان) الحرب معهم في (الجليل) في ربيع سنة ٦٧ ميلادية . وفي سنة ٧٠ حوصرت أورشليم تحت قيادة (طيطس) ودارت رحى الحرب فيها إلى أن تم

(*) تابع لما نشر في الجزء الثامن ص ٥٨٦ بقلم الدكتور محمد توفيق صدقي

تخريبها واحراق هيكلها في شهر أوغسطس من هذه السنة . ولكن لم تخضع جميع اليهود تماما وينته عصيانهم ومقاومتهم للرومان الا في سنة ٧٣ ميلادية) اه باختصار ومن ذلك يتبين أن الحرب الحقيقية ابتدأت وانتهت في ظرف سبع سنين وبطلت الذبيحة والتقدمة في وسطها (أي في وسط هذا الاسبوع من السنين)

وفي هذه المدة كان كثير من كبراء اليهود وعظمائهم يخالفون باقي قومهم في هذه الحرب فمالوا الى جانب الرومان وخرجوا اليهم وأظهروا لهم الطاعة والبقاء على موالاتهم وعهدهم فأمنوهم ولم يصيبوهم بأذى مدة هذه الحرب حتى انتهت وهم مسالمون معاونون للرومان والرومان مسالمون لهم . ومن هؤلاء (يوسيفوس) المؤرخ اليهودي الشهير فقد كان مع (طيطس) ونصح قومه كثيرا بالخضوع والطاعة . فهذا هو المراد بقول دانيال فيما سبق ٩ : ٢٧ (ويثبت (أي جيش الرومان كما يفهم من السياق) عهدا مع كثيرين (وهم كبراؤهم الذين فروا منهم) في أسبوع واحد وفي وسط الاسبوع (أي سنة ٧٠) يبطل الذبيحة والتقدمة) باحراق الهيكل وتدميره وتشتيتهم

وقوله ٩ : ٢٦ (يقطع المسيح وليس له) وجدنا أن الترجمة الصحيحة لاصله العبري (ينقطع المسيح ولا يكون له شيء) أو (لا يبقى له أحد) ومثل ذلك ترجم في بعض التراجم الانكليزية والامريكانية وهو عين ماقلناه سابقا من أن معناه ينتهي ملكهم وينقطع مسيحهم بعد نحميا ولا يبقى له شيء من القوة والملك والسلطة أو النسل والخلافة بل ينمحي محوا تاما وتزول دولتهم وقد كان ذلك فلم يعد ملكهم القديم وزال ماعاد لهم من مجد منذ ذلك الحين

وعليه فهذه النبوة لاعلاقة لها مطلقا بمسألة الصلب المزعوم حتى لو حملت على المسيح عيسى كما لايخفى على المتأمل

ومما يؤيد عقيدة المسلمين في المسيح وعدم صلبه وعدم ألوهيته من كتب اليهود والنصارى ماجاء في الاصحاح ٤٩ من كتاب أشعياء وهو باعترافهم نبوة عن المسيح قال ٢ (. . . . . . في ظل يده خبأني وجعلني سهما مبريا . في كنانته أخفاني ٣ وقال لي أنت عبدي اسرائيل الذي به أتمجد ٤ ...... لكن حقي

عند الرب وعملي عند إلهي ٥ والآن قال الرب جابلي من البطن عبدا له .... وإلهي يصير قوتي ٧ هكذا قال الرب فادي اسرائيل قدوسه للمهان النفس لمكروه الامة لعبد المتسلطين ينظر ملوك فيقومون . رؤساء فيسجدون ـ الى قوله ـ ٨ في وقت القبول استجبتك . وفي يوم الخلاص أعنتك فأحفظك وأجعلك عهدا للشعب) وهو صريح في أن المسيح عبدالله وأنه سيحميه ويجيب دعاءه وينجيه ويحفظه وقوله (رؤساء فيسجدون) المراد به سجود الاكرام والتعظيم والخضوع كما قال في حق سليمان مز ٧٢ : ١١ (ويسجد له كل الملوك) وقد سجد مثل هذا السجود موسى عليه السلام لحميه يثرون (خر ١٨ : ٧) وبنو الانبياء لاليشع (٢ مل ٢ : ١٥)

وقال في مزمور ٩١ : ٩ (لانك قلت أنت يارب ملجأي جعلت العلي مسكنك ١٠ لا يلاقيك شر . ولا تدنو ضربة من خيمتك ١١ لانه يوصي ملائكته بك لكي يحفظوك في كل طرقك ١٢ على الايدي يحملونك لئلا تصدم بحجر رجلك ١٣ على الاسد والصل تطأ . الشبل والثعبان تدوس ١٤ لانه تعلق بي أنجيه . أرفعه لانه عرف اسمي ١٥ يدعوني فأستجيب له . معه أنا في الضيق . أنقذه وأمجده ١٦ من طول الايام أشبعه وأريه خلاصي) وكون هذا المزمور في حق المسيح يفهم من انجيل متى (٤ : ٦ ـ ٨) واذا كان المراد بالرفع هنا الرفع الجسداني كما يؤيده قوله (من طول الايام أشبعه) فله مثيل عندهم في غير المسيح فقد رفع أخنوخ (تك ٥ :٢٤ وعب ١١ :٥) وكذلك إيليا (٢ مل ٢ :١١)

وجاء في المزمور ١٠٩ (وأوله في حق يهوذا الاسخريوطي كما قيل في سفر الاعمال ١ : ٢٠) قوله عن لسان المسيح بعد أن تكلم على يهوذا وغيره من أعدائه ٢١ (أما أنت يارب السيد فاصنع معي من أجل اسمك . لان رحمتك طيبة نجني ٢٢ فاني فقير ومسكين أنا وقلبي مجروح في داخلي ٢٥ وأنا صرت عارا عندهم . ينظرون اليّ وينغضون رؤوسهم (أنظر أيضا متى ٢٧ : ٣٩) ٢٦ أعني يارب إلهي . خلصني حسب رحمتك ٢٧ وليعلموا ان هذه هي يدك . أنت يارب فعلت هذا ٢٨ أما هم فيلعنون . وأما أنت فتبارك . قاموا وخزوا . أما عبدك فيفرح ٢٩ ليلبس خصمائي خجلا وليتعطفوا بخزيهم كالرداء ٣٠ احمد الرب جدا بفمي وفي وسط كثيرين

أسبحه ٣١ لأنه يقوم عن يمين المسكين ليخلصه من القاضين على نفسه) وهو صريح في أن الله نجى المسيح عليه السلام من القاضين عليه وأن يهوذا وقع فيما دبره لسيده كما أشار داود إلى ذلك في هذا المزمور بقوله ١٠٩ : ٧ (إذا حوكم فليخرج مذنبا وصلاته فلتكن خطيئة) إلخ إلخ

وقال في مزمور ٣٤ : ١٧ (أولئك صرخوا والرب سمع ومن كل شدائدهم أنقذهم ١٨ قريب هو الرب من المنكسري القلوب ويخلص المنسحقي الروح ١٩ كثيرة هي بلايا الصديق ومن جميعها ينجيه الرب ٢٠ يحفظ جميع عظامه واحد منها لا ينكسر ٢١ الشر يميت الشرير ومبغضو الصديق يعاقبون) فهذه العبارات هي باعترافهم في حق المسيح كما في يو ١٩ : ٣٦ وهي صريحة في نجاة المسيح وخلاصه من كل البلايا والمصائب وفي عقاب اعدائه ومبغضيه. وقوله فيها (يحفظ جميع عظامه واحد منها لا ينكسر) أدل على قولنا بعدم الصلب منه على قولهم بالصلب لان الصلب عادة يستلزم تفتيت عظام اليدين والقدمين وهو شيء لا يمكن توقيه في الصلب ولا بالتعمد والحذر الشديد فكيف اذا لم ينكسر واحد من عظامه ؟ فالحق أن المراد من هذه العبارة أن الله يحفظ جسمه كله ويصونه من كل اذى بليغ فهو من باب اطلاق الجزء وارادة الكل. أما إذا صح أنه صلب فاي أذى أعظم من ذلك ؟ وما معنى قوله إنه ينقذه وينجيه ويخلصه من كل البلايا فأي بلية أعظم من الصلب والقتل ؟ وإذا كان المراد انه يصلب حتى يموت ولكن لا ينكسر عظم من عظامه فما فائدة ذلك وما وجه البشارة به ؟ وهل يتفق هذا مع قوله ينقذه ويخلصه وينجيه ؟ فمن أي شيء نجاه إذاً ؟

وقال المسيح عليه السلام لما أرسل الفريسيون ورؤساء الكهنة خداما ليمسكوه (يو ٧ : ٣٣) « أنا معكم زمانا يسيرا بعد ثم أمضي إلى الذي أرسلني ٣٤ ستطلبونني ولا تجدونني وحيث أكون أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا » وهو صريح في أنهم لن يجدوه ولن يقبضوا عليه

ومما يدلك على قدرته عليه السلام على التشكل بأشكال مختلفة والاختفاء عن عين الناس قول مرقس ١٦ : ١٢ (وبعد ذلك ظهر بهيئة أخرى) وقول لوقا ٢٤ : ١٥

(إقترب إليهما يسوع نفسه وكان يمشي معهما ١٦ ولكن أمسكت أعينهما عن معرفته) وجاء في لوقا ٢٤ : ٤٢ و ٤٣ قوله بعد قيامة المسيح المزعومة (فناولوه جزءاً من سمك مشوي وشيئاً من شهد عسل فأخذ وأكل قدامهم) وهو يدل على أنه قام بعين جسده المادي الذي كان به قبل الصلب وإذا كان يقدر أن يختفي به بعد قيامته كما قال لوقا (٢٤ : ٣١) فاي مانع يمنع من اختفائه به قبل الصلب وهو هو ؟ على أنه كان يختفي فعلا قبل الصلب كما قال يوحنا وكان يمشي في وسط اليهود بدون أن يروه (يو ٨ : ٥٩) راجع أيضاً (يو ١٠ : ٣٩) ومثله ورد في لوقا (٤ : ٣٠)

وقال عليه السلام ايضا يو ١٦ : ٣٢ (هوذا تأتي ساعة وقد أتت الآن تتفرقون فيها كل واحد إلى خاصته وتتركونني وحدي . وأنا لست وحدي لأن الآب معي ٣٣ قد كلمتكم بهذا ليكون لكم فيّ سلام . في العالم سيكون لكم ضيق . ولكن ثقوا أنا قد غلبت العالم) وهو بشارة من المسيح لتلاميذه بأن الله سينجيه وينقذه وإلا فهل يصح أن من كان الله معه ومن غلب العالم يغلبه اليهود ويصلبونه رغما عن إرادته كما بيناه في صفحة ٨٠ ؟ وكيف يتفق هذا القول مع قول المصلوب كما في متى ٢٧ : ٤٦ (إلهي إلهي لماذا تركتني) مع أن الاول صريح في أن الله لم يتركه ؟

هذا وقد أنكر الصلب كثير من فرقهم في مبدأ النصرانية أي قبل الاسلام بسنين عديدة منهم السيرنثيين (Cerinthians) والباسيليديين (Basilidians) والكاربوكراتيين (Carpocratians) والتاتيانوسيين أتباع تاتيانوس تلميذ يوستينوس الشهيد الشهير وغيرهم كثيرون وكثير من فرقهم القديمة ايضاً كانوا موحدين منكرين لألوهية المسيح وأشهرهم (الأريوسيون) (Arians) ومنهم كان الامبراطور (قسطنطين) أول قياصرة الرومان المسيحيين (وكذلك أمم الطيطون) أي (الجرمانيين) ولا تزال منهم طائفة كبيرة في أوربا يسمون الموحدين (Unitanians) إلى اليوم . وقال فوتيوس (Photius) إنه قرأ كتابا يسمى (رحلة الرسل) فيه أخبار بطرس ويوحنا واندراوس وتوما وبولس

ومما وجده فيه هذه العبارة (إن المسيح لم يصلب ولكن صلب غيره وقد ضحك بذلك من صالبيه) أي الذين ظنوا أنهم صلبوه

وقد ذكرنا أكثر هذه الفرق المنكرة للصلب في كتابنا (الخلاصة البرهانيه على صحة الديانة الاسلامية) وفي كتاب (الدين في نظر العقل الصحيح)

واعلم أن الذين قبضوا على المسيح ما كانوا يعرفونه ولذلك أخذوا معهم يهوذا ليدلهم عليه وأعطاهم علامة (متى ٢٦ : ٤٧ ـ ٥٠ ومرقس ١٤ : ٤٣ ـ ٤٦ أنظر أيضا أع ١ : ١٦) فكان دليلهم الوحيد هو يهوذا كما يفهم من جميع نصوص العهد الجديد وخصوصا التي أشرنا إليها وقد كان القبض عليه ليلا كما يفهم من سياق القصة في جميع الأناجيل (انظر متى ٢٦ : ٣١ و٣٤ و٧٥ و٢٧ : ١ ومر ١٤ : ٢٧ و٣٨ ـ ٤٢ ولو ٢٢ : ٥٣ و٦٦ ويو ١٨ : ٣ و٢٧ و٢٨)

ويظهر من انجيل يوحنا أنه حصل لهم حينما أرادوا القبض عليه هيبة منه حتى أغمي عليهم وسقطوا على الأرض (يو ١٨ : ٦) وما كان هيرودس يعرفه ، ولم يجب المقبوض عليه هيرودس بشيء (لو ٢٣ : ٨ و ٩) . فهنا أيضا موضع آخر للشك

وكان بيلاطس هو وامرأته يريد إنقاذ المسيح (متى ٢٧ : ١٥ ـ ٢٥ ولوقا ٢٣ : ١٣ ـ ٢٥) فيجوز أنه غشهم وأطلق لهم غيره وخصوصا لأن رؤساهم وكذا القابضين عليه ما كانوا يعرفونه كما سبق وكان بيلاطس يعتقد أنه بريء من كل ما نسب إليه (متى ٢٧ : ٢٤)

وإذا كان من معجزات بطرس تلميذ المسيح النجاة من السجن (أع ١٢ : ٦ ـ ١٠) وكذلك بولس وسيلا (أع ١٦ : ٢٥ و ٢٦) فهل من البعيد أن يكون المسيح عليه السلام أنقذ من السجن كما أنقذت اتباعه أو أنه هرب منه أو أن بيلاطس أبدله بغيره فظنوه هو وهو ليس المسيح فذهب إلى موضع آخر كما ذهب بطرس بعد السجن (أع ١٢ : ١٧) وهناك توفاه الله أو رفعه إليه فلم يجدوه كما قال عليه السلام (يو ٧ : ٣٤) وكما لم يجد الخمسون

الرجل إيليا بعد رفعه (٢ مل ٢ : ١٧) وكما لم يعرف أحد مكان موسى بعد موته (تث ٣٤ : ٦)

فانظر هداك الله إلى هـذه النصوص وتدبرها بعين البصيرة تجد أنها كلها تؤيد عقيدة المسلمين في المسيح عليه السلام وتنقض عقيدة النصارى فيه ولكنهم يتعسفون في تأويلها ويتكلفون كما هي عادتهم

ومن العجيب أنهم يتركون مثل هذه النصوص والنبوات السابقة الفصيحة الصريحة ويتمسكون بعبارات من نبوات غيرها مبهمة وقابلة لكل تأويل وهي ليست نصا في عقائدهم ولا تنهض لهم بها حجة كما أريناك في هذا الكتاب هداهم الله إلى الحق والصواب

***

﴿ الفصل الرابع ﴾

« في بشائر محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته »

تمهيد :

اعلم ان تغيير حال أمة كالأمة العربية واحياءها واحياء أمم الأرض بها وقلب نظاماتها وصبغاتها وإصلاح جميع أحوالها وأمورها وإخراجها من الفساد والاختلال والفوضى برجل كمحمد (ص) في حاله ونشأته وفقره ويتمه وأميته وبتلك السرعة العجيبة في ذلك الزمن القصير أمر لم يعهد له مثيل في تاريخ البشر . وليس له نظير فهو من أعجب العجائب وأغرب الخوارق

رجل فقير يتيم أمي بعيد عن العلم والعلماء في ناحية من الارض بعيدة عن كل نظام ومدنية ناشئ في الهمجية وبين أهل له وأقارب عريقين في الجهل والكفر والوثنية فأوجد وحده من الجهل علما ومن الفساد نظاما ومن الكفر إيمانا ومن الشرك توحيدا ومن التشبيه تنزيها ومن التفرق اتحادا ومن التخاذل ائتلافا ومن

الضعف قوة ومن الهمجية مدنية وهو في كل ذلك الليث الغضنفر والقائد المحنك والخطيب المصقع والبليغ المعجز والسياسي الحاذق والمنبئ الصادق والشارع الحكيم والمعلم الماهر المخبر لقومه بما لم يعلموه وما لم يلتفتوا اليه والتقي الورع والزاهد الناسك العابد والمتمتع بالحلال والمتلذذ بالطيبات والرؤوف الرحيم والقاسي على الظالمين ومثال الأدب والتهذيب والرقة والكمال والجمال والنظافة والاعمال الصالحة والايمان الصادق الصحيح والمصلح الاكبر لامته ولسائر العالم. إني والله لا أدري ماذا أقول وكيف أصفه وبماذا أعبر عنه بما يخالج قلبي فيه فهو الانسان الكامل الجامع للاضداد والمتناقضات والذي يجد فيه كل طالب ما يشتهيه والقدوة الحسنة في كل شيء والمثال الصالح الوحيد في كل صفة أو خلق أو عمل (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة)

ألا ترى أنه أوجد من العدم أمة حملت لواء العلم والعز والمجد والمدنية الصحيحة والحرية والاخاء والمساواة إلى أمم الأرض قاطبة مع شدة الحاجة إلى بعثته في ذلك الزمن الذي ساد فيه الاختلال والفساد والكفر والظلم والاستبداد وسوء الحال والجهل فغيرت وجه الارض وقلبت نظامات الامم وصبغتها بصبغتها في اللغة والدين والاخلاق في سنين قليلة وبسرعة خارقة للعادة

انظر الى دول هذا العصر مع عظمتها وقوتها وعلمها وأموالها واقتدارها كيف عجزت عن صبغ محكوميها بصبغتها في الدين واللغة والجنس والاخلاق مع صرف كل مجهوداتها ومعلوماتها وأموالها واقتدارها في ذلك فلم تزدد الناس منها إلا نفورا وسخطا وبغضا مع مضي المدد الطويلة عليها وتسلطها على جميع مصادر حياة تلك الامم فلم تنل منها مع قوتها في السنين العديدة ما ناله العرب مع ضعفهم في السنين القليلة

فمحمد (ص) الذي أوجد تلك الامة وذلك الدين وتلك الدول الآخذة بتعاليمه المتأثرة بأقواله وأفعاله إلى اليوم والذي له أكبر سلطان على نفوس الملايين من البشر، أيكون له كل هذا الاقتدار وذلك السلطان مع مرور الاعوام والدهور ودينه لا يزداد إلا انتشارا - أيكون كل ذلك بدون عون إلهي ومدد رباني ؟

نبؤوني بعلم إن كنتم صادقين . أي نظير له بين البشر ؟ أي مثال له بين الناس ؟ ولماذا كان متفردا وخارقا للعادة في كل شيء ؟ أي مصلح قام بين البشر وكان مثله في حاله ونشأته وكانت أمته كأمته العربية البدوية الامية وكان منه ما كان من محمد صلى الله عليه وسلم في العالم وبسرعة عجيبة كهذه أو دام عمله في الارض الى اليوم ؟ ولماذا خاب كل مدع للنبوة من بعده وفشل - تصديقا لقوله عن نفسه انه خاتم النبيين - ؟ فيا أيها المؤرخون المفكرون والباحثون المتدبرون في أحوال الاجتماع وطبائع البشر ! لماذا كان محمد شاذا فذا في جميع أعماله دون سائر البشر ؟ ولماذا كانت له تلك القدرة العجيبة والسلطان السريع والتأثير المدهش في أمم الارض قاطبة من قبل ومن بعد إلى قيام الساعة ؟ وكيف نعلل ذلك تعليلا معقولا صحيحا بغير الاعتقاد بصدقه ؟

أليس عمله في قلب الامة العربية وبعثها من الموت إلى الحياة بسرعة من يقول للشيء : كن فيكون أبلغ من قلب موسى العصا حية ومن إحياء عيسى ثلاثة أموات ؟؟ وأيهما أدل وأليق بالنبوة ؟ انظر إلى رجلين ادعيا علم الطب فأثبت أولهما علمه به بتآليفه فيه وبحسن علاجه ونجاحه وشفائه للمرضى في أقرب وقت وأثبت الثاني دعواه علم الطب بألعوبة كألاعيب المشعوذين بأن رمى بحبل إلى السماء ثم تعلق به وصعد عليه فأيهما أتى بما يناسب دعواه وما العلاقة بين الطب وبين تلك الألاعيب ؟ نعم قد يندهش البسطاء ويصدقون الثاني الذي أدهشهم وحيرهم بألاعيبه وعجائبه ولكن لا يكون تصديقهم هذا مبنيا على برهان عقلي منطقي صحيح

كذلك الفرق بين محمد والانبياء قبله فمحمد أثبت دعواه بما يناسب مدعاه والانبياء الآخرون أتوا بما لا علاقة له بمدعاهم ولكنه يدهش الناس ويحيرهم حتى يذعنوا لهم ويهابوهم فيخضعوا (وما نرسل بالآيات إلا تخويفا)

هذا ولما كانت الأمم القديمة كالأطفال جاءهم الانبياء بما يناسب عقولهم ودرجة سذاجتهم، ولكن كان الجنس البشري قد بلغ رشده في عصر النبوة المحمدية ثم ارتقى بعده واستوى فاذا جاءه بما يليق بعقول راقية وينطبق على البرهان المنطقي الصحيح ولذلك نجد الناس الآن ينفرون من ذكر المعجزات القاهرة وقل

في علمائهم من يود سماع أقاصيصها . ولا ينكر الترقي التدريجي للبشر الا المكابر المعاند و يغنينا عن اثبات ذلك أنه صار الآن عقيدة من عقائد جميع العلوم الحديثة نعم كان لتلك الأمم درجات من المدنية ولكنها دون مدنية العرب ومدنية الافرنج بمراحل

خذ مقياسا لعقول أمة موسى كيف كانوا بين حين وآخر يرتدون ويعبدون الأصنام ولعقول أمة عيسى كيف حولوا دينه الصحيح دين - التوحيد والتنزيه - من قديم الزمان إلى وثنية لا تختلف عن وثنيات الأمم المجاورة لهم في شيء - تلك الوثنية المشاهدة الآن في جميع عقائد النصرانية وعباداتها وتعاليمها وعبارات كتبها حتى نفرت أهل العلم من الدين كله في أوربة لجهلهم بالاسلام فظنوا أن جميع الأديان كالنصرانية فخرجوا منها إلى ما يسميه القسيسون بالالحاد وما هو إلا ميل الفطرة البشرية السليمة إلى الدين الحق دين التوحيد والتنزيه والعقل وحب الخير وبغض الشر فظنهم الناس كافرين وما هم في الحقيقة إلا مؤمنون ولكن بعقائد غير عقائدهم تنطبق على العلم والعقل الصحيح

ارجع بنا إلى القرون المسيحية الاولى تر الناس تضاربت عقائدهم وأفكارهم في كافة أصول الدين الأساسية وكثرت مذاهبهم فيها وتعددت ومزجت النصرانية بالفلسفات القديمة مزجا أضاع حقيقتها حتى ذابت فيها ولم يرق للناس في تلك الأزمان - لقصر عقولهم - إلا الشرك والتجسيم وعبادة الصور والصلبان والتماثيل وكلما قام فيهم موحد أو مصلح حكموا بكفره ومروقه حتى أريقت دماء العالمين بسبب ذلك ظلما وعدوانا وتبدل دين المحبة والوفاق الى بغض وشقاق وانصدع بنيان الكنيسة المسيحية من قديم الازمان

قام أريوس بالتوحيد ووافقه على ذلك بعض الاساقفة والامبراطور قسطنطين نفسه - كما قلنا - ثم وجد له من أمم الجرمانيين أتباع عديدون ولكن ميل جمهور الناس في ذلك الزمن إلى الشرك والوثنية حمل أكثر أعضاء مجمع (نيقية) سنة ٣٢٥ م على الحكم عليه بالزندقة والمروق وتأصلت العداوة بين أتباعه و بين سائر المسيحيين منذ ذلك الحين

ولما فشت في الناس عبادة الصور والتماثيل واشتدت حتى صارت جزءا من الدين قام بعض الناس ومنهم القياصرة كليون الثالث لمحتها وسموا إذ ذاك «كاسري التماثيل» (Iconoclasts) وكان ذلك في القرن الثامن والتاسع فحكم البابا جريجوري الثاني والثالث بحرمانهم ومروقهم ولما اجتمع مجمع القسطنطينية سنة ٨٤٢ كان أيضا مضادا لهم وفاز فيه العابدون لها مع نهي كتبهم عن عمل الصور والتماثيل وعبادتها والاشراك بالله تعالى نهيا صريحا لا يقبل التأويل (أنظر تث ٤ : ١٥ - ١٩ و ٦ : ٤ و ١٣ : ١ - ٥) فكان ذلك سببا آخر من أسباب الشقاق بين المسيحيين

ولما قام لوثر بالاصلاح البروتستنتي في القرن السادس عشر اشتعلت نار الحروب بين المسيحيين وخضبت الارض بدماء الالوف من الابرياء المصلحين في مثل مذبحة اليهود غينوز (Hugucnots) بفرنسة سنة ١٥٧٢ ميلادية ومع رقي البشر الآن ووجودهم في عصر النور والعلم ترى التثليث منتشرا بين جميع فرق المسيحيين الا قليلا من الموحدين (Unitanians) وكذلك عبادة الصور والصلبان في الكنيسة الارثوذكسية والكاثوليكية كما أقرتها مجامعهم القديمة التي عليها التعويل في كل مسائل دينهم والحكم على كتبهم. ومن فرقهم القديمة من عبد مريم العذراء وكانوا يدعون بالمريميين ومنهم بعض أساقفة مجمع نيقية وكان الثالوث عندهم مركبا من الاب والمسيح ومريم على أنهم ثلاثة آلهة ولا تزال صورة مريم للآن في الكنائس الرومانية والشرقية يسجد لها ويتقرب ويصلي لها ويطلب منها النصارى ما يشتهون وهذا سبب نهي القرآن الشريف عن إتخاذها إلهة مع الله تعالى عما يشركون (انظر سورة المائدة ٥ : ٧٣ - ٧٥ و ١١٦) لان نصارى العرب كانت تعبدها من دون الله

من ذلك تعلم حكمة تشديد الشريعة الاسلامية في النهي عن التصوير واتخاذ التماثيل وتعظيم القبور . وتعلم حاجة العالم في ذلك الوقت إلى الاصلاح العظيم الذي جاء به الاسلام . راجع كتاب التوسل والوسيلة لابن تيمية يتضح لك منه ان الاسلام سابق لكل إصلاح عملي ناجح فأنى لمحمد ذلك لولا وحي الله ؟ ولماذا

شذ عن العالم كله في ذلك الوقت الذي كانت فيه الامم غارقة في عبادة الصور والتماثيل ؟ ولماذا لم يتأثر عقله بما يراه عند قومه وأهله وأهل الكتاب خصوصا الذين يزعم المبشرون أنهم معلموه مع أنه هو الذي جاءهم بالاصلاح قبل أن يعرفوه ونهاهم عن عبادة المسيح ومريم والصور والصلبان . فكيف اقتنع بصحة عقيدته في التوحيد والتنزيه وهي مخالفة لما كان عليه جماهير الناس في العالم كله إلا أفرادا قليلين ؟ وكيف عرف أن الحق مع هؤلاء دون أهله والاكثرين من قومه ؟ وذلك منذ طفوليته قبل أن يكون للعقل مجال في البحث والتفكير ، ولماذا كان محمد هو السابق للعالم في اصلاح كل فساد في أمور الناس الاجتماعية دينية كانت أو دنيوية اصلاحا عمليا وناجحا ؟ فمن تعلم هذه الطرق العملية الناجعة في سياسة الناس والتأثير فيهم والوصول إلى قلوبهم وعقولهم حتى صاروا طوع إشارته في كل شيء فملك نواصي العالمين وفاز في ذلك فوزا مبينا لم يسبقه فيه أحد من المصلحين والنبيين ؟

فاذا كان لوثر وغيره يعد الآن من كبار المصلحين ألا يعد محمد الذي ظهر قبله في وسط الوثنية المحضة محاطا بها من جميع الجهات وأصلح كافة أمور الناس وأحوالهم وأتى بالدين الحق والتوحيد الخالص ـ ألا يعد هذا اكبر مصلح ظهر على الارض ؟

لذلك قال تعالى ٦٢ : ٢ « هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين ٣ وآخرين منهم لما يلحقوا بهم (١) وهو العزيز الحكيم » وقال ٢١ : ١٠٧ « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين »

لله الحمد !! قد ظهر في الافرنج الآن كثيرون ممن اهتدى إلى صواب جميع ما أتى به

(١) حاشية : قوله (وآخرين منهم لما يلحقوا بهم) معناه يعلم آخرين غير العرب من جميع الامم الاخرى فانهم صاروا من العرب لان بلادهم صارت بلاد العرب ولغتهم لغة العرب وكذلك دينهم وعاداتهم وقد اختلطوا بالعرب بالزواج وغيره حتى صاروا منهم في كل شيء ولذلك قال (وآخرين منهم لما يلحقوا بهم) أي لم يتجنسوا بالجنسية العربية الآن ولم يلحقوا بهم بعد ولكنهم سيلحقون بهم فيما بعد في كل شيء . فهي بشارة بدخول الامم الاخرى في الاسلام وامتلاك العرب بلادهم وصيرورتهم من العرب جنسا ودينا ولغة وعادة الخ الخ حتى صار لفظ العرب يطلق على كل المسلمين من جميع الاجناس لانهم أمة واحدة (وأن هذه أمتكم أمة واحدة) صدق الله العظيم

عليه السلام ومنهم من أسلم ظاهرا و باطنا بعد أن كانوا يعدونه من أكبر الكذابين والدجالين لكثرة ما افتراه عليه قسيسوهم في تلك العصور المظلمة حتى أنهم ادعوا أن لمحمد صنما من ذهب يعبده المسلمون وهم الذين لا يعبدون الا الله وحده و يصلون له خمس مرات في كل يوم و يصيحون باسمه تعالى في كل واد وفي كل مرتفع ويصومون له شهر رمضان في كل سنة

الانبياء الكذبة يعرفون من ثمرة عملهم كما قال المسيح عليه السلام (متى ٧ : ١٦ ـ ٢٠) ولا يأتي الشرير بالخير والاصلاح للناس كافة والله تعالى لا يؤيد الكذابين الدجالين المضلين للناس (راجع مزمور ٦١ : ٥ و ٦ : ٥ و ٣٤ : ١٦ ومز ٣٧) فكيف إذاً أيد محمدا صلى الله عليه وسلم حتى نجح في عمله هذا النجاح الباهر العجيب السريع الذي لم يعهد له مثيل في التاريخ ؟

رجل قام باسم الله ودعا الناس باسمه وقال وعمل كل شيء باسمه ونسب اليه تعالى كل عمل من أعماله ولم يكذبه الله تعالى ولم يخذله أو يقتله كما فعل بالكذابين بل ثبته وأيده وقواه ونصره ونجحه في جميع مساعيه ومقاصده وصدقه في كل ما أخبر به عنه ورفع ذكره وأعلى شأنه حتى صار اسمه يذكر بجانب اسم الله على ألسنة الملايين من البشر في كل بقعة من الارض فهل يكون هذا من الكذابين ؟

ولماذا لم يقم الله تعالى واحدا آخر غيره عمل مثل ما عمل ونجح مثل نجاحه أحصوا الملوك العظماء والساسة الماهرين والقواد المحنكين والخطباء البلغاء والمنشئين المجيدين والكتاب المتفننين والشارعين الحكماء والوعاظ المؤثرين والانبياء والمصلحين ومؤسسي الممالك والدول العظام وأروني من منهم جمع كل هذه الصفات وغيرها مما أعجز عن التعبير عنه وعن حصره هنا

من منهم كان بعيدا عن العلم والعلماء والكتابة والقراءة ناشئا بين الواهمين والجهلة الخرفين والمشركين والوثنيين ؟ من منهم كان فقيرا يتيما أميا إذا أراد أن يتعلم شيئا لا يمكنه إلا إذا اختطفه من أفواه بعض الجهلة الغافلين واختلسه اختلاسا دون أن يشعر به أحد وإذا أراد أن يطلع على كتاب لما تيسر له ولما عرف فيه شيئا ولما وجده بين أمة أمية لا كتب لها ولا مكاتب ولا مدارس ؟ ـ من منهم كان في

هذه الظروف كلها وهذه البيئة وهذا الوسط ثم أصلح أمة كالامة العربية وأوجد أمة كالامة الاسلامية وأسس دولا كدولها وأوجد كتابا كالقرآن وشرعا ودينا كالاسلام وأعجز الناس جميعا عن القيام بعمل واحد كأعماله ،والاتيان بسورة كسور قرآنه ، وجمع كل هذه الصفات وبلغ فيها شأوا لا يصل اليه أحد فكان أكبر ملك وأعقل سياسي وأبلغ منشئ وواعظ وأحكم شارع وأشجع قائد وأعظم غاز وفاتح وأورع متدين وأنصح ناصح وأكبر مرشد للناس في كافة شؤونهم الدينية والدنيوية وأعظم مصلح للافكار والاخلاق والعقائد والعبادات والمعاملات وأوسع مؤسس وأدوم منشئ للدول والممالك

وهو في كل ذلك لم يتعلم شيئا يكفي لازالة جزء من ألف مما حوله من الاوهام والخرافات والخزعبلات عنه وعن الناس ولم يتدرب أو يتدرج أو يتمرن قبل النبوة على أي عمل مما أتى به بعد نبوته بل نبغ في كل ذلك دفعة واحدة حينما ظهر بالنبوة وكلما لزمه شيء من أعبائها وجد نفسه أنه أكبر نابغ فيه ،فما هذا العلم في تلك الامية ؟ وما هذا الاصلاح ممن نشأ في الوثنية بعيدا عن كل نظام ومدنية ؟ !

كفاك بالعلم في الامي معجزة * في الجاهلية والتأديب في اليتم

تباركت يا الله ان هو الا وحيك اليه وعونك وتأييدك له ولولاك يا الله ماقدر على فتح مدينة واحدة ولا تهذيب رجل واحد ! ! فاننا نرى الدول الاوربية بخيلها ورجلها وعلمها وفنونها ومخترعاتها وأساطيلها ومدرعاتها وطياراتها وأموالها وزخرفها ومدارسها ومستشفياتها وجميع حيلها وخدعها و.. و.... الخ عاجزة كل العجز عن مناوأة دينك أو صد تياره الجارف أو الحيلولة بينه وبين قلوب البشر المترامين في أحضانه من كافة الملل والنحل والاجناس في سائر بقاع الارض حتى ضج المبشرون من ذلك وفزعوا وهم مندهشون (يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون * هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون)

هذا ولا يخفى أن أنبياء بني اسرائيل أخبروا عما سيحدث في العالم من الحوادث التي تهم امتهم وقلما تجد في كتبهم غير الانباء عن مستقبلهم الى يوم القيامة فأنبأوا

بحادثة بختنصر وكورش والاسكندر وخلفائه وحوادث ارض ادوم ونينوى وبابل والرومان وغير ذلك مما تراه ماثلا صفحات العهد العتيق ولا يكاد يخلو منه كتاب من كتبهم وقد اخبر المسيح عليه السلام تفصيلا عن خراب أورشليم وما سيحدث لليهود فيبعد كل البعد ان يخبر هؤلاء الانبياء بهذه الحوادث كلها ويتركوا أكبر حادثة حدثت في العالم ولها أكبر علاقة باليهود والنصارى وهي ظهور محمد صلى الله عليه وسلم الذي زلزل أمم الارض زلزالا وأوجد أمة ملأت العالم علما وحكمة وعدلا ودينا وعمرت أورشليم وأعادت اليها عبادة الله تعالى بدون شرك أوتشبيه وأتى بدين لايزال مالكا قلوب الملايين من بني البشر وهو الدين الوحيد الذي ناهض ويناهض المسيحية في جميع البلاد الى اليوم وآوى اليهود وحماهم واكتسح الوثنية أمامه وافتتح بلاد العالم القديم وابتدأ يعمل عمله في العالم الجديد وحارب النصرانية وغلبها قرونا طويلة ونشر العلم والفلسفة بينهم ونبههم الى اصلاح دينهم بعد ان كانوا غارقين في الاوهام والخرافات اجيالا عديدة ، فهل يعقل ان يترك الانبياء هذه الحادثة ويتكلموا عن غيرها مما لايكاد يذكر بجانبها ؟

الحق نقول ان الانبياء ماتركوا ذلك بل اخبروا به اجمالا وتفصيلا ـ كما ستعلم ـ منذ الازمنة القديمة ولكن أهل الكتاب يكابرون . ومع أن كتبهم محرفة وفاسدة كما بينا لكنها لاتزال تشتمل على كثير من بشائر محمد صلى الله عليه وسلم وقد سبق أننا بينا هنا أن كثيرا مما يدعونه في حق المسيح انما هو في حق محمد صلى الله عليهما وسلم وأظهرنا لك بالدلائل أن بشارة دانيال بختم الرؤيا والنبوة هي بشارة به لا بالمسيح كما يزعمون

ولذلك كان العرب ينتظرون مجيئه في ذلك الوقت لاخبار أهل الكتاب إياهم بذلك واخبار زعمائهم وأساقفتهم وكهنتهم كأمية بن أبي الصلت وقس بن ساعدة وسطيح وبحيرا وورقة بن نوفل، وهذا أمر مشهور معروف في تاريخ العرب ولولا ذلك ما قال القرآن ٢ : ٨٩ (وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما

جاءهم ماعرفوا كفروا به) وإلا لكذبه الناس في هذه الآية ولقالوا له ما كان أحد ينتظر مجيئك ولا يعرفك أحد

وكيف تختم النبوة بالمسيح وهو القائل لليهود (متى ٢٣ : ٣٤) (لذلك ها انا أرسل إليكم أنبياء وحكماء وكتبة فمنهم تقتلون وتصلبون ومنهم تجلدون في مجامعكم وتطردون من مدينة إلى مدينة - إلى قوله - ٣٦ الحق أقول لكم إن هذا كله يأتي على هذا الجيل) أي أمة اليهود كما يقولون هم أنفسهم في قوله (متى ٢٤ ٢٩ - ٣٤) وللوقت بعد ضيق تلك الايام تظلم الشمس والقمر لا يعطي ضوءه - إلى قوله - لا يمضي هذا الجيل حتى يكون هذا كله) فكيف إذاً يقولون إن الرؤيا والنبوة ختمت به وهو يقول إنها لم تختم بعد وأنه سيرسل إليهم أنبياء ؟ وكيف يدعون أن الحواريين أنبياء نزل عليهم الروح القدس وعلمهم أشياء كثيرة ومع ذلك يصرون على قولهم إن الرؤيا والنبوة ختمت به ؟ فما هذا التناقض ياقوم واين عقولكم ؟

هذا واعلم أن البشائر المحمدية كثيرة في كتب أهل الكتاب القانونية وغير القانونية ففي إنجيل برنابا الذي لايسلمون به ذكر النبي عليه السلام باسمه صريحاً في عدة مواضع وفي كتبنا القديمة بشائر كثيرة نقلها المسلمون سابقا عن كتبهم القانونية التي كانت في زمنهم كما في كتاب (الجواب الصحيح) لابن تيمية الذي نقل عن أشعيا وحبقوق التصريح باسم محمد صلى الله عليه وسلم ولكنّ ذلك غير موجود الآن فيها فيحتمل أنهم محوه منها . ومن تذكر قلة النسخ في تلك الازمنة وعدم وجودها إلا عند رؤساء الدين ووقوع التحريف فيها بالفعل كما يظهر ذلك من الفصل السابق وعدم حفظ أحد لها في صدره وسهولة مسح الكتابة من تلك الرقوق التي كانوا يكتبونها فيها قبل اختراع المطابع لا يستبعد أنهم محوه من جميع نسخهم القديمة والجديدة التي كانت عندهم ولو بالتدريج وقد أخبر المسلمين بذلك بعض اليهود والنصارى الذي اسلموا قديما وكانوا قد عثروا على هذا التحريف والتبديل كما يتضح ذلك لمن راجع كتب البشائر الاسلامية القديمة ، وعثورهم على هذا التحريف كان اتفاقا لأنهم ما كانوا يحفظونها في صدورهم وقل منهم من توجد عنده نسخة كاملة من كتب العهدين وهذا بخلاف القرآن الشريف الذي

كان محفوظا في الصدور ونسخه كانت بأيدي العامة والخاصة لعدم وجود رآسة دينية عندنا ولانتشار العلوم والمعارف بين المسلمين في تلك الازمنة بينما كان الناس غيرهم في بحار الجهل غارقين ولذلك كان عند المسلمين علم النقد العالي (في الحديث) الذي لم يعرف بين الأوروبين وغيرهم إلا اليوم والذي أصبحوا يفخرون به علينا ونسوا ماضيهم المظلم فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

وانا في هذا الفصل لا أريد أن استشهد بتلك البشائر التي لا يسلمون بها الآن ولا بالبشائر التي ليست صريحة بل لا أستشهد إلا بما هو واضح جلي من كتبهم الحالية :-

(يتلى)

الغارة على العالم الاسلامي (*)

أو

﴿ فتح العالم الاسلامي ﴾

٩

﴿ مؤتمر لكهنوء سنة ١٩١١ ﴾

وقام بعد ذلك القسيس (ك . س) المبشر في (مدراس) فتلا تقريرا عن مشايخ الطرق والدراويش في أفريقية وقدم له مقدمة تاريخية اقتبسها من المؤلفات الفرنسية . والمعلومات التي تضمنها هذا التقرير هي ملخص كتاب ألفه هذا القسيس اسمه (الطرق الصوفية في الاسلام)

ثم قال : ان الاسلام أخذ ينتشر في الحبشة وسيصبح شمال الحبشة عما قريب بلدا اسلاميا . أما «منبسة» وشرقي أفريقية البريطانية فلا أثر فيهما للدراويش المبشرين وليس هناك نجاح للاسلام في شمال نجريه حتى الايام الاخيرة ، وذلك لما كان يلقاه هذا الدين من مقاومة القبائل الوثنية له . الا أن الاستعمار الانكليزي قد وطد الامن العام ومهد السبيل لسياحة المسلمين . وانتشار الاسلام على يد التجار الهوسيين . وفي نجرية

(*) تابع لما نشر في الجزء الثامن ص ٦٠٥

مسلمون تربوا تربية اسلامية وهم على مذهب مالك بن أنس وقد درسوا تفسير البيضاوي وصحيح البخاري وكتب الغزالي ،

والاسلام في جنوب هذه البلاد قد انتشر انتشارا سريعا بفضل الهوسيين أيضا وقسم من هؤلاء ينتمي الى الطريقة التيجانية منذ ٨٠ سنة . وهذه الطريقة قد اتسع نطاقها حتى جهة « البيدة » ومشايخها هم الذين شدوا أزر أمير سكوتو أثناء اقتتاله مع الانكليز . وعلى كل فالظواهر تدل على تقدم الاسلام بانتظام في مقاطعة (سيرا ليونة) وهو ينتشر أيضا في (نياسالند) منذ ١٢ سنة بفضل عرب زنجبار . والبلاد الممتدة من بحيرة (نياسة) حتى الشاطئ الافريقي الشرقي لاتكاد تخلو بقعة فيها من مسجد أو رجل يدعو الى الاسلام وبالعكس من ذلك مقاطعة (رودزية) فان الاسلام لا يكاد يكون له فيها أثر .

وقام بعده الاستاذ (مينهف) فذكر بعض دواعي انتشار الاسلام مثل انقطاع تجارة الرقيق وانتشار الامن ونفوذ المسلمين من الوجهة الاقتصادية والتجارية ومما قاله : « ان بين الاوروبي والافريقي هوة تفرق بينهما . والمسلمون قد تمكنوا من ازالة الهاوية التي كانت بينهم وبين الزنوج بان جعلوا لهم الى هؤلاء سلما . فأهالي الساحل الشرقي في أفريقية والهوسيون في السودان الغربي هم الالة العاملة لانتشار مدنية الاسلام في أفريقية بلغة البلاد التي هي مزيج من العربية والبربرية والافرنجية (لانغوافرانكا) وهذه اللغة هي واسطة التعارف في الاقاليم الكبرى »

وشدد النكير على القائلين إن الاسلام أكثر موافقة للشعوب الافريقية وقال: ان من شأن هذه الفكرة أن تحبب المسلم الى الاوروبيين وتحملهم على مجاملته مع أن أساس هذه الفكرة واه الا اذا كان معناه أن الاسلام يبيح تعدد الزوجات المنتشر في أفريقية . وقد أظهرت التجارب الكثيرة في الاستعمار الاوربي أن الاوربيين لا يختلفون في شيء عن الافريقيين من الوجهة العملية

أما ان الاسلام في مستوى أرقى من مستوى الشعوب الافريقية فذلك لان هؤلاء يعيشون على طريقة القرون القديمة ومدنية الاسلام هي بدرجة مدنية القرون المتوسطة ولذلك يسهل على الافريقيين اقتباسها . وأما مدنية أوروبة فهي ارقى من المدنيتين الافريقية والاسلامية ولذلك يصعب على الافريقي الوصول اليها والاحتكاك بها

والاوربيون لم يثبتوا في نشر مدنيتهم في الافريقيين الا في الجنوب ولذلك صبح القيام بهذا الامر واجبا على المبشرين كيلا يعلوا الاسلام على النصرانية . وقد

صار من الواجب على إرساليات التبشير أن تحتك بالمسلمين وتتسلح بالمعدات الكافية لقتالهم وأن لا تخشى ذلك كما كانت تفعل حتى الآن . وينبغي لهم أن لا تكون أعمالهم لاهوتية محضة بل يجب ان يطرقوا أبواب الطب والصناعة وكل الاعمال التي يتفوق فيها الاوربي على الشرقي

الانقلابات السياسية :

ومن المسائل التي عقد مؤتمر لكهنؤ للبحث فيها الانقلابات السياسية في ممالك الاسلام فابتدأوا بالبلاد العثمانية وتقدمت ثلاثة تقارير عن الحالة السياسية في البلاد العثمانية الاول من الاستاذ (استوورد كروفارد) عن (الانقلابات العثمانية) والثاني من القسيس (ينغ) عن (الانقلابات السياسية في جزيرة العرب) والثالث من القسيس (تروبريدج) (عن النظام الجديد والنظام القديم في السلطنة العثمانية) مع ملاحظة موقف ارساليات التبشير في كل ذلك

تساءل استوورد كروفارد في أول تقريره عن الموقف الذي يجب ان تكون فيه ارساليات التبشير المسيحية تجاه قوات الاسلام الجديدة بعد الانقلابات العثمانية ثم قال ان الامة العثمانية بحصولها على بعض الحقوق الوطنية العصرية قد أخذت تتدرج في مدارج نهضة عظيمة وتظهر احساسا وطنيا جديدا أمام المسئولية الديموقراطية . وهذا الامر لا يقتصر على الرعايا المسلمين بل يشترك معهم فيه العثمانيون من غير المسلمين وهؤلاء قد بدأوا يتحولون عن فكرة الاستعانة بالدول الاجنبية وحدث بين المسلمين والنصارى تقرب محسوس بالرغم من حدوث بعض حوادث مزعجة

الا أن الاسلام قد ظهر في قالب جديد وذلك لان الانقلاب الذي احدثته الامة العثمانية انما كان اسلاميا محضا بل ان فكرة الدفاع عن الاسلام هي التي أعانت على حدوث الانقلاب

وعلى هذا فواجب المبشرين مزدوج أمام هذا المزيج الغريب المتكون من الرغبة في الارتقاء والتمسك بالتقهقر (!) وبهذا الواجب المزدوج يمكن لهم أن يعينوا مركزهم ازاء المسلمين العثمانيين . أما الواجب الاول فهو اظهار المجاملة للقوة الجديدة التي انتبهت في العثمانيين بعد سباتها بالرغم من أن الشعور الاسلامي الحقيقي يعرقل سيرها (!)

وبهذه المجاملة يمكن تنشيط المسلمين لاقتباس الاوضاع الجديدة وترقيتها على وجه يشبه الاوضاع التي تباهي النصرانية بها . ولم يسبق لنا أننا رأينا الاسلام لينا وملائما

الى حد تقدير المبادئ النصرانية قدرها . وهذه فرصة ثمينة ينبغي لنا انتهازها للتحكك بالعالم الاسلامي وهدايته الى الانجيل الذي هو أرقى وحي اهداه الشرق للغرب (!؟) وماعلينا الا أن نستصرخ المسلمين ليستردوا اليهم بضاعتهم الطبيعية فيطبقوا مبادئها على أعمالهم الضرورية من اجتماعية وقومية ويفسروها بأنفسهم على ما يوافق هواهم . ووقتنا أضيق من أن يتسع للطعن في عقائدهم . واذا ثبتنا على تلك الطريقة الفاسدة في إظهار المسيحية بمظهرها أيام الحروب الصليبية فانما نكون قد خنا المسيح الفاتح !

وأما الواجب الثاني فهو الصبر الذي يعرفه من عرف حكمة الانجيل في النمو التدريجي وهي تبتدئ بالعشب ثم بالسنبلة ثم يتبعها انتظار طويل ريثما ينضج الحب . الا أن النمو الاخلاقي بطيء خصوصاً اذا كان متعلقا بأمة من الامم

ثم قال : ان المسلمين يقتبسون من حيث لايشعرون شطرا من المدنية النصرانية ويدخلونه في ارتقائهم الاجتماعي ، وما دامت الشعوب الاسلامية تتدرج الى غايات ونزعات ذات علاقة بالانجيل فان الاستعداد لاقتباس النصرانية يتولد فيها على غير قصد منها (؟!)

(وقد علقت مجلة العالم الاسلامي الفرنسية على هذا القول بأنها تكتفي في بيان أهمية مايقوله استوردكر وفارد بتذكير القراء بالجملة التي اتخذتها جمعية الطلاب المتطوعين للتبشير شعارا لها منذ سنة ١٩٠٥ وهي « تنصير العالم قاطبة في هذا العصر » فان في هذا الشعار ما يدل على أن أقوال المبشرين تتدرج نحو الحقيقة !)

أما تقرير القسيس (ينغ) عن الانقلابات السياسية في جزيرة العرب فلم تذكر منه مجلة العالم الاسلامي الفرنسية الا مايتعلق بحالة المبشرين ، ومما قاله صاحب التقرير ان اليمن وسائر بلاد العرب يوجد فيها دائما متعصبون يرون أن في المساواة بين المسلمين والنصارى ضرراً وقضاء على الاسلام ، ولكن علماء الاسلام المتنورين يقولون ان الشريعة الاسلامية تأمر بالمساواة ثم هم من الوجهة الشخصية لاتمكنهم الموافقة على أن المسيحي يساوي نصف المسلم وان كان المسيحيون مساوين للمسلمين في الحقوق السياسية والشرعية

وهو يرجو ان يكون انشاء الطرق والسكك الحديدية وتشييد المدارس أبواباً ومنافذ بين المسلمين والنصرانية

وختم تقريره بقوله : « انه قد أزف الوقت لارتقاء العالم ، وسيدخل الاسلام

في شكل جديد من الحياة والعقيدة ولكن هذا الاسلام الجديد سينزوي في النهاية ويتلاشى بالنصرانية » (١)

وبعد أن فرغ الخطيبان السابقان من تلاوة تقريريهما قام بعدهما القسيس (ترويريدج) فألقى على مسامع زملائه تقريره عن النظامين الجديد والقديم في السلطنة العثمانية . فقال . المبشرين كانوا منذ ابتداء أعمالهم التبشيرية قبل ٨٠ سنة مظهراً لتسامح الحكومة العثمانية كما هو شأنها مع الرعايا الاجانب الذين تحميهم الامتيازات الاجنبية أما المتنصرون الوطنيون فهم على نقيض ذلك لانهم كانوا دائما عرضة للسجن والطرد كما ان المبشرين من وجه آخر كانوا يلاقون الصعاب والعقاب في سبيل تشييد المدارس والكنائس ونشر المطبوعات

ثم أشار بعد ذلك الى ملخص البند العاشر من القانون الاساسي الذي يحظر خرق حرية الافراد أو القاء القبض على أي شخص ومعاقبته بلا مسوغ منصوص عليه في الاحكام الشرعية الاسلامية والنظاميات القانونية . ثم قال . ومع ذلك يتعذر الوقوف على حقيقة خطة الحكومة بالاستناد على أقوال الكثيرين التي تلقى على عواهنها ، بل ان ذلك يتطلب التنقيب والاختبار الشخصي ، ولذلك قسم الخطيب الكلام في أعمال المبشرين بالنسبة الى موضعها ليسهل الوقوف على موقف الحكومة ازاء كل منها فقال عن الاعمال المدرسية إن في استطاعة المسلمين التردد الى مدارس وكليات التبشير وبين جدران الكلية البروتستانية في بيروت ١٠٤ من المسلمين وفي كلية الآستانة ٥٠ وفي كلية المبشرين في كديك باشا في الاستانة أيضا ٨٠ ومنذ بضع سنين صدر أمر خفي بجواز التردد على الكلية الاولى والثانية ، وانتقل الى قسم التأليف فقال . كان طبع الكتب المقدسة مباحا منذ مدة طويلة من لدن الحكومة العثمانية الا أن مهمة بائعي الكتب المتنقلين كانت محفوفة بكل أنواع الصعوبات . وأصبح الآن بيع الكتب المقدسة مباحا بسبب حرية النشر التي أعقبت الدستور فبيع في السنة الماضية للمسلمين مايزيد على ٩٠٠٠ نسخة من هذه الكتب . وليس هناك صعوبات تقوم في سبيل بيع الكتب المختصة بانتشار التبشير ، ولكن يجب على المؤلفين عدم الخوض في غمار المناقشات الدينية لان الحكومة الحاضرة لا تسمح البتة بنشر الكتب التي على شاكلة مؤلفات فندر .

---

(١) من الغريب ان يقول هذا القول من يعرف ما هي النصرانية ويعرف شيئا عن الدين الاسلامي الذي هو دين المستقبل لا محالة لانه هو الدين المناسب لحالة البشر في رقيهم الحالي والمستقبل

وقال عن الاعمال الطبية والخيرية انها منتشرة جداً في البلاد العثمانية ، ومما يجدر ذكره ان القسيس (بيت) التابع لارسالية التبشير في الاستانة عين رئيسا للجنة الاسعاف الخيرية التي تأسست تحت رعاية السلطان عقب مذابح اطنه ، والتبشير الديني جار بلا صعوبة في المستشفيات التي يدير أعمالها المبشرون

ثم قال عن الاعمال النسائية ان الحكومة سمحت عقب اعلان القانون الاساسي لخمس فتيات عثمانيات مسلمات ان يتعلمن في كلية البنات الاميركية ليتهيأن الى ادارة أمور مدارس الحكومة للبنات كما أن عدداً قليلا من البنات المسلمات في الولايات يتردد الى مداوس ارساليات التبشير . أما الحكومة فتظهر الاحتفاظ التام بحالة تربية المرأة المسلمة وتحظر على النساء التردد الى المجتمعات العمومية

وقال عن أعمال التنصير ان الحكومة العثمانية تتداخل ولو من طرف خفي عند مايتصل بها خبر اعتناق مسلم الدين المسيحي فتزجه في السجن لاي سبب كان أو تبعده سرا عن وطنه جزاء ارتداده . وكان الاعدام من قبل عقابا للارتداد عن الاسلام ولم يزل المرتد الى أيامنا هذه عرضة للعذاب الاليم . ومما لامرية فيه ان الموظفين المتنورين يمجون هذه الاعمال . أما التبشير الانجيلي في الشوارع والاسواق فمحظور. وقد دخل التساهل في شكل جديد عقيب قبول اندماج المسيحيين في الجندية لان ارتداد المسلم عن دينه كان يعتبر خيانة ووسيلة للتخلص من الخدمة العسكرية . أما الآن فأصبحت مسألة اعتناق الدين المسيحي دينية محضة

ثم قال صاحب التقرير انه يتعذر ادراك مايخبئه لنا المستقبل لان بوادر الاحوال تدلنا على ان الحكومة العثمانية لاترغب في منح الحرية الدينية الحقيقية لان الدين الاسلامي هو دين الحكومة الرسمي ولم يخرج القانون الاساسي الى حيز الفعل الا بقدر انطباقه على الشرائع والتقاليد الاسلامية . ومهما يكن الامر فان ارساليات التبشير لاتشكو ضيما بعد أن أسفر التحقيق الذي أجري في ارساليات التبشير في الاستانة وسلانيك ووان ومرعش وعينتاب عن ان خطة الحكومة الحاضرة موجبة لنهض همة المبشرين

وبعد ان انتهى البحث في احوال السلطنة العثمانية انتقل المؤتمر الى البحث في الانقلابات السياسية في فارس . فألقى القسيس (اسلستين) الذي مضى عليه ٢٣ سنة في هذه البلاد تقريره في هذا الموضوع فوصف الحالة الحاضرة السياسية والحركة الاجتماعية في فارس . وقال ان عصر الحرية الدينية سيزيد في عدد البابيين أو البهائيين. وانه يوجد ألوف من الفارسيين ينبذون الاسلام ويندمجون في بعض المذاهب أو يظلون

بلا عقيدة دينية . فظهر على أثر ذلك توتر في العقائد الدينية الاسلامية في كل اقاليم فارس، وهذه الامور حملت صاحب التقرير على القول بأن الاسلام يحط في البلاد الفارسية (!) وقال : ان أعمال التبشير في هذه البلاد توجب مزيد الحيطة والتستر نظراً للاحوال الخاصة التي تمتاز بها فارس وهو يشير على المبشرين ببذل قصارى الجهد للاقناع واستجلاب القلوب ، الا انه يحذرهم من السب في الاسلام أو ذكر انحطاطه من حيث أصوله الدينية خصوصاً وان موقف الفارسيين تجاه المبشرين هو موقف حسن في الغالب اذ ان كثيرين منهم يرغبون في تربية أولادهم في مدارس المبشرين مع علمهم انهم يتعلمون الانجيل .لكن هذه الرغبة لاتدل على انهم يودون اعتناق النصرانية بل ان تشوقهم الى التعليم صادر عن علمهم أنه هو الدواء الناجع لاتقاء الصعاب التي تتخبط فيها فارس الآن . فهم لايرغبون في النصرانية بل جل ما يتوخونه هو اقتباس مبادئ الحضارة العصرية

وبعد أن فرغ المؤتمر من الخوض في الانقلابات في فارس انتقل الى اقليم آسية الوسطى التي لم تصل اليها ارساليات التبشير مثل افغانستان والتركستان الصينية والاقاليم الروسية الاسيوية فتلى تقرير الكولونل (ج ونجت) الذي يشير الى بعض الاعمال التي بوشر بها في آسية الوسطى . فاتضح منه أنه تعذر على المبشرين الانكليز اجتياز الحدود الهندية للدخول في آسية الوسطى بسبب العراقيل التي توجدها الحكومة الانكليزية منعا لهم من اجتياز هذه الحدود . ولكن سبقها مبشرون آخرون الى هذه البلاد اذ هبطت ارسالية تبشير اسوجية بروتستانية مدينة (كشغر) و(يركند) وتأسست ارسالية تبشير بحرية في (لح) وعرج مبشرون بلجيكيون كاثوليك على (خولجه) وتوجد ارسالية تبشير طبية دانمركية في (حوبي مردان) تقوم بها النساء ووظيفتها التبشير بين النساء المسلمات وهي على أهبة الهبوط الى (كابل)

ومما لاشك فيه أن النساء اللواتي يتعاطين الطب يلاقين مزيد الحفاوة لان المسلمين لايهتمون بأعمال النساء المبشرات ولا يضمرون لهن سوءا ولكن يعتور أعمال المبشرين في هذه البلاد صعوبات ويمكننا أن نعرف موقف حكومة الافغان الرسمي بمراجعتنا نبذة من خطاب ألقاه أمير الافغان على مسامع الطلبة المسلمين في مدرسة لاهور اذ قال لهم « لاخوف عليكم من أن الدين المسيحي أو أي دين آخر ينتزع منكم العقيدة الاسلامية بعد اقتباسكم التعليم الغربي ولكن ينبغي لكم أن تقوموا قبل كل

شيء باقتباس العقيدة الاسلامية وأنتم في مقتبل عمركم » . واتضح بعدذلك ان المبشر (هو غبرغ) التابع لارسالية التبشير الاسوجية الذي أخذ يبشر بين المسلمين في التركستان الروسية اضطر أن يفر من مقاومة الحكومة الروسية له الى (كشغر) حيث لقي مزيد التسامح من الحكومة الصينية

وقرئ بعدذلك تقرير المس (جاني فن ماير) المبشرة . في تفليس وهو يحوى أمورا تاريخية تتعلق بالتبشير بين المسلمين القاطنين في روسية . والقسم الاول من هـذا التقرير يتعلق بتاريخ تصـير تتر قازان والى المساعي التي بذلها المبشر الارثوذكسي (ايلمنسكي) لتنصير المسلمين وجعلهم روسيي النزعة وقد لاقى مالاقاه من المقاومة في هذه السبيل نظراً لشدة نفوذ التتر وتسيطرهم على الشعوب غير النصرانية في روسية ، وتقول صاحبة التقرير انه مهما كانت درجة مساعي المبشرين الارثوذكس فانها لاتعادل ما يبذله المبشرون البروتستانت في هذا السبيل . وقد تأسست جمعية التبشير الارثوذكسي سنة ١٨٧٠ وهي منتشرة في أكثر الاقاليم الروسية وسيبرية ومركزها في (موسكو) وأنفقت حتى الآن مايربو على خمسة ملايين ريالا وهي تدير أعمال ٧٠٠ مدرسة يتعلم فيها ١٩٠٠٠ تلميذ وتنصر بواسطتها ٤٤ مسلما سنة ١٩٠٨ وبلغ ما نصرته للآن ١٦٧٠ مسلما ، وأخذ التبشير ينتشر في ولاية (توبلسك) بواسطة جمعية التبشير المركزية المخالفة للاسلام وهي جمعية أرثوذكسية ، وتوجد جمعيات تبشير أرثوذكسية كثيرة في ولاية (فولغا) تتضافر جميعها على شد ازر التبشير وتؤسس المدارس لتعليم أولاد التتر والشوقاش ، قالت صاحبة التقرير ولكن الاعمال التي يقوم بها المبشرون الروس بين التتر عقيمة لان التتر متعصبون متمسكون بدينهم وهم أنفسهم مبشرون نشيطون ، ثم أشارت الى جمعية التبشير للكنيسة الروسية في القريم وانها تقوم بعمل مزدوج فتعلم المبشرين في مدارس تعلم فيها اللغة التركية والعربية ولها أيضا مبشر يتنقل من محل الى آخر فينتصر على يده كل سنة أربعة أو خمسة من المسلمين وللمبشرين الروس ارساليات تبشير أخرى منتشرة في الولايات الروسية الاوربية وبعضها طيبة، ولكن مهمة المبشرين تزداد صعوبة حينما وجدت قبائل الكركز والباخير والتركمان قريبة من التتر لان هذه القبائل تقع تحت نفوذها ، وهناك يستفحل النزاع بين المبشرين المسيحيين والتتر .

وانتقلت بعد ذلك صاحبة التقرير الى ذكر الاعمال التي تقوم بها ارساليات التبشير البروتستانية فاعترفت بعدم اهتمام الكنائس البروتستانية الروسية في تبشير العشرين

مليونا من المسلمين والخمسة الملايين من الوثنيين القاطنين في روسية لانها لم تقم للآن بعمل يذكر ، وقالت ان كنائس بروتستانية أخرى قامت بهذه المهمة ولها مبشرون في تركستان وبين قبائل (الكركز) واهم ارساليات التبشير التي تسعى لتنصير المسلمين في كل اقطار روسية هي ارسالية التبشير الاسوجية التي لها مركز عام في تفليس وفروع للتبشير في بخارى وأورنبورغ وسمرقند و (كشغر) . وبما أن الحكومة الروسية لم تسمح لهذه الارساليات بالتعليم ولا بالتطبيب فهي تكتفي بتوزيع الكتب المقدسة باللسانين الفارسي والتركي و بلغ عدد الذين تنصروا بواسطتها ١٤ شخصا ، اما ارساليات التبشير في بخارى وسمرقند فاضطرت الى توقيف أعمالها عقيب الاضطرابات التي طرأت ،وهذه الارساليات تجد صعوبات شديدة في (بخكيرس) ولم تحصل على نتائج صريحة وتقوم جمعية التوراة الانكليزية والاجنبية بنشر نسخ الانجيل في كل البلاد الروسية ولها مركزان واحـد لاوربة روسية وتركستان والآخر لسيبرية وهما يقومان بنشر الاناجيل في عشر لغات اسلامية ويظهر ان عدد الاناجيل التي تباع للمسلمين ازداد عن ذي قبل وختمت صاحبة التقرير كلامها بالاشارة الى بعض ارساليات تبشير صغيرة منتشرة في الاقاليم التي يقطنها المسلمون .

تلي بعد تقرير المس (جاني فن ماير) الطويل ثلاثة تقارير أولها للقسيس (ويلسن) عن أحوال الهند والثاني للقسيس (جون تكل) عن تقدم الاسلام في الهند والثالث للقسيس (وتبرخت) عن حركات الاصلاح في الهند

وقد جاء في التقرير الاول للقسيس (ويلسن) أن الحركة العصرية التي تتمخض بها الارجاء الهندية لم تأت بثمرة للآن ولم تظهر الا بشكل أفكار وأميال ونزعات . ولكي يتسنى لنا الوقوف على مايكون من تأثير هذه الحركة في أعمال التنصير يجدر بنا الانتظار وربما تحقق مآرب حاملي لواء الاصلاح في الهند. وليس هناك داع للاستغراب أو للفشل اذا أظهر المسلمون عدم اقبال على اقتباس المبادئ الانجيلية لان الاهتمام بالحياة العقلية السياسية الحديثة يدعو الى تعليق الآمال بالنهضة التي ترفع شأن الاسلام فلا يبقى ثمة في نفوس المسلمين موضع للتفكير في أمور أخرى . لكن صاحب التقرير لا يشك في ان التربية الغربية هي من قبيل قوة تحل بها عرى الروابط الاسلامية .

وقد قال بعد ذلك : « ان مطالعة التاريخ المجرد من المحاباة والتغرض تميط اللثام عن حقيقة مصادر الاسلام لان العقل الذي اعتاد التنقيب العلمي لا يقبل الاعتقاد عفواً وبلا روية بالعقائد التقليدية ! » وهو يعتقد أن انتشار التعليم يساعـد علي تبديد

الخرافات القديمة بخصوص المسيحية . واختتم القسيس ويلسن تقريره معرباً عن أمله الوطيد بالحصول على نتائج حسنة فى المستقبل

وتلاه القسيس (جون تكل) فاستهل تقريره بالقاء نبذة في تاريخ انتشار الاسلام في الاقاليم الهندية وقال : ان الاسلام آخذ في الازدياد وان العراقيل التي تلقى في سبيل انتشاره تكاد تكون في حكم العدم . وأشار الى مقاطعة البنغال فقال ان عدد المسلمين فيها بلغ سنة ١٨٧١ ستة عشر مليوناً ونصف مليون وكان الوثنيون ١٧ مليوناً

ثم اتضح من احصاء سنة ١٩٠١ ان المسلمين في هذه المقاطعة صاروا ١٩ مليوناً ونصف مليون وأن الوثنيين صاروا ١٨ مليونا . ثم تساءل عن أسباب نمو المسلمين وأجاب أنه لا يمكن أن ينسب هذا النمو الى تعدد الزوجات لان ٢٩ في المائة فقط من مسلمي البنغال متزوجون بأكثر من واحدة ، كما أنه لا يمكن القول بأن هذه الاسباب ناشئة في أكثر الاوقات عن التثبت بصحة العقيدة الاسلامية لانه اتضح له من التحقيق الذي قام به للوقوف على الاسباب التي حملت ٤٠ شخصاً على اعتناق الدين الاسلامي في أوقات متفاوتة ان ٢٣ منهم اعتنقوا الاسلام لاسباب ناشئة عن العواطف وسبعة منهم لارتباك في أحوالهم والباقون أسلموا لاسباب مختلفة . وقد أسفر التحقيق الذي قام به مبشرون آخرون عن نتيجة واحدة من حيث نسبة الاسباب الى مسبباتها . وقال ان الوقوف على أسباب نمو الاسلام يمهد الحصول على وسائل توقيف تياره ولذلك ذكر لاعضاء المؤتمر بعض اقتراحات تتعلق بالاحتياطات التي يجدر بالمبشرين اتخاذها وأهمها ضرورة زيادة القوات التبشيرية الاخصائية وأيد اقتراحه بقوله ان ثلث مسلمي الهند ـ الذين بلغوا في احصاء سنة ١٩٠١ اثنين وستين مليوناً ونصفاً ـ قاطن في مقاطعة البنغال ومع ذلك فلا يوجد في هذه البلاد مبشرون اختصوا بتبشير المسلمين

وانبرى بعد ذلك القسيس (وتبرخت) فتلا تقريره ومما قاله أنه يجدر بالمبشرين اظهار مزيد اللياقة عند ما يحتكون بالمسلمين المتنورين وان ظهور بعض الجهال بمظهر العظمة والغطرسة قد زال الآن وحل محله احترام حسنات المدنية المسيحية؟ وأعمال الدين المسيحي الخيرية(؟) . ثم أوصى المبشرين بالتواضع وقال لهم اذا كان المسلم يبالغ في سؤدد ومجد حضارة بغداد وقرطبة ودرجة رقي أفكار علماء العرب فلنتذكر نحن أيضاً ان هذا التاريخ يحوي صحائف مجيدة ولنتذكر أيضاً انه وان

يكن الاسلام بقي دين الشعوب التي هي دوننا في المدنية فان أنصاره نجحوا أكثر من المسيحيين بازالة الحواجز التي تفصل بين الاجناس

ثم جاء بعد ذلك دور المستر رودس التابع لجمعية التبشير في الصين الداخلية وهي الجمعية الوحيدة التي توغلت في الصين وبعد أن تكلم في نسبة المسلمين العددية وأحوالهم الاجتماعية والسياسية تكلم عن أعمال التنصير التي يقوم بها المبشرون فقال : ان أعمال المبشرين كانت حتى الآن في زوايا الاهمال الا أن المجهودات التي بذلها هؤلاء تكللت بالنجاح وأبادت خرافات كثيرة فتوطدت العلاقات بينهم وبين المسلمين واعتنق بعض المسلمين الدين المسيحي ، وهم منهمكون الآن بنشر الانجيل ولكن لم يبلغ مسامعه ان عالما مسلما اعتنق الدين المسيحي ثم أشار بعد ذلك الى العقبات التي يلقاها المبشرون في الصين وأهمها ضرورة وجود لغتين للمبشرين اللغة الصينية التي تستعمل مع العامة واللغة العربية لاجل العلماء والطلبة وبوجود هناك عقبة أخرى وهي صعوبة وجود كلمة في اللغة الصينية للدلالة على اسم الجلالة . واختتم تقريره بلفت أنظار المبشرين الى الصين وقال ان النصر ليس حليف الاسلام في الصين الا ان العلماء المسلمين ينكفئون على هذه البلاد من الهند وجزيرة العرب وبلاد الدولة العثمانية لاجل توطيد أركانه هناك وحض الخطيب أعضاء المؤتمر على تعزيز عدد المبشرين الواقفين على اللغة العربية وارسال نساء مبشرات للقيام بالتبشير الطبي وسط النساء الصينيات وطلب تأسيس ارساليات طبية ومستشفيات

ثم ألقى على مسامع المبشرين سؤالا يتعلق بمسلك الحكومات نحو المبشرين ويتضمن البحث عن أحوال المسلمين الموجودين تحت سيطرة المسيحيين أو الذين تحت حكم الوثنيين وقد اتضح من الخوض في هذا الموضوع ان (هولندة) هي الحكومة الوحيدة التي تروج أعمال المبشرين وتستحق رضاهم عليها ، ويظهر أن المانيه أخذت تقتدي بها في مدة قريبة أما انكلترة فهي هدف لانتقاد المبشرين لانهم يزعمون أن المسلمين في مصر يهضمون حقوق الاقباط لان التعليم الديني الاسلامي جبري في المدارس المصرية والحكومة المصرية هي التي تنفق عليه (١)

أما التعليم الديني للتلاميذ الاقباط فاختياري ويتكفل بنفقته المجلس الملي القبطي. وأما في السودان فأعمال المبشرين معرقلة حتى ان كلية غوردون التي أسستها الامة البريطانية أصبحت مدرسة اسلامية محضة والحكومة الانكليزية في نظر المبشرين

(١) اقرأ رسالة « المسلمون والقبط »

ملومة على انتهاجها خطة الحياد وشدها أزر المدارس الاسلامية في مقاطعة (سيراليونه) كما ان ذوي الامر من الانكليز في نيجيرية لا يحسنون معاملة ارساليات التبشير المسيحية ولا يسمحون لهم بفتح المدارس العصرية بكل حرية بينما هم يعضدون المدارس التي تعلم القرآن . وأما الحكومة الفرنسية فتسلك خطة الحذر التي لا تنطوي على الود والاخلاص نحو المبشرين لان علاقاتها معهم في مدغسكر لم تحسن ، وان تكن سمحت لهم بارتياد الجزائر وتونس بدون تعضيد ويخشى أن تحظر عليهم التجول في الصحراء والنيجر وأقاليم بحيرة تشاد أو واداي ، وقد لام المبشرون الحكومة الروسية لتباين أعمالها فقد يتفق في بعض الاوقات انها تروج أعمال المسلمين التي تضر بالمسيحيين التابعين للكنيسة الرسمية الروسية .

أما خطة الحكومات الوثنية نحو المبشرين فتختلف باختلاف طباع ومزايا الحاكم الوثني . وقد قال المبشرون انه مهما بلغ طيش الحاكم الوثني وهمجيته ودرجة اضطهاده فهي لا تبلغ درجة الاضطهادات والاعمال الهائلة التي تخللت تاريخ الاسلام (!) وهم يفضلون ان يكونوا مرتبطين بعلاقات مع الوثنيين المستقلين لانه مهما كانت فائدة حلول الحكومة الغربية محل الحكومة الوثنية فانها تروج تيار الاسلام (!) وتكون مجلبة للعراقيل في وجه المبشرين من حيث الاعمال التي يقوم هؤلاء بها تجاه المعضلة الاسلامية وقال المبشر (وتسون) ان الواجب الضروري يقضي على المبشرين بالاهتمام بأمر البلاد الوثنية التي يتهددها الاسلام !

الجلسة الختامية لمؤتمر لكهنوه

ثم قالت مجلة العالم الاسلامي الفرنسية انه يتعذر عليها أن توفي البحث حقه عن سائر موضوعات هذا المؤتمر لان هناك كتابا آخر ظهر في عالم المطبوعات وفيه باقي ابحاث المؤتمر ولكنها لم تحصل عليه . وهي تكتفي الآن بذكر بعض أمور تتعلق بالجلسة النهائية للمؤتمر وهي

ألقى الرئيس خطابا يشير فيه الى ارفضاض المؤتمر ثم وزعت على الاعضاء رقاع مكتوب عليها من جهة : « تذكار مؤتمر لكهنوه سنة ١٩١١» ومن الجهة الاخرى العبارة الآتية : « اللهم يا من يسجد لك العالم الاسلامي خمس مرات في اليوم بخشوع انظر بشفقة الى الشعوب الاسلامية وألهمها الخلاص بيسوع المسيح . »

أما القرارات التي دونها المؤتمر في محضر جلساته فهي كما يأتي :

يعقد المؤتمر مرة أخرى في القاهرة سنة ١٩١٦ واذا طرأت هناك أسباب سياسية أو أمور أخرى تحول دون اجتماعه في هذه المدينة فيعقد حينئذ في لندرة . ومؤتمر لكهنوه يوافق مؤتمر ارساليات التبشير الذي عقد سنة ١٩١٠ على ضرورة بذل المساعي في القارة الافريقية دون أن تمس المساعي التي تبذل في البلاد الباقية .

ولذلك فهو يرى أنه يجدر بالجمعيات التبشيرية أن تتكاتف وتتعاضد لكي تؤلف سلسلة قوية من ارساليات التبشير تطوف كل أفريقية وتؤسس مراكز قوية في الاماكن التي هي موطن الخطر .

ويجب أن يكون إخراج هذه الفكرة الى حيز الفعل موضع بحث أهم وأوسع مما كان في السابق سواء من حيث تربية المبشرين أو حسن اختيارهم ، الامر الذي يحتم اتخاذ التدابير بلا تأخير لاتمام المشروعات التي بوشر بها .

ويرى المؤتمر أن من الضروري العاجل تأسيس مدرسة في مصر خاصة بالتبشير تكون عامة لكل الفرق البروتستانية . ويشدد بلزوم التدقيق التام في انتقاء المبشرين الاكفاء الممتازين بصفاتهم ومواهبهم العقلية ولزوم تعليمهم اللغة العربية بوجه خاص مع تاريخ الدين الاسلامي وأهم المؤلفات التي تتعلق به

وأعضاء المؤتمر يدعون اللجنة الدائمة لان تدرس بمزيد الدقة أدوار تقدم الاسلام في أفريقية وجزائر الملايو ليكون بحثها أساساً للمناقشات في المؤتمر المقبل

ولما كان تنصير النساء المسلمات مع أولادهن ورفع شأنهن (؟!) يتطلب دخول النساء المسيحيات في العمل فأعضاء المؤتمر يشيرون على ارساليات التبشير بالتشديد على المبشرين والمبشرات بضرورة التحكك بالرجال والنساء عند قيامهم بأعمالهم التبشيرية وأن توسع نطاق الاعمال التبشيرية التي تقوم بها النساء في أفريقية بوجه خاص . وان تعنى بتربية النساء المبشرات

وختم المؤتمر قراراته بتنبيه همة الكنائس التبشيرية لارسال قسم من المبشرين الموجودين لديها ليشدوا أزر المبشرين في أفريقية

التنظيم المادي لارساليات التبشير

انتقلت بعد ذلك مجلة العالم الاسلامي الى البحث في التنظيم المادي لارساليات التبشير البروتستانية الاميركية والانكليزية والالمانية فاستهلت بحثها بوصف جمعية

التبشير للكنيسية الانكليزية وقالت ان هذه الجمعية التي يكثر ذكرها على صفحات هذه المجلة هي أهم جمعية تبشيرية بروتستانية

وقد مضى على تأسيسها ١١٠ سنين ويدبر أعمالها ١٤٥ أسقفا ينوبون عن الرئيس وهو أسقف كنتربوري الانكليزي وقد كانت ايراداتها سنة ١٧٩٩ خمسة وعشرين ألف فرنك فبلغت سنة ١٩١٠ عشرة ملايين من الفرنكات وهذا غير المبالغ الهامة التي ترد لها وتصرفها في سبيل التبشير من غير تدوين في سجلات صندوق الجمعية

ومن مراجعة التقارير التي نشرتها هذه الجمعية سنة ١٩٠٦ اتضح لنا ان مجموع الاكتتابات والايرادات التي وردت على الجمعية في هذه السنة من البلاد الانكليزية فقط ٢٢٨،٥٢٩ جنيها . وبلغت الايرادات الاخرى ١٠٠ الف جنيه وهي مؤلفة من الاكتتابات التي ترد اليها من البلاد الاجنبية ومن المبالغ التي يجمعها المبشرون. ولها فروع عديدة لجمع النقود لا تقع تحت حصر

ولادارة هذه الجمعية أهمية كبرى تظهر لنا من مراجعة النفقات التي تتكبدها وهي انها أنفقت سنة ١٩٠٦ مبلغ ١٦،٥٨٤ جنيها في سبيل ادارة أمورها ومبلغ ٢٧،٥٨٤ جنيها في سبيل تحصيل الاكتتابات والايرادات . وقد كانت ايرادات هذه الجمعية في السنة الماضية ٤٠٣،٦١٥ جنيها ونفقاتها ٣٩٤،١١٣ جنيها وبلغ ما أنفق على الاعمال التبشيرية ٣٢٥،٠٠٠ جنيه منها ٢٥،٠٠٠ جنيه صرفت للمبشرين الموجودين في غير البلاد الاسلامية . فيكون مجموع ما تنفقه هذه الجمعية كل سنة للتحكك بالاسلام ٧،٥٠٠،٠٠٠ من الفرنكات . وهي موزعة كما يأتي ٢١٥٢١ جنيها لافريقية الشرقيه و ٣٠٠٤٨ جنيها لافريقية الغربية و ٦٢٣٤ للتبشير في القطر المصري و ٨٢٢٤٧ جنيها للبلاد العربية والعثمانية والفارسية و ١٢٠٨٤٦ جنيها للهند و ٥١٦١١ للصين

وقد قالت هذه الجمعية في تقريرها عن سنة ١٩١١ ان أعمال التبشير في البلاد الاسلامية ما زالت صعبة وعرضة للنفقات الجسيمة الا أن نتائج أعمالها أخذت تظهر للعيان . وقد قال ان نطاق الاعمال التبشيرية اتسع عن ذي قبل في فارس . أما في مصر فكل المجهودات تبذل في نشر التبشير وتوسيع نطاق التعليم في الارياف وقد كان من شأن السكة الحديدية التي أخذت تجوب شمال نيجريا انها مهدت لمبشري هذه الجمعية سبيل تأسيس مراكز تبشيرية في الامكنة الاسلامية . والاسلام

يندفع نحو اقتباس المدنية العصرية وهذه النهضة التي يدب دبيبها في صدور المسلمين تدعو الى تنافس حقيقي بينهم وبين المبشرين للاستيلاء على المراكز التي يتوخونها ، وقد ظهرت هذه النهضة أيضاً في افريقية الشرقية الألمانية حيث صارت السكك الحديدية منهمكة بنقل بضائع المسلمين الى أحشاء البلاد وكذلك الحال في السودان المصري الذي ظهرت فيه حركة اسلامية حقيقية تطرقت الى داخل البلاد ، وتوجد أيضاً في نيجريا الشمالية بعض اقاليم وثنية على حدود بلاد اسلامية كبيرة وهذه الاقاليم أصبحت عرضة لبحر الاسلام الطامي ، أما في نيجريا الجنوبية فينتظر حدوث نزاع بين المسلمين والمبشرين من يوم الى آخر ويتفوق المسلمون في أكثر هذه الاقاليم على ارساليات التبشير في المال والنفوذ وبينما كان مسيحيو مدينة (ابا بوكوتا) يخصصون مبلغ ٧٥٠٠٠ فرنك لاجل بناء مدرسة كان مسلمو مدينة (لاغوس) يخصصون ٢٥٠،٠٠٠ فرنك لبناء مسجد جديد .

وللجمعية أيضاً ارساليات تبشير في مقاطعة (سيراليونه) يرجع عهدها الى سنة ١٨٠٤ فيها ٦٣ مدرسة و ٣٩ معهداً يتعلم فيها ٥٠٠ و ٤ طالب . والمسلمون في هذه المقاطعة كثيرون وأغلبهم في داخل البلاد ، وقد كان لمبشري هذه الجمعية القدح المعلى في توسيع نطاق المستعمرات الانكليزية بأواسط افريقية وغربها ، لان المبشرين كانوا يستعينون بالزنوج المتنصرين في ارتياد البلاد وتأسيس مراكز التبشير وتوطيد النفوذ الانكليزي ، وكذلك هي ارساليات التبشير في (لاغوس) و (ابابوكوتا) و (ابادان) و (لوكوجه) ، وحاصل القول ان لهذه الجمعية في هذه الجهات ثلاث أسقفيات وهي في (يوروبا) ونيجريا الجنوبية ونيجريا الشمالية ، وفي المقاطعة الاخيرة يجد المبشرون أنهم في بلاد اسلامية محضة ، وفي المقاطعة الاولى والثانية لا يوجد من المسلمين الا التجار وأصحاب القوافل كما هي الحال في لاغوس ، والمعاهد والمدارس التي للجمعية في نيجريا الشمالية قليلة بالنسبة لغيرها للسبب الذي ذكرناه وهو كثرة وجود المسلمين فيها ، وتقول الجمعية في تقريرها ان تقدم المسلمين في مقاطعة (يوروبا) موجب للقلق الشديد ومما يدل على ذلك انهم خصصوا ٢٥،٠٠٠ فرنك لتشييد مسجد في (أبابوكوتا) كما ان الاسلام ينتشر انتشاراً هائلا في مقاطعة (إيجابو) التي كانت سنة ١٨٩٢ وثنية محضة فأصبحت لا تخلو قرية من قراها من مسجد حتى أن

مدينة (ايجابو أود) لايكاد يخلو شارع فيها من مسجد للمسلمين وقد توطد نفوذ الاسلام في (أود)

والمسلمون أحرزوا في المدة الاخيرة حقوقهم المدنية والحرية التامة في اقامة الصلاة وشعائر الدين الاسلامي مع ان ملك هذه البلاد كان لايطيق ذكر المسلمين وكذلك يزداد عدد المساجد في (يوروبا) القربية التي تؤسس بجانبها المدارس العديدة لتعليم اللغة العربية ورغما عن كون الاهالي في بعض الجهات مثل مقاطعة (ايبوس) يبتعدون عن الاسلام فان نطاق الاسلام آخذ بالاتساع ففي (اكتسا) مثلا الواقعة في نيجيريا الشمالية لاتجد محلا خاليا من المعلمين المسلمين . وآية ذلك ان المسلمين يهبطون القرى الوثنية ويحتكون بأهلها ولا يمضي ردح من الزمن حتى يستعمل الوثنيون الاسماء الاسلامية ويحملون الآثار الدينية التي يحملها المسلمون ، ثم يتدرجون في الاسلام ، والامر الذي أوجب انتشار الاسلام في (كوتا) هو الازدواج الذى يحصل بين المسلمين والوثنيين ، أما في (بوشي) ففضل انتشار الاسلام عائد الى التجار (الهوسيين) الذين ينشرون الاسلام ويبيعون بضاعتهم في آن واحد وقد استفحل أمر المشكلة الاسلامية في أعين مبشري الجمعية في مقاطعة (يوروبا) لدرجة ان المبشرين هناك يطلبون الذهاب للتبشير بين قبائل (بربرى) الوثنية القاطنة في (بورنو) والتي تتراوح بين المليون والمليونين من النفوس وقد قال القسيس « أوغنيني » في تقريره عن (يوروبا) انه أراد التحكك ببعض مسلمي (ايلورن) فطلب منه بعضهم تأسيس مدارس وقال له آخرون انهم يأسفون لعدم تمكنهم من قطع رأسه ! وقد ظهر للمبشرين ان نفوذ العناصر الفولانية والبولانية والاسلامية منتشر حتى في الاقاليم الوثنية المحضة .

« يتلى »

اخبار العالم الاسلامي

المسلمون في مجلس الدوما (النواب) الروسي

« خطبة صدر الدين افندي مقصودف النائب المسلم في الدوما »

« عند البحث في ميزانية الوزارة الداخلية »

سبب الكلام في شؤون المسلمين خاصة

يا وكلاء الشعب المحترمين ! لا أتكلم في سياسة الوزارة الداخلية الا من حيث تعلقها بالمسلمين .

أيها الافندية ! نحن وكلاء حزب المسلمين اذا بدأنا الكلام على هذا المنبر في شؤون المسلمين خاصة ربما يتساءل كثير منكم « لاي شيء تخص المسلمين فقط ؟ ولماذا يكون الكلام في ضغط الحكومة على المسلمين خاصة ؟ وربما تقولون ان هذا الضغط كان يصيب كل واحد من سكان روسية من غير فرق في الجنس والدين » وهذا ليس بصحيح على اطلاقه . فنحن المسلمين يصيبنا كثير من الضغط على انفرادنا غير ما يصيبنا منه مع مواطنينا الآخرين

لكل أمة من الامم مميزات وعادات محترمة لديها تمتاز بها عن الامم الاخرى ، والحكومات العاقلة مهما قاومت الحركة الطبيعية فانها لا تمس (عادة) هذه الاشياء المحترمة عند الامم . وهذه المميزات هي لغة الامة وأدبياتها ومدارسها وما يتبع ذلك . أما حكومتنا فهي لا تزال الى الوقت الأخير تمس بالشر هذه الاشياء العزيزة لدينا ، تطارد مدارسنا وأدبياتنا ولغتنا ونحن بها عرفنا الدنيا وبها تتكلم أمهاتنا وفيها تربينا منذ صغرنا . أيها الافندية ! عند ما يقع علينا مثل هذه الضربات لا يمكننا أن نسكت غير مهتمين ولا مبالين

قلما يصعد حزب المسلمين في الدوما هذا المنبر وذلك عند نفاد الصبر و بلوغ الالم في النفس مبلغه . فلا تتكلم الا عند مايكون الكلام لا بد منه ، لذلك أيها الافندية نحن لا نقدر على الكلام غير متأثري العواطف (أصوات من اليمين قائلة : هل تقدر احساساتكم بشيء من المال ؟)

انتم لا تحسون احساسي من هذه الجهة فدعوني اتكلم بحرية في كل ما أريده وأرجو عدم قطع كلامي بأصوات شتى لا سيما من جهة اليمين

الضغط الحاصل على المسلمين

قبل بيان أسباب سياسة الحكومة ضدنا وما كان لها من النتائج اجدني مضطرا لتعداد أعمال الحكومة غير القانونية ضدنا في غضون سنة واحدة ، وا كتفي بأن أعد منها كبارها اذ لا يمكن احصاء جميعها . من ذلك التفتيش والسجن الذي وقع على الاشخاص الآتية اسماؤهم ، فتشوا دار حسن صبري آيوازف معلم اللغة التركية في « لازارفسكي اينستيتوت » بمدينة مسكوف ثم سجنوه ونفوه . وفتشوا دار ملا عبد الله آيانايف وملا عالم جان عليف في مدينة قزان وأخذوا منهما كتبا وأوراقا كثيرة . وسجنوا ٩ معلمين وعبد الله نعمة اللين وعبيد الله نعمة اللين من كبار العلماء في قرية بو بي بولاية واتكه وأخذوا وقت إجراء التفتيش ٥٠٠ مجلد من الكتب وكثير منها كتب دينية .

(الرئيس - يامقصودف ! أرجو أن لا يطول بك التعداد

مقصودف - لا يأذن لي الرئيس أن أعد الوقائع كلها فيجب علي أن اكتفي بان مثل هذه الوقائع مكتوبة عندي حيث تملأ دفترا)

في سنة واحدة فقط أجري التفتيش على ١٥٠ من أعيان المسلمين واقفلت مكاتب عديدة جدا و بيوت للمعارف والمدنية .

أقفل في مدينة خوقند وحدها عشرون مكتبا بأمر مفتش المعارف هناك وطرد معلموها . وفي قرية آرصاي بولاية صمار التابعة لمتصرفية بوغورصلان أقفل المكتب وطرد معلمه ، وأقفلت دار كتب السعادة « كتبخانة سعادت » في بلدة

منزله بولاية اوفا وكذلك اقفلت مطبعة « اورنك » في مدينة قزان وطرد معلمو المكاتب في بلدة وبرخني اودينسكي وكذلك في قرية آيوأوراز في متصرفية بوغولمه بولاية صمار . وأقفلت مدرسة حسن پونامارف في بلدة پترپاول . ومنع المدرس محمد امين من التدريس في بلدة « اوش » وأقفلت مكتبة علي طاربي في بلدة باغچه سراي ، ولم يؤذن ببناء جديد بدل مكتب قديم في بلدة آلماطا . وأقفلت مطبعة كازا كوف في مدينة قزان . ومنع احسانف ويانغاليچف من تعليم الاولاد في بلدة ساريچن ومنع مصطافين وشرف وز بيرف من التدريس في مدينة قزان . ومنعت أيضا المعلمة نفيسة كازا كوا من التعليم في مكتب البنات في بلدة تتوش ولم يأذنوا لمنور قاري بافتتاح شعبة بجوار مدرسته لتعليم اللغة الروسية في مدينة طاشقند . ومنع حسين مكايف من التعليم في بلدة نمنكان وقرر مجلس شورى الدولة إقفال الجمعيات في مدينة استرخان . وشكي . وسمبر . واقفل مكتب عند المسجد الجامع في مدينة قزان وعزل بولاية قزان ما ينوف عن عشرين من الائمة عن مناصبهم من غير سبب

و بناء على رجاء حضرة الرئيس بالاختصار في التعداد لا أطيل القول فيه ومع ذلك يمكنني أن أقول هذه الكلمات بشأن الجرائد الاسلامية : أوقفت جريدة الشمس « كونش » اليومية التي تصدر في مدينة باكو وكذلك أوقفت فيها مجلة « هلال » و « معلومات » وغرموا جريدة (وقت) أكثر من ٨٠٠ روبل في سنة واحدة وكذلك غرموا « صدى » و « معلومات » ومجلة « آيقاب » القزاقية غرامات متعددة . لم أعد كل الوقائع بل ذكرت بعضا من كبراها ، وخلاصة القول أنها أجريت التفاتيش على ١٥٠ مسلما واقفل أكثر من ٧٠ من المكاتب والمدارس وطائفة من الجرائد

سبب الضغط

عند ما نرى ايذاء[1] بهذا المقدار يقع على الأئمة ونرى اقفال ذلك القدر من المكاتب والمدارس نتصرف ، من غير اختيار الى التفكر باحد أمرين اثنين . وهما إما ان الحكومة الروسية لا تحب رقينا ودخولنا في المدنية فتريد أن تقاومنا بكل الوسائل الممكنة ، وإما انها تغلط بزعمها وجود فكرة وحركة بين المسلمين

ضد روسية فترى من الضروري التذرع بالوسائل لمنعها .

وعلى ظني ان هذين الاحتمالين صحيحان كلاهما وذلك ان من العادة القديمة للحكومة أن تردع المسلمين وتسكتهم كلما بدا منهم الاجتهاد والسعي الحثيث الى الرقي والمدنية . الحكومة لا تريد تقدم المسلمين ورقيهم ولكن هذه الحال في الحكومة الآن أقوى وأوضح منها في الماضي . الوسائل المتخذة ضد حركتنا المدنية الآن تتخذ على ادعائهم ضد الجامعة الاسلامية .

تقول الحكومة وحزب اليمين : نحن نصارع المسلمين ونتخذ الوسائل الشديدة ضدهم لانه يوجد بينهم حركات هائلة تدعى « الجامعة الاسلامية »

نورد هنا مسألة وهي : هل توجد حركة هائلة بين المسلمين؟ وهل توجد حركات وأعمال ضد الامبراطورية مهما كان نوعها وشكلها؟ هاهم يدعون وجودها ونحن ننكرها.

ما هي الجامعة الاسلامية ومن أين أتت

أيها الافندية ! في الايام الاخيرة اخذت جرائد حزب اليمين تتذرع بوسائل شتى ضد الجامعة الاسلامية ، ولما عرفنا اخبار الجامعة الاسلامية من هذه الجرائد ومن الحكومة نفسها راجعنا معارفنا من الائمة والمعلمين والتجار وسألناهم عن وجود حركة بين الناس يمكن أن تسمى الجامعة الاسلامية فأخذتهم الحيرة من هذا السؤال ولم يفهموا لها معنى . فلم يبق لنا من مصدر للبحث عن وجود هذه الجامعة وانتشارها الا مراجعة الحكومة . ولقد وجدت معنى هذه الكلمة العجيبة في ورقة من أوراقها وفيها تحديد الجامعة الاسلامية هكذا : الجامعة الاسلامية هي حركة بين المسلمين لتوحيدهم جميعا من حيث المدنية والسياسة : ومبين فيها أيضا أن الجامعة الاسلامية منتشرة انتشاراً كبيراً في جوار نهر (أيدل ـ قاما)

فالقول بوجود الجامعة الاسلامية بيننا هو اتهام لتتر (ايدل ـ قاما) بالسعي لتوحيد مسلمي الأرض جميعا من حيث المدنية والسياسة .

أيها الافندية ! لا أدري . هل يمكن اشتغال التترسكان نواحي نهر(ايدل ـ قاما) وهم ٤ أو ٥ ملايين فقط متأخرون من حيث المدنية ومضطهدون من الحكومة وفقراء من الجهة المادية بهذه المسألة العظيمة ـ مسألة توحيد المسلمين

القاطنين في الهند وجزر الفيليبين والانحاء الاخرى من آسية وأفريقية وغيرهما من القارات الارضية ، ولم يتمكن كبار الدهاة من مثل هذا العمل كنابليون والاسكندر المكدوني ، ويتهموننا أيضا بوجود فكرة فيما بيننا وهي فكرة الانفصال عن روسية .

ايها الافندية الجالسين في اليمين ! لنفكر قليلا كما يفكر العقلاء المستنيرون متجردين من الافكار الاخرى ، (تسمع كلمات من ناحية اليمين: ماذا تقولون؟ فيسكتهم الرئيس ، ويصيح النائب پور يشكيويج مستهزءاً : كنتم قد اعترفتم الآن أنكم غير متمدنين !) افكروا قليلاً هل يمكن لاربعة ملايين من التتر المتأخرين في المدنية والاقتصاد وهم بين ١٠٠ مليون من الروس وقد قبلوا منذ القرن السادس عشر تبعية حكومة الروس وعاشوا أربعة قرون ساكنين مطمئنين ـ هل يمكنهم أن ينهضوا دفعة واحدة ويشتغلوا بفكرة توحيد مسلمي القارات الخمس توحيدا مدنيا وسياسيا ؟ !

أيها الافندية ! يمكن أن يؤتى بمثل هذه الكلمات على سبيل الفكاهة فقط وأما من طريق الجد فلا يجوز ان يؤتى بها ولا سيما إذا حصل بسببها إقلاق راحة أقوام هادئين مطمئنين فحينئذ يكون مثل هذا القول لعبا ضاراً وخطأً سياسيا لا يغتفر

أيها الأفندية ! لو لم تكن تلكم الافكار الباطلة عن وجود الجامعة الاسلامية سببا في الضغط المار ذكره لما كنت قائلاً شيئا في هذه الجامعة الخيالية ، فالسبب الرئيسي لما حصل من الضغط في السنين الاخيرة هو الاتهام بوجودها بيننا (هنا يقوم پور يشكيويج ويصيح : اقرأوا انتم كتاب يفدوكيف وأنا أعيركم اياه اذا لم يوجد عندكم . والرئيس يسكته ثانية)

هكذا ايها الافندية ! لا يمكن اسناد الجامعة الاسلامية ـ التي معناها توحيد المسلمين كلهم توحيدا مدنيا وسياسيا ـ الى ٤ أو ٥ ملايين من المسلمين القاطنين في نواحي « أيدل ـ قاما » . لست أدري من ذا الذي جاء بهذا الخيال العظيم ، هل نحن المرتقين ؟ أم العامة الذين يكونون عادة بعيدين عن أمثال هذه الافكار العظيمة ؟ لا يمكن للمستنيرين من المسلمين أن يشتغلوا بأمثال هذه الفكرة التي تعلم بالبداهة أنها فكرة ساقطة غير رائجة .

أيها الافندية ! الجامعة الاسلامية هي خيال محض لاغير . وهي مما جاء به المبشرون ادعياء السياسة الذين اتخذوا عداوة المسلمين أساسا لعملهم، ولا وجود لها الا في كتبهم ومقالاتهم

أيها الافندية ! يمكنكم أن تسألوني الآن : إذا لم يكن للجامعة الاسلامية وجود فمن أين جاءت هذه الفكرة ؟ ولأي شيء بدأت جرائد حزب اليمين تكثر من الكتابة فيها؟ فأنا مع الامتنان لكم أجيب على هذا السؤال قائلا : الجامعة الاسلامية هي مما فكر فيه حتى أخرجه الى الوجود الذهني مبشرو الروس ادعياء السياسة، وهي ليست من مبتكرات أفكارهم وحدهم بل كانت هذه الفكرة موجودة من قبل ، وكان يكتب فيها قديما المستشرقون من تبعة الدول الاجنبية اللاتي ليس لهن رعايا من المسلمين . وهم يفكرون : انه اذا كانت الجامعة الجرمانية قد وجدت والجامعة السلافية كذلك فكيف لا توجد الجامعة الاسلامية ؟ ولكن لا يوجد فيهم من قال بوجودها فعلا وانما هم يكتبون فيها كتابة ويجوزون وجود فكرة سياسية باسم الجامعة الاسلامية ولا يستبعد أن يكون ظهور الجامعة الاسلامية الى الوجود امراً مرغوبا فيه عند مستشرقي الالمان والنمسة والمجر ، والظاهر أن المبشرين عندنا قد سمعوا تلكم الاقوال فتمسكوا بها وأخذوا في استعمالها بمهارة زائدة لمنافع جمعياتهم الروحية، وها كم الدليل على ما اقول :

توجد عندنا جمعيات تسمى جمعيات المبشرين. أكبرها جمعية مبشري الارثوذكس وعندها أموال كثيرة جدا ، ولكن أكثرها هجوما على المسلمين جمعية اخوان الجبل المقدس (براتستواسوه توي غوري) في مدينة قزان ويمكنني أن أقول انني قد طالعت أدبياتهم من زمان بعيد منذ صغري .

أيها الافندية ! كلمة الجامعة الاسلامية لا تكاد توجد في أدبيات المبشرين المدونة الا منذ سنة ١٩٠٨ . هم يعيبون علينا ان ننظر الى أدبياتهم بعين غير عيونهم وعدم الرغبة في دخول المكاتب الروسية ، ويقولون ان الائمة يقاومون انتشار النصرانية وأحيانا يعيبون الحكومة لعدم مشيها على رأيهم في اكراه المسلمين على التنصر ، كل هذه الاشياء موجودة في كتبهم وأدبياتهم ، ولكن

لا يوجد ولا لكلمة واحدة في الجامعة الاسلامية الى سنة ١٩٠٨ و بعدها صارت تكتب مقالات وأخبار في الجامعة الاسلامية في مجلاتهم ورسائلهم المنتشرة ، فبأي صورة ينبغي لنا أن نفهم ذلك ؟ لأي شيء أخذوا يكتبون في تلكم الجامعة الاسلامية منذ سنة ١٩٠٨ فقط؟ السبب في هذا هو ما يأتي: المبشرون في روسية عموما ومبشرو مدينة قزان خصوصا يريدون منذ زمان بعيد أن يلعبوا دورا مهما مع المسلمين وأن يحملوا الحكومة على سياسة الهجوم عليهم ولكن لما يبلغوا من مقاصدهم ما يريدون . كانوا يلقنون الحكومة قبل اعلان الدستور ما يجب عليها - على زعمهم - من السياسة المتبعة في حق المسلمين ، ولكن ما كانت تلقيناتهم ومساعيهم في حمل الحكومة على سياسة الهجوم مقبولة في دوائرها في وقت من الاوقات كما كانت في وزارة أسطالبين (١) ، ولما علموا تمسك اسطالبين بالسياسة المليه وزعامة قروينسكي وبوبرينسكي ومن على شاكلتهما في الحزب الملي في الدوما أيقنوا بأن وقت العمل لتحقيق مقاصدهم قد جاء وأدركوا أن كلامهم ضد المسلمين صار مصدقا في بطرسبورغ مهما كانت درجته من الصحة . فلذلك أخذوا يخوفون الحكومة تخويفا منذ سنة ١٩٠٨ بوجود الجامعة الاسلامية ، وأخذ مبشرو قزان يرسلون اللوائح تلو اللوائح الى وزارة الداخلية (عندي صور هذه اللوائح كلها) وقد كتبوا في لوائحهم هذه عن وجود حركة هائلة بين المسلمين ضد حكومة روسية وبينوا ضرورة ووجوب مقاومة هذه الحركة وغيرها مما يماثلها وبعد ذلكم انعقدت جمعية المبشرين في قزان سنة ١٩١٠ وكرروا فيها ما كتبوه في هذه اللوائح . فهم يصيحون بوجود حركة هائلة بيننا ولا يأتون بدليل على دعواهم مطلقا

أيها الافندية ! أرى من الواجب قراءة بعض قرارات هذه الجمعية - جمعية المبشرين المنعقدة في قزان - لنقيس بها لائحة أخرى صادرة من دوائر الحكومة سيأتي بيانها .

(١) اسطالبين رئيس الوزارة الروسية السابق وكان مساعداً لدعاة النصرانية في روسية وقد مات في الشتاء الماضي رميا بالرصاص في محفل التمثيل في مدينة كييف من يد احد الفوضويين الروسيين

واليكم الآن قرارات الجمعية في حقنا (وكان فيها طبعا كلام وبحث في غير المسلمين ولكن أغلب الابحاث كانت في المسلمين) وهم يدعون أن جميع التدابير والقرارات قد اتخذت لمقاومة الجامعة الاسلامية فلننظر هل هي كما يدعون وهي :

١) طلب إعانة سنوية من خزينة الحكومة لجمعية (سوه توى غوري) وهذا بناء على فقر الجمعية

٢) طلب الاعانة من الحكومة لتربية شعبة مدارس المبشرين في مدينة وياتكه .

٣) طلب تكثير المكاتب الكنيسية بين التتر المكرهين (١) مقاومة للاسلام وطلب إعانة من الحكومة للجان التراجم توزع كما يأتي : للجنة الترجمة في قزان ٥٠٠٠ روبل ولها في سمبر ٢٠٠٠ روبل ولكل من لجان صمار وأورنبورغ وطابول وطومسكي ١٠٠٠ روبل

٤) تعين المبشرين الكبار في الالوية (المديريات) التي يوجد فيها أقوام من غير الروس .

٥) دعوة أعضاء لجمعية المبشرين من الذين يشتغلون في مؤسسات الحكومة وهم ليسوا من الاكليريكيين .

٦) نشر الرسائل المبينة فيها دلائل أساس النصرانية وبراهين على بطلان الاسلام ، وذلك لاجل الروس المتوطنين في ولايات يساكنهم فيها غيرهم وكذلك لاجل أقوام آخرين .

٧) الرجاء من المأمورين في المقامات العالية محو الامتيازات الممنوحة لبعض العائلات في القريم والقوقاس وبين القزاق .(وهذا أيضا ضد الجامعة الاسلامية ؟؟)

٨) نشر مجلة لمقاومة فكرة الجامعة الاسلامية الموجودة في مطبوعات التتر الحديثة .

٩) نشر جريدة لبيان الافكار الموجودة في المطبوعات الاسلامية في داخل روسية وخارجها .

١٠) الرجاء من السينات (شورى الدولة) طلبها من الحكومة أن توجب طبع

(١) لعله يريد المكرهين على النصرانية في دور الاستبداد

جرائد ومجلات التتر باللغتين .التترية والروسية (كل هذا ضد الجامعة الاسلامية ؟؟)

١١) فصل المسلمين عن غيرهم وقت الانتخابات حتى لا يكون لهم تأثير في الآخرين .

١٢) تسليم مكاتب المسلمين الموجودة الآن الى نظارة الحكومة .

أيها الافندية ! هذه قرارات الجمعية التبشيرية لمقاومة الجامعة الاسلامية وأود لو أرى نفعا بسؤالهم عن وجود قرار واحد فقط يمكن أن يقال أنه ضد الجامعة الاسلامية ! لا ، ليست هذه القرارات ولا واحد منها ضد الجامعة الاسلامية بل كلها لمقاومة الاسلام نفسه على خط مستقيم .

لو كان المبشرون عندنا جمعوا جموعهم وأجمعوا امرهم مقتصرين على البحث في هذه المسألة ولم يلقنوا الحكومة ما ينبغي لها ـ على زعمهم ـ من اتباع السياسة الموافقة لمشربهم في معاملة المسلمين واقتصروا فيما ينشرونه على آرائهم وأفكارهم آمنين مطمئنين لما كان لنا ان نقول كلمة فيهم ولكنهم مع الاسف لا يكتفون بالاشتغال بها وحدها بل هم دائما « لاسيما الآن » يجتهدون بأن يؤثروا في سياسة الحكومة حتى وصلوا في وزارة أسطالبين إلى كثير من مقاصدهم . رأوا من أسطالبين ميله (في غير شؤن الروس) الى ما يرتأونه من اتخاذ الوسائل الشديدة فأرادوا حمله على سياسة الهجوم . ومن جهة ثانية فانهم يعرفون فيه نوعا من علو الجناب . فلو انهم قالوا له « إن المسلمين يعيشون ساكنين مطمئنين » لما دخل أسطالبين في طريق الهجوم ضد المسلمين حتى ولو كان الأئمة يقاومون الدعاة في نشر النصرانية . بالعقل فلحمل اسطالبين على اتخاذ التدابير الشديدة ضد المسلمين ارتأوا ان يوهموا الناس بوجود تلكم الحركة الهائلة بين المسلمين ولذلك أخرجوا بعد تفكير عميق خيالا عظيما وشبحا مجسما باسم الجامعة الاسلامية .

ولما أقنعوا الحكومة بوجود تلكم الجامعة بواسطة لوائحهم المرفوعة الى أسطالبين وقراراتهم في الجمعية التبشيرية في قزان وفقوا لحمل الحكومة على عقد جمعية شورية في دائرة الوزارة الداخلية خصيصة بالبحث في التدابير ضد الجامعة الاسلامية ، وأكثر أعضاء هذه الجمعية من مبشري مدينة قزان موجودو هذه

الفكرة (يعقوب ألكسى وغيرهم) . وهذه الجمعية وجدت تدابير كثيرة ضدهذه الجامعة . ولكن هذه التدابير التي يقال انها لمقاومة الجامعة الاسلامية ليست كما يدعون بل هي لمقاومة الاسلام نفسه ، أذكر لكم الآن الوسائل التي وجدت موافقة لمقاومة الجامعة الاسلامية من طرف المأمورين الملكيين ، ثم أبين لكم عدم وجود فرق بين قرارات جمعية المبشرين وبين وسائل رجال الحكومة ، ليست مشابهة قرارات المبشرين لقرارات رجال الحكومة من حيث المعنى والمآل فقط بل يشبه بعضها بعضا من حيث الالفاظ والعبارات ، وخلاصة الكلام : ان التدابير التي أجمعوا عليها في الجمعية التبشيرية لمقاومة الجامعة الاسلامية قد حازت تمام القبول عند المأمورين الملكيين وترأس الجمعية الشورية معاون وزير الداخلية « خاروزين » وربما اعترف بما عملوا .

لا أقرأ جميع اللائحة المقدمة لشورى الوزراء في شؤون الجامعة الاسلامية الموقعة من أسطاليين وغيره بل أقرأ شيئا منها ، وهو : (للخطاب بقية)

مسلمو الصين

يظهر ان الحياة الملية قد تمشت في اعضاء جماعة مسلمي الصين فقد نشرنا في الجزء السابع طائفة من عوائدهم الدينية وحالتهم الاقتصادية

ومما يدلك على هذه الحياة اللائحة التي قدموها للحكومة الجديدة وقد عربناها عن جريدة « وقت » التترية المعروفة لقراء المنار بعد ان عربتها بعض الجرائد تعريبا جاء فيه سقط بعض الكلم وتحريف في البعض الآخر وهذه هي اللائحة تحت العنوان الآتي

﴿ مطالب مسلمي الصين ﴾

مسلمو كاشغر يطلبون من حكومة بكين الجديدة ما يأتي :

١ — اطلاق الحرية الدينية التامة وأن تكون شؤون المسلمين الدينية في يد رؤسائهم الدينيين

٢ — أن يكون للمسلمين في العاصمة رئيس ديني باسم « شيخ الاسلام » وان يكون لديه محكمة شرعية ووكيل درس « ناظر المدارس » وامين فتوى وادارة أوقاف ، وأن يكون الموظفون الشرعيون من مثل القاضي والمفتي والإمام تحت ادارة شيخ الاسلام وفي يده وحده نصبهم وعزلهم . وشيخ الاسلام نفسه ينتخبه المسلمون . وان ينصب في مراكز الولايات التي يسكن فيها المسلمون حاكم شرعي ينفذ احكام الشريعة الاسلامية

٣ — الموظفون الدينيون للمسلمين لايكلفون بالخدمة العسكرية وكذلك الطلبة المقيدة اسماؤهم في المدارس الدينية

٤ — المسلمون يكونون أحرارا في بناء المساجد والمدارس والزوايا وغيرها من الاماكن الدينية في أي مكان شاءوا .

٥ — وكذلك يكونون أحرارا في الإعانات للمساجد والمدارس والمكاتب وغيرها من طرق الخير الدينية والملية ،

٦ — أن لا تتداخل الحكومة مطلقا في إدارة أوقاف المسلمين وان لا تأخذ شيئا من الضريبة على أملاك الوقف « كما لا تأخذ من أوقاف الصينيين » و إدارة الاوقاف في بيكين تراعي في تنفيذها شروط الواقفين وفقا لاحكام الشريعة .

٧ — أن تكون مساعدة الحكومة لرجال الدين بالمساواة . فاذا عيَّنتْ الحكومة الجديدة للكهنة الصينيين مرتبا شهريا تعين مثله من خزينة الدولة لرؤساء الدين المسلمين

٨ — أوامر الحكومة الجديدة في تبديل الالبسة والشكل لا تسري على المسلمين

٩ — لا يمنع المسلمين مانع من السياحة في الممالك الاجنبية . وينبغي أن تفتح القنصليات لحكومة الصين في المدن الكبيرة على طريق الحج حتى يجد الحجاج بذلك سهولة في سفرهم . ويجب حينئذ إبرام معاهدة مع الحكومة العثمانية لتبادل السفراء بين الحكومتين . ولتكن ورقة الجواز للسياحة في الممالك الاجنبية بلا مدة أو لمدة سنة على الاقل « والآن تعطى لستة أشهر فقط »

١٠ — يتساوى المسلمون مع غيرهم في حقوق انتخاب الوكلاء عنهم لمجلس النواب والدوائر الحكومية .

١١ — يكون المسلمون متمتعين بالحرية والمساواة والعدالة كغيرهم سواء بسواء

١٢ — وكذلك يكونون أحرارا في تأسيس المطابع وافتتاح دور الكتب ونشر الكتب والجرائد والمجلات .

١٣ — كل واحد من المسلمين يحق له أن يشغل منصبا في دوائر الحكومة على نسبة معرفته ومقدرته .

١٤ — مساعدة الحكومة لمكاتب ومدارس المسلمين تكون على نسبة مساعدتها لمكاتب ومدارس ملة الصين

١٥ — والذين يريدون الدخول الى مدارس الحكومة من اولاد المسلمين يقبلون فيها ، وإذا أرسلت الحكومة طلبة الى مكاتب الحكومات الاجنبية ترسل أيضا من المسلمين ، ١٦ ـ حينما تؤخذ العساكر لمحافظة الوطن يكون المسلمون من الجنود على حدة في الاكل والشرب والمسكن حتى يمكنهم المعيشه والعبادة على موجب الشريعة ، ١٧ ـ ويكون في أماكن العساكر مساجد ويعين فيها الأئمة ، وأن لا يمنع المسلمين مانع من الرقي الى أي رتبة من الرتب العسكرية ، ١٨ ـ في كل سنة يعطى اذن للعساكر المسلمين مدة شهر رمضان مثلا للرجوع الى وطنهم.

يوجد في الصين ٥٥ مليونا من المسلمين على حساب الحكومة وهم يعدون أنفسهم ٧٠ مليونا . و٤٥ مليونا منهم دونكانيون يتكلمون باللغة الصينية والباقي وهم ١٠ ملايين ينسبون الى قبائل تركية . ومسلمو الصين وقت مراجعتهم حكومتهم يراجعون دائما متحدين وباسم جميع المسلمين في الصين . ومسلمو التركستان الصينية منهم يريدون الاتحاد مع الدونكانيين . لانهم كما قلنا يتفاهمون بلسان الحكومة ويوجد بينهم دور المعارف لذلك هم أرفع شأنا عند الحكومة عن الآخرين ، علم (لواء) جمهورية الصين الآن ذو خمسة ألوان اشارة الى خمسة أجناس كبيرة وهي: من فوق الى تحت (١) أحمر للصين الداخلية (٢) اسود للمنشوريين (٣) أبيض للمسلمين (٤) أخضر للتبت (٥) أصفر للمغول .

الشوق للعلم قد كثر بين مسلمي الصين في السنين الأخيرة ولكن يعوزهم الآن الزعماء العاملون في طريق العلم ـــــ

امة الجاويين (١)

القطر الجاوي مؤلف من جزائر متعددة يحدها من الشمال بحر الصين ومن الجنوب والغرب بحر الهند ومن الشرق المحيط الهادئ

وأكبر هذه الجزائر (بورنيو) ثم (صومطرا) ثم (جاوا) ثم (سمبيس) وحول هذه الجزائر جزائر أخرى أصغر منها ، أما جزيرة (الغنوا الجديدة) فلا تعد منها لان سكانها من جنس غير جنس الجاويين وان تكن داخلة تحت سلطان الهولنديين بمقدار ١٤٢ درجة طولا

وكل هذه الجزائر يستعمرها الهولنديون عدا جزء صغير منها تحت حكم الانكليز وهو (رأس ملوك) وشمال (بورنيو) والذي تحت حكم البرتغال الشرق الشمالي من جزيرة (تيمور)

ويبلغ عدد سكان جاوا نحو ...ر ...ر ٤٠ وهم مختلفون في الاديان والاكثرية داخلة في الاسلام ، ومن المذاهب الشائعة هناك الوثنية والمجوسية والمتدينون بهما لم تبلغهم الدعوة بعد

والجاويون متأخرون في علوم الدين وعلوم الدنيا فقراء في الصناعة ووسائل الارتقاء . ورغبتهم بالعلم ضعيفة ، وربما لا يتعلمون أكثر من القراءة والكتابة في لغتهم ، وهذا التعلم يجيئهم من طريق الهولنديين ، ومما يؤسف له عدم وجود علماء منهم أو من الخارج يعلمونهم أمر دينهم . ولم يقم منهم لتأسيس مدرسة الا واحد نهض أخيرا وطلب من حكومة هولندة اذنا بانشاء مدرسة لتعليم الاطفال فأذنت له

ومن أدواء الجاويين عدم اتفاقهم واتحادهم على شيء ، وذلك خلق انتقل اليهم بطريق الارث ، وهو الذي كان سببا في دخول هولندا الى جاوا لان كل واحد من أعيانها كان يريد أن يكون رئيسا

(١) لصاحب الامضاء نقلا عن المؤيد

وأنا لاأريد بهذ القول أن أذم جاوا بل أنا منها ومن أبنائها وانما أردت أن أذكر الحقيقة مهما كانت مؤلمة

ومما سررت له أنه يوجد من أبناء وطني في القاهرة ثلاثة شبان يتلقون العلم الشريف في مدرسة دار الدعوة والارشاد وهم ولله الحمد على جانب من النباهة والاجتهاد ورجاؤنا أن يكونوا في الغد ـ بعناية الله ونظر الاستاذ السيد رشيد رضا ناظر المدرسة ـ يداً عاملة على تنوير وطنهم بنور العلم وانقاذه من الضلال

وفي القاهرة غير هؤلاء ثلاثون شخصا من أبناء جاوا يتلقون العلم بالازهر الشريف

ومعلوم ان المسيحيين قد تمكنوا تمكنا شديدا من نشر دينهم في بلادنا حتى انهم افتتحوا في كل مدينة وفي كل قرية مدرسة لنشر الدين ، ويخشى مع كثرة استعدادهم وعدم وجود عالم أو مرشد من المسلمين أن يرتد الناس عن دينهم والعياذ بالله ، ودعاة المسيحية هناك يتبعون المسلم حيث وجد فيجلسون الى جانبه في القهوة ويناقشونه في مسائل الدين التي يجهلها بالطبع ولا يجد جوابا عليها لجهله وينتهي الامر باخراجه من دينه . وهناك خطر آخر وهو أن فقدان التعليم الديني الاسلامي في بلادنا يجعل الشبان الذين يذهبون للتعليم في أوربة جاهلين أمور دينهم فيعودون وقد دخلوا بالبروتستانية أو اعتنقوا الكاثوليكية

والالمان المتخرجون في مدرسة المبشرين البروتستان في مدينة (برمن) الشهيرة يأتون الى بلادنا وينفقون النفقات الطائلة في كل سنة ليجروا المسلمين الى مذهبهم، والاسلام لايكسب أحدا من المجوسيين أو الوثنيين لان هؤلاء يتنصرون بعناية الدعاة للنصرانية ولا يسلمون لفقد الدعاة للاسلام

وأنا أختم كلامي ضارعا الى الله ان ينبه المسلمين الى تعضيد دعاتهم لينقذوا ابناء دينهم خصوصا في جاوا من هذه الحالة التي لاتسر المسلم ، ولكل عامل على ذلك اجر وثواب من الله سبحانه وتعالى

عبد الواحد بن عبد الله
طالب برواق الجاويين بالازهر الشريف

باب المراسلة والمناظرة



مجلة العالم الاسلامي الفرنسية

﴿ انتقادها مجلة المنار وصحف اسلامية أخرى من جهة ﴾

(ومشروع جماعة الدعوة والارشاد من جهة أخرى)

أرسل الينا أحد أصدقائنا في باريس قطعة من مجلة العالم الاسلامي الفرنسية حملت فيها على الجرائد المذكورة في بداية النقد وخصت المنار بقسط كبير وتناولت مشروع الدعوة والارشاد مع ان المنار لم يبد رأيه في هذه المقالات بعد وهذه ترجمتها:

«هل تتكرم رصيفاتنا الغراء : المؤيد والمنار والاتحاد العثماني وصحف اسلامية أخرى أن توضح لنا جنسية وأصل المحرر الاوربي الذي أتى بالاقوال التي عزتها هذه الصحف الى مجلة العالم الاسلامي ؟

« كتبت جريدة المؤيد في ٨ ابريل سنة ١٩١٢ تقول « وان في فرنسة (لجنة Comité) اسمها « الارسالية العلمية المراكشية » مؤلفة من المستشرقين الذين درسوا الكتب الاسلامية والعادات الشرقية واللغة العربية أو غيرها من لغات المسلمين خدمة لجامعات فرنسة السياسية والدينية والاقتصادية . » اه

«ولكن من الخطأ الواضح أن يقال عن الارسالية العلمية المراكشية إنها « لجنة Comité » . واذا كان العلامة مدير المؤيد يتتبع الكتب فلا يصعب عليه أن يقف على أصل ما جاء به (من معنى لفظ اللجنة) خصوصا وان هذه الارسالية العلمية لاتشبه اللجنة بوجه من الوجوه . وليس من الصواب أن يقال : ان لها مقاصد سياسية أو دينية أو اقتصادية . وكل ما في الامر أن عملها نتيجة مساعي بعض الخاصة ، وترجع هذه

المساعي الى سنة ١٨٨٩ ـ ١٨٩٠ . وقد أعطيت الارسالية منذ ذلك الحين مبلغا صغيرا من المال لادارة شؤونها . أما الآراء التي تنشرها هذه الارسالية فهي خاصة بها ولا شان للحكومة فيها . وعلى هذا فان ما قالته جريدة المؤيد بهذا الشأن مخالف للواقع

« وتقول جريدة المؤيد : « ان هذه « اللجنه » أخذت قبل خمس سنوات تنشر في باريس مجلة كبرى مصورة تصدر في كل شهر اسمها « مجلة العالم الاسلامي » ولقد كانت هذه المجلة قبل الآن ظاهرة بمظهر علمي تكون الغايات السياسية فيها بالدرجة الثانية الى ان تم لفرنسة احتلال مراكش أولا ثم دخلت فارس في طورها الاخير وحل بعد ذلك ما حل بطرابلس . فظهرت هذه المجلة كغيرها بمظهرها الحقيقي الذي تكون فيه الدروس العلمية واسطة لغايات سياسية ودينية » اه

« وقد حذت مجلة المنار الدينية التي تصدر في مصر حذو جريدة المؤيد فقالت في الصفحة ٢٥٩ من المجلد الخامس عشر ما يأتي : « و بعد احتلال مراكش ودخول بلاد فارس تحت النفوذ الروسي الانجليزي واعتداء ايطالية على طرابلس الغرب ظهرت ـ أي مجلة العالم الاسلامي ـ بمظهر جديد تجلت فيه خطتها من التوسل بالعلم الى المقاصد السياسية والدينية » اه

« والقول ان لمجلة العالم الاسلامي غاية دينية من شأنه أن يبعث السرور والفرح في قلوب قرائها الاوربيين الذين لا يدركون وجود هذه الغاية الا بتفسير وتأويل

« اهتمت جريدة المؤيد ومجلة المنار وغيرهما اهتماما زائدا بعدد مجلتنا الذي صدر في نوفمبر الماضي خاصا بموضوع الغارة على العالم الاسلامي وقامت بترجمة فصوله مستمرة على ذلك ، خصوصا المؤيد الذي يصدر بها أعداده بعناية تستوجب اعجابنا واحترامنا فليتكرم بقبول شكر المجلة له على ذلك

« ولكن المؤيد لم يشأ ان يختم توطئته المنشورة في عدد ٨ ابريل بدون تبرم إذ قال في آخرها : « ان المقاصد تتبين مع انكشاف الحوادث »

« ان نشر ترجمة هذه المقالات قد بعث لاول مرة الدهشة في قلوب الجميع » كما يتضح مما قالته جريدة الاتحاد العثماني وهي جريدة هامة تنشر في بيروت

تحت رعاية جمعية الاتحاد والترقي (١) وذلك أن بعض (كتبة) الصحف العربية انتقاد بلهجة شديدة على ترجمة مقالات الغارة على العالم الاسلامي حيث قال : إن من الغبن نشر كلمة « الغارة » على صفحات جريدة اسلامية ، فردت عليه جريدة الاتحاد العثماني قائلة : « اننا رأينا السكوت عن نشر هذه المقالة غشا لا يجيزه لنا الدين ولا الوطنية بوجه من الوجوه ، فاشفاقا على عواطف القراء الذين ما اعتادوا حتى اليوم سماع أمثال هذه النغمات المدهشة رأينا أن يكون نشرها مدعاة لتفكر عقلاء المسلمين وتدبرهم في ملافاة هذا الخطر المحدق بهم وأن لا يكون حظ هذا الفصل الاغفال والاستهانة بل القيام بما يأمر به الدين من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وعدم وضع أبناء المسلمين في المدارس الاجنبية الا بعد أن يتمكنوا من دينهم ولغتهم ووطنيتهم . »
ومجلة المنار نشرت مقالات الغارة على العالم الاسلامي بالعنوان الذي وضعه المؤيد

« وفي ٢٦ ابريل عاد المؤيد الى التعليق على هذه المقالات متأثرا باستياء القراء من نشرها . وهذا ملخص الانتقادات والايضاحات الواردة في مقالة المؤيد يوم ٢٦ ابريل :

١ ـ ان بعض المسلمين يعد نشر هذه المقالات من قبل الموافقة على ما جاء فيها

٢ ـ والجواب على هذا القول انه من قبيل وضع الشيء في غير محله ، لان المؤيد لما بدأ بنشر هذه المقالات مهد لها بتوطئة أبان فيها عن قصده من نشرها ، وذكر لقرائه شيئا عن المجلة التي كتبت تلك المقالات والجمعية التي تنشر المجلة نفسها وحالتيهما قبل حوادث مراكش وفارس وطرابلس الغرب و بعدها .

٣ ـ ليست هذه المقالات من المباحث العلمية أو الجدلية التي تقتضي ردا ومناقشة بل هي تأريخ وأنباء ، وكنا نظن أنها ستدفع أهل الغيرة لزيارة مدرسة (دار الدعوة والارشاد) التي فيها المصري والمراكشي والجاوي والقفقاسي » اه

« وهنا نكرر القول بأن اسناد غاية سياسية أو اقتصادية أو دينية الى مجلة العالم الاسلامي هو أمر وهمي تماما و بعيد عن الصواب بعد الارسالية العلمية المراكشية عن شكل لجنة Comité

(١) هذا حكم من المجلة بدون تثبت فان هذه الجريدة لا علاقة لها بالجمعية ولم تكن لها علاقة بها

«أما استنتاج المؤيد والمنار والاتحاد العثماني مما هو متعلق باقالة عثرة الاسلام فهو مهم في بابه ، وكنا نحب أن نقول « ان هذه الاستنتاجات جاءت في أوانها» لولا أن (سبق السيف العذل) اذ أن العالم الاسلامي ليس مهددا بالغارة والفتح تهديدا بل قد أغير عليه وافتتح بالفعل وأصبح مغلوبا على أمره وتلك عاقبة غلطات وهفوات الذين تولوا مهمة انقاذه فتدهوروا به في هاوية الهلاك وأعينهم في سنة ونوم .

***

«كانت مكانة الخلافة الاسلامية مشرفة على السقوط في كل الجهات ، ثم حدث الانقلاب العثماني فخيل الى الناس أن الخلافة قد عاد اليها سابق عزها بعد استظهار الحرية على الحكومة الحميدية . وكان في استطاعة المسلمين يومئذ أن يبذلوا جهدهم لاحياء حضارة اسلامية مستقلة ، وقد كانت أوربة الحرة في ذلك الحين تشد أزرهم . ولكن الذين أنقذوا الدولة العثمانية من ربقة الاستبداد وهتفوا بمبدإ المساواة هم الذين ارهقوا الولايات بعد ذلك عسرا باستبدادهم الذي فاقوا فيه الاستبداد الحميدي . فنصبت المشانق في دمشق وسفكت الدماء في آسية الصغرى واندلع لهيب الثورات في ألبانية . وبموجب سنة الكون التي تربط الاسباب بمسبباتها سلخت النمسة ولايتي البوسنة والهرسك من السلطنة في مقابل ٥٣ مليونا من الفرنكات ولم يبق سوى أن نعرف من الذي تناول هذه المبالغ . وفي سنة ١٩١١ أنجزت اركان حرب النمسة خريطة بلاد الارناؤط .

«ثم حدث بعد ذلك اغارة ايطالية على طرابلس الغرب فلم تلق فيها مقاومة ولم تسفر هذه الحادثة الا عن طلب الاعانة في الصحف وتبعها حادث استيلاء الايطاليين أيضا على جزر الارخبيل وتقسيم الاملاك العثمانية في اوربة . والظاهر أن الجيش العثماني المنظم والقوي أصبح ولا وظيفة له الا المباهاة بشكله بدون أن يعمل عملا ، وهو من هذه الوجهة مثل سفن الاسطول العثماني التي اشتريت بأثمان باهظة لكي تكون ساكنة غير متحركة .

«وتركت أوربة هذه الحوادث تجري على مرأى من العرب والترك والارناؤط

والروم والاكراد والسوريين وبكل هؤلاء يميلون الى الحكم الاجنبي أكثر مما يميلون الى الاتفاق والائتلاف . وليس بين المشتغلين بالسياسة اليوم من العرب والاتراك من يجهل الاستعدادات العامة التي تجري لاجل التقسيم النهائي

« وليس بين الدول الاوربية العظمى غير الدولة الفرنسية من ابتعد عن هذا التقسيم ، لان فرنسة لا ترغب أن يكون لها حظ في ذلك ، وهي قد لا تحصل على شيء في المستقبل من هذا التراث

« أما الدول الاخرى فدائبة في المساومة والتدقيق في الحساب، وهذا الامر غير مجهول البتة . وأما الامل ببقاء الدولة العثمانية فمتوقف على اتفاق عناصرها . ولا نرى بين اصدقاء الاسلام من يقوم فيرفع صوته محذرا من الخطر الا وتقوم الجريدة العربية الكبرى في القاهرة والجريدة السورية ومجلة العلماء الدينية فيقلن : « ياللفظاعة ! . » فأين هي الفظاعة ؟ هل هي في التحذير والتنبيه أم في العناد والاصرار على ترك التفكير ؟

«ثم الآن من هم المدافعون الحقيقيون عن الحضارة الاسلامية ؟ هل هم هؤلاء الفقراء كالمراكشيين والطرابلسيين الذين يلقون بايديهم الى التهلكة لاجل بعض باشوات وقواد فاسدين ومرتشين ومشايخ ملئت بطونهم ؟ أم هم نخبة المتعلمين في الجزائر وتونس والقطر المصري وسورية وتركية وفارس المنكودة الحظ والبلاد الهندية وجزائر السند - الذين هم في مصاف الاوربيين محترمو الافكار والنزعات ؟

«في يوم ٢٨ ابريل الماضي قام كاظم بك والي سلانيك يومئذ فتكهن في أمر الحركة السياسية التي تتمخض بها الآن الجيوش العثمانية في الولايات المقدونية وألقى خطابا رنانا بين جدران مسجد القاسمية بعد صلاة الجمعة فأتى ببيان القوات الاسلامية في الصين والهند وافغانستان وتركستان وطرابلس الغرب ومراكش وبحث في أسباب الفشل الذي لحق بها . ثم ختم خطابه بشرح برنامج إسلامي سياسي أوسع من برنامج جمعية الاتحاد والترقي ويختلف عنه بحض فيه على توسيع التعليم والتربية في العنصر العربي المسلم . فهل كانت غاية كاظم بك دينية أواقتصادية ؟

« انكرت جريدة المؤيد ومجلة المنار وجريدة الاتحاد العثماني على مجلة العالم الاسلامي انها بينت للمسلمين كيف تتهافت القوات الاوربية المختلفة لاستدراج الشعوب الاسلامية وادخالها في طرق اخلاقية واجتماعية وسياسية جديدة . ولو كانت هذه الصحف مدركة سبر الامور التي لا مبدل لها لشكرت لمجلتنا صنيعها هذا ولما قالت . « لنرجع الى التعليم العربي القديم مكتفين بتغييره تغييرا سطحيا » بل كانت تقول : « لنفتح مدرسة الغد التي هي الكفيلة بخلاصنا المؤسسة على حضارة اسلامية عصرية . »

« والآن قد وصلنا الى النقطة التي تتميز بها آراؤنا عن آراء رصفائنا العرب : أولئك مقاصدهم مقتصرة على توطيد استقلال الاسلام والهتاف له، مع التأكد من عدم الحصول على هذا الاستقلال بل مع التأكد من فقده . ونحن نود أن نراهم وطدوا أركان هذا الاستقلال بانتهاج طرق الترقي والفلاح المفتوحة أمام مستقبل الاسلام ولكنهم يضعون الجامعة الشبيهة بالقديمة التي أسسها السيد رشيد رضا في مستوى الجامعة العصرية التي يدير شؤونها البرنس فؤاد باشا . أنهم لو أعملوا الفكرة والروية لمعرفة الصعاب الحقيقية التي تعترض رسوخ قدم الانكليز في مصر لاتضح لهم - وهم في القاهرة - أنها ليست منوطة بالوطنية الدينية أو الوطنية السياسية بل بالنهضة الاجتماعية الكاملة . ولا يمكن للمصري المسلم أن يخرج من تحت السلطة البريطانية بتوطيد أركان دينه بل بانهاض الفرد المسلم المستنير الى مستوى الفرد المسيحي المنور

وبعد فاذا كان يدور في خلد المؤيد والمنار والاتحاد العثماني أن يتلافوا الغارة التي شنت على العالم الاسلامي فالطريقة سهلة السلوك ، وهي أن يقولوا لقرائهم : « لنخرج من عزلتنا . ولنقابل الحقيقة الواقعية وجها لوجه »

المنار : موعدنا الجزء الآتي للرد على ما جاء في مقال مجلة العالم الاسلامي

التقاريظ (*)

﴿ انتقاد تاريخ التمدن الاسلامي ﴾

(وآداب اللغة العربية)

نشر العالم الفاضل شمس العلماء الشيخ شبلي النعماني رئيس جمعية ندوة العلماء هذا الانتقاد بكتاب خاص ونشر جميعه في مجلة المنار وقد تم طبعه على حدة ، ثم كتب الاستاذ العالم المحقق الشيخ احمد عمر الاسكندري انتقادا على الجزء الثاني من كتاب تاريخ آداب اللغة العربية لجرجي افندي زيدان ورأينا في مجلة المشرق انتقادا آخر لهذا الجزء أيضا للاستاذ الاب لويس شيخو اليسوعي فرأينا تذييل انتقاد الشيخ النعماني بهذين الانتقادين وسيصدر الكتاب في أثناء شهر شوال المقبل ان شاء الله تعالى واليك ما كتبه صاحب ومنشئ المنار مقدمة لانتقاد الشيخ شبلي النعماني وهو :

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وقل رب احكم بالحق ، وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون ﴾

أما بعد فان علماء الافرنج قد سبقونا الى وضع تاريخ سلفنا في القالب العلمي الحديث . ثم حذا حذوهم رصيفنا الفاضل جرجي افندي زيدان بكتابه الذي سماه (تاريخ التمدن الاسلامي) فشكر له عمله هذا المسلمون عربهم وعجمهم باقبالهم عليه وترجمتهم إياه الى عدة لغات وثنائهم عليه . ولكن الرجل أقدم على هذا الامر ولم يعد له كل عدته ، ولا أخذ له جميع أهبته ، لما رأى مجال القول واسعا ، وميدان الكتابة

(*) يكتب هذا الباب السيد صالح مخلص رضا في هذا الجزء

واسما ، وكلاهما خال من فرسان الكلام ، حماته اسلات الأقلام ، وظن أنه يكفيه من الاستعداد لذلك اقتباس أسلوب الافرنج فيه ومراجعة كتبهم العربية الجامعة لمادته ، ككتب الدين والادب ، والتاريخ والنسب ، وان كان لم يأخذ هذه العلوم عن أهلها ، ولا عرف فرعها ولا أصلها ، ولعله لم يقرأ شيئا من كتبها قراءة دراسة وبحث ، الا بعض كتب التاريخ المعروفة ، لانه لما يكن مسلما ولم يترب في مدرسة تقرأ فيها العلوم الاسلامية لم يكن له باعث على تحصيل هذه العلوم ، وإنما رأى نفسه محتاجا الى مراجعة كتبها ، عند ما قام في نفسه الباعث للتأليف فيها ، ومن كان هذا شأنه لا يتسنى له فهم ما يراجعه من المسائل حق الفهم ، وقد قال الفقهاء: ان نقل المخالف في المذهب لا يعتد به لان الفقه - وان كان فنا واحدا - تختلف اصطلاحات المذاهب وأصولها فيه ، وطرق الترجيح والتصحيح لمسائله ، فمن يراجع عند الحاجة كتابا في غير مذهبه الذي تلقاه بالمدارسة لا يوثق بفهمه لما يراجعه فيه وكثيرا ما يغتر بغير الصحيح المعتمد عند أهله منه ، واذا كان الامر كذلك في نقل فقيه مذهب لبعض المسائل من مذهب آخر فأجدر بالمخالف في أصل الذي ينظر اليه في غير مرآته ، والذي لم يتدارس شيئا من علومه ، ان لا يعتد بفهمه ، ولا يوثق بنقله ، مهما كان متحريا للحق ، صدوقا في النقل ، ينقل ما ينقله بالحرف ، فاذا كان ينقل بالمعنى كما هو دأب صاحب تاريخ التمدن في الغالب فان خطاه يكون أكثر

كنت كلما نشر جزء من أجزاء هذا التاريخ انظر في بعض صفحاته فأرى فيها خطأ وغلطا في النقل والرأي ويظهر ان سببه ما شرحته آنفا ، أو جعل الواقعة الجزئية قضية كلية وقاعدة عامة ، وقد نبهت على ذلك في (المنار) غير مرة واقترحت على أهل الفراغ من أهل التاريخ ان يطالعوا الكتاب كله ، وينتقدوه انتقادا عادلا ، ويبينوا اغلاطه وخطأه في المسائل الاسلامية ، وهضمه للامة العربية ، لعل المصنف يصحح ويصلح ما يظهر له من الصواب ، ويبين عذره في غيره فيتحرر الكتاب ، لانه كثيرا ما يطالب الكتاب بالانتقاد - واعتذرت عن نفسي اذ لم أقم بهذا العمل بكثرة الشواغل التي يضيق بها وقتي ،

ولما عرض المصنف تاريخه هذا على نظارة المعارف العمومية لتقرره في مدارسها عهدت الى بعض اصدقائي من أساتذة مدارسها العالية بالنظر فيه وبيان رأيهم فيه لها ، فطالعوه وبينوا للنظارة انه لا يصلح للتدريس لكثرة أغلاطه المعنوية واللفظية ، وتمنيت يومئذ لو كانوا أحصوا ما ظهر لهم من ذلك الغلط ونشروه واقترحت ذلك على بعضهم فما أفاد الاقتراح ، واذا لتيسر تنقيح الكتاب

وقد انتقد بعض الناظرين الكتاب في المؤيد ، ورموا مؤلفه بسوء النية ، وتعمد التحريف ، وفساد الاستنباط ، ورأوا ان سبب ذلك هو التعصب الديني والنظر الى تاريخ الاسلام وآدابه بعين السخط . وكنت مخالفا لهم في هذا الرأي ، وجاهرت بالرد عليهم فيه ، على علمي بأنه لا يعقل ان ينظر أحد الى دين لا يدين الله به بعين الرضا التي يراه بها أهله ، لانني لا أرمي أحداً بسوء النية ، الا ببينة وحجة قوية ،

ثم جاءني في فاتحة هذا العام ورقات مطبوعة من مصنف جديد في الانتقاد على هذا التاريخ لعالم شهير من علماء الهند ، يعده جرجي افندي زيدان صديقا له ، وهو شمس العلماء الشيخ شبلي النعماني رئيس جمعية ندوة العلماء ، وجاءني معه كتاب من مؤلفه يرغب اليّ فيه أن انشر هذا الانتقاد في المنار ليعم نفعه . وهذا الكتاب هو الذي دعاني فيه أول مرة الى مؤتمر ندوة العلماء ، ورياسة احتفاله السنوي في هذا العام ، ولما رجحت اجابة الدعوة صار لنشر هذا الانتقاد في المنار ثلاث دواع : فائدة الانتقاد في نفسه ، واجابة اقتراح كاتبه لعلمه وفضله ، والحاجة الى مادة للمنار في مدة سفري غير ما أكتبه من التفسير وغيره ، اذ لا يتيسر لي أن أكتب في السفر كل ما يحتاج اليه من المواد

اذنت بنشر الانتقاد في المنار وسافرت بعد الشروع فيه ، ولم أكن أعلم بكل ما جاء فيه من الانحاء الشديد من المنتقد على مؤلف تاريخ التمدن الاسلامي ورميه بالتحريف والكذب في النقل ، واتهامه بسوء النية والقصد ، ولم اكن أتصور منه كل هذه الشدة في التهمة ، وابرازها في اقبح صورة ، لعلمي بما بينهما من المودة

الأدبية ، والصحبة القلمية ، ولو علمت بذلك لاستأذنت المنتقد في حذف تلك الألقاب ، والتلطف في هاتيك العبارات ، ولما لقيته في الهند وكنت قد قرأت بعض ما نشر من الانتقاد راجعته القول في سبب هذه الشدة فعلمت ان سببها الانفعال والتألم من مؤلف تاريخ التمدن الاسلامي لاعتقاده أنه تعمد التحريف والكذب لأجل تحقير العرب. . وسبب هذا الاعتقاد أن ذلك الخطأ الكبير، والغلط العظيم إما ان يكون عن جهل، أو عن سوء قصد، والمنتقد يستبعد جدا ان يكون عن جهل، فترجح او تعين عنده انه عن سوء قصد ، هذا ما علمناه منه ، وقد أطلعني على كتاب جاءه من جرجي افندي زيدان يقول فيه أنه رأى الانتقاد على كتاب تاريخ التمدن الاسلامي منشورا في المنار معزوا الى صديقه الشيخ شبلي النعماني فلم يصدق انه له.. ولم يشأ أن يتنازل عن صحبة عشرين سنة قبل التثبت بسؤاله عنه ، وطلب منه ان ينكر عزوه اليه ، ولكن الاستاذ لم يجبه بشيء ، ليعلم ان السكوت اقرار ، وأن الكذب والتزوير لا يدونان من مجلة المنار ، وقد علم من هذا ان رصيفنا الفاضل صاحب الهلال الاغر قد اساء الظن بنا ولا شبهة ، بمقدار ما أحسنا الظن فيه على كثرة الشبه ،

وأنني مع هذا اشهد الله والناس انني اجد في نفسي ألما من هذا الانتقاد في المنار ، من حيث نبذ الرصيف فيه بتلك الالقاب ، ثم من نشره كذلك في كتاب على حدته ، باذن المؤلف وإجازته ، ولكن الدواعي توفرت والبواعث قد قضت بهذا النشر

هذا وانا نرجو ان يكون لظهور هذا الانتقاد في هذه الايام فائدة وراء فائدة تمحيص التاريخ وحمل صاحب تاريخ التمدن الاسلامي على التروي والتدقيق فيما يكتبه بعد في تاريخ الاسلام ، تلك الفائدة المرجوة هي أن يترجم هذا الانتقاد باللغة التركية كما ترجم التاريخ المنتقد فيكبح من جماح دعاة العصبية التركية الذين استعانوا بنشر ترجمته بلغتهم على تحقير العرب وانتقاص مدنيتهم ، وغمط حضارتهم، وتفضيل الاعاجم عليهم ، فكادوا يولدون بذم العرب عصبية عربية ، بازاء مارفعوا قواعده من العصبية التركية ، ولو كانوا يقسمون الجنسية الاسلامية الى عدة جنسيات،

من غير مفاضلة ومفاخرة تثير العصبيات ، وتفرق بين الاخوة والاخوات ، لهان الامر ، وقل الضرر ، ولكنهم سفكوا بها دماء الالوف الكثيرة ، واضاعوا بذلك القناطير المقنطرة من أموال الدولة ، ولا يعلم أحد الا الله الى أين تنتهي عاقبتها ، اذا لم يوفق رجال الدولة الى تلافي أمرها

ثم المرجو من المطلع على هذا الانتقاد ان يجعل حظه منه تحرير المسائل التاريخية دون الالتفات الى مقاصد الكاتبين ، ونيات المصيبين والمخطئين ، (فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، أولئك الذين هداهم الله ، وأولئك هم ألو الالباب)

محمد رشيد رضا

***

﴿ تعليل النوع ﴾

« مؤلف » يشرح نظرية تعليل النوع الجديدة المبنية على المشاهدات العملية مع ايضاح الطريقة المؤدية لمعرفة نوع الطفل في بطن أمه وقبل ولادته وبيان الحصول على النوع المرغوب فيه من ذكر أو أنثى

تاليف رولي دوسون وتعريب الدكتور محمد عبد الحميد طبيب مستشفى قليوب، صفحاته ٢٦٤ صفحة وهو مطبوع على ورق جيد طبعا حسنا وثمنه ٢٠ قرشا ويطلب من المعرب بقليوب ومن مكتبة المنار شارع عبد العزيز

كثرت هدايا الدكتور محمد عبد الحميد العلمية للامة وأمته وآخرها هذا الكتاب الذي عربه ارضاء للعلم وخدمة للبيوت (العائلات) بادخال العلم اليها بطريقة مرغبة ومشهية

موضوع الكتاب

أما موضوع الكتاب فهو البحث في امكان معرفة نوع الطفل وهو جنين في بطن أمه أذكرا هو أم أنثى ، ولا يقول المؤلف بإمكان الوصول الى ذلك بقرع الحصى والودع والفول أو بالتخطيط في الرمل ، بل انه بنى تحقيق نظريته هذه على مشاهدات وتجارب وحساب لأوقات الحيض والولادة والحمل ووضع لذلك جدولا في آخر الكتاب

ولم ينس المؤلف خطارة الموضوع ولكنه التمس من القارئ ان يؤجل الحكم عليه وفيه حتى يتم مطالعة الكتاب بالدقة فيصل الى النتيجة التي وصل هو اليها ، وقال بأن هذه المسألة وصفت بأنها « تكاد تكون من عالم الغيب ولا يمكن حلها »

وذكر ان أشياء كثيرة ونظريات جمة كانت تعد من عالم الغيب فحل رموزها العلم ، وضرب لذلك مثلا تلغراف ماركوني واشعة الراديوم والمراكب التي تسير تحت الماء الى غير ذلك مما يحاول العلماء حله في المستقبل كمسألة اكتشاف القطبين وترقية عالم الطيارات ثم قال ما معناه: وحل هذه الاشياء هي مما يشجع على اقتحام مثل هذه العقبة عقبة تعليل النوع ويمهد له العذر باصدار هذا الكتاب الذي ادعى انه اكتشف به سرا من أسرار الطبيعة

وذكر ان نظريته هذه مبنية على حقائق ومشاهدات وأنها بذلك سمت عن نظرية الاستاذ شتك (الذي كان كتب فيها قبله وجهله الناس وقتئذ)

توسع المؤلف في الفصول الاولى من كتابه في مسائل علمية فكان الكتاب وسيلة لتعليم الناس شيئا من العلم لأن كتابا كهذا مما ترغب فيه البيوت (العائلات) وقد عقب كل بحث علمي من هذه الفصول بما يؤيد نظريته

وخلاصة البحث ان المولود اذا تخلق من بويضة متكونة في الجانب الايمن من الرحم (المبيض الايمن) فهو ذكر وان تخلق من بويضة متكونة في الجانب الايسر من الرحم (المبيض الايسر) فهو أنثى ووطأ السبيل الى هذه المعرفة - معرفة أي مبيضي الرحم كون البيوضة - واذا سهل ذلك واتضحت معرفته فقد امكن التحكم بنوع الطفل ، أي أمكن ان يلد الزوجان ذكرا أو أنثى على حسب مايرغبان

وسواء أصحت أدلة المؤلف في تحقيق هذه النظرية أم لم تصح فانني أقول: ان هذا الكتاب من انفس الكتب في موضوعه فهو مرتب على اقيسة وتجارب علمية ولا يستبعد ان تتحقق نظريته هذه بارتقاء العلم بأن تخترع اشعة من قبيل أشعة رنتجن او ان ترقى هي بحيث تمكن بواسطتها رؤية تكون البويضة وتخلق الجنين ويكون من ورائها بعض الفوائد لبعض الناس

هذا وان المؤلف اوضح مسائل جاءت مؤيدة للدين منها ان من المعروف عند

المليين ان الانسان من نسل أبيه وان الام مجرد وعاء « واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم » ومن هذا تسمية الام مزدرعا والنسل حرثا أو زرعا مع قول العلماء بان المولود انما هو من الأم واما الحيوان المنوي ليس إلا كموقظ للبويضة الناضجة، وكانوا يقولون بأن حيوانا منويا واحدا يحصل به القاح ولا يحتاج لغيره، وقد اثبت الدكتور رملي روسون ان البويضة ذات ثقوب كثيرة في غشائها الخارجي لدخول حيوانات منوية كثيرة لتعطي البيوضة الحياة الطويلة المستمرة للقدرة على التخلق وان البيوضة بعد ان تنضج لا تطول حياتها بدون هذه الحيوانات وهي التي تحمل للبيوضة جميع صفات الأب وكلما زاد عدد هذه الحيوانات كلما كثر شبه المولود بوالده، والذي يتجلى من هذا ان الحيوان المنوي هو الاصل للمولود كما ان الاصل للشجرة انما هو البذرة تلقى في الارض حاملة صفات وخواص الشجرة الاولى ولا بد من تأثير الارض بعناصرها في تكميل نوعية تلك الشجرة وتغذيتها لذلك يقولون : ان نوع كذا من النبات يجود في ارض كذا ونوع كذا على العكس

وعليه فان ما يأخذه المولود من امه هو بمثابة ما يأخذه من الاغذية بعد الولادة (راجع ص ٣٩ و ٤٦ من هذا الكتاب) لتكميل بناء الجسم وتجديد ما يندثر من دقائقه

ولكن من المعلوم ان للانسان جوهرا اصليا لا يتغير ولا يتبدل وذلك هو الروح واجزاء الجسم الثابتة وهناك دقائق تتبدل وتتحول وتتجدد ومع ملاحظة ان البيوضة لاحيات لها طويلة بذاتها وانما تستمد الحياة الدائمة من تلك الحيوانات المنوية فقد صح نسبة المولود لأبيه وانه احق به من جهة النسب والعصبية والذكر وسائر الاشياء المعنوية الثابتة . ولكن حق الام لا ينكر الولد من والديه قطعا وشرعا وعلما

ايرادان

ربما قال قائل : اذا امكن معرفة نوع الجنين في بطن أمه فما معنى قوله تعالى « ان الله عنده علم الساعة - الى قوله - ويعلم ما في الارحام » وقد تناقل الناس ان هذه الاشياء الخمسة المذكورة في هذه الآية استأثر الله تعالى بعلمها

واذا امكن ان يتحكم الوالدان بنوع المولود من جهة الذكورة والانوثة . فما معنى قوله تعالى « يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور » ومن المعلوم ان الهبة انما هي العطاء بدون مقابل وليست هذه الهبة بمطلق العطاء بل هي تتناول اعطاء مقيدا بنعمة الذكورة أو محنة الانوثة بدليل السياق . فنقول

رد الايراد الاول

إن قوله تعالى « ويعلم ما في الارحام » لا يفيد الاختصاص ولا الحصر ومطلق العلم لا يمنع ان يعلم احد غيره تعالى ذكورة أو انوثة المولود بطريق من الطرق العلمية أو الحسابية وقد ورد لفظ « يعلم » في القرآن أكثر من ستين مرة ولم يقل احد ان مجرد الفعل المضارع يفيد الحصر أو الاختصاص

وأما قوله تعالى في أول الآية « إن الله عنده علم الساعة » فانه يفيد الحصر بتقديم اسم الجلالة وبناء الخبر عليه ، — وتقديم الظرف يفيد الاختصاص قطعا — فلا مرية بانحصار علم الساعة به تعالى واختصاصه بذلك وقوله « وينزل الغيث » معطوف على جملة « ان الله عنده علم الساعة » الخ فهو اخبار بانه تعالى انحصر فيه علم الساعة واختص هو به فلا مطمع لسائل ان يعلم وقتها وهو تعالى ينزل الغيث « ويعلم ما في الارحام » علما كاملاً ، فان قلت بعطف الجملتين على الجملة الظرفية المبنية على الاسم الجليل وسلطت الاختصاص على علم تنزيل المطر بأن يكون من حيث دلالة المقدور المحكم المتقن على علم الغيب ، فعلمه تعالى ما في الارحام يختص تعالى به من حيث العلم التام الكامل وأما كون الجنين ذكرًا أم أنثى فلا مانع من أن يطلع الله عليه أحد مخلوقاته . بطريقة من الطرق وقد ورد في بعض الاحاديث ان الملك الموكل بالرحم يعلم الذكورة والانوثة

ولولا ما ورد من الآثار بأن هذه الخمسة مما استأثر الله تعالى بعلمه لما تكلف المفسرون تعب تطبيق القواعد على جعل جميعها مما لا يمكن لاحد ان يطلعه الله على شيء منها ولكان لقائل يريد ان يفهم الآية من الالفاظ العربية أن يقول : ان مساق الآيات ليس لافادة اختصاصه تعالى بعلم هذه الاشياء لان الآية سبقها قوله تعالى « يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور »

ثم الآية التي نحن بصددها ، وقد جرت عادة الذكر الحكيم أن يذكر مبدأ خلق الانسان في سياق الاستدلال على بعثه ليلفت السامع بان الذي خلق قادر على البعث لما خلق فمن ذلك قوله تعالى « يا أيها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من ذكر وانثى » وقوله « وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم ؟ قل يحييها الذي انشأها أول مرة » الخ وغير ذلك كثير

هذا واذا كان لمخلوق بما أعطاه الله من العلم ان ينزل من المطر في وقت من الاوقات أو في مكان من الامكنة فهل يقال : ان فلانا ينزل الغيث المعهود ؟ وكذلك ان وصل أحد بعلمه وتجاربه الى معرفة وقت نزول المطر فان علم هذا المخلوق انما يفيد الظن ولا يكون من العلم الذي اختص الله تعالى به ومثل ذلك يقال في معرفة نوع الجنين هذا اذا كانت المعطوفات على الجملة الظرفية في قوله تعالى « إن الله عنده علم الساعة » فان المعرفة به لا تكون تامة ثابتة ومضارعة لمعرفة موجد عناصر الطفل وخالقه تبارك وتعالى الذي لا يخلو شيء من علمه ولا يعزب عن علمه شيء

ثم اذا انت نظرت في قوله تعالى « وان تعجب فعجب قولهم أئذا كنا ترابا وعظاما أئنا لفي خلق جديد — الى قوله — الله يعلم ما تحمل كل انثى وما تغيض الارحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار » تزداد تأكيدا من أن الذكر الحكيم يورد مثل هذه الآيات لا لإفادة أصل العلم أو انحصاره بل ليلفت الانسان الى عظيم قدرته وباهر حكمته وان من هذا شأنه في بداية الخلق لا يعجزه البعث

رد الايراد الثاني

قوله تعالى « لله ما في السموات والارض يهب لمن يشاء اناثا ولمن يشاء الذكور » اذا صحت نظرية معرفة البيوضة الناضجة المستعدة للقاح وبيضها تهيأ للعارف بذلك التحكم بنوع الطفل وعلى فرض صحة النظريتين فلا يمنع تعمد ايلاد الاجنة ذكرانا أو إناثا ان تكون موهوبة من الله لان الوالد لم يكن له من ايجاد المولود شيء وانما هو اختار الوقت المناسب لتوليد الذكر أو الانثى واذا كان الامر كذلك فان ضمير يشاء يرجع الى الموصول « من » في قوله تعالى « يهب لمن يشاء » لخ

أرأيت لو كان زارع يعلم الاوقات المناسبة لاخراج المزروعات فزرع الملوخية في الوقت المناسب لنموها ايكون موجدا لها ؟ كلا :

على أن ما أورده المؤلف لاثبات هذه النظرية لا يفيد الحكم اليقيني بتعيين نوع الطفل للاسباب الآتية :—

(١) ان من النساء من لم تحض قط وقد ولدت عدة أولاد ذكورا واناثا

(٢) اذا كانت الانثى بكرا وحملت لاول مرة فلا يمكن معرفة جنينها بهذه الطريقة كما لا يخفى فلا يمكن ايلادها ماترغب هي أو زوجها

(٣) ان مدة الحمل والحيض مختلفة اختلافا كبيرا في النساء وعليه فالجزم بنوع الطفل غير متيسر للحساب الذي أورده المؤلف

(٤) اذا كان أحد المبيضين مريضا فانه لا يكوّن بويضات صالحة الا نادرا فلا يطرّد الحكم على نوع الجنين دائما

(٥) في الحيوانات التي لا تحيض لا يمكن معرفة نوع أجنتها وكلام القرآن عام في الانسان والحيوان

(٦) الطيور ليس لها الا مبيض واحد وفي بيضها يستحيل معرفة نوع الجنين أيضا

فهذه بعض أسباب الشك في فائدة هذه النظرية اذا كانت صحيحة

***

﴿ روح الاعتدال ﴾

كتاب اجتماعي ادبي وضعه الفيلسوف الاجتماعي شارل وانير وعربته الكاتبة المفكرة الفاضلة وسيلة محمد وجعلته هدية لابنتها الصغيرة ، مباحث الكتاب جليلة وترجمته جيدة وأسلوبه سهل وهذا مجمل مباحثه: الحياة المرتبكة. روح الاعتقاد الفكر ، والقول والواجب والاعتدال ، الاعتدال والمطالب والسرور ، المال والاعتدال ، وحب الظهور، الحياة العائلية والاعتدال ، الكسب والاعتدال ، التربية والاعتدال ثم الخاتمة وصفحاته ١٥٤ بقطع رسالة التوحيد وطبعه نظيف وثمنه خمسة قروش ويطلب من مكتبتي المنار والمعارف بمصر والكتاب مفيد يجدر بكل قارئ ان يطلع عليه وربما تنقل منه الى المنار بعض المباحث وأحب ان أنقله كله ان أمكنني ذلك

﴿ الهاشميات ﴾

ثمان قصائد من شعر الكميت الاسدي يمدح بها بني هاشم ويليها مختارات من شعر الكميت وغيره من فحول شعراء الصدر الاول وجميع ذلك مذيل بشرح بديع يفيد المبتدي ولا يستغني عن جميعه المنتهي والكتاب مصدر بمقدمة في تاريخ الشيعة والتشيع مقتضبة لطيفة مفيدة جداً ثم ترجمة الكميت وصفحاته ١٢١ بقطع المنار وقد طبع طبعاً نظيفا ويطلب من مكتبة المنار بمصر وثمنه عشرة قروش

الكتاب واضعه محمد محمود افندي الرافعي خدمة لادب اللغة العربية ونعمت الخدمة هي فانه جمع ما لا يكاد يعثر عليه المطالع الا بعد عناء شديد وافاد بهذه المقدمة وذلك الشرح فنرجو الاقبال على كتابه هذا ليتحفنا بمثله أو بامثاله، ومن شعر الكميت من الهاشميات قوله :

اهوى عليا امير المؤمنين ولا ... الوم يوما ابا بكر ولا عمرا
ولا اقول وان يعطيا فدكا ... بنت النبي ولا ميراثه كفرا
الله يعلم ماذا يأتيان به ... يوم القيامة من عذر اذا اعتذرا

***

﴿ حديث عيسى بن هشام ﴾

« أو فترة من الزمن »

كتاب «حديث عيسى بن هشام» أشهر من نار على علم ، قرأ هذا الكتاب من قرأه فذاع اسمه وعمت فائدته وهو الكتاب الذي قام بشهرة نفسه بعرض الطبعة الاولى منه على انظار قراء العربية ، ولقد كنا نسأل عنه فلا نجده وقد طلب من بعض الاقطار البعيدة كيف لا وهو السفر الذي لا يزاحم ولا يدعى ولا ينتحل لغير واضعه لان أسلوبه وبلاغته ينمّان على بيت مؤلفه بيت الادب الجم بيت المويلحي وحسبنا من تقريظه ان نذيع خبر اعادة طبعه وأن نشكر للمؤلف الاذن للشيخ محمد سعيد الرافعي الكتبي بمصر باعادة طبعه بعد ان نظر فيه نظرة اصلاح وتهذيب ووضع له جدولا باخره شرح فيه الالفاظ اللغوية التي جاءت في اثناء الكتاب فجاء في ٤٦٣ صفحة بقطع رسالة التوحيد وقد طبع على نوعين من الورق الجيد والمتوسط والثمن من الثاني عشرة قروش مجلداً بالقماش وعشرون قرشا من الورق الجيد ويطلب من مكتبة المنار بمصر ومن المكتبة الازهرية لصاحبها ملتزم الطبع الشيخ محمد سعيد الرافعي الآنف الذكر

﴿ دليل لوندرة ﴾

كتاب وضعه عبد الرحيم افندي فوزي وصف فيه مايلزم المسافر الى عاصمة الانكليز من الاطلاع عليه وضمنه نبذة في تاريخ لوندرة وتكلم عن وسائل النقل وسهولة المواصلات في تلك المدينة الكبيرة وعن معالمها ومعاملها ومتاحفها وأنديتها ودور العلم والصناعة فيها وعن الاسرة المالكة كلاما مسهبا مفيدا

وقد جعل كتابه هذا بحيث لو قرأه المسافر الى لوندرة لايحتاج الى دليل غيره ولا الى هاد يهديه فجاء في ١٢٠ صفحه بقطع رسالة التوحيد

***

﴿ ديوان المصري ﴾

الجزء الثاني

نظم الشاعر الشهير عبد الحليم حلمي افندي المصري، قصائده تزيد على الواحدة والعشرين غير القطع والمقطعات وصفحاته ١٤٤ صفحة وثمنه عشرة قروش و يطلب من مكتبتي المنار والتأليف بشارع عبد العزيز بمصر

اذا نظرت الى الجزء الأول من ديوان المصري ونظرت الى هـذا الجزء علمت ان الشاعر يتقدم بشعره كلما تقدمت به سنه واذا لم يظهر لك ذلك في حسن اللفظ ومتانة الديباجه فارم بطرفك نحو المواضيع والمعاني واحكم بان المصري سيكون من نوابغ شعراء هذا العصر ان لم يكن « النابغة » أو اجعل ماتقرأه من الجزأين مقدمة للحكم على مستقبل الشاعر كما قال هو عن نفسه

وحسبه ان ادعى انه تلميذ امراء الفصاحة وائمة البيان في مصر اسماعيل صبري باشا واحمد زكي باشا واحمد شوقي بك ومحمد المويلحي بك وأقره هؤلاء على دعواه بسكوتهم

***

﴿ رواية عطيل (بطل البندقية) أو اتللو ﴾

قصة روائية تمثيلية غرامية لشاعر الانكليز في بداية نهضة أوربة الادبية

الحقيقية، والشارع للادب لغة تضارع في أسلوبها لغة العرب - كما قال معربها شاعر العرب خليل مطران

اذا اريد ان يؤخذ تاريخ أمة بدون تقصي الحوادث ومراجعة بطون التاريخ وقواميس السياسة والجغرافية والدين فان لذلك مصدراً آخر هو اللغة. لغة كل امة دليل على حالتها من ضعف وقوة وعلم وجهل وارتقاء وانحطاط فهي المجهر الذي يجليها بأجلى مظاهرها ويبرز اخلاقها مجسمة محسوسة

لا أثر أدل على مصدره من دلالة اللغة على جميع شئون الامة فاللغة هي المعيار والمقياس لمعرفة جميع مقومات الامة، واذا أنت نظرت الى حضارة الاسلام الاولى وقال لك قائل انها وجدت قبل رقي اللغة العلمي الصناعي فلا تأبه له ولا تحفل بكلامه . وما عصر الخلفاء الراشدين الا عصر تأسيس لكيان أمة وتوطيد لدعائم دين وشريعة وملك وما بعد ذلك فقد كانت العصور المدنية التي تمشت فيها الامة بأطوار رقيها مع لغتها جنبا لجنب رفعة وسؤددا

من يوم وقف انتشار اللغة العربية وقف سير التمدن الشرقي الاركان، الاسلامي المظهر، ومنذ ابتدأت اللغة تنحط كانت الامة هي المنحطة بها ومنذ زال تمدن العرب زال تمدن الشرق ومنذ دخل الاعاجم في دولة العرب وامتزجت رطانتهم بين فرائد لغتها فسدت المدنية واللغة معا وجمل الشرق يتدهور من هوة الى هوة فبعض شعوبه انتهى الى هاوية الدمار، و بعض آخر على شفا جرف هار، وهناك أقوام يتسكعون ولا يعلمون الى ماهم صائرون

لم يقم قائم في الشرق يدعو الى نهضة حقيقية تدل على حياة قومية الا أمة اليابان، فان شئت أن تعلم مبلغ رقيها فحسبك دليلا على حياتها تعدد مؤلفاتها وجرائدها التي تنشر بلغتها و بعد ذلك انظر الى الرقي المحسوس من صناعة وغيرها

اراني قد تجاوزت ما اردت ان اقوله ذلك أن فكرة نهضة شكسبير بلغة قومه وما كان من فكتور هوغو من محاربة التقاليد الكتابية والانشائية وخروجه باللغة عما جرى عليه الاسلاف وتوخي خليل مطران احياء اسلوب في لغتنا العربية لا ينزل عن حد الفصاحة ولا يعلو عن متناول افهام ابناء المدارس والطبقة الراقية

من العامة- تفكرت في هذا وما كان توالي تقدم القوم مع لغتهم وانتشارها مع نفوذهم ومدنيتهم وما ابقته الامة العربية في جميع اقطار المعمور من دين وعوائد وآثار فنية وأخلاقية مصحوبا بلغتها مع ان النسبة بين تلك الآثار ودرجة رقي اللغة واحدة، فتجدد لي امل بنهضة عربية ادبية ملية تسمو بهذه الامة الى درجة تغير وجه المصور الجغرافي أو تعيد الدنيا القديمة الى حالة غير هذه الحالة، ولنرجع الى ما نحن فيه :

القصة تمثل الغيرة الزوجية بأظهر أشكالها البدوية وقد صدرها المعرب بمقدمة تكلم فيها عن التعريب وسبب تسمية اوتللو بعطيل

وتكلم على القصة (الرواية) من جهة الاصل ومن جهة التعريب والمقدمة مختصرة ممتعة مفيدة تصور المعاني تصويرا يكاد يلمس باليد فعسى ان يستمر الخليل في هذه السبيل

وتطلب القصة (الرواية) من ملتزم طبعها نجيب افندي متري صاحب مكتبة المعارف ومن مكتبة المنار بمصر وثمنها عشرة قروش صحيحة

***

﴿ معنى الحياة ﴾

تأليف اللورد افرى وتعريب وديع افندي البستاني - كتاب معروف للقراء اعاد طبعه للمرة الثانية نجيب افندي متري صاحب مكتبة المعارف ويطلب منه ومن مكتبة المنار بمصر وثمنه خمسة قروش عدا اجرة البريد وقد سبق للمنار تقريظه

(باب الاخبار والآراء)

كامل باشا

﴿ آراؤه السياسية منذ ٢٤ عاما ﴾

نشرت في هذه الايام على صفحات الجرائد مذكرات خصوصية سياسية لكامل باشا رئيس مجلس شورى الدولة الآن ، فرأينا أن ننشرها على صفحات المنار ليقف القراء على آراء كامل باشا السياسية وخبرته بالمسائل الدولية ، وأنه كان يرى في ذلك الزمن أن مصلحة الدولة العلية انما هي في انضمامها الى المحالفة الثلاثية وفي

مصادقة ألمانية بخلاف ما يعرف عنه الآن من ميله الى الاتفاق الثلاثي والى مصادقة انكلترة مما يدلك ان الرجل يدور مع مصلحة بلاده كيفما دارت

ويؤخذ من مذكراته هذه ان رجال الدولة العلية كانوا يعلمون بنوايا ايطالية نحو طرابلس الغرب وغيرها - التي جهلها حقي باشا واعوانه في هذه الايام - وقتئذ وهذا ما نشرته الجرائد من هذه المذكرات :

« فيما يتعلق بدخول تركية في المحالفة الثلاثية حتى تضطر انكلترة الى الجلاء عن مصر بغير شرط أقدم العبارات الآتية :

« ليس بين المحالفة الثلاثية وروسية أدنى ارتباط اذ الغرض الذي وجدت لاجله المحالفة هو رد مطامع فرنسة في البحر الابيض المتوسط وحماية مصالح الدول التي تتكون المحالفة منها . وايطالية اصغر هذه الدول وهي التي تقف في وجه مقاصد فرنسة في بعض المسائل ، وفرنسة لا تستطيع ان تهاجمها لانها تجد بجانبها الدولتين الأخريين . ولذلك أظن ان تركية اذا انضمت الى هاتين الدولتين وزادت بانضمامها قواهما لم تعد فرنسة بعد هذه العزلة تستطيع ان تخاطر بالاعتداء على الاملاك العثمانية .

ومن المؤكد ان روسية لا يسرها ان ترى تركية منضمة الى دول المحالفة الثلاثية ولكنها لا تستطيع ان تفعل أكثر مما فعلته حين المعاهدة التي عقدت بشأن جزيرة قبرص بين تركية وانكلترة وكان عقدها ضارا بالمصالح الروسية .

بل أنا أظن بالعكس : ان روسية اذا أرادت اذ ذاك ان تهاجمنا كان عملها داعيا الى تقرب انكلترة منا وتقوية الصلات الودية بيننا وبينها . وهذه النتيجة لا تغيب على ما أظن عن رجال السياسة الروسية فهم ولا بد سيفكرون كثيرا قبل ان يدخلوا معنا في نزاع . ولهذا أعتقد ان روسية تضطر اذ ذاك بالرغم منها الى مصافاتنا وتبذل جهدها في اجتناب معاداتنا خصوصا والخطة التي تتبعها سياسة المحالفة الثلاثية ليست معادية لها . والذي يعزز هذا الفهم هو السكوت الذي اتبعته روسية في مسألة امارة البلغار الحديثة

« ان تركية الآن حرة لا تربطها رابطة ما فلها إذن الخيار في انضمامها الى المحالفة الثلاثية

وبما ان من اغراض هذه المحالفة حفظ الحالة الحاضرة في البحر الابيض المتوسط فليس من المظنون أن دولة من الدول الثلاث التي تتكون المحالفة منها تعتدي على أملاك غيرها في هذا البحر كما أنها لا تسمح للدولة الاخرى بالاعتداء على أملاك واحدة منها . ومتى تقرر ذلك أصبح من البديهي أنه متى انضمت تركية الى المحالفة الثلاثية استطاعت أن تحافظ على حقوقها في مصر وان تطلب من انكلترة الجلاء عنها واستطاعت أيضا أن تسوي المسائل الاخرى المتعلقة بالجزائر وتونس

«وليس كل ما تجنيه تركية من انضمامها الى المحالفة الثلاثية قاصرا على اعادة مصر الى الحالة التي كانت عليها قبل الاحتلال الانكليزي بل هناك فوائد أخرى هي : أولا منع اليونان من تحقيق مطامعها في كريت ويانينه ، ثانيا منع النمسة من الذهاب الى سلانيك (أي احتلالها) ثالثا منع ايطاليه من احتلال البانيه وطرابلس الغرب ، رابعا منع فرنسة من الاعتداء على سوريه وأخيرا نستطيع أن نجعل أحوال سلطنتنا المالية والاقتصادية بحيث لا تبقى حجة لتداخل الاجانب

«وفوق ما تقدم من الفوائد فاننا نتمكن من محو أسباب المنازعات والحروب الداخلية والقلاقل والثورات التي تثيرها عوامل الحسد والدسائس والخلاف بين الدول الاجنبية . ومتى محونا هذه الاسباب استطعنا ان نحكم بلادنا بهدو وبنفقات أقل مما ننفقه الآن ثم رأينا مسائلنا تسير بقوة نمو البلاد في طريق التسوية والاصلاح بارشاد حلفائنا

« وتستطيع تركية ايضا ان تحفظ لحكومتها الحرية المطلقة في العمل . بل في امكانها أن تجعل هذا الشرط أساسا لدخولها في المحالفة الثلاثية . ولكن بما ان الشغل الشاغل لنا الآن هو اجلاء الانكليز عن مصر بدون قيد ولا شرط وحماية حقوقنا فيها، وبما انه يؤخذ من الحديث الذي دار بيني وبين السفير الانكليزي ان انكلترة مستعدة للعودة الى مفاوضة الاستانة في المسألة المصرية فقد اصبح من الواجب ان نرسل الى رستم باشا سفيرنا في لندره تعليمات تفصيلية واضحة ومحددة أو ان يوعز اليه حتى يطلب اجازة شهر ومتى أعطيت له هذه الاجازة جاء الى الآستانة وتلقى التعليمات اللازمة شفاها

«ومتى جاء سفيرنا شرحنا له الحالة شرحا وافيا واوقفناه على كل أوجه المسألة ثم منحناه التفويض الذي تقضي به الظروف حتى يكون في قدرته ان يناقش ويفاوض ويتفق مع رجال السياسة في لندرة اتفاقا يحسم هذه المسألة الخطيرة حسما نهائيا . ولكي ألخص افكاري أقول كما قلت دائما (؟) ان من مصلحتنا ان نستعيد المفاوضة مع انكلترة توصلا الى حل المسألة حلا موافقا لنا وتابعا لظروف الاحوال لانه ليس في الامكان الآن ان تعرف الادوار والتغيرات السياسية التي قد تجد في المستقبل والتي قد تفقدنا الفرصة الطيبة السانحة الآن

(قالت الجريدة) وفي تقرير آخر قال كامل باشا :

« إطاعة للامر الشاهاني القاضي بان اعرض رأيي في الشروط والامتيازات التي يجب ان تدخل بها تركية في المحالفة الثلاثية توصلا الى حفظ الحالة الحاضرة في البحر الابيض المتوسط اعرض ما يأتي :

« كان جلالة مولاي السلطان قد اهتم بالتقرير الذي رفعته اليه بشأن المحالفة الثلاثية والذي اشرت فيه بالاصلاحات السياسية الواجب اتخاذها فيما يختص بتسوية المسائل الآتية . اولا وثانيا مسألتي تونس والجزائر اللتين لاتزالان معلقتين. ثالثا مسألة زيارة الاسطول الايطالي لازمير مرة ثانية. رابعا مسألة البلاغ الشفاهي الذي ابلغه سفير ايطاليه لوزير خارجية الدولة فيما يختص بمراقبة أعمال البنك العثماني وحساباته (وهاتان المسألتان الاخيرتان تدلان على سوء نيات ايطاليه بالنسبة لتركيه) . خامسا عدم استطاعة الحكومة العثمانية الدخول في محالفة احدى دولها ـ وهي ايطاليه ـ تظهر لها العداء جهارا . سادسا وأخيرا الطريقة التي يمكن التوصل بها الى تذليل هذه الصعوبات . ثم رأيت بعد ذلك ان من مصلحة السلطنة ان نلفت الى هذه المسائل نظر سفيرنا في لندرة وان نزوده بالتعليمات والتفصيلات الكافية كما أوضحت ذلك في تقريري الخاص بالمسألة المصرية ايضاحا يوفق بين مصلحة السلطنة ورغبات انكلترة

« فجوابا على الارادة التي جاءتني طي الامر المؤرخ في محرم سنة ١٣٠٦ أقول ان المحالفة التي أساسها حفظ الحالة الحاضرة في البحر الابيض المتوسط ليست

اهميتها قاصرة على الدول المحالفة وحدها بل تشمل كل الدول التي لها املاك في البحر الابيض المتوسط وشروط هذه المحالفة موافقة للدول المتحالفة . فبما ان مصر محتلة بانكلترة وتونس والجزائر واقعتان تحت سلطة فرنسة بالرغم من احتجاجات تركية فاذا دخلنا في المحالفة الثلاثية فمن الواجب ان نحفظ لنفسنا الحق في طلب جلاء الانكليز عن مصر والفرنسيين عن تونس والجزائر

« أما فيما يختص بايطالية فلم يحدث في الماضي وإلى الآن نزاع بيننا وبينها ولذلك فاني اعتقد ان خطتها العدائية التي اظهرتها اخيرا ليست الا بتحريض دولة أخرى لان المتحالفين يجب أن يتعاضدوا أو ان يخدم كل منهم مصلحة الآخر . مثال ذلك أن سفير فرنسة حينما أراد ان يحول دون المصادقة على الوفاق الذي كتب بيننا و بين أنكلترة بشأن الجلاء عن مصر قدم الى جلالة السلطان تقريرا نصح فيه برفض كل مساعدة تأتي من قبل انكلترة وبالاعتماد على التأكدات الصريحة التي تقدمها الحكومة الفرنسية والتي تتعهد فيها بمساعدتنا مادياً وأدبياً في مسألة الجلاء عن مصر . اما المانية والنمسة فكانتا تنصحاننا بالمصادقة على الوفاق قائلتين انه منطبق على مصلحتنا وان امتناعنا من المصادقة عليه لا سبب له سوى تأثير فرنسة علينا (!)

« وفعلا كل الدول ـ وعلى الخصوص ألمانية عدوة فرنسة اللدودة وانكلترة ـ استاءت لعدم المصادقة على ذلك الوفاق . وقد كانت ايطالية تحرض فرنسة ولا تريد من هذا التحريض سوى ان تثبت لنا أن فرنسة عاجزة عن مساعدتنا . وليس لايطالية وحدها قيمة ما لانها لاتفعل غير اتباع الخطط التي يرسمها حلفاؤها .

« لذلك أرى بعد التمعن انه يجب علينا ان نعتقد ان جلاء الانكليز عن مصر متوقف على امضاء الوفاق المختص بحرية المرور في قنال السويس . وقريبا أعرض على جلالة السلطان صورة من الوفاق الخاص بحفظ مصالح تركية والذي يظن كل الظن ان انكلترة ترضى بما فيه اه

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم اولو الالباب

المنار

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا اولو الالباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كنار الطريق

(مصر ٣٠ شوال ١٣٣٠ هـ ق ١٩ الخريف الاول ١٢٩١ هـ ش ١١ اكتوبر ١٩١٢ م)

باب تفسير القرآن الحكيم

على الطريقة التي كان يلقيها في الازهر الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه

الجزء السادس

بسم الله الرحمن الرحيم

(١٤٧:١٤٧) لَا يُحِبُّ اللهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ، وَكَانَ اللهُ سَمِيعًا عَلِيمًا (١٤٨:١٤٨) إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا

بينا في تفسير الآيات من أواخر الجزء الماضي موقع هذه الآيات الى آخر السورة مما قبلها بالاجمال ، ولهاتين الآيتين مناسبة مع ما قبلهما وما بعدهما وان كانتا كالغريبتين في هذا السياق الشارح لاحوال المنافقين والكافرين ومحاجة أهل الكتاب منهم ، فان الله تعالى بين فيه كثيرا من عيوبهم ومفاسدهم ، لاقامة الحجة عليهم ، وتحذير المؤمنين من مثل أعمالهم وأخلاقهم ، فان الله تعالى يكره لهم ذلك كما قال (ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون) ثم بين في أثناء ذلك حكم الجهر بالسوء من القول و إبداء الخير و إخفائه لئلا يستدل المؤمنون بذكر عيوب المنافقين والكافرين في القرآن على استحباب الجهر بالسوء من القول أو مشروعيته اذا كان حقا على الاطلاق فيفشو ذلك فيهم ، وفيه من الضرر ما ترى بيانه فيما يلي

قال تعالى ﴿ لايحب الله الجهر بالسوء من القول ﴾ ينسب الحب والبغض أو الكره الى الله تعالى بالمعنى الذي يليق به ويلزم الحب الرضا والإثابة وضده ضدهما ، والجهر يقابل السر والاخفاء والكتمان ، والسوء من القول مايسوء من يقال فيه ، كذكر عيوبه ومساويه ، والله تعالى لايحب من عباده ان يجهروا فيما بينهم بذكر العيوب والسيئات لان في هذا الجهر مفسدتين كبيرتين (احداهما) انه مجلبة للعداوة والبغضاء بين من يجهرون بالسوء ومن ينسب اليهم هذا السوء ، وقد تفضي العداوة الى هضم الحقوق وسفك الدماء (الثانية) ان الجهر بالسوء بذكره على مسامع الناس يؤثر في نفوس السامعين تأثيرا ضارا فان الناس يقتدي بعضهم ببعض فمن سمع انسانا يذكر آخر بالسوء لكرهه إياه أو استيائه منه يقلده في ذلك القول اذا كان لم يسبق له مثله ويزداد ضراوة فيه ، إذا كان قد سبق وقوعه منه ، أو يقلد فاعل السوء في عمله ، خصوصا اذا كان السامع من الاحداث الذين يغلب عليهم التقليد أو من طبقة دون طبقته في الهيئة الاجتماعية ، لان عامة الناس يقلدون خواصهم فاذا ظهرت المنكرات في الخواص لاتلبث ان تفشو في العوام . ومن تميل نفسه الى منكر أو فاحشة يتجرأ على ارتكابه اذا علم أن له سلفا وقدوة فيه ، وربما لايتجرأ عليه اذا لم يعلم بذلك . بل يؤثر سماع القول السوء في

نفوس خواص الكهول الاخيار ، وليس تأثيره مقصورا على العوام والصغار ، فسماع السوء كعمل السوء ، ذلك يؤثر في نفس السامع ، وهذا يؤثر في نفس الناظر ، وأقل تأثيره أنه يضعف في النفس استبشاعه واستغرابه ولاسيما اذا تكرر سماع خبره أو النظر اليه ، واننا نرى علماء التربية يحاولون جميع كتب التعليم غفلا من قول السوء والكلم الخبيث ومن الرفث واسماء أعضاء التناسل حتى انهم لايذكرونها في معاجم اللغة التي يراجع فيها طلاب العلوم والفنون حرصا على انفسهم ان تعلق بها كلمة خبيثة من كلم السوء تقودها الى عمل السوء . ورب كلمة خبيثة تفتح لمن تعلق بنفسه بابا من الفساد ، لاينجو من شره أبد الآباد ، وفي الحديث « وان الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى لايلقي لها بالا يهوي بها في جهنم سبعين خريفا »

يجهل كثير من الناس ، مبلغ تأثير الكلام في قلوب الناس ، فلا ينزهون ألسنتهم عن السوء من القول ولا اسماعهم عن الاصغاء اليه ، وما يعقل كنه ذلك الا العالمون الراسخون وان للاستاذ الامام رحمه الله تعالى كلمة شعرية في المبالغة في تمثيله للفهم وتقريبه الى الذهن يعدها البديعي من الاغراق الذي تقتضيه البلاغة في هذا المقام وهي : انني اذا ألقيت كلمة في مكان خال من الناس في حندس الليل فانها تبقى معلقة في الهواء حتى تصادف نفسا مستعدة فتؤثر فيها . ـ اوما هذا معناه ـ وقد اتفق لاهل بيت من فضلاء الامريكانيين أن اهتدوا الى الاسلام في مصر وصاروا يترددون على الاستاذ الامام لاخذ أحكام الدين وحكمه عنه . وانه ليحدثهم يوما واذا بلسانه وقد فلتت منه كلمة « اليأس » وكان في أهل ذلك البيت فتاة ذكية الفؤاد فقالت للاستاذ كيف ينطق مثلك في علمه وحكمته بهذه الكلمة وهي من الكلمات ذات المدلولات الضارة ؟ فأعجب الاستاذ بذكائها وفهمها ، ووافقها على قولها ، واظن انه اعتذر عن ذلك بأن أمثال هذه الكلمة مما لايمكن اجتنابه عند بيان بعض الحقائق بين العلماء الذين كملت تربيتهم ، وانما يتحرى اجتناب ذكرها بقدر الامكان في خطاب النشء في المدارس والبيوت . وتكلم في تأثير الكلام في كل سامع وذكر كلمته التي نقلنا آنفاء فقالت له الفتاة: أتأذن لي أن أفسر هذه الجليلة ؟ قال نعم ، قالت ان العلم بالشيء يكون في نفس

الانسان اجماليا فاذا تكلم به ولو في المكان الخلو (او كتبه) ينتقل من حيز الاجمال الى حيز التفصيل والبيان ، ويلزم من ذلك إعادة ذكره على مسامع الناس فيؤثر فيهم على حسب استعدادهم . فقال الاستاذ : أحسنت .

لا يحب الله الجهر بالسوء من القول ولا الاسرار به كما يعلم من نهيه تعالى عن النجوى بالاثم والعدوان ومعصية الرسول ، وأمره بالتناجي بالبر والتقوى فقط ، وانما خص الجهر هنا بالذكر لمناسبة بيان مفاسد الكفار والمنافقين في هذا السياق كما علمت والجهر بالسوء أشد ضررا من الاسرار به لان ضرره وفساده يفشو في جمهور الناس حتى لايكاد يسلم منه أحد . وقد قلت يوما للعالم اللغوي الراوية الشهير الشيخ محمد محمود بن التلاميد الشنقيطي: انني انكرت نفسي في مصر فان كثرة رؤيتي للمنكرات فيها ككشف العورات في الحمامات ،وشرب الخمر على افاريز الطرقات، وكثرة سماعي لقول السوء خفف استبشاع ذلك في نفسي وضعف كره اصحابه والنفور منهم فانني كنت في بلدي (القلمون المجاورة لطرابلس الشام) اذا سمعت بأن رجلا ارتكب فاحشة لااستطيع النظر اليه ولا الحديث معه ، فقال الشيخ : وأنا ايضا انكرت نفسي مثلك ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم . فان قيل ولماذا اخترت ترك وطنك الذي لاترى ولا تسمع فيه من المنكر وقول السوء ماترى وتسمع في مصر التي آثرتها عليه ؟ فجوابي : انني لم أكن استطيع وأنا في وطني الاول أن أقول الحق ولا ان اكتبه ولا ان اخدم الملة والامة بما خدمتهما به في مصر ، وأنا أعتقد ان هذه الخدمة فرض عليّ ، وقد آذتني الحكومة الحميدية عليه في أهلي ومالي وانا بعيد عن سلطتها ، ولو قدرت علي لما اكتفت بمنعي من هذه الخدمة بل لنكلت بي تنكيلا

لايحب الله الجهر بالسوء من القول ﴿ الا من ظلم ﴾ اي لكن من ظلمه ظالم فجهر بالشكوى من ظلمه شارحا ظلامته للحكام أو غير الحكام ممن ترجى نجدته ومساعدته على إزالة الظلم فلا حرج عليه في هذا الجهر ولا يكون خارجا عما يحبه الله تعالى لان الله تعالى لا يحب لعباده أن يسكتوا على الظلم ويخضعوا للضيم بل يحب لهم ان يكونوا أعزاء أباة ، فاذا تعارضت مفسدة الجهر بالشكوى من الظلم

وهو من قول السوء ومفسدة السكوت على الظلم وهو مدعاة فشوه والاستمرار عليه المؤدي الى هلاك الامم وخراب العمران كان أخف الضررين مقاومة الظلم بالجهر بالشكوى منه وبكل الوسائل الممكنة . وذهب بعض المفسرين الى ان المعنى : لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا جهر من وقع عليه الظلم للدفاع عن نفسه، وقال بعضهم: إن الجهر بمعنى المجاهر (من استعمال المصدر بمعنى اسم الفاعل) أي لا يحب الله المجاهرين بالسوء الا المظلومين منهم اذا هبوا لمقاومة الظلم، ولو بالقول وحده اذا تعذر الفعل

وقد علم مما قلناه آنفا أن إباحة الجهر بالسوء للمظلوم أو مشروعيته له هو من باب الضرورات لانه ارتكاب أخف الضررين، والضرورات تقدر بقدرها ـ كما قال أهل الاصول ـ فلايجوز للمظلوم ان يتبع هواه في الاسترسال والتمادي في الجهر بالسوء بما لادخل له في منع الظلم والتفصي منه وأطر(١) الظالم على الحق والأخذ على يده أو ينتهي عن الظلم ، وارجو أن لا يؤاخذه الله بما يحرك به الالم لسانه من غير روية وان لم يكن شرحا لظلامته ، ووسيلة للانتصاف من ظالمه ، وفي الحديث المرفوع « ان لصاحب الحق مقالا »

﴿ وكان الله سميعا عليما ﴾ اي كان السمع والعلم من صفاته الثابتة فلا يفوته تعالى قول من أقوال من يجهر بالسوء ، ولا يعزب عن علمه السبب الباعث له عليه، لانه لا يخفى عليه شيء من أقوال العباد ولا من أفعالهم ولا نياتهم فيهما ، فمن كان معذورا في الجهر بالسوء الذي لا يحبه الله تعالى لعباده لضرره ومفسدته فيهم بسبب الظلم فانه تعالى لا يؤاخذه ولا يعاقبه على جهره وربما أثابه على ما يقصد من رفع الضيم عن نفسه ، وارجاع الظالم الى رشده ، وإراحة الناس من شره ، لانه اذا لم يؤاخذ على ظلمه إياه يزداد ضراوة فيه واصرارا عليه ، اذا لم يكن من كرام الناس واتقيائهم الذين لا يقع الظلم منهم الا هفوات

﴿ ان تبدوا خيرًا أو تخفوه او تعفوا عن سوء فان الله كان عفوًّا قديرا ﴾ لما بين تعالى أنه لا يحب الجهر بالسوء من القول بغير عذر الظلم ، بين تعالى حكم

(١) الاطر في الاصل عطف الشيء . ومن المجاز اطرت فلانا على مودتك ، وفي الحديث « لا والذي نفسي بيده حتى تأخذوا على يدي الظالم وتأطروه على الحق »

إبداء الخير واخفائه سواء كان قولا أو عملا وحكم العفو عن السوء وعدم مؤاخذة فاعله به ، وهو أن فاعلي الخيرات جهراً أو سراً والعافين عن الناس الذين يسيئون اليهم يجزيهم سبحانه وتعالى من جنس عملهم فيعفو عن سيئاتهم، ويجزل مثوبتهم وكان شأنه العفو وهو القدير الذي لايعجزه الثواب الكثير على العمل القليل، واذا عفا فانما يعفو عن قدرة كاملة على العقاب بصيغة المبالغة من القدرة (وهي كلمة قدير) التي تدل على إجزال المثوبة وعلى الترغيب في العفو مع القدرة على المؤاخذة والا كان وضعها في هذا الموضع غير متفق مع بلاغة القرآن . واذا قال ملك أو امير لبعض عبيده أو رجال دولته : إن تعمل كذا من الاعمال المرضية فان عندي مالا كثيرا ، أو بيدي أعلى الاوسمة والرتب ، فان احدا لا يفهم من هذا القول انه يريد ان يجزيه على ذلك بدريهمات يرضخ بها له، او رتبة واطئة يوجهها اليه، او وسام من الدرجة الدنيا يحليه به ، بل يفهم من هذا كل من يعرف اللغة أن هذا الجزاء يكون عظيما . وانما ذهبنا الى ان كلمة (قديرا) قد افادت بوضعها هنا الدلالة على عظم الجزاء على العمل الذي رغبت فيه الآية ، وعلى استحباب العفو مع القدرة ، ولم نقصرها على الامر الثاني وحده كما فعل بعضهم لأن الاصل في الوعد بالجزاء أن يكون في كل آية أو سياق على جميع ما ذكر فيها من الاعمال وفي هذه الآية ذكر ابداء الخير وإخفائه والعفو عن المسيء فلا يصح ان يكون الوعد خاصا بالاخير منها

الاصل في الشر أن لا يفعل قولا كان ام عملا الا لضرورة كالجهر بالسوء ممن ظلم للاستعانة على إزالة الظلم، والاصل في الخير أن يفعل قولا كان أم عملا. واما المفاضلة بين ابداء الخير واخفائه فهي تختلف باختلاف العاملين والباعث على العمل وأثر الإبداء والإخفاء له ، فمن كان كامل الإيمان عالي الاخلاق لايخاف على نفسه الرياء لا فرق عنده بين إبداء الخير واخفائه من جهة نفسه فهو يرجح أحد الأمرين على الآخر بنية صالحة ، أو منفعة بينة، ومن ليس كذلك ينبغي ان يرجح الاخفاء حتى لايكون له هوى فيه . ومن بواعث الابداء قصد القدوة، ومن بواعث الاخفاء قصد الستر وحفظ كرامة من يوجه اليه الخير كالصدقة على الفقراء المتعففين

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة اسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متاخر السبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما اجبنا غير مشترك لمثل هذا. ولمن مضى على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

(تعدد صلاة الجمعة في البلد الواحد)

(س ٨) من السائل في الترنسفال

﴿ ياغياث المستغيثين اغثنا ﴾

ما قولكم دام فضلكم أيها العلماء الاجلاء في بلدة فيها جم غفير من المسلمين وهي دار حرب بعيدة عن بلد الاسلام اهلها عوام ضعفاء أصحاب حرف يتعيشون بها تحت سلطة الكفار وقهرهم مستحقين الرحمة والارشاد من اخوانهم المسلمين لاسيما علماؤهم يصلون صلاتهم الجمعة وغيرها في عدة مساجد متعبدين على مذهبين شوافع واحناف فالاحناف يصلون صلاة الجمعة في مسجدين مستقلين لوقوع النزاع والمضاربة بينهم والشوافع يصلون الجمعة في ثلاثة مساجد واحد في طرف البلدة والآخران في الطرف الآخر لتنافر قلوبهم والنزاع الواقع بينهم كما هو دأبهم اذا اجتمعوا تنازعوا طلبا للرياسة وغيرها مع انه اذا اجتمعوا كلهم لا يسع لهم مسجد وعلى قول ابن الحق لا تسع لهم المساجد كلها وقد دخل في تلك البلدة جماعة من العلماء ما بين شوافع وأحناف من منذ ثلاثين سنة وزيادة وحثهم على اجتماع على جمعة واحدة لكونهم في ذلك الزمن يصلون الجمعة في المساجد والبيوت فامتثل أهل البيوت وجمعوا مع أهل المساجد وعطلوا صلاتهم الجمعة في البيوت مع انهم كانوا شر ذمة وأولياء بالنسبة لاهل هذا الزمن الى ان ورد عليهم رجل فاضل صالح فاجتهد غاية الاجتهاد حتى جمع الشوافع على خطبة واحدة فكانت في البلدة خطبتان خطبة للشوافع وخطبة للاحناف غير ان الشوافع صاروا يصلون الجمعة في مسجدين كبيرين بالنوبة ودامت صلاتهم الجمعة هكذا أعني بالنوبة الا الآن الى ان حدثت فتنة عظيمة بين الشوافع واشتد

النزاع بينهم والمضاربة حتى رفعوا الامر الى الحكومة الانكليزية كما هو دأبهم كلما تنازعوا فاستقلت الطائفة المغلوبة بالجمعة فحصلت للشوافع جمعتان وهكذا وقع بين الاحناف وافترقوا على فرقتين فصارت في البلدة أربع جمع جمعتان للشوافع وجمعتان للاحناف ثم أنشأ الطرف الآخر البعيد جمعة للشوافع فجملة الجمع الواقعة الآن خمس ثم دخل علينا رجل من طلبة العلم وصلى معهم صلاة الجمعة ما ينوف عن ستة سنين ثم بعد ذلك حرم عليهم صلاة الجمعة وقال لهم صلاتكم الجمعة على تلك الحالة حرام عليكم وترككم اياها وذهابكم الى الشغل أولى وأنفع لكم من صلاة الجمعه وعدل عن استدلال أهل مذهبه واستدل بقوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة » الآية وقال لهم هذه الآيه تدل على ان صلاة الجمعة لا تكون الا واحدة فبناء على ذلك تكون جمعتكم كلها حراما جمعة الاحناف والشوافع فامتنع نصف أهل البلد من صلاتهم الجمعة معتقدين حرمتها عليهم ان لم تكن واحدة فهل ما أفتى به ذلك الرجل صحيح ام لا وما حكمه شرعا أفيدونا ولكم الاجر والثواب عند الملك الوهاب

(ج) ان ما أفتى به هذا الرجل غير صحيح والآية لاتدل عليه بل تدل على خلافه فان الله تعالى يأمر من يسمعون النداء للجمعة ان يسعوا الى ذكر الله أي صلاتها وهذا يأمرهم ان ينصرفوا الى أعمال الدنيا المحرمة في هذا الوقت . نعم اذا امكن اجتماع مسلمي البلد في مسجد واحد من غير مشقة ولا حرج وجب عليهم ان يجمعوا (أي يقيموا الجمعة) فيه على المعتمد المختار ، فان من مقاصد الشرع اجتماع المسلمين في هذه العبادة ليتعارفوا على الخير والتقوى ، ولكن لايقوم دليل على ان هذا شرط لصحة صلاتها كما يقول الشافعية . ولا خلاف بين هؤلاء وغيرهم من الفقهاء في صحة الصلاة في المساجد المتعددة للحاجة من غير اعادة صلاة الظهر بعدها ، والذي عليه العمل عندهم ان المساجد اذا تعددت لغير حاجة وجب اعادة الظهر لاترك الجمعة ، وفي ذلك نظر بيناه في المنار مرارا ولبعضهم فيه رسالة طويلة نشرناها في المجلدين السابع والثامن من المنار فمن أراد استقصاء البحث في هذه المسألة فليراجع هذين المجلدين وغيرهما من مجلدات المنار مستعينا على ذلك بفهارسها المرتبة على حروف المعجم . وهو يجد ذلك في حرف الجيم وحرف الصاد وكذا في حرف الباء عند كلمة البدعة وهي أول اسم الرسالة التي اشرنا اليها آنفا كما اتذكر الآن وأنا اكتب في السفر وليس معي من مجلدات المنار شيء

هذا وان من اقبح البدع ان يكون للشافعية مساجد خاصة بهم وللحنفية مساجد خاصة بهم ، فان هذا من التفريق بين المسلمين الذي هو شر سيئات التعصب للمذاهب . وقد ذم الله الذين اتخذوا مسجد الضرار بقوله (والذين اتخذوا مسجداً ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين) فقرن التفريق بين المؤمنين بالكفر . وهذا النوع من التفريق لم يحدث مثله في زمن الائمة بل ولا في الازمنة التي تقرب من أزمنتهم حتى بعد حدوث التعصب للمذاهب . وقد كان السلف الصالحون رضي الله عنهم يختلفون في بعض المسائل الدينية ويعرف ذلك بعضهم من بعض ولكنهم لم يتفرقوا في الدين لاجل اختلاف الاجتهاد بل كان يعذر بعضهم بعضا ويرحم بعضهم بعضا ويهتدون بقوله عز وجل (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) روي ان رجلا سأل الامام احمد – وكان يرى الوضوء من الحجامة – : أرأيت اذا احتجم الرجل ولم يتوضأ أأصلي وراءه أم لا ؟ فقال له : ويحك! أتأمرني ان انهاك عن الصلاة مع سفيان الثوري ومالك بن أنس ؟؟

وقد ذكر فقهاء الحنفية والشافعية الخلاف في هذه المسألة وعبروا عنها بقولهم : هل العبرة برأي الامام بحيث اذا كانت صلاته صحيحة في اعتقاده يجوز الاقتداء به ؟ أم برأي المأموم بحيث اذا كان يرى ان صلاة الامام غير صحيحة في اعتقاد نفسه لايقتدي به وان كانت صلاته صحيحة في اعتقاده (أي الامام) وجعلوها مسألة خلافية. واذا راجعنا سيرة الصحابة والتابعين وتابعي التابعين رأينا ان عمل السلف كلهم على ان العبرة برأي الامام ولذلك كان بعضهم يصلي مع بعض على ما كان من اختلافهم في نواقض الوضوء وامثالها وفي بعض شروط الصلاة ، فلا نترك سيرة السلف الصالح ومنهم أئمة الامصار في الفقه كالاربعة المشهورين وغيرهم لاجل نظرية بعض المتفقهة المتأخرين. ثم انهم كانوا يتساهلون في مسائل الخلاف الاجتهادية كما فعل أبو يوسف حين توضأ من بئر وقعت فيها فأرة وصلى فقيل له في ذلك ومذهبه ان الماء ينجس فقال نأخذ بقول اخواننا من أهل الحجاز « اذا بلغ الماء قلتين لايحمل الخبث » فنسأل الله ان يوفقنا جميعا للاقتداء بسيرة السلف الصالح

في العمل بكتاب الله وسنة رسوله (ص) من اقامة السنة وجمع الكلمة

***

﴿ قضاء الاستاذ الامام باجتهاده ﴾

(س ٩) من صاحب الامضاء بالعطف

(بسم الله الرحمن الرحيم)

فضيلة مولانا الأستاذ الفاضل الكامل السيد محمد رشيد رضا (متع الله المسلمين بوجوده)

السلام عليك ورحمة الله أما بعد فاني ممن يجل الاستاذ الامام جدا ويود من كل قلبه ان لا يذكر اسمه الا مقرونا بما يليق به من التجلة

بيد ان كثيرا ما أسمع مبغضيه يتشبثون بأنه كان يحكم بالقوانين الوضعية المخالفة للشريعة الغراء فأضيق ذرعا حيث أني مع تيقني براءة الاستاذ من أن يقدم على شيء قبل ان يعرف حكم الله فيه لا أجد لدي جوابا أقطع به السنة أولئك الشانئين

لهذا ارغب اليكم ان تنشروا جوابا شافيا على صفحات مناركم الاغر ذودا عن مقام الاستاذ ورحمة بهؤلاء الذين كلما رأوا من عليم شيئا يدق سره على افهامهم تسارعوا الى الوقوع في عرضه وإن كان من اساطين الملة ولي وطيد الامل أن يكون ذلك بأول عدد يصدر لا زلتم نبراسا للمسترشدين آمين كاتبه

تحريرا في ٢٠ ربيع الاول سنة ٣٣٠ احمد علي الطباخ بالعطف

(ج) كان الاستاذ الامام يحكم باجتهاده في جميع القضايا كما هو حكم الشرع في القاضي اذ الاصل فيه عن جميع الفقهاء ان يكون عالما أي مجتهدا ، واجاز الحنفية تقليد الجاهل (اي المقلد) القضاء للضرورة أو بقيد وجود مفت مجتهد يفتيه كما علل الحكم بعضهم بذلك (وليس لدي شيء من كتبهم أرجع اليه الآن وانا مسافر) وقد اشار الى هذا صديقه الفاضل حسن باشا عاصم (رحمهما الله تعالى) اذ قال في تأبينه وقد ذكر سيرته في القضاء : انه كان من القضاة الذين يطلق الافرنج على آحادهم قاضي العدل والانصاف لانهم لا يتقيدون بنصوص القوانين الحرفية .

ولهذا لم يحكم بالربا قط وخالف القانون في مسائل كثيرة تعذر عليه فيها التوفيق بين نصوصه وما اداه اليه اجتهاده ودينه ، وكان في مثل هذه المسائل يتوخى الصلح بين الخصمين فان لم يمكن حكم باجتهاده ، وقد شكاه بعض من كان يكرهه من وجهاء الشرقية الى مستشار الحقانية مبينا بعض المسائل التي خالف فيها القانون ، فسأله المستشار عن ذلك بينه وبينه من غير تحقيق رسمي فقال له الاستاذ في بدء الجواب : هل القانون وضع لاجل العدل ام العدل وضع لاجل القانون ؟ فقال المستشار : بل القانون وضع لاجل الاستعانة به على إقامة العدل . فقال الاستاذ ان جميع القضايا التي ذكرها الواشي قد حكمت فيها بالعدل الذي يستقيم به أمر الناس ، وفصل له ذلك بما أقنعه ، ولم يكن يثق بمثل هذا من غيره. هذا ما علمته منه رحمه الله تعالى ومن العارفين بسيرته ويعرفه له كبار القضاة الاهليين المختبرين، ولا يضر سيرة الاستاذ الامام طعن امثال من ذكرتم وقد طعن في الائمة قبله من هم خير منهم ، وقد روي عن ابي القاسم الجنيد شيخ الصوفية وامامهم رحمه الله تعالى انه قال لا يبلغ الرجل مقام الصديقين حتى يشهد الف صديق بانه زنديق

***

﴿ البابية ودين البهائية ﴾

(س ١٠) من طائفة – من طلبة المدارس العليا

جناب الاستاذ الفاضل

سلاما واحتراما ، وبعد فقد قرأنا في بعض الكتب الافرنجية الموضوعة حديثا أنه ظهر في بلاد العجم منذ ستين عاما رجل يقال انه هو المهدي المنتظر وبشر بمجيء نبي ويزعمون أن نبوته قد صحت فقد جاء رجل اسمه بهاء الله وآمن به خلق كثير من كافة الاديان وخليفته الآن هو ابنه عباس افندي نزيل مصر الآن فنرجو إيقافنا على حقيقة هذا المذهب الجديد وابداء رأيكم فيه بما انكم ممن يلجأ اليه في مثل تلك المسائل ولكم الفضل

(ج) البابية فرقة من الباطنية . والبهائية منهم يعبدون الرجل الملقب ببهاء الله. وقد بينا حقيقة أمرهم في مجلدات المنار الماضية، ولما جاء زعيمهم عباس افندي القطر

المصري عدنا الى الكلام في بيان حالهم وذكرنا نبذا تاريخية من سيرة سلفهم الاسماعيلية والقرامطة فراجعوا هذا في المجلد الماضي فان اشكل عليكم بعد ذلك شيء من امرهم فراجعونا فيه

ثم ان مسألة كون نبينا محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين والمرسلين على ثبوتها بنصوص الكتاب والسنة هي ثابتة بالعقل عند كل من يعرف حقيقة الدين الاسلامي و وجه حاجة البشر الى الدين مطلقا ، فان كتابه القرآن الحكيم وسنته في بيانه قد بينا للناس كل مايحتاجون اليه من أمر الدين في طور استقلال نوعهم ورشده بالعقل والعلم ، وقد كانت الاديان السماوية قبله موقتة كما بين ذلك المسيح عليه الصلاة والسلام في معرض البشارة به اذ قال مامعناه : انه لايمكن ان يبين لمن بعث فيهم كل مايحتاجون اليه ـ أي لعدم استعدادهم ـ وان الذي يأتي بعده هو الذي يبين لهم كل شيء لان الدين سار كالمخاطبين به على سنة الارتقاء ، وقد بين الاستاذ الامام هذا المعنى باجمال بليغ في رسالة التوحيد ، وذكرناه في المنار مرارا . وسنشرحه شرحا وافيا ان شاء الله تعالى في مقدمة التفسير التي تبين فيها كليات الاسلام بالتفصيل ووجه الحاجة اليها واكتفاء البشر بالاهتداء بها في الوصول الى منتهى الكمال البشري الممكن

(باب المقالات)

الجامعتان الاسلامية والعثمانية (*)

(١)

المسلمون أمة واحدة مؤلفة من شعوب وقبائل كثيرة مختلفة في المذاهب والأجناس واللغات ، والأقطار والحكومات ، لا تجمعها الا وحدة العقيدة وأخوة الايمان ، والعثمانيون امة واحدة مؤلفة من شعوب وقبائل كثيرة مختلفة في كل شيء حتى في الاديان والمذاهب لا تجمعها الا الوحدة العثمانية السياسية والوطنية اذ الممالك العثمانية كلها وطن عام لكل عثماني له في كل ولاية منها من الحقوق ما لاهلها ان

(*) نشرت هذه المقالة في مجلة سبل الرشاد التي تصدر في بغداد

شاء ان يقيم فيها ويجوز ان ينتخب مبعوثاً عنها وان لم يكن مقيما فيها (١) .

للاسلام مزية في المملكة العثمانية ليست لغيره من الاديان فقد صرح القانون الاساسي بان دين الحكومة العثمانية الرسمي هو الاسلام وان سلطان العثمانيين هو خليفة المسلمين ، وبهذا يكون للمسلم الاجنبي الذي يدخل المملكة العثمانية سائحاً أو مهاجراً حقوق لا يشاركه الاجنبي غير المسلم فيها ، لأن سلطان العثمانيين خليفته يجب عليه مراعاة أمره . وللعثماني غير المسلم من الحقوق في هذه المملكة ما لايشاركه فيه المسلم الاجنبي ، لأن جميع احكامها تنفذ عليه دون المسلم الاجنبي الذي يلجأ الى وكلاء دولته في البلاد العثمانية .

ويجب على الخليفة ان يساعد المسلمين على إقامة أمورهم الدينية ولاسيما الدعوة الى الاسلام والدفاع عنه اذا قامت به طائفة أو طوائف منهم ، ولا يجوز له ان يساعد غير المسلمين على مثل ذلك وان كانوا عثمانيين ، وانما عليه ان يحمي حريتهم الدينية ويمنع غيرهم أن يعتدي عليهم فيها حسبما قررته الشريعة الاسلامية العادلة .

ان من آثار عدل هذه الشريعة وحريتها ان غير المسلمين قد كانوا حتى في عصر الاستبداد الحميدي متمتعين بحريتهم الدينية والتعليمية على حين تصادر الكتب الدينية الاسلامية ويمنع طبعها ونشرها ، ولا يصادر ولا يمنع من كتبهم شيء ولا يوجد دولة اوربية تمنح المسلمين من حرية الدين والتعليم في بلادهم التي استولت عليها مثلما منحته الدولة العثمانية لليهود والنصارى في بلادها قديماً وحديثا ، فهي في هذا أوسع حرية من انكلترة التي تعد واسعة الحرية في ذلك بالنسبه الى فرنسة وروسية ، فهي لا تسمح لمسلمي الهند ان يعلموا اولادهم ويربوهم في المدارس والمكاتب كيفما شاءوا بلا مراقبة ولاسيطرة ، كما تسمح الدولة العثمانية لليهود والنصارى في مدارسهم ومكاتبهم . ولو انصفت دول أوربة لاعترفت لخليفة المسلمين بحق سؤالهن عن حرية المسلمين الدينية في ممالكهن وتحت حمايتهن ، كما يسألن حكومته عن معاملة النصارى من رعيته في امر دينهم ودنياهم ، انه ليس لملك من ملوك أوربة صفة دينية في ملته مثل صفة خليفة المسلمين ، ولكنهم قوم لا ينصفون .

ان الدول الأوربية المستولية على الملايين من المسلمين يوجسن خيفة من ذكر المسلمين لدولة الخلافة ومن دخول أي مسلم عثماني في البلاد التي يقيم فيها اولئك المسلمون لئلا يوجد بين احد منهم صلة او رابطة ما بالدولة وهن يعلمن أنها (اي

(١) المراد بعدم الاقامة بالفعل ولابد من الاقامة الرسمية بان يكون مقيداً في سجلات النفوس

دولة الخلافة) لا تسعى الى ذلك ، ولكنهن يسعين دائماً الى بث نفوذهن في بلادها بكل واسطة ، ثم إن جرائدهن تشكو من الجامعة الاسلامية وتشنع عليها وتدعو الى الحذر منها ونحن لا نشكو من دسائسهم وجدهم في بث نفوذهم في مكدونية وألبانية والاناطول والعراق وسورية وفلسطين — فهذه هي حقيقة الجامعة الاسلامية، من حيث علاقتها بالدول الأُوربية .

أما الدول والامارات الاسلامية فوجودها مناف للجامعة الاسلامية ، لان الاسلام يوجب ان يكون للمسلمين كلهم حكومة واحدة يرأسها إمام واحد يديرها بالشورى بين أهل الحل والعقد ، لا بالاستبداد ، ولكن بني أمية حولوا الحكومة الاسلامية في القرن الاول عن أساس القرآن وبنوها على أساس العصبية والقوة ، فصار كل صاحب عصبية قوية يؤسس لنفسه ملكا ، وصار ملوك المسلمين يحارب بعضهم بعضا لأجل توسيع دائرة الملك كما يحاربون الكفار بلا فرق، ثم تأرثت بينهم الاحقاد والاضغان ، ورسخت العداوة والبغضاء حتى صار بعضهم يعين الاجانب الطامعين في ملكهم كلهم على بعض ، وما استولت كل من انكلترة وروسية وفرنسة على عشرات الملايين من المسلمين الا بمساعدة المسلمين فليعتبر العقلاء بهذه الجامعة الاسلامية التي تتهمنا بها أوربة ونحن على نقيضها في تفرقة اسلامية سياسية تدعمها تفرقة اسلامية مذهبية .

مرت القرون الطوال على هذه الفرقة والعداوة ولم يظهر في المسلمين ملك عاقل ولا وزير محنك ولا زعيم مصلح يضع للحكومات الاسلامية المتفرقة نظاماً يربط بعضها ببعض في الامور الدينية والحربية مع حفظ استقلال كل منها في الامور الداخلية — لم يهتدوا الى هذا بنور بصيرتهم ولا وفقوا الى اقتباسه عن غيرهم وقد رأوا مثاله الصالح في الوحدة الجرمانية وكذا في الولايات المتحدة الامريكية . وقد قام في أواخر القرن الماضي المصلح الحكيم السيد جمال الدين الافغاني يحضهم عليه ، ويبين لهم وجه الحاجة بل الضرورة اليه، فكان جزاؤه من ملوكهم وامرائهم الاضطهاد، والنفي والابعاد ، ثم الاحاطة به في القسطنطينية، الى أن وافته المنية (رحمه الله تعالى وأحسن جزاءه) .

لو وفق رجال المسلمين لهذا لكان لهم مملكة (أو أمبراطورية كما يقال في عرف هذا العصر) جناحها الايمن حكومة مراكش على شاطىء القاموس الغربي (الاتلانتيك) وجناحها الأيسر حكومتا الافغان وايران وقلبها الحكومة العثمانية التي

كانت تكون منها — كبروسية في الوحدة الجرمانية — مركز السلطة العليا والقيادة العامة بل لو وفقوا لهذا قبل هذا العهد الاخير واتفذه مثل السلطان سليم ياوز الذي شعر بالحاجة اليه ولم يعرف طريقه لدخل في هذه الامبراطورية جميع ممالك الهند وتركستان والقوقاس وبخارى ونصف أفريقية الشمالي برمته ولكان أخذ بقية أفريقية وفتح كثير من الممالك الشرقية بعد ذلك أمراً ميسوراً . فكر السلطان سليم في وجوب جعل الممالك الاسلامية كلها مملكة واحدة ولكنه كان مخلوقاً من طينة الحرب وشديد الضراوة بسفك الدم فرأى أن ينفذ ذلك بحد الحسام ، ولم يخطر في باله ما أشرنا اليه من النظام ، وماذا كانت عاقبة ذلك التفرق والانقسام ؟ استولت الدول الاوربية على أكثر الممالك الاسلامية حتى أنهم في هذين العامين اقتسموا مملكة ايران بالفتح السلمي ووضعوا به مملكة مراكش تحت الحماية الفرنسية برضاء سلطانها الجهول الغبي وتجرأوا على الدولة العلية ففتحوا عليها باب الفتح الحربي — فهذه هي حقيقة الجامعة الاسلامية من حيث علاقتها بحكومة المسلمين وان في ذلك لعبرة للمعتبرين.

**

وأما خبر الجامعة الاسلامية فيما بين المسلمين انفسهم فانا لا نزال نرى السواد الاعظم منهم في كل قطر من أقطار الارض يشعرون بالاخوة الاسلامية العامة ، فيسر بعضهم لما يصيب بعضاً من حسنة ، ويتألم لما يصيبه من سيئة ، واذا حل الشرقي منهم في أرض الغربي أو الغربي في أرض الشرقي يلقى من اخوانه المسلمين أهلا بأهل وجيراناً بجيران ، وكثيراً مايفضلون أخاهم الغريب على مثله الوطني . فان كان عالماً بالغوا في تعظيمه والتلقي عنه ، وان كان تاجراً تسابقوا الى ترويج تجارته ، وان كان سائحاً تباروا في إكرامه وضيافته ، وان كان فقيراً لم يقصروا في بره ومسوته ، كان يكون هذا بين الافراد ، فسرى في هذا العصر الى الشعوب والامم ، فصار كل أهل قطر يهتمون بأمور اخوانهم العامة في سائر الاقطار على قدر حظهم من معرفة السياسة والشؤون العامة ، وهذا ماتراقبه دول الاستعمار وينظرن اليه بالمناظير المكبرة للصغير والمقربة للبعيد ، وهو لم يجاوز الشعور الروحي ، الا الى قليل من الاعانة المالية ، توجه الى الدولة العلية ، باسم دولة الخلافة الاسلامية

على ان هذه الاخوة الاسلامية لم تسلم من الآفات المفسدة ، والعلل المفرقة ، التي تحمل المرء على ان يفر من اخيه ، وأمه وأبيه، وعشيرته التي تؤويه، وأول هذه الآفات اختلاف المذاهب والتفرق في الدين المنافي لاصل الاسلام ، وكان أشد ضرراً اختلاف

أهل السنة والشيعة ، وهـذا الاختلاف والتفرق ينافي أصل الاسـلام المبني على الوحـدة والاخوة ، وقـد قال الله تعالى (الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء) وقال للمؤمنين (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا — الى ان قال — ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ماجاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم)

الاسلام دين التوحيد والالفة ، والاخوة والمحبة ، لامجال فيه للشحناء، ولا موضع فيه للعداوة والبغضاء ، وانما هي السياسة لبست لباس الدين ، ففرقت كلمة المسلمين ، كانت الشيعة في العصر الاول حزباً سياسياً ، لا مذهباً دينيا ، وقد كان الاسلام قائما على رأي هذا الحزب ان علياً المرتضى هو أحق بالخلافة من غيره ، ووجد من الانصار الكرام من قال نحن احق بهذا الامر من المهاجرين ، ومن قالوا: منا أمير ومنكم أمير ، ومن كان يرى ان أبا بكر الصديق أحق بالامر ، وقد غلب رأي هؤلاء وحزمهم ، ولما كان الاسلام يومئذ قائما على صراطه لم يحدث هذا الخلاف تفرقاً في الـكلمة ولا شقاً للعصا ، لان جمهور أهل الحل والعقد من أهل الصدر الاول وهم علماء الصحابة والسابقون الاولون منهم رضي الله تعالى عنهم ، كانوا يعلمون انه ليس بعد الـكفر ذنب أضر ولا أقبح من التفرق والاختلاف ، وان من يرى انه أحق بالامر اذا تركه لمن هو حقيق به يكون أولى من مطالبته به مطالبة تفضي الى التفرق والاختلاف . لهذا كان علي أشد نصير وظهير لابي بكر ومن بعده ، فيما يرى حزبه انه هو أولى به ، فهلا سار المتأخرون من شيعته على هديه والتأسي بعمله ؟ انهم لم يفعلوا ، ولماذا لم يفعلوا ؟ انما سبب ذلك السياسة ودسائس المجوس وجمعياتهم السرية التي كانت تعمل على محو الاسـلام لازالة سلطان العرب الذين أزالوا ملكهم

كان بين الفرس والعرب قبل الاسلام عداوات وحروب ومفاخرات يحقر بها كل منهما الآخر ويفضل جنسه على جنسه ، ولذلك مزق كسرى كتاب النبي صلى الله عليه وسلم دون سائر الملوك الذين دعاهم (ص) الى الاسلام فدعا عليه بأن يمزق الله ملكه ، وكان أبو بكر هو الذي جهز الجيش لقتال الفرس وتم فتح بلادهم في خلافة عمر في أقرب وقت اجابة لدعوة النبي (ص) فعظم ذلك على القوم ورأوا ان الاسلام قد أعطى العرب قوة من الوحدة والعقيدة لاتقاوم بقوة مثلها فلجئوا الى الحيل والدسائس لافساد أمر الاسلام وتفريق كلمة العرب فألفوا الجمعيات السرية

لذلك ، واظهر كثير منهم الاسلام لاجل تنفيذ مقاصدهم ، فأول شيء فعلوه هو قتل الخليفة عمر فاتح بلادهم وجامع كلمة المسلمين بسياسته الحكيمة وعدله الشامل، ووجدوا لتفريق الـكلمة مجالا واسعاً وهو الخلاف في أمر السلطة والحكم ، واتسع لهم الميدان عند ماصار الامر في يد بني أمية ولاسيما المجاهرين منهم بالفسق، والمسرفين في سياسة الظلم ، كيزيد وكثير من بعده ، فكان أكثر المسلمين في باطنهم من شيعة آل علي وهم آل رسول الله (ص) لما كانوا عليه من الصلاح والتقوى ، فصارت جمعيات المجوس تبث في نفوس الناس الغلو في تعظيم علي وآله وحبهم ، وفي تحقير أعدائهم وبغضهم، ونظموا الخلفاء الثلاثة وكبار المهاجرين الاولين مع فساق بني أمية وظلمتهم في سلك أعدائهم ، وانتهوا في ذلك الى تكفيرهم ، والتقرب الى الله تعالى بسبهم ولعنهم ، ومن غلا في تعظيم شيء أو شخص غلا في تحقير ضده وخصمه ، وذهب في ذلك الى غير غاية

وكان للمجوس في ذلك عـدة مقاصد يتوسلون بها الى غايتهم من افساد دين الاسلام وازالة ملك العرب (احدها) تشكيكهم في اصـل الدين بزعمهم ان جمهور الصحابة (رض) قـد ارتدوا عن الاسلام وحرفوا القرآن وحذفوا كثيراً منه ، وقد راجت دسيستهم هذه في سوق جهلة الشيعة وغفلوا عن كونها تتضمن الطعن في امير المؤمنين علي كرم الله وجهه فانه لا يشك احد منهم ولا من سائر المسلمين انه كان يحفظ القرآن كله ، فلماذا لم يظهره ولو في مدة خلافته، ولم يقاتل عليه كما قاتل معاوية على ماهو دونه ، وهو هو الذي لايخاف في الحق احداً ولايخشى في الله لومة لائم

(ثانيها) نقض عرى الاسلام عروة عروة، وهدم أركانه ركناً ركناً، بزعمهم ان له ظاهرا وباطنا ، وان معرفة باطنه الذي هو مراد الله من عباده لا يمكن ان يؤخذ إلا عن ائمة اهل البيت المعصومين ، ووضعوا لذلك أصول مذهب الباطنية أو دين الباطنية الذي يتدرجون به من القول بعصمة الائمة الى القول بألوهيتهم الى الالحاد وانكار النبوة البتة ، وقد راجت هذه الاضاليل عند بعض غلاة الشيعة فظهر منهم الاسماعيلية والقرامطة والنصيرية وآخر فرقهم البابية البهائية وغير البهائية وكلهم يعبدون البشر من دون الله

(ثالثها) تأسيس ملك باسم بعض أئمة آل البيت ، قوته وعصبيته من الفرس

ومن يستجيب لدعوتهم من سائر المسلمين ، والتوسل بذلك الى ازالة الملك من العرب ثم تحويله الى الفرس

ومن آثار عناية الله تعالى بالاسلام انه لم يكن لأولئك الجموع من الكائدين جهة وحدة تجعل عملهم يمد بعضه بعضاً ، فاهتدى طلاب الملك من العباسيين الى مقاصد السياسيين منهم فسخروهم لخدمتهم وحولوهم عن العلويين حتى اذا ما ظفروا بالامر فتكوا بالزعيم الفارسي العظيم ابي مسلم الخراساني ، ثم فتك الرشيد بالبرامكة الذين سلكوا في الكيد طريقا آخر . وكان الاسلام ينتشر في الفرس بقوة نوره من جهة وقوة استعدادهم له من جهة أخرى فصار أكثر الفرس من المؤمنين الصادقين نتآخوا مع العرب بالاخاء الصحيح لغلبة الدين على السياسة ، وانتشرت دعوة الباطنية الكفرية في غير بلاد الفرس وقام بها أئمة راجت في بلادهم فتأسست دولتهم في المغرب وظهرت في مصر شيعية في الظاهر كفرية في الباطن ، ثم قضت عليها الدولة الايوبية ، ولم يبق منها الا مثل ما كان في الشرق من الدعوة الخفية . وصارت الشيعة الظاهرية مذهباً دينياً ، بعد ان كانت حزباً سياسياً ، فأكثرهم وهم الامامية الاثنى عشرية لا يتوسلون بمذهبهم الى اقامة امام علوي لان الامام الثاني عشر من أئمتهم قد اختفى وهم ينتظرون ظهوره بالخوارق والتأييد الالهي قرناً بعد قرن فلا يستعدون لذلك بشيء ، ويرى بعض السياسيين ، ان هذا كان بدسيسة من العباسيين . واقل فرقتي الشيعة الظاهرية الكبريين عددا وهم الزيدية ما زالوا يقيمون لهم اماما علوياً زيدياً بالانتخاب ، وقد قاتلتهم الدولة العلية على ذلك فكانت الحرب بينهما سجالا منذ أربعة قرون الى أن وفقهم الله في العام الماضي للصلح والاتفاق

ويجمل القول في مسألة شيعة علي وآله عليهم الرضوان والسلام انها كانت حزباً سياسياً كان عدده قليلا مدة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ثم كثر حتى صار السواد الاعظم من المسلمين على حب الآل وتفضيلهم منذ صار الملك في بني أمية ، ولكن الملك لم يعد منوطا بالحب والاعتقاد بل بالبراعة في تكوين العصبية ، وبذلك انتقل من الامويين الى العباسيين والفاطميين وملوك الطوائف ولو كان المجوس الذين بثوا دسائسهم في الشيعة مجمعين على جعل السلطة في آل البيت لقدروا ولكنهم كانوا مذبذبين لان لهم غرضاً آخر

ولما صارت الشيعة مذهبا دينيا فشا فيهم اعتقاد ان كل من ليس على مذهبهم فهو خصم لآل البيت وعون على إضاعة حقهم في الخلافة ، وبهذا صار التفرق بين هاتين

الطائفتين من المسلمين ، مدعوما بشبهات من الدين ، وصارت السياسة تذكي نارها كما وقع بين العثمانيين والايرانيين ، ولم يقم من علماء المسلمين احد يبحث عن الحقيقة بالاستقلال والانصاف ويبين للفريقين بالحجج الناهضة حقيقة الامر وأنه لا موجب ولا مسوغ للعداوة وان هذا التفرق مفسدة للدين ، ومضعف لجميع المسلمين ، ولا فائدة فيه الا لذة بعض الملوك والأمراء الجائرين .

وقد آن لنا الآن أن ندرك ذلك وننفض النظر عن الماضي كيفما كان ، ويعذر بعضنا بعضا في رأيه واعتقاده ، ونجعل الخلاف فيه كالخلاف في مسائل الفنون اللغوية ، والعلوم الرياضية والكونية ، لا يوجب تفرقا ولا عداوة ، كما كان سلفنا الصالح حتى في فهم المسائل الدينية ، ثم نتحد على رفع عدوان العادين على ديننا وسلطتنا ، والساعين الى استعبادنا واستذلالنا ، الذين بثوا الدعاة لتنصير كل مسلم من سني وشيعي ، وعقدوا المحالفات لازالة الملك الايراني والعثماني ، وهم مختلفون في المذاهب كاختلافنا بل اشد من اختلافنا ، ولكنهم متحدون في المصالح المشتركة بينهم والضارة بنا ، فعلام تتفق الأمم والدول علينا ونحن لانزال مختلفين ، وكتابنا ينطق علينا بالحق مبيناً لنا ان الاختلاف والتفرق من صفات الاشقياء المخذولين ، والوفاق والاتحاد من صفات الموفقين المرحومين ؟ (ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك) .

(الآفة الثانية من آفات الجامعة الاسلامية ، عصبية الجنسية الجاهلية) ألف الاسلام بين جميع المهتدين به من العرب والعجم ، بل وضع اساس الوفاق بين جميع الشعوب والامم ، وقد كانوا يتعادون بعصبية النسب القريب ، وان جمعتهم اللغة والوطن والنسب البعيد ، فلم تكن العداوة بين العرب والفرس ، الا دون العداوة بين الاوس والخزرج ، فأنزل الله تعالى (يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم) ومما بينه النبي صلى الله عليه وسلم للناس في حجة الوداع وامر أن يبلغه الشاهد للغائب ان لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي الا بالتقوى ، ولهذا كان المؤمنون في الصدر الاول اخواناً وظلت هذه الاخوة بينهم سبباً لنمو الاسلام وانتشاره عدة قرون على ما كان يدس في بلادهم من دسائس الزنادقة والمنافقين ، فلم يكن العرب يغمطون حق المبرز في العلم من العجم ، ولا يستنكفون ان يأخذوا عنه ويفضلونه على من دونه ، ولا يألون ان يرفعوه الى مقام الرياسة والامامة لعلو مقامه ، فتذكر مقام ابي حنيفة في الفقهاء والبخاري في المحدثين ، وسيبويه في النحاة ، والزمخشري في البلغاء والمفسرين ،

ثم تذكر مقام الوزراء من العجم عند الخلفاء من العرب، ثم مقام الملوك الاعاجم من السلاجقة والاكراد والترك العثمانيين ومن قبل العثمانيين ، وناهيك بنور الدين وصلاح الدين ، الذين نعدهم في الدرجة التي تلي درجة الخلفاء الراشدين

ثم لما زاد ضعف الاسلام وجهل اهله به ، وانحرافهم عن صراط هدايته ، حدثت فيه بدعة العصبية الجنسية واللغوية ، وكان اشدها قبحاً واخشاها عاقبة ما كاد يتفاقم من التغاير بين الترك والعرب العثمانيين وهما ركنا الدولة وقوامها ، لولا ان تداركه بعض العقلاء ، وبين خطر مغبته النصحاء ، ثم فطنت الحكومة لوجوب تلافيه ، وعدم الاستهانة به .

واني ارى ان ما سرى الينا من الآراء والافكار الاوربية في السياسة ونظام الاجتماع التي لا تصلح لنا ، ولا نشبه فيها غيرنا ، هو الذي زين لمقلدة الافرنج بغير هدى ولا بصيرة ان يتعصبوا لقومهم الذين تجمعهم اللغة تعصباً يحل رابطة الاخوة بينهم وبين اخوانهم في الجامعة الدينية أو الجامعة الاسلامية أو يضعفها ، وأرى ان ساسة الافرنج الطامعين فينا هم الذين يزينون لتلاميذهم منا أن يعملوا لهذه العصبية عملها ، وان يجعلوا نهضتهم الاجتماعية نهضة قومية، جنسيتها وجامعتها لغوية ، لا دينية ولا سياسية . ولولا هذا لما قام مسلمو الالبانيين بتدوين لغتهم بالحروف اللاتينية وطالما بينت في مجلتي (المنار) مخالفة العصبية الجنسية لهدي الاسلام وحذرت منها .

وقد رأيت في سياحتي في الهند ان مسلمي الهند ابعد الناس عنها ومن اقواهم شعورا بالجامعة الاسلامية المضادة لها . اذا كانت هذه البدعة الاوربية قد رسخت في بعض الشعوب الاسلامية حتى صاروا يرون انه لا بد لهم منها فعليهم ان يتقوا ضررها فلا يتعدوا فيها السعي والاجتهاد في ترقية قومهم ، الى التقصير في احكام الروابط التي تربطهم بغيرهم : فلا ينسى الالباني (مثلا) ما يجب عليه من الحقوق الدينية لاخوته المسلمين، وهو ما اشرنا في هذا المقال اليه ونوهنا به، ولا ما يجب عليه من الحقوق السياسية والاجتماعية لاخوانه العثمانيين ، وهو ما سنشير اليه في القسم الثاني من هذا المقال ونحث عليه . بل يجب عليه قبل كل شيء ان لا ينسى حقوق الدولة العلية التي لا حياة له الا بحياتها ولا عزة له الا بعزتها ولا شرف له الا بشرفها بل اقول منذ الآن انه يجب على كل شعب عثماني يجد ويجتهد في ترقية نفسه أن يقصد بذلك ترقية دولته وان يشعر نفسه دائما انه عضو منها وانه لا حياة له الا بامدادها والاستمداد منها .

(الآفة الثالثة من آفات الجامعة الاسلامية نزغة الوطنية الشيطانية) واعني بهذه الوطنية مابثته بعض جرائد الحزب الوطني بمصر وهي وطنية مذبذبة تنافي اخوة الاسلام لانهم يعدون بها المسلم الذي يقيم بمصر دخيلاً لايشرفونه بلقب المصري ولا يساوونه بالمصريين، ولا يرضاها القبط الذين هم من سكنة مصر الاولين، ولا غيرهم من المهاجرين العثمانيين ، وقد اثرت وساوس تلك الجرائد في نفوس بعض قرائها الذين يحسنون الظن بكل مايكتب فيها فصاروا ينفرون من الغريب وان كان مسلماً قرشياً محباً لمصر واهلها ولحبها وحبهم اختارها على بلاده وجعلها وطناً له ، ونحمد الله ان وقى من نفثاتهم السامة السواد الاعظم من المصريين فلا يزال الشعور بالجامعة الاسلامية يقوى وينمى فيهم فتراهم على مشرب الانصار الكرام يحبون من هاجر اليهم ويهتمون بامر اخوانهم المسلمين البعداء عنهم . (شطر المقال الثاني ينشر في العدد التالي)

كتب في بغداد باقتراح واليها جمال بك

نظرة في الجزء الثاني (*)

﴿ من كتاب تاريخ آداب اللغة العربية ﴾

« لحضرة الفاضل جرجي افندي زيدان »

يتفق جمهور القراء بمصر على ان حضرة الفاضل جرجي افندي زيدان من أعظم الكتاب نشاطا واجتهاداً ، وأسرعهم ترجمة وتأليفا ، وأكثرهم قصصاً وكتبا ، غير انهم لا يتفقون على ان هذه القصص والكتب محررة العبارة مضبوطة الرواية محققة الوقائع مصححة الاحكام .

وأنا مع جمهور المتفقين في الأمر الأول ، ولست مع كل المخالفين في الأمر الثاني ، وانما انا مع من ينصف الرجل فلا أجحد فضله وتحبيبه المطالعة الى كثير من طلاب العربية بكتبه السهلة التناول، وان كنت أمقت تهوّره واستهتاره في أمور . ولو أتيح لكل كتاب من كتبه ناقد منصف يعلن للملأ مازل به قلمه لتحترز القراء من الوقوع في خطئه ولا نتفعوا بصوابه ، كما ينتفع المؤلف ايضا بذلك بتصحيحه عند

(*) بقلم الاستاذ الشيخ أحمد عمر الاسكندري

اعادة طبعه أو بالحاق جدول تصحيح به أو بالضرب على الخطأ بالسواد كما فعل في بعض مواضع من هذا الكتاب الذي سنبحث في بعض مشتملاته الآن

وأظن المؤلف لا يأنف من قبول ذلك النقد، فطالما دعا اليه الكتاب، وقل من اجاب، لأن الكتاب على قلتهم في شغل شاغل بمصالحهم، وأعمال وظائفهم، عن ان يعنوا بمصالح غيرهم، اللهم الا بعض نفر اذا وجدوا من وقتهم فرصة اختلسوها في سبيل المصلحة العامة.

وهذا ما أغرى فريقا من الطلبة والاخوان في هذه العطلة المدرسية بأن أثقفهم على رأيي في هذا الجزء حتى اذا قرأوه هم او من يريد الاستفادة من كل كتاب جديد كانوا على بينة من موضع الشبه فيه فاخترت العافية وطويت عن طلبهم كشحا اجماما لنفسي وترفيها لصحتي وايثاراً لحفظ المعرفة بيني وبين المؤلف، ولكن قاتل الله الالحاح فانه انساني هذا كله. ـ وقرأت الكتاب فوجدته ككل كتاب حديث في بابه لا يخلو من سمين وغث وسمينه اكثر من غثه، وذلك ما نحمد عليه المؤلف ونحث القراء على مطالعة تأليفه مع لفتهم الى آراء النقادين والمقرظين فيه

أما ما رأيته من الصواب والخطأ حسبما استطيع فسأذكره مجملا معددا كمسائل لفهرست كتاب رفعا لملل التطويل عن نفسي وعن القارئ

غير سالك في التقريظ مسلك الذين يجدر بهم ان يكونوا أجراء لشركة الاعلانات ولا ناهج في النقد منهج الذين تنطبق عليه المادة (٢٦١ و٢٦٢) من قانون العقوبات ولكن قصدا بين الطرفين وتوخيا لكلتا الحسنيين

وصف الكتاب في الجملة

الكتاب في ذاته حسن الطبع والورق، سهل العبارة، قصير المقدمة، كثير الابواب والاقسام والعنوانات، قريب الاستطراد، مختصر التراجم، متشابه المقالات المفتتح بها كل عصر من العصور أو كل مبحث من المباحث المختلفة، خال من الكلام في الخطابة والخطباء مع تيسر ذلك في العصر الاول من الدولة العباسية، قليل الاستشهاد جدا على أحوال الكتابة والكتاب، كثير النقل عن مستعربي الافرنج من غير تمحيص لدعاواهم، فيه كثير من صور فلاسفة اليونان ونقلة السريان وصور خيالية لخرافات أهل القرون الوسطى من الافرنج في حروب الاسكندر المقدوني وتمثيل حداد

عاشوراء بايران في العصر الحاضر وصور خيالة لبعض المراصد والآلات وصور لابن سينا ومعمل الرازي وصورة سفينة عربية وغير ذلك مما يزيد القارئ ولوعا بالمطالعة، والكتاب بهجة وزينة

محاسن الكتاب ومزاياه

اذا قصدنا الى ذكر مزاياه فليس ذلك أن نستقصي كل صواب فيه ونذكره فان ذلك يخرج بنا الى تأليف كتاب آخر لا يقل عن نصف كتاب المؤلف وانما نقصد الى بيان محاسن الكتاب ومزاياه في الجملة، والذي يهم القارئ والمؤلف ان يبين موضع الضعف والخطأ في الكتاب ليتنبه له كلاهما فمن هذه المحاسن والمزايا

(١) سهولة عبارة الكتاب فلا تمتنع على أي طبقة من الطبقات

(٢) كثرة تناوله للمباحث المقصودة الآن عند الاوربيين والمصريين من آداب اللغة بالاضافة الى أي كتاب طبع الى الآن في آداب اللغة العربية

(٣) عناية المؤلف فيه بذكر كتب المؤلفين ومظان وجودها وأماكن طبعها ناقلا أكثر ذلك عن كتاب بروكلمان الالماني مما يتعذر على غير عارف باللغات الاجنبية معرفته خصوصا فن أحوال الكتب الذي للأوربيين فيه القدح المعلى وان لم يكن من اغراض ابواب اللغة الاساسية هذا مع شك في صحة كل ذلك

(٤) تعريفه القارئ في أكثر المواضع بالكتب التي تعرضت لها بنوع من التوسع

(٥) تذييل الكتاب بالمراجع التي نقل المؤلف عنها نصوص عباراته وان لم يراع في ذلك الضبط وبيان نوع طبع الكتاب المكرر الطبع

(٦) حسن طبع الكتاب وجودة ورقه

الامور التي تؤخذ على الكتاب

يكفي القارئ أن أذكر بغاية الاختصار بعض هذه الامور فاذا شاء أو شاء المؤلف فضل ايضاح لبعض المباحث فصلته تفصيلا

ويمكن توزيع هذه الامور الى الانواع الآتية:

(١) الخطأ في الحكم الفني. أي تقرير غير الحقيقة العلمية سواء كان ذلك بقصد من المؤلف أم بغير قصد

(٢) الخطأ في الاستنتاج . وهو ما يعذر فيه المؤلف لانه اجتهاد من عند نفسه فان أصاب فله الشكر وان أخطأ فمن ذا الذي ماساء قط

(٣) الدعوى بلا دليل وهو ما يقرره المؤلف من غير تدليل عليه وقد يكون في ذاته صحيحا ولكن في سوقه ساذجا مجالا للشك

(٤) الخطأ في النقل وهو آت من تصرف المؤلف في عبارات المؤلفين بقصد اختصارها أو من تسرعه في الجمع وقلة مراجعة الاصول

(٥) قلة تحري الحقيقة بمراجعة الكتب المعتبرة والتواريخ الصادقة ووزن كل عبارة بميزان العقل والانصاف وقياس الامور باشباهها بل كثيراً ما تروج عند المؤلف اقوال الخصوم في خصومهم وأقوال الكتب الموضوعة لاخبار الجان أو لذكر عجائب الامور وغرائبها

(٦) تناقض بعض اقوال الكتاب

(٧) الاختصار في كثير من التراجم والمباحث واهمال ماليس من شأنه ان يهمل

(٨) ادخال ما ليس من موضوع الفن فيه لغير مناسبة او لمناسبة ضعيفة جدا

(٩) الاستدلال بجزئية واحدة على الامر الكلي وهو كثير الحصول في جميع كتب المؤلف وفي اكثر استنتاجاته ودعاواه

(١٠) تقليد المستشرقين في مزاعمهم او نقلها عنهم من غير تمحيص

(١١) اضطراب المباحث وصعوبة استخراج فائدة منها لاختلال عبارتها أو لعدم صفاء الموضوع للمؤلف

(١٢) اضطراب التقسيم والتبويب إما بذكر المباحث في غير موضعها واما بعد رجال عصر في عداد رجال عصر آخر وربما زاد المؤلف عن ذلك بعد رجال فن في رجال فن آخر

(١٣) التحريف واللحن وهما كثيرا الشيوع في جميع كتب المؤلف مع سهولة الاحتراز عنهما بمراجعة الاصول عند التأليف والطبع واستئجار احد المصححين العالمين بقواعد العربية

(١٤) تهافت المؤلف على تطبيق قانون النشوء والارتقاء حتى في الامور التي فيها تدل وانحطاط لا نشوء ولا ارتقاء

(يتلى)

بشائر عيسى ومحمد (*)

﴿ في العهدين العتيق والجديد ﴾

٧

(البشارة الاولى) جاء في سفر التثنية ما يأتي ١٨ : ١٥ (يقيم لك الرب إلهك نبيا من وسطك من اخوتك مثلي له تسمعون ١٦ حسب كل ما طلبت من الرب إلهك في حوريب يوم الاجتماع قائلا لا أعود أسمع صوت الرب إلهي ولا أرى هذه النار العظيمة أيضا لئلا أموت ١٧ قال لي الرب قد أحسنوا في ما تكلموا ١٨ أقيم لهم نبيا من وسط اخوتهم مثلك واجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به ١٩ ويكون أن الانسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي أنا أطالبه ٢٠ وأما النبي الذي يطغى فيتكلم باسمي كلاما لم أوصه أن يتكلم به أو الذي يتكلم باسم آلهة أخرى فيموت ذلك النبي ٢١ وإن قلت في قلبك كيف نعرف الكلام الذي لم يتكلم به الرب ٢٢ فما تكلم به النبي باسم الرب ولم يحدث ولم يصر فهو الكلام الذي لم يتكلم به الرب بل بطغيان تكلم به النبي فلا تخف منه) فهذه البشارة صريحة جدا في محمد صلى الله عليه وسلم لانه لم يقم نبي مثل موسى ومن وسط اليهود ومن اخوتهم (بني اسماعيل (١)) غيره وكان أميا يوحى إليه القرآن فيحفظه ويبلغه للناس مصداقا لقوله (أجعل كلامي في فمه) وكان

(*) تابع لما نشر في الجزء التاسع ص ٦٥١ بقلم الدكتور محمد توفيق صدقي

(١) لان العم كالاب تماما فأبناؤه يسمون بلا شك اخوة لهم (راجع شواهد ذلك في ص ٤٥) ومن ذلك تسمية أبناء عمهم (عيسو) أخوة لهم كما في (تث ٢ : ٤ و ٨) ولو كان المراد بهذه البشارة المسيح لقال أقيمه منكم أو من نسلكم أو من بنيكم لا من اخوتكم

مأمورًا بجهاد أعدائه فانتقم الله له ممن لم يسمع كلامه منهم وحفظه الله تعالى فلم يقتله أحد وصدقه فيما أخبر به عنه بوقوعه وحدوثه وأمثلة ذلك كثيرة في القرآن الشريف كانتصار الروم على الفرس ونصر المؤمنين على الكفار في نفس ذلك اليوم (٣٠ : ١ ـ ٦) ودخول المسلمين مكة بعدما طردوا منها (٤٨ : ٢٧) وارتداد بعض الناس بعد النبي (٥ : ٥٤) وانقلاب المشركين وانهزامهم (٥٤ : ٤٤ و٤٥) وحفظ النبي وعصمته من اعدائه واهلاك المستهزئين به (٢ : ١٣٧ و١٥ : ٩٤ ـ ٩٦ و٥ : ٦٧) واستخلاف المؤمنين في الارض (أي جعلهم خلفاء) وتمكين الدين لهم وإسكانهم فيها آمنين مطمئنين بعد الضعف والخوف الشديد (٢٤ : ٥٥) واخباره بحفظ القرآن من الضياع ومن التحريف والتبديل (١٥ : ٩) وبعجز العرب وغيرهم عن الاتيان بسورة واحدة مثل سوره (٢ : ٢٣ و٢٤ و١٧ : ٨٨) وبتمام دينه قبل موته وظهوره على غيره وبقائه الى يوم القيامة (٩ : ٣٢ و٣٣) وبظهور الدلائل الكونية في العلوم الحديثة وغيرها التي تؤيد نصوص دينه (٤١ : ٥٣) واخباره بدعوة المخلفين من الاعراب الى حرب بعد وفاته (٩ : ٨٣ قارنها بسورة ٤٨ : ١٦) وتبشيره المؤمنين بالنصر في واقعة معينة عندهم (هي خيبر) وأخذهم الغنائم الكثيرة منها فكان ذلك مع أنهم سبق لهم الانكسار في بعض وقائع سابقة غير هذه (٤٨ : ١٨ ـ ٢٢) والاخبار بأن النبي سيبقى نسله وأما مبغضه (وهو شخص معين اسمه العاص بن وائل) فسيكون أبتر (سورة ١٠٨) واخباره بتجنس الامم بالجنسية العربية كما سبق (٦٢ : ٣) الى غير ذلك مما أنبأ به قبل وقوعه وصدقه الله فيه هذا عدا ما في أحاديثه من المغيبات العجيبة العديدة (ما مر من الارقام هو لسور وآيات قرآنية)

ومن كان محبا للبحث والاطلاع فعليه بكتاب (حجة الله على العالمين في معجزات سيد المرسلين) يجد من ذلك شيئا كثيرا . والأحاديث الاسلامية هي أصح من غيرها لقرب عهدها وكثرة رواتها وعدم انقطاع سندها بحوادث جارفة أو ارتداد عام كما حصل لليهود والنصارى في أزمنة اضطهاداتهما ولكون المسلمين في تلك الازمنة كانوا ممتازين عن غيرهم بالعلم والعرفان والقوة والحياة حتى وجد

بينهم علم النقد العالي في الحديث والتمحيص الدقيق فيه قبل أن تعرف ذلك أمة من أمم العالم قاطبة وكان فيهم ألوف من العلماء المحققين منذ نشأتهم وكان العلم والكتب منتشرة بين عامتهم ولم توجد عندهم رئاسة دينية تحظر عليهم الاطلاع بأنفسهم على كتبهم الدينية كما كان عند النصارى قبل الاصلاح البروتستنتي ولذلك قال بعض علماء الافرنج إن الاسلام هو الدين التاريخي الوحيد يعني أصح الاديان من الوجهة التاريخية

وإنما قلنا إن محمدا صلى الله عليه وسلم قام من وسط اليهود لأن المدينة التي فيها عظم أمره وكمل شأنه وتم دينه كانت محاطة بأراضي اليهود كأهل خيبر وبني قينقاع والنضير وغيرهم وهي التي تحصن فيها كثير منهم بعد حادثة (طيطس) الروماني

وكان اليهود في زمن المسيح عليه السلام ينتظرون نبيا آخر غير المسيح بشرهم موسى عليه السلام به كما يدل على ذلك ما ورد في انجيل يوحنا (١ : ١٩ ـ ٢٥) (وهذه هي شهادة يوحنا حين أرسل اليهود من أورشليم كهنة ولاويين ليسألوه من أنت ٢٠ فاعترف ولم ينكر وأقر أني لست أنا المسيح ٢١ فسألوه إذا ماذا . إيليا أنت ؟ فقال لست أنا . النبي أنت ؟ فأجاب لا ـ إلى قوله ـ ٢٥ فسألوه وقالوا له : فما بالك تعمد إن كنت لست المسيح ولا إيليا ولا النبي) فمرادهم بالنبي هنا هو المذكور في سفر التثنية وهم كانوا يفهمون من كتبهم أنه غير المسيح فلذا سألوا ما سألوا

وجاء في سفر الاعمال أن بطرس قال (أع ٣ : ١٩) (فتوبوا وارجعوا لتمحى خطاياكم لكي تأتي أوقات الفرج من وجه الرب ٢٠ ويرسل يسوع المسيح المبشر به لكم من قبل ٢١ الذي ينبغي أن السماء تقبله إلى أزمنة رد كل شيء التي تكلم عنها الله بفم جميع أنبيائه القديسين منذ الدهر ٢٢ فان موسى قال للآباء إن نبيا مثلي يقيم لكم الرب إلهكم من اخوتكم له تسمعون في كل ما يكلمكم به) فأزمنة رد كل شيء التي تكلم عنها الله بفم الانبياء جميعا هي أزمنة محمد صلى الله عليه وسلم التي فيها يبقى المسيح في السماء على قولهم حتى تنتهي ولا يصح أن تكون عبارة موسى هذه بشرى بمجيء المسيح الأخير فان هذا المجيء هو للدينونة والجزاء كما يزعمون . وشريعة محمد صلى الله عليه وسلم تشبه شريعة

موسى فلذا سمى أزمنته (أزمنة رد كل شيء) فكأن الشريعة العيسوية كانت تمهيدا لاتيان الشريعة المحمدية الكاملة التي تشمل العدل والفضل وردت الدين إلى رونقه القديم رونق التوحيد والتنزيه والاحكام الالهيه بعد أن شوهوه بالشرك والتشبيه والاباحة ونقضهم ناموس موسى كما بينا

(البشارة الثانية) بشارة عيسى عليه السلام بالفارقليط وهي مشهورة في انجيل يوحنا في الاصحاح الرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر ومن شاء زيادة ايضاح فعليه بكتاب (إظهار الحق) (ايو ١٤ : ١٥ - ١٨ و ١٥ : ٢٦ و ٢٧ و ١٦ : ١٢ - ١٦)

وإنما لنا هنا كلمة عن الفارقليط وهي : هذا اللفظ يوناني ويكتب بالانكليزية هكذا (Paraclete) بارَ قليط أي (المعزي) ويتضمن أيضا معنى المحاج كما قال پوست في قاموسه وهناك لفظ آخر يكتب هكذا (Periclyte) ومعناه رفيع المقام . سام . جليل . مجيد . شهير . وهي كلها معان تقرب من معنى محمد وأحمد ومحمود ولا يخفى أن المسيح كان يتكلم بالعبرية فلا ندري ماذا كان اللفظ الذي نطق به عليه السلام ولا ندري إن كانت ترجمة مؤلف هذا الانجيل له بلفظ (Paraclete) صحيحة أو خطأ ولا ندري إن كان هذا اللفظ (Paraclete) هو الذي ترجم به من قبل أم لا ؟؟؟ لاننا نعلم أن كثيرا من الالفاظ والعبارات وقع فيها التحريف من الكتاب سهوا أو قصدا كما اعترفوا به (راجع الفصل الثالث) في جميع كتب العهدين فاذا كان اللفظ الاصلي (Periclyte) بيرقليط فلا يبعد أنه تحرف عمدا أو سهوا إلى (Paraclete) بار قليط حتى يبعدوه عن معنى اسم النبي صلى الله عليه وسلم ومما يسهل عليهم ذلك تشابه أحرف هذه الكلمة في اللغة اليونانية

وعلى كل حال فسواء كان هو (Paraclete) بار قليط أو (Periclyte) بيرقليط فمعنى كل منهما ينطبق على محمد صلى الله عليه وسلم فهو معز للمؤمنين على عدم إيمان الكافرين وعلى وجود الشر في هذا العالم بايضاح أن هذه هي ارادة الله لحكمة يعلمها هو ومعز أيضا للمصابين والمرضى والفقراء وغيرهم بعقيدة البعث

والقيامة وهو صلى الله عليه وسلم كان يحاجج الكفار والمشركين وغيرهم (اذا كان معناها المحاج كما قال پوست) وهو شهير سام جليل مجيد اذا كان اللفظ الاصلي (بيرقليط) والعبارات الواردة في انجيل يوحنا في هذه المسألة لاتنطبق الا على محمد عليه السلام كما بين ذلك صاحب كتاب اظهار الحق ومؤلف كتاب (فتح الملك العلام في بشائر دين الاسلام) وكما أشرنا إلى ذلك في صفحة ٨٢ من هذا الكتاب

ومملكة محمد هي مملكة الله في الارض المسماة في العهد الجديد بملكوت الله وبملكوت السموات وكان المسيح عليه السلام وتلاميذه يبشرون الناس دائما بقرب مجيئها وأمر عليه السلام النصارى أن يطلبوا إتيانها من الله في صلواتهم (أنظر متى ٣ : ٢ و ٤ : ١٧ و ٢٣ و ٦ : ١٠ و ١٣ : ٣١ و ٣٢ و ٢٠ : ١ - ١٦ و ٢١ : ٣٣ - ٤٤ ولوقا ١٠ : ٩ و ١١) وهذه المملكة هي التي بدأت صغيرة ثم نمت وكبرت حتى ملأت العالم ولذلك شبهها عيسى عليه السلام بالزرع الجيد وبالخميرة وبحبة الخردل التي تصير أكبر البقول حتى أن طيور السماء تأتي وتتآوى في أغصانها (متى ١٣ : ٢٤ - ٣٥) ولذلك قال القرآن الشريف في محمد وأتباعه (ومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطأه) الآية (راجع سورة الفتح ٤٨ : ٢٩) وهم الآخرون الذين صاروا أولين كما قال المسيح (متى ٢٠ : ١٦) وقال محمد صلى الله عليه وسلم (نحن الآخرون السابقون) وهم الامة التي أعطي لها (ملكوت الله) ورئيسهم محمد هو (رأس الزاوية والحجر الذي من سقط عليه سحق) (متى ٢١ : ٤٢ - ٤٤) وكان ذلك عجيبا في أعين المسيح وداود وسائر بني اسرائيل (متى ٢١ : ٤٢ ومز ١١٨ : ٢٣) لان محمدا (ص) وأصحابه كانوا من بني اسماعيل وهم نسل الجارية (تك ٢١ : ١٣) المحتقرون عند اليهود ولكن الله باركهم وكثرهم جدا حتى ملأوا الارض وفتحوها وصاروا لايعدون من الكثرة كما قال ملاك الرب لهاجر (تك ١٦ : ١٠) ولم يجعل الله لاولاد الحرة (سارة) فضلا عليهم وأما العهد الذي جعله تعالى لاولادها (تك ١٧ : ٢١) (١) فهو إعطاؤهم أرض

(١) حاشية: الاصل العبري لعبارة التكوين (١٧ : ٢١) وعهدي أقيمه مع اسحاق فزاد النصارى في تراجمهم لفظ (لكن) تحريفاً منهم

كنعان فانه تعالى كتبها لهم كما قال القرآن الشريف (٥: ٢١) (راجع ايضاً تك ١٧: ٨) وقال في سفر الخروج ٦: ٤ (وأيضا أقمت معهم عهدي أن أعطيهم أرض كنعان أرض غربتهم التي تغربوا فيها) وقال في مزمور ١٠٥: ٨ - ١١ (ذكر الى الدهر عهده ...... الذي عاهد به ابراهيم وقسمه لاسحاق فثبته ليعقوب فريضة ولاسرائيل عهداً أبدياً قائلا لك أعطي أرض كنعان حبل ميراثكم)

فلولا محمد صلى الله عليه وسلم لما كان لبني اسماعيل (العرب) شأن يذكر في العالم مع أن الله وعد أن يجعلهم أمة كبيرة عظيمة (تك ١٧: ٢٠ و ٢١: ١٧) فبمحمد وحده تحقق هذا الوعد وصاروا أمة أخضعت العالم كله لها ونشرت فيه الدين الحق والعلم والمدنية الصحيحة ولا يزالون الى الآن من أكثر أمم الارض حتى صاروا بعد الاسلام لا يعدون من الكثرة كما بشر الملاك هاجر بذلك (تك ١٦: ١٠) على ما تقدم

وبذلك ظهر صدق هذا الوعد الالهي بأكمل مظاهره وأما قبله عليه السلام فلم يكن أحد يسمع عن العرب (بني اسماعيل) شيئاً يعبأ به أو عملا يلتفت اليه . فقارن حالتهم قبل الاسلام وبعده تتضح لك صحة هذه الاقوال الواردة عنهم في سفر التكوين من قديم الزمان فقد باركهم الله تعالى بمحمد وكثرهم وجعلهم أمة كبيرة كما وعد (تك ١٧: ٢٠) وكان لهم ملك جليل واسع كما في الانجيل يزينه ذكر الله تعالى وحده ومن أنكر تفسيرنا هذا فليأتنا بغيره بحيث يكون شافياً لعلته راوياً لغلته كهذا التفسير الصحيح الذي ذكرناه هنا والا فليترك المكابرة وليعترف بالحق فان الحق خير وابقى

(البشارة الثالثة) قال حجي ٢: ٦ (لانه هكذا قال رب الجنود . هي مرة بعد قليل فأزلزل السموات والأرض والبحر واليابسة ٧ وأزلزل كل الامم ويأتي «مشتهى» كل الامم فأملأ هذا البيت مجداً قال رب الجنود ٧ لي الفضة ولي الذهب يقول رب الجنود ٩ مجد هذا البيت الاخير يكون أعظم من مجد الأول قال رب الجنود وفي هذا المكان أعطي السلام يقول رب الجنود) وسبق أننا قلنا إن كلمة

(مشتهى) هنا بالعبرية (حمدوت) (١) أي محمود كل الامم وهذا صريح في محمد صلى الله عليه وسلم ولا ينطبق على أحد سواه وفي قوله أعطي السلام إشارة لتحية المسلمين . وهي (السلام عليكم) التي كانوا يقولونها للناس بعد أن عمروا بيت أورشليم في زمن عمر رضي الله عنه وأعادوا إليه مجداً أعظم من مجده الأول حتى صار يعظمه اليهود والنصارى والمسلمون الذين عاشوا حوله معاً في أمن وسلام في حمى الاسلام ويفدون عليه من جميع الجهات مع اختلافهم في الدين والمعتقدات لزيارته وتكريمه إلى اليوم فلا شك أن هذا البيت الاخير صار منذ أن أحياه المسلمون وعمروه أعظم من البيت الاول وخصوصاً في زمن عظمة الدول الاسلامية

أما في زمن المسيح عليه السلام فلم يزدد قدره عما كان عليه قبل مجيئه عليه السلام بل كان يقيناً أقل من البيت الاول ثم خرب بعده بقليل ودمر حتى لم يبق فيه حجر على حجر ثم جاء النصارى فزادوا في إهانته وتحقيره بالقاء القاذورات فيه وتنجيسه عناداً لليهود حتى طهره المسلمون وبنوه وزينوه فصار في عهدهم كعبة يقصده الناس من جميع أقطار الأرض على اختلاف مللهم ونحلهم ومذاهبهم مع الامن والسلام كما قال (حجي) . فهل رأى البيت مجداً واجماعاً على تعظيمه كالذي رآه في زمن الاسلام ؟

وقول حجي (أزلزل السموات والارض والبحر واليابسة وأزلزل كل الامم) إشارة إلى حروب المسلمين وانتصاراتهم السريعة الباهرة على الظالمين وانقاذهم

---

(١) حاشية : في النسخ العبرية الحالية المشكولة نجد الترجمة الحرفية لهذا النص هكذا : « واحمد كل الامم يأتون » بالجمع في فعل يأتون وبتأنيث كلمة أحمد أو محمود ولكن النصارى فهموا ان المراد بهذه العبارة المفرد المذكر كما فهمنا ولذلك ترجموها (ويأتي مشتهى كل الامم) والفرق بين لفظ (حمدوت) المذكر ولفظ (حمدات) المؤنث ليس في الحروف وانما هو في الحركات (أي الشكل) فقط والحروف في الكلمتين واحدة وهذا الشكل ليس قديماً بل وضعته لجنة من اليهود في طبرية وفي سورة في وادي الفرات وهي التي جمعت النسخة العبرانية للعهد القديم من القرن السادس الى الثاني عشر للميلاد فيحتمل أنهم حرفوا هذا النص بالشكل حينما ظهر محمد صلى الله عليه وسلم لكيلا ينطبق عليه

ومع ذلك اذا سلم النص العبري كما شكلته اليهود كان المراد به الامة المحمدية وهي الامة المحمودة عند جميع الامم والملل والنحل الذين دانوا لها واعتنقوا دينها واهتدوا بهديها حتى فاقوا العالمين في كل شيء وسواء عندنا أانطبق هذا النص على محمد أم على أمته كما لا يخفى

اليهود من ظلم المسيحيين وتأمينهم لهم في أورشليم ثم بعد ذلك أعطوا السلام للناس جميعا الذين يقصدون البيت من جميع الامم ومن سائر البقاع

أما المسيح فلم يزلزل السموات والارض والبحار والامم بل اهين وصلب وقتل (على زعمهم) ولم يعط السلام في البيت بل أعطى بعده الحرب والطعان والتخريب واهراق الدماء وهو الذي بشر اليهود بذلك كله (مت ٢٤ : ٢) فكيف تصح هذه العبارات في المسيح مع أن ظهورها وصراحتها في محمد (أو محمود) صلى الله عليه وسلم وأمته كالشمس في رابعة النهار فهم الذين احيوا البيت وعمروه ومجدوه الى اليوم

وقوله ٢ : ٩ (وفي هذا المكان أعطى السلام) قد تحقق تحققا تاما بمجيء عمر رضي الله عنه بنفسه إلى أورشليم بعد الحصار وتأمين أهلها وعقده شروط الصلح معهم وبذلك خضعوا وسلموا بدون سفك دم وأعطاهم عمر السلم والامان وفتحت المدينة بالصلح لا بالحرب ـ كما قال رب الجنود ـ مع أن المسلمين زلزلوا الامم الاخرى والارض والجبال

فان قالوا إن قول حجى ٢ : ٩ (مجد هذا البيت الاخير) يشعر بأن مراده الكلام على البيت الذي كان في عصره وهو كان قد تخرب قبل مجيء الاسلام . قلت وهو أيضا كان تخرب قبل مجيء عيسى عليه السلام فرممه (هيرودس الاكبر) بل قال يوسيفوس (إن هيرودس نقضه وبنى هيكلا أجمل وأكبر منه) فمراد حجى ان المجد الذي سيكون لهذا البيت في أيامه الاخيرة سيكون أعظم من مجد البيت الاول الذي بناه سليمان ولذلك ترجمت هذه العبارة في النسخة السبعينية هكذا (المجد الأخير لهذا البيت يكون أعظم من مجد الاول) فمجده الاخير هو هذا الذي كان في زمن المسلمين وهو آخر الزمان

ويمكن أيضا اعتبار البيت بيتين : ـ

(١) البيت الاول من زمن سليمان إلى أن خربه بختنصر أي البيت الذي كان موجودا في زمن دولة اليهود وعظمتها واستقلالها وزمن عزهم الذي ذهب به بختنصر ومحاه محوا تاما

(٢) البيت الثاني الذي وجد بعد السبي وبعد زوال دولة اليهود وعزهم

واستقلالهم إلى اليوم . فالاول بيت العز والقوة والثاني بيت الذل والضعف وهذا البيت الاخير قد طرأت عليه عدة تغيرات كبيرة فأصلحه هيرودس (أو بناه بعد أن نقضه) ثم خربه الرومان ودمروه ثم بناه المسلمون وعمروه وأحيوه الى اليوم .

فمراد حجى بالبيت الاخير هو غير بيت سليمان وهو الذي كان لهم في زمن ضعفهم وزوال عزهم وذهاب استقلالهم ثم تشتتهم . وهذا البيت الاخير قد صار مع ذلك في زمن عظمة الاسلام ودوله أعظم من بيت سليمان فان ملك المسلمين كان أكبر وأفخم وأبهى وأمجد وأعم من ملك اليهود وكان الناس في زمنهم ولا يزالون يقصدون هذا البيت من جميع أقطار الارض على اختلاف مللهم ولغاتهم ونحلهم كما قلنا

(البشارة الرابعة) قال حبقوق ٣ : ٣ (الله جاء من تيمان والقدوس من جبل فاران . سلاه . جلاله غطى السموات والارض امتلأت من تسبيحه ٤ وكان لمعان كالنور . له من يده شعاع وهناك استتار قدرته ٥ قدامه ذهب الوباء وعند رجليه خرجت الحمى ٦ وقف وقاس الارض . نظر فرجف الامم ودكت الجبال الدهرية وخسفت آكام القدم . مسالك الازل له ٧ رأيت خيام كوشان تحت بلية رجفت شقق أرض مديان) إلخ إلخ فتيمان هي بلاد العرب ومعنى كلمة تيمان الصحراء الجنوبية لانها جنوب بلاد الشام ولا يزال الى الآن على طريق القوافل بين دمشق ومكة قرية تسمى (تَيماء) ومعنى هذه الكلمة أيضا الصحراء الجنوبية . وتيماء أيضا اسم قبيلة اسماعيلية تسلسلت من تيماء وكانت تقطن بلاد العرب (تك ٢٥ : ١٥ و ١ أي ١ : ٣٠) كما في قاموس الكتاب المقدس العربي . أما جبل فاران فهو في البرية التي سكنها اسماعيل أبو العرب (٢١ : ٢١) فكأن حبقوق أشار بعبارته هذه الى مسكن رسول الله وهو بلاد العرب (أو التيمان) والى مسكن أصله أوجده اسماعيل وهو برية فاران وهي في شمال برية سيناء على مايقولون

هذا واعلم أنه لايوجد في القرآن الشريف مايدل على أن اسماعيل أقام بمكة بل الظاهر منه أنه ذهب الى هناك مع أبيه لبناء الكعبة وأما الذين سكنوا حولها فهم بعض أولاده ولذلك قال ابراهيم عليه السلام (ربنا اني أسكنت من ذريتي

بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي اليهم) . فولد الانسان لا يسمى عادة ذريته وجمعهم هنا أيضا يدل على أنهم كانوا أكثر من واحد فهم أولاد اسماعيل

أما عدم ذكر بناء ابراهيم واسماعيل الكعبة في تواريخ اليهود (سفر التكوين) فهو إما لانهم نسوا تاريخ اسماعيل لعدم اهتمامهم به وبأولاده ولذلك لم يذكروا عنهم شيئا في كتبهم الا قليلا . وإما لانهم لا يريدون ان يعترفوا بأي فضل أو مزية لغيرهم عليهم لاعتقادهم أنهم وحدهم شعب الله المكرمين وأنه لم يعتن بأحد سواهم . ولنرجع لما كنا فيه :

أما كوشان فهو ملك كوش وهي بلاد السودان والحبشة . ومديان هي الارض التي تمتد من شبه جزيرة سيناء الى الفرات والمعنى أن سكان هذه الجهات المشهورين بالقوة والشجاعة ترتجف أمام النبي وتخضع له . ولفظ كوش كان يطلق أيضا أحيانا على جميع أفريقية الواقعة جنوبي مصر . وقد انتشر الاسلام في أفريقية أكثر من انتشاره في القارات الاخرى وبسرعة عجيبة فهذه البشارة لا تنطبق الا على محمد صلى الله عليه وسلم فهو الذي ملأ الارض بحمد الله وتسبيحه والصلوات له كثيرا ودانت له ملوك أفريقية وغيرها وخرج من بلاد العرب وكان من نسل اسماعيل

ولعل في قوله ٣ : ٥ (قدامه ذهب الوباء وعند رجليه قد خرجت الحمى) إشارة الى الطاعون الذي ظهر في بلاد الشام في زمن عمر رضي الله عنه وكان النبي (ص) أخبر أصحابه به كما رواه الامام احمد عن معاذ بن جبل

(البشارة الخامسة) قال أشعياء ٤٢ : ١ (هوذا عبدي الذي أعضده مختاري الذي سرت به نفسي . وضعت روحي عليه فيخرج الحق للأمم ٢ لا يصيح ولا يرفع ولا يسمع في الشارع صوته ٣ قصبة مرضوضة لا يقصف وفتيلة خامدة لا يطفيء . الى الامان يخرج الحق ٤ لا يكل ولا ينكسر حتى يضع الحق في الارض وتنتظر الجزائر شريعته .... الى قوله ١٠ غنوا للرب أغنية جديدة تسبيحة من أقاصي الارض . أيها المنحدرون في البحر وملؤه والجزائر وسكانها ١١ لترفع البرية ومدنها صوتها الديار التي سكنها قيدار لتترنم سالع من رؤوس الجبال ليهتفوا ١٢ ليعطوا الرب

مجدا ويخبروا بتسبيحه في الجزائر ١٣ الرب كالجبار يخرج كرجل حروب ينهض غيرته . يهتف ويصرخ ويقوى على أعدائه) وهذه العبارات تشير صريحا الى الحج والتلبية من فوق جبل عرفات وقوله (الرب كالجبار يخرج كرجل حروب) إشارة الى غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) والبرية التي سكنها قيدار هي بلاد

---

(١) حاشية يشمئز النصارى من ذكر القتال في القرآن ولا يشمئزون من قول الله تعالى لموسى (تث ٢٠ : ١٠) (حين تقرب من مدينة لكي تحاربها استدعها الى الصلح ١١ فان أجابتك الى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك ١٢ وان لم تسالمك بل عملت معك حربا فحاصرها ١٣ واذا دفعها الرب الهك الى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف ١٤ وأما النساء والاطفال والبهائم وكل ما في المدينة كل غنيمتها فتغتنمها لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الرب الهك ١٥ هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جدا التي ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا ١٦ واما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب الهك نصيبا فلا تستبق منها نسمة ما) وقد عمل بنو اسرائيل بهذه الاوامر كما يتضح لك من سفر يشوع خليفة موسى وغيره (اصحاح ١٠ و ١١) فمثلا ورد في هذا السفر قوله (١٠ : ٢٦) (وضربهم يشوع بعد ذلك وقتلهم وعلقهم على خمس خشب وبقوا معلقين على الخشب حتى المساء) وقوله (١١ : ١١) (وضربوا كل نفس بها بحد السيف . حرموهم ولم تبق نسمة . وأحرق حاصور بالنار ١٢ فاخذ يشوع كل مدن أولئك الملوك وجميع ملكهم وضربهم بحد السيف : حرمهم كما أمر موسى عبد الرب الى قوله ١٤ وكل غنيمة تلك المدن والبهائم نهبها بنو اسرائيل لأنفسهم . وأما الرجال فضربوهم جميعا بحد السيف حتى ابادوهم . لم يبقوا نسمة) وجاء أيضا في سفر صموئيل الثاني ١٢ : ٣١ أن داود الي (أخرج الشعب ووضعهم تحت مناشير ونوارج حديد وفؤوس حديد وأمرهم (أي سيرهم) في أتون الآجر وهكذا صنع بجميع مدن بني عمون . وكذلك قال في سفر أخبار الايام الاول أنه نشر أسرى بني عمون هؤلاء بمناشير ونوارج حديد وفؤوس كما في الاصحاح العشرين منه (عدد ٣) ولم يرد في كتابهم المقدس أن الله تعالى أنكر عليه ذلك أو زجره عن فعله هذا الفظيع وعاقبه عليه بل الكتاب كله مملوء بالثناء على داود وعده من الأبرار الاطهار نعم ورد فيه شيء من اللوم لداود ولكنه بسيط وعام في سفكه الدماء وليس خاصا بهذه الحادثة القاسية كما في سفر أخبار الأيام الاول (٢٢ : ٨)

ولو جاز قول النصارى ان ما ذكر كناية عن اذلال داود لهم وتعذيبهم بالاشغال الشاقة لجاز لقائل أن يقول ان قصة صلب عيسى وقيامته من الموت كناية أيضا عن ايذاء اليهود واضطهادهم له ورفضه ثم نجاته من كيدهم وانتصاره عليهم وارتفاع شأنه وعظم أمره . فهل يسلم النصارى بهذا التأويل وهو مثل تأويلهم لقصة داود هذه من كل وجه ؟ ولم لا يقبلون من الناس ما يقبله الناس منهم ؟

فانظر الى مقدار تعسفهم وتكلفهم في التأويلات كما هو شأنهم في اكثر مسائل دينهم ولكنهم لا يبالون !!

العرب فان قيدار هو ابن اسماعيل (تك ٢٥ : ١٣) وكانت مساكن أولاد اسماعيل من حويلة الى شور التي أمام مصر (تك ٢٥ : ١٨) وحويلة هي اليمن كما في قواميسهم . وسالع ومعناها الصخرة ولذلك ترجمت الكاثوليك العبارة هكذا (ولتترنم سكان الصخرة)ومثلها في الترجمة الانكليزية . وفي المدينة المنورة جبل يسمى (سلع). أما سالع المسماة (بطرة) وهي التي بين خليج العقبة والبحر الميت فكانت تعرف في زمن أشعياء النبي (بيقتئيل) الذي سماها به (أمصيا) ملك يهوذا (٢ مل ١٤ : ٧) واذا كان المراد بسالع هنا (جبل المدينة)أو (بطرة) فعلى حد سواء لان بطرة هذه أخذها المسلمون وكانت تأتي منها الناس للحج أيضا مع المنحدرين في البحر ومع سكان الجزائر وغيرها . فأي وصف لحج المسلمين بيت الله (الكعبة) أصرح من هذا ؟ ومن راجع الاصحاح الرابع والخمسين وجد أن أشعياء يخاطب به مكة المكرمة خطابا ظاهرا لاينطبق الا عليها (راجع كتاب اظهار الحق لتوضيح هذه البشارات)

= وكذلك ذبح ايليا أنبياء البعل وهم ٤٥٠ رجلا (١ مل ١٨ : ٢٢ و ٤٠)
وأما كون المسيح عليه السلام لم يعمل شيئا من مثل ذلك فهو لاختلاف الاحوال والظروف في زمنه اذ لم يكن له من القوة الحربية ما يكفي للتغلب على اعدائه من اليهود والرومان فلذا كان طريق المسالمة خيرا له ولاتباعه فاختلفت الاحكام في زمنه عما كان في زمن موسى وخلفائه لاختلاف الاحوال . ومع ضعفه هذا وكثرة دعوته للسلم والصفح والعفو قال كما في انجيل متى ١٠ : ٣٤ (لا تظنوا أني جئت لالقي سلاما على الارض . ما جئت لالقي سلاما بل سيفا ٣٥ فاني جئت لافرق الانسان ضد أبيه والابنة ضد أمها والكنة ضد حماتها ٣٦ وأعداء الانسان أهل بيته) ولا ندري لو كان بلغ من القوة والسلطان ما بلغه موسى وداود ومحمد عليهم السلام ماذا تكون أقواله وأفعاله !! ومع تأويل النصارى لهذه العبارة وقت الجدل الديني وقولهم لمحاجيهم ان دينهم لم يأمرهم الا بالعفو والصفح ومحبة الاعداء لانجد أمة من أمم الارض ارتكبت مثل ما ارتكبوه من المظالم والحروب وسفك الدماء وقتل الابرياء واضطهاد الناس في دينهم واكراههم على المسيحية واحراقهم بالنيران وتمزيق اجسامهم وغير ذلك من الفظائع التي تشيب لها الولدان ولا ينكرها تاريخ من تواريخهم فمنذ زمن قسطنطين حيث صارت لهم دولة وقوة الى اليوم لا نجد في الغالب زمنا خاليا من تعديهم على الضعفاء وظلمهم وخضبهم الارض بالدماء الطاهرة وتفننهم في اختراع الآلات المدمرة وكان ذلك في اكثر الاوقات برضا رؤساء الدين واقرارهم بل وأمرهم به احيانا ولا تسمع منهم التحدث بحلم المسيحية وسماحتها الا في وقت ضعفهم أو في وقت المجادلات الدينية فقط فلاحول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

(البشارة السادسة) جاء في سفر التكوين أن يعقوب جمع بنيه وأخبرهم بما سيحدث لهم في آخر الزمان (٤٩ : ١) ثم قال في شأن يهوذا (٤٩ : ١٠) (لايزول قضيب (أي صولجان الملك) من يهوذا ومشترع (أي شارع) من بين رجليه حتى يأتي (شيلون) وله يكون خضوع شعوب) والمعنى أن آل يهوذا لايزول منهم الملك والانبياء (وهم الشارعون) حتى يأتي (شيلون) وهو محمد صلى الله عليه وسلم الذي به تختم النبوة وتنتقل منهم اليه ويزول كل ملك لهم كان في الارض. وقد وقع ذلك كما أخبر يعقوب عليه السلام فان مملكة يهوذا وان كانت زالت سنة ٥٨٦ ق م وقت انتهاء سبي بختنصر لهم الى بابل الا أنهم عادوا بعده الى بلادهم وعاد لهم شيء من القوة تحت حكم الدول الاجنبية واستقلوا في زمن المكابيين ثم خضعوا للرومان الذين شتتوهم في الارض ومحوا أورشليم لكن جمهورا عظيما منهم ذهبوا الى بلاد العرب لقربها وحريتها وهَوّدوا بعض أهلها كقبيلة كنانة والحارث ابن كعب وكندة وصار لهم فيها أراض واسعة عامرة وحصون وأملاك وأموال وكانوا فيها ذوي قوة كبيرة غير خاضعين لاحد مطلقا بل كانوا مستقلين وفي حرية تامة فلما جاء محمد صلى الله عليه وسلم انمحت كل سلطة لهم في الارض وتشتتوا في العالم وضربت عليهم الذلة والمسكنة وصاروا في كل اقليم خاضعين لغيرهم ضعفاء مضطهدين . أما من جهة النبوة والشرع فكانت الانبياء تترى فيهم حتى جاء المسيح عليه السلام وهو منهم أيضا وتبعه تلاميذه من اليهود وكانوا أيضا أنبياء ملهمين ـ كما يقول النصارى ـ وتصرفوا كثيرا في الشريعة الموسوية كما يظهر من كتب العهد الجديد . فلم ينته ملكهم وأنبياؤهم وتنسخ كتبهم وشرائعهم الا بمجيء محمد صلى الله عليه وسلم الذي به انتهى كل أثر من آثار ملكهم ولم يظهر فيهم أي نبي بعده

وقول النصارى إن هذه نبوة عن المسيح يرده أن ملك اليهود بقي في بلاد العرب بعده وظهر فيهم أنبياء (وهم الحواريون) كانوا يشرعون لهم في الدين . فمحمد أحق بها من المسيح عليه السلام

ومما يؤيد ذلك أن كلمة (شيلون) العبرية معناها ـ كما قالوا ـ أمان أو سلام ولا يخفى أن دين محمد (ص) يسمى الاسلام والسلم قال تعالى (ادخلوا في السلم

كافة) وتحية المسلمين (السلام عليكم) يقولونها دائما في صلواتهم وفي مقابلة بعضهم بعضا وهم مأمورون بافشاء السلام في الارض وفي مسالمة جميع الامم الا من لدأهم بالبغي والعدوان فهم أمان وسلام للناس كافة الا المعتدين (أشداء على الكفار رحماء بينهم . أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين) وهذه الكلمات (السلم «بكسر السين وفتحها » والاسلام والسلام) كلها من مادة واحدة ومتقاربة في معنى الصلح والامان والطاعة ، وعليه فهذه البشارة صريحة في محمد صلى الله عليه وسلم ودينه الذي ذكر فيها باسمه فكأن يعقوب قال (ان ملك اليهود لايزول تماما وأنبياؤهم لاتنتهي الا اذا جاء (الاسلام) أو (صاحب الاسلام) صلى الله عليه وسلم وقد كان ذلك كما قال في آخر الايام أو آخر الزمان (تك ٤٩ : ١)

ومن المعلوم أن المسلمين يسمون نبيهم (خاتم النبيين) و (نبي آخر الزمان) و (صاحب الاسلام) و (مفشي السلام) فأي تطابق أكمل وأتم من هذا في تفسير هذه النبوة العظيمة على محمد ودينه ؟ وأي نبوة للنصارى في المسيح أصرح من هذه ؟ اللهم أنر بصائرهم حتى يؤمنوا بدينك الاسلام و بنبيك صاحب السلام الذي بشرهم به يعقوب من قديم الازمان

أما المسيح فما جاء - كما قال - ليلقي سلاما على الارض بل جاء ليلقي سيفا (متى ١٠ : ٣٤) وقد كان ذلك كما سبقت الاشارة اليه فان ماوقع من أتباعه ويقع منهم الى الآن وما يخترعونه من الآلات المهلكة للنفوس المبيدة لبني البشر لم يقع مثله من أمة أخرى سواهم

(البشارة السابعة) قال دانيال مخاطبا بختنصر ومفسرا له رؤياه ٢ : ٣١ (أنت أيها الملك كنت تنظر وإذا بتمثال عظيم ٣٢ رأس هذا التمثال من ذهب جيد . صدره وذراعاه من فضة . بطنه وفخذاه من نحاس ٣٣ ساقه من حديد . قدماه بعضهما من حديد والبعض من خزف ٣٤ كنت تنظر إلى أن قطع حجر بغير يدين فضرب التمثال على قدميه اللتين من حديد وخزف فسحقهما ٣٥ فانسحق حينئذ الحديد والخزف والنحاس والفضة والذهب معا ...... أما الحجر الذي ضرب التمثال فصار جبلا كبيرا وملأ الارض كلها ٣٦ هذا هو الحلم

فنخبر بتعبيره قدام الملك ٣٧ أنت أيها الملك ملك الملوك لان إله السموات أعطاك مملكة واقتدارا وسلطانا وفخرا ٣٨ .... فانت هذا الرأس من ذهب ٣٩ و بعدك تقوم مملكة أخرى أصغر منك ومملكة ثالثة أخرى من نحاس فتتسلط على كل الارض ٤٠ وتكون مملكة رابعة صلبة كالحديد .... - ٤١ و بما رأيت القدمين والاصابع بعضها من خزف الفخار والبعض من حديد فالمملكة تكون منقسمة ويكون فيها قوة الحديد من حيث انك رأيت الحديد مختلطا بخزف الطين ٤٢ وأصابع القدمين بعضها من حديد والبعض من خزف فبعض المملكة يكون قويا والبعض قصما ٤٤ وفي أيام هؤلاء الملوك يقيم إله السموات مملكة لن تنقرض أبدا وملكها لا يترك لشعب آخر وتسحق وتفنى كل هذه الممالك وهي تثبت الى الابد ٤٥ لانك رأيت أنه قد قطع حجر من جبل لا بيدين فسحق الحديد والنحاس والخزف والفضة والذهب .... الحلم حق وتعبيره يقين)

فالمملكة التي قامت بعد بختنصر هي مملكة الفرس التي أسسها كورش وكانت دون مملكة بابل والمملكة الثالثة التي كالنحاس هي مملكة اليونان وقد تسلط الاسكندر الاكبر مؤسسها على كل الارض المعروفة كما قال دانيال والرابعة هي الدولة الرومانية التي انقسمت إلى قسمين كما انقسم ساقا التمثال وكانت فيها قوة الحديد مختلطا بخزف الطين وهو كناية عن الملوك الضعفاء فيهم وفي أيام ملوك هذه الدولة بعد انقسامها أقام إله السموات مملكة الاسلام التي لن تنقرض أبدا وقد سحقت كل هذه الممالك وثبتت هي إلى الابد كما قال دانيال . ومحمد (ص) هو الحجر الذي قطع لا بيد أحد بل بالقدرة الالهية من الجبل وسحق الحديد والنحاس والخزف والفضة والذهب وصار جبلا كبيرا وملأ الارض كلها وفي ذلك أيضا اشارة إلى منشئه في القفر و بين الجبال

وقد استولت أمته على ما ملك بختنصر والفرس واليونان والرومان ولا تزال جميع أراضي هذه الممالك في أيدي أمته إلى اليوم رغما عن ضعفها المؤقت وهي التي أفنت الدولة الرومانية واستولت على القسطنطينية عاصمة ملكها حتى هذه الساعة. والدولة الاسلامية هذه قد ظهرت في أيام ملوك الدولة الرومانية كما قال دانيال (٢ : ٤٤)

و بعد انقسامها (٢ : ٤١) و بعد أن كان فيها قوة من الحديد مختلطة بقوة من الخزف . ودولة الاسلام قد أقامها الله في الارض وثبتها حتى أفنت كل هذه الممالك وستثبت إلى الابد حسب هذا الوعد الالهي (٢ : ٤٤)

هذا هو التفسير الصحيح لهذه النبوة وهو ينطبق على حروفها أتم الانطباق ولا يوجد لها تفسير غيره . وإن خالف النصارى فليخبرونا هل يعقل أن دانيال يتكلم على هذه الممالك الاربعة (مملكة بابل والفرس واليونان والرومان) ويترك المملكة الاسلامية التي سحقت كل هذه الممالك واستولت على جميع أملاكها إلى عصرنا هذا ؟ فهل غاب ذلك عن علم الله أو حصل بغير ارادته أو نسي أن يذكره ؟ مع أنه هو الذي أقامها بنفسه كما قال دانيال وقضى أنها تفنى كل هذه الممالك وان تثبت الى الابد

فان قيل إن المراد بذلك دولة النصارى (أي الدولة الرومانية بعد اعتناقها المسيحية) قلت إن الدولة الرومانية صارت مسيحية في عهد قسطنطين أي قبل إنقسامها مع أن صريح كلام دانيال أن الدولة المرادة بكلامه يقيمها الله بعد انقسام الدولة الرومانية وبعد وجود قسمين فيهما الضعيف والقوي . والدولة المسيحية لم تفن الدولة الرومانية ولم تسحقها بل هي هي وقد ابتدأ الضعف فيها بعد اعتناقها المسيحية حتى صارت اضعف مما كانت في زمن وثنيتها إلى أن ازالتها دولة الاسلام واستولت على جميع املاكها تقريبا وعلى جميع ممالك الدول الاخرى المذكورة ولا تزال هذه الاراضي كلها في ايدي المسلمين إلى اليوم فهل ثبتت الدولة الرومانية المسيحية إلى الابد كما قال دانيال وهل سحقت الدول الاربعة القديمة واستولت على ملك بابل وفارس وغيرهما ؟ أم هي التي سحقها الاسلام واستولى على عاصمة ملكها (القسطنطينية) وحول كنائسها مساجد يذكر فيها اسم الله تعالى وحده كثيرا ؟

وهل الدولة الرومانية المسيحية هي التي سحقت وافنت دولة الفرس (العجم) كما قال دانيال ٢ : ٤٤ ام هي دولة الاسلام ؟ وهل نسوا انقلاب الرومان أمام

الفرس عدة مرات واستيلاء الفرس على كثير من اراضيهم حتى هددوا القسطنطينية نفسها وحاصروها ؟؟

وما هو هذا الحجر الذي قطع صغيرا وسحق هذه الممالك كلها وصار جبلا كبيرا حتى ملأ الارض كلها ؟ أليس هو محمد صلى الله عليه وسلم وهو الذي بدأ صغيرا ثم صار كبيرا حتى محق دولتي الفرس والرومان واستولى على املاكهما وعلى تيجان ملوكهما وملأ أراضيهما بالاسلام لله وعبادة الرحمن منذ افتتاحهما الى الآن؟ فأين النصرانية التي ثبتت في أراضي تلك الممالك القديمة إلى الابد ؟

ولا يصح الاعتراض علينا بضعف المسلمين الحالي فان الاسلام له فترات فيكون أحيانا ضعيفا وأحيانا قويا ونحن الآن في فترة من الضعف زائلة لا محالة بحول الله تعالى . على أن الدين الاسلامي نفسه من أقوى الاديان في الارض إن لم نقل اقواها فانه أشد أخذا بقلوب أتباعه من كل دين سواه وأسهل انتشارا وأسرع حتى كاد يغلب غيره في أكثر بقاع الارض على حداثة عهده كما يشهد بذلك المبشرون أنفسهم ولا توجد أمة أشد تمسكا بدينها من المسلمين فان النصارى وان انتمت اسما إلى المسيحية لكنهم أبعد الناس عن العمل بها وترى جمهورهم لا يعمل الا بما ناقض أصولها على خط مستقيم فالفرق بين المدنية الاوروبية وتعاليم الاناجيل واضح لا يحتاج لدليل

ومن حسن التطابق بين النبوات بعضها مع بعض أن داود والمسيح سميا محمدا حجر أيضا كما سبق (متى ٢١ : ٤٢ ومز ١١٨ : ٢٢)

والخلاصة أن تفسير نبوة دانيال هذه بغير تفسيرنا هذا انما عين المكابرة والتعسف والعناد . ولو كان محمد صلى الله عليه وسلم كاذبا لما ذكره الله على ألسنة أنبيائه بهذه الصورة بل لا كثر من ذمه وتقبيحه وتحذير الناس منه كما حذر عيسى عليه السلام من الكذابين الذين ظهروا بعده وأفسدوا دينه

(البشارة الثامنة) سفر نشيد الانشاد هذا السفر قالت فيه اليهود انه رمز لاورشليم وقالت النصارى انه للكنيسة المسيحية أما نحن فنقول إنه رمز الى محمد

صلى الله عليه وسلم والامة العربية . ومما ينقض قول اليهود قوله في الاصحاح ٦ عدد ٤ (انت جميلة ياحبيبتي كترصة « اسم مدينة » حسنة كأورشليم) فلا يصح أن تكون أورشليم مشبهة بنفسها بل لابد أن يكون المشبه شيئا آخر غير أورشليم

أما مايثبت قولنا ان هذا السفر هو في حق محمد وأمته العربية مايأتي : —

(١) قوله ٥:١ (أنا سوداء وجميلة يابنات أورشليم كخيام قيدار كشقق سليمان ٦ لاتنظرن اليّ لكوني سوداء لان الشمس قد لوحتني بنو أمي غضبوا عليّ ٨ ان لم تعرفي أيتها الجميلة بين النساء فاخرجي على آثار الغنم وارعي جداءك عند مساكن الرعاة) وقوله ٢: ٨ (صوت حبيبي هو ذا آت طافرا على الجبال قافزا على التلال) وكل ذلك اشارة الى سكنى العرب في الصحاري والقفار بين الجبال والتلال ورعيهم المواشي والانعام وسكناهم في الخيام السود كخيام (قيدار) وهو ابن اسماعيل الثاني (تك ٢٥ : ١٣) وهو أب لاشهر قبائل العرب وتسمى بلادهم أيضا قيدار (أش ٢١ : ١٦ وار ٤٩ : ٢٨) فكانت خيامهم كخيام ابيهم تماما وقد اسود لونهم من تأثير الشمس كما قال لكثرة تعرضهم لها وانما ذكر شقق سليمان هنا أي ستائره لشهرتها بالجمال والابهة والفخامة، أما قيدار فلا مسوغ لذكره الا كونه اباهم

(٢) وقوله ٢: ١٤ (ياحمامتي في محاجئ الصخر في ستر المعاقل أريني وجهك أسمعيني صوتك لان صوتك لطيف ووجهك جميل) فيه اشارة ايضا الى سكناهم بين الصخور الجبلية كما كانوا يفعلون وقوله (صوتك لطيف) اصله العبري (صوتك « عيرب ») أي عربي وهو صريح في ان لغتهم عربية . وقوله (اسمعيني صوتك) اشارة الى اسم ابيهم (اسماعيل) او (يشمع ايل) ومعناه (الله يسمع) فهو يسمع لابيهم ويطلب منهم ان يسمعوه صوتهم العربي لانه سميع لهم جميعا ومجيب ومحبهم وقد كرر ذلك ايضا فقال ٨:١٣ (أيتها الجالسة في الجنات الاصحاب يسمعون صوتك فاسمعيني) ولعله يريد ان يسمعوه صوتهم العربي في تلاوة القرآن . وهم يسمون عند اليهود بالاسماعيليين كما في تك ٣٧ : ٢٥ أي الذين يسمعهم الله

ولا تنس التطابق العجيب بين لفظ (الاصحاب) وبين اسم الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين

هذا وقد بشرت كتبهم أيضا بالخلفاء الراشدين الاربعة فقال زكريا ١: ١٨ (فرفعت عيني ونظرت وإذا بأربعة قرون ١٩ فقلت للملاك الذي كلمني . ماهذه ؟ فقال لي هذه هي القرون التي بددت يهوذا واسرائيل وأورشليم ٢٠ فأراني الرب أربعة صناع ٢١ فقلت جاء هؤلاء ماذا يفعلون ؟ فتكلم قائلا هذه هي القرون التي بددت يهوذا حتى لم يرفع انسان رأسه . وقد جاء هؤلاء ليرعبوهم وليطردوا قرون الامم الرافعين قرنا على أرض يهوذا لتبديدها) أما القرون الاربعة فهي باعترافهم مملكة الكلدان والفرس واليونان والرومان كما في حاشية الكاثوليك على الكتاب المقدس وأما الصناع الاربعة الذين أرعبوا تلك الامم وطردوهم فهم بلا شك الخلفاء الراشدون فان مملكة الكلدان والفرس صارتا مملكة واحدة وكذلك اليونان والرومان وقد استولى الخلفاء الراشدون على ممالك تلك الدول وعلى أرض يهوذا التي كانوا بددوها كما لايخفى . والمسلمون قد جاءوا من بلاد العرب وبنوا هيكل أورشليم بعد أن كان أحرق وأبيد ولذلك قال زكريا ٦ : ١٥ « والبعيدون يأتون ويبنون في هيكل الرب فتعلمون أن رب الجنود أرسلني إليكم ويكون إذا سمعتم سمعا صوت الرب إلهكم .... » فكل ذلك بشارة بأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقد سماهم بهذا الاسم في سفر نشيد الانشاد كما سبق (٨ : ١٣)

(٣) قوله ٥ : ١٦ (حلقه حلاوة وكله « مشتهيات » . هذا حبيبي وهذا خليلي يابنات أورشليم) وأصل كلمة (مشتهيات) بالعبرية (محمديم) ومعناها (محمد أو محمود) وهو نص صريح قاطع على ان المراد بهذا السفر هو محمد صلى الله عليه وسلم وأمته فأي تصريح بعد هذا يريدون ؟ وأي نبوة عندهم عن المسيح أصرح من هذه ؟ ومعنى (حلقه حلاوة) أن كلامه عذب جميل وهو إشارة إلى فصاحته وبلاغته المشهورة . وهو صلى الله عليه وسلم كله « محمود » محبوب فلهذا قال « هذا هو حبيبي وهذا هو خليلي » ولذلك يسميه المسلمون (حبيب الله) فاسمعوا ذلك يا أهل الكتاب يا أبناء أورشليم وآمنوا برسوله وحبيبه محمد المحمود تفوزوا برضاء الله مع الفائزين . الله أكبر ولله الحمد على هدايته لنا لدين خير الخلق حبيب الرحمن عليه الصلاة والسلام

وفي هذا القدر كفاية لمن فتح الله عين بصيرته ولم يعمه التعصب أو زخرف هذه الحياة الدنيا عن رؤية الحق فنزه عقله عن المكابرة والتعسف الباطل والتكلف البارد . وقد بقيت هذه البشائر في كتب أهل الكتاب حجة عليهم الى يوم القيامة رغما عن تلاعبهم فيها مصداقا لقوله تعالى (الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والاغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون)

الدكتور

كتبت هذه الرسالة في ٤ مارس سنة ١٩١٢ — محمد توفيق صدقي

الغارة على العالم الاسلامي (*)

أو

﴿ فتح العالم الاسلامي ﴾

١٠

﴿ التنظيم المادي لارساليات التبشير ﴾

استمرت مجلة العالم الاسلامي الفرنسية في تلخيص تقرير جمعية التبشير الكنيسية فأشارت الى ما جاء فيه بخصوص أعمال مبشري هذه الجمعية في أفريقية الشرقية ، وقد كان الدكتور (كريف) أول من دخل هذه الديار وذلك أنه طرد من بلاد الحبشة سنة ١٨٤٤ فهبط الى (منبسه) ثم تبعه مبشرون آخرون أخذوا يطوفون عرض البلاد فاتسعت أعمالهم على الشواطئ منذ سنة ١٨٧٤ وكانوا يؤسسون قرى يقطنها الارقاء المعتوقون وشملت أعمالهم التبشيرية أفريقية الالمانية وبلاد (أوغندة) ثم أسسوا بعد ذلك ارساليتي تبشير واحدة على مقربة من جبال (كليا جارو) وأخرى

(*) تابع لما نشر في الجزء التاسع ص ٦٦٧

في سفح جبل (كانيا) ويبلغ عدد معاهدهم التبشيرية في أفريقية الشرقية الانكليزية فقط ٢٢ معهداً ولهم ٢١ معهداً علمياً يتعلم بين جدرانها ١٠٧٢ تلميذا وتبلغ الايرادات التي يتناولونها من المبشرين ٧٠ ألف فرنك ، والمبشرون القاطنون في (منبسه) وفي (مزبزعة) يجدون أنفسهم في بلاد اسلامية محضة ، كما ان المسلمين مسيطرون على كل ولاية { السيدية } ، وتوجد في الجهة الشمالية من هذه البلاد ارسالية تبشير في (جيلوري) التابعة لبلدة (مالندة)واقعة على مقربة من معهد عربي اسلامي قديم العهد ، ويرى مبشرو هذه الجهات أن الاسلام ينتشر في الداخل بين صفوف القبائل الوثنية المدمنة شرب الخمر ، وأخذ يتطرق الى الوثنيين المنتمين الى قبائل (وادايدة) رغما عما تمتاز به هذه القبائل من كثرة السحرة والدجالين بينها ويوجد كثير من وثنيي (واديغو) ينقادون للاسلام بسهولة ، ولتجار الساحل المسلمين قرى بنوا فيها مساجد حتى في جوف بلاد (كباره) الواقعة في سفح جبل (كانيا) على مقربة من المبشرين ، وقد أصبحت الحال موجبة للروية والتفكير لدرجة أن السير { بارسي جيروار } حاكم أفريقية الشرقية الانكليزية صرح في المؤتمر الذي أقامه المبشرون على ظهر الباخرة { غالف } في البحر الاحمر بأنه يجب على الحكومة وعلى المبشرين ان يشتركوا في العمل ضد الاسلام !

وقد جاء في تقرير جمعية التبشير ان المسلمين ليسوا الا قسما من أهالي هذه المقاطعة الا أنهم يؤلفون العنصر التجاري العامل الذي يتنقل من جهة الى أخرى ، ولذلك فان المبشرين يوجهون مجهوداتهم لتأليف كتب بالرطانة الساحلية ، وينشرون مجلة شهرية يبلغ عدد قرائها ٢٠٠ شخصاً فضلا عن الكتب الدينية التبشيرية التي نشرت بهذه الرطانة

ويعلق مبشرو هذه الجمعية أهمية على انتشار الاسلام في أفريقية الشرقية الالمانية وقد قالت المبشرة المس { فورسيت } انها كانت تجد مساجد صغيرة حيثما مرت وفي بعض الاوقات كانت ترى هذه المساجد بشكل أكواخ صغيرة الا أن هذه الاكواخ بمثابة مراكز للتبشير الاسلامي ، وأشار أحد المبشرين الى المجهودات التي يبذلها المبشرون لايقاف انتشار الاسلام وذكر آخر ان اثنين وثنيين متنصرون اعتنقا الاسلام ، ويرى المبشرون أن الخصم الوحيد لهم في هذه الجهات هو المسلم ، ويرون أن بعض المسلمين الذين وزعت عليهم كتب تبشيرية مكتوبة بالرطانة الساحلية طفقوا يشترون التوراة والانجيل ، وقالوا ان امرأة مسلمة في منبسة عني المبشرون بمعالجتها فاعتنقت النصرانية ،

وبرجع عهد دخول المبشرين الى مقاطعة { أوغنده } الى سنة ١٨٧٥ عندما صرح { متيسه } ملك هذه البلاد بارتياحه الى اقتباس التربية الاوربية ، وما ذاع خبر هذا التصريح الذي فاه به حتى تبرع اثنان رغبا باخفاء اسمهما بمبلغ ٢٥ ألف فرنك ليتسنى لجمعية التبشير انفاذ إرساليـة اليها ، وتمكنت فعـلاً من بعث إرسالية سنة ١٨٧٦ لكنها هوجمت في الطريق وفقدت بعض المبشرين ثم بقيت في { أوغنده } وتبعتها ارسالية تبشير كاثوليكية ، وقد أخذ الارساليتان بتوسيع أعمالهما بمدموت { متيسة } دون حصول أدنى منافسة بينهما ترجع فائدتها الى المسلمين ، الا أن { موانغا } الذي تقلد الملك بعد { متيسه } كان ارتياحه قليلا لاعمال المبشرين ولذلك أصبح المسيحيون الوطنيون عرضة للاضطهادات الشديدة ، لكن { موانغا } ماعتم ان خلع فأصبح المسلمون أصحاب الحول والطول في البلاد وطردوا المبشرين من كاثوليك وبروتستانت في سنة ١٨٨٨ . وما مضت سنة واحدة حتى أعيد (موانغا) الى منصبه بفضل رعاياه المسيحيين فوافق سنة ١٨٩٠ على رفع العلم الانكليزي لشركة أفريقية الشرقية البريطانية أي قبل ان تعلن الحماية الانكليزية على بلاده بأربع سنوات .

وفي سنة ١٨٩٦ بارح (موانغا) بلاده(١) فخلفه ابنه (شوا) الذي تعمد وسمي (داود) رغما عن ثورة قامت بها الجيوش السودانية ، ومن ذلك الحين توطدت أحوال مقاطعة (اوغنده) السياسية ويوجد عدا الاهالي المسلمين في هذه المقاطعة كثير من التجار الهنود والعرب والسوريين الذين يؤلفون كمية وافرة من المسلمين ، ثم جاء في تقرير الجمعية ان اثنين من المسلمين اعتنقا النصرانية في (بوغندة) بعد ان عني المبشرون بمعالجتهما ، ويشعر المبشرون بالصعوبات التي يثيرها زعيم مسلم في (كيرا) الواقعة شرقي اوغنده حيث الاسلام ينمو ويتقدم سريعا ، وحاصل القول ان للمبشرين في هـذه المقاطعة ١٠٠٠ معاهد أومحطات للتبشير و١٤٧ مدرسة يتعلم بين جدرانها ٤٧،٤٢٤ تلميذا ، ويبلغ مايتناولونه من الايرادات ٥٠٠ ألف فرنك ، وتقدر ميزانية مبشري هذه المقاطعة بمليون فرنك وهذا المبلغ الجسيم يؤيد وجود ١٠١٠ معاهد وقد كان للمنافسة التي حصلت ضد المبشرين الكاثوليك شأن كبير في توسيع نطاق التبشير اكبر من فكرة مناوأة الاسلام ومناضلته ، وعلى كل فسيرى الاسلام نفسه امام قوة التربية والحضارة الانكليزية التي يقوم بها المبشرون الانجيليون

وجاء بعد ذلك في التقرير ذكر ارساليات التبشير في مصر والسودان ، التي يرجع

(١) كأن هذا الملك لم يطق المقام في بلاده متلأ بالرحمة والوداعة وحب الاعداء ومباركة اللاعنين

عهد تأسيسها الى سنة ١٨١٥ عقيب حروب نابليون حيث هبطت ارسالية التبشير جزيرة مالطه وأخذ نطاقها يمتد وينتشر حتى بلغ مصر والحبشة واليونان وبلاد الدولة العثمانية وفلسطين ، ومن شأن هذه الارساليات ارجاع كنائس الشرق سيرتها الاولى وتنصير المسلمين ، لكن مع كل ما بذله المبشرون من الغيرة في هذه البلاد لم تكلل أعمالهم بالنجاح حتى أنهم أقفلوا مدرسة التبشير في القاهرة في سنة ١٨٦٢ بعد ان تخرج فيها بعض المبشرين ثم تأسست ارسالية تبشيرية في مصر انتقلت الى القدس عقيب الاحتلال الانكليزي للقطر المصري وعززت سنة ١٨٨٩ بارسالية تبشيرية طبية ، ولجمعية التبشير الانكليزية في مصر ستة معاهد للتبشير فيها كثير من النساء المبشرات لها مدرسة تبشيرية ومدرسة داخلية ومدرستان للبنات في القاهرة ومدرسة عالية في حلوان ، ولهذه الجمعية مكتبة عامة في القاهرة ، ويقوم مبشروها بنشر مجلة الشرق والغرب ، وتبلغ ميزانيتهم في القطر المصري ١٦٠ ألف فرنك ، اما الايرادات التي يتلقاها المبشرون من الوطنيين فلاتكاد تبلغ ٤٥٠ فرنكا وهذه الجمعية لاترى ارسالياتها التبشيرية في مصر أهم ما لديها كما يتضح من تقريرها السنوي .

وقد كانت سنة ١٩١٠ مهددة بصعوبات وعقبات ، اذا حملت الصحف الاسلامية في هذه السنة حملة شعواء على المبشرين عموما ، وقد كانت الصحف الوطنية خصوصا تمتاز بما كانت تصب عليهم من كلمات السب والشتم ، وكان الشيخ { سكندا ؟ ؟ } وامرأته عرضة للاضطهادات الآتية وهذه المعاملة لم تمنع بائعة كتب مسلمة متنصرة أن تقوم بواجباتها بمزيد الغيرة والنشاط ، والاعمال الطبية مستمرة النمو الا أنها لاتأتي بفائدة من الوجهة الدينية ، لانه لايكاد الطبيب يظهر بمظهر المبشر حتى تحيط به الاعتراضات كما كان شأن الدكتور (هربور) التابع لارسالية تبشير النيل ، وقد قام امام جامع (حامول) حيث كانت اقامة الدكتور وستة اشهر حث الاهالي على عدم حضور مذاكرة هذا الدكتور الذي استطاع مع ذلك ابراز بعض مناظر بالفانوس السحري في قرية { ستري } وأسس فيها مدرسة صغيرة لتعليم التوراة، وللجمعية أيضا مدرسة في منوف وأخرى في شبرا زنجي بقرب منوف بين سكان كلهم مسلمون

وقد أصدرت الجمعية بعض أموال لاقامة ذكرى { غردون } عقب موته في الخرطوم ، وهذه الاموال مكنت الجمعية بعد فشل الخليفة من تأسيس ارساليات تبشير في أم درمان والخرطوم وأتبره ومليك وفي أواسط السودان مع مدارس بنات ولها أيضا ثلاث مدارس للبنات في السودان الشمالية ، وأحوال مدرسة أتبرة سائرة

من حسن الى أحسن لانه أصبح في استطاعة المبشرين في { أتبره } أن يطالبوا من التلاميذ الصغار المسلمين أن يصلوا معهم صلاة الصبح (!) وهم يطلبون أيضا مثل هذا الطلب من المرضى المسلمين في مستشفى أم درمان ! واختتمت الجمعية نبذة تقريرها عن هذه الجهة قائلة انه على أثر موت { ليوبولد الثاني } ملك بلجيكا أرسلت الحكومة ٥٠٠ جندي مسلم الى مقاطعة { اللادو } فانتشر هؤلاء الجنود في البلاد وأخذوا يفتحون المدارس الاسلامية وسط القبائل الوثنية

وللجمعية أيضا ارساليات تبشير عديدة في فلسطين أخذت تنتشر في هذه البلاد منذ ١٨٥١ ، وتفضل الجمعية ارسال مبشرات غير متزوجات لان لهن تأثيرا على النساء المسلمات ! ولها مدرسة ومعهد للتبشير في بغداد والموصل

ويرجع عهد التبشير في بلاد فارس الى سنة ١٨١١ وسنة ١٨٣٤ حيث ابتدأ المبشرون الاميركيون بالتبشير بين النسطوريين ثم بين المسلمين . وقد اتضح للمبشر (بروس) سنة ١٨٦٩ ان المسلمين في أصفهان يميلون الى المجادلات الدينية فجاء الى (جولفة) ومكث فيها حيث فتح مدارس . ثم شدت أزره جمعية التبشير الكنيسية الانكليزية واتسع بذلك نطاق التبشير اذا أسست مدارس ومستشفيات منها مستشفى للبنات . وفتحت مدرسة داخلية للبنات في أصفهان . وقد قالت الجمعية ان الثورة الفارسية مهدت السبل للحصول على حرية الاديان الا أن نفوذ العلماء لم يزل ثابتا والفوضى منتشرة في عرض البلاد حيث يدأب الاشرار والسلابون في قطع طرق المواصلات

أوسعت جمعية التبشير الكنيسية مكانا من تقريرها لمقدمة صغيرة استهلت بها أقوالها عن البلاد الاسلامية وذكرت فيها مزايا الدين الاسلامي من حيث الاعتقاد بوحدانية الله . ثم بحثت في هذه الوحدانية فقالت انها تحتك من بعض الاوجه بمذهب اللاأدرية ! ومن وجه آخر بمذهب وحدة الوجود القائل ان الله والكون واحد ! وتقرب أيضا من مذهب تعدد الآلهة والشرك ! حتى ان لهذه العقيدة صلة بالمذهب الحيوي القائل بوجود روح في نفس الحيوان ووجود عامل حي في النبات والجماد وان هذا هو علة الاعمال الحيوية ولا تأثير للقوى الكيماوية أو المادية وتقول أيضا انه يجب ان ينكر على الاسلام سماحه لكل مسلم ان يعمل ما شاء لانه سيكون في آخر الامر مظهراً للرحمة الالهية ! وقالت أن في الاسلام عيبا فاحشا وهو حطه من شأن المرأة ودعمت ما عزته الى الاسلام بذكر نبذة جاء فيها ان امرأتين فارسيتين سمتا ابنتيهما الاولى « غير مطلوبة » والثانية « كفا بنات » ثم انتقلت

الجمعية في مقدمتها الى التساؤل عما اذا كان في الامكان حمل المسلمين على الدخول في حظيرة المسيح ! وافتتحت بابا خاصا أتت فيه على صنوف المجاملة التي تظهرها الحكومة الانكليزية نحو المسلمين وهي لاتنكر ان موقف الحكومة الانكليزية دقيق نظراً لكثرة المسلمين الموجودين تحت سيطرتها الا انها تنكر على بريطانية اهمالها بمجهودات المبشرين في القطر المصري والسودان ونيجيريا وجعلها يوم الجمعة في دوائر الحكومة المصرية يوم عطلة حتى ان ذهاب الاقباط المستخدمين في الحكومة في الارياف للكنيسة يوم الاحد منوط بارادة رؤسائهم المسلمين

ثم انتقلت الجمعية في تقريرها الى ذكر أعمالها في الاقطار الهندية وقد اتضح انها ليست منتشرة في عرض هذه البلاد وطولها كما يجب رغما من ان فيها ألفي محطة تبشيرية ولها كذلك ألف مدرسة يدرس بين جدرانها خمسة وستون ألف تلميذ . وتبلغ ميزانيتها في هذه البلاد ٤ ملايين من الفرنكات منها ٥٠٠ ألف فرنك تأخذها من الايرادات المحلية . وقالت ان أعمالها وأغراضها تختلف في هذه البلاد بحسب الاقاليم ولها ارساليات عديدة في مقاطعة البنغال وأشغال مبشريها ليست مقتصرة على التبشير بين المسلمين وقد يتفق حدوث مشاكل بينهم وبين المسلمين كما هو الامر في « بيحار » حيث قام مشايخ القرى واعترضوا على المبشرين لكن هذه الاعمال لم تحل دون انتشار التوراة باللغة الاوردية ولها أيضا معاهد وارساليات تبشيرية في ولايتي « اوده » و « اكره » . وتقول ان أول نائب قام باعباء التبشير في هذه الارجاء هو رجل هندي الاصل متنصر اسمه عبد المسيح ثم انكفأ بعد ذلك مبشروها على هذه المقاطعة . ولها معاهد ومدارس في « اكره » و « الله آباد » ويدرس في مدارسها كثير من المسلمين . ويتفق تنصير بعض أفرادهم من وقت الى آخر . الا انها رغما من فتحها بعض مدارس بطلب من المسلمين ومساعدتهم فان « اريا سماج » توفق الى اقفال عشر مدارس كانت فتحتها في « ازمغار » لكن هذا الامر لم يكن ليثبط همم المبشرين بل هم دائبون على أعمالهم التبشيرية التي تأتي من وقت الى آخر ببعض الفوائد واضعين نصب أعينهم نشر تعاليمهم وأفكارهم وجل ما يطلبونه مباشرة من الوطنيين أن يدققوا النظر في الدين المسيحي وتعاليمه . وهم ينشرون تعاليمهم التبشيرية بتلاوة التوراة في القرى والقاء المذاكرات في المدن وينشرون المطبوعات . حتى أن

أهم الاشخاص في الكلية الاسلامية في « اكره » يطالعون التوراة المكتوبة بالعربي. وقد توفقت اللجنة التبشيرية الكنيسية الى نشر بعض مؤلفات باللغة الاوردية وبحث طويل باسم « الهند والاسلام » . وللجمعية ارساليات تبشير في « جابالبار » تهتم بالامور الاسلامية ولها مدرسة عالية يتردد اليها المسلمون وارسالياتها التبشيرية منتشرة في كل مدن « بنجاب » وتبلغ ميزانيتها في هذه الولاية ٧٥٠ ألف فرنك يضاف اليها ٥٠ ألف فرنك ايرادات مدارسها وحركة أعمالها التبشيرية في هذه البلاد أحسن منها في غيرها نظرا لما تلقاه من المساعدة والمجاملة من المستر { لورنس } أو السير « منفوماري » أو الكولونل « مرتين » . عند ما تقلدوا زمام الامور في هذه الولاية . وقد اتسع نطاق التبشير من حيث التدريس والتطبيب ونشر المطبوعات والمدارس الصناعية وترجمة الكتب التبشيرية الى اللغة الاوردية والسندية . وقالت ان أسقف « لاهور » عين المحترم احسان الله ارشمندريتا على دلهي. ولمدرسة { لاهور } التبشيرية قسم صناعي . ويدير أعمال مدرسة { بها وابور } الواقعة في احد أقاليم بنجاب الاسلامية المحضة مدير وطني . وليست أعمال التبشير في (كشمير) بماشية كما يرام لان المسلم الذي يتنصر يقع في حيص بيص ويصبح عرضة للمتابعة والامتهان وقد اضطر المبشرون الى اقفال مدرستهم التبشيرية في (بلوجستان) وتقول الجمعية في آخر تقريرها أن الاسلام يقاوم الاعمال التي توجه ضده من حيث انه عقيدة ودين أما من جهة حركة الحضارة والمدنية فلا شك ان أعمال مبشري جمعية التبشير الكنيسية جارية على محور النشاط والتقدم

جاء بعد ذلك ذكر الهند الغربية . فقالت الجمعية ان هذه البلاد من الاقاليم التي اتسع فيها الاهتمام بالتبشير بين المسلمين اذ يلقي مبشروها محاضرات باللغة الانكليزية على المسلمين الذين اقتبسوا العلوم الاوربية ويحتدم بخلالها الجدال على الامور الدينية. كما ان المتنصر المولوي أحمد مسيح يلقي محاضرات تبشيرية في (بومباي). وتتبادل المناقشات الدينية في (أورنغباد) باللغة الهندية . ويقوم بعض المبشرين بالتبشير في المحطات مثل محطة (منمد) وهي نقطة مهمة تلتقي فيها قطارات عديدة وتظهر الجمعية ارتياحها الى علاقة المسلمين بالمبشرين في هذه المقاطعة والى رواج مطبوعاتها التبشيرية . وللجمعية أيضاً معاهد تبشيرية في الهند المتوسطة مثل مدينتي مدراس وحيدر آباد اختصت بالشؤون الاسلامية ليس الا .

وقد بدأت الجمعية بارسال مبشريها منذ سنة ١٨١٧ الى جزيرة (سيلان) التي

اتسعت أعمالهم فيها ولهم اكثر من ٢٠٠ معهد و ٣٢٦ مدرسة يدرس فيها ٢٣ ألف تلميذ وجل ما يصبو اليه المبشرون هو التحكك بالمسلمين خصوصا القاطنين منهم في مقاطعة (كندي) وما جاورها لان هؤلاء الاهالي يتظاهرون بالعداء للمبشرين ولا يدعون اولادهم يذهبون الا الى المدارس الخاصة التي أسسوها لانفسهم

ولم تذكر الجمعية شيئا عن المسلمين في الصين الا أن مبشريها بلا شك يعلقون على المسألة الاسلامية أهمية كما يتضح من مؤلف القسيس (مارشال بروموهال) بخصوص الاسلام في الصين ولهذه الجمعية فى بلاد الصين ٣٠٠ مدرسة وتبلغ ميزانية مبشريها ١٦٣٠٠٠٠٠ فرنك

أما جمعية تبشير التوراة الطبية فتختص بالتبشير بين النساء المسلمات والهنديات ويقوم مبشروها ومبشراتها باكثر من ٦٠٠٠ زيارة في البيوت وتعنى بتعليم ٦٠٠٠ شخص وتعالج ٣٢ ألف امرأة وحسب هذه الجمعية ان تظهر احتياجها لتمطر عليها النقود من كل حدب

انتقلت بعد ذلك المجلة الى الخوض في ارساليات التبشير الاميركية فاستهلت البحث بالجمعية التبشيرية الاميركية التي يرجع عهدها الى سنة ١٨١٠ وقد اتسعت أعمال هذه الجمعية اتساعا هائلا حتى أنه بلغ عدد اللجان التي شكلتها من الوطنيين في مناطق التبشير ٥٦٨ اشترك فيها ٧٣ ألف وطني يدفعون الى هذه الجمعية مبلغ ١٦٦٠٠٠٠٠ فرنك للقيام بنفقات الكنائس والمعاهد وتربية اولادهم . ويبلغ عدد التلاميذ الذين يدرسون في مدارسها ٧٠ ألف تلميذ . كما ان لديها كثيرا من النساء المبشرات يزداد عددهن من يوم الى آخر . ومن جملة المبادئ والاصول التي يروجها مبشرو هذه الجمعية أنهم عندما يهبطون احدى المدن لاجل التبشير يتركون الحرية التامة للذين يدخلون في مذهبهم في تأسيس وتشكيل كنائس خاصة يدير الوطنيون أعمالها حتى يتسنى للوطنيين الاستقلال في أعمالهم اذا اتفق ان المبشرين طردوا من البلاد . وازداد عدد المدارس العالية والابتدائية في بلاد الدولة العثمانية والهند . ويهتم ذوو الشأن في هذه الجمعية بايجاد مبلغ مليوني دولار يرصد ريعها لسد نفقات مدارس التعليم ومدارس التبشير وتهتم هذه الجمعية في امر التبشير في البلاد العثمانية خصوصاً سورية وفلسطين لانها لا ترغب ترك البلاد التي كانت مهبطا للتوراة تحت سيطرة الاسلام(١). الكنائس الشرقية الحاملة فيها في هذه البلاد أربعة

(١) هؤلاء هم رسل السلام المتبتلين قول السيد المسيح وأمره بان يعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله

فروع (الأول) في البلاد الاوربية العثمانية ومركزه (سافوكو) في بلغارية والثاني في أسية الصغرى ومركزه الاستانة والثالث في سورية وله مركزان في (مرعش) و (عينتاب) وفي الكردستان ومركزه {خربوط} وجل ما يتوخاه مبشرو هذه الجمعية استمالة الكنائس الشرقية وتنصير المسلمين بالتدريج وبالوسائط الفكرية والتعليمية لانهم يعلمون يقينا أنه يتعذر تنصيرهم مباشرة

أشارت هذه المجلة الى التعضيد الذي يلاقيه المبشرون الاميركيون من موثري أمتهم ومتمولي بلادهم الذين يمدونهم بالاموال الطائلة . ثم أتت على ذكر حادثة حصلت ابان انعقاد المؤتمر التبشيري المختلط في روشتر اذ انبرى المستر الفريد ميرلنغ الصيرفي والمثري الشهير في نيويورك وتقدم الى الحاضرين قائلا « ان لدي أمراً أريد ان أبسطه لديكم وهو اننا اصدقاء قديمون قد اجتمعنا هنا ورأينا اننا كنا في ضلالة لان السعي الوحيد وراء اقتناء الاصفر الرنان لا يأتي بفائدة أدبية ولذلك يجب ان نعمل مجهوداتنا للتأثير على رجال الكنيسة وعلى الاغنياء الذين يتمتع كل منهم بشيء من ثروة البلاد التي تربو على ١٠٧ مليارات من الريالات ليستعملوا ثروتهم لاغراض سامية نبيلة لان العالم كله في حاجة شديدة ليسوع المسيح ولذا فاننا نقول للقائمين بأعمال جمعيات التبشير : سندر عليكم أموالنا بمزيد الدقة فهل لكم ان تضموا الينا وأنتم في شرخ الشباب ؟ ضحوا حياتكم نظير ما نبذله لكم من الاموال لاننا نحن الآن في سن الشيخوخة وأصبحت ايامنا معدودة . هل لكم ان توقفوا حياتكم على خدمة يسوع المسيح ؟ نحن نريد جمعية تبشيرية لا يفصلها عن اعمالها غير الموت فانبرم اذا هذا العقد بيننا »

ثم اجتمع متمولو أميركة وأغنياؤها لاول مرة سنة ١٩٠٦ بدعوة من احد أغنياء التجار في وشنطون وهو الذي انبهر بما قام به شبان التبشير في مؤتمرهم في ناشفيل سنة ١٩٠٦ فقرر هؤلاء المثرون تأليف لجنة منهم للتداول مع رؤساء كل ارساليات التبشير الاميركية في الامور الآتية (١ بذل المجهودات لاجل تربية المبشرين العلمانيين (٢ التداول واعمال الفكرة لرسم خطة تنصير العالم قاطبة في مدة ٢٥ سنة ٣) تشكيل

= وقول (الرسول) ان كل سلطة منحدرة من العلو، وان صاحب السلطة لم يعط السلطة عبثاً، فمقاوم السلطة مقاوم لله وهؤلاء هم المنتهون بنهي المسيح بان لا يدخلوا بلداً ولا داراً الا بعد الاذن من صاحب الدار وأهل البلد وهم يدعون انهم يرغبون ادخال المسلمين وغيرهم الى حظيرة لم يدخلوها ، أفليسوا هم الذئاب في ثياب الحملان ودعاة سياسة تستروا بجلباب الدين ؟ اللهم نعم
صالح مخلص رضا

لجنة هامة مؤلفة من ٦٠ عضوا أو أكثر بأقرب ما يمكن لكي تتعهد بزيارة مراكز ارساليات التبشير وتعمل التقارير عنها

وقد كان من نتيجة هذا الاجتماع الذي أقامه المتمولون الاميركيون رواج فكرة التبشير وتأسيس لجان لهذا الغرض في كل ارجاء الولايات المتحدة وصار يرجع أمرها الى لجنة مركزية مؤلفة من مئة شخص منتشرين في الولايات المتحدة وبلاد (كندا) ثم اقيمت اجتماعات صغيرة في مئة واحدى مدينة من أمهات مدن الولايات المتحدة وكندا عقد على أثرها مؤتمر تبشيري وطني في (كندا) ومؤتمر ثان في (شيكاغو)

وهذه المجتمعات والمؤتمرات تقام في أفخم الفنادق فتعمل لها الولائم اثناء انعقادها ويحضرها جماعة من المثرين الاميركيين ويستعين كبار المبشرين بتلاوة الاحصائيات والتقديرات المالية ليتسنى لهم استمالة الاغنياء واستنداء أكفهم . ومن ذلك أن رئيس الحركة التبشيرية العلمانية تلي الاحصاء الآتي فقال « لو فرضنا أن ١٠ ملايين من المسيحيين تعهد كل واحد منهم أن يدفع عشرة ريالات في السنة في سبيل التبشير وتعهد مليون من الاغنياء بان يدفع كل واحد منهم ٢٠٠ ريال في السنة لهذا الغرض لكانت هذه المبالغ تسد نفقات كل جمعيات ارساليات التبشير . ثم لو رأى البروتستانت الاميركيون ان من الواجب عليهم ان ينصروا مئة مليون من غير المسيحيين لاحتاجوا الى ٤٠٠٠ مبشر و ٢٠٠٠٠ شخص من الوطنيين لمساعدتهم هذا اذا فرضنا ان كل ٢٥ ألف من غير المسيحيين يفتقرون الى مبشر اميركي واحد وخمسة من الوطنيين لمساعدته . وكل ما يتطلبه هؤلاء المبشرون من النفقات يقدر باربعة وعشرين مليون ريال ويمكن الحصول على هذا المبلغ اذا اكتتب كل شخص من التابعين للكنيسة بمبلغ سنوي لا يتجاوز عشرين ريالا » وقد اعترض أحد المبشرين الالمانيين على الوسائل التي يستعين بها المبشرون الاميركيون فلم يحفلوا باعتراضه بل أيدوا أعمالهم وبرهنوا على أن هذه الوسائل عززت ايراداتهم التي زادت سنة ١٩٠٩ ما يقرب على ثلاثة ملايين ريال

وقد حذت ارساليات التبشير النسائية حذوهم وطافت البلاد تستدر الاموال وأقامت الاحتفالات الشائقة، وتتوخى هذه الارساليات النسائية تحسين أحوال المرأة الشرقية ! والتحبب اليها . وقد كان من نتيجة الاعمال التي قامت بها أن ايرادات هذه الجمعيات زادت مبلغ مليون ريال أميركي .

وقد أقام المبشرون الاميركيون معرضا عاما لارساليات التبشير في (بوسطون)

في باحة الماكنات الواسعة افتتحه المستر (تفت) رئيس الجمهورية في شهر ابريل من سنة ١٩١١ واشترك في ترتيب هذا المعرض ٤٠٠ رئيس من رؤساء ارساليات التبشير فعرضت فيه نماذج محصولات البلاد التي يرتادها المبشرون مع صور محطات التبشير المنتشرة وصور متحركة تمثل أعمال المبشرين . وحاصل القول انهم جمعوا في المعرض ملاهي عديدة وجعلوا أجرة الدخول نصف ريال أميركي وأخذت بلدان أخرى أيضاً تعد المعدات لفتح معارض تبشيرية .

ثم جاء بعد ذلك ذكر إرساليات التبشير الالمانية التي امتازت فيها جمعية ارساليات التبشير الشرقية الالمانيـة . وقد كانت هـذه الجمعية التبشيرية جمعية صغيرة متوسلة بالصلاة والدعاء لأجل تأسيس ارساليات تبشير في الشرق وذلك عقيب مذابح الارمن سنة ١٨٩٥ أسسها القسيس (لبسوس) ثم دخلت هذه الجمعية في دورها العملي اذ نشر مؤسسها منشوراً حماسياً قال فيه :

« ان الشرق يدعو الغرب لشد أزره ، فجل ما نتوخاه أن نحرر الشرق بواسطة السيد المسيح ونخلص الـكنائس المسيحية من ظلم الاسلام ! ونفتح طريقا للسيد المسيح بارجاع هذه الـكنائس الى سيرتها الاولى ؟ هلموا الى قلب العالم الاسلامي لنحرز فوز الصليب على الهلال » ! وطفق بعد ذلك القسيس (لبسوس) يطوف في بلاد الأناضول وسورية وينشر تقاريره عن حال الارمن ، وتشكلت لجان المانية لمساعدتهم وأسس هو بعض محطات تبشيرية ، وانتهز فرصة انتصار اليابانيين في حربهم الاخيرة وذهب الى روسية لاجل تنصير الروسيين الذين يكرعون من المياه القذرة في الـكنيسة الروسية » وقد قال هذا القسيس « ان الاهتمام في صيانة الـكنيسة الشرقية لا يكفي للنهوض بالشرق بل يجب مناضلة ومناوأة الاسلام عدو المسيحيين الشرقيين القديم (!)

وعلى أثر ذلك تحولت جمعية اسعافات الارمن الى جمعية التبشير الالمانية في سنة ١٩٠٠ وقال (لبسوس) « انه لا تكفي المناوأة والمناضلة بل يجب شحذ السلاح » (١) وقد أدرك مبشرو هذه الجمعية مغزى أقوال رئيسهم وفهموا أن مناضلة الاسلام بصورة جدية حقيقية تفتقر الى الوقوف عليه تماما ولذلك باشروا طبع ونشر المؤلفات المتعلقة بالإسلام وأصوله بين العالم المسيحي ، ورأوا من الواجب الاقتداء بارساليات التبشير الاخرى وذلك بترجمة الـكتب الدينية الى اللغات الإسلامية وتأسيس مدارس

(١) ابن قول هذا القسيس من قول المسيح : ضم سيفك في غمده من أخذ بالسيف بالسيف يؤخذ

للمبشرين واتخاذ التدابير لصيانة المسلمين المتنصرين من تعدي بني جلدتهم ، وقد تمكنت هذه الجمعية من اخراج خطتها الى حيز الفعل بفضل القسيس (افاناريان) المولوي الذي اعتنق النصرانية بعد ان قرأ الانجيل ثم قام بالتبشير في البلاد البلغارية وأنشأ مجلة (شاهد الحقائق) فأفعمها بالمقالات التبشيرية ونشر مجلة أخرى سماها (كونش) أي الشمس ويعني بهذا الاسم انه يرغب في بث الافكار الدينية المسيحية بين المسلمين وقد انتشرت المجلة في البلاد العثمانيـة والبلغارية وكانت تلاقي بعض الاوقات معارضات شديدة

ومما قاله رئيس ارساليات التبشير الالمانية في تقريره عن أعمالها « ان نار الـكفاح بين الصليب والهلال لا تتأجج في البلاد النائية ولا في مستعمراتنا في آسية أو أفريقية بل ستكون في المراكز التي يستمد الاسلام منها قوته وينتشر سواء كان في أفريقية أو آسية ، وبما ان كل الشعوب الاسلامية تولي وجوهها نحو الاستانة عاصمة الخلافة فان كل المجهودات التي نبذلها لا تأتي بفائدة اذا لم نتوصل الى قضاء لبانتنا فيها ، ويجب أن يكون جل ما تتوخاه جمعية ارساليات التبشير الالمانية هو بذل مجهوداتها نحو هذه العاصمة وهي قلب العالم الاسلامي . » (١)

وقد نشرت مجلة الشرق المسيحي والتبشير الاسلامي الالمانية التي هي لسان حال جمعية ارساليات التبشير الالمانية مقالة بخصوص تعيين الدكتور (رينتشر) رئيسا لهذه الجمعية ومما قالته « ان أهمية أعمال التبشير بين المسلمين تزداد يوما بعد يوم وتستغرق أكثر مجهودات ووسائل المبشرين الالمانيين حتى ان الجمعية اضطرت عقيب تأسيس المدرسة التبشيرية لدرس الاسلام وأصوله ومبادئه في (بوتسدام) ان تترك الحرية التامة لرئيسها ريثما يخصص للتبشير بين المسلمين »

وقد فتحت هذه المدرسة سنة ١٩٠٩ والقصد منها تربية المبشرين واطلاعهم على الامور الاسلامية والمؤلفات الدينية ، لانه رغما من اطلاع المستشرقين الالمانيين وطول باعهم في المؤلفات الاسلامية فان التعاليم والعقائد التي تلقى في المساجد والمعاهد الاسلامية لم تزل خافية علينا ، وقد منح الله الجمعية التبشيرية باستاذين علامتين اعتنقا الدين المسيحي يقومان بالتدريس في هذه المدرسة وهما بمثابة سيل طامي صب على الدين المسيحي الحي القوتين الاسلاميتين اللتين هما الشريعة والصوفية واسم الاستاذ

(١) هؤلاء هم انصار الاسلام الذين كان يستصرخهم مجانين الاتحاد وفي مقدمتهم شيخ الضلال عبيد الله وقت شن الغارة على ايران الاسلامية صالح

الاول المدرس نسيمي افندي الذي ينتمي الى عائلة اسلامية عريقة سبق لاحد أعضائها تقلد منصب المشيخة الاسلامية . واسم الثاني الشيخ أحمد الكشاف(١) شيخ طريقة صوفية وانضم اليهما القسيس (افاتارنيان) الآنف الذكر الذي كان اسمه محمد شكري افندي وهؤلاء الثلاثة يدرسون التفسير والتعاليم الصوفية واللغة العربية والفارسية والتركية ودروس تاريخية إسلامية . لتلاميذ مدرسة (بوتسدام) . وتبلغ ميزانية جمعية ارساليات التبشير الالمانية ١٨٦ ألف مارك . .

١١

﴿ نوايا المبشرين وآمالهم في المستقبل ﴾

لا تكتفي ارساليات التبشير بالنظامات والاوضاع التي أخرجتها الى حيز الفعل بمزيد الدقة والنشاط واجهادها النفس لتوحيد أصولها وأوجهها بل هي تعد المعدات لتوسيع دائرة أعمالها ليتسنى لها شن الغارة على الاراضي الاسلامية المقفلة في وجهها أو هي تحفز لمنازعة الاسلام على البلاد التي ترسخ قدمه فيها

وقد ظهر في عالم المطبوعات مؤلفان يتعلقان بالغارات التبشيرية في المستقبل والحظ الذي سيكون للشبان المتنورين منه . أحدهما للقسيس زويمر الذي يوجه تأليفه الى الطلبة . ويذكر لهم الاقاليم الخالية من المبشرين . والآخر بقلم المستر (غردنر) السكرتير العام لجمعية الطلبة المسيحيين وهو بخصوص الاعمال التبشيرية في أفريقية الجنوبية وقد كانت فكرة هذين المؤلفين منطبقة على قرار مؤتمر (أونبورغ) التبشيري الذي جاء فيه ان القسم الاعظم من العالم الاسلامي خال من التبشير المسيحي وأشير الى الاقاليم الاسلامية الخالية من التبشير في أفريقية وآسية والى ضرورة اكتساحها

وقد أشار (زويمر) في القسم الاول من كتابه الى البلاد الاسلامية الخالية من المبشرين مثل الافغانستان وعدد سكانها ٤ ملايين مسلم والعشرين مليونا من المسلمين القاطنين في (بخارى) و (خيوة) (وتركستان الروسية) وكلها لا يوجد فيها مبشر برتستاني واحد وهناك بلاد أخرى لا تخلو من المبشرين الا أن مجهوداتهم غير كافية لقضاء لباناتهم ، وقال ان أهالي تركستان الصينية يظهرون مزيد الحفاوة بالمبشرين وهم أقل تعصبا من سكان البلاد الاسلامية الاخرى ! ولفت الانظار الى أنه لا يشغل

(١) نسيمي أفندي والشيخ احمد كشاف من قراء المنار فلو بينا حقيقة هذه التهمة نفيا أو اثباتاً فاننا نكون لهما من الشاكرين
صالح

الطريق التي توصل الهند والتركستان الروسية وتجتاز جبل (كركوروم) الا بعض مبشرين متنقلين من جمعية التوراة التبشيرية مع أن هذه السكة يمر بها المسلمون الصينيون الذين يتوجهون الى مكة لاداء فريضة الحج أما الوثنيون في سيبرية فانهم يميلون بسهولة الى اعتناق الدين الاسلامي ولا يوجد بين مسلمي الهند الصينية الفرنسية الذين يبلغون ٢٣٢،٠٠٠ سوى ارسالية تبشيرية بروتستانية واحدة . ثم جاء بعد ذلك ذكر البلاد العربية فقال : ان جزيرة العرب التي هي مهد الاسلام لم تزل نذير خطر للمسيحية . أما المبشرون القاطنون حول عدن والشاطئ الشرقي منها فلا يشغلون الا أربع نقط تبشيرية . ووجودهم لم يمنع جزيرة « سكوتاره » التي كانت في سالف أيامها مسيحية ـ أن تصبح اسلامية محضة . والمؤلف يعلل النفس بأن السكة الحديدية الحجازية التي تربط دمشق بمكة والمدينة ستمهد للمبشرين سبيل نشر الانجيل باللغة العربية التي هي أكثر اللغات الاسلامية انتشاراً . والقسم الوحيد من البلاد العربية الذي تكون فيه حركة تبشيرية واقعية هو القسم الواقع بين ولايتي بغداد والبصرة اذ توجد فيه محطتان هامتان للتبشير وثلاث محطات مساعدة لها ، وقبل أن ينتهي المؤلف من البحث في القارة الآسيوية أشار الى جزر ملازيه وتساءل عما اذا كانت هذه الجزر تبقى في قبضة الاسلام أم لا؟ وقال انه دخل في الحظيرة المسيحية ٤٧،٧٢٩ شخصا من « البتاكس » القاطنين في غرب (صومتره) الا أن الاسلام يتوطد في جزيرة « بورنيو » ويتوغل في كل الجزر الاخرى ـ عدا (بالي) ـ وينتشر في قسم من « لمبوك » والمبشرون كثيرون في « سنغافورة » وفي الممالك الملازية المستقلة الا أنهم يتحاشون التحكك بالاسلام مع أنهم لا يلاقون أمامهم الصعاب التي يلاقيها المبشرون المنتشرون في البلاد العربية والفارسية ، والمبشرون في الصين والهند قليلون جدا وهم لا يهتمون بالمسلمين !

ثم انتقل « زويمر » الى قارة أفريقية فقال انه يوجد في أواسط أفريقية مجال فسيح للتبشير وأقاليم واسعة الارجاء واقعة على مسافة مئة ميل من الشاطئ يربو عدد سكانها عن خمسين مليونا لم تنتشر فيها الآيات الانجيلية ، والاسلام يتقدم وينتشر بهدوء ونظام في أفريقية ونيجرية بين القبائل الوثنية لان الحكومة الانكليزية تمنع تبشير المسلمين وتحظر على المبشرين المسيحيين ولوج الاقاليم التي يتوغل فيها الاسلام ، أما طرابلس الغرب وتونس والجزائر فليس فيها سوى أربع محطات تبشيرية

وقد خص (زويمر) القسم الثاني من مؤلفه بالبحث في الامور الاجتماعية التي تتعلق بالأعمال التبشيرية فقال ان أكبر حجة كان المبشرون يدعمون بها أعمالهم التبشيرية منذ مئة سنة كانت لاهوتية دينية محضة أما الآن فقد أصبحت أعمالهم مشفوعة بأسباب اجتماعية . وكان ينظر في سابق الايام الى المبشرين نظر قوم يشنون حربا صليبية ترمي الى التنصير فقط فتحولت الافكار وصارت الاعمال التبشيرية تشف عن فكرة الاصلاح الاجتماعي وعن رفع شأن الشعوب غير المسيحية لان احتلال الاقاليم الخالية من المبشرين ناشئ عن أحوال هذه البلاد الاجتماعية المحرومة من يسوع المسيح . والتي هي بالتالي خالية من كل بارقة أمل . وأتى القسيس (زويمر) على ذكر الاوصاب الاجتماعية التي تلم بالشعوب الاسلامية وأشار الى المتاجرة بالرقيق والقسوة الملازمة لهذه التجارة وقال انها ليست في خبر كان بل هي ما زالت منتشرة في البلاد العربية والافريقية حيث توجد أسواق لهذا الغرض تحميها الشرائع الاسلامية القرآنية بالرغم من الاوربيين . ثم ذكر بعد ذلك أسباب الانحطاط الاقتصادي في شبه جزيرة العرب ومنغولية وافغانستان ، والغزوات والغارات التي يشتعل لظاها بين القبائل العربية في الصومال وأفريقية الوثنية ، والفقر المدقع المنتشر في بعض الجهات . وقال ان تمادي الاعتقاد بالتمائم وتأثيرها يؤخر أحوال الشعوب الاسلامية ويزيد في شقائها .

وختم هذا الباب من كتابه بقوله ان الخطة الفاسدة الخطرة التي تقضي ببث مبادئ المدنية مباشرة ثم نشر المسيحية ثانيا عقيمة لافائدة ترجى منها لان ادخال الحضارة والمدنية قبل ادخال المسيحية امر لا تحمد مغبته بل تجم عنه مساوئ كثيرة تفوق المساوئ التي كانت قبلا !

وأشار في القسم الاخير الى المزايا والسجايا العقلية التي يجب على المبشرين أن يتذرعوا بها وقال : ان المشايخ والرؤساء الروحيين في (بلوجستان) وافغانستان غير قائمين بوظائفهم وهم على شاكلة الرؤساء الروحيين المنتمين للاديان غير المسيحية ! ثم بين أهمية الاقاليم الخالية من المبشرين وأفاض في شرح الوسائل للتحكك بالشعوب غير المسيحية وجلبها الى حظيرة المسيح وناقش طويلا في الخطط والاصول التي يجدر اتباعها ونهض همة المبشرين بخطاب وجيز اختتم به كتابه الذي سماه (مجد المحال)

اما كتاب المستر (غردنر) فيقع في ٢١٢ صفحة مزينا بصور فتوغرافية للمساجد والمعاهد الاسلامية المنتشرة في جنوب افريقية ومدغسكر - وضعها السكرتير العام لجمعية الطلبة المسيحيين عمدا ليلفت الانظار الى التقدم السريع الذي يتجه نحوه الاسلام في هذه الاقاليم نظرا لامور سياسية واقتصادية ، وهذا السفر أشبه باستصراخ واعلان حرب ويحوي كيفية وادوار نزال عراك ستدور رحاه بين الاسلام وحاملي لواء التنصير في أفريقية الجنوبية !

وقد تساءل المؤلف عن امكان تنصير سكان البلاد الاصليين وانتقد أقوال الدكتور (وهربك) القائل « انه يتعذر على الوطني ان يتأثر بنفوذ المسيحية - هذه العقيدة الخاصة بالاجناس الراقية (!) واستصوب أن يعتبروا في بادئ الامر داخلين تحت حماية المسيحية وأتى على براهين تنافي أقوال الدكتور وأشار الى المتنصرين في كورية وأواسط أفريقية وقال انه في الامكان تنصير الوطنيين ببث مبادئ المذهب البروتستانتي

ثم قال ان افريقية الجنوبية تنتظر حركة دينية فيخلق بالمبشرون ان يسرعوا باعمالهم ويبذلوا قصارى جهدهم في هذا الامر اذا كانوا لا يودون ان ينتشر الاسلام في هذه البلاد وترسخ اقدامه

وأشار الى قول الأسقف (هرتزل) الذى أفاض في مزايا ومحاسن السكة الحديدية التي تربط القاهرة ببلاد الكاب وقال غير ان هذا الخط الحديدي يجعل القاهرة محجا للمسلمين المنتشرين من جنوب أفريقية الى شمالها فيجب نشر التبشير حينئذ من الكاب الى القاهرة . ويقول ان من سداد الرأي منع جامعة الازهر ان تنشر الطلبة المتخرجين منها في جنوب أفريقية اتباعا لقرار مؤتمر التبشير العام . لان الاسلام ينمو بلا انقطاع في كل افريقية (! ?)

وأشار ايضا الى جمعية النهضة السياسية الافريقية التي يرأسها الدكتور عبد الرحمن وهذه الجمعية تضم اليها كثيرا من الاجناس والعناصر وهي برهان على النهضة التي دبت روحها بين الوطنيين ولهذه الجمعية جريدة هي لسان حالها تنشر بالانكليزية والهولندية وهي تبحث في صوالح الوطنيين وتحمل الحملات الشديدة في بعض الاوقات على الكنيسة الهولندية وعلى الحكومة . وقد قالت منذ مدة : لقد ازف الوقت الذي يجدر بالوطنيين ان يقولوا للجنس الابيض « ان الدين المسيحي الذي يفتخرون به يباين وينافي تعاليم المسيح » . وتهتم هذه الجريدة بنفخ روح النشاط بين السود

لتستميلهم الى اقتناء العقارات والاعتماد على أنفسهم فعلى المبشرين ان يحولوا أنظارهم نحو الاعمال والحركات السياسية والاقتصادية

وقد أفاض صاحب التأليف في وصف فرق ارساليات التبشير المنتشرة في أفريقية الجنوبية وكيفية اتفاقها وأصول تعاليمها والوسائل التي يجدر اتخاذها للم شعث ارساليات التبشير وجعلها كتلة واحدة امام البحر الاسلامي الطامي ، وقال ان حظ هذه البلاد من المبشرين أكثر بكثير من حظ البلاد الاخرى لان نصف المبشرين الذين تصدوا افريقية للتبشير بين المئة والخمسين المليون من الوثنيين موجودون في افريقية الجنوبية ليبشروا بين ظهراني ستة ملايين من السكان فيكون حظ كل مبشر ١٣٠٠ من الوطنيين بينما حظ المبشر في الجهات الاخرى يبلغ ٢١٤٠٠ وطني واختتم كتابه بذكر أسماء جمعيات التبشير ولجانها وما أسسته من المعاهد (يتلى)

اخبار العالم الاسلامي

« المسلمون في مجلس الدوما (النواب) الروسي »

٢

(بقية خطبة صدر الدين افندي مقصودف)

« النائب المسلم في الدوما »

« بناء على ماذكر أولا - أي بناء على وجود الجامعة الاسلامية - تفكر جمعية الشورى فيما يأتي

١) تخصيص إعانة نقدية للمبشرين ولجمعيات نشر المعارف الروحية « كجمعية براتستواسوتوي غوري مثلا » في ولايات ضواحي (ايدل) حيث الناس خليط من المسلمين ،

٢) زيادة شعبة مخصوصة في قزان لتعليم أساليب اللغة المحلية حتى يقدر التلاميذ على التفاهم بها ، فضلا عن دروس الالسنة الشرقية الموجودة الآن في الجمعية العلمية

(الأكاديمية) الروحية في قزان ، و بعبارة ثانية وجوب اعانة جمعية المبشرين

٣) أن يقبل في هذه الشعبة من أتم مدة مدرسة من المدارس الثانوية الروحية و الملكية فضلا عن الذين يستحقون الدخول في جمعية المبشرين بناء على القوانين العمومية .

٤) الذين يتمون مدة شعبة جمعية المبشرين هذه يقدمون على غيرهم في أن يعينوا معلمي اللسان والديانة في المدارس الثانوية الروحية ويكون لهم الحق أيضا في أن يكونوا قسيسين أو مبشرين في الاماكن التي يوجد فيها أقوام من غير الروس .

٥) بما أن الشعبة الموجودة الآن في قزان تؤدي الاحتياجات الدينية والاخلاقية في ضواحي نهر (ايدل) فيجب أن تخصص لها اعانة لشراء وترتيب بناية خاصة بها (كل هذه في الاعانة للمبشرين ، ومع هذا تدعي أنها من التدابير والاسباب لمقاومة الجامعة الاسلامية)

٦) إن المدارس الروحية الثانوية يجب أن يكون تعليم اللغة المحلية اجباريا فيها اذا كانت في الاماكن التي يسكن فيها المسلمون .

٧) لأجل تمكن الأرثوذكس من مقاومة الاسلام يجب : (١) تعليم الديانة الاسلامية في دور المعلمين التابعة للكنيسة مع الاعتراضات عليها من طرف الديانة النصرانية . (ب) نشر تاريخ المسلمين الاجمالي ونشر كتب للرد على العقائد الاسلامية وإعطاء الجوائز للذين يجيدون ما يكتبون فيما ذكر

٨) تمكين الجمعية (الأكاديمية) الروحية في قزان من نشر مجلة أو جريدة في روح النصرانية يفهمها العامة للتأثير في غير قوم الروس بواسطة المطبوعات تأثيرا مدنيا ودينيا ، وتخصيص اعانة لهذا الغرض تزيد على ٣٫٢٠٠ روبل

٩) يجب أن يسكن الرؤساء الروحيون في الولايات الشرقية التي يكثر فيها المسلمون أو في الاماكن التي يكثر فيها المهاجرون بين المسلمين والمهاجرين

١٠) يجب لتقوية الخدمة الدينية والمدنية في المحلات التي يوجد فيها المسلمون:

(ا) أن يعمل الروحيون والمأمورون الملكيون بعد أخذهم الرخصة محاضرات دينية موافقة لروح الكنيسة الارثوذكسية لاجل الكبار والصغار (ب) افتتاح دور

الكتب (الكتبخانات) قرب المكاتب (ج) تحسين معيشة الخدمة الروحيين في القرى بتعيين مرتبات مقننه لهم ، وذلك في المحلات التي يوجد فيها أقوام من غير الروس . (وهذا أيضا منح اعانة ، وتدبير ضد الجامعه الاسلاميه ؟ .)

١١) إخراج الفنون التي لا تعلق لها بالديانه من مكاتب ومدارس المسلمين ومن جملتها اللغه الروسيه فلا يعلم فيها غير الديانة الاسلاميه وأن يسلم تفتيش تلك الامور الى نظارة المكاتب العموميه .

(بعد معارضة من حزب اليمين وكلام مع الرئيس) قال : أرجوكم أيها الافنديه أن تصبروا أيضا دقائق معدودة . فأنا لا أقرأ لكم قرارات الجمعية الشورية بتمامها بل اقتصر على كبراها . ومن قراراتها ترك مكاتب المتنصرين من التتر (*) على حالها الحاضرة وعمل هيئة شورية مركبة من الروحيين ووكلاء نظار المكاتب ينظرون في شؤونها .

٢٠) جعل أمثال هذه المكاتب الواقعه في محلات يكثر فيها المسلمون تحت نظارة ادارة الامور الروحية الارثوذكسية

ومن قراراتها أيضا أنه نظرا لكثرة عدد النفوس التي تحت نظارة الادارة الروحيه الاسلاميه ولعدم إمكان التوفيق بين تسليم شؤون المسلمين كافة الى ادارة واحدة و بين منافع الدولة ومنافع شعوب المسلمين أنفسهم يجب تسليم اصلاح الادارة الروحيه الى الوزارة الداخليه وهي تقوم باصلاحها بتأسيس ادارات روحيه اسلاميه متعددة في محلات متعددة (و بعد استراحة المجلس استأنف الكلام صدر الدين افندي مقصودف) فقال :

أيها الافنديه ! قرأت لكم قبل الاستراحه اللائحه التي تبحث في التدابير ضد الجامعه الاسلاميه ولعل تلك القرارات بقيت في خاطر أحد منكم ولم تذهب جميعها من بالكم، واريد الآن توجيه انظاركم اليها ثانية ولاسيما مادة واحدة منها وهي المادة ١١ التي قيل فيها « اخراج الفنون التي لا تعلق لها بالديانه » ، من مكاتب ومدارس المسلمين ومن جملتها اللغه الروسيه فلا يعلم فيها غير الديانه

(*) هؤلاء يقال أنهم تنصروا كرها بعد سقوط امارة قزان

الاسلاميه وأن يسلم تفتيش تلك الامور الى نظارة المكاتب العمومية .

أيها الافندية ! انهم قد صدروا هذه القرارات بمقدمة أتوا فيها بالأدلة على ضرورة انفاذها جاء فيها :

«بناء على أن المعلومات الدينية ضرورية لعلماء المسلمين الدينيين بصفة أنهم أمة لها كيان ومشخصات كغيرها ترى الجمعية الشورية دوام بقاء مكاتبهم ومدارسهم الدينية من غير شك الا أنه يجب ارجاع هذه المدارس الى حالتها الدينية المحضة ، فالجمعية ترى جعل حد فاصل بين العلوم الدينية وغيرها من الفنون مما لا بد منه . وشؤون التعليم الديني في تلك المدارس تسلم إلى نظارة العلماء الروحيين من المسلمين ، ولا يتداخل فيها رجال الحكومة ومع ذلك يجب أن لا يترك سبيل لتعليم الفنون العمومية فيها . و بناء على النظام المصدق من طرف القيصر في ٢٦ مارس سنة ١٩٠٧ كان قد جعل تعليم الروسية اجباريا في مكاتب ومدارس المسلمين ، وأعضاء الجمعية الشورية تذاكروا أيضا في هذه المسألة ، على أن جعل تعليم اللغة الروسية اجباريا في المكاتب والمدارس كان قد بني على مقصد معين وهو ادخال مكاتب المسلمين الموجودة الآن في سلك المكاتب العمومية . وأنى لنا بالتأكد من صحة هذا المقصد ؟

واذا هو حصل فان مكاتب المسلمين تخرج طلابا لهم وقوف على المعارف العمومية الحقيقية وهذا ليس بمطلوب قط ، ثم ان جعل تعلم اللغة الروسية اجباريا في المدارس الاسلامية لم يجز قبولا عند المسلمين وعدوه تحاملا على الدين وعملا يراد به الذهاب بمشخصاتهم أو تحويلها الى مشخصات روسية قسرا

فبناء على ما تقدم ترى الجمعية وجوب محو اللغة الروسية (الموجودة الآن) في المكاتب والمدارس الاسلامية وان لا يؤذن للمسلمين فيما بعد بادخال اللغة الروسية في مكاتبهم ومدارسهم »

أنظروا أيها الافندية ! بعد ما سمعتم هذه القرارات التي حازت القبول من رجال الحكومة الذين يريدون الاحتفاظ بمنافع الدولة ترون انا بطبيعة الحال ننتهي الى البحث والتفكر فيما يلي : نحن مسلمي روسية لسنا تحت ادارة حكومة دنيوية تدير شؤونها بالعقل والروية بل نحن تحت نظارة المبشرين الذين لا ينظرون

الينا الا بعين العداوة ، لان رجال الحكومة يأتمرون بأمر المبشرين في ادارة شؤوننا في جميع الاوقات فكأننا محكومون بحكومة (اكليريكية)

موضوع قرارات الجمعية التبشيرية في قزان وقرارات رجال الحكومة في العاصمة واحد وهو وجوب اعانة جمعية المبشرين ومنع تعليم تقويم البلدان والتاريخ ولغة الروس وغيرها من الفنون في مكاتب ومدارس المسلمين وعدم الأذن بافتتاح مكاتب أخرى . كل هذا لمقاومة الجامعة الاسلامية على ادعائهم فتفضلوا أرونا أي قرار من تلكم القرارات يفهم منه مقاومة الجامعة الاسلامية

كلا! ليس هناك شيء لمقاومة تلكم الجامعة بل كلها لمقاومة الاسلام نفسه أولا ولمقاومة رقي المسلمين ثانيا .

انظروا أيها الافندية ! بسبب تلكم اللوائح من المبشرين وتلقيناتهم المستمرة ايقنت وزارة الداخلية بوجود حركة (الجامعة الاسلامية) وأرسلت التعليمات اللازمة الى الولاة والمأمورين الآخرين لمقاومة هذه الحركة ، فأخذ الولاة وغيرهم من المأمورين يبحثون عن الجامعة الاسلامية وأخذوا يرون في كل شخص ظلها ، وكل مأموري الادارة أخذوا يجدون في نيل قصب السبق للعثور على مركزها فبدأت التفاتيش والحبس والنفي وسبق في هذا الامر مأمور ولاية (وياتكه) وامتازوا به على غيرهم . فتشوا عن مركز الجامعة الاسلامية حتى عثروا عليه .

لو كان الامر بأيديكم فأين كنتم تفكرون وجود مركز هذه الجامعة ؟ هم وجدوه في مدرسة دينية في قرية فقيرة تسمى (بوبي) بولاية وياتكه ، ومن الصدفة كان معلموها يعلمون تقويم البلدان والتاريخ ولغة الروس فضلا عن العلوم الدينية

عندما سمعت ادارة الشرطة في وياتكه بتعليم الفنون الجديدة في هذه المدرسة أخذت تفكر : لا بد من وجود شيء في هذه المدرسة ، يعلمون في مدرسة اسلامية اللغة الروسية وتقويم البلدان باختيارهم و بنفقاتهم الخصوصية ! فلا بد من وجود الجامعة الاسلامية هنا . وأخذت تستفهم الأئمة في القرى المجاورة لقرية بوبي عن شؤون المدرسة وهل الأئمة في قرية بوبي يشتغلون بالجامعة الاسلامية أم لا ؟ والذين يخالفون تدريس اللغة الروسية وتقويم البلدان من الأئمة وكذلك الجهلة

اجابوا باحتمال وجود الجامعة الاسلامية فيها وقالوا : انهم يعلمون التلاميذ جريان الارض حول الشمس ودورانها حول محورها . وهل للارض محور ؟ وذلك لاشك من علامة الجامعة الاسلامية « كل هذا مكتوب في سعاية من السعايات المقدمة للحكومة »

صدقت أدارة الشرطة في وياتكه أقوال أعداء أئمة بوبي وشرعت في في إبلاغ الامر الى المقامات العالية . وسلم هؤلاء السيئي البخت الى المحكمة . وكانوا أولا سجنوهم من غير تفتيش من المحكمة ولكن باشروا الآن العمل في المحكمة حتى لا يعد أمرهم هذا شيئا خارجا عن حد اللياقة ليس الا . يقولون : إن ذنب هؤلاء الائمة اشتغالهم بالجامعة الاسلامية كأنهم نشروا من قريه بوبي فكرة الجامعة الاسلامية في انحاء روسية جمعاء . وهم منذ سنة ونصف في سجن بلدة سار بول ولا يعلم أحد متى يكون الحكم عليهم (١)

نحن تيقنا من الآن بسقوط الجامعة الاسلامية التي ظهرت من جانب الموظفين والمبشرين وتيقنا ان سيعلم الناس جميعا انه لا يوجد بين المسلمين حركة ما سوى حركة الاجتهاد في الارتقاء والتقرب من مدنية الروس . وأطال الخطيب في آراء المحافظين على القديم من المسلمين وسعاياتهم بالنشء الجديد الطالب للارتقاء والتحكك بمدنية الروس وأتى على ذكر الحاج طلاشي الشركسي صاحب مجلة مسلمانين التي كان يصدرها في باريس وذكر تناقضاته بتهويله بالجامعة الاسلامية تارة و بوضعه اساسا وابدائه النصائح لتأسيس بنيانها وايجادها تارة اخرى واستشهد بالعدد ٣٧٥ من جريدة ريج الروسية ثم قال :

والحاصل أيها الافندية انه قد أتى دور الحبس والتفتيش واقفال المكاتب بسبب سعايات جهلة من المسلمين وغيرهم ممن اتخذوا السعاية مهنة لهم . ابتدأت هذه الامور في زمن اسطالبين ولا تزال مستمرة الى الآن وتنفذ على الدوام تدابير

(١) قد صدر الحكم على ابني بوبي من مدة غير بعيدة في جلسة سرية في بلدة ساربول بالحبس ستة أشهر

الجمعية الشورية . والذين ينظرون معي الى هذا الامر متجردين من الغاية والتحيز يقتنعون ببطلان هذه السياسة وانها تنافي منافع الدولة كما انها توجب الوهن لبناء كيان دولة الروس المتين

انتم باتهامنا بهذه الجامعة تقطعون علينا طريق العلم والمدنية بعد أن اخذنا نستيقظ لانتهاجها الآن ، وكثير من الناس يعرف عاقبة هذه السياسة السوءى

ايها الافندية ! انتم تغلطون غلطا فاحشا تجلبون به ضررا عظيما الى مستقبل روسية . ولا حاجة بي الى الاستدلال على صداقة المسلمين لدولتهم اذ هي معلومة لكل أحد من قديم الزمان وهذا كلام صحيح وتلكم الصداقة قد استمرت الى الآن كما يعرف الجميع ولو لم يتخذوا سياسة أخرى لكانت كذلكم الى ما شاء الله . ولكن قد توجد أشياء توقع الاضطرابات بين أصدق التبعة وقد تخرج العقول الصحيحة عن محجة الصواب ، وتلقي الخوف وعدم الامن بين أشد التبعة سكونا وهدوءاً . ايها الافندية ! اذا نفوا إماماً في قرية بلا سبب وأقفلوا مدرسة في قرية ثانية وصادروا كتبا دينية في ثالثة وتكرر أمثال هذا كل يوم فلا شك في كونها تولد افكاراً سيئة في رؤوس الاهالي غير مطلوبة لنا ولا للحكومة .

أيها الافندية ! أقول لكم علناً ان مسلمي روسية لا توجد بينهم حركة وآمال تضر دولة الروس وتخالف منافعها (يصيح بعضهم من الوسط : صحيح) (مقصودوف :) إذا كانوا يقدرون على تنفيذها فليثبتوا مدعاهم على هذا المنبر سواء كانوا من وكلاء الحكومة أو من النواب .

أيها الافندية ! أكرر قولي انه ليس فينا فكر ولا حركة ضد الدولة ولكن لنا طلب واحد وهو أن نكون أحرارا وذوي حقوق كاملة في الدولة الروسية الكبيرة . نحن لا نشك في وصولنا الى هذا المقصد : إذ لا يمكن لأمة عددها ٢٠ مليونا أن تبقى في ضيق أيدي مهما كانت التدابير المقاومة لها ، ولا بد من أن يظهر الحق والعدالة في وقت من الاوقات وسوف نكون احرارا وذوي حقوق كاملة مع مشاهدة سرور الروس الذين لا يقاومون الحق في وقت من الاوقات ولا يخاف من هذا غير رجال الحكومة والمبشرين . حقا انه لا يوجد

بين معيشتنا المحلية وبين دولة الروس شيء يخالف بعضه بعضا . نحن نطلب دائما تقدم الدولة وعظمتها والمشي مع احرار الروس في أعمال الدولة العمومية جنبا لجنب ولكن اتركونا احراراً لنعيش في الدنيا على مقتضى قوميتنا المنعقدة منذ قرون عديدة محافظين على ما أوصى وترك أسلافنا لنا من الاشياء المقدسة الموجودة في أمتنا (تصفيق من اليسار) اه . نقلا عن محاضر جلسات مجلس الدوما

***

« خطاب مقصودوف افندي في الجلسة الختامية لمجلس الدوما »

{ تمهيد لمراسل جريدة « وقت » }

(قال) : معلوم أن سكان ولايات تركستان وصحراء قزاق كانت قد محيت حقوقهم في انتخابات الدوما بنظام ٣ يونيو سنة ١٩٠٧ فلم يدخل منهم ولا نائب واحد في الدورة الثالثة لمجلس الدوما ، ومعلوم أن سكان تلك الولايات عبارة عن المسلمين وذلك النظام باق للآن وتبين اليوم ان المراد بقاؤه الى ما شاء الله من غير تبديل ولا تغيير ، وعلى ذلك فكر حزب المسلمين في الدوما بمناسبة آخر أيام اجتماعاته في بحث هذه المسألة ـ مسألة حرمان إخوانهم في تركستان وصحراء قزاق من حقوقهم المدنية المحضة ـ أملا بالحصول على أي سبب لالغاء ذلك النظام . فبعد افتتاح الجلسة اقترب صدر الدين افندي مقصودوف من الرئيس واستأذنه بالكلام في هذه المسألة المهمة بمناسبة اليوم الاخير ولكن لم يؤذن له ، وكذلك كانوا قد استأذنوه من غير جدوى قبل افتتاح الجلسة . ولما لم يبق أمل في إلقاء بعض الكلمات في هذه المسألة على مسامع النواب أخذ صدر الدين افندي مقصودوف نوبة للكلام وصعد المنبر بمناسبة لائحة مقدمة للدوما بطلب مليون روبل للترميم والاصلاح في بناء الدوما وقصد من هذه الفرصة بيان وجود خلل في بناء مجلس الدوما المعنوي بقطع النظر عن البناء الحسي ومنه طلب ارجاع حقوق المسلمين في ولايات تركستان وصحراء قزاق في انتخابات الدوما ، ولكن حصلت ضوضاء وجلبة من ناحية

حزب اليمين وحزب اكتوبر (١) ومنعوه من الكلام . و بالاختصار مضى هذا القسم من الجلسة كما يأتي :

بعد ما تليت اللائحة التي يطلب فيها مليون روبل لتعمير بناء الدوما صعد المنبر صدر الدين افندي مقصودوف وشرع في الكلام فقال :

. أيها الافندية ! توجد شقوق عظيمة ومهمة جدا في نفس الدوما لا في البناء فقط وقدقع المسلمون في واحد منها وانضم عليهم جانباه فخنقهم وأرى أني مضطر لبيان هذه الحالة لكم قبل التفرق والسفر

أيها الافندية ! في غضون خمس سنين سن الدوما ونظر قوانين كثيرة جدا في شؤون أهالي صحراء وولايات تركستان ، ولم يكن لهم وقتئذ وكلاء ينظرون في تلك القوانين فهذه الاعمال في الدوما قد تمت من غير حضور وكلاء ونواب عن الاقوام الذين نفذت فيهم تلك القوانين

(الرئيس ـ يوقف صدر الدين افندي مقصودوف عن كلامه و يأمره بالرجوع الى الكلام في تعمير بناء الدوما فقط .)

مقصودوف ـ (يستمر في كلامه) : نحن المسلمين نعد هذه الحال خارجة عن الدرجة الطبيعية . (ضوضاء وجلبة من حزب اليمين والوسط والرئيس يسكت مقصودوف أيضا ويرجوه أن يتكلم في التعمير فقط . أما صدر الدين أفندي مقصودوف فلعله لم يكن يسمع كلام الرئيس أو انه كان يريد إتمام كلامه ولذلك استمر في خطبته ولكن لكثرة الاصوات كان يتعذر السماع)

مقصودوف ـ (يجد في الاستمرار) فهذا الخلل . . . . . لم يسمع

من اليمين ـ تكلموا في التعمير فقط . ماذا وجدتم أيضا من الخلل ؟ (صياح)

الرئيس ـ ينبه الخطيب ثالثة ويصرح باضطراره الى منعه من الكلام اذا لم يرجع الى موضوع المسألة

(١) حزب ينصر او يطلب تنفيذ الامر القيصري الصادر في ١٧ اكتوبر سنة ١٩٠٥ ابان الفتن الداخلية بعد حرب اليابان وهو مع حزب اليمين في نصرة الحكومة الا انه اكثر منه اعتدالا

مقصودوف ـ (يستمر في كلامه) : نظام ثالث يونيو لكم . . . . . لا يسمع . وانبعثت أصوات هائلة في الدوما واقترب الغائب پوريشكيويچ من المنبر يصيح ويخاطب صدر الدين افندي بكلمات لا تسمع ، والرئيس يطلب النزول عن المنبر والخطيب لا يسمع ويتقرب منه معاون رئيس الشرطة ويقف النواب كلهم على اقدامهم في الصفوف الامامية هم و يصيحون وأيديهم تمتد نحو المنبر والخطيب واقف على المنبر ينتظر السكون . ثم شرع في خطبته من جديد بريدان يتكلم بحدة زائدة ولكن اشتدت الاصوات ايضا بين النواب وفي النهاية منعه الرئيس من الكلام منعا وأمره بالنزول ولكنه لم يلتفت الى شيء من ذلك و بقي ثابتا على المنبر ينتظر السكون ليتم كلامه . ولما رأى تطاوع محمد ميرزا تفكيلف رئيس حزب المسلمين احتمال استفحال الامر صعد المنبر ونزل بالخطيب . يقول صدر الدين أفندي مقصودوف أنه كان ما كان منه بسبب ازدياد الغضب . ويظهر أن الرئيس غضب جدا من هذه الحال فقال : نحن نجلس اليوم في الجلسة الاخيرة ومع هذا لا يمكنني السكوت عن عضو من أعضاء الدوما يخل بالنظام وتدبير الرئيس ـ لذلك اعرض لكم إخراج مقصودوف من جلسة اليوم .

وما أتم الرئيس كلامه حتى طلع صدر الدين افندي مقصودوف المنبر بعد أخذ الاذن ـ وهذا يسمى في اصطلاح الدوما صعود المنبر لاجل بيان المراد ، وكل واحد من النواب له ذلك الحق في مثل هذا الوقت ـ وقال : أيها الافندية ! تعلمون جميعا أن حزب المسلمين لم يأت شيئا من النزاع والجدال في الدوما في غضون خمس سنين مضت . وما كان حزب المسلمين في وقت من الاوقات مانعا من أعمال الدوما في شيء ، فاذا أنا خرجت اليوم عن طوري المعتاد فليس هذا من غير سبب . نحن لا نقدر أن ننظر في هذا الامر نظر العدو وقد كنا أردنا ـ بناء على اشارة وجداننا ـ أن نلقي عليكم بعض كلمات بالاخلاص ومن أعماق القلوب عن حالة اخواننا المسلمين سيئي البخت الذين صاروا منسيين ومطروحين في المكان القصي ولكن لم يتيسر لنا ذلك . أنتم تقدرون من غير شك على اخراجي من الدوما ولكنه يكون منكم ظلما عظيما ، لاننا اذا كنا أصدقاء لاخواننا المسلمين

في دائرة الوجدان كذلك ما كنا مقصرين في وقت من الاوقات في الخدمة والصداقة لحكومة روسية (تصفيق حاد من اليسار ولعن من اليمين) - ويظهر ان كلمات صدر الدين افندي مقصودف أقنعت الرئيس جيدا فقال: بعد كلام مقصودف هذا أرى أنه يجوز تركه من غير إخراج والاكتفاء بدعوته الى الترتيب (التصفيق المستمر من جميع النواب). قال المكاتب:

وهذه الواقعة وإن كانت قد تلقيت بفتور من النواب قبل التفاتهم ولكن في الاخير صارت حسنة جدا وزال ما في القلوب من سوء التفاهم وكثير من النواب المستنيرين من المسلمين وغير المسلمين صافحوا صدر الدين مقصودف وهنؤه.

احوال مسلمي الصين

(جمعية اسلامية في بكين)

جاء في العدد الـ ١٠١٦ من جريدة وقت الروسية تحت هذا العنوان لمكاتبها في بكين ما ترجمته

كان زعماء المسلمين في بكين «عاصمة الصين» قد اجمعوا على عقد اجتماع كبير في ٢٢ يوليو سنة ١٩١٢. فدعوا مسلمي العاصمة جميعا بواسطة الجرائد والاعلانات الخصوصية للاجتماع في ذاك الوقت المعهود فى جامع حوشيع «شرق»

وفي الساعة الثانية بعد الظهر من يوم الاجتماع امتلأ الجامع ورحبته بالناس وارسلت جوار (عربات) خصوصية لبعض الكبار كالمفتي عبد الرحمن وأمثاله واستقبلوهم بالاجلال والتكريم.

وبعد ما تم اجتماع الناس جاء وكيل من طرف يوانشيغاي رئيس الجمهورية ووكيل آخر من طرف الوزارة الداخلية، والذي جاء وكيلا عن رئيس الجمهورية هو شاب مسلم يدعى عبد الله من رجال نظارة المعارف وكل منهما خطب خطبة توافق المقام محبة للجمعية.

خلاصة خطبة عبدالله افندي وكيل رئيس الجمهورية:

قد أرسلني رئيس الجمهورية يوانشيغاي كي أحيي جمعيتكم نيابة عنه، وهو قد بين اشتراكه اشتراكا قلبياً في تأسيسكم جمعية اسلامية ترجى فيها فوائد جمة للمسلمين وكذلك للوطن. إن الوطن الآن في أهم دور من أدواره فاحتياجه للائتلاف والاتحاد بين أبنائه قد صار أشد من كل وقت، فغيرة المسلمين الذين قد اشتهروا بالصداقة والشجاعة وسعيهم في سبيل الوطن هما من ألزم الاشياء له وأغلاها قيمة. والحق يقال اننا كلنا أبناء وطن واحد، فمن وظيفتنا الشعبية والوجدانية أن تنقذه من التهلكة وأن نجتهد في سبيل الجمهورية بأموالنا وأنفسنا

المسلمون وان كانوا قد عاشوا احراراً في زمن الاستبداد ولكن بعد الجمهورية قد تتبدل القوانين وربما لا تثبت الوظائف والحقوق في قرارهما الاول. وتتغير الاحوال بتغير طرق الافادة والاستفادة فاذا كان المسلمون لا يقصرون في الاجتهاد في سبيل وطنهم فلا شك أن الجمهورية توسع لهم حقوقهم وتعدهم من أبطال الوطن. وأما من حيث الديانة فان أهل الصين يحترمون الاديان كلها، وعلوية الاسلام وقدسيته ظاهرة لجميع من أهل الصين، فالحكومة الجمورية أيضاً ستعتبره كذلك، فالمسلمون يكونون أحراراً في دينهم. على أن مسلمي الصين قد حافظوا الى الآن على دينهم بواسطة اطلاعهم على شيء من اللغة العربية فأول شيء أوصيكم الآن به هو ترقية تلكم اللغة بين مسلمي الصين.

وبعد اتمام خطبته ختمها بقوله «ليحي المسلمون والجمهورية» فصفق له الحاضرون

ثم خطب الوكيل المبعوث من طرف الوزارة الداخلية فقال: ان وطننا المعظم كان قد اقترب من الاضمحلال بسبب الاستبداد والظلم والجهالة. ولما رأى ذوو الافكار العالية ذلكم من سير الدولة تركوا اوطانهم ورحلوا الى الممالك الاجنبية وأحدثوا هناك جمعيات تسعى في إنقاذ الوطن من التهلكة وجاهدوا في سبيله باموالهم وأنفسهم، فالجمهورية التي تملكها اليوم هي من ثمرة جهاد اولئكم الأبطال من الشيوخ والشبان. فالآن يجب علينا كلنا أن نجتهد لأجل المحافظة على هذه الجمهورية، والمأمول من المسلمين الذين جعلوا أموالهم وانفسهم فداء للحصول على الجمهورية سيجعلون ما لديهم كذلك فداء في سبيل محافظتها. وبعد تمام خطبته صفق له الحاضرون واطالوا في التصفيق

ثم ألقى عدة خطباء خطبا موافقة للمقام وكانت موسيقى العسكرية تطرب الحاضرين بعزف ألحان الجمهورية ، وتلاميذ المدارس نثروا أزهاراً صفراً على الوكيلين .

ثم اخذوا في انتخاب رئيس للجمعية وبعد أخذ ورد انتخبوا بالاتفاق واحدا من الوجهاء يدعى عبد الله وهو شاب تخرج من المدرسة الصينية ، وعينوا عبد الرحمن افندي مفتي بكين وكيلا له ثم انتخبوا اعضاء لها من وجهاء مسلمي العاصمة مثل ابي بكرافندي من أئمة بكين ومحمد صالح افندي صاحب جريدة (آياتوباو) الاسلامية . وبعد تمام الانتخابات خطب السيد طاهر افندي باللغة العربية ، وهذه خلاصة خطبته : إن حياة الامة والحكومات مربوطة بالاتفاق والاتحاد ، وأن كثيرا من الامم تعيش بسبب اتحاد ابنائها حافظة حقوقها بل حاكمة على غيرها كما ان كثيرا منها تكون بسبب فقدان الوفاق بين ابنائها مرذولة ومحقرة وتهلك هلاكا معنويا وان كان أفرادها كثيرين . واتم كلامه بقوله تعالى { واعتصموا بحبل الله جميعا } الآية .

وأكتب في مقالتي الثانية برجرام هذه الجمعية ومقاصدها . { ع . أحمدي }

ثم جاء في العدد ال ١٠١٧ لمكاتبها المذكور ماترجمته

﴿ مقاصد الجمعية الاسلامية في بكين ﴾

كنت كتبت اليكم خبر تأسيس جمعية { باسم الجمعية الاسلامية } في مدينة بكين ، أما مقصد هذه الجمعية الرئيسي فهو السعي في رقي وتعالي مسلمي الصين الذين عاشوا منذ قرون عديدة تحت نير حكومة المنشوريين وظلمهم بعيدين عن المعارف والصناعة والتجارة والاخلاق الاسلامية ، والسعي في إراءة الطرق لهم . مركز هذه الجمعية هو في بكين وستفتتح لها فروع وشعب في القرى والبلاد الاخرى من انحاء المملكة حيث يوجد فيها المسلمون . إن القائمين بشؤون الجمعية قد طبعوا بروجرامها ونشروه بين المسلمين وبعثوا اثنين منهم الى رئيس الجمهورية للتصديق عليه وهو أحاله الى محله الواجب إحالته اليه وأعجب بتشبث المسلمين بمثل هذا الاس العظيم

أما نظام الجمعية فهو عبارة عن هذه المواد :

الاولى ـ افتتاح عدة مكاتب ومدارس في مدينة بكين تدرس فيها لغتا العرب

والصين ، وتاريخ الصين والاسلام ، وتقويم البلدان وأمثالها ، والمتخرجون في هذه المدارس يقبلون في مدارس الحكومة من غير امتحان ، ويخصص فيها يوم للوعظ لأجل محو الخرافات والعقائد الباطلة المنتشرة بين مسلمي الصين المخالفة للاسلام ، ثم تربية التلاميذ تربية موافقة لحقيقة الاسلام ، ولاهل المحلة صغارها وكبارها أن يحضروا دروس الوعظ ، والمتخرجون في هذه المدارس يستحقون أيضا أن يكونوا معلمين في المدارس الدينية وأن يعينوا أئمة في الجوامع كما أنهم يستحقون الدخول في مدارس الحكومة

الثانية ـ ترقية المسلمين في التجارة وافتتاح المدارس التجارية لذلك . ويسعون الآن في ادخال شبان مستعدين من المسلمين في مدارس الحكومة كي يستعدوا لأن يكونوا معلمين في المدارس التجارية المراد افتتاحها . والجمعية ستفتتح دكاكين في المحلات الاسلامية للاتجار ببضائع يجوز الاتجار بها شرعا وفتحوا الآن محلات لتجارة الملح ، ولها في بلاد الصين فوائد لا يستهان بها ، والمسلمون لا يشترون الملح الا منها وكذلك الوثنيون لكونه أرخص فيها بالنسبة الى غيرها

الثالثة ـ ترقية الزراعة بين المسلمين وطلب ارض من الحكومة في جهات مدينة موكدن وأطراف منشوريا وإسكان الفقراء من المسلمين فيها .

وباجتهاد الجمعية أسسوا بنكا ملياً زراعيا في موكدن وسيفتحون فروعا له في البلاد الاخرى .

ومن مقاصدها توزيع آلات الزراعة بين المسلمين بأسعار رخيصة وتسهيل شؤون الزراعة لهم . وهي تشتغل الآن بالبحث في وجود الاموال لها ، وأعضاؤها يدفعون سنويا زهاء عشرة قروش مصرية الى ثلاثين قرشا

والحاصل ان مقصد الجمعية نشر المعارف والصناعة والتجارة والزراعة بين المسلمين ويؤمل حصول أمور أعظم من هذا بينهم . وأكبر العاملين في هذه الجمعية وتأسيسها هو الاستاذ المحترم السيد طاهر افندي

ع . احمدى « بكين »

﴿ جريدة اسلامية في بكين ﴾

كنت أسمع بوجود جريدة اسلامية في مدينة بكين عاصمة الصين وأنا في بلدة خاربين . في اليوم الثاني من وصولي الى بكين ذهبت مع السيد طاهر افندي الى

محل ادارة تلك الجريدة ، فركبنا الجارية (العربة) لطول المسافة وسرنا زهاء ساعة نمر بشوارع بكين الكبيرة حتى وصلنا الى دار رفيعة كتب على بابها بالحروف الكبيرة « بسم الله الرحمن الرحيم » فوقفنا عندها فهناك استقبلنا خدمة المطبعة والمحررون من معارف السيد طاهر افندي وحيونا بالسلام والترحيب

صاحب هذه الجريدة ومديرها المسؤل هو رجل شاب يدعى بمحمد صالح يعرف اللغة العربية والهندية جيدا واشتهر بين المسلمين والمجوس باطلاعه التام على أدبيات اللغة الصينية . الجرائد والمجلات في بكين يبلغ عددها الآن خمسين جريدة ومجلة وكانت قبل سنة واحدة عشرا فقط . واسم الجريدة التي يصدرها محمد صالح افندي هو « آياقوباو » أي حب الوطن ، وقصده الوحيد منها المحافظة على حقوق المسلمين ونشر الاخبار المتعلقة بهم . ويريدون اصدارها من الآن باللغتين العربية والصينية بمساعدة السيد طاهر افندي وأخذوا يستعدون لذلك . ويصدر منها كل يوم اثنان وعشرون ألف نسخة وترسل الى كثير من الائمة والمعلمين بلا بدل وقد صدرت منذ خمس سنين وعدد الخدمة في المطبعة زهاء خمسين وكلهم من المسلمين

وبعد الزيارة والتعارف ذهب بنا محمد صالح للتغدي الى مطعم كبير مزين على أصول الاوربيين وهو إسلامي يديره بعض المسلمين ، ووجدنا أن كثيراً من كبار المجوس يأكلون فيه ، أما مسلمو الصين أنفسهم فهم فقيرهم وغنيهم فلا يأكلون طعام المجوس قط بل يوجد في محلتهم مطاعم اسلامية يأكلون فيها .

وبعد الطعام ركبنا الجواري (العربات) الخاصة بكبار أهل الصين وتفرجنا على شوارع بكين ، وهي شوارع ضيقة جداً وليس فيها شيء من النظافة ، واذا استثنيت محلة الاوربيين وعدة شوارع أخرى فلا يبقى بعدها الا شوارع وسخة لا ترغب دخولها لوساختها

الوطنية بين أهل الصين قوية جداً ، فملابسهم وطنية لا يتركونها والتجارة كلها في أيديهم ولا يوجد في محلة الصينيين دكان لاوربي غير دكاكين الوطنيين ، وملابسهم ومأكولاتهم كلها معمولة في معاملهم وبأيديهم ، ولما أخذ بعض الشبان منهم يلبسون البرانيط الاوربية بعد اعلان الجمهورية اتخذوا كذلك مصانع لهم يصنعون فيها البرانيط الاوربية . ولا يأتمرون باوامر يوانشيكاي رئيس الجمهورية في قطع ضفائرهم ادعاء بأنه مساس بقوميتهم، ويروون خبر وجود جمعية سرية تستعد للثورة حفظاً للضفائر .

عناية الله أحمدي { بكين }

﴿ افتتاح مدرسة اسلامية في بكين ﴾

مسلمو الصين ولا سيما أهل بكين منهم عرفوا وجوب التعلم وأخذ يلتذون به، ويصرفون جهدهم لافتتاح المدارس الابتدائية التي هي اساس الحضارة والارتقاء

قبل خمس سنين ما كان بينهم كما يروون ذكر للمدرسة وما كانوا يعرفون ما هي وما فائدتها ، والآن فتحوا في مـدة وجيزة سبع مدارس ابتدائية ويجتهدون في تعليم اولادهم الصغار ، وكذلك فتحوا مدرسة كبيرة للذكور في محلة الامام أبي بكر أفندي حينما كنت انا في بكين ، حضر مجلس الافتتاح مفتي مسلمي بكين والعلماء والموظفون في دوائر الحكومة ومعلمو المدارس وغيرهم من كبار مسلمي العاصمة، وبعد ان تم اجتماع المذكورين جاء السيد طاهر أفندي ـ الذي اجتهد كثيراً في فتح المدرسة وحاز منزلة رفيعة بين مسلمي الصين ـ والتعليم في هذه المدرسة يكون على ما يقولون في فصلي الصيف والشتاء ، الا أنه يكون في الشتاء خاصا بالاولاد وعلى نظام (برغرام) معين، وفي الصيف يقبل الصغار والكبار ولا يكون التعليم بالنظام

معلم الديانة في هذه المدرسة في فصل الصيف يكون دائما في المدرسة وكذلك معلم اللغة الصينية . والعلوم التي تدرس فيها هي هذه : اللغة العربية .والديانة، وتاريخ الاسلام ، ولغة الصين وتاريخها وجغرافيتها . والمدرسة تعد رسمية عند الحكومة فيقبل المتخرجون فيها عمالا موظفين في دوائرها ، اما نفقات المدرسة ورواتب المعلمين فيها فهي كلها على أهالي المحلة والحكومة لا تدفع شيئا من الاعانة لهم

وفي مجلس الافتتاح خطب السيد طاهر افندي باللغة العربية خطبة وجيزة ذكر فيها وجوب التعلم وبين اسباب تأخر المسلمين ومن أكبرها ترك المسلمين العمل بالقرآن الكريم ، وعدهم الخرافات والبدع من الدين ، وجهلهم حقيقة الاسلام ، وترجمها ابو بكر افندي الى اللغة الصينيـة . ثم خطب صاحب جريدة (آياقوباو) محمد صالح افندي وبين أسباب ارتقاء الامة بأنها كثرة مدارسها الابتدائية ، وسعي الشيوخ والشبان بالاتفاق لترقية شؤونها وتربية الاولاد الذين هم آباء الامة في المستقبل تربية معنوية ، ثم خاطب الأولاد وقال لهم « اجتهدوا ايها الاولاد النجباء . انتم آباء الامة والوطن في المستقبل ، » فأجابه الاولاد بقولهم « شي » أي نعم .

وبعد خطب كثيرة ألقيت من العلماء الآخرين والمعلمين في العلم والتعلم ختمت الجلسة بتلاوة عدة آيات من القرآن الكريم . وبعد انتهاء الجلسة أخذوا صورة (رسم) المدرسة

والاولاد، ولما سمع الشيوخ والعجائز خبر أخذ الرسم طلبوا الدخول وألحوا في الرجاء حتى دخلوا وأخذ رسمهم مع الاولاد لان أخذ الرسم قد ترقى بينهم ويحبونه حباً جماً.

علماء الصين وإن كانوا يعدون التدخين وعدم قص الشارب من المحرمات لايقولون بحرمة التصوير (أخذ الرسم) عناية الله احمدي (بكين)

﴿ الالفاظ والاشياء التي كانت ممنوعة في العصر الحميدي ﴾

هذه نبذة من أسماء الكتب والجرائد والالفاظ والاشياء التي كانت ممنوعة أن تذكر او تعرف، وعرضة لمصادرة الحكومة الحميدية، كتبها لي في الآستانة بعض مراقبي نظارة المعارف في ادارة المكس (الجمرك) من حفظه وكان عنده كتاب فيه اسماء اخرى كثيرة احرقه بعد الانقلاب. وهذا ما كتبه:

مجلة المنار. كتاب سجل جمعية ام القرى. جريدة مشورت. جريدة شوراى امت. جريدة شوراي عثماني «الشورى العثمانية». جريدة ميزان. استبداد. حريت. اختلال. استقلال. اتحاد. اتحاد عثماني. اتحاد اسلامي. عثمانلى. عثمانليلر. ارناؤرد. ارناؤردلق. ارناؤردلر. مكدونية. اصلاحات. ترك. خلافت. الخلافه. يلدز. انتباه. ايقاظ العرب. مشروطيت. انتقام. قانون اساسي. القانون الاساسي. عبد الحميد. فرياد. وطن. حيرت. كوكب. تقويم ابو الضيا. تقويم المؤيد. كتاب الف ليله وليله. نصر الدين جحى. كتاب محمدية. بحث السلطة من كتاب احمدية. كليلة ودمنة. كلستان. تاريخ عثماني. تاريخ الخلافة العباسية. تاريخ اسبانيا. تاريخ المحاربة الاخيرة مع الروسية. وقعة البرامكة مع هارون الرشيد. قصة ابي مسلم. ابن سينا. ابن بطوطه. سياحت اولياچلبي. محيط المعارف. تنبيه الغافلين. لائحة الصدر الاعظم كامل باشا في الاصلاحات. ياتقو الاجانب. اوراق الاعانة لنصارى كريد. كتاب المسامير. قصة تيمورلنك وجنكيزخان. تعليم لسان الروس في ارض العرب (ممنوع ذكره). رواية يوسف عليه السلام. اختلال فرنسا الكبير (الثورة الفرنسية) رسم اعدام رئيس جمهورية فرانسة وشاه ايران وملك الصرب وغيرهم وحكاياتهم، ترجمة المصاحف الشريفة، بيان حدود فلسطين وارض الميعاد وذكر تمليكها لبني اسرائيل الى الابد الموعود في التوراة. جميع الكتب المحتوية على المناقشات الدينية والرد والمناظرة. تفسير جزء عم للشيخ محمد عبده مفتي مصر. تفسير سورة العصر للشيخ محمد

عبده ايضا. تفسير الفاتحة لصاحب المنار. تلوين جزيرة قبرص بلون يفهم منه انفصالها عن الدولة وكذا تلوين قطعة البوسنه والهرسك. تحديد قطعة الارض ولفظة: ارمنستان. رسم سفن اليونان الحربية ورسم ملكها وولي العهد ولده ورسم سفن اليونان عند احتفالها بالبرنس الالماني. رسم السلطان عبد الحميد ورسم اولاده

جميع المصاحف الشريفة الواردة من مصر ومن روسية وتضبط ايضا في نفس استانبول حين تسفيرها اذا كانت بلا ختم رسمي من نظارة المعارف حيث صار انحصارها بالمطبعة العثمانية لتخصيص المطبعة المذكورة كل سنة للدولة خمسمائة ليره نقدا. وطبع اوراق لسكة حديد الحجاز بمقدار مئتي ليرة ولهذا الانحصار منعت المطبعة البحرية ايضاً بازاء ٧٠٠ ليرة سنوية

مستظرف. اربعون حديث. كتاب المنامات (اي تعبير الرؤيا). حكايات الملوك والسلاطين. صور الاماكن العسكرية ودوائر الحكومة والجوامع بلا إذن. صور النساء المسلمات. الصور المنافية للآداب. صور القارين وقبول جرائدهم والاشتراك فيها والمكاتبة معهم. وكتب ورسائل واوراق القارين مضرة للغاية موجبة للمسؤولية. والكتب والرسائل والاوراق الممنوعة يمنع المترجم منها ايضا. لفظة: مراد: (هذا قبل وفاة السلطان مراد). جميع الاشياء الواردة من الممالك الإجنبية اذا كان عليها هلال ونجم تمنع مالم يمح عنها الهلال والنجم. حديث «الأئمة من قريش». حقوق دول (كتاب. والكلمة ايضا). تاماپاق (تاماك) مترجم من الفرنسية الى التركية جميع الآيات المذكور فيها الظلم والدعاء على الظلمة، وكذا الاحاديث والكتب المذكور فيها ذلك. اعدام. انتقاد. انقراض. اختلال. مختل العقل. مجنون. جنون. رشوت. ارتشاء. اجتماع. تجمع. جمهور. جمهوريت. خلع. يعت. سم جمجمة. اختيار. وما شابه ذلك مثل لوب: بلع. جميع آثار كمال بك. وآثار عبد الحق حامد وغيرهم من الذين ينيرون الافكار. ولفظ البودجة العثمانية (الميزانية)

وتضبط الكتب والرسائل ان لم تكن مطبوعة برخصة نظارة المعارف. وتمنع الاشياء التي عليها الامرة (الآرمة) العثمانية حرمة لها والارمة التي على علب الريجي معطاة قبل المنع وصار مراجعات بشأنها وصدرت ارادة سنية بمنعها تأكيدا فاعترض الريجي فتم القرار على الاذن بها للضرورة. والكتب والرسائل المضرة اذا كانت بيد الاجانب لا تضبط بل تعاد الى محلها ولا تدخل الممالك العثمانية. وتمنع الاشياء والاواني التي عليها صورة الحدبوي

﴿ المسألة الشرقية ، والحرب البلقانية العثمانية ﴾

اغارت ايطالية في مثل هذا الشهر من العام الماضي على طرابلس الغرب وبرقة مخالفة قوانين حقوق الدول والامم باجازة دول أوربة الكبرى ورضاها ، حاسبة ان هذه الولاية بل المملكة تكون لقمة سائغة لها ، بعد أن أخلتها لها وزارة حقي باشا الاتحادية من الجند والسلاح ، ارادت بذلك كسر باب المسألة الشرقية ، بابتلاع هذه المملكة الذي سماه ملك ايطالية نزهة بحرية ، وقدر له اسبوعا من الزمن

ظهر لايطالية واوربة مالم يكن في الحسبان ، فان شراذم من عرب طرابلس وبرقة قد كافحوا هذه الدولة الكبرى سنة كاملة فلم تنل منهم نيلا ولا استطاعت ان تأخذ وراء السواحل التي يحميها الاسطول فرسخا ولا ميلا ، فانبرت دول المحالفة الثلاثية صديقات جمعية الاتحاد والترقي الى حل المسألة الشرقية من طريق أوربة ، بعد ان رأين السلطة قد سلبت من صديقتهن التي كن يؤملن سقوط الدولة بيدها الأثيمة ، فاقترح (برشتولد) وزير خارجية النمسة على الدولة اقتراحا حاصله إعطاء ولايات مكدونية استقلالا إداريا ، وحاصل الحاصل نزع سلطة العثمانية من اوربة ما عدا العاصمة التي تصير باستقلال مكدونية طرفا لا حريم له ولا سياج بينه وبين اوربة ، فلما رفضت وزارة مختار باشا هذا الاقتراح هيجت النمسة وغيرها دول البلقان وجمعت كلمتهن على الاستعداد لمحاربة العثمانية ثم انذارهن إياها بلسان احقرهن كالصرب والجبل الاسود بأن تعطي مكدونية الاستقلال ، والا أخذتها بالحرب والنزال ، وكذلك كان

اتحد البلغار واليونان والصرب والجبل الاسود وعبأن الجيوش وانذرن الدولة فماذا فعلت الدول الكبرى وهن قادرات على منع هذه الحكومات من الحرب بكلمة واحدة ؟ كثرت بينهن المراسلة والمؤامرة فاتفقن فيها على مطالبة الدولة بأن تعهد اليهن باصلاح مكدونية ليكففن عنها حرب الحكومات البلقانية ! وفحوى هذا ان تخضع العثمانية لانذار الصرب والجبل الاسود صاغرة وتترك ولاياتها الاوربية الى الدول يدرن أمرها بالفعل ، ويتفضلن عليها بالسخرية منها بابقاء الاسم ، (اي ابقاء تسميتها ولايات عثمانية) لأن هذا هو الفتح السلمي ، الذي ظهر لهن أنه خير من الفتح الحربي ، ولن تقبل العثمانية هذه الاهانة والمهانة بالطبع ، ولذلك عبأت جيوشها استعدادا للحرب ،

اعلنت حكومة الجبل الاسود الحرب قبل صدور هذا الجزء وسيتبعها غيرها ، فتبين من هذا ان اوربة كلها تحارب العثمانية الآن . اربع من الدول الصغرى وواحدة من

الكبرى بالسلاح ، وسائر الدول الكبرى بالسياسة والنفوذ ، وكان المرجو من انكلترة ان تشذ هي وصديقتاها في هذه المرة لأن العثمانية الآن أميل اليها واليهما منها الى خصيمتها ألمانية وحليفتيها ، ولكن لما يظهر منها شيء يصدق الرجاء فيها ، واذا تكون اوربة كلها متفقة على حل المسألة الشرقية ، والقضاء على الدولة العثمانية ، لأنها آخر دولة اسلامية

اما نحن العثمانيين فاننا نفضل الموت بالحرب على الحياة الموقتة السافلة المهينة التي تريد اوربة ان تتفضل علينا بها ، وهي ابقاؤنا اذلاء الى ان تقسم بقية بلادنا من غير سفك قطرة دم من الجسد الاوربي المقدس . فلعنة الله على كل وزارة عثمانية تسمح لاوربة بشبر واحد من بلادنا ، غير مروي بدمها ودمنا ، وبعد هذا كله هل قنع التغافلون والمتكايسون الآن ، بما اثبته في مقالاتي العشرة (المسألة الشرقية) منذ عام ؟

﴿ مجلة العالم الاسلامي والمنار ﴾

« ومسألة الغارة على العالم الاسلامي »

لما علمت ان مجلة العالم الاسلامي الفرنسية قد خصصت جزء شهر نوفمبر سنة ١٩١١ من أجزائها للبحث في مستقبل الاسلام وغارة المسيحية عليه أحببت أن يترجم ما كتبته بالعربية وينشر في المنار وغيره من صحفنا ليستفيد المسلمون من هذا البحث المستفيض في شؤونهم الذي تعجز صحفهم عن مثله من تلقاء أنفسها ، فعهدت الى صديقي مساعد افندي اليافي بأن يشتري ذلك الجزء ويترجمه فلم يجده عند باعة الصحف الافرنجية فعهد الي بعضهم باستحضاره من أوربة وسافرت الى الهند قبل ان يصل ، فأوصيته بأن يترجمه عند وصوله لينشر في جريدة المؤيد { وهو الآن محرر ومترجم فيها } ثم المنار وكان الامر كذلك . واني كنت ولا أزال عازما على التعليق على هذا البحث بعد اتمام نشره في المنار . وقد رأيت بعض ما نشر من البحث متفرقا وانا في سياحتي في الهند والعراق وسورية

عدت الى القاهرة في اليوم التاسع عشر من هذا الشهر (الموافق أول اكتوبر) وكنت لم اطلع على الجزء التاسع من منار هذا العام فلما اطلعت عليه وجدت فيه مقالة ترجمت عن مجلة العالم الاسلامي في الانتقاد على المنار والمؤيد والاتحاد العثماني . ورأيت ذيلا للمقالة عن لسان المنار هذا نصه : « موعدنا الجزء الآتي للرد على ماجاء في مقال مجلة العالم الاسلامي » وهذا الذيل قد وضعه اخي السيد صالح وكيل ادارة المنار وهو الذي كتب اولا ان مجلة العالم الاسلامي ظهرت بمظهر جديد بعد احتلال فرنسة لمراكش ودخول بلاد فارس تحت النفوذ الروسي الانكليزي واعتداء ايطالية على طرابلس الغرب

إنني كنت عند سفري جعلت اخي السيد صالحا وكيلا للمنار ولكنني لم آذن له ان يكتب شيئاً باسم المنار ولذلك كان يذيل ما يكتبه باسمه حتى الهامش الذي وضعه في أول نبذة من ترجمة مقالة مجلة العالم الاسلامي وغيره ولكنه باسان المنار وعد بالرد على مقالة هذه المجلة في الانتقاد على المنار وغيره لحسبانه أنني ساصل الى القاهرة قبل اتمام هذا الجزء وانني سأكتب الرد الذي وعد به

فعلم من هذا ان تلك المجلة الراقية قد استعجلت بالرد على المنار فانه لما يبين رأيه في مسألة الغارة على العالم الاسلامي ، كما استعجلت في الحكم على مدرسة دار الدعوة والارشاد والمقابلة بينها وبين الجامعة المصرية وسيظهر لها خطاؤها في الامرين وان كنا نعترف لها من الآن بصحة ما قالته من ان العالم الاسلامي اغير عليه وسلبته اوربة استقلاله (وقد يكون مع المستعجل الزلل)

(اغلاط في الجزئين الثامن والتاسع من هذه السنة)

انني لم اقف على تصحيح شيء من أجزاء المنار في هـذه السنة لأنها طبعت وانا في السفر ولهذا كثر فيها الغلط ، ومن افحشه ما يأتي

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٥٦٤	٢٧	بقوله تعالى	بقوله (ص)
٥٦٥	١	هذه الآية تلى	هذه الجملة تلى
٥٦٦	٧	فهم لهم منكرون	فهم له منكرون
٥٨١	١٧	يريد بكم	يريد الله بكم
٥٢٢	١٢	دقم	دفم
٥٩٣	٢١	السكلمات	لسكلمات
٧١١	٤	من ذكراواتي	من تراب
٧١١	٥	قديحيها	قل يحييها
»	١٤	وعظاما	
»	١٩	ولمن يشاء	ويهب لمن يشاء

تجب المبادرة من جميع المشتركين الى تصحيح هـذه الاغلاط في نسخهم بالقلم لانها اغلاط تتعلق بالقرآن المجيد. وكلها من اغلاط الطبع الا الأولى فهي زلة قلم وتتبعها الثانية . وانني اتذكر انني حين ألقيت الخطبة كنت متذكراً أن جملة « الحمد لله الذي احيانا بعد ما اماتنا واليه النشور » من الثناء المروي في الحديث وانني حفظته من باب الاذكار والدعوات من كتاب الاحياء . ثم انني اتذكر انني لما اردت كتابة ملخص الخطبة كنت اود لو ان عندي شرح الاحياء او غيره من كتب الحديث لاخرج هذا الذكر (وهو مروي في الصحيحين وغيرها) ولا أدري بعد هذا هل كان قلمي هو الذي زل فسميت هذه الجملة آية ام فعل ذلك غيري ممن نسخوا ملخص الخطبة . وانني استغفر الله على كل حال

قال ابراهيم عليه السلام : ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب

المنار ١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا اولو الالباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

(مصر سلخ ذي القعدة ١٣٣٠ هـ ق ١٨ الخريف الثاني ١٢٩١ هـ ش ٩ نوفمبر ١٩١٢ م)

باب تفسير القرآن الحكيم

على الطريقة التي كان يلقيها في الازهر الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه

(١٤٩) (*) إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا (١٥٠) أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا، وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا (١٥١) وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ سَوْفَ نُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ، وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا

(*) عدد هذه الآية وما بعدها الى آخر السورة متفق في مصحف حافظ عثمان المطبوع في الاستانة الذي على هامشه تفسير البيضاوي وغيره والمصحف المطبوع في ألمانية (عدّ فلوجل) فلهذا اكتفينا بعدد واحد

بين الله تعالى لنا في هذه الآيات أصلي الايمان الاولين اللذين يبنى عليهما ماعداهما وكونهما لايقبل الاول منهما بدون الثاني فمن ادعاه فدعواه مردودة ، وجزاء الكافر بهما أو بأحدهما، ثم جزاء من أقامهما كما أمر الله ان يقاما، فقال ﴿ إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ﴾ هذا القول منهم تفسير لتفرقتهم بين الله ورسله أي يؤمنون بالله ولا يؤمنون برسله ، وهم فريقان منهم من لا يؤمن بأحد من الرسل لإنكارهم الوحي وزعمهم ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام قد أتوا بما أتوا به من الهدى والشرائع من عند أنفسهم ، وأكثر كفار هذا العصر من هذا الفريق ، ومنهم من يؤمن ببعض الرسل دون بعض بل يقولون ذلك بأفواههم ، ويدعونه بألسنتهم ، - كقول اليهود نؤمن بموسى ونكفر بعيسى ومحمد وان لم يسموهما رسولين - ﴿ ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا ﴾ اي طريقا بين الايمان بالله ورسله بفصل أحدهما عن الآخر ﴿ أولئك هم الكافرون حقا ﴾ هذا هو الخبر الذي حكم الله تعالى به على اولئك المفرقين بينه وبين رسله أي أولئك المفرقون هم الكافرون الكاملون في الكفر الراسخون فيه ، وأكد هذا الحكم بالجملة المعرفة الجزئين المشتملة على ضمير الفصل بينهما ، وبقوله « حقا » واي حق يكون اثبت وأصح مما يحقه الله تعالى حقا ؟ ﴿ وأعتدنا للكافرين ﴾ منهم ومن غيرهم - وهذه هي نكتة وضع المظهر موضع الضمير اذ قال « للكافرين » ولم يقل « لهم » - ﴿ عذابا مهينا ﴾ أي ذا إهانة تشملهم فيه المذلة والضعة .

أما سبب هذا الحكم الشديد ، وما ترتب عليه من الوعيد ، فهو ان من يؤمن بالله اي بأن للعالم خالقا ولا يؤمن بوحيه الى رسله لا يكون إيمانه بصفاته صحيحا ، ولا يهتدي الى ما يجب له من الشكر سبيلا ، لا يعرف كيف يعبده على الوجه الذي يرضيه ، ولا كيف يزكي نفسه التزكية التي يستحق بها دار كرامته ، ولذلك نرى هؤلاء الكافرين بالرسل ماديين لا تهمهم الا شهواتهم ، وأوسعهم علما وأعلاهم تربية من يراعي في أعماله ما يسمونه الشرف باجتناب ما هو مذموم بين الطبقة التي يعيش فيها أو اجتناب إظهاره فقط

وأما الذين يقولون أنهم يؤمنون ببعض الرسل ويكفرون ببعض كأهل الكتاب فلا يعتد بقولهم ولا يعد ماهم عليه من التعصب لبعضهم وحفظ بعض المأثور عنهم من الاحكام والمواعظ إيمانا صحيحا ، وانما تلك تقاليد اعتادوها ، وعصبية جنسية أو سياسية جروا عليها، وانما الايمان بالرسالة على الوجه الصحيح الذي يرضي الله تعالى هو ما كان مبنيا على فهم معنى الرسالة والمراد منها وصفات الرسل ووظائفهم وتأثير هدايتهم . ومن فهم هذا لايمكن أن يؤمن بموسى وعيسى ويكفر بمحمد عليهم الصلاة والسلام . فان صفات الرسالة قد ظهرت في محمد (ص) بأكمل مما ظهرت في غيره ، والهداية به كانت أكبر من الهداية بمن قبله ، وحجته كانت أنهض ، وطرق العلم بها أقوى ، والشبهة عليها أضعف ، فقد نشأ موسى عليه السلام في بيت الملك ، ومهد الشرائع والعلم ، ونشأ عيسى عليه السلام في أمة ذات شريعة ، ودولة ذات علم ومدنية ، وبلاد انتشرت فيها كتب الآداب والحكمة ، فلا يظهر البرهان على كون ماجاء به كل منهما وحيا إلهيا لا كسب له فيه كما يظهر البرهان على ماجاء به محمد عليه الصلاة والسلام وهو الامي الذي نشأ بين الأميين . وأما جعل النصارى نبيهم إلها في الشكل الذي اظهره فيه الملك قسطنطين الوثني وخلفه من الرومانيين فذلك طور آخر لم يعرفه المسيح وحواريه عليهم السلام، وتشكيل لدينهم بشكل من اشكال وثنيتهم السابقة مؤلف من تقاليد وثنيي الهند والصين والمصريين والاوربيين وغيرهم كما بين ذلك علماء أوربة الاحرار

ثم ذكر تعالى مقابل هؤلاء الكفار فقال ﴿ والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم ﴾ في الايمان وان كانوا لايلتزمون العمل الا بشريعة الاخير منهم ، لعلمهم بأنهم كلهم مرسلون من عند الله عز وجل وان مثلهم كمثل الولاة الذين يرسلهم السلطان الى البلاد ، ومثل الكتب التي جاءوا بها كمثل القوانين التي تصدر الادارة السلطانية بالعمل بها (ولا حرج في ضرب الادنى مثلا للاعلى) فكل وال يحترم لانه من قبل السلطان وكل قانون يعمل به لانه منه وان كان الاخير ينسخ ماقبله ، فالتفرقة إما من جهل هذه الحقيقة وهو جهل حقيقة الرسالة والكتب

المنزلة، وإما من اتباع الهوى وايثاره على طاعة الله ورسله . فالمؤمنون الذين يعتد بايمانهم هم الذين يعرفون حقيقة الرسالة وبها يعرفون الرسل فلايفرقون بين أحد منهم

﴿ أولئك سوف يؤتيهم أجورهم ﴾ لانهم وقد صح ايمانهم بالله ورسله وكانوا على بصيرة فيه « يهديهم ربهم بايمانهم » الصحيح الى العمل الصالح الذي هو أثره ولازمه، ولم يذكر العمل هنا كما هي سنة القرآن العامة في مقام الجزاء لان السياق هنا في مقابلة الايمان الصحيح بالله ورسله بلا تفرقة بالكفر التام، ومقابلة وعده للمؤمنين بوعيده للكافرين . ولم يقل في هؤلاء انهم هم المؤمنون حقا كما قال في أولئك انهم هم الكافرون حقا ، لئلا يتوهم متوهم ان كمال الايمان يوجد وإن لم يترتب عليه لازمه من الهدى والعمل الصالح فيغتر بذلك ، وقد وقع الناس في مثل هذا على كثرة ما ينافيه ويرده من آيات القرآن . أما المؤمنون حقا فقد بين الله وصفهم في غير هذا الموضع كقوله تعالى « انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم، واذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون. الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون . أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم » وتأمل الفرق بين الوعد في هذه الآية الاخيرة من هذه الآيات والوعد في الآية التي نفسرها تجده عظيما فانه تعالى أثبت لهؤلاء الذين هم المؤمنون حقا الدرجات العلى عند ربهم والرزق الكريم بلام الملك جزاء على ما أثبت لهم من أصل شجرة الايمان وفروعها، واما أولئك الذين أثبت لهم الاصل فقط وهو الايمان بالله ورسله بلا تفرقة بينهم فانما وعدهم بأنه يعطيهم أجورهم أي بحسب حالهم في العمل . قرأ حفص عن عاصم ويعقوب عن قالون « يؤتيهم » في الآية بالياء والباقون بالنون

﴿ وكان الله غفورا رحيما ﴾ غفورا لهفوات من صح إيمانه فلم يشرك بربه شيئا ولم يفرق بين احد من رسله ، رحيما بهم يعاملهم بالاحسان لا بمحض العدل ، وقد يختص من شاء بضروب من رحمته التي وسعت كل شيء فلا يشاركهم فيها غيرهم

(١٥٢) يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ الْكِتَـٰبِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَـٰبًا مِنَ

السَّمَاءِ ، فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَٰلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً . فَأَخَذَتْهُمُ الصَّـٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ، ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَـٰتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَٰلِكَ، وَآتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَـٰنًا مُبِينًا (١٥٣) وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَـٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَـٰقًا غَلِيظًا (١٥٤) فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَـٰقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَـٰتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ، بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا (١٥٥) وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَـٰنًا عَظِيمًا (١٥٦) وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ ، وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـٰكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ ، وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ، وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٥٧) وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ، وَيَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا

تقدم في الآيات التي قبل هذه بيان حال الذين يكفرون بالله ورسله ويفرقون بينه تعالى وبين رسله فيؤمنون ببعض ويكفرون ببعض وهم أهل الكتاب الذين جعلوا الدين رياسة وعصبية ، لاهداية إلهية ، ثم بين في هذه الآيات بعض أحوال الاسرائيليين منهم في تعنتهم وتعجيزهم فقال

﴿ يسألك أهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء ﴾ بأن ينزل عليهم منها محررا بخط سماوي يشهد انك رسول الله اليهم، او ينزل باسم جماعتهم ، أو أسماء أفراد معينين من أحبارهم ، وهم الذين اقترحوا ذلك ــ أقوال ، وقيل أرادوا أن ينزل

عليهم كتاب شريعة هذا النبي جملة واحدة كالألواح التي جاء بها موسى . وفي هذا المقام نقول اننا نجد في كثير من كتبنا ان التوراة نزلت على موسى كلها جملة واحدة في وقت واحد وكذلك نزل الانجيل على عيسى عليهما السلام ، وبنوا على هذا ان اليهود طلبوا من النبي (ص) ان ينزل عليهم شريعته كلها جملة واحدة في وقت واحد كالتوراة . والظاهر ان هذا مما كان يغش به اليهود المسلمين ، فالمعروف في التوراة التي عندهم ان الذي جاء به موسى من عند الله تعالى جملة واحدة هو الوصايا العشر منقوشة في لوحين . جاء بهما في المرة الاولى فلما رآهم قد عبدوا العجل المصنوع من الحلي في غيبته غضب وألقى اللوحين فكسرهما ، ثم أمره الله تعالى بأن ينحت لوحين آخرين من الحجر وكتب له فيهما تلك الوصايا (راجع الفصل ٢٤ والفصل ٣١ من سفر الخروج) وأما سائر الاحكام فقد كانت توحى الى موسى (ص) في أوقات متعاقبة ، ولم تنزل عليه مكتوبة جملة واحدة ،

يقول الله تعالى يسألك أهل الكتاب هذا على سبيل التعنت والتعجيز لا بقصد طلب الحجة لاجل الاقتناع ، وان تعجب أيها الرسول من سؤالهم وتستنكره وتستكبره عليهم ، ﴿ فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة ﴾ سأله ذلك سلف هؤلاء الذين يسألونك ان تنزل عليهم كتابا من السماء ، وانما الخلف والسلف في الصفات والاخلاق سواء ، لان الأبناء ترث الآباء ، والارث يكون على أشده وأتمه في أمثال هؤلاء اليهود الذين يأبون مصاهرة الغرباء ، على أن سنة القرآن في مخاطبة الامم والحكاية عنها معروفة مما تقدم في شأن اليهود كغيرهم . وهو أن الامة لتكافلها وتوارثها واتباع خلفها لسلفها تعد كالشخص الواحد فينسب الى المتأخرين منها ما فعله المتقدمون . ويمكن جريان الكلام هنا على طريق الحقيقة بصرف النظر عن هذه السنة . وذلك ان كلا من السؤالين مسند الى جنس أهل الكتاب وهو لا يقضي ان يكون الافراد الذين اسند اليهم السؤال الاول عين الافراد الذين أسند اليهم السؤال الثاني .

ان سؤال هؤلاء القوم رؤية الله تعالى جهرة أكبر وأعظم من سؤالهم النبي

(ص) ان ينزل عليهم كتابا من السماء ، وكل من السؤالين يدل على جهلهم أو عنادهم ، أما سؤال انزال الكتاب فهو يدل على أحد أمرين : إما أنهم لا يفهمون معنى النبوة والرسالة على كثرة ما ظهر فيهم من الانبياء والرسل ، ولا يميزون بين الآيات الصحيحة التي يؤيد الله بها رسله وبين سائر الامور المستغربة كحيل السحر والشعوذة لمخالفتها للعادة ، وقد بينت لهم كتبهم انه يقوم فيهم أنبياء كذبة وأن النبي يعرف بدعوته الى التوحيد والحق والخير لا بمجرد آية أو أعجوبة يعملها (كما نص على ذلك في أول الفصل الثالث عشر من سفر تثنية الاشتراع وغيره) وإما أنهم معاندون يقترحون ما يقترحون تعجيزاً ومراوغة . وايّاما قصدوا من هذين الامرين فلا فائدة في إجابتهم الى ما سألوا كما قال تعالى في سورة الانعام (٦ : ٨ ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين)

وأما سؤالهم رؤية الله جهرة اي عيانا كما يرى بعضهم بعضا فهو أدل على جهلهم وكفرهم بالله تعالى لأنهم ظنوا انه جسم محدود تدركه الأبصار ، وتحيط به أشعة الأحداق ، وقد عوقبوا على جهلهم هذا ﴿ فأخذتهم الصاعقة بظلمهم ﴾ اذ شبهوا ربهم بأنفسهم ، فرفعوا أنفسهم الى ما فوق مرتبتها وقدرها (وما قدروا الله حق قدره) . والصاعقة نار جوية ، تشتعل باتحاد الكهربائية الايجابية بالسلبية ، وتقدم تفسير مثل هذا في سورة البقرة (راجع آية ٥٥ « واذ قلتم ياموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة » في الجزء الأول) وفيه ان هذه الواقعة معروفة في كتبهم وفيها التعبير بالنار بدل الصاعقة . وربما يظن الظان انها نار خلقها الله تعالى من العدم . ولكن القرآن بين لنا انها من الصواعق المعتادة ارسلها الله عليهم عند ظلمهم هذا ، ولا يمنع ذلك ان تكون حدثت بأسبابها ، والله تعالى يوفق اقدارا لأقدار

﴿ ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات ﴾ المثبتة للتوحيد النافية للشرك على يد موسى عليه الصلاة والسلام . وتقدم بيان هذا في تفسير آية (٥١ و ٩٢) من سورة البقرة . ﴿ فعفونا عن ذلك ﴾ الذنب الذي هو اتخاذ العجل حين تابوا منه تلك التوبة النصوح التي قتلوا بها أنفسهم كما بين الله لنا ذلك في سورة البقرة (١ : ٥١

– ٥٤) فراجعه وما قبله في الجزء الأول ﴿ وآتينا موسى سلطانا مبينا ﴾ أي سلطة ظاهرة بما اخضعناهم له على تمردهم وعصيانهم ، حتى في قتل انفسهم

﴿ ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم ﴾ اي بسبب ميثاقهم ليأخذوه بقوة و يعملوا به مخلصين . وقد تقدم هذا ايضا في الجزء الاول في تفسير قوله تعالى (١ : ٦٣ واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور) ومنه ان الظاهر ان هذا كان آية من الآيات الكونية ولكنه ليس نصا قاطعا فيه بدليل آية الاعراف فراجعه

﴿ وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا ﴾ اي ادخلوا باب القرية اي المدينة خاضعين لله او مطأطئي الرؤوس مائلي الاعناق ذلة وانكساراً لعظمة الله كما يقال سجد البعير اذا طأمن رأسه لراكبه ، وتقول العرب شجرة ساجدة للرياح اذا كانت مائلة ، والسفينة تسجد للرياح أي تطيعها ، ذكر ذلك كله في الاساس . قيل تلك القرية بيت المقدس وقيل اريحا وقيل غير ذلك وتقدم في الجزء الاول ان المختار السكوت عن تعيينها كما سكت الكتاب العزيز ،

﴿ وقلنا لهم لا تعدوا في السبت ﴾ اي لا تتجاوزوا حدود الله فيه بالعمل الدنيوي . – وقد بين لنا تعالى في سورة البقرة ان بعضهم اعتدى في السبت ، وجاء في سورة الاعراف بيان اعتدائهم في السبت بصيد السمك وان بعضهم انكروا على المعتدين و بعضهم سكتوا فهم قد خالفوا في السبت وخالفوا في دخول الباب سجدا فلا تستغرب بعد هذا مشاغبتهم للنبي (ص) ومعاندتهم له

﴿ وأخذنا منهم ميثاقا غليظا ﴾ اي عهداً مؤكدا ليأخذن التوراة بقوة وجد وليعملن بها وليقيمن حدود الله فيها ولا يعتدونها . وقد اخذ الله على بني اسرائيل عدة مواثيق والظاهر ان المراد بهذا الميثاق الغليظ ما ذكرناه من العمل بالتوراة كلها بقوة واجتهاد . وما يتبع ذلك من البشارة بعيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام ، وهو ماتراه أو ترى بقاياه الى الآن في الفصل التاسع والعشرين الى الفصل الثالث والثلاثين من سفر تثنية الاشتراع وهو آخر التوراة التي بأيديهم . واما الفصل الاخير وهو الرابع والثلاثون فهو في ذكر موت موسى عليه الصلاة والسلام

افتتح الفصل التاسع والعشرون بهذه الجملة (١ – هذا كلام العهد الذي امر الرب موسى بان يقطعه مع بني اسرائيل في أرض موآب سوى العهد الذي قطعه معهم في حوريب » وسماه فيه عهدا وقسما ، وتوعد على نقضه فيه بأشد الوعيد والغضب وجميع اللعنات والعقوبات ومنها الاستئصال من أرضهم . كما وعد على على حفظه باعظم البركات والخيرات .

وكذلك عظم امره في الفصل الثلاثين والحادي والثلاثين . ومما جاء في آخره ونعتمد بنصه ترجمة اليسوعيين لانها أفصح قوله « ٢٤ ولما فرغ موسى من رقم كلام هذه التوراة في سفر بتمامها ٢٥ امر موسى اللاويين حاملي تابوت عهد الرب وقال لهم ٢٦ خذوا سفر هذه التوراة واجعلوه الى جانب تابوت عهد الرب إلهكم فيكون ثم عليكم شاهدا ٢٧ لاني اعلم تمردكم وقساوة رقابكم فانكم وانا في الحياة معكم اليوم قد تمردتم على الرب فكيف بعد موتي ٢٨ اجمعوا الي شيوخ اسباطكم وعرفاءكم حتى أتلو على مسامعهم هذا الكلام وأشهد عليهم السماء والارض ٢٩ فإني أعلم انكم بعد موتي ستفسدون وتعدلون عن الطريق التي سننتها لكم فيصيبكم الشر في آخر الايام اذا صنعتم الشر في عيني الرب حيث تسخطونه بأعمال أيديكم ٣٠ وتلا موسى على مسامع كل جماعة اسرائيل كلام هذا النشيد الى آخره »

اما النشيد الذي وثق به العهد عليهم فهو من أول الفصل الثلاثين الى الجملة ٤٣ منه وأوله « أنصتي ايتها السماوات فأتكلم وتستمع الارض لاقوال فيّ » و بعدها امره الله بأن يموت و باركه قبل موته بهذه الكلمة وهي آخر وحيه اليه فقال ٣٣ : ٢ أقبل الرب من سيناء وأشرق لهم من سعير وتجلى من جبل فاران (وترجمة البروتستان – وتلألأ من جبل فاران) وأتى من ربوات القدس وعن يمينه قبس (نار) شريعة لهم » وفاران هي مكة كما ذكره في معجم البلدان . وفي الفصل ٢١ من سفر التكوين ان الله اوحى الى هاجر بأنه سيجعل ولدها اسماعيل (امة عظيمة) وانه « ٢١ سكن في برية فاران » ومن المعلوم بالتواتر انه سكن في البرية التي بنى بها هو ووالده ابراهيم الخليل عليهما الصلاة والسلام بيت الله الحرام و به تكونت

مكة. وجبل فاران هو ابو قبيس الذي نزل فيه الوحي على نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو في غار حراء. فاذا كان هؤلاء اليهود قد نقضوا عهد الله وميثاقه الغليظ عليهم بحفظ التوراة كما تنبأ عنهم نبيهم عند اخذ الميثاق عليهم فهل يستغرب منهم تحريف بشارته بعيسى ومحمد (ص) ومشاقتهما ؟ قال تعالى

﴿ فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف ﴾ أي فبسبب نقض أهل الكتاب لميثاقهم الذين واثقهم الله به اذ نكثوا فتله، وأحلوا ماحرمه وحرموا ماأحله، وكفرهم بآيات الله التي اراهم منها ما لم يره سواهم، وقتلهم الانبياء الذين بعثوا لهدايتهم، كزكريا ويحيى عليهما السلام، وقولهم قلوبنا غلف، وغير ذلك من سيئاتهم التي يذكر أهم كبائرها في الآيات الآتية - أي بسبب هذا كله فعلنا بهم ما فعلنا من اللعن والغضب وضرب الذلة والمسكنة وازالة الملك والاستقلال، لان هذه الذنوب قد مزقت نسيج وحدتهم، وفرقت شمل أمتهم، وذهبت بريحهم وقوتهم، وأفسدت جميع اخلاقهم، فكل ماحل بهم من البلاء، هو أثر ذلك النقض والكفر والعصيان.

فعلم من هذا ان قوله تعالى «فبما نقضهم» متعلق بمحذوف يدل عليه ماعرف من حالهم في القرآن، وفي التاريخ والعيان، ومثل هذا الحذف كثير في الكلام، وكلمة «ما» الفاصلة بين الباء وقوله «نقضهم» تفيد التأكيد سواء كانت مزيدة في الإعراب، أو نكرة تامة مجرورة بالباء ونقضهم بدل منها. وقيل انه متعلق بقوله تعالى في الآية الآتية (١٥٨) «حرمنا عليهم طيبات احلت لهم» كأنه قال فبسبب نقضهم ميثاقهم وكفرهم وقتلهم الانبياء وقولهم قلوبنا غلف، وبكفرهم بعد ذلك بعيسى وافترائهم على أمه، وتبجحهم بدعوى قتله، وبظلمهم في جميع أعمالهم وأحكامهم حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم» الخ فيكون قوله تعالى «فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم» الخ بدلا من قوله «فبما نقضهم ميثاقهم» ومثل هذا معهود في الكلام اذا طال، ولكن اعترض هذا من جهة المعنى لا الاعراب. وذلك ان تحريم تلك الطيبات عليهم كان قبل هذه الجرائم التي منها قتل الانبياء وبهت المسيح ووالدته

العذراء، وان تحريم بعض الطيبات عليهم عقاب قليل لا يقابل هذا الموبقات كلها بل هو قليل على أي واحدة منها، فهو انما كان جزاء على ما دون هذه الموبقات من ظلمهم لانفسهم

وأما قولهم «قلوبنا غلف» فذكر المفسرون فيه وجهين (أحدهما) أنها جمع «أغلف» وهو الذي عليه غلاف يمنع نفوذ الشيء اليه. أي ان قلوبهم لا ينفذ اليها شيء مما جاء به الرسول فهي لا تدركه وهو لا يؤثر فيها. كما حكى الله تعالى عن المشركين «وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب» (وثانيهما) انه جمع غلاف (ككتاب وكتب) وسكنت اللام فيه كما تسكن في الكتب والرسل. والمعنى أنها أوعية وغلف للعلوم والمعارف فهي لا تحتاج الى شيء جديد تستفيده من الرسول أو من غيره.

وقد رد الله تعالى عليهم هذا الزعم بقوله ﴿ بل طبع الله عليها بكفرهم ﴾ أي ليس ما وصفوا به قلوبهم هو الحق الواقع بل طبع الله عليها بكفرهم أي كان كفرهم الشديد وماله من الاثر القبيح في أخلاقهم وأعمالهم سببا للطبع على قلوبهم أي جعلها كالسكة المطبوعة (الدراهم مثلا) في قساوتها وتكيفها بطبعة خاصة لا تقبل غيرها من النقوش، فهم بجمودهم على ذلك الكفر التقليدي ولوازمه لا ينظرون في شيء آخر نظر استدلال واعتبار، ولا يتأملون فيه تأمل الاخلاص والاستبصار، وانما النظر والتأمل من الامور الممكنة التي ينالها كسبهم، ويصل اليها اختيارهم، ولكنهم لايختارون الا ماألفوا وتعودوا، ومن لم ينظر لم يبصر، ومن لم يبصر لم يؤمن، ﴿ فلا يؤمنون الا قليلا ﴾ من الايمان كايمانهم بموسى والتوراة وهو ايمان لا يعتد به، لانه تفريق بين الله ورسله، (وتقدم بيان هذا) أو الا قليلا منهم - كعبد الله بن سلام وأصحابه - وكذلك كان

﴿ وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما ﴾ هذا معطوف على قوله تعالى «فبما نقضهم ميثاقهم» الخ والمراد بالكفر هنا كما يظهر من القرينة الكفر بعيسى ولذلك عطف عليه بهت أمه (عليهما السلام) وهوقذفها بالفاحشة. والبهتان الكذب

الذي يبهت من يقال فيه أي يدهشه ويحيره لبعده عنه وغرابته عنده . يقال قال فلان البهتان وقوله البهتان ، وقال الزور ، وفي حديث الكبائر « الا وقول الزور الا وشهادة الزور » كما يقال في مقابله قال الحق « قوله الحق » ووصف البهتان بالعظيم ، وأي بهتان تبهت به العذراء التقية النقية أعظم من هذا ؟ أي فهذا الكفر والبهتان من أسباب ماحل بهم من غضب الله ولعنته . ومن توابعهما بينه بقوله عطفا على ماقبله

﴿ وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله ﴾ أي و بسبب قولهم هذا فانه قول يؤذن بمنتهى الجرأة على الباطل ، والضراوة بارتكاب الجرائم ، والاستهزاء بآيات الله ورسله . ووصفه هنا بصفة الرسالة للإيذان بتهكمهم به عليه السلام واستهزائهم بدعوته . وهو مبني على أنه انما ادعى النبوة والرسالة فيهم لا الالوهية كما تزعم النصارى . على أن أناجيلهم ناطقة بانه كان موحدا لله تعالى مدعيا للرسالة كقوله في رواية انجيل يوحنا (وهذه هي الحياة الحقيقية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ، و يسوع المسيح الذي أرسلته) ويجوز أن يكون قوله « رسول الله » منصوبا على المدح او الاختصاص للاشارة الى فظاعة عملهم ، ودرجة جهلهم وشناعة زعمهم ﴿ وما قتلوه وماصلبوه ﴾ أي والحال انهم ما قتلوه كما زعموا تبجحا بالجريمة وما صلبوه كما ادعوا وشاع بين الناس ﴿ ولكن شبه لهم ﴾ أي وقع لهم الشبهة أو الشبه فظنوا أنهم صلبوا عيسى وإنما صلبوا غيره ، ومثل هذا الشبه أو الاشتباه يقع في كل زمان كما سنبينه قريبا ﴿ وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم الا اتباع الظن ﴾ أي وان الذين اختلفوا في شأن عيسى من أهل الكتاب في شك من حقيقة أمره أي في حيرة وتردد ما لهم به من علم ثابت قطعي لكنهم يتبعون الظن أي القرائن التي ترجح بعض الآراء الخلافية على بعض . فالشك الذي هو التردد بين أمرين شامل لمجموعهم لا لكل فرد من أفرادهم ، هذا اذا كان - كما يقول علماء المنطق - لا يستعمل الا فيما تساوى طرفاه بحيث لا يترجح أحدهما على الآخر ، والذين يتبعون الظن في أمره هم أفراد رجحوا بعض ما وقع الاختلاف فيه على بعض بالقرائن أو بالهوى والميل . والصواب أن هذا معنى

اصطلاحي للشك . وأما معناه في أصل اللغة فهو نحو من معنى الجهل ، وعدم استبانة ما يجول في الذهن من الامر ، قال الركاض الدبيري :

يشك عليك الأمر ما دام مقبلا   وتعرف ما فيه اذا هو أدبرا

فجعل المعرفة في مقابلة الشك . وقال ابن الاحمر :

واشياء مما يعطف المرء ذا النهى   تشك على قلبي فما استبينها

وفي لسان العرب ان الشك ضد اليقين فهو إذًا يشمل الظن في اصطلاح أهل المنطق وهو ما ترجح أحد طرفيه . فالشك في صلب المسيح هو التردد فيه أكان هو المصلوب أم غيره ؟ فبعض المختلفين في أمره الشاكين فيه يقول انه هو ، وبعضهم يقول انه غيره ، وما لأحد منهما علم يقيني بذلك وانما يتبعون الظن . وقوله تعالى « الا اتباع الظن » استثناء منقطع كما علم من تفسيرنا له . وفي الأناجيل المعتمدة عند النصارى ان المسيح قال لتلاميذه « كلكم تشكون فيّ في هذه الليلة » أي التي يطلب فيها للقتل والصلب (متى ٢٦ : ٣١ ومرقس ١٤ : ٢٧)

فاذا كانت أناجيلهم لا تزال ناطقة بانه أخبر أن تلاميذه وأعرف الناس به يشكون فيه في ذلك الوقت وخبره صادق قطعا فهل يستغرب اشتباه غيرهم وشك من دونهم في أمره ؟

﴿ وما قتلوه يقينا ﴾ اي وما قتلوا عيسى بن مريم قتلا يقينا او متيقنين انه هو بعينه لأنهم لم يكونوا يعرفونه حق المعرفة . وهذه الاناجيل المعتمدة عند النصارى تصرح بأن الذي اسلمه الى الجند هو يهوذا الاسخريوطي وانه جعل لهم علامة ان من قبله يكون هو يسوع المسيح فلما قبله قبضوا عليه . واما انجيل برنابا فيصرح بأن الجنود أخذوا يهوذا الاسخريوطي نفسه ظنا انه المسيح لأنه القي عليه شبهه . فالذي لا خلاف فيه هو أن الجنود ما كانوا يعرفون شخص المسيح معرفة يقينية . وقيل ان الضمير في قوله تعالى « وما قتلوه يقينا » للعلم الذي نفاه عنهم ، والمعنى ما لهم به من علم لكنهم يتبعون الظن وما قتلوا العلم يقينا وتثبتا به بل رضوا بتلك الظنون التي يتخبطون فيها . يقال قتلت الشيء علما وخبرا - كما في الاساس - اذا احطت به واستوليت عليه حتى لا ينازع ذهنك منه اضطراب ولا

ارتياب . وروي عن ابن عباس انه راجع الى الظن الذي يتبعونه قال « لم يقتلوا ظنهم يقينا » رواه ابن جرير أي انهم يتبعون ظنا غير ممحص ولا موفى أسباب الترجيح والحكم التي توصل الى العلم . وقد اختلفت رواية المفسرين بالمأثور في هذه المسألة لأن عمدتهم فيها النقل عمن اسلم من اليهود والنصارى وهؤلاء كانوا مختلفين ما لهم به من علم يقيني ولكن الروايات عنهم تشتمل على نحو ما عند النصارى من مقدمات القصة كجمع المسيح لحواريه (او تلاميذه) وخدمته إياهم وغسله لأرجلهم ، وقوله لبعضهم انه ينكره قبل صياح الديك ثلاث مرات ، ومن يبيعه بدلالة اعدائه عليه في مقابلة مال قليل ، وكون الدلالة عليه كانت بتقبيل الدال عليه له . ولكن بعضهم قال ان شبهه ألقي على من دلهم عليه ، وبعضهم قال بل ألقي شبهه على جميع من كانوا معه ، وروى ابن جرير القولين عن وهب ابن منبه . والحاصل ان جميع روايات المسلمين متفقة على ان عيسى عليه السلام نجا من أيدي مريدي قتله فقتلوا آخر ظانين انه هو

واما قوله تعالى ﴿ بل رفعه الله اليه ﴾ فقد سبق نظيره في سورة آل عمران وذلك قوله تعالى (٣ : ١٥٥ اذ قال الله ياعيسى اني متوفيك ورافعك الي ومطهرك من الذين كفروا) روي عن ابن عباس تفسير التوفي هنا بالإماتة كما هو الظاهر المتبادر وعن ابن جريج تفسيرها بأصل معناها وهو الأخذ والقبض والمراد منه ومن الرفع انقاذه من الذين كفروا بعناية من الله الذي اصطفاه وقربه اليه . قال ابن جرير بسنده عن ابن جريج « فرفعه إياه توفيه إياه وتطهيره من الذين كفروا » اي ليس المراد الرفع الى السماء لا بالروح والجسد ولا بالروح فقط . وعلى القول بان التوفي الاماتة لا يظهر للرفع معنى الا رفع الروح . والمشهور بين المفسرين وغيرهم ان الله تعالى رفعه بروحه وجسده إلى السماء ويستدلون على هذا بحديث المعراج إذ فيه ان النبي (ص) رآه هو وابن خالته يحيى في السماء الثانية : ولو كان هذا يدل على انه رفع بروحه وجسده الى السماء لدل أيضا على رفع يحيى وسائر من رآهم من الانبياء في سائر السموات ، ولم يقل بهذا أحد

وذكر الرازي ان المشبهة يستدلون بالآية على اثبات المكان لله تعالى وذكر للرد عليهم وجوها (منها) ان المراد « برافعك الي » الى محل كرامتي وجعل ذلك رفعا للتفخيم والتعظيم ومثله قوله تعالى حكاية عن ابراهيم « اني ذاهب الى ربي » وانما ذهب من العراق الى الشام (ومنها) ان المراد رفعه الى مكان لا يملك الحكم فيه عليه غير الله .

وقد فسرنا آية آل عمران في الجزء الثالث وذكرنا ما قاله الاستاذ الامام فيها وفي مسألة نزول عيسى في آخر الزمان كما ورد في الاحاديث . وقد انكر بعض الباحثين ما اوردناه في ذلك وهو يحتاج الى تمحيص وبيان ليس التفسير بمحل له لأن القرآن لم يثبت لنا هذه المسألة

﴿ وكان الله عزيزا حكيما ﴾ فبعزته وهي كونه يَقهر ولا يُقهر ، ويغلب ولا يغلب ، انقذ عبده ورسوله عيسى عليه السلام من اليهود الماكرين ، والروم الحاكمين ، وبحكمته جزى كل عامل بعمله ، فأحل باليهود ما احل بهم وسيوفيهم جزاءهم في الآخرة

﴿ وإن من اهل الكتاب ﴾ أي وما من أهل الكتاب احد ﴿ الا ليؤمنن به ﴾ اي ليؤمنن بعيسى ايمانا صحيحا وهو انه عبد الله ورسوله وآيته للناس ﴿ قبل موته ﴾ اي قبل موت ذلك الأحد الذي هو نكرة في سياق النفي فيفيد العموم . وحاصل المعنى ان كل أحد من اهل الكتاب عند ما يدركه الموت ينكشف له الحق في امر عيسى وغيره من أمر الايمان فيؤمن بعيسى إيمانا صحيحا ، فاليهودي يعلم انه رسول صادق غير دعي ولا كذاب ، والنصراني يعلم انه عبد الله ورسوله فلا هو إله ولا ابن الله . ﴿ ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا ﴾ يشهد عليهم ، بما تظهر به حقيقة أمره معهم ، ومنه ما حكاه الله عنه في آخر سورة المائدة « ما قلت لهم الا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم ، وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم » وقد يشهد للمؤمن منهم في حال الاختيار والتكليف بايمانه ، وعلى الكافر بكفره ، لانه مبعوث اليهم وكل نبي شهيد على قومه كما قال تعالى « فكيف اذ جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا » وذهب بعضهم الى ان المراد أن كلي

احد من اهل الكتاب يؤمن بعيسى قبل موت عيسى وهذا مبني على القول بأن عيسى لم يمت وانه رفع الى السماء قبل وفاته وهم الذين أولوا قوله تعالى « إني متوفيك ورافعك الي » وهم على هذا يحتاجون الى تأويل النفي العام هنا بتخصيصه بمن يكون منهم حيا عند نزوله فيقولون : المعنى وما من أحد من أهل الكتاب الذين ينزل المسيح من السماء الى الارض وهم احياء الا ليؤمنن به ويتبعنه . والمتبادر من الآية المعنى الأول وهذا التخصيص لادليل عليه وهو مبني على شيء لانص عليه في القرآن حتى يكون قرينة له. والاخبار التي وردت فيه لم ترد مفسرة للآية

اما المعنى الأول الذي هو الظاهر المتبادر من النظم البليغ فيؤيده ما ورد من اطلاع الناس قبل موتهم على منازلهم من الآخرة ومن كونهم يبشرون برضوان الله وكرامته او بعذابه وعقوبته . ففي حديث عبادة بن الصامت في الصحيحين ان المؤمن اذا حضره الموت بشر برضوان الله وكرامته ، وان الكافر اذا حضر (بضم الحاء أي حضره الموت) بشر بعذاب الله وعقوبته . وروى احمد والنسائي من حديث أنس وغيرهما من حديث عبادة بن الصامت وعن عائشة زيادة في حديث « من احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه » الذي في الصحيحين وغيرهما وهي أنهم قالوا يا رسول كلنا نكره الموت فقال « ليس ذلك كراهية الموت ولكن المؤمن اذا حضر جاءه البشير من الله بما هو صائر اليه فليس شيء احب اليه من ان يكون قد لقي الله فأحب لقاءه . وان الفاجر اذا حضر جاءه البشير من الله بما هو صائر اليه من الشر فكره لقاء الله فكره الله لقاءه » وروى ابن مردويه وابن منده بسند ضعيف عن ابن عباس « مامن نفس تفارق الدنيا حتى ترى مقعدها من الجنة أو النار » وروى مثله ابن ابي الدنيا عن رجل لم يسم عن عليّ مرفوعا . فهذه الاحاديث تؤيد ماروي عن ابن عباس وغيره في تفسير الآية من كون الملائكة تخاطب من يموت من أهل الكتاب قبل خروج روحه بحقيقة أمر المسيح ، مع الانكار الشديد والتقبيح ، ومما يؤيد هذه الحقيقة النص في سورة يونس على تصريح فرعون بالايمان حين أدركه الغرق . ولها دلائل أخرى كالاحاديث الواردة في عدم قبول التوبة عند الغرغرة والله أعلم

الحرب الصليبية في البلقان

قد عرف كل قارئ وكاتب وواع وسامع حقيقة ماتسميه أوربة (المسألة الشرقية) وهو إزالة دول الاسلام من الشرق — وبعبارة أخرى من الارض — وجعلها قسمة بين الدول الغربية — وبعبارة أخرى المسيحية — وأول مايهمهم من بلاد المسلمين ما كان منها في أوربة فان من طباع الاوربيين وغرائزهم الموروثة شدة العصبية على من لم يكن منهم وعدم احتمال وجوده بينهم . بل كانوا لايحتمل بعضهم من بعض مخالفة في دين ولا مذهب ، ولذلك أبادوا الوثنيين من أوربة لما صار أكثرهم نصارى ، وأبادوا المسلمين من غربي أوربة (الاندلس) ولايزالون يعملون لابادتهم من شرقيها (تركية أوربة) ولا تنس ماجرى بينهم من الحروب لاختلاف المذاهب النصرانية حتى غلب كل مذهب في دولة أو دول . ولولا فضل اليهود والاحرار المارقين من النصرانية على أوربة بتأسيس الماسونية الداعية الى الحرية والمساواة بينهم وإزالة السلطة الدينية لظلت الدماء تراق حتى يبيد أهل مذهب واحد جميع المذاهب كما اباد دين واحد جميع الاديان

كانت الدولة العثمانية أقوى من جميع دول أوربة بأسا ، ولكنها لم تكن قط أقوى عقلا ورأيا ، فكانوا يستفيدون من قوتها بحسب دهائهم ، حتى صاروا بارتقاء العلوم والفنون وما يترتب عليها من الصناعات أقوى منها . حينئذ طفقوا ينتقصون بلادها من أطرافها ، فازالوا سلطانها عن بلاد اليونان والرومان والبلغار ، واسسوا من البلاد التي كانت لها عدة امارات وممالك بجوارها تأسيسا تدريجيا ، واخذوا على عاتقهم حمايتها منها ، فاذا اغارت إحدى هذه الامارات أو الممالك على شيء من بلاد الدولة حتى عند ما كانت تحت سيادتها ساعدتها أوربة على امتلاك ما أغارت عليه ، واذا وقعت حرب انتصرت فيها العثمانية واخذت شيئا من بلاد إحدى هذه الممالك ردته أوربة اليها ولم تسمح للعثمانية بأن تستفيد من انتصارها

شيئا . والاصل في ذلك القاعدة المتفقة عليها بين دول أوربة كافة ونقل عن اللورد سالسبوري التصريح بها وهي « ما أخذه الصليب من الهلال لا يعود الى الهلال ، وما اخذه الهلال من الصليب يجب ان يعود الى الصليب »

هذا هو الواقع الذي تمدح به أوربة في رأيي وانما يذم منكره والمكابر فيه من منافقي بلادنا وغيرهم ، وهذا ما ظهر للعيان في الحرب الحاضرة فقد صرح بعض ملوك التحالف البلقاني ووزراؤه بأن هذه الحرب صليبية محضة المراد منها انقاذ المسيحيين من سلطة « الترك الكافرين » وصرحت الدول العظمى في اول الامر عندما كن يعتقدن ان الدولة العثمانية أقوى من البلقانيين ويرجى ان تنتصر عليهم بأنهن لا يسمحن للغالب في هذه الحرب بأن يأخذ شيئا من ملك المغلوب بل يجب ان تبقى البلاد كلها على حالتها الحاضرة التي تواثقت الدول كلها على حفظها . فلما ظهرت بوادر الغلبة للبلقانيين على الترك بدالهم ، ولم تخجل دولة ولا جريدة لدولة من التصريح بانه لا يمكن حرمان دول البلقان من ثمرة انتصارها

هذا قول إجمالي وجيز في تصرف أوربة في الدولة العثمانية الى هذا اليوم وهو تصرف العاقل الحكيم في القاصر الجاهل . وانني اعتقد ان أوربة لم تكن في الماضي ولا في الحاضر شرا علينا من أنفسنا ، ولو وجد في الدولة عقلاء مصلحون لتيسر لهم النهوض بها بمساعدة أوربة نفسها ، ومن لا يصلح نفسه لا يصلحه غيره . والدولة تعرف في الجملة ما هي أوربة وهي الآن منها كالمريض بين يدي ممرضه الذي يعالجه عند شدة الالم بالمورفين الذي يسكن آلامه في الحال ، ليسلبه الحياة في الاستقبال ، ولكنه لا يرى في نفسه غنى عنه ، فهي تلقي نفسها بين يدي أوربة ، وتقول لها تصرفي كيف شئت ولكن تكرمي بالرفق واللين

ان الدول العظمى تقدر الآن على اقتسام جميع بلاد الدولة العثمانية بحيث يكون سقوطها اهون عليهن من سقوط مراكش بل من أخذ طرابلس الغرب الذي لم يتم لهن في سنة وقد يتم هذا في شهر ، لانه تبين لهن ان القوة العسكرية العثمانية التي كان يخشى بأسها غير منظمة كما يجب ولا أعد لها مال يمكن به جمعها، وإيجاد عمل كبير بها ، وأما القوة المعنوية فقد هدمن أركانها بأيديهن وأيدي

المتفرنجين في الآستانة وغيرها ، فهن لا يخشين من استعمالها اياها ، ولكن منهن من تداري بعض المسلمين في بلادها ، فهن الآن قادرات على ان يبطشن البطشة الكبرى وما هي منهن ببعيد . وقد كانت الدولة تعتمد على خلافهن وخلاف البلقانيين في المصالح والقسمة وهذا اقبح جهلها بالسياسة وأضره ، واذا جاز ان تتفق دول البلقان وهي أكثر تنازعا واقل حكمة وعلما من الدول الكبرى وان يعقدن بينهن اتفاقا ربما كان دائما وكنّ به دولة عظيمة متحدة ، فكيف لا يجوز اتفاق اولئك

اذا اكتفت أوربة هذه المرة بسياسة الجرح فالتخدير فقطع بعض الاعضاء وابقاء بقية الجسم وتركت التصدي لمثل هذه « العملية » زمنا طويلا فانني اعد ذلك منها إحسانا الى الدولة . ولكنها لا تحسن هذا الاحسان الا اذا كان فيه المصلحة لها . اما الاحسان الخالص بعدم بتر شيء من جسم الدولة وفاء بعهد الدول قبل الحرب فهو المنة التي يعجز عنها الشكر . ولعله يكون متعذراً اذا تم الفوز للبلقانيين، وانما يكون ممكنا اذا اديل للعثمانية منهم فطردتهم من بلادها الى حدود بلادهم على الاقل . وما كل ممكن يقع

ان الذي يستنتج من مجموع صحف اوربة هو ان الدول الكبرى تخشى عاقبة هذه الحرب اذا تم الفوز للبلقانيين ، وهذا انما يكون اذا كانت غير متفقة على تقسم البلاد العثمانية كلها فان التنازع بينهم على الاوربية منها اشد ، وهو على اشده بين النمسة وايطالية وروسية ورومانية . ومحل الخوف من وجهين احدهما أن الحكومات البلقانية المتحدة قد خرجن بهذه الحرب من حجر وصاية الدول الكبرى وأعلنّ الرشد والتصرف الاستقلالي حتى انهن يصرحن بأنهن لا يقبلن وساطة أوربة في الصلح بينهن وبين الدولة العثمانية . واذا كان الامر كذلك كما هو الظاهر فلم يبق للدول الكبرى نفوذ ولا سلطان الاعلى الدولة العثمانية فاذا هي اظفرت قدرن على حفظ السلم العام بحرمانها من ثمرة الظفر والا فقد خرج الامر من أيديهن اذا كان بينهن خلاف ما ، و يظهر ان حكوماتهن حريصات على الوفاق وعلى حفظ السلم العام ، وان شعوبهن تميل الى البلقانيين لمكان الدين والمذهب والانتصار للصليب على الهلال والنصرانية على الاسلام ـ فالمستقبل مجهول الآن

أما نحن المسلمين فقد صرح سلطاننا برأي حكومتنا ان هذه الحرب سياسية لادينية . والمراد بهذا ان الدولة لاتعدها حربا دينية بالمعنى الذي تفهمه أوربة وسائر النصارى من لفظ الجهاد الديني وهو ماقام به الصليبيون من قبل ومن بعد . وهو ان يقوم أهل دين على دين آخر لابادتهم أو إثخانهم وإزالة سلطانهم، والحق ان هذه الحرب لايراد بها عند دولتنا هذا المعنى. وانما هي دينية بمعنى آخر إسلامي عادل وهو ان اعداءنا قد اعتدوا علينا لاجل ديننا وسلطاننا وراموا أخذ بلادنا من أيدينا فيجب علينا شرعا ان نقاومهم بكل مانستطيع وان نجاهدهم بأموالنا وأنفسنا – وهذا مايعتقده جمهور المسلمين

يترتب على كون الحرب دينية بهذا المعنى انه يجب على كل مسلم أن يساعد الدولة عليها بما يستطيع من مال أو نفس ، وان تبذل فيها الزكاة الشرعية إما مقدار سهم الغزاة فقط عند من يعتقدون ان الزكاة يجب صرفها الى جميع الاصناف المستحقة لها ان وجدوا ، وإما صرفها كلها عند من يقول يجوز اداؤها الى صنف واحد . ويمكن ان يقال في هذه الحرب انه يجوز صرف سهام الفقراء والمساكين وابناء السبيل الى هؤلاء المقاتلين فيها لان الدولة عاجزة في هذا الزمن عن كفايتهم

اننا نرى ميل الشعوب النصرانية الى البلقانيين مما نقرأه عن الجرائد الاوربية مع علمهم بأنهم باغون معتدون فالواجب على جميع الشعوب الاسلامية أن تميل الى الدولة العثمانية بل يجب ذلك على كل شعب يرجح الحق والانسانية والسلم على الباطل والوحشية واراقة الدماء . ولكن هل يوجد في الارض شعب متصف بهذه الصفة ؟ لا لا

لا تحتاج الدولة الى من يجاهد معها بنفسه فان عندها جيشا كثيرا يكفي لرد عدوان المعتدين اذا وجد العدة والمؤنة الكافية . على أن هذه الحرب لايطول أمرها الى أن يدركها من يريد امداد الجيش العثماني بنفسه من الاقطار البعيدة . فالواجب الجهاد فيها بالمال الذي يتوقف عليه كل شيء وهو الذي يمكن إرساله بسرعة البرق من المشرق والمغرب والجنوب والشمال

ان المسلمين انشأوا في بعض الاقطار يجمعون المال للاعانة الحربية وجمعية

الهلال الاحمر كما نذكر ذلك في باب الاخبار من هذا الجزء ولكن يظهر لنا من قلة ما يبذلون انهم لا يزالون غير شاعرين بكنه الحال ، وخطر زوال الاستقلال ، فاذا كانت هذه الصاخة الكبرى لم توقظهم فمتى يستيقظون « انا لله وانا اليه راجعون »

أما المغرورون من اوشاب الاستانة والروملي الاتحاديين ومن على رأيهم فلا نحاسبهم الآن على غرورهم التي قذفنا في هذه الهوة ، ولنا معهم كلام آخر بعد انتهاء الازمة ، وانما نذكر الناس بان هؤلاء قد جمعوا ملايين كثيرة من أموال العثمانيين وزعموا انهم يريدون بها حماية الدستور وترقية المملكة ، فأي الامرين احق ان ينفق في سبيله مال الامة : أحفظ الدولة وسلامة أملاكها وشرفها ؟ أم حفظ الدستور بغير دولة ؟ ان زعماء هذه الجمعية قد استخفوا الامة العثمانية سنين حكموها باستبدادهم ، ولا يزالون محتقرين لها وقد خرج الامر من ايديهم ، ومن ضروب هذا الاحتقار والاستخفاف قول طلعت بك وجاويد بك انهما يرغبان التطوع في الجيش !! ولو دخلاه وامثالهما في الجيش ما زادوه الا خبالا يبغونه الفتنة وفيه سماعون لهم ، وانما الجيش في أشد الحاجة الى خزائن جمعيتهم لا الى تصديهم لحرب لا غناء لهم فيها إلا غناء الغانيات .

المال المال هو الذي يغني الدولة عن كل ماعداه ولا يغني عنه تطوع المتطوعين، وماذا تعمل الدولة بالمتطوعين يحشرون الى حيث لايجد الجند المنظم خبزا يشبعه اذا هو اجتمع برمته

ألا ان المسلمين لم يستيقظوا من رقادهم ، فيشعروا بالخطر الذي حاق بهم، وكل هذه الصيحات والقوارع التي تقدمت قيام ساعتهم ، لم تنبههم من غفلتهم ولا بصرتهم بسوء عاقبتهم ، (فهل ينظرون الا الساعة ان تأتيهم بغتة فقد جاء إشراطها ، فانى لهم اذا جاءتهم ذكراهم)

اذا انتهت هذه الحروب بخروج الولايات المقدونية من سلطة الدولة وخرج معها من رءوس المتفرنجين الذين ربتهم لنا مدارس الآستانة غرورهم بأنفسهم وبجيشهم ومن رءوس معظم العثمانيين والملايين من المسلمين غير العثمانيين غرورهم بهم وبقوتهم ، وبقي للدولة استقلال صحيح ولو في بلادها الاسيوية فقط – فانني أعد هذه

الحرب والخسار فيها من اكبر نعم الله على الدولة والاسلام

ان الخطر ينذر هذه الدولة بالهلاك من زمن طويل ، وقد عجل عبد الحميد خطواته في زهاء ثلث قرن ، وعجلت جمعية الاتحاد والترقي خطواته في ثلاث سنين ، بأشد من تعجيل عبد الحميد لها في ثلاثين سنة ونيف ، ولم يقم أحد من المسلمين في كل هذه المدة بمشروع يدرء الخطر ، ويكفل مستقبل الاسلام المنتظر

طالما نبهنا الدولة في زمن عبد الحميد الى وجوب تعميم التعليم العسكري في جميع البلاد ، وايجاد قوة محلية منظمة في كل قطر من اقطارها ورجا من أرجائها ، وكنا استحسنا مشروع الألايات الحميدية في الاناطول وطرابلس الغرب فلم تكن كما رجونا وأملنا . وكنا اقترحنا على الدولة أن تنقل مركز العاصمة إلى دمشق الشام فان لم يرض زعماء الترك فالى قونية ، وأن تؤلف من عرب الجزيرة جيشا منظما ، يكون لها ردءاً وملتحدا ، يمد جيش الاناطول إذا هوجم من جهة الشرق ، ويخشى المستعمرون لأفريقية صولته من جهة الغرب ، فتضطر انكلتر الى الاتفاق مع الدولة في مسألة مصر وغير مصر ، وأما ما كان يجب عمله بعد الدستور – وهو الركن الشديد – فطالما ذكرناه في المنار تلميحا وتلويحا ، وفصلناه لبعض العقلاء من العثمانيين تفصيلا ، فما يعوزنا الرأي ولكن يعوزنا العاملون ، الذين يصلحون في الارض ولا يفسدون ، ولا يبالون بسعاية المفسدين ، ولا بنباح الكتاب المستأجرين ، ورب رأي أوعمل يعده ضعفاء العقول وأصحاب النظر القصير في وقت من الاوقات ضارا ويرمون صاحبه بالخيانة ، يظهر في وقت آخر أنه مستقر النفع ومستودعه الذي لا يغني عنه غيره . واذا فاتت الفرصة للعمل به يتحسرون لفواتها ، ويتمنون لو نفذ ذلك الرأي قبل ذلك

الخطوب الاجتماعية كالامراض الجسدية « لكل داء دواء إلا الموت » فطوبى للامة التي تعرف قيمة أهل الرأي الصحيح الذي تنكشف به الخطوب وتعمل برأيهم ، وتهتدي بهديهم ، وويل للامة التي تجهل قيمتهم ، وتصغى أفئدتها الى المفتونين المنفرين عنهم ، من طلاب المنفعة العاجلة ، والشهرة الباطلة ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين . « وما ربك بظلام للعبيد »

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة اسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، وانا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما اجبنا غير مشترك لمثل هذا . ولمن مضى على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

﴿ السبحة . تاريخها والتسبيح والذكر بها ﴾

(س ١١) من تونس

كان أرسل الينا صديقنا العالم المؤرخ محمد بن الخوجه السؤال الآتي من تونس منذ ثلاث سنين فارجأنا الجواب عنه لنبحث عن تاريخ السبحة ولم يتيسر لنا ذلك وهذا نصه :

« حضرت مجلساً ذكرت فيه أفضلية الذكر بالسبحة المعروفة ، فأحببت أن أعرف أصل شيوعها في الاسلام وكيف رسخ أمرها عند المسلمين بعد أن كانت من شعائر البراهمة والمجوس . فراجعت مجموعة مناركم المنير الا أني لم أقف فيها على ذكر لها . لذلك طرقت باب معارفكم الواسعة لتتفضلوا بالافادة على معنى الوجهتين التاريخية والتعبدية ولكم الشكر سابقا ولاحقا »

(ج) لم يرد للسبحة ذكر في كتاب الله تعالى ولا في الاحاديث الشريفة ولا في كلام الصحابة (رض) ونقل شارح القاموس عن الازهري أن هذه اللفظة مولدة لم تعرفها العرب . ويدخل في هذا النفي أنها لم ترد في كلام أحد ممن يحتج بعربيته بعد الاسلام . ونقل عن شيخه أنها حدثت في الصدر الاول الاستعانة بها على التسبيح .

كنا نرى هذه السبح في أيدي القسيسين من النصارى والرهبان والراهبات ونسمع أنها مأخوذة عن البراهمة ولما زرت الهند في هذه السنة رأيت فيها بعض

الصوفية من البراهمة والمسلمين ورأيتهم يحملون السبح ويعلقونها في رقابهم ، والظاهر أن المسلمين أخذوها أولا عن النصارى لا عن البراهمة لأنهم ما عرفوا البراهمة فيما يظهر لنا الا بعد فتحهم للهند ، وأما النصارى فكانوا في مهد الاسلام عند ظهوره (جزيرة العرب) وفي البلاد المجاورة له كالشام ومصر . فلا بد ان يكونوا قد أخذوا السبحة عنهم فيما أخذوه من اللباس والعادات . والامر في السبحة ينبغي أن يكون أشد من أخذ غيرها عنهم لأنها تدخل في العبادة وتعد شعاراً كما ذكر السائل . ولكنها صارت معتادة وجماهير الناس يخضعون للعادة ما لا يخضعون للحق . ألا ترى كيف يقيمون القيامة في كل قطر على من يستحدث ثوبا أو ماعونا أو عادة لغيرهم وينكرون عليه ويقولون انه فاسق أو مبتدع أو كافر ، ثم هم لا يتركون شيئا مما استحدثه من ذلك من قبلهم وصار عادة لهم بل ربما ينكرون تركه ويعدونه تركا لشيء من شعائر الدين أو فرائضه ، فالسبحة من البدع الداخلة في العبادة فكان الظاهر أن يتشدد في تحريمها أكثر مما يتشدد بعضهم في حظر أزياء الكفار لا أن يقولوا أن الذكر بها أفضل . فان قالوا انهم وجدوا لها فائدة في ضبط الذكر الكثير الذي يفرضه عليهم شيوخ الطريق نقول يلزمهم بهذا أن يبيحوا كل ما توجد له فائدة من البدع الدينية . فان قالوا نفعله على أنه من طرق التربية العادية عند الصوفية ولا نقول انه من أمر الدين . نقول يلزمهم القول بمثله في كل العادات وهو الصواب ولكن قلما يقولون به فيما يحدث ويتجدد . على أنه لا يمكن الجواب عن شيء من بدع المتصوفة بغير هذا وان لم يسلمه لهم الفقيه في السبحة ونحوها

ولا يغترنّ أحد بالابيات التي نظمها بعض الجهلاء في إحصاء تركة النبي (ص) اذ ذكر السبحة في أولها بقوله * مخلف طه سبحتان ومصحف * فهذا من الاباطيل التي اخترعها الجاهلون ، ولم يترك النبي (ص) مصحفين ولا مصحفا ولم يكن القرآن في عهده مجموعا في المصحف وانما كان مكتوبا في صحف وعظام وغير ذلك وكانت هذه المكتوبات متفرقة وكانت العمدة في نشره واقرائه حفظ القراء له حتى جمع في خلافة أبي بكر ووزعت المصاحف على الامصار في عهد عثمان رضي الله عنهم أجمعين

أما السنة في احصاء ما ورد من الذكر معدوداً فهي العقد بالانامل أي وضع رأس الاصبع على عقدها وفي كل أصبع ثلاث عقد . وكان للعرب اصطلاح في العقد يشيرون بها الى جميع الاعداد . قيل كانوا يعقدون الآحاد والعشرات باليمنى ، والمئين والألوف باليسار ، روى أبو داود والترمذي والنسائي وغيرهم من حديث عبد الله

ابن عمرو بن العاص قال «رأيت رسول الله (ص) يعقد التسبيح» وروى احمد والترمذي وابو داود وابن حبان وغيرهم بأسانيد مختلفة ان النبي (ص) أمر النساء بالتسبيح والتهليل وان يعقدن بالانامل . قالت راوية الحديث يسيرة المهاجرة (رض) انه قال « عليكن بالتسبيح والتهليل والتقديس ولا تغفلن فتنسين الرحمة واعقدن بالانامل فانهن مسؤولات مستنطقات » أي فتشهد لهن يوم القيامة وأما الذكر الكثير فلا حاجة الى عده فان العدد يشغل القلب عن المذكور فلا يحصل المراد منه . وهو الذكر الذي قال فيه محيي الدين بن عربي :

بذكر الله تزداد الذنوب   وتنطمس البصائر والقلوب

***

« حديث في استلزام المغفرة للذنوب »

(س ١٢) من البصرة

حضرة العالم الفاضل صاحب مجلة المنار الاسلامية الغراء

ان هذا الحديث (لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم آخرين يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم) من الاحاديث الشريفة الواردة ويستبان من ظاهره ان الله سبحانه وتعالى الذي هو ليس بظلام للعبيد يحث على ارتكاب الذنب وهذا مما يجعل العامة في ريب فنرجو حل هذا الحديث على الوجهة الشرعية أجزل الله لكم الثواب

سائل

(ج) جاءني بهذا السؤال وأنا بالبصرة بعض الشبان من طلاب مدارس الحكومة وقال بعضهم انهم يرتابون في صحة هذا الحديث بل أنكروه . فقلت لهم بل هو صحيح السند رواه مسلم في صحيحه وبينت لهم معناه بما لا شبهة فيه كما يأتي . أما لفظ مسلم عن أبي هريرة مرفوعاً فهو « والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرونه فيغفر لهم » وعن أبي أيوب بلفظ « لولا أنكم تذنبون لخلق الله خلقاً يذنبون يغفر لهم » وبلفظ آخر بمعناه . وفي الجامع الصغير عن ابن عباس عند الامام أحمد وحسنه « لو لم تذنبوا لجاء الله تعالى بقوم يذنبون ليغفر لهم »

وأما معنى الحديث فهو أن من شؤون رب العالمين خالق العباد ومالكهم انه

غفور رحيم للمذنبين التوابين منهم ، كما ان من شؤونه العقاب للعاصين ، والقصاص من الظالمين للمظلومين ، فلا بد أن تجري جميع شؤونه في خلقه ، وأن يظهر تعلق صفاته في متعلقاتها من العالم ، كالعلم في المعلومات ، والقدرة في المقدورات ، والسمع في المسموعات ، فكما تتعلق هذه الصفات الالهية بمتعلقاتها تتعلق صفة المغفرة بمتعلقاتها، والعالم كله مظهر صفات الله تعالى واسمائه في الدنيا والآخرة ، وهذا لا يقتضي الحث على الذنب لاجل التعرض لتعلق المغفرة بالمذنب ، لان المغفرة لا تتعلق بكل مذنب بل من المذنبين من يعاقب على ذنبه كما علم من النصوص الكثيرة في الكتاب والسنة وهي معلومة من الدين بالضرورة، ومنهم من يغفر له كما علم من هذا الحديث وغيره ، وما أحسن قول أبي الحسن الشاذلي في هذا المقام : « وقد أبهمت الأمر علينا لنرجو ونخاف ، فأمن خوفنا ولا تخيب رجاءنا » على أن ما يستحق المذنب به المغفرة مبين في الكتاب الحكيم ، قال تعالى « واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى » وقال تعالى في بيان استغفار الملائكة للمؤمنين « ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم » الخ وفي رواية أبي هريرة للحديث المسئول عنه ما يشير الى ذلك فان المراد بالاستغفار ما يكون أثر التوبة

***

﴿ أسئلة من القوقاس ﴾

(س ١٣ ـ ١٥) من صاحب الامضاء العالم المستنير مفتي تلك الديار

(بسم الله الرحمن الرحيم)

حضرة الشيخ المعظم والاستاذ المحترم سيدنا ومولانا السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار . سلام الله تعالى عليكم .

وبعد : فاني أرجوكم الاجابة بلسان المنار في هذه المسائل التي أذكرها

(١) احداها تفسير «ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن» الآية اني رجعت فيها الى كتب المفسرين فوجدتهم يقولون بتفسير يلزم معه أن لا يوجد في الناس أولياء ولا أنبياء الا وهم مفتونون بالاموال وحاشاهم عقلا ونقلا

(٢) المزارعة اذا كان صاحب الارض مسلماً والعامل كافراً والبذر منه فهل يجب على المسلم اخراج جميع عشر خارج الارض أم عشر ما يصيبه فقط

(٣) الحادثة التي يكثر السؤال عنها في دارنا وذلك أن رجلا يستأجر من آخر مسلماً كان أو غيره أرضاً يستغلها فلا يستفيد الا مقدار عشر خارجها زائداً عن المؤونة التي صرفت عليها وربما لا تفي غلتها بما صرف عليها . ومثل هذا يقع في دارنا ولا سيما اذا قل العمال (الاجراء) فهل يجب على العامل عشر الخارج بدون اخراج مؤنتها فيكون محروماً أو مغبوناً من جهة كونه عاملا بحق ؟ أفيدونا مأجورين رحمكم الله

جانخوت الحتي

الجواب عن الاولى :

تفسير « ولولا أن يكون الناس أمة واحدة »

معنى الآية على رأي الجمهور معروف للسائل وملخصه لولا كراهة أن يكون الناس كلهم كفاراً أو مائلين الى الكفر لجعلنا لبيوت الذين يكفرون بالرحمن سقفاً من الفضة ومعارج من الفضة كالدرج والسلالم يرتقون عليها الى الغرفات وغيرها من الاماكن العالية في تلك البيوت ، وأبواباً وسرراً من الفضة أيضاً ، وزخرفاً من الذهب وغيره من أنواع الزينة التي تزين بها البيوت من الاثاث والرياش والماعون . وانما يكون الناس بسبب ذلك أمة واحدة لانهم كلهم يميلون الى الزينة ناهيك بها اذا وصلت الى هـذه الدرجة من الكمال بالنسبة الى هذه الحياة . على أن كل ذلك متاع الحياة الدنيا يتمتع به صاحبه قليلا ثم يفارقه ، والآخرة التي لا تزول زينتها ولا ينقضي نعيمها خاصة بالمتقين فاذا لم يكن المنعم منهم بأن كان كافراً بتلك النعم وبالمنعم يكون محروماً منها فماذا تغني عنه تلك الزينة الفانية ، والنعمة البالية

وهـذا التفسير كما قال السائل الفاضل يستلزم أن يكون جميع الناس مفتونين بالزينة والزخرف . واللازم له منقوض بالفعل ، دع ما قاله من نقضه بالعقل والنقل، فقد وجد في الناس الزاهدون في الزينة والنعيم ، عن استطاعة وقدرة ، كالخلفاء الراشدين بعد الفتح ، وعمر بن عبد العزيز وابراهيم بن أدهم وغيرهم .

وأقول وبالله التوفيق ما لنا لا نرجع في فهم هذا التركيب ، الى مثله في الكتاب العزيز ؟ قال تعالى بعد بيان انزال التوراة والانجيل وامر أهلهما بالحكم بهما ثم انزال

القرآن كذلك (٥ : ٥٢ لـكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلـكم أمة واحدة، ولـكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات) الخ وقال (١٦ : ٩٣ ولو شاء الله لجعلـكم أمة واحدة ولـكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء) وقال بعد ذكر إنزال القرآن لانذار أم القرى وما حولها (٤٢ : ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة ولـكن يدخل من يشاء في رحمته والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير)

وقال بعد بيان أحوال الامم وكونه لا يهلكهم بظلم وهم مصلحون (١١ : ١١٩ ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة . ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم . وتمت كلمة ربك لاملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين)

فهذه الآيات تدل على ان حكمته تعالى قضت بأن لايكون الناس أمة واحدة فكانوا بمشيئته المطابقة لحـكمته مختلفين . وقال بعد بيان عبادة المشركين لغير الله على انهم شفعاء عنده وانكار ذلك عليهم (١٠ : ١٩ وما كان الناس الا أمة واحدة فاختلفوا ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم فيما فيه يختلفون) وقال تبارك وتعالى بعد بيان احوال الناس في أقوالهم وأعمالهم وإيمانهم (٢ : ٢١١ زين للذين كفروا الحياة الدنيا ويسخرون من الذين آمنوا . والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة . والله يرزق من يشاء بغير حساب ٢١٢ كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وانزل معهم الـكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه) الآية

فبين لنا في هاتين الآيتين أن الناس كانوا أمة واحدة ثم تفرقوا بالاختلاف . وكان هنا تامة ثبوتية والمعنى انهم وجدوا وخلقوا أمة واحدة ، والجمع بين هذا وبين ماتقدم ان الناس خلقوا أمة واحدة في الفطرة ونظام الخلقة . ثم تفرقوا بالاختلاف، وبذلك سبقت مشيئة الله تعالى واقتضته حكمته .

ذلك أن من سنته في خلق هذا النوع ان يوافق الأولاد والديهم في بعض الأوضاع الجسدية والصفات النفسية والعقلية ويباينوهم في بعض ، ولو وافقوهم في كل شيء لظلوا على أصل التكوين الاول فبقوا أمة واحدة كالعصافير مثلا ، ولو باينوهم وفارقوهم في كل شيء لـكانوا أنواعا أخرى من المخلوقات لا من الناس، فبسنتي الموافقة والمباينة كانوا أمة واحدة، وكان لابد من أن يختلفوا في كل شيء من أمور معاشهم وشرائعهم وأديانهم . ومن حكمة الله تعالى في ذلك ان يكونوا نوعا مستقلا مباينا لغيره من انواع المخلوقات في تفاوت استعداد أفراده وكون هذا الاستعداد يتعلق بما يحتاجون اليه لحفظ حياتهم الحيوانية شخصية ونوعية، وبما لايتعلق بذلك بحيث لا يكون له حد معروف.

ولذلك يشتغلون بأخس الاشياء وأدناها ، وأرفعها وأعلاها ، ويظهرون الحقائق ويؤيدونها، ويأخذون بالاباطيل وينصرونها ، وان يكون منهم الغني والفقير ، والسيد والاجير ، والسعيد والشقي ، والرشيد والغوي ، ولذلك قال تعالى في الآية الاولى من الشواهد التي أوردناها آنفا « ولو شاء الله لجعلـكم أمة واحدة ولـكن ليبلوكم فيما آتاكم » أي ولـكن جعلـكم مختلفين بمقتضى سنة الخلقة ليختبركم فيما أعطاكم من زينة الدنيا كيف تعملون فيها بما آتاكم من الارادة والاختيار ، كما قال في آية أخرى (١٨:٧ إنا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا ، وإنا لجاعلون ماعليها صعيدا جرزا)

بعد هذا التمهيد نقول في الآية التي نحن بصدد تفسيرها « ولولا » تحامي «ان يكون الناس أمة واحدة » كغيرهم من أنواع الحيوان التي اتحدت فطرتها ، وفطرت مسوقة بطبعها الى عمل مافيه قوام حياتها ، لايختلف في ذلك أفرادها ، سواء ما يعيش عيشة فردية أو زوجية ، وما يعيش عيشة اجتماعية ، (كالنحل والنمل) « لجعلنا لمن يكفر بالرحمن » كذا وكذا من الزينة والزخرف والمتاع الحسن بمحض قدرتنا وسنتنا في التكوين لا بكسبهم وسعيهم واختيارهم ، وحينئذ لا يكونون على نظام هذا النوع في حياتهم ، وقد سكت عن بيان مايجعله للمؤمنين لانه يفهم من مقابله ، وهو ان يحرمهم بقدرته وسنته في التكوين من تلك الزينة أو من جميع أنواع زينة الدنيا ومتاعها ويجعل رزقهم كفافا . وبهذا يكون الناس أمة واحدة بخلقها على استعداد واحد لايتفاوت فيه أفرادهم ، ولا تأثير فيه لـكسبهم واختيارهم ، وان كانوا فريقين فريقا ذا زينة وفريقا غفلا منها . كالطاووس جعل الله لذكره ذنبا جميلا يزينه وحرم انثاه من هذه الزينة ، وهو مع هذا أمة واحدة

قلنا ان معنى الجعل في منطوق الآية وما يقابله من مفهومها الذي بيناه ، هو الخلق والتكوين بحيث لايكون للـكافر كسب ولا اختيار في زينته ، ولا للمؤمن كسب ولا اختيار في عطله ، وان يكون الناس بذلك غير هذا النوع الذي نعرف سنة الله فيه من أنفسنا — ودليلنا على هذا أن الـكفر والايمان لادخل لهما في الاستعداد لـكسب الزينة وتحصيلها كما هو الواقع المشاهد ، ويصدق هـذا آيات كثيرة كقوله تعالى (١٧ : ٢٠ كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك ، وما كان عطاء ربك محظورا) أي عن أحد من مريدي العاجلة ومريدي الآخرة . وقوله في طالبي حسنتي الدنيا والآخرة (٢ : ٢٠١ أولئك لهم نصيب مما كسبوا).

وليس من مقتضى الايمان ولا من شأنه أن يكون صاحبه أقل كسباً أو استعدادا للكسب ، ولا أن يكون محروماً من الزينة والطيبات ، بل هو أحق بهذا من الكافر بدليل قوله تعالى (٧ : ٣١ قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ؟ قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة ، كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون) فجعل المؤمنين هم أصحاب الحق الاول الذاتي للزينة والطيبات كأنه لا حق فيها للكافر . ولولا أنه قال « خالصة يوم القيامة » لم يكن في الآية ما يدل على أن الكافر قد يشارك المؤمن فيها في الدنيا . وقال (٢٠ : ١٢٤ ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى) يعني ان الكافر باعراضه عن كتاب الله يكون شقيا ضيق المعيشة في الدنيا هالكا في الآخرة ، وقال تعالى (٧٢ : ١٦ وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا)

فهذه الآيات وأمثالها تنقض ماقاله المفسرون وغيرهم في كون الاصل في زينة الدنيا الدنيا وطيباتها وعزها أن تكون للكفار وكون الاصل في حال المؤمن أن يكون محروما من هذه النعم. كلا ان نعم الدنيا تنال باسبابها وهي مشتركة والمؤمن أحق بها بمقتضى تهذيب الايمان واعلائه للهمم، ولذلك وعد الله المؤمنين الصالحين بارث الارض وبشر النبي (ص) أمته بالملك الواسع لمشرق بلاده ومغربها ،ولأن المؤمن أجدر بالشكر ووضع النعم في موضعها ، وهذا سبب المزيد منها

بقي شيء مهم وهو ان المؤمن لمعرفته بالله تعالى وما أعده للمؤمنين في الآخرة تكون نفسه متعلقة بما هو أعظم من كل شيء في الدنيا ويرى متاع الدنيا كله حقيرا في جانب ما تتوجه اليه نفسه من نعم الآخرة ورضوان الله فيها . فلا يفرح بما يصيبه منها فرح بطر وغرور ، ولا يحزن على مافاته منها حزن يأس وفتور، وقد صغر الله شأنها . لأجل أن تكون همته متوجهة الى ماهو خير منها . فلا يبطر الواجد، ولا يحزن الفاقد ، بل يكون جميع المؤمنين في مقام الاعتدال المكين ، فهو تعالى يبين لنا في هذه الآية انه لولا تحامي أن يكون الناس أمة واحدة كغيرهم من أنواع الحيوان لجعل زينة الدنيا خالصة للكفار وحفظ المؤمنين من الابتلاء بها ، لأنها ليست بالامر العظيم في نفسها ، وهي متاع قليل زائل ، بالنسبة الى نعم الآخرة الكبير الدائم ، ولكنه شاء أن يخلق الناس مختلفي الاستعداد، ومتفاوتي العلم بالمنافع والمضار والمصالح والمفاسد ــ ذلك العلم الذي يصرف إرادات الافراد في الاعمال الاختيارية ،ويجعل أمر سعادتهم وشقاوتهم في الدارين تابعا لها وعلى قدرها ،وجعل خلق لهم من زينة الدنيا

ابتلاء واختبارا عاما لهم ليظهر ايهم أحسن عملا (كما صرح في آية ١٨ :٧ المذكورة آنفاً) فيكون جزاؤهم على أعمالهم بالاستحقاق « جزاء وفاقا » ولذلك علل جعلهم مختلفين في الاستعداد وكونه لم يجعلهم أمة واحدة لافرق بين أفرادهم بأنواع من التعليل بعضها مرتب على بعض (أولها) في الترتيب الطبيعي انه جعل ذلك ابتلاء واختبارا كما تقدم آنفا وهو المصرح به في آية (٥ :٥٢)وهي الشاهد الاول من الشواهد التي أوردناها آنفا (ثانيها) ما يترتب على هذا الابتلاء بالطبع من هداية بعض وضلال بعض وهو المصرح به في آية (١٦ :٩٣) وهي الآية الثانية من الشواهد المتقدمة آنفا . وأضاف فيها الهداية والاضلال اليه تعالى لانهما بمقتضى سنته في خلق الناس (ثالثها)ما يترتب على الهداية والضلال من الجزاء وهو المصرح به في آية (٤٢ :٨) وهي الآية الثانية من تلك الشواهد . وكما أشار اليه في آية (١١ : ٩١١) التي أوردناها بعدها وكذا آية (١٠ . ٩١) اذ المراد بهما أن كلمة الله تعالى في التكوين سبقت بأن يملأ جهنم ــ وهي دار الجزاء على الضلال ــ من الجنة والناس . وذلك بأن يكون بعضهم عاملين باختيارهم ما يستحقون به هذا العذاب ، والبعض الآخر عاملين باختيارهم ما يستحقون به مقابله من النعيم، والله بكل شيء عليم

الزكاة في المزارعة وفي غلة الارض المستأجرة

الجواب عن السؤالين الآخرين من أسئلة القوقاس يؤخذ من أصل واحد وهو ما اختلف فيه الفقهاء من كون زكاة الزرع حق الارض أوحق الزرع. جمهور الائمة على أنها حق الزرع والحنفية على أنها حق الارض. ويدل للجمهور قوله تعالى (٦: ١٤١ كلوا من ثمره اذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده) وهم يستدلون بهذه الآية على زكاة الزرع وان كانت مكية . وهي تدل على مذهب الجمهور في مسألتنا على كل حال . واذا لم تزرع الارض العشرية لا يجب فيها شيء عند أحد منهم . ومن أجر أرضه بنقد لا يجب عليه شيء من زكاة زرعها الذي يزرعه المستأجر . ومن أصاب من الحب أو الثمر الذي تجب فيه الزكاة مقدار النصاب سواء كان صاحب الارض أو مستأجرا لها أو شريكا في الزرع أو الثمر بالمزارعة أو المساقاة وجب عليه زكاة ما أصابه لانه يعد غنيا شرعاً بهذا النصاب فوجب أن يجعل لمستحقي الزكاة نصيبا منه . كما أنه اذا ملك نصابا من النقدين يؤدي زكاته . ولا عبرة بما أنفقه مالك

النصاب من النقد أو الزرع أو غيرها في سبيل تحصيله وانما العبرة للنصاب بملكه فهو صاحب مال يجب عليه أن يؤدي حقه بشرطه

فعلم من هذا أن صاحب الارض المسلم المزارع لايجب عليه الازكاة مايصيبه من الزرع اذا بلغ النصاب . وان المستأجر للارض الزارع لها يجب عليه زكاة جميع الحاصل له من الزرع بعدما يأكله منه رطبا اذا بلغ النصاب . ولاعبرة بما أنفق عليه لان المال الذي أنفقه لو بقي في يده لوجبت فيه الزكاة بشروطها . فالشرع ينظر اليه هـذا النظر فيراه ذا مال بلغ النصاب (والمراد بالمال هنا كل ما يتمول وتجب فيه الزكاة) ولاينظر الى طريقة كسب المال . فالزكاة في مجموع المال لافي ربحه وريعه فقط . فلو كان الذي ينفق ٩٠ دينارا في زراعة أرض فيحصل له من غلتها مايساوي مئة لا يجب عليه العشر (اذا كان الزرع يسقى بماء السماء) او نصفه (اذا كان يسقى بالعمل) لانه كل ربحه - لـكان الذي يملك مئة دينار ويستغلها لا يجب عليه زكاتها ، ولكان الذي يملك النصاب من النعم ولم ينتج لا تجب عليه زكاته . ولا يقول بهذا أحد اذ الزكاة واجبة على كل غني يملك النصاب فاضلا عن دينه كما قال بعضهم والله أعلم

الجامعتان الاسلامية والعثمانية

(٢)

الجامعة العثمانية

بينا في صدر هذا المقال معنى الجامعتين بالاجمال ، وفصلنا في القسم الاول منه القول في الجامعة الاولى بعض التفصيل ، وها نحن أولاء نفصل القول هنا في الجامعة الثانية كذلك

أكبر سيئات البشر الاجتماعية انهم جعلوا انقسامهم الى شعوب وقبائل ، وامم ودول ، وملل ونحل ، سبباً للعداوة والبغضاء ، وسفك الدماء ، وانساد الارض ، واهلاك الحرث والنسل ، وربما انقسمت الامة الواحدة ، واهل الملة التي من شأنها الوحدة ، الى احزاب ومذاهب ، وآراء ومشارب ، فعادى بعضهم بعضاً لاجل ذلك ، وقد تسري عدوى هذا الفساد من الجماعات الكبيرة ، الى الجماعات الصغيرة ، فترى الاسرة التي تنتهي الى جد بعيد او قريب تنقسم الى بيوت يعادي بعضها بعضاً ، فأولاد العم يتحاسدون ويتباغضون ، بل الاخوة يتغايرون ويتدابرون ، يكثر هذا في الامة ويقل ويزيد وينقص ، على مقدار نقص العلم والتهذيب فيها وكمالهما بالفعل ، لا بمقدار ما كان لها من ذلك في التاريخ ، فلا شرف النسب ولا صحة أصل الدين مما يفيد في ذلك اذا كان الفروع قد تركوا سنة أصولهم التي شرفوا بها ، وكان أهل الدين الصحيح لاحظ لهم من الاهتداء به .

لاسلامة للبشر من تلك السيئة التي تلد ما لا يحصى من السيئات ، ولا كمال لهم ولا سعادة في هذه الحياة ، الا بالعمل بهذه القاعدة : وهي ان يتعاضدوا ويتعاونوا على مايشتركون فيه ويتفقون عليه ، ويعذر بعضهم بعضاً فيما يفترقون فيه ، ويحكموا الشرع والميزان فيما يتنازعون عليه ، وعلى هذه القاعدة التي وضعتها من قبل جريت في دعوة العثمانيين من طريق السياسة والاجتماع ، والمسلمين من طريق الدين والاعتقاد ، الى ما تتوقف عليه حياتهما من التعاون والاتفاق ، فانا أدعو الى كلا الجامعتين ، ولا ارى شيئا من التنافي بين المصلحتين .

ان المسلمين واليهود والنصارى والصابئين وغيرهم من أهل الملل والنحل الذين تضمهم العثمانية على اختلاف المذاهب في الملة الواحدة منهم كلهم عثمانيون لا يكونون سعداء في معيشتهم ، اعزاء في وطنهم ، الا بعمران المملكة ، وعزة الدولة وشرفها ،

فيجب ان يتحدوا ويتعاونوا على عمران هذه البلاد بالاعمال الزراعية والصناعية والتجارية المشتركة بينهم . ومتى مزج المال بالمال، وانشئت الشركات المختلطة للاعمال ، واجتمع المتفرقون في العقائد والمذاهب والعناصر ، في المعامل والمزارع والمخازن ، وكل منهم يرى مصلحته عين مصلحة الآخر، ويرى سعيه لنفسه عين سعيه له، وكثر التقاء الوجوه بالوجوه، ونظر العيون الى العيون، والمحاورة بالكلام، والاجتماع على الطعام، تزول وحشة الخلاف، ويحل محلها انس الائتلاف ، فاننا نرى المصالح المادية ، ادعى الى الوفاق من الامور المعنوية ، واذا امكن ان يربى جيل جديد في مدارس عثمانية وطنية يكون تلاميذها من جميع العناصر تتوثق الجامعة وتكون أكمل . فاذا لم يوفق العثمانيون الى ذلك بترغيب عقلائهم فيه ، ودعوة رجال الاصلاح والوفاق اليه ، فان الوحدة العثمانية لاتكون تكوناً صحيحاً تاماً

قد يسهل البدار الى العمل بهذه القاعدة في مثل البلاد السورية لاتحاد لغة أهلها وتكاثهم في الكسب وارتقاء معارفهم ولان التفرق فيها بين المسلمين والنصارى لايتعدى المنافسة والمباراة الا قليلا . وليس لفريق منهم ضلع مع دولة اجنبية يرمي عن قوسها الى إلقاء فتن تمهد لها السبيل للاستيلاء على البلاد او لما يشبه ذلك من فساد وخيانة كما يعهد في الولايات المكدونية التي اعضل داؤها، واستعصى على المعالج شفاؤها، فانى يطمع في وحدتها العثمانية، بنظمها في سلك قاعدتنا الذهبية .

اما التفرق بين الترك والروم في الاناطول فهو اهون من مثله في مكدونية وان كان كل منهما في القطرين ملة واحدة . ودونه التفرق بين الكرد والارمن على ما بين هؤلاء من وقائع العدوان التي لم يقع مثلها لاولئك ، وإنما ينأى بالطمع في التأليف بينهم ذلك البون الشاسع بينهم في التربية والمعارف والكسب . وحسب العثمانية منهم الآن ان يتركوا البغي والعدوان ، وكلامنا لايصل اليهم ، فلانطيل الكلام في شأنهم، وكل مانرجوه من اصلاح ذات بينهم، نفوضه الى حكمة الحكومة وعدلها فيهم .

وأما أهل العراق فهم اقرب الى اخوانهم السوريين في الاستعداد للاتفاق في اقامة قاعدة الوحدة العثمانية ، لولا أثرة اليهود في الاعمال المالية ، وايثارهم للجامعة الدينية الملية، وهم كثيرون في العراق وفي ايديهم ناصية تجارتها، وتصريف رياح ثروتها، وما اظن الا انهم يأبون مشاركة المسلمين في اعمالهم ، بل يطمعون في تجريدهم من معظم اموالهم ، وإلجاء اكثرهم الى بيع ارضهم وعقارهم ، لأن هؤلاء الاكثرين يسرفون في النفقة ويقصرون في الكسب، كما هو شأن المسلمين في اكثر بقاع الارض،

اعراضاً عن هداية دينهم ، وهجراً لما انزل عليهم من ربهم ، في النهي عن التبذير والاسراف ، والترغيب في الاعتدال والاقتصاد ، وان المسرف المهمل ليغري القنوع بالطمع ، فكيف لا يكون مزيداً في طمع الطامعين؟ وان المقتصد النشيط في الكسب ليجذب امثاله الى مشاركته في عمله، فما اجدره بجذب الكسالى والمتواكلين . واني لأعذر يهود العراق وكذا النصارى فيه اذا رغبوا عن عقد الشركات مع مسلميه اذا ظل هؤلاء مصرين على كسلهم وخمولهم ، واني اعيذهم من هذا الاصرار ، بالله الواحد القهار، الذي جعل ارث الارض لمن يصلح العمل والاستعمار (هو أنشأكم من الارض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربي قريب مجيب) .

تلك هي المرتبة العليا للجامعة العثمانية بيناها لترغيب المستعدين لها فيها ، وتنبيه محبي الاصلاح للدعوة اليها، فاذا تعذر العروج اليها في هذا العصر والتمكن من قسميها السلبي والايجابي معاً (السلبي هو ترك التعادي والتباغض والتدابر، والايجابي هو الائتلاف والاشتراك في المرافق والمنافع الدنيوية والتربية الفنية والعلمية) فاننا نكتفي منها بالقسم السلبي لأنه ترك ، والترك ميسور في كل وقت ، ثم لامندوحة لنا عن القيام في المرتبة الثانية .

***

المرتبة الثانية من مراتب الجامعة العثمانية هي ان تتبارى الاقوام التي يجمع كلا منها اللغة او الدين في اسباب العمران من العلوم والفنون والاعمال مع الاخلاص للدولة ، وقصد اعلاء شأنها وشأن مجموعة الامة، ومراعاة ما سميناه القسم السلبي من قسمي المرتبة الاولى، وهو ان لا يتعادوا فيما يختلفون فيه . بل يجب ان يتحروا مع ذلك حسن المعاشرة ، وآداب المجاملة، وان يكون مثلهم في هذا كمثل الدول الاوربية المتعاهدة على السلم : تتبارى في الكسب، وتتسابق الى توسيع دائرة النفوذ والسلطة، ويعامل بعضها بعضاً بالمشاحة، فلا يرضى ان يسبقه غيره الى دينار او درهم ، ولا الى بث نفوذه او تجارته في قطر او بلد ، وهم في أثناء ذلك كله يكرم بعضهم بعضاً ويعامله بالاحترام والآداب . فاذا اتفق لبعضهم أن تعدى حدود الحق او الآداب مع الآخر تراضوا فيما بينهم او تحاكموا الى محكمة الصلح العام ، وهم في هذا قد اعلوا شأن اوربة كلها وصاروا في مجموعهم سادة العالم .

واضرب لهم مثلا آخر : جماعات من الصناع والعمال يبنون قصراً لكل منهم أجرة عمله خالصة له وغاية الجميع ان يكون القصر في اركانه وجدره وبلاطه ونجارته وتجصيصه ونقوشه من احسن قصور الدنيا . وهم في أثناء العمل يجتمعون على الطعام

وعند اوقات الراحة يتحاورون ويتفاكهون ولكن يجتهد كل فرد منهم وكل فريق بان يكون احسن عملاً واتقن صنعاً واوفر اجراً .

وأما مثالهم في المرتبة الأولى — واخرت ذكره للمقارنة والمقابلة — فكمثل الجسد الواحد في حياته المادية يعمل كل عضو من اعضائه عمله لحياته وحياة سائر الاعضاء ممداً لها ومستمداً منها ، معيناً لها مستعيناً بها ، وان كان لاهل ملة كل منهم حياة روحية أخرى ولهم فيها اعمال خاصة هم لها عاملون .

ينبغي للمسلمين في مثل العراق ان يعتبروا في هذه المرتبة باتحاد اليهود والنصارى وتعاونهم ونشاطهم في الكسب ، وسعيهم لارث الأرض ، وان يجاروهم ويباروهم في ذلك ويتحروا سبقهم، من غير ان يهضموا حقهم ، او يسيئوا عشرتهم، وانني ارى ان المسلم اذا تعصب للمسلم في الكسب واتحد به لمسابقة غير المسلم الذي تعصب لقومه — مع التزام ما كررنا تأكيد الحث عليه من حسن العشرة — فان اولئك الاغيار يرغبون حينئذ الى المسلمين في اقامة الوحدة العثمانية على اساس تلك القاعدة ، والارتقاء بها الى تلك المرتبة ، لأن الاتحاد لا يكون الا بعد التكافؤ . فكيف والمسلمون يكونون حينئذ ارجح لانهم اكثر عددا ولا يزال معظم رقبة الارض في ايديهم، واما اذا طال عليهم امد هذا التخاذل والتكاسل ، فلابد ان يغلبهم الآخرون على ما بقي لهم ، ويفقدون قوة الثروة، كما فقدوا قوة الوحدة، فلا يبقى لهم شأن في الوطن ولا في الدولة. وحينئذ تكون تلك المرتبة العليا من الجامعة العثمانية ابعد . ولا تغرن المسلمين كثرتهم فانها مع التخاذل لا تغني عنهم شيئا كما قلت في المقصورة :

لاتخدعنك كثرة جاهلة ... فربما كان حصاها كالحصى (١)
كم فئة قليلة قد غلبت ... كثيرة بالاتحاد والنهى (٢)
وانما العزة للكاثر ان ... توحد الكثير قصداً واتقى (٣)
وانما التقوى اجتناب كل ما ... يردي واخذ ما استطعت من قوى
والمال عدة لكل قوة ... تنقض انكاثاً بفقده القوى

(١) الحصى جمع حصاة وهي صغار الحجارة، والعدد ، والعقل، اي فربما كان عددها الكثير كصغار الحجارة لاقوة فيه فلا تبنى بها الدور ولا الحصون واذا اجزت استعمال المشترك في معنييه وجدت في البيت طعنا في عقول افراد امة هذا شانها

(٢) فيه اشارة الى الآية الكريمة « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة » مع بيان سنة الله في اسباب الغلب (٣) فيه تقييد لقول الشاعر العربي :

(ولست بالاكثر منهم حصى ... وانما العزة للكاثر)

إن من سنن الله تعالى في الاجتماع البشري أن التعاون بين الجماعات والاقوام والامم والدول لا يكون الا بالمبادلة، ولا يوزن الا بميزان المنفعة والمصلحة، فهو اذاً لا يكون الا بين الاكفاء، وتلك سنته ايضاً في الافراد، فالاخوة المتفاوتون في العلم او الثروة لا يكونون سواء في شيء، فاذا وجد افراد من الناس يبذلون اموالهم واوقاتهم لمنفعة غيرهم ابتغاء مرضاة الله تعالى ، او حباً في الجاه وحسن الصيت، او تلذذاً بفضيلة التفضل على الناس، فلا يطلبون ممن يبذلون له مالهم او جاههم او وقتهم جزاء ولا شكوراً، بل يطلبون ذلك من الله تعالى او من الناس الذين يطلعون على عملهم، او يكتفون بتلذذهم بفضلهم، — واذا صح ان هذا من الشذوذ في تلك السنة التي تطرد في الاقوام دون الافراد، فمثل هؤلاء الافراد لا يوجد في الدول والاقوام ، الا ترى ان الدول لا تحالف الا اندادها واكفاءها، التي لا تنفعها الا لتنتفع منها ، وسنة الله في الشعوب والامم كسنته في الدول، فالطريقة المثلى للتأليف بين العثمانيين لتكوين الجامعة العثمانية هي الاجتهاد في جعلهم اكفاء للاشتراك في المصالح والمنافع، وانما يكون ذلك بسعي المصلحين، والله ولي المحسنين .

(كتب هذا في المحجر الصحي بالحمدانية بين حلب وحماه في غرة شعبان)

﴿ ذيل للمقالة في العناصر العثمانية ﴾

بينا أن للجامعة العثمانية مرتبتين مرتبة عليا ومرتبة دنيا، وانه اذا تعذر العروج الى الأولى وجب الاعتصام بالاخرى ، وهو أن يعنى أهل كل عنصر من العناصر او ملة من الملل ذات الجنسية العثمانية في ترقية انفسهم بالتربية والتعليم والاقتصاد ، وجميع شؤون الاجتماع والعمران، مع موادتهم لغيرهم من اخوانهم العثمانيين وتعزيز الدولة

وقد تتداخل مصالح العناصر والملل بعضها في بعض فيتعاون كل من تجمعه بآخر مصلحة على ما يشتركان فيه فيتعدد من يعاونهم ويعاونونه . فالمسلم العربي والتركي والألباني والكردي يتعاونون في المشروعات التي ترفع شأن الاسلام، وتبث دعوته بين الآنام ، وكل منهم يعاون أهل لغته فقط على ترقيتها وتوسيع دائرة معارفها وان اختلف دينهم (على أن اللغة العربية لغة كتاب الله وسنة رسوله فهي مشتركة بين جميع المسلمين لا خاصة بمن هم عرب في النسب والكلام فيجب على كل مسلم ان يقوم بحقها) لا يعارض احد في ذلك أحدا . كما يتعاون كل على الاعمال المالية والعلمية بلا معارضة ولا امتعاض

يظهر ان طبيعة الاجتماع في هذا العصر لا تقبل الا هذا النوع من تكوين

الجامعة العثمانية . وقد جهل هذا وذاك زعماء (جمعية الاتحاد والترقي) وزين لهم الغرور تكوين جامعة تركية ، تدين لها وتخضع جميع العناصر العثمانية ، فتوسلوا الى ذلك بأقوى الوسائل ، ونصبوا له جميع الحبائل ، وناهيك بقوة السيف والنار ، والدرهم والدينار ، فانهم عمدوا الى مكان القوة من الشعبين الكبيرين الحريصين على لغاتهما (وهما العرب والألبان) فأثاروا في بلادهما الفتن وجردوا عليهما الجيوش المنظمة فحاربوا اليمن وحوران والكرك وبلاد الارنؤط ، وبعد انفاق الملايين من الاموال ، وسفك دماء الالوف المؤلفة من الرجال ، لم يستطيعوا أن يمهدوا السبيل لتتريك هذين الجيلين الجبليين ، ولم يظفروا بمن حاربوا منهما ، ليستذلوا سائر شعبيهما ، ويحملوهما على استبدال التركية بلغتيهما ، بل نفروها من العناية بتعلم اللغة التركية ، مضافة الى اللغة الاصلية ، وتفاقمت الفتنة بعد ذلك في بلاد الارنؤط ومكدونية واستطار شررها ، ونفرت الدول كلها من العثمانية وبطلت ثقتها بها ، الا ألمانية التي تستغل هذه الجمعية - بل الدولة بنفوذ الجمعية - استغلالا اربح من استغلالها لعبد الحميد ، اذ أخذت منها مملكة البوسنة والهرسك لحليفتها النمسة ، ومملكة طرابلس الغرب وبرقة لحليفتها الاخرى إيطالية ، واخذت منها العهود والمواثيق على تسهيل السبيل ليهود ألمانية الصهيونيين ، في استعمار الارض المقدسة من فلسطين ، وأرجأت لقمتها الكبرى الى حين

استطارت الفتن وخيف على الدولة السقوط السريع ، بسياسة اولئك المغرورين ، فقام أهل الغيرة على أهل الغرور ، واسقطوا وزارتهم وسلطتهم كما أسقطوا قبلهم سلطة السلطان المخلوع ، واسسوا وزارة محنكة ، من أهل التجارب والثقة ، (وزارة احمد مختار باشا الغازي) بعد أن اسسوا حزب الحرية والائتلاف ، الذي يرجى ان يرسو بسفينة الدولة في مرفأ النجاة ، باعطاء كل عنصر من العناصر حقه ، مع التأليف بينه وبين غيره

ليس هذا مقام بيان سيئات جمعية الاتحاد والترقي ، وما يرجى من نفع حزب الحرية والائتلاف . وانما نريد ان نبين ان الجمعية بذلت كل ما في الدولة من القوى ، معززة له بكل في طاقتها من الحيل والمكر والدهاء ، واستعمال الدجالين والمنافقين ، من المغاربة والسوريين والمصريين ، لتخدع العرب والمسلمين ، وغيرهم من العثمانيين ، وتنفذ مقاصدها في إدغام عناصر الدولة في العنصر التركي ، فلم تستطع الى ذلك سبيلا ، بل كان سعيها له سعيا لضده ، حتى كادت تجعل الجميع أعداء للترك بذنب أفراد منهم ومن الدونمة واليهود والاوشاب الذين لا يعرف لهم في العنصر التركي الكريم اصل ثابت ، ولا عرق راسخ ، ولا تشهد لهم بالانتساب اليه معارف وجوههم ، ولا لون سحنتهم ، ولا تقطيع اعضائهم ،

لولا ان من الله تعالى على الامة العثمانية ، بازالة سلطتهم الاستبدادية ، بسعي كرام الترك وغير الترك من العثمانيين (كما ذكرنا آنفا) - ثم نبين بعد هذا ان لا سبيل الى الوحدة العثمانية إلا بالبعد عن طريقة الاتحاديين الى طريقة الائتلافيين او مثلها ،

لهذا يدعي الاتحاديون الآن أنهم رجعوا عن رأيهم في تتريك العناصر والضغط على غير الترك وجعل السيادة والحكم للترك وحدهم ، وعن ابقاء جمعيتهم جمعية ثورة وسفك دماء ، الى جعلها حزبا سياسيا كغيره من الأحزاب . وحسبنا هذا اعترافا منهم بسوء ما كانوا عليه وقبحه وضرره ، وإن لم يعترف به اجراؤهم والمتملقون لهم من العرب . ونحن لا نصدق لهم دعوى ، وإنما نحكم عليهم بأفعالهم لا بأقوالهم ، ومنها انا نرى المتمكنين في مذهبهم لا يزالون يلحون في عداوة العرب واضطهاد ارباب الاقلام والرأي منهم ، والداعين الى ترقيتهم ، لترقى العثمانية بهم ، كما يفعل اخوانهم الترك وغيرهم ، ولو لم يكن بين أيدينا من الشواهد الا ضغط ديوان الحرب العرفي الذي بقي من آثارهم السوءى في بيروت لصاحبي المفيد واعوانهما ومحاسبتهم في كل يوم على مفردات الالفاظ والتراكيب الاضافية والوصفية - بله الجمل ذات المعاني - لكفى . وما ذنب هؤلاء الا ذكر العرب ودعوة العرب الى العلم والارتقاء دون الجمعية

أضف الى هذا إحياء هذه الجمعية ، ما كنا نظن انه مات بسقوط السلطة الحميدية ، من تهمة السعي الى تأسيس خلافة عربية ، كأنهم يأبون ان يتركوا لعبد الحميد سيئة الا ويأتونها بأقبح مما كان في عصره ، فهذه التهمة مما كان يتقرب اليه بها مصطفى كامل وقد قام يتقرب اليهم بها خلفاؤه كما سنبينه في مقال آخر

فبعد هذه التجارب التي دخلت فيها دولتنا العلية أدام الله تأييدها ، وبعد هذه العبر التي رأيناها بأعيننا ، وجب علينا أن نصرح بأن بقاء الدولة يتوقف على المساواة في الحقوق والعدل بين جميع عناصرها ، وحريتها في اديانها ولغاتها ، وسائر مقوماتها ومشخصاتها ، مع التأليف بينها وربط بعضها ببعض ، على الوجه الذي بيناه من قبل . ولا يتم هذا مع استئثار العاصمة بالسلطة على ما كانت عليه في الزمن الماضي ، بل لا بد من ادارة جديدة من قبيل مايسمونه بعدم المركزية تراعى فيها أحوال الولايات العثمانية المتباينة في العقائد والعادات واللغات حتى انه ليعد من محاولة المحال سياستها وادارتها بقانون واحد تجعل فيه ولايات الحجاز واليمن كولايات مكدونية ،

كان الاتحاديون يريدون ان يجعلوا بعض الولايات مستعمرات للمملكة ليس لها حقوق في الانتخاب لمجلس الامة ولا غير ذلك من حقوق الدولة ، وانما ينشأ

لها قانون خاص ، وكان الطلاب الذين يرسلونهم الى أوربة لدراسة الحقوق والقوانين فيها يعهدون الى بعضهم بدرس قوانين المستعمرات الاوربية بالتفصيل ، وهذا من نظرياتهم التي لا تؤدي الا الى شر مما أدت اليه سياسة التتريك من قبل

ان بعض أجراء الاتحاديين من مسلمي العرب يرغبون جميع المسلمين في السياسة والادارة المركزية وينفرونهم من ضدها، ومن دعوة قومهم الى احياء لغتهم ، وترقية ثروتهم ، وجمع كلمتهم ، مع المحافظة على عثمانيتهم ، ويحتجون على ترغيبهم وتنفيرهم بأن هذا اذا كان مفيدا فان نصارى الروملي وغيرهم يشاركونهم فيه، أي فيجب ان نؤيد جمعية الاتحاد والترقي في إضعاف جميع العناصر والضغط عليها بالحكومة المركزية القاسية لتتمكن بذلك من رقاب تلك العناصر !!

نظر قصير وحجة داحضة ، ان جمعية الاتحاد والترقي لا تطمع قط في تحويل نصارى الروملي عن لغاتهم ولا عن دينهم ، وهي تعلم أن حكومات البلقان ودول أوربة وراءهم ظهير لهم . وإنما الجمعية كعبد الحميد لا توجه ضغطها الا الى المسلمين ، بدليل قتالها لاهل اليمن والكرك وحوران والانؤد ، ومنحها الامتياز للماليسورين النصارى من هؤلاء دون المسلمين، ويوشك ان تكون مراعاتها لأولئك النصارى سببا لمراعاتنا دون الضد

بمثل هذه الاوهام تستعمل بعض مسلمي العرب لغش المسلمين كما أوهمت بعضهم أن كل سعيها واجتهادها موجه الى الجامعة الاسلامية !! وكما استعملت بعض نصارى العرب لغش النصارى منهم وايهامهم بأنها هي تعمل لهم كيت وكيت وترجحهم على مسلمي قومهم لانها تثق بهم مالا تثق بالمسلمين الذين يريدون إنشاء خلافة عربية يجعلون بها الحكومة دينية محضة !! أي والجمعية تشهد لها ماسونيتها بأنها تريد إزالة الصبغة الدينية من الدولة . وقد راج هـذا الغش في سوقهم فكان أروج من مثله في سوقنا ، فساعدتها جرائدهم السورية والمصرية ثلاث سنين ثم ظهر لا كثرهم انهم كانوا مخدوعين

وجملة القول إن غش الجمعية قد انكشف لجميع العقلاء من جميع العناصر . وان كل عنصر قد تنبه بعمل الجمعية الى ما يجب عليه من تقويم نفسه . واشدهم اخلاصا للترك العرب والارنؤد والأكراد ، وسيظهر هذا لجميع الناس ، على أنها مادامت ذات قوة ومال ، تجد من المنافقين من يخدمها في كل حال ، ولكن العاقبة للمتقين

نظرة في الجزء الثاني (*)

﴿ من كتاب تاريخ آداب اللغة العربية ﴾

٢

(أمثلة لكل نوع من الخطأ)

أقتصر في هذه العجالة على بعض نماذج من أنواع الخطأ في الامور الآتية ليكون القارئ على بصيرة من أمثالها فمن أمثلة الامر الاول (وهو الخطأ في الحكم الفني)

(١) قول المؤلف في صفحة ١٣٧ « وكان ابو حنيفة لا يحب العرب ولا العربية حتى انه لم يكن يحسن الاعراب ولا يبالي به » (١) وعزا في الذيل هذه العبارة الى صفحة ١٦٥ جزء ثان ابن خلكان

فالذي يثق بالمؤلف يصدق عبارته هذه بعد ان تبرأ من تبعتها ونسبها الى مؤرخ عظيم ولكنه اذا راجع ابن خلكان في هذه الصفحة بل اذا قرأ ترجمة ابي حنيفة من أولها الى آخرها لم يكد يشم منها رائحة هذه الالفاظ بله المعاني . وكل ما ذكره هو العبارة الآتية ـ

« ولم يكن يعاب بشيء سوى قلة العربية فمن ذلك ما روي ان ابا عمرو بن العلاء المقرئ النحوي المقدم ذكره سأله عن القتل بالمثقل هل يوجب القود أم لا ؟ فقال لا كما هو قاعدة مذهبه خلافا للامام الشافعي رضي الله عنه فقال له ابو عمرو ولو قتله بحجر المنجنيق ؟ فقال ولو قتله بأبا قبيس . يعني الجبل المطل على مكة حرسها الله . وقد اعتذروا عن ابي حنيفة بأنه قال ذلك على لغة من يقول : ان الكلمات الست المعربة بالحروف وهي ابوه واخوه وحموه وهنوه وفوه وذومال اعرابها يكون في الاحوال الثلاث بالالف وأنشدوا في ذلك

(*) بقلم الاستاذ الشيخ أحمد عمر الاسكندري

(١) هذه العبارة مذكورة في تاريخ التمدن الاسلامي وقد انتقدها الشيخ شبلي النعماني راجع ص (٧٢) من الانتقاد على هذا الكتاب

ان اباها وابا اباها قد بلغا في المجد غايتاها

وهي لغة الكوفيين وابو حنيفة من أهل الكوفة فهي لغته والله اعلم »

هذه هي عبارة ابن خلكان بنصها فليقابلها القارئ بعبارة مؤلفنا وأترك الحكم له بلا تشنيع ولا تبشيع فهي وحدها كفيلة بكل ذلك .

على ان بعضهم قد أخذ على مالك ما أخذه خصوم ابي حنيفة عليه اذ قال في الموطأ « عليه هدي بدنة أو بقرة أو شاة ان لم يجد الا هي » بوضعه ضمير الرفع موضع ضمير النصب . ولو اطلع المؤلف على هذا الموضع لقال في مالك ماقال هو في الخمر.

(٢) قول المؤلف في الصفحة المذكورة « وكان أئمة الفقه في المدينة فأراد المنصور تصغير أمر العرب وإعظام أمر الفرس لانهم انصارهم وأهل دولتهم فكان من جملة مساعيه في ذلك تحويل انظار المسلمين عن الحرمين فبنى بناء سماه القبة الخضراء حجا للناس (كذا) وقطع الميرة عن المدينة وفقيه المدينة يومئذ الامام مالك الشهير فاستفتاه أهلها في أمر المنصور فافتى بخلع بيعته فخلعوها وبايعوا محمد بن عبدالله من آل علي وعظم أمر محمد هذا وحاربه المنصور ولم يتغلب عليه الا بعد العناء الشديد فرجع أهل المدينة الى بيعة المنصور قهراً وظل مالك مع ذلك ينكر حق البيعة لبني العباس فعلم أمير المدينة يومئذ وهو جعفر بن سليمان عم المنصور بذلك فغضب ودعا بمالك وجرده من ثيابه وضربه بالسياط وخلع كتفه » فيفهم من هذه العبارة :-

أولا أن جمهرة أئمة الفقه كانت بالمدينة فقط

ثانيا المنصور كان يكره العرب كراهة حملته وهو خليفة المسلمين وأفقه أهل زمانه على أنه يرتد عن الاسلام ويحاول صرف المسلمين عن تولية وجوههم شطر قبلتهم وعن أداء فريضة هي أحد أركان الاسلام الخمسة الى قبة الخضراء التي بناها فوق قصره ببغداد

ثالثاً انه قطع الميرة عن المدينة لمجرد بغض الحرمين ولوجود أكثر أئمة الفقه في المدينة وهي فضلى المدائن العربية ويستتبع ذلك ان يكون بغضه لمالك أشد منه لكل فقيه فيها لانه شيخهم العربي

رابعاً ان أهل المدينة استفتوا مالكا في خلع المنصور وبيعة محمد بعد قطع الميرة عنهم

خامسا ان مالكا افتاهم فعلا بذلك

سادسا ان المنصور لم يتغلب على محمد بن عبدالله الا بعد العناء الشديد أي بعد وقائع كثيرة وأزمنة طويلة

سابعاً ان مالكا استمر على عناده حتى فعل به جعفر بن سليمان مافعل

ثامنا ان وقوف المؤلف في العبارة عند هذا الحد يقتضي ان ذلك كان برضا من المنصور

وأقول :- ان كل هذه اللوازم باطلة اما عن الاول فلم تكن جمهرة الفقه خاصة بالمدينة بل كانت ضاربة بجرانها في مصري الاسلام - الكوفة والبصرة - كما كانت في الشام ومصر على كثب من ذلك وانما كان العلم بالحديث يغلب على فقهاء الحجاز والعلم بالقياس والرأي يغلب على أهل العراق وربما طرأت هذه الشبهة على المؤلف من قول مالك نفسه في حديث له مع المنصور « وانما الفقه فقه أهل المدينة » يرجح مذهبه واخذه بالحديث ويضعف مذهب أهل العراق في أخذهم بالرأي وهذا اقل مايقول صاحب مذهب في ترجيحه والمعلوم ان ابا حنيفة واصحابه بالعراق اسبق من مالك وأصحابه بالمدينة اشتغالا بالفقه وتدوينا له

وأما عن الثاني :- فكيف يكره المنصور العرب هذه الكراهة وهو عربي وابن عم النبي العربي وخليفته في أمته وشريعته؟ وكيف يحاول تحويل المسلمين عن قبلتهم وشعائر حجهم الى قبة الخضراء على غضاضة الاسلام وقرب عهد الناس بنبيهم مع ان دعوة العباسيين لم تقم الا باظهار الدفاع عن حوزة الاسلام وتجديد شريعته وشعائره؟ وكيف يقع ذلك من المنصور وهو الذي حمل علماء المسلمين في جميع بقاع الارض على تدوين علوم الكتاب والسنة فكان عهده مبدأ لتدوينها باجماع المؤرخين ومنهم المؤلف

وبعد فلو كان كل ذلك قد كان فما الذي حمل المنصور على الحج الى بيت غير قبته حتى توفي في طريق مكة على اميال منها محرما ناسكا وكفن ودفن كذلك

هذا الى مااشتهر عن المنصور من الزهد وتشدده في أمر الدين فلم يسمع في داره لهو قط . والتواريخ مفعمة بمناقبه وانما كان الرجل ملكا ومؤسس ملك فاشتدت وطأته على أعدائه ومزاحميه من بني علي فأذاعوا عليه هذه الشنعة ليصرفوا الناس عنه كما صرفوا عن بني أمية بمثل ذلك وانهم هدموا الكعبة فأخذ المؤلف هذه العبارة من بعض الكتب التي روت حديث الخصوم من غير تمحيص وتحقيق

وكيف يبلغ كراهة العباسيين للعرب هذا الحد وهم انما ولوا السفاح قبل المنصور

لان أمه عربية، وولوا الامين قبل المأمون لان أمه هاشمية، وكل من المنصور والمأمون أكبر من أخيه. وكانت ثقتهم بالفرس في ضبط الملك ترجع عن ثقتهم بالعرب لان أنصار بني أمية من العرب كانوا في مبدإ الدولة أقوياء الشوكة على ان هذا لم يدم أكثر من قرن ثم تحول الى الترك وغيرهم

وأما عن الثالث - فينافيه: ما تقدم واعتذار المنصور بعد لمالك عما وقع من جعفر وسؤاله الصفح عنه بعد ان عزله عن ولاية المدينة واقدمه الى العراق على قتب، ودعوة مالك الى تأليف الموطأ وقوله له: انه لم يبق على وجه الارض اعلم مني ومنك (اي بعلوم الفقه والدين طبعا) ودعوته له ان يقدم معه الى العراق وينشر علمه بها فابى مالك واختار جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم

وأما عن الرابع - فان المنصور لم يقطع الميرة عن أهل المدينة الا بعد مبايعتهم محمدا وان مالكا انما أثر عنه ذلك بعد قتل محمد وقدوم جعفر بن سليمان مجدداً لبيعة المنصور

وأما عن الخامس -: فغاية ما روي ان مالكا سئل في يمين المكره: هل تقع؟ فقال لا، وكان جعفر أيام ذلك يأخذ الناس بايمان البيعة للمنصور طوعا وكرها فوشى بعض الناس الى جعفر بان مالكا لا يجيز أيمان بيعتكم ففعل ما فعل

وأما عن السادس -: فلم يدم امر محمد منذ ظهر بالدعوة الى يوم قتل أكثر من شهرين وسبعة عشر يوما ولم يزد الجيش الذي حاربه على خمسة آلاف رجل ولم يزد أصحاب محمد على نيف وثلثمائة رجل

واما عن السادس والسابع -: فهوم مما تقدم

(٣) ومن الخطأ في الحكم دعوى المؤلف في صفحة ٨٣ انه لم يبق من نظم إبان لكتاب كليلة ودمنه الا بيتان هما

هذا كتاب ادب ومحنه   وهو الذي يدعى كليله دمنه
فيه احتيالات وفيه رشد   وهو كتاب دفعته الهند (كذا)

فالمؤلف لم يجد الا هذين البيتين في الاغاني فنقلهما محرفين وادعى لم يبق غيرهما مع ان كتاب الاوراق للصولي بدار الكتب الخديوية اي بعدة ابواب من الكتاب منظومة في اخبار ابان ومن العجيب ان المؤلف اطلع على هذا الكتاب ووصفه بما قدر عليه في صفحة ١٧٥ من كتابه هذا

ومن أبيات ابان غير هذين البيتين قوله

وقيل ايضا انه قد ينبغي   للرجل الفاضل فيما يتقي

ألا يرى الا مع الاملاك   او يعبد الله مع النساك
كالفيل لا يصلح الا مركبا   لملك او راعيا مسيبا

(٤) ومن الخطأ في الحكم زعم المؤلف ان كتاب الادب الصغير والكبير والدرة منقولة عن الفارسية اي انها مترجمة عنها

اما الادب الكبير المطبوع في مصر وسورية باسم الدرة خطأ فقد صرح ابن المقفع انه من بنات افكاره (فليراجع)

واما الادب الصغير فشيء من عند ابن المقفع وشيء نقله عن غيره كما يعلم ذلك مما كتبه العلامة البحاثة احمد زكي باشا في المقدمة التي دبجتها براعته لطبعة جمعية العروة الوثقى

واما الدرة اليتيمة فلم يعثر عليها احد الى الآن وليست هي الادب الكبير كما زعم المؤلف في هذا الكتاب بقوله «كتاب الدرة اليتيمة ويسمى ايضا كتاب الادب الكبير» فقد نقلت كتب الادب منها قطعا لاتوجد في الادب الكبير المطبوع باسم اليتيمة خطأ. ووصف المؤلفين لليتيمة لا ينطبق على الادب الكبير

هذا ولم يقل احد ان اليتيمة مترجمة عن اصل فارسي الا المؤلف. وانما فيها بعض نقول عن قدماء الفرس كما يقع في اكثر كتبه.

(٥) ومن الخطأ في الحكم عده طاهر بن الحسين فاتح بغداد وقاتل الامين في عداد المنشئين كتاب الرسائل مع ان هذا الاسم لا ينطبق عند علماء الادب الاعلى الكاتب في ديوان الرسائل الذي سمي فيما بعد ديوان الانشاء ولم يخدم طاهر بن الحسين الدولة منشئا قط كما لم يعرف له كتب ذات بال غير وصية كتبها لابنه عبد الله عند توليه ديار مصر ولم يكن طاهر الا قائدا عظيما واميرا داهيا. ولئن ساغ لنا ان نعد كل من خلف وصية مطولة بليغة في طبقات الكتاب لقد كان من الواجب ان نعد الامام عليا والمنصور العباسي والرشيد والمأمون من كتاب الرسائل مع ان لهم مجموعات من الرسائل وبينما نجد المؤلف لم يتكلم في العصر الاول العباسي إلا على طاهر بن الحسين وعمرو بن مسعدة من كتاب الرسائل اذ نراه اهمل ذكر جميع كتاب الرسائل المشهورين كعمارة بن حمزة وابي عبيد الله وزير المهدي والقاسم بن صبيح ويوسف بن القاسم واحمد بن يوسف ويحيي بن برمك وجعفر بن يحيي واسماعيل بن صبيح وابن الزيات وغيرهم وهم فحول البلاغة وفرسان الكتابة والكتابة صناعتهم

وصناعة آبائهم ولا يزال كثير من رسائلهم وكتبهم محفوظة في بطون الكتب والتواريخ لمن يريد البحث والفحص

ويشبه هذا عد المؤلف ابا العباس المبرد وابا علي القالي من علماء متن اللغة لان الاول ألف كتاب الكامل وفيه قصائد ومقطعات شرح بعض ألفاظها من اللغة وعده القالي كذلك لانه أملى أماليه شارحا بعض غريبها مع ان هذين الكتابين باعتراف المؤلف وكنان من أركان كتب الادب الاربعة مما كان أولى ان يعدهما في طبقات مؤلفي الادب

وعده السكري من المؤلفين في الادب مع الجاحظ وابن قتيبة مع ان السكري لم يكن الا راويا للشعر جمع أشعار كل قبيلة أو شاعر في ديوان وليس له فيها غير الجمع ناقلا عن أئمة الرواة أو عن الاعراب وفي الكتاب من أشباه هذا كثير

(٦) ومن الخطأ في الحكم زعم المؤلف في صحيفة ٢٠٧ ان علم الكلام ومذهب الاعتزال نشأ في العصر الثاني من حكم بني العباس أي بعد ١٣٢ هجرية مع ان المشهور في التاريخ انه لما كثر المتزندقة والملاحدة في زمن المهدي أوعز الى العلماء ان يحاجوهم بالادلة العقلية ويدونوا في ذلك الكتب ففعلوا وسموا المتكلمين لأن علمهم من كلامهم لا من الكتاب ولا من السنة ونشأ من هؤلاء طبقة في زمن الرشيد ثم أعقبتها طبقة في زمن المأمون كان هو من كبارها ومنهم ثمامة بن أشرس وابو الهذيل العلاف وابراهيم النظام واحمد بن ابي دؤاد وغيرهم على ان المعتزلة من المتكلمين يبتدئ عصرهم من حياة واصل بن عطاء بل من قبله ايضاً

ومن العجيب ان المؤلف حينما أراد ان يترجم علماء الكلام ذكر واصل بن عطاء وهو من أهل العصر الاول بل هو ممن أدرك كثيرا من عصر بني أمية

(٧) ومن الخطأ في الحكم جعله ابا منصور عبد الملك الثعالبي صاحب يتيمة الدهر هو صاحب التفسير الكبير المعروف بتفسير الثعلبي والثعلبي هذا هو الامام الحجة الثبت ابو اسحاق احمد بن ابراهيم الثعلبي المفسر المشهور ولعل الذي أوقع المؤلف في هذا الخطأ ان كلا الرجلين نيسابوري الموطن وانهما كانا متعاصرين وان وفاتيهما متقاربتان غير ان الاول أديب وهذا امام مفسر جليل وهما شهيران في بابيهما

وسنذكر في مقالتنا الآتية بقية انواع الخطأ التي أشرنا اليها في صدر مقالتنا هذه وكل آت قريب

**

ومن انواع الخطأ التي تضمنها الكتاب الخطأ في الاستنتاج ومن أمثلته ما يأتي :
ذكر المؤلف في صفحة ٢٣٨ الفصل الآتي بنصه وهو

« ٥ — طول القصائد »

وطالت القصائد في هذا العصر عما كانت عليه قبلا حتى كثرت فيها ذوات المئات من الابيات كقصيدة ابن عبد ربه وقصائد الواساني ومع ذلك فان العرب لم يدركوا شأو الامم الاخرى في الاطالة كما فعل اليونان بالالياذ والأوذية والفرس في الشاهنامة وهو الشعر المعروف بالايوبة وتعد ابيات الواحدة بعشرات الألوف. على انهم ذكروا لابي الرجاء محمد بن احمد بن الربيع الاسواني المتوفى سنة ٣٣٥ قصيدة اياتها تعد بالالوف ضمنها اخبار العالم وقصص الانبياء ومختصر المزني ويعد من هذا القبيل نظم كليلة ودمنة ونحوها مما ضاع . ولكن ذلك منقول ليس فيه تفكير اي لم ينظمه الشاعر من بنات افكاره ولا يكون ذلك الا في نظم القصص الخيالية اونحوها »

فهذا الفصل على ما فيه من تضارب الاقوال وتناقض الاحكام يستفاد منه

اولا — ان القصائد العربية طالت في العصر الثالث من حكم بني العباس عن كل العصور التي سبقته حتى بلغ بعضها مئات من الأبيات

ثانيا — انهم مع ذلك لم يدركوا شأو اليونان والفرس في تطويل القصائد لأن تلك تعد بالالوف

ثالثا — ان العرب كان لها قصائد قبل هذا العصر تعد بالالوف ايضا ولكنها ضاعت كقصيدة الاسواني ونظم كليلة ودمنة وغيرهما

رابعا — ان العرب وان أطالوا في بعض القصائد لم يضمنوا طوالهم بنات افكارهم بل نقلوها عن أمم اخرى . وأقول :

أما الأمر الأول فأن أطول القصائد لم يختص بعصر دون عصر فمذ ظهر امرؤ القيس في عالم الشعر تطول القصائد وتقصر وكفى بالمعلقات طولا وهي من نظم الجاهلية ولم يقصر الاسلاميون ولا المحدثون عن هؤلاء في الطول فقصائد جرير والفرزدق والاخطل والكميت ومروان ومسلم ودعبل وابي تمام والبحتري وابن الرومي والناشئ لا تقصر عن قصائد أهل العصر الثالث فلجرير ميمية تقارب مائة بيت وللفرزدق ميمية تزيد على مائة واربعين ولدعبل قصيدة في التعصب لليمانية يرد بها على الكميت المفتخر بالنزارية تبلغ ستمائة بيت . وللناشئ قصيدة في فنون

من العلم على رويّ واحد تبلغ اربعة آلاف بيت وكل هؤلاء قبل العصر الثالث

وأما عن الامر الثاني فان المؤلف لم يفطن للفرق بين الشعر العربي والاعجمي. فالشعر العربي تنظم القصيدة فيه من بحر واحد وقافية واحدة ورويّ واحد وشعر الامم الاعجمية ليس له قافية وان التزمت فيه القافية فلا تتجاوز بضعة ابيات فالشاعر العربي اذا نظم قصيدة مائة بيت من قافية واحدة فتلك الغاية التي لا تدرك في شعر اي أمة اخرى واغلب شعر اليونانيين والفرس وأمم أوربة الآن من نوع الدوبيت والزجل او الشعر المسمط فهو مركب من ادوار وخانات . واذا لم يراع الشاعر قافية فالمائة والف الالف عنده سواء فليس عليه اي كلفة في الصناعة وانما يرجع الامر في ذلك الى طول الزمن وقصره كما نظم البستاني الالياذة من عدة بحور وعدة قواف

واما الامر الثالث فلو علم المؤلف ان نظم كليلة ودمنة ونحوه ليس من نوع القصائد بل من نوع المزدوجات التي لا تكلف الناظم اكثر من قافيتين اثنتين في كل بيتين لم يكن يجشم التناقض والاعتذار الغريب في كلامه

واما الامر الرابع فلما رأى المؤلف على توهمه ان للعرب شعراً طويلا مثلما للفرس واليونان مما يعارض دعواه احتاج الى ان يبرر رميه العرب بالقصور وتهجين شعرهم بقوله « ولكن ذلك منقول ليس فيه تفكير » فلو اراد المؤلف بطوال الشعر العربي ارجوزة ابن عبد ربه في تاريخ الاندلس او علم العروض وارجوزة الاسواني في أخبار العالم وقصص الانبياء ونحوهما فهما لم تعدوا أغراض الالياذة والشاهنامة اذ الاولى في وقائع حروب رواده والثانية في تاريخ الفرس

على ان كل هذا الكلام جهاد في غير عدو فالطوال في العصر الثالث ليست من نوع القصيد بل من نوع الاراجيز وطوال الامم الأخرى لم يلتزم فيها قافية واحدة

**

ومن الخطأ في الاستنتاج زعم المؤلف ان التصوف لم ينشأ الا في العصر الثالث اي بعد سنة ٣٣٤ وينعي على ابن خلدون وغيره ممن يرى أن اشتقاقه من الصوف. ويرى هو انه مشتق من كلمة (صوفيا) اليونانية

قال في صفحة ٣٣٢

« وعندنا انها مشتقة من لفظة يونانية الاصل هي (صوفيا) ومعناها الحكمة ويتركب منها ومن (فيلوس) محب (فيلوصوفيا) اي محب الحكمة وهي بالعربية الفلسفة فيكون الصوفية قد لقبوا به نسبة الى الحكمة لانهم كانوا يبحثون فيما يقولونه او

يكتبونه بحثاً فلسفيا ويؤيد ذلك انهم لم يظهروا بعلمهم هذا ولا عرفوا بهذه الصفة الا بعد ترجمة كتب اليونان الى العربية ودخول لفظة الفلسفة فيها »

وأقول ان طريقة القوم قد اشتهرت بهذا الاسم قبل شيوع ترجمة الكتب اليونانية وانتشار الفلسفة ومن قدمائهم الذين اطلق عليهم اسم صوفية مالك بن دينار المتوفى سنة ١٣١ وابراهيم بن ادهم المتوفى سنة ١٦١ ورابعة العدوية المتوفاة سنة ١٣٥ وشقيق البلخي المتوفى سنة ١٥٣ وهو أول من تكلم في طريقة الصوفية وعلم الاحوال بخراسان والفضيل بن عياض المتوفى سنة ١٨٧ وغير هؤلاء ممن ذكرهم القشيري وغيره في تعداد سلف الصوفية الصالح

فلو كان الامر كما زعمه المؤلف من انهم لم يعرفوا بهذه الصفة الا بعد ترجمة الكتب اليونانية وشيوع لفظ الفلسفة فيها أي في أواسط العصر الثاني فلم لم يسموا فلاسفة اذ « كانوا يبحثون فيما يقولونه أو يكتبونه بحثاً فلسفياً ... » ولم لم تسم الفلاسفة صوفية لانهم أيضا يبحثون فيما يقولونه أو يكتبونه بحثا فلسفيا ! وقد كان الكندي وهو أقدم من اشتغل بالحكمة يسمى فيلسوف العرب ولم يسم صوفيّ العرب .

وبعد فلو كان هذا الاسم قد عرف بعد ان عرفت الفلسفة وعرف اسمها ومأخذه فلم أبهم اسم الصوفية على كثير؟ والحقيقة ان طريقة القوم بمعزل عن الفلسفة وهم كانوا أشد الناس انكارا على المتفلسفين وان اسمهم مشتق من الصوف لمداومة أكثرهم لبسه تقشفا وتخشنا

(٢) ومن امثلة الخطأ في الاستنتاج دعوى المؤلف خمول اسم بشار الشاعر المشهور قال في صفحة ٦١ « ولم يخرج في دقه أحد لانه مات وخصمه الخليفة وربما هذا هو السبب ايضا في خمول اسمه مع تبرزه في الشعر »

واقول لم يدع خمول بشار غير المؤلف والا فكتب الادب مفعمة بأخباره ونقد كلامه وكيف يجهل رأس المحدثين باجماع كل متكلم في الادب وغاية ما يقال ان ديوانه لم يجمع وكم من شاعر جمع ديوانه ولم يشتهر شهرة بشار

(٣) ومن الخطأ في الاستنتاج ادعاء المؤلف في صفحة (٩٩) انه لم يصلنا الا أخبار الرواة المقربين من الخلفاء أو الوزراء في بغداد كالاصمعي وابي عبيدة وليس ذلك بصحيح فان من كبار الرواة من اتصل بالخلفاء ومنهم من لم يتصل . فابو عمرو ابن العلاء شيخ الرواة والعربية لم يعرض علمه على خلفاء بني امية ولا خلفاء بني

العباس واليه كانت الرحلة من الآفاق وهذا الخليل بن احمد شيخ الاصمعي وابي عبيدة زهد في صحبة الملوك وتأديب أولادهم واخرج كسرة خبز يابسة لرسولهم وقال مادامت هذه في بيتي فلا حاجة لي فيهم

وهذا ابو زيد الانصاري ثالث الثلاثة (الاصمعي وابي عبيدة وابي زيد) كان ممن يقبل الاصمعي رأسه في حلقة درسه ويقول: هذا عالمنا ومعلمنا منذ عشرين سنة ولم يعلم انه اتصل بخليفة وهذا خلف الاحمر أروى أهل زمانه للشعر مات ولم يتصل بخليفة

وابو عمرو الشيباني راوي دواوين العرب وجامعها من هذا القبيل وكذلك مؤرخ السدوس وابوعبيد القاسم بن سلام والسكري وغيرهم من مشاهير الرواة كانوا بمعزل عن الخلفاء

ومن الخطأ في الاستنتاج ماقاله المؤلف في صفحة ١١٣ « ويقال ان أول من عمله (أي النحو) أي ذكر أسباب اعرابه عبدالله بن ابي اسحق الحضرمي المتوفى سنة ١١٧ والغالب في اعتقادنا ان تعليل الاعراب لم ينضج الا بعد نقل كتب الفلسفة اليونانية الى العربية » ولو قال المؤلف لم يفسد الا بعد نقل كتب الفلسفة الخ لكان أولى فقد كان الخلاف بين الكوفيين والبصريين في تعليل مسائل القياس النحوي وليس هو الا تعليل اوجه الاعراب ولم يفتر هذا النضال بين المصرين الا بعد انكباب الناس على الفلسفة وانصرافهم عن العربية

(٥) ومن ذلك مازعمه من ان ابراهيم بن المهدي لم ينصرف الى الغناء الا بعد استقلال المأمون في الخلافة قال في صفحة ١٣٦

« الغناء القديم والحديث »

«ولما زها العصر العباسي الاول في زمن الرشيد والمأمون واطلقت الالسنة والافكار أخذ المغنون يفكرون في تعديل الالحان واستنباط اسلوب جديد . وأول من تجرأ على ذلك ابراهيم بن المهدي اخو الرشيد – وكان من الطامعين في الخلافة فلما استتب الامر لاخيه (كذا) المأمون انصرف هو الى الغناء كما انصرف خالد بن يزيد الاموي الى الكيمياء لما يئس من الخلافة »

والمعروف عند أهل التاريخ والادب ان ابراهيم كان منصرفا الى الغناء منذ أيام أبيه ، وكان في مدة اخيه خلا من خول الصناعة لم يفقه فيها الا الحق ، ومن أهل

زمانهما من يتقدم ابراهيم عليه لكثرة اختراعه وتصرفه ووقوف اسحق عندمارسمه الاوائل . ومناقضات ابراهيم واسحق وملاحتهما في الصناعة في مجالس الرشيد اشهر من ان تذكر بل كانت شهرة ابراهيم بالغناء من أكبر عوائق استتباب الخلافة له. وبعد فتى كان المأمون اخا لابراهيم أو أخا للرشيد وانما هو ابن الثاني وابن أخي الاول؟

(٦) ومن خطأ الاستنتاج واضطراب الكلام واختلاطه الفصل الذي كتبه المؤلف في السيرة النبوية فلا يكاد القارئ يستنبط منه حكما جليا فمن قوله منه :

« سيرة ابن هشام »

« واما سيرة النبي كاملة فأقدم ما وصل الينا منها سيرة محمد بن اسحق رواية عبد الملك بن هشام وقد اتفقوا على صحتها . (ثم قال) ويرى الناقد فيها كثيرا من القصائد يغلب على الظن انها دخيلة . وذكر صاحب الفهرست انهم كانوا يعملون الأشعار ويأتون بها الى ابن اسحاق ويسألونه ان يدخلها في كتابه في السيرة فيفعل (ثم قال في ترجمة ابن هشام بعد ذلك باسطر قلائل) وهو الذي روى سيرة النبي من المغازي والسير لابن اسحق وهذبها ولخصها وهي الموجودة في ايدي الناس وترجمة في ابن خلكان ٢٩٠ ج ١ (ثم قال في ترجمة ابن اسحق بعد ذلك باسطر) ومن كتبه في المغازي اخذ عبد الملك السيرة التي نحن بصددها وقد طبعت هذه السيرة (اي سيرة ابن هشام) مرارا الخ الخ (الى ان قال) واما النسخة الاصلية رواية (كذا) ابن اسحق فالمظنون ان منها نسخة في مكتبة كوبريلي بالاستانة »

فانت ترى انه (اولا) جعل سيرة ابن اسحق وابن هشام واحدة وابن هشام لم يكن الاراويا

ثم ذكر (ثانيا) اتفاق الناس على صحتها ثم ناقض هذا (ثالثا) بنقله طعن صاحب الفهرست في شعرها . ثم ناقض (رابعا) ماادعاه اولا من كون السيرتين واحدة بقوله في ابن هشام «وهو الذي روى سيرة النبي من المغازي والسير (كذا) لابن اسحق وهذبها ولخصها (وقوله بعد في ترجمة ابن اسحق) ومن كتبه في المغازي اخذ عبد الملك السيرة »

ثم ناقض (خامسا) جميع ما تقدم بقوله « واما النسخة الاصلية رواية ابن اسحق فالمظنون ان منها نسخة في مكتبة كوبريلي الخ الخ

والحقيقة ان سيرة ابن اسحق سيرة كبيرة مستقلة عن سيرة ابن هشام وهي التي يطعن في شعرها ولم يتفق على صحتها . وان ابن هشام لم يكن هو الراوي لهذه السيرة

بل لخص سيرته النبوية من سيرة ابن اسحق وغيرها من كتبه في المغازي بحذف الاخبار الضعيفة والاشعار المطعون فيها، وهي المتفق على صحتها. واذا لاحظنا ان بين وفاة ابن اسحق ووفاة ابن هشام اكثر من ستين سنة وان اكثر حياة ابن اسحق كانت في المدينة واكثر حياة ابن هشام في مصر ينجلي ما قلناه فوق ما تقدم

﴿ الدعوى بلا دليل ﴾

للمؤلف دعاوى عريضة لم يقم عليها برهانا بل ألقاها على عواهنها يضل فيها الناشئ ويعجب منها الشادي . فمن ذلك :

(١) ادعاؤه او نقله عمن يدعي في صفحة ٤٣ ان الخيال الشعري لا يزال في مكانه لم يترق عما كان عليه منذ القدم بالرغم من ترقي الجنس البشري في كل شيء وان الشعر العربي له شأن خاص في اسلوبه فقط. ثم ناقض ذلك بعد سطر واحد بقوله في ترقي الشعر الاسلامي « فضلا عن تأثير الاحوال الاجتماعية على الخيال الشعري ولا سيما الانتقال من البداوة الى الحضارة » ثم عقده فصلا كاملا عنونه هكذا :

« ٢ ـ المعاني الجديدة باتساع الخيال الخ الخ » ثم فصلا آخر عنونه هكذا

« ٣ ـ المعاني الجديدة بالاقتباس » (اى الاقتباس من العلوم الاجنبية) . وقال في أول هذا الفصل :

« تلك معان شعرية اقتضاها وسع الخيال بالحضارة الخ الخ »

(٢) ومن الدعاوى بلا دليل دعوى المؤلف (ص ١٠٧) ان ابن قتيبة اول من تجرأ على النقد الادبي نأنف في أكثر فنون الادب المعروفة الخ الخ

يقصد المؤلف بهذا نبذة صغيرة ذكرها ابن قتيبة في مقدمة كتابه الشعر والشعراء فان اراد المؤلف انه أول من كتب في نقد الشعر فليس بصحيح اذ سبقه الى ذلك كثير منهم محمد بن سلامة الجمحي في مقدمة كتابه (طبقات الشعراء) الذي ذكره المؤلف في صفحة ١٠٨ عند كلامه على النسخة التي في المكتبة الخديوية حيث قال « وتدخل في ٢١٠ صفحات تبدأ بنقد الشعر الخ الخ »

وقبله الف ابو عبيدة كتاب نقائض جرير والفرزدق وقد ذكره المؤلف في صفحة ١٠١ وهو نوع من نقد الشعر . وان اراد المؤلف انه أول من لفت الناس الى فساد طريقة القدماء في بكاء الاطلال ووصف الاظعان فقد ناقض ذلك بقوله في صفحة ٤٣ « واصبح حديث الشعراء في مجالسهم انتقاد تلك الطريقة . واقدم

ما بلغنا من هذا القبيل اجتماع مطيع بن اياس بفتى من أهل الكوفة ففاوضه بشأن ذلك » ثم نقل عنه شعرا يعيب فيه على المتقدمين ونقل عن ابي نواس كثيرا من الشعر ينعي به على هذه الطريقة وادعى ان ابا العتاهية قلد في ذلك ابا نواس وهما فحلا الشعر المتعاصران فمن يا ترى قلد منهما الآخر ؟ كما ادعى ان ابا نواس قلد الحسن بن الضحاك في وصف الغلمان ، والمؤلف معذور في كل هذا فقد نقل مقالة الشعر برمتها صحيحها وفاسدها من كتاب التاريخ الادبي للعرب لنيكلسن الانكليزي وكتاب بروكلمان وتلك الاغلاط مدونة فيهما

(٣) ومن دعاوى المؤلف في صفحة ٤٩ ان الشعر في العصر الاول من بني العباس قد بطل استعماله في العصبية كما بطل استدناء الخلفاء للشعراء بسبب انتصارهم لفريق على فريق

والحقيقة ان الشعر بقي يستعمل في العصبية طول العصر الاول العباسي وبعض العصر الثاني، ولأبي نواس ومسلم بن الوليد ودعبل الخزاعي قصائد طنانة في الانتصار لليمانية على المضرية ، بل قد فتح الخلفاء العباسيون في العصبية بابا شرا من عصبية القبائل وهو تفضيل العباسيين على الطالبيين ومن شعرائهم في ذلك مروان ابن ابي حفصة ومنصور النمري وعلي بن الجهم وتصدى للرد على هؤلاء كثير من متعصبي الشيعة كالسيد الحميري ودعبل وديك الجن وغيرهم

(٤) ومن دعاوي المؤلف في صفحة ٥١ قوله « ولم يكن للشاعر العربي بد من الرحلة الى بلاد العرب لاقتباس اساليبهم »

فليقل لنا المؤلف ماهي رحلات ابي نواس ومسلم والحسن بن الضحاك ومطيع ابن اياس وحماد عجرد وابان اللاحقي الى بادية العرب ؟ ان الرحلة الى بلاد العرب كانت خاصة بالعلماء ورواة الادب واللغة مثل الخليل الاصمعي وابي عبيدة وابي زيد والكسائي وكان هؤلاء يسمون في اصطلاح قدماء المؤلفين ادباء فاشتبهت على المؤلف هذه التسمية اذ هو يعرف ان الشعراء ادباء أيضاً

(٥) ومن دعاوى المؤلف زعمه ان حوقة الفسق التي ألفها الجاحظ من حماد عجرد وحماد الراوية وابن الزبرقان وبشار بن برد ومطيع بن اياس ووالبة وبقية من ذكرهم كانوا ينظرون الى الدنيا من وجهها الاسود . قال في صفحة ٥١ بعد ان ذكر كثيرا من هؤلاء المجان والمتزندقة « وكان هؤلاء المتفلسفون ينظرون الى الدنيا من وجهها الاسود فلا يرون فيها حسنا ولا يعترفون لاحد بفضيلة نحو من يعبر عنهم الافرنج

بالبسيمست » واستدل على هذه الدعوى بحادثة تنطبق على الاستهتار والمجون أكثر مما تنطبق على الفلسفة قال :

« ذكروا ان مطيع بن اياس مر بيحيى بن زياد او حماد الرواية وهما يتحادثان فقال « فيما أنتما ؟ » (كذا) قالا « في قذف المحصنات » قال « أو في الارض محصنة تقذفانها ؟ » ويدل هذا من جهة أخرى على رأيهم في المرأة » أقول ان صح هذا القول فهو لايدل الا على اعتقاد مطيع وحده ! بدليل ان يحيى وحمادا يعتقدان انهما يقذفان المحصنات لا الفاجرات اذ أجاباه عند سؤاله لهما بذلك وبالاولى يخرج عن هذا الاعتقاد من لم يحضر القصة من بقية القوم . وبعد فأي لزوم بين كلة هذا الخليع الماجن وبين مبدإ أصحاب هذا المذهب ؟ على ان المؤلف افاض في وصف هؤلاء بانهم كانوا منكبين على الشراب والمنادمة لايكادون يفترقون وكانت أموالهم شركة بينهم . فقوم عكفوا على الملاذ واللهو والطرب والمنادمة ومواساة بعضهم بعضا ينظرون الى الدنيا من وجهها الاسود ؟ ألا إن من ينظر اليها من وجهها الابيض بعد هؤلاء لقليل :

(٦) ومن دعاوى المؤلف قوله في حالة الشعر في العصر الثاني صفحة ١٥٧

« ٤ نبغت طبقة من الكتاب انتقدوا الشعر وروايته وكانوا ينقلونه في العصر السابق بلا تمحيص (كذا) فصاروا في هذا العصر ينظرون فيه ويتدبرون معانيه واساليبه بعين النقد ولا سيا بعد اطلاعهم على ترجمة أرسطو في نقد الشعر »

اقول : اكبر النقدة باعتراف المؤلف هما ابن قتيبة ومحمد بن سلام وهما ممن يثني على المتفلسفين ويضلل من ينظر في كتب الفلسفة ومن قرأ كتبهم شهيد بذلك

(٧) دعوى المؤلف ان ابن المقفع كان يعرف اليونانية جيداً ولم نر في كتب الادب والتاريخ من ذكر هذا غير مؤلفنا في هذا الكتاب وفي كتابه (التمدن الاسلامي) الذي نقل معظم الجزء الثالث منه في كتابه هذا، واذا تفضل حضرته علينا بمصدر هذه الدعوى كنا لحضرته من الشاكرين

واذا لم يكن لهذه الدعوى أصل فربما توهم المؤلف من قولهم : ان ابن المقفع ترجم كتب ارسطوطاليس المنطقية الثلاثة وهي كتاب قاطيغورياس، وكتاب باري ارمينياس. وكتاب انالوطيقا انه نقلها عن اليونانية . والحقيقة ان هذه الكتب وغيرها من كتب اليونانية ترجمت في زمن انو شروان الى الفارسية ولا ينكر المؤلف ذلك فنقلها ابن المقفع من الفارسية كما نقل غيرها مما تراجمه قبل الى الفارسية

(٨) ومن دعاوى المؤلف قوله في صفحة ١٣١ في ترجمة ابن المقفع انه اختص بالمنصور وكتب له . والكتب التي ترجمت لابن المقفع ليس فيها شيء من ذلك والدارس لاحوال خدمة ابن المقفع وتصرفه الى ان قتل لايجد من بينها زمنا خدم فيه المنصور بالكتابة في ديوانه وانما كان منقطعا الى أعماله بالبصرة حتى مات بها

والذي أراه انهذه العبارة (ثم اختص بالمنصور وكتب له) اخطأ المؤلف نقلها من عبارة ابن خلكان وهي بنصها

« وهو من أهل فارس وكان مجوسيا فاسلم على يد عيسى بن علي عم السفاح والمنصور الخليفتين الاولين من خلفاء بني العباس ثم كتب له واختص به » فالضمير في (كتب له واختص به) يعود حتما على عيسى بن علي لا على المنصور وحده اذ هو مذكور مع اخيه السفاح ووصف معه بوصف المثنى والا فلم تحكم بعود الضمير على المنصور لا على السفاح

(٩) ومن دعاوى المؤلف في صفحة ٢٠٧ في الكلام على طريقة ابي الحسن الاشعري في علم الكلام ان الناس عولوا على رأيه لما فيه من التسوية بين سائر الآراء

فكيف يعقل ان مذهبا يسوي بين آراء كل الطوائف وفيهم من يناقض مذهبه مذهب الآخر وغاية الامر انه اعتدل بين مذهبي المعتزلة والسلفية من أهل السنة

(١٠) ومن دعاوي المؤلف قوله في صفحة ١٢١عن المتوكل الخليفة العباسي « انه اهلك جماعة من العلماء وحط مراتبهم وعادى العلم وأهله » فمن اين للمؤلف هذا الكلام ولو كنا كغيرنا ممن يحمل كلام المؤلف على سوء النية لاطلنا في هذا المقام بما لايحمده . وكل هذه الغارة من جراء أن المتوكل رفع الفتنة بخلق القرآن ونهى الناس عن الجدل فيها بعد ان انهكت دينهم واخلاقهم وانه أمر أهل الذمة بلبس شارات تميز زيهم وانه صادر بختيشوع الطبيب وبعض الكتاب لخيانة ظهرت له منهم

(١١) ومن دعاوي المؤلف أن الانشاء في العصر الثالث العباسي قد صار له طريقة خاصة (سماها هو مدرسية) !! او سماها (كلاسيك) اخذا من اصطلاح الافرنج ثم اخذ يسرد شروطا للانشاء المدرسي بلغت نحو عشرة شروط جعلها خاصة بانشاء هذا العصر . والمتتبع لها يجد ان اكثرها لا يختص بعصر دون عصر وان اغلبها امور طبيعية او عادية في كل زمان ومن يرد ان يتحقق ذلك فليراجعها في كتابه ان شاء

(١٢) ومن دعاوى المؤلف زعمه ان العرب نقلت محاضراتها عن اليونان . ولا باس بايراد هذا الفصل من الكتاب تفكهة للقراء . قال المؤلف

«المحاضرات — هي علم من علوم الادب تحصل بها الملكة على ايراد كلام الغير بما يناسب المقام . وفائدته الاحتراز عن الخطأ في تطبيق الكلام المنقول عن الغير على المقام حسب اقتضاء المخاطبة من جهة معانيه الاصلية . وهو من الفنون الاجنبية يقال ان مخترعه رجل من اليونان (لعله يريد ايسوب صاحب الحكايات الخرافية الجارية على ألسنة الحيوان وغيره) قبل القرن الثالث للميلاد وقد اخذه العرب في جملة ما اخذوه عن الاعاجم في خلافة ابي جعفر المنصور على يد عبد الله بن المقفع عند ما ترجم كليلة ودمنة من الفارسية الى العربية فكانت ترجمته هذه اساسا لهذا الفن لكنه لم ينضج الا في العصر الثالث الذي نحن في صدده . واشهر من الف فيه ابن حيان (كذا) التوحيدي المتوفى سنة ٤٠٠ الف كتابا سماه المحاضرات والمناظرات وقد تقدم ذكر كتاب الشريف المرتضى في هذا الموضوع . واشهر ما بايدينا من كتب المحاضرات كتاب {محاضرات الادباء ومحاورات الشعراء والبلغاء} لابي القاسم الراغب الاصبهاني وسيأتي ذكره»

فاذا تأملت أيها القارئ الكريم في هذا الفصل تجد ان المؤلف نقل تعريف المحاضرات وفائدتها وهو بهذا التعريف فن عربي بحت كان يطلق قديما على عدة علوم من انواع التاريخ والاخبار والنوادر والشعر وهو كان بضاعة الادباء والندمان عند الخلفاء ومنه كامل المبرد وامالي القالي وكثير من كتب الجاحظ وابي حنيفة الدينوري وابي زيد البلخي وسهل بن هارون والعتابي

ومن أفضل كتبه العقد الفريد لابن عبد ربه وتسميته بالمحاضرات هي تسمية خاصة متأخرة والا فهو فرع من فروع الادب فكيف يكون مخترعه يونانيا وهو بحسب التعريف السابق ضروري في كل أمة

وانما يصح أن يكون أيسوب واضع الحكايات الخرافية . مع أن الهنود سبقوه الى ذلك بل اثبت علماء الآثار أخيراً ان أسبق الناس لوضع الحكايات الخرافية هم قدماء المصريين ثم نقلها عنهم اليونان وان أيسوب اليوناني هو نفسه خرافي لا حقيقة له

والفصل المذكور على ما يرى القارئ يتضارب بعضه مع بعض فضلا عن تحريف اسم ابي حيان التوحيدي فيه (بابن حيان) وفي الكتاب كثير من هذا القبيل

(١٣) ومن دعاوى المؤلف ان كتب السيرافي لم يصلنا منها شيء وعد منها كتاب النحويين البصريين . والكتاب في دار الكتب الخديوية في نسخة قديمة وأظنها في كتب الشنقيطي

(يتلى)

بسم الله الرحمن الرحيم

ميزان الجرح والتعديل

(لعالم الشام الشيخ جمال الدين القاسمي)

هذا بحث جليل ، ومطلب خطير ، طالما جال في النفس التفرغ لكتابة شيء فيه يكون لباب اللباب ، في هذا الباب ، الذي اختلف فيه الناس ، لما غلب التعصب على النفوس ونبذوا مشرب كبار المحدثين رواة السنة ، وهداة الامة ، حتى سنحت لي فرصة كتبت فيها ترجمة حافلة للامام البخاري جعلتها مفصلة بتراجم منوعة كان منها (تخريج البخاري عمن رمي بالابتداع) وهم الذين اسميهم «المبدّعين» (١)

ذكرت ثمة ما يناسب تأليف الترجمة ، ثم رأيت ان المقام يستدعي زيادة بسط واسهاب ، ودَرْأ شبهٍ واحتمالات اوردها بعض الفقهاء خالف فيها الحقيقة ، فخشيت ان يطول بايرادها — في ترجمة البخاري — الكلام ، ويشبه الخروج عن الموضوع ، فافردت ثمة هذا البحث في

(١) بتشديد الدال المفتوحة أي المنسوبين للبدعة وانما آثرنا هذا على تسمية الاكثرين لهم بالمبتدعين لاني لاأرى انهم تعمدوا البدعة لانهم مجتهدون يحثون عن الحق فلو اخطأوه بعد بذل الجهد كانوا مأجورين غير ملومين فلا يليق تسميتهم مبتدعة بل مبدعة كما سيمر بك البرهان عليه

مقالة خاصة تحيط به من اطرافه ، وترده على انحائه ، وهذا البحث من جملة المباحث العلمية التي نسيها الخلف او أضاعوها ، ولا غرو أن يذهل عن الغايات ، من يقصر في البدايات ، ولا حول ولا قوة الا بالله

(منشأ النبز بالابتداع)

من المعروف في سنن الاجتماع ان كل طائفة قوي شأنها ، وكثر سوادها ، لابد ان يوجد فيها الاصيل والدخيل ، والمعتدل والمتطرف ، والغالي والمتسامح ، وقد وجد بالاستقراء ان صوت الغالي أقوى صدى ، واعظم استجابة ـ لان التوسط منزلة الاعتدال ، ومن يحرص عليه قليل في كل عصر ومصر ، واما الغلو فمشرب الاكثر ، ورغيبة السواد الاعظم ، وعليه درجت طوائف الفرق والنحل ، فحاولت الاستئثار بالذكرى ، والتفرد بالدعوى ، ولم تجد سبيلا لاستتباع الناس لها الا الغلو بنفسها ، وذلك بالحط من غيرها ، والايقاع بسواها ، حسب ماتسنح لها الفرص ، وتساعدها الاقدار ، ان كان بالسنان ، او اللسان

واول من فتح هذا الباب ـ باب الغلو في اطالة اللسان بالمخالفين ـ الخوارج ، فاتى قادتهم عامتهم من باب التكفير ـ لتستحكم النفرة من غيرهم ، وتقوى رابطة عامتهم بهم ، ثم سرى هذا الداء الى غيرهم ، واصبحت غلاة كل فرقة تكفر غيرها وتفسقه ، اوتبدعه اوتضلله ، لذاك المعنى نفسه ، حتى قيض الله تعالى من الائمة من قام في وجه اولئك الغلاة ، وزيف رأيهم ، وعرف لخيار كل فرقة قدرهم ، واقام لكل منهم ميزان امثالهم

(من شهر الرواية عن المبدعين ، وقاعدة المحققين في ذلك)

كان من اعظم من صدع بالرواية عنهم الامام البخاري رضي الله عنه ،

وجزاه عن الاسلام والمسلمين احسن الجزاء ، فخرّج عن كل عالم صدوق ثبت من أي فرقة كان ، حتى ولو كان داعية ـ كعمران بن حطان وداود ابن الحصين . وملأ مسلم صحيحه من الرواة الشيعة (١) فكان الشيخان عليهما الرحمة والرضوان بعملهما هذا قدوة الانصاف ، واسوة الحق ، الذي يجب الجري عليه ـ لان مجتهدي كل فرقة من فرق الاسلام مأجورون اصابوا أو اخطأوا بنص الحديث النبوي

ثم تبع الشيخين على هذا المحققون من بعدهما حتى قال شيخ الاسلام الحافظ ابن حجر في شرح النخبة : التحقيق ان لا يرد كل مكفر ببدعته ـ لأن كل طائفة تدعي ان مخالفيها مبتدعة ، وقد تبالغ فتكفر ، فلو اخذ ذلك على الاطلاق لاستلزم تكفير جميع الطوائف (قال) والمعتمد ان الذي ترد روايته من انكر امرا متواترا من الشريعة معلوما من الدين بالضرورة ، واعتقد عكسه . واما من لم يكن كذلك ، او ينضم الى ذلك ضبطه لما يرويه ـ مع ورعه وتقواه فلا مانع من قبوله إه

(افات الجرح الا بقاطع)

قال الامام ابن دقيق العيد : اعراض المسلمين حفرة من حفر النار وقف على شفيرها طائفتان من الناس : المحدثون والحكام

وقال الامام النووي في التقريب وشارحه السيوطي : اخطأ غير واحد من الائمة بجرحهم لبعض الثقات بما لا يجرح ـ كما جرح النسائي احمد بن صالح المصري بقوله : غير ثقة ولا مأمون . وهو ثقة إمام حافظ احتج به البخاري ووثقه الاكثرون ، قال ابن الصلاح : وذلك لان

(١) راجع شرح تقريب النووي صفحة ١١٩

عين السخط تبدي مساوئ ، لها في الباطن مخارج صحيحة ، تعمي عنها بحجاب السخط ، لا ان ذلك يقع منهم تعمدا للقدح مع العلم ببطلانه اه

وقال الامام ابن دقيق العيد : والوجوه التي تدخل الآفة منها خمسة : (احدها) الهوى والغرض وهو شرها ، وهو في تاريخ المتأخرين كثير . (الثاني) المخالفة في العقائد . (الثالث) الاختلاف بين المتصوفة واهل علم الظاهر (الرابع) الكلام بسبب الجهل بمراتب العلوم واكثر ذلك في المتأخرين ـ لاشتغالهم بعلوم الأوائل ، وفيها الحق والباطل (الخامس) الاخذ بالتوهم مع عدم الورع . وقد عقد ابن عبد الرؤف بابا لكلام الاقران المتعاصرين بعضهم في بعض ، ورأى ان اهل العلم لا يقبل جرحهم الا ببيان واضح (١)

(الوجوه التي يعرف بها ثقة الراوي)

قال السيوطي : قال في الاقتراح : (٢) تعرف ثقة الراوي بالتنصيص عليه من روايه ، او ذكره في تاريخ الثقات ، أو تخريج احد الشيخين له في الصحيح ، وان تكلم في بعض من خرج له فلا يلتفت اليه ، او تخريج من اشترط الصحة له ، اومن خرج على كتب الشيخين اه فتمت النعمة بتعديل رجال الصحيحين ونبذ كل وهم سواه ، وبذلك عرف للرجال فضلهم ، ولأولي العلم قدرهم ، وسن للناس طرح التعصب والتحزب ، والتصافح على الاخوة الايمانية ، وتبادل الآراء والافكار ، واستماع الحكم ومدارك الاستنباط والاجتهاد من ذويها ، على هذا جرى

(١) تدريب السيوطي صفحة ٢٦٢ (٢) كتاب في اصول الحديث لشيخ تقي الدين بن دقيق العيد (كشف الظنون)

أئمة الحديث ، وقادة الروايات ، الذين جمعوا ماجمعوا لدلالة الامة على هدي نبيها وسنة رسولها صلى الله عليه وسلم في اقواله وافعاله ، حتى اصبحت مرجع الفروع والاحكام ، ومعول الائمة الاعلام

﴿ زيادة ايضاح في حكمة التخريج عن المبدعين وفوائد ذلك ﴾

ان تخريج أئمة السنة ، وحفاظ الهدي النبوي ـ حديث من نبذوا بالابتداع على طبقاتهم ـ فيه حكمة بليغة ، وفائدة عظيمة ، ألا وهي النهم بالعلم ، والسعي وراءه والجد في طلبه ، والتنبه لحفظه من الضياع ، وسن نبذ التعصب ، والتشيع والتحزب ، والتقاط الحكمة من أي قائل. قال حافظ المغرب الامام ابن عبد البر في كتاب جامع العلم وفضله في : (باب جامع في الحال التي تنال بها العلم) ما مثاله : وروينا عن علي رحمه الله انه قال في كلام له: العلم ضالة المؤمن، فخذوه ولو من ايدي المشركين، ولا يأنف احدكم ان يأخذ الحكمة ممن سمعها منه . وعنه ايضا انه قال: الحكمة ضالة المؤمن يطلبها ولو في ايدي الشرط اه فأئمة الحديث رأوا ان السنة من الحكمة بل هي الحكمة ـ في تفسير الإمام الشافعي كما اوضح ذلك في رسالته الشهيرة (١) في (باب بيان ما فرض الله من اتباع سنة نبيه صلى الله عليه وسلم) ـ فلذا عمدوا الى تلقيها من كل ذي علم ، واشترطوا للعناية بها ان تكون من مسلم عدل صدوق، ثبت في راويته، ولم يبالوا بما غمز أو نبز اورمي به ،علما بان المسائل النظرية ، أو التي دخل على اصولها تأويل بنظر المأول هي من المجتهد فيها والمجتهد مأجور اصاب او أخطأ ،فعلى مَ يترك الاخذ عن المأجور ، وقد يكون رأيه هو الحق ،

(١) مطبوعة مرتين

ومذهبه هو الادق - ما دام الامر فيه احتمال ولا قاطع ، أو اعترض النص ما رجحه ظاهرا - كما يعلمه من اعار نظر الانصاف مآخذ الائمة ومداركهم - وقد اوضح جملا من ذلك الامام تقي الدين ابن تيمية في كتابه : (رفع الملام ، عن الائمة الاعلام [1]) فكان أئمة الحديث بهذا - اعني التلقي عن كل عالم ثبت - مثال الانصاف وكبر العقل ، وقدوة كل من يلتمس الحكمة ، ويتطلب العلم ، فجزاهم الله أحسن الجزاء

{ عقوق الخلف بهجر مذهب السلف }

سبق اني قلت في هذا المعنى كلمة في كتابي (نقد النصائح الكافية [2]) بعد ان سبرت رجال من خرج لهم من الشيخان أو أحدهما في صحيحيهما - ممن نبز بالابتداع - وهي قولي : فترى من هذا ان التنابز بالالقاب والتباغض لاجلها الذي احدثه المتأخرون بين الامة عقوا به ائمتهم وسلفهم - أمثال البخاري ومسلم والامام احمد ابن حنبل ، ومن ماثلهم من الرواة الابرار ، وقطعوا به رحم الاخوة الايمانية الذي عقده تعالى في كتابه العزيز ، وجمع تحت لوائه كل من آمن بالله ورسوله ، ولم يفرق بين احد من رسله ، فاذن كل من ذهب الى رأي محتجا عليه ، ومبرهنا عما غلب على ظنه ، بعد بذل قصارى جهده ، وصلاح نيته ، في توخي الحق ، فلا ملام عليه ولا تثريب - لانه مأجور على أي حال ، ولمن قام عنده دليل على خلافه ، واتضحت له المحجة في غيره ، ان يجادله بالتي هي احسن ، ويهديه الى سبيل الرشاد ، مع حفظ الاخوة ، والتضافر على المودة والفتوة : هذا ما قلته ثمة مما يبين انه لو كانت الفرق التي

{1} مطبوع مرتين في الهند ومصر {2} مطبوع بدمشق

رميت بالابتداع بهجر لمذاهبها ، وتعادى لاجلها ، لما اخرج البخاري ومسلم وامثالهما لامثالهم . نعم أن هؤلاء المبدعين وامثالهم لم يكونوا معصومين من الخطأ حتى يعدوهم الانتقاد ، ولكن لا يستطيع احد ان يقول : انهم تعمدوا الانحراف عن الحق ، ومكابرة الصواب عن سوء نية ، وفساد طوية . وغاية ما يقال في الانتقاد في بعض آرائهم : انهم اجتهدوا فيه فاخطؤا ، وبهذا كان ينتقد على كثير من الاعلام سلفا وخلفا لأن الخطأ من شأن غير المعصوم ، وقد قالوا : المجتهد يخطئ ويصيب : فلا غضاضة ولا عار على المجتهد ان اخطأ في قول أو رأي ، وانما الملام على من ينحرف عن الجادة عامدا متعمدا ، ولا يتصور ذلك في مجتهد ظهر فضله ، وزخر علمه

{ رد القول بمعاداة المبدعين }

قدمنا ان رواية الشيخين وغيرهما عن المبدّعين تنادي بواجب التآلف والتعارف ، ونبذ التناكر والتخالف ، وطرح الشنآن والمحادة ، والمعاداة والمضارة ، لان ذلك انما يكون في المحاربين المحادين ، لا في طوائف تجمعها كلمة الدين ، ومن الاسف ان يغفل عن هذا الحق من غفل ، ويدهش لسماعه المتعصبون والجامدون ، ويحق لهم ان يذعروا لهذا الحق الذي فجأهم - لانه مات منذ قضى عصر الرواية والرواة ، وانقضى زمن المحدثين والحفاظ ، ودال الامر بعد الاخبار النبوية للآراء والاقوال ، وصار الحق - بعد ان كانت الرجال تعرف به - يعرف بالرجال ، واصبح مشرب أمثال البخاري وغيره نسيا منسيا ، ونشر لواء التعادي والتباغض في الامة وكان مطويا ، وسبّب على الامة من التفرق والانقسام ،

ما اورثها الضعف والانفصام ، فبعد ان كان التسامح في التلقي عن الحكماء والفضلاء من اي طبقة – ركنا ركينا في حضارة الاسلام، خلفه التخاذل والتدابر والتعصب والملام ، ولم يكف ذلك حتى ادعي انه من الدين، مع ان الدين يأمر بالتآخي ونبذ التفرق في محكم كتابه المبين

(ومن العجب) ان يقول قائل : لايلزم من الرواية عنهم عدم معاداتهم ، اي يجوز ان نروي عن راوٍ ، مع التدين بمعاداتنا له ، وبغضنا اياه !

(فنجيب عنه) بأنا لانعرف من قال ذلك من السلف ، ولا من ذهب اليه من الائمة ، والرواية يراد بها هنا تلقي اقوال النبي صلى الله عليه وسلم وسنته وهديه وتشريعه واقضيته ، وفتاويه وشمائله ، لتتخذ ديناً يدان الله به ، وشريعة يقضي بها في التنازع ، ومرجعا تحل به المشكلات ، فهل يتلقى ذلك عمن يجب علينا معاداته في الدين ؟ وكيف يتصور ان نأخذ الدين عمن نرى انه عدو للدين ؟؟ سبحان الله ماهذا التناقض ، ان من يأمرك الدين بأن تعاديه لا يبيح لك ان تأخذ دينك وشريعتك وعقيدتك عنه ، ومن المسلم بأن هذا الراوي أداه اجتهاده الى مارأي ، ومن أداه اجتهاده الى مارأى كيف يعادى ، وقد بذل قصارى جهده ، وليس قصده الا الحق ، والتقرب الى الله سبحانه وتعالى ، وكيف يعادى من اثبت له الشارع الاجر ولو كان مخطئا ، وانما يعادى الآثم لا المأجور

(رد القول بتفسيق المبدعين)

اغرب من ذلك قول البعض بتفسيق من يبدّعه ، وان بلغ ذروة الاجتهاد ، واصبح معذوراً لا ملام عليه عند الله والملائكة والنبيين ، لا بل

قد تفضل عليه الشارع بالاجر . ومتى عهد تفسيق مجتهد اذا اخطأ في المسائل الاجتهادية ؟ وهل يمكن لمثل البخاري — وهو ماهو في نقد الرجال — ان يضم الى صحيحه من مجتهدي الفرق من كان فاسقا ليصبح جانب من كتابه مرويا للفسقة وقد جمعه ليجعله حجة بينه وبين ربه ؟ وهل يعقل ان يجعل رواية الفاسق حجة عند المولى ؟ هذا مايلزم من تفسيق من يفسق من الرواة فليحكم المتعصب النظر ، وليتدبر في المآل ، قبل ان يأخذ في المقال .

نعم ذهبت طائفة الى تفسيق من خالفهم في شيء من مسائل الاعتقاد كما نقله الامام ابن حزم في كتابه الفصل (١) الا انه قول مردود ولذا قال الامام ابن حزم رضي الله عنه : وذهبت طائفة الى انه لايكفر ولا يفسق مسلم بقول قاله في اعتقاد او فتيا ، وان كل من اجتهد في شيء من ذلك فدان بما رأى انه الحق فانه مأجور على كل حال : ان اصاب الحق فاجران ، وان اخطأ فأجر واحد . قال : وهذا قول ابن ابي ليلى وابي حنيفة والشافعي وسفيان الثوري وداود بن علي رضي الله عن جميعهم ، وهو قول كل من عرفنا له قولا في هذه المسألة من الصحابة رضي الله عنهم ، لانعلم منهم في ذلك خلافا اصلا اه كلامه

فأين هذا من التسرع في التفسيق ، وتقليد من قاله من المتأخرين المقلدين ، الذين ليسوا بأئمة متبوعين ، ولا قولهم حجة في الدين ، ولا استندوا الى دليل أو برهان (قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين)

(١) جزء ٣ صفحة ٢٤٧

{ خطر النبز بالفسق ، ومعنى الفسق }

ان النبز بالفسق ليس بالامر السهل ، لان الفسق كثيرا ماجاء في القرآن الكريم ،مقابلا للايمان - كآية : (افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا) وامثالها ، ولذا قيل بان عطف قوله تعالى « والفسوق » على قوله « والكفر » عطف تفسير - في آية : (وكره اليكم الكفر والفسوق) وان احتمل أن يكون غيره اشارة الي نوع آخر ، الا ان النظائر والاشباه في موارده في التنزيل ، تدل على انه عطف تفسير ، وهب انه كان غير الكفر فهو شيء قريب منه ، ونوع ازل منه بدرجة ، وناهيك به . واليك ماقاله فيه ائمة اللغة وفلاسفتها . قال الجوهري في (الصحاح) : فسق الرجل فجر ، وفسق عن امر ربه - أي خرج : وفي المصباح : فسق فسوقا : خرج عن الطاعة ، والاسم الفسق ، ويقال اصله خروج الشيء من الشيء على وجه الفساد يقال : فسقت الرطبة — اذا خرجت من قشرها وفي القاموس : الفسق الترك لامر الله ، والعصيان ، والخروج عن طريق الحق ، أو هو الفجور — كالفسوق (وقال الامام الراغب الاصفهاني في مفرداته) : فسق فلان : خرج عن حجر الشرع ، وذلك من قولهم فسق الرطب — اذا خرج عن قشره . وهو اعم من الكفر (قال) : والفسق يقع بالقليل من الذنوب وبالكثير ، لكن تعورف فيما كان كثيرا ، واكثر مايقال الفاسق لمن التزم حكم الشرع وأقر به ، ثم اخل بجميع احكامه او ببعضه . واذا قيل للكافر الاصلي فاسق - فلانه اخل بحكم ما الزمه العقل واقتضته الفطرة ، (الى ان قال) فالفاسق اعم من الكافر اه

وقال الامام محمد بن مرتضى اليماني في كتابه (ايثار الحق) في (فصل في الفسق) مانصه : واما العرف المتأخر : فالفسق يختص بالكبيرة من المعاصي مما ليس بكفر ، والفاسق يختص بمرتكبها اه

فانت ترى من هذا كله ان الفسق مدلوله الكبائر والمعاصي العظائم لانه دائر بين الكفر وما يقرب منه ، واذا كان هذا مدلوله الشرعي ، ومعناه العرفي ، فكيف يجوز ان يوصف به عالم ثبت ثقة من ذوي الالباب وأولي الاجتهاد لمجرد انه اداه اجتهاده الى رأي يخالف غيره مع انه لم يقصد الا الحق ، ولم يتوخ الا ماراه الاوثق ، اذ لم يأل جهدا في اهتمامه بما يراه الصواب ، وان كان في نظر غيره على خلاف ذلك ، اذ هذا من لوازم المسائل النظرية ، ومتى عهد ان يفسق المخالف فيها أو يضلل ، لاجرم انه بدعة قبيحة ، وجناية في الدين كبيرة

وقد قال كثير من ائمة التفسير في قوله تعالى : (ولا تنابزوا بالالقاب) هو قول الرجل للرجل : يافاسق . رواه ابن جرير عن مجاهد وعكرمة . وقال قتادة : يقول تعالى . لا تقل لاخيك المسلم ذاك فاسق ، ذاك منافق ، نهى الله المسلم عن ذلك ، وقدم فيه . وقال ابن زيد : هو تسميته بالاعمال السيئة - بعد الاسلام - زان فاسق (ثم قال ابن جرير) : والتنابز بالالقاب هو دعاء المرء صاحبه بما يكرهه من اسم او صفة ، وعم الله بنهيه ذلك ، ولم يخصص به بعض الالقاب دون بعض ، فغير جائز لاحد المسلمين ان ينبز اخاه باسم يكرهه ، أو صفة يكرهها (ثم قال) : وقوله تعالى : (ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون) - اي ومن لم يتب من نبزه اخاه بما نهى الله عن نبزه من الالقاب ، او لمزه اياه

او سخريته منه ، فاولئك هم الذين ظلموا انفسهم فأكسبوها عقاب الله بركوبهم ما نهاهم عنه . ولما لم يكن عند من يرمي اخاه بالفسق الا الظن جاء النهي عن سوء الظن اثر تلك الآية في قوله تعالى : (يا ايها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن ان بعض الظن إثم ، ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً ، أيحب أحدكم ان يأكل لحم اخيه ميتا ؟ فكرهتموه . واتقوا الله ، ان الله تواب رحيم) ولما كان الرمي بالفسق مدعاة لتفرق القلوب ، واثارة الشحناء على عكس حكمة الله تعالى في خلقه الخلق للتعارف والتآلف ، جاء ذلك على اثر ما تقدم بقوله سبحانه : (يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان اكرمكم عند الله اتقاكم ، ان الله عليم خبير) فليتدبر المتقي هذه الآيات الكريمة وليقف عند اوامرها وزواجرها ، وليعتبر وليستعبر. قال السيد الطباطبائي في المفاتيح [1] : الفسق ان يتحقق بفعل المعصية المخصوصة ـ مع العلم بكونها معصية ـ أما مع عدمه ، بل مع اعتقاد انه طاعة ، بل من امهات الطاعات فلا . والامر في المخالف للحق كذلك ـ لانه لا يعتقد المعصية ، بل يزعم ان اعتقاده من اهم الطاعات سواء كان اعتقاده صادرا عن نظر أو تقليد ، ومع ذلك لا يتحقق الفسق ، وانما يتفق ذلك ممن يعاند الحق ـ مع علمه به ، وهذا لا يكاد يتفق ، وان توهمه من لا علم له اهـ

فترى من العجب بعد ما ذكرناه ان يوسم بالفسق من لا يحل وسمه به ـ لان معناه لا ينطبق عليه بوجه مّا ، على انه ورد تسمية رواة

(١) في النقل عن هذا السيد الامامي الكبير رحمه الله حجة على متعصبة الامامية في تفسيقهم مخالفهم أيضا

الحديث خلفاء فيما رواه الطبراني والخطيب وابن النجار وغيرهم عن علي مرفوعا « اللهم ارحم خلفائي الذين يأتون من بعدي ، يروون احاديثي وسنتي ، ويعلمونها الناس »

اذا علمت هذا فماذا يقال في هؤلاء المفسقين؟ أجهلوا المعنى العرفي للفسق ، ام تجاهلوا ؟ ام اجتهدوا فاداهم اجتهادهم ام قلدوا ؟ لاغرو انهم جهلوا وقلدوا ، ويا ليتهم قلدوا اماما متبوعا ، بل قلدوا أواخر المقلدة الجامدة المتعصبة . ولو نظروا في تراجم الرجال ، وتدبروا سيرة كثير من اولئك المبدعين الابطال ، لعلموا ان رميهم بالفسق يكاد ان يهتز له العرش. خذ لك مثلا من شيوخ المعتزلة عمرو ابن عبيد ، وانظر في ترجمته الى زهده وتقواه . قال الذهبي في الميزان : وقد كان المنصور الخليفة العباسي الشهير يخضع لزهد عمرو وعبادته يقول شعرا :

(كلكم يطلب صيد   غير عمرو بن عبيد)

وذكر ابن قتيبة في (المعارف) ان المنصور رثى عمرو بن عبيد فقال شعرا :

صلى الاله عليك من متوسد   قبرا مررت به على مران
قبرا تضمن مؤمنا متحنفا   صدق الاله ودان بالقرآن
لو ان هذا الدهر ابقى صالحا   ابقى لنا حقا ابا عثمان

هذا هو التوثيق ـ اعني توثيق الملوك ـ لان كلام الملوك ملوك الكلام . وما اغمز به فكله ـ ان انصفت ـ من عصبية التمذهب ، والجمود في التعصب

نحن لا نقول هذا تحزبا للمعتزلة او لغيرهم معاذ الله فانا في الرأي مستقلون ، ولسنا بمقلدين ولا متحزبين ، ولكن هو الحق والانصاف ، وما قولك في قوم يرون مرتكب الكبيرة كافرا او مخلدا في النار ؟

اليس في هذا نهاية التعظيم للدين ، وغاية الابتعاد عن المعاصي ، والإشعار بامتلاء القلب من خشية الله بما يزع عن الكذب والافتراء ؟ بلى ! وألف بلى ! فانى يستجيز عاقل بعد ذلك تفسيقهم وهم على مارأيت من التمسك بدين الله ، والتصاب في المحافظة على حدوده ؟ فتدبر وانصف ، على ان خبر الفاسق مرغوب عنه في نظر العقل ، ساقط الاحتجاج به في اصول الشرع ، ولذا امرنا بان نتبينه ولا نلوي عليه بادئ بدء ، فكيف يحكم صاحبه في السنة والاحكام ؟

قال الامام الحجة مسلم - في مقدمة صحيحه في باب وجوب الرواية عن الثقات ، وترك الكذابين ، والتحذير من الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم - مامثاله : اعلم وفقك الله ان الواجب على كل احد عرف التمييز بين صحيح الروايات وسقيمها . وثقات الناقلين لها من المتهمين - ان لا يروي منها الا ما عرف صحة مخارجه ، والستارة في ناقليه ، وان يتقي منها ما كان عن أهل التهم والمعاندين من أهل البدع[1] (قال) والدليل على ان الذي قلنا من هذا هو اللازم دون ما خالفه قول الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة ، فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) وقال (واشهدوا ذوي عدل منكم) قال : فدل بما ذكرنا من هذه الآي أن خبر الفاسق ساقط غير مقبول ، وان شهادة

(١) من هنا يعلم ان رواة الصحيحين المتكلم فيهم لا يوصفون بالابتداع - لان مسلما رحمه الله اوجب ان لا يروى عن مبتدع ، فبالا ولى البخاري - لان شرطه ادق ، ولذلك قلت في عنوان المقالة (المبدعون) ا-لاما بأن خصومهم لقبوهم بالمبتدعة ، والافهم مجتهدون والمجتهد وان اخطأ لا يوصف بالابتداع - كما اسلفناه ، ونبسطه الآن ام منه

غير العدل مردودة . والخبر ان فارق معناه معنى الشهادة في بعض الوجوه ، فقد يجتمعان في اعظم معانيها - اذ كان خبر الفاسق غير مقبول عند أهل العلم ، كما ان شهادته مردودة عند جميعهم . ثم روى عن سلام قال بلغ ايوب اني آتي عمرا[1] ، فاقبل علي يوما فقال : ارأيت رجلا لا تأمنه على دينه ، فكيف تأمنه على الحديث . فدل ذلك على ان من ائتمنه الشيخان على الحديث ، فقد ائتمنوه على الدين ، ومن ائتمن على الدين فليس فاسقا ولا مبتدعا (ثم قال الامام مسلم) وانما ألزموا - يعني العلماء - انفسهم الكشف عن معايب رواة الحديث ، وناقلي الاخبار وافتوا بذلك حين سئلوا - لما فيه من عظيم الخطر اذا الإخبار في امر الدين انما تأتي بتحليل او تحريم ، او امر ، او نهي ، او ترغيب ، او ترهيب ، فاذا كان الراوي لها ليس بمعدن للصدق والامانة ، ثم اقدم على الرواية عنه من قد عرفه ، ولم يبين ما فيه لغيره ممن جهل معرفته كان آثما بفعله ذلك ، غاشا العوام المسلمين ، اذ لا يؤمن على بعض من سمع تلك الاخبار ان يستعملها ، او يستعمل بعضها ، ولعلها او اكثرها اكاذيب لا أصل لها ، مع ان الاخبار الصحاح من رواية الثقات واهل القناعة اكثر من ان يضطر الى نقل من ليس بثقة ولا مقنع اه

فهل بعد هذا يجوز غمز بعض من روى لهم الشيخان من اولئك الاعلام المبدعين ؟ لاجرم انه لأمر مّا عني البخاري ومسلم بالتخريج عنهم ، واخذ السنة منهم ، وتبليغها للأمة ، وجعلها حجة بينه وبين ربه ،

(١) هو عمرو بن عبيد المتقدم وكلام ايوب فيه من كلام المعاصرين بعضهم في بعض وهو مطرح كما نبه عليه ابن عبد البر في كتاب جامع العلم

وما ذاك الا اجلالا لفضلهم، وانصافا لقدرهم

انظر كيف يتحمل مثل البخاري عن اعلام الشيعة، والمعتزلة، والمرجئة، والخوارج، ويجعل حديثهم حجة، ومرويهم سنة، ويفخر بذكر اسمائهم في اسانيده، ويخلد لهم اجمل الذكر، في اشرف مصنف.

انظر هذا وقابل بينه وبين جمود المتأخرين، ورميهم علماء الفرق بالفسق والابتداع والضلال، وهجرهم لعلومهم، وصد الناس عنهم، حتى فات الناس ـ واأسفا ـ علم جم، وخير كثير، ولئن دون ما دون من معارفهم، فما بقي من فوائدهم في خزائن صدورهم مما كان يستثار بالاخذ عنهم، وينال بمجالسهم = اوسع واوفر، افليس في جمود هؤلاء على ما ذكر عقوق لسلفهم الصالح؟ بلى! وما يضرون الا انفسهم لو كانوا يشعرون،

بما ذكرناه استبان لك الخطأ في نبز رواة الصحيح بالفسق والابتداع، وانه تعصب يجب التنبيه له، والحذر منه. نحن انما نصدع بهذا ـ تفقها ممن شرب البخاري ومذهبه، وموافقة له في رأيه الذي لا نشك في انه الصواب الذي تدعو اليه الاخوة الايمانية، والانصاف مع كل راوٍ مجتهد من هذه الامة لا يروم الا الحق، ولا يسعى الا اليه، ولا يتحمل الأذى والاضطهاد الا لاجله ـ اذ لم يصب من رأيه وما دعا اليه لا دنيا، ولا جاها، ولا ملكا، فأي دليل ادل على حسن نيته من هذا؟ وبالجملة فتسمية المتفقهة بعض الرواة فسقة جهل بما قاله الاصوليون من أن الفاسق مردود الشهادة والرواية [١] ومن قبل الشيخان وغيرهما خبره وحكموه في السنة، واخذوا عنه، فهل يكون فاسقا؟ على ان اجماعهم على

(١) المستصفى جز (١) صفحة (١٥٨)

تلقي الصحيحين بالقبول موجب لتعديل رواتهما جميعا ـ لان التلقي بالقبول فرع صحة الحديث، وهو انما يكون من صحة سنده، وهو من عدالة رجاله وتوثيقهم. ولذا قالوا فيمن خرج له الشيخان: جاز القنطرة. بمعنى انه لا يلتفت الى ما غمز فيه. وبالجملة فمشرب المحدثين في التسامح ونبذ التعصب هو الذي تقتضيه الاصول، وتقبله العقول، وما احدث من النبز بالفسوق للبعض فلا سند له ـ لان دعوى فسق الانسان انما يكون باتيانه ما فسقه الشارع به، ونص عليه كتاب او سنة نصا قاطعا لا يحتمل التأويل، واما مسائل الاجتهاد فلا يصح ذلك فيها بوجه من الوجوه

والحاصل ان لا تفسيق ولا تضليل، مع الاجتهاد والتأويل، وان كان ليس كل اجتهاد صوابا، ولا كل تأويل مقبولا، ولكن كلامنا في ذات المجتهد والمأول

فمن لم يأل جهدا فلا ملام عليه ولا كلام، لا بل يتحمل منه الدين، ويتلقى عنه الهدي النبوي، ويحكم في السنة، على هذا جري البخاري ومسلم وغيرهما من اقطاب الحديث والأثر، وهو الصواب، بلا ارتياب. وقد نقل الغزالي في المستصفى [١] عن الشافعي انه قال: تقبل شهادة أهل الاهواء الا الخطابية من الرافضة، لانهم يرون الشهادة بالزور لموافقيهم في المذهب (ثم قال) ويدل على مذهب الشافعي قبول الصحابة قول الخوارج في الاخبار والشهادة، وكانوا فسقه متأولين، وعلى قبول ذلك درج التابعون ـ لانهم متورعون عن الكذب، جاهلون بالفسق اه

(١) جزء (١) صفحة (١٦٠)

فترى من هذا ان الصحابة قبلوا خبرهم ، وماضرهم تسمية الفقهاء لهم بالفسقة ، لانه فسق بمعنى مخالفة غيرهم ، وهذا الاطلاق اصطلاحي للفقهاء ، وربما رجع الخلاف - في تسمية اولئك فساقا - لفظيا ، والا فيستحيل ارادة الفسق الحقيقي المانع للشهادة والرواية - كما قدمنا - ومعلوم انه لايكون مذهب حجة على مذهب ، ولا عُرْفٌ برهانا على عرف ، وانما الحجة والبرهان قواطع الكتاب والسنة . ولما كان البحث المذكور في غاية من الدقة ، ترى الكلام في مطولات الاصول مضطربا متشعب الاقوال ، حتى اختلفوا لذلك في ماهية العدالة ويقرب لمذهب المحدثين فيها قول بعض أهل العراق : العدالة عبارة عن اظهار الاسلام فقط - مع سلامته عن فسق ظاهر اه

باب الأخبار والآراء

الحرب العثمانية البلقانية

ذكرنا في الجزء الماضي ان دول البلقان الاربع - البلغار والصرب واليونان والجبل الاسود - قد اتحدن واتفقن على قتال الدولة العثمانية الا ان تجيبهن الى مايطلبن من استقلال الولايات المقدونية في ادارتها وجعلها تحت مراقبتهن ومراقبة الدول الكبرى . وان الجبل الاسود أعلن الحرب على الدولة وأن الدول الثلاث الاخرى سيتبعنه في ذلك . وقد كان

بعد اعلان الجبل الاسود للحرب قدم (غشوف) رئيس نظار حكومة البلغار وناظر الخارجية والمذاهب فيها بلاغا الى وكيل أشغال الدولة العثمانية ليرفعه الى دولته وفحواه ان حكومته وحكومتي اليونان والصرب (ولم توقع البلاغ معهن حكومة الجبل الاسود لسبقها باعلان الحرب) ترى من الواجب عليها ان تخاطب الحكومة العثمانية مباشرة بالرغم من مساعي الدول الست الكبرى في شأن الاصلاح في الولايات الاوربية العثمانية - وتطلب منها تصريحا بتنفيذ اصلاحات حقيقية يكفل حقوق نصارى تلك الولايات ويحفظ السلم بين السلطنة العثمانية والحكومات البلقانية التي كثيرا ماسلكت الحكومة العثمانية معها مسلك تحكم وغطرسة لامسوغ له . فهذه الحكومات تطلب من حكومة الباب العالي الاتفاق مع الدول ومعهن حالا على الاصلاح المشار اليه في المادة ٢٣ من معاهدة برلين بأن تمنح ولاياتها الاوربية الاستقلال الاداري ، وان يعين لهذه الولايات حكام عموميون من البلجكيين والسويسريين (أي الاوربيين الذين لامطمع لحكوماتهم في استعمار هذه الولايات ولا غيرها) ومجالس عمومية منتخبة وشرطة وشحنة ، وان يكون التعليم فيها حرا . وان يعهد في انفاذ هذه المطالب الى جماعة من المسيحيين والمسلمين تنتخب بالمساواة تحت مراقبة الدول وسفراء حكومات البلقان الاربع في الآستانة

ثم ان حكومات البلغار واليونان والصرب تطلب من الدولة ان تصرح بقبول هذه المطالب ومطالب الذيل الملحق بهذا البلاغ وتتعهد بتنفيذها في مدة ستة أشهر ، وان تصدر أمرا بمنع حشد الجيوش ليكون دليلا على الرضا والقبول

هذا ملخص البلاغ . وأما الذيل الملحق به فهذه ترجمته

الاول — تأييد استقلال العناصر في السلطنة مع كل ما يتبعه

الثاني — تمثيل كل عنصر في السلطنة في مجلس النواب تمثيلاً يكون متناسباً مع عدده

الثالث — قبول المسيحيين في كل المناصب في الولايات التي يسكنها المسيحيون

الرابع — اعتبار مدارس الطوائف المسيحية كالمدارس الاميرية نفسها في البلاد العثمانية

الخامس — أن تتكفل الحكومة العثمانية بعدم تغيير مركز العناصر في تلك الولايات وذلك بمنع نقل المهاجرين المسلمين اليها

السادس — استخدام الجنود في ولاياتهم مدة الخدمة العسكرية وانشاء فرق مستقلة من المسيحيين . وتوقيف التجنيد من الآن الى ان يجاب هذا الطلب

السابع — انشاء الشرطة (الجندرمة) في ولايات تركية أوربة بقيادة ضباط من البلجيكيين او من السويسريين

الثامن — تعيين ولاة من البلجيكيين او السويسريين في الولايات التي يقطنها المسيحيون يكونون معروفين للدول ويعاونهم مجلس عمومي ينتخبه اهل الاقضية

التاسع — انشاء لجنة عالية في الصدارة تعين من المسيحيين والمسلمين بالتساوي يعهد اليها مراقبة هذه الاصلاحات ويراقب السفراء ووكلاء حكومات البلقان اعمال هذه اللجنة . انتهى

(المنار) يرى القارئ أن هذا البلاغ قد كتب لاجل إثارة الفتنة وايقاد نار الحرب لا لاجل ان يقبل فانه كتب بمداد الاهانة للدولة ممن كانوا بالامس رعية أو عبيدا لها فاعتقتهم لتستريح من شرورهم وانتصار دول أوربة الكبرى لهم ، فانهم لم يكتفوا فيه بطلب انتزاع الولايات الاوربية منها حتى جعلوا أنفسهم مسيطرين عليها في سائر تصرفاتها وأعمالها ومن ثم اضطرت الى ترك الجواب عن هذا البلاغ مقابلة للاهانة والاحتقار بمثلهما مع طلب الاعتذار عنه ، ثم الى قطع الصلات السياسية بينها و بين البلغار والصرب . واعلنت الحرب ودخلت فيها اليونان أيضا

يظهر أن دولتنا أصلح الله حالها لم تبادر الى أخذ الحذر وتعبئة الجيش ، من بدء ظهور ناجذي الشر ، وكأنها كعادتها اتكلت على أوربة ظانة انها تمنع دول البلقان من الحرب ، أو على ما تعهد بين البلقانيين انفسهم من المنافسة والتنازع ، ولم تعتبر بما كان من المبعوثين العثمانيين من هذه العناصر اذ اتحدوا في المجلس على حين كان زعماء الاتحاديين ، يجدون في التفريق من مسلمي العثمانيين ، باهانتهم وقتالهم للعرب والألبانيين ، فأخبار مواقع القتال تفيد رجحان البلقانيين

على العثمانيين في كل مكان . ولكننا الى وقت كتابة هذه النبذة (في العشر الأواخر من هذا الشهر) لم نصل الى حد اليأس .

أول أسباب ما أصابنا من الخذلان في هذه الحرب عدم الاستعداد لها كما يجب ، وهذه اكبر سيئات جمعية الاتحاد والترقي التي كانت مجهولة لنا ، ومن أسبابه العسكرية المعروفة إفسادها كثيرا من الضباط من الجيش بالسياسة واخراج كثيرين منه لانهم على غير سياستها ، وتولية آخرين منهم للاعمال الادارية لتأييد سلطتها في البلاد ، و إضعاف روح الدين في الجيش ، والثقة بنصارى العناصر المحاربة الذين لم يدخلوا الجيش الا كارهين فهم ينافقون للدولة ، ويخذلونها في وقت الشدة ، وقد كتبنا في هذا الجزء مقالة في سياسة هذه الحرب وأسبابها وعواقبها وسنبين في جزء آخر وجوه العبرة في هذه الامور التي أشرنا اليها هنا وغيرها من شؤون هذه الحرب ان بقي فينا من يعتبر ، و بقي مجال لعمل المعتبرين ان وجدوا . والى الله المفزع والمصير ، وهو على كل شيء قدير



﴿ إعانة المصريين للحرب ﴾

ما كادت تظهر الشرارة الأولى للحرب حتى هب المصريون الى جمع الاعانات لاعانة الدولة عليها . فاجتمعت لجنة الإعانة التي كانت ألفت لأجل الحرب الايطالية في طرابلس الغرب و برقة في قصر المرحوم رياض باشا (تذكارا لمساعيه النافعة) تحت رياسة الامير الجليل عمر باشا طوسن وحضرها رئيس الشرف صاحب الدولة الامير محمد علي باشا شقيق سمو الخديو المعظم وألقى فيها خطبة مؤثرة ، فجمعت طائفة من المال . واجتمعت جمعية الهلال الأحمر اولا برياسة الشيخ علي يوسف وخطب فيها بعده (الله بخش) الهندي السائح وصاحب هذه المجلة في الحث على جمع المال . ثم قبل صاحب الدولة الامير الكبير محمد علي باشا شقيق عزيز مصر المعظم رياستها وأعد في حديقة داره دعوة الى عصرية الشاي حضرها الجم الغفير من الوجهاء وتبرعوا هنالك بزهاء عشرة آلاف جنيه

منها بضعة آلاف دفعت في الحال . وقد شكرت الجماهير كما نشكر لهذا الامير الجليل وللامير عمر باشا طوسن والأمير يوسف باشا كمال رئيس اللجنة التنفيذيه لجمعية الهلال الاحمر غيرتهم وهمتهم . وعندي ان مصر قد دخلت في طور جديد من الحياة الاجتماعية بتولي امرائها لرياسة الاعمال والمصالح العامة فيها

***

﴿ اعانة الحرب في بمباي (الهند) ﴾

« وغيرة العرب على الدولة »

جاءني من صديقي المحسن الشهير والسري الكبير الشيخ قاسم محمد آل ابراهيم كبير تجار العرب وسرواتهم في بمباي ومن غيره من فضلاء العرب فيها خبر تأثير الحرب البلقانية هنالك ووقعها الشديد من نفوس المسلمين عامة والعرب خاصة واقبالهم على جمع المال للاعانة الحربية

اجتمع تجار العرب عند زعيمهم الشيخ قاسم ابراهيم واتفقو على جمع الاعانة فاجتمع لديهم في يومين فقط مئة وستون ألف روبية ، وكان القدوة الحسنة لهم في البذل الشيخ قاسم وابن اخيه السخي الكريم الشيخ عبد الرحمن ابراهيم .ووعدنا بعض الكاتبين بارسال كشف بأسماء جميع الباذلين ومقدار مابذلوه

وقد اجتمع مسلمو بمباي لهذه الغاية الشريفة في نادي (انجمن اسلام) فجمعوا أولا ثمانية آلاف روبية فقط. ثم رغبوا الى كل من الرجلين العظيمين الشيخ قاسم آل ابراهيم والسر كريم باي ابراهيم (وهو من سروات بمباي وزعماء فرقة آغاخان) في رئاسة لجنة الاعانة لمسلمي الهند في بومباي فقبلا ذلك ، وتبرع كل منهما بعشرين ألف روبية وتبعهما أهل النجدة والسخاء فاجتمع لديهم مائة ألف روبية وخمسة عشر ألف روبية وتقرر ان يجتمعوا مرة أخرى بعد أسبوع

وجملة مادفعه تجار العرب الى يوم ١٣ ذي القعدة الحاضر ١٨٠٫٠٠٠ روبية وهي تساوي اثنى عشر ألف جنيه انكليزي . وجملة ما دفعه مسلمو بومباي من الهنديين يساوي سبعة آلاف وستمائة جنيه . وقد دفع الشيخ قاسم ابراهيم وحده أربعين ألف روبية من ذلك ، وقد كتب الينا بعض العرب بان ما دفعوه سيضاعف قريبا . ولا شك أيضا في مضاعفة ما يدفعه اخوانهم الهنديون لان السخاء العربي لا يناسبه الا سخاء مسلمي الهند

وانا لننتظر ان نسمع ماهو أكبر من ذلك عن سخاء العرب من جهة السيد الكريم سلطان مسقط وآله الكرام وأهل بلاده ، ومن الزعيم العربي الكبير العثماني الغيور الشيخ مبارك الصباح وأهل الكويت ومن الامير الكبير شيخ البحرين وتجار تلك الجزيرة الاخيار ومن غيرهم من أهل الخليج الفارسي والعراق وسائر البلاد العربية

﴿ الصلح بين الدولتين العثمانية والايطالية ﴾

كانت وزارة سعيد باشا الاتحادية أرسلت مندوبين الى أوربة لاجل المذاكرة مع مندوبي ايطالية في شروط الصلح في مسألة طرابلس الغرب وبرقة . وقد سقطت وزارة سعيد باشا وخلفتها وزارة الغازي احمد مختار باشا قبل أن يتفق الفريقان على شيء فكانت هذه الوزارة تصرّ على اشتراط بقاء سلطة الدولة على ذلك القطر بالفعل حتى تحفزت دول البلقان لقتال الدولة ورأت الوزارة ان التجهيزات العسكرية التي كان الاتحاديون يمنون بها على الأمة غير كافية لمناجزة البلقانيين ، فكيف اذا كانت معهم دولة من الدول الكبرى كايطالية ؟ فاضطرت الى عقد الصلح مع ايطالية ، فساء هذا الصلح جميع العالم الاسلامي كما نعتقد سواء منهم من عرف عذر الدولة ومن لم يعرف . ويقال ان السنوسيين وبعض الضباط العثمانيين مصرون على مواصلة القتال وعدم الخضوع لايطالية واختلفت الرواية عن القائد الشهير (انور بك) في هذا الأمر. فاذا صح خبر الثبات على المقاومة يثبت عند العرب صدق أولئك الضباط ومن صحبوا من الخطباء لتحريض العرب على الدفاع عن بلادهم عملا بأحكام الدين ، وغيرة على الاسلام والمسلمين ، ومن نكص على عقبيه يظهر لهم أنه منافق جاء ليشتري بدمائهم عرضاً قليلا للدولة ، وستكشف الايام الحقيقة . وان لنا لعودة الى هذه المسألة

﴿ جماعة الدعوة والارشاد ﴾

اجتمعت الهيئة العامة لجماعة الدعوة والارشاد يوم الجمعة ١٤ ذي القعدة في دار مدرستها بقصر شريف باشا بالمنيل تحت رئاسة وكيلها ناظر المدرسة محمد رشيد رضا صاحب هذه المجلة فافتتح الجلسة باسم الله وحمده ، والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه ، ثم ألقى خطبة في بيان أحوال المسلمين في هذه الازمنة ، وما هم فيه من الخطر واحاطة الامم بهم ، وأخذها الطرق عليهم ، وحال المتصدين للشؤون العامة فيهم ، وانتقل من ذلك الى بيان الاصلاح الحقيقي ومكان مشروع جماعة الدعوة والارشاد منه ، وكيفية تأسيس هذه الجماعة (يجدها القارئ في الجزء الآتي من المنار)

ثم بين مجمل حالتها المالية وما اجتمع عندها من المال وما أنفقته وما بقي في صندوقها الى غاية سنة مدرستها الماضية وقدم للهيئة بعد ذلك صورة ميزانية السنة الجديدة فصدقت عليها باتفاق الآراء . ثم عرض عليها عدة اقتراحات قبلت كلها بالاتفاق أو بخلاف وحد فقط (منها) ان تكون سنتها المالية وسنة مدرستها بالحساب الشمسي الهجري وان تكون أول سنتها المالية السنة الماضية ، وأول سني مدرستها السنة الحاضرة ، وأول مدة مجلس الادارة من أول هذه السنة أيضاً ليتمكن من تربية صنف المرشدين الاول

ومنها تعديل الاصل الخامس عشر من النظام الاساسي بزيادة فقرة فيه تفيد جواز كون أعضاء مجلس الادارة مقيمين في أي بلد من القطر يمكن المقيم فيه من حضور الجلسات، وتعديل الاصل السابع عشر بجعل قيمة اشتراك من يجوز له ان يكون عضواً في الهيئة العامة للجماعة ثلاثة جنيهات انجليزية لا مصرية لاجل ان يفهم قيمة المبلغ أهل الاقطار الاسلامية كلها بمجرد الاطلاع على النظام

واقترح محمد افندي علي كامل المحامي أن يزاد في الاصل الثامن عشر من النظام الاساسي عبارة تدل على جواز جمع الهيئة العامة في غير موعدها السنوي اذا قضت المصلحة بذلك فقبل اقتراحه بالاتفاق ووضعت العبارة وصدق عليها

ثم ختمت الجلسة بذكر الله تعالى وانفض الحاضرون مغبوطين بما وفقهم الله من خدمة العلم والدين

المنار
١٣١٥
فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب
يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر الا أولو الالباب
﴿ قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق ﴾
﴿ مصر ٣٠ ذي الحجة ١٣٣٠ هـ ق ١٨ الخريف الثالث ١٢٩١ هـ ش ٩ ديسمبر ١٩١٢ م ﴾

باب تفسير القرآن الحكيم

على الطريقة التي كان يلقيها في الازهر الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه

﴿ فصل في مباحث تتعلق بمسألة الصلب ﴾

إن مسألة الصلب من المسائل التاريخية التي لها نظائر وأشباه كثيرة، فقد كان الملوك والحكام يقتلون ويصلبون ، وناهيك بالرومانيين وقسوتهم ، واليهود وعصبيتهم ، وقد قتل هؤلاء غير واحد من انبيائهم اشهرهم زكريا ويحيى عليهما السلام . والفائدة في اثبات التاريخ لمثل هذه الوقائع لاتعدو العبرة باخلاق الامة ودرجة ضلالها وهدايتها وسيرة الحكام فيها . وقد كان اليهود في عصر المسيح تحت سلطان الروم (الرومانيين) والحاكم الروماني في بيت المقدس في ذلك العهد (بيلاطس) لم يكن يريد قتل المسيح ، ولم يحفل بوشاية اليهود وسعايتهم فيه ،

ولا خاف ان يكون ملكا يزيل سلطان الروم عن قومه . هكذا تقول النصارى في كتبها ، وانما كانت اليهود تريد قتله عليه السلام لما دعا اليه من الاصلاح الذي يزحزحهم عن تقاليدهم المادية، لانهم بقتل زكريا ويحيى قد اصيبوا بالضراوة بسفك دماء النبيين والمصلحين ، فسواء صح خبر دعوى قتل عيسى وصلبه أم لم يصح ، فلا صحته تفيدنا عبرة بحال أولئك القوم لم تكن معروفة ، ولا عدمها ينقص من معرفتنا بأخلاقهم وتاريخ زمنهم .

نعم ان مسألة الصلب ليست في ذاتها بالامر الذي يهتم باثباته أو نفيه في كتاب الله عز وجل بأكثر من إثبات قتل اليهود النبيين بغير حق وتقريعهم على ذلك ، لولا ان النصارى جعلوها أساس العقائد وأصل الدين ، فمن فاته الايمان بها فهو في الآخرة من الهالكين ، ومن آمن بها على الوجه الذي يقولونه ويدعون اليه كان هو الناجي الفائز بملكوت السماء مع المسيح والرسل والقديسين . لاجل هذا كبر عليهم نفي القرآن العظيم لقتل المسيح وصلبه ، وهم يوردون في ذلك الشبهات على القرآن والاسلام . لهذا رأينا ان نبين عقيدة الصلب عندهم ، وشبهاتهم على نفيها مع الجواب عنها ، وما يتعلق بذلك من المباحث المهمة

عقيدة النصارى في المسيح والصلب

نرى دعاة النصارى المنبثين في بلادنا قد جعلوا قاعدة دعوتهم وأساسها عقيدة صلب المسيح فداء عن البشر ، فهذه العقيدة عندهم هي أصل الدين وأساسه والتثليث يليها . لان أصل الدين وأساسه هو الذي يدعى اليه أولا ، ويجعل ما عداه تابعا له . ولذلك كان التوحيد هو الاصل والاساس لدعوة الاسلام ، ويليه الايمان بالنبي صلى الله عليه وسلم وباليوم الآخر ، وكان أول شيء دعا اليه النبي (ص) هو كلمة التوحيد (لا إله الا الله) ودعا أهل الكتاب في كتبه الى الاسلام بقوله عز وجل (يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ، فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون) وبهذا أمره الله تعالى . فكان يكتفي في دعوته

الأولى لمشركي العرب بتوحيد الالوهية لان شركهم انما كان في الالوهية بعبادة غير الله تعالى وهي اتخاذ أولياء يقربونهم اليه زلفى ويشفعون لهم عنده ، بواسطتهم يدفع الله عنهم الضر ويسوق اليهم الخير كما كانوا يزعمون . وأما مشركو أهل الكتاب فكان قد طرأ على توحيدهم مثل هذا الشرك في الالوهية باتخاذ المسيح الهاً واتخاذ غيره من حواريه وغيرهم آلهة بالوساطة والشفاعة، وطرأ عليهم فوق ذلك الشرك في الربوبية باتباعهم لاحبارهم ورهبانهم فيما يحلون لهم ويحرمون عليهم . فدعاهم (ص) الى توحيد الالوهية والربوبية معا . فلولا أن عقيدة الصلب والفداء هي أصل هذه الديانة النصرانية عند أهلها لما كانوا يبدءون بالدعوة اليها قبل كل شيء

أما تقرير هذه العقيدة كما سمعنا من بعض دعاة البروتستانت في بعض المجامع العامة التي يعقدونها للدعوة في مدارسهم ، وفي المجالس الخاصة التي اتفق لنا حضورها مع بعضهم ، فهي أن آدم لما عصى الله تعالى بالاكل من الشجرة التي نهاه الله عن الاكل منها صار هو وجميع أفراد ذريته خطاة مستحقين للعقاب في الآخرة بالهلاك الابدي - ثم أن جميع ذريته جاءوا خطاة مذنبين فكانوا مستحقين للعقاب أيضا بذنوبهم كما انهم مستحقون له بذنب أبيهم الذي هو الاصل لذنوبهم . ولما كان الله تعالى متصفا بالعدل والرحمة جميعا طرأ عليه (سبحانه وتعالى عن ذلك) مشكل منذ عصى آدم . وهو انه اذا عاقبه هو وذريته كان ذلك منافيا لرحمته فلا يكون رحيما !! واذا لم يعاقبه كان ذلك منافيا لعدله فلا يكون عادلا !! فكانه منذ عصى آدم كان يفكر في وسيلة يجمع بها بين العدل والرحمة !! فلم يهتد الى ذلك سبيلا الا منذ ألف وتسع مئة واثنتي عشرة سنة بالنسبة الى سنتنا هذه (سبحانه سبحانه) وذلك بأن يحل ابنه تعالى الذي هو هو نفسه في بطن امرأة من ذرية آدم ويتحد بجنين في رحمها ويولد منها فيكون ولدها انسانا كاملا من حيث هو ابنها وإلها كاملا من حيث هو ابن الله - وابن الله هو الله - ويكون معصوما من جميع معاصي بني آدم ، ثم بعد ان يعيش زمنا معهم يأكل مما يأكلون منه ويشرب مما يشربون، ويتلذذ كما يتلذذون ويتألم كما يتألمون ، يسخر أعداءه لقتله افظع قتلة ، وهي قتلة الصلب التي لعن صاحبها في الكتاب الالهي، فيحتمل اللعن والصلب لاجل فداء

البشر وخلاصهم من خطاياهم كما قال يوحنا في رسالته الاولى : وهو كفارة لخطايانا ليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم أيضا (سبحان ربك رب العزة عما يصفون)

كنت مرة مارا بشارع محمد علي في القاهرة وانا قريب عهد بالهجرة اليها فرأيت رجلا واقفا على باب المدرسة الانكليزية فيه يدعو كل من مر امامه : تفضلوا تعالوا اسمعوا كلام الله . ولما خصني بالدعوة أجبت فدخلت فاذا بناس على مقاعد من الخشب في رحبة المدرسة ، فلما كثر الجمع قام أحد دعاة النصرانية فألقى نحو ما تقدم آنفا من العقيدة الصليبية . وبعد فراغه وحثه الناس على الاخذ بما قاله والايمان به، ودعواه ان لا خلاص لهم بدونه ، قمت فقلت اذا كنتم قد دعوتمونا الى هذا المكان لتبلغونا هذه الدعوة شفقة علينا ورحمة بنا ، فاذنوا لي ان ابين لكم موقعها من نفسي ، فاذن لي القس بالكلام فوقفت في موقف الخطابة واوردت عليهم ما يترتب على هذه الدعوة من العقائد الباطلة والقضايا المتناقضة التي سأبينها هنا ، وطلبت الجواب عنها ، فكان الجواب ان هذا المكان خاص بالوعظ والكرازة دون الجدال ، فان كنت تريد الجدال والمناظرة فموضعهما المكتبة الانكليزية ، فلما سمع المسلمون الحاضرون هذا الجواب صاحوا : لا اله الا الله محمد رسول الله . وانصرفوا . أما ما يؤخذ من هذه العقيدة وما يترتب عليها فدونكه بالاختصار :

ما يرد على عقيدة الصلب

(١) لا يمكن ان يقبل هذه القصة من يؤمن بالدليل العقلي أن خالق العالم لا بد ان يكون بكل شيء عليما، وفي كل صنعه حكيما ، لأنها تستلزم الجهل والبداء على الباري عز وجل ، كأنه حين خلق آدم ما كان يعلم ما يكون عليه أمره ، وحين عصى ما كان يعلم ما يقتضيه العدل والرحمة في شأنه ، حتى اهتدى الى ذلك بعد ألوف من السنين مرت على خلقه ، كان فيها جاهلا كيف يجمع بين تينك الصفتين من صفاته ، وواقعا في ورطة التناقض بينهما ، ولكن قد يقبلها من يشترط في الدين عندهم ان لا يتفق مع العقل ، وان يأخذ صاحبه بكل ما يسند الى من نسب اليهم عمل العجائب ، ويقول آمنت به وان لم يدركه ، ولم تذعن له

نفسه ، ومن ينقلون في أول كتاب من كتبهم الدينية (سفر التكوين) هذه الجملة (٦ : ٦ فندم الرب انه عمل الانسان في الارض وتأسف في قلبه) تعالى الله عن ذلك كله علوا كبيرا

(٢) يلزم من يقبل هذه القصة ان يسلم ما يحيله كل عقل مستقل من ان خالق الكون يمكن ان يحل في رحم امرأة في هذه الارض التي نسبتها الى سائر ملكه اقل من نسبة الذرة اليها والى سمواتها التي ترى منها، ثم يكون بشرا يأكل ويشرب ويتعب ويعتريه غير ذلك مما يعتري البشر ، ثم يأخذه اعداؤه بالقهر والاهانة فيصلبوه مع اللصوص ويجعلوه ملعونا بمقتضى حكم كتابه لبعض رسله (تعالى الله عن ذلك كله علوا كبيرا)

(٣) تقتضي هذه القصة ان يكون الخالق العليم الحكيم قد أراد شيئا بعد التفكر فيه ألوفا من السنين فلم يتم له ذلك الشيء ، ذلك أن البشر لم يخلصوا وينجوا بوقوع الصلب من العذاب ، فإنهم يقولون إن خلاصهم متوقف على الايمان بهذه القصة وهم لم يؤمنوا بها – لنا ان نقول انه لم يؤمن بها أحد قط لأن الايمان هو تصديق العقل وجزمه بالشيء والعقل لا يستطيع ان يدرك ذلك ، والذين يقولون انهم مؤمنون بها يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم تقليدا لمن لقنهم ذلك . فان سمينا مثل هذا القول إيمانا ، نقول ان اكثر البشر لا يقولونه بل يردونه بالدلائل العقلية ، ومنهم من يرده أيضا بالدلائل النقلية، من دين ثبتت أصوله عندهم بالادلة العقلية ، ومنهم من لم يعلموا بهذه القصة ، ومنهم من يقول بمثلها لآلهة أخرى. فاذا عذبهم الله تعالى في الآخرة ولم يدخلهم ملكوته – كما تدعي النصارى – لا يكون رحيما على قاعدة دعاة الصلب والصليب ، فكيف جمع بذلك بين العدل والرحمة ؟

(٤) يلزم من هذه القصة شيء أعظم من عجز الخالق (تعالى وتقدس) عن إتمام مراده بالجمع بين عدله ورحمته ، وهو انتفاء كل من العدل والرحمة في صلب المسيح لانه عذبه من حيث هو بشر وهو لا يستحق العذاب لانه لم يذنب قط ، فتعذيبه بالصلب والطعن بالحراب – على ما زعموا – لا يصدر من عادل ولا من رحيم بالاحرى . فكيف يعقل ان يكون الخالق غير عادل ولا رحيم ، أو ان يكون عادلا

رحيا فيخلق خلقا يوقعه في ورطة الوقوع في انتفاء احدى هاتين الصفتين ، فيحاول الجمع بينهما فيفقدهما معاً ؟ ؟

(٥) اذا كان كل من يقول بهذه العقيدة أو القصة ينجو من عذاب الآخرة كيفما كانت أخلاقه وأعماله ، لزم من ذلك أن يكون أهلها إباحيين ، وان يكون الشرير المبطل الذي يعتدي على أموال الناس وأنفسهم وأعراضهم ويفسد في الارض ويهلك الحرث والنسل ، من أهل الملكوت الأعلى لا يعذب على شروره وخطيئاته ولا يجازي عليها بشيء . فله ان يفعل في هذه الدنيا ماشاء هواه ، وهو آمن من عذاب الله ، وناهيك بهذا مفسدا للبشر . واذا كان يعذب على شروره وخطيئاته كغيره من غير الصليبيين فما هي مزية العقيدة ؟ واذا كان له امتياز عند الله تعالى في نفس الجزاء فأين العدل الالهي ؟

(٦) ما رأينا احدا من العقلاء ولا من علماء الشرائع والقوانين يقول ان عفو الانسان عمن يذنب اليه ، او عفو السيد عن عبده الذي يعصيه ، ينافي العدل والكمال ، بل يعدون العفو من أعظم الفضائل ، وترى المؤمنين بالله من الامم المختلفة يصفونه بالعفو ويقولون انه اهل المغفرة ، فدعوى الصليبيين ان العفو والمغفرة مما ينافي العدل مردودة غير مسلمة

الجزاء والخلاص في الاسلام

يتوهم دعاة النصرانية من القياس على مذهبهم ومن الخرافات التي سرت الى بعض عامة المسلمين ان الاسلام مبني على ان النجاة في الآخرة والسعادة الابدية فيها انما تكون بمثل مايسمونه الفداء في عقيدة الصلب ، وان الفرق بين الاسلام والنصرانية إنما هو في الفادي ، فهم يقولون انه المسيح ونحن نقول انه محمد (عليهما الصلاة والسلام) ولذلك يشككون عوامّ المسلمين في دينهم ، بما يكتبون من سفسطة الجدل في صحفهم وكتبهم ، وما يقولون في المجالس والمجامع بألسنتهم ، ومداره على قولهم ان المسيح لم يخطئ قط وان نبينا قد أذنب . والمذنب لا يستطيع ان ينقذ من هو مثله من تبعة ذنبه ، وانما يستطيع ذلك من لم يذنب

أما نحن المسلمين فلا نرد عليهم هذا بتخطئة هذه القاعدة فقط، ولا بتعجيزهم في إثبات دعواهم ان المسيح لم يقترف خطيئة بالدليل العقلي ، وكون الدليل النقلي هنا لا يمكن الا اذا فرض ان عددا كثيرا من الناس بعد نقلهم تواترا صحيحا قد لازموا المسيح في كل ساعات حياته ودقائقها فلم يروا منه خطيئة فيها ، ولم يحصل هذا قط ـ أو فرض نص صريح من الوحي يخصه بذلك ، وليس عندهم شيء من ذلك يقوم حجة علينا وليس لهم أن يحجونا بما عندنا من القول بعصمة الانبياء لان هذا ـ على كونه عاما يعد عندنا لجميع الرسل ـ من الاحتجاج الذي يؤدي الى نقض نفسه ، لان اعتقادنا ينقض اعتقادهم واعتقادهم ينقض اعتقادنا ، فالاحتجاج بمثل هذا اذا نفع في إفحام الخصم وإلزامه لا ينفع في إقناعه ، والمراد في هذا المقام الاقناع لا مجرد الغلب في الخصام

ـ ولا نرد عليهم أيضا بأن اثبات الخطيئة على نبينا (ص) متعذر عليهم ، وانه لا ينفعهم في هذا المقام المشاغبة بمثل « ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر » لأن الخطيئة التي ننفيها عن محمد والمسيح على حد سواء هي مخالفة دين الله تعالى بارتكاب ما نهى الله عنه أو ترك ما أمر به . والذنب في اللغة كل عمل له تبعة لا تسرّ العامل ولا توافق غرضه ، فهو مأخوذ من ذنب الحيوان . ومثل هذا يقع من جميع الانبياء . ومثاله من عمل نبينا (ص) اذنه لبعض المنافقين في التخلف والقعود عن السفر معه في غزوة تبوك ، وكان اذنه لهم مبنيا على اجتهاد صحيح وهو أنهم اذا خرجوا وهم كارهون ومصرون على نفاقهم يضرون ولا ينفعون كما قال تعالى (لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة) ولكن لو لم يأذن لهم لتبين له الصادق من المعتذرين وعلم الكاذبين منهم . فكان هذا الإذن ذنبا لان له عاقبة مخالفة للمقصد أو للمصلحة ، وهي عدم ذلك التبين والعلم ، فان أولئك الكاذبين في الاعتذار الذي بنوا عليه الاستئذان ماكانوا يريدون الخروج معه (ص) مطلقا اذن أو لم يأذن . ولذلك قال الله تعالى في هذا الذنب (عفا الله عنك لم أذنت لهم ؟ حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين) فمثل هذا ـ وان سمي ذنبا لغة ـ لا يعد من الخطايا التي تمنع الانسان من

استحقاق ملكوت الله ومثوبته في الآخرة ، أو تجعل شفاعته مردودة . على أن في سيرة كثير من صلحاء المسلمين من لم تعرف له ولم تقع منه خطيئة من الخطايا التي يرمي الصليبيون بها الانبياء والرسل عليهم السلام

— لا نرد على قاعدة هؤلاء بأمثال هذه النواقض لأسسهم ، والهوادم لأبنيتهم ، لانها ليست عندنا هي موضوع النجاة والسعادة في الآخرة ، فلو فرضنا ان مزاعمهم فيها صحيحة لا يضرنا ذلك شيئا ، ولذلك اختصرنا فيها هنا اعتمادا على بيانها المفصل في مواضعها من التفسير وغيره ، وانما نرد عليهم ببيان عقيدة الاسلام في هذه المسألة ونذكرها هنا بالايجاز لان شرحها قد تقدم مرارا كثيرة فنقول:

ان مدار نجاة الانسان في الآخرة من العقاب وفوزه بالنعيم والسعادة الابدية انما هو على تزكية نفسه وتطهيرها من العقائد الوثنية الباطلة والاخلاق الفاسدة حتى تكون متخلية عن الاباطيل والشرور ، متحلية بالفضائل وعمل البر والخير ، ومدار الهلاك على ضد ذلك. قال الله تعالى في سورة الشمس (ونفس وما سواها ، فألهمها فجورها وتقواها ، قد أفلح من زكاها ، وقد خاب من دساها) فالله تعالى جعل كل انسان متمكنا بقواه الفطرية من أعمال الفجور والشرور، ومن أعمال التقوى والخيرات، وهو الذي يزكي نفسه بهذه أو يدسيها بتلك . فمن صحت عقيدته وحسن عمله ، صلحت نفسه وزكت ، وكانت أهلا للنعيم في ذلك العالم العلوي ، ومن كانت عقيدته خرافية باطلة ، وأعماله سيئة ، فسدت أخلاقه ، وخبثت نفسه ، وكان هو الذي تكلف تدسيتها ودهورتها الى هاوية الجحيم . ولا يشترط في التزكية، ان لا يلم الانسان بخطأ ولا تقع منه سيئة البتة ، بل المدار على طهارة القلب وسلامته من الخبث وسوء النية ، بحيث اذا غلبه بعض انفعالات النفس فألم بذنب يبادر الى التوبة ، ويلجأ الى الندم والاستغفار، وتكفير ذلك الذنب بعمل صالح . فيكون مثل نفسه كمثل بيت تتعاهده ربته بالكنس والمسح وسائر وسائل النظافة ، فاذا ألم به غبار او اصابه دنس بادرت الى ازالته فيكون الغالب عليه النظافة، ولا يشترط في الشهادة له بذلك ما لا تخلو منه البيوت النظيفة عادة من قليل غبار أو وسخ لا يلبث ان يزال، فالجزاء أثر لازم للعمل ، ولا يكلف الله نفسا الا وسعها

وقد شرحنا هذا المعنى بالتفصيل في مواضع متعددة . منها في تفسير هذه السورة ما تقدم في الكلام على قوله تعالى : (١٢٢ ليس بأمانيكم ولا اماني أهل الكتاب . من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا . ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا) وقوله تعالى (١٦ انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب)— الآيتين ، وقوله تعالى (ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما) وقوله (٤٧ و ١١٦ ان الله لا يغفر ان يشرك به) الخ

فمن اخلص لله في تزكية نفسه واصلاحها بالايمان والعمل الصالح بقدر استطاعته كان مقبولا مرضيا عند الله تعالى ولا يؤاخذه تعالى بما لا يستطيع ، ومن لم يكن كذلك غضب الله عليه وكان محروما من رضوانه الاكبر، ولا ينفعه في الآخرة شفاعة شافع، ولا يقبل منه فداء لو ملك الفداء . ولا يستطيع أحد من أهل السموات والارض ان يشفع لاحد لم يرض الله تعالى بالايمان والاخلاص وتزكية النفس ، التي يغلب بها الحق والخير على ضدهما (من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه ؟ — ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ـ واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ـ يا أيها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم من قبل ان يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة)

وقد علم مما ذكرناه من تزكية النفس وتدسيتها بعمل الانسان وكسبه الاختياري ان الجزاء في الآخرة أثر لازم للتزكية والتدسية مرتب عليهما ترتب المسبب على السبب والمعلول على العلة بفضل الله وحكمته ومقتضى سنته في خلقه ، (والله يضاعف لمن يشاء ـ ويزيدهم من فضله)

أليست هذه التعاليم الاسلامية هي التي ترفع قدر الانسان وتعلي همته وتحفزه الى طلب الكمال بايمانه واخلاصه وأعماله الصالحة ؟ أليست أفضل وأنفع من الاتكال على تلك القصة الصليبية المأثور مثلها عن خرافات الوثنيين ، التي لا يصدقها عقل مستقل ، ولا يطمئن بها قلب سليم ، المخالفة لسنن الفطرة ونظام الخلقة ،

التي أفسدت العقول والاخلاق في الممالك الصليبية منذ شاعت فيها بنفوذ الملك قسطنطين الصليبي الى أن عتقت أوربة من رق الكنيسة بنور العلم والاستقلال اللذين أشرقا عليها من بلاد الاسلام (ولكن واأسفا على ذلك النور الذي ضرب بينه وبين أهله بسور له باب ، ظاهره فيه الرحمة وباطنه من قبله العذاب ، وواشوقاه الى اليوم الذي يندك فيه هذا السور الذي حجبهم عن القرآن)

﴿ عقيدة الصلب والفداء وثنية ﴾

اعترف أمامنا كثير من الذين قالوا انهم نصارى بأن كلا من هذه العقيدة وعقيدة التثليث لا تعقل، وان العمدة في اثباتهما عندهم النقل عن كتبهم المقدسة ، فلما كانت تلك الكتب ثابتة عندهم وجب أن يقبلوا جميع ما فيها سواء عقل أم لم يعقل . ويقول بعضهم إن كل دين من الاديان فيه عقائد وأخبار يجزم العقل باستحالتها ولكنها تؤخذ بالتسليم

ونحن نقول انه ليس في عقائد الاسلام شيء يحكم العقل باستحالته ، وانما فيه اخبار عن عالم الغيب لا يستقل العقل بمعرفتها لعدم الاطلاع على ذلك العالم ولكنها كلها من الممكنات أخبر بها الوحي فصدقناه . فالاسلام لا يكلف أحداً أن يأخذ بالمحال

وأما نقلهم هذه العقيدة عن كتبهم (وسيأتي البحث فيه) فهو معارض بنقل مثله عن كتب الوثنيين وتقاليدهم . فهذه عقيدة وثنية محضة سرت الى النصارى من الوثنيين كما بينه علماء أوربة الاحرار ومؤرخوهم وعلماء الآثار والعاديات منهم في كتبهم

قال (دوان) في كتابه خرافات التوراة وما يقابلها من الديانات الاخرى (ص ١٨١ و١٨٢) ما ترجمته بالتلخيص

« ان تصور الخلاص بواسطة تقديم أحد الآلهة ذبيحة فداء عن الخطيئة قديم العهد جدا عند الهنود الوثنيين وغيرهم » وذكر الشواهد على ذلك

منها قوله « يعتقد الهنود ان كرشنا المولود البكر - الذي هو نفس الآله فشنو الذي لا ابتداء له ولا انتهاء على رأيهم - تحرك حنوا كي يخلص الارض من ثقل حملها ، فأتاها وخلص الانسان بتقديم نفسه ذبيحة عنه »

وذكر ان (مستر مور) قد صور كرشنا مصلوبا كما هو مصور في كتب الهنود مثقوب اليدين والرجلين، وعلى قميصه صورة قلب الانسان معلقا . ووجدت له صورة مصلوبا وعلى رأسه أكليل من الذهب . والنصارى تقول ان يسوع صلب وعلى رأسه أكليل من الشوك

وقال (هوك) في ص ٣٢٦ من المجلد الاول من رحلته « ويعتقد الهنود الوثنيون بتجسد أحد الآلهة وتقديم نفسه ذبيحة فداء للناس من الخطيئة »

وقال (مورينوريليمس) في ص ٣٦ من كتابه (الهنود) ويعتقد الهنود الوثنيون بالخطيئة الأصلية . ومما يدل على ذلك ما جاء في مناجاتهم وتوسلاتهم التي يتوسلون بها بعد « الكياترى » وهو « اني مذنب ومرتكب الخطيئة وطبيعتي شريرة وحملتني أمي بالاثم فخلصني ياذا العين الحندقوقية يا مخلص الخاطئين من الآثام والذنوب »

وقال القس جورج كوكس في كتابه (الديانات القديمة) في سياق الكلام عن الهنود « ويصفون كرشنا بالبطل الوديع المملوء لاهوتا لانه قدم شخصه ذبيحة »

ونقل هيجين عن (اندرادا الكروزيوس) وهو أول أوربي دخل بلاد النيبال والتبت أنه قال في الإله (اندرا) الذي يعبدونه إنه سفك دمه بالصلب وثقب المسامير لكي يخلص البشر من ذنوبهم .وان صورة الصليب موجودة في كتبهم

وفي كتاب جورجيوس الراهب صورة الإله (أندرا) هذا مصلوبا ، وهو بشكل صليب أضلاعه متساوية العرض متفاوتة الطول فالرأسي أقصرها (وفيه صورة وجهه) والسفلي أطولها ، ولولا صورة الوجه لما خطر لمن يرى الصورة انها تمثل شخصا

هذا وأما ما يروى عن البوذيين في (بوذه) فهو أكثر انطباقا على ما يرويه النصارى عن المسيح من جميع الوجوه ، حتى إنهم يسمونه المسيح ، والمولود الوحيد، ومخلص العالم ، ويقولون إنه إنسان كامل وإله كامل تجسد بالناسوت ، وانه قدم نفسه ذبيحة ليكفر ذنوب البشر ويخلصهم من ذنوبهم فلا يعاقبوا عليها ، ويجعلهم وارثين لملكوت السموات. بين ذلك كثير من علماء الغرب منهم (بيل) في كتابه

(تاريخ بوذه) و (هوك) في رحلته و (مولر) في كتابه تاريخ الآداب السنسكريتية، وغيرهم

ومن أراد المقابلة بين إله النصارى وآلهة الوثنيين الاولين في الشرق والغرب فعليه أن يقرأ كتاب العقائد الوثنية في الديانة النصرانية (*) فهل يتصور من مسلم هداه الله بالاسلام الى التوحيد الخالص والدين القيم دين العقل والفطرة المبني على تكريم نوع الانسان ان يستحب العمى على الهدى فيرضى لنفسه التخبط في ظلمات هذه العقائد الوثنية ؟؟

﴿ شبهات النصارى على انكار الصلب ﴾

﴿ الشبهة الاولى ﴾ يدعي بعضهم فيما يموّه به على عوام المسلمين ان مسألة الصلب متواترة فالعلم بها قطعي

والجواب عن هذه الشبهة ان دعوى التواتر ممنوعة ، فان التواتر عبارة عن إخبار عدد كثير لا يجوز العقل اتفاقهم وتواطأهم على الكذب بشيء قد أدركوه بحواسهم إدراكا صحيحا لا شبهة فيه ، وكان خبرهم بذلك متفقا لا اختلاف فيه، هذا اذا كان التواتر في طبقة واحدة رأوا بأعينهم شيئا (مثلا) واخبروا به . فان كان التواتر في طبقات كان ما بعد الاولى مخبرا عنها، و يشترط ان يكون أفراد كل طبقة لا يجوز عقل عاقل تواطؤهم على الكذب في الاخبار عمن قبلهم ، وان يكون كل فرد من كل طبقة قد سمع جميع الافراد الذين يحصل بهم التواتر ممن قبلهم . وان يتصل السند هكذا الى الطبقة الاخيرة لا ينعقد التواتر .

وأنى للنصارى بمثل هذا التواتر ، والذين كتبوا الاناجيل والرسائل المعتمدة عندهم لا يبلغون عدد التواتر ، ولم يخبر احد منهم عن مشاهدة ، ومن تنقل عنه المشاهدة كبعض النساء لا يؤمن عليه الاشتباه بل قال يوحنا في انجيله ان مريم المجدلية وهي اعرف الناس بالمسيح اشتبهت فيه وظنت انه البستاني . وهو قد كان صاحب آيات ، وخوارق عادات ، فلا يبعد أن يلقي شبهه على غيره ، و ينجو بالتشكل

(*) هذا الكتاب لمحمد طاهر افندي التنير البيروتي لخصه من اربعين مصنفا ونيف من الكتب الانكليزية في التاريخ والاديان والآثار العاديات والرحلات

بصورة غير صورته ، كما رووا عنه أنه قال لهم إنهم يشكون فيه ، وكما قال مرقس انه ظهر لهم بهيئة أخرى . ثم ان ما عزي اليهم لم ينقله عنهم عدد التواتر بالسماع منهم طبقة بعد طبقة الى العصر الذي صار للنصارى فيه ملك وحرية يظهرون فيهما دينهم . وقد بين الشيخ رحمة الله الهندي وغيره انقطاع أسانيد هذه الكتب بالبينات الواضحة . وسيأتي في هذا السياق ما يدل على عدم الثقة بها

﴿ الشبهة الثانية ﴾ يقولون لو لم تكن هذه القصة متواترة متفقا عليها لوجد فيهم من انكرها كما وجدت فيهم فرق خالفت الجمهور في أصول عقائده كالتثليث ولم تخالفه في هذه العقيدة

والجواب عن هذا عسير على من يجهل تاريخهم ، يسير على المطلع عليه ، فقد أنكر الصلب منهم فرقة السيرنثيين اتباع تاثيونوس تلميذ يوستينوس الشهيد وقال فوتيوس انه قرأ كتابا يسمى رحلة الرسل فيه أخبار بطرس ويوحنا واندراوس وتوما وبولس ، ومما قرأه فيه « ان المسيح لم يصلب ولكن صلب غيره وقد ضحك بذلك من صالبيه » هذا وان مجامعهم الاولى قد حرمت قراءة الكتب التي تخالف الاناجيل الاربعة والرسائل التي اعتمدتها فصار أتباعهم يحرقون تلك الكتب ويتلفونها ، واننا نرى ما سلم بعض نسخه منها كانجيل برنابا ينكر الصلب ، وما يدرينا أن تلك الكتب التي فقدت كانت تنكره أيضا . فنحن لا ثقة لنا باختيار الجامع لما اختارته فنجعله حجة ونعدّ ما عداه كالعدم . على ان عدم العلم بالمنكرين لا يقتضي عدم وجودهم ، وعدم وجودهم لا يقتضي أن ما اتفقوا عليه بتقليد بعضهم لبعض ثابتا في نفسه

﴿ الشبهة الثالثة ﴾ يقولون ان الاناجيل ورسائل العهد الجديد قد أثبتت الصلب وهي كتب مقدسة معصومة من الخطإ فوجب اعتقاد ما اثبته

ونقول (أولا) لا دليل على عصمة هذه الكتب ولا على ان كاتبيها كانوا معصومين ، و (ثانيا) لا دليل على نسبتها الى من نسبت اليهم لانها غير متواترة كما تقدم ، و (ثالثا) انها معارضة بأمثالها كانجيل برنابا وترجيحهم إياها على هذا الانجيل لا يصلح مرجحا عندنا لانهم اتبعوا في اعتمادها تلك المجامع التي

لا ثقة لنا بأهلها، ولا كانوا معصومين عندهم ولاعندنا، و (رابعا) انها متعارضة في قصة الصلب وفي غيرها و (خامسا) انها معارضة بالقرآن العزيز وهو الكتاب الالهي الذي ثبت نقله بالتواتر الصحيح دون غيره، فقصارى تلك الكتب أن تفيد الظن بالقرائن كما قال تعالى « ماهم به من علم الا اتباع الظن » والقرآن قطعي فوجب تقديمه لانه يفيد العلم القطعي

ان بعض المسلمين يصدقون دعاة النصرانية ومجادليهم في زعمهم ان هذه الاناجيل محفوظة عندهم من عهد المسيح الى الآن، وانها مسلمة عند جميع فرقهم ومعروفة عند غيرهم، فلم يكن يختلف فيها اثنان، ولكن من طالع كتبهم التاريخية والدينية يعلم ان هذه الدعوى باطلة. وانما يصدقهم المسلمون الجاهلون لتوهم أن النصرانية نشأت كالاسلام في مهد القوة والعزة والمدنية والحضارة فأمكن حفظ كتبها كما أمكن حفظ القرآن. وشتان بين الامتين في نشأتهما شتان. واليك نزرا من البيان، وان شئت المزيد من مثله فارجع الى الكتب المؤلفة في هذا الشان.

الدلائل على عدم الثقة بالاناجيل

الف سلسوس من علماء الوثنيين في القرن الثاني للميلاد كتابا في ابطال الديانة النصرانية قال فيه كما نقل عنه أكهارن من علماء ألمانية ما ترجمته « بدل النصارى اناجيلهم ثلاث مرات أو أربع مرات بل أكثر من هذا تبديلا كأن مضامينها بدلت »

وفي كتبهم أن الفرقة الابيونية من فرق النصارى في القرن الاول للميلاد كانت تصدق بانجيل متى وحده وتنكر ما عداه، ولكن كان ذلك الانجيل مخالفا لانجيل متى الذي ظهر بعدظهور قسطنطين. وأن الفرقة المارسيونية من فرق النصارى القديمة كانت تأخذ بانجيل لوقا وكانت النسخة التي تؤمن بها مخالفة للموجودة الآن، وكانت تنكر سائر الاناجيل وهي عندهم من المبتدعة.

وفي رسالة بولس الى أهل غلاطية ما نصه (١: ٦ إني أتعجب أنكم تنتقلون هكذا سريعا عن الذي دعاكم بنعمة المسيح الى انجيل آخر ٧ ليس هو

آخر غير أنه يوجد قوم يزعجونكم ويريدون أن يحولوا انجيل المسيح) هكذا في ترجمة البروتستانت الاخيرة (يحولوا) وفي الترجمة القديمة التي نقل عنها كثيرون « يحرفوا » وفي ترجمة الجزويت « يقلبوا » والمعاني متقاربة تدل كلها على أنه كان في عهد بولس قوم يدعون الناس الى انجيل غير الذي يدعو هو اليه، ومعنى كونه غيره انهم حرفوه أو قلبوه حتى صار كأنه انجيل آخر. وكما اعترف بولس بهذا اعترف بأنه كان يوجد في عصره رسل كذابون غدارون تشبهوا برسل المسيح، صرح بذلك في رسالته الثانية الى أهل كورنثيوس فقال (١١: ١٣ لان مثل هؤلاء رسل كذبة فعلة ماكرون مغيرون شكلهم الى رسل المسيح ١٤ ولا عجب لان الشيطان يغير شكله الى ملاك نور ١٥ فليس عظيما اذا كان خدامه أيضا يغيرون شكلهم كخدام للبر)

وفي سفر الأعمال تصريح بأن بعض اليهود كانوا يبثون بين المسيحيين و يعلمونهم غير ما يعلمهم رسل المسيح، وان الرسل والمشايخ أرسلوا بولس وبرنابا الى انطاكية لتحذير اخوانهم فيها من الذين يوصونهم بالختان وحفظ الناموس الذي لم يأمروهم به، كما ذكر في الفصل ١٥ منه، وفي آخره انه حصلت مشاجرة هنالك بين بولس وبرنابا وافترقا. ومن المعلوم أن بولس كان عدو المسيحيين وخصمهم وأنه لما ادعى الايمان لم يصدقه جماعة المسيح عليه السلام ولولا أن شهد له برنابا لما قبلوه. و برنابا يقول في أول انجيله ان بولس نفسه كان من الذين بشروا بتعليم جديد غير تعليم المسيح. فمع امثال هذه النصوص في أمهات كتبهم المقدسة كيف يمكن للمسلم ان يثق بها

ومن الشواهد على التعارض والتناقض في قصة الصلب منها[1] أن أصل هذه العقيدة ان المسيح بذل نفسه باختياره فداء وكفارة عن البشر، مع أن هذه الاناجيل تصرح بأنه حزن واكتئب عند ماشعر بقرب اجله وطلب من الله ان يصرف عنه هذه الكأس.

١) تراجع الشواهد على تعارضها في قصة الصلب في الكتب والمقالات التي ألفت للرد على دعاة النصرانية، ومن أوضحها مقالات الطبيب محمد توفيق صدقي التي نشرت في المنار هذه السنة (١٣٣٠) وغيرها وطبعت في كتاب مستقل

فني متى (٢٦ : ٣٧ ثم اخذ معه بطرس وابني زبدي وابتدأ يحزن ويكتئب ٣٨ فقال لهم نفسي حزينة جدا حتى الموت امكثوا هنا واسهروا معي ٣٩ ثم تقدم قليلا وخر على وجهه وكان يصلي قائلا : ياأبتاه ان امكن فلتعبر عني هذه الكأس، ولكن ليس كما اريد انا بل كما (تريد) انت ... ـ ٤٢ فمضى ايضا ثانية وصلى قائلا : ياأبتاه ان لم يمكن ان تعبر عني هذه الكأس الا ان اشربها فلتكن مشيئتك » ومثل هذا في لوقا (٢٢ : ٤٣ ـ ٤٥) فكيف يقول المسيح هذا وهو وهو إله عندهم فهل يمكن ان يجهل ما يمكن وما لا يمكن ، وان يطلب ابطال الطريقة التي اراد الآب ـ وهو هو عندهم ـ ان يجمع بها بين عدله ورحمته ؟؟

ومن الشواهد عليها مسألة اللصين اللذين قالوا انهما صلبا معه . قال مرقس (١٥ : ٢٧ وصلبوا معه لصين واحدا عن يمينه وآخر عن يساره ٢٨ فتم الكتاب القائل « وأحصي مع أثمة » ـ الى ان قال : واللذان صلبا معه كانا يعيرانه . وكذلك قال متى (٢٧ : ٤٤) واما لوقا فقد سمى الرجلين اللذين صلبا معه مذنبين ولكنه قال (٢٣ : ٣٩ وكان واحد من المذنبين المعلقين معه يجدف عليه قائلا ان كنت انت المسيح فخلص نفسك وايانا ٤٠ فاجاب الآخر وانتهره » الخ وفيه ان المسيح بشر هذا بأنه يكون معه في الفردوس ذلك اليوم ، فكانت نبوة الكتاب المراد به أشعيا انه يصلب مع أثمة بصيغة الجمع ثم كان الجمع اثنين ولا بأس بذلك . ولكن كيف يقول اثنان من الانجيليين المعصومين على رأيهم ان الذي عيره واهانه هو احدهما والآخران وهما مثله في عصمته يقولان بل كلاهما عيراه ؟ ومثل هذه المخالفات والمعارضات في هذه القصة كثيرة ، ومن أظهرها مسألة دفنه ليلة السبت وقيامه من القبر قبل فجر يوم الاحد . مع ان البشارة انه يكون في بطن الارض ثلاثة ايام بلياليها وهي مدة يونان في بطن الحوت . ومنها مسألة النساء اللواتي جئن القبر وفيها عدة خلافات في وقت المجيء ورؤية الملك او الملكين ورؤيته هو الخ

﴿ الشبهة الرابعة ﴾ قولهم ان كتب العهد العتيق قد بشرت بمسألة الصلب ونوهت بها تنويها

ونحن نقول ان هذا غير مسلم بل انتم الذين تأولتم عبارات من تلك الكتب

وجعلتموها مشيرة الى هذه القصة ـ او كما قال السيد جمال الدين انكم فصلتم قميصا من تلك الكتب وألبستموها للمسيح . كما انكم تدعون ان الذبائح الوثنية كانوا يشيرون بها الى صلب المسيح فكأن جميع خرافات البشر وعباداتهم حجج لكم على عقيدتكم هذه وان كانوا قد سبقوكم الى مثلها . على أن كثيرا من تلك العبارات حجة عليكم لا لكم كما هو مبسوط في محله

﴿ الشبهة الخامسة ﴾ يقولون اذا جاز ان يشتبه في المسيح ويجهل شخصه الجنود الذين جاءوا للقبض عليه والحكام ورؤساء الكهنة الذين طلبوا صلبه بعد القبض عليه، فهل يجوز ان يشتبه في ذلك تلاميذه ومريدوه الذين يعرفونه حق المعرفة ؟

ونقول ان الجواب عن هذا من وجهين (احدهما) انه عهد بين الناس ان يشبه بعضهم بعضا شبها تاما بحيث لا يميز أحد المتشابهين المعاشرون والاقربون . وقد يكون هذا بين الغرباء كما يكون بين الاقربين . ولعله يقل في الذين يسافرون ويتقلبون بين الكثير من الناس من لم يقع له الاشتباه بين من يعرف ومن لا يعرف. وقد وقع لي غير مرة ان اسلم على رجل غريب اشتبه عليّ بصديق لي ثم اعرف بعد الحديث معه انه غيره . واننا لزيادة البيان نورد قليلا من الشواهد عن الافرنج الذين يثق دعاة النصرانية عندنا بهم ما لا يثقون بغيرهم لان هؤلاء الدعاة من ابناء جنسهم او مقلدتهم

قال صاحب كتاب التربية الاستقلالية (اميل القرن التاسع عشر) حكاية عن كتاب كتبته امرأة الدكتور إراسم الى زوجها ما نصه : « لقد كثر ما لاحظت انه يوجد في بعض الاحوال بين شخصين مختلفين في الذكورة والانوثة والموطن تشابه كالذي يوجد بين أفراد اسرة واحدة أن مع كلا منهما يكون أجنبيا من الآخر من كل الوجوه . أتدري من هو الذي حضرت صورته في ذهني عند وقوع بصري على السيدة وارنجتون ؟ ذلك هو صديقك يعقوب نقولا ، خلتني أراه بذاته في زي امرأة » اه فهذا مثال لرأي الكاتب في تشابه الناس . وفي رسالة نشرت في المجلد الحادي عشر من المنار ما نصه (ص ٣٦٨)

« ويوجد في كتب الطب الشرعي حوادث كثيرة في باب تحقيق الشخصيات

دالة على انه كثيرا ما يحدث للناس الخطأ في معرفة بعض الاشخاص ويشتبهون عليهم بغيرهم وقد ذكر «جاي» و «فرير» مؤلفا (كتاب اصول الطب الشرعي) في اللغة الانكليزية حادثة استحضر فيها ١٥٠ شاهدا لمعرفة شخص يدعى «مارتين جبر» فجزم أربعون منهم أنه هو هو وقال خمسون انه غيره والباقون ترددوا جدًّا ولم يمكنهم ان يبدوا رأيا ثم اتضح من التحقيق أن هذا الشخص كان غير مارتين جبر وانخدع به هؤلاء الشهود المثبتون وعاش مع زوجة مارتين محاطا باقاربه وأصحابه ومعارفه مدة ثلاث سنوات وكلهم مصدقون أنه مارتين ولما حكمت المحكمة عليه لظهور كذبه بالدلائل القاطعة استأنف الحكم في محكمة أخرى فأحضر ثلاثون شاهدا آخرون فأقسم عشرة منهم بأنه هو مارتين وقال سبعة انه غيره وتردد الباقون وقد حدثت هذه الحادثة سنة ١٥٣٩ في فرنسة وأمثالها كثير

«وقد بلغ من شبه بعض الاشخاص لغيرهم أن وجد فيهم بعض ما يوجد في غيرهم ممن شابههم من الكسور او الجروح أو آثارها وغير ذلك حتى تعسر تمييز بعضهم عن بعض ولذلك جد الاطباء في وضع مميزات لاشخاص البشر المختلفين اه

(الوجه الثاني) ان هذه الحادثة من خوارق العادات التي أيد الله بها نبيه عيسى بن مريم وأنقذه من أعدائه، فألقى شبهه على غيره وغير شكله هو فخرج من بينهم وهم لايشعرون. وفي اناجيلهم وكتبهم جمل متفرقة تؤيد هذا الوجه أشرنا الى بعضها من قبل (منها) قوله لهم انهم يشكون فيه يومئذ (ومنها) انه يتشكل بغير شكله. (ومنها) انه طلب من الله ان يعبر عنه هذه الكأس أي قتله وصلبه ان أمكن. ولا شك ان هذا من الممكنات الخاضعة لمشيئة الله وقدرته.

ويمكن ان يستدل على استجابة الله لدعائه بقول يوحنا حكاية عنه في سياق قصة الصلب من آخر الفصل ١٦ «ولكن ثقوا انا قد غلبت العالم» قال هذا بعد إخبارهم بأنه تأتي ساعة يتفرقون عنه ويبقى وحده ولكن الله يكون معه بعونه وحفظه. وفي هذا المعنى قول متى (٢٦: ٥٦ حينئذ تركه التلاميذ كلهم وهربوا) وقول مرقص (١٤: ٥٠ فتركه الجميع وهربوا) فهذا نص في أن التلاميذ كلهم هربوا حين جاء الجند ليقبضوا على المسيح فلم يكن الذين يعرفونه حق المعرفة هنالك

ومما يدل على استجابة الله دعوته بأن ينقذه ويعبر عنه تلك الكأس عبارة المزمور ١٠٩ التي يقولون ان المراد بها المسيح وهذا نصها «٢٦ أعني يارب الهي خلصني حسب رحمتك ٢٧ وليعلموا ان هذه يدك أنت يارب فعلت هذا ٢٨ اما هم فيلعنون واما انت فتبارك، قاموا وخزوا، أما عبدك فيفرح ٢٩ ليلبس خصمائي خجلا وليتعطفوا بخزيهم كالرداء ٣٠ احمد الرب جدا بفمي وفي وسط كثيرين اسبحه ٣١ لانه يقوم عن يمين المسكين ليخلصه من القاضين على نفسه» وفي العبارات التي يحملونها على المسيح شواهد أخرى بمعنى هذا

(الشبهة السابعة) يقولون: اذا كان المسيح قد نجا من أعدائه بعناية آلهية خاصة، فأين ذهب؟ ولماذا لم يقف له أحد على عين ولا أثر؟

والجواب ان هذه الشبهة لاترد على الذين يقولون انه رفع بروحه وجسده الى السماء، وانما ترد على الذين قالوا ان الله توفاه في الدنيا ثم رفعه اليه كما رفع إدريس عليهما السلام. ويقول هؤلاء لاغرابة في الامر فان أخاه موسى عليه السلام كان بين الالوف من قومه، الخاضعين لامره ونهيه، وقد انفرد عنهم، ومات في مكان لم يعرفه أحد منهم، فكيف يستغرب ان يفرّ عيسى عليه السلام من قوم أعداء له لاولي له فيهم ولا نصير الا أفراد من الضعفاء، قد انفضوا من حوله وقت الشدة وأنكره امثلهم (بطرس) ثلاث مرات؟ لابدع اذا ذهب الى مكان مجهول ومات فيه كما مات موسى (عليهما السلام) ولم يعرف قبره أحد، كما هو منصوص في آخر سفر تثنية الاشتراع من اسفار التوراة. ومن الناس من يزعم ان قبر المسيح الذي دفن فيه بعد موته قد اكتشف في الهند كما سيأتي

هذا ماخطر في بالي من شبهاتهم فاذا سمع بعض قراء هذا التفسير من المسلمين غيرها من دعاتهم فلا يحفلوا به، وليقيسوه على هذه الشبهات فيعلموا انه كسراب بقيعة يحسبه الرائي ماءا وما هو بماء، فاذا جاءه لم يجده شيئا، وبلغنا ان فرقة العقليين من نصارى أوربة يقولون ان المسيح نبي وقد صلب صلبا غير تام فلم يمت بل أغمي عليه ولما أنزل ولف بالكتان صحا وقام من القبر ثم اختفى عن الناس ومات في مكان مجهول. وهذا الرأي يتفق مع عبارات الاناجيل الاربعة في قصة الصلب،

(القول بهجرة المسيح الى الهند)

وموته في بلدة (سِرِي نَكر) في كشمير

يوجد في بلدة سري نقر (وتكتب نكر بالكاف المفخمة وهي كالجيم المصرية) مقبرة فيها مقام عظيم يقال هناك انه مقام نبي جاء بلاد كشمير من زهاء الف وتسع مئة سنة يسمى يوز آسف ، ويقال ان اسمه الاصلي عيسى صاحب (وكلمة صاحب في الهند لقب تعظيم كلقب افندي عند الترك ومستر ومسيو عند الافرنج) وانه نبي من بني اسرائيل وانه ابن ملك . وان هذه الاقوال مما يتناقله اهل تلك الديار عن سلفهم وتذكر في بعض كتبهم ، وان دعاة النصرانية الذين ذهبوا الى ذلك المكان لم يسعهم الا أن قالوا ان ذلك القبر لاحد تلاميذ المسيح او رسله ،

ذكر ذلك بالتفصيل غلام احمد القادياني الهندي في كتابه الذي سماه (الهدى . والتبصرة لمن يرى) وذكر فيه انه اكتفى بالاجمال وأن تفصيل هذه المسألة يوجد في كتاب معروف هناك اسمه (إكمال الدين) وذكرا اكثر من سبعين اسما من اسماء أهل ذلك البلد الذين قالوا ان ذلك القبر هو قبر المسيح عيسى بن مريم . ورسم صورة المقبرة بالقلم واما قبر المسيح فوضعه في الكتاب بالرسم الشمسي (الفوتغرافي) مكتوبا عليه (مقبره عيسى صاحب)

وغلام أحمد هذا يفسر الايواء في قوله تعالى (وجعلنا ابن مريم وامه آية وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين) بالهجرة الى الهند والالتجأ الى تلك البلدة في كشمير ، فان الإيواء يستعمل في مقام الإنقاذ والتنجية من الهم والكرب والمصائب والمخاوف ، واستشهد بقوله تعالى (ألم يجدك يتيما فآوى) وقوله (واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون في الارض تخافون ان يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره) وقوله حكاية عن ولد نوح (سآوي الى جبل يعصمني من الماء) والربوة المكان المرتفع و بلاد كشمير من أعلى بلاد الدنيا وهي ذات قرار مكين ، وماء معين ، والمشهور عند المفسرين ان هذه الربوة هي رملة فلسطين او دمشق الشام ،

ولو آوى الله المسيح وأمه اليهما ، لما خفي مكانهما فيهما ، لا سيما اذا كان ذلك بعد محاولة صلبه وتألب اليهود عليه ، كما يدل عليه لفظ الإيواء الذي لم يستعمل في القرآن الا في الانقاذ من المكروه كما علم من الامثلة المذكورة آنفا ، ومثلها قوله تعالى في الانصار رضي الله عنهم (والذين آووا ونصروا) وفي يوسف عليه السلام (آوى اليه اخاه قال اني انا أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون) وفي آية أخرى (فلما دخلوا على يوسف آوى اليه أبويه وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين) ولم يكن المسيح قبل تألب اليهود عليه والسعي لقتله وصلبه في مخافة يحتاج فيها الى الإيواء في مأمن منه . ففراره الى الهند وموته في ذلك البلد ليس ببعيد عقلا ولا نقلاً

﴿ بهاء الله البابي ومسيح الهند القادياني ﴾

يعلم الخاص والعام انه ورد في علامات الساعة من الاخبار انه يخرج رجل من آل بيت النبي (ص) يقال له المهدي يملأ الارض عدلا ، بعد أن تكون قد ملئت جورًا ، وينزل في آخر مدته عيسى بن مريم من السماء فيرفع الجزية ويكسر الصليب ويقتل المسيح الدجال . وليس هذا مقام تحرير هذه المسألة وانما اقتضت الحال ان نذكر من ضرها انها لانتظار المسلمين لها ، ويأسهم من اعادة عدل الاسلام ومجده بدونها ، قد كانت مثار فتن عظيمة ، فقد ظهر في بلاد مختلفة وازمنة مختلفة أناس يدعي كل واحد منهم انه المهدي المنتظر ، يخرج على أهل السلطان ، ويستجيب له كثير من الاغرار ، فتجري الدماء بينهم و بين جنود الحكام كالانهار ، ثم يكون النصر والغلب للاقوياء بالجند والمال ، على المستنصرين بتوهم التأييد السماوي وخوارق العادات . وقد ادعى هذه الدعوى أيضا أناس من الضعفاء أصابهم هوس الولاية والاسرار الروحية فلم يكن لهم تأثير يذكر

كانت آخر فتنة دموية من فتن هذه الدعوى فتنة مهدي السودان ، وكانت قبلها فتنة (الباب) الذي ظهر في بلاد إيران ، وأمره مشهور . وقد بنى بعض أتباعه على أساس دعوته بناء من انقاض تلك الدعوى ولكنه جاء أكبر منها . ذلك المدعي هو ميرزا حسين الملقب ببهاء الله ، ادعى الربوبية وبث دعاته في

المسلمين والنصارى وغيرهما ، ومما يدعون به النصارى الى دينهم قولهم ان البهاء هو المسيح الموعود به . وقد بينا فتنتهم في المنار ورددنا عليهم مرارا

وظهر في الهند رجل آخر مسلمي (بالطبع) ادعى أنه هو المسيح الموعود به . وهو غلام احمد القادياني الذي نقلنا عن بعض كتبه نبأ التجاء المسيح عيسى بن مريم الى الهند ، وهو إنما عني ببيان ذلك ليجعله من مقدمات إثبات دعوته . وقد كان قبل موته أرسل اليّ الكتاب الذي نقلت عنه ماذكر وغيره من كتبه التي يدعو بها الى نفسه ، فرددت عليه في المنار فهجاني في كتاب آخر وتوعدني بقوله عني « سيهزم فلا يرى » وزعم ان هذا نبأ وحي جاءه من الله جل وعلا ، وقد كان هو الذي انهزم ومات

كان هذا الرجل يستدل بموت المسيح ورفع روحه الى السماء كما رفعت أرواح الانبياء ، على انه هو المسيح الموعود به ، ولا يزال أتباعه يستدلون بذلك . وقد جرى على طريقة أدعياء المهدوية من شيعة إيران (كالباب والبهاء) في استنباط الدلائل الوهمية على دعوته من القرآن حتى انه استخرج ذلك من سورة الفاتحة! وله في تفسيرها كتاب في غاية السخف يدعى انه معجزة له !! فجعلها مبشرة بظهوره وبأنه هو مسيح هذه الأمة . وانما فتح على هذه الأمة هذا الباب الغريب من أبواب تأويل القرآن وتحريف ألفاظه عن المعاني التي وضعت لها ، الى معان غريبة لا تشبهها ولا تناسبها ، أولئك الزنادقة من المجوس وأعوانهم الذين وضعوا تعاليم فرق الباطنية ، فراجت حتى على كثير من الصوفية . ولمن يستدل بالكلم على ما لا يدل عليه في استعمال لغته أن يستدل بما شاء على ما شاء ، وهو يجد من جاهلي اللغة وفاقدي الاستقلال العقلي من يقبل منه كل دعوى ،

والحق أنه ليس من القرآن نص يثبت أن عيسى ينزل من السماء ويحكم في الأرض . وأما الاحاديث الواردة في ذلك فهي تخالف دعوى القادياني ، فان منها انه ينزل في دمشق لا في الهند، ومنها انه يحكم ويملأ الارض عدلا ولا يزال الظلم والجور وسفك الدماء مالئا الارض، ومنها انه يقتل الدجال الذي يظهر قبله . ولكن من شؤون البشر انه لا يدعوهم أحد الى شيء مهما كان بعيدا عن المعقول والمنقول الا ويجد فيهم من يصدقه ويستجيب له . فنسأل الله التأييد بالهداية ، والحفظ من الغواية . آمين

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة اسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل ان يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما اجبنا غير مشترك لمثل هذا. ولمن مضى على سؤاله شهران او ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

(اتخاذ الصور والتصوير الشمسي)

(س ١٦) من صاحب الامضاء بمكة المكرمة

بسم الله الرحمن الرحيم . قال عزّ من قائل « فاسئلوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون » . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ما ذكره الذاكرون . أما بعد . ففي القسطلاني على البخاري ما نصه : قال ابن العربي حاصل ما في اتخاذ الصور انها ان كانت ذات اجسام حرم بالاجماع وان كانت رقما فاربعة أقوال «١» الجواز مطلقا لظاهر حديث الباب «٢» والمنع مطلقا حتى الرقم «٣» والتفصيل فان كانت الصورة باقية الهيئة قائمة الشكل حرم وان قطعت الرأس وتفرقت الاجزاء جاز قال وهذا هو الاصح «٤» والرابع ان كان مما يمتهن جاز وان كان معلقا فلا اه بالحرف

والمسئول لجنابكم ياسيدنا نور الله تعالى بكم دين الاسلام ، وأزاح بكم دياجي الظلام ، فيما عمت به البلوى في هذه الازمنه . من اتخاذ الصور المأخوذة من آلة الفتوغراف المعروف هل يجري فيه هذا الخلاف لكونها من جملة المرقوم أم تجوز مطلقاً بلا خلاف لكونها من قبيل الصورة التي ترى في المرآة ، وتوصلوا الى حبسها حتى كأنها هي كما تقضي به المشاهدة ، وقد رفعت هذه الاسئلة بعينها الى أحد العلماء (في البلد) الحرام ، الشيخ أحمد خطيب بن عبد اللطيف الجاوي منشأ والشافعي مذهبا فأفتى بالجواز مطلقاً وعللها بأنها من قبيل الصورة التي ترى في المرآة وتوصلوا الى حبسها كما قدمناه ، وليست من جملة المرقوم كما هو المتبادر ، فحينئذ ماحكم الصاور والمصور (كذا) هل كل منهما يأثم أم لا ؟ فاني لم أقف على من تعرض لذلك من أرباب المذاهب المتبعة ، لعدم أهليتي لهذه الصناعة ، لكوني يقينا قليل البضاعة ، فافتونا

...الحقير الفقير بالجواب الشافي ولكم الاجر من الوهاب ، وأزيلوا عنا الاشكال ،

طويلب العلم الشريف بالحجاز
احمد عصام
الفارسي — سوراكرتا الجاوة

(ج) ان الذي يظهر لي هو انه لا فرق بين تصوير اليد والتصوير الشمسي في الحكم لا في اتخاذ الصور ولا في صنعتها لانني أرى أن علة ما ورد في ذلك من الاحاديث أمر ديني محض يتعلق بصيانة العقيدة من لوازم الشرك وشعائره اذ لم يكن يعهد في صدر الاسلام وقبله اتخاذ العرب للصور والتماثيل الا للعبادة كالذي كان من ذلك على الكعبة الشريفة فازاله النبي (ص) يوم الفتح . فعلى هذا يحرم ما كان فيه قصد التعظيم الديني وما كان شعارا دينيا للكفار اذا قصد به التشبه بهم أو كان بحيث يظن انه منهم أو يذكر بعبادتهم وشعائرهم . فمقصد الاسلام ازالة الشرك وشعائره والتشبه بأهله فيما كان عبادة ، دون موافقتهم فيما حسن من عادة ، ولذلك كان النبي (ص) يلبس مثلما كان يلبس قومه . ويدل على هذا أمر النبي (ص) عائشة بهتك الستار الذي كان فيه الصور لان المشركين كانوا يعلقون الصور وينصبونها بتلك الهيئة فلما جعلت منه وسادة استعملها النبي (ص) ولم يبال بالصور التي فيها لانها غير ممنوعة لذاتها ، ولا لأنها محاكاة لخلق الله تعالى . ومن يقول إن علة تحريم التصوير واتخاذ الصور هو محاكاة خلق الله تعالى يلزمه تحريم تصوير الشجر ولم يحرموه ، وما استدل به على ذلك لا يدل عليه بل معناه ان الله تعالى يظهر للمصورين عجزهم يوم القيامة تمهيداً لعقابهم على مساعدة الناس بتصاويرهم على عبادة غيره . ولو صح هذا التعليل لكان التصوير الشمسي غير محرم مطلقا لان صاحب الآلة يظهر للناس شيئا من النظام والسنن في خلق الله وهو لا يحاكي بعمله ما أخذ صورته ، فمثله كمثل مدير الآلة التي تحكي أصوات الناس (الفونغراف) فهذه الآلة وآلة الفوتغراف من جنس واحد ، كل منهما يمثل أو يحكي نوعاً من أنواع المخلوقات . ولكن الآلة التي تمثل الصور والهيآت ، أنفع من التي تحكي الاصوات ، فان للتصوير الشمسي — وكذا غير الشمسي — منافع في هذا الزمان كثيرة في العلوم كالطب والتشريح والتاريخ الطبيعي وفي الصناعات وفي السياسة والادارة والحرب ، وفي اللغة فان كثيرا من اسماء النبات والحيوان لا تعرف مسمياتها في اللغة العربية لعدم تصويرها ، وكتب اللغة لا تزيد في تعريفها على كلمة نبات م وحيوان م اي معروف ، وما كل معروف عند أناس يكون

معروفا عند غيرهم ، ولا كل معروف في زمن يبقى معروفا في جميع الازمنة الا اذا اتصلت سلسلة العلم به وكان العلم مقرونا بالعمل والتطبيق . ثم ان نقل الاسماء من قطر الى آخر سهل وقد يكون نقل المسميات متعذرا أو عسرا كنقل الاسد الى القطب الشمالي أو نقل الفظ والدب الابيض الى خط الاستواء ، ولكن نقل صور هذه المسميات سهل . فالتصوير ركن من أركان الحضارة ترتقي به العلوم والفنون والصناعات والسياسة والادارة فلا يمكن لامة تركه ان تجاري الامة التي تستعمله . ولكنه اذا استعمل في العبادات يفسدها لانه يحولها الى وثنية .

وقد كان النهي عن اتخاذ الصور من الوصايا العشر التي كانت في ألواح موسى عليه السلام وهو نص لا يزال ثابتا في التوراة التي في أيدي أهل الكتاب لان التوحيد الذي هو أساس دين جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام لا يتفق مع اتخاذ الصور اتخاذا دينياً . ولكن القرآن الحكيم اكتفى باثبات التوحيد بالبراهين العقلية والكونية والامثال التي تجعل المعنى المعقول كالشيء المرأي بالعيون الملموس بالاكف ، وأوضحه بذلك وبفنون من بلاغة القول تستولي على القلوب وتحيط بالفكر والوجدان من جميع نواحيهما — فلم تبق مع هذا كله حاجة للنهي عن اتخاذ الصور والتماثيل وانما نهى عنها النبي (ص) قبل نزول جمع القرآن ووصوله الى الناس لقرب عهدهم بالوثنية كما نهى عن زيارة القبور في أول الاسلام لمثل هذه العلة . ثم رخص فيها لاجل العظة والعبرة ، ولو كان اتخاذ الصور والتصوير الذي هو ذريعته من المحرم لذاته على الاطلاق أو لضرر فيه لاينفك عنه مطلقا لكان محرماً على ألسنة جميع الانبياء ، ولما امتن الله على سليمان عليه السلام بقوله (يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل) الى قوله (اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادي الشكور) فجعل ذلك من النعم التي يشكر الله تعالى عليها

هذا وان لاتخاذ الصور ضررا في هذا العصر غير ضرره الديني وهو تقليد المسلمين للافرنج وغيرهم في اتخاذها للزينة والتقليد . وقصد أمة التشبه بأمة تراها أرقى منها ، يضعف روابط المقلدة (بكسر اللام) ويسهل للمقلدة (بفتح اللام) طريق السيادة عليها . فينبغي للمرشدين والزعماء في الامم الضعيفة ان يحذروها من تقليد الامم القوية في العادات والآداب والشعائر ويجعلوا استفادتها منها خاصة بالعلوم والاعمال النافعة ، وان يأخذوا منها ما هم محتاجون اليه بقدر ما يليق بحالهم مع اتقاء

لوازمه الضارة وعدم قصد التقليد فيه . ومن هذه الصور ماله تأثير في افساد الآداب والتشويق للفواحش والمنكرات . وقد سبق بحث المنار في هذه المسألة من قبل مرارا فيراجع في المجلدات السابقة

(حرمة الرضاع)

(س ١٧) من محمد فواد افندي عثمان في عطبره (السودان)

وبعد أدام الله فضلكم فما قولكم فيمن رضع من امرأة على أكبر أولادها فهل اللاتي أتين بعد الرضاع ببعض سنين حرام عليه ؟ أفتوني في أمري هذا ولكم من الله الاجر والثواب

(ج) نعم يحرمن عليه فان من أرضعته وهو في سن الرضاع صارت أمه فكل أولادها أخوته من تقدم ومن تأخر ، وأولاد أولادها اولاد اخوته ، وهم كأخوة النسب في التحريم

(س ١٨ - ٢٠) من صاحب الامضاء في الشرقية

سيدي العلامة المفضال السيد الرشيد

سلام عليك ورحمة الله . وبعد فارجوا التكرم بالاجابة على المسائل الآتية على صفحات منار الاسلام ولك الفضل والشكر وهي :

(١) ما رأيكم فيما زعمه العلامة ابن تيمية في رسالته العقيدة الحموية من أن الله فوق العرش وما رأيكم في الآيات القرآنية والاحاديث النبوية التي استدل بها على ذلك نرجو الجواب باسهاب

(٢) ما رأيكم أيضا فيما زعمه ابراهيم افندي علي في كتابه « اسرار الشريعة الاسلامية » من أن علماء السنة قالوا بان الروح توازن اوقية

(٣) ما هي فائدة الطب والدواء اذا كان لكل أجل كتاب

هذا واقبلوا فائق تحياتنا — ابو هاشم قريط

(صفات الله وتنزيهه ومذهب السلف في ذلك)

أما الجواب عن السؤال الاول فرأينا وقولنا واعتقادنا هو ما كان عليه سلفنا الصالح من وصف الله تعالى بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله (ص) وإنما أول

أكثر الخلف الآيات والأحاديث في مثل هذه المسألة هربا من لوازمها التي هي لوازم الاجسام فقالوا اذا قلنا انه تعالى مستو على العرش ، أو فوق عباده أو في السماء كما ورد ، لزم من ذلك أنه جسم محدود له طول وعرض وانه متحيز تحصره الجهات وكل هذا محال على الله تعالى بالبرهان العقلي . وظنوا ان وصفه بالعلم والادارة والقدرة وغيرها من صفات المعاني التي يذكرونها في كتبهم الكلامية لايستلزم شيئا من لوازم المخلوقات . والصواب ان جميع الالفاظ التي يوصف بها الخالق عز وجل قد وضعت للمخلوقات وعقيدة التنزيه تنفي مشابهته تعالى لشيء من خلقه ، فالمسلم المؤمن بما جاء به محمد (ص) هو الذي يجمع بين آيات التنزيه وآيات الصفات فيؤمن بالمعنى الشريف الذي وصف الله به نفسه وبالآيات التي نزه بها نفسه عن مشابهة خلقه . قال تعالى (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) وكل من لفظ السميع والبصير قد وضع لمعنى له مثل ، فنقول انه سميع بصير ولكن سمعه وبصره ليس كسمع احدنا وبصره ، بل هو أعلى من ذلك كما يليق بكمال ربنا وتنزيهه وقال تعالى (سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا) فكلمة سبحانه تدل على التنزيه ، وكلمة « علوا » يلزم منها التشبيه ، فنؤمن بكل منهما على أن التنزيه ، ينفي اللازم لكلمة التشبيه ، فنقول : ان علوه تعالى ليس كعلو سقف البيت على أرضه ، بل هو علو يليق بكمال ربنا وتنزيهه ، ولو لم يطلق عليه سبحانه الكلم الذي استعمله الناس الذين بعث الله رسله لهدايتهم لما أمكن التعبير عن مقام الالوهية بشيء ، اذ لايخاطب الرسل الناس الابما يعرفون ، ولهذا ذهب بعض المدققين كالغزالي الى أن لفظ القدرة اذا أطلق على صفة الله تعالى التي بها يوجد ويعدم يكون استعارة اذلا يوجد في اللغة كلمة تدل على كنه تلك الصفة لانه معنى لم تلمحه عين أحد من واضعي اللغات فيضعوا له لفظا يدل على كنهه . ومثل هذا يقال في جميع صفات الله تعالى . فعليك بعقيدة السلف ، ولا يصدنك عنها شقشقة مقلدة الخلف ، وان غالى بعضهم فتجرأ على تكفير من يصف الله تعالى بالعلو والفوقية والاستواء على العرش - كانه يكفر كل مؤمن بالقرآن ، ويدعي أنه ينصر بذلك الاسلام ويقيم دعائم الايمان ، الذي اعتمد فيه على نظريات فسلفة اليونان ، على أنه يذكر اسم الجلالة فيقرنه بكلمة « تعالى » وهي من الكلمات الموهمة فماله يجيز بعض هذا الكلم ويحرم بعضه بالهوى ؟

(وزن الروح)

وأما الجواب عن الثاني فهو انني لم أقف على نص في الكتاب أو السنة يثبت

وزن الروح وزنتها . وما كل قول يوجد في كتب طائفة كأهل السنة أو الشيعة يكون عقيدة لتلك الطائفة . فللعلماء أقوال وآراء كثيرة يناقض بعضها بعضا كما ترون في كتاب الروح للعلامة ابن القيم . وان بعض ماينسب منها لبعض أئمة الاشاعرة مالو قال به بعض المسلمين اليوم لعده جماهير علماء الازهر وغيرهم كافرا كقول القاضي أبي بكر الباقلاني : ان الروح عرض من أعراض الجسد ، وهو عين مايقوله الماديون اليوم وقبل اليوم . فعليك الا تلتفت الى الاقوال التي لاتقرن بدليل يؤيدها ، ولا تبالي ايا كان القائل لها

﴿ لكل أجل كتاب . يدخل في عمومه معالجة الداء بالدواء ﴾

ترون في الجرائد آنا بعد آن ان الاطباء يقدرون زمنا معينا لشفاء المرضى والجرحى وتأخذ المحاكم بتقديرهم في القضايا التي تتعلق بذلك . وهذا التقدير يكون في الاكثر مبنيا على المعالجة والتداوي . وهم يضعون مثل هذه التقديرات لموت المرضى والجرحى كما يضعونها لشفاء من يحسبون انه يشفى . يقولون مثلا ان هذا المرض أو الجرح اذا عولج معالجة قانونية يشفى بعد شهر أو يموت صاحبه بعد شهر ، واذا لم يعالج يشفى بعد ثلاثة أشهر أو يموت صاحبه بعد أسبوع . فالتقدير يختلف باختلاف احوال المرضى وباختلاف معالجتهم، وقد يكتبون تقديرهم ويعينون فيه أجل الشفاء وأجل الموت . وهذا مثال تفهم منه تقدير الله تعالى وكتابته للآجال مع التفرقة البديهية بين تقديره وكتابته وتقدير عبيده الاطباء وكتابتهم . فهم لعدم احاطة علمهم وعدم عموم قدرتهم يبنون على الظن ويخطئون في التقدير والكتابة والله تعالى بكل شيء محيط علما وقدرة فلا يخطئ البتة . فتقديره – أي جعله كل شيء بمقدار يليق به – لا يختل نظامه، ولا يمكن أن يكون التداوي خارجا من تقديره ولا أن يكون المتداوي وغير المتداوي في علمه سواء، فان علمه مطابق للواقع، وهو الذي خلق الدواء لازالة المرض وجعل لكل شيء قدرا .

(نقل الجنازة)

(س ٢١) من ع . س . في سنغافورا

ما يقول الاستاذ وفقه الله وأدام علاه . في حمل الجنائز حيث بعدت المسافة فانها في هذه البلدة تكون غالباً بين ثلاثة وخمسة اميال انكليزية هل الافضل فيه أن

يكون على الاعناق كما هي العادة في جميع الاقطار حتى عند اليهود والوثنيين وتكون تلك الهيئة مما تعبدنا الله به فتتحتم أم نحكم بفضلها مطلقاً فتندب وان كان الحاملون لها مأجورين أم نقول هي متحتمة أو مندوبة في غير أوقات الضرورة

أم يكون الافضل الآن . لتغير الفتوى واختلافها بحسب الاحوال – حملها على عربة مخصوصة تجرها الخيل أو ترام أورتل وقد قال بهذا بعض طلبة العلم هنا وعمل به الفقراء ووقف بعض محبي الخير عربة جميلة عملها لذلك مخالفة لما يستعمله النصارى واحتج بقوله ان الميت يحترم ميتا كما يحترم حيا ، وحمله مسافة بعيدة على الاعناق يزري به وشاق عليه لو كان حيا مع وجود العربات الجميلة ولو كان مريضا وحاولوا أخذه على الاعناق لاستغاث بالحكومة ، وقد كان الحمل على الاعناق قبل تعبيد الطرق واختراع جميل العربات خيرا من الحمل على نحو الجمال . ولا يعترض على هذا بما يعتاد الآن من حمل من يعظمونه في بعض الحفلات على الاعناق فان ذلك شبه الزفاف وقت نشوة الفرح ولا يناسب حزن الموت وهيبته . نعم لو جر العربة الرجال بهيئة غير مزرية وكان ذلك للتعظيم لمكانة مخصوصة للميت لم يبعد أن يكون حسنا – فهل ما قاله هذا مما له قيمة أم لا . واذا فرضنا ان أجرة نقل الميت على الاعناق تستغرق عشرين ريالا ، ونقله على العربة لا يستغرق الا ريالا واحدا مثلا وترك أيتاما ولم يعين في وصيته صفة نقله فهل للوصي حينئذ أن ينقله على الاعناق أم يتعين عليه نقله في العربة ؟ أفيدونا ولكم الاجر والثواب

(ج) لم يرد في الكتاب ولا السنة نص في وجوب حمل الجنازة ولا في ندبه كما وردت الاحاديث في الصلاة عليها وفي التكفين والتحنيط والدفن . نعم انهم كانوا يحملونها عملا بالعادة المتبعة وقد ورد عن النبي (ص) أنه قال « اسرعوا بالجنازة فان كانت صالحة قربتموها الى الخير ، وان كانت غير ذلك فشر تضعونه عن رقابكم » رواه الشيخان واصحاب السنن . والجمهور على ان الأمر هنا للاستحباب وقال ابن حزم بل هو للوجوب على الاصل فيه . وورد ان الصحابة (رض) كانوا يسرعون بالجنازة فالاسراع بها سنة عملية ثابتة بالنص والعمل جميعا، ومع هذا عدها الجمهور مستحبة ولم يحرموا تركها . بل لا أذكر انني شيعت جنازة مع علماء مصر الا وكان السير بها دون السير المعتاد . وكثيرا ما تحمل جنازة بعض الوزراء وامراء العسكرية على عربة مدفع ويشيعها العلماء من جميع المذاهب ولا ينكر أحد منهم ذلك عند التشييع ولا بعده . ولست أعني ان سكوت هؤلاء العلماء عن انكار شيء حجة على مشروعيته

وانما أعني أنهم لا يفهمون من أمر حمل الجنازة على الاعناق الا أنه عادة . فاذا تعسر العمل بهذه العادة وكان فيه مشقة أو نفقة فلا بأس بالعدول عنه ولا سيما اذا كانت النفقة في مال اليتامى . ومن فوائد العدول الاسراع المأمور به في السنة ، ويمكن الجمع بين الامرين بنقل الجنازة على العربة الى المقبرة أو قربها وحملها هنالك الى القبر . واذا لم يكن هنالك مشقة بأن كانت المقبرة قريبة فالأولى او الأفضل ان لا تترك عادة السلف الصالح بشبهة اكرام الميت . وينبغي في حال العدول اتقاء التشبه بأهل الأديان الاخرى

(عدد من تصح بهم صلاة الجمعة)

(س ٢٢) من صاحب الامضاء بمكة المكرمة

ما قولكم دام فضلكم في قرية لم يبلغ أهلها أربعين رجلا بل كانوا اثنا عشر مثلا ، وهم يصلون الجمعة تقليدا على قول من يجوز إقامة الجمعة بأقل من أربعين ، هل يصلون الظهر بعدها أم لا ؟ فان قلتم : نعم . فهل هو سنة أو حسنة أو جائز ؟ فما قولكم في فتوى عالم من علماء الحجاز : هو ان صلاة الظهر بعد الجمعة حسنة احتياطا . فهل هذه الفتوى صحيحة ام لا ؟ وما معنى الاحتياط ؟ افيدونا

سلام من السائل

حاج داود الرشيدي من مشتركي المنار

(ج) ثبت أن الصحابة لما انفضوا الى التجارة وتركوا النبي (ص) قائما يخطب يوم الجمعة كان الذين بقوا في المسجد اثنا عشر رجلا فصلى بهم الجمعة ، وهذه الحادثة هي التي نزلت فيها الآية التي في آخر سورة الجمعة . والحديث رواه احمد ومسلم والترمذي وصححه فهو حجة على صحة صلاة الجمعة باثني عشر وعلى بطلان اشتراط ما زاد على ذلك دون بطلان ما نقص عنه لان وقائع الاعيان لا تفيد العموم ، والصفات والاحوال التي يتفق كون النبي (ص) عليها عند عمل ما ، لا تفيد انها شرط لصحة ذلك العمل . والظاهر المتبادر أن الجمعة كالجماعة لا بد فيها من الاجتماع ولا دليل على تحديداقله . ومن صلاها معتقدا عدم صحتها كان متلبسا بعبادة فاسدة في اعتقاده وذلك معصية ، وأما اذا صلاها معتقدا صحتها بالدليل وبالثقة بقول من قال تصح باثنين أو ثلاثة كأهل الظاهر وفقهاء الحنفية حرم عليه أن يصلي الظهر بعدها لأنه عبادة لم يأذن بها الله تعالى ، اذ لم يشرع لنا أن نصلي فريضة في وقت واحد مرتين الا اذا صلى أحدنا منفردا

ثم أقيمت الجماعة فانه يسن له ان يعيد معهم وتكون له نافلة كما ثبت في الحديث الصحيح عند أبي داود والترمذي والنسائي · والزيادة في الدين كالنقص منه . ولو وجب على المسلم أن يعيد كل صلاة أداها مخالفا بعض الفقهاء فيما اشترطوه في الصلاة لوجب عليه أن يعيد كل صلاة · ولا معنى للاحتياط في مثل هذا ·

(البيع بالغبن الفاحش)

بسم الله العلي الحكيم . ماقول أئمة الدين القويم حفظهم الله تعالى والهمهم الصواب في شخص ذي المام بمعرفة الاحجار النفيسة فتحصل على قطعة ثمينة ولم يكن ساعتئذ عنده ثمنها ولم يسعه تركها فأتى احد التجار غير تجار الجواهر وقال له اقرضني قيمتها وارسلها الى وكيلك في محل كذا وانا احولها لوكيلي يستلمها ويسلم حقك لوكيلك . فأجابه التاجر بنعم ان جعلت لي فيها حصة فقال صاحبها نعم . وتراضيا على شيء معلوم فدفع له المبلغ . ثم بعد أيام اتى صاحب الجوهرة للتاجر وقال له بعني حصتك بمنفعة كذا فلما سمع التاجر الذي ليس له إلمام بمعرفة الاحجار ذلك رأى ان النفع في جانب الثمن شيء عظيم فباعه حصته فلما وصلت الجوهرة الى وكيل التاجر وهو المقرض للدراهم صادف غياب وكيل صاحب الجوهرة فعرضها أي وكيل المقرض على العارفين بالجوهر فتعاظم الثمن . فهل للتاجر ان يطالب فيما زاد مع إيجاد القرائن والغبن الفادح ام البيع تام وليس له الا دراهمه المقروضة وفائدة قسمه الذي استويا عليه (اي ثمن حصته التي باعها) والحالة هذه بينوا بيانا كافيا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

(ج) الغبن الفاحش مع التغرير محرم وللمغبون الخيار في فسخ البيع كما هو معلوم ، فان أمضاه نفذ ولكن في واقعة الحال مبهمات غير ظاهرة ، ذلك أن مقترض المال وعد المقرض بأن يجعل له حصة معينة ولكن ليس في السؤال انه اشترى الجوهرة شركة بينهما على نسبة تلك الحصة . وقال انه اشترى حصته وهو لا يملك الحصة بالوعد ولم يملكها بعقد البيع فيما يظهر من السؤال حتى يكون بيعه لها صحيحا ، وقد ورد النهي عن بيع ما يشتريه الانسان قبل أن يقبضه . فكان ينبغي أن يبين كل ذلك في السؤال . والاولى على كل حال أن يتصالح الفريقان بينهما فيزيد المقترض الذي أخذ الجوهرة شيئا من المال لمن وعده بحصة ثم اشتراها منه ليخرج من تبعة الغش والله الموفق

ميزان الجرح والتعديل (*)

٢

(جواب شبهة)

رب قائل يقول : كيف لا يفسق هؤلاء وقد خالفوا بتأويلهم النصوص من الكتاب والسنة ؟

فنقول : قدمنا ما يمنع تسميتهم فسقة شرعا ولغة ، ولذا جاء في مسلّم الثبوت — من كتب الاصول — ما مثاله : لك ان تمنع كون المتدين من اهل القبلة فاسقاً بالعرف المتقدم الذي عليه القرآن الكريم — وهو شموله للكافر والمؤمن المرتكب الكبيرة اه وقال حجة الاسلام الغزالي في الاحياء : مهما اعترضت على القدري في قوله « الشر ليس من الله » اعترض عليك القدري ايضا في قولك « الشر من الله » وكذلك في قولك « ان الله يرى » وفي سائر المسائل ، اذ المبتدع محق عند نفسه ، والمحق مبتدع عند المبتدع ، وكل يدعي انه محق وينكر كونه مبتدعا اه وبالجملة فهم مخالفون بنظر غيرهم ، واما عند انفسهم فغيرهم هو المخالف وهم الموافقون ، وحاشا المؤمن عالم ان يخالف كتابا او سنة عامدا متعمدا ، فهم مجتهدون مثابون اذ لم يألوا جهدا فيما ذهبوا اليه ، وان كنت لا تقول به وترى الحجة فيما انت عليه ، على ان ما تسميه انت نصا هم يرونه ظاهرا ، اذ دعوى نصية الشيء ليست بالامر اليسير — لان النص هو القاطع

(*) لعالم الشام الشيخ جمال الدين القاسمي

في معناه ، المفيد لليقين في فحواه ، وهذا انما يكون في محكمات الدين ، واصوله التي لم يختلف فيها الفرق كلها ، واما ما عداه فكلها ظواهر ، وقد يراها البعض باجتهاده نصا ، وليس اجتهاد مجتهد بقاض على اجتهاد آخر . وعلى من يريد تحقيق هذا ان يراجع مطولات الخلاف ، ويطالع مآخذ المجتهدين ، ومن انفع ما الف في هذا الباب كتاب (رفع الملام ، عن الائمة الاعلام) لشيخ الاسلام تقي الدين ابن تيمية رحمه الله فانه جدير لو كان في الصين ان يرحل اليه ، وان يعض بالنواجذ عليه ، فرحم الله من اقام المعاذير للائمة ، وعلم ان سعيهم انما هو الى الحق والهدى ـ كما اسلفنا ـ وبالله التوفيق

(جواب شبهة اخرى)

يزعم بعضهم بأنه : يحتمل ان يكون الراوي تحمل عن المبدّع قبل تمذهبه بذلك المذهب ، وهذا جهل بمذاهب الرواة ، ومشارب الرجال ، فان كل من الف في نقد الرجال لم يذكر في المشاهير منهم انه كان على مذهب كذا ، او ان الحافظ الفلاني تحمل عن فلان قبل تمذهبه بمذهب كذا ، ومثل هذا انما يؤخذ عن النقلة الاثبات كالمصنفين في احوال الرجال ، ولا يمكن الاجتهاد فيه بحال من الاحوال ، ولذا تراهم يقولون في ترجمة الراوي : كان خارجيا . ونحو ذلك قولا واحدا . وحبذا ان يكون ما ذكره مأثورا عن امام مؤرخ مشهور . واما القول بالاحتمال ، فاذا فتح اورث الاضمحلال ، لكل ما يعول عليه في الاستدلال ، ـ ومثل ذلك ما يقال : يحتمل ان يكون روى عنه وهو غير

عالم بما هو عليه من فساد العقيدة ! فهذا يزيد عما قدمنا من الجهل بمذاهب الرواة تجهيل أئمة الحديث ، ووصمهم بما هم برآء من الغباوة والبلاهة ، وانهم يتحملون عمن لا يعرفون مذهبه ولا مشربه ، وانهم كحاطب ليل ، نعوذ بالله من ذلك . وأي عاقل يجرأ على مثل ذلك في البخاري صاحب التاريخ في الرجال ؟ بل من دونه من ارباب السنن وغيرهم ممن تكلم في الجرح والتعديل ، وميز بين صحيح الحديث وضعيفه ـ لثقة رجاله أو ضعفهم . وهل يعقل في صحاح ، وسنن ، ومسانيد ، وموطآت ، عليها مدار أدلة الاحكام ، وحجج الفروع ، صنفت على الاسانيد المنوعة والمكررة بالاسماء والكنى والالقاب = ان يكون جامعوها لا يدرون مشرب رجالها ولا ما يتحملونه ـ مع ان العامي والامي نراه اذا خدم عالما لا يخفى عليه مشربه ومذهبه ورأيه وفكره . فكيف بعالم مؤلف ، لا بل بامام مجتهد يستنبط الاحكام من الاحاديث ويترجم عليها ، ويزاحم من تقدمه من الائمة في التخريج والرد والاستدراك والتفريع والتأصيل ؟ الا يدري مذهب رجال اسناده ونحلتهم ـ وهم عمدته في الاستدلال ، وركنه في الاحتجاج ؟؟ بلى ! ثم بلى ! وهو اجلى من ان يبرهن عليه ، او يرد على من كابر فيه . ولقد كان علم الجرح والتعديل ، ومعرفة طبقات الرجال وتراجمهم من اوائل ما يدريه طلاب الحديث ومريدو التحمل عن الحفاظ ، ولكن من اين يدري ابناء هذا الجيل ، ما كان عليه السلف من فنون التحصيل ، وقد اندرست تلك العلوم ، ولم يبق منها ولا الرسوم ، فانا لله وانا اليه راجعون

وأما قول بعضهم : فكيف يستدل باخراج الشيخين على عدم جواز

المعاداة ـ مع قيام هذه الاحتمالات ؟ وكيف يسوغ للانسان ان يتمسك بالمحتمل الذي لا تقوم به حجة ؟ فقد علمت سقوط هذه الاحتمالات ، وانها اشبه بالاوهام والخيالات ، والتلاعب في الحقائق الواضحات . والمحتمل الذي تقوم به حجة هو الذي يتطرق اليه احتمال معقول ، أو تأويل مقبول ، جار على قوانين التأويلات ، والاوجه المعروفة في نظائره . واما احتمال في مقابلة حقيقة ثابتة ، وأمر واضح ، فلا يقال له احتمال ، وانما هو تلاعب وهوس خيال ، يقول ائمة الجرح والتعديل في كتبهم عن راو ـ ممن خرج له الشيخان أو احدهما ـ انه شيعي ، أو خارجي ، أو قدري ، أو مرجئ ، ثم يأتي من يريد ان ينقض هذا بالاحتمال ، وهو لم يضرب في هذا الفن بسهم ، ولا يمكن ان يرجع اليه في رأي ولا علم ، كيف لا وقد اجتمعوا على الرجوع الى أئمة الفن في هذا الباب ، لانه أمر لم يبق فيه مجال ولا نظر ولا احتمال ، وهذا من البديهيات الغنية عن الحجة والبرهان

(رفع وهم في عبارة للبخاري)

وأما زعم ان قول البخاري في جزء رفع اليدين : كان زائدة لا يحدث الا أهل السنة اقتداء بالسلف : يخالف ما استنبطناه ـ فعجيب جداً لانه لاشاهد فيه ، ولا يناسب بحثنا حتى يخالفه ، لان زائدة رحمه الله كان يمتنع عن تحديث غير أهل السنة ـ أي إسماعهم الحديث واقرائهم اياه ـ وذلك في التلاميذ منهم والمبتدئين في طلب الحديث الذين يبغون التلقي والسماع ـ وقد انتموا الى غير مذهب أهل السنة ، فكان زائدة يتجافى تحديثهم اقتداء بمن رآه من سلفه كذلك ، ولا منازعة في الوجدانيات ،

ولا يكلف المرء مالا يطيقه ، فمن كانت نفسه لاتحب إسماع من كان كذلك، فله الخيرة ولا جناح عليه في ترك الاسماع ، لاسيما لتلاميذ لم يتأهلوا بعد للنظر والوقوف على التحقيق ، فمثلهم انما يكون مقلداً لا مجتهدا . وأما حفاظ شيوخ ، ذوُو علم ورسوخ ، اوتوا من العلم والفضل ما أهلهم للتحمل عنهم ، والاستفادة من علمهم ، بحيث طارت شهرتهم ، وتفوقوا على غيرهم ، فلا دخل لكلام زائدة فيهم ، ولا يشملهم مشربه ، وهكذا نحن نقول: لا ينبغي لاستاذ ان يشرح صدره لتلاميذ اغرار ، انتحلوا غير ما يراه الحق بدون نظر أو فكر ، بل تقليدا أواتباعا لكل ناعق

وأما من بلغ مرتبة الرسوخ والافادة ، وكان على جانب عظيم من العلم ، وانتحل ماانتحل عن اجتهاد ونظر ، فلا يرتاب أحد في العناية بالاخذ عنه ، والتلقي منه ، كما فعل الائمة امثال البخاري واشياخه ، فكلام زائدة من وادٍ ، وما نقوله من وادٍ آخر . وهكذا يقال فيمن حكي عنهم من المرجئة من أهل بلخ ، وأما قوله : ولقد رأينا غير واحد من أهل العلم يستتيبون أهل الخلاف ، والا اخرجوهم من مجالسهم. فهو يعني به من ذكرناه من التلاميذ لقوله « والا أخرجوهم » وهل يخرج الا المتعلم الضعيف في العلم والفهم ، المتطفل على ماليس له بأهل؟ وشتان بين من يخرج من مجلس الحديث من أهل الخلاف وبين من يرحل اليه ويتحمل عنه منهم – كرجال الشيخين وغيرهما من هؤلاء ، ولو اطرد الابتعاد عن هؤلاء أو إبعادهم لما تلقى عنهم امثال الشيخين ، وخلد اسماءهم ومرويهم في أصح الكتب بعد التنزيل الكريم . وقد يكون مراد البخاري بأهل الخلاف أهل الرأي جموداً وتقليدا المؤثرين آراء الفقهاء على صحيح السنة – لان كتابه المذكور

وهو « جزء رفع اليدين » في مناقشة أهل الرأي وحجهم بصحيح السنة على رأيهم . وقد تجافى أرباب الصحاح الرواية عن أهل الرأي [1] فلا تكاد تجد اسما لهم في سند من كتب الصحاح أو المسانيد أو السنن. وان كنت أعُدُّ ذلك في البعض تعصبا ، اذ يرى المنصف عند هذا البعض من العلم والفقه مايجدر أن يتحمل عنه ، ويستفاد من عقله وعلمه ، ولكن لكل دولة من دول العلم سلطة وعصبة ذات عصبية ، تسعى في القضاء على من لايوافقها ولا يقلدها في جميع مآتيها ، وتستعمل في سبيل ذلك كل ماقدر لها من مستطاعها كما عرف ذلك من سبر طبقات دول العلم ، ومظاهر ماأوتيته من سلطان وقوة . ولقد وجد لبعض المحدثين تراجم لأئمة أهل الرأي يخجل المرء من قراءتها فضلا عن تدوينها ، وما السبب الا تخالف المشرب على توهم التخالف ، ورفض النظر في المآخذ والمدارك ، التي قد يكون معهم الحق في الذهاب اليها ، فان الحق يستحيل ان يكون وقفاً على فئة معينة دون غيرها ، والمنصف من دقق في المدارك غاية التدقيق ثم حكم بعد .

---

(١) كالامام ابي يوسف والامام محمد بن الحسن فقد لينهما أهل الحديث – كما ترى في ميزان الاعتدال ، ولعمري لم ينصفوهما وهما البحران الزاخران ، وآثارهما تشهد بسعة علمهما وتبحرهما ، بل بتقدمهما على كثير من الحفاظ . وناهيك كتاب الخراج لابي يوسف وموطأ الامام محمد . نعم كان ولع جامعي السنة بمن طوف البلاد ، واشتهر بالحفظ ، والتخصص بعلم السنة وجمعها ، وعلماء الرأي لم يشتهروا بذلك لاسيما وقد اشيع عنهم انهم يحكمون الرأي في الاثر ، وان كان لهم مرويات مسندة معروفة ، رضي الله عن الجميع ، وحشرنا واياهم مع الذين انعم الله عليهم

ومما نعده تعصبا ماحكاه الامام البخاري في «جزء رفع اليدين» المذكور من اخراج اهل الخلاف من مجالس الحديث حتى يستتابوا، وحمل قاضي مكة سليمان بن حرب على الحجر على بعض علماء الرأي من الفتوى، وما ذلك الا من سلطة دولة الاثريين وقتئذ، وقيامهم بالتشديد ضد غيرهم، ونبذ التسامح الذي كان عليه الصحابة والتابعون في ان يفتي كل بما يراه بعد بذل جهده في المسألة دون تعنيف او اضطهاد - لا جرم ان سنة كل قوم آنسوا من انفسهم قوة وسلطانا ان يستعملوا لبث مذهبهم ونشره هينمة الحاكم وسيطرته، ولا سيما اذا كان منهم وعلى شاكلتهم وهو مستبد في علمه وما يمضيه فحدث هناك ولا حرج. انظر الى القدرية لما دالت لهم دولة العلم ايام المأمون ماذا جرى منهم مع من لم يقل بمشربهم ولم يستجب لدعوتهم، فقد ضربت ائمة واهينوا وسجنوا الاعوام وأوذوا مما دونه التاريخ واحصاه على هؤلاء المتعصبين، وكان نقطة سوداء في تاريخ حياتهم، وان كانوا يزعمون مقاومة الحشو والجمود، وتنوير الاذهان بعلوم الاوائل مما اخذوا بتعريبه، وجهدوا في نشره، الا ان الغلو كان رائدهم، والبطش قائدهم، ولكن هي السكرة، التي يذهب معها صحيح الفكرة (اعني سكرة الدولة والغلبة، والسلطة والقوة) فما من دولة الا ونقم عليها شيء من ذلك - كما يدريه من سبر اخبار الدول وفلسفة حياتهم، ومظهر آرائهم وآمالهم

وكذلك قل عن الفتنة التي فر من اجلها امام الحرمين من العراق الى الحجاز حينما دالت دولة الحنفية، وثارت عصبيتهم على الشافعية

والاشعرية. قال التاج السبكي في طبقاته[1] في ترجمة الامام ابي سهل الشافعي: انه لما بلغ من سمو المقام ان ارسل اليه السلطان الخلع وظهر له القبول عند الخاص والعام، حسده الاكابر وخاصموه، فكان يخصمهم ويتسلط عليهم (قال) فبدا له خصوم واستظهروا بالسلطان عليه وعلى اصحابه (قال) وصارت الاشعرية مقصودين بالاهانة والمنع عن الوعظ والتدريس، وعزلوا من خطابة الجامع - (قال) وتبع من الحنفية طائفة اشربوا في قلوبهم الاعتزال والتشيع، فخيلوا الى اولي الامر الإزراء بمذهب الشافعي عموما، وبالاشعرية خصوصا - (قال) وهذه هي الفتنة التي طار شررها، وطال ضررها، وعظم خطبها، وقام في سب اهل السنة خطيبها، فان هذا الامر ادى الى التصريح بلعن اهل السنة في الجمع، وتوظيف سبهم على المنابر، وصار لابي الحسن الاشعري بها اسوة بعلي بن ابي طالب رضي الله عنه، واستعلى اولئك في المجامع، فقام ابو سهل في نصر السنة قياما مؤزرا، وتردد الى المعسكر في ذلك ولم يفد، وجاء الامر من قبل السلطان (طغرلبك) بالقبض على الرئيس الفراتي، والاستاذ ابي القاسم القشيري، وامام الحرمين، وابي سهل ابن الموفق، ونفيهم ومنعهم عن المحافل. وكان ابو سهل غائبا في بعض النواحي، فلما قرأ الكتاب بنفيهم اغرى بهم الغاغة والأوباش، فاخذوا بالاستاذ ابي القاسم القشيري والفراتي يجرونهما ويستخفون بهما، وحبسا بالقهندر. (واما امام الحرمين

(١) في ترجمة محمد بن هبة الله بن محمد بن الحسين الامام الكبير ابو سهل جزء (٣) صفحة ٨٥ و ٨٦

فانه كان أحس بالامر فاختفى وخرج على طريق كرمان الى الحجاز) وبقيا في السجن متفرقين اكثر من شهر

وفي شرح الاقناع [1] قال ابن عقيل : رأيت الناس لايعصمهم من الظلم الا العجز ، ولا أقول العوام بل العلماء - كانت أيدي الحنابلة مبسوطة في ايام ابن يونس ، فكانوا يستطيلون بالبغي على أصحاب الشافعي في الفروع حتى ما يمكنوهم من الجهر بالبسملة والقنوت - وهي مسألة اجتهادية - فلما جاءت ايام النظام ، ومات ابن يونس وزالت شوكة الحنابلة ، استطال عليهم أصحاب الشافعي استطالة السلاطين الظلمة ، فاستعدوا بالسجن ، وآذوا العوام بالسعايات والفقهاء بالنبذ بالتجسيم ، (قال) فتدبرت أمر الفريقين ، فاذا بهم لم تعمل فيهم آداب العلم ، وهل هذه الا افعال الاجناد يصولون في دولتهم ، ويلزمون المساجد في بطالتهم ، اه

ولدينا من القصص في عجائب ماروى التاريخ من التعصب مالا يسعنا الا امساك القلم عن نشره إبقاء على هذه البقية الباقية ، وفي الاشارة مايغني عن الكلم ، ولا حول ولا قوة الا بالله

وكل ذلك من التفرق الذي نهى عنه الدين ، لما يستتبعه من الازراء التي تعمل في اساسه المتين ، ويكفي ماجنت وتجني الامة من ويلاته الى هذا الحين ، حتى فشلت وذهب ريحها امام اعدائها الكافرين ، والمستعان بالله

(١) صفحة ١٣٠٩ من مطولات كتب الحنابلة في الفروع

خطبة افتتاح الاجتماع السنوي العام

(لجماعة الدعوة والارشاد)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله ، وآله وصحبه ومن والاه

ايها الاخوة الكرام !

ان أمتنا الاسلامية قد ابتليت بمثل ما ابتلي به كثير من الامم ذات التاريخ المجيد، ولكنها وصلت في هذا العصر الى درجة من الخطر لم تصل الى مثلها فيه أمة أخري فيما نعلم

لاأعني بهذا انا قد ابتلينا بأمراض اجتماعية لم يبتل بها غيرنا ،فانني أعلم ان جميع أمراضنا ، قد انتقلت الينا بالعدوى ممن قبلنا ، كما أشار الى ذلك نبينا (ص) في قوله «لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه» رواه الشيخان وغيرهما . وانما أعني بهذا انا مرضنا فأضعفنا المرض وأنهك قوانا في زمن قويت فيه أمم أخرى اخذت علينا طرق العلاج ، وسدت علينا منافذ الحياة، وفتنتنا في أنفسنا ودينا وأخلاقنا وآدابنا ، وسائر مقوّماتنا ومشخصاتنا التي كنا بها أمة واحدة

حللت بتلك الفتن بنيتنا كما تحلل الاجسام المركبة في معاملها الكيماوية ، وتجعلها غازات تطير شعاعا في الجو، وذرّات تتفرق في الارض، بل لبستنا شيعاً وأذاقت بعضنا بأس بعض ، حتى صرنا شرا على أنفسنا واضرّ من آعدى أعدائها عليها. فمنا من يقطع روابط الامة بمدية الوطنية ، ومنها من يقرض نسيج وحدتها بمقراض الجنسية اللغوية أو النسبية ، ومنا من يمزق شملها بأظافر الاحزاب السياسية . فأين الموحدون دعاة التوحيد ؟ أين أهل الجماعة طلاب الجمع والتأليف ؟ أين المصلحون بالتربية القويمة والتعليم؟

أيها الاخوة ! إن هذه الامة ، قد باتت في حيرة وغمة ، أضلها الادلاء ، وأمرضها الاطباء ، فلم تبق لها ثقة في شيء من الاشياء . وما ذاك الا ان أكثر الذين اشتغلوا

بأمورها العامة يجهلون طرق الاصلاح ، وينكبون في سيرهم عن سبيل الرشاد ، وأما العارف البصير فقد كان يعوزه الاعوان ويحال بينه وبين المراد

قالوا ان الامم تصلح بالمدارس المنظمة على النمط الاوربي . وهانحن أولاء قد شرعنا في تأسيس هذه المدارس منذ قرن كامل ، فما بالها لم تصلح شؤوننا ، ولايزال السواد الاعظم منا يرى انها لم تزدنا الا فسادا وخبالا ؟

قالوا : ان الامة الجاهلة المختلة لا تستطيع ان تصلح شأنها ، الا بعد ان يتوفر المال عندها ، فهو سبب الاسباب ، والمقدم على جميع الاعمال ، وهانحن أولاء نرى مسلمي قطرنا هذا يملكون من المال مايكفي لكل ما يحتاجون من الاصلاح . فما بال بعض الشعوب التي كانت اقل مالا منا قد سبقتنا في جميع ضروب الاصلاح ومعارج الارتقاء ؟

قالوا : ان الامة المختلة المعتلة لا ينتظم شملها ويعلو شأنها ، الا بعد أن تتخذ لها قوة حربية يخشى بأسها ، ويحول دون أطماع الطامعين فيها ، ولكنا نرى دولتنا العثمانية قد كانت وما زالت ذات قوة حربية لايستهان بها . فما بالها لم تصلح كما صلحت اليابان ، وتستغني ولو في عدة الحرب وفنونها عن الاجانب كالانكليز والالمان ؟ بل لم لم يعصمها ذلك أن تنتقص من أطرافها ، ويدخل عليها من أكنافها ؟ حتى صارت عاصمتها كما قال الشاعر :

كانت هي الوسط المحميّ فاكتنفت   بها المخاوف حتى أصبحت طرفا

قالوا : ان الامة الضعيفة تقوى باحتذاء مثال الامم المرتقية . فانا قد حاولنا احتذاء مثال الافرنج في مدة جيل أو جيلين ، ولم نستفد من ذلك الا زيادة الضعف والوهن ، اذ كان استيلاء الاجنبي على المتفرنجين ، أسهل من استيلائه على من نسميهم أو يسمونهم المتوحشين ؟

أيها الاخوة ! ان الرأي الصحيح في مصابنا ، الذي يمثل لنا أقتل أمراضنا ، هو أننا فكرنا في طريق اصلاح شؤوننا في كل شيء الا في أنفسنا ، ولعمري إن من خسر نفسه خسر كل شيء ، ومن ربح نفسه ربح كل شيء

لقد بلغ الفساد من أنفسنا ان صار كثير ممن نعدهم من أهل الرأي والبصيرة فينا ، يرون أن استيلاء الاجنبي على قطر من أقطارنا ، يسخر أهله في تمهيد طرقه له ، ومد خطوطه الحديدية لاجله ، واستخراج معادنه وثمراته لاغناء حكومته وشعبه ، وينشر فيهم البغاء والفحش ، والخمر والميسر ، ويصدهم عن ذكر الله وعن الصلاة ،

ويفتنهم بالزينة واللذة ، خير لهم من أن يظلوا على استقلالهم في عيشة ساذجة بدوية لا تعرف فنون هذه اللذات والشهوات من المدنية

اننا خسرنا أنفسنا فذلت وجبنت ، وفقدت الشعور بشرف الاستقلال الشخصي ، فجهلت قيمة الاستقلال القومي ، فلا صلاح لنا الا باصلاح أنفسنا بتربية صالحة وتعليم صحيح ، وانما نفع التربية والتعليم وصلاحهما بالسير فيهما على طريقة العمل والتوسل بهما الى العمل

ان من نسميهم خيارنا وخواصنا من المشتغلين بالعلوم والفنون هم في الغالب شرارنا ، لانهم قدوة سيئة فينا ، لا يطلبون العلم للعمل ، ولا يستفيدون به صلاح أنفسهم ، ولا إصلاح غيرهم ، وكثيرا ما يتصدى للزعامة في الامة سفهاؤهم ، فينهزم من أمامهم أمثلهم وأعقلهم

اننا لانتعلم لغتنا بالعمل ولا لأجل العمل ، ولهذا نجد أعجز الدارسين لها عن فهمها ، والاتيان بالقول البليغ منها ، هم الذين يطوون السنين الطوال في درس علومها وفنونها وفلسفتها ، فلا تكاد تجد فيهم كاتبا مجيداً ، ولا خطيبا مؤثراً ، وبهذا ضعفت اللغة عن حمل ما استحدث من مصطلحات العلوم والفنون في هذا العصر ، حتى كادت تعد لموتنا من اللغات الميتة ، وهل يمكن وجود أمة حية بدون لغة حية ؟

اننا لا نتعلم ديننا بالعمل ولا لأجل العمل ، ولهذا فسدت أخلاق عامتنا ، بفساد أخلاق قادتنا ، وتركهم ما أوجب الله عليهم من الدعوة الى الخير ، والتواصي بالحق وبالصبر ، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فانتكث بهذا الفساد فتلنا ، وتفرق شملنا ، وارتخت الروابط الملية فينا ، وضعفت ملكة التعاون في أنفسنا ، فاذا فقدنا قوة الوحدة بالعقائد الدينية ، والاخلاق الملية ، والتعاون على المصلحة العامة ، فبماذا نكون أمة واحدة قوية ، ونحن لا تجمعنا لغة واحدة ، ولا حكومة واحدة ، ولا مملكة واحدة ؟

اننا لا نتعلم العلوم الطبيعية والصناعية والمالية بالعمل ولا لاجل العمل ، ولهذا لا يوجد فينا المخترعون ، ولا يظهر منا المكتشفون ، ولا ينبغ منا الصناع ولا الماليون ، حتى صرنا بعد الشروع بتعلم هذه العلوم بمئة سنة عيالا على الاجانب في جميع أنواع الحاجات التي يدور عليها أمر المعاش ، كالماعون واللباس والاثاث والرياش ، بل صرنا عالة عليهم ، حتى في حماية أنفسنا منهم ، فاننا نشتري منهم جميع أسلحتنا وذخائرنا وبوارجنا الحربية ، ونتعلم منهم الفنون والأعمال العسكرية أليس هذا

أغرب ضروب الكسل والاهمال، والتواكل المفضي – ان دام – الى فقد الاستقلال ؟

* * *

إن الكلام في وصف حالنا يطول ، والشيء اذا كثر مملول ، ووصف العلاج أهم من وصف الداء ، وانما دواؤنا التربية الملية والتعليم العملي ، وأول ما يجب البدء به منه تخريج رجال لاهم لهم من حياتهم الاخدمة الامة واصلاح شؤونها ، والنهوض بها الى المستوى اللائق بها في هذا العصر ، فانه لا يعوزنا شيء في سبيل الحياة التي نريدها الا المعلمون المربون ، وان شئت قلت المرشدون الصادقون .

ان من مصائب الاسلام انه لايوجد في أهله طائفة تقوم بالارشاد العام للمسلمين كما كان على عهد سلفنا الصالح ، وكما هو معهود عند الامم الاخرى كرهبان النصارى وقسوسهم ، فصار المسلمون فوضى في أمر دينهم وتربيتهم وآدابهم ، التي عليها مدار حياتهم ، فمنهم الجاهلون الذين يقضون حياتهم لايرون مرشدا عالما مربيا يتعاهدهم بارشاد أو نصيحة ، ومنهم الذين انصرفوا الى مدارس دعاة النصرانية أو الحكومات يقتبسون العلم والاخلاق والآداب منهم . ولهذا لم تر الامة الاسلامية اصلاحا من المتعلمين في هذه المدارس بل رأت منهم مفاسد كثيرة ، أهمها تفريق كلمتهم ، وافساد آدابهم ، ودعوتهم الى روابط ملية واجتماعية لا تتفق مع دينهم وتاريخهم

وأما المدارس الدينية – على قلتها في العالم الاسلامي – فقد صارت كلها مدارس دنيوية يطلب العلم فيها لاجل المعيشة بالقضاء أو الافتاء أو التدريس ، ولاتكاد ترى الامة منها مرشدين يتعاهدونها في البلاد والقرى والمزارع والبوادي . ولكنها ترى دعاة النصرانية في جميع هذه الاماكن . ولا أخوض في تعليم هذا الصنف من المسلمين وتربيته واخلاقه هنا . وما ذلك بالذي يخفى عليكم

تعلمون أن اخاكم الذي بين يديكم قد اختبر أحوال العالم الاسلامي اختبارا لم يتيسر مثله الا لقليل من أمتنا ، وكانت نتيجة هذا الاختبار أنه يعتقد اعتقادا قاطعا بأنه لارجاء لامتنا الاسلامية بالنجاح والفلاح الا بتربية خاصة وتعليم خاص لطائفة من المسلمين ليكونوا مرشدين ومعلمين لامتهم ثم لغيرها من الامم كما يليق بهدي الاسلام، الذي أكمل الله به دين الانبياء عليهم الصلاة والسلام. لا يشتغلون بغير ذلك ألبتة فحسبهم إصلاح النفوس وارشادها الى العمل بما تعلم ، وقد رأيت عقلاء المسلمين من العرب والترك والفرس والهنود وغيرهم متفقين معي على هذا الرأي

هذا هو العمل الذي تألفت له جماعة الدعوة والاشاد وكنتم أيها الاخوة الكرام من

السابقين الاولين لاجابة دعوة الداعي الى تأسيسها، وبذل شيء من المال للبدء بالعمل فيها،

ان من أغرب ما ابتلي به المسلمون من الخذلان أنه لايقوم أحد منهم بعمل نافع لامتهم الا ويتصدون لمقاومته، ووضع العثرات في سبيل العاملين معه ، ويشتدون في ذلك بقدر نفع العمل

عندنا في مصر منكرات كثيرة ، وبدع عديدة، وقلما نرى أحدا يشنع على أهلها ويرجف بهم ويرميهم بالتهم الموبقة . وانما يقذف بأشد التهم من يتصدون للخير وعمل البر والاصلاح في الامة

لما أسست الجمعية الخيرية الاسلامية بمصر وجد في المسلمين حتى في أصحاب العمائم من أرجف بها واتهمها بالسياسة وسعى بها لدى الحكومة والمحتلين بأنها تمد مهدي السودان بالمال مساعدة له على مصر . وقد زوروا أوراقاً وختما لاثبات ذلك . ولولا عزيمة الاستاذ الامام ومن ثبت معه من أصحابه لقضي على هذه الجمعية وهي في مهدها

وأما جماعتنا هذه فقد تصدى بعض المسلمين لقتلها ووضعها في اللحد ، قبل ان تولد وتوضع في المهد ،

أول تهمة قذفنا بها المرجفون في جريدة العلم المصرية هي اننا نؤسس جمعية سرية ، لاسقاط الدولة العثمانية وإنشاء خلافة عربية ، وكانت حجتهم على ذلك أننا نخفي عملنا ، ولا نظهر للناس اسماءنا وقانوننا . وكان ذلك قبل أن تتكون الجمعية ويتفق المؤسسون على نظامها الاساسي الذي قدمه اليهم هذا الداعي اليها

حقا إن إخفاء العمل مدعاة الارتياب فيه، لانه دليل على مازعمه المرجف، ولكن إظهاره وإباحته لكل أحد لا مجال معه للريبة ، فاظهار عملنا برهان قاطع على بطلان تلك التهمة ، ومحو تلك الشبهة، ولو كان المرجف يعتقد ما كان يقول لرجع عن قوله ، واستغفر لذنبه ، عند ما تم تكوين الجمعية ونشر نظامها حتى في الجرائد . وعلم انها جمعية عامة لكل المسلمين لا فرق فيها بين عربي وتركي وفارسي وتتاري وهندي وملاوي وصيني ...

نشر نظام الجماعة وفيه اسماء اعضاء إدارتها فلم يرجع المرجف عن إرجافه، فكان ذلك دليلا ظاهرا على سوء نيته ، وفساد طويته ، وكان يسهل عليه وعلى من يثق باخلاصهم للدولة أن يشتركوا في هذا العمل ويكثروا عددهم فيه حتى يكون أمره في أيديهم، فيخدموا به الدولة ، فلماذا لم يفعلوا ؟ وقد دعوا الى ذلك فلماذا لم يستجيبوا ؟ واننا لا نزال ندعوهم اليه فليقبلوا .

زعم المرجف في أول العهد بارجافه ان هذه الجماعة تنشأ او انشئت بأموال احمد عزت باشا العابد ، وفائق بك من خدمة السلطان السابق ، وان هذين الرجلين لايبذلان المال لمثل هذا العمل الا اذا كان فيه كيد للدولة العلية !! ولم يكن احد من المؤسسين يعرف هذين الرجلين ، ولا كانا هما يعرفان شيئا عن هذا العمل ، ولادفع له أحد درهما ولا دينارا . وقد كاد يمر على هذا الارجاف وهذه الفرية ثلاث سنين ولم تنل الجماعة شيئا ما من ذينك الرجلين . ولا يبذل للجماعة أحد شيئا الا وينشر في الجرائد ويثبت في دفاترها وها هي ذي بين أيديكم

رددت على المرجف في ذلك العهد بمقالتين بينت فيهما انه لايعقل أن تؤلف جمعية جهرية عامة مثل جماعتنا لغرض سياسي يقصد به اسقاط دولة عظيمة ، وانشاء دولة جديدة، وان تكون الوسيلة الى ذلك مدرسة . فعاد المرجف الى تنفير الناس من هذه الجماعة بدعوى انها تعرض المتعلمين في مدرستها للهلاك ، لأنها اذا ارسلتهم للدعوة الى الاسلام في مثل بلاد السودان وغيرها من البلاد الواقعة تحت سلطة الأجانب ينصب لها الانكليز وغيرهم (المشانق) فيقتلونهم ويصلبونهم ويسومونهم سوء العذاب، ـ أي إن هذه المدرسة الدينية اذا لم تسقط الدولة العلية وتؤسس دولة اخرى، فانها ستعرض من تربيهم وتعلمهم للعذاب المهين (ما أعجب هذه الرحمة وما أغرب هذه الشفقة)

اعتقد المرجفون ان مولانا عزيز مصر يرجى ان يمنح هذه المدرسة مساعدة عظيمة من الأوقاف ويحوطها بعنايته ، لما يرون منه كل سنة من زيادته لنفقات المدارس الدينية (الازهر وملحقاته) وكذا غير الدينية (كالجامعة المصرية) فطفقوا يعرضون بذلك تعريض تنفير، ثم صرحوا به في غير هذا القطر تصريح تهمة وتشهير، ظانين لقصر نظرهم وضعف عقولهم، أن هذا النوع من الارجاف، هو الذي يحول دون هذا النوع من البر والخير،

هذا الاسراف والغلو في التنفير عن هذا العمل العظيم الذي هو فرض ديني يحيي جميع الفروض والسنن ، وهذا التناقض والتهافت في مقاومته ، ليس سببه الحسد والبغضاء لمن دعا اليه ومن قاموا به فقط كما يظن كثير من الناس، بل هنالك سبب آخر أخفى من هذا وهو أن بعض أعداء الاسلام في غير هذا القطر هم الذين أغروا زعيمي المرجفين هنا (١)

---

(١) المنار : المراد بزعيمي المرجفين محمد بك فريد رئيس الحزب الوطني والشيخ عبد العزيز شاويش الذي كان رئيس تحرير جريدة العلم وكتب ما كتب فيها بأمر فريد بك . والمغري لهما بمقاومة هذا المشروع الديني هو طلعت بك من زعماء جمعية الاتحاد والترقي الذي أفسد المشروع في الاستانة سرا وكان يظهر مساعدته جهراً ، وأما بقية المرجفين فهم المحررون في جريدة العلم أو بعضهم

وليس من موضوعي أن أشرح ذلك، وانما الغرض البيان الاجمالي للمهم من تاريخ هذا العمل وجعله تمهيداً لبيان حالة الجماعة المالية

تعلمون أن أكثر الناس كما قال سيدنا علي كرم الله وجهه (اتباع كل ناعق) وأنهم لفشو الفساد في البلاد يصدقون الشر أكثر من تصديق الخير ، وأنهم لايمحصون مايلقى اليهم من القول ليميزوا بين المعقول منه وغير المعقول ، وأنهم لايحتاجون في الصارف عن بذل المال لخدمة الملة والامة الى البراهين القاطعة والحجج الناهضة، بل يكتفون فيه بالايهام ، ويتكئون على أوهى الشبهات والأوهام ، ولولا كثرة هؤلاء ، لما طمع أمثال أولئك المبطلين في مقام الزعماء ، وستظهر للجميع الدلائل الوجودية المشاهدة فتقطع ألسنة المرجفين، وتقنع جميع المقلدين

أصغر مثال وجودي من ذلك هو أن من نظام مدرستنا أنه يجوز للطلاب الداخلين أن يقيموا فيها مدة عطلة الصيف ، من شاء منهم . فالذين استحبوا الاقامة فيها مدة الصيف الماضي كان ثلاثة أرباعهم ممن جاءنا من رواق الترك في الازهر بين تركي وشركسي والرابع من رواق المغاربة . فهل يعقل أحد أننا نحاول هدم الدولة العثمانية بأمثال هؤلاء ؟

ومثال آخر من نوعه تعدد اجناس الطلاب بالفعل وارتفاع سنهم ، فانتم ترون أن منهم العربي ـ المشرقي والمغربي ـ والتركي والتتاري ـ والشركسي والهندي والجاوي والملاوي ، واكثر العرب من المصريين فهم زهاء النصف في القسم الداخلي ، والربع في القسم الخارجي ، وترون أن سنهم تتراوح في القسمين بين العشرين والثلاثين فهم في سن الرشد والاستقلال العقلي ، لا من الاطفال الذين يقبلون بكل مايقال لهم، حتى يمكن المراء في أمرهم ، ويزعم المرجف انه يمكن إقناعهم على اختلاف أجناسهم بالسعي لاسقاط دولة يحبونها ويتمنون بقاءها ، لاجل انشاء دولة يجهلونها ولا يثقون بامكان وجودها ، وانما كان يسهل المراء في ذلك قبل وجوده بالفعل بادعاء انه تمويه كتب في نظام المدرسة لمخادعة الناس وهو لا ينفذ كما كتب

علمتم من هذا البيان أن تلك الاراجيف الباطلة هي التي كانت المانعة لمؤسسي هذه الجماعة من دعوة الناس الى الاكتتاب العام لها ، وتأليف اللجان لذلك ، واكتفائها باشهار عملها وانتظار الفرصة لتلك الدعوة ، بعد أن يكون العمل نفسه يشهد لنفسه بانه أفضل خدمة عامة للاسلام . وانه خير محض لهذه الامة بل يشاركها فيه كل من يعرف قيمته من الناس ، وسيظهر هذا بظهور العمل واستمراره ولو زمنا قليلا حتى

لأشد الناس تقليداً للمرجفين ، وبعدا عن استقلال الفكر والرأي . فان هؤلاء اذا كانوا لايعقلون البراهين الدالة على كذب المرجفين وسوء نيتهم ، فهم لا يجهلون الامور الحسية التي لا يمكن أن يشاغب فيها المماري كالمثالين اللذين أوردناهما آنفاً

أرجأنا الاكتتاب العام انتظاراً للفرصة المناسبة فلم تسنح لنا الى اليوم فاننا لم نلبث بعد الشروع في مبادئ العمل الا قليلا حتى وقعت الحرب في طرابلس الغرب وانصرفت همتنا مع الناس الى جمع الاعانة لاخواننا المدافعين عن بلادهم وأنفسهم ، وما كان يمكن أن يدعى مع ذلك الى إعانة أخرى. وها نحن أولاء نرى دولتنا قد اصطدمت قبل انتهاء تلك الحرب بحرب أخرى أدهى وأمر ، وأنكى وأضر ، ونحن مضطرون الى السعي لاعانتها عليها بجمع الاعانات المالية .

فهذه هي الاسباب في قلة ما ترونه من المال في الارقام التي سأعرضها عليكم من دخل الجماعة وخرجها منذ تأسيسها الى آخر سنتها المدرسية الماضية . ومنها تعلمون ان الفضل الاول في تاريخنا المالي يعود الى المحسن العربي العظيم ، الشيخ قاسم بن محمد آل ابراهيم ، عضو الشرف الاول لجماعتنا . ثم للاعضاء المؤسسين منكم ايها الاخوة ، الذين لم يسلبهم استقلالهم وغيرتهم الارجاف والصد عن سبيل الله فسارعوا الى بذل ماتنال به عضوية التأسيس وهو عشرون جنيها مصريا على الاقل . ثم لسائر السابقين الى الاشتراك والتبرع ، والرجاء في المستقبل بفضل الله عظيم

ان رحلتي الى الهند في هذا العام ستكون فاتحة لباب من أهم أبواب تاريخنا المالي ، فقد صار لجماعتنا ولمدرستنا به شهرة عظيمة عند اخواننا مسلمي الهند الذين رأيتهم من أشد المسلمين غيرة دينية ، واستمساكا بعروة الرابطة الاسلامية ، وأنداهم كفا في مساعدة المشروعات العلمية والخيرية ، ولاجل هذا اتفق اخواني اعضاء مجلس الادارة على الاذن لي باجابة دعوة (جمعية ندوة العلماء) الى رياسة مؤتمرها السنوي في هذا العام ، ثم لاجل صلة التعارف والموادة بين المشتغلين بأمر التربية والتعليم في أرقى بلاد الاسلام (مصر والهند) ولولا ان الحكومة الانكليزية الهندية حسبت أن لرحلتي معنى سياسيا فيما يسمونه « الجامعة الاسلامية ، لمقاومة الدول الاوربية » وأن والي (لكنهو) رماني بالظنة ، ووضعني موضع التهمة ، لما منعني مانع من تأسيس شعبة لجماعة الدعوة والارشاد ، في ذلك البلد العظيم وغيره من تلك البلاد ، ولكنني علمت أن المسلمين هنالك لايقبلون على مساعدة عمل ترى الحكومة ان له صبغة سياسية ضارة بها ، ورأيت العقلاء وأهل الرأي منهم متفقين على أن عملنا هذا اذا عرف

على حقيقته وعلمت الحكومة الهندية انه ديني محض لاشائبة فيه للسياسة (كما هو الواقع) ثم دعي مسلمو الهند الى مساعدته فانهم يفيضون عليه الذهب فيضا

على أن بعض أهل العلم هناك قد ترجموا نظام مدرستنا (دار الدعوة والارشاد) بلغتهم الاوردية . وتبرع بعضهم بطبعه ونشره لتشتهر المدرسة والجماعة في جميع تلك الممالك ، والله المرجو لما وراء ذلك

أما الرجاء الاكبر لمدرستنا في الارض فهو مولانا عزيز مصر (عباس حلمي الثاني) الذي أنشئت في ظله ، وتعد من حسنات ملكه ، لانها أول مدرسة في الاسلام ، قد أنشئت لتخريج المرشدين والدعاة اليه في جميع الانام ، وناهيكم بعنايته العليا بمعاهد العلم والدين ، وغيرته على مصالح المسلمين ، ثم أسرته العلوية المباركة التي تدفقت أيديها في مساعدة المدارس الدنيوية ، والمشروعات الخيرية ، فلا يعقل أن تقبضها عن إعانة هذه المدرسة الدينية ، والله المنعم والموفق لموجبات الشكر والمزيد ، وله الحمد في الاولى والآخرة وهو الولي الحميد

حقيقة احوال مسلمي جاوه

رسالة من صاحب الامضاء من طلاب العلم في مكة المكرمة :

(أيهما أنفع للهيئة الاجتماعية الترقي أم التدلي ؟ !)

في العام الماضي بينما كنت متطلعاً بقراءة مجلة (المنار) إذ هي إحدى المجلات التي تبحث في المشكلات الشرعية وفلسفة الدين ، وحبا في مباحثها النفيسة المفيدة، طالعت جميع مافيها من البحث في العلل الروحية والامراض الاجتماعية التي طرأت على المسلمين ، والبحث في شؤون الاجتماع والعمران ، وفي ذلك العام ١٣٢٩ صدر من المجلة عدة أجزاء أهمها ثلاثة — الخامس - والسابع - والعاشر - فهرولت في طلبها ، واعتنيت في تحصيلها الى ان ظفرت بها ، فتناولتها بيمين الاجلال ،

وتصفحت صحائفها باشتياق واقبال ، رغبا ان أجد فيها ما يشفي لي الغليل ، ويبرئ الضمير العليل ، في المشكلات الشرعية ، فاذا انا رأيت فيها ناطقا بشؤون مسلمي جاوة ، و باحثا في أمورهم الاجتماعية ، من حيث التأخر والتدلي والانحطاط ، والجهل والهبوط والخرافات ، ولم أرها تعرض في ابحاثها ومقالاتها الى شيء من حقائق شؤوننا بقطر الجاوة في هذه الازمنة ، الا النزر اليسير، سيما ما كتبه الكاتب في الجزء السابع من الجفوة ، لان في عبارته جفخا (١) بأهل قطره (ماليزيا) ، وتفضيلا لابناء جنسه ، ولا يرمى شيئا من الفوائد والنصائح التي ينبغي ان نعتني بشأنها ، فيدلنا ذلك على ان الكاتب دبت اليه عقارب الحسد والبغض والنزاع ، واصبحت رسالته غير مشتملة على الخدمة الملية والجامعة الجاوية بل هي مجرد الدقفة (٢)

ان شؤوننا لم تزل ضعيفة خرافية فعلينا وعلى سائر اخواننا المحبين لخدمة الملة ارجاع النظر واتخاذ وسائل المساعدة والمعاونة لترقيتها الى منبر التقدم وتقديمها الى محراب الحضارة ، فان الامم المجاورة لنا وهي — اليابانية — والصينية — قد طلعت بمشيئة الله تعالى شموس الترقي والتقدم والحضارة في بلادها . وظهرت بارادته نجوم المعارف والعلوم والصناعة والفنون في آفاقها ، حتى جاء انقلابها في احوال التجارة وامور السياسة والادارة فائقا . ولما كان مثله في الامم الاوربية ، جمع كثير من الفضلاء حوادثها التي تسر الناظرين في الأسفار ، وصانوا ديباجتها عن غبار الشنار ، قائلين انه اذا دامت الامة اليابانية ٤٠ سنة على هذه الحركة العلمية العملية ، فلا بد ان تحل في الشرق محل الامم الغربية ، (انظر المجلة المصورة بينتانغ - هندية الصادرة في بندونغ (سنده) سنة ١٩٠٤ العدد ٥) وان صناعات اليابانيين اليوم تفوق صناعات الاربيين بكثير حتى ان ما يساوي قرشا بالاصالة يساوي دينارا بالصنعة (انظر « رسملي كتاب » الصادر في الآستانة في نيسان ١٣٢٨ العدد ٣٩ مجلد ٧) وان الامم الصينية الآن في بدء الانقلاب فسيمنح الصينيون الحرية الدينية والشخصية ، وتغير الحكومة القديمة بالحكومة الجمهورية وهي التي سماها أهل الغرب : (Le gouvernement de la Republique)

(١) جفخ الرجل جفخا : فخر وتكبر (٢) الدقفة . هم المظهرون لعيوب الناس

وهي نظام الحكومة في اميركا وفرنسا وغيرهما ، وقد تصدر الحكومة الاوامر بتبديل الملابس والطرز القديم ويكون أهالي الصين مكلفين باتباعها و يستثنى من ذلك المسلمون ، وقبلت الحكومة أيضا راية جديدة فيها ألوان شتى فالبياض علامة المسلمين والحمرة علامة أصل الصينيين والسواد علامة المانجو والخضرة علامة التبت والصفرة علامة عنصر المغول ، فشاعت هذه الاخبار وذاعت بين الاقطار والبلدان ، ورأينا الصينيين المقيمين في قطرنا (الجاوة) يترقون شيئا فشيئا اتباعاً لحضارة حكومتهم و بلادهم ، واجمعوا على وجوب تعميم التعليم وانشأوا مدرسة كبيرة لابناء بلادهم المقيمين في تلك الجزائر ، سموها "Tiong-Hoa - Hwe - koan" و بذلوا لهذا الغرض الشريف كل ما في وسعهم مما يحتاج اليه من المال ، مع اختيار أكمل الرجال ، ويزداد عدد التلاميذ يوماً بعد يوم ، والفضل في ذلك لنظارة المعارف "Khong-Joe-Wie" وقد سمعنا صوتا سياسيا قبل الانقلاب : ان المملكة الصينية اذا ارتقت كالدولة اليابانية تهول الدول الاوربية وتخيفها فان مملكتها فسيحة وسكانها مئات الملايين ومقدار المسلمين فيها على مقتضى احصاء الحكومة خمسة وخمسين مليونا (١) وانظر مبلغ أصل الصينيين والمانجو والتبت وعنصر المغول كم يكون ؟

واخواننا مسلمو جاوة على هذه الحركات المدنية والحضارة وادوار المملكة الممكنة من عهود تجدد ، وشروط تؤكد ، ونظام يتغير ، وانقلابات تظهر ، تراهم بين أمواج التأخر ، والانحطاط والتقهقر ، كل الاوصاف الخسيسة عليهم انطبقت ، وسحائب الجهل والكسل والظلم والاستبداد وكل نعوت الدناءة فيهم قد تزايدت وتراكمت ، حتى لا يعدم منهم سوى تمسكهم بكلمة الشهادة ، وتلفظهم بالهيللة ، ومن العجائب انهم يتركون ما يجب علمه وعمله لحماية دينهم وملكهم ، من تنظيم المدارس وقراءة الجرائد والمجلات ، والإلمام باللغات الاجنبية . وان هؤلاء القوم قد أشربوا حب النصارى في قلوبهم ، واستحضروا عظمة ملكهم ، ولاحظوا توفر

(١) المنار : كثر اختلاف الناس في عدد مسلمي الصين وقد قال لي فضل باي أحد سروات بمباي (الهند) انهم بلغوا في آخر احصاء أو تقدير أي بعد الانقلاب ثمانين مليونا

الدنيا بأيديهم ، ولكنهم لا يعملون ماينيلهم ذلك . فحقوق المسلمين أو الواجبات عليهم هي ان لايبدلوا الملابس والطرز القديم ، فالازياء والوساخة والطاقية الخشبية والنعل المعروف بالقبقاب من مصنوعاتهم هي عين الدين ، والمدارس العقيمة على الطريقة العتيقة هي طريقة السلف والخلف فينبغي لنا إبقاؤها ، والجرائد والمجلات غاية ما فيها العبث والكذب والزور فينبغي اجتنابها ، لذلك نرى رجال الدين الاسلامي عندنا معاشر الجاويين قلما يعرفون شيئا من أمور العالم . فانهم جعلوا ما لاشائبة فيه من الاشياء الممنوعة المحرمة ، وجعلوا الافعال الفاحشة والاشياء الخرافية اجماعا سكوتيا ، ولا حاجة بنا الى التصريح بها فانها معلومة لدى الشيوخ في بلاد الجاوة الشرقية خصوصا في (فونوروقو) ومتعلقاتها ، فلا حول ولا قوة الا بالله واعاذنا الله من ذلك !!

على ان الذين يأتون ذلك هم الذين يقرؤن التفاسير فهل النهي عندهم للجواز ؟ وهل فسر المفسرون النفي بالاثبات والاثبات بالنفي ؟ (حاشا لله !!!) اللهم ارنا الحق حقا وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه ، ولا يسخر الاجانب من المسلمين الا بمثل هذه الافعال الفاحشة ، لا بأفعال الجاهلين منهم الذين لا يمسون ادنى التمدن بل يمسون التوحش ، والحق انهم ليسوا علماء وان كانوا يقال لهم ذلك .

كيف وقد وضعوا الشيء موضع نقيضه ؟ بل هم أدل الآيات على جهلهم وفضيحتهم في التحريف ، وتسبب من هذه الافعال نفور الجاويين من دياناتهم الرسمية وميلهم الى الديانة المسيحية او الى غيرها أو الى الكفر المجرد لا مسيحية ولا غيرها ، غير انهم لم يمحوا منها كل ما هو اسلامي بدليل بقاء بعض الشعائر الاسلامية والاعياد الملية ثابتة هناك كالاحتفال بالمولد النبوي وغيره ، وان من تزوج بغير نكاح ومن لم يختتن او من مات بالكفن الأسود من الجوخ (١) هذا كله قد عرف العوام فضلا عن الخواص انه باطل ولا يفعله احد ،

ومما نأسف له من تأثير جهلهم انهم كلما خرجوا من وطنهم ضرب عليهم الذل والهوان ، ويدلك على ذلك الحجاج الجاويون فانك ترى مطوّفيهم يلعبون بهم

(١) المنار : لم نفهم هذه الجملة

لعبة الكرة - وكذا وكلاء المطوفين - ويظلمونهم ويؤذونهم وترى الحجاج في هذا الظلم والجور مثل البهائم لغلبة الجهل عليهم ، ولو عرف القراء ما عرفته من حال المطوفين ووكلائهم وسفرائهم بهذه المدة ليعجبوا اشد العجب ، ولا يمكن ان يقع كل هذا الظلم على من كان له قليل من له الإلمام بقوانين الدولة وبصيص من نور الحضارة وكثرة قراءة في الجرائد والمجلات ، فالانسان ما وصل الى هذا الحد الا بعدم المعرفة لشؤون العالم ، وعدم الالمام بأمور الاجتماع والعمران ،

فاتني ان أطلع القارئ على أن المتنصرين لهذا العهد يوميا من مسلمي جاوة في جزيرة سورباية لا يقلون من اربعين انسانا وقس عليها ملحقاتها — سمارنغ — بتاوي — سوراكرتا — ودعاة النصرانية فيها يخدعونهم بالاستمالة تارة ويأخذونهم بالقهر والغلبة مرارا ، ومن الغرائب ان رجال الدين الاسلامي هناك ساكتون لايقاومون ولا يدافعون حق الدفاع ، بل نرى رجال اليابانيين المقيمين في تلك الجزائر هم الذين يناضلون ويدفعون اولئك الدعاة الدجاجلة كما حدثني بذلك الثقة ، كان الاولى والاحق بهذا الواجب هم الاولون ، ولا ندرى سبب سكوتهم عن ذلك ، نعم انهم يتلون قوله تعالى (ان الهدى هدى الله)

**

إن مقاصد استيلاء هولاندة على جزيرتنا بعد ان استأثرت بمنافعها هي : —

(ا) نصب القضاء بيننا بالعدل والرأفة وبالشورى

(ب) تحسين حالتنا وترقية شؤوننا المادية وسنكون بعد ٤٠ سنة في المهارة بالصناعات مثل أوربا

(ج) تحكم حكومة هولاندة علينا بحسب قانونها ويكون مطبقا على كتاب الله وسنة رسوله ،

(د) لاتريد الحكومة الهولاندية في جاوة والهند الشرقية ازالة الديانة الاسلامية بل تريد الاصلاح وبقاء الحال على ما هو عليه ،

ثم لها عدة مواد تعاهدنا (لعله عاهدت عليها) اميرنا الافخم ونحن ننشر ماهو مفيد منها لجماعة الدعوة والارشاد . تقول مجلة المنار في الجزء السابع (ص ٥١٩) نقلا عن أقوال

المجلة السويسرية (مجلة ارساليات التبشير البروتستانية) : « ان حكومة هولندة تشد أزر المبشرين اكثر من الحكومة الانكليزية وقد رتبت لهم مرتبات مالية لتصرف على المستشفى والملاجئ والمدارس ، وسبب هذا الاتفاق بين الحكومة الهولاندية والمبشرين وجود (فون بوتزيلر) قنصل المبشرين والوسيط بينهم و بين الحكومة »

(قلت) إن صحت هذه العبارة فانها تدل صراحة على ان الحكومة الهولندية تريد ازالة الديانة الاسلامية ، والتحول عنها الى الديانة المسيحية ، فلاوجه للتعاهد على ابقاء الاسلام . مع هـذه الصراحة ، فازداد بها يقيني وانكاري ، وشمرت بها الى فتح طريق الاعتراض والانتقاد على المادة الرابعة (د) وفوق ذلك نرى اخواننا شبان الجاويين قـد اعترضوا على المواد المذكورة فأسسوا جمعيـة الاتحاد العام Boedi – Oetomo اي الاخلاق الفاضلة فهم يرومون بها التربية والاستقلال ويتخذون لذلك وسائل شتى ، ولها جريدة خاصة باللسان الجاوى والمالبزى سموها (دار ما – كوندو) تبحث في شؤون هـذه الجمعية حتى اصبحوا ولله الحمد قد اخذت تظهر فيهم بوادر الانقلاب ، فلو كان جميع الزعماء من المسلمين عارفين بمقاصد جمعية « الاتحاد والترقي » وسياستها وارادوا ان يتبعوا سننها شبرا وذراعا بذراع في الامور المادية والمعنوية جميعا لفعلو بلا معارض ، فكما طلعت شموس الانقلاب وفجوره طلعت ايضا رءوس المدارس الاسلامية محصورة في بعض المدن والقرى حتى بلغ المنشأ حـديثا زهاء خمس مكاتب على طراز جـديد ، ونخص بالذكر منها مدرسة بتاوي ومدرسة فكالوعان ومدرسة سورابية ومدرسة سوراكرتا ومدرسة بجوكجاكرتا . وهاتان المدرستان هما اكبر المدارس الدينية فيها اذ مؤسس المدرسة بسوراكرتا هو الجناب العالي اميرنا الافخم عبد الرحمن العاشر ، ومؤسس المدرسة في جوكجرتا الحكومة الهولندية بامر الحاكم العام في بتاوي ، وكلها عامرة بالتلاميذ ، غير ان أساتذتها لا يعرفون نظام المدارس في الاستانة ومصر المحروسة بالفعل ، لذلك فشافيها شيء من الطريقة القديمة حتى جاء ذلك المصلح الكبير نجل السادة الاعيان ، والعلماء الاعلام ، سيدي السيد عبدالله بن صدقة بن زيني دحلان ، فساعد على تنظيمها رغبة في نشر العلم وتربية الناشئين تربية دينية تهذيبية (جزاه

الله تعالى و باركه) ولعمري اني لم أر أحداً من رجال الدين بمكة المكرمة السائحين في قطرنا (الجاوة) بثوا فيها شيئا من المعارف الا ذاك الرجل المتمسك بالنظام والآداب الحميدة فهو من نوادر السائحين ، وقد كتب الي كثير من الاخوان في ضمن الـكتب عبارات الشكر له والامتنان منه ،

لقد اتى على التمدن العربي ما شاء الله من الدهر ، متداولا عصرا بعد عصر ، ولم تنهض الهمة بأحد من اهله الوافدين على تلك الارجاء كأولئك الحضارم الى بث العلوم والمعارف في تلك الجزائر ، بل اهملوها أهمالا لم تعرف مثله الاشباه والنظائر ، وكان همهم محصورا في جلب الدراهم من ايدي الناس ، حتى جاء هذا المصلح المشار اليه وكان كثير من الاجانب قبل مجيئه يضحكون منهم بخلاف الاوربيين السائحين هناك فانهم ينشئون المكاتب والمدارس ويبثون لغتهم بين أهل اللغة الجاوية لتؤلف قلوب الاطفال والناشئة ، واغتر كثير من المسلمين بذلك فقلدوهم تقليدا اعمى من غير حاجة اليه في لباسهم وطعامهم ، وفي حركاتهم وسكناتهم ، حتى ان البعض منهم رفض الديانة الاسلامية توغلا في تقليدهم ويحسبون أنهم يحسنون صنعاً ، !!!

ومن أعجب أساليب التقليد وتأثير خرافات الأمم الراقية في المسلمين المارقين انهم يزعمون ان العرب ليست أهلا للحضارة والمدنية استنادا لما رأوا من هؤلاء الحضارم والمسلمين الجاويين في تأخرهم وانحطاطهم ، فما كان ألذ سماع هذه الـكلمة منهم في آذان الاوربيين

ولقد بلغ من عمران الدولة العربية في الشرق والغرب مالم يبلغه عمران دولة قبلها ، انظر الى الامويين في دمشق والاندلس ، والعباسيين في بغداد ، تر من رقيهم في الصناعات ومعارج العرفان مالايقوى الافرنج على انكاره ، ودونك كتاب مدنية العرب (civilisation des orabes,) تأليف جوستاف لوبون تر فيه المعجب والمطرب ، فهل تريد بعد ذلك كله برهانا على صحة دين الاسلام الحنيف ، وحجة على حقيقة من اهتدينا بهديه وانتهجنا سبيله ، ؟

إن أهل أوربا كانوا لاهين عن العلوم ساهين عن ايقاد نبراسها حتى انهم

لما أفاقوا من غفلتهم وهموا بالخروج من ظلمات الجهل، وطلبوا النور الذي كان لاسلافهم ونبذوه هم وراء ظهورهم، كادوا لايجدون له من أثر في غير الاديار، فالتجؤا الى العرب وتعلموا في مدارسهم، واستضاؤا بنور أساتذتهم، وترجموا كتب علومهم الى لغاتهم، فكان للشرق بذلك الفخر ما بقي النيران،

نطقت كتب التاريخ: ان طلبة العلم من الافرنج من القرن الثامن الى الثاني عشر كانوا اذا أرادوا التبحر في العلوم يقصدون بلاد العرب ويقرؤن على اساتذتهم، بل قيل انه لم ينبغ أحد منهم في الرياضيات في القرون المذكورة الا بعد ان تلقاها بمدارس العرب فتأمل !!!

واخواننا الجاويون المقلدون للاوربيين لايلتفتون ولا يتدبرون تلك التواريخ بل يشغفون بالتشبه بهم في عاداتهم وازيائهم فولعوا بزيارة أوربا وتعلموا في مدارسها واختصوا للانفاق عليها الالوف من الاموال، حتى تمكنهم تأدية الراتب السنوي لكل تلميذ وهو (١٢١٥ غولدن) في كل سنة، ولم نسمع قط أنهم يخرج منهم (سينتمات) فضلا عن (غولدنات) لاساتذتهم في العلوم العربية اللهم الا زكاة الفطرة على سبيل المعروف،

ومع ذلك فانا رأينا المتخرجين في المدارس الهولاندية لايستعملون العلوم والفنون والصناعات لحماية ديننا وملكنا ووطننا بل يبذلون أموالنا على الشهوات واللذات والزينة والقمار، فياحبذا تلك الفنون التي نحن متعطشون الى تعميمها في تلك الانحاء التي لاتزال ضعيفة

هذا ما نبديه للقراء نزراً من جم، وقطرا من يمّ، من أحوال مسلمي جاوة، والله يوفقنا لنشر غيرها في المستقبل ان شاء انه سميع النداء مجيب الدعاء، وارجو بعد اقفال باب الكلام على جاوة ان يسمح لي القراء الجاويون ومن معهم بكلمة اسوقها اليهم، وهي أني قرأت الجرائد على اختلاف ضروبها فرأيت فيها اخبار الدولة العثمانية والمصرية والدولة اليابانية والصينية في الترقي والتقدم والحضارة، وعدا هذه ترى كل جنس من اجناس الامم الراقية قد روت عنه الجرائد والمجلات شيئا من علو الهمة، ونهضة الامة، كارتقاء اليابان والانقلاب في الصين، ونهضة

التعليم بالهند، وجراءة أبطال المجاهدين في طرابلس الغرب، وناهيك باختراعات أوربا، فهل لاخواننا المسلمين الجاويين أن يقوموا بعمل مثل هذا في جاوة ينتفع به جميع الجاويين، ولهم من مساعدة اميرنا الافخم مايوصلهم الى هذه الغاية الجليلة التي تكون من ورائها حرية السواد الاعظم، والله الموفق طلبة العلم بالحجاز

عبد الحافظ الجاوي

(المنار) ان الكاتب الذي أشار اليه صاحب هذه الرسالة في أولها ما كتب الا بالاخلاص وحسن النية، دون العصبية الجنسية الجاهلية، وهو لم يقل في اخواننا الجاويين الا دون ماقاله أخوهم في النسب الشيخ عبد الحافظ صاحب هذه الرسالة. واذا كان قومه أحسن حالا منهم فينبغي ان يسره ذلك ويسرهم، لانهم اخوانهم وقد ينفعهم حسن حالهم ولا يمكن ان يضرهم، وعليهم ان يجتهدوا في سبيل الارتقاء حتى يكونوا أحسن منهم وأئمة لهم ان استطاعوا. ومن جد وجد، ومن قعد عن السعي هلك، ولا يظلم الله أحدا

بعد تسعة قرون (*)

يقولون اننا في القرن العشرين، في القرن الذي ارتقى فيه الانسان أعلى الدرجات في سلم الحياة، في القرن الذي انتشر فيه العلم والعدل والمساواة، في القرن الذي قلت في جوه جراثيم الامراض الاجتماعية الفتاكة، في القرن الذي محي فيه كل رسم للرق والنخاسة، في العصر الذي قويت فيه عاطفة الرحمة في ابن آدم وتجسمت في عقله مبادئ الانسانية الحقيقية وحب السلام والحب الجنسي، في العصر الذي محي فيه من قلب الانسان كل بغض ديني لمن على غير دينه، وقوي فيه التسامح الديني ومات التعصب، وصار كل يحترم دين غيره. فهل كل هذا حق؟ ان الحوادث والشواهد تؤيد خلاف ذلك.

هل زال بعد تسعة قرون (أي بعد الحرب الصليبية الأولى) من النوع الانساني ما كمن في فؤاده بل ما جرى في دمه من الخبائث؟ هل نسيت أوربة صبغتها

(*) من قلم الكاتب الغيور صاحب الامضاء في لوندرة

المسيحية ومركزها تجاه الاسلام ? هل غفلت عن عدوها القديم ? هل تزحزحت بعد التسعة القرون بما اكتسبته من علم ونور ومبادىء شريفة أصبعا واحدة عما كانت عليه أيام الحروب الصليبية ?

لعمرى إن الاديان كانت بسوء استعمال الناس لها سببا في فناء جزء كبير من البشر وستبقى كذلك . فليس من العجيب أن نرى أنفسنا في القرن العشرين في حرب صليبية سببها نفس السبب الذي أجرى في سهول سورية وفلسطين ومقدونية أنهارا من الدم ، وأقام فيها هضاباً من الجماجم أيام العصور الوسطى .

أيها المسلمون اعلموا وتيقنوا أن المسيحية لن تغفل عنكم . ان دينكم ومركزكم الجغرافي لا بد أن يجعلاكم في عراك دائم معها .

أنا لا أريد منكم أن تكونوا معتدين ولكن أريد أنلا تنسوا الدفاع عن بلادكم المقدسة — تلك البلاد التي ارتوت واحمرت بدماء آبائكم ثم ابيضت بعظامهم ، ولا بد أن تحمر وتبيض مرات عديدة حتى يفنى العالم .

أيها المسلمون ! لست في حاجة الى تنبيهكم لمكان هذه الشؤون من تاريخكم من حيث إنكم أمة اسلامية . لا بد أن تكونوا علمتم جميعا بالحوادث الاخيرة حول دار الخلافة وما ينويه أعداء الاسلام لكم . اني أكرر أن هذا الزمن ليس زمن أزمة وحرج في تاريخنا فقط، بل هو معركة حيوية نتيجتها إما بقاء أو موت، لذلك لا بد أن تكون تلك الحوادث قد شغلت بالكم وأشعلت في أنفسكم جمرا كان باردا .

لا تظنوا أن أوربة تريد اصلاحا أو عمارا في مقدونية ، وان هي أرادت ذلك فليس الجبل الاسود أو بلغارية أو الصرب هي التي تدخل هذه الاصلاحات، فالاول على حالة الوحشية والحيوانية الاولى ، ولا فرق بين الثانية وبين تركية ، والثالثة ليست الا قطيعاً من الخنازير. ربما كنا نصدق بهذه الاصلاحات لو كانت الحرب من انجلترة أو فرنسة أو المانية . ان طلب الاصلاحات تحته امتلاك ، إنه أسد في جلد حمار . ان أوربة الحقيقية تريد أن ترى تغيراً في رعاة الشرق الأدنى ، تغيراً في حدوده الجغرافية بالأحرى ، تغيرا في سادة القسطنطينية أو كما تقول جريدة « البال مال غازيت »: (نود أن نرى مسيحيي البلقان يطوون هذه السيادة الاسيوية التي ظهرت في القرنين الخامس عشر والسادس عشر) هذا هو غرض أوربة وهي لا تكتفي ولا ترضى باثارة حرب قومية ، بل تثير علينا حربا دينية محضة. يجب أن لا نغتر بما يسمونه « المداولات السياسية لمنع حرب البلقان » انه عمل مبني على غير اخلاص وما هو الا ذر رماد في الاعين.

ان أوربة الصليبية لا تريد أن تقف أمام قوة تتفق مع أهوائها الطبيعية ، لا بد أن تنتصر لأخوانها في الدين وتساعدهم ، انه لا يمكن وضع المسلم والمسيحي في كفة ميزان ! ان الاخير أحق عندها باصلاحات تناسب رقي عقله، وعلو قدره ، لذلك نشأت تلك الحرب الدائرة الآن عن دسيسة دولية ماهرة أخذت في التكون منذ العام الماضي حين قامت الروسية تضغط على الباب العالي بقبول ضم طرابلس الى إيطالية ، منذ ذاك الحين اشتغلت الدسائس فأهاجت البلقان على الاسلام .

ومنذ خمسة أشهر ظهر ناظر خارجية النمسة باقتراحه المشهور ، ومهما كساه بالالفاظ الادبية المعتادة في المخاطبات السياسية ، ومهما موهه وطلاه بألوان الطلاء ، فهو في الحقيقة فحم جديد لنار موقدة ، بين شعوب ذوي عقائد مختلفة ، ما زادها الا وقودا ، وزاد لهيبها الا اشتعالا .

وتلك الروسية التي عهد اليها مع النمسة الاحتجاج الشديد على دول البلقان نجد عليها تبعة كبرى في هذه الحرب ولا يدعو الى الاستغراب أن تدخل فيها عن قريب. ميل روسية الى الجامعة السلافية أمر مشهور وعداوتها اللازمة لبني عثمان حقيقة تاريخية ، وتمنيها القبض على مفاتيح البحر الاسود وجعل القسطنطينية عاصمة جامعة سلافية كبرى أمر دائم في فكرها ومحور سياستها . وهي الآن تساعد بلغارية علنا، فقد افتتح بنك حكومة روسية قرضاً قدره ٢٠ مليون مارك من أجل بلغاريا . وهذا ملك الجبل الاسود الحائز للقب « فريق » في الجيش الروس وصهر القيصر والذي قال منذ أسبوعين « ان كلمة القيصر هي القانون عنده وعند قومه » أيعقل أن يعلن الحرب رغم أنف القيصر ? لا بد من مواثيق ومعاهدات . ولم يمض على الحرب أسبوع حتى أمطرت الروسية على الجبل الأموال الكثيرة والعطايا الغالية وأرسلت البعثات الطبية وجاء الى الجبل أميران روسيان . أهناك تشجيع على الحرب أكثر من ذلك ? ان خطب ملوك البلقان موجهة الى قيصر الروسية أكثر مما هي موجهة الى أقوامهم .

جاء في الارادة السلطانية ان هذه الحرب سياسية محضة ، ولكننا نعتقد بالرغم من ذلك انها دينية محضة ، حرب مؤسسة على بغضاء دينية كمنت سنينا وقرونا ، ويثبت ذلك ما جاء في مذكرات الامم البلقانية وخطابات ملوكها فهذا ملك البلغار يقول: إن آلام اخواننا في الدين من رعايا سلطان آل عثمان التي لم يسمع بها احد قد أثارت غضب أمتنا بحق ، وكل الوسائل السلمية للدفاع عن هؤلاء الشهداء اخواننا

في الدم والدين قد نفدت ، لذلك لا يمكننا ان نبقي بدون تأثر بتأوهاتهم الشديدة ، ولاعتمادنا على قوة جيوشنا امرناها بغزو الحدود للمحاربة مع ذلك العدو القديم . ان عملنا مقدس وفي سبيل الرحمة والانسانية . اعلموا ان حربكم حرب صليبية . الى الامام بعون الصليب وقوة اسلحتكم ، ان آله العدل لا بد ان يعينكم . وقد أمر بدق الاجراس في جميع الكنائس اعلانا بالحرب وجيء بالقسيسين للصلاة والدعاء بالرحمة والشفاعة للمحاربين .

وخاطب ملك الصرب قومه بهذا المعنى أيضا — وامر باقامة الصلاة والدعاء بالنصر لجيوش المسيحيين وطول العمر لقيصر الروس حامي حمى الكنيسة الارثوذكسية

وقال مثل ذلك ملك اليونان ، وناظر خارجيته يقول : « ان حرب البلقان الصليبية هي غزوة لنصر المدنية والتحرير من السيادة الاسيوية التي بعد ان هددت أوربة وبعد ان وصلت الى فينا لا تزال عبئا ثقيلا على كواهل امم اكثر تقدماً وأرغب في الحضارة والحرية من الأمة الفاتحة » هذا بعض ما قيل في البلقان واليك ما في غرب اوربة .

ففي انجلترة نفسها — في الامة التي يقال انها سبقت جميع الامم في ميولها العادلة وسلامة أذواقها وصفاء قلوبها من الحقد والضغن الديني — في الأمة التي تدعي جريدة التيمس أنها « أقوى مدافع عن بيضة الاسلام » — في الامة التي عولت تركية كثيرا على انصافها وخطبت ودّها — في هذه الامة لا يمكن الانسان ان يحتمل البغض الظاهر لتركية والاسلام . لا يمكن الانسان احتمال ظواهر لبغض أشد من بغض غلادستون الذي كان يقول « هذا الكتاب (مشيرا الى القرآن) لا بد ان يجمع من ايدي المسلمين ثم يحرق ، هذا الكتاب ما دام في ايدي هؤلاء الملايين لا بد ان يبقوا اشقياء اعداء لكل ارتقاء واصلاح ، اعداء للمسيحية » وهذه الصحف الانجليزية تضرب على نغمة اشد من نغمته فهي تقول اليوم : لا خير في الاسلام ولا صلاح يرجى منه . ومن هذه الجرائد قسم لا يكتفي بكتابة اخبار مهيجة عارية عن كل صحة ، وباعلانات مثيرة للخواطر ، بل تعلق عليها بمقالات اشد من قول ملك البلغار . ومثالا لذلك اقتطف جملة من تعليق (البال مال غازيت) قالت : « لا شك أننا كلنا والرأي العام هنا لا بد يتنصر لاخوانه في الدين . لا شك اننا نود ان نرى اخواننا في الدين يكتسحون تلك السيادة الاسيوية في جنوب شرق اوربة كما اكتسحوا الاندلسيين العرب من غربها »

لم تقتصر هذه الظواهر العدائية على الصحف والرأي العام بل اشتدت في

الدوائر الرسمية وظهرت على لسان المستر (لويد جورج) والمستر (ماسترمان) من نظار المالية . واجتمعت جمعية البلقان المكونة من اعضاء البرلمان في وستمنستر يوم اعلان الحرب وقررت بان الأمم البلقانية محقة في عملها . ومهما تكن نتيجة الحرب فلا بد من استقلال مقدونية . وقررت عقد اجتماعات عمومية لتهييج الرأي العام

لم تقف تلك الظواهر عند هذه الحدود بل امتدت الى المعاهد الدينية بالطبع فدعا بعض القسيسين يوم الاحد بالنصر للغزاة . وقال بشوب سوثويل (Bishop of Southwell) في خطاب ألقاه في نوتنجام (Nottingham) ان قتل المسيحيين وتعذيبهم في مقدونية طول هذه السنين لم يعد يحتمل ولا بد من اعلان الحرب . هذا يوم اعلان الحرب . وسافر المستر Nocl Buscton عضو البرلمان الى صوفية وأعلن هناك أن عددا كبيرا من الانجليز قادم اليهم للتطوع مع البلغار . وان أثر هذه المظاهرات في نفوس أهل البلقان لا يخفى على القارئ .

ان انجلترة المدعية الصداقة للدولة العثمانية والدفاع عن الاسلام والتي يعدها عدد كبير من المسلمين أخلص صديق لهم تعمل كل ذلك في زمن جرحت فيه قلوب جميع المسلمين (ومن يبالي بقلوب المسلمين الذين لا يبالون بأنفسهم) . ان انجلترة بمالها من النفوذ الدولي الكبير والنفوذ الادبي كان في امكانها على الاقل إيقاف اليونان عن الحرب وربما كان في ذلك ايقاف الحرب كلها . ان انجلترة تقيم البرهان الآن على مبلغ اخلاصها للمسلمين . قد رأيناها مع ما اشتهرت به من حب الانصاف خذلت أمة شريفة ذات مجد قديم وهي في أول درجات الترقي والتقدم والجهاد الشريف وباعتها لدب مفترس قاس تحقيقا لتوازن دولي غير محقق . هذه هي حقيقة نية الانجليز في المسلمين . ما كنا لنتأوه كثيرا لو كانت انجلترة نفسها احتلت فارس باجمعها لانها ربما كانت تساعدها على المدنية ولو قليلا ، ولكن أعطتها لمن سيسحقها سحقاً مبيدا .

ان انجلترة لا بد أن تعلم ان في ملكها أو تحت حمايتها وفي احتلالها اكثر من ٨٥ مليوناً من المسلمين وهي تعترف بأن روح العصر تجري في دمائهم ، وانهم استفاقوا من نوم عميق وتأثروا باشعة النور الحالي ، ولتعلم أيضاً أن الاسلام حقيقة تاريخية وانه لا يزال مفتاح اكبر باب في سياستها ، ولتحذر لذلك غضب الشعوب الاسلامية . ان الاسلام جرحت كبده في العام الماضي وجرح قلبه في السنة الحاضرة

إن هذه الحركة العدائية العمياء في انجلترة أمر لا يحتمله المسلمون ولا بد لها من أثر سيء مالم يتدارك الأمر بعض الرجال المدققين في الحكومة الانكليزية . ولعل

في ذلك عبرة لجمهور المسلمين الذين لا يفكرون في أن انجلترة اذا ساعدتهم فانما تساعدهم عن اضطرار وان الاولى بهم الاعتماد على هممهم الذاتية .

أيها المسلمون اعلموا ان أمة العرب اندرست آثارها في الاندلس بسبب غفلة المسلمين وعداوة المسيحية لهم ، وعدم وصول أي مساعدة اسلامية الى امراء المسلمين في الاندلس ، واعلموا أن التاريخ يعيد نفسه ، وان أمامنا مثال ثان فان بقيتم بعيدين لا تعرفون معنى الجامعة الاسلامية فالنتيجة واحدة لا محالة . أيها المسلمون ان خلافتكم محاطة بأكثر من نصف مليون سيف ، وان عدد أعدائكم أكثر من عدد جيوش خلافتكم فان لم تلتفوا حولها فالعاقبة وخيمة . انكم تتقاسمون مع الخليفة المسؤلية في حفظ مركز الخلافة وحياتها حياة لكل فرد منكم .

لوندرة — محمد شرف

بمستشفى سانت جورج وعضو بالجمعية الاسلامية بلوندرة
ومساعد في بعثة الصليب الاحمر الانكليزية لتركية .

(المنار) جاءتنا هذه الرسالة في الشهر الماضي من لندرة من صاحب الامضاء فرجحنا عدم نشرها أولا ، ثم كتبنا نستشيره في التصرف فيها والحذف منها ، ثم ترجح عندنا أن ننشرها ونعلق عليها ما يأتي :

(١) ان الكاتب كتب رسالته عقب اضطرام نار الحرب اذ رأى الدول الاوربية بعد أن قضين في العام الماضي على مملكة مراكش وفيما قبله على مملكة ايران الاسلاميتين ـ وبعد أن أغرن على طرابلس الغرب وتبجحن بأنهن أزلن آخر ظل لخليفة المسلمين عن أفريقية ـ شرعن في الاتحاد الحربي باسم الصليب والاتحاد السياسي يعملن لازالة سلطان الدولة العثمانية من أوربة ، ومن يأمن بعد ذلك ازالة ملكها من آسية . رأى الكاتب هذا وقرأ الجرائد الانكليزية التي تصدر هنالك فرآها ناراً تلظى وكان لحسن الظن بالانكليز يرجو أن يرى فيها شيئا من تخذيل دول البلقان التي أهانت المسيحية بجعل هذا العدوان باسمها ولأجلها ، ونصرا للدولة العثمانية لانها بغي عليها ، واكراماً لمسلمي مستعمراتهم ، فلما خاب أمله ، واشتد وجله ، كتب بوجدان وانفعال ، وحق لمثله ذلك

(٢) يظهر أن غرضه الاول من هذه الرسالة حث المسلمين على اعانة الدولة على هذه الحرب بالنفس والمال ، فاما التطوع للحرب معها فمما لا حاجة اليه كما انه لا سبيل اليه لاكثرهم ، لبعد الشقة وقصر أجل هذه الحرب . وأما الاعانة بالمال

فهي جهد المستطاع وهم يبذلون بقدر حالهم المادية والمعنوية

وأما غرضه الثاني فهو الاستنجاد بالانكليز لمساعدة الدولة ، وهو من العبث لان هؤلاء كانوا يساعدون هذه الدولة في الزمن الماضي مضادة ومقاومة لروسية التي يخشون أن تأخذ الاستانة فتكون لهم قوة بحرية تعارض أو تناهض السيادة الانكليزية في البحر المتوسط وغيره . وقد انتقل هذا الخوف من روسية الى المانية ، واستمالت انكلترة عدوتها القديمة لتكون ظهيرا لها على عدوتها الجديدة ، فهي تضحي الدولة العثمانية في هذا السبيل . فهذا هو السبب السياسي لخيبة الامل في الانكليز ، ويدعمه السبب الديني وهو الانتصار للصليب على الهلال ، وهو اذا انتفت الموانع السياسية واجب بالذات

(٣) كون هذه الحرب دينية عندنا يختلف الناس في فهمه لان جميع النصارى وبعض المسلمين يرون أن معنى كون الحرب دينية هي أن يكون أهل دين محاربين لجميع أهل دين آخر ، يستبيحون من دمائهم ومن أملاكهم ما استطاعوا كما تنتصر الآن جميع دول النصارى لجميع دول البلقان على الدولة العثمانية ، وان كانوا ربما يتنازعون فيما بينهم على بعض البلاد أو المواقع كما يتنازع الاخوة كثيرا في اقتسام المواريث وغيرها . ويدخل في ذلك قتل من لا يقاتل ونهب ماله اذا لم يكن ثم مانع كما يفعل البلقانيون في ذبح المسلمين ونهب أموالهم في البلاد التي دخلوها عنوة وفي بلادهم الاصلية أيضاً ، حتى في سلانيك ذات الحضارة العظيمة فان اليونان فيها يقتلون وينهبون ويفتكون بالاعراض والارواح

وقد بينا معنى كون هذه الحرب دينية في الجزء الماضي ، ومعنى الحرب الدينية والجهاد في الاسلام في احدى مقالاتنا (المسألة الشرقية) التي نشرناها في العام الماضي ، وهو أن الواجب على المسلمين قتال الذين يقاتلونهم خاصة لا كل من يشاركهم في دينهم ، وأن الواجب فيها الجهاد بالمال والنفس وبذل الزكاة الشرعية فيها على ما بيناه في الجزء الماضي . ولكن في وطننا أناسا يحسبون كل صيحة عليهم فكلما قال مسلم : اسلام ، أو دولة اسلامية ، أو اللهم انصر السلطان ، أو نقلوا ما يذكر في الجرائد الاوربية عنهم ، أو ما يراد ببلادهم ـ قامت قيامة هؤلاء الناس ، وانتصر لهم من لا يعتقد اعتقادهم ، وهيجوا الاوربيين عليهم ، قائلين : قد هاج التعصب الديني علينا ونحن على خطر ، وذبحنا في كل ساعة ينتظر . فلغيرنا الحرية في أن يقولوا انا نحارب المسلمين حرباً صليبية ، وفي أن يفعلوا . وأما نحن فلا حرية لنا في القول ، لئلا يجر ذلك الى استعدادنا للدفاع عن أنفسنا بالفعل ، فحريتنا مسلوبة

حتى في قول الحق الذي لا يرضي خصومنا ، ومن لا يستطيع أن يفعل لا ينبغي له أن يقول

(٤) يريد الكاتب أن يخيف انكلترة من سخط المسلمين الذين تحت سلطانها وقدرهم بخمسة وثمانين مليونا ، وهي لا تخاف منهم على علمها بأنهم أكثر من مئة مليون . يقول انهم قد دب فيهم الشعور بالحياة العصرية ، وهي أعلم منه بهذا الشعور ويحتمل أن يكون من أسباب ترجيح الاستراحة من الدولة التي يطالبونها بمساعدتها عند كل حادث

(٥) ليس من العقل ولا من الحكمة أن نلوم الانكليز على عدم مساعدتهم لدولتنا الاسلامية على دول مسيحية ، وانما الواجب علينا أن نلوم أنفسنا لا غيرها ، فلا البلقان ولا الانكليز ولا الروس هم الذين يزيلون ملكنا وانما نحن الذين نهدمه بأيدينا . فالذين ملأوا العالم فخرا بانقاذ الدولة من الاستبداد ، وادعاء اخراجها من الظلمات الى النور ، ومن الضعف الى القوة ، قد أنفقوا ٤٣ مليوناً من الجنيهات من مخصصات الميزانية وملايين أخرى كثيرة باسم الحربية ، وظهر بعد هذه النفقات كلها أن العسكر لم يجد خبزا يسد به رمقه في وقت الحرب ، بل لم يظهر أثر لهذا الاستعداد الا في ذبح مسلمي الارنؤد والعرب في اليمن والكرك وحوران الخ الخ

(٦) اذا كان لا مجال للمراء في كون هذه الدول تحارب المسلمين باسم الصليب ، وتستنفر جميع الدول الصليبية لمساعدتها على ذلك بجامعة الدين - فلا مجال عندي للريب في كون دين المسيح عليه السلام بريئاً من هؤلاء السفاكين للدماء المفتونين بأباطيل هذه الحياة ، العابدين للسلطة والمال ، ويجب أن يتبرأ منهم كل من يعرف شيئا من أصول دين المسيح ومقاصده . ولذلك يتحامى المنار تسميتهم مسيحيين وتسمية دياناتهم مسيحية ؛ سواء كان ذلك في مقام الكلام على اطماعهم وأعمالهم التي يعملونها لاستعباد البشر وجعلهم اجراء يستخرجون خيرات الارض ليتمتع سادتهم باللذة والعظمة ، أو في مقام طعنهم في اديان الناس وعقائدهم ليفسدوا عليهم دينهم رجاء أن يصيروا صليبيين مثلهم ، فانا أنزه المسيحية عن شرور رجال السياسة ودعاة الدين منهم ، وأستحي من الله ومن المسيح عليه السلام أن أجعلهم من أتباع المسيح أو ان أنسبهم اليه . ولو كانوا مسيحيين حقيقيين لكان الوفاق بينهم وبين المسلمين أمراً ميسوراً بل أمراً مفعولا ، فهؤلاء الناس يستخدمون دينهم الذي هم عليه - وهو قوة معنوية ككل دين - فيما يرون فيه سيادتهم وعظمتهم ونعمتهم ، وحكامنا وزعماء سياستنا يهدمون مثل هذه القوة بجهلهم وسوء تدبيرهم ، يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي أعدائهم « فاعتبروا يا أولي الأبصار »

تقريظ المطبوعات الجديدة

(عون المعبود بشرح سنن ابي داود)

كتاب السنن للامام الحافظ أبي داود من أجل كتب الحديث وأجمعها وأضبطها حتى قال بعض العلماء ان فيه القدر الكافي للمجتهد في الفقه . ولم يطبع طبعاً متقنا مضبوطاً لا في مصر ولا في الهند ولا طبع له شرح فيما نعلم قبل شرح (عون المعبود) وهذا الشرح للشيخ أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي نسبة الى بلد (عظيم آباد) من بلاد الهند وهو من كبار محدثي هذا العصر وعلمائه ومصنفيه المشهورين في ذلك القطر . وقد تعب في ضبط متن الكتاب ولقي نصباً شديدا لقلة النسخ الصحيحة فلم يتم له ما أراد حتى جمع احدى عشرة نسخة من الهند والحجاز بعضها بالشراء وبعضها بالاستعارة

وأما الشرح فانه والحق يقال شرح محدث فقيه - لا فقيه محدث - أعني انه شرح من يعتقد أن السنة أصل يعرض عليه أقوال الفقهاء فما وافقها قبل وما خالفها ترك ، لا من يرى ان الاصل في الدين كلام فقهاء مذهبه فيعرض عليه السنة فما وافقه منها قبله واحتج به وما خالفه منها تمحل في تعليله أو تأويله . فهو يشرح الحديث ويبين درجته ومن خرجه من الشيخين في صحيحيهما ومن أصحاب السنن الثلاثة تبعاً للمنذري ويزيد ما شاء الله أن يزيد . ويشرحه بما يتبادر الى الفهم من العبارة مستعينا بشراح الحديث من قبله ولا سيما الحافظ ابن حجر والامام النووي والامام الشوكاني . ويذكر ما فيه من الفقه . وقد بين طريقته في ذلك في آخر الشرح .

واذا كان بعض علماء الاصول يرى أن سنن أبي داود كافية في الحديث لمن يريد أن يكون مجتهداً . فأنا أرى أن شرحه هذا كاف لمن يريد أن يأخذ دينه من السنة ويكون مهتدياً بها

طبع هذا الشرح مع الاصل في مطبعة حجرية في دهلي فجعل المتن في أعلى الصحائف

والشرح في أدناها مفصولا بينهما بخط عرضي على الطريقة الحديثة . وقد عني بتصحيحه عناية قلما تجدها في طبع الكتب الهندية . وضبط ما تمس الحاجة الى ضبطه من المتن بالشكل . فجاء في أربع مجلدات من القطع الكامل . وجعل له جدولا للخطأ والصواب . وهو يطلب من مكتبة المنار بشارع عبد العزيز بمصر

(بداية المجتهد . ونهاية المقتصد)

كتاب في الفقه للامام الفيلسوف الاصولى الفقيه القاضي ابي الوليد محمد بن احمد ابن محمد بن احمد بن رشد القرطبي الاندلسي الشهير « بابن رشد الحفيد » المتوفى سنة ٥٩٥ رحمه الله تعالى

قال المصنف في أول الكتاب بعد البسملة : « أما بعد حمد الله بجميع محامده ، والصلاة والسلام على محمد رسوله وآله وأصحابه ، فان غرضي في هذا الكتاب ان أثبت فيه لنفسي على جهة التذكرة من مسائل الاحكام المتفق عليها والمختلف فيها بأدلتها ، والتنبيه على نكت الخلاف فيها ، ما يجري مجرى الاصول والقواعد لما عسى أن يرد على المجتهد من المسائل المسكوت عنها في الشرع . وهذه المسائل في الاكثر هي المسائل المنطوق بها في الشرع أو تتعلق بالمنطوق به تعلقا قريبا . وهي المسائل التي وقع الاتفاق عليها أو اشتهر الخلاف فيها بين الفقهاء الاسلاميين من لدن الصحابة رضي الله عنهم الى ان فشا التقليد وقبل ذلك »

ثم ذكر الطرق التي تتلقى منها الاحكام الشرعية وأصناف الاحكام وأصناف الاسباب التي أوجبت الاختلاف في نحو من ثلاث صفحات فكان ذلك مقدمة أصولية للكتاب ، وشرع بعد ذلك في المقصد مبتدئاً بكتاب الطهارة مختتما بكتاب القضاء على طريقة فقهاء المالكية . وهو يذكر في كل كتاب أصوله فيحصرها في أبواب يذكر في كل منها ما اتفق عليه الفقهاء أولا ثم أمهات المسائل التي اختلفوا فيها مع بيان أدلتهم ومداركهم فيها . وقلما يرجح بعضها على بعض

فمن مزايا هذا الكتاب أنه — فيما علمنا — أحسن كتاب يمثل جملة الفقه الاسلامي ومآخذه ودلائله لمن يريد معرفته بالايجاز والسهولة من غير حشو ولا زوائد وهذا ما يحتاج اليه المسلمون وغير المسلمين من الباحثين

(ومنها) انه أقرب وأوضح ما يفند به بالتفصيل رأي الذين توهموا أن فقهاء

الاسلام استمدوا من القوانين الرومانية أو احتذوها في فقههم ،

(ومنها) ان المسلم يعرف به المسائل المتفق عليها التي يتأكد العمل بها والمحافظة عليها والمسائل المختلف فيها التي له فيها متسع

(ومنها) ان الاطلاع على ما فيه من أسباب الخلاف ودلائل فقهاء المذاهب التي ينتسب اليها اكثر المسلمين اليوم وغيرهم يزلزل أو يزيل جمود المتعصبين لبعض المذاهب على بعض الذين يحتقرون أخوتهم في الدين من غير المنتمين الى غير ما انتموا هم اليه منها ، ومنهم الغلاة الذين يكفرون مخالفهم أو يحكمون بدعته ويستحلون إيذاءه ، كما اشتهر عن الافغانيين في بلادهم . وقد سألت بعض طلاب العلم منهم في (لاهور) من مدن الهند : احقا ما قيل عن أهل بلادكم من التعصب الشديد على غير الحنفية ومن يعمل بغير المشهور في بلادكم من أقوال فقهاء هذا المذهب ؟ فانه بلغنا أن من يرفع سبابته عند التشهد في الصلاة يقطعون سبابته ؟ فقالوا نعم ! وحاولوا إقامة الحجة على تصويب هذه الجرائم والجنايات

والسبب في مثل هذا التعصب الشديد عندهم انهم يحصرون دين الله وشرعه في المعروف عندهم من كتبهم الفقهية ، ويسمون المخالف له مخالفا للشرع وتاركا للدين ، وان كان في المسألة التي خالفهم فيها عاملا بحديث صحيح أخذ به اكثر المجتهدين في عصور العلم والاجتهاد وكانوا هم فيها عاملين برأي بعض الفقهاء الذين لم يتفق لهم الوقوف على ذلك الحديث باسناده الصحيح ، وقد كان مما أراد الطلاب الافغانيون الاحتجاج به على ايذاء المخالف وقتله قوله تعالى « فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم » ! ! ! الوارد في مشركي العرب المحاربين للنبي (ص)

وهذا الذي ذكرته هنا من مزايا الكتاب هو زائد على الغرض الاول للمؤلف من تأليفه إياه وما فيه من الاعانة على تحصيل مرتبة الاجتهاد المطلق التي تقاصرت عنها همم المسلمين في عصره ، وكذا قبل عصره فدع ما بعده ، وقد كان أمثاله من القضاة أشد الناس احتياجا الى الاجتهاد لما كان يعرض لهم من القضايا التي لا نص فيها ولم يكن لها نظير في زمن من قبلهم ، ومعرفة أمهات أحكام الفقه بدلائلها ومداركها أعون ما يعين على استنباط الاحكام لهذه القضايا الحادثة

وجملة القول في هذا الكتاب انه من الكتب التي لا تستغني عنها النهضة العلمية الاسلامية الحاضرة . وقد طبع في العام الماضى (١٣٢٩) على نفقة محمد أمين افندي الخانجي الكتبي وشركائه وهو يطلب منه ومن مكتبة المنار

(حياة البخاري)

كتاب مختصر في ترجمة امام الحفاظ محمد بن اسماعيل البخاري صاحب الجامع الصحيح لصديقنا عالم الشام الشيخ جمال الدين القاسمي . وهو يناهز أربعة كراريس (ملازم) مثل كراريس المنار طبع في مطبعة العرفان بصيدا بعد أن نشر في مجلة العرفان هنالك . وهذه الترجمة هي التي ذكرت المؤلف بالحاجة الى رسالة (الجرح والتعديل) التي تنشر في المنار . وأجدر بالقاسمي ان يكتب مثل ترجمة البخاري وهو الذي يشغل جلّ أوقاته في علوم الاثر مطالعة وتدريسا وتصنيفاً . ولو كان للمسلمين جمعية تؤلف معجما علمياً (دائرة معارف) لما اخترت لكتابة مثل هذه الترجمة لها من علماء بلادنا غير القاسمي ، وكنت أرجو أن أرى في الترجمة بيان السبب الذي ترك له البخاري الرواية عن بعض الثقات العدول أو الاقلال منها ، وتحرير الكلام في ذلك بالانصاف الذي يرضي المنصفين . والكتاب يباع في مكتبة المنار وثمنه قرشان صحيحان خلا أجرة البريد

﴿ الدين والاسلام ـ او الدعوة الاسلامية ﴾

كتاب جديد (لمؤلفه محمد الحسيني آل كاشف الغطا النجفي) من علماء الشيعة الامامية طبع الجزء الاول منه وهو يشتمل على فاتحة في حال الاسلام والمسلمين يلي ذلك خمس سوانح (١) في الاديان وتوقف انتشارها على العلم والعمل والسيف والقلم ، وتمثيل حال الاسلام اليوم (٢) في الشرف والسعادة (٣) فيما ينشط العزائم لتحصيل الشرف (٤) في حال المصنف وعنايته بالفلسفة الروحية والفنون العربية (٥) في الحكماء ومؤلفاتهم ، وعدم قيام زعماء الاسلام بالدعوة على وجهها ، وخروج النصارى عن آداب المناظرة مع المسلمين وسوء مغبة ذلك . يلي ذلك مقدمة في وجوب النظر ونصول في اثبات الصانع ، وتوحيده ، والعدل العملي والاعتقادي ، ومباحث القضاء والقدر والعناية

وعبارة الكتاب وأسلوبه شعري خطابي على طريقة كتاب الرسائل وهو أسلوب اعتيد في الادبيات دون العلميات والدينيات الا قليلا ، والظاهر ان المصنف جرى فيه جري المجتهد المستقل الذي لا يتعمد تقليد من لا يعتقد العصمة له . وقد طبع هذا الجزء طبعا نظيفا في مطبعة العرفان بصيدا . وجاءتنا نسخة منه عقب عودتنا من

رحلتنا الطويلة والشواغل متزاحمة فلم نجد وقتا نقرأ فيه مبحثا تاما من مباحثه لنشهد له او عليه بالحق ، وحسبنا ان نذكر للمؤلف قصده وغايته وموضوع عمله ، وأن ندعوه لشد ازر جماعة الدعوة والارشاد بدلا من الشكوى والتألم من المسلمين لاهمالهم امر الدعوة والارشاد ، فانا نرى أن اغرب تخاذل المسلمين وتقاطعهم ، ما هو واقع بين المتفقين في الرأي منهم ، إننا نرى بعض الافراد او الجماعة منا يدعون الى شيء او يشرعون فيه ، ونرى آخرين يشكون من فقد ذلك الشيء نفسه ويدعون اليه جاهلين او متجاهلين حال اخوانهم الذين يقومون بذلك ، ومنهم من اذا علم او أعلم بحالهم أنكرهم او طعن فيهم حسدا وبغيا ، او احتقارا وكبرا ، او لأنه يتجر بالكلام في ذلك الموضوع اتجارا ، او يتخذه مزرعة يستغلها استغلالا ،

أقول هذا في اناس أعرفهم بشخوصهم وبسيماهم، واعيذ هذا المصنف الغيور بالله ثم بفضله أن يكون منهم ، ولو كان عندي في مكان الظنة ، لما ذكرته في هذا المقام بكلمة ، ولما دعوته لان يضع يده في يدي ، وأن يكون في هذا العمل الذي يدعو الى مثله ساعدي وعضدي ، وان الكتاب لا يغني عن القول باللسان ، والقول لا يغني عن العمل ، فالقارئون قليل ، والذين يفهمون منهم اقل ، والعاملون من هؤلاء أندر من الكبريت الاحمر ،

هذا وان ثمن النسخة من هذا الجزء اثني عشر قرشا ويطلب من مكتبة المنار بمصر

(دين الله في كتب انبيائه)

كتاب يحتوي على مقالات الطبيب محمد توفيق افندي صدقي الشهير التي نشرها في منار هذا العام في الرد على النصارى وابطال مزاعم دعاتهم من البروتستانت وكشف شبهاتهم ونقض القواعد التي يبنونها عليها ، وعلى مقالات اخرى نشرت في بعض السنين الماضية كان الباعث الأول على كتابتها الرد على دعاة النصرانية ، ثم جر السياق الى ما يختص بالمسلمين في بعض المسائل

حقا ان الكتاب قد جاء بما لم نره لغيره من العلماء الذين ردوا على النصارى من قبله واحسن في اختيار بعض ما سبق اليه . ومن المسائل التي توسع فيها واجاد مسألة القرابين والذبائح في الاديان ونقض الاساس الذي اخذته النصارى منها لبناء عقيدة الصلب عليه ومسألة ابطال ما يستدلون به من كتب العهد العتيق على الصلب ،

وقد اوضح هذا وما قبله في مئة صفحة . ثم مسألة البشائر بنبينا (ص) في كتب العهدين العتيق والجديد . ومسألة حقيقة التوراة والانجيل واثبات تحريفهما وعدم الثقة بنقلهما، ومقابلة ذلك بحفظ القرآن وضبطه والعناية بكتابة المصاحف ونشرها. وانك لترى في مقالة تاريخ المصاحف كلاما في ضياع سند كتب النصارى . وفي مقالة الناسخ والمنسوخ كلاما في زمن كتابة الاناجيل . لأن هذه المقالات كتبت لاجل الرد على أولئك الدعاة المشاغبين

وفي بعض هذه المقالات مبحث كون الدين كله من القرآن ومبحث أحاديث الآحاد وكونها تفيد الظن كما يقول الاصوليون وما قيل في الاحتجاج بها واختيار الكاتب لعدمه . وقد كان الكاتب غلا في الشذوذ في هذه المسألة اولا ورد عليه بعض الأزهريين ردا مختصرا والشيخ صالح اليافعي من حيدرآباد ردا مطولا ورد هو عليهما أيضاً ، ثم ختمت الردود بمقالة للمنار فاعتدل رأي الكاتب فيها . ولايزال يخالف الجمهور في ذلك، وما هو بالذي ينصب نفسه للامامة فيه ، وما اجمع المسلمون على كتاب غير كتاب الله تعالى فلا يمنع من يخطئ الكاتب في مسألة احاديث الآحاد او غيرها ان يستفيد من سائر مقالاته في هذا الكتاب

هذا وانه قد زاد عند طبع الكتاب على حدته حواشي مفيدة في مسائل كثيره فبلغت صفحاته زهاء ٢٣٠ ما عدا صفحات الفهرس المفصل وطبع على ورق صقيل جيد ، وجعل ثمنه مع هذا خمسة قروش صحيحة فقط . وانا نؤكد النصح لكل من يطلع على كتب دعاة النصرانية أو جرائدهم ومجلاتهم اومجالسهم ويختلف الى مدارسهم او غيرها من معاهدهم ان يطالع هذا الكتاب، فانه يغنيه عن المطولات في دحض شبهاتهم وتأييد الدين الحنيف . وهو يصلح ردا على كتبهم المطولة وان لم تذكر اسماؤها فيه والكتاب يطلب من ادارة ومكتبة المنار

(تاريخ آداب العرب)

صدر في أول هذا العام الجزء الأول من كتاب بهذا الاسم من تأليف مصطفى صادق افندي الرافعي الشاعر الاديب « وهو يحتوي الكلام في تاريخ اللغة العربية وتاريخ روايتها ومايداخل هذين البابين — قال المؤلف في طرته بعد هذه العبارة — وقد بقي من التاريخ عشرة أبواب من غرار هذا الجزء وحجمه » اي يناهز كل منها ٤٤٠ صفحة .

آداب العرب في عرف المؤلف هي لغتهم : علومها وفنونها ومنظومها ومنثورها وتاريخ أهلها الذين لهم أثر فيها من النظم والنثر والخطب والتأليف . يعني كل ما يتعلق باللغة نفسها . فلا يدخل فيها عنده العلوم غير اللغوية . وهذا المعنى هو الذي كان يعرف به الأدب والاديب عند علماء اللغة والتاريخ ، وأما المحدثون فكانوا يطلقون الادب على أدب النفس في خاصتها وفي معاملتها للناس فتدخل فيه الاخلاق . وقد قرأنا نبذة من مقدمة الكتاب فاذا عبارته أدبية، ممزوجة بالمعاني والعبارات الشعرية، وهذا هو اللائق بمن يكتب في الاداب العربية ، والكتاب مطبوع بمطبعة الاخبار بمصر طبعاً حسناً على ورق جيد وثمن النسخة منه عشرون قرشاً واجرة البريد ثلاثة قروش ويطلب من مكتبة المنار

(تاريخ آداب اللغة العربية)

صدر الجزء الثاني من هذا الكتاب لمؤلفه جرجي افندي زيدان الشهير « وهو يحتوي على آداب اللغة العربية من قيام الدولة العباسية سنة ١٣٢ هـ الى دخول السلاجقة بغداد سنة ٤٤٧ ويدخل فية تكوّن العلوم الاسلامية ونقل العلوم الدخيلة الى نضج العلم في أوائل القرن الخامس للجهرة » وآداب اللغة في عرف هذا المؤلف أعم وأوسع من عرف الرافعي صاحب (تاريخ آداب العرب) فيدخل فيه جميع العلوم والفنون التي اشتغل بها أهل هذه اللغة سواء نبعت من لغتهم أو ترجمت عن غيرهم، وتراجم مؤلفي تلك العلوم كتراجم الشعراء والكتاب . والكلام عن مصنفاتهم أيضاً . ومعنى تاريخ الآداب في هذا العرف الذي يجري عليه أكثر أهل هذا العصر يقابل التاريخ السياسي والاجتماعي والديني فهو تاريخ اللغة والعلوم واهلها فيها

وقد عني بعض الادباء بانتقاد هذا الجزء كما انتقد الذي قبله ، ويرى القراء في المنار مقالات للشيخ احمد عمر الاسكندري في نقده ، وذلك آية العناية به

ولعمري ان كلا من هذا الكتاب وكتاب الرافعي مفيد في موضوعهما ولا يستغنى بأحدهما عن الآخر ، وهما اغزر مادة مما كتب فيه قبلهما ، بل يعدان الآن في مقدمة ما طبع في هذا العلم ، ويرجى وقد بدئ بمثلهما وبنقد الناقدين أن يبلغ الكمال بعد حين ، وقدطبع الكتاب بمطبعة الهلال طبعا حسنا على ورق حسن ويطلب من مكتبته ومكتبة المنار

(طبقات الامم أو السلائل البشرية)

« هو كتاب علمي طبيعي اجتماعي يبحث في أصول السلائل البشرية وكيف نشأت وتفرعت الى طبقات وانتشرت في الارض وماتنقسم اليه كل طبقة من الامم أو القبائل وخصائص كل أمة البدنية (؟) والعقلية والادبية . ومنشأها ودار هجرتها ومقرها الآن وعاداتها وأخلاقها وآدابها وأديانها وسائر أحوالها »

هذا ما بين به ما في الكتاب مؤلفه جرجي افندي زيدان . وهو مما اقتبسه بالعربية من الكتب الافرنجية وان لم يبين مأخذه . ولا يعقل ان يكون قد وفى تلك المسائل حقها من البيان وصفحات الكتاب ٢٧٨ صفحة . وانما هو مختصر وجيز في هذا الفن يفيد مطالعه علماً إجمالياً يرجى ان يوصله الى غرض المؤلف منه ـ كما قال ـ وهو أعداد الاذهان لفهم التاريخ وفلسفته . فله الشكر على ذلك

(الاسلام والاصلاح)

تقرير رسمي رفعه (السر ريشار وود) قنصل دولة انكلترة السياسي الجنرال ووكيلها السياسي بتونس في أوائل الربع الاخير من القرن الماضي للميلاد الى ناظر خارجيتها . ونشرته الحكومة الانكليزية في الكتاب الأزرق سنة ١٨٧٨ م وهو الكتاب الرسمي للمنشورات السياسية لهذه الحكومة . وقد كان ترجم هذا التقرير بالعربية وطبع منذ عشرات من السنين وفقدت نسخه . ثم أعيد طبعه الآن بعد تصحيح ترجمته الأولى بعناية محب الدين افندي الخطيب المحرر في جريدة المؤيد بمصر .

مزية هذا التقرير الخالدة انه شهادة للاسلام من سياسي انكليزي غير مسلم قد عرف من حقيقة الاسلام والمسلمين ما لا يعرفه الا القليلون من قومه وأمثال قومه من الاوربيين . وقلما يوجد من العارفين امثاله من يشهد بما علم

ينبغي للمسلمين أن يطلعوا على هذا التقرير لانه يعرفون به من دينهم ما لم يكن يعرفه من قبل كثير منهم ، وينبغي لمن يسيء الظن في الاسلام من أصحاب الافكار المستقلة أن يطلعوا عليه أيضاً لان الذين أنعم الله عليهم بنعمة الاستقلال لا يحبون أن يكونوا على ضلال في اعتقادهم ، وعلى خطأ في رأيهم

قرظ المقتطف هذا التقرير فقال في تقريظه ما معنا أنه لا يكفي في صلاح

الامة وارتقائها أن يكون دينها آمراً بالمعروف ناهيا عن المنكر مشتملا على العقائد الصحيحة والآداب العالية ـ اوما هذا معناه ـ واستدل على ذلك بترقي اليابانيين الوثنيين ، وتدلي من يفضلونهم في دينهم كالمسلمين ، وقد نسي الكاتب عند ما كتب هذه المسألة الفرق العظيم بين كون تعاليم الدين تطهر العقول من الخرافات الوثنية والاوهام ، وتزكي النفوس بالآداب العالية والاخلاق ، وتقيم نظام الاجتماع على قواعد العدل والمساواة ، وبين كون المنتمين الى هذا الدين عاملين بعقائده موقنين بها ، ومعتصمين بآدابه وفضائله وعاملين بأحكامه أم لا . ولو تذكر هذا لماقال ما قاله فانه لايمكن للمرتقين في عقائدهم واخلاقهم وأعمالهم وأحكامهم ان يكونوا دون فاسدي العقائد والاخلاق والاعمال والاحكام . لان الاعمال تصدر عما في النفس والاناء ينضح بما فيه . ولما كان المسلمون معتصمين بحقيقة الاسلام كانوا فوق غيرهم في الادارة والسياسة والزراعة والصناعة والتجارة ـ على نسبة ارتقائهم على غيرهم في العقائد والاخلاق والآداب ، وان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم

التقرير يطلب من مكتبة المنار وثمنه قرش ونصف فقط

(الهلال)

مجلة اسبوعية مصورة انشأها في كلكته عاصمة الهند (احمد المكنى بأبي الكلام الدهلوي) وهو مديرها ومحررها الخصوصي . وهي تطبع بالحروف على ورق جيد صقيل لم نر في صحف الهند ولا في غيرها من مطبوعات تلك الاقطار مثلها في إتقان طبعها ونظافة ورقها . ويظهر لنا من عناوينها ومما نعرفه من حال منشئها انها مجلة إصلاحية على مشرب المنار ، وهكذا كتب إلينا بعض اصدقائنا واصدقائه من الهند راويا عنه عرفنا أبا الكلام في احتفال ندوة العلماء في لكهنو فعرفنا ان كنيته أصدق ترجمة لحاله ، متكلم فصيح اللسان ، خطيب جريء الجنان ، جوال في ميادين البيان ، حسن الالقاء والتعبير ، قوي العارضة والتأثير ، وقد ترجم بعض خطبنا هنالك بخطب مثلها ، او اوسع شرحا وبيانا منها ، فكنت اخطب الخطبة بالعربية ، فيعيدها هو بالاورديه ، وقد ظهر لي أنه على مشرب المنار في الاصلاح الاسلامي . وقد تفضل بتصدير الجزء الأول من مجلته بالرسم الشمسي لهذا العاجز وأنشأ فيه مقالة في المصلحين ، اطراني فيها بجعلي ثالث الرجلين شيخنا الاستاذ الامام وشيخه السيد جمال الدين ، فله الشكر على هذا الظن الحسن . ونرجو أن تلقى مجلته ماتستحق من الرواج ، وأن تكون قدوة في مباحثها ، كما تستحق ان تكون قدوة في حسن طبعها

(باب الاخبار والآراء)

(الحرب البلقانية والمسألة الشرقية)

قد عرف القراء رأينا في المسألة الشرقية من المقالات العشر التي نشرت في منار السنة الماضية عند اغارة إيطالية على طرابلس الغرب . ثم جاءت حرب البلقان مؤيدة لرأينا في تلك المقالات وداحضة لآراء قصار النظر الذين لا يرون الا ما كان بين أيديهم، غير بعيد عن مواقع ابصارهم . وقد بينا في غير تلك المقالات ان الدولة لا تقدر أن تحفظ جميع بلادها بقوتها العسكرية المنظمة ، بل الوسيلة لحفظها هي إيجاد قوة دفاعية أهلية في كل قطر وكل ولاية ، وهو ما يعبر عنه اخواننا الترك بالدفاع الملي . وهذا رأي لنا قديم طالما جهرنا به وعرضناه على بعض رجال الدولة ، وذاكرنا فيه بعض من عرفنا من الضباط أركان الحرب وغيرهم في الآستانة . ونرى الحوادث تؤيده آنا بعد آن بالوقائع المشاهدة ، ومع هذا نرى أكثر الناس غافلين عنها

بدأت الحرب البلقانية والدولة غير مستعدة لها خلافا لما كان يعتقده العالم كله من عثمانيين وأوربيين، لان الجميع يعلمون ان هذه الدولة دولة حرب فقط، ويظنون انها مهملة لكل شيء أو مقصرة فيه الا الاستعداد الحربي ، وان هذا الاستعداد لا يوجد تاما الا في العاصمة وحرم العاصمة وجوارها ، ولكن البلغاريين وحدهم هم الذين كانوا أعلم من العثمانيين ومن الاوربيين بكنه هذا الاستعداد وجميع ما هنالك من نقص وضعف وخلل ، لان جواسيسهم كانوا متغلغلين في كل مكان ، ويوجد في رجالنا من الخونة من يبيعهم كل ما يبذلون فيه المال، فانتهزوا فرصة هذا الخلل والتقصير، وسائر ما أحدثته جمعية الاتحاد والترقي من الفساد في الجيش والعناصر، وألفت الوحدة البلقانية بمساعدة روسية، في أوائل العام الماضي على عهد الوزارة السعيدية الاتحادية ، التي كانت بركان الشقاء والشقاق في البلاد العثمانية ،

اشتعلت نار الحرب فكان الرجحان فيها للبلقانيين فما زال البلغاريون منهم يطاردون العثمانيين حتى خط الدفاع الاخير امام الاستانة في المكان الذي يسمى (شتالجة) حيث تصل أصوات المدافع الى العاصمة ، وهذا الخط ضيق ينتهي من أحد جانبيه ببحر مرمره ومن الجانب الآخر بالبحر الاسود ، فكان الاسطول العثماني يحمي جناحي جيشنا من الجانبين فتتوفر القوة البرية في القلب ، ومعظم الجيش

في هذا الخط جديد لم يكسر فوقه، ولم تفسد بأسه الهزيمة، ولا أنهكه الجوع والتعب ، وهو يجد كل ما يحتاج اليه من المؤنة والذخائر حاضراً لقربه من العاصمة . وأما جيش العدو فقد كان منهوك القوى وبعد عن بلاده فصار نقل المؤنة والذخيرة اليه عسرا ، - لهذا كله ولما هو معروف عن العثمانيين من قوة الدفاع والثبات والصبر فيه قد ارتد جيش العدو عن هذا الخط خاسئا خاسرا ولم ينل منه نيلا، بل نال شرا وويلا

ماظهر رجحان البلقانيين على العثمانيين ، الا وأظهرت دول الاتفاق الثلاثي العصبية للغالبين، تبعاً لصديقتهم الروسية موقظة هذه الفتنة ، وصاروا يتحدثون بقسمة الولايات المقدونية بين الغالبين واخراج الترك من أوربة ، ومنها امتداد حدود الصرب الى السواحل الالبانية من بحر الادرياتيك، وهذا مما يضر دولة النمسة وينافي مصلحتها، وينافي أيضاً مصلحة ايطالية على ما في المصلحتين من التعارض ، حينئذ كشرت النمسة عن أنيابها ، وأمرت بحشد جيوشها ، وصرحت بأنها لا تأذن للبلقانيين باعطاء الصرب ما يطلبون من ساحل البحر ، ولا بالاعتداء على بلاد الالبانيين بل يجب أن تكون هذه البلاد مستقلة . وأظهرت ألمانية وايطالية تأييدهما لحليفتهما ، فاستحوذ الذعر والقلق على الروسية وصديقتيها - انكلترة وفرنسة - وخفن أن يؤدي الخلاف الى حرب أوربية لا تبقي ولا تذر . فطفقت روسية تنصح للصرب بأن لا تصر على ما تطلب وتجعله ضربة لازب . وألانت انكلترة القول في مسألة خلاف الدول. والحق ان كل دولة من الدول الكبرى تبذل كل ما في وسعها من وسائل الاستعداد الخفية للحرب ، وتجتهد مع ذلك في اتقاء أسبابها . ولم يظهر بعض الاستعداد لها الا النمسة

كانت الدولة العثمانية بعد انهزام جيشها في معركة (قرق كليسا) ومعركة (لولي برغاس) العظيمتين طلبت من الدول الكبرى التوسط في الصلح فأحجمن وجمجمن، فعرضت على البلغار عقد هدنة لأجل المذاكرة في أمر الصلح فسرت هذه بهذا الاقتراح لانها كانت تفضل أن لا يتوسط الدول في ذلك . ولكنها عرضت شروطاً شديدة ردتها الحكومة العثمانية وتلا ذلك رجحان جيشنا في دفاع شتالجه وتكشير النمسة في وجوه البلقانيين والخوف من ميلها وميل حليفتيها معها الى العثمانية، فتساهلت البلغار والصرب في شروط الهدنة وأسرعتا بامضائها ، وأبت اليونان ذلك لتبقى حرة في حركاتها البحرية ، ولكنها صرحت بأنها تدخل مع حليفتيها في مذكرات الصلح . وستكون المذاكرة في مسألة الصلح في لندرة كما روت لنا البرقيات الاخيرة

ثم ان الدول الكبرى يقترحن عقد مؤتمر للنظر في مسألة الدولة بعد الصلح

والحكم بينها وبين دول البلقان فيما يختلفن فيه ، فيكون كمؤتمر برلين الذي عقد عقب الصلح بينها وبين روسية بعد حربهما الاخيرة • والغرض من المؤتمر ان لا يكون تعارض المصالح والمنافع سببا للتنازع والحرب بين الدول الكبرى . وهذا هو الذي يخشى شره فان الدولة ليس عندها قوة بحرية ولا برية لحماية بلادها من اغارة الدول عليها أو بث نفوذهم فيها على الوجه الذي يسمونه الفتح السلمي • وانما عمدتها في السلامة من شر الدول تنازعهن واختلافهن ، والاختلاف الضار لا يستمر بين العقلاء فمن الخطأ العظيم والخطر الكبير أن يعتمد عليه

نعم، اذا نجونا هذه المرة أيضا من وضع أوربة جميع ولاياتنا الاسيوية تحت سيطرتها عملا بقاعدة الفتح السلمي فانما نجو بتعارض الدول وتنازعها على ما بقي لنا ، لا بقوة ذاتية فينا ، ولا بقاء لمن لا حياة له في نفسه ، ولا استمساك له بذاته ، اذ لا يدوم له ما يدعمه من ورائه ، لمنفعة عارضة لواضع الدعامة له ، فيجب اذا أن نعمل لنحيا حياة سياسية ذاتية ، ونكون قادرين على نفع من ينفعنا وضر من يضرنا ، ليكون النفع بالمبادلة فينمو بنمائها ، ويكون دفع الضرر والعدوان بالقوة فيدوم بدوامها، وقد كان مصابنا في هذه المرة من قبل الاتفاق الثلاثي وقد أخطأنا اذ أسأنا الظن بدولة النمسة عند اقتراح وزيرها المشهور ، ثم ظهر لنا أن روسية هي التي أثارت الفتنة ، وظاهرتها فرنسة وانكلترة ، والآن نرى المانية والنمسة يظهران لنا المودة ، فاذا تم ذلك فعلا ، وثبت في المؤتمر الدولي ثبوتا قطعيا ، فالواجب على حمية العثمانيين وجميع المسلمين أن يكافئوا من يساعدنا بكل ما يستطيعون، وأهمه ترويج التجارة ، ومالنا لا نعول على ألمانية في كل ما نحتاج اليه من علوم أوربة وفنونها وصناعتها ، ولكن مع الجد في تكوين أنفسنا ، واتقاء جميع العواثير التي عثرنا قبل فيها ،

فان عثرت بعدها ان وألت ... نفسى من هاتا فقولا لالعا

يجب على رجال الدولة وعلى كل عاقل من العثمانيين ان يبذلو كل ما في وسعهم وطاقتهم لاتخاذ وسائل الدفاع الوطني أو الملي – كما يقولون – وأن يجعل لهذا الدفاع نظام يجري عليه ، فان هذا هو كل ما يمكن الآن لاتقاء بسط الافرنج سلطانهم على بلاد الدولة كلها• فان القوم طلاب كسب فاذا علموا أن محاولة استيلائهم على البلاد ولو بالفتح السلمي يقاوم بكل ما في البلاد من قوة ولو أدى الى خرابها فانهم لا يقدمون على ذلك وان كانوا يعرفون من أنفسهم القدرة ويثقون بالنصر

ولا يمكن وضع هذا الدفاع على أساس متين ثابت الا بمبادرة الدولة الى تغيير

شكل إدارتها وجعلها من النوع الذي يسمونه اللامركزية وهو الذي اقترحه صباح الدين افندي ابن أخت السلطان عقب الانقلاب فعاداه الاتحاديون لاجله واضطروه الى مغادرة الاستانة فغادرها وطفق يدعو الى ذلك في أوربة . فشهدت له يومئذ بما لا أزال أشهد به من أنه هو الزعيم السياسي العثماني الذي لم نر بعد الانقلاب مثله في صحة رأيه واخلاصه ، كما اننا لم نر مثل صادق بك في أعماله واخلاصه ، فهما مفخر اخواننا الترك في هذا العصر ، وسنعود الى هذه المسألة بعد

ألا فليعلم كل مسلم ان البلاد الباقية في يد هذه الدولة ليست ميراث الترك وحدهم، ولا العثمانيين منهم ومن غيرهم ، وانما هي ميراث الاسلام نفسه، فان روح هذه البلاد جزيرة العرب مهد الاسلام الاول ، وحرمه المقدس ، حيث نزل الوحي بالقرآن ، وحيث الكعبة المشرفة أول بيت لله وضع للناس، وحيث قبر خاتم النبيين عليه الصلاة والسلام : وما كان المسلمون راضين بجعل هذه الدولة هي الحامية لهذه الجزيرة من أعداء الاسلام ، إلا لاعتقادهم قدرتها على ذلك . لا لأن لها حقا عليها بالفتح والاستعمار، أو بايجاد شيء فيها من العلوم والعمران . فانه ليس لها شيء من ذلك فيها .

أما وقد ظهر لهم كلهم، ما كان خفيا لا يدركه الأفراد منهم، فالواجب عليهم كلهم حيثما كانوا ، وأينما وجدوا ، أن يفكروا في وسيلة حفظ هذه الجزيرة من استيلاء الاجانب عليها، أو ايصال نفوذهم اليها، أو جعل حياتها في أيديهم بالاستيلاء على سواحلها .

يجب على جميع المسلمين في جميع بقاع الارض أن يعقدوا اللجان والجمعيات ويتشاوروا في أمر حفظ مهد دينهم ، وحرم قبلتهم ، وأن يقترحوا على أولي الامر القيام بما يظهر لهم انه الصواب • ولا يتركوا الامر لمن يغلب نفوذه في مركز السلطنة العثمانية اياكان ، فقدرأوا انه قد غلبها على أمرها في السنين الاخيرة أغيلمة من الملاحدة والفساق ، أنزلوها في أربع سنين من مستوى الدول الكبار ، وجعلوها بحيث تسمع في عاصمتها مدافع البلغار ، وهم الذين كانوا تحت سيادتها قبل هذه الحرب بأربع سنين، وكانت بلادهم من أملاكها الى عهد ليس ببعيد • فهل يجوز لمسلم أن يرضى بعد ذلك باستبداد أمثال هؤلاء بمهد الاسلام ، وهل نأمن عليه أن يقع في قبضة الاجانب بعد أعوام ، اذا نجت الدولة من شر المؤتمر الذي يعقد في هذه الايام

أيها المسلمون ان الامر جد ، والخطب إد ، والخطر قريب، والجرائد الاوربية تصرح بوجوب الحل الأخير للمسألة الشرقية ، والاستيلاء على جميع ما بقي من البلاد الاسلامية ، وجعل الخليفة في قصره ، كالعصفور في قفصه، لا قوة ولا عمل له،

وقد بينا لكم في العام الماضي ان مسألة طرابلس الغرب كانت فتحاً لباب هذه المسألة ، وبينا لكم ما على جزيرة العرب من الخطر، والطريقة المثلى لانقاذها منه . فصرفكم الغرور بمقاومة عرب طرابلس وبرقة لايطالية ، عن الخطر الاكبر على الدولة والاسلام ، فلم تمر السنة حتى سمعتم الصيحة الثانية، من الصيحات الثلاث لهذه القارعة، ولم يبق الا صيحة واحدة، تقوم بها قيامتكم، فان لم تسمعوها في هذه الأيام، فستسمعونها بعد اعوام ، فهل يظل لسان حالكم ، ينشد مثل الغنم الراعية الذي ضربناه لكم :

نحن ولا كفران لله كما   قد قيل في السارب أخلى فارتعى
اذا أحس نبأة ريع وان   تطامنت عنه تمادى ولها

إنني أخشى أن تسمع دول الاتفاق الثلاثي نداء جرائدها ، وتقنع دول الاتحاد الثلاثي باقتسام سائر بلادنا . فان لم تقدر على ذلك في هذا المؤتمر فلا يغرنكم ذلك فتكونوا كالغنم التي تجفل وترتاع عند الصيحة ، وتعود الى الرعي عند سكوت الصائح، بل يجب أن تتفق كلمتكم على صيانة حرمكم وقبلتكم ، وصيانة القوة التي تحفظ هذه الجزيرة لكم ، وان تشرعوا حالا بجمع المال وادخاره الى وقت العمل لذلك

أما أخوكم هذا فقد بين لكم رأيه في حفظ الجزيرة المقدسة غير مرة ، كان يقول ذلك ويكتبه بأساليب التعريض والتلويح ، ثم ضاق الوقت عن ذلك فاضطر الى التصريح، وقد رأيت جميع من أعرف من أهل الرأي يوافقونني عليه ، فان كان لكم رأي آخر فبينوه فان رأيناه أصلح رجعنا اليه، هذا ما عندي أفيض على قلم الاخلاص من سويداء الفؤاد، (فستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمري الى الله ان الله بصير بالعباد)

(المسألة السورية)

قلقت أفكار السوريين وسائر العثمانيين لما ورد في الجرائد الفرنسية الرئيسة وفي مقدمتها (الطان) من التعريض الدال على الطمع في استيلاء فرنسة على سورية ، بعد أن ظهر رجحان الكفة البلقانية على العثمانية في الحرب الحاضرة . وكنا قبل ذلك قد سمعنا عن بعض الاوربيين هنا أن انكلترة وفرنسة قد اتفقتا على اقتسام سورية بأن يكون القسم الجنوبي المجاور لمصر للاولى، والشمالي ومنه لبنان للثانية ، وسمعنا قبل الحرب أيضا أن فرنسة أوعزت الى الفرنسيين المقيمين في بيروت بشراء ما يمكن شراؤه من سهام الشركات غير الفرنسية كشركة الماء ، وبأنها عينت لناديهم

مساعدة قدرها مئة الف فرنك للاستعانة بها على الحركات السياسية ، وبأنها أمرت معتمدها السياسي هناك أن يكاتب وزارة الخارجية في شؤون البلاد مباشرة. ثم روي لنا عن بعض الجرائد الألمانية معارضة للجرائد الفرنسية فيما كتبته في هذه المسألة ومنها عدم التسليم لفرنسة فيما تزعمه من حق حماية المسيحيين، وان هذا شيء كان ثم نسخ أو خصص بما نالته ألمانية من الحقوق الجديدة في الشرق الادنى وخاصة في سورية وفلسطين

ثم بلغنا أن بعض نصارى سورية يظهرون الميل الى فرنسة في هذه الايام ، واكثرهم من فرقة الموارنة . وان بعض المسلمين قابلوهم على هذا باظهار الميل الى انكلترة ، بل بلغنا ما هو شر من ذلك وهو ان انكلترة أرسلت متدوبا أو مندوبين الى سورية يجوسون خلال الديار لاستمالة الناس الى طلب حماية انكلترة لسورية أو احتلالها إياها ، أو ضمها الى مصر . ومخادعتهم بأنه لانجاة لهم من سلطة فرنسة الا بذلك

ياللداهية ويا للرزية ! أيليق بسورية وهي في مقدمة البلاد العثمانية حضارة وأوسع البلاد العربية علما واختبارا أن تكون محتقرة الى هذا الحد فتحسب كالحمارة العرجاء التي لا صاحب لها . كل حظها من الحياة تفضيل راكب على راكب ، أو حمار على حمار يستولي عليها ! ! ما هذه المهانة وما هذا الصغار

الا فليعلم إخواننا السوريون ان من يقاوم ذل السلطة الاجنبية جهد طاقته ثم يغلب على أمره يكون معذورا ، ومن ينزل به هذا البلاء على غرة منه تحول دون المقاومة يكون مقهورا ، واما من يسعى اليه أو يستجيب دعوة أهله فانه هو الذي يكون مذؤما مدحورا ، وملعونا مثبورا . فياللعار، وللذل والصغار، وياللعيب والشنار ، ان يحتقرنا الاجانب كل هذا الاحتقار ، وانما العار الاشد ، وذل الابد ، والصغار الذي لاينتهي الى امد ، والعيب الذي ليس له حد ، هو ان نحتقر نحن انفسنا الى هذا الحد ،

الا فليعلم اخواننا السوريون أن كلا من فرنسة وانكلترة شر عليهم من الاخرى ، وأنه يجب ان يسعوا الى الحياة لا الى الموت . اذا كانت انكلترة ألين في مستعمراتها ملمسا وأقرب الى الحرية . فرب افعى لين مسها ، قاتل سمها ، وان هذه الدولة طامعة في جميع البلاد العربية، واما فرنسة فربما كان طمعها محصورا في سورية ، ولا يغرنهم ما يرونه من ترقي مصر المالي، فانهم يعرفون ظاهره ولا يعرفون باطنه ، وان انكلترة قد احتلت مصر بصفة خاصة لاسباب عارضة ، وللدول العظمى كلها فيها مصالح واموال وامتيازات كثيرة ، وكلهن كارهات للاحتلال ، فلا تقاس عليها بلاد يراد الاستيلاء عليها باسقاط الدولة العثمانية ، واقتسام الدول لسائر

بلادها، واذا وقع ذلك والعياذ بالله تعالى فلماذا ترحمكم انكلترة او تعطف عليكم وما ثم دولة اسلامية ترى من مصلحتها مداراتها ، ولا دول اجنبية تحاسبها على أعمالها ؟ وأما الانسانية فقد عرفتم مبلغها عندها من أشد أزر البلقانيين، على علمها بفظائعهم في المسلمين

الا وليعلم اخواننا السوريون ان انكلترة لا ترضى ان يكون للعرب دولة مستقلة عزيزة ولو تحت حمايتها ، ولا ان تكون سورية تابعة لمصر ولو بقيت مصر على حالتها ، (اي خاضعة للاحتلال الانكليزي الذي لا يسمح ان تكون فيها قوة عسكرية أهلية الا بقدر ما تحتاج اليه الدولة المحتلة لحفظ الامن ، واخضاع كل ما هو داخل في منطقة نفوذها من السودان) فلا يخدعنهم أحد بهذه الاوهام ، ولا تغرنهم وعود السياسة الكاذبة فما هي الا أضغاث أحلام ،

الا وليعلموا ان حياتهم ان كان فيهم استعداد للحياة انما تسهل مع دولتهم على ما فيها من الخلل ، ولا تسهل مع احد من تلك الدول ، وسنبين هذا في بعض الاجزاء الآتية ان شاء الله تعالى ، فليعضوا على دولتهم بالنواجذ ، ولا يكونن عونا لاعدائها عليها ، وليكن همهم محصورا في إصلاح أنفسهم وإصلاحها ،



(خاتمة السنة الخامسة عشرة)

نختم السنة الخامسة عشر من سني المنار بحمد الله الذي يحمد على كل حال ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وكرام الصحب والآل ، وقد علم القراء اننا قضينا اكثر من نصف هذه السنة في السياحة ، وان سياحتنا بفضل الله للخدمة العامة ، ليس لنا فيها مصلحة خاصة ، ولم نقصر ولله المنة في العناية بما كتبنا واقتبسنا للمجلة ، الا أن أغلاط الطبع ، كانت اكثر بالطبع ، ولم يرد علينا في هذه السنة انتقاد على المنار يذكر ، ولم نجد من المشتركين الماطلين وفاء يشكر ، وقد زادت الادارة قيمة الاشتراك في هذا العام بغير اذن مني ، لانها رأت هذه الزيادة ضربة لازب ، فاما أهل الوفاء والفضل فقد تلقوها بالقبول ولو كان كل المشتركين او اكثرهم مثلهم لما احتيج اليها ، واما الماطلون المسوفون فقد يشكون منها وهم السبب فيها، واننا نذكر اهل العلم والرأي بما ندعوهم اليه في كل عام من تذكيرنا وتنبيهنا اذا نسينا او أخطأنا ، بمشافهتنا او الكتابة الينا ، لا بالغيبة والسباب ، والتنبز بالألقاب ، كما يفعل اهل الاهواء . يكتمون عن الانسان عيبه ، ويتركون النصيحة الواجبة له ، ويعيبونه عند الناس ولو بما ليس فيه ، وسينبذ امثال هؤلاء ، جميع العقلاء والفضلاء ، والعاقبة للمتقين ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين